## *(فهرست الجزء الاول من كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي)*


| صحيفة | |
|---|---|
| ٢ | خطبة الكتاب |
| ٤ | الفصل الاول في ذكر الآي التي فيها ذكر المعاملة |
| | الفصل الثاني في الآي التي فيها ذكر أوراد الليل والنهار |
| ٥ | الفصل الثالث في ذكر عمل المريد في اليوم والليلة |
| ٦ | الفصل الرابع في ذكر ما يستحب من الذكر وقراءة الآي المندوب اليها بعد التسليم من صلاة الصبح |
| ٧ | الفصل الخامس في ذكر الادعية المختارة بعد صلاة الصبح |
| ١٤ | الفصل السادس في ذكر عمل المريد بعد صلاة الصبح |
| | الفصل السابع في ذكر أوراد النهار |
| ١٩ | الفصل الثامن في ذكر أوراد الليل |
| ٢٢ | الفصل التاسع في ذكر وقت الفجر وحكم الوتر |
| ٢٣ | الفصل العاشر فيه كتاب معرفة الزوال وزيادة الفاضل ونقصانه بالاقدام واختلاف ذلك في الصيف والشتاء |
| ٢٧ | الفصل الحادي عشر فيه كتاب فضل الصلاة في الايام والليالي |
| | ذكر ما جاء في صلاة النهار من الفضائل |
| ٣١ | الفصل الثاني عشر في ذكر الوتر وفضل الصلاة في الليل |
| | الفصل الثالث عشر في كتاب جامع ما يستحب ما يقول العبد اذا استيقظ من نومه وفي يقظته عند الصباح |
| ٣٥ | الفصل الرابع عشر في ذكر تقسيم قيام الليل ونومه ووصف القائمين والمتهجدين |
| ٤٠ | الفصل الخامس عشر في ذكر ورد العبد من التسبيح والذكر والصلاة في اليوم والليلة |
| ٤٤ | الفصل السادس عشر في ذكر معاملة العبد في التلاوة ووصف التالين للقرآن حق تلاوته بقيام الشهادة |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٥١ | الفصل السابع عشر فيه كتاب ذكر نوع من المفصل والموصل من الكلام وفيه مدح العاملين وذم الغافلين عنه |
| ٥٧ | الفصل الثامن عشر فيه كتاب ذكر الوصف المكروه من نعت الغافلين |
| ٥٩ | الفصل التاسع عشر فيه كتاب الجهر بالقرآن وما في ذلك من النيات وتفصيل حكم الجهر والاخفاء |
| ٦١ | الفصل العشرون في ذكر احياء الليالي المرجو فيها الفضل المستحب احياؤها وذكر مواصلة الاوراد في الايام الفاضلة |
| ٦٣ | الفصل الحادي والعشرون في كتاب الجمعة وذكر هيئاتها وآدابها وذكر ما يستحب للمريد في يوم الجمعة وليلتها |
| ٧٣ | الفصل الثاني والعشرون فيه كتاب الصوم وترتيب وصف الصائمين الخ |
| ٧٥ | الفصل الثالث والعشرون في ذكر محاسبة النفس ومراعاة الوقت |
| ٨١ | الفصل الرابع والعشرون في ذكر ماهية الورد للمريد ووصف حال العارف بالورد |
| ٨٢ | ذكر الاوراد وما يرجى بها من الازدياد |
| ٨٤ | الفصل الخامس والعشرون فيه كتاب تعرف النفس وتصرف شهوات المريدين |
| ٨٨ | الفصل السادس والعشرون فيه كتاب ذكر مشاهد أهل المراقبة |
| ٩٤ | الفصل السابع والعشرون فيه كتاب أساس المريدين |
| ١٠٠ | الفصل الثامن والعشرون فيه مراتب المقربين ومقامات الموقنين |
| ١١٠ | الفصل التاسع والعشرون فيه ذكر اهل المقامات من المقربين الخ |
| ١١٣ | الفصل الثلاثون فيه كتاب ذكر تفصيل الخواطر لاهل القلوب وصفة القلب وتمثيله |

صحيفة

بالانوار والجواهر

١٢٦ ذكر تقسيم الخواطر وتفصيل أحكامها

١٢٦ باب آخر من التبيين والتفصيل

١٢٩ الفصل الحادي والثلاثون في ذكر العلم وتفضيله وأوصاف العلماء والفرق بين العلم الظاهر وبين علماء الدنيا والآخرة

١٣٦ ذكر بيان تفضيل علوم الصمت وطريق الورعين في العلوم

١٤٠ باب ذكر الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وذم علماء السوء

١٤٦ ذكر وصف العلم وطريقة السلف وذم ما أحدث المتأخرون من القصص والكلام

١٦٣ ذكر ما أحدث الناس من القول والفعل مما لم يكن عليه السلف

١٦٦ ذكر تفصيل العلوم ونهاياتها ورتبها وتشكيلها

١٧٣ باب تفضيل علم الايمان واليقين على سائر العلوم الخ

صحيفة

١٧٦ (باب تفضيل الأخبار وبيان طريق الإرشاد) وذكر الرخصة والسعة في النقل والرواية

١٧٨ الفصل الثاني والثلاثون في شرح مقامات اليقين وأحوال الموقنين وأصل مقامات اليقين

ذكر فروض التوبة وشرح فضائلها ووصف التوابين

١٩٣ شرح مقام الصبر ووصف الصابرين

٢٠٠ بيان آخر في فضل الصبر

٢١٣ شرح مقام الرجاء ووصف الراجين

٢٢٥ شرح مقام الخوف ووصف الخائفين

٢٤٢ شرح مقام الزهد ووصف أحوال الزاهدين

٢٤٥ ذكر ماهية الزهد

٢٤٨ ذكر حقيقة الزهد وتفصيل أحكامه

٢٦٥ ذكر ماهية الدنيا وتبيين الزهد فيها وتفاوت الزهاد في مقاماتهم

٢٦٨ فصل آخر


(تمت)

(فهرست سراج القلوب وعلاج الذنوب الموضوع بهامش الجزء الاول من كتاب القوت)


صحيفة

٢ فصل في المبادرة الى الطاعة والانتهاء عن المعصية

٨ فصل في التوبة

١٤ فصل في العوائق

٣٠ فصل في الحيلة في انقياد النفس

٣٤ فصل واذا أردت الوضوء الخ

٣٩ فصل فان لزمك غسل من جنابة الخ

٤٢ فصل فاذا فرغت من الطهارة الخ

٤٦ فصل واذا صليت الضحى الخ

٦٥ فصل ثم ان كان لك قيام بالليل الخ

٦٩ فصل اعلم أن الصلاة أفضل العبادات الخ

٧٢ فصل اعلم أنه لا تبرأ ذمتك من عهدة الصلاة الا بأدائها الخ

٧٦ فصل وينبغي أن لا تترك السنن والهيئات الخ

٧٩ فصل في الجماعة

صحيفة

٧٦ فصل في الزكاة

٩٠ فصل في الصدقة والسخاء

٩٣ فصل في الصوم

٩٧ فصل في صوم التطوع

١٠٠ فصل في الحج والعمرة

١٠٣ فصل في الجهاد

١٠٩ فصل في الربا والتطفيف

١١٢ فصل في الظلم

١١٤ فصل في الدين

١١٨ فصل في النشوز والعشرة

١٢٢ فصل في الندب والنوح الخ

١٢٧ فصل في العقوق وقطيعة الرحم

١٣١ فصل في الاحسان الى المماليك والجار

١٣٥ فصل في الشفقة على الخلق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

| صحيفة | | صحيفة | |
|---|---|---|---|
| ١٣٩ | فصل فى شرب الخمر وسائر المسكرات | ١٩٤ | فصل قال الله تعالى وحاق بآل فرعون سوء العذاب الآية |
| ١٤٣ | فصل فى الزنا | ٢٠٠ | فصل فى اشراط الساعة |
| ١٤٦ | فصل قال الرسول الله الخ | ٢٠٣ | فصل قال الله تعالى لا أقسم بيوم القيامة الخ |
| ١٤٩ | فصل فى حد الزنا | ٢٠٧ | فصل فى طول يوم القيامة |
| ١٥٤ | فصل اعلم أن ترك الزنا من خوف الله الخ | ٢١٣ | فصل فى المسئلة |
| ١٥٧ | فصل فى اتيان الكاهن والمنجم والطيرة | ٢١٥ | فصل فى الميزان والقصاص |
| ١٦١ | فصل فى آفات اللسان | ٢٢١ | فصل فى الصراط |
| ١٦٤ | فصل فى الغضب والكبر والحسد | ٢٢٧ | فصل فى الشفاعة |
| ١٦٨ | فصل فى الرياء | ٢٣٠ | فصل فى الحوض |
| ١٧٠ | فصل فى طول الامل | ٢٣٣ | فصل فى ذكر جهنم أعاذنا الله منها |
| ١٧٤ | فصل فى سبب طول الامل | ٢٣٧ | فصل قال الله تعالى فأما من خف الآية |
| ١٧٨ | فصل اعلم ان للموت ثلاث دواهى | ٢٤٢ | فصل قال الله تعالى وأما من كفروا الآية |
| ١٨٢ | فصل فى القبر | ٢٤٦ | فصل فى ذكر الجنة |
| ١٨٥ | فصل عن البراء بن عازب الخ | ٢٥٠ | فصل فى الرؤية *(تمت)* |
| ١٩٠ | فصل فيما يكون منه عذاب القبر | | |


*(فهرست حياة القلوب وكيفية الوصول الى المحبوب الموضوع بأواخر هامش الجزء الاول من كتاب القوت وبكامل الجزء الثانى منه)*


| صحيفة | | صحيفة | |
|---|---|---|---|
| ٢٦٠ | الفصل الاول فى مدح علم التصوف وحقيقته الخ | ٢٦٧ | الفصل الثالث فى بعض التشريف وأحوال الصوفية وأدبهم مع الحق والخلق |
| ٢٦١ | الفصل الثانى فى جلالة هذا العلم وشرفه | | |


*(الفهرسة تمت)*

٨٠٢٨

الخ ٢٦

# *( الجزء الاول )*

من كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق
المريد الى مقام التوحيد لسيدنا ومولانا الشيخ الامام
العالم المحقق أبي طالب محمد بن أبي الـ...
ابن عباس المكي تغمد...
وأسكنه فسيح...
آمين

...AD STATE LIBRARY

*( وبهامشه كتابان جليلان * أولهما كتاب ... )*
*( وعلاج الذنوب للشيخ أبي علي زين الدين ... )*
*( القناني * والثاني حياة القلوب في كيفية الوصول الى المحبوب )*
*( لعماد الدين الاموي رحم الله الجميع )*

ترجمة قوت القلوب في معاملة المحبوب مؤلف في التصوف واشتهر اسمه بطريق المريد للوصول الى مقام التوحيد تأليف الفاضل ابي طالب المكي محمد بن علي المتوفى سنة ست وثمانين وثلثمائة ببغداد حتى قال جل علماء عصره في الاقطار لم يؤلف في هذا الباب مثله ولم يسمع به في الامصار ثم نسي ذلك الاسم واشتهر الآن بدقائق الطريقة واختصره زين الدين الشيخ محمد بن خلف الاموي المتوفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بمحروسة دمشق الشام وسماه الوصول الى الغرض المطلوب من جواهر قوت القلوب انتهى كشف الظنون وفي شرح الشفاء للخفاجي هو أبو محمد بن أبي طالب شيخ الصوفية وأهل السنة المتبحر في التفسير وغيره من العلوم وله تفسير كبير وكتابه القوت كتاب جليل

٨٠٢٨
الف ٢٦
٤٢١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الاول الازلى قبل الكون والمكان من غير أول ولا بداية الآخر الابدى بعد فناء المكنونات والازمان بغير آخر ولا غاية الظاهر فى علوه بقهره عن غير بعد والباطن فى دنوه بقربه من دون مس الذى أحسن بلطفه كل شئ بدأ مواتقن صنع كل شئ أنشأه ودبرت الاحكام حكمته وصرفت المحكومات مشيئته فاظهر فى الغيب والشهادة لطيف قدرته وعم فى العاجل والآجل خلقه بنعمته ونشر على من أحب منهم فضله وبسط لجميعهم عدله وأنعم عليهم بتعريفهم اياه سبحانه وتعالى به عز وجل وأحسن اليهم باجتبائه اياهم اليه وأفضل عليهم بتيسير كلامه لهم ومن عليهم ببعث رسولا من أنفسهم اليهم فنسأله الصلاة على النبى وآله وان يوزعنا بفضله شكر نعمه ويعرفنا حق قدره وصلى الله تبارك وتعالى على سيد الاولين والآخرين رسوله المفضل بالشفاعة والحوض المورود المخصوص بالوسيلة والمقام المحمود وعلى اخوانه السالفين فى الازمان وأنصاره والتابعين باحسان (وبعد) فهذا كتاب قوت القلوب فى معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد تصنيف الشيخ أبى طالب محمد بن على بن عطية الحارثى المكى رضى الله عنه يشتمل على ثمانية وأربعين فصلا هذا ذكرها *(الفصل الاول)* فى ذكر الآى التى فيها المعاملات *(الفصل الثانى)* فى الآى التى فيها ذكر أوراد الليل والنهار *(الفصل الثالث)* فى ذكر عمل المريد فى اليوم والليلة *(الفصل الرابع)* فى ذكر ما يستحب من الذكر وقراءة الآى المندوب اليها بعد التسليم من صلاة الصبح *(الفصل الخامس)* فى ذكر الادعية المختارة بعد صلاة الصبح *(الفصل السادس)* فى ذكر عمل المريد بعد صلاة الصبح *(الفصل السابع)* فى ذكر أوراد النهار وهى سبعة أوراد *(الفصل الثامن)* فى ذكر أوراد الليل وهى خمسة أوراد *(الفصل التاسع)* فى ذكر وقت الفجر *(الفصل العاشر)* فيه كتاب معرفة الزوال وزيادة الظل ونقصانه

بالاقدام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أولانا والصلاة والسلام على من به هدانا ورضوان الله عن آله وصحبه الراشدين والائمة المجتهدين والعلماء الزاهدين (وبعد) فهذا سراج القلوب وعلاج الذنوب أثبت فيه من الاحاديث والآثار والمواعظ المرققات والحكايات النافعات بما يحث على الطاعات ويذب عن الحوبات منقولا عن كتب الائمة الثقات متبركا بالابتداء بالآيات تذكرة لى ولمثلى من العصاة أسأل الله عز وجل أن ينفعنا به فى الدنيا والآخرة

*(فصل)* فى المبادرة الى الطاعة والانتهاء عن المعصية قال الله سبحانه وتعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون يعنى من أطاعنى فقد شكر ومن عصانى فقد كفر

بالاقدام *(الفصل الحادى عشر) وفيه كتاب فضل الصلاة فى الايام والليالى *(الفصل الثانى عشر) فى ذكر الوتر وفضل الصلاة فى الليل *(الفصل الثالث عشر) * فيه كتاب جامع ما يستحب ان يقول العبد اذا استيقظ من نومه وفى يقظته عند الصباح *(الفصل الرابع عشر) فى تقسيم قيام الليل ووصف القائمين *(الفصل الخامس عشر) فى ذكر ورد العبد من التسبيح والذكر والصلاة فى اليوم والليلة وفضل صلاة الجماعة وذكر فضل الاوقات المرجو فيها الاجابة وذكر صلاة التسبيح *(الفصل السادس عشر) فى ذكر معاملة العبد فى التلاوة ووصف التالين حق تلاوته بقيام الشهادة *(الفصل السابع عشر) فيه كتاب ذكر نوع من المفصل والموصل من الكلم ومدح العاملين به وذم الغافلين عنه وهو من تفسير غريب القرآن (الفصل الثامن عشر) فيه كتاب ذكر الوصف المكروه من نعت الغافلين *(الفصل التاسع عشر) فيه كتاب ذكر الجهر بالقرآن وما فى ذلك من النيات وتفصيل حكم الجهر والاخفات *(الفصل العشرون) * فى ذكر الليالى المرجو فيها الفضل المستحب احياؤها وذكر مواصلة الاوراد فى الايام الفاضلة *(الفصل الحادى والعشرون) فى كتاب الجمعة وهيئة آدابها وذكر المزيد فى يوم الجمعة وليلتها *(الفصل الثانى والعشرون) فيه كتاب الصوم وترتيبه ووصف الصائمين *(الفصل الثالث والعشرون) فى ذكر محاسبة النفس ومراعاة الوقت *(الفصل الرابع والعشرون) فى ذكر ماهية الورد للمريد ووصف حال العارف بالمزيد *(الفصل الخامس والعشرون) * فيه كتاب تعريف النفس وتصريف مواجيد العارفين *(الفصل السادس والعشرون) فيه كتاب ذكر مشاهدة أهل المراقبة *(الفصل السابع والعشرون) فيه كتاب أساس المريدين *(الفصل الثامن والعشرون) فيه كتاب مراقبة المقربين *(الفصل التاسع والعشرون) فيه ذكر أهل المقامات من المقربين وتمييزهم ونعت حال المتعبدين الموقنين وتمييز حال أهل الغفلة المبعدين *(الفصل الثلاثون) * فيه كتاب ذكر خواطر القلب لاهل معاملات القلوب *(الفصل الحادى والثلاثون) فيه كتاب العلم وتفضيله وأوصاف العلماء وذكر فضل علم المعرفة على سائر العلوم وكشف طريق العلماء من السلف الصالح وذكر بيان فضل علم الباطن على علم الظاهر والفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وذكر علماء السوء الآكلين بعلومهم الدنيا وذكر وصف العلم وطريق السلف وما أحدث المتأخرون من القصص والكلام وباب ذكر ما أحدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف وباب من تفضيل علم الايمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه وبيان ما ذكرناه وباب تفصيل الاخبار وبيان طريق الآثار *(الفصل الثانى والثلاثون) * فى شرح مقامات اليقين وأحكام الموقنين وأصل مقامات اليقين التى ترد اليها فروع أحوال المتقين وهى تسعة أولها التوبة ثم الصبر ثم الشكر ثم الرجاء ثم الخوف ثم الزهد ثم التوكل ثم الرضا ثم المحبة *(الفصل الثالث والثلاثون) * فيه شرح مبانى الاسلام وهى خمسة فالاول فرض شهادة التوحيد للمؤمنين ووصف فضائلها وهى شهادة المقربين وذكر شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وفضلها للموقنين والثانى شرح الصلاة فأولها فرض الاستنجاء وسننه وفرائض الوضوء وسننه وفضائله وفرائض الصلاة وسننها وأحكام المصلى فى فوت الصلاة ودركها وما يتعلق بها وهيئة الصلاة وآداب المصلى فيها والثالث شرح الزكاة ووقت أدائها وذكر فضائل الصدقة وآداب العطاء ووصف أحوال الفقراء والرابع شرح صوم شهر رمضان والخامس شرح كتاب الحج الذى به كمال الشريعة وتمام الملة *(الفصل الرابع والثلاثون) فيه كتاب تفصيل الاسلام والايمان وعقود السنة واعتقاد القلوب وشرح معاملة الناس من العلم الظاهر وذكر دعائم الاسلام وأركان الايمان واتصال الايمان بالاسلام واقتران القلوب بالعمل وذكر بيان التفرقة بين الايمان والاسلام والاستثناء فى الايمان والاشفاق من

---

وقال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم خ م عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال انى رأيت الجيش بعينى وانى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق أى من أطاعنى فيما أمرته ونهيته نجا وفاز ومن عصانى فلم يمتثل ما أمرته به هلك وبار خ م عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها قال فذلك مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم من النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبونى تقحمون فيها قال الشيخ كمال الدين الدميرى فى حياة الحيوان

النفاق وطريقة السلف في ذلك *(الفصل الخامس والثلاثون) *فيه كتاب السنة وشرح فضائلها وجمل من آداب الشرع بعد ذكر عقود القلوب من علم الظاهر وهي ستة عشر خصلة أولها أن تعتقد أن الايمان قول وعمل وان القرآن كلام الله تبارك وتعالى غير مخلوق وان تسلم أخبار الصفات وأن تعتقد وتعلم تفضيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تقدم من قدمه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن تعتقد ان الامامة في قريش عامة الى أن تقوم الساعة وان لا تكفر أحدا من أهل القبلة وأن تصدق بجميع أقدار الله عز وجل خيرها وشرها وأن مساءلة منكر ونكير حق وأن عذاب القبر حق وأن تؤمن بالميزان وأن تعتقد ان الصراط حق وأن تؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم وأن تؤمن بالنظر الى الله سبحانه وتعالى وأن تعتقد اخراج الموحدين من النار وأن تؤمن بوقوع الحساب وفيه فصل مستنبط من معنى الاجماع بذكر أهل البدع واخراجهم من الجماعة وذكر فضائل السنة ووصف طرائق السلف الصالح التابعين باحسان (الفصل السادس والثلاثون) فيه ذكر جمل الشريعة وعرى الايمان وذكر شرط المسلم الذي يكون به مسلما وذكر حسن اسلام المرء وعلامة محبة الله عز وجل له وذكر حق المسلم على المسلم وهو وجوب حرمة الاسلام على المسلمين وذكر سنن الجسد وذكر ما في الصمت من المعاصي والبدع وذكر ما جاء في فضل بعض ذلك واستحسانه وكتاب ما ذكر من نوافل الركوع وما يكره من النقصان منه *(الفصل السابع والثلاثون) *فيه كتاب شرح الكبائر وتفصيلها ومسئلة في محاسبة الكفار *(الفصل الثامن والثلاثون)* فيه كتاب الاخلاص وشرح النيات والامر بتحسينها في تصرف الاحوال والحذر من دخول الآفات عليها في الاعمال *(الفصل التاسع والثلاثون)* فيه كتاب ترتيب الاقوات بالنقصان منها أو بزيادة الاقوات *(الفصل الاربعون)* فيه كتاب الاطعمة وما يجمع الاكل من السنن والآداب وما يشتمل على الطعام من الكراهية والاستحباب *(الفصل الحادي والاربعون)* فيه كتاب فرائض الفقر وفضائله ونعت الفقراء ونحو وصفهم وتفصيل قبول العطاء ورده وطريق السلف فيه *(الفصل الثاني والاربعون)* فيه كتاب حكم المسافر والمقاصد في الاسفار *(الفصل الثالث والاربعون)* فيه كتاب حكم الامام ووصف الامامة والمأموم *(الفصل الرابع والاربعون) فيه كتاب الاخوة في الله عز وجل والمحبة وصحبة الاخوان فيه تبارك وتعالى وأحكام المؤاخاة وأوصاف المحبين *(الفصل الخامس والاربعون) *فيه كتاب ذكر التزويج في فعله وتركه أيهما أفضل ومختصر أحكام النساء في ذلك *(الفصل السادس والاربعون) *فيه كتاب ذكر دخول الحمام *(الفصل السابع والاربعون)* فيه كتاب الصنائع والمعايش والبيع والشراء وما يجب على التاجر والصانع من شروط العلم في أحكام التصرف *(الفصل الثامن والاربعون) *فيه كتاب تفصيل الحلال والحرام وما بينهما من الشبهات وفضل الحلال وذم الشبهة وتمثيل ذلك بصور الالوان *(فالفصل الاول) *وهو ذكر الآي التي فيها ذكر المعاملة قال الله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا وقال عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب وقال سبحانه وتعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وقال جلت قدرته كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية وقال عز من قائل ولكل درجات مما عملوا وقال تبارك وتعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وقال سبحانه وتعالى ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون وقال سبحانه وتعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال سبحانه وتعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقال سبحانه لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون *(الفصل الثاني) *في ذكر الآيات التي فيها أوراد الليل والنهار

الفراش دواب مثل البعوض وهي التي تطير وتتهافت في السراج بسبب ضعف أبصارها فهي بسبب ذلك تطلب الضوء وترى بنفسها الى الكوة فاذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود اليها مرة أخرى حتى تحترق قال الامام الغزالي رحمة الله عليه ولعلك تظن ان ذلك من جهلها بل صورة الانسان في الانكباب على الشهوات كالتهافت على النار ويهلك هلاكا مؤبدا فليت جهل الانسان كان كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبدا الآباد ومدة مديدة قال الشيخ عبد الله اليافعي رحمة الله عليه في روض الرياحين حكي عن بعض الصالحين انه عبد الله عز وجل أربعين سنة فلما كان بعض الليالي أخذته دالة على الله عز وجل فقال رب أرني ما قد أعددت لي في الجنة واخبرني ما قد أعددت لي من الحور الحسان فما استتم كلامه حتى انشق المحراب فخرجت منه حورية لو خرجت الى الدنيا لفتنتها

قال الله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وقال جل ثناؤه ان لك
فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال سبحانه واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن
الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن
الليل فسبحه وادبار السجود وقال تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال
تعالى ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك
ترضى وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا
وقال عز اسمه والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال سبحانه وتعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن
الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات
يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين وقال سبحانه وتعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون ■ (الفصل الثالث) ■ فى ذكر عمل المريد فى اليوم
والليلة من فرائض الاوامر وفضائل النوادب فمن ذلك يستحب عند طلوع الفجر وهو البياض المشتق من
سواد الليل المعترض فى قطار السماء الشرقى عند ادبار النجوم وادبارها افترقها وذهاب ضوءها لغلبة ضوء
الفجر عليها وهو الوقت الذى أمر الله تعالى فيه بذكره اذ يقول تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم
فليصل العبد ركعتى الفجر يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد فهو أكثر ما روى ان النبى
صلى الله عليه وسلم قرأ فيهما فان شاء خافت وان شاء جهر ■ فقد روى حديثان أحدهما يدل على المخافتة
وهو حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف ركعتى الفجر حتى أقول
قرأ فيهما فاتحة الكتاب أم لا والآخر يدل على الجهر وهو حديث ابن عمر رمقت النبى صلى الله عليه وسلم
عشرين يوما فسمعته يقرأ فى ركعتى الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفى حديث أبى هريرة وابن
عباس انه قرأ صلى الله عليه وسلم فى الركعة الاولى الآية التى فى سورة البقرة قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا
وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل الى آخرها وفى الركعة الثانية ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع
الشاهدين فليقرأ بذلك احيانا ثم يستغفر الله تعالى سبعين مرة يقول فى كل مرة أستغفر الله العظيم الذى
لا اله الا هو الحى القيوم وأسأله التوبة ثم يسبح الله ويهلله مائة مرة بالكلمات الاربع الجامعات المختصرات
التى هى فى القرآن وليست بقرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وأستغفر الله وتبارك الله مرة
واحدة وليدع بهذا الدعاء فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو به بعد ركعتى الفجر (روينا) عن
ابن أبى ليلى عن داود بن على عن أبيه عن ابن عباس قال بعثنى العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
آله فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة فقام يصلى من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم
انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها الفتن وتصلح بها
علانيتى وتقضى بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى
وتلقنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم اعطنى ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة
أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة اللهم انى أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش
السعداء ومرافقة الانبياء والنصر على الاعداء اللهم انى أنزل بك حاجتى وان قصر رأيى وضعف عملى
وافتقرت الى رحمتك فأسألك يا قاضى الامور ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب
السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى
من خير وعدته أحدا من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك فانى أرغب اليك فيه وأسألكه يارب

فقال لها انسية أنت فانشأت
تقول (شعر)
شكوت الى المولى وقد علم
الشكوى
وأعطاك ما ترجو وقد
كشف البلوى
وارسلنى انسا اليك وانى
أناجيك طول الليل لو تسمع
النجوى
فقال يا جارية لمن أنت
فقالت أنا لك فقال كم لى
مثلك جويرية قالت مائة
جويرية ولكل جويرية
مائة خادمة ولكل خادمة
مائة وصيفة ولكل
وصيفة مائة قهرمانة
ففرح وقال يا جويرية
هل أعطى أحد أكثر منى
قالت يا مسكين أعطاك
عطاء البطالين الذين
يقولون أستغفر الله فيغفر
لهم ثم يستغفرون الله عند
غروب الشمس فيغفر الله
لهم ثم أنشأت تقول (شعر)
وله خصائص مصطفون
لحبه
اختارهم فى سالف الازمان
اختارهم من قبل فطرة
خلقه
فهم ودائع حكمة وبيان
(وأنشدت أيضا)
نشرت لهم اعلام حب
حبيبهم
فتبايعوا وتناهبوا الاعلاما
باحسنهم فى ظل عرش
مليكهم

العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان فانا لله وانا اليه راجعون لا حول ولا قوة الا بالله ذي الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود أنت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا هذه الانوار التي سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في كل جزء من أجزائه انما هو دوام النظر من نور النور شاهد القيومية في كل سكون وحركة منه يكاد ينتظره ويتولاه بحيطته فينظر اليه بدوام نظره ليستقيم له بتولي حفظه فلا يزيغ بصره ولا يطغى ولا تستهويه النفس بهوى فليدع العبد بهذا الدعاء بعد ركعتي الفجر لكن يقدم على دعائه المسئلة لله تبارك وتعالى في الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله فيستجيب سبحانه وتعالى دعوته ولا يرده لقول الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله تعالى حاجة فابدؤا بالصلاة علي فان الله تعالى أكرم من أن يسئل في حاجتين فيعطي احداهما ويرد الاخرى ثم ليصل العبد صلاة الغداة في جماعة ليكون في ذمة الله وجواره وفي الحديث صلاة الغداة في جماعة أفضل من قيام ليلة وصلاة العشاء الآخرة في جماعة أفضل من قيام نصف ليلة وليكن تامًا في صلاته بالقاء سمع وشهود قلب وحضور عقل وجمع هم وهمة تيقظا وحسن اقبال وتدبر الكلام وترتيل وتفهم بالتماس غرائب التنزيل فاذا سلم من صلاته قال ما يستحب من الذكر

* (الفصل الرابع) * في ذكر ما يستحب من الذكر وقراءة الآي المندوب اليها بعد التسليم من صلاة الصبح استخرجناها من الآثار اللهم صل على محمد وآله اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ثم ليقل سبحان الله العظيم وبحمده ثلاثا ثم يستغفر الله ثلاثا ثم يقول اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ثم ليقل وهو ثان رجله من قبل أن يتكلم هذه الكلمات عشر مرات لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير ثم ليقرأ وهو كذلك قل هو الله أحد عشرا ويقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون عشر مرات وليقل سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى آخر السورة ثلاث مرات وليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى آخر الثلاث آيات ثلاث مرات ثم يسبح ثلاثا وثلاثين ويحمد كذلك ويكبر أربعا وثلاثين فتلك مائة مرة وان أحب جعلها خمسا وعشرين وزاد فيها التهليل وان قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمسا وعشرين مرة استوعب ذلك مائة تسبيحة وكان أيسر عليه لاجل المداومة ثم يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله الآية وقل اللهم مالك الملك الآيتين ثم يقرأ لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخرها ثم يقرأ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية ثم يقرأ لقد صدق الله رسوله الرؤيا الى آخر السورة ثم يقرأ خمسا من أول سورة الحديد وثلاثا من آخر سورة الحشر ثم ليقل اللهم اني أسألك بكرم وجهك الصلاة على محمد وآله وأسألك الجنة وأعوذ بك من النار سبع مرات وقال قبيصة بن مخارق للنبي صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها وأوجز فقد كبر سني وعجزت عن أشياء كنت أعملها فقال أما الدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن أمنت من عمى وجذام وبرص وفالج وأما



وكل يغوص من الغيب زماما حتى اذا سار واحضرة قدسه كشف المليك حجابه اكراما فهم الملوك العارفون بربهم والدائبون ببابه خداما قال اليافعي وهذه خمسة أبيات قلتها وأختمها بهذه الابيات الاربعة (شعر)

من غالياقوت وزاهي جوهر
يعلوه نور يسكنون خياما
ومع الحسان الحور عين لو بدت
ليلا أنارت بالجمال ظلاما
واعارت كل الوجود وزخرفت
وامالت كل بالجمال غراما
باحسنها بين الجواري عندها
تمشي لتلقى قادمين كراما
يجزون غرفات بها الحوف التي
وتحية يلقونها وسلاما

أيها الناس ان أحلام الغفلات مفصحة بصدق حلول الآفلات وان الاصرار على التبعات يؤذن بهجوم مذموم البيات وكفى بظهور الاعداء عن خبث السرائر مخبرا وباختلاف الاهواء على قرب زوال الدوائر منذرا ألم يأتكم نبأ من سلف من الاولين وما حل بهم عند مخالفتهم سنن المرسلين وهم الذين أعارتهم الايام محاسنها وأظهرت لهم الارض معادنها فجندوا الجنود وصعبوا البرود واتخذوا

لآخرتك فقل اللهم صل على محمد وآل محمد واهدنى من عندك وأفض على من فضلك وانشر على من رحمتك وأنزل على من بركاتك ثم قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه اذا وافى بهن يوم القيامة لم يدعهن فتحت له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء وان قال المسبعات العشر التى أهداها الخضر عليه السلام الى ابراهيم التيمى ووصاه ان يقولها غدوة وعشية وقال له الخضر أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم وذكر من فضلها وعظم شأنها ما يجل عن الوصف وانه لا يداوم على ذلك الا عبد سعيد قد سبقت له من الله عز وجل الحسنى وحذفنا ذكر فضائلها اختصارا فان قال ذلك فقد استكمل الفضل والمداومة عليهن تجمع له جميع ما فرقنا من الادعية روى ذلك سعيد بن سعيد عن أبى طيبة عن كرز بن وبرة قال وكان من الابدال قال أتانى أخ لى من الشام فأهدى لى هدية وقال يا كرز اقبل منى هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا أخى من أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها ابراهيم التيمى قلت أفلم تسأل ابراهيم من أعطاه قال بلى قال كنت جالسا فى فناء الكعبة وأنا فى التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءنى رجل فسلم على وجلس عن يمينى فلم أر فى زمانى أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر فقلت فى أى شئ جئتنى قال جئتك للسلام عليك وحبا لك فى الله عز وجل وعندى هدية أريد ان أهديها اليك فقلت ما هى قال هى ان تقرأ قبل طلوع الشمس وتبسط على الارض وقبل ان تغرب سورة الحمد سبع مرات وقل أعوذ برب الناس سبع مرات وقل أعوذ برب الفلق سبع مرات وقل هو الله أحد سبع مرات وقل يا أيها الكافرون سبع مرات وآية الكرسى سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر سبع مرات وتصلى على النبى صلى الله عليه وسلم سبع مرات وتستغفر لنفسك ولوالديك وما توالدا ولا هلك وللمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات سبع مرات وتقول اللهم يا رب افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولاى ما نحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب ان تخبرنى من أعطاك هذه العطية فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت أخبرنى بثواب ذلك فقال لى اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله عن ثوابه فانه سيخبرك فذكر ابراهيم التيمى رحمه الله انه رأى ذات ليلة فى منامه ان الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف وصفا عظيما مما رأى فى صفة الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا كله فقالوا الذى يعمل مثل عملك وذكر انه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأتانى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم على وأخذ بيدى فقلت يا رسول الله ان الخضر أخبرنى انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله عز وجل فى الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا ولم ير مثل الذى رأيت فى منامى هل يعطى مما أعطيته قال والذى بعثنى بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرنى ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التى عملها ويرفع الله عز وجل عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيأ من السيآت الى سنة والذى بعثنى بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله تعالى سعيدا ولا يتركه الا من خلقه شقيا وقد كان ابراهيم التيمى رحمه الله مكث أربعة أشهر لم يطعم طعاما ولم يشرب شرابا فلعله بعد الرؤيا والله تعالى أعلم ذكره الاعمش عنه فهذا من جمل ما أتى مما يستحب ان يقرأ أو يقال بعد صلاة الغداة ولذلك فضائل جة وردت بها الاخبار حذفنا ذكرها للاختصار

*(الفصل الخامس)* فى ذكر الادعية المختارة بعد صلاة الصبح الجامعة المختصرة المأثورة فى الاخبار المتفرقة

روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا افتتح دعاءه افتتحه بقوله سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب وانه كان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره

المصانع وامنوا القوارع وذللوا البلاد والعباد قهرا فتجبروا بذلك دهرا ثم بدلوا نعمة الله كفرا ولم يقابلوا احسانه اليهم شكرا فشربوا الخمور وارتكبوا الفجور وتسامروا بالغيبة وتفاخروا بالريبة وباعوا الامانات وأضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات واستمعوا القينات واظهروا المنكرات باكل الربا فى التجارات وفعل الزنا وزور الشهادات ولم يعتبروا بالآيات ولا استحيوا من عالم الخفيات فلم يزالوا كذلك وعلى ذلك حتى اصطلموا وغيبوا فى التراب وارغموا ولقد علموا على من قدموا ولم تنفعهم الندامة اذ ندموا كعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد أى مثل عاد فى قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان الرجل منهم يأتى على الصخرة فيلقيها على الحى أى القبيلة فيهلكهم وثمود الذين جابوا الصخر أى قطعوا الصخر الجبال وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة بالواد أى بوادى القرى وفرعون ذى الاوتاد اى ذى الجنود الكثيرة وكانت لهم مضاربه

الكافرون * وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني أسألك الصلاة على محمد وآله وأسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وأسألك من الخير ما سألك به عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين (وعن) أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما أوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فأغثني ولا تكلني الى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله  وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه هذا الدعاء فقال قل اللهم اني أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وكليمك وعيسى روحك وكلمتك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وكل وحي أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غني أفقرته أو فقير أغنيته أو ضال هديته وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى وأسألك باسمك الذي ثبت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فارست وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان تصلي على محمد نبيك وعلى آله وان ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا أرحم الراحمين  وروينا عن ابن عمران جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فعلمه هذا الدعاء يا نور السموات والارض يا جمال السموات والارض يا عماد السموات والارض يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا صريخ المستصرخين يا غوث المستغيثين يا منتهى رغبة الراغبين والمفرج عن المكروبين والمروح عن المغمومين ومجيب دعوة المضطرين وكاشف السوء وأرحم الراحمين واله العالمين منزول بك كل حاجة يا أكرم الاكرمين ويا أرحم الراحمين (وعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع ان يدعو بهؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي  اللهم اني أسألك العافية في الدنيا والآخرة وأسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وفي أهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي وأقلني عثراتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك ان أغتال من تحتي  وقال بريدة الاسلمي قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة الا أعلمك كلمات من أراد الله عز وجل به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه أبدا قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك قال قل اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي  اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فأعزني واني فقير فاغنني برحمتك يا أرحم الراحمين  وروينا عن أبي مالك الاشجعي قال حدثني أبي قال كنا نغدو الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجيء الرجل أو تجيء المرأة فيقول كيف أقول يا رسول الله اذا أصبحت قال تقول اللهم صل على محمد وآله واغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني واجبرني فقد جمعن لك خير دنياك وآخرتك وروينا عن أبي زرعة قال كتب الي أبو هريرة فيما كتب به وشافهني به فيما أفقدان الشيطان لا ينتشب بانسان يقول حين يصبح وحين يمسي  اللهم اني أعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر السامة والهامة وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر عذابك وشر عبادك وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر الشيطان الرجيم  اللهم اني أسألك باسمائك وكلماتك التامات تصلي على نبيك محمد وآله وأسألك من خير ما تعطي وما تسأل ومن خير ما تخفي وخير ما تبدي  اللهم اني أعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر ما يجري به النهار ان ربي الله الذي لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وان كان مساء قال ومن شر ما جاء به الليل يقول ذلك ثلاثا * وروينا

كثيرة يفسرونها اذ أرلوا الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب أي عليهم عذابا مؤلما دائما ان ربك لبالمرصاد وهو المكان الذي يترقب فيه الرصد وهذا مثل لارصاده العباد بالجزاء أي انهم لا يفوتونه وانه عليم بما يصدر منهم وحافظ ليجازيهم عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر اللهم اجعلنا ممن أخذ لنفسه قبل الاخذ منها ومن عرف بالتوبة ويسل النعمة عنها بمحض فضلك وكرمك يا أرحم الراحمين

* (فصل) * في التوبة قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا أي خالصة لتقلعوا من المعاصي ظاهرا وباطنا وهي الندم على الذنوب الماضية واعادة الفرائض بقدر الامكان ورد المظالم على أربابها ثم ورثتهم ثم التصدق بها واستحلال الخصوم ان أمكن ثم الاحسان اليهم والعزم على ان لا يعود وتربية النفس في طاعة الله كما رباها في معصيته ثم قال تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وقال تعالى

عن عمر بن عبد العزيز عن محمد بن عبيد الله قال أتى أبو الدرداء فقيل له احترقت دارك فقال ما كان الله عز وجل ليفعل ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء ان النار حين دنت من دارك طفئت فقال قد علمت فقيل له ما ندري أي قوليك أعجب قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهي اللهم انت ربي لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله عز وجل ربي كان وما لم يشأ لم يكن أعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما اللهم انى أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم وقد رويناعن أبي الدرداء انه قال من قال في كل يوم سبع مرات فان قوله أفضل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أصاب أحدا هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ان تصلي على نبيك وحبيبك محمد وآله وان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي الا أذهب الله عز وجل همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا قال قيل يا رسول الله الا نتعلمها فقال صلى الله عليه وسلم بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها وروينا في الاخبار ان ابراهيم الخليل كان يقول اذا أصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء اذا أصبح فقد أدى شكر يومه وكذلك اذا أمسى وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اذا أصبح واذا أمسى ثلاث مرات رضيت بالله عز وجل ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيامة وروينا عن معمر عن جعفر بن برقان ان عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الامر بيدك لا بيد غيرك وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسئ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا غاية أملي ولا تسلط على من لا يرحمني وروينا عن عطاء عن ابن عباس قال يلتقي الخضر والياس في كل موسم فيفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله عز وجل ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله فمن قالها اذا أصبح ثلاث مرات أمن الحرق والغرق والسرق ويقال ان هذه من استغفار الخضر عليه السلام اللهم انى استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه اللهم انى استغفرك من كل عقد عقدته لك ثم لم أوف لك به اللهم انى استغفرك من كل نعمة انعمت بها على فتقويت بها على معصيتك اللهم انى استغفرك من كل عمل عملته لوجهك فخالطه ما ليس لك وحكى سعيد بن أبي الروحاء الحمال وكان من أهل الخير انه توحد ذات ليلة في أرض قفر فاستوحش وفزع فظهر له شخص قال فاشتد جزعي منه حتى سمعته يقرأ القرآن ثم قال ألا أدلك على شيء اذا انت قلته انست اذا استوحشت واهتديت اذا ضللت ونمت اذا أرقت قلت بلى رحمك الله قال قل بسم الله ذي الشأن عظيم البرهان شديد السلطان كل يوم هو في شأن لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحدثونا عن يعقوب بن عبد الرحمن الدعاء قال سمعت محمد بن حسان يقول قال لي معروف الكرخي رحمه الله الا أعلمك عشر كلمات خمسة للدنيا وخمسة للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله سبحانه وتعالى عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن أرددها عليك كما رددها على بكر بن حبيش حسبي الله تبارك وتعالى لديني حسبي الله عز وجل لدنياي حسبي الله الكريم لما أهمني حسبي الله الحكيم القوي لمن بغى على حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسألة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله

وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون أي بسلامة الايمان والنجاة عن التبعات والهلكات (م) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة اعلم انه انما استغفر صلى الله عليه وسلم مع انه مغفور له ومعصوم تعليما للامة (خ) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ان المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا أي بيده فذبه عنه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده فسبحان الله ما أرحمه بعبده وأحبه له فرح أي رضي أشد الرضا بتوبة عبده مع ان نفع توبته

اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وادع بهؤلاء الكلمات اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين يقال ان عتبة الغلام رؤي في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الدعوات وليقل بعد التشهد الدعاء اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات ذا العرش تلقي الروح من أمرك على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا اله الا أنت اليك المصير ورؤي ابراهيم الصائغ في النوم فقيل له بأي شئ نجوت فقال بهذه الدعوات وليقل هذا الدعاء يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يتبرم بالحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك يقال ان الخضر عليه السلام علم علي بن أبي طالب عليه السلام هذا الدعاء وليسبح تسبيحات أبي المعتمر وهو سليمان التيمي فقد روي من فضلها ان يونس بن عبيد رأى رجلا كان قد قتل شهيدا ببلاد الروم فقال له ما أفضل ما رأيت ثم من الاعمال قال رأيت تسبيحات أبي المعتمر من الله سبحانه وتعالى بمكان وقال المعتمر بن سليمان رأيت عبد الملك بن خالد بعد موته فقلت ما صنعت قال خيرا قلت ترجو للخاطئ شيأ قال يلتمس تسبيحات أبي المعتمر فانها نعم الشئ وهذه هي التسبيحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق الله وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء أرضه ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ علمه ورضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسمة وشم ونفس ولمحة وطرفة من الابد الى الابد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أولاه ولا ينفد أخراه وليدع بهذا الدعاء فانه دعاء التوبة مرجو فيه الاجابة روينا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما أراد الله عز وجل ان يتوب على آدم طاف سبعا بالبيت وهو يومئذ ليس ببني ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قسمت لي يا ذا الجلال والاكرام فأوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لك ولن يأتيني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها وليقل هذه الكلمات المأثورة فانها مما روي في اسم الله سبحانه وتعالى الاعظم باخبار في ذلك مأثورة اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد يا حي يا قيوم يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه يا حي محيي الموتى يا حي مميت الاحياء ووارث أهل الارض والسماء اللهم اني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم اللهم اني أسألك باسمك الاعظم الاجل الاعز الاكرم الذي اذا دعيت به أجبت واذا سئلت به أعطيت يا نور النور يا مدبر الامور يا عالم ما في الصدور يا سميع يا قريب يا مجيب الدعاء يا لطيفا لما يشاء يا رؤف يا رحيم يا كبير يا عظيم يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم يا الهي واله كل شئ الها واحدا لا اله الا انت اللهم اني أسألك بأنك انت الله الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم أنت الاول والآخر الظاهر الباطن وسعت كل شئ رحمة وعلما كهيعص حمعسق الرحمن يا واحد يا قهار يا عزيز يا جبار يا أحد يا صمد يا ودود يا غفور وهو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن

الرحيم

وان صغر ذنب يعظم عليه وما أقسى قلب العبد وأجهله اذا لم يتبعه ذنبه فعلى العبد المبادرة بالتوبة وتحقيق حدودها ليتخلص من سخط الله تعالى ومقته ونار جهنم والنكال والاغلال وليتخلص من هلاك الابد ويظفر بسعادة السرمد والقرب من باب الله تعالى ورحمته وينال رضوانه وجنته وليوفق للطاعة ولتقبل منه فان أكثر العبادة نفل والتوبة فرض ولا يقبل النفل قبل الفرض ولا يتخلف عنها بخوف وقوعه في الذنب فانه ظن أدخله الشيطان في قلبه ليسوفها فقد روى أحمد عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب أي كثير الذنوب كثير التوبة ويحكى عن بعض المشايخ انه تاب سبعين مرة ونقض سبعين مرة حتى استقام على التوبة في الحادية والسبعين ويحكى انه تاب بعض المريدين عن الذنب ثم وقع في المعصية ثم ندم وخطر بباله انه لو رجع الى التوبة كيف يكون حاله فهتف هاتف أطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك فان عدت الينا قبلناك فعلى العبد أن يفزع الى التوبة بالندم والاقلاع والعزم على

الرحيم لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين اللهم انى أدعوك باسمك المكنون المخزون المنزل السلام
الطاهر الطاهر القدوس المقدس يادهر يا ديهور يا ديهار يا أبدا يا أزل يا من لم يزل ولا يزول هو يا هو لا اله الا هو
يا من لا هو الا هو يا من لا يعلم ما هو الا هو يا كنتيا كينان يا روحيا كان قبل كل كون يا كان بعد كل كون
يا مكنون لكل كون اهيا شراهيا أدناى اصباؤت يا مجلى عظائم الامور فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد وليقل هذه الادعية المأثورة اللهم انى أسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد واسألك شكر
نعمتك وحسن عبادتك واسألك اللهم يا رب قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسألك من خير ما تعلم وأعوذ
بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
واغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أعلنت وما أسررت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير
وعلى كل غيب شهيد اللهم انى أسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله
عليه وسلم فى أعلى جنة الخلد اللهم انى اسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين
اسألك اللهم يا رب الصلاة على محمد وعلى آله اجمعين واسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب الى حبك
وان تتوب على وتغفر لى وترحمنى واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون يا أرحم الراحمين اللهم بعلمك
الغيب وقدرتك على الخلق احينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى اسألك اللهم يا رب
خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك
والشوق الى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم يا رب زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة
مهتدين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك
ما تدخلنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا
حزن خوف الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وغم ما منه نهرب اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد سيد الاولين والآخرين وصل على محمد وعلى آله أجمعين وألبس وجوهنا منك الحياء
واملأ قلوبنا بك فرحا واسكن فى نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك أحب الينا مما سواك
واجعلنا أخشى لك مما سواك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واسألك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام العصمة وأداء
الشكر بحسن العبادة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك من فتنة الغنى وفتنة الفقر وأعوذ بك من
ضيق الصدر وشتات الامر وعذاب القبر وأعوذ بك من غنى مطغ ومن فقر منس ومن هوى مرد وقرين
مغو اللهم انى اسألك الصلاة على محمد وعلى آله واسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم صل على محمد
نبيك وصفيك ولا تقدمنى لعذاب ولا تؤخرنى لسيء الفتن أعوذ بك يا الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأعوذ
بك من المحن ما شئت منه وما ان اللهم انى اسألك الصلاة على نبيك محمد وعلى آله واسألك خير هذا اليوم
وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه أعوذ بك اللهم يا رب من شر طوارق الليل والنهار ومن بغتات الامور
وفجأة الاقدار ومن شر كل طارق يطرق الا طارقا يطرق منك بخير يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما اللهم
صل على محمد وعلى آله واجعل يومنا هذا أوله صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد واجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة اللهم صل على محمد نبيك وعلى آله وأعوذ بك ان أزل
او أزل أو أضل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على عز جارك وجل ثناؤك وتبارك أسماؤك ولا اله
غيرك اللهم صل على محمد وعلى آله وأعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن
فتنة المسيح الدجال واذا أردت بقوم سوأ أو فتنة فاقبضنى اليك غير مبدل ولا مفتون اللهم صل على محمد

ان لا يعود فان تمت توبته فهو المطلوب والا غفرت ذنوبه الماضية وليس عليه الا الذنوب الواقعة فعليه تجديد التوبة فهلم يقول لعلى أموت قبل العود فى هذه المرة وكذلك ثانيا وثالثا ويجدد التوبة والعود المألوفة كما تجدد المعصية والعود المألوفة ولعدمهما أشد من الجد فى أمر الدنيا فلعذاب الآخرة أشد وأبقى وينبغى ان لا يسوفها فان الاجل مكتوم لا يدرى متى يفجؤه الموت أو المرض المفضى اليه ويجتهد فى تحقيقها كل الاجتهاد اذ رأس مال المؤمن الايمان وقد يزول الايمان بفقد التوبة وشؤم الذنب فيبقى فى نار جهنم خالدا مخلدا كابليس وبلعام فان أولهما ذنب وآخرهما كفر وشقوة الابد أعاذنا الله منهما وفى روض الرياحين عن أبى اسحق الفزارى قال كان رجل كثير الجلوس الينا ونصف وجهه مغطى فقلت له انك تكثر الجلوس الينا ونصف وجهك مغطى أطلعنى على هذا فقال وتعطينى الامان قلت نعم قال كنت نباشا فدفنت امرأة فأتيت قبرها فنبشته حتى وصلت الى اللبن فرفعت اللبن ثم ضربت بيدى الى الرداء ثم ضربت بيدى الى اللفافة فمددتها فجعلت تمدها هى فقلت

وعلى آله اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واسألك خير الحياة وبركة الحياة
وأعوذ بك من شر الوفاة واسألك خير ما بينهما وخير ما بعد ذلك احيني حياة السعداء حياة من تحب بقاءه
وتوفني وفاة الشهداء وفاة من تحب لقاءه يا خير الرازقين ويا أحسن التوابين ويا أحكم الحاكمين ويا أرحم
الراحمين ويا رب العالمين أعوذ بك من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج
فيها الحمد لله الذي تواضع كل شئ لعظمته وذل كل شئ لعزته وخضع كل شئ لملكه واستسلم كل شئ لقدرته
والحمد لله الذي سكن كل شئ لهيبته والحمد لله الذي أظهر كل شئ بحكمته وتصاغر كل شئ لكبريائه اللهم صل
على نبيك محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته في العالمين انك حميد مجيد كريم اللهم صل على محمد عبدك
ونبيك ورسولك النبي الامي الرسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم انى أعوذ بك من حدة
الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة الغفلة وتعاطى الكلفة أعوذ بك من مباهاة المكثرين والازراء على
المقلين وأن أنصر ظالما أو أخذل مظلوما وان أقول في العلم بغير العلم وأعمل في الدين بغير يقين اللهم انى أعوذ
بك ان أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم اللهم انى أعوذ بك من اتباع خطرات الشيطان وشره في
المال والاهل وقبول أمره في السوء والفحشاء اللهم انى أسألك الصلاة على نبيك محمد وعلى آله واسألك
حسن الاختيار وصحة الاعتبار وصدق الافتقار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وافتح بخير واختم بخير وأنت
الفتاح العليم اللهم صل على نبيك محمد وعلى آل محمد وارحم ما خلقت واغفر ما قدرت وطيب ما رزقت وتمم
ما أنعمت وتقبل ما استعملت واحفظ ما استحفظت ولا تهتك ما سترت فانه لا اله لنا الا أنت استغفرك من كل
لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خدمتك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح بغير بك السلك ومن
كل شغل بغير معاملتك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك
الصالحين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واستعملنا بمرضاتك عنا ووفقنا لحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك
لنا اللهم صل على نبيك محمد وعلى آله ونسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر
وفواتحه وخواتمه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واحفظنا فيما امرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا
ما اعطيتنا يا حافظ الحافظين ويا ذاكر الذاكرين ويا شاكر الشاكرين بفضلك حفظنا وبذكرك
ذكرنا وبفضلك شكرنا يا غوث يا معين يا مستغاث يا غياث المستغيثين لا تكلني الى نفسي يا رب طرفة
عين فاهلك ولا تكلني الى الخلق فاضيع اكلأني كلاءة الوليد ولا تخل عني وتولني بما تتولى به عبادك
الصالحين اللهم صل على نبيك محمد وعلى آل محمد وقدرتك على تب على انك أنت التواب الرحيم وبعلمك
عني اعف عني انك أنت الغفار وبحلمك بي ارفق بي انك أنت الرحمن الرحيم وبملكك لي ملكني نفسي ولا
تسلطها علي انك أنت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي
انك أنت ربي لا اله الا أنت انه لا يغفر الذنوب الا أنت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد والهمني رشدي وقني
شر نفسي اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به
صالحا تقبله مني اللهم انى أسألك ان تصلي على نبيك محمد وعلى آل محمد واسألك العفو والعافية وحسن
اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة اللهم صل على نبيك محمد وعلى آل محمد وأعوذ بعفوك من عقابك
وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك أبوء بنعمتك
الي وأبوء بذنوبي اليك هذه يداي بما كسبت أنا عبدك ابن عبدك ناصيتي بيدك جار في حكمك ماض في
قضاؤك عدل في مشيئتك ان تعذب فاهل ذلك أنا وان ترحم فاهل ذلك أنت فافعل اللهم مولاي انت
يا رب افعل بي ما أنت له أهل ولا تفعل اللهم يا رب بالتعذيب ما أنا له أهل فانك أهل التقوى وأهل المغفرة يا من
لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي اللهم يا رب ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك افرغ اللهم علينا يا رب
صبرا وتوفنا مسلمين والحقنا بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة انا هدنا اليك ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة



أنزلها تغلبني بخشت على
ركبتي بضروب الفاقة
فرفعت بيدها فلطمتني
وكشف وجهه
فاذا أثر خمس أصابع
في وجهه فقلت له ثم مه
قال ثم رددت عليها لفافتها
وازارها ثم ردت التراب
وجعلت على نفسي ان
لا أنبش قبرا ما عشت قال
فكتبت بذلك الى الاوزاعي
فكتب الى الاوزاعي ويحك
سله عمن مات من أهل
التوحيد ووجهه الى القبلة
قال فسألته عن ذلك
فقال أكثرهم حول
وجهه عن القبلة فكتبت
بذلك الى الاوزاعي فكتب
الى انا لله وانا اليه راجعون
ثلاث مرات وأما من حول
وجهه عن القبلة فانه مات
على غير السنة قال الشافعي
رحمه الله لعل الامام
الاوزاعي رضي الله عنه أراد
بالسنة ههنا ملة الاسلام
والمعنى والله أعلم ان
الاصرار على المعاصي يجر
كثيرا من العصاة الى الموت
على الكفر والعياذ بالله
قال الغزالي رضي الله عنه
الايمان كالانسان وفقد
شهادة التوحيد كفقد
الروح والذي ليس له الا
شهادة التوحيد والرسالة هو
كانسان مقطوع الاطراف
مفقوء العينين فاقد لجميع
أعضائه الظاهرة والباطنة
الا أصل الروح وكان من
هذا حاله قريب من ان

الذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم انى أسألك ان تصلى على نبيك محمد وعلى آل محمد وأسألك الصيانة والعون على الطاعة والعصمة من المعصية وافراغ الصبر في الشدة وايزاع الشكر على النعمة وأسألك يامولاى يا الله يارب الصلاة على نبيك محمد وعلى آل محمد وحسن الخاتمة اللهم انى أسألك أن تصلى على نبيك محمد وعلى آل محمد وأسألك اليقين وحسن المعرفة بك وأسألك الحب وحسن التوكل عليك وأسألك الرضا وحسن المنقلب اليك ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الى آخرها اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر قلوبنا قلوب الابرار وزك أعمالنا عمل الاخيار وصل على أرواحنا في أرواح الشهداء ياأكرم الاكرمين ويا أجود الاجودين ويا أرحم الراحمين ربنا آتنا في الدنيا حسنة وعلما وزهدا وعبادة وأمنا ورزقا من حلال وفي الآخرة حسنة رضوانك والجنة وقنا برحمتك عذاب النار وعذاب القبر وقنا سخطك وغضبك وعذابك وأهواله عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة برحمتك يا ارحم الراحمين وان تمجد الله تعالى غدوة وعشية بما مجد به نفسه عز وجل فقد روى من ثواب ذلك ماه وغاية الطالبين روينا عن على عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يمجد نفسه في كل يوم يقول سبحانه وتعالى انى أنا الله رب العالمين انى أنا الله لا اله الا أنا الحى القيوم انى أنا الله لا اله الا أنا العلى العظيم انى أنا الله لا اله الا أنا العفو الغفور انى أنا الله لا اله الا أنا مبدئ كل شئ والى يعود انى أنا الله لا اله الا أنا لم ألد ولم أولد انى أنا الله لا اله الا أنا العزيز الحكيم انى أنا الله لا اله الا أنا مالك يوم الدين انى أنا الله لا اله الا أنا الرحمن الرحيم انى أنا الله لا اله الا أنا خالق الخير والشر انى أنا الله لا اله الا أنا خالق الجنة والنار انى أنا الله الذى لا اله الا أنا الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا انى أنا الله لا اله الا أنا الفرد الوتر انى أنا الله لا اله الا أنا عالم الغيب والشهادة انى أنا الله لا اله الا أنا الملك القدوس انى أنا الله لا اله الا أنا السلام المؤمن المهيمن انى أنا الله لا اله الا أنا العزيز الجبار المتكبر انى أنا الله لا اله الا أنا الخالق البارئ انى أنا الله لا اله الا أنا الاحد المصور انى أنا الله لا اله الا أنا الكبير المتعال انى أنا الله لا اله الا أنا المقتدر القهار انى أنا الله لا اله الا أنا الحكيم الكبير انى أنا الله لا اله الا أنا القادر الرزاق انى أنا الله لا اله الا أنا أهل الثناء والمجد انى أنا الله لا اله الا أنا أعلم السر وأخفى انى أنا الله لا اله الا أنا فوق الخلق والخليقة انى أنا الله لا اله الا أنا الجبار المتكبر ثم يختم ويقول فسبحان الله رب العرش العظيم فمن دعا بهذه الكلمات فليقل أنت الله كذا وأنت الله كذا ومن دعا بهذه الاسماء كتب من الشاكرين الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا صلى الله عليه وسلم وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم أجمعين في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين وليقل اللهم صل على محمد وآل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء واعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جازيت نبيا عن أمته واعطه الشرف والشفاعة يوم الدين اللهم صل على محمد نبى الرحمة وسيد الامة وعلى جميع اخوانه النبيين وصل على أبينا آدم وأمنا حواء ومن ولدا بينهما من الصالحين والمسلمين وصل على ملائكتك أجمعين من أهل السموات والارضين وصل علينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين واغفر لى ولوالدى وما توالدا وارحمهما كما ربيانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الاعز الاكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وحسبنا الله وحده لا شريك له فهذا جامع

يكون فكذا المؤمن ليس له الا أصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان ينقطع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت فكل ايمان لم يثبت في اليقين أصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت ويخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقى بماء الطاعات على توالى الايام والساعات حتى رسخ وثبت فبادروا بلحاق التوبة قبل استحقاق دار الخيبة بالهاد ارا سعدوها رخاوها احتسوها بسلاؤها مظلمة مسالكها مبهمة مهالكها مخلدا أسيرها موقدا سعيرها متناهيا تغيرها عاليا زفيرها شراب أهلها الحميم وعذابهم أبدا مقيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم لهم فيها بالويل ضجيج ولهبها فيهم أجيج أمانيهم فيها الهلاك ومالهم من أسرها مكان قد شدت أقدامهم الى النواصى واسودت وجوههم بظلمة المعاصى ينادون من جانبها وشعابها بكامن ترادف عذابها يامالك قد حق علينا الوعيد يامالك قد حمى علينا الوقيد يامالك قد سال منا الصديد يامالك قد أثقلنا الحديد يامالك قد نضجت منا الجلود يامالك اخرجنا

ملياً من فضائل ما يقال من الدعاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة ومن أئمة الهدى وحذفت ذكر فضائل ذلك وما جاء فيه من الروايات اختصاراً يقول هذا الدعاء بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس في كل يوم فان قاله بعد صلاة مكتوبة فقد استكمل الفضل بفضل الله عز وجل ورحمته

*(الفصل السادس)* في ذكر عمل المريد بعد صلاة الغداة وهو انه يأخذ في تلاوة القرآن وفي أنواع الذكر من التسبيح والحمد والثناء وفي التفكر في عظمة الله سبحانه وتعالى وآلائه وفي تواتر احسانه ونعمائه من حيث يحتسب العبد ومن حيث لا يحتسب وفيما يعلم العبد وفيما لا يعلم ويتفكر في تقصيره عن الشكر في ظواهر النعم وباطنها وعجزه عن القيام بما أمر به من حسن الطاعة ودوام الشكر على النعمة أو يتفكر فيما طلب منه من الاوامر والنواهي فيما يستقبل أو يتفكر في كيف ستر الله تبارك وتعالى عليه ولطفه في صنعه وخفي لطفه وفيما اقترف وفرط فيه من الزلل وفي فوت الاوقات الخالية من صالح العمل أو يتفكر في حكم الله تعالى في الملك وقدرته في الملكوت وآياته وآلائه فيهما أو يتفكر في نعمه وبأنه عز وجل وبلائه الظاهرة والباطنة فيهما ومن ذلك قوله عز وجل وذكرهم بأيام الله قيل بنعمه وقيل بعقوباته ومنه قوله عز وجل فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ومثله فبأي آلاء ربكما تكذبان أي بأي نعمة تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم وهما الثقلان ففي أي نوع من هذه المعاني أخذ فيه فهو ذكر والذكر عبادة وهو يخرج الى الفكر والفكر يحصل في الخوف والرجاء والذكر اذا قوي صار مشاهدة كما قال عز وجل يذكرون الله قياماً ثم قال ويتفكرون في خلق السموات والارض ثم قال سبحانك فقنا عذاب النار ولا يكون مشاهدة الا عن يقين واليقين روح الايمان ومزيد في المؤمن وقال بعض العلماء في تفسير الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سنة وهو التفكر الذي ينقل أي من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى القناعة والزهد وقيل هو التفكر الذي يظهر مشاهدة وتقوى ويحدث ذكراً وهدى كقوله تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ولقوله تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ومثله يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة أي يعقلون لما يبقى ويرغبون فيما يدوم ويزهدون فيما يفنى وقد جعل الله عز وجل البيان يعلمنا اقتضاء الذكر عليه فقال يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون وكما قال تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وقد وصف أعداءه بعد ذلك فقال الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وقالت أم الدرداء كانت أكثر عبادة أبي الدرداء التفكر وقد كان يقول ما يسرني ان اربح في كل يوم ثلثمائة دينار انفقها في سبيل الله عز وجل قيل ولم ذلك قال يشغلني ذلك عن التفكر أو يعتقد تحسين النيات وينوي جميل الطويات فيما بينه وبين الخالق تعالى وفيما بينه وبين الخلق أو يستغفر الله تعالى ويجدد التوبة لما مضى من عمره ولما يأتنف من مستقبله أو يعاص الدعاء بتمكن وتضرع وتملق وتخشع ووجل واخبات الى ان يعصمه من جميع المنهي وان يوفقه لصالح الاعمال ويتفضل عليه برغائب الافضال وهو في ذلك فارغ القلب مجرد الهم موقن بالاجابة راض بالقسم أو يتكلم بعلم ومعروف وخير ويدعو به الى الله تعالى وينفع به اخاه ويعلم من هو دونه في العلم فهذه كانت اذكار المتقدمين وأفكار السالفين وقد كان الذكر والفكر من أفضل عبادة العابدين وهو طريق منتهى الى رب العالمين ففي أي هذه المعاني أخذ فهو ذاكر لله عز وجل فلا يزال كذلك وهو في جميع ذلك مستقبل القبلة في مصلاه ولا يستحب له ان يتكلم أو يعمل غير ما ذكرنا من الاذكار وقد كانوا يكرهون الكلام بغير معروف وتقوى من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ومنهم من شدد في ذم الكلام من الفجر الى صلاة الغداة بغير ذكر وبر وهذه سنة قد خلت فمن عمل بها فقد ذكرها

*(الفصل السابع)* في ذكر أوراد النهار وهي سبعة أوراد وهذا هو الورد الاول من النهار وفي النهار سبعة أوراد أولها من طلوع الفجر الثاني الى طلوع الشمس وهو ما ذكرناه من الاذكار وهو الذي أقسم

منها فاما الاخرى فصيبهم مالك بعد زمان هيهات هيهات لات حين أمان ولا خروج من دار الهوان اخسؤا فيها بغضب الرحمن قضى الامر الذي فيه تستفتيان اللهم أجرنا من نارك الموقدة واصلح لنا ضمائر الافئدة وارزقنا الجنة وانزل علينا الثبوت وانقلنا من ذل معصيتك الى عز طاعتك

*(فصل في العوائق)* اعلم انه اذا تخلص العبد من قيد الذنوب وثقلها وشؤمها بالتوبة ورد المظالم وقضاء الفوائت وتوجه الى عبادة ربه عرض له عوائق أربع تمنعه عن العبادة كما هو حقها وهي الدنيا والخلق والشيطان والنفس كما قيل

شعر

اني بليت بأربع يرمينني
بسهام قوس ما لها تغيير
ابليس والدنيا ونفسي والورى
يا رب أنت على الخلاص قدير

الاول الدنيا فانه سامع ان حرامها عذاب وحلالها حساب تشغله الرغبة فيها عن العبادة ظاهره بالطلب وباطنه بالارادة وحديث النفس لان مثل الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب اذا قرب من أحدهما بعد من الآخر فحق لمن طالب عبادة ربه ان يزهد في الدنيا والزهد في الحرام منها

الله عز وجل به فقال والصبح اذا تنفس فتنفسه من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وهو الظل الذى أمده الله
تعالى لعباده ثم قبضه اليه بسط الشمس عليه وأظهر من آياته وجعل الشمس كشفه ودليلا عليه فقال
سبحانه ألم تر الى ربك كيف مد الظل يعنى بسطه ولو شاء لجعله ساكنا يعنى قائما على حاله لا يتحول ثم جعلنا
الشمس عليه دليلا يقول كشفناه بها ففيه ان الدليل هو الذى يكشف المشكل و يرفع المتشابه ثم قبضناه الينا
قبضا يسيرا يعنى ان الظل من تحت الشمس قبض قبضا يسيرا أى خفيا لا يفطن له ولا يرى فاندرج الظل فى
الشمس بقدرته اندراج الظلمة فى النور واذا دخل عليها بحكمته وهو الاصباح والفلق الذى تمدح الله عز وجل
بخلقه وأمرنا بالتنزيه له عنده والاستعاذة من شر ما خلق فيه فقال عز وجل فالق الاصباح وقال فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون أى فسبحوه بالصلاة عندهما وقال قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق يعنى فلق
الصبح فاذا أمن العبد الفتنة والكلام فيما لا يعنيه والاستماع الى شئ من القول وأمن النظر الى ما يكره أو
يشغله عن الذكر أو يذكره الدنيا أمن من دخول الآفة عليه من التزين والتصنع للناس ورزق الشغل بمولاه
والاخلاص له بالاعراض عن سواه فقعوده ذاكرا من الذكر فى مصلاه فى مسجد الجماعة فهو أفضل فلذلك
أمر الله برفع المساجد فى قوله عز وجل فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه وان لم يأمن الفتنة
وخشى دخول الآفة عليه من لقاء من يكره ومن يلجئه الى تقية ومداراة أو خاف الكلام فيما لا يعنيه أو
الاستماع الى ما لا يشغله اليه انصرف اذا صلى الغداة الى منزله أو الى موضع خلوته بعد أن يقول لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى و يميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير عشر مرات
فى مصلاه وهو ثان رجله قبل أن يقوم و يقرأ بعدها قل هو الله أحد عشرا قبل ان يتكلم فقد اشترط ترك
الكلام فى هذين الحديثين اللذين وردا فيهما ثم أتى ببقية ورده فى بيته أو فى خلوته وهو فى ذلك مستقبل
القبلة وهذا حينئذ أفضل له وأجمع لقلبه ولا يقدم على التسبيح لله عز وجل والذكر له بعد صلاة الغداة وقبل
طلوع الشمس الا أحد معنيين معاونة على بر وتقوى فرض عليه أو ندب اليه مما يختص به لنفسه أو يعود
نفعه على غيره و يكون ذلك أيضا مما يخاف فوته بفوت وقته والمعنى الآخر يكون الى تعلم علم أو استماعه
مما يقرب به الى الله تعالى فيعد ينمو آخرته و يزهده فى الدنيا والهوى من العلماء بالله عز وجل الموثوق بعلمهم
وهم علماء الآخرة أولو اليقين والهدى الزاهدون فى فضول الدنيا و يكون فى طريقه ذاكرا لله عز وجل
أو متفكرا فى أفكار العقلاء عن الله عز وجل فان اتفق له هذان فالغدو اليهما أفضل من جلوسه فى مصلاه
لانهما ذكر الله عز وجل وعمل له وطريق اليه على وصف مخصوص مندوب اليه قال الله عز وجل ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه وقال النبى صلى الله عليه وسلم من غدا من بيته فى طلب
العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع وقال ابن مسعود أغد عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك
والغدو والغداة تكون قبل طلوع الشمس وفى الخبر من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله عز وجل
حتى يرجع ومن خرج من منزله يلتمس علما وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما صنع واستغفر له دواب
الارض وملائكة السماء وطير الهواء وحيتان الماء وفى حديث أبى ذر الغفارى رحمه الله حضور مجلس علم
أفضل من صلاة ألف ركعة وأفضل من شهود ألف جنازة ومن عيادة ألف مريض قيل ومن قراءة القرآن
فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بعلم فان لم يتفق له أحد هذين المعنيين فقعوده فى مصلاه أو فى مسجد جماعته
أو فى بيته أو فى خلوته ذاكرا لله عز وجل بانواع الاذكار أو متذكرا فيما تقدم له بمشاهدة هذه الاذكار فى مثل
هذه الساعة أفضل له مما سواها روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقعد فى مسجد أذكر الله عز وجل
فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الى من ان اعتق أربع رقاب وروينا ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان اذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى بعضها يصلى ركعتين وقد ندب الى ذلك فى
غير حديث وجاء من فضل الجلوس بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وفى صلاة ركعتين بعد ذلك ما جل

فرض وفى الحلال الذى
لا يحتاج اليه فحرام البنية
نفل قال الله سبحانه وتعالى
انما أموالكم وأولادكم فتنة
وقال تعالى ان الذين يأكلون
أموال اليتامى ظلما انما
يأكلون فى بطونهم نارا
وسيصلون سعيرا وعن
السدى رضى الله عنه قال
ان فى القيامة من يخرج
لهب النار من فيه ومسامعه
وأنفه وعينيه يعرفه من رآه
قال الحسن وأى هلاك
أعظم من ان يخلق جوف
الشخص نارا من الاكل
فان انضم اليه اللبس انغمر
البدن بالنار ظاهرا وباطنا
لو وقعت شرارة من نار جهنم
على جبل لذاب من شدة
حرها أعاذنا الله منها بمنه
وكرمه خ م عن عمرو بن
عوف الانصارى رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فوالله
ما الفقر أخشى عليكم ولكن
أخشى ان تبسط الدنيا
عليكم كما بسطت على من
كان قبلكم فتنافسوها كما
تنافسوها فتهلككم كما
أهلكتهم ت عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال لو
كانت الدنيا تعدل عند الله
جناح بعوضة ما سقى منها
كافرا شربة ماء وروى أحمد
فى الزهد عن نوف البكالى قال
انطلق رجل مؤمن ورجل
كافر يصيدان السمك فجعل
الكافر يلقى شبكته ويذكر
آلهته فتمتلئ و يلقى المؤمن

وصفه اختصرناه وروينا عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر من رحمة ربه انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما فاذا ارتفعت الشمس وابيضت صلى الضحى ثمان ركعات وهذا الوقت هو الذي ذكره الله عز وجل في قوله يسبحن بالعشي والاشراق ثم ينظر فان علم مريضا عاده وان حضرت جنازة شيعها وان كانت معونة على بر وتقوى سعى فيها وان كانت حاجة لأخ من اخوانه قضاها وان كانت فرضا يلزمه قيام به سارع اليه وان لاح له فضل ندب اليه انتهز قبل فوته فهذا أفضل شيء يعمله بعد الاذكار والافكار من بعد طلوع الشمس فاذا فرغ من ذلك ولم تعن له ما ذكرناه من القربات أخذ في الصلاة وتلاوة القرآن أو صنوف الاذكار مما أمر به أو ندب اليه أو المحاسبة للنفس فيما سلف أو المطالبة لها والاستخراج منها فيما يأتنف أو المراقبة لربه في كل حال الى ان تنبسط الشمس وترمض الفصال وترتفع النهار هذا هو الورد الثاني من النهار وهو الضحى الاعلى الذي اقسم الله تعالى به فقال والضحى أي اذا أضحت الاقدام بحر الشمس واذا كان العبد على ذلك فقد اتبع ما أنزل اليه من ربه عز وجل وقد سمع قوله عز وجل اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم لانه قال انما أمرت ان أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها ثم قال وان أتلو القرآن وكما قال تعالى اتل ما أوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر وصلاة الضحى في هذا الوقت أفضل وهو حقيقة وقتها لوجود اسمها قال النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى اذا رمضت الفصال وخرج على أصحابه عليه الصلاة والسلام يوما وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته الا ان صلاة الأوابين اذا رمضت الفصال وقوله الاوابين يعني التوابين الى الله عز وجل في كل وقت ثم ليأخذ العبد بعد ذلك فيما ندب الله وأبيح له من التصرف في معاش ان كان من تجارة بصدق أو صناعة بنصح ان احتاج الى ذلك وليكتف ان كفي وأدنى أحواله الصمت والنوم فيهما سلامة من الآثام ومخالطة الانام فقد جاء في الخبر يأتي على الناس زمان يكون أفضل عملهم الصمت وأفضل اعمالهم النوم ومن الناس من يكون أحسن أحواله النوم وليت العبد يكون في الغفلة كالنوم اذ في نومه سلامة والسلامة مقدمة في يقظته وانما الفضائل للافاضل الذين زادوا على السلامة والعدل بالاحسان والفضل هذا المنقول المشكل في الكلام ووجود الآفات في الاحوال والخروج الى الاخلاص من الاعمال وكان سفيان الثوري يقول كان يعجبهم اذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة ففي الناس من يكون أحسن أحواله النوم وليت العبد يكون يقظته كالنوم اذ في نومه السلامة وأفضل أعماله في هذا الوقت السلامة وانما الفضائل لاهل الافضال الذين زادوا على السلامة والعدل بالاحسان والفضل فان نام في هذا الوقت فهو حينئذ نوم القائلة وما تسبب فيه من المعايش يصنعه في هذا الوقت من الضحى الاعلى الى زوال الشمس وهذا هو الورد الثالث من النهار ثم يتوضأ للصلاة قبل دخول وقتها وكذلك يستحب وهو من المحافظة عليها والاقامة لها فان حصلت كفايته في يومه وقوته في وقت من النهار ترك السوق ودخل بيته أو قعد في بيت مولاه تعالى واشتغل بخدمته تزودا لعاقبته وقد كان الصالحون كذلك يفعلون كان يقال لا يوجد المؤمن الا في ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لا بد له منها واذا زالت الشمس فان أبواب السماء تفتح للمصلين والذاكرين ويستجاب الدعاء للمؤمنين فهذا هو الورد الرابع من النهار فليصل بعد الزوال أربع ركعات يقرأ فيهن بقدر سورة البقرة أو سورتين من المائتين أو أربع من المثاني يطيلهن ويحسنهن ولا يفصل بينهن بتسليم هذه الصلاة وحدها من بين صلاة النهار أربع ركعات بتسليمة واحدة وهذا الورد هو الاظهار الذي ذكر الله عز وجل الحمد فيه فقال وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وليتق العبد الصلاة عند استواء الشمس في كبد السماء وقبل زوالها عند تناهي الظل ووقوف ظل كل شيء تحته فاذا زال الظل فقد زالت وقد يخفى استواؤها في الشتاء لقصر النهار ولعدول الشمس في سيرها

عن

ويذكر الله تعالى ولا يصطاد شيأ قال ففعلا ذلك الى مغيب الشمس ثم ان المؤمن اصطاد سمكة فأخذها بيده فاضطربت فوقعت في الماء فرجع المؤمن وليس معه شيء ورجع الكافر وقد امتلأت سفينته فأسف ملك المؤمن وقال يا رب عبدك هذا المؤمن الذي يدعوك يرجع وليس معه شيء وعبدك الكافر يرجع وقد امتلأت سفينته قال الله عز وجل لملك المؤمن تعال فأراه مسكن المؤمن في الجنة قال ما يضر عبدي هذا المؤمن ما أصابه بعد ان يصير الى هذا وأراه مسكن الكافر في النار فقال هل يغني عنه من شيء أصابه في الدنيا قال لا والله يا رب (١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكتسب مالا حراما فان تصدق منه لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار (١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به (١) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه

عن وسط الفلك فتقطع عرضا فيكون أقرب بالغروب وبهذا يعتبر ذلك تقريبا ومقدار استوائها قبل الزوال نحو أربع ركعات بجزء من القرآن أو قدر جزء وهو آخر الورد الثالث والغالب فيه ورد القراءة والتسبيح والتفكر وهو أحد الاوقات الخمسة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيهن والاربعة الاخر عند طلوع الشمس حتى ترتفع فتبدو عينها في عين الناظر وعند تدليها للغروب حتى تغيب وبعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر واحب الاحياء الاحياء ما بين الاذان والاقامة بالركوع لانها ساعة يستجاب فيها الدعاء وتفتح فيها أبواب السماء وتزكو فيها الاعمال وأفضل أوقات النهار أوقات الفرائض فان لم يقرأ بين الاذانين من درسه فيستحب له ان يقرأ في تنفله الآي التي فيها الدعاء مثل آخر سورة البقرة وآخر سورة آل عمران ومن تضاعيف السور الاثنين والثلاث مثل قوله تعالى أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ومثل قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وقوله ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير وان قرأ الآي التي فيها التعظيم والتسبيح والاسماء الحسنى فحسن مثل أول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ومثل آية الكرسي وقل هو الله أحد ليكون بذلك جامعا بين التلاوة والدعاء وبين الصلاة والتعظيم والمدح بالاسماء ثم يصلي الظهر في جماعة ولا يدع ان يصلي قبلها أربعا وبعدها أربعا بعد ركعتين وهذا آخر الورد الرابع من النهار وهو أقصر الاوراد وأفضلها فان كان قد رقد قبل الزوال فلا يرقد في هذا الورد فانه يكره له نومتان في يوم كما يكره له نوم النهار من غير سهر بالليل وروينا عن بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع ونوم النهار من غير سهر بالليل وان لم يكن قد رقد فأحب ان ينام بين الظهر والعصر ليتقوى بذلك على قيام الليل فلينم فان نومه بعد الظهر لليلة المستقبلة ونومه قبل الظهر لليلة الماضية فان دام سهره بالليل واتصلت أوراده بالنهار حسن ان ينام قبل الظهر لما سلف من ليله وينام بعد الظهر لما غبر من الاخرى الا انه لا يستحب له ان يزيد في اليوم والليلة أكثر من نوم ثمان ساعات ومن الناس من يقول انه ان نقص من نوم هذا المقدار في اليوم والليلة اضطرب بدنه لان النوم قوت الجسم وراحته قال الله تعالى وجعلنا نومكم سباتا أي راحة كما قال وجعلنا النهار معاشا الا ان يكون السهر عادة فان العادة قد تعمل عمل الطبع وتنقل عن العرف فلا يقاس عليها واحياء ما بين الظهر والعصر وهو صلاة الغفلة وهو يشبه بقيام الليل ويستحب العكوف في المسجد بين الاولى والعصر للصلاة والذكر ليجمع بين الاعتكاف والانتظار للصلاة فقد كان ذلك من سنة السلف قال كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة الا ان يكون بيته أسلم لدينه وأجمع لقلبه فالاسلم هو الافضل وكذلك احياء الورد الثالث الذي هو بين الضحى الاعلى الى زوال الشمس فوق هذا الفضل يدرك به العبد فوت قيام الليل لان الناس في هذين الوقتين مشغولون بطلب الدنيا وخدمة الهوى والقلب المتيقظ لربه عز وجل يفرغ في هذين الوقتين ويسكن ويجد العامل للعمل حلاوة وللاقبال والتفرغ للتقوى يكون لفراغه من الخلق وشغله بالخالق تعالى مزيد وبركة وهذا أحد الوجهين في قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا أي جعلهما خلفتين يتعاقبان في الفضل فيخلف أحدهما الآخر فمن فاته شئ من الليل قضاه في هذين الوردين من النهار أحدهما من الضحى الاعلى الى الزوال والثاني ما بين الاولى والعصر والوجه الثاني ان النهار كالخلفة من الليل فمن فاته شئ من عمل الليل قضاه بالنهار فكان منه بدلا ومن فاته شئ من أوراد النهار كان الليل خلفا اذ كل واحد منهما اخلف من صاحبه ففيه درك ما فات وخلف ما سلف من الذكر والشكر والذكر اسم جامع لاعمال القلوب كلها من مقامات اليقين ومشاهدة العلوم من الغيب والشكر أيضا يستعمل على جل اعمال الجوارح من شرائع الاسلام وهذان جملة عمل العبد وكنه خدمته وهذان المعنيان اللذان هما ذكرهما الكليم الجليل في قوله تعالى كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انتظم التسبيح والذكر في جل تصرف الجسم وتصرف القلب وهذا الورد الخامس الذي هو ما بين

شئ قال الحسن هذا في ثوب فيه درهم من حرام فكيف الحال في ثوب كله حرام كما يفعله الظلمة من الاخذ بالقهر والغلبة وكذا ما يرسله الشخص على وجه البرطيل أو يستحيي فيه من ان يطلب منه أكثر من ذلك فكل هذا وأشباهه حرام ومن اعتقد حله بعد العلم بما ذكرنا فهو كافر وان صلى وصام وحج واعتمر

ت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما قال في حياة الحيوان اعلم ان المباح لعنه من الدنيا ما كان منها مبعدا عن الله وشاغلا عنه كما قال بعض السلف كل ما شغلك عن الله من مال وولد فهو مشؤم عليك وأما ما كان من الدنيا يقرب من الله ويعين على عبادته فهو محمود وهو المصرح به في قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وينجو من الشر ان العبد اذا قال لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه أيها المشغول باللذات الفانيات متى تستعد للملك الممات أتطمع مع حب الدنيا في لحاق السادات وأنى يجعلك منهم وأنى هيهات يا عظيم الجراءة يا كثير الانبساط آلة قدم تصلح للمشي على

العصرين من أطول الاوراد وأمتعها للعباد وهو يضاهي الورد الثالث في الطول وهو أصيل النهار وأحد الآصال التي ذكر الله عز وجل فيه سجود كل شيء وقرنه بالغدو فقال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال فما أقبح ان تكون الاشياء والموات لله ساجدات ذاكرات والمؤمن الحي عن ربه معرض ذو غفلات ثم يصل قبل صلاة العصر أربعا ويغتنم الصلاة بين الاذان والاقامة كما ذكرنا آنفا فانها ساعة مرجوة فيها الاجابة فاذا دخل وقت العصر دخل العبد في الورد السادس من النهار وقد أقسم الله عز وجل به في قوله والعصر وهذا أحد المعنيين في الآية وهو احد الوجهين من الوقت في الآصال الذي ذكره الله عز وجل وهو العشي الذي ذكر الله عز وجل التسبيح فيه والتنزيه والحمد له فقال وعشيا وحين تظهرون وقال بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلاة الا ما كان بين الاذانين ثم يشتغل بعد العصر فيما شاء من ذكر أو فكر من أعمال القلوب والجوارح فيما فرض عليه أو ندب اليه وأفضل ذلك تلاوة القرآن بتدبر وترتيل وتفهم وحسن تأويل فاذا اصفرت الشمس وماتت حرها وارتفعت الى أطراف الجدر ورؤس الشجر فكانت مثلها حين تطلع دخل في الورد السابع من النهار فهذا التسبيح والذكر والتلاوة والاستغفار الى غروب الشمس ومن أفضل ما قيل في هذا الوقت وفي مثله من أول النهار أن يقال استغفر الله الذي وسبحان الله بحمد ربي لجمعين الاستغفار والتسبيح في الكلام بلفظ الامر بهما في القرآن لقوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار وان قال استغفر الله الحي القيوم واسأله التوبة سبحان الله العظيم وبحمده فقد جاء فضل ذلك في الاثر والافضل الاستغفار على الاسماء كما في القرآن مثل ان يقول استغفر الله انه كان غفارا استغفر الله انه كان توابا استغفر الله ان الله غفور رحيم استغفر الله التواب الرحيم رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين وهذا الورد في الفضل مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وهو المساء الذي ذكر الله تعالى التنزيه فيه فقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون أي سبحوا الله عز وجل فأقام الاسم مقام الفعل وهو الطرف الثاني من النهار الذي أمر الله عز وجل فيهما بالتسبيح بقوله عز وجل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين وان تغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فذلك مما أمر به في هذا الوقت من الاذكار وكلما يستحب من التسبيح والحمد والدعاء والذكر في أول النهار قبل طلوع الشمس فانه يستحب في هذا الورد قبل غروب الشمس لان الله تعالى قرنهما في الذكر فقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقال تعالى وأطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى بالعشي والابكار وقال تعالى قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب أي من شر الليل اذا دخل فليعد العبد ما ذكرناه في الورد الاول من الادعية والتسبيح وليقل عند أذان المغرب اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلاتك وشهود ملائكتك صل على محمد وعلى آله واعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته ثم ليقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلاثا ففي هذا أثر وفضل وكذلك فليقل مثله اذا سمع أذان الفجر الا انه يقول عند ادبار ليلك واقبال نهارك والنص من هذا في صلاة المغرب وكان الحسن البصري يقول كانوا أشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة فاذا نوارت بالحجاب انقضت أوراد النهار السبعة فانظر أيها المسكين ماذا انقضى لك معها وماذا انقضى منك عندها وماذا قضي عليك فيها فقد قطعت من عمرك مرحلة ونقصت من أيامك يوما فماذا قطعت في سفرك بقطع مرحلتك وماذا ازددت في غدك بما نقصت من يومك قال النبي صلى الله عليه وسلم الناس غاديان فعاد لنفسه فمعتقها أو راهن نفسه فموبقها وقد قال الله عز وجل في تصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سعيكم لشتى وقال في مثله كل نفس بما



الصراط ويحك يا ابن آدم أتدري بماذا استبدلت بعت القرب بالبعد والعقل بالهوى والدين بالدنيا الخوالي تذهب اللذة وتبقى التبعة الاسف ويبقى عض اليدين على قبح ما سلف من قبل فم اللذة عضته أسنان الندامة

كم ذاق آدم غصة بعد تلك اللقمة مضت ولقما اللذات وبقيت التبعات قال اليافعي رحمه الله شعر

وكم من أكلة حرمت كثيرا من الخيرات في طاعات مولى ولذات بحلوات تجلي • بهن المولى وقد ناجاه ليلا

اللهم شرفنا بالتقوى وجملنا بالعافية واغفر لنا ولوالدينا ولمن احب وأحسن الينا ولجميع المسلمين العائق الثاني الخلق فانهم يشغلونك عن طاعة الله تعالى قال الله تعالى ففروا الى الله خ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن م عن سعد ابن أبي وقاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يحب العبد التقي الغني الخفي قال النووي وغيره والمراد بالغني غنى النفس خ م عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رجل اي الناس أفضل يا رسول الله قال من يجاهد بنفسه وماله

كسبت رهينة الا أصحاب اليمين وجاء في الخبر لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا وجاء في الاثر من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ثم فضلت أوراد الليل الخمس فتدارك الآن رحمك الله تعالى فيما يستقبل من الليل ما فات فيما مضى من النهار فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبغض كل جعظري جواظ أي سمين كثير الاكل صخاب بالاسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بامر الدنيا جاهل بامر الآخرة

●(الفصل الثامن)● في ذكر أوراد الليل المحتوي الليل خمسة أوراد أولها أن يصلي بعد المغرب ست ركعات ويستحب ذلك قبل أن يكلم أحدا يقرأ في الاوليين قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وليسرع بهما بعد صلاة المغرب من قبل ان يتكلم ويشتغل بشيء وفي الخبر اسرعوا بركعتين بعد المغرب فانهما ترفعان مع الفرائض كان منزله قريبا من مسجده فلا بأس ان ركعهما في بيته وليطل الاربعة الاخر وكان أحمد ابن حنبل رحمه الله يستحب ان يصليهما الرجل في بيته وكذلك كان يفعل ويقول هو سنة لانه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصليهما في بيته ولكن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مؤخر المسجد وقد صلاهما في المسجد ثم ليصل بين العشاءين ما تيسر الى ان يغيب الشفق الثاني وهو البياض الذي يكون بعد ذهاب الحمرة وبعد غسق الليل وظلمته لانه آخر ما بقي من شعاع الشمس في القطر الغربي اذا قطعت الارض العليا ودارت من وراء جبل قاف مصعدة تطلب المشرق فهنا هو الوقت المستحب لصلاة العشاء الآخرة وهذا آخر الورد الاول من أوراد الليل والصلاة فيه ناشئة الليل اي ساعاته لانه أول نشوء ساعاته وهو آن من الآناء التي ذكرها الله عز وجل في قوله ومن آناء الليل فسبح فالآناء جمع آن أي وقت منفصل وقيل ناشئة الليل قيام الليل هذا وافق لسان الحبشة تقول نشا اذا قام وقد أقسم الله تعالى به فقال فلا أقسم بالشفق والشفق ما بين العشاءين وهي صلاة الاوابين ويقال أيضا صلاة الغفلة قال يونس بن عبيد عن الحسن في قوله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال الصلاة بين العشاءين حتى قال أنس بن مالك رضي الله عنه وقد سئل عمن نام بين المغرب والعشاء فقال لا تفعل فانها هي الساعة التي وصف الله عز وجل المؤمنين بالقيام فيها فقال الله عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع يعني الصلاة بين المغرب والعشاء وقد أسند ابن أبي الدنيا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال الصلاة فيما بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة فيما بين العشاءين فانها تذهب بملاغاة أول النهار وتهذب آخره قوله الملاغاة جمع ملغاة من اللغو أي تسقط اللغو أي تطارح الطرح عن العبد من الباطل واللهو وتهذيبه آخره أي تصفيه وتجوده ويستحب العكوف في المسجد بين العشاءين للصلاة وتلاوة القرآن فقد روي فضل ذلك الا ان يكون بيته أسلم له لدخول آفة عليه فما سلم فيه فضل به ثم ليصل قبل العشاء الآخرة أربعا وبعدها ركعتين ثم أربعا يقال ان الاربع بعد صلاة العشاء في بيته يعدلن مثلهن من ليلة القدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليهن في بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس وكان ابن مسعود يكره ان يصلي بعد كل صلاة مثلها وكانوا يستحبون ان يصلي بعد المكتوبة ركعتين ثم أربعا وان قرأ في الاربع في الاولى آية الكرسي والآيتين اللتين بعدها وفي الثانية آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والآية قبلها وفي الثالثة أول الحديد الى قوله عز وجل وهو عليم بذات الصدور وفي الرابعة آخر الحشر من قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة فقد أحسن وأصاب فان صلى بعد الاربع ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر ان احب فان هذا العدد أكثر ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى به من الليل الا في خبر مقطوع وهو سبعة عشر ركعة والمشهور انه كان يصلي أحد عشر ركعة وثلاث عشرة ركعة وربما حسبوا فيها ركعتي الفجر واستحب ان يقرأ في ركوعه هذا ثلثمائة آية فصاعدا فاذا فعل ذلك لم يكتب من الغافلين ودخل في أحوال العابدين فقد قيل ان الاكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والاقوياء يأخذون أورادهم من آخر الليل فان

في سبيل الله قال ثم من قال وجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره وحكي عن حاتم الاصم رضي الله عنه انه قال طلبت من هذا الخلق خمسة أشياء فلم أجد طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت أعينوني عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا عني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني عنها اذا فعلتوني فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى الله العظيم ولا تعادوني عليها ان لم آتابعكم فلم يفعلوا فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسي قال النووي المستحب العزلة عند فساد الزمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات واختار الاختلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعاتهم ومشاهد الخير ومجالس الذكر معهم وعيادة مريضهم وحضور جنائزهم ومواساة محتاجهم وارشاد جاهلهم وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع نفسه عن الايذاء وصبر على الاذى انتهى وينبغي ان لا يصاحب الا من اجتمع فيه خمس خصال الاولى العقل فالعدو العاقل خير من الصديق الاحمق الثانية حسن الخلق فلا تصحب من ساء خلقه وهو الذي لا يميز الحق من

قرأ في ركوعه هذا سورة الفرقان وسورة الشعراء ففيهما ثلثمائة آية فان لم يحسنهما قرأ خمسا من المفصل فيهن ثلثمائة آية سورة الواقعة وسورة نون وسورة الحاقة وسورة المدثر وسورة سأل سائل فان لم يحسنهن قرأ من سورة الطارق الى آخر القرآن ثلثمائة آية ولا يستحب للعبد ان ينام حتى يقرأ هذا المقدار من الآي فبهذا العدد من الركوع بعد صلاة العشاء الآخرة فان قرأ في هذا الورد الثاني اعني بعد صلاة العشاء الآخرة وقبل ان ينام ألف آية فقد استكمل الفضل وكتب له قنطار من الاجر وكتب من القانتين وأفضل الآي أطولها الكثرة الحروف وان اقتصر على قصار الآي عند فتوره أدرك الفضل لحصول العدد ومن سورة الملك الى آخر القرآن ألف آية فان لم يحسن ذلك فقرأ قل هو الله أحد مائتي وخمسين مرة في ثلاث عشرة ركعة فان فيها ألف آية فهذا فضل عظيم وفي الخبر من قرأها عشر مرات بنى الله عز وجل له قصرا في الجنة وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في السور التي لم يكن يدعها في كل ليلة ثلاثة أحاديث أشهرها انه لم يكن ينام حتى يقرأ سورة السجدة وتبارك الملك والذي بعده انه كان يقرأ في كل ليلة بني اسرائيل والزمر والقريب منهما انه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية قال وكان العلماء يجعلونها ستا ويزيدون فيها سبح اسم ربك الاعلى وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب سبح اسم ربك الاعلى فهذا يدل على انه كان يكثر قراءتها ولا يدع ان يقرأ هذه الاربع سور في كل ليلة سورة يس وسورة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك فان ضم اليها سورة الواقعة وسورة المسبحات والحاقة والزمر فقد أكثر وأحسن فان لم يكن من عبادته القيام من الليل فقدم الوتر بغية الخبر المروي عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا أنام الا على وتر وان كان معتاد الصلاة الليل فالافضل تأخير الوتر الى آخر صلاته من تهجده أو الى السحر على حديث ابن عمر رضي الله عنه صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وفي حديث عائشة رضي الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل ومن أوسطه ومن آخره وانتهى وتره الى السحر فان نام على وتر ورزق القيام لم يوتر بعد وكفاه وتره الاول على الخبر الذي جاء لا وتران في ليلة وقد قال بعض العلماء يصلي ركعة واحدة يشفع بها وتره من أول الليل ثم يصلي صلاته من الليل ويوتر آخر صلاته وقد روي في هذا أثر عن عثمان وعلي رضي الله عنهما وان كان قد صلى ركعتين من جلوس بعد وتره الاول ثم استيقظ للصلاة شفعتا وتره الى ركعة الواحدة لانهما بمنزلة ركعة واحدة يشفع بها ركعة الوتر التي صلاها قبلها ثم ليصل من الليل مثنى مثنى فاذا بدا له يوتر بركعة واحدة في آخر صلاته فيكون له في ذلك ثلاثة أعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من آخر الليل وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين جالسا بعد وتره والله تعالى أعلم وليقرأ فيهما جالسا بسورة الزلزلة وسورة الهاكم التكاثر فقد جاء ذلك في حديثين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فيهما بذلك لما في الزلزلة والتكاثر من التخويف والوعظ وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما في سورة الكافرون من التنزيه من عبادة سوى المعبود وافراد العبادة لله سبحانه فيها بالتوحيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها عند النوم وأوصى رجلا بقراءتها عند منامه وتقديم الوتر مستحب لمن لم يكن عادته قيام الليل ولمن كان الاغلب عليه النوم وتأخير الوتر يكون لمن آخر صلاته قبل طلوع الفجر أفضل وليقل بعد التسليم من الوتر سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت يقول هذا ثلاث مرات وهذا هو الورد الثاني من الليل الى صلاة بعد العشاء الآخرة الى حد نومة الناس فقد أقسم الله عز وجل في قوله والليل وما وسق أي وما جمع من ظلمته وذكره الله عز وجل في قوله الى غسق الليل فهنالك يغسق الليل وتستوسق ظلمته ثم ينام العبد أحب ويهجع على طهارة وعن ذكر وقد كان الصالحون لا ينامون الا عن غلبة ويكرهون التعمد للنوم وهو التهيؤ للعادة وقد كان منهم من عهد لنفسه بالنوم ليتقوى بذلك على صلاة أوسط الليل وآخره فله فضل في ذلك ومن غلبه النوم

الباطل ولا حظ لنفسه عند الغضب والشهوة الثالثة الصلاح قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قال ابن عباس الركون الميل بالقلب والصحبة فلا تصحب مصرا على معصية كبيرة أو صغيرة كترك الصلاة والزكاة والربا والزنا وأكل ما نهى الله عن أكله من نجس وغيره مما يأكله الاوباش لان مشاهدة الفاسق والمعصية على الدوام تزيل من قلبك كراهة المعصية فتقع أنت فيها وان الطبع يسرق الطبع وقد قال بعض العلماء ان من شروط التوبة أن لا يعاشر فاسقا الرابعة أن لا يكون حريصا على الدنيا فصحبة الحريص تزيد في حرصك الخامسة الصدق فلا تصحب كذابا فانك منه على غرور (خ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك أو تجد ريحا خبيثة (دت) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وروى أحمد في الزهد عن جعفر بن سليمان قال رأيت مع مالك بن دينار كلبا فقلت

حتى

حتى شغله من الصلاة والذكر فان السنة ان ينام حتى يعقل ما يقول و ينشط فى خدمته وقد كان ابن عباس يكره النوم قاعدا وفى الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فليرقد وقال اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا وقيل له ان فلانا يصلى الليل لا ينام و يصوم الدهر لا يفطر فقال صلى الله عليه وسلم خير هذا الدين أيسره ثم قال لكنى أنا أصلى وأنام وأصوم وأفطر فهذه سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى وقال صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة الله عز وجل والورد الثالث يكون بعد نومة الناس وهو التهجد الذى ذكره الله فى قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولا يكون التهجد الا بعد النوم وتلك النومة هى الهجوع الذى قال الله عز وجل من القائلين انما الليل فقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون فالهجوع النوم والتهجد القيام وقد يقال الهجود أيضا وهذا يكون نصف الليل فهذا أوسط الاوراد وهو يشبه الورد الاوسط من النهار فى أفضل أوراده وهو أفضل الاوراد وأتمها للعبادة وقد أقسم الله عز وجل به فى قوله تعالى والليل اذا سجى قيل اذا سكن وسكونه هدوءه وسنة كل عين فيه وغفلتها الا عين الله تبارك وتعالى فانه الحى الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا استوى طاله ويقال اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الليل اسمع فقال جوف الليل الغابر وروينا فى أخبار داود عليه السلام الهى انى أحب ان أتعبد لك فاى وقت تقبل فأوحى الله عز وجل اليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فانه من نام أوله نام آخره ومن نام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك وارفع الى حوائجك والورد الرابع يكون بين الفجرين أحدهما الفجر الاول وهو بدو سلطان شعاع الشمس اذا ظهرت من وراء الارض الخامسة وسطع ضوؤها فى وسط السماء حتى يقطعها بمقدار طلوع الفجر الاول ثم تغرب فى الفلك الاسفل المضائف وتحجبها الارض السادسة فيذهب الضوء و يعود سواد الليل كما كان لغيبة الشمس وهو الثلث الاخير وفيه وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا وفيه الخبر الذى جاء ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر يعنى الباقى وهذا هو الورد الرابع من نصف الليل الى وقت السحر الاول ثم يدخل الورد الخامس وهو السحر الاخير وفيه يستحب السحور فمن لم يتسحر فى أوله بغته الفجر وهو قبل طلوع الفجر الثانى بمقدار قراءة خمسين من القرآن وفى هذا الورد الخامس الاستغفار وقراءة القرآن وقد ذكره الله عز وجل فى قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا قيل تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار لتوسط هذا الورد بينهما ومن ذلك ذهب أهل الحجاز الى ان الصلاة الوسطى التى نص الله تعالى على المحافظة عليها هى صلاة الفجر تعظيما لهذا الوقت وتشريفا له لتوسطه بين آخر الليل وأول النهار فهذا الورد هو أقصر الاوراد ومن أفضلها وهو من السحر الاول الى طلوع الفجر الثانى الا ما كان من صلاة نصف الليل فذلك هو أفضل شئ من الليل وهو أوسط الاوراد لانه هو الورد الثالث و يصلح فى هذا الورد الخامس من السحر الاخير الصلاة لمن استيقظ من ساعته أو لمن تمم به صلاته فالصلاة فيه لها فضل وشرف وهو بمنزلة الصلاة فى أول الليل بين العشاءين ولان معنى قوله عز وجل عند بعض المفسرين وبالاسحار هم يستغفرون أى يصلون وكذلك قوله عز وجل وقرآن الفجر يعنى به الصلاة فكنى بذلك القرآن والاستغفار عن الصلاة لانهما وصفان منها كما قيل للصلاة تسبيح وسبحة لان فيها التسبيح وكذلك يقال الصلاة استغفار لانه يطلب بها المغفرة وتكون هذه الصلاة فى السحر بدلا من السحور الى طلوع الفجر الثانى وقد أمر بها سلمان أخاه أبا الدرداء ليلة زاره فى حديث طويل قال فى آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا وان لربك

ما تصنع بهذا يا أبا يحيى قال هذا خير من جليس السوء وأنشد بعض الاخيار شعر

تجنب قرين السوء واصرم حباله
اذا لم تجد عنه محيصا فداره
وأحبب حبيب الصدق واحذر مراءه
تنل منه صفو الود ما لم تماره
ولله فى عرض السموات جنة
ولكنها محفوفة بالمكاره

يا وحيدا عن السالكين يا بعيدا عن العابدين فتح الباب لارباب الالباب ورد فى وجهك أما لك لسان تسألنا به أما لك وقت تناجينا به ولا تلبث عندنا عنده استوحش أنت مما جنيت واستأنس بالله ما أظن قساوة قلبك الا من أمر سخطك والله ان الرمد لا يخفى من العمى قال اليافعى رحمه الله

شعر

أرى كل من ألهاك عن كسب طاعة
عدوا وان كان الصديق المصافيا
ألا ان أنفاس الحياة جواهر
نفاس وقد أخفى لها عنك نافيا
بها غرف فى جنة هان فوتها
عليك وفيها العيش يهنيك صافيا
ولو جيفة الدنيا تفوت لسارعت
بذاك الى حرب على الرأس ساعيا
ستدرى على أى تقاسى تحسرا

عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا الورد الخامس يشبه الورد السابع من النهار قبل الغروب في فضل وقتيهما وهذا قبل الفجر الثاني والفجر الثاني هو انشقاق شفق الشمس وهو بدو بياضها الذي تحته الحمرة وهو الشفق الثاني على ضد غروبها لان شفقها الاول من العشاء وهو الحمرة بعد الغروب ثم بعد الحمرة البياض وهو الشفق الثاني من أول الليل وهو آخر سلطان الشمس وبعد البياض سواد الليل وغسقه ثم ينقلب ذلك الى الضد فيكون بدو طلوعها الشفق الاول وهو البياض وبعده الحمرة وهو شفقها الثاني وهو أول سلطانها من آخر الليل وبعده طلوع قرص الشمس والفجر هو انفجار شعاع الشمس من الفلك الاسفل اذا ظهرت على وجه الارض الدنيا استتر عينها بالجبال والبحار والاقاليم المسروقة العالية ثم يظهر شعاعها منتشرا الى وسط السماء مرتفعا مستطيرا فهذا آخر الورد الخامس وعنده يكون الوتر فاذا طلع الفجر فقد انقضت أوراد الليل الخمسة ودخلت أوراد النهار فانظر هل دخلت في دخوله عليك في جملة العابدين أم خرج عنك وأنت فيمن الغافلين وتذكر أي لبسة ألبسك فان الليل جعل لباسا هل ألبسك خبيصة النور بيقظتك فترجع بتجارة لن تبور أم ألبسك الليل ثوب ظلمته فتكون ممن مات قلبه بموت جسده بغفلته ثم يقوم العبد حينئذ فيصلي ركعتي الفجر وهما معنى قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم قبل ركعتي الفجر ثم يقرأ أعوذ بالله من الشيطان بعد شهد الله انه لا اله الا هو الى آخرها ويقول وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه وأستودع الله العظيم هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة حتى يؤديها الي وأسأله حفظها حتى يتوفاني الله عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظني بها واحفظها علي وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا وأفضل ما عمل العبد في ورد من أوراد الليل والنهار بعد القيام بفرض يلزمه أو قضاء حاجة لاخيه المؤمن بعينها الصلاة بتدبر الخطاب ومشاهدة المخاطب فان ذلك يجمع العبادة كلها ثم بعد ذلك التلاوة بتيقظ عقل وفراغ هم ثم أي عمل فتح له فيه من فكر أو ذكر برقة قلب وخشوع جوارح ومشاهدة غيب فان ذلك أفضل أعماله في وقته

*(الفصل التاسع)* فيه ذكر وقت الفجر وحكم ركعتيه الاداء والقضاء وحكم الوتر ووقت القضاء له والاداء وفي الشهر ليلتان يعتبر بهما وقت الفجر احداهما يطلع القمر فيها عند طلوع الفجر الاول وهي ليلة ست وعشرين والاخرى يغيب القمر فيها عند طلوع الفجر وهي ليلة اثنتي عشرة من الشهر ومن طلوع الفجر الى طلوع الشمس مقدار ثلثي سبع تلك الليلة وهذا يكون في الصيف ويكون في الشتاء أقل من ذلك لانه يكون نصف سدس تلك الليلة وهذا الورد الاول من النهار ووقت الاداء للوتر من بعد صلاة العشاء الآخرة الى طلوع الفجر الثاني فاذا طلع الفجر الثاني فقد ذهب وقت الاداء وهو وقت القضاء للوتر ثم يصل الوتر حينئذ من لم يكن أداه الى قبل صلاة الصبح فاذا صلى الصبح ذهب وقت قضاء الوتر أيضا ووقت الاداء لركعتي الفجر اذا طلع الفجر الثاني فالمستحب له ان يصليهما في منزله وقبل صلاة الغداة والسنة ان يعجلهما فاذا صلى الصبح ولم يكن صلاهما فقد ذهب وقت الاداء وبقي له وقت القضاء فليمهل حتى تطلع الشمس وتحل الصلاة فليقدمهما على سبحة الضحى وهذا وقت القضاء لركعتي الفجر الى صلاة الظهر فاذا صلى الظهر ولم يكن صلاهما فقد ذهب وقت قضائهما أيضا ومن فاته ورد من الاوراد فاستحب له فعل مثله في وقته أو يتبعه اذا ذكره لا على وجه القضاء فانه لا يقضى الا الفرائض ولكن على وجه التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذ بالعزائم كيلا يعتاد التراخي والترخص ولاجل الخبر المأثور أحب الاعمال الى الله عز وجل أدومها وان قل كيف وفي حديث عائشة رضي الله عنها الوعيد على ترك العادة في العبادة مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم من عبد الله تعالى عبادة ثم تركها ملالة مقته الله تعالى وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه النوم

ويبدو غدا ما كان في اليوم ثانيا
اللهم انا نسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي ومالي وأهلي ومن الماء البارد عند العطش
العائق الثالث الشيطان قال الله سبحانه وتعالى ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وقال عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير م عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال تعالى اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم م عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد الا وكل به قرينه من الجن قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من بني آدم مولود الا يمسه الشيطان حين ولد

أو جاءته مرض فلم يقم في تلك الليلة صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة ومن دخل المسجد لصلاة الصبح ولم يكن صلى ركعتى الفجر فهى بمنزلة صلاتهما ولجزأتا عنه تحية المسجد ومن كان قد صلاهما في بيته نظر فان كان دخوله المسجد بغلس عند طلوع الفجر واشتباك النجوم صلى ركعتين تحية المسجد وان كان دخوله عند امحاق النجوم ومسفرا عند الاقامة قعد ولم يصل ركعتين لئلا يكون جامعا بين صلاة الصبح وبين صلاة قبلها ولا يصلى بعد طلوع الفجر الثانى شيأ الا ركعتى الفجر فقط ومن دخل المسجد ولم يكن صلى ركعتى الفجر فان كان قبل الاقامة صلاهما وان دخل وقت الاقامة وقد افتتح الامام الصلاة فلا يصليهما وليدخل في الصلاة المكتوبة فانه أفضل والنهى فيه وردنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة وليقل من قعد في المسجد من غير صلاة ركعتين تحية المسجد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر هذه الاربع كلمات يقولها أربع مرات فانها عدل ركعتين في الفضل وكذلك من دخله وكان على غير وضوء أو مر في المسجد عابر طريق ومن دخل مسجدا فلا يقعد حتى يصلى ركعتين واكره دخول المسجد والقعود فيه على غير وضوء

*(الفصل العاشر)* فيه معرفة الزوال و زيادة الظل ونقصانه بالاقدام واختلاف ذلك في الصيف والشتاء قال الله جلت قدرته الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين الآية الى قوله عدد السنين والحساب وقال سبحانه الشمس والقمر بحسبان وفى حديث أبى الدرداء وكعب الاحبار فى صفة هذه الامة راعون الظلال لاقامة الصلاة وأحب عباد الله تعالى الى الله عز وجل الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله عز وجل وقال بعض العلماء بالحساب والاثر من أهل الحديث ان الليل والنهار أربع وعشرون ساعة وان الساعة ثلاثون شعيرة يأخذ كل واحد منهما من صاحبه فى كل يوم شعيرة حتى تستكمل الساعة فى شهر و بين أول الشهر وآخره ثلاثون درجة الشمس كل يوم فى درجة قال وتفسير ذلك انه اذا مضى من ايلول سبعة عشر يوما استوى الليل والنهار ثم يأخذ الليل من النهار من ذلك اليوم فى كل يوم شعيرة حتى يستكمل ثلاثين يوما فيزيد ساعة حتى يصير سبعة عشر يوما من كانون الاول فينتهى طول الليل وقصر النهار وكانت تلك الليلة أطول ليلة فى السنة وهى خمسة عشر ساعة وكان ذلك اليوم أقصر يوم فى السنة وهو تسع ساعات ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضى سبع عشرة ليلة من آذار استوى الليل والنهار وكان كل واحد منهما اثنى عشر ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضى سبعة عشر يوما من حزيران كان نهاية طول النهار وقصر الليل فيكون النهار يومئذ خمسة عشر ساعة والليل تسع ساعات ثم ينقص من النهار كل يوم شعيرة حتى اذا مضى سبع عشرة ليلة من ايلول استوى الليل والنهار ثم يعود الحساب على ذلك قال فى مواقيت الصلاة من ذلك ان الشمس اذا وقفت فهو قبل الزوال فاذا زالت بأقل القليل فذلك أول وقت الظهر فاذا زادت على سبعة أقدام بعد الزوال فذلك أول وقت العصر وهو آخر وقت الظهر قال والذى جاء فى الحديث ان الشمس اذا زالت بمقدار شراك فذلك وقت الظهر الى ان يصير ظل كل شئ مثله فذلك آخر وقت الظهر وأول وقت العصر وهكذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول يوم ثم صلى من الغد الظهر حين صار ظل كل شئ مثله فذلك آخر وقت الظهر وأول وقت العصر ثم صلى العصر حين صار ظل كل شئ مثليه وقال ما بين هذين وقت فاذا أردت أن تقيس الظل حتى تعرف ذلك فانصب عودا أوقم قائما فى موضع من الارض مستو ثم اعرف موضع الظل ومنتهاه نقطا على موضع الظل خطا ثم انظر أينقص الظل أم يزيد فان كان الظل ينقص فان الشمس لم تزل بعد ما دام الظل ينقص فاذا قام الظل فذلك نصف النهار ولا يجوز فى هذا الوقت الصلاة فاذا زاد الظل فذلك زوال الشمس الى طول ذلك الشئ الذى قست به طول الظل وذلك آخر وقت الظهر فاذا زاد الظل بعد ذلك قدما فقد دخل

فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيأ قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه و يقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه ت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة بابن آدم فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء م عن عثمان بن العاص رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى يلبسها فقال رسول الله ذلك الشيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فاذهب الله عنى قال النووى رحمه الله الصحيح ان ابليس كان من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن فلما عصى الله تعالى صار من الكافرين

وقت العصر حتى يزيد الظل طول ذلك الشيء مرة أخرى فذلك وقت العصر الثاني فاذا قمت فاقمت تريد ان تقيس الظل بطولك فان طولك سبعة أقدام بقدمك سوى قدمك التي تقوم عليها فاذا قام الظل فاستقبل الشمس بوجهك ثم مر انسانا يعلم طرف ذلك بعلامة ثم قس من عقبك الى تلك العلامة فان كان بينهما أقل من سبعة أقدام سوى ما زالت عليه الشمس من الظل فانك في وقت الظهر ولم يدخل وقت العصر حتى يزيد الظل على سبعة أقدام سوى ما تزول الشمس عليه من الظل فذلك وقت العصر ثم ان الاقدام تختلف في الشتاء والصيف فيزيد الظل وينقص في الايام فعرفت ذلك ان استواء الليل والنهار في سبعة عشر يوما من آذار فان الشمس تزول يومئذ وظل الانسان ثلاثة أقدام وكذلك ظل كل شيء تحسبه فان الشمس تزول يومئذ وظل كل شيء ثلاثة أسباعه ثم ينقص الظل وكلما مضى ستة وثلاثون يوما نقص الظل قدما حتى ينتهي طول النهار وقصر الليل في سبعة عشر يوما من حزيران فتزول الشمس يومئذ وظل الانسان نصف قدم وذلك أقل ما تزول عليه الشمس ثم يزيد الظل فكلما مضت ستة وثلاثون يوما زاد الظل قدما حتى يستوي الليل والنهار في سبعة عشر يوما من ايلول فتزول الشمس يومئذ والظل على ثلاثة أقدام ثم يزيد الظل وكلما مضى أربعة عشر يوما زاد الظل قدما حتى ينتهي طول الليل وقصر النهار وذلك في سبعة عشر يوما من كانون الاول فتزول الشمس يومئذ على تسعة أقدام ونصف قدم وذلك أكثر ما تزول الشمس يومئذ عليه ثم كلما مضى أربعة عشر يوما زاد الظل قدما حتى ينتهي الى سبعة عشر يوما من آذار فذلك استواء الليل والنهار وزوال الشمس على ثلاثة أقدام وذلك دخول الصيف وزيادة الظل ونقصانه الذي ذكرنا في كل ستة وثلاثين يوما قدم في الصيف والقيظ وزيادته في كل أربعة عشر يوما قدم في الربيع والشتاء وهذا ذكره بعض علماء المتأخرين من أهل العلم بالنجوم وقد ذكر غيره من القدماء عن سلمة بن داود ذكر زوال الشمس بالاقدام في شهر تشرين وخالف هذا في حدين من نهاية الطول والقصر قدمين فذكر ان أقل ما تزول عليه الشمس في حزيران على قدمين وان أكثر ما تزول عليه الشمس في كانون ثمانية أقدام فكان الاول هو أدق تحديدا وأقوم تحريرا وذكر ان الشمس تزول في ايلول على خمسة أقدام وفي تشرين الاول على ستة وفي تشرين الاخير على سبعة وفي كانون على ثمانية قال وذلك منتهى قصر النهار وطول الليل وهو أكثر ما تزول عليه الشمس قال ثم ينقص الظل ويزيد النهار فتزول الشمس في كانون الاخير على سبعة أقدام وتزول في شباط على ستة أقدام وفي آذار على خمسة وذلك استواء الليل والنهار وتزول في نيسان على أربعة أقدام وتزول في ايار على ثلاثة أقدام وتزول في حزيران على قدمين فذلك منتهى طول النهار وقصر الليل وهو أقل ما تزول الشمس عليه فيكون النهار حينئذ خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وتزول الشمس في تموز على ثلاثة أقدام وفي آب على أربعة أقدام وفي ايلول على خمسة أقدام وفيه يستوي الليل والنهار وقد روينا عن سفيان الثوري رحمه الله أكثر ما تزول عليه الشمس تسعة أقدام وأقل ما تزول عليه قدم وهذا أقرب الى الاول في التحديد وقد جاء في ذكر الاقدام لوقت الصلاة أثر من سنة فلذلك ذكرناه لما شرحه من عدد روينا عن أبي مالك سعد بن طارق الاشعري عن الاسود بن يزيد عن ابن مسعود قال كان قدر صلاة الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصيف ثلاثة أقدام الى خمسة أقدام وفي الشتاء خمسة أقدام الى ستة أقدام ومن قول الخطاب ان معرفة الزوال بهذا التحديد ليس بفرض ولكن صلاة الظهر بعد تيقن زوال الشمس فمن لم يعرف متى زالت الشمس مبلغ علمك ويقين قلبك وتنظر بعينك فكانت الشمس على حاجبك الايمن في الصيف اذا استقبلت القبلة فقد زالت لا شك فيه فصل الى ان يكون ظل كل شيء مثله فهذا آخر وقت الظهر وأول وقت العصر ثم صل العصر الى ان يصير ظل كل شيء مثليه فهذا آخر وقت العصر المستحب ثم الى ان تصفر الشمس وتتدلى للغروب فهذا وقت الضرورات وهو مكروه الا لمريض أو معذور وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أدرك من العصر ركعة قبل ان تغرب الشمس فقد أدرك العصر ومن أدرك من الصبح ركعة قبل

وأما التطلع الى يوم الدين فزيادة في عمر يشهوتكثير معاصيه وغوايته وفي حياة الحيوان قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام ابليس قال لو نام لوجدنا راحة ولكن لا خلاص للمؤمنين منه الا بتقوى الله تعالى قال في الاحياء من غفل عن ذكر الله تعالى ولو لحظة ليس له قرين في تلك اللحظة الا الشيطان ولذلك قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال عليه السلام ان الله يبغض الشاب الفارغ لان الشاب الفارغ اذا لم يشتغل بظاهر بمباح يستعين به على دينه عشش الشيطان في قلبه وباض وفرخ ثم تزيد فراخه فتبيض وتفرخ مرة أخرى وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوان لان طبعه من النار واذا وجدت النار الحلفاء اليابسة كثر توالدها فلا تزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار ولذلك قال الحسين الحلاج هي نفسك ان لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل انتهى انحواني كان ابليس ... العابد الصابرة فوصف ... انما طرد ابليس لانه لم يسجد لكم فاعجب كيف صالحتموه

ان تطلع الشمس فقد أدرك الصبح فاذا كانت الشمس على حاجبك الايسر وأنت مستقبل القبلة فى الصيف
فان الشمس لم تزل لم تبلغ علك ومنتظر عينك فاذا كانت بين عينيك فهو استواؤها الى كبد السماء تنظر عينك
و يصلح ان تكون قد زالت لقصر النهار وفى أول الشتاء وقد لا تكون زالت اذا طال النهار وتوسط الصيف
فاذا سارت الى حاجبك الايمن فقد زالت فى أى وقت كان ثم ان هذا يختلف فى الشتاء فاذا كانت على حاجبك
الايسر فى الشتاء وأنت مستقبل القبلة فيصلح ان تكون زالت لقصر النهار فى أول الشتاء وقد لا تكون زالت
اذا امتد النهار وفى أول الصيف فاذا كانت الشمس بين عينيك فى الشتاء فقد زالت لا شك فيصلى الظهر فاذا
صارت الى حاجبك الايمن فهذا آخر وقت الظهر فى الشتاء وهو أول وقت الظهر فى الصيف وهذا التقدير
انما هو لاهل اقليم العراق وخراسان لانهم يصلون الى الحجر الاسود وتلقاء الباب من وجهة الكعبة فاما
اقليم أهل الحجاز واليمن فان تقديرهم على ضد ذلك وقبلتهم الى الركن اليمانى والى مؤخر الكعبة فلذلك
اختلف التقدير وتضاد الاختلاف للتوجه الى شطر البيت وتفاوت الامصار فى الاقاليم المستديرة حوله
فهذا كان تقدير المتقدمين وما سوى ذلك من التدقيق والتحرير فمحدث الا انه علم لاهله ومن أشكل
عليه الوقت لجهل بالادلة أو لغيم اعترض فليتحر بقلبه و يجتهد بعلمه ولا يصلى صلاة الا بعد تيقن دخول وقتها
وان تأخر ذلك فهذا أفضل حينئذ ولكن قد جاء فى الخبر ثلاث من مناقب الايمان الصيام فى الصيف واسباغ
الوضوء فى الشتاء وتعجيل الصلاة فى يوم دجن ومن أمثال العرب يوم الدجن يضرب فيه عبد السوء هذا
لان الوقت فى الغيم كأنه يقصر لغيبة الشمس فيغفل الانسان عن مراعاة الوقت أو يتشاغل عنه لان
الفرائض لا تقبل الا عن يقين فاداؤها بعد دخول الوقت على اليقين أفضل من ادائها فى الوقت على الشك ألم
تسمع الى قوله صلى الله عليه وسلم فان غم عليكم فاكملوا عدد شعبان ثلاثين فترك الاحتياط لليقين ومن صلى
وهو يرى انه الوقت أو توجه الى القبلة فيما يعلم ثم تبين له بعد انه صلى قبل الوقت أو صلى لغير القبلة نظر فان
كان فى الوقت أو بعده فلا اعادة للصلاة الا احتياطا وان كان الوقت قد خرج فلا شئ عليه وهو معفو الخطا
وأحب ان يعيد تلك الصلاة متى ذكرها وقال بعض العلماء للشمس سبعة ازولة ثلاثة منها لا يعلم بها البشر
الزوال الاول زوله عن قطب الفلك الاعلى لا يشهده ولا يعلمه الا الله عز وجل والزوال الثانى من وسط
الفلك لا يعلمه من خلق الله تعالى الا خزان الشمس الموكلون بها الذين يرمونها بجبال الثلج ليسكن حرها
و يحبسوا شعاعها عن العالمين و يسوقونها على العجلة المركبة فى الفلك والزوال الثالث يعلمه ملائكة الارض
ثم ان الزوال الرابع يكون على ثلاثة دقائق وهو ربع شعيرة والشعيرة جزء من اثنى عشر جزأ من ساعة فهذا
الزوال تعرفه الفلاسفة من المنجمين اهل العلم بمساحة الفلك وتركيب الافلاك فيه وتقدير سير الشمس فى
الشتاء والصيف فى فلكها منه فيقومون ذلك بالنظر فى المرتجلات الطالعة على التقويم فاذا زالت الشمس
الزوال الخامس نصف شعيرة وهى ست دقائق عرف زوالها أهل الحساب والتقاويم بالاصطرلاب الطالع
فاذا زالت شعيرة وهو الزوال السادس المشترك وهو جزء من اثنى عشر جزأ من ساعة عرف زوالها علماء
المؤذنين وأصحاب مراعاة الاوقات فاذا زالت ثلاث شعيرات فهو الزوال السابع وهو ربع ساعة عرف
الناس كلهم زوالها وعند هذا الوقت صلاة الكافة وهو أوسط الوقت وأوسعه وذلك واسع برخصة الله سبحانه
وتعالى ورحمته وهذا كله ابعد منصب السماء ولاستواء تقويم صنعتها فى الافق الاعلى ولاتقان صنعتها فى
الجو المخترق علوا وفى الاقطار المتسعة المستديرة استواء ومتناسبا وقد روى فى الخبر ان النبى صلى الله عليه
وسلم سأل جبريل عليه السلام فقال هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف هذا فقال بين قولى لا الى نعم
قطعت فى الفلك خمسين ألف فرسخ فكان النبى صلى الله عليه وسلم سأله عن زوالها على علم الله سبحانه وتعالى
به وقد قال بعض الفلاسفة ان السماء تدور كما تدور الرحا فتدير الافلاك بدورانها على القطب ولكن
لا يرى ذلك منها لبعدها وعلوها وتقويم استدارتها وقد ذكره بعض العلماء من السلف فتبارك الله أحسن

وهجر لمونا يا سيدى كم أتقرب منك وأنت تفر منى كم أداريك وأنت تعرض عنى و يحك تم علينا ولا تمر بنا طولك ونحن فى كل ساعة نذكرك يا غدار قد طال دهر التهاجر تعال حتى نصطلح و ينصلح كل حالك وتنهب الاكدار يا هذا دربدنك كالدر بدنياك لو علق بثوبك مسمار رجعت الى ورائك لتقلعه فهذا مسمار الاصرار قد علق بقلبك فلو عدت الى الندم خطوتين لخلصت هيهات صبى الغفلة كلما حركته نام يا مجنون الهوى اما مارستان العزلة وقيد الجوع موافقة بشر ومعروف والا فارستان جهنم وقيد الاغلال وصحبة ابليس كل يوم تحضر المجلس فيقف لك الشيطان على الباب فاذا خرجت كما دخلت قال قد منينا من لا يفلح اللهم اعصمنا من شر الشيطان وجوارحنا من المخالفة والعصيان واغفر لنا ما اقترفنا من الذنوب واستر على جميعنا ما كان من العيوب وارحمنا وأحبابنا ولجميع المسلمين

(العاتق الرابع) النفس قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى أى الا وقت رحمة ربى وقال تعالى والشمس وضحاها أى وضوئها اذا اشرقت والقمر اذا تلاها

الخالقين وذكر بعض العارفين أعجب من هذا والطف من قدرة الله عز وجل وخفي صنعه ذكر ان الليل والنهار أربع وعشرون ساعة وان الساعة اثنا عشر دقيقة كل دقيقة اثنا عشر شعيرة وكل شعيرة أربع وعشرون نفسا فتظهر الانفاس من خزانة الجسم فتنشئ الشعائر وتنشأ الشعائر فتظهر الدقائق فتنتج الساعات وتحرك الساعات فتدور الافلاك وتدور الافلاك فتنشر الليل والنهار في الجو والاقطار وينشر الليل والنهار فتدور السماء في الآفاق وينعقد الحسبان بالتفصيل فاذا انقضى الاحساس انقطعت الانفاس فانفكت الافلاك فعندها تنتثر النجوم وتنشق السماء وتخرب الديار وتظهر دار القرار فسبحان الله الطف الصانعين واقهر القادرين وقد قال سبحانه وتعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت وقال سبحانه وتعالى يوم تمور السماء مورا ويعني تدور دورا فسبحان اللطيف الحكيم أدار تلك الافلاك الكثاف بهذه الانفاس اللطاف كما حجب الفلك الكثيف بستر الفضاء اللطيف فالفلك العظيم لا يحجب السماء والفضاء الرقيق يحجب الفلك لانه أراد سبحانه وتعالى ان يرينا السماء وأحب ان يخفي عنا الفلك فلم نر الا ما أرانا فالعبد هو سبب ذلك ومحرك الفلك ولا يشعر بذلك فداره أنفاسه وأنفاسه ساعاته وساعاته عمره وعمره أجله وأجله آخرته وهو في غفلة بدنياه وفي لعب بعلم يراه فان نظرت الى السماء رأيتها تنشئ الانفاس وان نظرت الى الانفاس رأيتها تدير الافلاك وان نظرت الى فوق الفوق عميت عما سواه فلا اله الا هو رب العرش العظيم صنع الله الذي أتقن كل شيء ان ربي لطيف لما يشاء سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وسيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى فاما صلاة المغرب فافضل ما صليت فيه اذا دلى حاجب الشمس الاعلى وهو غيبتها عن الابصار روى عن عمر رضي الله عنه انه أخر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة وروينا عن ابن عمر رضي الله عنهما انه أخر المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وأفضل ما صليت فيه عشاء الآخرة اذا غاب البياض الغربي وأظلم مكانه وهو الشفق الثاني الى ما بعد ذلك فتأخيرها أفضل الى ربع الليل ما لم تنم والنوم قبلها مكروه شديد ووقت حسن في سنتان تصلي بمقدار غيبة القمر ليلة ثلاث من الشهر وهذا يكون بعد سبع ونصف من الليل لما روينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي العشاء الآخرة لسقوط القمر ليلة ثلاث وأفضل ما صليت فيه صلاة الصبح اذا طلع الفجر الثاني وهي الصلاة الوسطى التي أفردها الله تبارك وتعالى بالذكر ولانها تختص بمعان ثلاث من التوسط لا توجد في سائر الصلوات منها انها بين الليل والنهار والثاني انها بين صلاتين من صلاة الليل وصلاتين من صلاة النهار والثالث انها متوسطة بين صلاتي جهر وصلاتي مخافتة وأيضا فانها أقصر الصلاة عدد الا ثلاثا ولا أربعا فلما اختصت بتوسط هذه المعاني دون غيرها كانت هي الوسطى وأيضا فان الله تعالى نص على ذكر الفجر في قوله عز وجل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقيل في تفسير ذلك تشهده ملائكة الليل والنهار فكان هذا ذكرا لها بوصف آخر توكيدا للمحافظة عليها فان صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر بطل ما قلناه وثبت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الحق وبه نقول ولا أحسب الخبر الا ثابتا فقد جاء باسناد الصحيحين أخبرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال هي التي شغل عنها أخي سليمان حتى توارت بالحجاب والسنة ان تقرأ في صلاة الصبح بسورة من المثاني أو بطوال المفصل لانها قصرت وعوض عنها طول القيام فان كان أجمع المصلين وأكثر لعددهم اذا توسط الوقت فحسن قبل ان تمحق النجوم فاما ان يؤخر حتى ينتشر البياض تحت الحمرة وذلك هو شيء من شعاع الشمس فلا وان كثر وافضل الائمة ايغاس في الغلس أفضل والمحافظة على أوائل الاوقات من كل صلاة من أفضل الاعمال الا ما ذكرناه من تأخير صلاة العشاء الآخرة لانه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الصلاة في أول الوقت على الصلاة في آخر الوقت كفضل الآخرة على الدنيا وفي الخبر ان العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولما فاته من الوقت الاول خير له من الدنيا

أي تبع طلوعها طلوعها وهو أول الشهر أو غروبها يعني حين كونه بدرا والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها أي الشمس فانها تغيب في الليل والسماء وما بناها أي ومن بناها والارض وما طحاها أي ومن بسطها ونفس وما سواها أي سوى خلقها بتعديل الاعضاء والقوى فالهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها أي طهرها من الاخلاق الذميمة وقد خاب من دساها أي من ذنسها ونقصها وعدلها من الهدى وكيف لا يخيب من دساها وقد وقع كل ذنب وفضيحة وهلاك وكفر في الخلق من أول الخلق الى يوم القيامة من قبل هذه النفس اما بها وحدها كابليس فانه غرق في هلاك الابد بسبب كبر النفس وحسدها الابدنيا وخلق وشيطان واما بمعونتها كآدم فانه اغتر بقول ابليس بسبب شهوة النفس وحرصها على البقاء حتى نزل من قرار الفردوس الى الدنيا الفانية ولقي أولاده ما لقوا الى الابد وكذا قابيل فانه بالحسد والشح قتل هابيل فاسود جسده وتبرأ منه أبواه قيل انه أول من نصب النار وعبدها وكذا هاروت وماروت أوقعتهما الشهوة في المعصية فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب

وما فيها والخبر المشهور ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الاعمال أفضل فقال الصلاة لوقتها وقد جاء في الاثر الوقت الاول رضوان الله عز وجل والوقت الاخير عفو الله تبارك وتعالى قيل فرضوان الله عز وجل يكون للمحسنين وعفو الله سبحانه وتعالى يكون عن المقصرين والوقت الاول من كل صلاة من عزيمة الدين وطريقة المتقين الصلاة الحافظين والوقت الثاني رخصة في الدين وسعة من الله عز وجل درجة الغافلين

*(الفصل الحادي عشر)* فيه كتاب فضل الصلاة في الايام والليالي (ذكر ما جاء في صلاة النهار من الفضائل) روينا عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء عن سعيد بن أبي سعيد الطويل سمع أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى مسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب الله له بكل جلسة ألف ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة وعمرة مبرورة وعن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع أربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان أبواب السماء تفتح في هذه الساعة وأحب ان يرفع لي فيها عمل قيل يا رسول الله فيهن سلام فاصل قال لا وروي عنه صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا صلى أربعا قبل العصر (ذكر صلاة يوم الاحد) وروي عن سعيد بن جبير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله عز وجل له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات وأعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله عز وجل في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر وروينا عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وحدوا الله تبارك وتعالى بكثرة الصلاة في يوم الاحد فانه سبحانه وتعالى واحد أحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين قرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله تبارك وتعالى حاجته كان حقا على الله سبحانه وتعالى ان يقضي حاجته ويبرئه مما كانت النصارى عليه (ذكر صلاة يوم الاثنين) وروينا عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد مرة والمعوذتين مرة فاذا سلم استغفر الله عز وجل عشر مرات وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله عز وجل له ذنوبه كلها وعن ثابت البناني عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ من صلاته قرأ اثنتي عشرة مرة قل هو الله أحد واستغفر الله اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليقم فيأخذ ثوابه من الله عز وجل فأول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يسعون به حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ (ذكر صلاة يوم الثلاثاء) يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة (ذكر صلاة يوم الاربعاء) أبو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث

---

الأخرة فاختار اعذاب الدنيا قال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وعلم حرا لا يوجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالة ولا معصية الا وأصلها النفس ولا يوجد خير ولا فضل الا بجمع الفتح واهاو لله در القائل شعر

توق نفسك لا تأمن غوائلها
فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

وقد حكى في روض الرياحين عن بعضهم قال انكسرت بنا السفينة وبقيت أنا وامرأتي على لوح وقد ولدت في تلك الحالة صبية فصاحت لي وقالت يقتلني العطش فقلت هو ذا يرى حالنا فرفعت رأسي فاذا رجل في الهواء جالس في يده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت احمر وقال هاك اشربا فأخذت الكوز وشربنا منه فاذا هو اطيب من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل فقلت له من أنت يرحمك الله قال عبد لمولاك فقلت بم وصلت الى هذا قال تركت الهوى لمرضاته فاجلسني على الهواء ثم غاب عني فلم أره رضي الله عنه اذا عرفت هذا فاعلم ان طريق الخلاص من شرها ان تلجمها بلجام التقوى التي هي وصية الله لنا ولمن قبلنا من الامم وبها النجاة من الشدائد والنقم وبها الفوز بالدرجات

مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من
ذنبك ودفع الله عز وجل عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ودفع عنه شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي
(ذكر صلاة يوم الخميس) رويناه عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم
الخميس ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب مرة ومائة مرة آية الكرسي وفي
الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة ومائة مرة قل هو الله أحد ويصلي على النبي مائة مرة أعطاه الله عز وجل
ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله
عز وجل وتوكل عليه (ذكر صلاة يوم الجمعة) رويناه عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام اذا
استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين
ايمانا واحتسابا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله تبارك وتعالى
له في الجنة أربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر الله ذنوبه كلها
ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله عز وجل له ألفا ومائتي حسنة ومحا عنه ألفا ومائتي سيئة ورفع له في
الجنة ألفا ومائتي درجة أبو صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الصبح يوم
الجمعة في جماعة ثم جلس في المسجد يذكر الله سبحانه وتعالى حتى تطلع الشمس كان له في الفردوس الاعلى
سبعون درجة بعد ما بين الدرجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة ومن صلى صلاة الجمعة في جماعة كان له
في الفردوس خمسون درجة حضر الجواد خمسين سنة ومن صلى العصر في جماعة فكأنما أعتق ثمانية من
ولد اسمعيل كلهم رب بيت ومن صلى المغرب في جماعة فكأنما حج حجة مبرورة وعمرة متقبلة نافع عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة قرأ في
كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة فانه لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة أو يرى له (ذكر صلاة يوم
السبت) سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ
في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات فاذا فرغ وسلم قرأ آية الكرسي كتب
الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل
حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرشه مع النبيين والشهداء (فضل صلاة الجماعة) أبو كامل عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى أربعين يوما في جماعة لا تفوته التكبيرة الاولى مع الامام كتب الله
عز وجل له براءتين براءة من النار وبراءة من النفاق يذكر ما جاء في صلوات الليل وما دخل فيه من الصلاة
بين العشاءين (صلاة ليلة الاحد) عن مختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرأ في كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة
والمعوذتين مرة ثم استغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي وتبرأ
من حوله وقوته والتجأ الى حول الله عز وجل وقوته وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن آدم صفوة الله
تبارك وتعالى وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد صلى الله عليه وسلم حبيب
الله تبارك وتعالى كان له من الثواب بعدد من دعا لله عز وجل ولدا ومن لم يدع لله عز وجل ولدا وبعثه الله
تبارك وتعالى يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله سبحانه وتعالى يوم القيامة أن يدخله الجنة مع
النبيين (فضل صلاة ليلة الاثنين) رويناه عن الاعمش عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله
وقل هو الله أحد عشرين مرة وفي الركعة الثالثة الحمد مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الركعة الرابعة
الحمد مرة وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم تشهد وسلم وقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله

لنفسه

والخصلة من المركات وهي
العروة الوثقى والبغية
العظمى والتجارة الكبرى
وبها اعتناء أولي النهى
وبها نالت الصوفية أجل
المنى قال الله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا أي
من الكرب والمضايق
ويرزقه من حيث لا يحتسب
ت عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
أكثر ما يدخل الناس
الجنة فقال تقوى الله
وحسن الخلق وسئل عن
أكثر ما يدخل الناس النار
فقال الغم والفرج عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أولى الناس بي المتقون
من كانوا وحيث كانوا
وفضائل التقوى كثيرة
عد الغزالي رحمة الله عليه
اثنتي عشرة منها وهي
مذكورة في هذه الابيات

شعر

فضائل تقوى مدح رب وحفظه
ونصر نجاة من عظام بليغة
واصلاح أعمال وغفران ذنبه
وعز باكرام قبول لطاعة
وبشرى لدى موت وحب الهنا
نجاة من النار الخلود وجنة

وحكى انه جاء سائل يسأل
عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما فقال لابنه اعطه دينارا
فلما ذهب السائل فقال له
ابنه تقبل الله منك يا أبتاه

لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله سبحانه وتعالى حاجته كان حقا على الله عز وجل ان يؤتيه سؤله ما سأل وهي تسمى صلاة الحاجة القاسم بن عبد الرحمن عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة وقل أعوذ برب الفلق خمس عشرة مرة وقل أعوذ برب الناس خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي ويستغفر الله سبحانه وتعالى خمس عشرة مرة جعل الله عز وجل اسمه في أصحاب الجنة وان كان من أصحاب النار وغفر له ذنوب السر وذنوب العلانية وكتب له بكل آية قرأها حجة وعمرة وان مات ما بين الاثنين الى الاثنين مات شهيدا (ذكر صلاة ليلة الثلاثاء) في الخبر من صلى ليلة الثلاثاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واذا جاء نصر الله خمس عشرة مرة بنى الله له بيتا في الجنة عرضه وطوله وسع الدنيا سبع مرات (صلاة ليلة الاربعاء) في الخبر من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرأ في أول ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الناس عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة (فضل صلاة ليلة الخميس) أبو صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله تبارك وتعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حقهما وان كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطي الصديقين والشهداء (فضل صلاة ليلة الجمعة) أبو جعفر محمد بن علي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرة فكأنما عبد الله سبحانه وتعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وروينا عن كثير بن سليم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد مرة والمعوذتين مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر وقال النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا علي من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الازهر يعني ليلة الجمعة ويوم الجمعة (فضل صلاة ليلة السبت) عن كثير بن شنظير عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهودية وكان حقا على الله عز وجل ان يغفر له (ذكر فضل الصلاة بين العشاءين وما يختص به ذلك الوقت في كل ليلة) روينا عن سليمان التيمي ان رجلا حدثه قال قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالصلاة غير المكتوبة قال نعم ما بين المغرب والعشاء أبو صخر سمع محمد بن المنكدر يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الاوابين عبد الرحمن بن الاسود عن أبيه قال ما أتيت عبد الله بن مسعود في تلك الساعة الا وجدته يصلي فقلت له في ذلك فقال نعم ساعة الغفلة يعني بين المغرب والعشاء وسئل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء كان يصنع النبي صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء اذا دخل منزله قال يصلي ثابت البناني قال كان أنس بن مالك يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هي ناشئة الليل حدثنا عن فضيل بن عياض عن ابان بن أبي عياش قال سألت امرأة أنس بن مالك فقالت اني أرقد قبل العشاء فنهاها وقال نزلت هذه الآية فيما بينهما تتجافى جنوبهم عن المضاجع حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال قلت لابي سليمان الداراني أصوم النهار وأقعد تعشي بين المغرب والعشاء أحب اليك أو أفطر النهار وأحيي ما بينهما فقال ان جمعتهما فهو أفضل قلت فان لم يتيسر لي قال فافطر بالنهار وصل بين المغرب والعشاء هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

فقال لو علمت ان الله عز وجل تقبل مني سجدة أو صدقة درهم لم يكن غائب أحب الي من الموت أتدري ممن يتقبل انما يتقبل الله من المتقين واذا كان هذا السيد الجليل يقول ذلك وقد كان لا يأكل طعاما الا وعلى مائدته يتيم وأتته يوما عشرون ألف دينار فلم يقم من مجلسه حتى فرقها وكان يحيي الليل وما بين الظهر والعصر فكيف يحسن باحد ان يظن في نفسه انه من المتقين فعليك يا مسكين بالتقوى فانك لا تدري متى ينزل بك القدر اللازم أين من ملك الدنيا فعمرها وكنز الكنوز فذخرها وقاد الجيوش فزجرها ودانت له البرايا فنهاها وأمرها شتت الموت شمله بعد اجتماع وأذل عزه بعد القوى والامتناع

شعر

المرء ضيف بدار لا مقام بها
فيها الفجائع والروعات ترتدف
واذكر سبيلا قطيعا أنت سالكه
ما عن ورود حياض الموت منصرف
واذكر تجرع كأس أنت شاربها
وأنت منجدل في غمرة تدنف
والنفس في سكرات الموت ذائقة
والقلب في قلق والصدر مرتجف

أفضل الصلوات عند الله عز وجل صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة لا أدري من ذهب أو فضة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنوب عشرين سنة أو قال أربعين سنة أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه أحيا ليلة القدر سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله سبحانه وتعالى أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم محمد بن الحجاج سمع عبد الكريم بن الحرث يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر إذا تكثر قصورنا يا رسول الله قال الله أكبر وأفضل أو قال وأطيب أبو عائشة السعدي وأبو حفص العوفي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا يقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلى آخر الآيتين وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فإذا قام إلى الركعة الثانية يقرأ بفاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله تعالى أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله عز وجل لله ما في السموات إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة بني له في جنات عدن ألف مدينة من الدر والياقوت في كل مدينة ألف قصر في كل قصر ألف دار في كل دار ألف حجرة في كل حجرة ألف صفة في كل صفة منها ألف خيمة في كل خيمة ألف سرير من أصناف الجواهر على كل سرير ألف فراش بطائنها من استبرق وظواهرها من نور منضد والقصر فيه من هذا الطرف من السرير وألف مرفقة من الطرف الآخر فوق تلك الفرش زوجة من الحور العين لا توصف بشيء إلا زادت عليه جمالا ونبلا لا رآها ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا افتتن بحسنها قد ملأت ما كتناها ما بين طرفي السرير على كل زوجة منهن ألف حلة لا تواري حلة حلة ولا تواري الحلل كلها الجلد يرى بعضها من تحت بعض كما يرى السلك من الياقوتة وكما يرى الشراب الأحمر من الزجاجة البيضاء لكل زوجة منهن مائة ألف وصيف ومائة ألف جارية ومائة ألف قهرمان على قصورها وضياعها هذا لها خاصة سوى خدم زوجها في كل خيمة منهن نهر من التسنيم ونهر من الكوثر وعين من الكافور وعين من الزنجبيل وعين من السلسبيل وغصن من شجرة طوبى وغصن من سدرة المنتهى في كل خيمة ألف مائدة من الدر والياقوت أدنى مائدة منها مثل استدارة الدنيا مرتين على كل مائدة منها ألف صحفة صحاف من ذهب مكللة بالدر والجوهر في كل صحفة منها مائة ألف لون من طعام مختلف طعمه ولونه وريحه يعطي الله سبحانه وتعالى وليه المؤمن من القوة ما يأتي على تلك الأطعمة وما لها من الأشربة ويأتي على أولئك الأزواج كلهن في مقدار يوم من أيام الدنيا فسبحان الملك الوهاب القادر على ما يشاء رب العالمين عبد الرحمن بن منصور عن سعد بن سعيد عن كرز بن وبرة قال وكان وبرة من الأبدال قال قلت للخضر عليه السلام علمني شيئا أعمله في ليلي فقال إذا صليت المغرب فقم إلى صلاة العشاء الآخرة مصليا من غير أن تكلم أحدا وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد سبع مرات فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلم أحدا وصل ركعتين واقرأ بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبحانه وتعالى سبع مرات وصل على النبي صلى الله عليه وسلم سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا إله الأولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة

وظلوا ولك بأطباق الثرى وغدوا
منا آنسوك ولا آتوا ولا صرفوا عنك الشدائد بل خلفت منجدلا
فردا وحيدا وولى القوم وانصرفوا
وخلفوك غريبا لا وساد ثم مهدا عن صعيد القبر ملتحف
اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها

(فصل) اعلم أن الحيلة في انقياد النفس لمعالم التقوى أن تذللها وتكسر هواها بحمل أثقال العبادات عليها ومنع شهواتها والاستعانة بالله والتضرع إليه بأن يعينك فإن الدابة الحرون إذا زيد في حملها مع نقص علفها انقادت بعون الله وأما حمل أثقال العبادات عليها فبأن تقسم أوقاتك في يومك وليلتك وتجعل في كل وقت عبادة أو شغلا تستعين به على طاعة الله تعالى من حين تنتبه من نومك إلى نومك بالليل فإذا انتبهت من النوم فاجتهد أن تذكر الله تعالى بقلبك ولسانك وقل الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه البعث والنشور وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يتول عند رد الله تعالى روحه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير إلا

ورجبهما يارب يارب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له أحب ان تعلمني ممن سمعت هذا الدعاء فقال انى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحى اليه وكنت عنده وكان ذلك بحضرتي فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذه الصلاة وهذا الدعاء من داوم عليه بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه دخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه ولهذا فضائل كثيرة اختصرناها للايجاز

*(الفصل الثاني عشر)* في ذكر الوتر وفضل الصلاة بالليل عن مبارك بن عوف الاحمسى عن عمر بن الخطاب قال ان الاكياس الذين يوترون أول الليل وان الاقوياء يوترون آخر الليل وهو أفضل وقد روى في خبران رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضي الله عنه متى توتر فقال من أول الليل قبل ان أنام وقال لعمر رضي الله عنه متى توتر فقال من آخر الليل فقال لابي بكر حذر هذا وقال لعمر قوى هذا وفي بعض الاخبار انه قال لابي بكر مثلك كالذى قال أحرزت نهبى وابتغي النوافلا وقال لعمر انك لقوى مكين وروينا عن عثمان رضي الله عنه انه قال أما أنا فاوتر أول الليل فاذا استيقظت صليت ركعة شفعت بها وترى فما شبهتها الا كالغريبة من الابل ضممتها الى اخواتها ثم أوترت من آخر صلاتي والمشهور عنه من فعله انه كان يحيي الليل كله بركعة واحدة يختم فيها القرآن وهى وتره وروينا عن علي عليه السلام انه قال الوتر على ثلاثة انحاء ان شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين وان شئت أوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وان شئت أخرت الوتر حتى يكون آخر صلاتك وفي حديث ابن عمر صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وهذا أحب الوجوه الى وقال مجاهد قال عبد الله بن عمر من صلى أربعا بعد العشاء كن كعدلهن من ليلة القدر قال حصين فذكرت ذلك لابراهيم فقال كان عبد الله بن مسعود يكره ان تتبع كل صلاة مثلها وكانوا يصلون العشاء ثم يصلون ركعتين ثم أربعا فمن بدا له ان يوتر أوتر ومن اراد أن ينام نام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتروا يا أهل القرآن من كل الليل وقالت عائشة رضي الله عنها قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوله وأوسطه وانتهى وتره الى السحر وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر عند الاذان ويصلي ركعتين عند الاقامة وسأل رجل عليا عليه السلام عن وقت الوتر فسكت عنه ثم خرج اليهم عند الاذان لصلاة الفجر فقال أين السائل عن الوتر هذا وقت وتر حسن أبو امامة عن عمرو بن عنبسة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أقرب ما يكون الرب عز وجل من العبد جوف الليل الاخير فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله سبحانه وتعالى في تلك الساعة فكن أبو ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله أى الليل الصلاة فيه أفضل قال نصف الليل الغابر يعني الباقي وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام أى الليل اسمع فقال ان العرش يهتز من السحر وقد روى في الخبر ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا الا أعطاه وروى في خبر آخر يصلي أو يدعو الا استجاب له وهى في كل ليلة ويقال ان في الليل وقتا الابدان ينام فيه أو تغفل كل ذى عين الا الحي الذى لا يموت فلعلها هذه الساعة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مضى نصف الليل وفي لفظ آخر اذا بقى ثلث الليل الاخير نزل الجبار سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا فقال لا يسأل عن عبادي غيري هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له هل من داع فاستجيب له هل من سائل فاعطيه كذلك حتى يطلع الفجر وفي حديث عمرو بن عنبسة عليك بصلاة آخر الليل فانها مشهودة محضورة يعني يحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار

*(الفصل الثالث عشر)* فيه كتاب جامع ما يستحب ان يقول العبد اذا استيقظ من نومه للتهجد وفي يقظته

غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر واذا لبست ثيابك فانو به ستر العورة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كساني هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه واجتنب الحرير وجوبا وثوب الجمال أدبا ندبا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وروى عنه صلى الله عليه وسلم من ترك لبس جمال وهو يقدر عليه وفي رواية تواضعا كساه الله حلة الكرامة واذا خرجت من بيتك فارفع طرفك الى السماء وقل بسم الله توكلت على الله اللهم انى أعوذ بك ان أضل أو أضل او ازل أو أزل أو اظلم أو أظلم أو اجهل أو يجهل على وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنع أحدكم اذا عسر عليه أمر معيشته ان يقول اذا خرج من بيته بسم الله على نفسي ومالي وديني اللهم رضني بقضائك وبارك لى فيما قدرت لى حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت واذا قصدت قضاء الحاجة فراع سننها وآدابها الى ان تخرج كتنحية ما عليه اسم الله أو القرآن وتقديم اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج وان

عند الصباح ليقل اذا استيقظ من منامه بكرة أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة لله والسلطان لله والبهاء لله
والقدرة لله والعزة لله والتسبيح لله أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور اللهم
انا نسألك ان تبعثنا فى يومنا هذا الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوأ أو نجره الى مسلم فانك قلت وهو
الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل
الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم
الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله بسم الله لا يصرف السوء الا
الله رضيت بالله عز وجل ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير وليقرأ
المعوذتين فاذا أمسى قال مثل ذلك كله الا انه يقول أمسينا وأمسى الملك لله عز وجل أسألك خير هذه الليلة
ولا يدع ان يقول فى كل ليلة بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم
أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ
بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم وان يقل دخوله من الخلاء عند وقت السحر كان أفضل كيلا يشغله عن
الذكر ويجعل ذلك فى آخر النهار أو من أول الليل فقد فعل ذلك كثير من الصالحين وهو حسن الا ان دخول
الخلاء عند الصباح أصلح للجسد من جهة الطب وانظف للطهارة سيما لمن يأكل بالنهار وذكر ما يستحب
من القول اذا أخذ العبد مضجعه للنوم ليقل باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه اللهم ان أمسكت نفسى
فاغفر لها وارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وعلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم البراء بن عازب بأن يقول اذا أخذ مضجعه ليلا اللهم انى وجهت وجهى اليك وفوضت أمرى اليك
والجأت ظهرى اليك رهبة ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذى أنزلت وبرسولك
الذى أرسلت وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول عند النوم اللهم قنى عذابك يوم تبعث
عبادك وانه أمر ان يقال الحمد لله الذى علا فقهر الحمد لله الذى بطن فخبر الحمد لله الذى ملك فقدر الحمد لله
الذى هو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير وليقل بعد ذلك اللهم انى أسألك الراحة بعد الموت والعفو عند
الحساب اللهم انى أعوذ بك من غضبك وسوء عقابك ومن شر عبادك وشر الشياطين وشركهم وليقرأ خمسا
من أول سورة البقرة وثلاثا من آخرها وآية الكرسى والآيتين اللتين بعدها وليقرأ قوله عز وجل والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والآية التى بعدها الى قوله تعالى لقوم يعقلون ويقال من قرأ هذه
الآية عند منامه حفظ عليه القرآن فلم ينسه ولا يدع أن يقرأ آخر بنى اسرائيل الآيتين قل ادعوا الله
أو ادعوا الرحمن وهذه الآية من سورة الاعراف ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام
فانه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه ويستغفر له وليقرأ الخمس الآيات من أول سورة الحديد والثلاث
من آخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما
وجهه وسائر جسده كذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله وفعله وليقرأ عشرا من أول الكهف
وعشرا من آخرها وهذه الآى لقيام الليل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءة قل يا أيها الكافرون
عند النوم وكان عليه السلام يقول ما أرى رجلا مستكمل عقله ينام قبل ان يقرأ الآيتين من سورة
البقرة آمن الرسول وليقل اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى بأحب الاعمال لديك التى
تقربنى اليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى واستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى
اللهم لا تؤمنى مكرك ولا تولنى غيرك ولا ترفع عنى سترك ولا تنسنى ذكرك ولا تجعلنى من الغافلين قال
من قال هذه الكلمات عند نومه أهبط الله سبحانه وتعالى ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا أمنوا
على دعائه وان لم يقم تعبدت الاملاك فى الهواء وكتب له ثواب عبادتهم ثم يسبح الله ويكبره ويحمده

تكشف ثوبك شيأ فشيأ
وتنصب رجلك اليمنى
وتعتمد على اليسرى وان
تبعد ان كنت فى الصحراء
وتستتر عن العيون وان
لا تتبرز فى ظل وطريق
وتحت شجر مثمر وان
لا تبول فى ثقب وسرب
وصلب وان لا تستقبل
الشمس والقمر ولا القبلة
ولا تستدبرها واستقبال
القبلة واستدبارها فى
الصحراء حرام وان تقول
عند الدخول بسم الله اللهم
انى أعوذ بك من الخبث
والخبائث وعند الخروج
غفرانك الحمد لله الذى أذهب
عنى الاذى وعافانى ثم
تستبرئ بقايا البول بتنحنح
ونحوه ثم يضع أصبعه الوسطى
تحت الذكر والسبابة فوقه
من مجامع العروق الى رأس
الذكر ثم ينتره ثلاثا وقل
بعد الاستنجاء اللهم طهر
قلبى من النفاق وحصن
فرجى من الفواحش ولا
تغفل أيها الراحل الى دار
الآخرة عن مثل هذه
الدعوات والسنن ولا
تكسل فى ادخار الخيرات
للمعاد ولا تنس ذكر الله
تعالى وتسبيحه لاسيما فى
الاوقات المعروفة وان من
شئ الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم قال فى
حياة الحيوان وروى أبو
نعيم فى الحلية عن ابن
مسعود رضى الله عنه قال
كنا مع كعب الاحبار وهو

ثلاثا وثلاثين مرة وليكبر ثلاثا وثلاثين مرة وان أحب ربعها خمسا وعشرين مرة فقال سبحان الله والحمد لله
ولا إله الا الله والله أكبر خمسا وعشرين مرة فهي بجمعين له مائة كلمة فهو أخف عليه للمداومة ورويناه
عن مطرف عن الشعبي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين
ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه مقبوض في تلك الليلة اللهم رب السموات السبع ورب
العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك
من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء
وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر وليسبح
ثلاثا وثلاثين مرة وليحمد ثلاثا وثلاثين مرة وليكبر أربعا وثلاثين مرة وان شاء ربعها خمسا وعشرين مرة
وزاد فيها التهليل فهي بجمعين له مائة كلمة فهو أخف عليه للمداومة وقد أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك وندب اليه في أدبار الصلوات الخمس وعند النوم فهذا جامع ما يستحب من قراءة الآي والدعاء عند
النوم وذكر هيئة العبد عند النوم وأحبه المضجع ومعنى الاعتبار بذلك لذوي الابصار ويستحب للعبد أن
ينام على طهارة سابغة والا مسح أعضاءه بالماء مسحا وقد كانوا يستحبون السواك عند النوم فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وكان بعض السلف يجعل عند رأسه سواكه وطهوره فاذا انتبه من الليل
استاك ومسح أعضاءه بالماء مسحا وكانوا يذكرون الله عز وجل بالتلاوة والتسبيح في تقلبهم ويعدون
هذا يعدل قيام الليل وقد روي هذا الخبر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن غيره ورويناه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم نحوه وانه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة من نومه فليعد العبد طهوره
وسواكه عند رأسه وينوي قيام الليل فأي وقت استيقظ توضأ وصلى أو قعد فقرأ أو دعا أو ذكر الله عز وجل
واستغفره أو تفكر في آلائه وعظمته ومعاني قدرته ففي أي وجه أخذ من هذه المعاني فهو ذاكر وقد
استعمل بذلك وقته وتقرب الى الله عز وجل وهو فضل من الله تعالى ورحمته عليه ولا ينبغي للعبد أن يبيت
وله شيء يوصي فيه الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يأمن القبض بالوفاة وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ذلك في قوله لا ينبغي لعبد أن ينام ليلتين وله شيء يوصي فيه الا ووصيته مكتوبة عنده ويقال من مات عن
غير وصية لم يؤذن في الكلام في البرزخ الى يوم القيامة تتزاور الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيما بينهم
الى يوم القيامة فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية فيكون ذلك التحسر عليه بينهم وموت
الفجأة تخفيف ومستحب للمؤمن الفقير التواب الذي لا مال له ولا دين عليه فأما المثقل بالدين والمخلط في
الدين ومن له مال أو هو مصر على مظلمة فان موت الفجأة لهؤلاء عقوبة ومكروه ولا ينبغي للعبد أن يبيت
الا تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعقد على خطيئة ان استيقظ وقد
جاء في الخبر من أوى الى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم وليستقبل في نومه القبلة
واستقبال القبلة على ضربين ان كان مستلقيا فاستقبال القبلة أن يكون وجهه وباطن أخمص قدميه كحال
الميت المسجى وان كان نائما على جنب فاستقبال القبلة أن يكون وجهه وبطنه الى شقه الايمن كهيئة اللحد
في قبره فيصير اليه عن قريب وليذكر بنومه على هذين الحالين عند موته وحين اضطجاعه في قبره وقد
قال الله عز وجل ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا في أحد الوجهين وهو مذهب أهل التفسير أي
يكفتهم ويجمعهم أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها وقد جعل الله سبحانه وتعالى النوم من آياته الدالة
عليه لاهل السمع منه وهو جمع اليقين وقرنه بالابتغاء من فضله فقال عز وجل ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون وكان فقراء أهل الصفة وبعض زهاد التابعين اذا
رقدوا لا يجعلون بينهم وبين الارض شيئا كان أحدهم يباشر التراب بجلده ويطرح ثوبه فوقه ويقول
منها خلقنا كم وفيها نعيدكم كأنهم كرهوا الترفع عليها والوقاية منها بعد ردن ذلك أرق لقلوبهم وأبلغ

عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كعب يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شيء قرأته في كتب الانبياء ان هامة جاءت الى سليمان ابن داود صلوات الله عليهما فقالت السلام عليك يا رسول الله قال وعليك السلام يا هامة أخبريني كيف لا تأكلين من الزرع قالت يا نبي الله ان آدم أخرج من الجنة بسببه فقال كيف لا تشربين الماء قالت لأن الله أغرق قوم نوح فيه فمن أجل ذلك لا أشربه قال سليمان كيف تركت العمران وسكنت الخراب فقال لان الخراب ميراث الله فأنا أسكن ميراث الله قال الله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان فما تقولين اذا جلست فوق خربة قالت أقول أين الذين كانوا يتمتعون بالدنيا ويتنعمون فيها قال سليمان عليه السلام فما صياحك في الدور اذا مررت عليها قالت أقول ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد قال فما لك لا تخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلم بني آدم لانفسهم قال فأخبريني ما تقولين في صياحك قالت أقول تزودوا يا غافلون وتهيؤا لسفركم سبحان

فى فواصلهم ومثل النوم عند أهل الاعتبار مثل البرزخ هو بين الدنيا والآخرة كذلك النوم بين الحياة والموت فاذا كشف حجاب النوم ظهرت الدنيا بالحكمة وكذلك اذا كشف الغطاء ظهرت الآخرة بالقدرة فصارت الدنيا كالاحلام فى النوم وقد قال الله عز وجل وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه وكان بعضهم يقول عجبا لمن يعصى الله عز وجل ثم ينام بعد ذلك وذكر بعض العلماء عن الله عز وجل ان كنتم تعصونى فاخرجوا من بساطى ولا تناموا فى قبضتى وقال لقمان لابنه يابنى ان كنت تشك فى الموت فلا تنم فكما انك تنام فكذلك تموت وان كنت تشك فى البعث فاذا نمت فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك فليتذكر العبد عند نومه حين موته وليعلم ان الله تعالى يكون له بعد موته كما كان العبد له قبل نومه فلينظر على أى حال نام وعلى أى هم توفاه الله عليه وليتذكر بانتباهه البعث فان العبد يبعث على ما مات عليه فى الدنيا فيبعث بهمه ويحشر مع محبوبه كما ينتبه النائم عن همه الى محبوبه الذى نام عنه وفى الخبر ان المرء مع من أحب وله ما احتسب وروى عنه صلى الله عليه وسلم من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة وروينا عن كعب الاحبار قال اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وبيان آخر من الاعتبار لاهل التبصرة والتذكار وليعلم العبد ان الله عز وجل يكون له بعد بعثه من قبره كما كان العبد له بعد بعثه من نومه فلينظر الى أى حال يبعث وان كان العبد لنظر مولاه مكرما ولشأنه معظما ولحرماته معظما والى محبوبه ومرضاته ومسرته من النعيم المقيم مسرعا كان الله تعالى فى آخرته لوجهه مكرما وان كان العبد فى حق مولاه متهاونا وبأمره مستخفا ولشعائره مستصغرا كان الله تعالى له مهينا وبشأنه متهاونا قال الله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء ثم قال قليلا ما تتذكرون موبخا لهم بذلك وقال فى مثله أفنجعل المسلمين كالمجرمين ثم قال ما لكم كيف تحكمون ذاما عائبا لحكمهم ثم أخبر بحكمه فيهم فقال أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون هكذا تقدير الكلام وهو من المقدم والمؤخر فرفع حسناتهم وأخبر بسوء حكمهم ثم ذكر حكمهم عنده فى المحيا والممات فقال سواء محياهم ومماتهم أى كما كانوا فى الحياة كذلك يكونون بعد الوفاة ثم عقب ذلك بذكر عدله فى خلقه فقال وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون فكان هذا فصل الخطاب وتذكار أولى الالباب وقال فى معناه وأمر بتدبر كلامه وأمر بتذكر العقلاء عن خطابه فقال كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب هل يتدبرون فيجدون أنجعل المفسدين كالمصلحين أو نجعل المتقين كالفاسقين وهو قوله تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار فالتدبر والتفهم والتذكر التقوى والعمل وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يعلم منزلته عند الله عز وجل فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله عز وجل ينزل العبد عنده بحيث نزله العبد من نفسه فاذا نام العبد على طهارة وذكر وعن مثل هذه المشاهدة والفكر فان مضطجعه يكون مسجدا وانه يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل فى شعاره ملك فان تحرك فى نومه فذكر الله عز وجل دعا له الملك واستغفر له وفى الخبر اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق فان غلبه النوم حتى يصبح حسب له قيام ليلة وكان نومه عليه صدقة ومن كان هذا وصفه فى منامه يسبق كثيرا من العباد فى قيامهم عن شهود غفلة وسهو وقد روينا فى خبر نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وذكر ما يستحب من القول عند القيام الى التهجد فاذا قام من الليل متهجدا فليقل الحمد لله الذى أحيانى بعد اذ توفانى واليه النشور وليقرأ العشر الاواخر من سورة آل عمران وليستك وليتوضأ ويقول سبحانك وبحمدك لا اله الا أنت أستغفرك وأسألك التوبة فاغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من



خالق النور فقال سليمان عليه السلام ليس من الطيور أنصح لابن آدم وأشفق عليه من الهام وهو ما فى قلوب الجهال أبغض منها انتهى قال القاسم بن مخزوان كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الابيات

شعر

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم
وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لحرقت
مدامع عينيك الدموع السواجم
بلى أصبحت فى النوم الطويل وقد دنت
اليك أمور مفظعات عظائم
فلا أنت فى الايقاظ يقظان حازم
ولا أنت فى النوم ناج وسالم
نهارك يامغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم
وتشغل فيما سوف تكره غبه
كذلك فى الدنيا تعيش البهائم
يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى
كما غر باللذات فى النوم حالم

اللهم اجعلنا الهديك متبعين وبالاخيار مقتدين فاعف عنا وعن أحب واحسن الينا يارب العالمين

(فصل) واذا أردت الوضوء فلا تترك السواك فقد روى البيهقى فى شعب الايمان عن عائشة رضى

التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني صبورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا ثم يرفع رأسه الى السماء فيقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أنا عبدك ابن عبدك ناصيتي بيدك جار في حكمك عدل في قضاؤك هذه يدي بما كسبت وهذه نفسي بما اجترحت لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك أنت ربي انه لا يغفر الذنوب الا أنت فلا اله الا أنت لا اله الا أنت فاذا قام الى الصلاة متوجها فليقل الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم ليسبح عشرا وليحمد عشرا وليهلل عشرا وليكبر عشرا وليقل الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والجلال والعظمة والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ولك الحمد أنت بهاء السموات والارض ولك الحمد أنت نور السموات والارض ولك الحمد أنت زين السموات والارض ولك الحمد أنت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر اللهم يا رب لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت اللهم آت نفسي تقواها اللهم زكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال لا يهدي لاحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت أسألك مسئلة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسؤلين ويا أكرم المعطين ويستحب أن يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ويستحب له أن لا يأكل شيأ ولا يشرب ماء حتى يقضي همته من صلاته فان العبد اذا استيقظ من نومه يكون تمام القلب فارغ الهم فاذا أكل أو شرب تغير قلبه عن هيئته فليغب أكله الا أن يخاف أن يفجأه الفجر ان لم يتسحر أو يشرب فليبدأ حينئذ بذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

*(الفصل الرابع عشر)* في ذكر تقسيم الليل ونومه ووصف القائمين والمتهجدين قد قرن الله سبحانه وتعالى قوّام الليل برسوله المصطفى وجمعهم معه في شكر المعاملة وحسن الجزاء فقال تعالى ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك وقد أخبر الله سبحانه ان قراءة الليل أشد وطأ للقلب وأقوم قيلا للحفظ والذكر أي يواطئ القلب اللسان بالفهم والحفظ وقد سمى الله تعالى أهل الليل علماء وجعلهم أهل الخوف والرجاء وأخفى لهم قرة العين من الجزاء فقال أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ثم قال قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا من المحذوف ضد ملدلالة الكلام عليه والمعنى أمن هو هكذا عالم قانت مطيع لا يستوي مع من هو غافل نائم ليله أجمع فهو غير عالم بما يحذر وبما يرجو من ربه عز وجل وقال عز وجل في وصفهم في الدنيا ووصف ما أعد لهم في الآخرة والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا أي تنبو عن الفراش فلا تطمئن لما فيهما من خوف الوعيد ورجاء الموعود ثم قال فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم قيام الليل وقيل بل كانوا أهل خوف ورجاء وهذان من أعمال القلوب عن مشاهدة الغيوب فلما أخفوا له الاخلاص بأعمال السرائر أخفى لهم من الجزاء نفيس الذخائر ولا تقر أعين هؤلاء المحبين الا بوجهه كما لم يعملوا الا لوجه الله تعالى وقال بعض العلماء في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قال هي صلاة الليل استعينوا بها على مجاهدة النفس ومصابرة العدو ثم قال وانها لكبيرة الا على الخاشعين يعني الخائفين المتواضعين لا تثقل عليهم ولا يجفو بل تخف وتحلو وفي الخبر قيل يا رسول الله ان فلانا يصلي من الليل فاذا أصبح سرق فقال سينهاه ما تقول وقال صلى الله عليه وسلم نعم الرجل

الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضل الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك لها سبعين ضعفا وعن أبي سلمة عن زيد بن خالد الجهني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة قال أبو سلمة فرأيت زيدا يجلس في المسجد وان السواك من اذنه موضع القلم من اذن الكاتب فكلما قام الى الصلاة استاك ثم توضأ محافظا الفرائض من نية رفع الحدث ونحوها عند أول غسل الوجه وغسل الوجه مع ملاقيه من رأس وبزعة ومحل تحذيف واذن وتحت ذقن ولحى ومع شعره الا باطن لحية كثة والا باطن شعر كثيف خرج عن حد الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح بعض بشر الرأس أو شعره الذي لا يخرج عن حد الرأس بالمد في جهة النزول من أي جانب كان من الجوانب وغسل الرجلين مع الكعبين والشقوق والترتيب وتحافظ على سننه من التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق وتخليل اللحية الكثة وتخليل أصابع اليدين والرجلين ومسح جميع الرأس ومسح الاذنين

عبد الله بن عمرو كان يصلي من الليل قال فما فاتته بعد ذلك ليلة حتى يقوم فيها وفي الخبر عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم ومكفر لسيآتكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملقاة للوزر ومذهبة لكيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد وقد جعل الله سبحانه قيام الليل من أوصاف الصالحين بقوله يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الى قوله وأولئك من الصالحين فيستحب من قيام الليل ثلثاه وأقل الاستحباب من القيام سدسه لانا روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم ليلة قط حتى أصبح بل كان ينام منها ولم ينم ليلة حتى يصبح بل كان يقوم منها ويقال ان الصلاة أول الليل للمتهجدين وقيام أوسطه للقانتين وقيام آخره للمصلين والقيام من الفجر للغافلين وحدثنا عن عبد الله بن عمر قال حدثنا يوسف بن مهران قال بلغني ان تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصته من زبرجد أخضر فاذا مضى نصف الليل الاول ضرب بجناحيه وزقى وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقى وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحيه وزقى وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقى وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وقال بعض العلماء أهل الليل على ثلاثة أصناف قوم قطعهم الليل فكأن هؤلاء المريدون ذوو الاوراد والاجزاء كابدوا الليل فغلبهم قال وقوم قطعوا الليل فكان هؤلاء العاملون الذين صبروا وصابروا الليل فغلبوه وقال قوم قطع بهم الليل فكان هؤلاء المحبون والعلماء أهل الفكر والمحادثة وأهل الانس والمجالسة وأهل الذكر والمناجاة وأهل التملق والملاقاة نغص عليهم الليل حالهم وقصر النعيم عليهم ليلهم ورفع الحبيب عنهم نومهم وخفف الفهم عليهم قيامهم وأذهب مزيد الوصل عنهم ملالهم وأوصل العتاب لهم سهرهم وقيل لبعض أهل الليل كيف أنت والليل فقال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته وقال آخر أنا والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال هو ساعة أنا فيها بين حالين أفرح بظلمته اذا جاء وأغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط ولا اشتفيت منه قط وقيل لبعض المحبين كيف الليل عليك فقال والله ما أدري كيف أنا فيه الا أني بين نظرة ووقفة يقبل بظلامه فأتدرعه ثم يسفر قبل أن أتلبسه ثم أنشد

لم أستتم عناقه لقدومه * حتى بدأ تسليمه لوداع

وقال بعضهم

وزارني طيفه حتى اذا * أراد أن يمضي تعلقت به

فليت ليلي لم يزل سرمدا * والصبح لم أنظر الى كوكبه

وشكا بعض المريدين الى أستاذه طول سهره بالليل وان السهر قد أضر به ثم قال أخبرني بشيء أجتلب به النوم فقال له أستاذه يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ بالقلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات ففيها الخيرة فقال يا أستاذ تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار وتذاكر قوم قصر الليل عليهم فقال بعضهم أما أنا فان الليل يزورني قائما ثم ينصرف قبل أن أجلس وقال علي بن بكار منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء الا طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بدخول الظلام لخلوتي فيه بربي فاذا طلع الفجر حزنت لدخول الناس علي وقال أبو سليمان أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وقال أيضا لو عوض الله عز وجل أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه في قلوبهم من اللذة لكان ذلك أكثر من أعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم قيام الليل والتملق للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة أظهر لاهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه الا هم ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم وقال عتبة الغلام كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال يوسف بن اسباط قيام ليلة أسهل علي من عمل تقة وكان يعمل كل يوم عشر قفاف وقال غيره ما رأيت أعجب من الليل اذا اضطربت تحته قلبك وان ثبت له لم يقف وبكى عامر بن عبد الله حين حضرته

والصمادحين والتثليث وتطويل الغرة م عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي أبعد من ايلة الى عدن لهو أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد نجوم السماء واني لاصد الناس عنه كما يصد الرجل ابل الناس عن حوضه قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون الحوض علي غرا محجلين من أثر الوضوء م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرج كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب ت عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد

هكذا بالنسخ التي بأيدينا ولينتأمل فلعل في الكلام سقطا فان ابن عمر لا يحدث عن ابن مهران اه مصححه

الوفاة فقيل له فى ذلك فقال والله ما أبكى حبا للبقاء ولكن أذكر ظمأ الهواجر فى الصيف وقيام الليل فى الشتاء وقال ابن المنكدر ما بقى من لذات الدنيا الا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة فى جماعة وقال بعض العارفين ان الله عز وجل ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملؤها أنوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافى الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء ان الله عز وجل ينظر الى الجنان عند السحر نظرة فتشرق وتضىء موتهم تزورنا بو وتزداد جمالا وحسنا وطيبا ألف ألف ضعف فى جميع معانيها ثم تقول قد أفلح المؤمنون فيقول الله عز وجل هنيأ لك منازل الملوك وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لاأسكنك جبارا ولا بخيلا ولا متكبرا ولا فخورا وينظر الى العرش نظرة فيتسع ألف ألف سعة ويزداد بكل سعة ألف ألف عالم منها كل عالم لا يعلم وسعه الا الله عز وجل ثم يهتز فيثقل على الحملة حتى يموج بعضهم فى بعض ويحطم بعضهم بعضا وهم بعدد جميع ما خلق الله عز وجل وأضعاف ما خلق الله عز وجل فيقول العرش سبحانك أينما كنت وأينما تكون فينادى حملة العرش سبحان من لا يعلم أين هو الا هو سبحان من لا يعلم ما هو الا هو ورويناعن بعض العلماء من القدماء ان الله عز وجل أوحى الى بعض الصديقين ان لى عبادا من عبادى يحبونى وأحبهم ويشتاقون الى وأشتاق اليهم ويذكرونى وأذكرهم وينظرون الى وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لى أقدامهم وافترشوا لى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقونى بانعامى فبين صارخ وباك ومتأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعينى ما يتحملون لاجلى وبسمعى ما يشتكون من حبى أول ما أعطيهم أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارض وما فيهما من موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهى عليهم فترى من أقبلت بوجهى عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل ورتل القرآن كما أمر قرب الجبار تعالى منه قال وكانوا يرون أن ما يجدون فى قلوبهم من الرقة والحلاوة والفتوح والانوار من قرب الرب تعالى من القلب وفى الاخبار عن الجبار عز وجل أى عبدى أنا الله الذى اقتربت لقلبك وبالغيب رأيت نورى وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشىء اذنه لحسن الصوت بالقرآن يعنى ما استمع الى شىء كاستماعه اليه وفى الحديث الآخر لله أشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته وأهل اللهو فى غفلة عما أهل الآخرة فيه وفى عمى عما ينظر هؤلاء الحاضرون اليه وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون بل قلوبهم فى غمرة من هذا وطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ويقال ان وهب بن منبه اليمانى ما وضع جنبه الى الارض ثلاثين سنة كانت له مسورة من أدم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى القيام وكان يقول لان أرى فى بيتى شيطانا أحب الى من أن أرى فيه وسادة يعنى لانها تدعو الى النوم وقال رقبة بن مصقلة رأيت رب العزة تعالى فى النوم فسمعته يقول وعزتى وجلالى لأكرمن مثوى سليمان التيمى فانه صلى الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة ويقال انه كان مذهبه ان النوم اذا خامر القلب وجب الوضوء ويذكر من روى عنه انه أحيا الليل كله ومن اشتهر باحياء الليل كله وصلى الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة أو ثلاثين سنة حتى نقل عنه ذلك أربعون من التابعين منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خيثم والحكم بن عيينة الكوفيان وأبو سليمان الدارانى وعلى بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العباديان وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلمانى الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمى ويزيد الرقاشى وحبيب بن أبى ثابت

أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وفى الدرة الفاخرة للغزالى روى عن غير واحد من الموتى انه رؤى فى النوم فقيل له كيف حالك فقال صليت يوما بلا وضوء فوكل على ذئب يروعنى فى قبرى فحالى معه فى سوء حال يا اخوانى اجتهدوا فى العمل الذى يرضى ربنا فقد سار المتقون ورجعنا ووصلوا وانقطعنا ونجوا من الاشر الذى وقعنا يا اخوانى زرع أعماركم قد دنا الحصاد وزاد أيامكم قد أذن بالنفاد ونوم غفلتكم قد أطال الرقاد فستندمون حين يفر الوالد من الاولاد فأين الحسرات على فوات أمس وأين العبرات على مقاساة ظلمة الرمس أين ما أعددتموه ليوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا هل اذا خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا الهمس وتعلق الصحائف فى النحور وتعود النيران فى الصدور وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه فى قول الله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى قال تلقى الوالدة ولدها يوم القيامة تقول له يا بنى ألم يكن بطنى لك وعاء ألم يكن ثديى لك سقاء

ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم فى الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع فقرأه مرة أخرى وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن المنكدر فى جماعة يكثر عددهم هؤلاء المشهورون منهم فان أحب المريد نام ثلث الليل الاول وقام نصفه ونام سدسه الاخير وان أراد نام نصف الليل وقام ثلثه ونام سدسه فقد روى ان هذا من أفضل القيام وانه كان قيام نبى الله عز وجل داود عليه السلام جاء ذلك فى روايتين وان أحب العبد قدم القيام فيهما وأخره الى السحر فان قام نصف الليل قسم نومه فى أول الليل وآخره فان قام ثلث الليل نام سدسه الاخير وان اختار أن يقوم من أول الليل حتى يغلبه النوم ثم ينام ثم يقوم متى استيقظ ثم ينام متى غلبه النوم ثم يقوم آخر الليل فيكون له فى الليل نومتان وقومتان فهذا من مكابدة الليل وهو من أشد الاعمال وهذه طريقة أهل الحضور واليقظة وأهل التذكار والتذكرة فقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس بن مالك ما كنت تريد أن ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما الا رأيته ولا كنت تريد أن تراه قائما الا رأيته وكان هذا مذهب ابن عمر وأولى العزم من الصحابة فى قيام الليل وفعله جماعة من التابعين وقد رأينا من كان له فى الليل قومات ونومات فى تضاعيف ذلك فاما أن يكون المنام والقيام موزونا معدلا فليس ذلك الا للنبى بقلب دائم اليقظة بوحى من الله عز وجل ولا يسلك هذا الطريق الا بأسباب هى زاد ملان كل طريق يقطع بزاد مثله فمن أراده احتقب وأخذ من زاده فالاسباب أحدها هم يلزم القلب وحزن يسكن فيه أو يقظة دائمة يصحبها القلب وفكر فى الملكوت متصل وخلو المعدة من الطعام وقلة الشرب وأن يقيل بالنهار ولا يكثر تعب جوارحه فى أمر الدنيا فهذه رياضة المريد الى أن يألف القيام وليستوطن حينئذ فيتجافى جنبه لما فى قلبه من الخوف والرجاء الذى قد استكن فيه * وروى عن الله سبحانه وتعالى ان عبدى الذى هو عبدى حقا الذى لا ينتظر بقيامه صياح الديك فهذا حث على القيام قبل السحر ونوم آخر الليل نستحبه لمعنيين أحدهما انه يذهب بالنعاس بالغداة وقد كانوا يكرهون النعاس بالغداة ويأمرون الناعس بعد صلاة الصبح بالنوم والمعنى الثانى انه يقل صفرة الوجه فلو قام العبد أكثر الليل ونام سحرا ذهب نعاسه بالغداة وقلت صفرة وجهه ولو نام أكثر الليل وسهر من السحر جلب عليه النعاس بالغداة وصفرة الوجه فليتق العبد ذلك فانه باب غامض من الشهرة والشهوة الخفية وليقل شرب الماء بالليل فقد يكون منه الصفرة سيما فى آخر الليل وبعد الانتباه من النوم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى أهله دنا منهن والا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة وقالت أيضا ما ألفيته السحر الاعلى الا نائما تعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الخبر الآخر كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أوتر من آخر الليل اضطجع على شقه الايمن ضجعة حتى يأتيه بلال فيخرج معه الى الصلاة فقد كان السلف يستحبون هذه الضجعة بعد الوتر وقبل صلاة الصبح حتى قال بعضهم فهى سنة منهم أبو هريرة ومروان والنوم من آخر الليل وفى الثلث الأخير مزيد لاهل المشاهدة والحضور لانه كشف لهم عن الملكوت واستماع العلوم من الجبروت وهو راحة وسكن للعمال وأهل المجاهدة ولذلك حظرت الصلاة بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر ليستريح عمال الله عز وجل وأهل أوراد الليل والنهار فيهما والنوم من آخر الليل هو نقصان لاهل السهو والغفلة من حيث كان مزيدا لاهل الشهود واليقظة لانه آخر خدمة أولئك ففيه راحتهم وهو تطاول النوم والغفلة بهؤلاء فهو نقصهم وليفصل العبد فى تضاعيف صلاة الليل بجلوس يسبح فيه مائة تسبيحة فذلك ترويح له وعون على الصلاة وهو داخل فى قوله تعالى ومن الليل فسبحه وأدبار السجود أى اعقاب الصلاة فى أحد الوجهين على قراءة من نصب وان أراد المريد احياء الوردين اللذين من أول الليل أحدهما بين العشاءين والثانى قبل نومة الناس فان احياء هذين الوردين عند بعض العلماء أفضل من صيام يوم ثم ليقم الورد الرابع وهو ما بين الفجرين وهو أول ثلث الليل الاخير أو الورد الخامس وهو السحر الاخير



ألم يكن يجرى لك وطاعة فيقول بلى يا أماه فقالت وللّه يا بنى قد أثقلتنى ذنوبى فتحمل عنى منها ذنبا واحدا فيقول اليك عنى فانا مشغول بنفسى عنك وعن غيرك ووجد على قبر مكتوبا

(شعر)

أنا مشغول بذنبى * عن ذنوب العالمينا
وخطايا أثقلتنى * تركت قلبى حزينا
صرت فى الارض وحيدا * فى جوار الهالكينا
بعدما كنت جليلا * فى عيون الناظرينا
صرت فى ظلمة قبرى * ثاويا فيها رهينا
وتركت المال والاهـ * ـل لغيرى والبنينا
ولقد عمرت دهرا * وشهورا وسنينا
فى نعيم وسرور * فوق وصف الواصفينا
وملكت الشرق والغرب * وكان الملك فينا
وفتحت المدن قهرا * وغلبت الغالبينا
فأتى الموت علينا * بعد هذا مغنينا
أيها المغرور بادر * لثواب الصالحينا
والذى صح لدينا * وعلمناه يقينا
ان حيا ليس يبقى * غير رب العالمينا

اللهم صل على محمد وآله واجعلنا تحت قيد شرعك واغفر لنا وارحمنا أنت

قبل طلوع الفجر الثاني وهو يصلح القراءة والاستغفار ان كان لم يعتد القيام في جوف الليل وفي خبر أبي موسى ومعاذ لما التقيا قال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل قال أقومه أجمع لا أنام منه شيأ وأتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكني أنام ثم أقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابي موسى معاذ أفقه منك وقد كان بعضهم لا ينام حتى يغلبه النوم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فان انتبهت ثم عدت الى نومة أخرى فلا أنام الله عيني وسئل زرارة الشامي عن وصف الابدال وكانوا يظهرون له فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وصمتهم حكمة وعلمهم قدرة وقيل لآخر صف لنا الخائفين فقال أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى ولا يدع العبد أن يقوم مقدار خمس الليل أو سدسه وهو ورد من أوراد الليل أو وردان على اختلافهما في الطول والقصر متفرقا كان قيامه أو متصلا وأي ورد أحيا من الليل بأي نوع من الاذكار فقد دخل في أهل الليل وله معهم نصيب ومن أحيا أكثر ليلته أو نصفها كتب له احياء جميعها وتصدق عليه بما بقي منها ومن صلى في ليلة عشرين ركعة وأوتر بعدها بثلاث حسب له كأنه أحياها بفضل الله ورحمته وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة نصف الليل وليلة ثلثه وليلة ثلثيه وذلك مذكور في أول الآيتين من قيام الليل في سورة المزمل وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة نصف الليل ونصف سدسه ويقوم ليلة ربعه ويقوم ليلة سدس الليل حسب وذلك مذكور في آخر الآيتين من قيام الليل وهذا على قراءة من كسر ونصفه وثلثه فأما من نصب فقال ونصفه وثلثه فانه يعني يقوم النصف مع نصف السدس والنصف وحده والثلث وحده وهو الذي ذكرناه من الآية الاولى وقد جاء في التفسير نحو هذا وهو صلى الله عليه وسلم مفترض عليه صلاة الليل فالآية الاولى أمره تعالى بقيام الليل فيها والاخرى أخبر عنه بقيامه كيف هو فالاجود ان يكون ما أخبر عنه موافقا لما أمر به فالذي أمر به انه قال تعالى قم الليل ثم استثنى القليل منه فقال الا قليلا ثم فسر أمره فقال نصفه أو انقص منه قليلا يعني والله أعلم انقص نصف السدس أو نصف الثلث هذان أقل اسماء النقصان عند العرب ثم قال أو زد عليه يعني رد على النصف كأنه رد عليه نصف سدس الليل لانه أخبر عنه في الآية الاخرى بأقل من الثلثين فقال ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل يكون هذا نصفا ونصف سدس وهو أقل التسمية عندهم ثم قال ونصفه أي ويعلم انك تقوم نصفه أيضا وثلثه أي وتقوم ثلثه فهذه الاخبار اشبه بوطء الامر من قراءة من كسر فقال ونصفه وثلثه يريد وتقوم أدنى من نصفه وهو الربع او الثلث وأدنى من ثلثه وهو السدس أو نصف السدس وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل اذا سمع الصارخ يعني الديك فهذا يكون من السحر فقط فكان هذا يكون سدس الليل أو نصف سدسه ففيه رخصة وتوسعة لقوام الليل قلنا هذا تقريب لا تحديد والله أعلم والنصب اختيارنا في القراءة على معنى كثرة القيام وموافقة الخبر عنه للامر وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذا قد يكون أربع ركعات وقد يكون ركعتين وقال أبو سليمان من أحسن في نهاره كوفي في ليله ومن أحسن في ليله كوفي في نهاره وكان يقول أهل الليل على ثلاث طبقات منهم اذا قرأ متفكرا بكى ومنهم اذا تفكر صاح وراحته في صياحه ومنهم من اذا قرأ وتفكر مر مثل بيلتو ولم يعرف ماشانه من أي شي صاح هذا ومن أي شي بهت هذا فقال لا أقوى على التفسير وقال رجل للحسن يا أبا سعيد اني أبيت معافى واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا أقوم فقال ذنوبك قيدتك يا ابن أخي وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم قال أظن ليل هؤلاء ليل سوء ما يقيلون وقال بعض السلف كيف ينجو التاجر من سوء الحساب وهو يلهو بالنهار وينام بالليل وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل له وما هو قال رأيت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت ما بالك أتاك نعي بعض

مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
* (فصل) فان لزمك غسل من جنابة أو حيض أو نفاس فراع أركانه وسننه فانو رفع الحدث أو نحوه وازل ما على بدنك من القذر ثم توضأ كاملا بنية رفع الحدث الاصغر وان تجردت الجنابة عن الحدث فانو به سنة الغسل ثم تعهد معاطفك وأصول شعرك ثم أفض على رأسك ثلاثا ثم على شقك الايمن ثلاثا ثم الايسر ثلاثا وادلك في كل مرة وان اغتسلت في ماء راكد فانغمس فيه ثلاثا وادلك في كل مرة ويسن ان لا ينقص ماء الوضوء عن مد وماء الغسل عن صاع اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عن محمد الباقر قال كان عند جابر وعنده قوم فسألوه عن الغسل فقال يكفيك صاع فقال رجل ما يكفيني فقال جابر كان يكفي من هو أوفى منك شعرا وخيرا منك يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير الاسلام ان تشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتعتمر وتغتسل من الجنابة وتتم الوضوء وتصوم رمضان وعن علي رضي الله عنه قال

أهلك فقال أشد مقتك وجمع يؤملك قال أشد قلت فما الذي قال بأبي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته وقال محمد بن شبانة سمعت بعض الشيوخ الثقات المستورين ببغداد يقول سمعت ابن الصائغ البقال بدينور يقول كان بدينور سجان قال إني بقيت على باب السجن نيفا وثلاثين سنة فما من أحد حمل إلى السجن من الذين أخذهم الطوف بالليل إلا سألته فقلت له هل صليت صلاة العشاء الآخرة في جماعة إلا قال لا وقال أبو سليمان لا يفوت أحدا صلاة في جماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد فكأنه بعد من الصلاة والتلاوة إذ فيهما القرب ومن هذا قوله تعالى فبصرت به عن جنب وكان الحسن يقول إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار وقال بعض العلماء إذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر فإن العبد ليأكل الأكلة فيتقلب قلبه عما كان عليه فلا يعود إلى حاله الأولى وقال آخر كم من أكلة منعت قيام الليل وكم من نظرة حرمت قراءة سورة وإن العبد ليأكل الأكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة فبحسن التفقد تعرف المزيد من النقصان وبقلة الذنوب يوقف على التفقد وكان الفضيل يقول لو رزقت من فهم القرآن وقيام الليل في طول أمري ما رزقت الآن ما كتبت حديثا قط ولا اشتغلت بغير القرآن ويقال إن طول القيام راحات القيامة وإن صلاة الليل كفارات الكبائر وقيل إنه جبران لما انتقص من الفرائض من صلاة الليل وقد كانوا يستحبون في صلاة النهار كثرة الركوع والسجود وفي صلاة الليل طول القيام واعلم أن صلاة الليل نافلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان متمم الفرائض وصلاة الليل تكملة لفرائضنا وفي الخبر إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فإن قعد وذكر الله انحلت عقدة وإذا توضأ انحلت عقدة وإن صلى ركعتين انحلت العقد كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح كسلان خبيث النفس وفي الخبر أن الرجل إذا نام حتى يصبح بال الشيطان في أذنه وقد روينا في الخبر أن للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فإذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا ألعقه ذرب لسانه بالشر وإذا ذره نام بالليل حتى يصبح ويستعان على قيام الليل بثلاث أكل الحلال والاستقامة على التوبة وغم خوف الوعيد أو شوق رجاء الموعود والذي يحرم العبد به قيام الليل أو يعاقب معه بطول الغفلة ثلاث أكل الشبهات أو إصرار على الذنب وغلبة هم الدنيا على القلب

*(الفصل الخامس عشر)* في ذكر ورد العبد من التسبيح والذكر والصلاة في اليوم والليلة وفضل صلاة الجماعة وذكر أفضل الأوقات المرجو فيها الإجابة وذكر صلاة التسبيح وما يستحب أن يكون شعاره ليكن للعبد في كل يوم وليلة ورد من التسبيح وأقل ذلك تسعمائة مرة من أنواع الأذكار التي وردت بها الأخبار فليقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير مائة مرة فإذا قال ذلك مائتي مرة لم يعمل أحد في يومه أفضل من عمله بأثر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله مائة مرة وليقل اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي مائة مرة وليقل أستغفر الله الحي القيوم وأسأله التوبة مائة مرة وليقل سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة وليقل لا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة مرة وليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله مائة مرة يقول هذا في كل يوم وفي كل ليلة فإن رزق مزيدا عليه فهو فضل وإلا كان هذا معلومه وقد كان في الصحابة من ورده في كل يوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان من التابعين من ورده كل يوم ثلاثون ألفا وروينا عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله عز وجل بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب رواه أبو داود والنسائي وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا تقربهم الملائكة جيفة الكافر والمتضمخ بالخلوق والجنب إلا أن يتوضأ رواه أبو داود وعن ابن عمر قال كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل الثوب من البول سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل حتى جعلت الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل الثوب من البول مرة رواه أبو داود وفي العوارف حكى عن ابن الكرنبيني أنه أصابته جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة فجاء إلى دجلة وكان برد شديد فحرنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت أن لا أنزعها من بدني حتى تجف علي فلم تجف عليه شهرا كاملا لثخانتها وغلظها أدب بذلك نفسه لما حرنت عند الائتمار لأمر الله تعالى وقيل كان بعضهم على وجهه قروح لم يغسله اثنتي عشرة سنة لأن الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد

من الجنة أو يرى له وهو هذا التسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان وان كان للعبد من الصلاة أوراد معلومة فحسن قد فعل كان من التابعين من ورده في كل يوم ثلثمائة ركعة وأربعمائة ركعة وكان منهم من ورده ستمائة ركعة الى ألف ركعة وأقل ما نقل عنه من الاوراد مائة ركعة في اليوم وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة وكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا قال فحسبنا ذلك فكان عشرة فراسخ فهذه الاسابيع مائتان وعشرون ركعة قال وكان يختم مع ذلك القرآن في اليوم والليلة مرتين وقال هشام بن عروة كان أبي يواظب على ورده من التسبيح كما يواظب على حزبه من القرآن وروى عنه أيضا كان يواظب على حزبه من الدعاء كما يواظب على حزبه من القرآن ولا يدع العبد ان يسبح أدبار الصلوات الخمس مائة تسبيحة عند كل صلاة مكتوبة وكذلك عند النوم مائة وليواظب على ان يقول اذا أصبح واذا أمسى ما جاء في تفسير قوله عز وجل له مقاليد السموات والارض فان لذلك ثوابا عظيما وروينا عن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير هذه الآية له مقاليد السموات والارض فقال لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك هو لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله واستغفر الله الاول والآخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشرا حين يصبح وحين يمسي اعطى بها ست خصال فاول خصلة يحرس من ابليس وجنوده والثانية يعطى قنطارا من الاجر والثالثة يرفع له درجة في الجنة والرابعة يزوجه الله عز وجل من الحور العين والخامسة يحضرها اثنا عشر ملكا والسادسة يكون له من الاجر كمن حج واعتمر وقد روينا في تفسيرها قولا آخر من رواية أخرى واتصل به ذكر كنز أهل الجنة فاذا هو فان ضم هذا اليه فقد جمع الروايتين واستوجب الفضيلتين رواه عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم مسائل فاجابه عنها فقال ما مقاليد السموات والارض فقال ان يقول العبد لا اله الا الله محمد رسول الله وأما كنز أهل الجنة فيقول سبحان من في السماء عرشه سبحان من في السماء موضع أثره سبحان من سبقت رحمته غضبه سبحان من لا ملجأ ولا مهرب الا اليه يا عثمان من قالها كل يوم عشر مرات كتب له بها ست خصال ينجيه الله من ابليس وجنوده وان مات مات شهيدا ويبنى له قصر في الجنة وكانما قرأ التوراة والانجيل والزبور والفرقان وكانما اشترى ثمانية من ولد اسمعيل واعتقهم ولا يدع قراءة هذه الآيات الست عند كل صلاة يصليها فرضا أو تطوعا ففي ذلك ثواب عظيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى آخر السورة وقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون واستغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم خمسين مرة خمسا وعشرين اذا أصبح وخمسا وعشرين اذا أمسى فانه يكتب من الابدال بأثر في ذلك روينا من ذلك ولفظ الاستغفار الذي جاء في الخبر ان يقول اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات حيهم وميتهم شاهدهم وغائبهم قريبهم وبعيدهم انك تعلم متقلبهم ومثواهم وليقل هذا الاستغفار في تشهده أيضا فقد جاء ذلك وليقل في كل عشر مرات اللهم اصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقال من قاله في كل يوم كتب له ثواب بدل من الابدال وليقل اذا أصبح ثلاثا واذا أمسى ثلاثا اللهم أنت خلقتني وأنت تهديني وأنت تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني أنت ربي لا رب لي سواك ولا اله الا أنت وحدك لا شريك لك فاذا في ذلك شكر نعمتوموه ولا يدع ان يقول كلما استيقظ من نومه وكلما أراد المنام هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله فهي هذه عصمة من الله عز وجل وحرز له من الشيطان وقد جاء في الخبر من قالهن مائة مرة يوم عرفة قبل غروب الشمس ناداه الله عز وجل



الوضوء عند كل فريضة وبعضهم نزل في عينه الماء فحملوا اليه المداوي وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال المداوي يحتاج أن لا تمس الماء أياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء فانظر أيها العاصي المذنب المؤخر لغسل الجنابة الى طلوع الشمس الى همة هؤلاء السادات الاكابر آثروا الدين على النفس علما منهم بان عذاب الآخرة أشد وأبقى وعن علي رضي الله عنه أنه قال شتان بين العملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره وانه قال الدنيا دار ممر الى دار مقر والناس رجلان رجل باع نفسه فأوبقها ورجل ابتاع نفسه فأعتقها فكن أيها الاخ ممن ابتاع نفسه فاعتقها ولا توبقها بالذنب وعصيان الرحمن فانك لا تقدر أن تصبر على نار الدنيا لحظة فكيف تصبر على دخول نار حامية والصب فوقه من عذاب الحميم يا أيها الانسان ما جراك على ذنبك وما غرك بربك وما آنسك بهلكة نفسك أما من دائك بلول أم ليس من نومتك يقظة أما ترحم من من نفسك ما ترحم من غيرك فلربما ترى الضاحي لحر الشمس فتظله أو ترى

من فوق عرشه قد أرضيتني وعلى رضاك سلني ما شئت اعطك ولا يدع ان يقول كل غداة وكل عشية فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات وكذلك يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار سبعا وكلما سمع الاذان قال كما يقول المؤذن فاذا فرغ قال فليقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا اللهم رب هذه الدعوة التامة والكلمة الصادقة والصلاة القائمة صل على محمد وآله واعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته فان كان الاذان لصلاة الصبح أو صلاة المغرب يزاد في ذلك اللهم هذا ادبار ليلك واقبال نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلاتك وشهود ملائكتك صل على محمد وآله ثم ليدع بما أحب وليغتنم الصلاة والدعاء بين الاذان والاقامة فانه يستحب ولتكن هذه الكلمة بحيره وشعاره في الاوقات فانها من دعاء الابدال فيما بينهم وشعارهم في أوقاتهم ما شاء الله لا قوة الا بالله العفو الغفور يا سلام سلم يا رب يا رب ياذا الجلال والاكرام افتح بخير واختم بخير فلا اله الا الله الحي القيوم سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا يا رب يا رب يا الله يا الله يا عزيز يا عزيز يا قريب يا قريب يا حليم يا ستار سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا يا الله يا الله يا عزيز يا عزيز يا قريب يا قريب يا كريم يا غفار يا واسع المغفرة اغفر لي وعافنا واعف عنا نسألك العفو والعافية يا غياث المستغيثين وفي جميع ما ذكرنا فضائل وردت بها الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين لهم باحسان طوينا نشر ذلك اذ لم يكن قصدنا ذكر فضائل الاعمال وانما أردنا شرح أوراد العمال ولا يدع السواك كلما استيقظ من نوم النهار وبالليل فانه يقال من خير خصال الصائم الا بعد العصر فقد كره للصائم وفي الخبر طيبوا طرق القرآن من أفواهكم بالسواك وفي الحديث السواك مطهرة للفم مرضاة للرب عز وجل ويقال ان الصلاة بعد السواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وأوكد ما استعمل فيه السواك أربعة أوقات قبل الزوال للصائم ويوم الجمعة مع الغسل لها وفي قيام الليل وبالغداة عند الاستيقاظ من النوم وقد كانوا يستحبون ان لا يأتي على العبد يوم وليلة الا تصدق فيه بصدقة وان قل مثل لقمة أو تمرة حتى كان بعضهم يتصدق ببصلة ويخيط لانه جاء في الاثر كل امرئ يوم القيامة في ظل صدقته والله سبحانه يشكر القليل الدائم وهو أحب اليه من الكثير المنقطع أفلم تر كيف ذم من أعطى وقطع في قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى اي قطع ومدح فواكه الجنة بعيب بذلك فواكه الدنيا في تدبر الخطاب فقال وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة أي فازهدوا من فواكه الدنيا فانها مقطوعة ممنوعة وارغبوا في هذه الدائمة وكان من أخلاق السلف ان لا يردوا سائلا الا بشيء وان قل لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ولقوله صلى الله عليه وسلم للسائل حق ولو جاء على فرس مطوق بفضة ولقوله صلى الله عليه وسلم لا تردوا السائل ولو بظلف محترق ودفعت عائشة رضي الله عنها الى السائل عنبة واحدة قال فنظر بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذرة كثيرة وقد كان من أخلاقهم ان لا يسأل أحد شيئا أو يراد بامر مباح فيقول لا لكراهتهم الخلاف ومحبتهم الائتلاف وكان ذلك من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سئل شيئا قط فقال لا فان لم يقدر عليه سكت وقد كانوا مجتمعون على الامر الواحد بقلب واحد ولا يستبد بعضهم بامر دون بعض ولا يستأثر أحدهم بشيء دون أخيه وبذلك وصفهم الله عز وجل في قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون أي أمورهم مشاعة فيما بينهم غير مقسومة هم فيها سواء ويستحب للعبد ان يجمع بين هذه الاعمال الاربعة صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة وقد كان هذا طريق المريدين يسارعون اليه ويحرصون عليه وفي الخبر من جمع بين هذه الاربع في يوم غفر له وفي بعضها دخل الجنة فان اتفق له منها ثلاث أو اثنان فاعجز ما بقي حسب له تمامها بحسن نيته ولا يدعن الجماعة سيما اذا سمع التأذين أو كان في جوار المسجد وحد الجوار ان يكون بينه وبين المسجد ثلاث دور وأولى المساجد به الذي فيه أقربهما الا أن يكون له نية في الابعد لكثرة الخطا

المبتلى بالم عشق بجسده فتبكي رحمة له فاصبرك على دائك وجلدك على مصائبك وعزائك عن البكاء على نفسك وهي أعز النفس عليك وكيف لا يوقظك خوف بيان نقمة وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته فتداوى من داء الفترة في قلبك بعزيمة ومن كرا الغفلة في ناظرك بيقظة وكن لله مطيعا وبذكره آنسا وتمثل في حال توليك عنه اقباله عليك يدعوك الى عفوه ويتغمدك بفضله وأنت متول عنه الى غيره اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به رضاك فاعف عنا وعن والدينا وأستاذنا وأصحابنا وأحبابنا

(فصل) فاذا فرغت من الطهارة فان طلع الفجر فالاولى ان تصلي سنته في البيت فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته الا المكتوبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها وقل بعد ركعتي الفجر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار ثلاث مرات وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى أحدكم

أو ليصل الامام فيه والصلاة خلف العالم الفاضل أفضل أو يريدان يعمر بيتا من بيوت الله عز وجل بالصلاة فيه وان بعد وقال سعيد بن المسيب من صلى الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وليتوضأ لكل صلاة قبل دخول وقتها فانه من المحافظة عليها ومن حسن معاملتها وقال أبو الدرداء وحلف بالله وما سمعته حالفا بالله قط قال من أحب الاعمال الى الله عز وجل ثلاث أمر بصدقة وخطوة الى صلاة جماعة أو اصلاح بين الناس ويستحب له كلما دخل المسجد أو منزله ان يصلي ركعتين فان ذلك من عمل الابرار وكلما خرج منه صلى ركعتين وقد كان السلف لا يخرجون من منازلهم حتى يتوضؤا ويستحب له كلما أحدث ان يتوضأ وكلما توضأ ان يصلي ركعتين فان ذلك من عمل الابرار وهو لمن مات على هذا العمل شهادة واذا خرج من منزله قال بسم الله ما شاء الله حسبي الله توكلت على الله لا قوة الا بالله اللهم اليك خرجت وأنت أخرجتني اللهم سلمني وسلم مني فردني كما أخرجتني اللهم اني أعوذ بك ان أزل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وليقرأ سورة الحمد والمعوذتين ولا يدع صلاة الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله الى ثمان ركعات الى اثنتي عشرة ركعة ولا يزيد على ذلك ان نشط لطالهن وان فتر قصرهن وليجعل من قراءته فيهن والشمس وضحاها وسورة والضحى وآخر سورة البقرة وآخر سورة الحشر ثم ليتنفل بعد ذلك بما شاء من غير ان تكون ورد الضحى فيلزمه المواظبة عليه وفي حديث عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله وفي خبر عن الله عز وجل يا ابن آدم صل لي أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره وفي حديث أم هانئ بنت أبي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمان ركعات وفي الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني في كل مفصل وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا فأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله أو قال تجمعن لك ذلك وقد كان من سيرة المتقدمين دخول المسجد سحرا قبل طلوع الفجر والقعود فيه الى صلاة الصبح ويفضلون هذا الفعل حدثونا عن رجل من التابعين قال دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقني فقال يا ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال أبشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في هذا المسجد هذه الساعة ننتظر الصلاة بمنزلة غزوة في سبيل الله عز وجل أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفضل الاوقات المرجو فيها الاجابة أربعة عند السحر وعند طلوع الشمس وعند غروبها وبين الاذان والاقامة وأفضل أوقات الليل والنهار أوقات الصلوات المكتوبات واذا دعا الله سبحانه وتعالى فليدعه بمعاني أسمائه فانها صفاته وهو يحب ذلك وانما أظهرها ليعرف بها الداعي وليدعو بها مثل ان يقول يا جبار اجبر قلبي يا غفار اغفر ذنبي يا رحمن الطف بي يا رحيم ارحمني يا تواب تب علي يا سلام سلمني واستحب ان يدعو الله عز وجل بأسمائه التسعة والتسعين في كل يوم وليلة مرة فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحصاها دخل الجنة وهي متفرقة في جميع القرآن فمن دعا الله عز وجل بها موقنا كان كمن ختمه فان تعذر عليه حفظها فانها منثورة على غير ترتيب فليتطرق اليها من حروف المعجم فليذكر من كل حرف ما فيه كأن يبتدئ بالالف فيسبق ما عليه من الاسماء ثم بالباء ثم بالتاء فيقول يا الله يا أول يا آخر يا بارئ يا باطن يا تواب وقد يتعذر عليه وجود بعضها في بعض الحروف كغيرها الا انها تخرج في سائر الحروف المتيسرة بالاسماء الظاهرة فاذا عد من الاحرف تسعة وتسعين اسما أجزأه لانه يجد في الحرف الواحد العشرة فما أكثر ودون ذلك فلا يضره ان لم يعرف في بعض الحروف اسما اذا أحصى العدد فقد حصل له الفضل الا ترى ذلك يوضح كر صلاة التسبيح استحب له ان يصلي صلاة التسبيح في الجمعة مرتين مرة نهارا ومرة ليلا وهي ثلثمائة تسبيحة في أربع ركعات ان صلاها نهارا لم يفصل بينهن بتسليم وان صلاها ليلا سلم فيها سلامين فقد كان الصالحون يصلونها

ركعتي الفجر فاضطجع على يمينه وقل في طريق توجهك الى المسجد بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله اللهم بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فاني لم أخرجه أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك ان تعيذني من النار وتدخلني الجنة وقدم في دخول المسجد رجلك اليمنى وقل اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وقدم في الخروج رجلك اليسرى وقل اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك واذا دخلت المسجد فانو الاعتكاف فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة أي نفسا ثم صل الفرض مراعيا الشروطها وأركانها وأبعاضها وهيآتها وخشوعها ولا تترك الجماعة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله خرجه قال رسول الله صلى الله عليه

ويتعرفون بركتها ويتذاكرون فضلها وقد روينا فيها روايتين احداهما حديث الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب ألا أعطيك ألا امنحك ألا احبوك بشئ اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد الثانية فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود ثم تجلس فتقولها عشرا ثم تقوم فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة فان لم تفعل ففي كل سنة مرة وان لم تفعل ففي عمرك مرة وحدثونا عن أبي داود السجستاني قال ليس في صلاة التسبيح حديث أصح من هذا ولم يذكر في هذه الرواية انه يسبح في القيام خمس عشرة مرة بعد القراءة وانه يسبح عشرا بعد السجدة الثانية في الركعة الاولى قبل القيام كانه يجلس جلسة قبل ان ينهض وفي الركعة الثانية أيضا كذلك قبل التشهد وروينا في الخبر الآخر انه يفتتح الصلاة فيكبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة ثم يقرأ الحمد وسورة ثم يسبح عشرا ثم يركع فيكون له في قيامه خمس وعشرون تسبيحة ولا يسبح بعد السجود في الجلسة الاولى بين الركعتين ولا في جلسة التشهد شيأ وكذلك روينا في حديث عبد الله بن زياد بن سمعان عن معاوية بن عبد الله بن جعفر عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه صلاة التسبيح قال فيها يفتتح الصلاة فيكبر ثم يقول فذكر الكلمات وزاد فيها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال فيه يقول ذلك خمس عشرة مرة ولم يذكر بعد السجدة الثانية عند القيام ان يقولها وهذه الرواية أحب الوجهين الي وهو اختيار عبد الله بن المبارك حدثونا عن سهل بن عاصم عن ابن وهب قال سألت ابن المبارك عن الصلاة التي يسبح فيها فقال يقول سبحان الله والحمد لله الكلمات خمس عشرة مرة ثم يتعوذ ويقرأ فاتحة الكتاب وسورة ثم يقولها عشرا ثم يركع وذكرها قال فذلك خمس وسبعون يصلي أربع ركعات على هذا ان صليت ليلا فاحب ان يسلم في الركعتين وان صليت نهارا صليت أربعا وان شئت سلمت واذا عد في الركوع فعد بأصابعه على ركبتيه وفي السجود بأصابعه على الارض وحدثونا عن محمد بن جابر قال قلت لابن المبارك في صلاة التسبيح اذا رفعت رأسي القيام من آخر السجدتين أسبح قبل ان أقوم قال لا تلك القعدة ليست من سنة الصلاة وقال ابن أبي رزمة عن ابن المبارك قلت له يقول سبحان ربي العظيم ثلاث مرات سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات قال نعم قلت فان سها يسبح في السهو عشرا قال لا انما هي ثلثمائة تسبيحة وأحب ان تكون السورة التي يقرأها في صلاة التسبيح مع الحمد فوق العشرين آية فقد روينا في حديث عبد الله بن جعفر الذي رواه اسماعيل بن رافع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في السورة التي بعد أم القرآن عشرين آية فصاعدا وكذلك أحب زيادة لا حول ولا قوة الا بالله لما ذكرناه في الخبر الآخر فان قرأ مع فاتحة الكتاب في كل ركعة عشر مرات قل هو الله أحد فقد ضاعف العدد واستكمل الاجر

*(الفصل السادس عشر)* في ذكر معاملة العبد في التلاوة ووصف التالين القرآن حق تلاوته بقيام الشهادة استحب للمريد ان يختم القرآن في كل أسبوع ختمتين ختمة بالنهار وختمة بالليل ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل بختمته أول النهار وأول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وتصلي عليه ان كان ختمه نهارا حتى يمسي فهذان الوقتان يستوعبان كلية الليل والنهار وفي الخبر لم يفقه من قرأ القرآن في أقل

من

وسلم ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا وفي الاحياء للغزالي روي ان السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتهم التكبير الاول ويعزون أنفسهم سبعة أيام اذا فاتتهم الجماعة وقال حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني أبو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا اهـ وان صلاة الجماعة في البيت أفضل من الانفراد في المسجد وتحصل الجماعة بامام ومأموم ثم اذا فرغت من الفرض فاشتغل بالاذكار والدعوات المأثورات أو بذكر واحد الى طلوع الشمس قدر رمح ثم صل ركعتين فقد روى الترمذي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة د قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول الا خيرا غفر له خطاياه وان كانت أكثر من زبد البحر اهـ اخواني بادروا بالحاق هذه الارباح الكبيرة بهذه التجارة اليسيرة

من ثلاث وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآن في كل سبع وكذلك جماعة من
الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة ورويناعن يحيى بن الحارث الذماري عن القاسم بن عبد الرحمن
قال كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود
وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص
وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وكذلك كان زيد بن ثابت وأبي يختمان القرآن في كل
سبع ورويناعن ابن مسعود انه سبع القرآن في سبع ليال فكان يقرأ في كل ليلة بسبعه الا ان تأليفه على
غير ترتيب مصحفنا هذا فلم نذكره لان الاعتبار لا يتبين به وجماعة يذكر عنهم ختم القرآن في كل يوم وليلة
وقد كره ختمه في أقل من ثلاث لما ذكرناه والتوسط من ذلك ما ذكرناه وهو ان يختم في كل ثلاثة أيام بعد ذكر
أحزاب القرآن وكيف حزبه الصحابة رضي الله عنهم وان قرأ القرآن أحزابا في كل يوم وليلة حزبا فحسن وهو
سنة وان أشغلوا طأنأ القلب وأقوم للترتيب وأدنى الى الفهم وان أحب قرأ في كل ركعة ثلث عشر القرآن
او نصف ذلك يكون الجزء من الاجزاء الثلاثين في كل ركعة أو ركعتين فان قرأ في كل ورد حزبا أو حزبين أو
دون ذلك فحسن وأحزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب
الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة
والمفصل من ق فهذه كانت أحزاب القرآن والذي تحزبه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وكانوا يقرؤنه
كذلك وفي ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانه حزبه على عدد هذه الآي اذ عددها ستة
آلاف ومائتان وستون وثلاثون آية وقد اعتبرت ذلك في كل حزب فرأيته يتقارب وهذا قبل أن تعمل
الاخماس والعواشر والاجزاء فاسوى هذا محدث يقال ان الحجاج جمع قراء البصرة والكوفة منهم
عاصم الجحدري ومطر الوراق وشهاب بن شريفة فأمرهم بذلك وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران
هذه الاخماس والعواشر والاجزاء وروى عن الشعبي وابراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الاجر على ذلك
وكانوا يقولون جردوا القرآن وقال الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كان القرآن مجردا في المصاحف فاول
ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نور له ثم أحدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآي
فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآي ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتيم والفواتح وقالوا لا بأس به لانها علامة
تعرف بها واعلم انه لا يجد فهم القرآن الفهم الذي يكشف بمشاهدته و يظهر من الملكوت تقدره عبد فيه
احدى هذه الخصال أدنى بدعة أو مصر على ذنب أو عبد في قلبه كبر او مقارب لهوى قد استكن في قلبه أو
محب الدنيا أو عبد غير متحقق بالايمان أو ضعيف اليقين ولا من هو واقف مع مقراه ولا عبد مهتم بتتبع
حروفه واختياره ولا ناظر الى قول مفسر ساكن الى علمه الظاهر ولا راجع الى معقوله ولا قاض بمذاهب
أهل العربية والفقه باطن الخطاب وسر المراد وهؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم مردودون الى ما يقدر في
علومهم موقوفون مع ما تقرر في عقولهم من يبهم على مقدار علومهم وغرائز عقولهم وهؤلاء مشركون
بعقولهم ومعلومهم عند الموحدين فهذا داخل في الشرك الخفي الذي أخفى من دبيب النمل على الصفا في
الليلة الظلماء قال محمد بن علي بن سنانة اذ معقوله وعلمه عن عقل غير كامل لان العقل الكامل ما عقل عن الله
عز وجل وفهم حكمه وكلامه وبه عقل به كلامه وقد قال الرسول صلوات الله عليه في صفة كمال العقل العاقل
من عقل عن الله سبحانه وتعالى أمره ونهيه وفي الخبر أكثر منافقي أمتي قراؤها فهذا انفاق الوقوف مع
سوى الله تعالى والنظر الى غيره لانفاق الشرك والانكار لقدرة الله عز وجل فهو لا ينتقل عن التوحيد
ولكنه لا ينتقل الى مقام المزيد فاذا كان العبد ملقيا السمع بين يدي سميعه مصغيا الى سر كلام مشهد القلب
لمعاني صفات شهيده ناظرا الى قدرته تاركا لمعقوله ومعهود علمه متبرئا من حوله وقوته معظما للمتكلم واقفا
على حضوره مفتقرا الى الفهم بحال مستقيم وقلب سليم وصفاء يقين وقوة علم وتمكين سمع فصل الخطاب

وتفكروا فيما تعالونه في
طلب الدنيا الحقيرة من
المشاق الكثيرة الجزيلة
الخطيرة وتزودوا اليوم الفقر
والفاقة تنصروا من ندامة
الحاقة فوالله لو صدقت قلوبكم
لكان جل أشغالكم باعمال
الآخرة ولم تغتر وابهذه
الدنيا الحقيرة الفانية
الخاسرة وواظبوا على
عبادة الله تعالى وذكره ولا
تغفلوا ساعة عن تسبيحه
وشكره وفي حياة الحيوان
عن روح بن حبيب قال بينا
انا عند أبي بكر اذ أتي
بغراب فلما رآه جناحيه
حمد الله ثم قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما صيد
بصيد ولا الا نقص من
تسبيح ولا أنبت الله نابتة
الا وكل الله بها ملكا يحصي
تسبيحها حتى يأتي به يوم
القيامة ولا عضدت شجرة
ولا قطعت الا بنقص في تسبيح
ولا دخل على امرئ مكروه
الا بذنب وما عفا الله عنه
أكثر يا غراب اعبد الله ثم
خلى سبيله يا مغترا بالآمال
رب أمل خائب كم نام
المطلوب ولا ينام الطالب
ستدري في ظلمة اللحد عاقبة
العواقب وما أمليت من
أعمالك على الكاتب وبعده
هو الموقف بين يدي
المحاسب ويبدو لكل
مسترف أمله الكاذب
هنالك والله تضيق المذاهب
وتبدو الخيبة والحسرة
والمصائب فاغتنموا رحمكم الله

وشهد علم غيب الجواب وأفضل القراءة الترتيل لأنه يجمع الأمر والندب وفيها التدبر والتذكر وروي عن علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وعن ابن عباس لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وروي عنه أيضا لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في صلاة فكان قيامهما واحدا إلا أن أحدهما قرأ البقرة والآخر قرأ القرآن كله فقال هما في الأجر سواء لأن قيامهما كان واحدا وأفضل الترتيل والتدبر في القرآن ما كان في صلاة ويقال إن التفكر في الصلاة أفضل منه في غير الصلاة لاتهمامه لأن وهذا هو التفكر في معاني التدبر والفهم بطلب الوعد والوعيد والزجر والأمر تعظيما للمتوعد وإجلالا للآمر وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل فقال طول القنوت وروي في خبر آخر ومن سجد لله عز وجل سجدة رفعه الله عز وجل بها درجة وإنه قال لأبي فاطمة تلادمو قد سأله مرافقته في الجنة فقال أعني بكثرة السجود ورويناعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال إنه كثرة السجود بالنهار وإنه طول القيام بالليل ويقال إن العبد يحشر عند الموت من قبر مصلى هيئته في صلاته من السكون والطمأنينة وتكون راحته في الموقف على قدر راحته مع الصلاة وروينا معنى هذا عن أبي هريرة وعلى هذا المعنى تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال أرحنا بالصلاة أي روحنا إليها نعمنا بها من الروح والراحة لنا بها ويقال أرحنا بالشيء أي روحنا وأرحنا منه أي أسقطه عنا وخفف عنا منه ولم يقل أرحنا منها كيف وقرة عينه فيها وقال بعضهم إني لأفتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وما قضيت منها وطري وقال سليمان بن أبي سليمان الداراني أنه وعد ابن ثوبان أخاه أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال وعدتني أن تفطر عندي فأخلفت فقال لولا ميعادك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك إني لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت وقال الله عز وجل كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه فقيل القرآن قوى إيمانهم بعلم القرآن فالقرآن روح الإيمان وتقويتهم استعمالهم به وفي التفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة قيل بجد واجتهاد ومثله خذوا ما آتيناكم بقوة قيل بعمل به وقيل لبعضهم إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال أو شيء أحب إلي من القرآن أحدث نفسي به وهذه صفة قوي مكين ويقال إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودبابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراآت بساتين القرآن والحاآت مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحواميم ديباج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فإذا جال المريد في الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات اقتطعه وأوقفه ما يراه وشغله الشاهد به عما سواه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وكان له صلى الله عليه وسلم في كل ردة فهم ومن كل كلمة علم فينبغي أن يكون قلب التالي بوصف كل كلمة يتلوها مشاهدا لمعناها إلى ما يفتح الله عز وجل له من المزيد عليها من مجاورتها ومع ما يفهم بها من غيرها ويشهد غيرها منها فقد كان بعضهم يقول كل آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها لم أعد لها ثوابا وكان بعض السلف إذا قرأ السورة ولم يكن قلبه فيها أعادها ثانية فإذا مر بتسبيح وتكبير سبح وكبر وإن مر بدعاء واستغفار دعا واستغفر وإن مر بمخوف ومرجو استعاذ وسأل فذلك معنى قوله عز وجل يتلونه حق تلاوته وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلاوته وعلى هذا المعنى ما روي في الخبر من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد أي على معنى تلاوته لأنه كان يقرأ بقلب شهيد وسمع عتيد وبصر حديد فكان يتلو القرآن على معاني الكلام وعلى شهادة وصف المتكلم الوعيد منه بالتعزز والوعد بالتشويق والوعظ بالتخويف والإنذار بالتشديد والتفسير بالترفيق والتبشير بالتوفيق لأنه كان عالما



أيام أعماركم الفانية فسيندم والله أهل القلوب القاسية إذا فاز المتقون وخسر المبطلون

(فصل) وإذا صليت الضحى فاشتغل بعد ذلك بأحد أربعة أمور أحدها العلم وهو الأفضل قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات أي ويرفع درجات العلماء منهم خاصة ت عن أبي امامة الباهلي قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان عابد وعالم فقال فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير وعن الفضيل بن عياض أنه قال عالم عامل معلم يدعى كبيرا في ملكوت السموات والأرض وروى الطبراني في معجمه الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله

بصفات المتكلم واجد الذوق الكلام فمثل هذا العبد أحسن الناس صوتا بالقرآن كما جاء في الخبر أحسن الناس صوتا بالقرآن من اذا اقرأ رأيت انه يخشى الله ومن هذا قيل اذا قرأتم القرآن فابكوا وان لم تبكوا فتباكوا ومثل هذا ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا أى ان القرآن لما فيه من التهديد والوعيد والوثائق والعهود يوجب البكاء والحزن فان لم تحزنوا وجدا ولم تبكوا انفسا يقينا فتباكوا وتحازنوا لفظا لاجل التصديق والاقرار به فنديهم الى التحازن في التلاوة والتباكى ليجتمع همهم العبد في المتلو فيتدبر الكلام عسى ان يكون قلبه بمعناه فيكون التباكى والتحزن سببا لجمع همه وفراغ قلبه لان المتباكى الصادق مجتمع الهم فيما يبكيه والحزن حاضر القلب مجموع الفكر مشغول عن سوى مبكيه من ذلك ما روينا عن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه فبكاء القلب حزنه وخشيته أى فان لم تبكوا بكاء العلماء عن الفهم فتحزنوا فلو بكم على فقد البكاء ولعتش كيف لم يوجد فيكم وصف أهل العلم وقد روينا في غرائب التفسير من معنى قوله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار قال هي العين الكثيرة البكاء وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء قال هي العين القليلة البكاء وان منها لما يهبط من خشية الله قال هو بكاء القلب من غير دموع عين قال ثابت البناني رأيت في النوم كاني أقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فلما فرغت قال هذه القراءة فاين البكاء وكان الحسن يقول والله ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته والناس في التلاوة على ثلاث مقامات أعلاهم من شهد أوصاف المتكلم في كلامه وعرف أخلاقه بمعاني خطابه وهذا مقام العارفين من المقربين ومنهم من يشهد ربه تعالى يناجيه بالطافه ويخاطبه بانعامه واحسانه فمقام هذا الحياء والتعظيم وحاله الاصغاء والفهم وهذا للابرار من أصحاب اليمين ومنهم من يرى انه يناجى ربه عز وجل فمقامه السؤال والتملق وحاله الطلب والتعلق وهذا للمعترفين والمريدين وهم من خصوص أصحاب اليمين وينبغى للعبد ان يشهد في التلاوة ان مولاه يخاطبه بالكلام لانه سبحانه متكلم بكلام نفسه وليس للعبد في كلامه كلام وانما جعل له حركة اللسان بوصفه وتيسير الذكر بلسانه بحكم ربه عز وجل حد العبد ومكانا له كما كانت الشجرة وجهة لموسى عليه السلام وكلمه الله عز وجل منها ويقال ان كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما أطاقوه حتى يأتى اسرافيل وهو ملك اللوح المحفوظ فيرفعه فيقله باذن الله عز وجل ورحمته اذ كان الله تعالى أطاقه ذلك استعمله به وقال جعفر بن محمد الصادق والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال أيضا وقد سألوه عن شئ لحقه في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت أردد الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته تعالى وكذلك الخصوص يرددون الآية بقلوبهم على قلوبهم ويحققون بما في مشاهدتهم بعدد من شهيدهم وسيدهم حتى يستغرقهم الفهم فيغرقون في بحر العلم فان قصرت مشاهدة التالى عن هذا المقام فيشهد انه يناجيه بكلامه ويتملقه بمناجاته فان الله عز وجل انما خاطبه بلسانه وكلمه بحركته وصوته ليفهم عنه بعلمه الذى جعل له ويعقل عنه بفهمه الذى قسم له حكمة منه ورحمة اذ لو تكلم الجبار عز وجل بوصفه الذى يدركه سمعه لساخت الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات أنواره فحجب ذلك في غيب علمه عن العقول وستر بصنع قدرته عن القلوب وأظهر للقلوب علوم عقولها وأشهد العقول عرف معقولها بلطفه وحنانه ورحمته واحسانه وبلغنا في الاخبار السالفة ان وليا من أولياء الله عز وجل من الصديقين ابتعثه في الفترة الى ملك من الجبابرة يدعوه الى التوحيد والى شريعة الانبياء فسأله الملك عن اشياء من معانى التوحيد فجعل الصديق يجيبه عنها بما يقرب من فهمه ويدركه عقله من ضروب الامثال بما يستعمله الناس بينهم ويتعارفونه عندهم الى ان قال له

على ما فضل به في الدنيا على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا ثم يعذب حتى يفرغ من الحساب وعن ابن أبى زيد رحمة الله عليه عن أبى القاسم انه قال قد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جميع أعمال البر في الجهاد الا كنقطة في بحر وما جميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كنقطة في بحر وروى أبو داود وغيره ان كثير بن قيس قال أتيت أبا الدرداء وهو جالس في مسجد دمشق فقلت يا أبا الدرداء انى جئتك من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب حديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما جاءت بك حاجة ولا جاءت بك تجارة ولا جاء بك الا هذا الحديث قال قلت نعم قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا بطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان

الملك أفرأيت ما يأتي به الانبياء اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس ولا رأيتهم أمن كلام الله هو قال الحكيم ثم قال الملك فكيف يطيق الناس حمله قال الصديق انا رأينا الناس لما أرادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقدمها وتأخيرها واقبالها وادبارها لم يجدوا الدواب والطير تحمل كلامهم فوضعوا الهامن النقر والصفير والزجر ما عرفوا انها تطيق حمله فكذلك الناس يعجزون ان يحملوا كلام الله ككنهه بكماله وصفته فصار وابما تراجعوا بينهم من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت الزجر والنقر الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة الخبوأة في تلك الاصوات من ان شرف الكلام بشرفها وعظم بتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح التي فيها وكذلك أصوات الكلام تشرف وتكرم الحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من شعاع الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد أمره كالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقع على سرها فالكلام أعظم وأشرف من ذلك هو مفتاح الخزائن النفيسة وباب المنازل العالية ومراقي الدرجات الشريفة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام التي من سقي منه لم يسقم اذا البسه من لم يتسع به أبدى عورته واذا تسلح به غير أهله لم يخرج الا منهم نقلت هذا نقلا من كلام الصديق الحكيم الذي خاطب به الملك فاستجاب له باذن الله عز وجل فهذا وصف كلام الله عز وجل الذي جعله الله لنا آية وعبرة ونعمة علينا ورحمة فانظر الى الحكيم كيف جعل عقول البشر في فهم كلام الله العظيم بمنزلة فهم البهائم والطير بالنقر والصفير الى عقول البشر وجعل النقر والصفير والافهام من الناس للانعام والهوام مثلا لما أفهم الله تعالى به الانام من معاني كلامه الجليل بما ألهمهم به من الكلام انه لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم فهذه قدرة لطيفة من قدرته التي لا تتناهى وحكمة محكمة من حكمه التي لا تضاهى انه حكيم عليم ثم ليشهد العبد انه مقصود بجميع القرآن من فاتحته الى خاتمته مراد معنى به له ضربت الامثال به وفيه جميع ذكره وأوصافه لان الله سبحانه وتعالى لما تكلم بهذا الكلام وخاطب به المؤمنين كان هو واحدهم وكان حاضرا معهم وقد سوى الله عز وجل بين المؤمنين في تنزيل القرآن عليهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم في معنى من المعاني فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به كما قال لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وكذلك قال وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وقال كذلك يضرب الله للناس أمثالهم يعني صفاتهم وقال ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات كما قال ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وقال عز وجل واتبع ما يوحى اليك واصبر ثم قال اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وقال فاستقم كما أمرت ومن تاب معك غير انه سبحانه عم الجملة بالبصائر والبيان وخص بالهدى والرحمة أولي التقى والايمان فمن ذلك قوله عز وجل هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين فالموقنون هم المتقون والمهديون هم المرحومون وقد أمرنا بطلب فهم القرآن كما أمرنا بتلاوته وروينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه وقال ابن مسعود من أراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن ومن حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق نبيا لتفترقن أمتي على أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فان فيه نبأ ما كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم وبين من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم من غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين

وشفاؤه

في جوف الليل وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وروى ابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد موته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال تدارس العلم ساعة من الليل خير من احيائها وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وروى ابن ماجه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر واللؤلؤ والذهب وروى أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خالفوا الرسل وخانوهم

وشفاق النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد هو الذى سمعته الجن فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ورويناه معناه فى حديث حذيفة لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يارسول الله فما تأمرنى ان أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأعدت عليه فقال تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأعدت عليه فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة ثلاثا وعن على رضى الله عنه قال ما أسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ كتمه الناس الا ان يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه وعن عمر رضى الله عنه انه قال ومن فهم فسر جل العلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره فى قوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قال الفهم فى كتاب الله عز وجل وقال أحسن القائلين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فرفع الفهم مقاما فوق الحكم والعلم وأضافه اليه بالتخصيص وجعله مقاما عاما فيهما فاذا فهم العبد الكلام وعامل به المولى تحقق بما يقول وكان من أصحابه ولم يكن حاكما لقائله مثل ان يتلو منه انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ومثل ان يقول عليك توكلنا واليك أنبنا ومثل قوله ولنصبرن على ما آذيتمونا فيكون هو الخائف لليوم العظيم ويكون هو المتوكل المنيب وهو الصابر على الاذى متوكل على المولى ولا يكون مخبرا عن قائل قاله فلا يجد حلاوة ذلك ولا ميراثه فاذا كان هو كذلك وجد حلاوة التلاوة وتحقق حزب الولاية وكذلك اذا تلا الآى المذموم أهلها الممقوت فاعلها مثل قوله تعالى وهم فى غفلة معرضون وقوله فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ومثل قوله عز وجل ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فما أقبح من يعيب ذلك وهو من أهله وما أعظم ان يذم أهل ذلك وهو بوصفه فهذا من حجج القرآن عليه فلا يجد مع ذلك حلاوة المناجاة ولا يسمع خطاب المناجى لان وصفه المذموم قد حجبه وهواه المردى عن حقيقة الفهم قد حرمه ولان قسوة قلبه عن الفهم صرفه وكذبه فى صدقه عن البيان وأخرسه فاذا كان هو المتيقظ المقبل فهو التائب الصادق سمع فصل الخطاب ونظر الى الداعى وله استجاب وقد اشترط الله عز وجل للانابة التبصرة وحضور القلب التذكرة فقال عز وجل تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال عز وجل انما يتذكر أولو الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق فالاستقامة على التوبة من الوفاء بالعهد وتعدى الحدود من نقض الميثاق وقلة الصدق والانابة هى التوبة والاقبال على الله عز وجل والالباب هى العقول الزاكية والقلوب الطاهرة وينبغى للتالى الخائف الناصح لنفسه والخلق السليم القلب اذا تلا آى الوعد والمدح ومحاسن الوصف ومقامات المقربين ان لا يشهد نفسه هنالك ولا يراها مكانا لذلك بل يشهد المؤمنين فيها وينظر الى الصديقين منها سلامة متواضعا فاذا تلا الآى الممقوت أهلها المتهدد عليها المذموم وصفها من مقامات الغافلين وأحوال الخاطئين شهد نفسه هنالك وانه هو المخاطب المقصود بذلك خوفا منه وشفقا فبهذه المشاهدة يرجو الخلق ويخاف على نفسه ومن هذه الملاحظة يسلم قلبه للعباد ويمقت نفسه وروينا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يقول اللهم انى استغفرك لظلمى وكفرى قال فقلت يا أمير المؤمنين هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله ان الانسان لظلوم كفار فان قلب هذان المعنيان على عبد حتى يشهد نفسه فى المدح والوصف ويشهد غيره فى الذم والمقت انقلب قلبه عن وجهة الصادقين وتنكب بقصده عن صراط الخائفين فهلك وأهلك لان من شهد البعد فى القرب لطف به بالخوف ومن شهد القرب فى البعد مكر به فى الامن وقال بعض العلماء كنت اقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كأنى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا

فاحذروهم واعتزلوهم ابن آدم اجتهد فى طلب العلم تنل به شرف الدنيا وعز الآخرة الباقية أشد مما تجتهد فى تعلم الحساب ونحوه لهذه الدنيا الدنية الفانية واعمل به لتنال فضيلة ولا تتساهل فيه فتندم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار واحذر الكسل فى تعلمه ومصاحبة البطالين من الاصحاب واجتنب الرياء والسمعة والكبر والاعجاب وخف من سوء الخاتمة وأليم العقاب وروى الطبرانى والبيهقى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه وروى الدارمى عن سفيان ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب من أرباب العلم قال الذين يعملون بما يعلمون قال فما أخرج العلم من قلوب العلماء قال الطمع وفى الروض الفائق عن سفيان الثورى رضى الله عنه انه خرج الى مكة حاجا فكان يبكى من أول الليل الى آخره فى المحمل فقال له شيبان الراعى بكاؤك ان كان لاجل المعصية فلا تعصه فقال سفيان أما الذنوب فما كنت أبالى قط صغيرها ولا كبيرها وليس بكائى يا شيبان من أجل المعصية ولكن خوف الخاتمة لانى

الآن اسمعه من المتكلم عز من قائل فعندها وجدت له نعيما ولذة لا أصبر عنها وقال عثمان رضي الله عنه أو حذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من تلاوة القرآن وقال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وقال بعض علمائنا لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر وعن علي رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وعن أبي سليمان الداراني اني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا اني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وروينا عن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ منها وحدثنا عن بعض العارفين قال لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد يعني ختمة التفهم والمشاهدة وكان هذا يقول أقمت نفسي في العبودية مقام الاجراء فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة وانما حجب الخلق عن فهم كنه الكلام ومعرفة سر المراد لأنه حجبهم عن حقيقة كنه معرفته وانما أعطاهم من معرفة الكلام بقدر ما أعطاهم من معرفة المتكلم اذ بمعاني كلامه تعرف معاني صفاته وأفعاله وأحكامه ولأن معاني كلامه من معاني أوصافه واختلاف تلك الشيء فيه السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف لأن من أوصافه الرحمة واللطف والانتقام والبطش فلما لم يصلح أن يعرفوه كعلمه بنفسه لم يصلح أن يعلموا كنه كلامه الا هو ويعرف كنه صفاته الا هو فأعلم الخلق لمعاني كلامه أعرفهم لمعاني الصفات وأعرف العباد بمعاني الأوصاف والأخلاق وغوامض الأحكام أعرفهم بسرائر الخطاب ووجوه الحروف ومعاني باطن الكلام وأحقهم بذلك أخشاهم له وأخشاهم له أقربهم منه وأقربهم منه من خصه بأثرته وشمله بعنايته فقد جاء في الخبر أحسن الناس صوتا بالقرآن من اذا قرأ رأيت انه يخشى الله ولا يخشاه حتى يعرفه ولا يعرفه حتى يعامله ولا يعامله حتى يقربه ولا يقربه حتى يعنى به وينظر اليه فعندها يعرف سر الخطاب ويطلع على باطن الكتاب فاذا سجد العبد سجود القرآن فليدع في سجدته بمعاني الآية من الخير وليستعذ من معاني شرها فان ذلك فعل العلماء بالقرآن والله يحب ذلك ولتلك المعاني أسجدهم له مثل أن يقرأ قوله عز وجل خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك ان أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك ومثل هذا قوله عز وجل ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فليقل اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وعلى هذه المعاني ونحوها ولكن القرآن هو علمه وعمله وذكره ودعاؤه وهمه وشغله فعنه يسأل وعليه يثاب وبمقامه منه وذكره فيه أحواله فيه مجموع له ذلك كله فيه فبكلامه عرفه العارفون وبمخاطبته شهد أوصافه الموقنون فعلومهم من كلامه ومواجيدهم عن علومهم ومشاهداتهم عن معاني أوصافه وكلامهم عن مشاهداتهم لان ضروب الكلام عن الله هي معاني الصفات فمنه كلام راض ومنه كلام غضبان ومنه كلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر وحنان متعطف فاذا كان العبد من أهل العلم بالله والفهم عنه والسمع من الله عز وجل والمشاهد له شهد ما غاب عن غيره وأبصر ما عمي عنه سواه وقد قال سبحانه وتعالى فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقال عز وجل فاعتبروا يا أولي الأبصار معناه يا أولي الفهم أعبروا الى ما أبصرتم فالتاء قد تكون بمعنى تاء التفعل تدخل للتحقيق والوصول بالوصف والمبالغة في الفعل فلما أعطاهم الأيدي والأبصار عبروا بقواهم الى ما أبصروا ففروا الى الله عز وجل من الخلق حين ذكروه بما خلق نفروا على معيار حسن الابتلاء ولم ينقصهم البلاء شيأ فكانوا كما أخبروا كالذي أمر في قوله عز وجل ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله ثم قال ولا تجعلوا مع الله الها آخر فكانوا هم الموحدون المخلصون له وكان هو المنفرد المستخلص لهم ثم جاوزوا التذكرة بالأشياء اليه فذكروه عنده فتنتذهروا اليه منه حين هللوه فلم يتألهوا الى ما سواه كما لم يعبدوا الا اياه وكذلك رأيتها في مصحف عبد الله ففروا الى الله منه اني لكم منه نذير مبين وفي



رأيت شيخا كبيرا كتب هذا العلم وعلم الناس أربعين سنة وجاور بيت الله الحرام ستين وكان يأمر وكنتم يسقى به الغيث فلما مات تحول وجهه عن القبلة ومات على الشرك فأنا أخاف من سوء الخاتمة فقال ان ذلك من شؤم المعصية والاصرار على الذنوب فلا تعص ربك طرفة عين

(شعر)

يانفس توبي فان الموت قد حانا
واعص الهوى فالهوى مازال فتانا
أما ترين المنايا كيف تلقطنا
لقطا وتلحق أخرانا بأولانا
في كل يوم لنا ميت نشيعه
ننسى بمصرعه آثار موتانا
يانفس مالي وللأموال أتركها
خلفي وأخرج من دنياي عريانا
مابالنا نتعامى عن مصارعنا
ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
كم قد رأينا أناسا صالحين قضوا
موتا وقد سلبوا دنيا وايمانا
واستبدلوا الكفر بالايمان وانفصلوا
بسوء خاتمة في الموت اعلانا
أبعد خمسين قد قضيتها لعبا
قد آن تقصير ها قد آن قد آنا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن

الخبر عن ابن مسعود وبعض الرواة يرفعه وقد روينا مسندا من طريق وهم خصوص العارفين من المحبين والخائفين اطلعوا على السر وأوقفوا على الخبر فكانوا مقربين شاهدين ان القرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا فنقول ظهره لاهل العربية وباطنه لاهل اليقين وحده لاهل الظاهر ومطلعه لاهل الاشراف وهم العارفون المحبون والخائفون اطلعوا على لطف المطلع بعد ان شاقوا هول المطلع فاودعوا السر عند مقام امين وأوقفوا على الخبر في حال مكين فكانوا فيه مقربين اذ كانوا به شاهدين وقال النبي صلى الله عليه وسلم يرى الشاهد ما لا يرى الغائب فمن حضر شهد ومن شهد وجد ومن وجد وجد ومن وجد عز ومن غاب عمي ومن عمي فقد ومن فقد نسي ومن نسي فقد نسي وقد قال الله عز وجل وكذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى أي تركتها فلم تعبأ بها ولم تنظر اليها وهكذا اليوم تترك فلا ينظر اليك برحمة ولا تكلم بلطف ولا تزلف بتقرب

*(الفصل السابع عشر)* فيه كتاب ذكر نوع من المفصل والموصل من الكلام وفيه مدح العالمين وذم الغافلين عنه وتفسير الغريب والمشكل من القرآن باختصار الاصول الدالة على المعنى فاما ظاهر الكلام فعلى معنيين عجيبين وهو مجمل مختصر وموصل مكرر فاجماله واختصاره البلاغة والايجاز قال الله تعالى ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين ومكرره وتفصيله للافهام والتذكار قال الله تعالى ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون وقال عز وجل في المبهم المجمل والتوحيد المفصل الر فهذه ثلاثة أسماء الله لطيف رحيم وقيل بل هي حروف من اسم وهو الرحمن ثم أظهر السبب فقال كتاب أحكمت آياته يعني بالتوحيد ثم فصلت أي بالوعد والوعيد ثم قال من لدن حكيم أي للاحكام خبير أي بالاحكام خبير بالتفصيل للحلال والحرام ألا تعبدوا الا الله هذا هو التوحيد الذي أحكمه انني لكم منه نذير وبشير هذا هو الوعد والوعيد الذي أعلمه فمن المختصر للايجاز قوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ففي هذا مختصر ومحذوفان فالمضمر قوله مبصرة المعنى آية مبصرة فاضمر ومحذوفا قوله فظلموا بها المعنى ظلموا أنفسهم بالتكذيب بها فاختصرت كلمتان من كلمتين للايجاز ومثله قوله وهي خاوية على عروشها الخواء الخلاء والعروش السقوف وهو جمع عرش فكيف تكون خاوية من العروش والعروش موجودة فيها فهذا من المختصر المحذوف ومعناه وهي خاوية من ثمرها أو من أهلها واقعة على عروشها ومثله قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر حذف الفعل وأقيم الاسم مقامه فالمعنى فيه ولكن البر بر من آمن بالله وقد يكون من المبدل فيكون المحذوف هو اسم أبدل الفعل مكانه ولكن البر من امن بالله فلما كان البر وصفه أقيم مكانه ويمثل معنى الاول قوله عز وجل واشربوا في قلوبهم العجل أي حب العجل ومن ذلك قوله عز وجل اقتلت نفسا زكية بغير نفس ولم يذكر قتلها والمعنى بغير نفس قتلها فحذف الفعل ومثله انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض أضمر قوله بغير نفس قتلها أو بغير فساد في الارض فاكتفى منه بذكر عين الاولى وكذلك قوله من في السموات والارض معناه ومن في الارض وكذلك قوله فما يكذبك بعد بالدين هو متصل بقوله سبحانه لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ووصل بينهما النعت والاستثناء والمعنى فما يكذبك بعد هذا البيان أيها الانسان بالديانة فاي شيء يحملك على التكذيب بان تدين الله تعالى وهو أحكم الحاكمين ومن المبدل المضمر أيضا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات المعنى ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فاضمر ذكر العذاب وأبدل الاحياء والموتى بذكر الحياة فاقام الوصف مقام الاسم ويصلح أيضا ان يترك الوصف على لفظه ويضمر أهل فيكون ضعف عذاب أهل الحياة وضعف عذاب أهل الممات كما أضمر أهل في ذكر القرية وذكر العير فقال واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها والمعنى واسأل أهل القرية واسأل أهل العير ومن هذا المعنى قوله تعالى ثقلت في السموات والارض هو من المبدل المضمر فبدله ثقلت ومعناه خفيت أبدل بدلالة المعنى عليه لان الشيء اذا خفي علمه ثقل وكذلك

كانت تغزله الاذهان اذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا
مستبدلين من الاوطان أوطانا
احلوا منازل كان العز مفرشها
فاستفرشوا حفرا غبرا وقيعانا
يا راكضا في ميادين الهوى مرحا
ورافلا في ثياب الغي نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعب
يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا

اللهم انا نسألك علما نافعا وعملا متقبلا وعفوا وعافية في دنيانا وأخرانا وصل على سيدنا محمد وآله *الامر الثاني ان تشتغل بالعبادات من الصلوات والتلاوة والذكر قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وروى أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وان لم تفعل ملأت يدك شغلا ولم أسد فقرك وروي انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه

قوله في السموات معناه على ومضمر أهل والمعنى خفيت على أهل السموات وأهل الارض لا تأتيكم الا بغتة يعني فجأة ومنه قوله عز وجل تفتؤ تذكر يوسف فيه مضمر ومحذوف فمحذوفه تزال ومضمره لا التي هي جواب القسم والمعنى قالوا تالله لا تزال تفتؤ تذكر يوسف فاضمرت لا وأبدلت تزال بقوله تفتؤ وهي من مختصر الكلام وفصيحه بلغتهم وهي لغة لبعض العرب وفي القرآن من كل لغة ومن هذا قوله عز وجل وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقوله سبحانه بدلوا نعمة الله كفرا معناه تجعلون شكر رزقكم انكم تكذبون وكذلك بدلوا شكر نعمة الله كفرا بها ومثله وكأين من قرية أهلكناها وكأين من قرية أمليت لها معناه أهل قرية مثل قوله واسأل العير المعنى أهل العير والعير هي الابل المجهولة وهذا الذي تسميه النحويون المجاز وهكذا قوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم معناه الطريقة التي هي أقوم ومثل هذا قوله عز وجل وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن أي يقولوا الكلمة التي هي أحسن ومثل هذا قوله ادفع بالتي هي أحسن السيئة أي بالكلمة أو بالفعلة التي هي أحسن ومثل قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أي الكلمة الحسنى والوجه الآخر أن الحسنى اسم لا نعت فمعناه الجنة وهكذا قوله على ملك سليمان أي على عهد ملك سليمان فأضمر قوله عهد ومثل قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك أي على ألسنة رسلك فاضمر ألسنة ومن المكني المضمر قوله تعالى وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره فأضمر الحوت وذكر واسم موسى للاختصار والمعنى وما أنساني ذكر الحوت لك الا الشيطان ومثله قوله انا أنزلناه في ليلة القدر أي أنزلنا القرآن فكنى عنه ولم يتقدم له ذكر وكذلك قوله حتى توارت بالحجاب يعني توارت الشمس بحجاب الليل فكنى عنها ولم يجر لها ذكر ومثله قوله عز وجل وما يلقاها الا الذين صبروا أي الكلمة الطيبة أو الفعلة التي هي أحسن وبمعناه قوله تعالى ولا يلقاها الا الصابرون يعني كلمة الزهد في الدنيا ومقالة الترغيب والرغبة في الآخرة عائد على قوله تعالى ويلكم ثواب الله خير أي هذه المقالة ومن المبدل المختصر قوله عز وجل واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم معناه حملته العزة على الاثم أي حمله التعزز والانفة على الاثم ولم يبال فأخذته بمعنى حملته بالاثم بمعنى على الاثم ومن هذا قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أي لا تحمله سنة ولا نوم لان السنة تحمل العبد أي تذهب به عن التيقظ ومن المنقول المنقلب قوله عز وجل يدعو لمن ضره أقرب من نفعه اللام في لمن منقولة والمعنى يدعو من لضره أقرب من نفعه ومثله لتنوء بالعصبة معناه لتنوء العصبة بها أي لتثقل بحملها لثقلها عليهم ومثله قوله وطور سينين سلام على آل ياسين وهو مما قلب اسمه لازدواج الكلام المعنى طور سيناء وسلام على الياسين قيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على ادريس ونحوه جعلوا القرآن عضين أي اعضاء كأنهم عضوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وبمعناه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت المعنى وجعل منهم من عبد الطاغوت ويصلح أن يكون معطوفا على قوله من لعنه الله وغضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن قرأ الطاغوت بالكسر فانه يجعل عبدا اسما وأضافه الى الطاغوت بمعنى وعبدة وعباد وفيه خمس لغات أخرى عباد الطاغوت وعبد الطاغوت وعبدة الطاغوت وعباد الطاغوت وعبد الطاغوت وأما عبد الطاغوت نصبا فهو بمعنى الفعل من العبادة ومن المضمر المختصر أيضا قوله عز وجل ألا ان عادا كفروا ربهم ضمير احدى كلمتين كفروا نعمة ربهم كفروا توحيد ربهم فأضمر للاختصار وانتصب الاسم لسقوط الخافض وفيها وجه غريب الا انه محمول على المعنى لانه أي غطوا ربهم التعطيلة أي غطوا آياته وما دعا اليه من الحق والمعنى كفرهم أي غطى عليهم بما غطوا ربهم هكذا حقيقة في التوحيد اذ الاولية في كل فعل منه وهم ثوان فيما بعد فهو بمعنى قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون اللبس التعطية ومنه قوله والذين اتخذوا من دون الله أولياء ما نعبدهم مضمره يقولون ما نعبدهم ومثله فظلتم تفكهون انا لمغرمون أي يقولون انا لمغرمون وعلى هذا المعنى وجه قوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك المعنى فيه يقولون ما أصابك على

شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له فلا يمسي الا فقيرا ولا يصبح الا فقيرا وما أقبل عبد الى الله بقلبه الا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد اليه بالمودة والرحمة وكان الله بكل خير أسرع اليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم واعلموا ان خير أعمالكم الصلاة وفي كتاب الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ألف حرف ولام حرف وميم حرف د عن معاذ الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا د عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه د عن علي رضي الله عنه قال قال رسول

معنى الاخبار عنهم والذم لهم فهلكت بذلك القدرية لجهلهم بعلم العربية فظنوا أنه ابتداء شرع وبيان من الله عز وجل وقد أحكم الله عز وجل ابتداء شرعه وبيانه بأول الآية في قوله قل كل من عند الله وقد كان ابن عباس يقول اذا اشتبه عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في كلام العرب فان الرجل يتلو الآية فيعيا بوجهها فيكفره وقرأتها في مصحف عبد الله بن مسعود فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا قالوا ما أصابك من حسنة فهذا كما أنبأتك وقد رأيت في مصحف عبد الله والذين اتخذوا من دونه أولياء قالوا ما نعبدهم فهذا من ذلك ومن المضمر قوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون ليس انه يجعل من البشر ملائكة ولكن معناه لجعلنا بدلا منكم ملائكة بعض لجعلنا بدلكم يعني منكم ومن المبدل له قوله عز وجل وهم لها سابقون اللام بدل من الباء المعنى وهم بها سابقون لانهم لو سبقوها لفاتتهم وعلى هذا المعنى قال بعضهم ان قوله عز وجل فلما تجلى ربه للجبل أي بالجبل كان الجبل حجابا لموسى فكشفه عنه فتجلى به كما قال من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله فكانت الشجرة وجهة لموسى كلمه الله عز وجل منها ومثله ولأصلبنكم في جذوع النخل معناه على جذوع وكذلك فلا تجعلني في القوم الظالمين معناه أي مع القوم وبمعناه أم لهم سلم يستمعون فيه أي عليه بصلح به وكذلك قوله مستكبرين به أي عنه يعني عن القرآن فعلى هذا المجاز قوله تعالى فاسأل به خبيرا أي سل عنه فحروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض ومثله قوله السماء منفطر به أي فيه يعني في اليوم ومثله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا معناه ولا الذين ظلموا فأبدلت الا بقوله ولا ويجوز أن تكون الا استثناء فتعني لكن الذين ظلموا متصلة بخبرها من قوله فلا تخشوهم فهو بمعنى قوله لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم أي لكن من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فيكون مبتدأ أذكر خبرها بعد وبمعناه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أي مع أموالكم وكذلك قوله وأيديكم الى المرافق أي مع المرافق لانها داخلة في الغسل والحروف العوامل تنوب بعضها عن بعض ولو أظهر مثل هذا المضمر ووصل مثل هذا المحذوف لكانت القراءة متضعفة ومن الموصول المكرر البيان والتوكيد قوله عز وجل وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن قوله ان يتبعون مردود رده للتوكيد والافهام كأنه لما طال الكلام أعيد ليقرب من الفهم والمعنى ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن أي اتباعهم الشركاء ظن منهم غير يقين ونحو من المكرر المؤكد قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اختصاره الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا لما تقدم الذين استضعفوا وكان المراد بعضهم كرر المراد باعادة ذكر من آمن منهم للبيان ومثله الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته فادخال الاستثناء على الاستثناء وهو بطول في كلامهم لانه أراد بالنجاة بعض الآل فلما أجملهم أخرج مستثنى من مستثنى وفي هذا دليل ان الازواج من الآل لانه استثنى امرأته من آله ومن المكرر التوكيد قوله تعالى فلما ان أراد أن يبطش مختصره فلما أراد يبطش وقد قيل ان هذا من المختصر المضمر مما أضمر فيه الاسم وحذف منه الفعل وهو غريب فيكون تقديره فلما ان أراد الاسرائيلي أن يبطش موسى بالذي هو عدو لهما فلم يفعل قال يا موسى أتريد أن تقتلني فهذا حينئذ من أخصر الكلام وأوجزه ومن المكرر المؤكد قوله عز وجل فلينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة مفهومه وجائزه فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة فوصل بين وكد فكان هم اشد وقراءتها في مصحف ابن مسعود عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد قوة ليس فيها كانوا ولا قوله هم وبمعناه وان قصر قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة هذا انما طول البيان والمعنى لجعلنا البيوت لمن يكفر بالرحمن فلما تقدم من وهي اسم لمن يكفر أعيد ذكر البيوت موكدا ومن المكني المبهم المشتبه قوله عز وجل ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الشيء في هذا الموضع الانفاق مما رزق الله وقوله تعالى بعد وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء فالشيء في هذا الموضع الامر بالعدل والاستقامة على الهدى

الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار وفي ارشاد اليافعي وغيره حكى ان الامام أحمد بن حنبل رحمه الله قال رأيت رب العزة في منامي فقلت يا رب بم تقرب اليك المتقربون قال بكلامي قال يا رب بفهم أو بغير فهم قال بفهم أو غير فهم ان في عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء قال فيسألهم الله وهو أعلم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عبادك في الارض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك

وكذلك قوله فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ الشئ في هذا الموضع وصف مخصوص من وصف الربوبية من العلم الذي علمه الخضر عليه السلام من لدنه لا يصلح أن يسأل عنه حتى يبتدئ به فلذلك كنى عنه وكذلك العلم على ضربين ضرب لا يصلح أن يبتدأ به حتى يسئل عنه وهو مما لا يضيق علمه فلذلك وسع جهله وحسن كتمه وعلم لا ينبغي أن يسئل عنه من معنى صفات التوحيد ونعوت الوحدانية لا يوكل الى العقول بل يخص به المراد المجهول فعلم الخضر الذي شرط على موسى عليهما السلام أن لا يسأله عنه حتى يبادئه به من هذا النوع والله غالب على أمره وقوله عز وجل أم خلقوا من غير شئ يعني الله تعالى أي كيف يكون خلق من غير خالق ففي وجودهم ثبوت خالق فهم دلالة عليه انه خلقهم وورد بذلك عن ابن عباس وعن زيد بن علي رضي الله عنهما قالا في قوله عز وجل من غير شئ أي من غير رب كيف يكون خلق من غير خالق وقوله عز وجل والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فالبعض الاول المفضل في الرزق هم الاحرار والبعض الآخر المفضول هم المماليك ومثله قوله تعالى وقال قرينه هذا ما لدي عتيد قرينه هذا هو الملك الموكل به احضر ما عنده مما علمه من فعله وقوله عز وجل قال قرينه ربنا ما أطغيته قرينه هذا هو شيطانه المقرون به ومثله قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون الهاء والميم المتصلة باخوان اسماء الشياطين والهاء والميم المتصلة بيمدون اسماء المشركين أي الشياطين اخوان المشركين يمدون المشركين في الغي ولا يقصرون عنهم في الامداد وبمعنى هذا قوله تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون الهاء الاولى المتصلة بيتولون كناية عن ابليس والهاء المتصلة بالباء من قوله هم به هي اسم الله عز وجل وقد قيل أيضا انها عائدة على ابليس أيضا فيكون المعنى هم به قد أشركوا في التوحيد أي أشركوه بعبادة الله عز وجل ومثل هذا قوله عز وجل فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا الهاء الاولى كناية عن الحوافر وهن الموريات قدحا يعني الخيل تقدح بحوافرها فتوري النار فأثرن به أي بالحوافر النقع يعني التراب والهاء الثانية كناية عن الاغارة فوسطن أي توسطن به بالاغارة وهن المغيرات صبحا وسطن جمع المشركين أغاروا عليهم بجمعهم والمشركون غارون وبهذا المعنى قوله عز وجل فانزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات الهاء الاولى عائدة على السحاب أي أنزلنا بالسحاب الماء وفي قوله به مبدل ومكني فالمكني هو ما ذكرنا من أسماء السحاب والمبدل ان به بمعنى منه ومثل هذا قوله يشرب بها عباد الله أي منها وهو صريح قوله في المعصرات وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا يعني السحاب وهو قوله سقناه لبلد ميت وقوله في الهاء الثانية أخرجنا به من كل الثمرات يعني بالماء فجمع بين اسم السحاب والماء بالهاء فأشكل ومن البيان الثاني والثالث للخطاب المجمل قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فلم يفهم منه الا أن القرآن أنزل في شهر رمضان ولم يدر أنهارا أنزل فيه أو ليلا فقال في البيان الثاني انا أنزلناه في ليلة مباركة فلم يفهم منها الا أنه أنزل منه ليلا في ليلة مباركة ولم يدر أي ليلة هي فقال في البيان الثالث انا أنزلناه في ليلة القدر فهذا غاية البيان وبمعناه قوله تعالى ولما بلغ أشده واستوى آتيناه فهذا البيان الاول زيادة على الاشد وهو الوصف الا أنه غير مفسر ثم قال في البيان الثاني حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ففسر الاشد بالاربعين اذا كانت الواو للمدح والوصف في أحد الوجهين ومن الموحد ومعناه الجمع قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر معناه ان الناس لفي خسر أي لفي خسران لقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يستثني جماعة من واحد وانما يستثني جماعة من جماعة أكثر منهم وانما وحد الاسم للجنس وكذلك قوله تعالى يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا معناه يا أيها الناس انكم كادحون دل عليه قوله عز وجل فأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه وراء ظهره وانما وحد النعت لتوحيد الاسم وكذلك قوله عز وجل وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا معناه حملها الناس كلهم وهذا أحب الوجهين الي لقوله عز وجل عقيبه ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ومثله قوله عز وجل وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها معناه وانا اذا أذقنا الناس منا رحمة فرحوا بها فانما وحد

ويسألونك قال ماذا يسألوني قالوا يسألونك جنتك قال هل رأوا جنتي قالوا لا أي رب قال وكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال وهم يستجيروني قالوا من نارك يا رب قال وهل رأوا ناري قالوا لا قال وكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال فيقولون رب فيهم فلان خطاء انما مر فجلس معهم قال فيقول وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وفي كتاب المؤمنات الصالحات للمصنف رحمه الله قال عمار ابن الراهب وكان من العاملين لله تعالى في دار الدنيا قال رأيت مسكينة في منامي وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقلت مرحبا يا مسكينة مرحبا فقالت هيهات يا عمار ذهبت تلك المسكنة وجاء الغنى الاكبر فقلت هيه فقالت ما تسأل عمن أبيح له الجنة بحذافيرها قلت وبم ذلك يرحمك الله عز وجل قالت بمجالس الذكر والصبر على الحق قال وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زادان فقلت فما فعل عيسى فضحكت فقالت قد كسي حلة البهاء وطافت بالاباريق حوله الخدام ثم حلي وقيل يا قاري اقرأ فلعمري لقد برالك الصيام وكان عيسى

الاسم وحد نعته دل عليه قوله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فأظهر الجمع ومن الجمع المراد به الواحد قوله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين يعنى نوحا وحده لانه لم يرسل الى قوم نوح غيره ودل عليه قوله تعالى اذ قال لهم أخوهم نوح فوحد الجمع ومثله فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء يعنى بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وحده يوم خيبر ومن الجمع المكنى قوله عز وجل لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس يعنى فى هذا الموضع الدجال ونزل ذلك فى ذكر الدجال واستعظامهم لوصفه وكذلك قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم يعنى رجلا واحدا قاله لهم وهو عروة بن مسعود الثقفى فجمع لفظه لاجل جنسه والعرب تجمع الواحد الجنس وكذلك قيل فى أحد الوجوه ان قوله عز وجل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس يعنى آدم صلى الله عليه وسلم وحده وهو أول من طاف بالبيت وأتاه جبريل وأشعر له المناسك وقد قرأت فى بعض حروف السلف من حيث أفاض آدم فهذا شاهده ومن المقدم والمؤخر لحسن تأليف الكلام ومزيد البيان والاظهار قوله عز وجل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا الاختصار ومؤخره من كفر بالله بعد ايمانه وشرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن وكد بقوله ولكن من شرح بالكفر صدرا لما استثنى المكره وقلبه مطمئن بايمانه ولم يجعل المكره آخر الكلام لئلا يليه قوله فعليهم غضب من الله فيتوهم انه خبره وجعل آخر الكلام فعليهم غضب من الله وهو فى المعنى مقدم خبر الاول لمن قوله من كفر بالله من بعد ايمانه فاخر ليليه قوله تعالى ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة لانه من وصفهم فيكون هذا أحسن فى تأليف الكلام وسياق المعنى وكذلك قوله تعالى وقيله يا رب ان هؤلاء قوم هذا من المعطوف المضمر ومن المقدم والمؤخر فعطفه على قوله وعنده علم الساعة وضميره قوله وعلم قيله والمعنى وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب هذا على حرف من كسر اللام فامامن نصبها فانه مقدم أيضا ومحمول على ان المعنى أى وعنده علم الساعة ويعلم قيله يا رب فامامن رفع اللام فقرأ وقيله فتكون مستأنفة على الخبر وجوابها الفاء من قوله فاصفح عنهم أى قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقد تكون الواو فى قوله وقيله الجمع مضمومة الى علم الساعة والمعنى وعنده علم الساعة وعنده قيله يا رب جمع بينهما بعند فهذا اعجاز هذه المقارى الثلاث فى العربية ومما حمل على المعنى قوله عز وجل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا فلو لم يحمل على المعنى لكانت والشمس والقمر خفضا اتباعا للفظ قوله فالق وجاعل ولكن معناه وجعل الشمس والقمر حسبانا وهى على قراءة من قرأ وجعل الليل سكنا فتبعه لجعل ظاهرا وبمعناه قوله تعالى وامسحوا برؤسكم وأرجلكم فى قراءة من نصب اللام محمولا على معنى الغسل من قوله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وأرجلكم أيضا ومن قرأ وأرجلكم خفضا حمله على اتباع الاعراب من قوله عز وجل برؤسكم وأرجلكم فأتبع الاعراب بالاعراب قبله لان مذهبه الغسل لا المسح واختيارنا نصب اللام فى المقروء على نصب الغسل واتباع الوجه واليدين الا أنه روى عن ابن عباس وأنس بن مالك نزل القرآن بغسلين ومسحين ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل الاقدام فنحن نفعل كما فعل وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى من المقدم والمؤخر فالمعنى فيه ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما وبه ارتفاع الاجل ولولا ذلك لكان نصبا كاللزام فاخر لتحسين اللفظ وبمعناه قوله عز وجل يسألونك كأنك حفى عنها المعنى يسألونك عنها كأنك حفى بها أى ضنين بعلمها ومثله قوله تعالى أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها أى نأت منها بخير فقدم بخير وأخر منها فاشكل ومن المؤخر بعد توسط الكلام قوله عز وجل لتركبن طبقا عن طبق فى قراءة من وحد الفعل هو متصل بقوله عز وجل يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا لتركبن طبقا عن طبق أى حالا بعد حال فى البرزخ فأخر الاحوال القرار فى النار وكذلك هو فى قراءة من جمع فقال لتركبن أيها الناس فيكون الانسان فى معنى الناس كما ذكرناه آنفا ويكون الجمع عطفا على

قد صام حتى انضنى وانقطع صوته والله أعلم واخوانى لا تشبعوا أعماركم سدى واعبدوا الله تنجو من الردى فان أوقاتكم معدودة وأنفاسكم محسوبة ولا تصدون الاما زرعتم ولا تجزون الا بما عملتم يامن سبقه القوم وتخلف فى الشهوات يامن قطع زمانه فى التسويف والبطالات يامن قسا بالمعاصى قلبه وجلت عيناه عن العبرات يامن شابت ذوائبه وهو مقيم على الزلات كم تبارزون بالمعاصى من يعلم خفيات السرائر ألهكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون شعر

لله قوم أطاعوه وما قصدوا
سواه ان نظروا الاكوان بالعبر
والوجد والشوق والاذكار قوتهم
ولازموا الجد والادلاج فى البكر
وبادروا الرضا مولاهم وسعوا
قصد السبيل اليه سعى مؤتمر
وامنوا واستقاموا مثل ما أمروا
واستغرقوا وقتهم فى الصوم والسهر
وجاهدوا وانتهوا عما يباعدهم
عن بابه واستلانوا كل ذى وعر

المعنى وانما وحد الجنس فكأنه قال يا أيها الناس لتركبن طبقا عن طبق فآخر هذا الخبر الى وسطه من الكلام المتصل بالقصة ومعناه التقديم ومثل هذا قوله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان وقوله الا قليلا هو متصل بقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا وآخر الكلام لاتبعتم الشيطان وقد قيل ان قوله الا قليلا مستثنى من الاول في قوله وإذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به الا قليلا منهم وفي هذا بعد والاول أحب الي وعلى هذا المعنى قرأ ابن عباس في رواية عنه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم جعله متصلا بقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم الا من ظلم وصار آخر الكلام لا يحب الله الجهر بالسوء من القول فاصلا ومثل هذا قوله تعالى والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض انما هو من صلة قوله وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وكذلك قوله في أول السورة لهم مغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ليس هذا من صلة الكلام انما هو مقدم ومتصل في المعنى بقوله قل الانفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق أي فصارت أنفال الغنائم لك اذ أنت راض بإخراجك وهم كارهون فاعترض بينهما الامر بالتقوى والاصلاح والوصف بحقيقة الايمان والصلاح فاشكل فهمه وعلى هذا قوله عز وجل حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك انما هو موصول بقوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لانها نزلت في قولهم فقد استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك عند قوله لاستغفرن لك ربي فقالوا فهلا نستغفر لآبائنا المشركين فنزلت هذه الآية ليستثني القدوة في ابراهيم في هذا ثم نزلت الآية الاخرى معذرة له أو عدة اياه الى ان علم موته على الكفر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية وكذلك قوله عز وجل ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم وهذا متصل بقوله حرمت عليكم الميتة والدم الى آخر المحرمات ثم قال فمن اضطر في مخمصة يعني مجاعة ومثل ما ذكرناه من علم القرآن كثير وانما نبهنا بيسير على كثير ودللنا بنكت على جم غفير ليستدل بما ذكرناه على نحوه وينظر به الى مثله وهذا كله على ضروب كلام العرب ومعاني استعمالهم ووجوه استحسانهم انه في كلامهم المطول للبيان والمختصر للحفظ والمقدم والمؤخر للتحسين وكله فصيح بليغ لان وصف البلاغة عندهم رد الكثير المنثور الى القليل المجمل وبسط القليل المجمل الى المبثوث المفسر فالمقصر من الكلام عندهم مع الحاجة الى المعاني المتفرقة عجز والمطول لمن يسمع الاكتفاء بالمعنى الجامع منه عي فلما خاطبهم بكلامهم أفهمهم بعقولهم ومستعملاتهم لحسن ذلك عندهم فيكون حجة عليهم من حيث يعقلون لانه أمرهم بما يعلمون وما يستحسنون حكمة منه ولطفا وذلك أيضا على هذه المعاني يفهم الخصوص من مكانهم ومشهدهم على علو مقاماتهم في مكان ما أظهر لهم من العلم به ونصيب ما قسم لهم من العقل عنه فهم متفاوتون في الاشهاد والفهوم حسب تفاوتهم في الانصبة من العقول والعلوم اذ القرآن عموم وخصوص ومحكم ومتشابه وظاهر وباطن فعمومه لعموم الخلق وخصوصه لخصوصهم وظاهره لاهل الظاهر وباطنه لاهل الباطن والله واسع عليم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فاذا صفا القلب بنور اليقين وأيد العقل بالتوفيق والتمكين وتجرد الهم من التعلق بالخلق وتأله السر بالعكوف على الخالق وخلت النفس من الهوى سرت الروح فجالت في الملكوت الاعلى كشف القلب بنور اليقين الثاقب ملكوت العرش عن معاني صفات موصوف وأحكام خلاق مألوف وباطن أسماء معروف وغرائب علم رحيم رؤف فشهد عن الكشف أوصافا فعرف فقام حينئذ بشهادة ما عرف وكان ممن قال سبحانه يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به فحق التلاوة للمؤمنين لانه اذا أعطاه حقيقة من الايمان أعطاه مثلها من معناه ومعدنها حقيقة من مشاهدة فكانت تلاوته عن مشاهدة وكان مزيده عن معنى تلاوته وكان ذلك على معيار حقيقة من ايمانه كما قال واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا أولئك هم المؤمنون حقا فيكون

جنات عدن لهم ما يشتهون بها. في مقعد الصدق بين الروض والزهر لهم من الله ما لا شيء يعدله سماع تسليمه والفوز بالنظر اللهم يسر علينا متابعتهم وأوصل الينا فتوحاتهم وألحقنا بهم واحشرنا في زمرتهم واهدنا بهديهم وسلكنا طريقتهم الهنا ومولانا نسألك ان تصلح شأننا وشأن اقاربنا واحبابنا وشأن ولاة أمورنا. الامر الثالث ان تشتغل بما تعين به أهل العلم والعبادة أو بما تدخل به سرورا في قلوب المؤمنين كخدمة أهل الدين والفقهاء والصوفية وهم الزهاد النساك والتردد في أشغالهم والسعي في اطعام المساكين وتشييع الجنائز وعيادة المرضى وكل هذا أفضل من النوافل فان هذه عبادات فيها رفق للمسلمين قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى نعم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر وروى الطبراني في الاوسط والحاكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ومن

العبد بوصف من نعت بالحضور والانذار وخص بالمزيد والاستبشار في قوله عز وجل فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين وفي قوله عز وجل فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقد يكون من نعت من مدحه بالعلم وأثنى عليه بالرجاء ووصفه بالخوف في قوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا فكان هذا من أهل الله وخاصته ومن محبيه وأهل صفته كما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل القرآن أهل الله وخاصته من خلقه وقال ابن مسعود لا على أحدكم ان يسأل عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وهذا كما قال القائل اذا أحببت مثلك ما أحببت كلامه واذا كرهته كرهت مقاله وقال أبو محمد سهل من علامة الايمان حب الله عز وجل ومن علامة حب الله حب القرآن ومن علامة حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم اتباعه وعلامة اتباعه الزهد في الدنيا وحدثونا عن بعض المريدين قال كنت في جدة ارادني عدو لهجت بتلاوة القرآن ثم دهتني فترة فبقيت أياما لا أقرأ فهتف بي هاتف من قبل الله عز وجل ان كنت تحبني فلم جفوت كتابي أما ترى ما فيه من لطيف عتابي وقال بعض العارفين لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان والمزيد ويستغني بالمولى عن العبيد وأقل ما قيل في العلوم التي يحويها القرآن من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم وغاية علم اذ لكل آية علوم أربعة ظاهر وباطن وحد ومطلع وقد يقال انه يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتين من علوم اذ لكل كلمة علم وكل علم عن وصف فكل كلمة تقتضي صفة وكل صفة موجبة أفعالا حسنة وغيرها على معانيها فسبحان الفتاح العليم

*(الفصل الثامن عشر)* فيه كتاب ذكر الوصف المكر ومن نعت الغافلين فاذا خالف التالي هذا الوصف الذي شرحناه أو كان على ضد ذلك من السهو والغفلة والعمى والحيرة محدثا لنفسه مصغيا الى هواه ووسوسة عدوه متوهما الظنون عاكفا على الأماني خشيت عليه ان يكون بمعاني ما قال الله عز وجل ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني يعني الا تلاوة القرآن لا غير وان هم الا يظنون فوصفهم بالظن وهو ضد اليقين كما أخبر عن الظانين في قولهم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبمعنى ما قال وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالقرآن من أجل آيات الارضين والسموات الدالة على فاطرهما ومنزله (م) وكان بوصف من يهدده بعلة في عند استماعه لكلامه العزيز متهاونا به مناجيا لغيره ان يقول تعالى نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى ومثل من يسمع وقلبه مشغول عن المسموع بما يحضره عما ينفعه حتى اذا خرج عن الكلام سأل من حضر بقلبه ماذا فهم من الخطاب الذي كان هو عنه بغفلته قد غاب وقد كان حاضرا بجسمه حجة عليه فمن ذلك قوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا قال الله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم أي عن فقه الخطاب فلم تسمعه القلوب ولم تعه واتبعوا أهواءهم يعني أباطيلهم وظنونهم الكاذبة ويقال ان العبد اذا تلا القرآن واستقام نظر الله اليه برحمته فاذا قرأ القرآن وخلط ناداه الله عز وجل مالك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي وروينا في الاسرائيليات أوحى الله عز وجل الى نبيه موسى وداود عليهما السلام مر عصاة بني اسرائيل ان لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان أذكر من ذكرني واني أذكرهم بلعنة وكان بوصف من أخبر عنه اذ يقول تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا الآية وهذا وصفهم الظن الكاذب والرجاء المختلف اللذان لم يفترقا الى خوف واشفاق عصوا ان الله قهم عاجلا وغفوا عليه المغفرة آجلا جهلا منهم بحكمته واعراضا عن أحكامه قال الله عز وجل ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه ثم أخبر عن علمهم بذلك علم قول وخبر لا علم يقين ومعاينة قال سبحانه ودرسوا ما فيه أي قرؤا هذا وعلموه ولم يعملوا به فلم ينتفعوا

اعتكف يوما ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق أبعد ما بين الخافقين (ه) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة فيها صلاح أمره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة ، عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاحد من أمتي حاجة يريد ان يسره بها فقد سرني ومن سرني فقد سر الله ومن سر الله أدخله الجنة دت عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يعود مريضا ممسيا الا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح وكان له خريف في الجنة ومن أتاه مصبحا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسي وكان له خريف في الجنة م عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت انه استطعمك

بشيء منه فكان هذا توبيخا لهم وتقريعا كقوله تعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين وفيها وجه غريب ودرسوا ما فيه أي محوه بترك العمل به والفهم له من قولك درست الريح الآثار اذا محتها وخط دارس وربع دارس اذا امحى وعفى أثره وهذا المعنى مواطئ لقوله تعالى نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين أي ما تتبع وتهوى وهو مواطئ لقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئسما يشترون فسمى ترك العمل منهم به في كل حالة طرحا له والقاء ونفيا له وبيعا له وبالدنيا اشتراء وكل آية في التهدد والوعيد فالغافلين منها وعظ وتخويف والغافلين عنها وصف وتعريف علمن علمه كقوله تعالى فذكر النار ذلك يخوف الله به عباده يا عبادي فاتقون وقال في خبرها أعدت للكافرين وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك قال اذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال سفيان في قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال أصرف عنهم فهم القرآن وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت أمتي الدنيا والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي قال الفضيل حرموا فهم القرآن وفي الاخبار من ذم قراءة البطالين أكثر من أن نذكر فيها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أكثر منافقي أمتي قراؤها وكان الحسن يقول انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل أتتهم من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وكان ابن مسعود من قبله يقول أنزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدهم ليتلو القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزجرها وما ينبغي ان يقف عليه منها كما تعلمون أنتم القرآن ثم بعد لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده منه فينثره نثر الدقل وهذا كما قال لان المراد والمقصود بالقرآن الائتمار لاوامره والانتهاء عن زواجره اذ حفظ حدوده مفترض ومسؤل عنه العبد ومعاقب عليه وليس حفظ حروفه فرضا ولا عقاب على العبد اذا لم يحفظ ما وسعه منه قال الله عز وجل انا سنلقي عليك قولا ثقيلا أي العمل به ثقيل والا فقد يسره للذكر ومن ذلك الخبر المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه وحدثني شيخ فاضل قرأت عليه القرآن قال قرأت القرآن على شيخ لي فلما ختمت رجعت اليه لاقرأ فانتهرني وقال جعلت القرآن علي عملا اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر ماذا يأمرك ..مو ينهاك عنه وقد كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يحفظ الا الجزء والجزأين والسور المعدودة وسورتين وكان من يحفظ الحزب منه وهو السبع أو البقرة والانعام عالما فيهم وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف صحابي لم يقرؤا القرآن غير نظر فلم يحفظ القرآن كله منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وقال بعضهم ولم يكن جمعه من الخلفاء الاربعة أحد وختم ابن عباس على أبي بن كعب وقرأ عبد الرحمن بن عوف على ابن عباس وقرأ عثمان بن عفان على زيد بن ثابت وقرأ أهل الصفة على أبي هريرة وكلهم كان متبعا للاوامر مجتنبا للزواجر عالما به فقيها فيه وقال يوسف بن اسباط وقد قيل له اذا ختمت القرآن بأي شيء تدعو فقال بأي شيء أدعو استغفر الله عز وجل مائة مرة من تلاوتي وكان يقول اني لاهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار واعلم



عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي خرج عن النبي صلى الله عليه وسلم من اتبع جنازة مسلم ايمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلي عليها ويفرغ من دفنها فانه يرجع من الاجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل ان تدفن فانه يرجع بقيراط • عنه صلى الله عليه وسلم قال الخلق عيال الله فأحب الخلق الى الله من أحسن الى عياله وروي ان رجلا من أهل الشام قال دخلت المدينة فرأيت رجلا راكبا على بغلة لم أر أحسن سمتا ولا ثوبا ولا دابة منه فمال قلبي اليه فسألت عنه فقيل لي هذا علي بن حسين قال فامتلأ قلبي له بغضا وحسدت عليا ان يكون له ابن مثله فقلت بك وبابيك أسب عليا فلما انقضى كلامي قال أحسبك غريبا قلت أجل قال فمل بنا فان احتجت الى منزل أنزلناك أو الى مال واسيناك أو الى حاجة عاوناك قال فانصرف وما على وجه الارض أحب الي منه أيها الناس أطيعوا

ان العبد فى قراءة القرآن بحسب ماله من تعظيمه والفهم له والمشاهدة منه والمعاملة به لانه من أكبر شعائر
الله فى خلقه وأعظم آياته فى أرضه الدالات عليه وأسبغ نعمه الكاملة علينا وللعبد من التعظيم له بقدر
تقواه وله من فهم الخطاب وتعظيم الكلام على نحو ما أعطى من معرفة المتكلم وهيبته واجلاله فاذا عظم
المتكلم فى قلبه وكبر فى فهمه أتم تدبر كلامه وأطال الفكر فى خطابه وأكثر ترداده وتكريره على قلبه
وأسرع بذكره عند النازلة به والحاجة اليه فاتق وحذر ولذلك قال سبحانه واذكروا ما فيه لعلكم تتقون
وقال كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولعلهم يتذكرون لان كل كلام موقوف على قائله يعظم
بتعظيمه ويقع فى القلب بعلو مكانه أو يهون بسهولة شأنه قال الله عز وجل ليس كمثله شئ فى العظمة
والسلطان وليس ككلامه كلام فى الاحكام والبيان وقرأت فى سورة الحنين من التوراة يا عبدى أما تستحى
منى يأتيك كتاب من بعض اخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرؤه وتتدبره
حرفا حرفا حتى لا يفوتك شئ منه وهذا كتابى أنزلته اليك انظر كم وصلت لك فيه من القول وكم كررت
عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك أى عبدى
يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك
شاغل عن حديثه أومأت اليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى فجعلتنى
أهون عندك من بعض اخوانك أو كما قال وانما خف القيام على أهل الليل لفهم الخطاب وثقل على أهل
النوم لانفصام القلوب عن الفهم وشدة الحجاب كما قال تعالى ثقلت فى السموات والارض أى خفى علمها
يعنى الساعة فثقلت عليهم فسمى ما خفى عليه ثقيلا والله أعلم

*(الفصل التاسع عشر)* كتاب فيه ذكر الجهر بالقرآن وما فى ذلك من النيات وتفصيل حكم الجهر
والاخفات روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل
صدقة السر على صدقة العلانية وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة
وفى الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا وفى مثله من العموم خير الرزق ما يكفى
وخير الذكر الخفى وفى الخبر لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن
المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقرآن فى صلاته وكان
حسن الصوت فقال لغلامه برد اذهب الى هذا المصلى فمره أن يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد
ليس لنا وان للرجل فيه نصيبا فرفع سعيد صوته فقال يا أيها المصلى ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك
فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيأ قال فسكت عمر وخفف ركعته
فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة وعلى ذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمع جماعة من أصحابه يجهرون بالقراءة فى صلاة الليل فيصوب بذلك لهم ويسمع اليهم وقد أمر بالجهر
فيما روى عنه اذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى
قراءته ويصلون بصلاته ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة من أصحابه فى الليل مختلفى الاحوال
منهم من كان يخافت وهو أبو بكر رضى الله عنه فسأله عن ذلك فقال ان الذى أناجيه هو يسمعنى ومنهم
من كان يجهر وهو عمر رضى الله عنه فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومنهم من كان يقرأ
آيا من هذه السورة ومن هذه السورة وهو بلال فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال كلكم
قد أحسن وأصاب فنقول والله أعلم ان المخافتة بالقراءة أفضل اذا لم تكن للعبد نية فى الجهر أو كان ذاهبا
عن الهمة والمعاملة بذلك لانه أقرب الى السلامة وأبعد من دخول الآفة وان الجهر أفضل لمن كانت له نية
فى الجهر ومعاملته مولاه به لانه قد قام بسنة قراءة الليل ولان المخافت نفعه لنفسه والجاهر نفعه له ولغيره
وخير الناس من ينفع الناس والنفع بكلام الله عز وجل أفضل المنافع ولانه قد ادخل عملا ثانيا يرجو به قربة

ربكم الذى وعدكم الثواب
الجزيل على العمل القليل
وجدوا فى التزود لسفركم
الخطير تظفروا بالفضل
الغزير ولا تهملوا أنفسكم
فى اتباع الشهوات فلا
تندموا يوم تبدو الخفيات
وأعينوا أهل الطاعات تنالوا
أجل البغيات قال أبو
بشر كانت جارة لمنصور بن
المعتمر وكان لها بنتان
لا يصعدان الى السطح الا
بعد ان ينام الناس فقالت
احداهما ذات ليلة يا أماه
ما فعلت القائمة التى كنت
أراها على سطح فلان فقالت
يا بنيتى لم تكن تلك القائمة انما
كان ذلك منصورا يحيى
الليل كله فى ركعة لا يركع
فيها ولا يسجد فقالت يا أماه
بلغ به الفرق من النار هذا
فافعل قالت يا بنيتان
فقالت يا أماه انطلقى فاشترى
لى مدرعة أتعبد فيها فوالله
لا يجتمع رأسى ورأس رجل
أبدا رجل لا ينام الليل
عشرين سنة فرقا من النار
فاشترت لها مدرعة من
شعر فدخلت البيت
ودخلت أختها معها فى
العبادة فتعبدتا بعد ذلك
عشرين سنة لا تنامان
الليل ولا تفطران النهار
فرضى الله عنهما وعن أمهما
التى أعانتهما على عبادة
ربهما وهى الام الحنونة
المساعدة على الخير الدافعة
عن بناتها النار بخلاف

ثانية على عمله الاول فكان في ذلك أفضل وليجعل العبد مفتاح درسه ان يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد قبلها وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله وبلغ رسول الله اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين استغفر الله الحي القيوم ومن حفظ جوارحه موقفا بمعنى المنهي فقد عمل بالقرآن الى منتهاه لانه مقسط على جملة العبد وجوارحه جملة وفي الجهر بالقراءة سبع نيات منها الترتيل الذي أمر به ومنها تحسين الصوت بالقرآن الذي ندب اليه في قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم وفي قوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي يحسن به صوته وهو أحد الوجهين وأحبهما الى أهل العربية والوجه الآخر أي من لم يستغن به من الغنية الا كتفاء وقد قال من هذا الوجه يتغانى به ومنها ان يسمع أذنيه ويوقظ قلبه ليتدبر الكلام ويتفهم المعاني ولا يكون ذلك كله الا في الجهر ومنها ان يطرد الشيطان والنوم عنه برفع صوته ومنها ان يرجو بجهره يقظة نائم فيذكر الله عز وجل فيكون هو سبب احيائه ومنها ان يراه بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق الى الخدمة فيكون معاونا له على البر والتقوى ومنها ان يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففي ذلك كثرة عمله فاذا كان العبد معتقدا لهذه النيات طالبا لها متقربا الى الله سبحانه وتعالى عالما بنفسه مصححا لقصده ناظرا الى مولاه الذي استعمله فيما يرضاه فجهره أفضل لانه فيها عمالا وانما يفضل العمل بكثرة النيات فيه وارتفع العلماء وفضلت أعمالهم بحسن معرفتهم بنيات العمل واعتقادهم لها فقد يكون في العمل الواحد عشر نيات يعلم ذلك العلماء فيعملون بها فيعطون عشرة أجور وأفضل الناس في العمل أكثرهم نية فيه وأحسنهم قصدا وأدبا وفي بعض التفاسير في قوله عز وجل وأما بنعمة ربك فحدث قال قراءة القرآن وفي الخبر من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة وفي خبر آخر كتب له عشر حسنات والتالي شريك المستمع في الاجر لانه اكتسبه ذلك وقال بعضهم للقارئ أجر وللمستمع أجران وقال آخر للمستمع تسعة أجور وكلاهما صحيح لان كل واحد منهما على قدر اخلاصه ونيته فاذا كان التالي مكسبا لغيره هذه الاجور فان له بكل أجر أكسبه اياه أجرا يكتسبه به لقوله صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله سيما اذا كان عالما بالقرآن فقيها فيه فيكون مقرئا ورقوته بحق وعلما لسامعه وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت صوتا أحسن منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله واستمع أيضا ذات ليلة الى قراءة عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهم فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ وعليك أنزل فقال اني أحب ان أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان وذلك عند قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك تسمع الى لحبرته لك تحبيرا وكان ابن مسعود يأمر علقمة بن قيس ان يقرأ بين يديه فيقول له رتل فداك أبي وأمي وكان حسن الصوت بالقرآن وفي الخبر كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا أمروا أحدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لابي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة فكأنه يتأول قوله عز وجل ولذكر الله أكبر وقال بعض عباد البصريين لما وضع بعض البغداديين كتابا في معاني الرياء ودقائق آفات النفوس قال لقد كنت أمشي بالليل أسمع أصوات المتهجدين كأنها أصوات المزاريب فكان في ذلك أنس وحث على

نساء زمانشا الفاشيات لانفسهن ولاولادهن فكان بهن وقد تناثرت لحومهن وسعت الديدان في خدودهن وشعورهن وتتابعت عليهن الانواع وغير ذلك من الآفات فندمن حين لا ينفعهن الندم فتوبوا الى الله تعالى من ذنوب مضت وقولوا نادمين من خطيئات سلفت شعر

يارب قد تبت فاغفر زلتي كرما
وارحم بعفوك من أخطا ومن ندما
لا عدت أفعل ما قد كنت أفعله
عمري فخذ بيدي يا خير من رحما
هذا مقام ظلوم خائف وجل
لم يظلم الناس لكن نفسه ظلما
فاصفح بعفوك عمن جاء معتذرا
واغفر ذنوب مسيء طال ما اجترما

اللهم سلمنا من آفات الدنيا وأغوال الشيطان وشهوات النفس فانا قد رجعنا اليك معتذرين مما أسلفنا وارزقنا التوبة واغفر لنا الحوبة (الامر الرابع) ان تشتغل بكسب نفسك أو عيالك فتنال بذلك درجات أصحاب اليمين دون المقربين لكن بشرط أداء الفرائض كلها واجتناب المعاصي أجمعها وسلامة المسلمين من يدك ولسانك قال الله تعالى

الصلاة والتلاوة حتى جاء البغداديون بدقائق الرياء وخطايا الآفات فسكت البصريون فلم يزل ذلك ينقص حتى ذهب وانقطع وترك الى اليوم فانه لم يكن للسالف نيتق شيء مما ذكرناه وكان سابقاً بالاعن ذلك وكان واتفا مع شيء من الآفات أو لمح في قلبه شخص أو وسا كن ذكر هوى فقد اعتل فعليه ان يحتمي الجهر فان جهر على ثقل قلبه فسد عمله لاستكان الداء فيه وكان الى النقصان أقرب ومن الاخلاص أبعد فعليه حينئذ بالاخلاص فهو دواؤه يعالج به حاله فانه أصلح لقلبه وأسلم لعمله وأحمد في عاقبته وقد يكون العبد واجدا الحلاوة الهوى في الصلاة والتلاوة وهو يظن ان ذلك حلاوة الاخلاص وهذا من دقيق شأن الشهوة الخفية ولطيف الانتقاص وقد يلتبس ذلك على الضعفاء ولا يفطن له الا العلماء وانما يجد حلاوة الاخلاص الزاهدون في الدنيا وفي مدح الناس لهم به ويتلذذون بنعم المعاملة وصدق الخدمة المحبون لله عز وجل الخائفون منه واعتبار فقد ذلك باحد شيئين سقوط النفس باستواء المدح والذم وهذا حال في مقام الزهد أو الخلوص القلب بشهادة اليقين وهذا في مقام المعرفة وفي هذين المقامين يستوي السر والعلانية وقد تكون العلانية أفضل لأئمة التقوى والعدل وحدثت عن رجل من أهل الخير قال كنت اقرأ في السحر في غرفة لي شارع سورة طه فلما ختمتها اغفوت بعدها غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة بيضاء فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيأ فغمني ذلك فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولم أر لها ثوابا ولا أراها أثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادي امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت صوتك بها لاجله فمحوناها وقد روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يجهر بقراءته فناداه يا فلان اسمع الله ولا تسمعني واعلم ان السمعة مقرونة بالرياء ومحكوم لها بحكمه من فساد العمل ونقصان العامل وهي مأخوذة من السمع كان العبد يسمع بعمله غير الله عز وجل ويحب ان يسمع به مخلوقا ليمدحه به لطلبتهم أو لضعف نفسه فيكون قد أشرك في عمله غير الله عز وجل فيبطل عمله لجهله بالتوحيد اذ لو علم يقينا ان لا نافع الا الله عز وجل ولا ضار ولا معطي ولا مانع الا اياه خلص له توحيده من الشرك فخلص له عمله من الرياء وكذلك الرياء مأخوذ من رأى العين فالسمعة في معناه وفي الخبر لا يقبل الله عز وجل من مسمع ولا مراء وفي خبر آخر من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به وصغره وحقره فاما من كانت له نية صالحة في ان يسمع أخاه كلام الله ليتعظ به ويتدبره أو ينتفع باستماعه ويتذكر به فليس داخلا في السمعة لوجود حسن النية وصحة القصد ولفقد اقتران الآفة لارادة طمع عاجل من مدح أو غرض دنيا كما قال أبو موسى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا فلم ينكر عليه لانه ذو نية في الخير وحسن قصد به وقال الآخر الذي رفع صوته بالآية أسمع الله عز وجل ولا تسمعني فانكر عليه لما شهد السمعة فيه وقد روينا انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يظهر التأوه والوجل فقال من كان معه يا رسول الله أتراه مرائيا فقال لا بل أواه منيب واعلم ان الاكل والنوم على السلامة والصدق أفضل في الحال وارفع في المقام واحمد في المآل من القيام والصيام على يسير من التصنع والتزين للخلق ومعرفتهما والقيام به هو موضع علم العلماء بالله عز وجل وحدثنا عن الحسن البصري قال تفقدوا الحلاوة في ثلاثة اشياء فان وجدتموها فابشروا وامضوا لقصدكم وان لم تجدوها فاعلم ان الباب مغلق عند تلاوة القرآن وعند الذكر وفي السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار وقراءة القرآن في المصحف أفضل من قراءته عن ظهر قلب يقال الختمة بسبع ختم لان النظر في المصحف عبادة وكان كثير من الصحابة والتابعين يقرؤن في المصحف ويستحبون ان لا يخرج يوما الا نظروا فيه وخرق عثمان مصحفين من كثرة درسه فيهما

*(الفصل العشرون)* في ذكر احياء الليالي المرجو فيها الفضل المستحب احياؤها وذكر مواصلة

ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم أي بالتجارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره لقي الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان رواه البيهقي وأبو نعيم فينبغي ان تنوي بكسبك الاستعفاف عن المسئلة والتعطف على الجار والسعي على العيال لتنال هذه المرتبة ت عن النبي صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء ت عنه صلى الله عليه وسلم التجار يحشرون يوم القيامة فجارا الا من اتقى وبر وصدق خ م عنه صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا وبينا فان صدقا بورك لهما في بيعهما وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البركة في التجارة وصاحبها لا يفتقر الا تاجر حلاف مهين م قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرسا الا كان ما أكل منه صدقة ولا يرزؤه أحد الا كان له صدقة وفي رواية ولا يغرس المسلم غرسا فيأكل منه

الاوراد فى الايام الفاضلة ويستحب احياء خمس عشرة ليلة فى السنة خمس منها فى شهر رمضان وهى وتر ليالى العشر الاخير منه وليلة سبع عشرة من رمضان هى صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وكان ابن الزبير يذهب الى انها ليلة القدر وأما التسعة الأخر فأول ليلة من شهر المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من شهر رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وفيها أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وليلة عرفة وليلة العيدين وليلة النصف من شعبان وقد كانوا يصلون فى هذه الليلة مائة ركعة بالفاتحة مرة وقل هو الله أحد عشرا فى كل ركعة ويسمون هذه الصلاة صلاة الخير ويتعرفون بركتها ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة وروينا عن الحسن قال حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله عز وجل اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة وقد قيل ان هذه الليلة هى التى قال الله عز وجل فيها فيها يفرق كل أمر حكيم وانه ينسخ فيها أمر السنة وتدبير الاحكام الى مثلها من قابل والله أعلم والصحيح من ذلك عندى انه فى ليلة القدر وبذلك سميت لان التنزيل يشهد له اذ فى أول الآية انا أنزلناه فى ليلة مباركة ثم وصفها فقال فيها يفرق كل أمر حكيم فالقرآن انما أنزل فى ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف فى هذه الليلة مواطئة لقوله عز وجل انا أنزلناه فى ليلة القدر هذا ذكر مواصلة الاوراد فى الايام الفاضلة وهى تسعة عشر يوما تستحب فيها مواصلة الاوراد والدأب فى العبادة يوم عاشوراء ويوم عرفة ويوم سبعة وعشرين من رجب ويوم سبعة عشر من شهر رمضان ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيد والايام المعلومات وهى عشر ذى الحجة والايام المعدودات وهى أيام التشريق وفى الخبر صوم يوم عرفة يكفر سنتين سنة ماضية وسنة مستقبلة وصوم يوم عاشوراء كفارة سنة وقد روينا عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض علمائنا من أخذ مهناه فى هذه الايام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناه فى الآخرة وقال هذه الايام يرجى فيها الفضل من الله عز وجل والمزيد فاذا اشتغلت فيها بحوائك وعاجل الدنيا فمتى ترجو الفضل والمزيد يعنى بالايام الخمسة العيدين ويوم الجمعة ويوم عرفة ويوم عاشوراء ومن فواضل الايام بعد هذه يوم الاثنين ويوم الخميس يومان ترفع فيهما الاعمال الى الله عز وجل ومن الفاضل الشهور الاربعة الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب خصهن الله عز وجل بالنهى عن الظلم فيهن لعظم حرمتهن فكذلك الاعمال لها فيهن فضل على غيرها وأفضلها ذو الحجة لوقوع الحج فيه ولما خص به من الايام المعلومات والايام المعدودات ثم ذو القعدة لجمعه الوصفين معا وهو من الاشهر الحرم ومن أشهر الحج فاما المحرم ورجب فليسا من أشهر الحج وأما شوال فليس من أشهر الحرم ولكنه من أشهر الحج وأفضل الايام فى الشهور العشران العشر الآخر والعشر الاول من ذى الحجة وبعدهما عشر المحرم من أوله فالاعمال فى هذه الايام لها فضل ومزيد على سائر الشهور وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة أيام من شهر حرام باعده الله من النار سبعمائة عام يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت وفى خبر آخر صوم يوم من شهر حرام يعدل صوم ثلاثين يوما من غيره وصوم يوم من شهر رمضان يعدل صوم ثلاثين يوما من شهر حرام ثم ان أفضل الاوقات فى جملة الايام أوقات الصلوات الخمس وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخلت العشر الاواخر من شهر رمضان طوى الفراش وشد المئزر وفى حديث آخر اذا دخلت العشر الاواخر دأب وأدأب أهله يعنى أدام وأداموا التعب والنصب فى العبادة وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب الى الله عز وجل من أيام عشر ذى الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع منهما بشئ وفى لفظ آخر الا من عقر جواده وأهريق دمه واذا أحب الله عز وجل عبدا استعمله فى الاوقات الفاضلة بافضل الاعمال ليثيبه أفضل

اللسان ولا الطير ولا الدابة الا كانت له صدقة الى يوم القيامة خ قال قتادة كان القوم يتبايعون ويتجرون ولكنهم اذا نابهم حق من حقوق الله تعالى لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه الى الله تعالى وفى كتاب البركة وخير أعمال النساء المغزل يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم لهو المرأة المغزل خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يديه وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يديه خم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء من أين أخذ المال أمن الحلال أم من الحرام زاد رزين فاذا ذلك لا يجاب لهم دعوة عن أبى بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشوبوا اللبن بالماء فان رجلا كان فيمن كان قبلكم كان يبيع اللبن ويشوبه بالماء فاشترى قردا وركب البحر حتى اذا لجج فيه ألهم الله القرد صرة الدنانير فأخذها وصعد الدقل ففتح الصرة وصاحبها ينظر اليه فأخذ

الثواب واذا مقت عبدا استعمله باسوأ الاعمال فى أفاضل الاوقات ليضاعف له البأس بانتقاص حرمات الشعائر وانتهاك المحرمات فى الحرمات ويقال من علامات التوفيق ثلاث دخول أعمال البر عليك من غير قصد لها وصرف المعاصى عنك مع الطلب لها وفتح باب الدعا والافتقار الى الله عز وجل فى الشدة والرخاء ومن علامات الخذلان ثلاث تعسر الخيرات عليك مع الطلب لها وتيسر المعاصى لك مع الرهب منها وغلق باب الدعا والافتقار الى الله عز وجل فى كل حال فنسأل الله تعالى بفضله حسن التوفيق والاختيار ونعوذ به من سوء القضاء والاقدار

*(الفصل الحادى والعشرون)* فيه كتاب الجمعة وذكر هيآتها وآدابها وما يستحب من العمل فيها للمريد فى يومها وليلتها صلاة الجمعة واجبة باوصاف وساقطة باوصاف فوجوبها يكون بالاقامة والاستطاعة وحضور وقت الظهر وتكملة عدة أربعين رجلا أحرارا وسقوطها بالسفر ودخول وقت العصر ونقصان العدد ووقوع العذر وهى من أعمال الامراء تصلى خلف كل من أقام بها منهم الا انى أحب اعادتها ظهرا اذا صليت خلف مبتدع فان اجتمع فى بلد كبير جامعان صليت خلف الافضل من امامهما فان استويا فى الفضل صليت فى القديم من الجامعين فان تساويا صليت فى الاقرب منهما الا ان تكون له نية فى الابعد لاستماع علم او نشره أو تعلمه وصلاتها فى الجامع الاعظم وحيث يكون المسلمون أكثر أفضل ومن صلى فى أيهما أحب حسبت صلاته قال ابن جريج قلت لعطاء اذا كان فى المصر جامعان أو ثلاثة فى أيها أصلى قال صل حيث جمع المسلمون فانها جمعة وهو يوم عظم الله تعالى به الاسلام وزينه وشرف به المسلمين وفضلهم قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع الآية فالبيع والشراء محرم بعد الاذان للجمعة عند طائفة من العلماء لعموم النهى عنه ومنهم من قال يرد البيع لانه فاسد الا انى أحسب ان ذلك يحرم عند الاذان الثانى وهو مع خروج الامام اذا قعد على المنبر لان هذا كان هو الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما والاذان الاول أحدثه عثمان رضى الله عنه لما كثر الناس وقال الله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله الآية فأمر عباده المؤمنين فى يوم الجمعة بالذكر له ونهاهم عن البيع وأمرهم فيه بطلب الفضل منه ووعدهم الخير والفلاح وهما اسمان جامعان لغنيمة الدنيا والآخرة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا وروى عنه صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفى لفظ حديث آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس فسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال فى النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عنه كل ذلك يقول فى النار وتقصد الجمعة من فرسخين أو ثلاثة وتستحب لمن بكر اليها من أهل القرى فادركها وأدركه الليل فآواه الى أهله اذا رجع ان يشهدها الا انها ساقطة عن خمسة الصبى والمملوك والمرأة والمسافر والمريض فمن شهدها من هؤلاء فصلاها أجزأت عنه وكان مؤديا لفرضه وفى الخبر ان أهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله عز وجل برحمته له وادخره لهذه الامة جعله عيدا لهم فهم أول الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفى حديث أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال أتانى جبريل عليه السلام وفى كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم أعطاه الله عز وجل او ليس من قسم أدخر له ما هو أعظم أو يتعوذ من شر هو عليه مكتوب الا أعاذه الله تعالى من أعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فذكر الحديث قال فيه ويتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه فذكرناه بتمامه فى مسند الالف وروى عنه صلى الله عليه وسلم

---

دينارا ورمى به فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمها بالصفين فالتى عن الماء فى الماء قال مر أبو هريرة بانسان يحمل لبنا وقد خلطه بالماء فقال له أبو هريرة كيف لك يوم القيامة حيث يقال لك خلص الماء من اللبن فعليك يا أخى رحمك الله أن لا تشتغل بعد اداء الفرض والرواتب الا بما ينفعك فى معادك أو بمعاشك الذى تستعين به على معادك ولا تضيع ما بقى من أنفاسك فانه مثل الكبريت الاحمر واستعد لرمسك وحشرك واقتد بالسادات الاخيار الذين عمروا ظاهرهم وباطنهم بالتقوى ولم يقفوا يوما فى شرك الهوى (شعر)

قلوب بتقوى الله والذكر عامره
وأوجههم بالقرب والبشر زاهره
يناجون مولاهم بفرط تضرع
وأنوارهم من بهجة الحق باهره
يناديهم الرحمن أنتم أحبتى
وأرواحهم شوقا الى القرب طائره
اذا اجتمعوا فى خلوة الذكر فى الدجى
بمقعد صدق والزجاجة دائره
ترى أعين العشاق نحو حبيبهم
الى ذلك الوجه المقدس ناظره

خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله عز وجل في الجنة في أخبار يطول ذكرها وفي الحديث ما من دابة الا وهي قائمة على ساق يوم الجمعة مصيخة أي مصغية تتوقع مشفقة من قيام الساعة الا الشياطين وشقي بني آدم ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وفي الخبر ان لله عز وجل في كل يوم جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم يوم الجمعة سلم الايام وقال كعب في الخبر ان الله عز وجل فضل من كل شيء من خلقه شيأ ففضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وفي الخبر ان جهنم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه فافضل ما يعمله العبد في يوم الجمعة البكور الى الجامع في الساعة الاولى فان لم يفعل ففي الساعة الثانية فان لم يفعل ففي الساعة الثالثة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فكأنما جاء لحق الصلاة وليس من الفضل في شيء فالساعة الاولى تكون بعد صلاة الصبح والساعة الثانية تكون عند ارتفاع الشمس والثالثة تكون عند انبساطها وهي الضحى الاعلى اذا رمضت الاقدام بحر الشمس والساعة الرابعة تكون قبل الزوال والساعة الخامسة اذا زالت الشمس أو مع استوائها وليس الساعة الرابعة والخامسة مستحبتين للبكور ولا فضل لمصلي الجمعة بعد الساعة الخامسة لان الامام يخرج في آخرها فلا يبقى الا فريضة الجمعة ويقال ان الناس يكونون في قربهم من الله عز وجل عند الزيارة للنظر اليه تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود يوم الجمعة بكرة فرأى ثلاثة نفر وقد سبقوه بالبكور فوجم لذلك وجعل يقول رابع أربعة يعني نفسه وما رابع أربعة من الله ببعيد وهذا من اليقين في هذه المشاهدة الخبر وقد جاء في الاثر ان الملائكة يفتقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان أخره فقر فاغنه وان كان أخره مرض فاشفه وان كان أخره شغل عنه ففرغه لعبادتك وان كان أخره لهو فاقبل بقلبه على طاعتك ولا تقعد الى القصاص يوم الجمعة فقد كره ذلك ولا في حلق قبل الصلاة وروينا في خبر مقطوع عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال أحمد بن حنبل وقد ذكر هذا الحديث افضلهن الغدو الى الجمعة وقد روي في خبر آخر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وروينا في خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالله تعالى يذكر بايام الله عز وجل ويفقه في دين الله عز وجل يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور الى الجمعة والاستماع الى العلم ولا يدع الغسل لها يوم الجمعة الا من ضرورة فانه عند بعض العلماء فرض والاغتسال في البيت أفضل وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة فليغتسل وكان أهل المدينة يتسابون بينهم فيقولون لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقد قال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان أن توضأت وخرجت فقال عمر والوضوء أيضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل ولكن في ترك الغسل رخصة لوضوء عثمان مع علمه ويسند ذلك الى الخبر المسند من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل

افضل

فيا نفس هذا مشرب القوم فاشربي
عسى أن تكوني عند ذلك حاضره
وتحظي برؤيا من لحسن جماله
غدت السن المداح تتلو مفاخره
رسول أتى والشرك كالليل حالك
فأجلى بانوار الرشاد دياجره
رؤف رحيم شاهد متوكل
سراج منير فاز من كان زائره
فلو شاهدت عيناك زوار قبره
وأعينهم كالسحب بالدمع ماطره
وتأتي وفود العاشقين صبابة
الى نحوه من كل فج مبادره
لتهدي نفوسا الجمت في ظلامها
وكانت ضلالا قبل ذلك نافره
وهبت لها من ذلك الحي نسمة
وأنفاسها من طيب رياه عاطرة
فيا أيها المختار من آل هاشم
ومن كرم الله العظيم عناصره
اغثنا جميعا في غد بشفاعة
فأنت لكسر القلب ما زلت جابره
عليك صلاة الله ما ذر شارق
ولاحت نجوم في دجى الليل زاهره
اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين

أفضل وروينا عن الصحابة أمرنا بالغسل يوم الجمعة في الصيف فلما جاء الشتاء كان من شاء اغتسل ومن لم يشأ ترك الغسل وقد روينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل فلذلك قال مالك بن أنس ان النساء اذا حضرن الجمعة اغتسلن لها ومن اغتسل من جنابة أجزأه لغسل الجمعة اذا نوى ولابد من النية لغسل الجنابة لاجل الجمعة فهو أفضل ويكون الغسل للجمعة اخلاقيه فاذا أفاض عليه الماء ثانية بعد غسله للجنابة لاجل الجمعة فهو أفضل دخل بعض الصحابة على ابنه يوم الجمعة وهو يغتسل فقال للجمعة غسلك هذا قال لا بل من الجنابة قال فاعد غسلا ثانيا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول واجب على كل مسلم ان يغتسل يوم الجمعة ومن اغتسل بعد طلوع الفجر للجمعة أجزأه ولكن أفضل الغسل لها عند الرواح الى الجامع وأحب ان لا يحدث وضوأ بعد الغسل حتى يفرغ من صلاة الجمعة ان العلماء من كره ذلك ولكن ان بكر الى الجامع فتوضأ هنالك من حدث لحقه لامتداد الوقت فانه على غسل الجمعة ويستحب ان يستاك وان يلبس من صالح ثيابه ويجتنب الشهرة من الثياب ومن أفضل ما لبس البياض أو بردين يمانيين ولبس السواد يوم الجمعة ليس من السنة ولا من الفضل ان ينظر الى لابسه وليقلم أظفاره ويأخذ من شاربه فقد روى فضل ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أمره وقد روينا عن ابن مسعود وغيره من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منها داء وادخل شفاء وليتطيب بأطيب طيبه مما ظهر ريحه وخفي لونه فذلك طيب الرجال وطيب النساء مما ظهر لونه وخفي ريحه روينا ذلك في الاثر وتستحب العمامة يوم الجمعة وقد روينا فيها حديثا مسندا عن واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة فان أكربه الحر فلا بأس ان ينزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن يخرج من منزله الى الجامع وهو لابسها ولا يصلي الا معتما لتحصل له فضيلة العمة فان نزعها فليلبسها حينئذ عند صعود الامام المنبر ثم ليصل وهي عليه فان شاء نزعها بعد ذلك وليخرج الى الله عز وجل خاشعا متواضعا ذا سكينة ووقار واخبات وافتقار وليكثر من الدعاء والاستغفار وينوي في خروجه زيارة مولاه في بيته والتقرب اليه باداء فريضته والعكوف في المسجد الى حين انقلابه ثم لينو كف جوارحه عن اللهو واللغو ويتقي الشغل حين يخدم مولاه وليترك راحته في ذلك اليوم في مهناه من عاجل حظ دنياه وليواصل الاوراد فيه فيجعل أوله الى انقضاء صلاة الجمعة للخدمة بالصلاة وأوسطه الى صلاة العصر لاستماع العلم ومجالس الذكر وآخره الى غروب الشمس للتسبيح والاستغفار فكذلك كان المتقدمون يقسمون يوم الجمعة هذه الاقسام الثلاثة وان صامه فحسن اذا ضم اليه يوم الخميس أو يضيف اليه يوم السبت وقد كره افراده بصوم ومن لم يصمه وكان له أهل فالمستحب ان يجامع فيه فقد روى فضل ذلك وكان بعض السلف يفعله وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غسل واغتسل وغدا وبكر ودنا من الامام ولم يلغ كان له بكل خطوة صيام سنة وقيامها وفي خبر آخر ودنا من الامام واستمع كان له ذلك كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام وفي لفظ آخر غفر له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس يعني قوله من غسل بالتشديد أي غسل أهله كناية عن الجماع وبعض الرواة يخففه فيقول غسل واغتسل فيكون معناه غسل رأسه واغتسل لجسده وليتق أن يتخطى رقاب الناس فان ذلك مكروه جدا وقد جاء فيه وعيد شديد ان من فعل ذلك جعل جسرا يوم القيامة على جهنم تتخطاه الناس وقال ابن جريج حدثنا مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم وجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله قد جمعت فقال أولم أرك تتخطى رقاب الناس وفي حديث مسند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما منعك ان تصلي معنا الجمعة فقال أولم ترني قال قد رأيتك تأنيت وآذيت أي تأخرت عن البكور وآذيت بالحضور ولا يقعد الى القصاص في يوم الجمعة فقد كره ذلك ولا في حلقة قبل

•(فصل)• ثم ان كان لك قيام بالليل أو سهر في الخير فنم قبل الزوال ثم انتبه قبل الزوال وتوضأ وصل أربع ركعات سنة الظهر ثم صل الفرض بسنته ثم أربع ركعات روى الترمذي وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعدها حرمه الله على النار ثم اشتغل باحد الامور الاربعة المذكورة الى العصر ثم صل سنة العصر أربعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا ثم صل الفرض واشتغل باحد الامور الاربعة المذكورة خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله ثم اذا اصفرت الشمس فاشتغل بالتسبيح والذكر قال الله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وروى ابن السني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لان اجلس مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر الى ان تغرب الشمس أحب الي من ان اعتق ثمانية من ولد اسمعيل ثم صل المغرب بعد راتبتها وروى الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى بعد المغرب عشرين

الصلاة فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالله عز وجل يذكر بايام الله و يفقه فى الدين يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور الى الجمعة و بين الاستماع الى العلم وقد روينا عن بعض علماء السلف قال ان لله تعالى فضلا من الرزق سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل الا من سأله عشية الخميس و يوم الجمعة وفى الخبر المشهور ان فى الجمعة ساعة لا توافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيأ الا أعطاه وفى لفظ آخر لا يصادفها عبد يصلى واختلف فى وقت هذه الساعة فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل عند الزوال و يقال مع الاذان وقيل هى اذا صعد الامام المنبر وأخذ فى الذكر وقيل بعد العصر من آخر أوقاتها وقيل عند غروب الشمس اذا تدلى حاجبها الاسفل كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمها ان ينظر الى الشمس فيؤذنها بسقوطها فتأخذ فى الدعاء والاستغفار فى ذلك الوقت الى أن تغرب الشمس وتخبر ان تلك الساعة هى المنتظرة وتؤثره عن أبيها صلى الله عليه وسلم فهذا اجل ما قيل فى هذه الساعة بروايات جاءت فى ذلك متفرقة فحذفنا ذكرها للاختصار فليتوخ هذه الاوقات وليتعهد الدعاء فيها والصلاة فيما اصلح منها وقد قال بعض العلماء ان هذه الساعة مبهمة فى جميع اليوم لا يعلمها الا الله عز وجل كانها بمنزلة ليلة القدر مبهمة فى جميع شهر رمضان وكانها مثل الصلاة الوسطى فى جملة الصلوات الخمس وقد قيل انها تنتقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر عند بعضهم فى ليالى الشهر ذلك ليكون العبد طالبا الى الله عز وجل وراغبا متضرعا مفتقرا فى جميع ذلك اليوم فمن واصل الاوراد فيه وعمره بالذكر كل ساعة صادفها باذن الله عز وجل فان لم يواصل الساعة فى يوم واحد فليواصلها فى جمع شتى وقتا على وقت على ترتيب أوقات يوم فانها تقع فى جميع الاوقات لا محالة وليكثر الدعاء والتضرع فى وقتين خاصة عند صعود الامام المنبر الى ان تقام الصلاة و يدخل فيها وعند آخر ساعة وقت تدلى الشمس للغروب فهذان الوقتان من أفضل أوقات الجمعة و يقوى فى نفسى ان فى أحدهما الساعة المرجوة وقد اجتمع كعب الاحبار مع أبى هريرة واجتمع رأى كعب انها فى آخر ساعة من يوم الجمعة فقال أبو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة فكان له واقفه وليكثر من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم الجمعة وليلتها وأقل ذلك ان يصلى عليه صلى الله عليه وسلم ثلثمائة مرة وقد جاء فى الخبر من صلى على فى يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى و تعقدها واحدة فكيف ما صلى عليه بعد ان يأتى بلفظ ذكر الصلاة عليه فهى صلاة والصلاة المشهورة هى التى رويت فى التشهد وان يجعل من صلاته عليه ان يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جزيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين تقول هذا سبع مرات ففى هذا فضل عظيم و يقال من قاله سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان زاد هذه الصلاة فهى مأثورة اللهم اجعل فضائل صلواتك وشرائف زكواتك ونوامى بركاتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبى الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلج حجته وارفع فى أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا



ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة وروى الترمذى والنسائى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات على اثر المغرب بعث الله عز وجل له مسلحة يتكفلونه من الشيطان حتى يصبح وكتب الله له عشر حسنات موجبات ومحا عنه عشر سيئات موبقات وكانت له عدل عشر رقاب مؤمنات ثم صل العشاء وراتبتها والسنة لمن أوتر بثلاث ركعات ان يقرأ فى الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفى الثانية قل يا أيها الكافرون وفى الثالثة قل هو الله أحد والمعوذتين وقل بعد الوتر سبحان الملك القدوس ثلاث مرات اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ثم اشتغل الى النوم بما ينفعك فى آخرتك ونم طاهرا تائبا عازما على قيام الليل وقل عند النوم باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه ان أمسكت نفسى فاغفر لها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ولا تترك قيام الليل وان قل فركعتان فى جوف الليل

على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين
ولا مفتونين آمين رب العالمين وليكثر من الاستغفار يوم الجمعة وليلتها وأى لفظ ذكر فيه سؤال المغفرة
فهو مستغفر وان قال اللهم اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم فهو أفضل وان قال رب اغفر
وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت خير الراحمين فحسن واستحب له ان يقرأ ختمة يوم الجمعة فان شاق عليه ذلك
فليشفع اليه ليلتها ليكون ابتداؤه من ليلة الجمعة وان جعل ختمه القرآن في ركعتى الفجر من يوم الجمعة او في
ركعتى المغرب ليلة الجمعة فحسن ليستوعب بذلك كما اليوم والليلة وان جعل ختمه بين الأذان للجمعة
والاقامة للصلاة ففيه فضل عظيم ويستحب ان يصلى قبل الجمعة اثنتى عشرة ركعة و بعدها ست ركعات واذا
دخل الجامع فليصل أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائتى مرة في كل ركعة خمسين مرة
ففيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له واذا دخل
الجامع فلا يقعدن حتى يصلى ركعتين قبل ان يجلس وكذلك ان دخل والامام يخطب صلاهما خفيفتين
وان سمعه لامر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك لانه قد جاء فى حديث غريب ان النبى صلى الله عليه وسلم
سكت له حتى صلاهما فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما ولعل سكوت رسول الله صلى الله عليه
وسلم مخصوص للوجوب بقوله ور وى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وأبى هريرة قالا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر
له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفى من الداء والدبيلة وذات
الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال واستحب ان يصلى يوم الجمعة أربع ركعات بأربع سور سورة
الانعام وسورة الكهف وسورة طه و يس فان لم يحسن ذلك قرأ سورة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان
وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور في كل ليلة جمعة ففى ذلك أثر وفضل كبير فان لم يحسن
جميع القرآن قرأ ما يحسن منه فذلك له ختمة فقبل ختمه من حيث علمه وقد كان العابدون يستحبون ان
يقرؤا يوم الجمعة ألف مرة قل هو الله أحد فان قرأها في عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة وقد
كانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ألف مرة ومن التسبيح والتهليل بالكلمات الاربع ألف مرة
وهذه ثلاثة اوراد حسنة فى يوم الجمعة أعنى قراءة قل هو الله أحد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
والتسبيح والتهليل الفا ألفا فلا يدعن ذلك من رزقها أو أحدها فانه من أفضل الاعمال فى هذا اليوم وان
صلى يوم الجمعة قبل الزوال صلاة التسبيح وهى ثلثمائة تسبيحة فى أربع ركعات فقد أكثر واطاب وقد
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال صلها فى كل جمعة مرة وذكر أبو الجوزاء عن ابن عباس
انه لم يكن يدع هذه الصلاة كل يوم بعد الزوال ويخبر عن فضلها ما يجل وصفه وان قرأ المسبحات الست فى
يوم الجمعة او ليلتها فحسن وليس يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ السور بأعيانها الا يوم
الجمعة وليلتها فالمأثور بيننا انه كان يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد
وكان يقرأ فى صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة بسورة الجمعة وسورة المنافقين وقد روى انه كان يقرأ بهاتين
السورتين فى صلاة الجمعة وكان يقرأ فى صلاة الغداة يوم الجمعة بسورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على
الانسان واستماعه الى علم اليقين والمعرفة وحضور مجالس الذكر أفضل من صلاته وصلاته أفضل من
حضوره مجالس القصاص وروينا فى حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وفى خبر
آخر لان يتعلم أحدكم بابا من العلم أو يعلمه غيره من صلاة ألف ركعة وفى خبر قيل يا رسول الله ومن قراءة
القرآن فقال وهل ينفع القرآن الا بعلم والصلاة اذا عدم مجلس العلم بالله والتفقه فى دين الله عز وجل
أزكى من حضور مجلس القصص ومن الاستماع الى القصاص فان القصص كان عندهم بدعة وكانوا
يخرجون القصاص من الجامع روى ان ابن عمر جاء ذات يوم الى مجلسه فى المسجد فاذا قاص يقص فقال

كثر من كنوز الجنة فى صحيح
البخارى ومسلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
ينزل ربنا تبارك وتعالى
الى السماء الدنيا حين يبقى
ثلث الليل الآخر يقول
من يدعونى فاستجيب له
ومن يسألنى فاعطيه من
يستغفرنى فاغفر له وروى
الترمذى عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال عليكم
بقيام الليل فانه دأب
الصالحين قبلكم وهو قربة
لكم الى ربكم ومكفرة
للسيئات ومنهاة عن الاثم
ابن آدم واظب على هذا
الترتيب بقية عمرك
واصبر على هذا أياما قلائل
رجاء الاستراحة أبد الآباد
صبر المريض على مر الدواء
رجاء الشفاء ولا تطول أملك
فيثقل عليك عملك
والاستعداد للموت أولى
من الاستعداد للدنيا فان
فعلت ذلك فرحت عند
الموت فرحا شديدا الا آخر له
وان سوفت خسرت عند
الموت خسرانا لا آخر له
قال خالد الوراق كانت لى
جارية شديدة الاجتهاد
فدخلت عليها يوما فذكرتها
بشئ من رفق الله تعالى
وقبوله يسير العمل فبكت
ثم قالت يا خالد انى لاؤمل
من الله عز وجل آمالا لو
حملتها الجبال لاشفقت
من حملها كما ضعفت عن
حمل الامانة وانى لاعلم ان

له قم من مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست فيه أو قال قد سبقتك اليه قال فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه فلو كان ذلك من السنة لما حل لابن عمران يقيمه من مجلسه سيما وقد سبقه الى الموضع كيف وهو الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا قال فكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروينا انه يجلس فيه وقد روينا ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة يقص فارسلت الى ابن عمران هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي قال فضربه ابن عمر حتى كسر عصا على ظهره ثم طرده ولبحذر ان يمر بين يدي المصلي وان كان يمر وهو لا يقطع الصلاة ففي الخبر لأن يقف أربعين سنة خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقد جاء فيه وعيد شديد لان يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقد سوى في ذلك بين المار والمصلي في الوعيد ففي حديث زيد بن خالد الجهني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف أربعين خير له من ان يمر بين يديه وليدن المصلي من اسطوانة أو جدار فاذا فعل ذلك فلا بد عن أحد ان يمر بين يديه وليدفعه ما استطاع وفي حديث عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان وكان أبو سعيد يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فان لم يتفق له اسطوانة فليجعل شيأ بين يديه يكون طوله عظم الذراع وقد قيل ان كان حبلا ممدودا فحاجز بينه وبين المارة وقد قيل أربع من الجفاء ان يبول الرجل قائما أو يصلي في الصف الثاني و يترك الاول فارغا أو يمسح جبهته في صلاته أو يصلي بسبيل من يمر بين يديه وقد كان الحسن يقول تخطوا رقاب الذين يقعدون على أبواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم وليقرب من الامام و ينصت و يسمع و يستقبله بوجهه كذلك السنة الا ان يخاف ان يسمع أو يرى منكرا من لبس نقش سوادا وحرير أو يرى سلاح ثقيل ولا يستطيع تغييره فليبعد حينئذ فهو أسلم ولا يلغو ولا يتكلم في خطبة الامام وان بعد ولا يجلس في حلقة من يتكلم والامام يخطب ولا يقول لآخر اسكت ولكن يومئ اليه ايماء أو يحصبه بحصاة فان لغا والامام يخطب بطلت جمعته ولا يتكلم في العلم في خطبة الامام ومن لم يقرب من الامام ولم يستمع فلينصت وان بعد كذلك المستحب وقد روينا عن عثمان وعلي رضوان الله عليهما من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وفي حديث أبي ذر لما سأل أبيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فاومأ اليه أن اسكت فلما نزل النبي صلى الله عليه وسلم قال له أبي اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق أبي وكذلك جاء في الخبر من قال لصاحبه والامام يخطب انصت أو مه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وليقطع الصلاة اذا قام المؤذنون للاذان بين يدي الامام فقد روى أبو اسحق عن الحرث عن علي رضوان الله عليهم انه كره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر و بعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب وقد جاء في الاثر خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام وسجود العامة عند قيام المؤذنين للاذان قبل الخطبة ليس بسنة فان وافق ذلك سجودا في صلاته أو سجود قرآن فلا بأس ان يتدرج في الدعاء الى فراغهم لانه وقت مفضل ولا أعرف في ذلك أثرا غير انه مباح ومن العلماء من كره الصلاة في المقصورة لاجل انها قصرت على السلطان وأوليائه وذلك بدعة عند أهل الورع ابتدعت في المساجد لانها غير مطلقة لجملة الناس فلذلك نقل في الخبر كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في المقصورة وروى رأيت أنس بن مالك يصلي في المقصورة وعمران بن حصين أيضا ومنهم من لم يكره ذلك ورأيت فيه فضلا لاجل السنة في الدنو من الامام واستماع الذكر فان اطلقت للعامة زالت الكراهة عنها وان خص بها أولياء السلطان تركت عليهم فان صلى لا يصلي فيها فان بعض العلماء كره الصلاة في فناء المنبر من قبل ان المنبر يقطع الصفوف وكان

في كرم الله عز وجل مستغاثا لكل مذنب ولكن كيف بحسرة السباق قلت وما حسرة السباق قالت غدا أعصر اذا بعثر ما في القبور وركب الابرار نجائب الاعمال فاستبقوا الى الصراط وعزة سيدي لا يسبق مقصر مجتهدا أبدا ولو حبا المجتهد حبوا أم كيف لي بموت الحزن والكمد اذا رأيت القوم يسترا كضون وقد رفعت اعلام المحسنين ثم بكت وقالت يا خالد لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالاعمال فانه ليس بين الدارين دار يدرك فيها الخدام ما فاتهم من الخدمة فويل لمن قصر عن خدمة سيده ومعه الآمال فهلا كانت الآمال توقظهم اذا نام البطالون والله أعلم وكانت رابعة العدوية تقول في حال الخوف (شعر)

ألا أيها المأمول في كل شدة
اليك شكوت الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي
أقلني ذنوبي كلها واقض حاجتي
وزادي قليل ما أراه مبلغي
المراد أبكي أم لبعد مسافتي
أتيت باعمال قباح ردية
وما في الورى جان جنى كجنايتي

عندهم ان تقدمة الصفوف الى فناء المنبر بدعة وكان الثورى يقول الصف الاول هو الخارج من بين يدى المنبر ومن خشى الفتنة والا فتقربه من الامام بان يسمع ما يجب عليه انكاره أو يرى ما يلزم الامر فيه أو النهى عنه من لبس حرير أو لبس ديباج أو الصلاة فى السلاح الثقيل المشغل كان بعده من الصفوف المقدمة أصلح لقلبه واجمع لهمه لقلة ملاقاة الناس ولترك النظر اليهم فالاصلح للقلب والاجمع للهم هو الافضل حينئذ وقد كان جماعة من العلماء والعباد يصلون فى أواخر الصفوف ايثارا للسلامة وقيل لبشر ابن الحرث نراك تبكر يوم الجمعة وتصلى فى اواخر الصفوف فقال يا هذا انما يريد قرب القلوب لا قرب الاجساد ونظر سفيان الثورى الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى خطبة أبى جعفر فلما سلم بعد الصلاة قال شغل قلبى قربك من هذا هل أمنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد قلت يا أبا عبد الله أليس فى الخبر ادن واستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان أقرب لك الى الله عز وجل وقد روينا عن أبى الدرداء فضيلة فى الصف المؤخر قال سعيد بن عامر صليت الى جنبه فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كان فى آخر صف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم الا ان هذه أمة مرحومة منظور اليها من بين الامم وان الله عز وجل اذا نظر الى عبد منهم فى الصلاة غفر لمن وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء ان يغفر لى بواحد منهم ينظر الله اليه وقد رفع بعض الرواة ان أبا الدرداء سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ذلك والصدقة مستحبة مفضلة يوم الجمعة خاصة فانها تضاعف الا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم فى كلام الامام فهذا مكروه قال صالح بن أحمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان بجنب أبى فاعطاه رجل قطعة ولم يعرفه ليناوله اياها فلم يأخذها منه أبى وقال ابن مسعود اذا سأل الرجل فى المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسأل قائما من غير ان يتخطى المسلمين أو قاعدا فى مكان وروينا عن كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف يتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما وسجودهما ثم يقول اللهم انى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذى لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله عز وجل شيأ الا أعطاه وقد روينا عن بعض السلف على غير هذا الوصف قال من أطعم مسكينا فى يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الامام اللهم انى أسألك بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم ان تغفر لى وترحمنى وان تعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له وان سمع قراءة الامام لم يقرأ فى صلاته الا سورة الحمد لا غير وان لم يسمع قراءته قرأ سورة مع الحمد ان أحب فاما من سمع قراءة الامام وقرأ معه سورة الجمعة أو غيرها من السور فقد خالف الامة وعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم مذهب أحد من المسلمين فاذا سلم من صلاة الجمعة قرأ وهو ثان رجله قبل ان يتكلم الحمد سبع مرات وقل هو الله أحد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا ففى ذلك أثر عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان ذلك حرزا له من الشيطان واستحب له ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله عز وجل عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب وقد روى ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد الجمعة ركعتين وروى أبو هريرة انه كان يصلى بعدها أربعا وروى على وعبد الله رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعدها ستا فاذا صلى العبد ست ركعات فقد استوعب جميع الروايات وأكره شراء الماء فى المسجد للشرب أو لتسبيله لئلا يكون مبتاعا فى المسجد فقد كره الشراء والبيع فى المسجد فان باعه أو دفع الماء القطعة خارجا من المسجد وشرب أو سبل فى المسجد فلا بأس وقد جاء عن بعض السلف انه كره الصلاة فى رحاب الجامع عن بعض الصحابة انه كان

---

اغرقنى بالنار يا غاية المنى فأين رجائى فيك أين مخافتى اللهم احسن عاقبتنا فى الامور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة

*(فصل) اعلم ان الصلاة أفضل العبادات البدنية وتركها اقطع شئ فى الدين قال الله سبحانه وتعالى فخلف من بعدهم خلف قال مجاهد وعكرمة وعطاء هم من هذه الامة فى آخر الزمان أضاعوا الصلاة أى تركوها أو أخروها عن الوقت واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا أى شرا وخسرانا وقال عبد الله بن مسعود هو واد فى جهنم يسيل فيه صديد أهل النار ثم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وروى أحمد عن أبى ذر ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج زمن الشتاء والورق يتهافت فقال فأخذ بغصنين من شجرة قال فجعل ذلك الورق يتهافت فقال يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله قال ان العبد المسلم ليصلى الصلاة يريد بها وجه الله فتهافت عنه ذنوبه كما تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة ت عن عبد الله بن شقيق قال كان أصحاب رسول الله صلى

يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب ويقول لاتجوز الصلاة فى الرحاب فهذا عندى على ضربين وهوان الصلاة فى رحاب الجامع الزوائد فيه المتصلة بالصفوف المحيط بها حائط الجامع الاعظم كالصلاة فى وسطه غير مكروهة والصلاة فى رحابه المتفرقة فى أفنيته التى هى من وراء جدر الجامع كالمكروهة وكذلك الصلاة فى الطرقات المنفردة عن الجامع غير المتصلة بالصفوف لحجز طريق أو بعده كان فلا يجوز وهذا الذى كرهه من كان ينهى عن الصلاة فيه فاذا صلى الجمعة انتشر فى أرض الله عز وجل يطلب من فضل الله عز وجل ومن الفضل طلب العلم واستماعه ويقال هو مزيد يوم الجمعة العالم والمتعلم قال الله عز وجل وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعنى العلم بدليل نظيرها من الآية الاخرى فى قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا ورويناعن أنس بن مالك فى قوله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله قال أما انه ليس بطلب دنيا ولكنه عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ فى الله عز وجل فان الذكر بالعلم وتعليم الناس اياه والتذكير بالله عز وجل والدعوة اليه فى يوم الجمعة له فضل على سائر الايام لانه يوم المزيد فللقلوب فيه اقبال وتجديد وكذلك السعى اليه والاستماع له وحضور مجالس الذكر يوم الجمعة لامجالس القصاص أفضل من سائر الايام والمستمع شريك القائل فى الاجر وقد قيل انه أقرب الى الرحمة وقد كره العلماء الجلوس الى القصاص سيما يوم الجمعة خاصة لانهم يثبطون عن الغدو الى الجامع فى الساعة الاولى والثانية لان الكتاب ورد بالفضل فيهما فمن اتفق له عالم بالله عز وجل يذكر به ويدله عليه من علماء الآخرة الزاهدين فى الدنيا يوم الجمعة غدوة فى الجامع أو بعد صلاة الجمعة جلس اليه واستمع منه وان حضر من يتكلم بعلم الدين وكان العبد محتاجا الى ذلك وجالسه فهو الافضل فان مجالس العلماء فى الجامع من زين يوم الجمعة ومن تمام فضله قال الحسن الدنيا ظلمة الا مجالس العلماء فان لم يتفق له ذلك سيما بين الصلاتين وهو الورد الخامس من النهار ويستحب صلاة العصر فى الجامع الا لسبب لابد منه ما ثم وان قعد الى غروب الشمس فهو أقرب للساعة المنتظر من آخر النهار اذا أمن الفتنة والتصنع والكلام فيما لا يعنيه ويقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب كان له ثواب عمرة فان خشى دخول الآفة عليه أو لم يأمن التصنع والخوض فيما لا يعنيه انصرف الى منزله ذاكرا الله عز وجل مفكرا فى آلائه وحسن نعمائه فراعى غروب الشمس بالاذكار والتسبيح والاستغفار فى منزله أو مسجده فذلك حينئذ أفضل له وقال بعض السلف أوفر الناس نصيبا يوم الجمعة من راعاها وانتظرها من الامس وأخس الناس منها نصيبا من يصبح يوم الجمعة فيقول ايش اليوم وقد كان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لاجل صلاة الجمعة ومنهم من كان يبيت ليلة السبت فى الجامع لمزيد الجمعة وكثير من السلف من كان يصلى الغداة يوم الجمعة فى الجامع ويقعد ينتظر صلاة الجمعة لاجل البكور وليستوعب فضل الساعة الاولى ولاجل ختم القرآن وعامة المؤمنين كانوا ينحرفون من صلاة الغداة فى مساجدهم فيتوجهون الى جوامعهم ويقال أول بدعة حدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجوامع قال وكنت ترى يوم الجمعة سحرا وبعد صلاة الفجر الطرقات مملوأة من الناس يمشون فى السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كما ترون اليوم فى الاعياد حتى درس ذلك وقل وجهل وترك أولا يستحى المؤمن ان أهل الذمة يبكرون الى كنائسهم وبيعهم قبل خروجه الى جامعه أولا يعتبر بأهل الاطعمة الباعة فى رحاب الجامع انهم يغدون الى الدنيا والناس قبل غدوه هو الى الله تعالى والى الآخرة فينبغى أن يسابقهم الى مولاه ويسارعهم الى ما عنده من زلفاه ويحب أن يكون المؤمن يوم الجمعة مزيد فى الاوراد والاعمال وليتفرغ فيه لربه عز وجل ويجعله يوم آخرته فان لم يكن له يوم السبت فيوم الجمعة فى الاوراد المتصلة والمزيد من الاذكار على المعلوم منها فلا يكون الجمعة كالسبت فى تجارة الدنيا والشغل بأسبابها وأكره التأهب ليوم الجمعة فى باب الدنيا من يوم الخميس من اعداد المأكول والترفه من النعمة والاكل والشرب فقد

الله عليه وسلم لايرون شيأ من الاعمال تركه كفر غير الصلاة ثم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الذى يفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله أى سلبهما فبقى بلا أهل ولا مال وروى ابن ماجه عن أبى الدرداء قال أوصانى خليلى ان لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وحرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر ثم عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ومن تركها فقد كفر أى استحق عقوبة الكافر فان ترك كسلا الظهر أو العصر الى غروب الشمس او المغرب أو العشاء الى طلوع الفجر او الصبح الى طلوع الشمس استتيب فان تاب والا قتل بضرب عنقه حدا وقيل كفرا وان ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر وقتل ولم يصل عليه ولم يدفن مع المسلمين وروى أحمد والدارمى والبيهقى عن عبد الله بن عمرو بن العاصى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا وبرهانا

روينا حديثاً من طريق أهل البيت فيه نظر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يأتي على أمتي زمان يتأهبون لجمعهم في أمر دنياهم عشية الخميس كما يتأهب اليهود لسبتهم عشية الجمعة وإنما كان المؤمنون يتأهبون فيه للآخرة بالأوراد الحسنة ويزدادون من الأوراد المتصلة وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول من أخذ مهنأ من الدنيا في هذه الأيام لم ينل مهنأ في الآخرة منها يوم الجمعة وقال أيضاً يوم الجمعة من الآخرة ليس هو من الدنيا وقال بعضهم لولا يوم الجمعة ما أحببت البقاء في الدنيا فهو عند الخصوص يوم العلوم والأنوار ويوم الخدمة والأذكار لأنه عند الله عز وجل يوم المزيد بالنظر إليه في المزار وروينا حديثاً فيرويناه عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا أشغالكم يوم الجمعة فإنه يوم صلاة وتهجد وروينا عن جعفر الصادق قال يوم الجمعة لله عز وجل ليس فيه سفر قال الله تعالى وابتغوا من فضل الله وما ذكرناه من الصلاة والسور المقروءة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الذكر في يوم الجمعة فإنه يستحب في ليلتها وهي من أفضل الليالي فلا يدعن ذلك من وجد إليه سبيلاً فإن الصادق المريد في كل وقت مفضل من الله عز وجل مزيداً فإذا أحب الله تعالى عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال وإذا مقت عبداً استعمله في الأوقات الفضلة بسيء الأعمال ليكون أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ومما يختص به يوم الجمعة من الذكر والتمجيد بالأسماء فصول أربعة ✱ أولها الأربعون اسماً التي دعا بها إدريس صلى الله عليه وسلم خصه الله تعالى بها وذكر الحسن البصري أن موسى صلى الله عليه وسلم قد كان دعا بهن وأنها كانت من دعاء محمد صلى الله عليه وسلم ✱ والفصل الثاني كان إبراهيم بن أدهم الزاهد يدعو بها كل يوم جمعة عشر مرات إذا أصبح وإذا أمسى فكان ذلك من عمله في يومه ✱ والفصل الثالث روينا عن علي رضي الله عنه رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يمجد نفسه في كل يوم وليلة ✱ والفصل الرابع تسبيحات أبي المعتمر وهو سليمان التيمي الذي كان رأى الشهيد بعد قتله في المنام فقيل له ما أفضل ما رأيت هنالك من الأعمال فقال رأيت تسبيحات أبي المعتمر من الله عز وجل بمكان فأما هذان الفصلان من تمجيد الرب سبحانه وتعالى نفسه وتسبيحات أبي المعتمر فقد ذكرناهما في أول الكتاب فيما اخترناه من الأدعية المختارة بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس في كل يوم فاستثقلنا إعادتها ههنا وأما الفصلان الآخران فنحن ذاكروهما وذكر دعاء إدريس النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى الشاهد حدثنا القاسم بن داود القراطيسي حدثنا عبد الله بن محمد القرشي حدثنا محمد بن سعيد المؤذن حدثنا سلام الطويل عن الحسن البصري قال لما بعث الله عز وجل إدريس إلى قومه علمه هذه الأسماء فأوحى الله إليه قلهن سراً في نفسك ولا تبدهن للقوم فيدعوني بهن قال وبهن دعا فرفعه الله عز وجل مكاناً علياً ثم علمهن الله عز وجل موسى عليه السلام ثم علمهن الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم وبهن دعا في غزوة الأحزاب قال الحسن وكنت مستخفياً من الحجاج فدعوت الله بهن فحبسه عني ولقد دخل علي ست مرات فدعوت الله بهن فأخذ الله عز وجل بأبصارهم عني فادع الله عز وجل بهن لالتماس المغفرة لجميع الذنوب ثم سل حاجتك من أمر آخرتك ودنياك فإنك تعطاه إن شاء الله تعالى فإنهن أربعون اسماً عدد أيام التوبة سبحانك لا إله إلا أنت يا رب كل شيء ووارثه ورازقه وراحمه يا إله الآلهة الرفيع جلاله يا الله المحمود في كل فعاله يا رحمن كل شيء وراحمه يا حي حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه يا قيوم فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤوده يا واحد الباقي في أول كل شيء وآخره يا دائم بلا فناء ولا زوال لملكه يا صمد من غير شبيه ولا شيء كمثله يا بارئ فلا شيء كفوه ولا مكان لوصفه يا كبير أنت الذي لا تهتدي القلوب لوصف عظمته يا بارئ النفوس بلا مثال خلا من غيره يا زاكي الطاهر من كل آفة بقدسه يا كافي الموسع لما خلق من عطايا فضله يا نقياً من كل جور لم يرضه ولم يخالطه فعاله يا حنان أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلماً يا منان ذا الإحسان قد عم كل الخلائق منه يا ديان العباد كل يقوم خاضعاً

ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف أيها المسكين كيف تصبر على نار وقودها الناس والحجارة وعلى مقاساة عذاب مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف الذين هم أشد على الرحمن عتياً ونفسك لا تقدر على الصبر على حر نار الدنيا ولا حر الظهيرة ويمكن أن يكون في قوله صلى الله عليه وسلم مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف إشارة إلى سلب الإيمان نعوذ بالله من ذلك فأي بدن يصبر على خلود نار يزيد حرها على نار الدنيا بتسعة وستين جزأً فيها ملائكة غلاظ شداد بأيديهم مقامع لو ضربت بها الجبال تكسرت يصب على رؤسهم بعد ما ضرب بها رؤسهم الحميم لو وقع قطرة منه على جبل الدنيا لذابت يا عاصي أنت عدو لنفسك أم محب لها أمؤمن أنت أم كافر وكيف اجترأت على ترك الطاعة سيدك الذي خلقك سالماً سوياً ورزقك طيباً هنياً وإن الكلب الذي هو أخس الحيوانات يطيع منعمه فانظر لنفسك وحاسبها قبل أن تحاسب كيلا تندم حين لا ينفع الندم قال الأصمعي مررت يوماً بقبور كنت أعرف أهلها أهل سرور ولذات

رهبته ياسائق من في السموات والارض وكل اليه معاده يارحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاذه ياتام فلا تصف الالسن كل جلال ملكه وعزه يامبدع البدائع لم يبغ في انشائها عونا من خلقه ياعلام الغيوب فلا يفوته شيء من خلقه ولا يؤده ياحليم ذا الاناة فلا يعادله شيء من خلقه يامعيد ما أفناه اذا برز الخلائق لدعوته من مخافته ياحميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه ياعزيز المنيع الغالب على أمره فلا شيء يعادله ياقاهر ذا البطش الشديد أنت الذي لا يطاق انتقامه ياقريب المتعالي فوق كل شيء علو ارتفاعه يامذل كل جبار عنيد بقهر عزيز سلطانه يانور كل شيء وهداه أنت الذي فلق الظلمات بنوره ياعالي الشامخ فوق كل شيء علو ارتفاعه ياقدوس الطاهر من كل سوء فلا شيء يعادله من خلقه يامبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته ياجليل المتكبر عن كل شيء فالعدل أمره والصدق وعده يامحمود فلا تبلغ الاوهام كنه ثنائه ومجده ياكريم العفو ذا العدل أنت الذي ملأ كل شيء عدله ياعظيم ذا الثناء الفاخر وذا العز والمجد والكبرياء فلا يذل عزه ياعجيب فلا تنطق الالسن بكنه آلائه وثنائه ياغياثي عند كل كربة ويامجيبي عند كل دعوة أسألك اللهم يارب الصلاة على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأمانا من عقوبات الدنيا والآخرة وأن تحبس عني أبصار الظالمين المريدين بي السوء وأن تصرف قلوبهم عن شر ما يضمرون بي الى خير ما لا يملكه غيرك اللهم هذا الدعاء ومنك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم * ذكر دعاء ابراهيم بن أدهم * حدثنا أحمد بن الموصلي الوكيل بن المتوكل حدثنا جعفر بن نصير الخواص الخراساني حدثني ابراهيم بن بشار خادم ابراهيم بن أدهم قال كان ابراهيم ابن أدهم يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة اذا أصبح ويقوله اذا أمسى مثل ذلك مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب الشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله عز وجل في الالهية جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلق ومن هو خالقه بأنه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ولقاءك حق ووعدك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث ان شاء الله اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لأحسنها الا أنت واصرف اللهم يارب عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك أنا لك واليك أستغفرك وأتوب اليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وسلم كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين اللهم أوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيا لا نظمأ بعده أبدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى من العمل وأصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك سبحانك ياعلي ياعظيم يابار يارحيم ياعزيز ياجبار سبحان من سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له الجبال بأصواتها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الشجر بأصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك ياحي ياحليم سبحانك لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير

فاذا

---

ورفاهة وشهوات ثم رأيت على لوح مكتوبا من الابيات

(شعر)

أيها الماشي بين هذي القبور
غافلا عن معقبات الامور
أدن مني أنبئك عني ولا
ينبئك عني يا صاح مثل خبير
انا ميت كما تراني طريح
بين أطباق جندل وصخور
انا في بيت غربة وانفراد
مع اني بين جيرتي وعشيري
ليس لي فيه مؤنس غير سعي
من صلاح سعيته أو فجور
فكذا أنت فاتعظ بي والا
صرت مثلي رهينا ليوم النشور

اللهم انا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وتصلح بها ديني

(فصل) اعلم انه لا تبرأ ذمتك من عهدة الصلاة الا بادائها مراعيا لشروطها وأركانها فلا تصح صلاة ان اختل شرط من شروطها أو ركن من أركانها وهي تسعة عشر النية وتكبيرة الاحرام والقيام وقراءة الفاتحة بحروفها وتشديداتها والركوع والطمأنينة فيه وهي ان ينفصل رفعه عن هويه والاعتدال والطمأنينة فيه والسجود والطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه والسجدة الثانية والطمأنينة فيها والتشهد

فاذا دعا بهذه الادعية الاربع يوم الجمعة فقد كمل الله عز وجل عمله وتمم عليه فضله فاذا عمل بغير ما ذكرناه من الاعمال والاذكار واجتنب سيء ما ذكرنا من الاقوال والافعال فهو من أهل الجمعة وممن له المزيد بها نصيبا موفورا وكان عمله الخالص وذكره الصادق عند الله عز وجل مشكورا وهذا آخر كتاب الجمعة وهيآتها وآدابها

*(الفصل الثاني والعشرون)* فيه كتاب الصيام وترتيبه ووصف الصائمين وذكر ما يستحب للعبد من الصيام وطرقات الصائمين في الصوم ووصف صوم الخصوص قال الله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة جاء في التفسير الصبر يعنى الصوم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي رمضان شهر الصبر لان الصبر حبس النفس عن الهوى وايقافها وحبسها على أمر المولى وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقال الله تعالى واستعينوا بالصبر قيل معناه على مجاهدة النفس وقيل على مصابرة العدو وقال بعض العلماء استعينوا بالصبر على الزهادة في الدنيا بالصوم لان الصائم كالزاهد العابد فالصوم مفتاح الزهد في الدنيا وباب العبادة للمولى لانه منع النفس عن ملاذها وشهواتها من الطعام والشراب كما منعها الزاهد العابد بدخوله في الزهد وشغله بالعبادة ولذلك جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما في المعنى فقال ان الله عز وجل يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته من أجلي المبتذل شبابه لي أنت عندي كبعض ملائكتي وقال في الصائم مثل ذلك يقول عز وجل يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي ففي الصوم عون على مجاهدة النفس وقطع حظوظها ومنع عادتها وفيه اضعاف لها ونقصان لهواها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به فأضافه عز وجل اليه تفضيلا له وتخصيصا كما قال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وكما قال انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها فلما كانت المساجد أحب بيوت الدنيا اليه وكانت مكة أشرف البلاد عنده أضافها الى ذكره وله كل شئ كذلك لما كان الصيام أفضل الاعمال عنده وأحبها اليه لان فيه خلقا من أخلاق الصمدية ولانه من أعمال السر بحيث لا يطلع عليه الا هو أضاف لنفسه وقيل ما في عمل ابن آدم شئ الا ويقع فيه قصاص ويذهب برد المظالم الا الصوم فانه لا يدخله قصاص ويقول الله عز وجل يوم القيامة هذا لي فلا يقتص منه أحد شيأ يقال ما من عمل الا وله جزاء معلوم الا الصوم فانه لا تعلم نفس ما جزاؤه ويكون أجره بغير حساب يفرغ له افراغا ويجازف مجازفة وهو أحد الوجوه في قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام وكذلك في تأويل قوله عز وجل السائحون قيل هم الصائمون كأنهم ساحوا الى ربهم عز وجل بجوعهم وعطشهم وتركوا قرة أعين أبناء الدنيا من أكلهم وشربهم فآواهم مولاهم فيما أخفي لهم من قرة أعين جزاء لعملهم وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قيل الصائمون والصبر اسم من أسماء الصوم فلما أتى في ذكره بالصوم في نفسه اخفى الله عز وجل جزاءه اياه من غير نفسه وفي الحديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي فالصوم ذكر الله عز وجل وهو سر وليس أستحب للعبد أن يزيد على افطار أربعة أيام نسقا لان ذلك يقسى القلب ويغير الحال ويولد العادات ويفتق الشهوات ولانه لم يؤمر ولم يندب الى ان يوالي بين افطار أكثر من أربعة أيام متواليات وهي النحر وأيام التشريق ويستحب له أن يصوم يوما ويفطر يوما أو يصوم يومين ويفطر يومين وذلك صوم نصف الدهر وان أحب فليصم يومين ويفطر يوما وذلك صوم ثلثي الدهر فان أحب فليصم يوما ويفطر يومين وهذا صيام ثلث الدهر هذه طريق الصائمين وفيها روايات حذفنا ذكر فضائلها للاختصار فان صام ثلاثا من أول الشهر وثلاثا من وسطه وثلاثا من آخره فحسن فان صام الاثانين والاخمسة والجمع فذلك خير كبير وأقل من ذلك أن يصوم الايام البيض وأول يوم من الشهر وآخر يوم منه وأفضل الصيام ما كان في الاشهر الحرم وأفضل ذلك ما وقع في العشرين

النبي بعقبه سلام والجلوس فيه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه والتسليمة الاولى والترتيب وأكثر ما يختل من الاركان النية فيحافظ عليها بان يحضر في قلبه قبيل التكبير ما يجب ان ينوي به من نية فعل الصلاة وتعيينها من المعينة والفرضية في الفرض ثم يقصد الى هذا المعلوم ويجعل قصده هذا مقارنا لاول التكبير ولا تغفل عن تذكره حتى تتم التكبير ولا يجوز ان يبتدئ النية بالقلب مع ابتداء التكبير باللسان ويفرغ منها مع الفراغ من التكبير والمختار عند النووي الاكتفاء بالمقارنة العرفية وهي المقارنة لبعض التكبير وصوبه السبكي وراعى حروف الفاتحة والتشهد ومخارجها والطمأنينة ثم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رجلا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد فصلى ثم جاء فسلم عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ارجع فصل فانك لم تصل فرجع فصلى ثم جاء فسلم عليه فقال وعليك السلام ارجع فصل فانك لم تصل فقال في الثالثة أو في التي بعدها علمني يا رسول الله فقال اذا قمت الى الصلاة فاسبغ

منها وهو المحرم وذو الحجة وبعد ذلك ما كان في شعبان فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر الصيام فيه حتى يصله بشهر رمضان ولا يدع أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وليواظب على صوم الاثنين والخميس وفي الخبر أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وصوم النصف الاول من شهر شعبان مستحب وقد كانوا يفطرون النصف الاخير منه وقد روينا في الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى يدخل رمضان وليفطر قبل رمضان أياما فان وصل شعبان برمضان فجائز ولا يجوز أن يستقبل رمضان بيومين أو ثلاثة الا ان يوافق ذلك يوم اثنين أو خميس قد كان يصومه وقد كان بعض الصحابة يكره أن يصام رجب كله لئلا يضاهي به شهر رمضان وكانوا يستحبون ان يفطروا منه أياما وقد كره قوم صيام الدهر كله وردت أخبار في كراهته وقد تأول ذلك بانهم كانوا يصومون السنة كلها مع يوم العيد وأيام التشريق فوردت الكراهة لذلك وان كان يريد صلاح قلبه وانكسار نفسه واستقامة حاله في صوم الدهر فليصمه فهو حينئذ كالواجب عليه اذا كان تقواه وصلاحه فيه فقد روينا عن سعيد عن قتادة عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن له فيها موضع وقد دلت الاصول على فضل صوم الدهر وقد صامه طبقات من السلف الصالح من الصحابة والتابعين باحسان الا ان يكون الرجل يرغب عن السنة ولا يرى الرخصة في الافطار فيكره له صوم الدهر المعاندة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسعة في الدين وأخبر الله عز وجل بانه يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وفي لفظ آخر يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره ان تؤتى معصيته وقد دلت الاخبار على فضل صوم نصف الدهر بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك ليكون العبد بين حالين حال صبر وحال شكر ومن ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها فقلت أجوع يوما وأشبع يوما أحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صيام أخي داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته عليه السلام لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو يقول اني أريد أفضل من ذلك حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم صم يوما وافطر يوما فقال أريد أفضل من ذلك قال لا أفضل من ذلك وروى في الخبر صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين يوما من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من صوم ثلاثين يوما من شهر حرام وفي حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له عبادة سبعمائة عام وقد روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه وقد وصل مرة شعبان برمضان وفصل صوم رمضان مرارا من شعبان وما ذكرنا من أنواع الصوم فهو صيام جماعة من السلف الصالح وفي كل منه ورد فيه فضائل يكثر ذكرها وكذلك في جميع ما نذكره من أعمال القلوب والجوارح في الايام والليالي وكذلك فيما نذكره من أخلاق الايمان وأوصاف الموقنين وقد جاءت في أكثر ذلك فضائل ومثوبات الا أنا لم نقصد تعديد ذلك وليس مذهبنا الاشتغال بذكر فضائل الاعمال انما طريقنا تهذيب قلوب العمال فبطهارة القلوب وحقيقة الايمان تزكو الاعمال وتقرب العاملون من ذي الجلال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذكر صوم الخصوص من الموقنين اعلم وفقك الله تعالى ان الصوم عند الصائمين هو صوم القلب وأما صوم الخصوص من الموقنين فان الصوم عندهم هو صوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية ثم صوم السمع والبصر واللسان عن تعدي الحدود وصوم اليد والرجل عن البطش والسعي في أسباب النهي فمن صام بهذا الوصف فقد أدرك وقته في جملة يومه وصار له في كل ساعة من نهاره وقت وقد عمر يومه كله بالذكر ولاجل هذا قيل نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح وقد قرن الله عز وجل الاستماع الى الباطل والقول بالاثم الى أكل الحرام ولولا ان في المسموعات والمقولات حراما على المستمع والاصغاء اليه وحراما على القائل الناطق به ما قرنهما الى أكل الحرام وهو من الكبائر فقال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وقال سبحانه وتعالى لولا ينهاهم

الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تستوي قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا وفي رواية حتى تستوي قائما ثم افعل ذلك في صلاتك كلها خ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسوأ السرقة الذي يسرق صلاته قالوا وكيف يسرق صلاته يا رسول الله قال لا يتم ركوعها ولا سجودها م عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينظر الله الى عبد لا يقيم ظهره بين ركوعه وسجوده خ س رأى حذيفة رجلا يصلي فطفف فقال له حذيفة منذ كم تصلي هذه الصلاة قال منذ أربعين سنة قال ما صليت منذ أربعين سنة ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الرجل يخفف ويتم ويحسن اخواني فتشوا أعمالكم هل أقمتموها على نهج الشرع أم عملتموها كيفما اتفق فمن لا يراعي شيأ من شرائطها وأركانها فهو من الاخسرين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا يا من لا يركع لله

الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت فالعبد الحافظ لحدود الله عز وجل ان أفطر بالاكل والجماع فهو صائم عند الله فى الفضل للاتباع ومن صام من الاكل والجماع وتعدى الحدود وأضاع فهو مفطر عند الله عز وجل صائم عند نفسه لان ما أضاع أحب الى الله عز وجل وأكثر مما حفظ ومثل من صام من الاكل وافطر بجميع الفتة الامر بسائر الجوارح مثل من مسح كل عضو من أعضائه فى وضوئه ثلاثا ثلاثا ثم صلى فقد وافق الفضل فى العدد الا أنه تارك الفرض من الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله وهو مغتر بفعله ومثل من أفطر بالاكل وصام بجوارحه عن النهى مثل من غسل كل عضو من أعضائه فى وضوئه مرة مرة فهو تارك الفضل فى العدد الا انه مكمل الفرض محسن فى العمل فصلاته متقبلة لاحكامه الاصل ولعمله بالعلم ومثل من صام من الاكل والجماع وحفظ جوارحه عن الآثام كمثل من غسل كل عضو ثلاثا ثلاثا فقد تمم الفرض وأحسن بتكملة الفضل فهذا كما قال تعالى تماما على الذى أحسن وكما قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوضوء كذلك هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى ووضوء أبى ابراهيم عليه السلام وقد قال الله تعالى ملة أبيكم ابراهيم أى عليكم بها فاتمموا واقتدوا به فيها وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وجاء فى الخبران امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش فى آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه فى الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما أكلتما قال فقاءت احداهما نصفه دما غبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله عز وجل لهما وأفطرتا على ما حرم الله عز وجل عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلا يغتابان الناس فهذا ما أكلا من لحومهم وكان أبو الدرداء يقول يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين وكل محظور عليك ان تتكلم به فمحظور عليك ان تستمع اليه وكل حرام عليك ان تفعله فمكروه ان تنظر اليه أو يخطر ببالك وقد سوى الله عز وجل بين المستمع والقائل فى قوله تعالى انكم اذا مثلهم ومثل الصائم مثل التوبة لان الصبر من أوصافها وانما كانت التوبة مكفرة لما سلف من السيآت لاجل انه صبر عما سلف من سيء العادات ثم اعتقد ترك العود الى مثل ما سلف بصيانة جوارحه التى كانت طرائق المكروهات كذلك كان الصيام جنة من النار وفضيلة من درجات الابرار اذا صبر عليه الصائم فحفظ جوارحه فيه من المآثم فاذا أمرجها فى الآثام كان كالتائب المتردد الناقض الميثاق لم تكن توبته نصوحا ولا كان صوم هذا صالحا وصحيحا ألا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة من النار ما لم يخرقها بكذب أو غيبة وأمر فى قوله عليه السلام اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ شاتمه فليقل انى صائم وفى لفظ آخر لا يجعل يوم صومه ويوم فطره سواء أى يتحفظ فى صومه لحرمته وفى خبر آخر الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته فحفظ الامانة من صيانة الجوارح لقول النبى صلى الله عليه وسلم لما تلا هذه الآية ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع أمانة والبصر أمانة فذلك مجاز قوله فليقل انى صائم أى يذكر الامانة التى حمل فيؤديها الى أهلها ومن حفظ الامانة ان يكتمها فان أفشاها من غير حاجة فهى خيانة لان مودعها قد لا يحب ان يظهرها وحقيقة حفظ السر نسيانه وضياع السر ان يكثر خزانه فحقيقة الصائم ان يكون ناسيا لصومه لا ينتظر الوقت شغلا عنه بالموقت

*(الفصل الثالث والعشرون)* فيه كتاب محاسبة النفس ومراعاة الوقت قال الله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الى قوله أتينا بها وكفى بنا حاسبين وقرئت آتينا بها ممدودة أى جازينا بها فالتخويف بهذا الحرف أشد وأبلغ وقال تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم الآية وأوصى أبو بكر عمر رضى الله عنهما عند موته فقال ان الحق ثقيل وهو مع ثقله مرى وان الباطل خفيف وهو مع خفته وبى وان الله

سفينة خرقا الاصلح سفينة نفسك التى هى عملك امنت أن يفاقصك الموت أم رضيت أن يدركك الندم على الفوت يا من ركن الى الدنيا بانا متوثبات احذر أسد الموت فان له وثبات كيف تركن الى اللذات وتجد فى طلبك الممات فاعتبر يا هذا بمصارع الهالكين ففيهم لذى الذكرى عظات وروى عن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه وكان العابد يتمنى ان يرى ابليس فى محرابه فتمثل له يوما وقال وا أسفا عليك ضيعت من عمرك أربعين سنة فى حصر نفسك واتعاب بدنك وقد بقى من عمرك مثل ما مضى فاطلق نفسك فى شهواتها وتلذذ ثم تب بعد ذلك وعد الى العبادة فان الله غفور رحيم فقال العابد لعلى أنزل الى أخى فى أسفل الدار واوافقه على اللهو واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله فى العشرين سنة التى تبقى من عمرى فنزل وقال أخوه المسرف على نفسه وقد أفنيت عمرى فى المعاصى وأخى العابد يدخل الجنة وأنا أدخل النار والله لاتوبن واصعد الى عند أخى فاوافقه فى العبادة باقى عمرى فلعل الله ان يغفر لى فطلع على نية التوبة ونزل أخوه

عز وجل حقا بالنهار لا يقبله بالليل وحقا بالليل لا يقبله بالنهار وانك لو عدلت على الناس كلهم وجرت على واحد منهم لمال الجور بك بعد المثقال حفظت وصيتي لم يكن شيء أحب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن شيء أبغض اليك من الموت ولن تعجزه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتزينوا للعرض الاكبر على الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وانما يخف الحساب في الآخرة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وثقلت موازين قوم في الآخرة وزنوا أنفسهم في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا فمحاسبة النفس تكون بالورع والموازنة تكون بمشاهدة اليقين والتزين للعرض الاكبر يكون بمخافة الملك الاكبر وهو حقيقة الزهد وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر فقال له اتق الله أينما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ووجدت هذه الوصية في كتاب الله عز وجل لعباده بقوله عز وجل ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله والكلمة الثانية في قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة أي يدفعون بعمل الحسنة ويتبعونها السيئة المتقدمة تكفرها والكلمة الثالثة في قوله تعالى وقولوا للناس حسنا وقد أخبر الله عز وجل عن وصية عباده الصالحين بثلاث فقال ان الانسان لفي خسر اي لفي خسران ونقص بفوت أوقاته وفقد أرباحه ثم استثنى فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقال في الوصف الثالث وتواصوا بالمرحمة واتباع الحق بمخالفة الهوى فيه الصلاح اذ في موافقة الهوى الفساد والصبر قوام الامر وبمقداره يكون الربح والرحمة للخلق باب الرحمة من الخالق ومفتاح حسن الخلق ومعها حسن الظن وسلامة القلب وعندها ينتفي الحسد والغل ويوجد التواضع والذل وهذا وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اختارهم لصحبته عليه السلام وأنزل عليهم السكينة وأيدهم بروح منه فقال رحماء بينهم وقال تعالى في حقيقة الرحمة واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقال في مثله عن وصف أحبابه لاخوانهم أذلة على المؤمنين فهذه الثلاثة مفاتيح رقة القلب ومغالق القسوة وفي الرقة الاقبال على الله عز وجل وعلى الدار الآخرة والتيقظ لامره والتفكر في وعده ووعيده وفي القسوة الاعراض وطول الغفلة محاسبة النفس تكون بالورع وموازنتها تكون بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض الاكبر يكون بمخافة الملك الاكبر وهو حقيقة الزهد ورويناعن علي رضي الله عنه أما بعد فان المرء يسره دركه ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وقال أيضا الهوى شريك العمى ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الذم وفي الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء الظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل وأوثق العرا التقوى وأوثق سبب أخذت به نفسك سبب بينك وبين الله عز وجل انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أتاك وان كنت جازعا على ما أتلفت من يديك فلا تجزعن على ما لم يصل اليك واستدلل على ما لم يكن بما كان فان الامور أشباه وقال عبد الله بن عباس لكل شيء آفة وآفة العلم النسيان وآفة العبادة الكسل وآفة اللب العجب وآفة الظرف الصلف وآفة التجارة الكذب وآفة السخاء التبذير وآفة الجمال الخيلاء وآفة الدين الرياء وآفة الاسلام الهوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة أمتي الدينار والدرهم وروينا عن وبرة السلمي عن مجاهد قال أوصاني ابن عباس بخمس لهن أحسن من الدرهم الموقوف ومن الذهب الموصوف قال لا تتكلمن فيما لا يعنيك فانه أقرب لك من السلامة ولا آمن عليك الخطأ ولا تتكلمن فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه في غير موضعه فلقي عنتا ولا تمار حليما ولا سفيها أما الحليم فيقليك وأما السفيه فيؤذيك واخلف أخاك اذا غاب عنك بمثل ما تحب

على نية المعصية ترك وجلها فوقع على أنميفاتا بجمعا في السلم فحشر العابد على نية المعصية وحشر المسرف على نية التوبة

شعر

سبحان من خلق الاشياء وقدرها

ومن يجود على العاصي و يستره

يخفي القبيح و يبدي كل صالحة

و يغمر لعبد احسانا و يشكره

ويغفر الذنب العاصي ويقبله

اذا أناب و بالغفران يجبره

ومن يلوذ به في دفع نائبة

يعطيه من فضله عزا وينصره

ولا يضيع مثقالا لمجتهد

بل في المآل يربيه و يدخره

ومن يكن قلبه من ذنبه دنسا

فبالمدامع والتقوى يطهره

فليس للعبد تصريف وان له

مولاه يغنيه أوان شاء يفقره

فلا الحذار ينجي العبد من قدر

يريده الله أو أمر يدبره

فنسأل الله حقا حسن خاتمة

عند الممات وعفوا لا يكدره

*(فصل)* لا ينبغي ان لا تترك السنن والهيئات كي لا يفوت الثواب الجزيل دت عن محمد بن عمرو بن عطاء انه قال كنت جالسا مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن حميد أنا أعلمكم بصلاته قالوا فلم

ان يخلفك به اذا غبت عنه واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل بعمل رجل يعلم انه مكافأ بالاحسان مأخوذ بالاساءة وفى وصية العباس لابنه عبد الله قال يا بنى انى أرى هذا الرجل يقدمك على الاشياخ و يكرمك فاحفظ عنى هذه الخصال لا تفشين له سرا ولا تعصين له أمرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا يطلعن منك على خيانة ولا يجربن عليك كذبة هذا فى روايتين دخلت احداهما فى الاخرى قال فى احداهما قلت للشعبي كل واحدة منهن خير من ألف فقال كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف وقال يوسف بن أسباط كان يقال ثلاث من كن فيه فقد استكمل ايمانه من اذا رضى لم يخرج رضاه الى باطل واذا غضب لم يخرج غضبه عن حق واذا قدر لم يأخذ ما ليس له وقد روينا مسندا من طريق وقال سرى بن المغلس ثلاث يستبين بهن اليقين القيام بالحق فى مواطن الهلكة والتسليم لامر الله عز وجل عند نزول البلاء والرضا بالقضاء عند زوال النعمة نعوذ بالله منه وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشئ من عمله واذا عرض عليه أمران أحدهما الدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وفى الخبر المشهور ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله فى السر والعلانية وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وروينا فى الخبر التكرم التقوى والشرف التواضع والغنى اليقين وفى الحديث الآخر الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وفى حديث عمار أسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وكفى بالخشية علما وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الخطباء وخطيب الخطباء وحكيم الحكماء فى خطبة الوداع كلمات جامعات موجزات فى الوعظ والتذكرة والتزهد والتبصرة وينتظم جميع معانى ما قيل فى معناها رواه أبان بن عياش عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب على ناقته فقال يا أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأن من نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيب نفسه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن أذل نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم حديث جامع لهذه المعانى المبثوثة مختصر فى اللفظ والمعنى يقال انه نصف العلم وهو قوله من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وما لم يؤمر به العبد فرضا ولم يندب اليه فضلا ولا يحتاج اليه مباحا فهو مما لا يعنيه وفى حديث آخر هو نصف الورع قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الاثم حواز القلوب أى دع ما تشكن فيه من قول أو فعل فان فيه غنيمة أو سلامة الى شئ أنت على يقين من الفضيلة فيه أو السلامة معه وما حز فى قلبك ولم ينشرح له فدعه فان ذلك اثم وان قل ودق وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم فى الوصف المبسوط من أوصاف المؤمنين كوصف الله تعالى أولياءه فى الكلام المشروح انه بينا هو جالس صلى الله عليه وسلم بين أصحابه اذ سجد فأطال ثم رفع رأسه مادا يديه فقال اللهم أكرمنا ولا تهنا وزدنا ولا تنقصنا وأعزنا ولا تذلنا قلنا وماذاك يا رسول الله قال أنزلت على آيات من أقامهن دخل الجنة ثم تلا علينا قد أفلح المؤمنون الى آخر العشر وروينا عنه فى حديث مجمل ان رجلا سأله فقال يا رسول الله متى أعلم انى من أهل الجنة وفى لفظ آخر انى مؤمن حقا فقال اذا كنت بهذه الاوصاف ثم تلا عليه قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم الى آخر النعوت وروينا عنه صلى الله عليه وسلم فى الوصف الجامع المختصر كوصف الحكيم الاكبر من صلح له من عباده بالاخلاص فى التوحيد والعمل فقال صلى الله عليه وسلم لو لم تنزل على الا هذه الآية كانت تكفى ثم قرأ آخر سورة الكهف فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الى آخرها فكان هذا فصل الخطاب

---

فوالله ما كنت بأكثرنا تبعا ولا أقدمنا له صحبة قال بلى قالوا فاعرض قال كان اذا قام الى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقر كل عظم فى موضعه معتدلا ثم يقرأ ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا يصبى رأسه ولا يقنع ثم يرفع رأسه فيقول سمع الله لمن حمده ثم يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه معتدلا ثم يقول الله أكبر ثم يهوى الى الارض ساجدا فيجافى يديه عن جنبيه ثم يرفع رأسه ويثنى رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجليه اذا سجد ويسجد ثم يقول الله أكبر ويرفع رأسه ويثنى رجله اليسرى فيقعد عليها ثم يعتدل حتى يرجع كل عضو الى موضعه ثم يصنع فى الاخرى مثل ذلك ثم اذا قام من الركعتين كبر ويرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه كما كبر عند افتتاح الصلاة ثم يصنع ذلك فى بقية صلاته حتى اذا كان السجدة التى فيها التسليم اخر رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الايسر ثم سلم قالوا صدقت * اعلم ان عماد الصلاة الخشوع وكل صلاة لا يحضر

وبلاغا لأولى الألباب فالعمل الصالح الاخلاص في العبادة ونفي الشرك بالخلق هو اليقين بتوحيد الخالق وقد قال الله وهو أحسن القائلين في وصف أوليائه الخائفين ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون الى قوله وهم لها سابقون فوصفهم بسبع مقامات جامعات بالغات تنتظم مقامات أهل المحاسبة وتستغرق معاني أحوال أهل المراقبة فتحها بالخشية والاشفاق وختمها بالوجل والانفاق وجعل موجبها اليقين وهو الذي بحث به موازين المتقين صيره آخر وصفهم ونهاية نعتهم وهو قوله تعالى انهم الى ربهم راجعون أي لأجل يقينهم برجوعهم اليه خافوه وأشفقوا وآمنوا به وأخلصوا وآتوه نفوسهم وأموالهم فهذا كقوله في الكلام المختصر واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين فللخائفين الامن من الخوف عند اللقاء وحسن المنقلب والبشرى بالقرب لديه والزلفى فصورة المحاسبة أن يقف العبد وقفة عند ظهور الهمة وابتداء الحركة ثم يميز الخاطر وهو حركة القلب والاضطراب وهو تصرف الجسم فان كان ماخطر به الخاطر من الهمة التي تقتضي نية أو عقدا أو عزما أو فعلا أو سعيا ان كان لله عز وجل وبه وفيه معنى لله عز وجل أي خالصا لأجله ومعنى به أي بمشاهدة تقربه لا بمقاربة نفسه وهواه ومعنى فيه أي في سبيله وطلب رضاه عنه وما ندب عنده أمضاه وسارع في تنفيذه وان كان لعاجل دنيا أو عارض هوى أو لهو وغفلة تجري بطبع البشرية ووصف الجبلية نفاه وسارع في نفيه ولم يمكن الخاطر من قلبه بالاصغاء اليه والمحادثة له فيواقعه همًا ردياً يصعب عليه بعد حين طرحه وينتج منه فكر ادنياً يعسر بعد وقت نفيه ويؤثر في الشقي قلبه أثرا يستبين له بعد حين فعله معنى قولنا ان كان لله تعالى أي خالصا لأجله ومعنى قولنا به أي بمشاهدة تقربه لا بمقاربة نفسه وصفه وهواه ومعنى قولنا فيه أي في سبيله وطلب ما عنده لا لاجل عاجل حظه فان اشتبه عليه الخاطر فلم ينكشف له ما ورد به أمحمود هو لله عز وجل فيه رضاه وعلى العبد فيه سبق وتنفيذ أم مكروه ليس لله فيه محبة وللعبد في نفيه مزيد وقربه فيكون اشكال ذلك لاحد معان ثلاث ضعف يقين من نقص معرفة بالمبتلي أو قلة علم من جهل بغامض الحكم الباطل أو لغلبة هوى كامن في النفس متولد من طبائع الحس وقد قال بعض العلماء ليس العالم الذي يعرف الخير من الشر هذا العاقل يعرفه ولكن العالم من يعرف خير الشرين يعني يفعله اذا اضطر اليه ويعرف شر الخيرين يعني فاجتنبه لما يؤول اليه واعلم ان حكم الله فيما اشتبه من الامور الامساك والوقوف وان لا يقدم العبد على ذلك بعقد ولا عزم ان كان من أعمال القلوب ولا يمضي ذلك بفعل ولا سعي ان كان من عمل الجوارح بل يقف ويوقف الامر حتى يتبين له وهو صورة الورع لان الورع هو الجبن والتأخر عن الاقدام على المشكلات وعن الهجوم في الشبهات لا بقول ولا بفعل ولا بعقد حتى تنكشف وانكشافها بغامض العلم لغموضها وتدقيق معرفة المعاني لدقتها وخفائها كما جاء في الخبر أعلم الناس أعرفهم بالحق اذا اختلف الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب البصير الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات وجاء عن ابن مسعود في وصف كثرة الشبهات أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان يكون خيركم فيه المتثبت كما توقف طائفة من الصحابة عن القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليهم الحال منهم سعد وابن عمر وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الشبهات واقدم عليها كان متبعا لهواه معجبا برأيه وهذا من معنى الخبر الذي جاء في ذم من كان هذا وصفه فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك فلم يذم بوجود الشح لانه صفة النفس وانما ذم من أطاع النفس في شحها بامساك محبوبها على ايثار محبة الله عز وجل من الانفاق ومثله وهوى متبع فلم يعب بوجود الهوى لانه روح النفس مستكن فيها وانما عيب باتباعه وكذلك قوله واعجاب كل ذي رأي برأيه لم ينقصه بوجود رأيه ثمارا من الامر لانه نتيجة عقله وثمرة فهمه وانما نقصه بنظره اليه وادلاله به دون سبق نظره الى من أراه وبنور هداه أو بايثار رأيه على رأي من هو أعلم منه أو بان يزري على رأي غيره افتخارا

برأيه

فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع قال مالك عن عبد الله بن أبي بكر ان رجلا من الانصار كان يصلي في حائط له بالقف واد من أودية المدينة في زمن الثمر والنخل قد ذللت فهي مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبه ما رأى من ثمرها ثم رجع الى صلاته فاذا هو لا يدري كم صلى فقال لقد أصابتني في مالي هذا فتنة فجاء عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك قال هو صدقة فاجعله في سبيل الخير فباعه عثمان بن عفان بخمسين ألفا فسمي ذلك المال الخمسين وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يعجبه شيء من ماله الا خرج عنه لله تعالى وكان رقيقه يعلمون منه ذلك فربما لزم أحدهم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة اعتقه فيقول له أصحابه انهم يخدعونك فيقول من خدعنا بالله انخدعنا وطلب منه نافع بثلاثين ألفا فقال أخاف ان تفتني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب له وقال له اذهب فانت حر قال الغزالي وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره اخواني كم تضيعون السنن

برأيه وقد قال الله عز وجل فلا تزكوا أنفسكم وقد وصف أهل الرأى من أوليائه فى قوله عز وجل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال تعالى على بصيرة أنا ومن اتبعنى وجاء فى الاثر ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح وجاء أنتم شهداء الله فى أرضه وعن بعض السلف أفضل العبادة الرأى الحسن فاما ما أشكل لتجاذب الامثال ولم يتبين لك الى أى مثل ترده فالورع ان تقف ولا تمضى حتى ينكشف واما ما اشتبه لقصور العلم بالاستدلال فالعلم فيه ان تعرف الاصلين من الحرام والحلال ثم ترده الى أشبههما به وهذا ظاهر مثل ما أحلت طائفة النظر الى الغلام الجميل لانه ذكر فتحتاج الى ان ترده الى أحد الاصلين لانه متشبه قال الله عز وجل أنظر والى ثمره اذا أثمر وقال قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فكان هذا الاصل أشبه لوجود الجنس ومثله الاستماع الى القصائد أى انشاد الشعر المباح فكان الاستماع الى القرآن حلالا والاستماع الى الغناء حراما وكانت القصائد بالغناء أشبه فكره هنا لغير أهله وكذلك القول فى تلحين القرآن اذا جاوز الحد فى مد المقصور وقصر الممدود مكروه لشبهه بالاغانى ومثل لبس القطن ولبس الحرير فكره هنا لبس الملحم والعمل به لانه بالحرير أشبه لما فيه منه فاما الاقدام على الامور الغامضة مما لم ينكشف للاسماع ولم يظهر للابصار فان القلوب تسأل عن عقود سوء الظن بها والقطع بظاهر الامر عليها وهو معنى قول الله عز وجل عن قفو ما لم يبين علمه اذ لم يجعل من علم العبد وتهدده عليه بمساءلة الجوارح عنه فى قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أى لا تتبع ولا تجسس أمرا لم تعلم فتشهد عليه بسمع أو رؤية أو عقد قلب اذ حقيقة العلم السمع والمشاهدة فلذلك قال ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وكذلك قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث فمن اشتبه عليه الامر فقطع به فهو متبع للهوى ومن تفرس فى فعل أو امر غاب عنه حقيقة فاخبر به وأظهره على صاحبه فقد أساء كيف وقد جاء فى الخبر من حدث بما رأته عيناه أو سمعت أذناه كتبه الله عز وجل من الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا هذا لكشف ستر الله على عباده ومحبته الساترين منهم ولذلك كان من دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه والباطل باطلا فنجتنبه ولا تجعل ذلك علينا متشابها فنتبع الهوى وكذلك روينا عن عيسى عليه السلام انما الامور ثلاثة أمر استبان لك رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء على رضى الله عنه اللهم انى أعوذ بك ان أقول فى العلم بغير علم فنعمة الله سبحانه وتعالى فى كشف الباطل باطلا وبيان الضلال ضلالا مثل نعمته فى اظهار الحق وبيان الصدق لانه باب من اليقين ولذلك تجمل الله به على نبيه صلى الله عليه وسلم وجعله من تفصيل آياته فى قوله سبحانه وتعالى وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين فنصب سبيل على اضمار اسمه ورفعه على كشفه دلالة وتبيان طرقه وقد وعد الله ذلك المتقين وقدمه على تكفير السيآت والمغفرة وأخبر ان ذلك من الفضل العظيم فى قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم أى نورا فى قلوبكم تفرقون به بين الشبهات ومثله ومن يتق الله يجعل له مخرجا أى من كل أمر أشكل على الناس ويرزقه من حيث لا يحتسب علما بغير تعليم بل الهام وتوفيق من لدن الخبير العليم وقد وعد ذلك المؤمنين عند اختلاف العلماء البغى بينهم وهو الكبر والحسد وحرم ذلك المنافقين الذين لا يصدقون بالآيات والقدر الغائبات فقال عز وجل فى ذلك وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فصنع الهداية للحق ان يكشف الحق اذا هدى التقى له ما يبدئ الباطل للابتلاء وما يعيد على العبد من الاحكام وقد يكون الباطل اسما للعدو ويكون وصفا للنفس ألم تسمع قوله عز وجل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد أى لما جاء الحق أبدى الباطل وأعاده فاظهر حقيقة الامر بدأ وعودا وقد قيل ان الباطل يعنى به ابليس ههنا فتدبروا وقال ان الذين لا يؤمنون

والغرائش الى متى؟
تتيممون بالتراب والماء
فانهض باستكا سلاف الطاعة
وهو فى المعصية ناهض بالله
من لم يكن من نفسه واعظا لم
تنفعه المواعظ شعر
خشع لربك فى الصلاة طويلا
واذكر وقوفك للحساب ذليلا
أطل البكاء على الذنوب فربما
كان البكاء على الخطاة سبيلا
واذكر تنزولك فى جوف قبر مظلم
الدود صرت به اذا مأكولا
وعليك أطباق الثرى قد طبقت
لا تستطيع الى الرجوع سبيلا
وجفاك كل مصاحب صاحبته
ونسيك من بالامس كان خليلا
وخلوت بالفعل الذى قدمته
رهنا تروح وتغدو بكرة وأصيلا
أحبابنا كانوا نزولا فى الحشى
منا فصاروا فى القبور نزولا
يا غافلا والموت يهدم عمره
لا تحسبن الموت عنك غفولا
(فصل فى الجمعة) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله عز وجل وهو أعظم عند الله من يوم الاضحى ويوم

بآيات الله لا يهديهم الله وكما أن لله عز وجل في البيان نعمة لانه لا تقع الا بقدرة كما قال فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير فكذلك على العبد فيه شكر وقد يكون سببا للانعام بالبيان وعلى الله المزيد على الشكر كما قال كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون وقال في تحقيق الشكر بالمزيد للشاكرين على التصريف كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون فاذا وقف العبد في الشبهات عن الامضاء وأوقف الخاطر على الابتداء حتى يكشفه الله عز وجل له بمزيد علم أو قوة يقين أو كشف حجاب الهوى فقد وفق الصواب وهو من معنى قوله عز وجل وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وداخل في قوله ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا هذا اذا لم يرد بالطلب ولم يجعل لعالم آخر فيه مكان كشفه للعبد بوصفه فاذا أراده بالطالب لاوليائه وجعل العلماء مكانا للدلالة عليه اضطر ان يسأل العلماء بالله وبباطن أحكامه عارفا بلطيف حجابه وخفي كشفه فيكشفه على لسانه اذا لم يكن العبد ممن يكاشف بقلبه لتحقيق قوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ولتصديق قوله الرحمن فاسأل به خبيرا والله تعالى هو المسير الاول والمبين الآخر الا ان السير والسؤال على العبد والهدى والبيان على الهادي المبين كما قال سيروا في الارض فانظروا وقال تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب الآية ثم قال ان علينا بيانه ان علينا للهدى وعلى الله قصد السبيل كذلك سنته التي قد خلت من قبل ولا تبديل لها ولا تحويل ألم تسمع قول الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها فهذا هو المجتبي للتعليم الآخذ نصيبه من الله عز وجل بتفهيم المصطفى لمكان التخصيص ثم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ترك آدم ورد اليه وذكر نفسه بالعلم منه بعد ان دل بالواسطة عليه فقال ألم أقل لكم اني أعلم ولم يقل ان آدم يعلم فاخذ آدم نصيبه من رازقه بقلبه لمكانه وتبتموا أخذت الملائكة انصبتها من الله عز وجل من نصيب آدم بواسطته والله هو الرزاق ذو القوة المتين كما هو الخلاق هل من خالق غير الله يرزقكم والعبيد يأخذون أنصبتهم باقسامهم من حيث هي طرق وسبب لهم وهذا حينئذ أول المحاسبة عن مشاهدة حسيب والتحقيق بالمحاسبة هو أول المراقبة عن رؤية رقيب والمقام من المراقبة هو حال من أحوال الموقنين وعلم اليقين هو آخر علم الايمان وآخر نصيب العبد من علم اليقين أعني نهايته أول عين اليقين وهو شهادة المعرفة وللمعرفة على هذا الوصف أول المشاهدة وهذا هو مقام المقربين أعني بمشاهدة وصف قريب يحيط ببعد النفس فيستولي عليها فيغيب بعدها في قربه ويتبعه عقله تحت ظنه وتنطوي حكمته في قدرته كمحو نور القمر في ضياء الشمس والله غالب على أمره وعلم معاني الاسماء والصفات وتعريف الاخلاق وباطن أحكام الذات يكون في مقامات القرب بمرآة نور الوجه فيرفع نور حكم المكان ويشهد كأنه ترفع كون المرآة ويشهد الوجه بنورها وتغيب المرآة عن كونها فيكون العبد قائما بقيوميته فيصير العبد شبيه ته مشاهدا محيطا بقربه لا بكونه كما يشهد الوجه بنور المرآة لا بعينها ولا يكون هذا الا بعد معاينته وصفه وبعد حسن المراقبة في جميع المعاملة وحسن الادب في محاضرة الرب بتنفيذ خواطر الخير وسرعة نفي خواطر السر حتى لا يبقى شئ منها وهذا حال المشاهدة والقرب وذلك يخرج العبد الى صفاء القلب بعلم اليقين وصفاء القلب رفعه مقامات في مشاهدة العين حتى لا يخطر بقلبه الا خاطر حق فان عصاه عصى الحق وفي ترك هذا والعمى عنه كدر القلب وفي كدره ظلمته وذلك مقامات في القسوة وهي أول البعد وبلغني ان ما من فعلة وان صغرت الا ينشر لها ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن فمعنى لم أي لم فعلت وهذا موضع الابتلاء عن وصف الربوبية بحكم العبودية أي أكان عليك ان تعمل لمولاك أم كان ذلك تسلك بهواك فان سلم من هذا الديوان بأن كان عليه ان يعمل كما أمر به سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا وهو مكان المطالبة بالعلم وهو البلاء الثاني أي قد علمته بان كان عليك علمه فكيف علمته أبعلم أم بجهل فان الله تعالى لا يقبل عملا الا على طريقته وطريقه العلم فان سلم من هذا نشر عليه الديوان الثالث فقيل لمن وهذا طريق التعبد بالاخلاص لوجه ربوبية

الفطر فيه خمس خلال خلق الله فيه آدم وأهبط الله فيه آدم الى الارض وفيه توفى الله آدم وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيأ الا أعطاه ما لم يسأل حراما وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر الا وهن يشفقن من يوم الجمعة ان تقوم الساعة م عن ابن عمر وأبي هريرة انهما قالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين م عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم وروى الشافعي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة من غير ضرورة كتب منافقا في كتاب لا يمحى ولا يبدل وروى الدارقطني عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة الا مريضا أو مسافرا أو امرأة أو صبيا أو مملوكا فمن استغنى بلهو

وهو البلاء الثالث وهم بغية الله عز وجل من خلقه الذين قال في حقهم الا عبادك منهم المخلصين وهذا مقتضى كلمة الاخلاص من نفي ما سواه وهي لا اله الا الله وليس بعدها الا الاشفاق الى وقت التلاقي أي قد عملته بعلم فلمن عملته لوجه الله عز وجل خالصا فاجرك عليه أم لشخص مثلك فخذ أجرك منه أم عملته لتناول عاجل دنياك فقد وفيناه اليك عملك فيها أم عملته لنفسك بسهوك وغفلتك فقد سقط أجرك وحبط عملك لذهابك عن القصد وعدم النية في العمل فجميع ما أردت به سواه فقد تعرضت المقت واستوجبت العقاب بترك ما مليك وجهل ما لمولاك اذ كنت عبدا الى تتولى غيري واذا أنت تأكل رزقي وتعمل لسواي واذا كان الدين قد جعلته لنفسي فقصدت به من دوني ويلك اما سمعتني أقول ألا لله الدين الخالص ويلك ما قبلت أمري اذ قلت وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقوله ويلك اما سمعتني أقول ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه فهذه امثال القرآن يشهد منها العلماء أمثالهم وهي اذا كان الخطاب عند تدبره يفهمها العارفون اذ كان هم فيكون توبيخ الله عز وجل للغافلين بعزائم كلامه وغليظ خطابه أشد عليهم وأوجع لهم من أليم عقابه وذلك ان الله تعالى استخلص الدين لنفسه ولم يشرك فيه أحدا من خلقه فقال ألا لله الدين الخالص يعني الطريق الموحد غير المشترك الصافي غير الكدر لان الاخلاص التصفية من اكدار الهوى والشهوة وضده الشرك وهو الخلط بغيره من النفس والناس كما أنعم علينا بالرزق الخالص من بين الفرث والدم فتمت به النعمة فقال نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا فلو وجد فيه خلط من أحدهما لم تتم به النعمة علينا فكذلك ينبغي ان يكون عملنا له خالصا من الهوى والشهوة لنستحق به الاجر والحظوة منه مع القيام بواجب الحق علينا فكما انا لو رأينا في اللبن الذي أنعم به علينا دما أو فرثا لعافته أنفسنا فلم نأكله فكذلك الحكيم الخبير اذا رأى في عملنا خلطا من رياء أو شهوة رده علينا فلم يقبله وكما عمل لنا مما علمت به بقدرته أنعاما ذللها لنا فمنها ركوبنا ومنها كلنا فينبغي ان نشكره فنعمل له بعد الاكل عملا صالحا كما أمرنا بعد اذ أنعم الله علينا فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن جهل ما جعل الله لنفسه وترك ما أمر به من الاخلاص بالدين لوجهه استوجب المقت لجهله واستحق العقاب لمخالفته وفي تدبر ما قلناه الهرب من الخلق والبكاء على النفس الى اقامة الحق لمن أشهد ووقف وأريد بالحضور فلم يصرف

*(الفصل الرابع والعشرون)* في ذكر ماهية الورد للمريد ووصف حال العارف المزيد اعلم ان الورد اسم لوقت من ليل أو نهار يرد على العبد مكررا فيقطعه في قربة الى الله ويرد فيه محبوبا يرد عليه في الآخرة والقربة اسم لاحد معنيين أمر فرض عليه أو فضل ندب اليه فاذا وصل ذلك في وقت من ليل أو نهار وداوم عليه فهو ورد قدمه يرد عليه غدا اذا قدم وأيسر الاوراد صلاة أربع ركعات أو قراءة سورة من المثاني أو سعي في معاونة على بر أو تقوى قال أنس بن سيرين كان لمحمد بن سيرين في كل ليلة سبعة أوراد فكان اذا فاته منها شيء قضاه بالنهار فسمى العمل الموظف المؤقت وردا وقال المعتمر بن سليمان ذهبت ألقن أبي عند الموت فاوما الي بيده دعني فاني في وردي الرابع فسمى الحزب من أحزاب القرآن لوقت ما وردا فمن العمال من كان يجعل الاوراد من أجزاء القرآن ومنهم من كان يجعله من أعداد الركوع وفوق هؤلاء من العلماء كانوا يجعلون الاوراد من أوقات الليل والنهار فان قطع الوقت بآية أو ركعة أو فكرة أو شهادة فذلك ورده وأما العارفون فانهم لم يوقتوا الاوراد ولم يقسموا الاوقات بل جعلوا الورد واحدا لمولاهم وجعلوا حاجاتهم من الدنيا ضروراتهم وصيروا الوقت متساويا بسيدهم وتصريفهم لصالحهم يدخل عليهم فوضعوا رقابهم في رق العبودية وصفوا أقدامهم في مصاف الخدمة فكانوا في كل وقت بحكم ما يستعملون ويوصف ما به يطالبون فذلك وردهم وتلك علامتهم عن حسن اختيار الله عز وجل لهم وجميل توليه اياهم لا يكلهم الى نفوسهم ولا يوليهم بعضهم وهو يتولى الصالحين مشاهدتهم ذكرهم وقرب الحبيب

أو تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد وروى الدينوري عن الاوزاعي انه قال كان عندنا صياد يصطاد النينان فكان يخرج الى الصيد فلا يمنعه مكان الجمعة من الخروج فخسف به وببغلته فخرج الناس وقد ذهبت بغلته في الارض فلم يبق منها الا اذنها وذنبها اعلم انه اذا كان هذه الآفات فيمن تخلف عنها فما ظنك بمن عطل جمعة في بلدة اتباعا لهواه فلا تدري نفس ما يلحق هذا الظالم من العذاب والنكال في الدنيا والآخرة اعاذنا الله تعالى واياكم من مثل هذا الذنب الشنيع الموبق وروى البيهقي أكثروا الصلاة علي ليلة الجمعة ويوم الجمعة من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا تدس ق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل

حبهم ليس يشهدون فضيلة فى غير محبوبهم ولا يرجون قربة بغير معروفهم به يتقربون اليه واليه يسعون له وعليه يتوكلون لهو منه يخافون عنه وإياه يحبون مثلوا سقطوا الاعمال كلها غير ما تعلق بالتوحيد نبوته ما نقص من توحيدهم ذرة ولو تركوا أوراد المريدين كلهم ما أثر فى قلوبهم بقسوة ولا فترة لانهم لا يزيدون بالاعمال فينقصون بها ولا يتفقدون قلوبهم وأحوالهم بالاوراد فيعرفون النقصان والمزيد منها ولا تجتمع قلوبهم بسبب ولا تقوى نفوسهم بطلب فتتشتت لفقد سبب ويضعف يقينهم لطلب هذه المعانى هى أحوال المريدين وجملة تغييرهم فى شيئين ضيقهم بالخالق فهربوا منه وأنسهم بالخلق فاستراحوا اليه ولو دام قربهم منه لدامت راحتهم به ولو وقفت شهادتهم عليه لما نظروا الى سواه واما العارفون فقد فرغ لهم من قلوبهم واجتمعت المتفرقات بجامعها لهم واقامهم القائم لهم بشهادتهم له فلهم بكل شئ مزيد من كل شئ توحيد كل خاطر بهم يردهم اليه وكل متلو واليه يدلهم عليه وكل نظرة وحركة طريق لهم اليه فتوحيدهم فى مزيد ويقينهم فى تجديد بغير تغيير ولا تصريد ولا ايقاف ولا تحديد ولربما طلب أحدهم التسبب بالاسباب فيجمعهم رب الارباب لانه مراد بالاجتماع وانما استروح بالشتات لاستجمام ما هو فى قلبه آت ثقته بحبيبه وتمكنا عند محبوبه اذ قد علم انه طالب فطرح نفسه ليحمله فحمله بما تولاه ولم يكله الى نفسه وهواه فهذه مقامات لاهلها لا يعرفها سواهم ولا تصلح الا لهم ولا تليق الا بهم ولا يقاس عليها ولا يدعى مكانها ولا تنتظر فتترك لها الاوراد ولا تتوقع فيقصر لاجلها فى الاجتهاد والمرادون بها محمولون بها مواجهون بعلمها مسلوك بهم طريقها لا يردون مرادهم وهى محبوسة عليهم مقصورة لهم فهم لها سابقون فاولياء الله عابدوه وقد عكفوا بقلوبهم لمن عبدوه ونظروا الى معبودهم الذى عكفوا عليه ففهموا عنه فصل الخطاب بما آتاهم من شهادة محكم الكتاب اذ يقول وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا بعد قوله الغافلين ضيرهم معرضا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين مع قوله ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشئ يراد الى قوله فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا فعلموا ان الاخلاص الذى أمروا به هو العبادة ولا عبادة الا بمجانبة الهوى وبعدها الانابة الى المولى أما سمعت قوله عز وجل والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى وأيقنوا ان الصلاة عماد الدين ولا صلاة الا للمتقين ولا تقوى الا بانابة كما قال تعالى منيبين اليه واتقوه ثم قال وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين فهذه عبادة العارفين على سنة النبيين فانابتهم مشاهدتهم لمذكورهم كقوله فى وصف ضدهم كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى فهم عن كشف من ذكره اذ كانوا بضد وصفهم وحقيقة ذكرهم نسيانهم لسوى مذكورهم يعنى قوله واذكر ربك اذا نسيت فاخرجهم الذكر له الى الفرار اليه كما فهموا عنه اذ يقول لعلكم تذكرون ففروا الى الله فلما هربوا اليه أواهم بقربه ووهب لهم هداية الى حبه ونشر لهم من رحمته وطواهم فى قبضته فلم يرهم الا هم ولم يعرفهم سواهم وقد قال تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته وقال تعالى انى ذاهب الى ربى سيهدين وذكر الاوراد وما يرجى بها من الازدياد ولكن بمواصلة الاوراد المرسومة الاعمال الموقتة المعلومة يستبين للمريد النقصان من المزيد ويعرف قوة العزم والشره من وهن العادة والفترة وفى الاوراد ايضا فضيلة وهو ان العامل اذا شغل عنها بمرض أو سفر كتب له الملك مثل ثواب ما كان يعمل فى الصحة وقد يكون نوم العارف أفضل من صلاة الجاهل لان هذا النائم سالم وهو ذلك الزاهد العالم اذا استيقظ وجد وهذا الصائم القائم لا يؤمن عليه الآفات ونظرته الاعداء فى العبادات وهو ذلك الجاهل المغتر اذا وجد فقد وقد روينا فى خبر نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وفى الحديث عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وروينا فى خبر مقطوع لو وقعت همة على هذه يعنى السماء على الارض ما ترك العالم عامله لشئ ولو فتحت الدنيا على عابد ترك عبادته بها ولان العالم قد يكاشف فى نومه بالآيات والعبر ويكشف له الملكوت الاعلى والاسفل ويخاطب بالعلوم ويشاهد

شهد أجر صيامها وقيامها طخ قال النبى صلى الله عليه وسلم فى جمعة من الجمع يا معشر المسلمين ان هذا يوم جعله الله عيدا فاغتسلوا ومن كان عنده طيب فلا يضره ان يمس منه وعليكم بالسواك خم عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الاول فالاول ومثل المهجر كمثل الذى يهدى بدنة ثم كالذى يهدى بقرة ثم كبشا ثم دجاجة ثم بيضة فاذا خرج الامام طووا صحفهم ويستمعون الذكر م من ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذى يقول له انصت ليس له جمعة ت عنه صلى الله عليه وسلم قال من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم اعلم انه يكره للداخل حال الخطبة ان يسلم فان سلم وجب الرد ويسن له ان يصلى ركعتين خفيفتين قال الاسنوى ويحرم الزيادة على ركعتين واطالة النفل التى كان شرع قبل صعود الامام ولا يجوز التنفل بالصلاة بالاتفاق مع أم لا لانه اعراض عن الامام بالكلية

القدر فمن معنى ما تشهده الانبياء في يقظتهم فيكون نوم العارف يقظة لان قلبه حياة ويكون يقظة الغافل نوما لان قلبه موات فيعدل نوم العالم يقظة الجاهل وتقرب يقظة الجاهل الغافل من نوم العالم كيف وقد جاء في خبر أبي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى أحد فقال هذا جبل أحد ولا يعلم خلق ما وزنه وان من أمتي من تكون التسبيحة منه والتهليلة أوزن عند الله عز وجل منه وفي حديث ابن مسعود اذ قال لعمر ما أنكرت ان يكون عمل عبد في يوم واحد أثقل من في السموات والارض ثم وصف ذلك بانه هو العاقل عن الله عز وجل الموقن العالم به وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقالت ما كان يخص رمضان بشيء دون غيره ولا كان يزيد في رمضان على سائر السنة شيأ وقال أنس بن مالك ما كنت تريد ان ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما من الليل الا رأيته ولا تريد ان تراه قائما الا رأيته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام ثم يقوم قدر ما نام ثم ينام قدر ما قام ثم يقوم قدر ما نام ثم ينام ثم يخرج الى الصلاة وقالت عائشة رضي الله عنها ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا قط الا رمضان ولا قام ليلة الى الصبح حتى ينام منها قالت وكان يصوم من الشهر ويفطر ويقوم من الليل وينام وفي الخبر الآخر كان يصوم حتى تقول لا يفطر ويفطر حتى تقول لا يصوم وكان يصبح صائما ثم يفطر ويصبح مفطرا ثم يصوم وفي الخبر الآخر كان يدخل من الضحى فيقول هل عندكم من شيء فان قدم اليه شيء أكل والا قال اني صائم وخرج يوما فقال اني صائم ثم دخل فقلنا يا رسول الله اهدي لنا حيس فقال اما اني كنت أردت الصوم ولكن قربيه وكان ورده صلى الله عليه وسلم حكم ما ورد عليه فعن هذا المعدن يكون تصريف العارفين ومن هذا المعنى تكون مشاهدة الموقنين لبسواطع الله بإرادة توقيت ولا تقطع على تحديد كما قيل لبعضهم باي شيء عرفت الله عز وجل فقال بفسخ العزائم وحل العقد ولكن الاوراد طريق العمال والوظف أحوال العباد منها دخلوا وفيها يرفعون الى أن يشهدوا الواحد فتكون الاوراد كلها وردا واحدا ويكونون بشهادتهم قائمين قال بعض العلماء من السلف الايمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقا على اعداد الانبياء المرسلين كل مؤمن على خلق منها هو طريقه الى الله عز وجل وجهته من الله عز وجل ونصيبه وفي كل طريقة من المؤمنين طبقة وبعضهم أعلى مقاما من بعض وقال عالم آخر الطرق الى الله عز وجل بعدد المؤمنين وقال بعض العارفين الطرق الى الله بعدد الخليقة يعني ان الشهيد بكل خلق طريقا فقد صارت المكونات للمكون طرقات وروينا في الخبر الايمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون طريقة من لقي الله عز وجل بالشهادة على طريقة منها دخل الجنة ومن هذا قوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا فدل انهم كلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض يعني انه أقرب الى الله عز وجل وأفضل وقد ندب الى القريب في الامر بطلبه وأخبر عن المقربين بالمنافسة في طلب القرب فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة يعني القريب وقال تعالى فيما أخبر أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب فاقرب الخلق من الله عز وجل أعلاهم عند الله عز وجل وأعلاهم عنده أعرفهم به وأفضلهم لديه وروينا في التفسير قل كل يعمل على شاكلته قال على وحدانيته يعني بذلك على توحيده الذي وحد الله عز وجل به ويعرفه منه والشاكلة الطريقة والخلق قد شاكله وقد شكل فيه ومن ذلك قول علي رضي الله عنه لكل مؤمن سيد من عمله فهذا السيد من العمل هو الذي يرجو به المؤمن النجاة ويفضل به عند مولاه وقال بعض العلماء كان عباد الكوفة أربعة أحدهم صاحب ليل ولم يكن صاحب نهار والآخر صاحب نهار ولم يكن صاحب ليل وبعضهم صاحب سر ولم يكن صاحب علانية والآخر صاحب علانية ولم يكن صاحب سر وقد كان بعضهم يفضل عبادة النهار على عبادة الليل لما فيها من مجاهدة النفس وكف الجوارح لان النهار مكان حركة الغافلين وموضع ظهور الجاهلين فاذا سكن العبد عند حركة الغافلين وموضع ظهور الجاهلين كان هو التقي المجاهد

فتفطن لما كان الباوي به عامة انتهى قال الحسني هذه مسئلة نفيسة تقل من يعرفها عملي وجهها فينبغي الاعتناء بها ولا تغتر بفعل ضعفاء الطلبة وجهلة المتصوفة فان الشيطان يتلاعب بصوفية زماننا كتلاعب الصبيان بالكرة وأكثرهم صدهم عن العلم مشقة الطلب فاستدرجهم الشيطان قال السيد الجليل ضرار بن عمر وان قوما تركوا العلم ومجالسة العلماء واتخذوا محاريب وصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه فخالفوا فهلكوا والذي لا اله غيره ما عمل عامل على جهل الا كان ما يفسد أكثر مما يصلح انتهى ويتصدق في هذا اليوم بشيء وان قل ويزور القبور ويدعو لهم حكي عن امرأة من المتعبدات يقال لها راهبة لما اشرفت على الموت رفعت رأسها الى السماء وقالت يا ذخري ويا ذخيرتي ويا من عليه اعتمادي في حياتي ومماتي لا تخذلني عند الموت ولا توحشني في قبري فلما ماتت كان لها ولد يأتي قبرها في كل جمعة يقرأ عندها شيأ من القرآن ويدعو ويستغفر لها ولاهل المقابر قال فرأيتها في المنام فسلمت عليها وقلت يا اماه كيف

والفاضل العابد وقد قيل ان العبادة ليست الصوم والصلاة فحسب بل أفضل العبادة اداء الفرائض واجتناب المحارم وتقوى الله عز وجل عندا كتساب الدرهم وهذا من أعمال النهار وقد قال الله عز وجل وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار أى ما كسبت جوارحكم فعلق الاجتراح بالنهار ثم يبعثكم فيه فاذا لم يعلم من عبد اجتراحا بالنهار ولم يبعثه فيه فى مخالفة فمن أفضل منه وكان الحسن يقول أشد الاعمال قيام الليل بالمداومة على ذلك ومداومة الاوراد من أخلاق المؤمنين وطرائق العابدين وهى مزيد الايمان وعلامة الايقان وسئلت عائشة رضى الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اتقنه وهذا كان سبب ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من صلاته بعد العصر ركعتين انه كان ترك مرة ركعتى النافلة بعد الظهر شغله الوفد عن ذلك فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر كلما دخل منزله روت ذلك عنه عائشة وأم سلمة ولم يكن يصليهما فى المسجد لئلا يستن الناس به وفى الخبر المشهور اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله عز وجل لا يمل حتى تملوا وفى الحديث الآخر أحب الاعمال الى الله عز وجل ما ديم عليه وان قل وقد روينا فى خبر من عوده الله عز وجل عبادة فتركها ملالة مقته الله تعالى وفى خبر عن عائشة رضى الله عنها وقد أسنده بعض الرواة من طريق كل يوم لا أزداد فيه علما فلا بورك لى فى صباح ذلك اليوم وقد جاء فى الخبر كلام تارة يروى عن الحسن بن على وتارة يروى عن الحسن البصرى ومرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع يقول من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ومن لم يكن فى مزيد فهو فى النقصان وفى لفظ آخر من لم يتفقد النقصان من نفسه فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خير له ولعمرى ان المؤمن شكور والشاكر على مزيد

*(الفصل الخامس والعشرون)* فى ذكر تعريف النفس وتصريف سمو اجيد العارفين اعلم ان النقصان يبدو من الغفلة والغفلة تنشأ من آفات النفس والنفس مجبولة على الحركة وقد أمرت بالسكون وهو ابتلاؤها لتفتقر الى مولاها وتبرأ من حولها وقواها ومثل ذلك قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون لتفزعوا اليه فتقولوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وكما قال وكان الانسان عجولا خلق الانسان من عجل ثم قال سأريكم آياتى فلا تستعجلون وقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه فأخبر عن وصفه بالعجلة ثم أمره بتركها للبلوى فان نزلت السكينة وهى مزيد الايمان سكنت النفس عن الهوى باذن منفسها وان حجب القلب بالغفلة وهى علامة على الافتقار والتضرع تحركت النفس بطبعها فان سكنت عن حركتها فبالمنة والفضل وان تحركت بوصفها فبالابتلاء والعدل فأول البلاء اختلافها وأول اختلافها ومقدمته الهمة وبابه السمع وهو طريق الى الكلام والنظر والقول طريق الى الشهوة والشهوة مفتاح الخطيئة والخطيئة مقام من النار حتى يخرج عنها الجبار بالتوبة فى الدنيا والعفو فى العقبى وقد تكون المخالفة على المحب العارف أشد من النار كما حدثت عن بعضهم قال لان ابتلى بدخول النار أحب الى من ان أبتلى بمعصية قيل ولم قال لان فى المعصية خلاف ربى تعالى وسخطه وفى النار اظهار قدرته وانتقامه لنفسه قال فسخطه أعز على وأعظم من تعذيب نفسى وكذلك حدثونا فى معناه عن بعض الموقنين من العمال انه قال ركعتان تتقبل منى أحب الى من دخول الجنة قيل وكيف قال لان فى الركعتين رضا ربى عز وجل ومحبته وفى الجنة رضاى وشهوتى فرضا ربى عز وجل أحب الى من محبتى وقد قال وهيب بن الورد المكى فى لبن سئل أن يشربه فلم يفعل لانه سأل عن أصله فلم يستطبه فقالت له أمه اشرب فانى أرجو ان شربته أن يغفر الله لك فقال ما أحب انى شربته وان الله غفر لى قالت ولم قال لا أحب أن أنال مغفرته بمعصيته فى جملة وصف النفس معنيان الطيش والشره فالطيش عن الجهل والشره عن الحرص وهما فطرة النفس فمثلها فى الطيش كمثل كرة أو جوزة فى مكان أملس مصوب سكونها بالمنة فان أشرت اليها أو حركتها أدنى حركة تحركت بوصفها وهو خفتها واستدارتها وصورتها فى الشره المتولدة من الحرص انها على صورة الفراشة انها تقع فى النار جاهلة شرهة



أنت وكيف حالك قالت يا بنى ان للموت كربة شديدة وأنا بحمد الله فى روح محمود ومفروش فيه الريحان وموسد فيه السندس والاستبرق الى يوم القيامة فقلت يا أمى ألك حاجة قالت نعم يا بنى لا تدع ما كنت عليه من زيارتنا والقراءة والدعاء لنا فانى يا بنى أسر بمجيئك الينا ليلة الجمعة ويوم الجمعة اذا اقبلت يقول الموتى يا ناهية هذا ابنك فقد أقبل الينا فأسر بذلك ويسر من حولى قال فكنت أزورها فى كل ليلة جمعة ويوم جمعة فاقرأ عندها شيأ من القرآن وأقول آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيآتكم قال فبينما أنا ذات ليلة نائم اذا خلق كثير قد جاؤنى فقلت لهم من أنتم وما حاجتكم فقالوا نحن أهل المقابر جئناك نشكرك ونسألك أن لا تقطعنا من تلك القراءة والدعوات فما زلت أقرأ لهم وأدعو لهم بين كل ليلة جمعة ويوم جمعة وفى كتاب ابن السنى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر اخوانى اغتنموا هذا اليوم العظيم

تطلب بجهلها الضوء فيه هلاكها فاذا وصلت الى شيء منه لم تقتنع بيسيره لشرهها فتحرص على الغاية منه وتطلب عين الضوء وجلته وهو نفس المصباح فتحرق ولو قنعت بقليل الضوء عن بعد سلمت فكذلك النفس في طيشها الذي يتولد من العجلة وفي شرهها الذي ينتج من الحرص والطمع والحرص والطمع هما اللذان كانا سبب اخراج آدم عليه السلام من الجنة لانه طمع في الخلود فحرص على الاكل وكان ذلك من الجهل والشره فكانت معصيته سبب عمارة الدنيا فصارت الطاعة سبب عمارة الآخرة فلذلك قيل حب الدنيا رأس كل خطيئة فصار الزهد أصل كل طاعة فانظر كيف أخرج من الجنة بعد ان جعل فيها بذنب واحد وأنت تريد ان تدخلها ولم تمت النار الينا بذنوب كثيرة وفي الحديث الا ان الايمان عريان فلباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم ومن ثم قيل ان الجنة طيبة لا يسكنها الا الطيب في طابوا الها ادخلوها ألم تسمع الى وفاقه بين ذلك في قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وقال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين لانه قال ومساكن طيبة في جنات عدن والذنوب خبائث كما قال ويحرم عليهم الخبائث فلما طابوا الها طابت لهم وقد اجمل ذلك بقوله تعالى الخبيثات للخبيثين وبقوله الطيبات للطيبين وقد مثل بعضهم النفس في شرهها بمثل ذباب مر على رغيف عليه عسل فوقع فيه بطلب الكلية فعلق بجناحه فقتله وآخر مر به فدنا من بعضه فنال حاجته فرجع الى ورائه سالما وقد مثل بعض الحكماء ابن آدم مثل دود القز لا يزال ينسج على نفسه بجهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره وربما قتلناه اذا فرغ من نسجه لان القز يلتف عليه فيروم الخروج منه فيشمس وربما غمزوه بالايدي حتى يموت لئلا يقطع القز وليخرج القز صحيحا فهذه صورة المكتسب الجاهل الذي أهلكه أهله وماله فتنعم ورثته بما شقي به فان أطاعوا به كان أجره لهم وحسابه عليه وان عصوا به كان شريكهم في المعصية لانه أكسبهم اياه به فلا يدرى أي الحسرتين عليه أعظم اذهابه عمره لغيره أو نظره الى ماله في ميزان غيره ومما سمعت في علم شره النفس ما حدثني بعض اخواني عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا جملا مشويا ودعونا عليه في جماعة من أصحابنا فلما مد يده ليأكل وأخذ لقمة وجعلها في فيه لفظها ثم اعتزل وقال كلوا أنتم فانه قد عرض لي عارض منعني من الاكل فقلنا لا نأكل ان لم تأكل معنا فقال أنتم أعلم اما انا فغير آكل ثم انصرف قال فذكر هنا ان نأكل دونه فقلنا ودعونا الشواء فسألنا عن أصل هذا الجمل فلعل له سببا منكرا وها قد دعوناه فلم نزل به نسأل عنه حتى أقر انه كان ميتة وان نفسه شرهت الى بيعه حرصا على ثمنه فشواه فوافق انكم اشتريتموه فالقيناه للكلاب قال ثم اني لقيت الرجل بعد وقت فسألته لاي معنى تركت أكله وبأي عارض فقال أخبرك ما شرهت نفسي الى طعام منذ عشرين سنة بالرياضة التي رضتها به فلما قدمتم الى هذا شرهت نفسي اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت ان في ذلك الطعام علة فتركت أكله لاجل شره النفس اليه فانظر رحمك الله كيف اتفقا في شره النفس عن قصد واحد ثم اختلفا في التوفيق والخذلان فعصم العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وتركه المراقبة أعني البائع الجمل ثم عصم الآخرون للتوفيق بحسن الادب وهو قمع شره النفس عن الاكل بعد صاحبهم ثم تدارك البائع بعد وقوعه لصدق المشترى وحسن نيته * وجبلات النفس الاربع هي أصول ما تفرع من هواها وهي مقتضى ما فطرها عليه مولاها أولها الضعف وهو مقتضى فطرة التراب ثم البخل وهو مقتضى جبلة الطين ثم الشهوة وموجبها الحمأ ثم الجهل وهو ما اقتضاه موجب الصلصال وهذه الصفات على معاني تلك الجبلات للابتلاء بالامشاج ففيه بدء الامت والاعوجاج ذلك تقدير العزيز العليم ثم ان النفس مبتلاة باوصاف أربعة متفاوتة أولها معاني صفات الربوبية نحو الكبر والجبرية وحب المدح والعز والغنى ومبتلاة باخلاق الشياطين مثل الخداع والحيلة والحسد والظنة ومبتلاة بطبائع البهائم وهو حب الاكل والشرب والنكاح وهي مع ذلك كلها مطالبة باوصاف العبودية مثل الخوف

واجعلوه طعمة لآخرتكم ولا تتركوا هذه السنن فانها زاد معادكم وأكثروا فيه من الاذكار والقراءة والدعاء واجتهدوا في مصادفة ساعة الاجابة فانها ما بين ان يجلس الامام على المنبر الى ان تقضى الصلاة كما في صحيح مسلم وقيل بعد العصر الى الغروب كما في الترمذى واحذروا ان تقوموا الى صلاة والامام يخطب فان ذلك حرام كما نقلوا عن شرح المهذب ولا تغتروا بكثرة من يفعل ذلك فانهم جهال اخواني كم تحملون احمال الاوزار وهي ثقال وكم تبارزون بالمعاصي ذا الجلال وكم تتعللون بالتسويف والآمال وكم تتبعون الشهوات وهي خيال وكم تطمعون في البقاء وقد دنا الانتقال وكم قيدتكم الاماني من التواني والاعلال وكم أنذركم من رحل من الاحباب بالارتحال أين من جمع الاموال وعددها اين من عمر الحدائق وغرسها أزعجه والله هادم اللذات من غير اختياره وأخرجه كرها من بين أهله وداره ولم يمهله ساعة ولم يداره كم دموع من الاسى عند الحمام سواكب على ما مضى من أيام البطالة في المصائب بامغترا بالآمال ورب آمل

والتواضع والذل بمعنى ماقلناه قيل انها خلقت متحركة وأمرت بالسكون وانى لها بذلك ان لم يتداركها المالك وكيف تسكن بالامر ان لم يسكنها محركها بالخير فلا يكون العبد عبدا مخلصا حتى يكون المعانى الثلاث مخلصا فاذا تحقق باوصاف العبودية كانت الصامن المعانى التى هى بلاؤه من صفات الربوبية فاخلاص العبودية الوحدانية عند العلماء الموحدين أشد من الاخلاص فى المعاملة عند العاملين وبذلك رفعوا الى مقامات القرب وذلك انه لا يكون عندهم عبدا حتى يكون مما سوى الله عز وجل حرا فكيف يكون عبد رب وهو عبد عبد لان ما قاده اليه فهو الهه وما رتب عليه فهو ربه وهذا شرك فى الالهية عند المتالهين ومرج بالربوبية عند الربانيين فهو متعوس منكوس بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الزوجة تعس عبد الحلة فهؤلاء عبيد العدد الذين قال مولاهم ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا أصحاب النفوس الامارة بالسوء المسولة الموافقة للهوى المخالفة للمولى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر وصفهم أولو النفس المرحومة المطمئنة المرضية هم عباد الرحمن أهل العلم والحكمة علمهم من لدنه واختارهم لنفسه ولا يكون المريد بدلا حتى يبدل بمعانى صفات الربوبية صفات العبودية وباخلاق الشياطين أوصاف المؤمنين وبطبائع البهائم أوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها كان بدلا مقربا والطريق الى هذا بان تملك نفسه فيملكها وتعتزله فيسلط عليها فان أردت أن تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق عليها تسعت عليك فان أردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها واحبسها عن معتاد بلاها فان لم تمسكها انطلقت بك وان أردت ان تقوى عليها فاضعفها بقطع أسباب هواها وحبس مواد شهواتها والا قويت عليك فصرعتك فاول الملكة لها ان تحاسبها فى كل ساعة وتراقب محسبتها فى كل وقت وتقف عند كل همة من خواطرها فان كانت الهمة لله عز وجل سابقت الموت وبادرت الفوت فى امضائها وان كانت الهمة لغير الله تعالى سابقته وبادرت فيه وهالتثبت وعملت فى الاستبدال بها كيلا تستبدل بك وفى تاويل الخبر المروى البر يزيد فى العمر وهو معنى الدعاء المشهور من قول الناس جعل الله فى عمرك البركة وقد بورك له فى عمره فان البركة فى العمران تدرك فى عمرك القصير بيقظتك ما فات غيرك من عمره الطويل بغفلته فيرتفع لك فى سنة ما لا يرتفع له فى عشرين سنة والمخصوص من المقربين فى مقامات القرب عند التجلى بصفات الرب الحاق برفيع الدرجات وتدارك ما فات عنداذ كارهم واعمال قلوبهم اليسيرة فى هذه الاوقات فكل ذرة من ذكر بتسبيح أو تهليل أو حمد أو تدبر وتبصرة وتفكر وتذكرة بمشاهدة قرب ووجد برب ونظرة الى حبيب ودنو الى قريب أفضل من امثال الجبال من أعمال الغافلين الذين هم بنفوسهم واجدون وللخلق مشاهدون مثل العارفين فيما ذكرته من قيامهم بمشاهدتهم ورعايتهم لاماناتهم وعهدهم فى وقت قربهم وحضورهم مثل العامل فى ليلة القدر العمل فيها لمن وافقها خير من ألف شهر وقد قال بعض العلماء كل ليلة العارف بمنزلة ليلة القدر وروينا عن على رضى الله عنه انه قال كل يوم لا يعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد وكان الحسن اذا تلا قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية قال يا اخوانى هى والله ايامكم هذه فاقطعوها بالجد والاجتهاد ولا تضيعوها فتخلوها فراغا من حسن المعاملة وبطالتك فيها عن الشغل بمعادك الحصول عليك منها كما قال المبطلون يا حسرتنا على ما فرطنا فيها يعنى فى الايام الخالية التى هى محصولهم ومرجعهم ومثواهم وكما قالت النفس الامارة بالسوء يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله يعنى أيام الدنيا التى ضيعت العمر فيها فقلت من التراب والجزاء غدا وهذا أحد الوجهين فى قوله الايام الخالية والوجه الآخر الخالية أى الماضية تخلت أوقاتها وخلدت أحكامها وذهبت شهواتها وبقيت عقوباتها فان قصرت عن هذه المحاسبة العسيب ولم يكن لك مقام المراقبة

ثم الباب مستدرك فى خلاصة الحسد عاقبة العواقب وما أمليت من أعمالك على الكاتب وبعده هول الموقف بين يدى المحاسب ويبدو الكل مسوف أمله الكاذب هنالك والله تضيق المذاهب وتبدو الخيبة والحسرة والمصائب اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم

(فصل) فى الزكاة قال الله سبحانه وتعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله أى لا يؤدون زكاتها فبشرهم أى أنذرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم أى تدخل النار فيوقد عليها أى على الكنوز فتكوى أى تحرق بها جباههم وجنوبهم وظهورهم قال ابن مسعود رضى الله عنه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلدهم حتى يوضع كل درهم ودينار فى موضع على حدة فيقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم فصار النفع ضرا فذوقوا وبال ما كنتم تكنزون خ م عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل يكون له ابل أو بقر أو غنم

المرقبة

الرقيب ولا مكان المحاسبة الحسيب فلا يفوتنك مقام الورعين ولا تبعد عن حال التائبين وهو ان تجعل لك وردين في اليوم والليلة لمحاسبة النفس ومواقفتها لمرة بعد صلاة الضحى لما مضى من ليلتك وما سلف من غفلتك فان رأيت نعمة شكرت الله وان رأيت بلية استغفرت فان وجدت في حالك أوصاف المؤمنين التي وصفهم الله عز وجل ومدحهم عليها رجوت وطمعت واستبشرت وان وجدت من قلبك وحالك وصفا من أوصاف المنافقين أو خلقا من أخلاق الجاهلين التي ذمهم الله عز وجل بها ومقتهم عليها حزنت واشفقت وتبت من ذلك واستغفرت والمرة الثانية ان تحاسب نفسك بعد الوتر وقبل النوم لما مضى من يومك من طول غفلتك وسوء معاملتك وما فعلته من أعمالك كيف فعلتها ولم فعلتها وما تركته من سكوتك وصمتك لم تركته ولم تركته فتتعقد الزيادة والنقصان وتعرف بذلك التكلف والاخلاص من حركتك وسكونك فما تحركت فيه وسكنت لاجل الله عز وجل به فهو الاخلاص ثوابك فيه على الله عز وجل عند من جعلك اليه فاعمل في الشكر على نعمة التوفيق وحسن العصمة من التهلكة وما سكنت فيه أو تحركت لهواك وعاجل دنياك فهو التكلف الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه هو والاتقياء من أمته برآء من التكلف وقد استوجبت فيه العقاب عند نشر الحساب الا ان يغفر المولى الكريم الوهاب فاعمل حينئذ في الاستغفار بعد حسن التوبة وجميل الاعتذار ونخشى ان يكون قد وكلك الى نفسك فتهلك فلعل مشاهدة هذين المعنيين من خوف ما سلف منك والطمع في قبول ما أسلفت يزعجك من المنام ويطرد عنك الغفلة فتحيي ليلتك بالقيام فتكون ممن وصف الله عز وجل في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقد قال بعض السلف كان أحدهم يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك لشريكه وقد قال بعض العلماء من علامة المقت ان يكون العبد ذاكرا العيوب بغيره ناسيا العيوب نفسه ماقتا الناس على الظن محبا لنفسه على اليقين وترك محاسبة النفس ومراقبة الرقيب من طول الغفلة عن الله عز وجل والغافلون في الدنيا هم الخاسرون في العقبى لان العاقبة للمتقين قال الله عز وجل وأولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون وطول الغفلة من العبد عن طبائع القلب من المعبود والغفلة في الظاهر غلاف القلب في الباطن تقول العرب غفله وغلفه بمعنى كما تقول جذب وجبذ وخشاف وخفاش وطبائع القلب عن ترادف الذنب بعضه فوق بعض وهو الران الذي يحجب الكسب فيكون عقوبة له قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل المكاسب الخبيثة وأكل الحرام وفي التفسير هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب وأصل الرين الميل والغلبة وهو التغطية أيضا يقال ران عليه النعاس اذا غلبه وران الخمر على عقله أي غطته ومن هذا قول عمر رضي الله عنه في سابق الحاج فادّان معرضا فاصبح وقد رين به أي مال به الدين فغلبه وأصل ترادف الذنوب من اغفال المراقبة واهمال المحاسبة وتأخير التوبة والتسويف بالاستقامة وترك الاستغفار والندم وأصل ذلك كله هو حب الدنيا وايثارها على أمر الله عز وجل وغلبة الهوى على القلب ألم تسمع الى قوله عز وجل ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الى قوله عز وجل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وقال في دليل الخطاب ونهى النفس عن الهوى يعني عن ايثار الدنيا لان صريح الكلام وقع في وصفهم بالطغيان وايثار الحياة الدنيا ثم قال طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم فاتباع الهوى عن طبائع القلب وطبائع القلب عن عقوبة الذنب وميراث العقاب الصمم عن فهم الخطاب اما سمعته يقول لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وقد جعل علي رضي الله عنه الغفلة مقاما من مقامات الكفر فقال في حديثه الطويل فقام اليه سلمان فقال أخبرنا عن الكفر على ما بني فقال على أربع مقامات على الشك والجفاء والغفلة والعمى فاذا كثرت غفلة القلب قل الهام الملك العبد وهو سمع القلب لان طول الغفلة يصمه عن السمع وعدم سمع الكلام من الملك عقوبة الخطايا وتثبيت الملك العبد على الخير والطاعة وحي من الله عز وجل اليهم وتفضيل العبد اما سمعت

لا يؤدي حقها الا أتى بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه تطؤه باخفافها وتنطحه بقرونها كلما جاوزت أخراها ردت عليه أولاها حتى يقضي بين الناس م عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار الحديث خ م قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يفر منه وهو يتبعه حتى يطوقه في عنقه وفي رواية لمسلم يتبعه فاتحا فاه فاذا أتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فاذا رأى انه لا بد له منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل ثم يأخذه بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وعن

قول الله عز وجل اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا وفى الخبر ان آدم عليه السلام حجب عن سمع كلام الملائكة فاستوحش بذلك فقال يا رب مالى لا أسمع كلام الملائكة فقال خطيئتك يا آدم فاذا لم يسمع العبد كلام الملائكة لم يلهمهم كلام الملك واذا لم يسمع الكلام لم يستجب للمتكلم انما يستجيب الذين يسمعون وقال الحسن ان بين العبد وبين الله عز وجل حدا محدودا من الذنوب فاذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه للخير أبدا فبادروا أيها المجاوز المحدود بالتوبة والرجوع قبل ان تبلغ الحد فتلقى عيا وجهدا وفى حديث ابن عمر الطابع معلق بقائم عرش الرحمن فاذا انتهكت المحارم بعث الله عز وجل بالطابع على القلوب فاعماها وهذا هو القفل الذى قال الله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها واعلم ان القسوة التى يهدد الله عز وجل عليها بالويل المتولدة من طول الغفلة فى قوله عز وجل فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقد قرنها الله عز وجل بالنفاق وأخبر انه يجعل القاء الشيطان فتنة لاهل النفاق والقسوة فالقاء الشيطان يكثر عند قلة الهام الملك كما ذكرناه آنفا ينتظم ذلك قوله عز وجل ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم أى والقاسية قلوبهم أيضا والقسوة ثمرة البعد والبعد عقوبة الخيانة والله لا يحب الخائنين فذلك من تدبر الخطاب من قوله فبما نقضهم ميثاقهم أى فبنقضهم الميثاق وما صلة فى الكلام فهذا هو الخيانة لعناهم أى أبعدناهم وجعلنا قلوبهم قاسية بترادف الذنوب بعد القسوة من الكذب والنسيان وكثرة الاطلاع على الخيانة منهم والبهتان فأصيبوا بالذنوب فوقع الطابع على القلوب فصمت عن سمع كلام المحبوب كما قال أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فجلاء هذا الطابع التقوى فهو مفتاح السمع كما قال اتقوا الله واسمعوا والله تعالى الموفق

(الفصل السادس والعشرون) فيه كتاب ذكر مشاهدة أهل المراقبة اعلم ان مشاهدة المراقب هى أول مراقبة الشاهدين وذلك ان من كان مقامه المراقبة كان حاله المحاسبة ومن كان مقامه المشاهدة كان وصفه المراقبة فأول شهادة المراقب هو ان يعلم يقينا ان لا يخلو فى كل وقت وان قصر من أحد ثلاثة معان ان يكون لله عز وجل عليه فرض والفرض على ضربين شئ أمر بفعله أو شئ أمر بتركه وهو اجتناب المنهى والمعنى الثانى ندب حث عليه وهو المسابقة بخير يقربه الى الله عز وجل والمسارعة بعمل بر يبتدره قبل فوته والمعنى الثالث شئ مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وليس للمؤمن وقت رابع فان أحدث وقتا رابعا فقد تعدى حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقد أحدث فى دين الله سبحانه وتعالى ومن أحدث فى دين الله فقد سلك غير طريق المتقين ألم تسمع الى قوله عز وجل وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا فهل ترى بين هذين وقتا يجهل أو هوى كما لا ترى بين الليل والنهار وقتا ثالثا فالذكر الايمان والعلم فهذان ينتظمان جهل أعمال القلوب والشكر والعمل باخلاق الايمان وأحكام العلوم وهذان يشتملان على جميع أعمال الجوارح قال الله عز وجل اعملوا آل داود شكرا وقال واتقوا الله لعلكم تشكرون وقال كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الى قوله فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عوتب فى طول قيامه حتى تورمت قدماه فقال أفلا أكون عبدا شكورا ففسر الشكر بالعمل كما فسر الله عز وجل العمل بالشكر والوقت الثالث هو المباح داخل فيهما لانه معين عليهما وبه استقامة العبد فيهما وقد كان بعض العلماء يقول النافى معاصى الطاعات همهم وشغل عن معاصى المخالفات فيبتدئ العبد المراقب فينظر بيقظته فى أدنى وقت هل لله عز وجل فيه مفرض من أمر أو نهى فيبدأ بذلك حتى يفرغ منه فان لم يجد فانه لا يخلو من نوادب وفضائل فيبتدئ بالافضل فان لم يمكن عمل فى أدنى الفضيلتين فاما أخذ العبد من نفسه لنفسه ومن يومه لامسه ومن ساعته ليومه ومن دنياه لآخرته كما أمر مولاه فى قوله سبحانه وتعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا أى لا تترك ان تأخذ نصيبك من الدنيا ولا تترك ان تأخذ نصيبك للآخرة من دنياك وهو

ان

عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما خالطت الصدقة مالا قط الا أهلكته رواه الشافعى والبخارى فى تاريخه والحميدى وزاد الحميدى وقال يكون قد وجبت عليك صدقة فلا تخرجها فيهلك الحرام الحلال انتهى أدواز كاة مالكم التى قرن بها الله الصلاة فى أكثر المواضع من القرآن اذ الصلاة أم العبادات البدنية والزكاة أم العبادات المالية لتنجوا من الشجاع الاقرع والكى بنار جهنم وأنواع الفضائح والعقوبات وهلاك الاموال فان لم يهلك أموالكم وأنتم عاصون فلا تظنوه نعمة بل هى بلية عظيمة وفتنة جسيمة فقد روى أحمد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون أى آيسون قال ابن عطية روى عن بعض العلماء انه قال رحم الله امرأ تدبر هذه الآية حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة

ان شاء من كما أحسن الله اليك ولا تطلب الفساد فى الدنيا فتكون قد نسيت نصيبك من الآخرة فيتركك الله من جزيل ثوابه الذى أعد لاحبابه كما قال نسوا الله فنسيهم أى تركوه فتركهم وتركهم له ترك نصيبهم منه وتركه عز وجل لهم ترك محابهم من الآخرة فيبتدئ العبد الفطن فيأخذ من عمره وقته فيجعله لآخرته التى أيقن بها ثم يأخذ من وقته اعلى ما فيه مما يختص به الوقت ولا يوجد الا فيه ويفوت تداركه بفوته فيقيم وهو أفضل ما يقدر عليه مما أداه علمه اليه فيجعلها أولاه ثم ان العبد لا يخلو فى كل وقت وان قل من أحد مقامين مقام نعمة أو مقام بلية فحاله عن مقام النعمة الشكر وحاله عن مقام البلية الصبر ثم ليس يفقد أحد مشاهدتين شهود نعمة أو شهود منعم من حيث لا يخلو من وجود مالك وحضور مملوك فعليه الخدمة للموجود وعليه الحضور فى خدمة المعبود والمراقبة علامة الحضور والمحاسبة دليل المراقبة ويكون له أيضا فى أدنى أوقاته وهو الوقت الثالث الذى هو لمباحه وهو أدنى أحوال المؤمن يكون له فيه مشاهدة منعم أو شهود نعمة لئلا يذهب وقته هذا أيضا فارغا من دنياه ولا يعود عليه شئ من ذكر مولاه أو بذكر نعمة له على منعم أو تخرجه اليه فينفعه ذلك فى عقباه اذ العاقبة للمتقين فان شهد منعما اقتطعه الحياء بالسكينة والوقار والهيبة وهذا مخصوص بخصوص وان شهد نعمة استغرقه بالشكر والاعتبار فكان له به تبصرة وتذكر وهذا العموم الخصوص قال الله عز وجل فى وصف الاولين ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله وقال فى المقام الثانى ولا تجعلوا مع الله الها آخر وقال فى مقام الاولين قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه الى قوله أفلا تتقون وقال فى وصف الآخرين قل لمن الارض ومن فيها الى قوله أفلا تذكرون وقدر وينافى الاثر من صفات العاقل وحال المراقب وحشو الاوقات بما ينبغى ان تملأ به جمل ما ذكرناه من حديث أبى ذر الطويل ولا يكون المؤمن ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة فى غير محرم و بمعناه وعلى العاقل ان يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فى صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان فى هذه الساعة عونا له على الساعات وفيه أيضا ثلاث مجملات من صفة العاقل ومن علامة العاقل ان يكون مقبلا على شانه حافظا للسانه عارفا بزمانه وفى بعضها مكرما لاخوانه فأول وقت المباح من الاوقات فالنوائب والحاجات نظرفه به والفاقات تدخل عليه فلا يتسكافه فيسل وقته فيشغله عن وقته ثم ان العباد فى مشاهدة الملك على أربع مقامات كل عبد يشهد الملك من مقامه بعين حاله فمنهم من ينظر الى الملك بعين التبصرة والعبرة فهؤلاء أولو الالباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب وهم اولو الايدى والابصار الذين أقامهم مقام الاعتبار وهذا مقام العلماء الذين هم ورثة الانبياء ومنهم من ينظر الى الملك وأهله بعين الرحمة والحكمة وهذا مقام الخائفين ومنهم من ينظر الى الملك وأهله بعين المقت والبغضة وهذا مقام الزاهدين ومنهم من ينظر الى الملك بعين الشهوة والغبطة وهذا مقام الهالكين وهم أبناء الدنيا الذين لها يسعون وعلى فوتها يتحسرون فان أعطى العبد النظر الى الملك بعين العبرة والحكمة أدخله الملك على الملك فاستغنى به عما سواه وان أعطى الخائف النظر الى الملك بعين الرحمة اغتبط بمقامه وعظمت لربه تعالى عليه النعمة وان أعطى الزاهد النظر الى الملك بعين البغضة أخرجه الملك عن الملك بالزهد فيه فعوضه من فوت الملك الصغير درك الملك الكبير ومن ابتلى بالنظر الى الملك بعين الغبطة والحسرة أوقعه الملك فى الهلكة فسلك طريق المهالك ومن شاهد معنى خلق من أخلاق الذوات أو معنى وصف من الصفات كان مقتضاه موجب الخلق أو الوصف من شهود نعيم أو عذاب وهو مقامه فى التعريف يرفعه اليه مقام التعرف وهذه شهادة العارفين من كل ما شهدوه من الافعال التى تدل على معانى الاخلاق والاوصاف لانه أظهرها عنه ليستدل عليه بها وينظر اليه منها فأما من شهد شهوة من شهوات النفس بعين الهوى أخرجته الى الاهواء فتخطفه الشياطين وهوت به الريح فى مكان سحيق وتنكب طريق المسالك الى المولى التى تخرجه الى القريب وتقعده عند الحبيب فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فمن فاته القرب وقع فى التيه

وقال الحسن من وسع عليه فلم ير انه يمكر به فلا رأى له ومن قتر عليه فلم ير انه ينظر له فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية وقال مكر بالقوم ورب الكعبة اعطوا حاجاتهم ثم أخذوا قاله فى الوسيط وفى الروض الفائق انه كان فى بنى اسرائيل رجل مذنب وكلما زاد فى ذنوبه وعصيانه أمده الله بوافر رزقه واحسانه فلما سمع موسى عليه السلام وتوبيخه لاهل الذنوب قال ياموسى ما أرى ربى الا كلما زدت معصية زادنى من فضله ونعمته فعجب موسى من كلامه فقال الهى أنت أعلم بما قاله عبدك العاصى فقال ياموسى انى أعذبه ولا يدرى فقال يارب كيف تعذبه وقد بسطت رزقه وأمهلته قال ياموسى عذبته ببعده عنى وأغفلته عن طاعتى فوعزتى وجلالى لاذيقنه وبيل عذابى ولاحرمنه جزيل ثوابى بهذا اذا رأيت المبارزين بالخطايا قد اتسع لهم مجال الامهال فلا تستعجل لهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما لقد فرحوا بما أوجب الغم من الزلات أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون بينا أرض اعراضهم قد أخذت زخرفها وازينت

والبعد فهو البائس المغبون الخاسر المفتون الذي يكون ابدا يومه شرا من أمسه وغده شرا من يومه فالموت
خير له من حياته لان حياته عن الحبيب تبعده و يقطعه عن السبيل يصده و جده اهواه يفقده وظهور نفسه
عليه من السوابق يقعده لانه اذا كان في ادبار وكان ادباره في اقبال فقد فاته عمره عن آخره كفوت وقت
واحد وفوت شئ واحد لان العمر ليس مما يتأتى فوته دفعة واحدة كشئ واحد لانه ينشأ وقتا بعد وقت
وانما يفوت بجزء جزء ابتلاء حكمة من الله عز وجل وتمهل واستدراج منه وقتا بعد وقت ويوما بعد يوم يستدرجه
في ذلك كما يصعد الدراج في الدرج مرقاة مرقاة كذلك يشغله في وقت عنه ويفرغه وقتا آخر لغيره ويذكره
في وقت سواه وينسيه وقتا آخر اياه فيشغله حينئذ كفراغه ويذكره وينسيه كنسيانه وعلى هذا سائر أوقاته
تارة يقطعه عنه وتارة يصله بغيره حتى تفنى الايام بالفوت وتنقضي الاوقات الى الموت وفي ذلك يسبل عليه
الستر ليغتر ويسبغ عليه النعم كيلا يعلم ويديم له العوافي لئلا يفطن ويبسط له الامل ليزداد من سوء
العمل ويقبض عنه الاجل ليقبض منه الوجل وينشر له الرجاء ويطوي عنه الخوف حتى يفتنهم فجأة
من حيث أمنهم ويأخذهم بغتة في حال غرتهم كما قال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ومن
معنى ما ذكرناه قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ أي لما تركوا ما وعظوا به
وخوفوا أسبغنا عليهم النعم وأنسيناهم الشكر فتراد فتهم الذنوب وأنسيناهم الاستغفار ثم قال حتى اذا
فرحوا بما أوتوا أي سكنوا الى ذلك واطمأنوا ولم يريدوا التحويل عنه ولا الاستعتاب منه أخذناهم بغتة أي
فجأة في حين أمنهم وقيل بغتة بعد أربعين سنة فاذا هم مبلسون متحيرون باهتون آيسون من كل خير
واعلم ان العبد اذا كان بعد ساعة شرا منه قبلها وبعد يوم شرا منه قبله ثم لم يستعتب ولم يتدارك كانت
أوقاته كلها وأيامه كيوم واحد في الشر ووقت سرمد في السوء فكان كمن فات عمره كله كفوت وقت واحد
منه لانه على هذا الوصف يكون فوت العمر لتراخيه وقتا بعد وقت وينساه شيأ بعد شئ ولتربية العبد
باوقاته وقتا بعد وقت الا انها في آخر الحساب وجملة كيوم واحد اضاعة فكان مثله كما قال تعالى ولا تطع من
أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وكمن كانت حاله الغفلة عن الوعد والوعيد فلما كشف
عنه الغطاء صار بصره بهت واحد وبرق لما ينتما كان عنه غفل وحسرة على ما فيه فرط لقوله تعالى لقد
كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قيل محدد الى أعمالك السيئة أو نتائجها
وقيل حديد الى لسان الميزان يتوقع النقص والرجحان وكان كمن قال تعالى في قوله وأنذرهم يوم الحسرة اذ
قضي الامر وهم في غفلة قيل جاءهم الموت وهم مشغولون بأمور الدنيا وقيل كانوا متشاغلين في شأن النساء
وبوصف من قيله وغرتكم الاماني يعني أماني الهوى حتى جاء أمر الله أي قدم الموت ولم تقدموا له شيأ
يقدموا به عليه فثلهم كمن وصفه بالافلاس وأخبر عنه بالاياس في قوله عز وجل حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد
الله عنده فوفاه حسابه وقد كان أبو محمد يقول لا يبلغ العبد منازل الصديقين حقيقة من هذا الامر حتى
يكون فيه هذه الاربع أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي في الظاهر والباطن
والصبر على ذلك الى الممات وكان الحسن يقول والله ما العمل المؤمن انتهاء دون الموت والله ما المؤمن الذي
يعمل الشهر والشهرين والسنة والسنتين انما المؤمن المداوم على أمر الله الخائف من مكر الله انما الايمان
شدة في لين وعزم في يقين واجتهاد في صبر وعلم في زهد وكان عمر رضي الله عنه اذا تلا قوله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا يقول قد قالها الناس ثم رجعوا فمن استقام على أمر الله في السر والعلانية والعسر
واليسر ولم يخف في الله لومة لائم وقال مرة استقاموا والله لربهم ولم يروغوا روغان الثعالب وقال بعض
العلماء من كان طلب الفضائل أهم اليه من اداء الفرائض فهو مخدوع ومن شغل بغيره عن نفسه فقد مكر به
وقال سفيان الثوري وغيره انما حرموا الوصول بتضييع الاصول فأفضل شئ للعبد معرفته بنفسه
ووقوفه على حده واحكامه لحاله التي أقيم فيها فابتداؤه بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهي

جعلناها حصيدا كأن لم
تغن بالامس يامعشر
الغافلين في لذاتهم انا
أنذرنا كم عذابا قريبا
واتحملتهم يوم ينبئهم الله
بما عملوا والله بكل شئ عليم
شعر
ما حال من غلقت أبواب رحمته
وبطلت نفسه في سجن غفلته
أعمته شهوته عن كل صالحة
كأنما ختمت أجفان مقلته
قد عمان لم يفق من قبل
صرعته
فسوف يعثر في أذيال حجوته
يامن ينادي ولا يصغي لصالحة
كأنما قلبه في غير جثته
ان كان جسمك لا يقوى على
ألم
فالنار أعظم من آلام علته
اللهم أجرنا من نار عفو بتك
ولا تفضحنا على رؤس
الخلائق يوم القيامة
وارزقنا حسن النظر لانفسنا
ولا تجعلنا من الذين يستمعون
المواعظ ولا يعملون بها
وصل على سيدنا محمد وآله
وصحبه أجمعين
(فصل في الصدقة والسخاء)
قال الله تعالى ان المصدقين
والمصدقات وأقرضوا الله
قرضا حسنا يضاعف لهم
ولهم أجر كريم وفي الصحيحين
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من يوم يصبح
العباد فيه الا ملكان ينزلان
فيقول أحدهما اللهم
اعط منفقا خلفا ويقول
الآخر اللهم اعط ممسكا

عنه يعلم بديه في جميع ذلك وورع يحجزه عن الهوى في ذلك ولا يشتغل بطلب فضل حتى يفرغ من فرض لان الفضل لا يصح الا بعد حوز السلامة كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حصول رأس المال فمن تعذرت عليه السلامة كان من الفضل أبعد والى الافترار اقرب وقد تلتبس الفضائل بالفرائض لدقة معانيها وخفى علومها فيقدم العبد النفل وهو يحسب انه الواجب فمن ذلك ان أبا سعيد رافع بن المعلى كان قائما يصلي فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه فظن ان وقوفه بين يدي الله عز وجل بالغيب أفضل له فلما سلم جاءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تجيبني حين دعوتك فقال كنت أصلي فقال ألم تسمع الله عز وجل يقول استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه وهو في الصلاة ليفيده باطن العلم أو لينظر مبلغ علمه كيف يعمل وكان اجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل له من صلاته لان صلاته نافلة له فهو مطيع لله عز وجل في الغيب باختياره واجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من صلاته لانها فرض عليه فهو مطيع لله تعالى في الشهادة باجابته ففضل استجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاته لنفسه كفضل الفرض على النفل وقد قال سبحانه من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله والله تعالى معه في المكانين معا وهو عند الرسول عليه السلام على يقين فعبادة الله عز وجل ههنا أبلغ في مرضاته وأثوب له في آخرته وفي هذا الحديث دليل ان الخبر اذا ورد في أمر كان على جملة عمومه وكلية ما تعلق به حتى تخص السنة أو الاجماع بعض شأنه ومن ذلك ان قول الله عز وجل استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ان ظاهره مقصور على الاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم بالايمان وبالطاعة في أوامر القرآن لا الاجابة له في التصويت خاصة في الصلاة وهذا هو الذي جهله أبو سعيد بن المعلى عليه تأوله من الآية فاشكل عليه ومثل هذا فعل عمار في التيمم لما نزلت آية الاباحة للتيمم في صلاة الفجر وهم في سفر فقال عز وجل فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ولم يكن يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم في تخصيص بعض اليد شيأ قال فتيممنا الى المناكب واستوعب جملة اليد لعموم الخطاب حتى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأمرهم بالتيمم الى المرفقين وفي خبر الى الزندين باختلاف الروايتين فخص بعض اليد فلذلك اختلف العلماء في تبعيض اليد في المسح وكذلك العمل فيما ورد مجملا ان يستعمل في الجملة حتى تخصه السنة فمن ذلك ما روي بان رجلين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تآخيا في العبادة فاعتزلا الناس فقال أحدهما لصاحبه هلم اليوم فلننفرد عن الناس ونلزم الصمت فلا نتكلم من يكلمنا فانه أبلغ في عبادتنا قال فاعتزلا في خلوة وهما فمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهما فلم يردا عليه السلام قال فسمعناه يقول هلك المتعمقون المتنطعون فاعتذرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابا من ذلك الى الله عز وجل ومثل ذلك ما روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعس ذات ليلة فنظر الى مصباح أبيض في خلل باب فاطلع فاذا قوم على شراب لهم فلم يدر كيف يصنع فدخل المسجد فأخرج عبد الرحمن بن عوف فجاء به الى الباب فنظر وقال له كيف ترى أن نعمل فقال أرى والله أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه لا تجسسنا على عورة فاطلعنا عليها وقد سترها الله دوننا وما كان لنا ان نكشف ستر الله عز وجل فقال ما أراك الا قد صدقت فانصرفنا وفي لفظ آخر انه قال له أرى انا قد عصينا الله ورسوله ونهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التجسس فقال صدقت فأخذ بيده وانصرف وروينا نحو هذا ان عمر رضي الله عنه كان يعس ليلة مع ابن مسعود فاطلع من خلل الباب فاذا شيخ بين يديه زق خمر وقينة تغنيه فتسور عليه وقال ما أقبح بشيخ مثلك ان يكون على مثل هذه الحال فقام اليه الرجل فقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله الا أنصفتني حتى أتكلم فقال له قل فقال ان كنت قد عصيت الله عز وجل في واحدة فقد عصيته أنت في ثلاث قال وما هي قال قد تجسست وقد نهاك الله عز وجل عن ذلك وتسورت وقد قال الله عز وجل وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ودخلت

تلقا نعم قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انفق يا ابن آدم أنفق عليك ت قال صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل ت قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان دت عن أم حميد قالت قلت يا رسول الله ان المسكين ليقف على بابي حتى أستحي فلا أجد في بيتي ما أدفع في يده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفعي في يده ولو ظلفا محرقا م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله ت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم وروى أحمد أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ظل المؤمن يوم القيامة صدقته نحس قال

بغير اذنه وقد قال الله عز وجل لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها فقال عمر صدقت
فهل أنت غافر لي ذلك فقال غفر الله لك فخرج عمر وهو يبكي حتى علا نشيجه وهو يقول ويل لعمر ان لم يغفر
الله له فتجد الرجل كان يتفق بهذا عن والده وبار بهما الآن يقول رأيت أمير المؤمنين ونحو ذلك وجاء في
الخبر اذا دعي أحدكم الى طعام فان كان مفطرا فليصب وان كان صائما فليقل اني صائم فأمره باظهار عمله
وهو يعلم ان الاخفاء أفضل ولكن اظهاره لمن حيث لا يؤثر في قلب أخيه وجدا أفضل من اخفائه لنفسه
مع تأثير ذلك في قلب أخيه لتفضيل المؤمن وحرمته على الاعمال اذ الاعمال موقوفة على العامل وانما يعطى
الثواب على قدر العامل لا على قدر العمل لتضعيف الجزاء لمن يشاء على غيره في العمل الواحد فدل ذلك ان
المؤمن أفضل من العمل فقيل له ارفع التأثير والكراهة عن قلب أخيك باظهار عملك فهو خير لك من اخفاء
العمل مع وجد أخيك عليك لان أخاك اذا دعاك الى طعام صنعه لك فلم تجبه ولم تعتذر اليه عذرا بينا يقبله
منك ويعرفه شق عليه ان كان صادقا في دعائك وبمعنى هذا من خفي الاعمال ما يحكى عن بعض السلف انه
كان يكون في الجماعة فيقرأ في نفسه سرا لئلا يطلع على أعماله أحد فاذا مر بآية فيها سجدة سجد بين الملا
فكنا نعرف بسجوده انه يقرأ فلعل فارغا قليل الفقه يقول ان هذا قد أظهر عمله اذ فعل ما يدل عليه فلو ترك
السجود ليخفي عمله كان أفضل لانه قد أظهر ما أخفاه فهذا يدل على جهله بالمعاملة وقد سمعت بعض العلماء
يطعن على هذا بفعله بمعنى ما ذكرناه من القول وهكذا يكون علم المريدين القصير من العلم وليس الامر
كما قدره هذا المنكر بسجوده بل القائل المنكر لفعله قليل الفقه بدقائق الاخلاص جاهل بطريقة
العاملين من العارفين والعامل الذي نقل عنه هذا الفعل فقيه مخلص وذلك لانه قد حاز الفضلين معا لانه كان
فاضلا فيما أخفى اذا بتدأ عمله بالخفية فلما جاء السجود الذي لا يكون الا ظاهرا لم يصلح أن يترك قربة الى
الله عز وجل من أجل الناس فكان يسجد كما أمر به ويقرأ كما ندب اليه فصار فاضلا في الحال الثاني لانه
أظهر لاجل الله عز وجل كما أخفى لاجله ولانه ترك مراقبة الناس ولم يترك عمله لاجلهم ولو كان الفضل في
ترك السجود لاخفاء العمل كان الافضل لمن دخل عليه في منزله وهو يصلي أن يقعد لاجلهم وقد وردت
السنة في ذلك ان له أجرين أجر السر وأجر العلانية كيف وقد كانوا يعدون ان الرياء ترك العمل لاجل
الناس فأما العمل لاجلهم فشرك وقد قيل لا تعمل للرياء ولا تترك العمل للحياء فالحياء من الخلق شرك كما
ان الحياء من الخالق ايمان وأيضا فانه أطاع العدو في ترك العمل لاجل الناس أطاعه مرة أخرى في
العمل لاجلهم ومثل هذا كمثل من كان يصوم ويصلي يومه أجمع في منزله لا يعلم به مخلوق فلو نوى
الاعتكاف ليضمه الى صومه خرج الى المسجد فكان يصلي مقيما فيه فظهر الناس على عمله فلم يكن ليدع
ما نواه من العكوف في المسجد لاجل نظرهم اليه ولم يضره ظهور عمله لثباته على نيته ولمزيد
الاعتكاف اذا كان عالما متمكنا وأيضا فان الامام المتمكن المقتدى به لا يضره ظهور الناس على أعماله اذا
لم يقصد ذلك ولم يحب مدحهم وربما كان له أجران في ذلك لتنبيه الغافلين عن الذكر وتشويق العاملين
الى البر كيف وعند بعض العلماء ان سجود القرآن فرض وان على من سمع آية سجدة أو تلاها وكان على
غير وضوء أن يسجد لها اذا توضأ ونحو هذه المعاني ما هو حال العبد وأولى به من حال غيره ما رواه أبو نصر
التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحرث وقال قد عزمت على الحج افتأمرني بشيء فقال له بشر كم أعددت
للنفقة فقال ألفي درهم قال فأي شيء تبتغي بحجك نزهة أو اشتياقا الى البيت أو ابتغاء مرضاة الله عز وجل قال
ابتغاء مرضاة الله عز وجل قال فان أصبت رضا الله وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على
يقين من مرضاة الله عز وجل أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة أنفس مدين يقضي بها
دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يحيي عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوي قلبك أن تعطيها الواحد فافعل فان
ادخالك السرور على قلب امرئ مسلم وتغيث لهفان وتكشف ضر محتاج وتعين رجلا ضعيف اليقين أفضل

رسول الله صلى الله عليه
وسلم الصدقة على المسكين
صدقة وعلى ذي الرحم
ثنتان صدقة وصلة رحم
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر رجل
بغصن شجرة على ظهر
طريق فقال لأنحين هذا
من طريق المسلمين لا يؤذيهم
فادخل الجنة ورد قال
صلى الله عليه وسلم من
أصابته فاقة فأنزلها بالناس
لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله
أوشك الله له بالغنى اما بموت
عاجل أو غنى آجل ب
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الصدقة لتطفئ
غضب الرحمن وتدفع ميتة
السوء وقال سالم بن أبي
الجعد رحمه الله ان الصدقة
لتدفع سبعين بابا من السوء
وفضل سرها على علانيتها
بسبعون ضعفا وفي حياة
الحيوان روى أحمد في
كتاب الزهد عن سالم بن أبي
الجعد قال كان رجل من
قوم صالح عليه السلام قد
آذاهم فقالوا يا نبي الله ادع
الله عليه فقال اذهبوا فقد
كفيتموه قال وكان يخرج
كل يوم يحتطب قال فخرج
يومئذ ومعه رغيفان
فأكل أحدهما وتصدق
بالآخر قال فاحتطب ثم
جاء بحطبه سالما لم يصبه شيء
فجاؤا الى صالح عليه السلام
وقالوا لم يصبه شيء قال فدعاه
صالح وقال أي شيء صنعت

من مائة حجة بعد حجة الاسلام ثم فاخرجها كما أمرناك والافضل لنا ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر وأقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس الى أن تقضي به وطرا تشرع اليه فتظاهرت أعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين وفي نحوه قيل لبشر أيضا ان فلانا الغني كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره انما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه الدنيا ومنعه الفقراء وقد يكون اختفاء الاوجب من الفرائض والتباسه بالفضائل محنة من الله عز وجل لعباده وحكمة له فيهم فيرتكبون التأويل المسعتور يتركون الضيق تلخفاء عليهم لينفذ فيهم العلم ويجري عليهم الحكم ويكون ذلك تأديبا لهم وتعريفا ومزيدا في التسليم وتوفيقا وقد قال الله تعالى فيما عتب على نبيه صلى الله عليه وسلم ووعظه وزجره في قوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يهتم في عمره كغمه حين أنزل عليه سورة عبس لان فيها عتابا شديدا على مثله لانه الحبيب الرشيد ومع ذلك لم يقصده في الخطاب فيكون أيسر العتاب بل كشف ذلك للمؤمنين ونبه على فعله عباده المتقين لان معنى قوله عبس وتولى أي انظروا أيها المؤمنون أو اعجبوا الى الذي عبس وتولى أن جاءه الاعمى ولذلك روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه ان بعض المنافقين يؤم قومه فكان لا يقرأ بهم الا بسورة عبس فارسل فضرب عنقه يستدل بذلك على كفره ليضع من الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك عنده وعند قومه ومثله قوله عز وجل عاتبا على رسوله صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم أذنت لهم ونحوه لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك وبمعناه قوله عز وجل وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ من القرآن كتم هذه الآية ومن أعجب ما سمعت في هذا المعنى ما حدثونا في الاسرائيليات عن وهب بن منبه اليماني ان سليمان بن داود عليهما السلام لما قبضه الله عز وجل خلف رجالا من ولده يعمرون بيت المقدس ويعظمونه ويحسنون الهجر حتى خلف بعدهم رجل من ولد سليمان نخالف طريقة آبائه وترك شريعتهم وتكبر في الارض وطغى وقال بنى جدي داود وأبي سليمان مسجدا فمالي لا أبني مسجدا مثل ما بنوا وأدعو الناس الى شريعتي كما دعوا فبنى مسجدا يضاهي به بيت المقدس وادعى على الله عز وجل انه أمره بذلك وصرف الناس اليه وبذل لهم الاموال وأخرب مسجد بيت المقدس وهجره فدخل الناس في دينه رغبة ورهبة قال فابتعث الله اليه نبيا من بعض أهل القرى فقال اركب أتانك حتى تأتي هؤلاء القوم أحفل ما يكونون فنادى مسجدهم وجمعهم بأعلى صوتك يا مسجد الضرار ان الله عز وجل حلف باسمه ليوحشنك من عمارك وليقتلن أهلك فيك وليشدخنهم بخشبك وجندلك ولتلغن الكلاب بدماءهم ولتأكل لحومهم فيك وناد في المدينة بأعلى صوتك بمثل ذلك ولا تأكل ولا تشرب ولا تستظل ولا تنزل عن أتانك هذه حتى ترجع الى قريتك التي خرجت منها قال ففعل ذلك فثار الناس اليه يضربونه بالخشب ويشجونه بالحجارة وهو على أتانه لا ينزل عنها فناله على ذلك أذى كثير وضرب عظيم ثم كر راجعا في آخر النهار يؤم قريته التي خرج منها وقد أدى الرسالة وصبر على الضرب والبلاء لله عز وجل فلما كان ببعض الطريق سمع به نبي آخر كان في بعض القرى استقبله وسلم عليه فقال انك قد أديت رسالة ربك وانك أمضيت أمره وانك قد نصبت ولقيت عناء من هؤلاء القوم وأنت جائع عطشان تسيل دماؤك على جسدك وثيابك فاغد الى منزلي فكل واشرب واسترح واغسل جسدك وثيابك فقال ان الله عز وجل لما أرسلني قد كان عهد الي أن لا آكل ولا أشرب ولا أستظل حتى أرجع الى أهلي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فاني من أهلك لاني نبي مثلك وأخوك في الدين فلا أرى الله عز وجل عنى بذلك الا القوم الذين بعثك اليهم لانهم أعداؤه فنهاك أن تأكل من طعامهم وتستظل عندهم ولا أحسب حرم عليك دخول منزلي ولا الاكل من طعامي لاني شريكك

اليوم قال خرجت ومعي قرصان فتصدقت باحدهما وأكلت الآخر فقال صاحب حل حطبك فحل حطبه فاذا فيه أسود مثل الجذع عاض على جسد لمن الحطب فقال بها دفع عنك يعني بالصدقة يا راقدا في نوم الغفلة مشغولا باحلام الامل أنت تعود لعمر جود حاتم وتبخل بالصدقة بخل الحباحب وتعد بالتوبة وعد عرقوب والزمان يأكل عمرك أكل السوس وكانك بالموت أسرع من طرف يحملك الى قبر أوحش من بومة فتندم على التفريط ندامة الكسعي وتقوم يوم حشرك بخفي حنين (شعر)

كم رأينا من أناس هلكوا
فبكى أحبابهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم
ليتهم لو قدموا ما تركوا
كم رأينا من ملوك سوقة
ورأينا سوقة قد ملكوا
قلب الدهر عليهم فلكا
فاستداروا حيث دار الفلك

اللهم انصرنا ولا تخذلنا وعافنا ولا تمرضنا واكرمنا ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا انك على كل شئ قدير

*(فصل في الصوم)* قال الله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه

في الاخوة والنبوة قال فحسده قومه فانصرف معه الى منزله فلما وضع الطعام بين يديه وأهوى ليأكل عن جوع شديد فقد أضرّ به أوحى الله عز وجل الى ذلك النبي الذي دعاه الى منزله قل له آثرت شهوتك وبطنك على أمري ألم أعهد اليك أن لا تنزل ولا تستظل ولا تأكل حتى ترجع الى قريتك التي خرجت منها ولولا انك اجتهدت برأيك وقلت يبلغ عملك لعمك لعاقبتك العقاب وهو أقل عندي عذرا منك لاني عهدت اليه فآثر هواه وشهوته وترك عهدي فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما أمر فوثب مذعورا يجر ازاره وجعل يرحل أتانه ويبدل ولا يعقل ماهو فيه فركبها طاردا الهاعلى وجهه لجوعه وعطشه ودماؤه على ثيابه وجسده لا يثني فلما هبط من عقبة تحتها غيضة عارضه سبع فافترسه وانتصب السبع مقعيا على قارعة الطريق يزأر يحرس أتانه ورحله كلما أقبل انسان زأر عليه الاسد حتى يطارده فسمع بخبره ذلك النبي فأقبل نحوه فلما نظر اليه الاسد انصرف عنه وخلى بينه وبينه قال فكفنه وواراه وانصرف برحله وأتانه الى أهله فقال يارب عبدك هذا الذي بلغ رسالتك وأمضى أمرك وقد كان أجهده البلاء فخالف ما أردت فلم يعلم فعاقبته بهذه العقوبة فأوحى الله عز وجل اليه ليست هذه عقوبة ولم أفعل ذلك لهوانه علي ولكن هذه مغفرة ورحمة انه خالف أمري وكان قد اقترب أجله فكرهت له أن يلقاني على الخلاف فتوفيته بما يكره فقبضته كما من كلاب فطهره القاني فكان ذلك له عندي شهادة ودرجة فوق نبوته فقال سبحانك وبحمدك أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين فالعالم عند العلماء من علم خير الخيرين فسبق اليه فقبل قوته وعلم شر الخيرين فأعرض عنه لئلا يشغله عن الاخير منهما وعلم أيضا خير الشرين ففعله اذا اضطر اليه وابتلى به وعلم شر الشرين فأمعن في الهرب منه واحتجب بحجابين عنه وفي هذه المعاني دقائق العلوم وغرائب الفهوم وأدلة السائلين وعبرة وآيات للعالمين فأما شر الشرين ومعرفة الخير من الشر فهو معروف بأدلة العقول وظاهر العلوم

*(الفصل السابع والعشرون)* كتاب أساس المريدين قال بعض العلماء الخلق محجوبون بثلاث حب الدرهم وطلب الرياسة وطاعة النساء وقال بعض العارفين الذي قطع العباد عن الله عز وجل ثلاثة أشياء قلة الصدق في الارادة والجهل بالطريق ونطق علماء السوء بالهوى وقال بعض علمائنا اذا كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والاختلاف موجودا لم ينكشف الحق واذا لم ينكشف الحق تحير المريد واعلم أن المريد لابد له من خصال سبع الصدق في الارادة وعلامته اعداد العدة ولابد له من التسبب الى الطاعة وعلامة ذلك هجر قرناء السوء ولابد له من المعرفة بحال نفسه وعلامة ذلك استكشاف آفات النفس ولابد له من صحبة عالم بالله وعلامة ذلك ايثاره على ما سواه ولابد له من توبة نصوح فبذلك يجد حلاوة الطاعة ويثبت على المداومة وعلامة التوبة قطع أسباب الهوى والزهد فيما كانت النفس راغبة فيه ولابد له من طعمة حلال لا يتهمها العلم وعلامة ذلك الحلال المطالبة عنه وحلول العلم فيه يكون بسبب مباح وافق فيه حكم الشرع ولابد له من قرين صالح يوازره على ذلك وعلامة القرين الصالح معاونته على البر والتقوى ونهيه اياه عن الاثم والعدوان فهذه الخصال السبع قوت الارادة لا قوام لها الا بها ويستعين على هذه السبع بأربع هن أساس بنيانه وبها قوة أركانه أولها الجوع ثم السهر ثم الصمت ثم الخلوة فهذه الاربع سجن النفس وضيقها وضرب النفس وتقييدها بهن يضعف صفاتها وعليهن تحسن معاملاتها ولكل واحد من الاربع صنعة حسنة في القلب فأما الجوع فانه ينقص من دم القلب فيبيض وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبه رقته ورقته مفتاح كل خير لان في القسوة مفتاح كل شر واذا نقص دم القلب ضاق مسالك العدو منه لان دم القلب مكانه فاذا رق القلب ضعف سلطان العدو منه لان في غلظ القلب سلطانه والفلاسفة يقولون ان النفس كلية الدم وحجتهم في ذلك ان الانسان اذا مات لم يفقد من جسمه الا دمه مع روحه والعلماء منهم قالوا الدم هو مكان النفس وهذا هو الصحيح لانه مواطن لما في التوراة سمعت ان في التوراة مكتوبا ياموسى لا تأكل العروق فانها مأوى كل نفس وهذا مصداق الحديث الذي روى ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه خ م قال النبي صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك والصيام جنة واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل اني امرؤ صائم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تزخرف لرمضان من رأس الحول الى حول قابل فاذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح تحت العرش من ورق الجنة على الحور العين فيقلن يارب اجعل لنا من عبادك أزواجا تقر بهم أعيننا وتقر أعينهم بنا س قال صلى الله عليه وسلم أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين لله فيه ليلة خير

يجار به بالجوع والعطش وقد عبر علماء الكوفة عن الهم بالنفس فقالوا اذا ماتت في المأمن الهوام ما ليس له
نفس سائلة لم ينجس يعنون الخنافس والصراصر والعنا كب ففي الجوع نقصان الهم ونقصانه ضيق مسالك
العدو وضعف مسكن النفس لسقوط مكانها وفي خبر عن عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا
بطونكم وعطشوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل يعني بحقيقة الزهد وصفاء القلب
فالجوع مفتاح الزهد وباب الآخرة وفيه ذل النفس واستكانتها وضعفها وانكسارها وفي ذلك حياة القلب
وصلاحه وأقل ما في الجوع ايثار الصمت وفي الصمت السلامة وهي غاية العقلاء وقال سهل رحمه الله اجتمع
الخير كله في هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت والسهر والاعتزال عن
الناس وقال من لم يصبر على الجوع والضر لم يتحقق بهذا الامر وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله ما تحول
الصديقون صديقين الا بالجوع والسهر فانه ينير القلب ويجلوه وفي استنارته معاينة الغيب وفي جلائه صفاء
اليقين فتدخل الاستنارة والجلاء على البياض والرقة فيصير القلب كأنه كوكب دري في مرآة مجلوة ويشهد
الغيب بالغيب فيزهد في الفاني لما عاين من الباقي وتقل رغبته في عاجل حظوظ هواه لما أبصر من وبال العقاب
ويرغب في الطاعات لمشاهدة الآخرة ورفيع الدرجات فيصير الآجل عاجلا ويكون العاجل غائبا ويصير
الغائب حاضرا والحاضر آفلا فلا يطلبه ولا يرغب فيه فلا يحب الآفل ولا يبتغيه ويطلب الآجل ويرغب فيه
وينكشف له عوار الدار ويظهر له بواطن الاسرار ويزول عنه كل من الاغترار فهنالك صار العبد مؤمنا حقا
بوصف حارثة الانصاري اذ يقول عزفت نفسي عن الدنيا وكأني أنظر الى عرش ربي تعالى بارزا وكأني أنظر
الى أهل الجنة يتزاورون والى أهل النار يتعادون وكذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن
في قوله القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وانجراد القلب بالزهد في الدنيا وتجرده
من الهوى وسراجه الذي يزهر فيه هو نور اليقين به يبصر الغيب وقال بعض علمائنا من سهر أربعين
ليلة خالصا كوشف بملكوت السماء وكان يقول اجتمع الخير كله في أربع ذكر منها سهر الليل واعلم
أن نوم العلماء عن غلبة المنام بعد طول السهر بالقيام مكاشفة لهم وشهود وتقريب لهم منه وورود
ومن صفة الابدال أن يكون أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة ومن سهر بالليل لاجل
الحبيب لم يخالفه بالنهار فانه أسهره بالليل في خدمته ودخل الحسن ذات يوم الى السوق فسمع
لغطهم وكثرة كلامهم فقال أظن ليل هؤلاء ليل سوء فما يقيلون وفي الخبر قيلوا فان الشياطين
لا تقيل واستعينوا على قيام الليل بقائلة النهار وقد قيل في قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة
قيل بالصوم على قيام الليل وقيل استعينوا بالجوع وصلاة الليل على مجاهدة النفس وقيل
استعينوا بالصبر والصلاة على اجتناب النهي وأما الصمت فانه يلقح العقل ويعلم الورع ويجلب التقوى
ويجعل الله عز وجل به للعبد بالتأويل الصحيح والعلم الرجيح مخرجا ويوفقه بايثار الصمت للقول
السديد والعمل الرشيد وقد قال بعض السلف تعلمت الصمت بحصاة جعلتها في في ثلاثين سنة كنت
اذا هممت بالكلمة تلجلج بها لساني فيسكت وقال بعضهم جعلت على نفسي بكل كلمة أتكلم بها فيما
لا يعنيني صلاة ركعتين فسهل ذلك علي فجعلت على نفسي بكل كلمة صوم يوم فسهل علي فلم أنته حتى
جعلت على نفسي بكل كلمة أن أتصدق بدرهم فصعب ذلك فانتهيت وقال عقبة بن عامر يا رسول الله
فيم النجاة قال أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم في الخبر
الجامع المختصر من سره أن يسلم فليلزم الصمت وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا بالصلاة والصيام
وغير ذلك ثم قال في آخر وصيته ألا أدلك على ما هو أملك لك من ذلك كله هذا وأومأ بيده الى لسانه فقلت
يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ألسنتنا فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم
في جهنم الا حصائد ألسنتهم انك ما سكت فانك سالم فاذا تكلمت فانما هو لك أو عليك وقال عبد الله بن

من ألف شهر من حرم
خيرها فقد حرم خ قال
صلى الله عليه وسلم من لم
يدع قول الزور والعمل به
فليس لله حاجة في ان يدع
طعامه وشرابه اتحدف
قال صلى الله عليه وسلم من
أفطر يوما من رمضان من
غير رخصة ولا مرض لم يقض
عنه صوم الدهر وان صامه
وروى الدارى قال صلى الله
عليه وسلم كم من صائم ليس
له من صيامه الا الظمأ وكم
من قائم ليس له من قيامه
الا السهر . قال صلى
الله عليه وسلم من أفطر
صائما أو جهز غازيا فله
مثل أجره خم قال صلى
الله عليه وسلم تسحروا فان
في السحور بركة خم
قال صلى الله عليه وسلم
لا يزال الناس بخير ما عجلوا
الفطر ت قال صلى الله
عليه وسلم اذا أفطر أحدكم
فليفطر على تمر فانه بركة
فان لم يجد فليفطر على ماء
فانه طهور أيها الناس
اقتحموا حلبة السباق الى
الفوز الاكبر واغتنموا
صحبة الرفاق في الشهر
الازهر وتسببوا الادخار
الزاد في العمر الاقصر
وتأهبوا للمعاد الى يوم
الحشر فقد عمكم رحمكم الله
من شهر رمضان النعمة
السابغة ولزمكم من الله
الحجة البالغة الا وانه شهر
جعله الله مصباح العام

سفيان عن أبيه قال قلت يا رسول الله أوصنى بشئ فى الاسلام لا أسأل عنه أحدا بعدك فقال قل ربى الله ثم استقم قال قلت فما أتقى بعد ذلك وفى لفظ آخر فأخبرنى بأضر شئ على فقال هذا وأومأ الى لسانه وفى الخبر لا يتقى العبد ربه تعالى حق تقاته حتى يخزن من لسانه وفى الحديث لا يصلح العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال ابن مسعود ليس شئ أحق بطول سجن من لسان وقال بعض السلف فتشت الورع فما وجدت فى شئ أقل منه فى اللسان وقال بعض العلماء ما استقام لسان عبد الا عرفت الصلاح فى سائر عمله وما اختلف لسانه الا عرفت الفساد فى سائر عمله وقال بعض الحكماء اذا كثر العقل قل الكلام واذا قل العقل كثر الكلام وقال أحمد بن حنبل علماء أهل الكلام زنادقة وقال بعض هذه الطائفة من تكلم فأحسن كثير ولكن الشأن فيمن يحسن ان يسكت وقال ذو النون المصرى الخوف يقلق والحياء يسكت وقال بعض العارفين قد جزئ هذا العلم على قسمين نصفه سكوت ونصفه أن تدرى أين تضعه وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلمون الا الصمت والورع وهم اليوم يتعلمون الكلام وقال الحسن عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع لا يصبن الا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله عز وجل وقلة الشئ وقال حماد بن زيد قلت لأيوب العلم اليوم أكثر أو فيما مضى فقال يا بنى الكلام اليوم أكثر والعلم فيما مضى كان أكثر وقيل كانوا ينتفعون بصمت العالم مثل ما ينتفعون بكلامه وقد قيل من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه وقيل لبعض العلماء فلان أعلم أم فلان فقال فلان اعلم وفلان أكثر كلاما ففرق بين العلم والكلام وقيل لبعض علماء خراسان عند وفاته دلنا على رجل نجلس اليه بعدك فقال لهم فلان فذكر لهم رجلا صموتا متعبدا لا يعرف بكثير علم فقيل له ان فلانا ليس عنده من العلم ما يجيب عن كل ما نسأله عنه من العلم فقال قد علمت ولكن عنده من الورع ما لا يتكلم بما لا يعلم وكان الاعمش يقول من الكلام كلام جوابه السكوت وقال بعض السلف الصمت زين العالم وستر الجاهل وقال غيره الصمت جوابه وفى الخبر الصمت زين العالم وشين الجاهل وقال بعضهم ليس شئ أشد على الشيطان من عالم حليم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان انظروا اليه سكوته أشد على من كلامه وقال بعض السلف تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فان يكن الكلام يهديك فان الصمت يقيك ولك فى الصمت خصلتان تدفع به جهل من هو أجهل منك وتعلم به علم من هو أعلم منك وقال بعض العلماء تعلم لا أدرى ولا تتعلم أدرى فان قلت لا أدرى علموك حتى تدرى وان قلت أدرى سألوك حتى لا تدرى وقد قال العلماء اذا أخطأ العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله وقال عيسى عليه السلام الخير كله فى ثلاثة فى الصمت والكلام والنظر فمن لم يكن صمته تفكرا فهو فى سهو ومن لم يكن كلامه ذكرا فهو لغو ومن لم يكن نظره عبرا فهو لهو وقال بعضهم يأتى على الناس زمان يكون أفضل أعمالهم النوم وأفضل علومهم الصمت يعنى لفساد الاعمال ولاشتباه العلم ويقول أيضا مع ذلك وأفضل أحوالهم الجوع لانتشار الحرام وغموض الحلال وقال بعض العلماء الصمت نوم العقل والنطق يقظته وكل يقظة تحتاج الى نوم وما صمت عاقل قط الا اجتمع عقله وحضر لبه وفى وصية ابن عباس لمجاهد لا تتكلمن فيما لا يعنيك فانه أسلم ولا آمن عليك الخطأ ولا تتكلم فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعنت وقال بعض العلماء يستبين ورع الرجل فى منطقه وفى الخبر من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه مات قلبه ويقال اذا قل الكلام كثر الصواب وعن جماعة من السلف ان تسعة أعشار السلامة فى الصمت ويقال كل كلمة من هزل أو مزح أو لغو يوقف العبد عليها خمس مواقف بتوبيخ وتقرير أولها ان يقال له لم قلت كلمة كذا أكانت فيما يعنيك والثانية هل نفعتك اذ قلتها والثالثة هل ضرتك لو لم تقلها والرابع ألا سكت فربحت السلامة من عاقبتها والخامسة هلا جعلت مكانها قول سبحان الله والحمد لله فغنمت ثوابها ويقال ما من كلمة الا وينشر لها ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثانى كيف والثالث لمن

ووساطة النظام وأشرف قواعد الاسلام المشرقة بنور الصيام والقيام أنزل الله فيه كتابه وفتح فيه للتائبين أبوابه وأوجب فيه للعاملين ثوابه فلا دعاء فيه الا مسموع ولا عمل فيه الا مرفوع ولا خير فيه الا مجموع ولا ضير فيه الا مدفوع فالظافر الميمون من اغتنم أوقاته والخاسر المغبون من أهمله ففاته فيا أيها العامل هذا أوان ازديادك واستمتاعك ويا أيها الغافل هذا شهر تيقظك واقلاعك شهر فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ما سأل الله فيها سائل الا أعطاه ولا استجاره مستجير الا أجاره وكفاه ولا أناب اليه منيب الا قبله واجتباه ولا تعرض لمعروفه طالب الا جاد عليه وحباه ولا استقاله مستقيل الا أقاله ولا لجأ اليه لاجئ الا أجاره وأصلح باله فالغنيمة الغنيمة أيها المشمرون والعزيمة العزيمة أيها المقصرون فى شهر لياليه أنور من الايام وأيامه مطهرة من دنس الآثام ومرد جنه مغلولة والرحمة فيه من الله تعالى لملتمسها مبذولة قبل ان تستوعبوا أوقات شهركم فتتفقدوه وتطالبوه فلا تلحقوه فلو عاينتم سرعة مرور آجالكم لباينتم خدعة غرور

فان فيها من الثلاث والاطالة والوقوف للحساب وقال الحسن لسان المؤمن وراء قلبه اذا أراد ان يتكلم تفكر فان كان له تكلم وان كان عليه أمسك وقلب المنافق على طرف لسانه أى كل شئ يخطر بقلبه تكلم به ولا يتوقف ولا يتثنى وفى الخبر من آفة العالم ان يكون الكلام أحب اليه من الصمت وفى الكلام تنميق وزيادة وفى الصمت سلامة وغنم وفى موعظة النبى صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله والاخبار فى الصمت وفى جميع ما ذكرنا من المعانى تكثر ولم نقصد جمعها وأما الخلوة فانها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم بأمر الخالق وتقوى العزم على الثبات اذ فى مخالطة الناس وهن العزم وشتات الهم وضعف النية والخلوة تقل الافكار فى عاجل حظوظ النفس لفقد مشاهدتها بالابصار لان العين باب القلب ومنها يدخل آفاته وعندها توجد شهواته ولذاته وقد قال بعض العلماء من كثرت لحظاته دامت حسراته والخلوة تجلب أفكار الآخرة وتجدد الاهتمام بها لما شهد به الايقان وتنسى اذكار العباد وتواصل ذكر المعبود والخلوة من أكبر العوافى وذلك انه قد جاء فى الحديث سلوا الله العافية فما أعطى عبد بعد اليقين أفضل من العافية ثم قد روى فى الخبر العزلة عن الناس عافية فدخل ذلك فى معنى ما ندب اليه من السؤال وفيما فضل بعد اليقين على جميع الاحوال ولا يكون المريد صادقا حتى يجد فى الخلوة من اللذة والحلاوة والمزيد ما لا يجده فى الجماعة ويجد فى السر من النشاط والقوة ما لا يجده فى العلانية ويكون انسه فى الوحدة وروحه فى الخلوة وأحسن أعماله فى السر ومثل الخلوة فى الاحوال مع المخالطة للناس مثل الخوف فى المقامات من المحبة الخوف يصلح لجميع العابدين والمحبة مزيد لاهلها المخصوصين كذلك الخلوة والانفراد يصلح لجميع المريدين والانس بالناس مزيد لاهله خاصة من الائمة العالمين الا ان الخلوة تحتاج الى عقل آخر والوحدة والانفراد تحتاج الى ايمان تام وقد روينا عن سفيان الثورى وعن بشر بن الحرث اذا استوحشت من الوحدة واستأنست بالخلق لم آمن عليك الرياء وكان أبو محمد يقول اجتمع الخير كله فى هذه الخصال الاربع وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت واعتزال الخلق وسهر الليل وحدثت عن عبد العزيز بن سهل رحمه الله قال مخالطة الولى للناس ذل وتفرده عز وقل ما رأيت وليا لله عز وجل الا منفردا وقال بعض العارفين الانس بالوحدة علامة وجود الطريق فمن علامة صدق الارادة بعد صحة التوبة وقوة العزم على الاستقامة ايثار هذه الاربع التى ذكرناها على اضدادها ووجود القلب عندها وانشراح الصدر بها وحسن الخلق معها لان ضدها هو أبواب الدنيا ومطايح الغفلة وطرقات الهوى من ذلك فان فى الشبع قسوة القلب وظلمته وفى ذلك قوة صفات النفس وانتشار حظوظها وفى قوتها وبسطها ضعف الايمان وخمود أنواره وفى ضعف النفس وخمود طبعها قوة الايمان واتساع شعاع أنوار اليقين وفى ذلك قرب العبد من القريب ومجالسته الحبيب والشبع مفتاح الرغبة فى الدنيا وقال بعض الصحابة أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع اذ القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم شهواتهم وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجوعون من غير اعواز أى مختارين لذلك وقال ابن عمر ما شبعت منذ قتل عثمان رضى الله عنه وقال هذا فى زمن الحجاج وفى حديث أبى جحيفة لما تجشأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أكفف عنا جشاءك فان أطولكم شبعا فى الدنيا أكثركم جوعا فى الآخرة فقال والله ما ملأت بطنى طعاما من يومئذ الى يومى هذا وارجو ان يعصمنى الله عز وجل فيما بقى ويستحب على هذا ان يكون جوع العبد فى الدنيا أكثر من شبعه وهى علامة الاولياء فمن كانت له أكلة بين جوعتين الى منتهاهما فجوعه حينئذ أكثر من شبعه ومن كان له بعد جوعة بالغة شبعة متوسطة فقد اعتدل شبعه أكله وجوعه ومن أكل فى يوم مرتين أو أكل من غير جوع ثم شبع فشبعه أكثر من جوعه وهذا مكره ومن أكل بعد الجوع ورفع يده قبل الشبع فجوعه أكثر من شبعه وهذا أوسط الاحوال وقال هشام عن الحسن

آمالكم ولو كشفت لكم حقيقتها لكم لكان بالاستعداد له جل اشغالكم فالله الله عباد الله ان تمحقوا اوقات شهركم بالتسويف أو تركنوا من أعمالكم الى البخس والتطفيف فتردوا المعاد بغير زاد وتندموا على قلة الزرع عند معاينة الحصاد وتؤلوا الى شر مآل من الاعتذار يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار أنهضنا الله واياكم لاداء النوافل والفرائض وسلم قلوبنا وقلوبكم من الشك المعارض ووفقنا واياكم للعمل بما يرضاه وخار لنا واياكم فيما قدره وقضاه

* (فصل) * فى صوم التطوع قال النبى صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر كله م قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كل شهر ورمضان الى رمضان صيام الدهر كله صيام يوم عرفة أحتسب على الله ان يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله ان يكفر السنة التى قبله خ قال صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب الى الله من هذه الايام العشر قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى

والله لقد أدركت أقواما كانوا لا يشبعون يأكل أحدهم حتى اذا وجد نفسه أمسك ذا تبا لاحلامقبلا على نية يعيش عمره كله ما طوى له ثوب قط ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيأ قط وقال جعفر بن حيان عن الحسن المؤمن لا يأكل في كل بطنه ولا تزال وصيته تحت جنبه وروينا عن الثورى خصلتان تقسيان القلب طول الشبع وكثرة الكلام وروينا عن مكحول خصال ثلاث يحبها الله عز وجل وثلاث يبغضها الله عز وجل فاما اللاتي يحبها فقلة الاكل وقلة النوم وقلة الكلام وأما اللاتي يبغض فكثرة الاكل وكثرة الكلام وكثرة النوم فاما النوم فان في مداومته طول الغفلة وقلة العقل ونقصان الفطنة وسهو القلب وفي هذه الاشياء الموت وفي الفوت الحسرة بعد الموت وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قالت أم سليمان بن داود لابنها يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم تترك العبد فقيرا يوم القيامة وقيل كان شبان يتعبدون في بني اسرائيل فكانوا اذا حضر عشاؤهم قام فيهم عالمهم فقال يا معشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وكان بعض السلف يقول أدنى أحوال المؤمن الاكل والنوم وأفضل أحوال المنافق الاكل والنوم وقال بعض الناس لفيلسوف من الحكماء صف لي شيأ استعمله حتى أكون أنام النهار فقال يا هذا ما أضعف عقلك ان نصف عمرك نوم والنوم من الموت تريد أن تجعل ثلاثة أرباعه نوما وربعه حياة قال وكيف قال أنت اذا عشت اربعين سنة فانما هي عشرون سنة اتريد أن تجعلها عشر سنين واما كثرة الكلام فان فيه قلة الورع وعدم التقوى وطول الحساب وكثرة المطالبين وتعلق المظلومين وكثرة الاشهاد من الاملاك المكاتبين ودوام الاعراض من الملك الكريم لان الكلام مفتاح كبائر اللسان فيه الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وفيه شهادة الزور وفيه قذف المحصن والافتراء على الله تعالى والايمان وفيه القول فيما لا يعني والخوض فيما لا ينفع وقد جاء في الخبر أكثر خطايا ابن آدم في لسانه وأكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم خوضا فيما لا يعنيه وفي اللسان التزين والتصنع للخلق والتقعر يعني الاحالة عن معاني الصدق وفيه المداهنة والمواراة والتملق لاهل الاهواء وفي اجتماع هذا على العبد شتات قلبه وفي شتاته تفريق همه وفي تفريق همه سقوطه من مقام المقربين وفي وصية ابن عباس لمجاهد لا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقلاك وان السفيه يؤذيك وفي الخبر ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها أبعد ما بين السماء والارض وفي لفظ آخر ليتكلم بها فيهوي في جهنم سبعين خريفا وقال لقمان لابنه لان تعيش اخرس يسيل لعابك على صدرك خير لك من ان تنطق في نادي القوم بما لا يعنيك وفي خبر من افتتح بكلمة سوء ثم خاض الناس في مثلها كان عليه مثل أوزارهم وفي الخبر لا يأتي بخبر السوء الا رجل السوء وحدثونا عن ابراهيم بن ادهم انه كان اذا صحبه رجل فجاءه بخبر سوء فارقه وروينا الحديث من حدث بما سمعت أذناه ورأت عيناه كتبه الله تعالى من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وروينا عن علي رضي الله عنه مذيع الفاحشة في الناس كفاعلها وفي الخبر ان بعض فقراء أهل الصفة استشهد في سبيل الله عز وجل فقالت أمه هنيأ لك في الجنة جاهدت في سبيل الله وهاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت شهيدا طوبى لك الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه في الجنة فلعله كان يتكلم فيما لا ينفعه أو يبخل بما لا يضره وفي لفظ آخر لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وفي الخبر ان بعض الصحابة قال لرجل انه لنؤم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم سلوه ان يستغفر لكم وفي خبر آخر انهم قالوا ما أعجز فلانا فقال أكلتموه وفي حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت لامرأة ما أطول ذيلها وفي لفظ آخر قالت انها القصيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وفي خبر آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لقد تكلمت بكلمة لو مزج بها ماء البحر لامتزج فهذا من وصف المبالغة في الشدة وفي الخبر الجامع لهذه المعاني في وصف الغيبة ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في أخيه ما فيه فقد اغتابه وفي حديث ابان عن أنس

سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ وروى احمد وابن ماجه عن زيد بن أرقم قال قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما هذه الاضاحي قال سنة أبيكم ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه قالوا فما لنا فيها يا رسول الله قال بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف يا رسول الله قال بكل شعرة من الصوف حسنة وروى أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوم الاثنين والخميس فقال ان يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم الا مهاجرين يقول دعهما حتى يصطلحا وروى أحمد والبيهقي انه قال صلى الله عليه وسلم من صام يوما ابتغاء وجه الله تعالى بعده الله من جهنم كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرما وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ زكاة وزكاة الجسد الصوم وفي الروض الفائق قيل مكث بشر الحافي رحمه الله يتشهى الهريسة خمسين سنة ففتح عليه في بعض الايام بدرهم فمضى به الى السوق ليشتريها فسمع الهراس ينادي ماذا أحسن الصوام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من ذلك انه قال الغيبة ان قلت في أخيك ما تركه به فهو انتهاية القول من الشدة وغاية التشديد في الغيبة والغيبة اسم لغوي معناه شرعي مشتق من غيب الانسان وفسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ان يقول العبد في أخيه ما فيه وعظمها بقوله هي أشد من الزنا فتى قال العبد لاخيه في غيبته ما يعلمه يقينا فيه مما لا يقوله بحضره أو مما ينقصه به أولا يزكيه فقد اغتابه فلو لم يكن في الصمت الا السلامة من الغيبة لكان ذلك غنيمة وفورة كيف وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثة أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله عز وجل وأما مخالطة الناس فانها تضعف العزم الذي كان قويا في أعمال البر وتحل العقد المبرم الذي استوطنه العبد في الخلوة لقلة المتعاونين على البر والتقوى وكثرة المتعاونين على الاثم والعدوان وفي مخالطة الناس تقوية الطلب والحرص على عاجل الدنيا المابعات من اقبال أهلها عليه وفيه الفتور عن الخدمة بالنظر الى أهل الغفلة والملل الطاعة بمجالسة أهل البطالة ونقصان حلاوة المعاملة وذهاب نور العلم وسرعة خروج الوجد بالفهم لاستماع كلام أهل الجهالة والنظر الى الموتى من أبناء الدنيا كما روى عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وقد كان الحسن يقول في قوله عز وجل وما يستوى الاحياء ولا الاموات قال الفقراء والاغنياء كأن الفقراء احيوا بذكر الله عز وجل والاغنياء ماتوا على الدنيا وأعظم ما في مخالطة الناس ومجالسة أهل البطالة وذوى غفلتهم ضعف اليقين برؤيتهم وأضر ما ابتلى به العبد وأعمله في هلاكه وأشده تخبيرا بعاده ضعف يقينه بما وعده بالغيب وتوعد عليه في الشهادة وهذا أخوف ما خافه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته فيما روينا عنه انه قال اخوف ما أخاف على أمتي ضعف اليقين وذلك ان ضعف اليقين هو أصل الرغبة في الدنيا والحرص على التكاثر منها والتضرع الى أبنائها والطمع فيهم كما قال ابن مسعود ان الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه فيرجع الى بيته وما معه من دينه شيء يلقى هذا فيقول انك لذيت وذيت ويلقى هذا فيقول أنت كيت وكيت ولعله لا يحلى منهم بشيء ويرجع الى بيته وقد أسخط الله عز وجل وقد قال بعض التابعين ان العبد ليقعد في الخلوة على خصال من الخير فيخرج الى الناس فيحلون ما عقد عقدة عقدة حتى يرجع وقد انحلت العقد كلها وقوة اليقين أصل كل عمل صالح لان في قوة يقينه سرعة منقلبه وطول مثواه في دار اقامته ايثار التنقل من الفاني وتقديم الباقي وضعف حرصه وقلة طلبه وفقد طمعه وفراغه من الاشتغال بعاجله واقباله وشغله بما بين اليمين مستقره وفي جميع ذلك اخلاصه في أعماله وحقيقة زهده في تصرف أحواله وفي قصر أمله وتحسين عمله ألم تسمع الى وصف من أخبر الله عز وجل عنه بالتكاثر الذي ألهاه حتى زار برزخه ومثواه كيف تهدده حتى يعلم يقينا وتوعده اذا رأى آخرته عيانا فقال سبحانه الهاكم التكاثر أي شغلكم الجمع والمكاثرة حتى زرتم القبور ثم قال كلا لو تعلمون علم اليقين أي لشغلكم العمل الصالح للآخرة عن اللعب واللهو الذي هو مقتضى الشك اذ هو ضد اليقين فاشتغلتم بالآخرة عن التكاثر من الدنيا كما شغلكم التكاثر باللهو واللعب لعدم علم اليقين كما قال أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون بعد ان قال بل هم في شك يلعبون ثم توعدهم على ذلك مرتين وتهددهم بالسؤال عن النعيم الذي شغلهم وهو التكاثر في فضول العاجل وقيل هو الجمع والمنع فاعلم ان الذي قطع العباد عن التوبة وعرج بالتائبين عن الاستقامة ثلاثة أشياء الكسب والانفاق والجمع وهذه الاسباب متعلقة بالخلق وموجودة بوجودهم ومفقودة بالانفراد عنهم فمن زهد في هذه الثلاثة فقد زهد في الخلق ومن رغب في الخلق فقد رغب في هذه الثلاث وقال الثوري من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا وقد قال بعض هذه الطائفة من الصالحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقال مرة قلت له دلني على عمل أجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت مع الدوام فقال لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك

فرجع باكيا ولم يشتر شيا فبقي مدة تطالبه نفسه بها فخرج الى السوق ثانيا ليشتريها واذا بالهراس ينادي بقي القليل فبكى ورجع وعاهد الله ان لا يذوقها يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة ياعبدي تأهب القائي فعن قريب ألقاك واقبل على خدمتي فاني أنا مولاك باي عين تراني من بارزني وعصاني وباي وجه يلقاني من نسي عظمة شاني اقد خاب من عبيده عني اذا قربت الصادقين شقي من طردته عن جنابي اذا كشفت حجابي وتجليت للمتقين عبدي قف على بابي فانا الكريم ولا تعتب باي فصراطي مستقيم وبادر بالاعمال مادمت بهذه الدار مقيم شعر

يامن يحدث نفسه
بدخول جنات النعيم
ان كنت متقيا
فانت على صراط مستقيم
لا ترجون سلامة
من غير ما قلب سليم
فاسلك طريق المتقين
وظن خيرا بالكريم
واذكر وقوفك خائفا
والناس في أمر عظيم
اما الى دار الشقا
وأما الى العز المقيم
فاغنم حياتك واجتهد
وانب الى الرب الرحيم

اللهم أعنا على ذكرك

قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بدلى من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه العلة فقال يا هذا أتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون وقد جاء فى فضل العزلة والانفراد وفى فضل الصمت وفى جميع ما ذكرنا من الجوع والسهر ومن مكابدة الليل ما يكثر جمعه فيما سمعناه وأشرنا اليه بلاغ وغنية لمن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ولمن أريد بالمعاملة والمتاجرة ولا حول ولا قوة الا بالله

*(الفصل الثامن والعشرون)* فيه كتاب مراقبة المقربين ومقامات الموقنين العبد اذا قوى يقينه علم ولم يتيقن ان أوقاته هذه التى وكل برعيتها اليها وجعل سبب غنائمه حياته منها وهى مكررة عليه فى البرزخ ومردودة اليه يوم القيامة ومعادة عليه فى الجنة ان دخلها ليس يجازى هنالك الا بمقدار ما أعطى من المعاملة ههنا ولا يعطى ثم الا بمقدار ما رفق ههنا لا يسئل الا عن أوقاته ولا يحاسب الا بساعاته ولا يجازى الا عليها ولا ترد عليه أوقات غيره كما لا يعاد هو فى صورة غيره ولا يعطى جزاء سواه كما لم يعامل ههنا معاملة سواه ولكن الله يبدئ ويعيد فمن ذلك قوله تعالى كما بدأكم تعودون وقال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته من تدبره أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار أى تدبروا آياته هل ترون جزاء هؤلاء كوصف هؤلاء أم هل تجدون وصف هؤلاء كجزاء أولا ومثله قوله تعالى ليس بأمانيكم ولا أمانى اهل الكتاب فنفى أمانيهم بليس وأثبت حكمه بلكن وهى مضمرة فى الكلام المعنى لكن من يعمل سوأ يجز به وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المؤمن يجزى بسيئته فى الدنيا من المصائب والجوع والعرى والمنافق تبقى ذنوبه عليه حتى يوفى يوم القيامة كانه حمار يجازى بها فى الآخرة وكان الحسن يقول عباد الله اتقوا هذه الامانى فانها أودية النوكى يعلون فيها والله ما أتى عبد الله بامنيته خيرا من دنياه ولا آخرته وقال بعض العلماء كلما قل العقل كثرت الامانى وكتب بعض السلف الى بعض اخوانه من أبناء الدنيا يعظه أخبرنى عن هذا الذى تكدح فيه وتحرص عليه من أمر الدنيا هل بلغت فيه ما تريد وأدركت ما تمنى فقال لا والله فقال أرأيت هذا الذى أنت حريص عليه لم تنل منه ما تريد فكيف تنال من الآخرة وقد أعرضت عنها وصرفت عنها قلبك أراك تضرب الا فى حديد بارد وقال بعض العلماء من ظن انه يدخل الجنة بغير عمل فهو متمن ومن قال أدخلها بعمل فهو متعن وقال بعضهم الامانى تنقص العقل وفى الخبر ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ومن هذا قول الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال فى ضده من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها وقال فى معناه أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وكذلك قوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقال فى مثله أم حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال ساء ما يحكمون فابطل حسبانهم وادحض حكمهم ثم أحكم ما عنده بقوله سواء محياهم ومماتهم أى هم كما كانوا فى الحياة محسنين يعملون الصالحات كانت لهم الحسنى فى الممات وكما كانوا فى الحياة مفسدين يعملون السيآت كانت لهم السوأى والمنكر وهات وقيل كانت هذه الآية مبكاة العابدين لانها محكمة غير متشابهة وكذلك جميع ما ذكرنا من نظائرها هو من المحكم الذى هو أم الكتاب غير منسوخ ولا متشابه وهذه الآى من عزائم القرآن وهو من أحسن ما أنزل علينا من ربنا الذى أمر الله سبحانه وتعالى باتباعه ووصف أهل الهدى وأولى الالباب باستماعه فى قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه قيل عزائمه ووعيده وقد قيل فى قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل الرجاء الخائب بالاغترار والظن الكاذب وقيل عملوا أعمالا ظنوا انها حسنات فوجدوها عند المحاسبة سيآت والصحيح ما صح بعد الحساب والحق ما ثقل عند الميزان كما قال تعالى والوزن

يومئذ

وشكرك وصوم شهرك وادامة طاعتك واجتناب مناهيك يا أرحم الراحمين

*(فصل فى الحج والعمرة)* قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة يبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا وروى الدارمى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا روى فى شرح السنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة ان الله ينزل الى السماء الدنيا فيباهى بهم الملائكة فيقول انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق اشهدكم انى قد غفرت لهم فيقول الملائكة يارب

ويشذا الحق قبل العلم والعمل كما قال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال فلنقصن عليهم بعلم ثم قال تعالى وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن قيل كانوا يقدمون الذنب ويؤخرون التوبة ويسوفون بالمغفرة وكانت هذه الآية محزنة للخائفين ومخافة للعارفين وقد أخبر الله سبحانه وتعالى انه أعد النار للكافرين ثم أمر المؤمنين باتقائها ثم وصف الكافرين فيها وخوف عباده بها فقال تعالى واتقوا النار التى أعدت للكافرين وقال سبحانه لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ويقال ان العبد يستحق النار بأول معصية عصى مولاه بها بعد المعرفة ثم هو بعد ذلك فى المشيئة وان فى كل عبد خصلة كريمة يخاف عليه منها وكان عبد الواحد بن زيد يقول ما مع خوف خائف قط ظن انه لا يدخل النار وما صدق خوف من ظن انه يدخل النار فظن انه يخرج منها أى ان حقيقة الخوف خشية دخول النار ثم الخلود فيها وقد روينا مثل ذلك عن الحسن وقد ذكر له الرجل الذى يخرج من النار بعد ألف عام فبكى ثم قال يا ليتنى مثل ذلك الرجل وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال انى فى الجنة فهو فى النار ومن قال انى عالم فهو جاهل وروى عنه صلى الله عليه وسلم من أراد ان يعلم كيف منزلته من الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله فى قلبه فان الله ينزل العبد منه حسبما أنزله من نفسه * المقام الثانى من المراقبة ثم يعلم العبد يقينا ان لكل عمل صالح نعيما فى الجنة وروحا فى البرزخ ولكل عمل حسن ومعرفة خالصة مقاما فى الجنة وقد قسم جزء هنالك لعطاء معاملة ههنا وان لكل عمل سيء وجهل قبيح عذابا فى الآخرة وكربا فى البرزخ ومقاما من النار قد قسم جزء هنالك لعمل ههنا ثم قد أخفى الله ذلك الجزء من الخير والشر وأظهر أعمالهما الممكين وأبان لهما طريقين يجريان الى دارين حكمة منه ثم قدم المعاملات من المعنيين وأخر المثوبات من النوعين احكاما منه للافعال واستدعاء للعبد بالاعمال ابتلاء منه لتجزى كل نفس بما تسعى منقمنه ورحمة وقدرة منه ومحبة لا يسئل عما يفعل لانه مالك قهار عزيز جبار وهم يسئلون لانهم عبيد مقهورون وذلل مجبورون ولا تضرب لهم الامثال لانه قد جاوز الاحتجاج والاعتدال ولا يسوى بالعبيد لانه قد فات التقدير والتحديد فله الحجة البالغة والقدرة النافذة فى كل شئ ليس كمثله شئ فى جميع ذلك كله وقد أحكم الله تعالى ما ذكرناه فى توحيد نفسه بالمشيئة والافعال ونهيه عن الشرك به وضرب الامثال وعيب من يسوى بينه وبين خلقه فى الاحكام وجعل ذلك جحودا للنعمة وشركا فى ملكه وأخبر به عن المشركين واضلالهم اتباعهم بعد ضلالهم المبين واضلالهم بتسويتهم بينه وبين عباده فى الاحكام فى قوله تعالى قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون قيل أنزلت فى القدرية لانهم أضافوا الحول والقوة فى الشر الى الخلق فسووا بينهم وبين الخالق وقد قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون فأضاف الاعمال الى انه خلقها كخلقه اياهم فهم المجرمون الذين أنزلت فيهم هذه الآية التى ذكر فيها القدرية فوصفوا بانكارهم فى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر هم المجرمون الذين أضلوا أتباعهم وهم الغاوون الذين كبكوا فى النار مع أشياعهم وقد أحكم الله تعالى تفصيل ما ذكرناه آنفا فى خمس آيات محكمات تنتظم جمل معانى ما ذكرناه تركنا شرح ذلك وبسطه خشية الاطالة لانا لم نقصد الاحتجاج فى الاستدلال من ذلك قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق يعنى فضل الموالى على العبيد فما الذين فضلوا يعنى الموالى برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون والآية الثانية قوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء أى فكذلك انا لا شريك لى من عبيدى فلا تجعلوا الى ما لم أجعل أحد الاخلق ولا عبيدى عليكم اذ لم اسو بينكم وبين عبيدكم فلا تشركوا عبيدى فى حكمى والثالثة قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ يعنى الانفاق ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه فجعلهما على وصفين أحدهما بخيل لم يقدره على الانفاق ثم ذم

فلان كان رهق وفلان وفلانة قال يقول الله عز وجل قد غفرت لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما من يوم اكثر عتيقا من النار من يوم عرفة وروى ابن ماجه والبيهقى عن عباس بن مرداس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فاجيب انى قد غفرت لهم ما خلا الظالم فانى آخذ للمظلوم منه قال أى رب ان شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما أصبح بالمزدلفة اعاد الدعاء فاجيب الى ما سأل قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم او قال تبسم فقال له أبو بكر وعمر بأبى أنت وأمى ان هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذى أضحكك أضحك الله سنك قال ان عدو الله ابليس لما لما علم ان الله قد استجاب دعائى وغفر لامتى أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فاضحكنى ما رأيت من جزعه قال الغزالى فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعى ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج

بالبخل والعجز وهو الذي أعجزه ومنعه وجعل الآخر جواداً اذ أقدره وأعطاه الانفاق ثم مدحه بالجود وقال في الآية الرابعة وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء هو الحكمة والعلم ثم قال هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل فجعل له عبدين أحدهما سفيهاً جاهلا أبكم عن الحكمة ولم يقدره على علم ولم يعطه استقامة ثم ذمه بوصفه ومقته له وجعل الآخر آمراً بالعدل عن أمره مستقيماً على صراطه المستقيم الذي هو عليه وهو اقامه كما قال هذا صراط علي مستقيم فهل يسلك أحد طريقه الا به وهل يجوز عبد على سبيله الا بحوله ثم مدحه باعطائه اياه ووصفه بوصفه ثم علم سبحانه ان العقل في هذا تشبيهاً وتمثيلا بخلقه وتجوزاً وتطلبا من خالقه على قياس العقول ان من فعل بعبدين له مثل هذا ثم مدح أحدهما وهو أعطاه وأقدره وذم الآخر وهو الذي منعه وأعجزه انه قد ظلمه فحسم ذلك عز وجل بنهيه وأحكم النهي عن التمثيل به في الآية الخامسة الفاصلة القاضية التي نهانا فيها ان نضرب له بنا الامثال المثل ما أجرى علينا من الافعال فقال سبحانه وتعالى فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون فهو كذلك بتحقيق علمه وغاية جهلنا ثم أيد هذا بقوله سبحانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فسلم الراسخون في العلم الاحكام كلها للعالم الحاكم فسلموا من عذابه وآمن المؤمنون بجميع الاقدار انها عدل وحكمة من حاكم عادل حكيم فأمنوا من عقابه لانهم آمنوا بالمتشابه وأعطاهم بفضله من فضله جزيل ثوابه فهلك الزائغون بالاهواء بل تتبعا للشبهات وابتغاء التأويل فوقعوا في الضلال وهلكوا غداً في المآل وقد روى الضحاك عن ابن عباس تصديق ما ذكرناه في قوله عز وجل لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم قال ابن عباس طبق أسفل من طبق سبع دركات على قدر أعمالهم كذلك يقتسمون الدركات بقدر ما اجترموا كما اقتسم أهل الجنة الدرجات بالفضائل لكل باب منهم جزء مقسوم يعني نصيباً معلوماً مفروضاً لكل طبقة سكان وقال بعض العلماء ما في الجنة قصر ولا نهر ولا نعيم الا عليه اسم صاحبه مكتوب واسم ذلك العمل الذي هو جزاؤه مكتوب وكذلك جهنم ما فيها غل ولا قيد ولا شعب ولا عذاب الا وعليه وصف ذلك العمل الذي هو جزاؤه واسم صاحبه مكتوب وقال لقد أدخلهم الجنة قبل ان يطيعوه وأدخلهم النار قبل أن يعصوه وقال بعض العارفين أيضاً الخلق أهون من ان يعصوا عز وجل عالم يردوا لله أعز من ان يرضيه الا من أحب لكنه غضب على قوم في العدم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال أهل الغضب ليحلهم دار الغضب ورضي عن قوم في القدم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال أهل الرضا ليحلهم دار الرضا وقال بعض أهل المعرفة أظهر الخلق في العدم وأوجدهم ايا هم اقتداراً ثم أظهر لهم أعمالهم وخيرهم الاعمال منه اختياراً فاختار كل عبد منهم عملا بعينه ثم طوى الاعمال فيهم وطواهم في الغيب فلما أظهرهم الآن في الوجود حجبهم بالعقول وأجرى كل عبد منهم اختياره لنفسه فبذلك وقعت الحجة عليهم لانه كشف لهم غداً ما حجبه عنهم اليوم وحدثت عن بعض هذه الطائفة قال كان قد بقي في نفسي شيء من القدر وكنت استكشفه من العلماء فلا ينكشف حتى قيض الله تعالى لي بعض الابدال فاستكشفته اياه فقال ويحك ما تصنع بالاحتجاج نحن يكشف لنا عن سر الملكوت فننظر الى الطاعات تنزل صوراً من السماء حتى تقع على جوارح قوم فتتحرك الجوارح بها وننظر الى المعاصي صوراً مصورة تنزل من السماء فتقع على جوارح قوم فتتحرك بها قال فكشف عن قلبي القدر وأوقع لي العلم بمشاهدة القدرة وكنت انا مرة خاطبت بعض اخواننا في شيء من الاستطاعة مع الفعل لا أنه قبله ولا بعده فتكلمت في ذلك بمذهب المثبتة من أهل الكلام قبل ان يكشف لي بمشاهدة علم اليقين فرأيت في النوم كان قائلا يقول القدر من القدرة والقدرة صفة القادر فيقع القدر على الحركة ولا يتبين فتظهر الافعال من الجوارح أو قال فتتحرك الجوارح بالافعال ولا تتبين فكيف تتكلم في شيء لا يتبين فجعلت على نفسي اني لا أناظر أحداً منهم بعد ذلك في شيء من هذا الباب وقد حدثونا عن بعض العابدين قال صليت من السحر ركعتين ثم غفوت بعدهما فرأيت قصراً عالياً اذا شرف بيض كأنها الكواكب فاستحسنته فقلت لمن هذا القصر فقيل لي هذا ثواب

شهماك قبل ان تحج ما صليت عليه اخواني ما كل بيت مكتولا كل جبل عرفات ولا كل زاد يوصل فيا من فاته الحج ولم يجد اليه سبيلا ومضى عمره في اللهو وقد حمل من الذنوب حملا ثقيلا وجرح في ميدان الغفلة منغذ نوبا وطالب النجاة فلم يجد اليها وصولا بادر بالحج الى البيت الحرام واجعل لك نور الاسلام دليلا فقد قال من لا تدركه الابصار ولا تحده العقول والافكار له عديلا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج اخواني سار الاحباب في ليل العزم وغنماو رجعوا في معاملتهم وما غنمنا لو تفكرتم فيما فاتكم لندمنا يا منقطعين عن القوم ان لم تنهضوا للحق بالاحزان فابكوا معي على البعد والحرمان شعر

واحسرتا ضاع زماني باطلا
ولم تصل روحي الى أوطارها
وقد تذكرت زمان وصلها
فهاجت الاشجان من تذكارها
متى أرى الكعبة تجلى جهرة

هاتين الركعتين ففرحت فجعلت أطوف حوله فرأيت شرافتين وكنه قد وقعت خشانه ذلك فاغتممت وقلت لو كانت هذه الشرافة فى أعلاه فى هذا الموضع لتم حسن هذا القصر فاتانى غلام فقال لى يا غلام هنالك قد كانت هذه الشرافة فى مكانها من القصر الا انك التفت فى صلاتك فسقطت وحدثونا عن بعض الزهاد انه كوشف مقامه من الجنة فرأى الحور العين وقلن نحن أزواجك فلما خرجت تعلقت بى الحور وقلن ننشدك الله الا ما حسنت أعمالك فانك كلما حسنتها ازددنا لك حسنا وازددت بنا نعيما وحدثونا عن رابعة العدوية رحمها الله تعالى قالت سبحت ذات ليلة تسبيحات من السحر ثم نمت فرأيت شجرة خضرة نضرة لا توصف عظما وحسنا واذا عليها ثلاثة أنواع من الثمر لا أعرفه من ثمار الدنيا كثدى الابكار ثمرة بيضاء وثمرة حمراء وثمرة صفراء فهن يلمعن كالاقمار والشموس فى خلال خضرة الشجر قالت فاستحسنتها فقلت لمن هذه فقال لى قائل هذه لك بتسبيحاتك آنفا قالت فجعلت أطوف حولها فاذا تحتها ثمر منتشرة على الارض فى لون الذهب فقلت لو كانت هذه الثمر مع هذه الثمار على هذه الشجرة لكان أحسن فقال لى الشخص قد كانت هنالك الا انك حين سبحت تفكرت هل اختمر العجين أم لا فانتثرت هذه الثمرة فهذه عبرة لاولى الابصار ومواعظ لاهل التقوى والاذكار ‌‌ذكر المقام الثالث من المراقبة روى ان كعب الاحبار قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لو لقيت الله تعالى بعمل سبعين نبيا لخشيت انك لا تنجو من هول ذلك اليوم وقال بعض السلف لو ان العبد كان يجر على وجهه من أول الدنيا الى قيام الساعة فى طاعة الله وعبادته لاحتقره يوم القيامة لما يرى من الزلازل والاهوال وفى الحديث معالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وان ألم شعرة من الموت لو وضع على جميع الخلائق لماتوا وان بين الخلائق وبين الموت وبين دخول الجنة مائة ألف هول كل هول منها يزيد على ألم الموت مائة ألف ضعف لا ينجو العبد من كل هول منها الا برحمة فيحتاج العبد الى مائة ألف رحمة تنجيه من تلك الاهوال يكون ذلك العدد من الرحمة مقسوما على مائة ألف حسنة أعطيها من حسناته فى الدنيا التى أحسن بها اليه يكون مكانا للظهور الرحمة وطريقا للعطاء غدا حكمة من الحكيم وقسما مدبرا من الرحيم لان الصالحات طرق الجزاء والحسنات كلها عن الرحمة الواحدة التى سبقت لهم بالنجاة ثم سقطت فى طرقات الاعمال أماكن الثواب فيعطى ذلك منها اليوم وهو العطاء الاول بحسن توفيقه ولطف عنايته ويعطى الجزاء منها غدا بفضل رحمته وتمام نعمته ذلك تقدير العزيز العليم كما قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان قيل فى الخبر ما جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد الا الجنة وقال بعض العلماء وليس لقول لا اله الا الله جزاء الا النظر لوجه الله تعالى والجنة جزاء الاعمال ألم تر انه لو حرم التوحيد اليوم لحرم الجنة ولو منع الاسلام اليوم لم يغفر الله له أبدا كما قال عز وجل انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وقال ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فهذا اسم الاحيلة فيه ولا سبيل اليه وقد قال هو أهل التقوى وأهل المغفرة قيل هو أهل ان يعطى التقوى ومن أعطاه التقوى فهو أهل ان يعطيه المغفرة كقوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وقال واتقوا الله لعلكم ترحمون وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال سبحانه تماما على الذى أحسن وقال تعالى سنزيد المحسنين الى قوله ما على المحسنين من سبيل وقال تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا فمن كانت أعماله الحسنات فهو من المحسنين ومن كانت أعماله سيئة فهو من المسيئين فاشتقاق الحسنة من الحسن وجزاؤها الحسنى وهى الجنة واشتقاق السيئة من السوء وجزاؤها السوأى وهى النار وقد سبق خلقهما قبل خلق الخلائق وفرغ من نصيب العباد من الجنة والنار وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فهذا أول المراقبة لانها عن غير المشاهدة ترى الرقيب ثم تراقبه وقد خص الله تعالى بالطيبات من الاعمال الطيبين من العمال وابتلى بالخبيثات من الاعمال الخبيثين من العمال وفرغ من ذلك بعلمه وقدره بحكمه واخفاه بلطفه فقال تعالى الخبيثات للخبيثين قيل الخبيثات من الافعال والاقوال للخبيثين

ويقرب البعيد من مزارها
وأجتليها بعد طول حسرة
فى حلل البهاء من استارها
وبعدها اسعى الى خير الورى
مستنقذ الامة من أوزارها
المجتبى الهادى الرسول المرتضى
محمد المختار من نزارها
صلى عليه الله ما هبت صبا
وضوعت شذاه فى أقطارها
اللهم ارزقنا حج بيتك الحرام قبل نزول القدر اللازم وارزقنا زيارة قبر نبيك الهادى الى الصراط المستقيم وصل على آله وصحبه بلا انفصام ولا انصرام برحمتك وكرمك يا أرحم الراحمين

(فصل) فى الجهاد قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق د قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يغز ولم يجهز

من الرجال وقال الطيبات للطيبين وقيل الطيبات من الاعمال والمقال للطيبين من الرجال ثم أخبر بحسن خاتمة أوليائه وسوء خاتمة أعدائه فقال تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قبل طابت حياتهم فطابت وفاتهم وطابت أعمالهم فطاب الموت لهم وقال في وصف الظالمين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا أظلمت حياتهم وأعمالهم فأظلمت قبورهم ومثواهم فمن شهد ماذكرناه يقينا دام مراقبته وحسنت معاملته فاتصلت أورادة وكثر من الخير ازدياده ونفذت مشاهدته لصفاء يقينه ودوام مزيده فكان ممن ندب الله عز وجل في قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وكان ممن وصف اذ يقول يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون أي يسارعون الموت ويسابقون الفوت ويسارعون الغافلين ويسابقون البطالين ولعل بطالا من الشاخصين جاهلا بحكمة الحكيم يتوهم علينا بظنه انا نقول انه لا يعطي الاشياء بشيء ولسنا نقول ذلك انما نقول انه يعطي شيئين بلا شيء فهو المعطي الاول الشيء الذي هو الظرف والمكان من العبادة والايمان وهو الذي يعطي الشيء الذي هو النعيم والجنان الا انه أجرى ذلك بتقديره في مجاري حكمته كما سبق ذلك في علمه ثم أنشأ في معلومه لانه حكيم عليم بهذا ذكر المقام الرابع من مراقبة الموقنين ثم يعلم العبد يقينا انه تنشر له سنوه في الآخرة شهورا وتبسط شهوره اياما وتفترش ايامه ساعات وتكشف ساعاته انفاسا ثم يسئل عن كل نفس وينشر له بكل فعلة فعلها وان صغرت ثلاثة دواوين الاول لم فعلت وهذا مكان الابتلاء بالاحكام فان سلم له تنشر له الديوان الثاني وهو كيف فعلت وهو موضع المطالبة بصحة العلم فان صح له هذا نشر عليه الديوان الثالث وهو لمن فعلت وهذا مكان المطالبة في الاخلاص فان اعتل بكيف أو بلم أو بلمن خيف عليه الهلكة الا ان يتعطف عليه الكريم المنان بحيث لا يحتسب فيستنقذه برحمته وقد قال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها اي جئنا بها أي احضرناها وقرئت بالمد آتينا بها بمعنى جازينا بها وقال عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقيل هذه احكم آية في كتاب الله عز وجل وهي مجملة مبهمة عامة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن شيء لم يوح اليه فيه بشيء يقول ما عندي فيه الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة الآية ولما تعلم صعصعة جد الفرزدق من أسفل القرآن الى هذه السورة قال حسبي حسبي قد عرفت الخير والشر فقال الرسول صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل فقيها وقيل الذرة قشرة الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رؤس الابر وروي عن ابن عباس انه قال اذا وضعت كفك على التراب ثم رفعتها فكل شيء تعلق بها من التراب فهو ذرة وقد قيل أربع ذرات خردلة وذكر بعض العلماء ان الذرة جزء من ألف جزء من شعيرة ففي الاعمال ما يزن هذا الشيء وما يثقل به هذا الخفاء فلذلك أخبر به الخبير وحذر منه الرؤف وفي معنى ما ذكرناه آنفا من حسب انه يدخل الجنة بعمل فهو متعن ومن حسب انه يدخلها بغير عمل فهو متمن يعني انه ينبغي ان يعمل ما عليه ولا ينظر اليه ثم يتوكل في ذلك على الله عز وجل ويرجو قبوله بكرمه ويخاف رده بعدله ولذلك مدح الله سبحانه وتعالى عباده الصابرين له المتوكلين في أعمالهم عليه فأتم أجرهم فقال نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فالمزيد في الجنة بفضل الله ورحمته هو تأبيد جزاء المعاملة الموهوبة اليوم ودوام خلود العامل في تأبيد جزائه ألم تسمع قوله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا مع قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة الى قوله فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ومثله ولكل درجات مما عملوا ونحوه أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة أي ويدرؤن بالحسنة الحديثة السيئة القديمة فلما استعملهم في الدنيا بعملين بالصبر وبدرء السيئة الماضية بالحسنة المستأنفة أعطاهم في الآخرة أجرين وهذا من الكلام المحذوف الموجز فمحذوفه ويدرؤن



غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير اصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة خ م عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ت قال صلى الله عليه وسلم عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله (ا) قال صلى الله عليه وسلم حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها ت عن أبي هريرة مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فاعجبته فقال لو اعتزلت الناس فاقمت في هذا الشعب فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ألا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أرسل نفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهة ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف

أى وبها يدفعون أيضا فلما حذفت بها أشكل الكلام فأشبهت الواو واو النسق وموضعه السيئة والمعنى يدفعون السيئة التى تقدمت منهم بالحسنة التى يعملونها بعدها فتكون الحسنة المستقبلة رافعة لعقاب السيئة الفارطة منهم ومن أحسن الصبر الصبر على المصيبة ومن أحسن الحسنات التوبة النصوح بعد ما سلف من الذنوب والفضوح فكأنهم قد عملوا عملين صبروا عن الشهوة ودفعوا بالتوبة ما سلف من السيئة فأعطاهم أجرين لما استعملهم بعملين إذ لا صبر إلا به ولا توبة لهم إلا منه كما قال تعالى وما صبرك إلا بالله وقال توبة من الله وليس من العبد أو إليه فيما من الله إلا كان مشركا فى اسم أول ومن أحسن الحسنات مراقبة الرقيب عند خطرات القلوب ومن أفضل القربات محاسبة النفس للحسيب واستجابتها بطاعة الحبيب وكذلك حكمته فى مزيد أهل النار ودركات بعضهم على بعض فى العتو والفساد فقال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب أى زدناهم عذابا فوق عذاب الذين كفروا ولم يصدوا عن سبيل الله وبمعناه قوله تعالى إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا فلم يغفر لهم بكفرهم ولم ينور لهم طريق الهداية بظلمهم وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة ومثل ذلك قوله تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق فصار عليهم عذابان عذاب جهنم بما لم يتوبوا وعذاب الحريق بما فتنوا المؤمنين ومثله قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون أى يريد أن يعذبهم بها فى الدنيا ويريد أيضا أن تزهق أنفسهم على الكفر ليعذبهم بها فى الآخرة وهذا نص صريح أن الله تعالى يريد الكفر من الكافر لأن تزهق انتصب بالعطف على يريد الأول والواو فيه للجمع وقد قيل إن فى هذه الآية تقديما وتأخيرا يكون المعنى ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة فأراد أن يجمع العذابين عليهم فى جهنم أحدهما الأموال والأولاد والثانى لإرادته تعالى أن تخرج نفوسهم على الكفر فمن لا ماله ولا ولده منهم كان عليه عذاب واحد فى جهنم لأجل قوله تعالى بها أى بسببها وهذا مواصل الخبر الذى جاء أن فقراء الكفار يدخلون النار بعد أغنيائهم بخمسمائة عام لأجل الفقر الذى كانوا فيه فى الدنيا كما أن الفقراء من المؤمنين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لأجل غنى أولئك وفى الخبر أيضا وتدخل المرضى إلى الجنة قبل الأصحاء بأربعين خريفا ويدخل المقتول فى سبيل الله مقبلا قبل المقتول فى سبيل الله مدبرا بأربعين خريفا وتدخل المماليك قبل الموالى بأربعين خريفا ويدخل سليمان بن داود الجنة بعد الأنبياء بأربعين خريفا لمكان ملكه فالحسرة العظمى والفوت الأكبر الذى لا درك له وهو تأبيد حرمان ما أعطى غيرك من المزيد هنالك لفوت أوقاتك فى الدنيا ههنا ثم دركك ذلك بأوقاته العامرة ههنا تأبيد مزيد جزائه ثم وهذا هو التغابن غبن العاملون البطالين وغبن السابقون المخلفين وغبن المسارعون المثبطين ثم خلود العبد البطال المغبون فى الدنيا فى تأبيد حرمان مزيد الغابن العامل ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم ما من ساعة تأتى على ابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا كانت عليه حسرة وإن دخل الجنة وفى لفظ آخر وهو أشد إلا كانت عليه ترة يوم القيامة أى مطالبة ومؤاخذة فالحسرة فى الجنة بعد دخولها والظفر بنعيمها هو ما ذكرنا من حرمان مزيد العاملين فيها ثم دوام الحرمان مؤبدا وهو كون العبد فى نقصان درجة غيره ثم هو مخلد فى النقصان سرمدا ومع ذلك فلا يؤبه له ولا يخطر به كيلا ينقص عليه نعيمه والطرفة والنفس إذا خلتا من اليقظة والذكر فهما بمنزلة الساعة الخالية الان النبى صلى الله عليه وسلم نص على الساعة ولم يذكر ما دونها لأن اسم الساعة أقل الزمان المستعمل عند العرب ليواطئ بقوله قول الله سبحانه وتعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ومعلوم أنه إذا جاء الأجل لا يستأخرون نفسا ولا طرفة عين وكذلك لا يستقدمون طرفة ولا نفسا فذكر الساعة دون ما نقص منها لئلا يخرج الكلام عن حد استعمالهم وعرفهم وليستدل بها على ما دونها فى القلة من النفس

لمن يشاء ت ق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقربائه د عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه إنه لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء فى الجنة ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفى كتاب المؤمنات الصالحات للمصنف قال أبو قدامة الشامى كنت أميرا على الجيش فى بعض الغزوات فدخلت

والطرفة وكذلك تدل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصه على الساعة على مادونها لان حكمته من حكمة مولاه وكلامه على معانى كلامه وقد دخلت الساعة فما دونها فى الايام التى قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية قيل هى والله أيامكم هذه وحققوا فاشغلوها بالاعمال الصالحة قبل خلوها منكم وانقضائها عنكم وكان الحسن يقول يا ابن آدم انما أنت مراحل كلما مضى منك يوم أو ليلة قطعت مرحلة فاذا فنيت المراحل بلغت المنزل الى الجنة أو النار فالساعات تنقلنا والايام تطوينا كما قال بعض الحكماء مثل العبد فى عمره مثل رجل فى سفينة تسير وهو قاعد كذلك العبد يدنو من الآخرة وهو غافل ويقال ان العبد تعرض عليه ساعاته فى اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعة وعشرين خزانة فيرى فى كل خزانة نعيما ولذة وعطاء وجزاء لما كان أودع خزانته من ساعاته فى الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مرت به فى الدنيا ساعة لم يذكر الله تعالى فيها رآها فى الآخرة خزائن فرغا لاعطاء فيها ولاجزاء عليها فيسوءه ذلك ويتحسر كيف فاته ان لم يدخر فيها شيأ فيرى جزاء مدخرات يلقى فى نفسه الرضا والسكون فلو لم يتحسر العبد الاعلى فوت الفضائل والمندوب اليه من الخيرات لكان فى فوت المسابقة والمسارعة حسرات فكيف بمن فاته أوقاته فى السيآت وفرطت منه فى الخسارات ولو لم يشتغل العبد فى عمره الا بالحلال والمباحات لكان ذلك نقصانا من المربحات له فكيف بمن شغل بالمحظورات فسبحان الله ما أعظم الخطر وأصعب الامر وأقل المشاهدين لذلك وأغفل البطالين وقد قال بعض العلماء هب ان المسيء قد غفر له أليس قد فاته ثواب المحسنين وقد جاء فى الاثر ان بعض أهل الجنة بيناهم فى نعيم اذ سطع لهم نور من فوقهم أضاءت منه منازلهم كما تضيء الشمس لاهل الدنيا فنظروا الى رجال من فوقهم أهل عليين يرونهم كما يرى الكوكب الدرى فى أفق السماء قد فضلوا عليهم فى الانوار والنعيم والجمال كما فضل القمر على سائر الكواكب فينظرون اليهم يطيرون على نجب تسرح بهم فى الهواء حيث شاؤا ويتزاورون بعضهم بعضا يزورون ذا الجلال والاكرام فينادون هؤلاء يا اخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلى كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذى فضلتم به علينا قال فاذا النداء من الله عز وجل انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكتسون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقد جاء فى الخبر أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب • ذكر المقام الخامس من مراقبة الموقنين من المقربين قال الله تعالى مخوفا للمكافة حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ثم أجابه فقال كلا وحقق قوله تعالى فقال انها كلمة هو قائلها ثم نهى المؤمنين نهيا صريحا عن مثل هذه الحال وأخبر بنقصان من فعل ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله أى لا تشغلكم عن الطاعة لله تعالى ثم قال ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون أى المغبونون المنقوصون فى الآخرة لانهم آثروا المال والولد على الخالق الرازق ثم أمر بالانفاق مما رزق وقرنه بالايمان وأخبر انه استخلفنا فى ملكه اختبارا لنا فقال آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فسمع العاقلون نصف الكلام فآمنوا ولم ينفقوا وعقل العاملون كل الكلام فآمنوا وأنفقوا وما يعقلها الا العالمون وقال سبحانه وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق أى بالمال وأكن من الصالحين أى بالاعمال وكان ابن عباس يقول هذه الآية من أشد شئ على أهل التوحيد لانه لا يتمنى التأخير والرجوع الى الدنيا أحد له عند الله خير فى الآخرة ومثل هذا قوله سبحانه أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله الحسرة هى أعظم الندامة وهى اسم لفوت شئ لا تدارك فيه فرطت أى ضيعت وونيت وفرط منى أى ذهب وفات وجنب الله قيل على ما فاتنى من الجزاء منه فى الآخرة وقيل ما فاتنى من النصيب فى أيام الدنيا الى قوله أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة يعنى الى الدنيا يعنى عودة أخرى فأكون من



فى بعض البلدان فدعوت الناس الى الغزو ورغبتهم فى الثواب وذكرت فضل الشهادة وما لاهلها ثم تفرق الناس فركبت فرسى وسرت الى منزلى فاذا بامرأة من أحسن الناس تنادى يا أبا قدامة فقلت هذه مكيدة من الشيطان فمضيت ولم أجب فقالت ما هكذا كان الصالحون فوقفت فجاءت فدفعت الى رقعة وخرقة مشدودة فانصرفت باكية فنظرت فى الرقعة فاذا فيها مكتوب انك دعوتنا الى الجهاد ورغبتنا فى الثواب ولا قدرة لى على ذلك فقطعت أحسن ما فى وهما ظفيرتاى وأنفذتهما اليك لتجعلهما قيد فرسك فى سبيل الله فيغفر لى فلما كانت صبيحة القتال فاذا بغلام بين يدى الصفوف يقاتل فتقدمت اليه وقلت يا فتى أنت غلام ولا آمن ان تجول الخيل فتطؤك بارجلها فارجع عن موضعك هذا فقال أتأمرنى بالرجوع وقد قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فحملته على هجين كان معى فقال يا أبا قدامة أقرضنى ثلاثة أسهم فقلت أهذا وقت قرض فما زال يلح على حتى قلت بشرط

الحسنين وقوله أن تقول نفس من الكلام المضمر المعطوف ومضمر من قبل أن تقول أو خشية أن تقول
ومعطوفه هو قوله وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له أى اقبلوا اليه وتوبوا واستسلموا وسلموا قلوبكم ونفوسكم
وأموالكم فى طاعته وعبادته واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم أى اتبعوا العزائم من الامور والفواضل
من الاعمال فهو أحسن من الرخص والمباحات مثل الزهد والورع والخوف والايقان فهذا من أحسن
ما أنزل الينا من ربنا ثم قال تعالى أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله فلما طال الكلام
وأضمر معطوفه وبعد عاطفه للاختصار أشكل فهمه وفى القرآن ما هو أشد اختصارا وأبعد من هذا اضمارا
كقوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين المعنى فالذى يحملك على التكذيب أيها الانسان الذى خلقناه فى
أحسن تقويم بعد هذا البيان والبرهان بالدين بالغائبات والكائنات من أمور الدين والحسنات والجزاء
ثم أحكم ذلك برده اليه فقال أليس الله بأحكم الحاكمين وكذلك قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا المعنى لا تترك
أن تعمل فى الدنيا بأيامك هذه فتدرك نصيبك غدا من الآخرة فى الدنيا فانك لا تدركه الا فيها ثم أحكمه بقوله
وأحسن كما أحسن الله اليك أى أحسن الى نفسك والى اخوانك الفقراء كالذى أحسن اليك به من المال
والغنى فبذلك تدرك نصيبك من الدنيا فى الآخرة ثم أخبر الله سبحانه الكل وحذرهم فقال حتى اذا جاءتهم
الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها أى باندامتنا على ما ضيعنا فى الدنيا وفاتنا فى الآخرة وفى الخبر
لا يموت أحد الا بحسرة وندامة ان كان مسيئا كيف لم يحسن وان كان محسنا كيف لم يزدد وذلك ان الله
تعالى جعل أهل السلامة والنجاة طبقتين بعضهم أعلى من بعض وجعل أهل الهلكة طبقة واحدة بعضهم
أسفل من بعض فكان صاحب الشمال يتحسر كيف لم يكن من أصحاب اليمين لقوله تعالى كل نفس بما
كسبت رهينة الا أصحاب اليمين وصاحب اليمين يتحسر كيف لم يكن من المقربين والصالح من المقربين يتمنى
أن يكون من الشهداء والشهيد يود أنه من الصديقين فهو يوم الحسرة الذى أنذر به أهل الغفلة فكيف بهم
فى ذلك اليوم اذا كانوا اليوم أمواتا ولم يكن له حسنة فانى لهم النذارة والتذكرة كما قال وأنذرهم يوم
الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وقد قال لينذر من كان حيا كما قال انما أنت منذر من يخشاها انما تنذر
من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب وقال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد يعنى الى
ما قدمت وقيل حديد الى لسان الميزان تخاف النقصان وقال تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق قيل بالسابقة
لهم وعليهم فهو الحق سبقت لهم منا الحسنى حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون وسقط ما دونها وقد قيل انما
يوزن من الاعمال خواتيمها والخواتم من السوابق وما بينهما زاهق والوزن يومئذ الحق ما سبق من العدل
والصدق وتمت كلمة ربك صدقا لاوليائه وعدلا على أعدائه ألا له الخلق والامر بهذكر المقام السادس من
مشاهدة المقربين الخيرات هى من ثمرات الايمان والصالحات هى مقتضى اليقين والعمى مقتضى الشك
والسمع والبصر وصفان المتقين والعمى والصمم وصفان الشك تنتظم هذه المعانى فى قول الله تعالى قل
بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين فدل ان الايمان يأمر المؤمنين بالبر والتقوى وقوله تعالى
مخبرا عمن أيقن فسمع وأبصر فسأل العمل الصالح ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
وقوله تعالى فى وصف اللاعبين بل هم فى شك يلعبون ثم ذكر حالهم لعدم اليقين فقال تعالى ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون لانهم لم يكونوا موقنين فلما جاءهم اليقين وهو المعاينة أبصروا وسمعوا
فقالوا وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فوصفهم بشدة السمع والبصر حينئذ لما أيقنوا فقال
عز وجل أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أى ما أسمعهم وأبصرهم اليوم لما جاؤنا فرأوا ما عندنا وهذه المبالغة
فى الوصف كما تقول أكرم وأعظم به أى ما أكرمه وأعظمه فكذلك اذا أتتنى اليوم وأنت موقن سمعت
ما لم تسمع وأبصرت ما لم تر قبل ذلك ولكن شغلتك الازواج التى خلق والاشكال والاشباه التى أظهر فتألهت
اليها ووقفت معها ولو فررت منها الى الله تعالى لفررت الى خير مفر ولا والك عنده فى أحسن مقر وقد

---

اثمن الله عز وجل عليك
بالشهادة ان أكون فى
شفاعتك فقال نعم فاعطيته
ثلاثة أسهم فوضع سهما
فى قوسه وقال السلام عليك
يا أبا قدامة فرمى به روميا
ثم رمى بالآخر وقال السلام
عليك يا أبا قدامة فقتل به
روميا ثم بالآخر وقال السلام
عليك يا أبا قدامة سلام
مودع فجاءه سهم فوقع بين
عينيه فوضع رأسه على
قربوس سرجه فتقدمت
اليه فقلت لا تنسها قال نعم
ولكن لى اليك حاجة اذا
دخلت المدينة فأت والدتى
وسلم خرجى اليها وأخبرها
فهى التى أعطتك شعرها
لتقيد به فرسك وسلم عليها
فان العام الاول أصيبت
بوالدى وفى هذا العام
أصيبت بى ثم مات فحفرت له
ودفنته فلما هممنا بالانصراف
عن قبره قذفته الارض
فالقته على ظهرها فقال
أصحابى انه غلام غر ولعله
خرج بغير اذن أمه فقلت
ان الارض لتقبل من هو
شر من هذا فقمت وصليت
ركعتين ودعوت الله
عز وجل فسمعت صوتا
يقول يا أبا قدامة اترك ولى
الله عز وجل فما برحت
حتى نزلت عليه طيور
فأكلته فلما أتيت المدينة
ذهبت الى الدار والدته فلما
قرعت الباب خرجت
أخته فلما رأتنى عادت
وقالت يا أماه هذا أبو قدامة
ليس معه أخى وقد أصبنا

أمرك بالفرار منها اليه ولو قبلت و نهاك عن التأله اليها ولو سمعت و بين لك النذار ولو فهمت وجعل ما خلق من الأزواج تذكرة به ولو عرفت ورائه اليه ولو أملك الذكر اتبعت ومشوقة اليه ولو كنت لقربه أجبت أما سمعته يقول ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أى مثلين وشكلين لكى تذكرون انتم بهما وتشتاقون اليه منهما ثم قال ففروا الى الله أى عنها بالزهد ثم قال ولا تجعلوا مع الله الها آخر أى لا تألهوا معه الها ولا تشركوا بنا الهكم اليه ما اياها فهذا فهم المقربين من سمعهم بشهادة أبصار قلوبهم فعندها كان استجابتهم له كما قال انما يستجيب الذين يسمعون وقال ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات و يزيدهم من فضله ولكن كيف يسمع من ينادى من مكان بعيد وكيف يبصر من القفل على قلبه عتيد وكيف يستجيب من لا يسمع وكيف يشهد من لا يبصر وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى و يصم فالهوى يعمى عن الحق والشهوة تصم عن النصح والصدق وكذلك لو أحببته لنظرت اليه ولو نظرت اليه لعميت عن سواه ولو أقبلت عليه لاستمعت اليه ولو سمعت لصممت عن غيره ولو أحببك لكان سمعك و بصرك وقلبك ويدك وناصرك ومؤيدك تدعوه فيجيبك وتسأله فيعطيك وتنصح له فينصح لك كذلك جاء الخبر بذلك فشغلته عنك وفرغك له منك فكيف تسمع عنه وتنظر اليه وتتقلب عنده و تصرك به لا بنفسك وهواك ولا بشهوتك ودنياك فهذا وصف حبيب عن تقلب حبيب وخبر محبوب عن تثبيت محبوب فاذا تيقن العبد يقين عين لا يقين ظن وسمع بما ذكرناه من سرعة فوت الوقت وفوت دركه شغله الغم والحزن على ما فات عن مثل ما سلف مما ندم عليه فى مستقبل الاوقات فلم يضم الى الفوت الاول فوتا ثانيا لحزنه وندمه عليه فكيف يردفه فى الحال بعمل يشبه ما ندم عليه من سوء الاعمال وما لا يحمد عاقبته ولا يغتبط به فى المآل فمثل العبد المتيقظ فى آخر غفلته مثل عبد كان عليه عمل لا بد أن يعمله فى يومه ذلك الا أنه لهى عنه لغفلة ملهية أو نومة منسية فلم يلحق لعمله ذلك الذى لا بد منه الا بعد العصر فلا يسأل عن حرصه وانكماشه وتشميره و بداره فى بقية نهاره ليدرك به ما فاته من أول النهار فهو يود أن وقته ذلك الى الليل مثله أضعافه أو رد الى أول النهار ليدرك ما فاته فهذا مثال التائب المتيقظ من رقدته وهذا لا يستبين له الا بعد الموت لمعاينة تقضى الاوقات واليقين بعدم درك ما فات فهنالك وقعت الندامة الكبرى وحينئذ حلت الحسرة العظمى فالحزم عند العقلاء الموقنين هو الانكماش والتشمير فيما بقى من العمر القصير لان الاشتغال بما فات فى وقت درك مثله فى المستقبل هو اضاعة ثانية فلما هو آت فرص هذا المتيقظ واجتهاده أن يكون له فى كل وقت وقت ومن كل ساعة نصيب فأودع فى كل خزانة من ساعاته التى هى خزائن أعماله شيأ فشيأ لئلا يرى خزائنه فارغة غدا فيتحسر على فراغ منها وهذا طريق أهل الرجاء الذين تمنوا زيادة الاعمال ورغبوا فى طول البقاء بحسن خدمة المولى وهو مقام التائب المستقيم ليتدارك بحديث الاوقات ما فرط منه من الغفلة فى القديم فهذا هو الحزم والاحتياط عند الله لما فات يكن الامر صعبا شديدا كما يحدث عنه كان قد سلم بحسن توفيق الله تعالى من صعوبته وان كان الامر سهلا قريبا كما يرجوه كانت الاعمال درجات والفضائل مقامات يذكر المقام السابع من مشاهدة الموقنين اعلم أن ما ذكرناه من تدارك الاوقات تخوف فوتها ليس هو بمعنى مكان دون مكان ولا هو بانتظار وقت ثان الذى هو فى الاصل فكر الوقت الذى هو فيه ولا توقع حال سوى الحال الذى هو يليه انما هو صوم يوم وقيام ليلة أو ذكر فى ساعة أو جمع هم عن شتات قلب أو قطع لا رفى خطر و يكون ذلك أيضا غض طرفه وصون سمعه وكف يده وحبس قدمه وصمتا عن كلمة دنية وترك لقمة شبهة ونقصانا من قوت وزيادة جوع للمقيت وأمرا بكلمة رشيدة ونهيا عن فعلة دنية وعقد نية جيدة وحل نية ذميمة وتجديد توبة واعمال قلب فى فكرة واخراج سوء ظن واعتقاد حسن ظن واستقامة وصحة عزم فى قصد وتسببا الى ما يقوى العزم ومعاونة على بر وتقوى وهذا كله يكون فى الوقت وبعدية فى الحال لا يسوف به ولا ينتظر منه ولا يتوقعه فى وقت ثان ولا يؤخر الى زمان دون وقته ولا يتربص به فى مكان دون مكان فهذا هو التدارك

في العام الاول يابنى و فى هذا العام يابنى فخرجت أمه فقالت أمعزينا فقلت ما معنى هذا فقالت ان كان مات فعزنى وان كان استشهد فهننى فقالت له علامة فهل رأيتها قلت نعم لم تقبله الارض ونزلت الطيور فأكلت لحمه و بقيت عظامه فدفنتها فقالت الحمد لله فسلمت اليها الخرج ففتحته فأخرجت مسحا وغلا من حديد وقالت انه كان اذا جنه الليل لبس هذا المسح وغل نفسه بهذا الغل وناجى مولاه وقال فى مناجاته احشرنى فى حواصل الطيور فقد استجاب الله عز وجل دعاءه والله أعلم اخوانى هذا اصبر اولى التقوى الذين لا يطيعون الهوى

شعر

فلا تجزع لريب الدهر واصبر
فان الصبر فى العقبى سليم
فما جزع بمغن عنك شيأ
ولا ما فات ترجعه الهموم
اذا ضاق الخناق فكن صبورا
كريما فالشدائد لا تدوم
و بالصبر الجميل تنال أجرا
و يقضى بعد ذلك ما تروم
فكم من محنة عظمت ودامت
وشاب مواصل وجفا حميم
أتى فرج الاله لها صباحا
وما أمست وأقلعت الهموم
فسلم فالذى أبلى يعافى
وثق بالله فهو بنا عليم
اللهم صل على سيدنا وهادينا وشفيعنا محمد وعلى

للأوقات في وقتك الذي أنت فيه خشية فوت الوقت فتحصل على التسويف والتمني أو في الانتظار والتراخي
فهذه من جنود ابليس يقطع بها المريدين وهو مقام المغترين وأحوال البطالين الذين وكلوا الى أنفسهم
وتركوا مع هواهم ولم يتداركوا في أحوالهم ولم يقدموا لغدهم نسوا الله فنسيهم والوقت اذا انقضى فقد ولم
يوجد الى يوم القضاء والساعة اذا مرت طويت فلم تنشر الى يوم النشور وانما ينشر مثالها وخلق شبهها فاذا
أيقن العبد علم ان عمره كله يوم وان يومه كله ساعة وان ساعته كلها وقته الآن وان وقته حاله وان حاله قلبه
فأخذ من حاله لقلبه ما يقرب به الى مقلبه بنهاية عمله فعمل أفضل ما دل علمه عليه وما ندبه مولاه اليه ومما
يحب ان يفجأه الموت عليه فيكون ذلك خاتمة عمله الذي يلقى مولاه به ثم أخذ من وقته لله ما يصلح حاله لقلبه
ويقوي قلبه ويغتبط به وأخذ من ساعته لوقته ما يزين به حاله عند ربه وأخذ من يومه لساعته صلاحه فيها
وحاجته اليها وأخذ من شهره ليومه فكان شهره يومه ويومه كان ساعته فشغله وقته عن ساعته وشغله حاله عن
وقته فكان على هذا مراعيا لوقته محافظا على حاله قائما على نفسه جامعا لهمه محصيا للانفاس مراقبا للرقيب
مجالسا لحبيبه لا يخرج عنه نفس في أدنى وقت الا في ذكر لمذكور أو شكر على نعمة لمنعم أو صبر في محنة
عتيدة أو رضا عند شدة شديدة ويكون في ذلك كله ناظرا الى الرقيب مصغيا الى القريب سامعا الى الحبيب
لا ينظر الا اليه ولا يعكف الا عليه وقد جعل العمر يوما واليوم ساعة والساعة وقتا والوقت حالا والحال نفسا
والنفس مراقبة والمراقبة مواجهة فتوجه في وجهته فلم ينثن وسامح في قربه فلم ين فكان من الايمان على
مزيد ومن اليقين في تجديد واعطى من الحياة الطيبة بغير حساب وكشف له عن قلبه الحجاب فكانت المعرفة
مقامه وقصرت عليه أيامه فكان وقته وقتا واحدا الواحد وكان قلبه واحدا الواحد وهمه منفردا للمنفرد
وهذا حال الابدال الذين هم من الرسل أمثال وعددهم في الموقنين قليل ونصيبهم من اليقين وافر جليل
وهم المقربون والصديقون ومن علم ما ذكرناه على يقين فهو من الصالحين ومن آمن به ولم يشك فيه لأهله
ايمان تصديق فهو من الموقنين ومن شهده منه شهادة يكون له منها مطالعة وزيادة فهو من الشاهدين
وجميع ما ذكرناه من مراقبة المؤمنين وشهادة المقربين يدرك باحد مقامين من أقيم في أحدهما جمع له
ذلك استقامة في توبة وعمل بعلم فمن كان مقامه التوبة وحاله الاستقامة ترفع الى شهادة المحبين ومن كان مقامه
العلم وحاله العمل بعلمه تحقق بنعت الخائفين وهما حالا العارف الدائم الوجد بقرب القريب القائم بالشهادة
بحضور الشهيد فانفاسه وطرفاته صالحات وتصرفاته وآثاره حسنات وأفكاره وأذكاره مشاهدات فهو
حاضر في تصريفه متيقظ في تقلبه وبهذا وصف العارف والدائم الوجد وحدثت عن بعض هذه الطائفة
انه دخل على بعض المنقطعين الى الله تعالى من أهل المراقبة فقال له أحصيت من نعم الله تعالى علي في نوع
واحد أربعة وعشرين ألف نعمة قلت وكيف ذلك قال حسبت أنفاسي في اليوم والليلة فوجدتها أربعة
وعشرين ألف نفس ويقال ان الطرفات ضعف ذلك لان كل نفس طرفتان وسمعت ان الله عز وجل أوحى
الى بعض الانبياء كيف تؤدي شكر نعمتي عليك المتوالي في كل شعرة نعمتان ان لينت أصلها وان طمنت رأسها
وقال بعض العلماء روي ذلك أيضا عن علي عليه السلام ليس شيء أعز من الكبريت الاحمر الا ما بقي من عمر
العبد قال ولا يعرف مقدار ما بقي من عمره الا نبي أو صديق وقال بعضهم لا يعرف قدر ما بقي من عمره في العزة
الا من عرف ينبوع الكبريت الاحمر فانه يقال انه عيون تنبع في الظلمات لا يعرفها الا الابدال والكبريت
الاحمر هو كيمياء الذهب الذي يعمل منه الذهب الخالص واذا ألقي منه اليسير على كيمياء الذهب المستعمل
ثبت على حاله والا استحال وتغير بعد سنين ولا أعلم ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم الكبريت الاحمر الا في
حديث علي عليه السلام الذي وصف فيه الابدال فذكر عددهم ونعتهم وقال في آخر وصفهم هم في أمتي أعز
من الكبريت الاحمر ولا ذكر الذهب الابريز الا في حديث الابتلاء ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب
أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من يخرج اسود محترقا ومنهم من يخرج بين ذلك

---

ألهم وحبه وشدهم زادنا على
دينه وطلب رضاه وارزقنا
الشهادة في سبيلك فانك
أكرم الاكرمين وارحم
الراحمين

(فصل) في الربا والتطفيف
قال الله تعالى الذين يأكلون
الربا لا يقومون الا كما
يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس أي
الجنون قال قتادة ان آكل
الربا يبعث يوم القيامة
مجنونا وذلك علم لأكلة
الربا يعرفهم به أهل
الموقف م عن جابر قال
لعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم آكل الربا
وموكله وكاتبه وشاهديه
وقال هم سواء م قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذهب بالذهب
والفضة بالفضة والبر بالبر
والشعير بالشعير والتمر
بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل
يدا بيد فمن زاد أو استزاد
فقد اربى الآخذ والمعطي
فيه سواء وروى الشافعي
وغيره انه صلى الله عليه
وسلم قال ولكن بيعوا
الذهب بالورق والورق
بالذهب والبر بالشعير
والشعير بالبر والتمر بالملح
والملح بالتمر يدا بيد كيف
شئتم خ م عن أبي سعيد
الخدري قال جاء بلال الى
النبي صلى الله عليه وسلم
بتمر برني فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم من أين هذا
قال عندنا تمر ردي فبعت
منه صاعين بصاع فقال

*(الفصل التاسع والعشرون)* فيه ذكر أهل المقامات من المقربين وتمييز أهل الغفلة المبعدين فاذا كان العبد بوصف ما ذكرنا كان كما قال الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال بعض العارفين عمر العبد أمانة الله تعالى عنده يسأله عند موته فان كان فرط فيه ضيع أمانة الله تعالى وترك عهده وان راعى أوقاته فلم تخرج ساعة الا فى طاعة الله حفظ أمانته ووفى بعهده فله الوفاء من الله على الوفاء كما قال سبحانه وتعالى وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون أى فى تضييع العهد وفى ترك الوفاء وكما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه أى شهد مقام الله تعالى منه بالبيان فقام بشهادة الايقان فليس هذا كمن زين له سوء عمله واتبع هواه فآثره على طاعة مولاه بل هذا قائم بشهادته متبع لشهيده مستقيم على محبة معبوده وكان كمن وصف فى قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكمن مدحه بحقيقة الايمان فى قوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا أى علامته ودلالته وعلى ربهم يتوكلون أى به يثقون واليه ينظرون وعليه فى كل حال يعتمدون واليه من كل شئ يطمئنون وعنده دون كل شئ يوجدون ثم قال سبحانه أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم الآية وليس أهل الحقائق من المتوكلين الذين مدحهم الحق بالحق وأعد لهم الدرجات العلى والكريم من الرزق كمن ذكره بعدهم فقال وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين لهم مع قوله ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فجعل حال هؤلاء وصفا مشبها لمقام أعدائه لما بقى عليهم من أهوائهم وجعل مقام الصالحين بمعنى من وصفهم فى الآية بحقيقة زهدهم فقال تعالى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى فهو العلى وأحباؤه الاعلون وانما كانوا أعلين لان الاعلى معهم وكانت الادنين لان الدنيا عندنا قال الله سبحانه فى وصف من أعرض عن ذكره ولم يرد الا الحياة الدنيا اذا أمر الحبيب بالاعراض عنه لانه طلب الادنى عاجلا أو سوف بالمغفرة آجلا لقوة جهله وضعف يقينه فقال تعالى يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وقال فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وقال فى وصف الصادقين المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال فى نعت غيرهم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله فشتان بين من وصف بصدق العهد وبين من ذكر بالخلف وعرض للمقت وقال فى وصف طائفة ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين نقص أولياءه بترك اتباعه وادخل بعض المؤمنين فى تصديق ظنه واتباعه الا فريقا فهم الصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقا وهم المتوكلون المؤمنون حقا الذين قال انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وليس من باع ماله ونفسه محبة لمولاه كمن لم يسأله مولاه دون نفسه لئلا يحفيه فيخرج ضغنه عليه كما قال لطائفة من المؤمنين يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم الاحفاء الاستقصاء أى ان سألكم سأل الجملة كلها وأحب منكم الزهد فى نفوسكم بعدها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد تقول فلستم فى مكان سؤال اذ لا يكون البخيل زاهدا الان أول الزهد الجود فمن لم يجد لم يزهد ومن لم يزهد فى الدنيا لم يحبه المولى لانه محب لما يبغض ومن يحب الا يحب فلم يعامل مولاه بأخلاقه ولم يوافقه فى مرضاته فباعده وحجبه عن مشاهدة أوصافه كما قال تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم المبلغ عن المآل اذا أردت ان يحبك الله فازهد فى الدنيا ولا تقدر ان تصف حشو قلوب هذه الطائفة من المؤمنين الذين وصفهم المؤمن ان لو سألهم أموالهم ظهرت عليهم أضغانهم لانهم من الله فى اغترار بما ألبسهم من الاظهار فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا الا ان الله تعالى لا يسأل الا من يحبه اكراما له ممن يعلم انه يسارع اليه بجملة ما سأله لانه كريم جواد لا يكبر عنده شئ ان سأل سأل الكلية وهو المال والنفس الا انه لا يسأل الا من خلقه بخلق من أخلاقه فتى لم يكن على العبد سواء شئ سأله محبوبه



أى فهذا من الربا لا تفعل ولكن اذا أردت ان تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به قال فضالة بن عبيد كل قرض جر نفعا فهو ربا وروى أحمد والدارقطنى عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية رواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عباس وزاد وقال من نبت لحمه من السحت فالنار أولى به ق عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون جزأ أيسرها ان ينكح الرجل أمه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الربا وان كثر فان عاقبته تصير الى قل ات عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت ليلة أسرى بى على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا وقال الكلبى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لانفسهم فنزل قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون الا يظن أولئك انهم مبعوثون

كل شئ ومتى عظم فى قلبه العرض الفانى وهو ضنين لم يسأله شئ فاذا لم يبق للعبد فى نفسه نفسا ولا من ماله ملكا كان الجواد عوضا له من ماله وكان الجبار عوضا له من نفسه الا ان الله سبحانه لم يذكر اياه فى العوض من النفس وذكر الجنة فى البدل عن المال لئلا يدخل تحت حكم وهو الحاكم وكيلا ينضم الى عوض فيكون شفعا وهو الفرد فاختفى نفسه وهو الدليل وذكر خلقه وهو اليه السبيل فهذا فهم أولياء محبته وهذه علامة المحبة الخالصة التى لا شرك فيها السوا ولا دخل عليها من غيره سوا ولا يصلح أيضا ان يكشف عن وصف هؤلاء المحبين لان حالهم يجل عن الوصف ومقامهم يجاوز علوم العقل والوقت الا ان الله تعالى قد أحكم ذلك بقوله عز وجل وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وبقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام مع قوله ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وقوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان واحكم ذلك بقوله تعالى وهو وليهم بما كانوا يعملون وبقوله تعالى هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ففيه وصف لاهل الولايات والحب ومدح لاهل الدرجات والقرب بقوله بصير بما يعملون أى لذلك جعلهم درجات عنده ولقوله وليهم بما كانوا يعملون بما تولاهم به قربهم منه وفيه أيضا ذم المنافقين على القراءة الاخرى والله بصير بما تعملون فقد أبصر أعمالكم أنتم فلم يجعلكم مثلهم اذلم تكن أعمالكم كاعمالهم فهذا كما قال فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ثم قال فى وصف قلوبنا والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حكيما ثم قال فى فصل من القول ليس بهزل سوى بين هؤلاء وهؤلاء ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا ثم قال فى ضد أولئك كلاما فاصلا لفصل مفسر للمجمل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم بعد ان لا يجعل فيهم خيرا لتولوا وهم معرضون أى ليس لهم فيه شئ ولا لهم منه نصيب لانه لم يجعل عندهم مكانا للخير فيوجد فيه خيره فكان هذا فصل الخطاب وبلاغا لاولى الالباب شهد لهم بذلك اذ قال أفلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فايس المؤمنون من هداية هؤلاء فلم يرجوا منهم مجاهدة فيما أبدا الا ان الله تعالى لا يهدى من يضل وقيل ييأس لغة بمعنى يعلم أى فقد علموا انما أعلمهم الله تعالى ويشهد لهذا المعنى الحرف الآخر لانه بمعناه أفلم يتبين الذين آمنوا فبين لهم بما بين المبين فسلموا له وأقبلوا عليه وأعرضوا عنهم فسلموا منهم فكذلك قال الولى الحميد وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا وقال تشابهت قلوبهم فيتبعون ما تشابه منه فكم بين من ثبت قلبه فرسخ العلم فيه وبين من أزاغه فمال الى فتنة التأويل يبتغيه وشتان بين من تولاه بنفسه اذ صلح له وبين من ولاه نفسه اذا أعرض عنه فهذه مقامات المبعدين كما تلك مقامات المقربين فقد دخلوا تحت حكمين لم يخرجوا منهما أعلاهم دخل تحت فضله وأدناهم لم يخرج من عدله وقد أجمل سبحانه وصفهم بقوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله وقال فى ذكر العموم ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط فخص أولياءه بالفضل وعم خلقه بالعدل فكم من قلب لا يشهد الا الله ولا يسمع الا منه ولا يتأله الا اليه والله هو الاغلب على همه والاقرب الى قلبه وبين قلب حشوه الخلق وهمه الرزق لا ينظر الا اليهم ولا يطمع الا فيهم ولا ينظر الا هم الخالق أغلب شئ عليه والخلق أقرب شئ اليه فهذا من المبعدين بهم لان البعد صفتهم وظهور النفس عليه وتحكم سلطانها فيه مكان البعد الذى يوجد البعد معه والاول من المقربين به لان القرب صفته وخروجه من نفسه عنه وتصغيرها له مكان القرب الذى يوجد القرب عنده فذلك من السابقين الى ربه والمبعد منبسط بنفسه عن ربه وقد قال تعالى فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين فالبعد عذاب والمبعد فى عذاب والقرب نعيم والمقرب على مزيد ألم تسمع قوله تعالى فى تعذيب المحجوب كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم وقال فى ترويح المقربين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم روح بقريب وريحان من حبيب وجنة نعيم بقرب منعم وقال المروح بالقرب المحيا بالحضور

فروحى وريحانى اذا كنت حاضرا * وان غبت فالدنيا على محابس

---

ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال جماعة من المفسرين يقومون فى رشحهم الى انصاف آذانهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى ت عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل الكيل والميزان انكم قد وليتم أمرين هلكت فيهما الامم السالفة قبلكم ر فى الكواكب الدرارى للكرمانى قال الحافظ الطبرانى ان جريرا أمر مولاه ان يشترى له فرسا فاشترى له بثلثمائة وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس فرسك خير من ثلثمائة اتبيعه بأربعمائة قال ذلك اليك يا أبا عبد الله قال فرسك خير من ذلك ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك خير الى ان بلغ ثمانمائة فاشتراه بها فقيل له فى ذلك فقال انى بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان اذا قوم السلعة بصر المشترى عيوبها ثم خيره فقيل له اذا فعلت كذلك لم ينفذ لك الثمن فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم اخوانى مثل هذا هم السعداء وهم حقا ملوك الفقراء يتواضع لهم السلاطين والامراء

اذالم أنافس فى هواك ولم أغر * عليك فظمن ليت شعرى أنافس

وقال المكروب بالبعد المغصص بالفقد

فكيف يصنع من أقصاه مالكه * فليس ينفعه طب الاطباء

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قدغص بالماء

وشتان بين عبد منقطع اليه به يخدمه وآخر منقطع لخدمة الخلق يعبدهم وكم بين عبد منقطع عن الناس و بين عبد موصول به الوسواس وشتان بين عبد منقطع بالشوق الى المولى و بين عبد منقطع بالهوى معانق الدنيا فهذه مقامات المقربين بالحسنى واضدادها مقامات المبعدين بالسوء فاذا كان العبد على وصف من الحقيقة وفى مقام من التقوى استحق الثناء من مولاه لحققه بالوصف ونال القرب من القريب لتبعده عن حظوظ النفس وفى حسن الثناء من العظيم الاعظم غاية الطالبين ونهاية رغبة الراغبين ولا يكون ذلك الا لاوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين وهم أهل القلوب السليمة الطاهرة وذوو الجوارح الخاشعة الذاكرة وأولوا الالباب الراجحة الفاخرة وهم ثلاث طبقات من مقربى أصحاب اليمين أهل العلم بالله تعالى وأهل الخشية تعالى وأهل الخوف من الله تعالى فهو لا خصوص أوليائه المقربين استحضرهم فحضروا واستحفظهم العلم فحفظوا واستشهدهم عليه فشهدوا وافهم الادلة منه عليه وهو دليلهم اليه وهم جامعوا العبادة وهو جامعهم عنده لديه ابدال الانبياء والربانيون من العلماء أئمة المتقين وأركان الدين أولوا القوة والتمكين الذين كشف لهم الكتاب المستبين وهداهم اليه الطريق المستقيم عليه وهم المنار والى قلوبهم كفاحا والمقصودون بالمزيد والتحف مساء وصباحا ومن سواهم من عموم المؤمنين من القراء والعباد وأهل المجاهدة والزهد والاوراد قد أعطاهم الولايات وفرقهم فى الاعمال والسياحات وأظهر لهم الآيات تسكينا لقلوبهم بها وطمأنينة منهم اليها لئلا تدخل عليهم الشبهات فيهلكوا ولا تجذبهم الشهوات فيرجعوا فشغلوا بالاظهار عن الظاهر وحجبوا بالظواهر عن الباطن واغتبطوا بالحجاب وسكنوا الى الاسباب وعكفوا على المقامات واستتروا بالملكوت والآيات فهم مغبوطو الاموات من أهل الدنيا وهم مرحومو الاحياء من أهل العلى الاعلى لان قربهم بعد عند المقربين وكشفهم حجب عند المشاهدين وعطاهم رد عند المواجهين الا ان الله تعالى نظر اليهم لما نظروا لنفوسهم حكمة ورحمة منه لهم فسكنهم فى حالهم ورضاهم بمقامهم كيلا تتشتت قلوبهم ولا تتحير عقولهم والسابقون الاولون هم اولو جهة العليا والمتمسكون بالعروة الوثقى نظروا اليه سبحانه وتعالى به فنظر اليهم منه فهم كما وصفهم ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله لا يرجعون الى حال ولا ينظرون الى حال يحبهم ويحبونه رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه فهم كما وصفوا فى الكتب السالفة قال الحواريون يا روح الله صف لنا أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال هم الذين نطق بهم الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فاماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم فصار دركهم منها فوا تا وفرحهم بها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما أشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها ولو خربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت فى صدورهم فلم يحيوها فهدموها فبنوا بها آخرتهم أحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم خبر عجيب وعندهم أعجب الخبر العجيب وقال عز وجل فى وصفهم ومن أحسن من الله حديثا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط وفيها معنى أغرب يعنى الجمع للشهداء وكأنه جعل وسطا لما تقدم من ذكرهم فى قوله تعالى الصابرين والصادقين الى قوله والمستغفرين بالاسحار شهد الله انه لا اله الا هو وقال كفى

بالله

وأنتم لا تنزجرون بالوعظ عن المعاصى والاباطل ولا تقتدون بالسادة الافاضل يا غافلا والموت يقفو أثره كيف بك اذا شاهدت السماء مظطرة وحافظك قد أحصى ما عملته من خير وشر وأحضره وقد تركت عليك الحجة وتعذرت المعذرة فهنالك يجد الانسان من الاحسان والعصيان ما أحضر فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وينشد شعر

ولو انا اذا متنا تركنا
لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا
ونسئل بعده عن كل شى

وفوقا حائرين بعشر خمس
من الف العام تدنو شمس كى
ونصلى حرنارا سعينا
والا نحظ بالعيش الرخى

اللهم أصلحنا وأصلح فساد قلوبنا وأصلح فساد أعمالنا وأصلح فساد أقوالنا وأصلح فساد ولاة أمورنا وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين

(فصل) فى الظلم قال الله سبحانه وتعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع م عن أبى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قال رجل وان كان شيأ يسيرا يا رسول الله قال وان كان قضيبا من أراك (١) عن النبي صلى الله

بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فهذا وصف يزيد على كل وصف ويستغرق نعت الواصفين ويجمع هذه المقامات السبع من المراقبة والمشاهدة حالان عن مقامين مدار المقامات كلها عليهما ومستخرج المزيد من الكرامات منهما فأحدهما الخوف عن مقام العلم والحال الثاني الرجاء عن مقام العمل فمن كان مقامه العلم بالله كانت حاله الخوف منه ومن كان مقامه الرجاء لله تعالى كانت حاله المعاملة له ألم تسمع الى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا

*(الفصل الثلاثون)* فيه كتاب ذكر تفصيل الخواطر لأهل القلوب وصفة القلب وتمثيله بالانوار والجواهر قال الله سبحانه وتعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها أى ألقى فيها وقذف فيها وقال عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وقال فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله وقال تعالى من شر الوسواس الخناس الآية وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه وقال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وقال سبحانه مخبرا عن العدو لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم الى آخر الآية وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر فتذر أرضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك فمات كان حقا على الله تعالى ان يدخله الجنة وقد أخبر الله تعالى عنه انه قال ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم الى آخر الآية وروينا ان عثمان بن أبي العاص قال يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك الشيطان يقال له خنزب اذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله تعالى عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه وقد روينا ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم والحديث المشهور ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا الا ان الله تعالى أعانني عليه فأسلم وقال ابن مسعود رضي الله عنه وقد روينا من طريق مسند في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وروينا عن الحسن رحمه الله انه قال انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من عدوه فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله أمضاه وما كان من عدوه جاهده وقال مجاهد في قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه وقال عكرمة الوسواس محله في الرجل في فؤاده وعينيه ومحله في المرأة في عينيها اذا أقبلت وفي عجيزتها اذا أدبرت وقال جرير بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل النقب الذي تمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه وقد روى أبو صالح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة فان هو نزع واستغفر وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي ذكره الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروينا عن جعفر بن برقان قال سمعت ميمون بن مهران يقول ان العبد اذا أذنب ذنبا نكت في قلبه بذلك نكتة سوداء فان تاب محيت من قلبه فترى قلب المؤمن مجلوا مثل المرآة ما يأتيه الشيطان من ناحية الا أبصره وأما الذي يتتابع في الذنوب كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء فلا يزال ينكت في قلبه حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من حيث يأتيه وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر في تقسيمه القلوب وروينا عن أبي سعيد

عليه وسلم انه قال أيما رجل ظلم شبرا من الارض كلفه الله عز وجل ان يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوقه الى يوم القيامة حتى يقضي بين الناس م عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار م قال صلى الله عليه وسلم من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة م عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا اني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة وفي مسند أحمد والحاكم عن عبد الله ابن جعفر ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطا لبعض الانصار فاذا فيه جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه

الخدري وأبي كبشة الانماري و بعضه أيضا عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القلوب أربعة قلب فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاى المدتين غلبت عليه حكم له بها وفى لفظ بعضهم غلبت عليه ذهبت به وقال الله تعالى ومن أحسن من الله قيلا ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون فاخبر ان جلاء القلوب الذكر به يبصر القلب وان باب الذكر التقوى به يذكر العبد فالتقوى باب الآخرة كما ان الهوى باب الدنيا وأمر الله تعالى بالذكر وأخبر انه مفتاح التقوى لانه سبب الاتقاء وهو الاجتناب والورع فقال تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وأخبر انه أظهر البيان للتقوى فى قوله كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون وقال تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك وقال تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقال ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففى التسوية والتعديل والازدواج والتقويم أدوات الظاهر واعراض الباطن وهى حواس الجسم والقلب فادوات الجسم هى الصفات الظاهرة واعراض القلب هى المعانى الباطنة قد عدلها الله تعالى بحكمته وسواها على مشيئته وقومها اتقانا بصنعته واحكاما بصنعه أولها النفس والروح وهما مكانان للقاء العدو والملك وهما شخصان ملقيان للفجور والتقوى ومنها غرضان متمكنان فى مكانين وهما العقل والهوى عن حكمين فى مشيئتنا كم وهما التوفيق والاغواء ومنها نوران ساطعان فى القلب عن تخصيص من رحمة راحم وهما العلم والايمان فهذه أدوات القلب وحواسه ومعانيه الغائبة وآلاته والقلب فى وسط هذه الادوات كالملك وهذه جنوده تؤدى اليه أو كالمرآة المجلوة وهذه الآلة حوله تظهر فيراها أو يقدح فيه فيجدها تفصيل ذلك على الايجاز ان جل الخواطر ستة هى حدود القلب وقوادحه من ورائها خزائن الغيب وملكوت القدرة وهى جنود الله تعالى عتيدة وسلطان منه مبين والقلب خزانة من خزائن الملكوت قد اودعه مقلبه من لطائف الرغبوت والرهبوت وشعشع فيه من أنوار العظمة والجبروت ما شاء لاهل الرفيق الاعلى وذوى الملكوت الادنى فاول التفصيل خاطر النفس وخاطر العدو وهذان لا يعدمهما عموم المؤمنين وهما مذمومان محكوم لهما بالسوء لا يردان الا بالهوى وضد العلم وخاطر الروح وخاطر الملك وهذان لا يعدمهما خصوص المؤمنين وهما محمودان لا يردان الا بحق ويعادل عليه العلم وخاطر العقل وهو متوسط بين هذه الاربعة يصلح للمذمومين فيكون حجة على العبد لمكان تمييز العقل وتقسيم المعقول لان العبد يدخل فى هواه بشهوة جعلت له واختيار لا يعسر عليه من حيث لا يعقل ولا اجبار ويصلح أيضا للمحمودين فيكون شاهدا للمؤمن يدا لخاطر الروح ويثاب العبد فى حسن النية وصدق المقصد وانما كان خاطر العقل تارة مع النفس والعدو وتارة مع الروح والملك حكمة من الله تعالى لصنعته واتقانا لصنعه ليدخل العبد فى الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود وتمييز فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائدا اليه وعليه اذ قد جعل سبحانه هذا الجسم مكانا لجريان أحكامه ومحلا لنفاذ مشيئته فى مبانى حكمته كذلك جعل العقل مطية للخير والشر يجرى معهما فى خزانة الجسم اذ كان مكانا التكليف وموضعا التصريف وسببا التعريف العائد من معانى ذلك على صورة العبد من لذة النعيم أو عذاب أليم فلم يكن العقل غائبا فيكون العبد عن العقل ذاهبا ولم تكن الشهوة عازبة فتكون النفس مفقودة اذ فى ذلك تضعيف لحجة الله تعالى عليه ووهن لبرهانه لان العقل شاهد الحجة والشهوة فى النفس مكان البلوى والنية فى القلب طريق الحجة وذلك أصل سبب وجود جزاء الامر والنهى فالعقل مطبوع على التمييز مجبول على التحسين والتقبيح والنفس مجبولة على الشهوة مطبوعة على الامر بالهوى وهذا نصيبهما من عطائه وهداه لهما الى رشاده واغوائه وحظهما من الكتاب وقسمهما من ولى

فسمع النبي صلى الله عليه وسلم سنامه فسكن وفى رواية فسمع ترفسه فسكن ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هو لى يا رسول الله فقال الا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها فانه يشكو الى انك تجيعه وتدئبه وروى البيهقى عن أبي سلمة عن أبي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال أبو هريرة كذب والذى نفسى بيده ان الحبارى لتموت هزالا من خطايا بنى آدم يعنى اذا كثرت الخطايا منع الله تعالى القطر عن أهل الارض وانما يصيب الطير من الحب والتمر على قدر القطر

(فصل) فى الدين قال الله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا تنق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وروى أحمد قال النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو ان رجلا قتل فى سبيل الله ثم عاش ثم قتل فى سبيل الله ثم عاش ثم قتل فى سبيل الله ثم عاش وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى دينه اه عن أبي موسى عن النبي صلى

الاسباب كما قال تعالى فى احكام ماذكرناه تكملة لما اشعرناه بما سبق فى علمه أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير والخاطر السادس هو خاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم يردان الىهم ويصدران عنه وهذا الخاطر مخصوص بخصوص لا يجده الا الموقنون وهم الشهداء والصديقون لا يرد الا بحق وان خفى ورده ودق ولا يقدح الا بعلم اختبار لمراد مختار وان لطفت أدلته وبطن وجه الاستدلال به ولكن ليس يخفى هذا الخاطر على مقصوده ومراده وهم الذين وصفهم الله تعالى بالذكرى ورد الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم الفتيا فقال سبحانه ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى من تولى الله حفظ قلبه وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ما حاك فى صدرك فدعه والاثم حواز القلوب يعنى ما يؤثر فيها لعزها ورقتها وصفائها ولينها ولطفها وقال للرجل الذى سأله عن البر والاثم وهما أصلا أعمال الخير والشر استفت قلبك وان أفتاك المفتون أى ان المتقين يعلمون معانى التأويل والرخص عن علمهم العلانية وأنت على علم فوقهم مطالب بالتحقيق والعزيمة عن علم السر وأهل الظاهر أيضا يعلمون حكم الله تعالى الظاهر عن علم اللسان الظاهر الذى هو حجة على أهل العلم الظاهر وقلبك فقيه منور بالايمان تنظر به أو ينطق به حكم الله تعالى الباطن عن علم القلب الباطن الذى هو حقيقة الايمان ومنفعته لأهل العلم الباطن ولا يصلح ان يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم سائلا الا الى فقيه فلولا ان علم القلب هو حقيقة الفقه ما رد صاحبه من فتيا أهل الظاهر اليه ولا حكم على المفتين به فقد صار علم القلب هو العلم الذى جعله الرسول صلى الله عليه وسلم قاضيا على المفتين بالحكم وصار عالم الباطن هو عالم العلماء اذ لم يسعه تقليد العلماء وفى الحديث الآخر البر ما اطمأن اليه القلب وسكنت اليه النفس وان أفتوك وأفتوك فهذا وصف قلب مكاشف بالذكر ونعت نفس ساكنة بمزيد السكينة والبركة ووصف من قلوب المؤمنين فى صريح الكلام وفى دليل الخطاب فاما صريحه فقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وأما دليل الكلام الذى يشهد بالتدبر فقوله تعالى فى وصف قلوب أعدائه المحجوبين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا ومثله أعنده علم الغيب فهو يرى فنفى تدبرمعناه ان أولياءه المقيمين له سامعون منه مكاشفون بذكره ناظرون الى غيبه وقال تعالى فى مثله مثل الفريقين كالاعمى والاصم هذا فريق المتبعين للسبل المتفرقة عن سواء السبيل بهم الضالين عن سواء الصراط والبصير والسميع هو فريق المهتدين المتبعين الصراط المستقيم وقال تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أو ألقى السمع وهو شهيد ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم وقال صلى الله عليه وسلم فى مجمل صفة القلب التقوى ههنا وأشار الى القلب وقال الله سبحانه وتعالى فى ذكر القلوب المقفلة بالذنوب لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وقال تعالى فى ضد طابعها بالتقوى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله وفى الخبر اذا أراد الله بعبد خيرا جعل الله له زاجرا من نفسه وواعظا من قلبه وفى الخبر الآخر من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وروينا فى تفسير قوله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان قال سمعناه من قلوبنا وقال فى ضده لاعدائه أولئك ينادون من مكان بعيد أى بعيد عن قلوبهم وقال الله تعالى فى التوبة من ميل القلوب وهمها ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وعمنا وهموا بما لم ينالوا فان يتوبوا يك خيرا لهم وقال فى تحقيق العمى للقلب فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور فأهل القلوب يتعظون بلا واعظ من خلق ويزدجرون بلا زاجر فى ظاهر وسائر ما ذكرناه من الخواطر لا تعدمه المؤمنون والقلب خزانة الله تعالى من خزائن الغيب وهذه المعانى جنود الله تعالى مقيم حول القلب يخفى منها ما يشاء ويظهر ويبدى منها ما يريد ويعيد ويبسط القلب بما يشاء منها ويقبضه فيما شاء عنها وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه خواطر

الله عليه وسلم قال ان أعظم الذنوب عند الله ان يلقاه بها عبد بعد الكبائر التى نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء وفى شعب الايمان للبيهقى والترغيب والترهيب للاصبهانى عن خولة بنت قيس امرأة حمزة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من مشى الى غريمه بحقه صلت عليه دواب الارض ونون الماء وغرس الله له بكل خطوة شجرة فى الجنة ولا غريم يلوى غريمه وهو قادر الا كتب الله عليه فى كل يوم اثما خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره خ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر رجلا من بنى اسرائيل سأل بعض بنى اسرائيل ان يسلفه ألف دينار فقال ائتنى بالشهداء أشهدهم فقال كفى بالله شهيدا قال فائتنى بالكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها اليه الى أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للاجل الذى أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فادخل فيها ألف دينار وصحيفة منه الى صاحبه ثم

اليقين ولكن يضعف الخاطر ويخفى لضعف المعانى ودقتها ويقوى اليقين ويظهر بقوتها الان هذه الثلاثة مكان اليقين أحدها الايمان وموضعه من اليقين مكان حجر النار والثانى العلم ومكانه موضع الزناد والثالث العقل وهو مكان الحراق فاذا اجتمعت هذه الاسباب قدح خاطر اليقين فى القلب ومثل القلب فى قوته بقوة مدده وفى صفائه بجودة عدده مثل المصباح فى القنديل الذى مكان العقل منه والزيت موضع العلم به وهو روح المصباح وبعدده يكون ظهور اليقين والفتيلة مكان الايمان منه وهى أصله وقوامه الذى يظهر بها فعلى قدر قوة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين وهو مثل الايمان فى قوته بالورع وكماله بالخوف وعلى مقدار صفاء الزيت ورقته واتساعه تضىء النار التى هو اليقين وهو مثل العلم فى مدد الزهد وفقد الهوى فصار العلم مكانا للتوحيد فتمكن الموحد فى التوحيد على قدر المكان وقد قال الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقال تعالى فاعلموا أنما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فقدم العلم على التوحيد فصار أوله فكلما اتسع القلب بالعلم بالله وزهد فى الدنيا ازداد ايمانا وعلا لانه يرتقى فى علوه الى ما وراءه فيراه ويعلم فى اتساعه ما لا يعلمه سواه فيكبر المؤمن به فيكون ذلك مزيد ايمانه وقوته ثم يشهد كل ما آمن به فيكون بذلك قوة نفسه وسعة مشاهدته وكلما قصر علم القلب بالله تعالى وبمعانى صفاته وأحكام ملكوته قل ايمان هذا العبد ثم أشهد ما آمن به من وراء حجاب لما غلب عليه من حب الاسباب وسمع الكلام من خلف ستر لعجزه عن المسارعة الى البر فيضعف بذلك ايمانه ويتخيل مشاهدته ولا يتحقق فليس من علم من صفات الله سبحانه وتعالى وقدرة آياته مائة ألف معنى ثم شهدها كلها من قرب عن كشف مثل من علم منها عشرة معان ثم شهدها من بعد عن حجاب وهما مؤمنان معا لكن بين ايمانهما فى القرب والعلو والزيادة والنقصان كما بين العشرة الى مائة ألف فيكون ايمان قلب المسلم معشار معشار عشر ايمان قلب الموقن والمعشار هو عشر العشر جزء من مائة جزء ويكون ايمان قلب المؤمن فيما بين ذلك من الزيادة على العشر والنقصان من مائة ألف على قدر قسمه ومثل ذلك فيما نعقله مثل رجل قال لك ان عندى فلانا فقد حصل لك علم انه عنده غير ان هذا العلم خبر يقين لانه يجوز ان يكون قد اشتبه عليه أو يكون قد كان عنده ثم خرج وليس هو الآن عنده وهذا مثل ايمان المسلم هو على علم خبر لا خبر ثم انك تأتى الى ثقة فتسمع كلاما من وراء حجاب فقد علمت الآن انه عندى لانك سمعت كلامه واستدللت به على كونه الا ان هذا العلم أيضا غير تحقيق لان الاصوات تشتبه والاجرام تتقارب ولو قلت لك بعد ذلك لم يكن عندى وانما كان ذلك غيره أشبه صوته تشككت فيه لاحتمال ذلك ولم يكن عندك يقين عين تدفع به قولى ولا شهادة نظر تنكر بها على وهذا مثل لايمان عموم المؤمنين فهو ايمان خبر لعمرى وفيه يقين استدلال ممتزج بظن الا انه غير مشاهدة العارفين لانه قد يدخل عليهم التخييل والتشبيه فلا يدفعونه بشهادة يقين ثم انك تدخل الى الآن بعد ان قيل لك هو عندى أو بعد ان سمعت كلامه فتشهده جالسا لا حجاب بينك وبينه فهذا هو يقين المعرفة وهذه شهادة الموقن وعندها انتفى كل شك وتحقق خبر العلم وهذا مثل لعلم ايمان الموقنين الذى قد اندرج فيه ايمان عموم المؤمنين من علم الخبر المحتمل ومن سماع الكلام المشتبه من وراء حجاب واسم الايمان واقع على جميعهم ولكن الاول علم انه عندى بما قيل له فصدق والثانى علم بما سمع فاستدل ولم يشهد فيقطع والثالث هو الذى عاين فقطع وقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالمزيد فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة وقال وليس المخبر كالمعاين ومثل هذا أيضا انك ترى الشىء بالنهار فتعرفه معرفة عين وتعرف مكانه بنظر لا تغلطه ثم انك تحتاج اليه ليلا فلست تعرف مكانه رأى عين وانما تقصده بمعرفة استدلال عليه وبحسن ظن انه موجود على حاله أو يعرف بشىء معهود انه لا يتحول وكذلك الادلة هى الغائبات وهو قوطها مع المشاهدات وبمنها رؤية الشىء بنور القمر فانه يشبح ويلوح المشكلات ورؤيته فى ضياء الشمس فانها تكشف الامر على ما هو به فهذا مثل نور اليقين الى نور الايمان ومثل رابع فى تفاوت المؤمنين فى حقيقة الكمال ودخولهم فى الاسم والمعنى مثل صلاة رباعية أقيمت بجماعة



فى موضعها ثم أتى بها الى البحر فقال اللهم انك تعلم انى كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك وسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضى بك وانى جهدت ان أجد مركبا أبعث اليه الذى له فلم أقدر وانى استودعكها فرمى فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج الى بلده فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاءه بماله فاذا بالخشبة التى فيها المال فاخذها لاهله حطبا فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذى كان أسلفه فاتى بالف دينار فقال والله ما زلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه قال هل كنت بعثت الى بشىء قال أخبرتك انى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه قال فان الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة فانصرف بالالف الدينار راشدا خ م عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله ان يتجاوز عنا قال فلقى الله فتجاوز عنه وفى الزهر الفائح وغيره قيل مر عيسى صلوات الله عليه بمقبرة فنادى رجلا فاحياه

رجل فادرك تكبيرة الاحرام ثم جاء آخر فادرك الركوع ثم جاء آخر فادرك الركعة الثانية ثم جاء ثالث فادرك الركعة الثالثة ثم جاء رجل رابع فادرك الركعة الآخرة فكلهم قد صلوا وأدركوا الصلاة في جماعة ونال فضلها لقوله صلى الله عليه وسلم من أدرك من الصلاة ركعة فقد أدرك الصلاة ولكن ليس من أدرك الركعة الاولى في كمال الصلاة وادراك حقيقتها كمن أدرك الثالثة والرابعة ولا يكون أيضا من أدرك التكبيرة للاحرام في الفضل كمن لم يدرك شيأ من القيام وهما مدركان معا فكذلك المؤمنون في كمال الايمان وحقائقه لا يستوون وان استووا في الاسم والمعنى وكذلك في تفاوتهم في الآخرة فقد جاء في الخبر انه يقال أخرجوا من في قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة من ايمان فقد جعلوا متفاوتين في الايمان ما بين الذرة الى المثقال وكلهم قد دخل النار الا انهم على مقامات فيها وفيه دليل ان من كان في قلبه وزن دينار من ايمان لم يمنعه ذلك من دخول النار لعظم ما اقترف من الاوزار وان من كان في قلبه وزن ذرة من ايمان لم يحق عليه الخلود في دار الهوان لتعلقه بيسير الايقان وان من زاد ايمانه على وزن دينار لم يكن للنار عليه سلطان فكان من الابرار وان من نقص ايمانه عن ذرة لم يخرج من النار وان كانت سيماه واسمه في الظاهر في المؤمنين لانه في علم الله من المنافقين الفجار وقد قال الله تعالى في وصفهم وان الفجار لفي جحيم ثم قال وما هم عنها بغائبين ثم صار صاحب المثقال والذرة في الجنة على تفاوت درجات وكان الزائد ايمانه على مثقال في أعلى عليين على هؤلاء وترفع أهل الدرجات العلى على أهل عليين ارتفاع الكوكب الذي في أفق السماء وكلهم قد اجتمع في الجنة على تفاوت مقامات وتعالى درجات ورويناعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرا من ألف مثله الا الانسان فلعمري ان قلب المؤمن خير من ألف قلب مسلم لان ايمانه فوق مائة ايمان مؤمن وعلمه بالله تعالى أضعاف علم مائة مسلم ويقال ان واحدا من الابدال الثلاثمائة قيمته قيمة ثلاثمائة مؤمن وكان أبو محمد يقول يعطي الله تعالى بعض المؤمنين من الايمان بوزن جبل أحد ويعطي بعضهم مثل ذرة وقد قال الله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين بالعلو ولا نهاية لعلو الايمان فصار علو كل قلب على قدر ايمانه ولذلك رفع العلماء على المؤمنين درجات في قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ففسرها ابن عباس رضي الله عنه فقال الذين أوتوا العلم فوق المؤمنين بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وفي الخبر أكثر أهل الجنة البله وعليون لاولي الالباب وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وروينا في لفظ أبلغ من هذا كفضلي على أمتي فالموقنون من المؤمنين أعلى ايمانا والعالمون من الموقنين أرفع مقاما ثم على قدر بياض الماء يستبين من القنديل حسنه وصفاؤه ومثل هذا العقل في صحته من الاعتلال وصفائه من كدر الاحوال والاموال ويجمع ذلك كله القنديل وهو القلب فعلى قدر رقة القلب ولطف جوهره وصفائه من كدره وحسن طهارته عن الآثار تكون هذه العلوم فيه والانوار وجوهر الزجاجة في الصفاء محتاج الى صفاء الماء كما ان صفاء الماء محتاج الى صفاء الجوهر وبعيارهما يكون القلب والعقل ووقود النور محتاج الى قوة الفتيلة ومدد الزيت فبموضعها في القوة والمدد يكون العلم بالله تعالى واليقين ذلك تقدير العزيز العليم وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم يفارقه خواطر الهوى الجهل والطمع وحب الدنيا ثم يضعف خاطر الهوى ويقوى على قدر تمكن هذه الثلاثة من النفس وحقائقها على مثل ما ذكرناه من تمكن خواطر اليقين وضعفها لوجود مكانها وهو العلم والايمان والعقل وفي القلب يظهر سلطان ذلك أجمع فاي جند كانت المشيئة معه غلب وروينا عن علي عليه السلام ان لله في أرضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الاخوان فمثل القلوب مثل الاواني في تقارب جوهرها فارقها وأصفاها وأعلاها يصلح للملك والوجوه الطيبة كثيفها وأرداها يصلح للادناس وما بين ذلك يصلح لما بينهما ومثلهما أيضا مثل الموازين الطيار اللطيف والعيار

لله فقال له عيسى ما كنت تعمل في دار الدنيا فقال كنت حمالا أحمل على رأسي واتقوت بحملي فحملت ذات يوم لانسان حطبا فكسرت منه خلالا فتخللت به فلما مت أوقفني بين يديه وقال ياعبدي أما علمت ان موقفك بين يدي فلان اشترى الحطب بماله وأعطاك الكراء لتؤديه الى منزله فاخذت منه شظية لا تملكها استهونت بامري فسألتك بالله يا روح الله الا ما شفعت لي عند الله فاني في الحساب منذ أربعين سنة اخواني تفكروا في عواقب الذنوب كيف يفنى اللذات ويبقى العيوب بالله عليكم احذروا طلب المعاصي فبئس المطلوب يا ابن آدم أخرج أبوك من الجنة بلقمة وانت تطمع في دخولها بذنوب جمة أتظن ان الامر يسير أم تحسب ان الناقد غير بصير وكانى بك وقد نقلت من القصور الى القبور ومن الحبور الى الثبور

شعر

مثل وقوفك يوم الحشر عريانا
مستعطفا قلق الاحشاء حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن حنق
على العصاة وتلقى الرب غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل
انظر اليه ترى هل كان ما كانا
لما قرأت كتابا لا يغادرني
حرفا وما كان في سر واعلانا
قال الجليل خذوه يا ملائكتي

يصلح لوزن الذهب بالفضة والمعيار والكثيف الجافي يصلح للقت والانعام ومابينهما يصلح لما بين ذلك
فيوزن بكل ميزان مايصلح له من كل شئ موزون كما يحصل في كل اناء ما يليق به من كل شئ من ذول أو مصوت
كذلك الحكم والحكمة في الملكوت الباطن كالحكمة والحكم في الملكوت الظاهر بتعديل الظاهر
الباطن وفي تفسير قوله عز وجل مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة فسره أبي بن كعب قال مثل
نور المؤمن وكذلك كان يقرأه قال فقلب المؤمن هو المشكاة فيها مصباح فكلامه نور وعمله نور ويتقلب في
نور ثم قال في قوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي قال قلب المنافق فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ويتقلب في ظلمة
وكان زيد بن أسلم يقول في قوله تعالى في لوح محفوظ قال القلب المؤمن وقال أبو محمد سهل مثل القلب
والصدر مثل العرش والكرسي وروينا في حديث ابن عمر قال قيل يارسول الله أين الله في الارض قال في
قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر المأثور عن الله تعالى لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن
وفي بعضها اللين الوادع فاللين يعني السهل الرقيق القريب والوادع يعني الساكن المطمئن وفي الخبر ما ألبس
العبد لبسة أحسن من خشوع في سكينة فهذه لبسة المتقين وصبغة الله تعالى العارفين وفي الحديث قيل
يارسول الله من خير الناس قال كل مؤمن مخموم القلب ثم فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو التقي
النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد وقال بعض العارفين في معنى قوله تعالى الا من أتى الله بقلب
سليم أي مما سوى الله ليس فيه غير الله وفي قول أهل التفسير سليم من الشرك والنفاق وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل وهذا لا يعدمه المؤمنون الا الصديقين وقال أكثر
منافقي أمتي قراؤها وهذا لا يعدمه العابدون الا العارفين ومن خواطر اليقين ما يرد بشئ لا تظهر دلائله في
الظاهر لخفائه وغموض شواهده فليس يعلم الا بباطن العلم وغامض الفهم والغوص على لطائف معاني
التبيين وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم التأويل كما قال الحبيب الخليل رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وكما قال علي بن أبي طالب ما عندنا شئ أسره الينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله تعالى الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه وكما جاء في تفسير قوله
تعالى يؤتي الحكمة من يشاء قال الفهم في كتاب الله وقال أصدق القائلين ففهمناها سليمان نقصه بفهم
منه زاده به فوق الحكم والعلم الذي شرك فيه أباه فزاده على قتيا أبيه وروينا عن علي عليه السلام في
الحديث الطويل الذي يقول فيه واليقين على أربع شعب على تبصرة الفطنة وتأويل الحكمة وموعظة
العبرة وسنة الاولين فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة
كان في الاولين الا ان أهل اليقين المرادين به العارفين باحكام الله تعالى الباطنة يعلمون تفصيل خواطر
اليقين ومقتضاها من حيث أشهدوا مطلعها من الغيب وبحيث عرفوا موجبها من الوصف بنور الله الثاقب
وقربه الحاضر وسلطانه النافذ كما جاء في الخبر اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى أي باليقين وفي
لفظ آخر اتقوا فراسة العالم فكأنه مفسر له ومنه قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله قد بينا
الآيات لقوم يوقنون أي بنور اليقين وكان أبو الدرداء يقول المؤمن ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق والله
انه الحق يقذفه الله تعالى في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض العلماء ظن المؤمن كهانة أي كأنه
سحر من نفاذه وصحة وقوعه وقال بعض العلماء يد الله تعالى على أفواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله عز
وجل لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله يطلع الخاشعين على بعض سره وكتب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الى أمراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المتطيعين فانهم يتجلى لهم أمور صادقة وقال الله تعالى
ومن أصدق من الله قيلا يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا تفرقون به بين الشبهات
ويقينا تفرقون به المشكلات ومن هذا قوله سبحانه وتعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل مخرجا من
كل أمر ضاق على الناس ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما بغير تعليم ويفطنه بغير تجربة أي

بالشاهد

هربوا بعبدي الى النيران
عطشانا
يارب لا تخزنا يوم الحساب ولا
تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا

*(فصل في النشوز والعشرة)* قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ت عن عمرو بن الاحوص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ان حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال الا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيأ غير ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن خ م قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها خ م عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه

بالشاهد الصحيح والحق الصريح ومثاله قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قيل الذين يعملون بما يعلمون قال لنوفقنهم ونهدينهم الى ما لا يعلمون حتى يكونوا علماء حكماء وقال بعض السلف نزلت هذه الآية في المتعبدين المنقطعين الى الله سبحانه وتعالى المستوحشين من الناس فيسوق الله تعالى اليهم من يعلمهم أو يلهمهم التوفيق والعصمة وفي الخبر من عمل بما يعلم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار فمعنى أورثه علم ما لم يعلم أي من علوم المعارف التي هي مواريث أعمال التقوى بمثل الفرق بين الاختبار والاختيار والابتلاء والاجتباء والمثوبة والعقوبة ومعرفة النقص من المزيد والقبض والبسط والحل والعقد والجمع والتفرقة الى غير ذلك من علوم العارفين بعد حسن التفقه والادب من مشاهدة الرقيب والقرب لصفة المواجيد والقلوب وقال بعض التابعين من عمل بعشر ما يعلم علمه الله تعالى ما يجهل وقد قال حذيفة أنتم اليوم في زمان من ترك عشر ما يعلم هلك وسيأتي بعد كم زمان من عمل بعشر ما يعلم نجا وقال بعضهم كلما ازداد العبد عبادة واجتهادا ازداد القلب قوة ونشاطا وكلما امل العبد وفتر ازداد القلب ضعفا ووهنا وليس يكاد علم اليقين يقدح في معدن العقل لان علوم العقل مخلوقات ولا يكاد ينقيه الفكر ولا يخرجه التدبر فانما أنتجته الافكار واستخرجته الفطر من الخواطر والعلوم فتلك علوم العقل وهي كشوف المؤمنين ومحمودات لاهل الدين فاما خاطر اليقين فانه يظهر من عين اليقين يشاهد به العبد مشاهدا لم يعتقد سفلها لانه مخصوص به مراد مقصود به محبوب متولى به مطلوب لا يجده الا عارف أو خائف أو محب ومن سوى هؤلاء فصاحب محجوب بعاداته مطلوب والى مقامه ناظر وفي طريقه بعقوله سائر فاما العارفون المواجهون بعين اليقين المكاشفون بعلم الصديقين فانهم مسيرون محمولون سابقون مستهترون قد وضعت الاذكار عنهم الاوزار كما جاء في الخبر سيروا سبق المفردون بالفتح والمفردون أيضا بالكسر فهم مفردون لله تعالى بما أفردهم الله تعالى كما قال لجل ذكره حافظات للغيب بما حفظ الله قيل ومن المفردون قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فلما أفردهم الله تعالى عمن سواهم له أفردوه عما سواه فذكرهم فاستولى عليهم ذكره واصطلم قلوبهم نوره تعالى فاندرج ذكرهم في ذكره فكان هو الذاكر لهم وكانوا هم المكان لما ارى قدرته عز وجل فلا يوزن مقدار هذا الذكر ولا يكتب كيفية هذا البر فلو وضعت السموات والارض في كفة لرجح ذكره تعالى لهم بهما وهم الذين قال لهم فيرى من واجهته بوجهي لعلم احد أي شيء اريد أن أعطيه لو كانت السموات والارض في موازينهم لاستقللتها لهم أول ما أعطيهم ان أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم وهذا هو ظاهر أوصافهم وأول عطاياهم فطلب هؤلاء لا يعرف ونصيبهم لا يكيف ومطلوبهم كتمقدره لا يوصف عطاؤهم غير مخلوق ومشاهدتهم وصف التحقيق بعين اليقين الى حق اليقين فاول نصيبهم من مطلوبهم علم اليقين وهو صفاء المعرفة بالله تعالى وآخر علم الايمان أول عين اليقين وهو مشاهدة وصف معروف وهذه وجهة التوحيد ولا آخر لاول علم اليقين ولا انقطاع لآخر نصيبهم من مشاهدتهم فظاهر التوحيد توحيد الله تعالى في كل شيء وتوحيده بكل شيء ومشاهدة ايجاده قبل كل شيء ولا نهاية لعلم التوحيد ولا غاية لمزيد عطاء الموحدين ولكن لهم نهايات يوقفون عندها وغايات يصدرون عنها تجعل أماكن لمزيدهم ويزدادون في وسعها ويعدون بعلوم يطلبون بها ما يكاشفون به لما وراءها أبد الابد بلا آخر ولا أمد ولا يصل العبد الى مشاهدة علم التوحيد الا بعلم المعرفة وهو نور اليقين ولا يعطى نور اليقين حتى تمحص الجوارح بالاعمال الصالحات كما يمحص الزق باللبن حتى تظهر الزبدة وهي علم اليقين وليست هذه الزبدة غاية الطالبين ولا بغية الصديقين لان وراءها صفوها ونار الصهائر تذاب بها هذه الزبدة حتى يخلص سمنها وهو صفوها ونهايتها وهذا مثل لعين اليقين بعد علمه بعد مشاهدة الوجه برآة القرب وهي نور مقتبس لا يفارقه وجده وحضوره

وصلى يا معشر النساء تصدقن فاني أريتكن أكثر أهل النار فقلن بم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح لبشر ان يسجد لبشر لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو كان من قدمه الى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته تلحسه ما أدت حقه وروى البيهقي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا تصعد لهم حسنة العبد الآبق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده في أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها والسكران حتى يصحو وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة وروى أبو نعيم والطبراني انه جاء رجل فقال يا رسول الله انه كان لي حائط فيه عيشي وعيش عيالي ولي فيه ناضحان فحلان قد منعاني انفسهما وحائطي وما فيه فلا يقدر أحد أن يدنو منهما فنهض نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الحائط فقال لصاحبه افتح فقال أمرهما

فيرفع العبد من خواطر اليقين الى مشاهدة الصفات بعد ذوب علم الخواطر يقيموهو نور شعاع وجه الذات وهذا مقام الاحسان وان الله لمع المحسنين بعد مجاهدتهم النفوس فيه وبيعهم الاموال منه فاحسن اليهم باشترائها منهم وكان معهم كما قال سيهديهم ويصلح بالهم فانما كانوا محسنين لان المحسن معهم كما كانوا أعلين اذ الاعلى معهم فقد قال وأنتم الاعلون والله معكم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه و ينتقل العبد من أعمال الجوارح وهى المجاهدة التى طرح عليه ثقلها فحملها تعمل فيما حمل وخفف له ما استحفظ الى علم اليقين وهو الورع والرضا وهذا هو هداية السبيل وأول هذا كله ان ينتقل العبد بعد التوبة النصوح فى أحوال المريدين وأعمال المجاهدين للنفس والعدو ثم ينتقل الى خواطر اليقين فهذا ميراث المجاهدين كما قال والذين جاهدوا فينا يعنى نفوسهم وأموالهم وجاهدوا عدوهم اذ يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فصابروهم فغلبوه فباعوا النفوس والاموال فاعتقوا من رق الهوى ونجوا من أهوال الحساب لنهدينهم سبلنا أى لنطرقنهم الى مكاشفات العلوم ولنسمعنهم غرائب الفهوم ولنوصلنهم الى أقرب الطرق الينا بحسن مجاهدتهم فينا ثم ختم الامر بقوله تعالى وان الله لمع المحسنين هذا مقام مشاهدة الصفات فكان المجاهد فيه معهم أولا بالتوفيق فيه صبروا له بالتأييد وكان المحسن معهم آخر اليوم فيه أحسنوا الى نفوسهم غدا وروينا عن الحسن البصرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم علمان فعلم باطن فى القلب فذاك هو النافع وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ماهذا الشرح قال هو التوسعة يعنى ان النور اذا قذف فى القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال بعض العارفين لى قلب اذا عصيته عصيت الله تعالى يعنى انه لا يقذف فيه الا طاعة ولا يقر فيه الا حق فقد صار رسوله اليه فاذا عصاه فقد عصا المرسل بمعنى الخبر الايمان ماوقر فى القلب وصدقه العمل و بقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن ينظر بنور الله فمن نظر بنور الله كان على بصيرة من الله تعالى وكان عمله بنوره طاعة لله تعالى وقال بعض العارفين منذ عشرين سنة ما سكن قلبى الى نفسى ساعة وما سا كنته طرفة عين وسئل بعض العلماء عن علم الباطن أى شئ هو فقال سر من سر الله تعالى يقذفه فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد روينا فيه خبرا مسندا أحببنا أن نسنده وقد جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال علمنى من غرائب العلم فقال هل عرفت الرب فخبر ان غرائب العلوم فى المعرفة وقد أمره صلى الله عليه وسلم بأصل العلوم الذى فيه غرائب الفهوم فقال اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه يعنى تدبر معانيه واستنباط بواطنه اذ بكلامه عرفه أولياؤه وقد قيل تكلموا تعرفوا فمن عرف معانى الكلام ووجوه الخطاب عرف به معانى الصفات وغرائب علوم أسماء الذات وقال ابن مسعود من أراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وقال بعض أهل المعرفة فى فهم هذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان قال العدل تدبر القرآن وفهمه والاحسان مشاهدة الفهم وفى تأويل قوله عليه الصلاة والسلام فى صفة العدل شاهد لقوله هذا فى حديثه الذى وصف فيه شعب الايمان فقال الايمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد ثم قال والعدل على أربع شعب غائص الفهم وزهرة العلم وروضة الحلم وشرائع الحكم فمن فهم فسر جمل العلم ومن علم عرف شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط فى أمره وعاش فى الناس حميدا وقال بعض المكاشفين ظهر لى الملك فسألنى أن أملى عليه شيأ من ذكرى الخفى من مشاهدتى من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعد لك بعمل نتقرب به الى الله تعالى فقلت أليس يكتبان الفرائض قال بلى قلت فيكفيهما ذلك وقال بعض العارفين قال سألت بعض الابدال عن مسئلة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله وقال ما تقول يرحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول يرحمك الله ثم أطرق الى صدره وقال ما تقول يرحمك الله ثم أجابنى بأغرب جواب ما سمعته قط وأعلاه فقلت رأيتك التفت عن شمالك ويمينك ثم أقبلت على صدرك فماذا فقال سألتنى عن مسئلة لم يكن عندى فيها علم عتيد

فالتفت

مظلم فقال افتح فلما حرك الباب اقبلا لهما جلبة فلما انفرج الباب ونظرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سجدا ماأخذ النبى صلى الله عليه وسلم برؤسهما ثم دفعهما لصاحبهما فقال استعملهما وأحسن علفهما فقال القوم يسجد لك البهائم أفلا تأذن لنا فى السجود لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السجود ليس الا للحى الذى لا يموت ولو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها وروى أبو نعيم عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المرأة اذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت وروى انه كان ببغداد رجل له ثروة فبيناهو فى حانوته اذ أقبلت صبية فطلبت منه شيأ تشتريه ثم كشفت عن وجهها فبهر اليها فتحير من حسنها ثم قالت والله ما جئت لبيعة وانما أردت أن أتزوج بغير وقد وقعت من قلبى فهل لك فى ذلك فقال انلى ابنة عم وهى زوجتى وقد عاهدتها ان لا أغيرها ولى منها ولد فقالت رضيت ان تجىء الى فى الاسبوع نوبتين فرضى وقام معها وعقد العقد ومضى الى منزلها فدخل بها ثم جاء الى منزله ثم قال

فالتفت الى صاحب الشمال فسألته عنها وظننت ان عنده منها علما فقال لا أدرى فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدرى فنظرت الى قلبي فسألته فحدثني بما أجبتك واذا هو أعلم منهما وقد كان أبو يزيد وغيره يقولون ليس العالم الذي يحفظ من كتاب الله فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذي يأخذ علمه من ربه عز وجل أي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس فهذا العمري لا ينسى علمه وهو ذاكر أبدا لا يحتاج الى كتاب وهو العالم الرباني وهذا هو وصف قلوب الابدال من الموقنين ليسوا واقفين مع حفظ انما هم قائمون بحافظ وقد روينا في الخبر ان من أمتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين وهذا كان طريق السلف من الصحابة وخيار التابعين اذا سئلوا وفقوا وألهموا الصواب لقربهم من حسن التوفيق وسلوكهم حقيقة محجة الطريق فخاطر اليقين اذا ورد على قلب مؤمن اضطرته مشاهدته الى القيام به وان خفي على غيره وحكم عليه بيانه وبرهانه بصحة دليله وان التبس على من سواه وقد قال الله تعالى في تخصيص الموقنين قد بينا الآيات لقوم يوقنون هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقال في نعت المتقين وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال في فضل العلماء بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وقال قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون فحقيقة العلم انما هو من التقوى واليقين وهذا هو علم المعرفة المخصوص به المقربون ووهب لهم الآيات وخصهم بالبيان والدلالات بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فهذه الخواطر تبدو في القلوب عن هذه الاواسط التي هي خزائن الله تعالى من خزائن الارض ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون والفقه صفة القلب لا لسان العرب تقول فقهت بمعنى فهمت وابن عباس يفسر قول الله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها يقول لا يفهمون بها ويجعل الفقه الفهم فخاطر اليقين والروح والملك من خزائن الله وخاطر العقل والنفس والعدو من خزائن الارض كما قيل النفس ترابية تعلقت من الارض فهي تميل الى التراب والروح روحاني خلق من الملكوت فهي ترتاح الى العلو والقلب خزانة من خزائن الملكوت مثله كالمرآة تقدح هذه الخواطر عن أوساطها من خزائن الغيب فترد في القلب فيتلألأ فيه التأثير فمنها ما يقع في سمع القلب فيكون فهما ومنها ما يقع في بصر القلب فيكون نظرا وهو المشاهدة ومنها ما يقع في لسان القلب فيكون كلاما وهو الذوق ومنها ما يقع في شم القلب فيكون علما وهو الفكر وهو العقل المكتسب بتلقيح العقل الغريزي وهذا أقلها لبثا وأيسرها عناء وما وقع في ناظر القلب وحسه نفرق شغافه ووصل الى سويدائه وهو المباشرة كان وجدا وهذا هو الحال عن مقام مشاهدة ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم اسألك ايمانا يباشر قلبي وقال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان الى باطن القلب أبغض العبد الدنيا وهجر هواه وقد قال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله للقلب تجويفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وكان يسمي هذا قلب القلب والتجويف الآخر ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين وهو صقال الموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين فاذا كانت هذه الخواطر عن أواسط الهداية وهي الملك والروح كانت تقوى وهدى ورشدا وكانت من خزائن الخير ومفتاح الرحمة فقدحت في قلب العبد نورا وطيبا أدركه الحفظة وهم املاك اليمين فاثبتوها حسنات وان كانت الخواطر عن اواسط الغواة وهم العدو والنفس كانت فجورا وضلالا وهي من خزائن الشر ومغالق الاعراض فقدحت في القلب ظلمة ونتنا أدرك ذلك الحفظة من املاك الشمال فكتبوها سيآت وكل هذا الهام والقاء من خالق النفس ومسويها وجبار القلوب ومقلبها حكمة منه وعدلا لمن شاء ومنة وفضلا لمن أحب كما قال وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا أي بالهداية صدقا لاوليائه ما وعدهم من ثوابه وبالاضلال عدلا على أعدائه ما أعد لهم من عقابه ثم قال تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فهذه جنود منقادة للامر وهو ملك جبار عزيز قهار

لابنة عمه ان بعض أسد قال سألني أن أكون الليلة عنده وكان يمضي كل يوم بعد الظهر اليها فبقي على هذا ثمانية أشهر فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجاريتها اذا خرج فانظري أين يمضي فتبعته الجارية فجاء الى الدكان فلما جاءت الظهر قام فتبعته الجارية وهو لا يدري الى ان دخل بيت تلك المرأة فجاءت الى الجيران فسألتهم لمن هذه فقالوا قد تزوجت برجل بزاز فعادت الى سيدتها فاخبرتها الخبر ثم قالت للجارية اياك ان تعلمي بهذا أحدا ولم تظهر لزوجها شيأ فأقام الرجل تمام السنة على ذلك ثم مرض ومات في بيت ابنة عمه وخلف ثمانية آلاف دينار فقامت ابنة عمه فافردت ما يستحقه الولد وهو سبعة آلاف وقسمت الالف الباقية نصفين وجعلت النصف في كيس وقالت للجارية خذي هذا الكيس واذهبي الى المرأة واعلميها ان الرجل قد مات وخلف ثمانية آلاف دينار وقد أخذ الابن سبعة آلاف وبقيت ألف قسمتها بينك وبينها وهذا حقك فمضت الجارية فطرقت الباب ودخلت فاخبرتها خبر الرجل وحدثتها بموته واعلمتها الحال فبكت ثم فتحت صندوقا وأخرجت منه رقعة بيني ورقة وقالت

تعالى عن مباشرة الاشياء اذا كانت تنقاد لمشيئته وتطوع لقدرته فتنفذ قدرته ارادته وتظهر حكمته أفعاله اذا أراد شيأ قال له كن بخفى قدرته فكان بظاهر حكمته والرب سبحانه قادر على كل شئ بيده ملكوت كل شئ حكيم فى كل شئ والعبد ضعيف عاجز جاهل لا يقدر على شئ قد ابتلى بالاسباب ووقع عليها الحجاب وجعل مكانا للاحكام بالعقاب والثواب فالاسباب أواسط البلاء والعبد موضع الابتلاء والاول سبحانه وتعالى هو المبلى المريد المبدئ المعيد ينشئكم فيما لا تعلمون وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا وليس يشهد العبد الا ما أشهد فكذلك تفاوت العباد فى المشاهدة ولا يستبين له الا ما أبين له وأريد به فمن ذلك اختلفوا فى الادلة فاذا أراد الله عز وجل اظهار شئ من خزائن الغيب حرك النفس بلطيف القدرة فتحركت باذنه فقدح من جوهرها بحركتها ظلمة تكتسب فى القلب همة سوء فينظر العدو الى القلب وهو مراصد ينتظر والقلوب له مبسوطة والنفوس لديه منشورة يرى ما فيها ما كان من عمله المبتلى به المصرف فيه فاذا رأى همة قد قدحت فى النفس فأثرت ظلمة فى القلب ظهر مكانه فقوى بذلك سلطانه والهمة ترد على أحد ثلاث معان لا تحصى فروعها لان همة كل عبد على قدر بغيته احدها هوى وهو عاجل حظ النفس أو أمنيته وهذا عن الجهل الغريزى أو دعوى حركة أو سكون وهو آفة العقل ومحبة القلب فأى هذه الثلاث قدح فى القلب فهو وسوسة نفس وحضور عدو منسوب اليه محكوم عليه بالاثم ليست تصدر الا باحد ثلاثة أصول بجهل أو غفلة أو طلب فضول لدنياه من مما لا يعنى ومضافات الى الدنيا واعمالها والافضل مجاهدة النفس والعدو عن امضائها وحبس الجوارح عن السعى فيها ان كن من فضول الدنيا المباحات فان كن هذه الثلاث وردن بمحرمات ففرض عليه كف الجوارح عن السعى فيها فان أمرح قلبه فى ذكرها أو نشر خطواته فى طلبها كن حجابا بين قلبه وبين اليقين وان كن وردن بمباحات ففضل له بنفيها عن قلبه كيلا يكون قلبه موطنا للغفلات وأصلهن الابتلاء من الله تعالى بالتقليب والامتحان منه فى التصريف وانما خلق النفس والروح والموت والحياة وجعل ما على الارض زينة لها ليظهر أحسن العمل بالزهد فيها وينظر كيف تعملون فاذا أراد الله تعالى سلامة هذا العبد بعد ان اشرف على الهلاك والبعد بتسليط العدو عليه وتسويل النفس له نظر القلب عند الابتلاء فهدى النفس بنور اعانته الى الله تعالى فاسر الالتجاء اليه وأخفى التوكل عليه عائذا لائذا به واضطر مخلصا له فهنالك توكل عليه فكان حسبه وعندها فوض اليه أمره فوقاه مكر عدوه وحينئذ اضطر اليه واتقاه فجعل له مخرجا ونجاه فينظر الله تعالى الى القلب نظرة فتخمد النفس وتمحق الهمة وتخنس العدو لسقوط مكانه وتذهب لخنوسه شدة سلطانه فيصفو القلب من التأثير بنور السراج المنير وعلى من النحرير بقوة القهار العزيز فيخاف العبد مقام الرب لصفاء القلب عن نظر الرب تعالى فيفزع من الخطيئة ويهرب أو يستغفر منها ويتوب ويظهر عليه شعار تقواه وان أراد الله تعالى بعبد هلكة وكان قد حكم بوقوع الشر نظر القلب بعد الهمة بهوى النفس الى العقل فرجع العقل الى النفس فسولت وطوعت فسكن العقل واطمأن الى تسويل النفس وطوعها فانشرح الصدر بالهوى لسكون العقل وانتشر الهوى فى القلب لشرح الصدر وتوسعته فقوى سلطان العدو لاتساع مكانه فأقبل بتزيينه وغروره وأمانيه ووعده ووحى بذلك زخرفا من القول وغرورا فيضعف سلطان الايمان لقوة سلطان العدو وخفاء نور اليقين فغلب الهوى لقوة الشهوة فأحرقت الشهوة العلم والبيان فارتفع الحياء واستتر الايمان بالشهوة فظهرت المعصية لغلبة الهوى وارتفاع الحياء وهذان المعنيان من ظهور الخير والشر والطاعة والمعصية بهذه الاسباب يوجدان فى طرفة عين فتصير اجزاء العبد جزأ واحدا ومفصلاته تعود بالمراد منه فصلا واحدا كالبرق فى السرعة بتغليب القدرة على المشيئة اذا قال الجل وعلاله كن فيكون وان أراد الله تعالى اظهار خير والهام تقوى من خزائن الملكوت حرك الروح بخفى اللطف فتحركت بامره بجلت قدرته فقدح من جوهرها نور سطع فى القلب همة عالية وهمة الخير ترى باحد ثلاث معان لا تحصى فروعها لان كل عبد همته فى الخير مبلغ علمه ومنتهى مقامه فاحد الاصول لمسارعة



عودى الى سيدتك وسلى عليها منى واعلميها ان الرجل طلقنى وكتب لى براءة وردى عليها هذا المال فانى ما استحق منه شيأ ثم رجعت الجارية وأخبرتها بذلك رضى الله عنهما ونفعنا ببركاتهما فانظرن يا نساء هذا الزمان الى قوة دينهما واقتدين بمثلهما من المؤمنات الصالحات فى ترك الخصومة مع الزوج بتزوجه أخرى وفى اداء الحق والاحتراز عن غير الحق ولا تقتدين بنسوة زماننا فانهن جنود ابليس يسخطن على الازواج بفعلهم ما أمر الله به ورسوله ويتكلمن بسبب ذلك بكلام يهدم الدين ويخرج من الايمان ويخلد فى النيران وعن على رضى الله عنه قال غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل ايمان فالحذر يا نساء المؤمنات من ذلك فما أقرب الموت وما أشد أهوال الآخرة وأنا والله لكن ناصح أمين ويحكن يا نساء مؤمناتنا تأخذن المال الحرام وتتزين به فكأنى بكن وقد صار ذلك نارا على أجسامكن وفى بطونكن واعلمى أيتها المؤمنة الطالبة الخيرات ان لم تتعظى بما ذكرت لك فاعلمى انك مطرودة عن الخير ملقية نفسك فى نار حامية فان لم تقدرى على حبس نفسك عن هذا الذنب فضعى يديك فى النار محل لك

الى أمر بفرض أو ندب لفضل يكون عن عمل حال العبد أو علم يكون فطنة له أظهر عليه من مكاشفة غيب من ملك أو ملكوت والمعنى الثالث يفعل مباح من تصرف فيما يعني مما يعود صلاحه عليه واستراحة الناس عما أبيح له يكون نفعه لغيره أو ترويحات من الافكار لقلبه الغائص في البحار يكون حلاً لكربه وتخفيفاً لثقله فهذه مرافق العبد باختيار من المعبود وحكمة من الحكيم وفي كلها رضاه سبحانه وتعالى فاما ضادها أفضل العبد وبعضها أفضل من بعض وهذه الاصول الستة من الخير والشر هي الفرق بين لمة الملك وبين لمة العدو وبين الهام التقوى والهام الفجور التي هي النية والوسوسة وهما الاختيار أو الاختبار وقد تكون هذه المعاني مكاشفات تزيد العبد ينظر الى الله تعالى منها ويجد الله تعالى بها أو يجد منه عندها و يكون تعريفا من الله يتعرف اليه بها و يفتح له باب الانس والشوق منها ثم تتفاوت العباد في مشاهدتها على حسب علوهم في اليقين وعلى قدر قوتهم ومكانهم من التمكين الا أن أصول معاني الخير أواسطها الهام الملك والالقاء في الروح وقوادح الانوار في كتب الايمان وفروعها الآخرة والعلم بما أمر به أو ندب اليه والمباح وأصول معاني الشر أضدادها أواسطها النفس والعدو وأسبابها الشهوة والهوى يظهرن عن الجهل و يوقعن الحجاب و يصدرن الى عقاب فاذا أراد الله تعالى اظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نورا في القلب فأثرت فينظر الملك الى القلب فيرى ما أحدث الله تعالى فيه فيظهر مكانه فيتمكن على مثال فعل العدو في خزانة الشر وهي النفس والملك مجبول على الهداية مطبوع على حب الطاعة كما أن العدو مجبول على الغواية مطبوع على حب المعصية فيلقي الملك الالهام وهو خطوره على القلب بقدح خواطره بأمر بتقييد ذلك و يحسنه و يحثه عليه وهذا هو الهام التقوى والرشد و ينظر الملك الى اليقين كما ينظر العدو الى النفس فيشهد اليقين الملك بذلك فيطمئن العقل و يسكن الى شهادة اليقين و يصير العقل الآن باذن الله تعالى مع الملك ثباتاً يسدده الله تعالى كما كان مع النفس أول مرة مطمئناً اليها فينشرح الصدر لطمأنينة العقل فتظهر أدلة العلم لانشراح الصدر فيقوى سلطان اليقين لصفاء الايمان وتندرج ظلمة الهوى في نور اليقين وتنطفي شعلة الشهوة لظهور نور الايمان و يزين الايمان بزينة الحياء فتضعف صفات النفس لسقوط الشهوة و يقوى القلب لضعف النفس و يزيد الايمان بقوة اليقين وظهور أدلة العلم فتغلب الهداية لمزيد الايمان ولبسة الحياء فتظهر الطاعة لغلبة الحق والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون *(ذكر نوع آخر من البيان)* وقد تختلف اللمتان من الملك والعدو و يتفاوت الالهام والوسوسة في المعاني من الخير والشر فربما تقدمت لمة العدو بالامر بالشر وتقدح بعدها لمة الملك نصرة للعبد وتثبيتا على الخير وعناية من الرب تعالى فينهى عن ذلك فعلى العبد أن يعصي الخاطر الاول و يطيع الخاطر الثاني وقد يتقدم الهام الملك بالامر بالخير ثم يقدح بعده خاطر العدو بالنهي عنه والتثبيط والاملاء فيه بالتأخير محنة من الله تعالى للعبد لينظر كيف يعمل وحسدا من العدو فعليه أن يطيع الخاطر الاول و يعصي الخاطر الثاني ثم تدق الخواطر من الهام الملك بالخير ومن وسوسة العدو بالشر وقد يتفاوت ذلك من ضعف خاطر الخير لقوة الرغبة في الدنيا ومن قوة خاطر الشر لقوة الشهوة والهوى وفي المزيد والنقص منهما والتقديم والتأخير بهما التفاوت الاحكام والارادة من الحاكم ومن قبل تقليب القدرة وغرائب الاحكام بالمشيئة لان له في خزانة الخير خزانة الشر اذا شاء وله في خزانة الشر خزائن الخير اذا أحب لئلا يسكن الى سواه ولا يدل العبد بعمله ولا يأمنه ابدا فاذا شهد العارف ذلك لم يقطع بخير ولم يدل بعمله ابدا لانه لا يأمن مكر الله تعالى بتقليب خزائن الشر من خزائن الخير اذا عليه ابدا ولم ييأس من شر عليه ابدا لانه يرجو تقليب خزائن الخير من خزائن الشر فيكون بين الخوف والرجاء ولا يدرك ذلك الا بدقائق العلوم ولطائف الفهوم وغوامض الفطن وصفاء الانوار من تعليم الرحيم الجبار فما كان لا بد بعد بعد خطرة الشر خطرة خير منها انتباه عنها فهو منظور اليه متدارك له وهذا هو الواعظ القائم في القلب والزاجر المؤيد للعقل وقد تترادف خواطر الشر من النفس

اليقظة اللهم أيقظنا من نومة الغافلين وجنبنا موارد الهالكين واغفر لنا ولاحبابنا وللمحسنين الينا وللمسلمين والمسلمات

*(فصل)* في الندب والنوح والدعاء بالويل والثبور ولطم الخدود ونحوها وكل ذلك حرام ومن أمور الجاهلية خ م عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ت عن أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسنداه ونحو ذلك الا وكل الله به ملكين يلزمانه و يقولان أهكذا كنت خ م عن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة والحالقة والشاقة قال الحصني في كفاية المؤمنات الصالحات وسبب عقوبة هذه المسكينة بما تقدم وتبرؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ان هذه الامور تفسد معنى التظلم فكانها تقول بلسان الحال ظلمني بموت ولدي أو زوجي

بالهوى فلا يتعاقبهما خاطر خير من الملك وهذا علامة البعد ونهاية قسوة القلب وقد تتابع خواطر الخير والبر من الروح والملك ويعافى العبد من خاطر الهوى والنفس وهذا علامة القرب وهو حال المقربين وقد ترد خواطر العدو ووساوسه بالخير والبر ابتلاء من الله تعالى لعبده وحيلة من العدو ومكرا من النفس ويريد العدو بذلك الشر أو يخرجه آخرا الى اثم أو خير ليقطعه بذلك عن واجب أو يشغله به عن الأفضل فى الحال فيكون ظاهره برا وباطنه اثما ويكون أوله خيرا وآخره اثما وبغية العدو من ذلك باطنه وآخره وشهوة النفس فى ذلك هواها ومناها قد لبسا ظاهره بالخير تزيينا وموها أوله بالبر تحسينا وهذا من أدق ما يبتلى به العاملون ولا يعرف بواطنه وسرائره الا العالمون فأما خاطر الملك فلا يرد الا بخير صريح وبحض على كل حال اذ اورد لان الخداع والحيلة ليس من وصف الملائكة ولكن قد تنقطع خواطر الملك من القلب اذا اشتدت قسوته ودامت معصيته من المتعبد فتخلى بين القلب وبين نوازع العدو اللعين ويخلى العدو بهوى النفس فيستحوذ ويقترن بالعبد نعوذ بالله من ابعاده وعدم خير مواد رشاده ولا يزال العبد مع الهام الملك فى مقام الايمان فاذا رفع الى مقام اليقين تولاه الله تعالى بواسطة أنوار الروح فكان الروح مكان الملك حتى يرد عليه من الله تعالى بواسطة أنوار الروح من السرائر ما لا يطلع عليه الملك ولا يكون ذلك حتى تفنى خواطر النفس بالهوى ولا تبقى منها باقية وتطوى النفس فتندرج فى الروح فلا يظهر منها داعية ثم يتولاه الله تعالى بنور اليقين فيسطع له نور اليقين من خزانة الغيب المحجوب بمكاشفات الجبروت فيشهد العبد شهادة الحق بالحق معاينة الغيب بفقد كونه ووجد كينونته وما لا يصلح بعد ذلك كشفه الا لاهله أولمن سأل عنه وهذا يكون فى مقام التوحيد وهذا انصبة المقربين (ذكر بيان آخر من تفصيل المعانى) وكل عمل وان قل لا بد فيه من ثلاثة معان قد استأثر الله تعالى بتوليها أولها التوفيق وهو الاتفاق أن يجمع بينك وبين الشئ ثم القوة وهو اسم لثبات الحركة التى هى أول العقل ثم الصبر وهو تمام الفعل الذى به يتم فقد رد الله عز وجل هذه الاصول التى يظهر عنها كل عمل اليه فقال سبحانه وما توفيقى الا بالله وقال ما شاء الله لا قوة الا بالله وقال عز وجل واصبر وما صبرك الا بالله وقد أجمل الله عز وجل ذكر تقليب الكون بمشيئته فى قوله تعالى يقلب الله الليل والنهار والمعنى بما فيهما لانهما ظرفان للاشياء فعبر عنهما بهما كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار والمعنى مكركم فى الليل والنهار فعبر بهما عن مكرهم لانهما مكان لمكرهم وكذلك قوله تعالى وله ما سكن فى الليل والنهار فيها وجهان أحدهما أى ما أقام من السكن والثانى ما سكن من السكون وانما ذكر السكون دون الحركة لانه هو الاصل حتى تحرك وهو الاقرب الى العجز والعدم والقصر يلتحاد ثجار باحداث الله تعالى واجرائه ويجوز أيضا ذكر السكون ليستدل به على الحركة لانه ضدها كما قال الله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهى أيضا تقى البرد فذكر أحد الوصفين ليستدل به على الآخر وقال سبحانه ونقلب أفئدتهم وأبصارهم وكان قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب لما شهد من عظيم القدرة ولطيف الصنع فى التقليب ولما رأى من سرعة نفاذ القدرة بالمراد فى المقلبات مما لم يشهد سواه فجعله قسما له تعظيما للقدرة المحلوف به وخوفا من سابق العلم بالتقليب فكان يقول يا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قالوا له وتخاف يا رسول الله قال وما يؤمننى والقلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وفى لفظ حديث آخر ان شاء ان يقيمه أقامه وان شاء ان يزيغه أزاغه وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم مثل القلب مثل العصفور فى تقلبه يتقلب فى كل ساعة وفى خبر آخر مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليا والخبر المشتهر مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن فالقلب مكان التقليب بما فيه من خزائن الغيب كالليل والنهار مكان للاحكام بالتصريف من اختلاف الازمان فى الاوقات والايمان بتقليب القلوب وبأن الله يحول بين القلب وبين صاحبه واجب وقد قرن الله عز وجل الايمان بالبعث الامر بهما فى قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون وفسره

ابن

أو أخشى والرب سبحانه وتعالى ليس بظلام للعبيد فمن نسبه الى الظلم فهو كافر وهو أسوأ حالا من اليهود والنصارى فالجاهلة تفعل بنفسها أعظم المصائب ومع ذلك لا يحصل لها ما تعود ميتها لان هذه تضاعف معصيتها ويتضاعف عذابها ومن شاركها فى ذلك كان عليه وزر مشاركتها وكذا من صنع طعاما فأكل منه النائحات يأثم لانه اعانة على معصية قال وأى مصيبة أعظم على المرأة من ان يتبرأ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أعظم من موت أولادها والمصيبة بفقد الاجر أيضا عظيمة وربما تمادى بها ذلك فوقعت فى كلمة هبطت بها فى النار سبعين خريفا وربما كانت الكلمة تتضمن كفرا وهى لا تعلمها لقلة علمها وتعلمها فتكفر فتخسر دينها مع معصيتها وتقع بذلك فى العذاب الذى لا آخر له عافانا الله عز وجل من ذلك ولا خلاف انه يحرم نشر الشعر وضرب الخد والصدر وخمش الوجه ونحوه ومن فعل ذلك فهو ملعون وكذا من حضره وأعان عليه أو سمع النياحة ففى سنن أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن النائحة والمستمعة وكما يحرم النياحة يحرم رفع الصوت فى البكاء ويلحق الميت من ذلك

ابن عباس فقال يحول بين المؤمن و بين الكفر و يحول بين الكافر و بين الايمان وقيل يحول بين العبد وبين الاستجابة لله تعالى والرسول وقيل يحول بين المؤمن و بين سوء الخاتمة وبين الكافر و بين حسن الخاتمة وقيل يحول بين المؤمن و بين ان يقع في كبيرة يهلك فيها و بين المنافق و بين ان يوفقه لطاعة فيحجز بها و يحول بين الموحد و بين الخاتمة بالتوحيد وهذه مخاوف المؤمنين بتحقيق الوعيد وكذلك السكون بامره عند الموحدين في القدرة بالتقليب كمثل ريشة في ريح عاصف تقلبه القدرة على مشيئة القادر وليس في القدرة ترتيب ولا مسافة ولا بعد ولا يحتاج الى زمان ولا مكان فاظهر من الملك وثبت العيون بمكان وزمان فلاجل الحكمة والصنعة والاتقان وما خفي من الملكوت وتقلب بصائر القلوب بلطائف القدرة وقهر السلطان ونصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد ونصيبه من التوحيد حسب قسمه من اليقين وقسمه من اليقين على قربه من القريب وقربه على حسب قربه بالله تعالى من قلبه وقرب الله تعالى منه بقدر علمه بالله تعالى واتساعه في العلم بالله عز وجل على نحو مكانه من مزيد الايمان ومزيد ايمانه على قدر احسان الله تعالى اليه واحسانه اليه على قدر عنايته به وايثاره له وعلم القسم ورا هذا لنفوذ ذلك سر القدرة المحجوب المخزون ونصيب كل عبد من الجهل على قدر نصيبه من الغفلة ونصيبه من الغفلة على حسب حب الدنيا وحبه الدنيا على قدر قوة الهوى وقوة الهوى على قدر غلبة سلطان النفس ونشر صفاتها عليه وقوة صفات النفس على قدر ضعف اليقين وضعف يقينه على كثافة الحجاب والبعد بينه و بين الله عز وجل والحجاب والبعد ميراثه الكبر وقسوة القلب والقسوة تورث الانهماك في المعاصي وادمان المعاصي عن الاعراض والمقت والاعراض والمقت من قلة عناية المولى بعبده وسوء نظره له ومن ورا هذا لك سر القدر الذي به عن الخلق قد استأثره فهذه الاوصاف المذمومة العبد مبتلى بها على تضاد تلك الصفات المحمودة التي هي من المنعم بها ولكل وجهة هو موليها ومكان الهوى من القلب على قدر تزيين العدو له وتسليطه عليه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فاذا كان الهادي هو المضل فمن يهدي وقد قال تعالى فان الله لا يهدي من يضل أي فان الله من شأنه ان أحدا لا يهدي من أضله ومن كان أضله الله في سابق علمه فكيف يهديه الآن كذلك قال على الحرف الآخر فان الله لا يهدي من يضل فاذا كان المعطي هو المانع فمن يعطي ولو كان الخير كله في قلب عبد ما قدر ان يوصل الى قلبه من قلبه مذرة ولا استطاع ان ينفع نفسه بنفسه بخردلة لان قلبه وان كان بجارحته فهو خزانته وله فيما لا يعلم هو فهو لا يطلع على ما فيه كما قال معجبا لمن جهله وأضله اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا فكيف به ان علك ما فيه فيصرفه بما يحب وقد قال صلى الله عليه وسلم سبحان مصرف القلوب وقد خاطب الله تعالى سيد البشر وأمره ان يخبر فقال قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ثم قال بعد ذلك قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا واذا كان المالك عز وجل جبارا وكان كل شيء بيده لم يوصل الى ما عنده بقوة ولا حيلة فليس الطريق اليه الا الصدق والاخلاص والذل والافتقار وقد حجب العقل المكيد عن النظر الى المبدئ المعيد بما أظهر له من صورته وحركته فستر عن الاول المصور وعن القادر المحرك فادعى عن نظره الى حركته وسكونه التي هي حجبة له عن المحرك لغيب ادعاء الحركة والسكون بنفسه لوقوف نظره على نفسه اذ كان مشهودا وعمي عن النظر الى الشاهد المحرك المسكن لبعد مقامه لانه غيب من وراء الحركة والغيب لا يشهد الا بغيب وهو اليقين كما لا يدرك الشهادة الا بشهادة وهي العين فمن عمي بصره لم ير من الملك شيئا كذلك من حجب قلبه لم ير من الملك شيئا فلعدم اليقين عمي عن المشاهدة ولاتساع الحجة والحجاب أدرك بالمعقول الشهادة ولو كان من أولي البصائر لاعتبر الحركة الغيبية بالمتحرك المشاهد فكما ان الحركة غيب في الجسم ظهر عنها المتحرك فاظهر سبحانه المتحرك وأخفى الحركة فيه وأظهر الصنعة وأخفى

عذاب الآن لا يرضى وأما دمع العين وحزن القلب فعفو عنه وعلاج هذه المسكينة ان تذكر ما أمامها من سكرات الموت وهول المطلع وظلمة القبر ودبابه وهول منكر ونكير وفتح طاقة من جهنم وتصور اعمالها في صورة قبيحة النظر اليها عذاب وتذكرة الصراط ودقته والعرض على الله تعالى وخفة الميزان والفرار من الاخ والام والصاحبة والابن ومهيلها بعد ذلك الى النار فان لم تتعظ بذلك فتضع يدها على النار فانها والله تنسى كل ما يصدع قلبها فراقه والله أعلم انتهى وتذكر أيضا ما ورد في الصبر من الثواب وصبر عباد الله الصالحين والمؤمنات الصالحات فقد روى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله ما لعبدي المؤمن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة م عن أبي حسان قال قلت لابي هريرة رضي الله عنه انه قد مات لي اثنان من الولد فما أنت محدثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا تطيب به أنفسنا عن موتانا قال نعم صغارهم دعاميص الجنة أي لا يمنعون من بيت فيلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو بيده كما آخذ أنا بصنفة

الصنع فيها لتفصيل حكمته كذلك الصانع ذو الصنعة الاول والحاكم الاعلى ذو الحكمة الاغلب غيب عن الحركة التي أخفاها هو من ورائها بلطائف القدرة فشهد المعقول ما أشهدهما أظهر له ووجهه لانه معقول عليه معدود له وعمي عما غيب عنه لفقد اليقين منه فعندهما ادعى الحركة والسكون الشاهد فحجبه ذلك عن الشهيد وشهد الموحد بشهادة التوحيد فوجدهما كشفه الملكوت بنور اليقين فافرد وقد قال بعض العارفين من نظر في توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار ومن كان توحيده في الدنيا معلقا بعقوله لم يعمل توحيده معه في اليقين أحسب أن هذا ايمان الذي يقال أخرجوا من النار من كان في قلبه وزن مثقال من ايمان فما زاد على هذا المقدار فهو متصل باليقين وهو مؤيد بالروح بمدد روح التأييد فلا ينطلق فهو المزحزح عن النار وقد قال بعض علمائنا من ظن انه يصل الى الله بغير الله تعالى قطع به ومن استعان على عبادة الله تعالى بنفسه وكل الى نفسه ثم ان الخلق محجوبون بعد هذا الحجاب بثلاثة حجب بعضها أكثف من بعض أحدها أواسط وأسباب معترضة وشهوات سابقة وعادات تراجعة مصادرة فالاسباب توقفهم عليها والشهوات تجذبهم اليها والعادات تردهم فيها فأي هذه الحجب ظهر في القلب وبعضها أشد عليه من بعض فهو مكان العدو أوسع من مكان فتمكن سلطانه على قدر سعة مكانه فقويت النفس بتزيين العدو وسولت بتأميلها فملكت العبد ملكا أشد من ملك فاذا ملكت النفس العبد كان مملوكها وأسيرها وكانت بالهوى أميرة فاستهواه الشيطان حينئذ بالغواية والاضلال واستحوذ عليه بمعاني المشاركة في الاولاد والاموال فشغله بذلك عن الله سبحانه وتعالى وأنساه ذكر الله عز وجل وهذا هو الاقتران الذي ذمه الله تعالى في قوله ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وهو فوق النزغ والهمز والخاطر بعد الهمة وهو خطور العدو على القلب بالوسوسة تزين الهمة وعلى العبد وبرجيه ويفسح له في أمله ويمنيه التوبة حتى تهون عليه المعصية ويعده بعدها بالمغفرة حتى يجرئه على الخطيئة وهذا هو الوعد بالغرور ويعده الهلاك والثبور كما قال يعدهم أي التوبة ويمنيهم المغفرة وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهذا كله تصديق ظن العدو بالعبد واتباع العبد له بالهوى عن مقام البعد وكشف لعلم الله تعالى باظهار الحكم وانفاذ المشيئة وهو الابتلاء بالاسباب فصار العدو سببا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ثم أحكم ذلك بسابق علمه فقال وما كان له عليهم من سلطان يعني بحوله وقوته وبقهره ومشيئته الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك أي لنرى وقيل لنعلم العلم الذي يجازي عليه بالثواب والعقاب وقيل لنختبر ونكشف وقيل لنعلم المؤمنين ذلك فيستبين لهم ويعلم من عمل تلك الاعمال التي ظهرت منه فتوقع عليه بتلك المحنة ويتبين له كذبه كما قال فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فعلى هذه المعاني مجاز كل ما في كتاب الله عز وجل من قوله لنعلم وحتى نعلم اذ كان علمه تعالى قد سبق المعلومات واذا كانت الاشياء عن علمه بعلمه بارئات فجعل تسليط العدو بسلطانه كشفا واظهارا لما أخفاه من سابق علمه كما جعل افعال العباد الظاهرة كشفا واظهارا الارادته الباطنة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق العلم وجف القلم وقضي القضاء وتم القدر بالسعادة من الله تعالى لاهل طاعته وبالشقاء من الله تعالى لاهل معصيته * ذكر تقسيم الخواطر وتفصيل أسمائها * فاما تسمية جملة الخواطر فما وقع في القلب من عمل الخير فهو الهام وما وقع من عمل الشر فهو وسواس وما وقع في القلب من المخاوف فهو احساس وما كان من تقدير الخير وتأميله فهو نية وما كان من تدبير الامور المباحات وترجيها والطمع فيها فهو أمنية وأمل وما كان من تذكرة الآخرة والوعد والوعيد فهو تذكر وتفكر وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو مشاهدة وما كان من تحدث النفس بمعاشها وتصريف أحوالها فهو هم وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو لمم ويسمى جميع ذلك خواطر لانه خطور همة نفس أو خطور عدو بحسد أو خطر ملك بمس ثم ان ترتيب الخواطر المنشأة من خزائن الغيب القادحة في القلب على ستة معان وهذه حدود الشيء المظهر ثلاثة منها معفو وثلاثة منها مطالب



توبك هذا فلا يتناهى حتى يدخل هو وأبواه الجنة قال صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة الا أدخلهما الله الجنة بفضله ورحمته اياهما فقالوا يا رسول الله أو اثنان قال أو اثنان قالوا أو واحد قال أو واحد ثم قال والذي نفسي بيده ان السقط ليجر أمه بسرره الى الجنة اذا احتسبته ق قال صلى الله عليه وسلم ان السقط ليراغم ربه اذا أدخل أبويه النار فيقال أيها السقط المراغم ربه أدخل أبويك الجنة فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنة وفي كتاب المؤمنات الصالحات للعدني حكي ان معاذة بنت عبد الله العدوية من عابدات البصرة كانت تصلي كل يوم وليلة ستمائة ركعة وكانت تقول عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في القبور وكانت معاذة لها ابن وزوج نفرا الى الغزو فقال له أبوه أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك فحمل على الكفار وقاتل حتى قتل ثم تقدم أبوه ففعل كذلك فاجتمعت النساء عند معاذة فقالت مرحبا ان كنتن جئتن لتهنيني وان كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن رضي الله عنها ونفعنا ببركاتها هكذا كن رضي الله عنهن يفرحن بما يحبه الله ورسوله ويجعلنه فرحا

بها قال لذلك الهمة وهو ما يبدو من وسوسة النفس بالشيء يجده العبد بالحس كالبرق فان صرفها بالذكر امحت وان تركها بالغفلة كانت خطرة وهو خطور العدو بالتزيين وان نفى الخاطر ذهب وان تولى عنه قوى فصار وسوسة وهذا محادثة النفس العدو واصغاؤها اليه وان نفى العبد عنه الوسوسة بذكر الله خنس العدو وضعفت النفس وهذه الثلاث معفو برحمة الله تعالى غير مؤاخذ بها العبد وان أسرج العبد النفس في محادثة العدو وطاولت النفس العود بالاصغاء والمحادثة تقويت الوسوسة فصارت نية فان أبدل العبد هذه النية بنية خير فاستغفر منها أو تاب بر الاقويت فصارت عقدا فان حل هذا العقد بالتوبة وهو الاصرار والاقوى فصار عزما وهو القصد وهذه الثلاثة من أعمال القلب مأخوذ بها العبد ومسؤل عنها فان تداركه الله تعالى بعد العزم والا تمكن العزم فصار طلبا وسعيا وأظهر العمل على الجوارح من خزائن الغيب والملكوت فصار من أعمال الجسم في خزانة الملك والشهادة فهذه الاعمال توجد من أعمال البر والاثم فما كان منها من البر همة ونية وعزما كان محسوبا للعبد في باب النيات مكتوبا له في دوان الارادة به حسنات وما كان منها من الشر نية وعقدا وعزما فعلى العبد فيه مؤاخذ من باب اعمال القلوب ونيات السوء وعقود المعاصي وليس شيء يجانس العدو ويؤاخيه الا النفس جمع الله تعالى بينهما في الوسوسة بقوله الوسواس الخناس وقوله ونعلم ما توسوس به نفسه وكل شيء خلقه الله تعالى فله مثل وضد فمثل النفس الشيطان وضدهما الروح ثم ان أعمال الجوارح من النوعين الطاعة والمعصية أعظم في الاجر والوزر معا الا ما لا يتأتى ان يعمله بظاهر الجسم من شهادة التوحيد أو وجود شك أو كفر او اعتقاد بدعة

*(باب آخر من البيان والتفصيل)* فاما ما كان من لائح يلوح في القلب من معصية ثم ينقلب فلا يلبث فهذا نزغ من قبيل العدو وما كان في القلب من هوى ثابت أو حال حزع دائم لابث فهو من قبل النفس الامارة بطبعها أو مطالبتها بسوء عادتها وما ورد على العبد من همه بخطيئة ثم وجد العبد فيها كراهتها فالورود من قبل العدو والكراهة من قبل الايمان وما وجده العبد وجدا بهوى أو معصية ثم ورد عليه المنع من ذلك فالوجد من النفس والوارد بالمنع من الملك وما وجده العبد من فكر في عاقبة الدنيا أو تدبير الحال ونظر الى معهود فهذا من قبل العقل وما وجد من خوف أو حياء أو ورع أو زهد أو من شأن الآخرة فهذا عن الايمان وما شهده القلب من تعظيم أو هيبة أو اجلال أو قرب فهذا من اليقين وهو من مزيد الايمان واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه كما قال صاحب الامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك منك وانما هذا تفصيل الحدود واظهار المكان واحكام العلم كما قال تعالى وكل شيء فصلناه تفصيلا وقال قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وليس في التوحيد ولا في المشاهدة تفكر ولا في الاشارة عيان ولا في القدرة ترتيب ولكن لابد من علم التفصيل لا عن التوحيد وهو التفرقة بلسان الشرع عن عين الجمع لاظهار الطرق واستنارة السبل وتطريق السالكين وترتيب العاملين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة والله غالب على أمره وقد فصل بعض العلماء أعمال العباد وفرق بين الامر والارادة فقال ان أعمال العباد لا تخلو من ثلاثة أنواع فرض وفضل ومعصية قال فنقول ان الفرض بأمر الله تعالى ومحبة الله ومشيئة الله تجتمع هذه المعاني الثلاثة في الفرائض قال ونقول ان النفل لا بأمر الله لانه لم يوجبه ولم يعاقب على تركه ولكن بمحبة الله ومشيئته جل وعلا أي لانه شرعه وندب اليه فقال ونقول ان المعصية لا بأمر الله لانه لم يشرعها على السنة المرسلين ولا بمحبة الله لانه قد كرهها اذ لم يأمر بها ولم يندب اليها ولكن بمشيئة الله جلت عظمته ان لا يخرج شيء من ارادته كما لم يخرج شيء من علمه والارادة والمشيئة اسمان بمعنى واحد فقد دخل كل شيء فيها كما دخل كل شيء في العلم فالله سبحانه عالم بما أراده وقد سبق به علمه كذلك هو مريد لما علمه أظهرت ارادته سابق علمه وكشف علم الغيب بظهور ارادته الشهادة فهو عالم الغيب والشهادة فالغيب علمه والشهادة معلومه فكيف يخالف المعلوم العلم وهو اجراؤه والارادة تنفذ العلم في معلومات الخلق وهذا فرض

وبر وواو السنن بانسياة زمانتنا تربذلك مصائب فتعجز عن ذلك جزعا شديدا حتى ترتكبن العظائم من أمر الجاهلية

شعر

الا أيها القلب الكثير العلائق
الم تران الدهر تجري بوائقه
الا أيها الباكي على الميت بعده
رويدك لا تعجل فانك لاحقه
رويدك لا تنسى المقابر والبلا
وطعم ورود الموت لابد ذائقه
اذا اعتصم المخلوق من فتن الهوى
بخالقه أنجاه منهن خالقه
أرى صاحب الدنيا مقيما بجهله
على ثقة من صاحب لا يفارقه
فلا تتمن الموت يا صاح انه
سيأتيك منه عن قريب طوارقه

اللهم أجرنا من مصيبتنا واخلف لنا خيرا منها

*(فصل)* في العقوق وقطيعة الرحم قال الله سبحانه وتعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا واما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وقال تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام أي اتقوا الارحام ان تقطعوها د عن عبد الرحمن بن عوف قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى انا

التوحيد فخرجت النوافل عن الامر وخرجت المعاصي عن المحبة في تفصيل الاحكام وتبين الحلال والحرام
ولم تخرج معصية عن مشيئة وقد قال الله جل ثناؤه وكل صغير وكبير مستطر وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس فذكر عرضين لطيفين هما سببا المنع والعطاء وقد فرق
عالمنا بين الامر والارادة فرقا لطيفا فحدثني بعض أصحابنا انه سئل عن قول الله عز وجل لما أمر ابليس
بالسجود لآدم أراد منه ذلك أم لا فقال أراده ولم يرده منه يعني أراده شرعا واظهارا وعليه ايجابا ولم يرده منه
وقوعا ولا كونا اذ لا يكون الا ما أراد الله تعالى اذ لو أراد كونه لكان ولو أراده فعلا لوقع لقوله تعالى انما
أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فلما لم يكن علمت انه لم يرده فقد كان الامران معا ارادته
بالتكليف والتعبد وارادته بان لا يسجد فلم يقدر أن يمتنع من ان لا يسجد كما لم يقدر من ان يمتنع من ان يؤمن
فكذلك القول في نهيه لآدم صلى الله عليه وسلم عن أكل الشجرة انه أراد الاكل منه ولم يرده له أي
أراده وقوعا وكونا لانه قد وجد وكان كقوله اذا أردناه ان نقول له كن فيكون فلما كان علمت انه أراده
ولم يرده شرعا ولا امرا لانه لم يأمر به ولا شرعه فقد كان الامران جميعا ارادته ان يكون العبد مكلفا
مأمورا وارادته الاكل منه لانه قد كان وكذلك القول في كل ما أمر به وأراده انه أراد الامر والنهي
لهم ليكونوا مكلفين متعبدين ولم يرده ممن لم يكن منه الائتمار والانتهاء لانه قال تعالى انما أمرنا الشئ اذا
أردناه ان نقول له كن فيكون فاخبر انه اذا أراد شيأ كونه كما انه اذا كون شيأ فقد أراده بدلالة
كونه فلما لم يكن الامر من العاصين علمنا انه لم يرده اذ لو أراده كان ولما كان النهي من المأمورين
علمنا انه أراد كونه اذ لو لم يرده لم يكن فصار كون الشئ دليلا على ارادته وقد وقعت الارادة بالامر والنهي
فكان الكل مأمورين منتهين ولم يقع الفعل من الكل لانه لم يرد وقوعه اذ لو أراده كان وهذا أصل
الابتلاء وارادة ظهور البلاء يأمر الله تعالى بالشئ ويريد كون ضده وقد أراد الامر به حسب وينهى عن
الشئ ويريد كونه وقد أراد النهي عنه فقط وقد كان عالمنا أبو الحسن رحمة الله عليه يتكلم في علم الامر
والجبر وفي الابتلاء والقهر بمعان لا يهتدي اليها اليوم ولا يسأل عنها أحد أي يظهر الامر بالترك ويظهر
النهي بالفعل ويظهر الاحكام لوقوع البلاء ويقهر الجوارح بالجبر على ارادته للابتلاء وقد فرق الحسن
البصري رحمه الله قبله وهو امامنا في هذا العلم بين التعذيب على جريان العلم وبمخالفة الامر لما بلغه ان عمرو
ابن عبيد وهو امام المعتزلة اليوم واليه نسبوا لما اعتزل عن الحسن البصري بعد ان صحبه ولم يختم له بصحبته
بلغه انه يقول ان الله لا يقضي بالشئ ثم يعذب عليه فقال له ويلك ان الله عز وجل لا يعذب على جريان حكمه
وانما يعذب على مخالفة أمره تفسير ذلك ان ما حكمه الله تعالى منفردا به لم يجعل فيه أمرا ولا نهيا لا يعذب عليه
لانه لم يجعل للعبد مدخلا فيه بشهوة ولا عمل وان ما قضاه على العبد مما أدخله فيه بقصد وشهوته عذبه عليه
وهذا من شؤم النفس وتنكد راخلق انها اذا أدخلت في شئ انقلب عليها شره والامة مجمعة على قول ما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن واجتمعت على قول لا حول ولا قوة الا بالله فهذا عام في كل شئ ليس في بعض
الاشياء دون بعض والحول في اللغة هو الحركة والعرب تقول الشخص يبدو من بعيد يظن انه انسان أو
شجرة أو صخرة انظروا اليه فان كان يحول فهو انسان أي يتحرك والقوة هو الثبات بعد الحركة وهو أول
الصبر حتى يظهر الفعل بقوة الله تعالى وقدره وينافي تفسير ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حول
عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بعون الله وهذا التفصيل في هذه المعاني من الاحكام هو
ظاهر العلم وفرض القدر وفحوى التنزيل والشرع والجبر للملك الجبار يجبر خلقه على ما شاء كما خلقهم لما
شاء ويردهم الى ما شاء كما ينشئهم فيما يشاء فالحكم لله العلي الكبير الواحد القهار يقهر عباده كيف شاء
ويجري عليهم ما يشاء وله الحجة البالغة والعزة القاهرة والقدرة النافذة والمشيئة السابقة بوصف الربوبية
ويحكم الجبرية وعليهم الاستسلام والانقياد والطاعة والاجتهاد طوعا وكرها بوصف العبودية وبحق الملكة



بالله وانا الرحمن خلقت
الرحم وشققت لها اسما
من اسمي فمن وصلها وصلته
ومن قطعها بتته من قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يدخل الجنة منان
ولا عاق ولا مدمن خمر وفي
حياة الحيوان عن المستدرك
عن أبي امامة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
يبيت قوم من هذه الامة
على طعام وشراب ولهو
فيصبحون قد مسخوا
خنازير وليخسفن بقبائل
منها أو بدور منها حتى
يصبحوا فيقولوا خسف
الليلة ببني فلان خسف
الليلة بدار فلان وليرسلن
الله عليهم حجارة كما أرسلت
على قوم لوط وليرسلن عليهم
الريح العقيم لشربهم الخمر
وأكلهم الربا ولبسهم
الحرير واتخاذهم القينات
وقطعهم الرحم ٭ عن
عبد الله بن أبي أوفى قال
سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا تنزل
الرحمة على قوم فيهم قاطع
رحم يا اخواني احذروا
العقوق وقطيعة الرحم
فانهما يسرعان العقوبة
في الدنيا مع عقوبة الآخرة
ولا يغرنكم الشيطان
فيوقعكم فيهما فتذوقون
عذابا شديدا واذهبوا عن
قلوبكم هاتين العلتين
بذكر آفاتهما وذكر ثواب
البر والصلة ففي الصحيحين
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أحب أن

ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم ان تعذبهم فانهم عبادك وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين لله الامر من قبل ومن بعد

*(الفصل الحادى والثلاثون)* فيه كتاب العلم وتفصيله وأوصاف العلماء وذكر فضل علم المعرفة على سائر العلوم وكشف طرق العلماء من السلف الصالح وذكر بيان تفضيل علوم الصمت وطريق الورعين في العلم والفرق بين العلم الظاهر والباطن و بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وفضل أهل المعرفة على علماء الظاهر وذكر علماء السوء الآكلين بعلومهم الدنيا ووصف العلم وطريق التعليم وذم ما أحدثه المتأخرون من القصص والكلام و باب ذكر ما احدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف و بيان فضل الايمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الرأى وذكر معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وفي الحديث الآخر اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم قال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله أراد بذلك علم حال يعنى علم حال العبد من مقامه الذى أقيم فيه بان يعلم أحدكم حاله الذى بينه وبين الله عز و جل في دنياه وآخرته خاصة فيقوم باحكام الله تعالى عليه في ذلك وقال بعض العارفين معناه طلب علم المعرفة وقيام العبد بحكم ساعته وما يقتضى منه في كل ساعة من نهاره وقال بعض علماء الشام انما عنى به طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفس و وساوسها ومعرفة مكايد العدو وخدعه وغروره وما يصلح الاعمال و يفسدها فريضة كله من حيث كان الاخلاص في الاعمال فريضة ومن حيث أعلم بعداوة ابليس ثم أمر بعداوته وذهب الى هذا القول عبد الرحيم بن يحيى الارموى ومن تابعه وقال بعض البصريين في معناه طلب علم القلوب ومعرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لانها رسل الله تعالى الى العبد و وسواس العدو والنفس فيستجيب لله تعالى بتنفيذما منه اليه ومنها ابتلاء الله تعالى العبد واختبار تقتضيه مجاهدة نفسه في نفيها ولانها أول النية التى هى أول كل عمل وعنها تظهر الافعال وعلى قدرها تضاعف الاعمال فيحتاج ان يفرق بين لمة الملك ولمة العدو وبين خاطر الروح و وسوسة النفس و بين علم اليقين وقوادح العقل ليميز بذلك الاحكام وهذا عند هؤلاء فريضة وهو مذهب مالك بن دينار وفرقد السبخى وعبد الواحد بن زيد وأتباعهم من النساك وقد كان أستاذهم الحسن البصرى يتكلم في ذلك وعنه حملوا علوم القلوب وقال عباد أهل الشام معناه طلب علم الحلال فريضة اذ قد أمر الله تعالى به وأجمع المسلمون على تفسيق آكل الحرام وقد جاء في خبر مفسر طلب الحلال فريضة بعد الفريضة ومال الى هذا القول ابراهيم بن أدهم و يوسف بن أسباط و وهيب بن الورد وحبيب بن حرب وقال بعض هذه الطائفة من أهل المعرفة معناه طلب علم الباطن فريضة على أهله قالوا وهذا مخصوص لاهل القلوب ممن استعمل به واقتضى منه دون غيره من عوام المسلمين ولانه جاء في لفظ الحديث تعلموا اليقين فمعناه اطلبوا علم اليقين وعلم اليقين لا يوجد الا عند الموقنين وهو من أعمال الموقنين المخصوص في قلوب العارفين وهو العلم النافع الذى هو حال العبد عند الله تعالى ومقامه من الله تعالى كما شهد له الخبر الآخر في قوله صلى الله عليه وسلم وعلم باطن في القلب وهو العلم النافع فهذا تفسير ما أجمل في غيره وقال جندب كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا وسيأتى زمان قوم يتعلمون القرآن قبل الايمان يعنى تعلمنا علم الايمان وهذا مذهب نساك أهل البصرة وقال بعض السلف انما معناه طلب علم ما لم يسع جهله من علم التوحيد وأصول الامر والنهى والفرق بين الحلال والحرام اذ لا غاية لسائر العلوم بعد ذلك وكلها يقع عليها اسم علم من حيث هى معلومات ثم قد أجمعوا ان ليس تعليم ما زاد على ما ذكرناه فرضا وانما فيه فضل أو ندب وقال بعض فقهاء الكوفة معناه طلب علم البيع والشراء والنكاح والطلاق واذا أراد الدخول في شئ افترض عليه منع دخوله في ذلك طلب علمه لقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يتجر في سوقنا هذا الا من تفقه والا أكل الربا شاء أم أبى وكما قيل

يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه خ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ولد بار ينظر الى والديه نظرة رحمة الا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة قالوا وان نظر كل يوم مائة مرة قال نعم الله أكبر وأطيب ت عن ابن عمر قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أصبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة قال هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها . قال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم حق الوالد على ولده ق عن أبى أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك وحكى أن على بن الحسين رضى الله عنه كان كثير البر بوالدته وكان لا يأكل معها في صحفة واحدة فقال أخاف أن تسبق يدى الى ما سبق اليه نظرها فأكون عققتها اخوانى فروا من العقوق والقطيعة الى البر والصلة تظفروا في الجنة بالنعم الجزيلة وكونوا على حذر من مفاجأة الموت على الغفلة يا أخى خلص نفسك من أسر الذنوب وتأهب

تفقه ثم اتجر ومال الى هذا سفيان الثورى وأبو حنيفة وأصحابهما وقال بعض المتقدمين من علماء خراسان هو أن يكون الرجل فى منزله فيريد أن يعمل شيأ من أمر الدين أو يخطر على قلبه مسئلة لله سبحانه وتعالى فيها حكم وتعبد وعلى العبد فى ذلك اعتقاد أو عمل فلا يسعه أن يسكت على ذلك ولا يجوز له أن يعمل فيه برأيه ولا يحكم بهواه فعليه أن يلبس نعليه ويخرج فيسأل من أعلم أهل بلده فيسأله عن ذلك عند النازلة فهذا فريضة وحكى هذا القول عن ابن المبارك و بعض أصحاب الحديث وقال آخرون يعنى طلب علم التوحيد فرض وانما اختلفوا فى كيفية الطلب وماهية الاصابة فمنهم من قال من طريق الاستدلال والاعتبار ومنهم من قال من طريق البحث والنظر ومنهم من قال من طريق التوفيق والاثر وقالت طائفة من هؤلاء انما أراد طلب علم الشبهات والمشكلات اذا سمعها العبد وابتلى بها وقد كان يسعه ترك الطلب اذا كان غافلا عنها على أصل التسليم ومعتقد جملة المسلمين لا يقع فى وهمه ولا يحيك فى صدره شئ من الشبهات فيسعه ترك البحث فاذا وقع فى سمعه شئ من ذلك ووقر فى قلبه ولم يكن عنده تفصيل ذلك وقطعه ومعرفة تمييز حقه من باطله لم يحل له أن يسكت عليه لئلا يعتقد باطلا أو ينفى حقا فافترض عليه طلب ذلك من العلماء به فيستكشفه حتى يكون على اليقين من أمره فيعتقد من ذلك الحق و ينفى الباطل ولا يقعد عن الطلب فيكون مقيما على شبهة فيتبع الهوى أو يكون شاكا فى الدين فيعدل عن طريق المؤمنين أو يعتقد بدعة فيخرج بذلك عن السنة ومذهب الجماعة وهو لا يعلم ولهذا المعنى كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول فى دعائه اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه وأرنا الباطل باطلا فنجتنبه ولا تجعل ذلك متشابها علينا فنتبع الهوى وهذا مذهب أبى ثور ابراهيم بن خالد الكلبى وداود بن على والحسين الكرابيسى والحرث بن أسد المحاسبى ومن تابعهم من المتكلمين فهذه أقوال العلماء فى معنى هذا الخبر حكيناه عن علماء مذاهبهم على معنى مذهب كل طائفة واحتججنا للكل قول فالالفاظ لنا والمعنى لهم وهذا كله حسن ومحتمل وهؤلاء كلهم وان اختلفوا فى تفسير الحديث بألفاظ فانهم متقاربون فى المعنى الا أهل الظاهر منهم فانهم حملوه على ما يعلمونه وأهل الباطن تأولوه على علمهم ولعمرى ان الظاهر والباطن علمان لا يستغنى أحدهما عن صاحبه بمنزلة الاسلام والايمان مرتبط كل واحد بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك أحدهما عن صاحبه وهؤلاء المختلفون فى الاقوال مجمعون انه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك طلب علم الاقضية والفتاوى ولا علم الاختلاف والمذاهب ولا كتب الاحاديث مما لا يتعين فرضه وان كان الله تعالى لا يخلى من ذلك من يقيمه ويحفظه والذى عندنا فى حقيقة معنى هذا الخبر والله أعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة يعنى علم هذه الفرائض الخمس التى بنى الاسلام عليها من حيث لم يفترض على المسلمين غيرها ثم ان العمل لا يصح الا بعلمه فاول العمل العلم به فصار علم العمل فرضا من حيث افترض العمل فلما لم يكن على المسلمين فرض من الاعمال الا هذه الخمس صار طلب علم هذه الخمس فرضا لانه فرض الفرض وعلم التوحيد داخل فيها لانه فى أوله شهادة أن لا اله الا الله باثبات صفاته المتصلة بذاته ونفى صفات سواه المنفصلة عن اياه كله داخل فى علم شهادة أن لا اله الا الله وعلم الاخلاص داخل فى صحة الاسلام اذ لا يكون مسلما الا باخلاص العمل لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله فبدأ به واشترطه للاسلام والاصل فى هذا انه لم يرد صلى الله عليه وسلم علم كل ما جاز أن يكون معلوما باجماع الامة انه لم يعن بذلك علم الطب أو علم النجوم ولا علم النحو أو الشعر أو المغازى وهذه تسمى علوما لانها تكون معلومة وأربابها علماؤها لان الشرع لم يرد بالامر بتقضاها والامة مجمعة أيضا انه لم يرد بذلك علم الفتيا والقضاء ولا علم افتراق المذاهب واختلاف الآراء وهذه تسمى علوما عند أهلها وبعض هذا فرض على الكفاية وكلها ساقطة عن الاعيان والخبر جاء بلفظ العموم بذكر الكلية بمعنى الاسم فقال طلب العلم فريضة ثم قال على كل مسلم بعد قوله اطلبوا العلم فكان هذا على الاعيان فكأنه على ما وقع عليه اسم العلم ومعناه المعهود المعروف بادخال التعريف

عليه

قال الشطنوفى وتذكر بقلبك يوم تتقلب القلوب قبل أن يمسك اللسان و يحصر الانسان ويزول العرفان وتنشر الاكفان وتنزل الحفرة وتطول السفرة ويأتى منكر ونكير ويقوى الشهيق والزفير و يأتى العبد مساله و ينسى من خلفه و يبقى هنالك أسيرا الى أن يعود فيقوم عريانا حسيرا فحينئذ تبين الكرائم وتنشر الجرائم وتعظم المصائب وتنسد المذاهب وتثقل على الظهور الاوزار و يؤخذ الكتاب باليمين أو باليسار ليس لاحد هنالك قرار الا الجنة أو النار فبادروا رحمكم الله بالمتاب قبل أن تعاينوا هذه الاهوال والعذاب شعر

يانفس قد طاب فى امهالك العمل
فاستدركى قبل أن يدنو لك الاجل
الى متى أنت فى لهو وفى عمه
يغرك الخادعان الحرص والامل
وأنت فى سكر سهو ليس يدفعه
عن قلبك الناصحان العتب والعذل
تزودى لطريق أنت سالكة
فيها فعما قليل يأتك المثل
ولا يغرك أيام الشباب ففى
أعقابها الموبقات الشيب والاجل
يانفس توبى من العصيان واجتهدى
ولا يغرنك الابعاد والملل

عليه فاشير بالالف واللام اليه فاذا بطلت هذه الوجوه صح ان قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم أى طلب علم ما بنى الاسلام عليه فافترض على المسلمين علمه فريضة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي حين سأله أخبرني ماذا افترض الله تعالى على وفي لفظ آخر أخبرنا بالذى أرسلك الله تعالى الينا به فاخبره بالشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت فقال هل على غيرها فقال لا الا ان تطوع فقال والله لا أزيد عليه شيأ ولا أنقص منه شيأ فقال أفلح ودخل الجنة ان صدق فكان علم هذه الخمس فريضة من حيث كان معلومه فريضة اذ لا عمل الا بعلم وقد قال عز وجل الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال في مثله حتى تعلموا ما تقولون وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وقال بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وقال تعالى ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وقال سبحانه وتعالى فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو وقال فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فهذه الآى افترض الله فيها طلب العلم وذلك الخبر الذى جاء في أبنية الاسلام الخمسة افترض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه هذه الاعمال ثم قال مجملا طلب العلم فريضة ثم وكده بقوله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فكان تفسير ذلك وتفصيله ان علم هذه الخمس التي هي بنية الاسلام فرض لاجل فرضها وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق مرسل انه مر برجل والناس يجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر والانساب وأيام العرب فقال هذا علم لا يضر جهله وفي لفظ آخر علم لا ينفع وجهل لا يضر وروينا في الخبران من العلم جهلا وان من القول عيا وفي الخبر الآخر قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وفي خبر غريب كل شئ يحتاج الى العلم والعلم يحتاج الى التوفيق والخبر المشهور قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من علم لا ينفع فسماه علما اذ له معلوم وان أصحابه علماء عند أصحابهم ثم رفع المنفعة عنهم واستعاذ بالله منه وقد روينا في خبران الشيطان ربما سبقكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف يسبقنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا والعمل مسوفا حتى يموت وما عمل ففي هذا الخبر دليلان أحدهما انه أريد به طلب فضول العلم الذى لا نفع له في الآخرة ولا قربة في طلبه من الله والثاني ان العلم المفضل المندوب اليه انما هو الذى يقتضى العمل لان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر بعمل بغير علم ولا يكره طلب علم العمل به ألا تسمع الى قوله صلى الله عليه وسلم في الخبر الآخر فضل من علم أحب الى من فضل من عمل وخير دينكم الورع فهذ كرفضل علم المعرفة واليقين على سائر العلوم وكشف طريق علماء السلف الصالح من علماء الدنيا والآخرة وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ألوف من صحابته كلهم علماء بالله فقهاء عن الله تعالى أهل رضوان من الله تعالى ولم ينصب نفسه الى الفتيا ولا حلت عنه الاحكام والقضايا الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال اذهب الى الامير الذى تقلد أمور الناس فضعها في عنقه وروى ذلك عن أنس ثم جماعة من الصحابة والتابعين باحسان وكان ابن مسعود يقول ان الذى يفتى الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن مسئلة ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس على ضد ذلك كان يسئل عن عشرة فيجيب في تسعة ويسكت عن واحدة وكان من الفقهاء من يقول لا أدرى أكثر من أن تقول أدرى منهم سفيان الثورى ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل وفضيل بن عياض وبشر بن الحرث رضى الله عنهم وكانوا في مجالسهم يجيبون عن بعض ويسكتون عن بعض ولم يكونوا يجيبون في كل ما يسئلون عنه وروينا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من أحد يسئل عن حديث أو فتيا الا ود ان أخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى ترجع الى الذى سئل عنها أول مرة وروى عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما من التابعين وقد روينا مسندا لا يفتى الناس الا ثلاثة أمير

---

ثم احذرى موقفا صعبا لشدته
يغشى الورى المتلفات الخوف والوجل
ويختم الفم والاعضاء ناطقة
فيظهر المخفيات الخطأ والخطل
ويحكم الله بين الناس معدلة
فتنزل الحالتان البر والزلل
اللهم اعصمنا من الزلل والخطايا وارزقنا توبة نصوحا قبل بغتة المنايا وانفعنا ببركة الصالحين واحشرنا تحت أقدام المتقين

*(فصل)* في الاحسان الى المماليك والجار قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم خ م عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلب فليعنه عليه ه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كفى بالرجل اثما أن يحبس عمن يملك قوته وفي رواية كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت م عن أبى مسعود الانصارى قال كنت أضرب غلاما لى

أومأمورا ومتكلف تفصيل ذلك ان الامير هو الذى يتكلم فى علم الفتيا والاحكام كذلك كان الامراء يسألون ويفتون والمأمور الذى يأمره الامير بذلك فيقيمه مقامه ويستعين به لشغله بالرعية والمتكلف هو القاص الذى يتكلم فى القصص السالفة ويقص أخبار من مضى لان ذلك لا يحتاج اليه فى الحال ولم يندب اليه من العلوم وقد تدخله الزيادة والنقصان والاختلاف فلذلك كره القصص فصار القاص من المتكلفين وقد جاء فى لفظ الحديث الآخر بتأويل معناه لا يتكلم على الناس الا ثلاثة أمير أومأمور أومراء فكان قولهم أمير هو المفتى فى الاقضية والاحكام كما ذكرنا آنفا ومعنى مأمور هو العالم بالله عز وجل الزاهد فى الدنيا يتكلم فى علم الايمان واليقين وفى علم القرآن والحث على مصالح أعمال الدين بأمر من الله تعالى اذن الله تعالى له فى ذلك بقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه وقد كان أبو هريرة وغيره يقولون لولا آيتان فى كتاب الله تعالى ما حدثتكم حديثا أبدا ثم يتلو هذه والآية التى قبلها ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آتى الله تعالى عالما علما الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينه ولا يكتمه وأما المرائى فهو المتكلم فى علوم الدنيا الناطق عن الهوى يستميل بذلك قلوب الناس ويجتلب بكلامه المزيد من الدنيا والرغبة فيها وقال بعض العلماء كان الصحابة والتابعون باحسان يتدافعون أربعة أشياء الامامة والوديعة والوصية والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم الى الفتيا أقلهم علما وأشدهم دفعا لها وتوقفا عنها أورعهم وقال بعض السلف كان شغل الصحابة والتابعين باحسان فى خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثا أمر بمعروف أونهى عن منكر أو ذكر الله تعالى وقال الله أصدق القائلين لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أومعروف أواصلاح بين الناس ورأى بعض أصحاب الحديث بعض فقهاء الكوفة من أهل الرأى بعد موته فى المنام قال فقلت له ما فعلت فيما كنت عليه من الفتيا والرأى قال فكره وجهه وأعرض عنى وقال ما وجدناه شيأ وما حمدنا عاقبته وحدثونا عن على بن نصر بن على الجهضمى عن أبيه قال رأيت الخليل بن أحمد فى النوم بعد موته فقلت ما أحد أعقل من الخليل لاسألنه فقال لى أرأيت ما كنا فيه فانى لم أر شيأ مما رأيت أنفع من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وحدثونا عن بعض الاشياخ قال رأيت بعض العلماء فى المنام فقلت له ما فعلت تلك العلوم التى كنا نتجادل فيها ونتناظر عليها قال فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين خلصتا لى فى جوف الليل وحدثت عن أبى داود السجستانى قال كان بعض أصحابنا كثير الطلب للحديث حسن المعرفة به فمات فرأيته فى المنام فقلت ما فعل الله بك فسكت فأعدت عليه فسكت فقلت غفر الله لك قال لا قلت لم قال الذنوب كثيرة والمناقشة دقيقة ولكن قد وعدت بخير وأنا أرجو خيرا قلت أى الاعمال وجدتها فيما هناك أفضل قال القراءة القرآن والصلاة فى جوف الليل قلت فأيما أفضل ما كنت تقرأ أوتقرئ فقال ما كنت أقرأ قلت فكيف وجدت قولنا فلان ثقة وفلان ضعيف فقال ان خلصت فيه النية لم يكن لك ولا عليك وحدثت عن بعض الشيوخ قال حدثنى أحمد بن عمر الخاقانى قال رأيت فى منامى كأنى فى طريق أمضى اذ صادفنى رجل فأقبل على وهو يقول وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله فقلت له لى تعنى فقال لك ولذلك الذى خلفك فالتفت فاذا سرى رحمه الله فأعرضت عن الرجل وأقبلت على السرى وقلت هذا استاذنا ومؤدبنا الذى كان يؤدبنا فى الدنيا ثم قلت له يا أبا الحسن انك قد صرت الى الله تعالى فأخبرنا بأى عمل تقبله الله تعالى فأخذ بيدى ثم قال تعال فجئت أنا وهو الى بنية مثل الكعبة فوقفنا الى جانبها اذا أشرف علينا من البنية شخص فأضاء ذلك الموضع منه فأومأ سرى اليه وأشار الى نحوه وكان سرى قصيرا وأنا أيضا قصير فذلك الشخص الذى كان فوق البنية مد يده فأخذنى فشالنى اليه فلم أقدر أفتح عينى من أنوار كانت فى ذلك المكان ثم قال لى قد سمعت كلامك مع الشيخ



... من خلفى صوتا اعلم يا أبا مسعود الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال اما لو لم تفعل للفحتك النار أولمستك النار ه عن أم سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى مرضه الصلاة وما ملكت أيمانكم ق ت قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة سيئ الملكة ت عن النبى صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة وروى الطبرانى عن جابر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرقاع حتى اذا كنا بحرة واقم أقبل جمل يرقل حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يرغو على هامته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الجمل يستعدينى على صاحبه يزعم انه كان يحرث عليه منذ سنين حتى اذا أجربه وأعجفه وكبر سنه أراد نحره اذهب يا جابر الى صاحبه فأت به قلت ما أعرفه قال انه سيدلك عليه قال فخرج بين يدى معنقا حتى وقف بى فى مجلس بنى خطمة فقلت أين رب هذا الجمل قالوا هذا الفلان بن فلان فجئته فقلت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معى حتى اذا جاء

كل خلق فى القرآن محمود تفعله وكل خلق فى القرآن مذموم تنتهى عنه وحسبك هذا وقد حدثونا عن سرى السقطى قال كان شاب يطلب علم الظاهر وبواظب عليه ثم ترك ذلك وانفرد واشتغل بالعبادة فسألت عنه فاذا هو قد اعتزل الناس وقعد فى بيته يتعبد فقلت له قد كنت حريصا على الطلب لعلم الظاهر فما بالك انقطعت قال رأيت فى النوم قائلا يقول لى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت انى لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على النظر فيه والعمل وقد كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم الخشية وقال غيره من الفقهاء انما العلم نور يقذفه الله تعالى فى القلب وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول اعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يؤجركم الله تعالى عليه حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية وان العلماء همتهم الرعاية وروينا عنه أيضا انه قال ان الله لا يعبأ بذى عقول ورواية انما يعبأ بذى فهم ودراية وقال أبو حصين ان أحدهم ليفتى فى مسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجمع لها أهل بدر وقال غيره يسئل أحدهم عن الشئ فيسرع الفتيا ولو سئل أهل بدر عنها لاعضلتهم وقال عبد الرحمن بن يحيى الاسود وغيره من العلماء ان علم الاحكام والفتاوى كان الولاة والامراء يقومون به وترجع العامة اليهم فيه ثم ضعف الامر وعجزت الولاة عن ذلك لميلهم الى الدنيا وشغلهم بالحروب عنها فصاروا يستعينون على ذلك بعلماء الظاهر وبالمفتين فى الجوامع فكان الامير اذا جلس للمظالم قعد عن يمينه وشماله مفتيان ويجمع اليه حاذق القضاء والاحكام ويأمر الشرط بمثل ذلك فكان من الناس من يتعلم علم الفتيا والقضاء ليستعين بهم الولاة على الاحكام والقضاء حتى كثر المفتون رغبة فى الدنيا وطلبا للرياسة ثم اختلف الامر بعد ذلك حتى تركت الولاة الاستعانة بالعلماء ومما يدلك على ذلك حديث عمر رضى الله عنه حيث كتب الى ابن مسعود عقبة بن عامر ألم أخبر انك تفتى الناس ولست بامير ولا مأمور وفى حديث أبى عامر الهروى قال حججت مع معاوية فلما قدمنا مكة حدثهم رجل يقضى ويفتى الناس مولى لبنى مخزوم فارسل اليه فقال أمرت بهذا قال لا قال فما حملك عليه قال نفتى وننشر علما عندنا فقال معاوية لو تقدمت اليك قبل يومى هذا لقطعت منك طابقا ثم نهاه ولم يكونوا يقولون ذلك فى علم القلوب ولا علم الايمان واليقين بل قد كتب عمر الى أمراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم تجلى لهم أمور صادقة وقد كان عمر رضى الله عنه يجلس الى المريدين فيستمع اليهم وفى الخبر اذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه تلقى الحكمة وقال بعض أصحاب الحديث رأيت سفيان الثورى حزينا فسألته فقال هو يوم ما صرنا الا متجرا لابناء الدنيا قلت وكيف قال يلزمنا أحدهم حتى اذا عرف به ولو جعل عاملا أو جابيا أو قهرمانا وكان الحسن يقول يتعلم هذا العلم قوم لا نصيب لهم منه فى الآخرة يحفظ الله تعالى بهم العلم على الامة لئلا يضيع وقال المأمون رحمه الله لولا ثلاث لخربت الدنيا لولا الشهوة لانقطع النسل ولولا حب الجمع لبطلت المعايش ولولا حب الرياسة لذهب العلم فهذا كله وصف علماء الدنيا وأهل علم الالسنة وأما علماء الآخرة وأهل المعرفة واليقين فانهم كانوا يهربون من الامراء ومن اتباعهم وأشباعهم من اهل الدنيا وكانوا ينتقصون علماء الدنيا ويطعنون عليهم ويتركون مجالستهم وقال ابن أبى ليلى أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من الصحابة ما يسئل أحدهم عن حديث ولا استفتى فى فتيا الا ود ان صاحبه قد كفاه ذلك وقال مرة أدركت ثلثمائة يسئل أحدهم عن الفتيا أو الحديث فيرد ذلك الى الآخر ويحيل الآخر على صاحبه وكانوا يتدافعون الفتيا بينهم ولم يكونوا اذا سئل أحدهم عن مسئلة من علم القرآن أو علم اليقين والايمان يحيل على صاحبه ولا يسكت عن الجواب وقد قال الله سبحانه فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فهم أهل الذكر لله تعالى وأهل التوحيد والعقل عن الله تعالى ولم يكونوا يتلقون هذا العلم دراسة من الكتب ولا يتلقاه بعضهم من بعض بالالسنة انما كانوا أهل عمل وحسن معاملات فكان أحدهم اذا انقطع الى الله تعالى واشتغل به واستعمله المولى بخدمته باعمال القلوب وكانوا عنده فى الخلوة بين يديه لا يذكرون سواه

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان جملك يزعم انك حرثت عليه زمانا حتى اذا أجربته واعجفته وكبرسنه اردت ان تنحره فقال والذى بعثك بالحق ان ذلك كذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هكذا جزاء المملوك الصالح ثم قال بعنيه قال نعم فابتاعه منه ثم أرسله صلى الله عليه وسلم فى الشجر حتى نصب سنامه فكان اذا اعتل على بعض المهاجرين والانصار من نواضحهم شئ اعطاه اياه فمكث كذلك زمانا خ م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه م عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه • قال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع الى جنبه عن أبى هريرة قال قال رجل يا رسول الله ان فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير انها تؤذى جيرانها بلسانها قال هى فى النار قال يا رسول الله فان فلانة تذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها فانها تتصدق بالاثوار من الاقط ولا تؤذى بلسانها جيرانها قال هى فى الجنة ن قال

ولا يشتغلون بغيره فاذا ظهروا للناس فسألوهم ألهمهم الله تعالى رشدهم ووفقهم لسديد قولهم وآتاهم
الحكمة ميراثاً لأعمالهم الباطنة من قلوبهم الصافية وعقولهم الزاكية وهممهم العالية فآثرهم بحسن
توفيقه ان ألهمهم حقيقة العلم وأطلعهم على مكنون السر حين آثروه بالخدمة وانقطعوا اليه بحسن المعاملة
فكانوا يجيبون عما عنه يسألون بحسن اثرة الله تعالى لهم وجميل اثره عندهم فتكلموا بعلم القدرة وأظهروا
وصف الحكمة وفاهوا بعلوم الايمان وكشفوا بواطن القرآن وهذا هو العلم النافع الذى بين العبد وبين الله
تعالى وهو الذى يلقاه به ويسأله عنه ويثيبه عليه وهو ميزان جميع الأعمال وعلى قدر علم العبد بربه تعالى ترجح
أعماله وتضاعف حسناته وبه يكون عند الله تعالى من المقربين لأنه لديه من الموقنين فهم أهل الحقائق الذين
وصفهم على عليه السلام وفضلهم على الخلائق فقال فى وصفهم القلوب أوعية وخيرها أوعاها والناس ثلاثة
عالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا
الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة
محبة العالم دين يدان به يكسبه الطاعة فى حياته وجميل الأحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه
ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدهر ثم تنفس الصعداء فقال
هاه ان ههنا علماً جماً لو أجد له حملة بلى أجد لقناً غير مأمون يستعمل الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله
تعالى على أوليائه ويستظهر بحججه على خلقه أو منقاداً لأهل الحق ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من
شبهة لا بصيرة له وليسا من رعاة الدين فى شئ لا ذا ولا ذاك فنهوم باللذة سلس القياد فى طلب الشهوات أو
مغرى بجمع الأموال والادخار منقاد لهواه أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات
حاملوه بل لا تخلو الأرض من قائم لله تعالى بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله
تعالى وبيناته وأين أولئك الأقلون عدداً الأعظمون قدراً أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة
يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعها نظراءهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة
الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا
الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله من خلقه وعماله فى أرضه والدعاة الى دينه ثم
بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذه كلها أوصاف علماء الآخرة وهذه نعوت علم الباطن وعلم القلوب لا علم
الألسنة وكذلك وصفهم معاذ بن جبل رضى الله عنه فى وصف العلم بالله تعالى فيما رويناه من حديث رجاء بن
حيوة بن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ قال تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح
والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة
والدليل على السراء والضراء والزين عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى
به أقواماً فيجعلهم الله فى الخير قادة وهداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أعمالهم ويقتدى
بفعالهم وينتهى الى رأيهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر
حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها ألا ان العلم حياة القلوب من العمى ونور
الأبصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل
بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله تعالى وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الأرحام العلم امام
والعمل تابعه تلهمه السعداء وتحرمه الأشقياء فهذه أوصاف علماء الآخرة ونعت العلم الباطن وقد كان
من أفضل الأمراء بعد الخلفاء الأربعة عمر بن عبد العزيز فحدثونا عن زكريا بن يحيى الطائى قال حدثنى
عمى زحر بن حصين ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن رحمهما الله أما بعد فأشر على بقوم أستعين
بهم على أمر الله تعالى فكتب اليه أما أهل الدين فلن يريدوك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك
بالأشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة وكان الحسن يتكلم فى بعض علماء البصرة ويذمهم

وكان

صلى الله عليه وسلم خير
الأصحاب عند الله خيرهم
لصاحبه وخير الجيران
عند الله خيرهم لجاره
فاتقوا الله عباد الله حق
تقواه وراقبوه مراقبة من
يعلم أنه يراه وتأهبوا
لوثبات المنون فانها كامنة
فى الحركات والسكون بينما
المرء مسرور بشبابه
مغمور باعجابه مغرورا
بسعة اكتسابه مستورا
عما خلق له بما يغرى به
اذ سعرت فيه الأسقام
شهابها وكدرت له الأيام
شرابها وحومت عليه
المنية عقابها وأعلقت فيه
ظفرها ونابها فسرت فيه
أوجاعه وتنكرت عليه
طباعه وأظل رحيله
ووداعه وقل عنه منعه
ودفاعه فأصبح ذا بصر حائر
وقلب طائر ونفس غائر فى
قطب هلاك دائر قد أيقن
بمفارقة أهله ووطنه
وأذعن بانتزاع روحه من
بدنه فاوماً الى حاضرى
عواده موصياً لهم بأصغر
أولاده والنفس بالسياق
تجذب والموت بالفراق
يقرب والعيون لهول
مصرعه تسكب والحامة
عليه تعدد وتندب حتى
تجلى له ملك الموت من حجبه
فقضى فيه قضاء أمر ربه
فعافه الجليس وأوحش
منه الأنيس وزودمن ماله
كفنا وحصل فى القبر
بعمله مرتهنا وحيدا على
كثرة الجيران بعيدا على

وكان أبو حازم وربيعة المدنيان يذمان علماء بني مروان وقد كان الثوري وابن المبارك وأيوب وابن عون يتكلمون في بعض علماء الدنيا من أهل الكوفة وكان الفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون في بعض علماء الدنيا من أهل مكة والشام كرهنا تسمية المتكلم فيهم لان السكوت أقرب الى السلامة وكان بشر يقول حدثنا باب من أبواب الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول أوسعوا لي وقد كان سفيان الثوري امامه من قبله يقول لأهل علم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الآخرة وقال ابن وهب ذكر طلب العلم عند مالك فقال ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ماذا يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ومن حين تمسي الى حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيئا وقال أبو سليمان الداراني اذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وأما علم الايمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين فهو مع كل مؤمن موقن حسن الاسلام وهو مقامه من الله ومحله بين يدي الله ونصيبه منه في درجات الجنة به يكون من المقربين عنده والعلم بالله تعالى والايمان به قرينان لا يفترقان فالعلم بالله تعالى هو ميزان الايمان به يستبين المزيد من النقصان لان العلم ظاهر الايمان يكشفه ويظهره والايمان باطن العلم يهيجه ويشعله فالايمان مدد العلم وبصره والعلم قوة الايمان ولسانه وضعف الايمان وقوته ومزيده ونقصه بمزيد العلم بالله عز وجل ونقصه وقوته وضعفه وفي وصية لقمان الحكيم لابنه يا بني كما لا يصلح الزرع الا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الايمان الا بالعلم والعمل ومثل المشاهدة من المعرفة من اليقين من الايمان كمثل النشاء من الدقيق من السويق من الحنطة والحنطة تجمع ذلك كله كذلك الايمان أصل ذلك والمشاهدة أعلى فروعه كالحنطة أصل هذه المعاني والنشاء أعلى فروعها فهذه المقامات موجودة في أنوار الايمان بعدها علم اليقين ثم ان المعرفة على مقامين معرفة سمع ومعرفة عيان فمعرفة السمع في الاسلام وهو انهم سمعوا به فعرفوه وهذا هو التصديق من الايمان ومعرفة العيان في المشاهدة وهو عين اليقين والمشاهدة أيضا على مقامين مشاهدة الاستدلال ومشاهدة الدليل عنها فمشاهدة الاستدلال قبل المعرفة وهذه معرفة الخبر وهو في السمع لسانها القول والواجد بها واجد بعلم اليقين من قوله تعالى بسبأ بنبأ يقين اني وجدت بهذا العلم قبل الوجد وهو علم السمع وقد يكون سببه التعليم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين أي جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين لانهم علماؤه وأما مشاهدة الدليل فهي بعد المعرفة التي هي العيان وهو اليقين لسانه الوجد والواجد بها واجد قرب وبعد هذا الوجد علم من عين اليقين وهذا يتولاه الله تعالى بنوره على يده بقدرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فوجدت بردها فعلمت فهذا التعليم بعد الوجد من عين اليقين باليقين وهذا من أعمال القلوب وهؤلاء علماء الآخرة وأهل الملكوت وأرباب القلوب وهم المقربون من أصحاب اليمين وعلم الظاهر من علم الملك وهو من أعمال اللسان والعلماء به موصوفون بالدنيا وصالحوهم أصحاب اليمين وجاء رجل الى معاذ بن جبل فقال اخبرني عن رجلين أحدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب الا انه ضعيف اليقين يعتريه الشك في أموره فقال معاذ ليحبطن شكه اعماله قال فاخبرني عن رجل قليل العمل الا انه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله لئن أحبط شك الاول اعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فأخذ معاذ بيده وقام قائما ثم قال ما رأيت الذي هو أفقه من هذا وقد روينا معناه مسندا قيل يا رسول الله رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كانت غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وروينا في حديث أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن (٣) أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه وقد يعمل العمل الضعيف اذا كان متيقنا أفضل من العمل

---

قرب المكان مشيما بين قوم كانوا قد زالوا وحرت عليهم الحادثات فحالوا لا يخبرون بما اليه آلوا ولو قدروا على المقال لقالوا قد شربوا من الموت كاسا مرة ولم يفقدوا من أعمالهم ذرة والى عليهم الدهر ألية برة ان لا يجعل لهم الى دار الدنيا كرة كأنهم لم يكونوا العيون قرة ولم يعدوا في الاحياء مرة أسكتهم الله الذي أنطقهم وأبادهم الذي خلقهم وسيجددهم كما أخلقهم ويجمعهم كما فرقهم يوما يعيد الله العالمين فيه خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا

*(فصل في الشفقة)* على الخلق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال النبي صلى الله عليه وسلم من عال على جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو هكذا وضم أصابعه ت قال النبي صلى الله عليه وسلم ما نحل والد ولده من نحل أفضل من أدب حسن خ م قال صلى الله عليه وسلم من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار خ م قال صلى الله عليه وسلم لا يرحم الله من لا يرحم الناس ت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر

القوى الضعيف فى يقينه ومن يضعف يقينه تغلبه الصغرات من الاثم وقد كان يحيى بن معاذ يقول ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد أحرق لسيآت الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واليقين على ثلاث مقامات يقين معاينة وهذا الاخبار بخبره فالعالم به خبير وهو الصديقين والشهداء ويقين تصديق واستسلام وهذا فى الخبر والعالم به مخبر مسلم وهذا يقين المؤمنين وهم الابرار ومنهم الصالحون ومنهم دون ذلك كقوله تعالى جده وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقد يضعف هؤلاء بعدم الاسباب ونقصان المعتاد ويقوون بوجودها وجريان العادة ويحجبون بنظرهم الى الاواسط ويكاشفون بها ويعملون مزيدهم وانسهم بالخلق ويكون نقصهم ووحشتهم بفقدهم ويكون من هؤلاء الاختلاف ويتلونون بالخلاف لتلوين الاشياء وتغيرها عليهم والمقام الثالث من اليقين وهو يقين ظن يقوى بدلائل العلم والخبر وأقوال العلماء ويجد هؤلاء المزيد من الله تعالى والنصيب منه لهم ويضعف بفقد الادلة وصمت القائلين وهذا يقين الاستدلال وعلوم هذا فى المعقول وهو يقين المتكلمين من عموم المسلمين من أهل الرأى وعلوم العقل والقياس والنظر وكل موقن بالله تعالى فهو على علم من التوحيد والمعرفة ولكن علمه ومعرفته على قدر يقينه ويقينه من نحو سطاء ايمانه وقوته واعانه على مقتضى معاملته ورعايته فاعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين وهذا لخصوص المقربين فى مقامات قربهم ومحادثات مجالستهم ومأوى انسهم ولطيف تملقهم وأدنى العلوم علم التسليم والقبول بعدم الانكار وفقد الشكوك وهذا لعموم المؤمنين وهو من علم الايمان ومزيد التصديق وهذا لاصحاب اليمين وبين هذين مقامات لطبقات من أعلى طبقات المقربين الى أوسط المقامات ومن أدنى طبقات أصحاب اليمين الى أعلى أواسط الاعلين *(ذكر بيان تفضيل علوم الصمت وطريق الورعين فى العلوم)* وروينا فى الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى وعن الشعبى انه قال لا أدرى نصف العلم يعنى انه من الورع وكان الثورى رضى الله عنه يقول انما العلم الرخصة من ثقة فأما التشديد فكل أحد يحسنه يعنى ان التورع والتوقف فى الامور هو سيرة المؤمنين وان لم يكونوا علماء لان الورع هو الجبن عن الاقدام والهجوم على الشبهات والوقوف عند المشكلات بسكون أو سكوت واليقين هو الاقدام على الاشياء ببصيرة وتمكين والقطع بالامر على علم وخبر وهذا صفة العلماء الموقنين يعلمهم لا يحسنه سواهم كما قال على عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية وقدمه امامه يوم الجمل وجعل يقول له أقدم أقدم ومحمد يتأخر وهو يركزه بقائم رمحه فالتفت اليه محمد ابنه فقال هذه والله الفتنة المظلمة العمياء فوكزه على برمحه ثم قال تقدم لا أم لك أتكون فتنة أبوك قائدها وسائقها والمرء اذا قال لا أدرى فقد عمل بعلمه وقام بحاله فله من الثواب بمنزلة من درى فقام بحاله وعمل بعلمه فأظهره فلذلك كان قول لا أدرى نصف العلم ولان حسن من سكت لاجل الله تعالى تورعا كحسن من نطق لاجله بالعلم تبرعا وقال على بن الحسين ومحمد بن عجلان اذا أخطأ العالم قول لا أدرى أصيبت مقالته وقاله مالك والشافعى بعدهما واعلم ان مثل العلم والجهل فى تفاوت الناس فيهما مثل الجنون والعقل والمجانين طبقات كالعقلاء طبقات وكذلك الجهال طبقات كالعلماء فخصوص الجهال يشبهون عموم العلماء فهم يشتبهون على العامة حتى يحسبوهم علماء وهم مكشوفون عند العلماء بالله تعالى وكذلك العارفون يشتبهون على عموم العلماء وهم ظاهرون للموقنين وقال بعض العلماء العلم علمان علم الامراء وعلم المتقين فاما علم الامراء فهو علم القضايا وأما علم المتقين فهو علم اليقين والمعرفة وقد قال الله سبحانه فى وصف علم المؤمنين وذكر علم الايمان يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فجعل المؤمنين علماء فدل على ان العلم والايمان لا يفترقان والواو هنا عند أهل اللغة للمدح لا للجمع العرب اذا مدحت بالاوصاف أدخلت الواو للمبالغة فقالوا فلان العاقل والعالم والاديب ومثل هذا قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة كله نعت فالمؤمنون هم الراسخون فى العلم وهم المقيمون والمؤتون أيضا وكلهم وصف الراسخون فى العلم ولذلك

انتصب

---

قُ قال صلى الله عليه وسلم خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ت ا قال صلى الله عليه وسلم من مسح رأس يتيم لم يمسحه الا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات ومن أحسن الى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه م قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله م قال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وروى ابن عساكر فى تاريخه عن بعض أصحاب الشبلى قال رأيت الشبلى فى النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه فقال يا أبا بكر أتدرى بماذا غفرت لك فقلت بصالح عملى قال لا فقلت باخلاصى فى عبوديتى قال لا فقلت بحجى وصومى وصلاتى قال لم أغفر لك بذلك فقلت بهجرتى الى الصالحين وبادامة أسفارى فى طلب العلوم فقال لا فقلت يا رب هذه المنجيات التى كنت أعتقد خنصرى

انتصب قوله والمقيمين الصلاة لأنه مدح والعرب تنصب وترفع بالمدح وبمعناه قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا. فوصف العلماء بالايمان كما وصف المؤمنين بالعلم وكذلك قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والايمان ومن هذا حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أمتي خمس طبقات كل طبقة أربعون عاما فطبقتي وطبقة أصحابي أهل العلم والايمان والذين يلونهم الى الثمانين البر والتقوى والذين يلونهم الى مائة وعشرين أهل التواصل والتراحم فقرن العلم بالايمان وقدمهما على سائر الطبقات وقد قرن الله سبحانه الايمان بالقرآن وهو علم كما قرن القرآن بالايمان كما قال تعالى كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه قيل القرآن وتكون الهاء عائدة الى الله تعالى في أكثر الوجوه كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا فأهل الايمان هم أهل القرآن وأهل القرآن أهل الله وخاصته وقال المهدي لسفيان بن الحسين لما دخل عليه وكان أحد العلماء أمن العلماء أنت فسكت فأعاد عليه فسكت فقيل ألا تجيب أمير المؤمنين فقال يسألني عن مسئلة لا جواب لها ان قلت لست بعالم وقد قرأت كتاب الله تعالى كنت كاذبا وان قلت اني عالم كنت جاهلا وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أنس في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال من لم يخش الله تعالى فليس بعالم ألا ترى ان داود صلى الله عليه وسلم قال ذلك بأنك جعلت العلم خشيتك والحكمة والايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكم من لم يؤمن بك وقد سمى عبد الله بن رواحة العلم ايمانا فكان يقول لأصحابه اقعدوا بنا نؤمن ساعة فيتذاكرون علم الايمان وقد جعل الله للمؤمنين سمعا وبصرا وقلبا وهذه طرائق العلم التي يؤخذ العلم منها ويوجد بها وهي أصول العلم والنعم التي أنعم الله على الخلق بها وطالبهم بالشكر عليها فقال سبحانه والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون فأثبت العلم بها بعد النفي بجهله وقال تعالى في وصف من لم يكن مؤمنا ونفي الغنية بالعلم بها وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله فمن آمن بآيات الله تعالى أغنى عنه سمعه وبصره وقلبه فكانت طرق العلم اليه * وقال عز وجل في معنى ذلك أيضا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فلولا ان العلم يقع بالسمع والبصر والقلب ما نهى عما لا يعلم بهذه الاشياء ففي النهي عن قفو ما لا يعلم بهذه الاواسط ويتبعه اثبات العلم بها فكل مؤمن هو ذو سمع وبصر وقلب فهو عالم بفضل الله ورحمته * ومما فضل الله تعالى به هذه الامة على سائر الامم وخصها به ثلاثة أشياء تبقية الاسناد فيهم يأثره خلف عن سلف متصلا الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والى من خلا من علمائنا وانما كانوا هم يستنسخون الصحف كلما اخلقت صحيفة جددت فكان ذلك اثرة العلم فيهم والثاني حفظ كتاب الله تعالى المنزل عن ظهر غيب وانما كانوا يقرؤن كتبهم نظرا ولم يحفظ جميع كتاب أنزله الله تعالى قط غير كتابنا هذا الا ما ألهمه الله تعالى عزيرا من التوراة بعد ان كان بختنصر احرق جميعها عند احراق بيت المقدس فلذلك قال سبط من اليهود انه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لما خصه به وأفرده من حفظ جميع التوراة والثالث ان كل مؤمن من هذه الامة يسئل عن علم الايمان ويسمع قوله ويؤخذ من رأيه وعلمه مع حداثة سنه ولم يكونوا فيما مضى يسمعون العلم الا من الاحبار والقسيسين والرهبان لا غير من الناس وزادها رابعة على أمة موسى صلى الله عليه وسلم ثبات الايمان في قلوبهم لا يعتريه الشك ولا يختلجه الشرك مع تقليب القلوب في المعاصي وكانت أمة موسى عليه السلام تتقلب قلوبهم في الشك والشرك كما تتقلب جوارحهم في المعاصي فلذلك قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة بعد ان رأوا الآيات العظيمة من انفلاق البحر وسلوكهم فيه طرائق وانجاهم من الغرق وأهلك فرعون وروينا في بعض الاخبار ان في بعض الكتب المنزلة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارضين من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبره يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا الى

ظني انك بما تعفو حسني ا فقال كل هذا لم أغفر لك بما فعلت الهي فبماذا قال أتذكر حين كنت تمشي في دروب بغداد فوجدت هرة صغيرة قد أضعفها البرد وهي تنزوي الى جدار من الثلج والبرد فأخذتها رحمة لها فأدخلتها في فرو كان عليك وقاية لها من أليم البرد فقلت نعم فقال برحمتك لتلك الهرة رحمتك

خ م عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال الرجل يا رسول الله انصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه

خ م قال صلى الله عليه وسلم مثل المدهن في حدود والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا مالك قال تأذيتم بي ولا بد لي من الماء فان أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم وان تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم

ت عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من

بأخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وفي أخبارنا من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم حتى قيل من عمل بعشر ما يعلم ورثه الله علم ما يجهل وقد روينا عن حذيفة بن اليمان انكم اليوم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتي بعدكم زمان من عمل منهم بعشر ما يعلم نجا هذا لقلة العاملين وكثرة البطالين وفي كتابنا المجمل المختصر واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا واعلم أن من عمل بعلم أو نطق به فأصاب الحقيقة عند الله تعالى فله أجران أجر التوفيق وأجر العمل وهذا مقام العارفين ومن نطق بجهل أو عمل به وأخطأ الحقيقة فعليه وزران وهذا مقام الجهال ومن قال أو عمل بعلم وأخطأ الحقيقة فله أجر لأجل العلم وهذا مقام علماء الظاهر ومن قال بجهل أو عمل عملا وأصاب الحقيقة فعليه وزر لتركه طلب العلم وهذا مقام جهلة العابدين ومثل العالم مثل الحاكم وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم الحكام ثلاثة أقسام فقال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو قضى بالجور وهو لا يعلم فهما في النار ومن أحسن ما سمعت في قوله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم قيل العلم وريشا قيل اليقين ولباس التقوى أي الحياء وروينا عن وهب بن منبه اليماني في معناه الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقد أسنده حمزة الخراساني عن الثوري فرفعه الى عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد رويناه أيضا مسندا قال المسعر عن سعد بن ابراهيم وسأله سائل أي أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله عز وجل وقال بعض العلماء لو قال لي قائل أي الناس أعلم لقلت أورعهم ولو قال لي قائل أي أهل هذه المدينة خير لقلت تعرفون أنصحهم لهم فاذا قالوا نعم قلت هو خيرهم وقال آخر لو قيل لي من أحمق الناس لأخذت بيد القاضي فقلت هذا وقال الله تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله وقولوا قولا سديدا فجعل تعالى مفتاح القول السديد والعلم الرشيد والسمع المكين التقوى وهي وصية الله تعالى من قبلنا وايانا اذ يقول الله سبحانه وتعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وهذه الآية قطب القرآن ومداره عليها كمدار الرحى على القطب وروينا عن عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به ولا يطلبه ليعمل به وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أعطوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم أهل الجدل الذين عنى الله تعالى فاحذرهم وعن بعض السلف يكون في آخر الزمان علماء يغلق عنهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل وعن ابن مسعود أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي بعدكم زمان خيركم فيه المتبين يعني الآن لبيان الحق واليقين في القرن الاول وبعد ذلك في زماننا هذا لكثرة الشبهات والالتباس ودخول المحدثات مدخل الليل في السير فأشكل الامر الا على الفرد الذي يعرف طرائق السلف فيجتنب الحدث كله وروينا عن بعض العلماء اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل واذا أراد الله بعبد سوأ أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل وفي الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الخلق الى الله عز وجل الالد الخصم وقد روينا في خبر الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي بعضها مفسرا والعي عي اللسان لا عي القلب والخبر الآخر ما روى الحكم بن عيينة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوتي قوم المنطق الا منعوا العمل وفي الحديث ان الله تعالى ليبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل الكلام بلسانه كما تتخلل الباقرة الخلاء بلسانها والخلاء هو الحشيش الرطب وكان أحمد ابن حنبل يقول العلم انما هو ما جاء من فوق يعني الهاما من غير تعليم وقال أيضا علماء أهل الكلام زنادقة وقال



فقد تم لكم الله عنه فلا يستغاب لكم • عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله عز وجل الى جبريل عليه السلام أن أقلب مدينة كذا وكذا بأهلها فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط • عن معاوية أنه كتب الى عائشة أن اكتبي الي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت سلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس والسلام عليك شعر

أيها العاصي المسيء الى متى * تعصي الاله وتتندى بنواله

قم في الدياجي طالب الامانه * واخضع وذل لعزه وجلاله

واضرع اليه وناده بتذلل * يا من يجود على الكئيب نواله

يا من اذا سأل المقصر عفوه * فهو المجيب بفضله لسؤاله

ما لي اليك وسيلة الا الرجا * وتشفعي بمحمد وبآله

المصطفى المختار أكرم شافع * فيمن يرجيه لروم مآله

صلى عليك الله ما جن الدجى * وبدا الصباح بنور حسن جماله

اللهم انقلنا من ذل معصيتك الى عز طاعتك

قبله أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق * بيان آخر في فضل علم الباطن على الظاهر بما يدل على ان العلم الذي فضله العلماء وأعظموا ذكره وخطره ووصفوا به العالم ومدحوه به وجاءت بفضله الأخبار وندب اليه وفضل في الاخبار أهله انما هو العلم بالله تعالى الدال على الله تعالى الراد اليه الشاهد بالتوحيد في علم الايمان واليقين وعلم المعرفة والمعاملة دون سائر علوم الفتيا والاحكام انهم يقولون من عمل بعلمه ويذكرون العمل بالعلم ويصفون جملته بالخشية والخشوع فهذا انما هو علم القلوب بلا علم اللسان الذي يكون به العلم ولا تتأتى عنه المعاملات من أعمال الايمان مثل أعمال القلوب التي هي مقامات اليقين وصفات المتقين ومثل أعمال الجوارح من الصالحات التي هي مزيد الايمان والذين أربابها أهل الفقر والزهد وذو التوكل والخوف وأصحاب الشوق والمحبة وليس يعنون ان يكون الانسان اذا علم علم الاحكام والقضايا عمل بها والتزم الدخول في أحكامها العامل منها مثل ان يطلب القضاء فيقضي بين الناس اذا كان عالما به أو يفتي المال ويدخل في البيع والشراء اذا كان عالما بالزكوات والبياعات أو يتزوج النساء ويطلق لانه عالم بالنكاح والطلاق ليكون بهذه الاشياء عاملا بعلمه هذا ما قاله أحد بل قد روي في كراهة الدخول فيه ما يكثر ذكره وأهل هذه العلوم موصوفون بالرغبة في الدنيا والحرص على جمعها ويلابسون الامراء فيعاملون لهم فبطل انهم هم المعنيون بالعلم الموصوفون بالخشوع والزهد ومثل ذلك أيضا تفضيل الجمهور من السلف العلم على العمل وقولهم ذرة من علم أفضل من كذا من العمل وركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من عابد وحديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي والخبر المشهور كفضل القمر على سائر الكواكب وقول ابن عباس وسعد وقد رويناه مسندا عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وكذلك قيل في موته أحب اليه من موت ألف عابد انما يعنون بذلك العلم بالله تعالى أفضل من العمل لان العلم بالله تعالى وصف من الايمان ومعنى من اليقين الذي لم ينزل من السماء أعز منه فهو لا يعادله شئ ولا يصح عمل ولا يقبل الا به ولانه معيار الاعمال كلها على وزنه تتقبل الاعمال قبولا حسنا بعضه أحسن من بعض ويثقل في الميزان ثقلا فوق ثقل ويرفع به العاملون في درجات علبين بعضها من بعض وقد قال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فما كان العالم منه الى الربوبية أقرب كان أفضل والعمل وصف العامل وحكم العبودية لانهم يعنون العلم بالفتيا والاحكام والقضاء التي هي أماكن الخلق عائدة عليهم أفضل من معاملات الله سبحانه وتعالى بالقلوب من مقامات التوكل والرضا والمحبة التي هي معاينة اليقين الذي هو مقام المقربين هذا لا يقوله عالم وقد روينا عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل الا تراه كيف جعل العلم دالا على الله تعالى كالجهاد وكذلك جاء في الخبر أول من يشفع الانبياء ثم الشهداء وفي الخبر للانبياء على العلماء فضل درجة وللعلماء على الشهداء فضل درجتين وقال ابن عباس في معنى قوله عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال للعلماء درجات فوق الذين آمنوا بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام وقال ابن مسعود لما مات عمر رضي الله عنهما اني لاحسب انه ذهب بتسعة أعشار العلم فقيل تقول هذا وفينا جلة الصحابة فقال ليس أعني العلم الذي تريدون انما أعني العلم بالله تعالى فجعل العلم بالمعلومات غير حقيقة العلم وفضل العلم بالله تعالى بتسعة أعشاره وليس تزيد علم الظاهر على الاعمال كثير زيادة اذ هو من الاعمال الظاهرة لانه صفة اللسان ولانه العموم من المسلمين فاعلى مقاماته الاخلاص فان فاتهم فهو دنيا كسائر الشهوات والاخلاص هو أول حال العالم بالله تعالى بالعلم الباطن ولا نهاية لمقاماتهم الى أعلى مقامات العارفين ودرجات الصديقين

*(فصل)* في شرب الخمر وسائر المسكرات قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون م لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه م عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام من شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة م عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى بعثني رحمة للعالمين وهدى للعالمين وأمرني ربي عز وجل بمحق المعازف والمزامير والاوثان والصلب وأمر الجاهلية وحلف ربي عز وجل بعزتي لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من خمر الا سقيته من الصديد مثلها ولا يتركها من مخافتي الا سقيته من حياض القدس اق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث ا ق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مدمن الخمر ان مات لقي الله تعالى كعابد وثن س عن أبي موسى انه كان يقول

﴿باب ذكر الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وذم علماء السوء﴾ الآكلين بعلومهم الدنيا قد فرقت العلماء بين العلم بالله تعالى وبين العلم بأمر الله تعالى وفرقوا بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة فقال سفيان العلماء ثلاثة عالم بالله وبأمر الله فذلك العالم الكامل وعالم بالله تعالى فذلك التقى الخائف وعالم بأمر الله تعالى غير عالم بالله تعالى فذلك العالم الفاجر وقيل أيضا عالم لله تعالى وهو العامل بعلمه وعالم بأيام الله تعالى وهو الخائف الراجى وسئل سفيان عن العلم ماهو فقال هو الورع قيل وأى شئ هو الورع فقال طلب العلم الذى يعرف به الورع وهو عند قوم طول الصمت وقلة الكلام وماهو كذلك انما هو المتكلم العالم عندنا أفضل من الصامت وروينا عن لقمان فى وصيته العلم ثلاث علامات العلم بالله وبما يحبه الله تعالى وبما يكره فجعل حقيقة العلم ودليل وجوده هذه الثلاث ومما يدل على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ان كل عالم بعلم اذا رآه من لا يعرفه لم يتبين عليه أثر علمه ولا عرف انه عالم الا العلماء بالله عز وجل فانما يعرفون بسيماهم الخشوع والسكينة والتواضع والذلة فهذه صبغة الله تعالى لأوليائه وليسته العلماء به ومن أحسن من الله صبغة فتناهم فى ذلك مثل الصناع اذ كل صانع لو ظهر لمن لا يعرفه لم يعرف صنعه دون سائر الصنائع ولم يفرق بينه وبين الصناع الا الصناع فانه يعرف بصنعته لانها الظاهرة عليه اذ صارت له لبسة وصبغة لالتباسها بمعاملته فكانت سيماه كما قيل ما ألبس الله تعالى عبدا لبسة أحسن من خشوع فى سكينة هى لبسة الانبياء وسيما الصديقين والعلماء فاعلم الناس بلطف ما يحب الله تعالى وخفى ما يكره أهل القلوب الفاقهة عن الله تعالى وهم العارفون به وقد كان سهل رحمه الله يقول العلماء ثلاثة عالم بالله تعالى وعالم لله تعالى وعالم بحكم الله تعالى يعنى العالم بالله تعالى العارف الموقن والعالم لله عز وجل هو العالم بعلم الاخلاص والاحوال والمعاملات والعالم بحكم الله تعالى هو العالم بتفصيل الحلال والحرام فسرنا ذلك على معانى قوله ومعرفة مذهبه وقد قال مرة فى كلام أبسط من هذا عالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم المؤمنون وعالم بأمر الله لا بأيام الله وهم المفتون فى الحلال والحرام وعالم بالله تعالى عالم بأيام الله وهم الصديقون يعنى قوله بأيام الله أى بنعمته الباطنة وبعقوباته الغامضة ثم قال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء نيام الا الخائفين والخائفون منقطعون الا المحبين والمحبون أحياء شهداء وهم المؤثرون لله تعالى على كل حال وقد كان يقول طلاب العلم ثلاثة واحد يطلبه للعمل به وآخر يطلبه ليعرف الاختلاف فيتورع ويأخذ بالاحتياط وآخر يطلبه ليعرف التأويل فيتناول الحرام فيصير حلالا فهذا يكون هلاك الحق على يديه وقد حدثت عن أبى يوسف انه كان اذا صار رأس الحول وهب ماله لامرأته واستوهبها مالها فتسقط عنهما الزكاة فذكر ذلك لابى حنيفة فقال ذلك من فقهه فانما يطلب العلم لمعرفة الورع والاحتياط للدين فهذا هو العلم النافع فاذا طلب لمثل هذا والتأويل الهوى كان الجهل خيرا منه وصار هذا العلم هو الضار الذى استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم منه وروينا عن ابن عمر وغيره كم من عالم فاجر وعابد جاهل فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين وعن عمر أيضا وقد رويناه مسندا اتقوا كل منافق عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون ورويناعنه أيضا تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من تعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم وروينا عن على وابن عباس رضى الله عنهما وعن كعب الاحبار يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ولا ينتهون ويؤثرون الدنيا على الآخرة ويأكلون الدنيا بألسنتهم أكلا يقربون الاغنياء ويباعدون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب أحدهم على جليسه اذا جالس غيره ذلك حظهم من العلم وفى حديث على رضى الله عنه علمه وهم شر الخليقة منهم بدت الفتنة وفيهم تعود وفى حديث ابن عباس أولئك الجبارون أعداء الرحمن وروينا عن على عليه السلام ما قطع ظهرى فى الاسلام الا رجلان عالم فاجر ومبتدع ناسك فالعالم الفاجر يزهد الناس فى

علمه

فأبالى شربت الخمر أو عبدت هذه السارية دون الله قال فى التمشية لارشاد الغاوى ومايغير العقل من غير سكر كالبنج والافيون والحشيشة يعزر عليها وقال الدميرى فى شرح المنهاج والصواب تحريم بيع الافيون والتجارة فيه لانه مسكر مخدر مفسد العقول والابدان والاديان اه فاتقوا الله عباد الله فى ازالة العقل فان الله تعالى أعطاكم العقل لتميزوا به الحسن عن القبيح فى أمر الدنيا والآخرة وميزكم بالعقل عن الحيوان فقد روى البيهقى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أول ماخلق الله عز وجل العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أعز على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أحاسب وبك أعاقب فالعقل نعمة عظيمة ومنة جسيمة من الله تعالى بها على الانسان فمن أزال عقله بأكل المنهى عنه فقد أزال عنه نعمته التى بها صلاح الدنيا والدين فصار أخس من كلب لايميز بين الطعام الحسن والجيفة القذرة كيف لا وان الكلب لا عقوبة له ويطيع مطعمه وهذا ترك اطاعة خالقه الذى يطعمه ويكسوه ويعطيه جميع النعم ومال الى مانهى عنه

علماء يأمرون من يحضرهم بالمبتدع الناسك ويرغب الناس في بعض ما يأمرون من نسكه وقال صالح بن حسان البصري أدركت المشيخة وهم يتعوذون بالله تعالى من الفاجر العالم بالسنة وقال الفضيل بن عياض انما هما عالمان عالم دنيا وعالم آخرة فعالم الدنيا علمه منشور وعالم الآخرة علمه مستور فاطلب عالم الآخرة واحذر عالم الدنيا لا يصدك بسكره ثم قرأ ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله قال فالاحبار العلماء والرهبان الزهاد وقال سهل بن عبد الله طلاب العلم ثلاثة فواحد يطلب علم الورع مخافة دخول الشبهة عليه فيدع الحلال خوف الحرام فهذا زاهد تقي وآخر يطلب علم الاختلاف والاقاويل فيدع ما علمه ويدخل فيما أباح الله تعالى بالسعة ويأخذ بالرخصة وآخر يسأل عن شيء فيقال هذا لا يجوز فيه ويقول كيف أصنع حتى يجوز لي فيسأل العلماء فيخبرونه بالاختلاف والشبهة فهذا يكون هلاك الخلق على يديه وقد أهلك نفسه وهم علماء السوء واعلم ان كل محب للدنيا ناطق بعلم فانه آكل للمال بالباطل وكل من أكل أموال الناس بالباطل فانه يصد عن سبيل الله لا محالة وان لم يظهر ذلك في مقاله ولكنك تعرفه في لحن معناه بدقائق الصد عن مجالس غيره وبلطائف المنع من طرقات الآخرة لان حب الدنيا وغلبة الهوى يحكمان عليه بذلك شاء أم أبى وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يحب العالم المتواضع ويبغض الجبار من العلماء ومن تواضع لله تعالى ورثه الله تعالى الحكمة وفي الخبر عن ابن مسعود ان الله تعالى ليبغض الحبر السمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمالك بن الصيف حبر من أحبار اليهود فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله تعالى ألم تجد فيما أنزل تعالى على موسى عليه السلام ان الله تعالى يبغض الحبر السمين وكان ابن الصيف سمينا فغضب عندها فقال ما أنزل الله على بشر من شيء ففيه نزلت هذه الآية تعريضا بالبهتة قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا فقال له أصحابه ويحك ماذا قلت جحدت كتاب موسى فقال انه محكني ففعلت ذلك ويقال ما آتى الله تعالى عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك علامة العلم النافع وقد روينا معناه في الاثر من آتاه عز وجل زهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وكان الحسن يقول الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود لا تسألن عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع طريق عبادي المريدين يا داود ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود اذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته عندي جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا وروينا عن عيسى عليه السلام مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الى الزرع وكذلك علماء الدنيا قعدوا على طريق الآخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا العباد يسلكون الى الله عز وجل قال ومثل علماء السوء كمثل قناة الحش ظاهرها حسن وباطنها نتن ومثل القبور المشيدة ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة من العلماء فتقرب الى الله تعالى ببغضه فانه ممقت الله في السماء والارض وكان الاوزاعي يروي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر أحدكم الى الشرطي والعون فيستعيذ بالله تعالى من حاله ويمقته وينظر الى عالم الدنيا قد تصنع للخلق وتشوف للطمع والرياسة فلا يمقته هذا العالم أحق بالمقت من ذلك الشرطي وقد كان أبو محمد يقول لا تقطعوا أمرا من الدين والدنيا الا بمشورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله قيل يا أبا محمد من العلماء قال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم وقد قال عمر رضي الله عنه في وصيته وشاور في أمورك الذين يخشون الله تعالى وروينا في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك واني لا أقبل شيأ من نفاقك قال فاسقط في يديه وحزن وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى الى النبي عليه السلام قل له

مما يصيبه العذاب الأليم الذي لا يطيقه الجبال الرواسي فتب يا أخي عن القبيح ولا يردعك عن التوبة خوف العود في الذنب وفي الروض الفائق قال منصور بن عمار رحمه الله كان لي أخ في الله كثير العبادة والتهجد والبكاء ففقدته اياما فقيل لي هو ضعيف فدخلت داره فوجدته قد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه فقلت له وانا خائف منه أكثر من قول لا اله الا الله فنظر الي شزرا ثم غشي عليه فقلت له أكثر من قول لا اله الا الله فنظر الي شزرا فلما قلت له في المرة الثالثة قال يا أخي هذه كلمة حيل بيني وبينها فقلت له وأين تلك الصلاة والصيام والتهجد قال لي كل ذلك كان لغير وجه الله تعالى بل لاذكر به فاذا خلوت شربت الخمور وبارزت ربي بالمعاصي ودمت على ذلك مدة فاصابني مرض أشرفت به على الهلاك فرفعت المصحف وقلت اللهم بحق هذا القرآن اشفني واني لا اعود الى ذنب أبدا ففرج الله عني ثم عدت الى ما كنت عليه من اللهو واللذات والزهو ثم وقعت بعد مدة في مرضة أخرى ففعلت كذلك ففرج الله عني ثم عدت الى اللهو والغي فوقعت في هذه المرضة فرفعت المصحف وقلت

الآن وافقت رضاى وقال بعض العلماء كان أهل العلم على ضربين عالم عامة وعالم خاصة فأما عالم العامة فهو المفتي في الحلال والحرام وهؤلاء أصحاب الاساطين وأما عالم الخاصة فهو العالم بعلم التوحيد والمعرفة وهؤلاء اهل الزوايا وهم المنفردون وقد كانوا يقولون مثل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه مثل دجلة كل أحد يعرفها ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وقال حماد بن زيد قيل لأيوب العلم اليوم أكثر أو فيما مضى فقال العلم فيما مضى كان أكثر والكلام اليوم أكثر ففرق بين العلم والكلام وقد كانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر علما وكان أبو سليمان يقول المعرفة الى السكوت أقرب منها الى الكلام وقال بعض العارفين هذا العلم على قسمين نصفه صمت ونصفه تدري أين تضعه زاد آخر ونصفه جد ونصفه نظر يعني تفكرا واعتبارا وسئل سفيان عن العالم من هو فقال من يضع العلم في مواضعه ويؤتي كل شئ حقه وقال بعض الحكماء اذا كثر العلم قل الكلام وقد كان ابراهيم الخواص رحمه الله يقول الصوفي كلما ازداد علما نقصت طينته وقال بعض شيوخنا قلت للجنيد يا أبا القاسم يكون لسان بلا قلب قال كثير قلت فيكون قلب بلا لسان فقال نعم قد يكون ولكن لسان بلا قلب بلاء وقلب بلا لسان نعمة قلت فاذا كان لسان وقلب قال فذاك الزبد بالنرسيان يعني العسل وقد روينا حديثا مقطوعا عن سفيان عن مالك بن مغول قال قيل يا رسول الله أي العمل افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل يا رسول الله فأي الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت أعانك وان نسيت ذكرك قيل فأي الاصحاب شر قال صاحب ان سكت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قال فأي الناس أعلم قال أشدهم لله تعالى خشية قال فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى قالوا فأي الناس شر يا رسول الله قال اللهم اغفر قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقد وصف علي عليه السلام علماء الدنيا الناطقين عن الرأي والهوى بوصف غريب رويناه عن خالد بن طليق عن أبيه عن جده وجده عمران بن حصين قال خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام ورضي عنه فقال ذمتي رهينة وأنا زعيم لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل وان أجهل الناس من لا يعرف قدره وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره وان أبغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما أغار في أغباش الفتنة عمى في غيب الهدنة سماه أشباه الناس وأرذالهم عالما ولم يغن في العلم يوما سالما بكر فاستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به احدى المهمات هيأ لها حشو الرأي من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب ركاب الجهالات خباط عشوات ظلمة لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكي منه الدماء وتصرخ منه المواريث وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملئ والله باصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما قرظ به أولئك الذين حلت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا ووصف علي عليه السلام علماء الآخرة في حديث كميل بن زياد الذي يقول فيه الناس ثلاثة عالم رباني يعني عالما بالربوبية فنسبه الى الرب كما سماهم الله في قوله كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب الآية فسمى العالم بكتابه ربانيا والدارس له ربانيا فهذا قد جمع العلم والعمل وكذلك يقال العالم الرباني هو الذي يعلم ويعمل ويعلم الناس الخير قال فذاك الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء وقال تعالى في تقدمتهم لولا ينهاهم الربانيون والاحبار فقدم الربانيين على الاحبار وهم علماء الكتب وكذلك رويناه عن مجاهد قال الربانيون فوق الاحبار درجة وقال غيره والاحبار فوق الرهبان يعني علماء القلوب أرفع من علماء الالسنة والعلماء بالكتب أفضل من العباد بدرجة وقدمهم الله تعالى الى أنبيائه في النصرة له والصبر معه في قوله تعالى وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير ثم وصفهم بالثبات لامره والقوة في دينه والصبر لحكمه في تمام الآية وربيون جمع ربي يقال ربي ورباني

جمع

---

الذي يخبر منه هذا الفرج عني فسمعت هاتفا يقول ولم ار شخصه

شعر

تتوب من الذنوب اذا مرضتا
وترجع للذنوب اذا برئتا
اذا ما الضر مسك انت باك
وأخبث ما تكون اذا قويتا
فكم من كربة نجاك منها
وكم كشف البلايا اذ بليتا
وكم غطاك في ذنب وعنه
مدى الايام جهرا قد نهيتا
أما تخشى بأن تأتي المنايا
وأنت على الخطايا قد دهيتا
وتنسى فضل رب جاد لطفا
عليك ولا ارعويت ولا خشيتا
وكم عاهدت ثم نقضت عهدا
وأنت لكل معروف نسيتا
فدارك قبل نقلك عن ديارك الى قبر اليه قد نعيتا

قال منصور فوالله ما خرجت من عنده الا وعيني تسكب العبرات فما وصلت الى البلد حتى قيل انه قد مات رزقنا الله واياكم حسن الخاتمة واعاذنا واياكم من ميتة السوء وغفر لنا ولوالدينا ولاستاذينا ولاحبابنا وللمسلمين والمسلمات

*(فصل)* في الزنا قال الله سبحانه وتعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة أي أقبح المعاصي وساء سبيلا أي بئس مسلكا خ م عن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا نبي الله أي الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال ان تقتل ولدك مخافة ان

بجمع ربي ربيون وجمع رباني ربانيون وكذلك جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فقدم العلماء على الشهداء لان العالم امام أمته فله مثل أجور أمته والشهيد عمله لنفسه وفي خبر آخر يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فاعلى حال الشهيد دمه وأدنى وصف العالم حبره فسوى بينهما وزاد العالم على الشهيد بأعلى مقامه وكان علي عليه السلام يقول العالم أفضل من الصائم القائم والمجاهد في سبيل الله واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقد رويناه معناه مسندا اذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء ما اطرد الليل والنهار ألا موت العالم نجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم ثم قال علي عليه السلام في حديث كميل ومتعلم على سبيل النجاة يعني مريد الطالب العلم متعلما من العلماء بالله تعالى على طريق معاملة واخلاص لطلب السلامة وان ينجو من الجهل في الدنيا ومن العذاب في الآخرة ثم قال وهمج رعاع الهمج الفراش الذي يتهافت في النار لجهله واحدته همجة ورعاع خفيف طياش لا عقل له يستفزه الطمع ويستخفه الغضب ويزدهيه العجب ويستطيله الكبر ثم بكى علي عليه السلام وقال هكذا يموت العلم بموت حامليه ثم تنفس عند وصف الربانيين فقال واشوقاه الى رؤيتهم يعني الربانيين من العلماء وقد ذكرنا هذا الحديث بطوله في الباب الذي قبل هذا فهؤلاء الذين بكى عليهم شوقا هم الذين اشتاق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم قبله فقال واشوقاه الى لقاء اخواني وودت اني قد رأيت اخواني ثم قال هم قوم يجيؤن بعدكم ثم وصفهم فانما كانوا اخوانه لان قلوبهم على قلوب الانبياء عليهم السلام وأخلاقهم بمعاني صفات الايمان وهم ابدال هذه الامة بما في وصفهم ما جل عن الوصف هم على ثلاث طبقات صديقون وشهداء وصالحون وان منهم من قلبه على قلب ابراهيم الخليل ومنهم من قلبه على قلب موسى الكليم وعيسى الروح ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم وسلم أجمعين ومنهم قلبه على قلب جبريل وميكائيل واسرافيل والاخوة تقع بين الاثنين في المجانسة وقرب الشبه في الافعال والاخلاق كما قال الله عز وجل ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا لما كانوا على أوصافهم في القلوب من اسرار الكفر واعتقاد الشك جعلهم اخوانا وكذلك قال ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وهؤلاء ليسوا أمثالهم في الخلقة ولا بينهم أبوة ولا أمومة لان الشياطين من ولد ابليس والمبذرين أولاد آدم عليه السلام ولكن تشابهت قلوبهم في المواجيد والاخلاق والافعال فآخى بينهم للتشابه فمن كان من علماء الآخرة فعقله يستضيء من أنوار قلبه وفهمه ينبئ عن استنباط علمه ومشاهدته وأخلاقه على معاني يقينه وقوته وطريقته وسلوكه في منهاج سنة موسيله فهو من اخوانه واخوان النبيين الذين اشتاق الى رؤيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الغرباء بين الملأ الذين قال بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وفي لفظ آخر الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي والذين يحيون ما أمات الناس من سنتي يعني انهم يظهرون طريقته التي تركها الناس وجهلوها وفي خبر آخرهم المتمسكون بسنتي وما أنتم عليها اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليلون صالحون بين ناس سوء كثيرين من يبغضهم أكثر ممن يحبهم فهؤلاء الغرباء الذين قد أنعم الله عليهم بمرافقة النبيين في أعلى عليين فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الى قوله رفيقا وقد كان الثوري يقول اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط وقال أيضا اذا رأيت الرجل محببا الى اخوانه محمودا في جيرانه فاعلم انه مراء وقد وصف الله تعالى علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال تعالى في علماء الدنيا واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى قوله ثمنا قليلا وقال في نعت علماء الآخرة وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم الى قوله لهم أجرهم عند ربهم وقد روينا عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم علماء هذه الامة رجلان فرجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب

---

نظلم معاشلت ثم أى قال ان ترانى حليلة جارك فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما أي واديا في النار من دم وقيح ويقال جبا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا أي ذليلا لانضمام الكبيرة الى الكفر الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات أي بنفس التوبة النصوح ففي صحيح مسلم عن أبي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ونحوا عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبائر فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لي ذنوبا ما أراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه دمن عن أبي هريرة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لما نزلت آية الملاعنة أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله الجنة وايما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رؤس

الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيدا اشر يفاحتى يرافق المرسلين ورجل آتاه
الله تعالى علما فى الدنيا فضن به عن عباد الله عز وجل وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا يأتى يوم القيامة ملجما
بلجام من نار ينادى منادى على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله تعالى علما فى الدنيا فضن به على عباد
الله تعالى وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الناس ومن أغلظ ما سمعت فيمن
أكل الدنيا بالعلم ما حدثونا عن عتبة بن واقد عن عثمان بن أبى سليمان قال كان رجل يخدم موسى صلى الله
عليه وسلم فجعل يقول حدثنى موسى صلى الله عليه وسلم وحدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى
أثرى وكثر ماله ففقده موسى صلى الله فجعل يسأل عنه فلا يحس له أثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير
وفى عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال الرجل نعم هو ذا الخنزير فقال موسى يارب
أسألك أن ترده الى حاله حتى أسأله فيما أصابه هذا فأوحى الله تعالى اليه يا موسى لو دعوتنى بما دعانى به آدم
فمن دونه ما أجبتك فيه ولكنى أخبرك لم صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين وروينا عن الحسن انه
انصرف يوما من مجلسه فاستأذن عليه رجل من أهل خراسان فوضع بين يديه كيسا فيه خمسة آلاف درهم
وأخرج من حقيبته رزمة فيها عشرة أثواب من دقيق رخراسان فقال الحسن ما هذا فقال يا أبا سعيد هذه نفقة
وهذه كسوة فقال له عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسى هذا
وقبل من الناس مثل هذا لقى الله تعالى يوم القيامة لا خلاق له وفى خبران العبد لينشر له من الثناء ما بين
المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وعلماء الدنيا الطالبون لها بالعلم الآكلون لها بالدين المتخذون
الاصدقاء والاخلاء من أبنائها المكرمون المحبون لهم المقبلون بالبشر والبشاشة عليهم هم معروفون فى كل
زمان بأوصافهم ولحن قولهم وسيماهم وقد روينا فى مقامات علماء السوء حديثا شديدا نعوذ بالله من أهله
ونسأله أن لا يبلونا بمقام منه فروينا مرة مسندا من طريق وروينا موقوفا على معاذ بن جبل رضى الله عنه
وأنا أذكره موقوفا أحب الى حدثونا عن منذر بن على عن أبى نعيم الشامى عن محمد بن زياد عن معاذ بن جبل
يقول فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقته أنا على معاذ قال من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب
اليه من الاستماع وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفى الصمت سلامة وعلم ومن العلماء
من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون فى علمه
بمنزلة السلطان فان رد عليه شئ من علمه أو تهاون بشئ من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن
العلماء من يجعل حديثه وغرائب علمه لاهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك فى الدرك
الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله عز وجل يبغض المتكلفين فذلك
فى الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك
الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروأة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار
ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ أنف فذلك فى الدرك السابع من النار
عليك بالصمت فبه تغلب الشيطان واياك أن تضحك من غير عجب أو تمشى فى غير أرب وقد روينا حديثا يدل
على أوصاف علماء الآخرة وفيه أصول ما يدعون الخلق اليه من مقامات الايمان وأسباب الدين والايقان
رويناه عن شقيق بن ابراهيم البلخى عن عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر ذكره عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووافقته أنا على جابر بن عبد الله قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من
الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى
النصيحة ومما يدلك أن علم اليقين والتقوى وعلم المعرفة والهدى هو العلم المذكور المقصود عند السلف
أن الصحابة والتابعين كانوا يشفقون من فقد ذلك ويخافون عدمه ويحذرون عن رفعه وقلته فى آخر الزمان
وانما يعنون بذلك علم القلوب والمشاهدات الذى هو نتيجة التقوى وعلم المعرفة اليقين الذى هو من مزيد



الخلائق فى الاولين
والآخرين م عن عائشة
رضى الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
ما أحد أغير من الله ان يزنى
عبده أو أمته تزنى يا أمة محمد
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا قال
بعض الصالحين بينا أنا
أطوف بالكعبة اذا بجارية
تقول يا كريم عهدك
القديم فانى على عهدك
مقيم فقلت للجارية وما
العهد الذى بينك وبينه
قالت يا أخى أمرى عجيب
وذلك انى ركبت فى البحر
فعصفت بنا ريح فدمرت كل
من فى السفينة وغرق كل
من فيها فلم ينج منها غيرى
وهذا الطفل وبقيت على
لوح ورجل اسود على لوح
آخر فلما أصبح الصبح جعل
يدافع الماء بذراعيه حتى
وصل الى واستوى معنا على
اللوح وجعل يراودنى
عن نفسى فقلت له يا عبد الله
نحن فى بلية لا نرجو السلامة
منها بطاعة فكيف بالمعصية
فقال دعينى فوالله لابد من
ذلك ومد يده وأخذ الطفل
ورمى به فى البحر فقلت
يا من يحول بين المرء وقلبه
حل بينى وبين هذا الاسود
بحولك وقوتك انك على كل
شئ قدير واذا بدابة من
دواب البحر قد فتحت فاها
والتقمت الاسود وغابت
به فى البحر ورمت الامواج
بى الى جزيرة من جزائر
العرب وقصصت لهم قصتى

الايمان وثمرة الهدى فاذا فقد المتقون وقل الخائفون وعدم الزاهدون ذهبت هذه العلوم لانها فانما تهم من وجودة عندهم هم أربابها والناطقون بها وهى أحوالهم وطرائقهم هم السالكون لها والقائمون بها فلاجل معرفة الصحابة والتابعين عزة ذلك كانوا يبكون على فقده وقد وصف الله العلماء بالزهد فى الدنيا والاستصغار لها وبعمل الصالحات والايمان بها كما وصف أبناء الدنيا بالرغبة فيها والاستعظام لها قال تعالى فى معنى ذلك فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ثم قال عز وجل ولا يلقاها الا الصابرون أى لا يلقى هذه الحكمة الا الصابرون عن زينة الدنيا التى خرج فيها قارون وروينا عن جندب بن عبد الله البجلى قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غلمانا حزاورة فتعلمنا الايمان قبل القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا وعن ابن مسعود قال أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتى قوم يثقفونه تثقيف القناة ليسوا بخياركم وفى لفظ آخر يقيمونه اقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه وروينا عن ابن عمر وغيره لقد عشنا برهة من دهرنا وان أحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغى أن يتوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدرى ما آمره ولا زاجره وما ينبغى أن يقف عنده وينثره نثر الدقل وفى الخبر الآخر بمعناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده ويقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم منه وفى لفظ آخر أولئك شرار هذه الامة فاما العلم المأثور الذى نقله خلف عن سلف والخبر المرسوم فى الكتب المستودع فى الصحف الذى يسمعه من غبر عمن قدم فهذا علم الاحكام والفتيا وعلم الاسلام والقضايا طريقه السمع ومفتاحه الاستدلال وخزانته العقل وهو مدون فى الكتب ومحبر فى الورق يتلقاه الصغير عن الكبير بالالسن وهو باق ببقاء الاسلام وموجود بوجود المسلمين لانه حجة الله تعالى على عباده ومحجة العموم من خلقه فضمن اظهاره فلم يكن ليظهر الا بحملة تظهره ونقلة تحمله فقال تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم بحماه علم ظاهر على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم فأخبر صلى الله عليه وسلم بالعلم العتيد المستودع ظهور الكتب الذى هو ظاهر الدين وفى جهله وعدمه وجود الشرك كما ضمن الله تعالى تبقية الاسلام على كره المشركين وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من سمع منا حديثا فأداه كما سمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه وقد أخبر أن حامل الفقه قد يكون غير فقيه القلب اذا لم يعمل بعلمه وانه قد يحمله الى من هو أفقه منه اذا عمل به اذا وعاه كما قال فى الخبر الآخر رب مبلغ أوعى من سامع فمدحه بالعمل به اذا وعاه فتذكر به وتفكر فيه وان لم يكن سمعه منه صلى الله عليه وسلم وقال الله سبحانه وتعالى وتعيها اذن واعية يعنى اذن القلب الحافظة لما سمعت الذاكرة لما وعت كما قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد يعنى أصغى بسمعه الى ما سمعه وشهد بقلبه ما سمعه من شاهده وقد جاء فى تفسير قوله تعالى وتعيها أذن واعية قال أذن عقلت عن الله تعالى أمره ونهيه فوعته وعملت به كما وصف سبحانه وتعالى المؤمنين الذين نعتهم بقوله فى نعتهم ووصفهم والحافظون لحدود الله تعالى وقد روينا عن على رضى الله عنه اطلبوا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله وقال أيضا رضى الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج مجة من العلم وقال الخليل بن أحمد رحمه الله ليس العلم ما حواه القمطر انما العلم ما وعاه الصدر واذا جمع العالم ثلاثا تمت النعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة به على العالم العقل والادب وحسن الفهم والله أعلم

فتعجبوا من ذلك وقالوا لقد أخبرتنا بعجيب وغريب فنخبرك بأمر تعجبين منه وذلك انا كنا سائرين فى البحر اذ اعترضتنا دابة وقفت امامنا واذا الطفل على ظهرها ومناد ينادى خذوا عنى من على ظهرى والا اهلكتم فنزل واحد منا على ظهرها وأخذه وغاصت الدابة فى البحر وعاهدنا الله تعالى أن لا يرانا على معصية أبدا واعطونى الطفل أيها الغافل عن طاعة المولى أيها الحريص على اتباع الهوى كيف بك اذا انشقت السماء بالغمام ونزل الملائكة الكرام وأحاطت بك النيران وجمعت الانس والجان واشتد غضب الرحمن على أهل العصيان وكيف بك اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان ما لها وذهلت كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وكيف بك اذا غلت الرؤس من حر الشموس وطاشت العقول والنفوس وزفرت جهنم بالغضب وجثت الخلائق على الركب يوم يعض الظالم على يديه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا يوم يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام قد جعل الله

## (ذكر وصف العلم وطريقة السلف وذم ما أحدث المتأخرون من القصص والكلام)

لابد العالم بالله تعالى من خمس هي علامة علماء الآخرة الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق والزهد قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى خاشعين لله الآية فلابد له من التواضع وحسن الخلق قال الله عز وجل واخفض جناحك للمؤمنين وقل انى أنا النذير المبين وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية والزهد فى الدنيا قال الله تعالى وقال الذين أوتوا الكتاب ويلكم ثواب الله خير فمن وجد فيه هذه الخلال فهو من العلماء بالله عز وجل واعلم انه انما يستبين العالم عند المشكلات فى الدين ويحتاج الى العارف عند شبهات ناحكت الصدور كما قال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه لا تزالون بخير ما اذا سأل فى صدر أحد كم شئ وجد من يبرمه ويشفيه منه وأيم الله أوشك أن لا تجدوا ذلك وكما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أعلم فقال الله ورسوله أعلم فقال أعلمهم بالحق اذا اشتبهت الامور ووقعت المشكلات وان كان يزحف على أسته فكذلك اذا اختلف الناس وان كان فى عمله تقصير وكما قال فى حديث عمران بن حصين ان الله تعالى يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات ويحب السخاء ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل الحيات وقد حصلنا فى زماننا هذا فى مثل ما خافه ابن مسعود لان مشكلة لو وردت فى معانى التوحيد وشبهة لو اختلجت فى صدر مؤمن من معانى صفات الموحد وأردت كشف ذلك على حقيقة الامر بما يشهده القلب الموفق ويثلج له الصدر المشروح بالهدى كان ذلك عزيزا فى وقتك هذا ولكنت فى استكشاف ذلك بين خمسة نفر مبتدع ضال يعجلك برأيه عن هواه فيزيدك حيرة أو متكلم يفتيك بقصور علمه عن شهادة الموقنين وبقياس معقوله على ظاهر الدين وهذا شبهة فكيف تنكشف به شبهة أو صوفى شاطح تائه غالط يجاوز بك الكتاب والسنة لا يباليهما ويخالف بقوله الائمة لا يحاشاها فيصيبك بالظن والوسواس والحدس والتمويه ويمحو الكون والمكان ويسقط العلم والاحكام ويذهب الاسماء والرسوم وهؤلاء تائهون فى مفازة التيه لم يقفوا على الجة قد غرقوا فى بحر التوحيد لم يجعلوا أئمة المتقين ولا حجة للمتقين وهذا ساقط القول اذ ليس معه حجة ولا هو على سنن الحجة أو مفت عالم عند نفسه موسوم بالفقه معظم أصحابه يقول لك هذا من أحكام الآخرة ومن علم الغيب لا نتكلم فيه لانا لم نكلفه وهو فى أكثر مناظرته يتكلم فيما لم نكلف ويجادل فيما لم ينطق به السلف ويتعلم ويعلم ما علمه به تكلف ولا يعلم المسكين انه كلف علم يقين الايمان وحقيقة التوحيد ومعرفة اخلاص المعاملة وعلم ما يقدح فى الاخلاص ويخرج من جملته قبل ما هو فيه لانه متكلف لبعض ما هو يتفقه لان علم الايمان وصحة التوحيد واخلاص العبودية للربوبية واخلاص الاعمال من الهوى الدنيوية وما يتعلق بها من أعمال القلوب هو من الفقه فى الدين ونعت أوصاف المؤمنين اذ مقتضاه الانذار والحذر لقوله تعالى ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم الآية ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين فانى متعلم معكم ولقول الصحابة رضى الله عنهم تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا فهذا مزيد الهداية بالايقان وهو زيادة المؤمنين فى الايمان كما قال تعالى فزادهم ايمانا وقال عز وجل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ولا يشعر ان حسن الادب فى المعاملة بمعرفة ويقين هو من صفات الموقنين وذلك هو حال العبد فى مقامه بينه وبين ربه عز وجل ونصيبه من ربه تعالى وحظه من مزيد آخرته وذلك معقود بشهادة التوحيد الخالصة المقترنة بالايمان من خطايا الشرك وشعب النفاق وهو مقترن بالفرائض وفرض فرضها الاخلاص بالمعاملة وان علم ما سوى هذا انما قد اشرب بقلبه وحبب اليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم انما هو حوائج الناس ونوازلهم فهو حجاب عن هذا واشتغال عنه فاثر هذا العادل لقلة معرفته بحقيقة العلم النافع ما زين له طلبه وحبب اليه قصده آثر حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله وعمل فى انصبتهم منه فى عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم ولم يعمل فى نصيبه الاوفر من ربه الاعلى لآجل آخرته التى هى خير وأبقى اذ مرجعه اليها ومثواه المؤبد فيها فاثر التقرب منهم على القربة من ربه عز وجل وترك الشغل بهم حظه من الله تعالى

تغيظهم سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا انهم فى جهنم يعذبون وعلى وجوههم يسحبون سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار وتقمعهم الزبانية بمقامع من حديد لو ضربت بها الجبال لطارت كالغبار ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا اللهم اجعلنا من المتقين الذين كانت لهم الجنة دارا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا

(فصل) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى الى أرض مقدسة حتى أتينا الى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار فاذا اوقدت ارتفعوا حتى كادوا يخرجون منها واذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت ما هذا قالا هم الزناة (١) عن عمرو بن العاص قال رسول

الاجزل وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما اقدم لغده من تقواه بالشغل بخدمة مولاه وطلب رضاه واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظواهر أحوالهم عن باطن حاله وكان سبب ما ابلى به حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بموجب السياسة والرغبة فى عاجل الدنيا وعزها بقلة الهمة وضعف النية فى عاجل الآخرة وذخره فافنى أيامه لايامهم واذهب عمره فى شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالما وليكون فى قلوب البطالين عندهم فاضلا فورد القيامة مفلسا وعند ما يرا من أنصبة المقربين مبلسا اذ فاز بالقرب العاملون وربح الرضا العالمون ولكن انى له وكيف بنصيب غيره وقد جعل الله تعالى لكل عمل عاملا ولكل علم عالما أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب كل ميسر لما خلق له هذا فصل الخطاب بينهما فان الامة تختلف ان علم التوحيد فريضة سيما اذا وقعت الشبهات وأدخلت فيه المشكلات وانما اختلفوا فى مسئلتين أى شئ هو التوحيد وفى كيفية طلبه والتوصل اليه فمنهم من قال بالبحث والطلب ومنهم من يقول بالاستدلال والنظر ومنهم من قال بالسمع والاثر وقال بعضهم بالتوقيف والتسليم وقال بعض الناس يدرك دركه بالعجز والتقصير عن بلوغ دركه والرجل الخامس من العلماء هو صاحب حديث وآثار وناقل رواية الاخبار يقول لك اذا سألته اعتقد التسليم وأمر الحديث كما جاء ولا تفتش وهذا يتلو المفتى فى السلامة وهو أحسنهم طريقة وأشبههم بسلف العامة حقيقة ليس عنده شهادة يقين ولا معرفة بحقيقة ما رآه ولا هو مشاهد واصف لمعنى ما نقله انما هو للعلم رواية وللاثر والخبر ناقله عن غير خبير بخبره ولا فقه فى نقله فهو على بينة من ربه وليس يتلو شاهد منه وقد كان الزهرى يقول حدثنى فلان وكان من أوعية العلم ولا يقول وكان عالما وكان مالك بن أنس رحمه الله يقول ادركت سبعين شيخا من التابعين منهم عباد ومنهم مستجاب الدعاء ومنهم من يستسقى به ما حملت منهم علما قط قيل ولم ذاك قال لم يكونوا من أهل هذا الشأن وفى رواية لم يكونوا يدرون ما يحدثون به ولم يكن لهم فقه فيما يسألون عنه قال مالك وتقدم علينا ابن شهاب الزهرى وهو حديث السن فنزدحم عليه حتى لا نصل اليه لانه كان عالما بما يحدث به فهذا بمعنى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه وقال بعض السلف ما كانوا يعدون علم من لا يعرف اختلاف العلماء علما وقال آخر من لم يعرف اختلاف العلماء لم يحل له أن يفتى ولم يسم عالما وقال قتادة وسعيد ابن جبير أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس وقيل للامام أحمد رضى الله عنه اذا كتب الرجل مائة ألف حديث له أن يفتى قال لا قيل فمائتى ألف حديث قال لا قيل فثلاثمائة ألف حديث قال ارجو وفى التوراة مكتوب الطبيب الحاذق للعلة الباطنة يصلح وكتب سلمان الفارسى من المدائن الى أبى الدرداء وكان قد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فيمن آخى يا أخى بلغنى انك أقعدت طبيبا تداوى المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما قال فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل عن شئ وسأله انسان عن شئ فأجابه ثم قال ردوه فقال له أعد على فأعاد فقال متطبب والله فرجع فى جوابه ولعمرى انه قد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن وقد كان ابن عباس رضى الله عنه يقول سلوا جابر بن زيد فلو نزل أهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان من صالحى التابعين وكان ابن عمر رضى الله عنهما اذا سئل عن شئ يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا وقال بعض البصريين قدم علينا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتينا الحسن فقلنا ألا نذهب الى هذا الصحابى فنسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجىء معنا قال نعم فاذهبوا بنا اليه فجعلنا نسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يحدثنا حتى حدثنا عشرين حديثا قال والحسن ينصت يستمع اليه ثم جثا الحسن على ركبتيه فقال يا صاحب رسول الله أخبرنا بتفسير ما رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نتفقه فيه فسكت الصحابى وقال ما عندى الا ما سمعت قال فابتدأ الحسن رحمه الله يفسر ما رواه فقال أما الحديث الاول

---

الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يظهر فيهم الزنا الا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب وفى الوسيط الواحدى باسناده عن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى الزنا ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فاما التى فى الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفناء وأما اللواتى فى الآخرة فغضب الرب وسوء الحساب والخلود فى النار ونحوه فى الكشاف ت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله عز وجل الى رجل أتى رجلا او امرأة فى دبرها وفى بيان العمرانى روى معاوية ابن قرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما أحسن ما أثنى عليك ربك ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين فما قوتك وما أمانتك فقال جبريل عليه السلام أما أمانتى فما أمرت بشئ قط عدوت به الى غيره وأما قوتى فهو انى قلعت مدائن قوم لوط من الارض السفلى وكانت أربع مدائن فى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذرارى فهويت بها فى الهواء حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح الدجاج ونباح الكلاب حتى ألقيتها ويحرم اتيان المرأة المرأة

الذي حدثتنا به فان تفسيره كيت وكيت والحديث الثاني تفسيره كذا وكذا حتى سرد عليه الاحاديث كلها التي حدثتنا بها وأخبرنا بتفسيرها قال فلا ندري نعجب من حسن حفظه إياها أو إدائه الحديث أو من علمه وتفسيره قال فأخذ الصبي كفا من حصى وحصبنا به ثم قال تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم فهؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يردون الامر في الفتيا وعلم اللسان الى من هو دونهم في القدر والمنزلة وهو في علم التوحيد والمعرفة والايمان فوقهم درجات ولا يرجعون اليهم في الشبهات ولا يردون اليهم في علم المعرفة واليقين فهذا كما قيل انما العلم نور يقذفه الله تبارك وتعالى في قلوب أوليائه فقد يكون ذلك تفضيلا للنظراء بعضهم على بعض وقد يكون تخصيصا للشباب على الشيوخ ولمن جاء بعد السلف من التابعين وربما كان تكرمة للخاملين المتواضعين لينبه عليهم ويعرفون شأنهم ليعظموا ويرفعوا كما قال الله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة والنور اذا جعل في الصدر انشرح القلب بالعلم ونظر باليقين فنطق اللسان بحقيقة البيان وهو الحكمة التي يودعها الله تعالى في قلوب أوليائه كما جاء في تفسير قوله عز وجل وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قيل الاصابة في القول فكأنه يوقفه الحقيقة وقوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قيل الفهم والفطنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الهداية حين تلا قوله عز وجل فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل يا رسول الله ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فذكر سببه الزهد في الدنيا والاقبال على خدمة المولى وحسن التوفيق والاصابة في العلم مواهب من الله عز وجل وأثرة يختص بها من يشاء كما سئل أبو موسى الاشعري وهو أمير الكوفة عن رجل قتل في سبيل الله مقبلا غير مدبر أين هو فقال أبو موسى في الجنة فقال ابن مسعود للسائل أعد على الامير قتيالك فلعله لم يفهم قال السائل قلت أيها الامير ما قولك في رجل قاتل في سبيل الله فقتل مقبلا غير مدبر أين هو فقال أبو موسى في الجنة فقال ابن مسعود رضي الله عنه أعد على الامير فلعله لم يفهم فأعاد عليه ثلاثا كل ذلك يقول أبو موسى في الجنة ثم قال ما عندي غير هذا انما تقول أنت فقال ابن مسعود لكني لا أقول هكذا قال فما قولك فقال أقول ان قتل في سبيل الله فأصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى صدق لا تسألوني عن شئ ما دام هذا الحبر بين أظهركم والقول في تسليم اخبار الصفات والسكوت عن تفسيرها كما قال أصحاب الحديث الآن بعرفة معاني الاسماء والصفات وشهودها بنفي الظن والوسواس فيها وترك التشبيه والتمثيل بها والطمأنينة الى اليقين بالمعرفة بمشاهدتها هو مقام الموقنين واعتقاداتها صفات لله تعالى يتجلى بها أو بما شاء من غيرها بلا حد ولا عدد يظهر بصفة صفة كيف شاء غير موقوف على صفة ولا محكوم عليه بصورة بلا اظهار غيرته بل هو كيف ظهر وبأي وصف تجلى مع نفي الكيفية والمثلية لفقد الجنس والجوهرية هو مقام المقربين من الشهداء وهؤلاء هم الصديقون وخصوص الموقنين فمن عدل به عن وجهة هؤلاء ولم يواجه بشهادتهم عدل الى التسليم والتصديق فوقف عنده فكان معقله واستراح منه وليس بعد هؤلاء مقام يمدح ولا وصف يذكر ومن فتش ذلك بعقله وفسره برأيه دخل عليه التشبيه أو خرج الى النفي والابطال ومن الدليل على فضل هذا العلم على سائر العلوم ما جاء في الاخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين في فضل مجالس الذكر وفضل الذاكرين انما يريدون به علم الايمان والمعرفة وعلوم المعاملات والتفقه في بصائر القلوب والنظر بعين اليقين الى سرائر الغيوب وليس يريدون به مجالس القصص ولا يعنون بذلك القصاص لانهم كانوا يرون القصص بدعة ويقولون لم يقص في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي بكر ولا عمر حتى ظهرت الفتنة فلما وقعت الفتنة ظهر القصاص ولما دخل علي رضي الله عنه البصرة جعل يخرج القصاص من المسجد ويقول لا يقص في مسجدنا حتى انتهى الى الحسن وهو يتكلم في هذا العلم فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه وجاء

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان قال العلماء ويجب تعزيرهما وقال مالك بن دينار ما تتجلد ابن آدم تب من قبيح فعالك واهرب من ذميم خصالك قبل ان يعلق بقلبك سم ذنبك فيزول ايمانك من قلبك وفي الوسيط للواحدي قال ابن عباس كان في بني اسرائيل عابد عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤن على يديه فأتي بامرأة في شرف قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها وكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد اخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول والله لقد أتاني آت فذكر لي شيأ يكبر علي ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما رفع على خشبة تمثل له الشيطان فقال انا زينت لك هذه والقيتك فيها فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه قال نعم قال اسجد لي سجدة فقال فسجد له وقتل الرجل

شعر

ابن عمر الى مجلسه من المسجد فوجد قاصا يقص فوجه اليه صاحب الشرطة ان أخرجه من المسجد فأخرجه فلو كان القصص من مجالس الذكر والقصاص علماء لما أخرجهم ابن عمر من المسجد هذا مع ورعه وزهده وقد روينا عن ابن شوذب عن أبي التياح قال قلت للحسن امامنا يقص فيجتمع الرجال والنساء فيرفعون أصواتهم بالدعاء ويمدون أيديهم فقال الحسن رفع الصوت بالدعاء بدعة ومد الايدي بالدعاء بدعة وروى أبو الاشهب عن الحسن القصص بدعة وقيل لابن سيرين لو قصصت على اخوانك فقال قد قيل لا يتكلم على الناس الا أحد ثلاثة أمير أو مأمور أو أحمق فلست بأمير ولا مأمور وأكره ان أكون الثالث وروينا عن عون بن موسى عن معاوية بن قرة قال سألت الحسن البصري قلت أعود مريضا أحب اليك أو أجلس الى قاص فقال عد مريضك فقلت أشيع جنازة أحب اليك أو أجلس الى قاص قال شيع جنازتك فقلت ان استعان بي رجل في حاجة أعينه أو أجلس الى قاص قال اذهب في حاجتك حتى جعله خيرا من مجالس الفراغ فلو كانت مجالس الذكر عندهم هي مجالس القصاص ولو كان القصص هو الذكر لما وسع الحسن أن يثبط عنه ولا يؤثر عليه كثيرا من الاعمال لانه قد كان يدعو الى الله تعالى بالتوحيد ويتكلم في علم المعرفة واليقين والذاكرين لله تعالى وحضور مجلس الذكر من مزيد الايمان وقد رفع الله تعالى مقام الذاكرين فوق مقام المؤمنين في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات فجعل الذاكرين والذاكرات أعلى المقامات وقد روينا في خبر أبي ذر حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بعلم وقال بعض السلف حضور مجلس ذكر يكفر عشرة من مجالس الباطل وأما عطاء فانه قال مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وحدثونا عن معاذ الاعرج قال رآني يونس ابن عبيد وأنا في حلقة المعتزلة فقال تعال جئت فقال ان كنت لابد فاعلا فعليك بحلقة القصاص وقد كان الحسن البصري أحد المذكرين وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع اخوانه وأتباعه من النساك والعباد في بيته مثل مالك بن دينار وثابت البناني وأيوب السختياني ومحمد بن واسع وفرقد السبخي وعبد الواحد بن زيد فيقول هاتوا انشروا النور فيتكلم عليهم في هذا العلم من علم اليقين والقدرة وفي خواطر القلوب وفساد الاعمال ووسواس النفوس وربما تقنع بعض أصحاب الحديث ليسمعا ختفي من وراءهم ليسمع ذلك فاذا رآه الحسن قال له يا لكع وأنت ما تصنع ههنا انما خلونا مع اخواننا نتذاكر والحسن رحمه الله هو امامنا في هذا العلم الذي نتكلم به أثره نقفو وسبيله نتبع ومن مشكاته نستضيء أخذ ناذلك باذن الله تعالى اماما عن امام الى ان ينتهي ذلك اليه وكان من خيار التابعين باحسان قيل ما زال يبين الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها وقد لقي سبعين بدريا ورأى ثلثمائة صحابي وولد لليلتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة عشرين من التاريخ ولد بالمدينة وكانت أمه مولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويقال انها ألقمته ثديها تعلله حين بكى فدر ثديها عليه وكان كلامه يشبه بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومن بقي في وقته من العشرة ثم رأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عهد عثمان ومن سنة نيف وعشرين من الهجرة الى سنة نيف وتسعين ومن آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة أنس بن مالك وبالمدينة سهل بن سعد الساعدي وبمكة أبو الطفيل وباليمن أبيض ابن جمال المازني وبالكوفة عبد الله بن أبي أوفى وبالشام أبو قرصافة وبخراسان بريدة الاسلمي ودخلت سنة مائة من التاريخ ولم يبق على وجه الارض عين تطرف رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أطراف الارض ثم توفي الحسن في سنة عشر ومائة وكان أبو قتادة العدوي يقول عليكم بهذا الشيخ فوالله ما رأينا أحدا لم يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وكانوا يقولون كنا نشبهه بهدي ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في حلمه وخشوعه ووقاره وسكينته فكان على شمائله ونعت

---

فيا من بات يخلو بالمعاصي
وعين الله شاهدة تراه
أما تخشى من الديان طردا
وتحرم دائما أبدا نداه
تبارز بالمعاصي مالك مولى
على جهل براك ولا تراه
أتعصي الله وهو يراك دان
اليك وليس تخشى من سطاه
وتنكر فعلها وله شهود
بمكتوب عليك وقد حواه
فويل العبد من صحف وفيها
مساويه اذا وافى مساه
ويا حزن المسيء بشؤم ذنب
وبعد الحزن يكفيه جزاه
ويندم حسرة من بعد فوت
ويبكي حين لا يجدي بكاه
يعض يديه من ندم وحزن
ويندب حسرة ما قد عراه
فكن بالله ذا تقوى وحاذر
هجوم الموت من قبل أن تراه
وبادر بالمتاب وأنت حي
لعلك ان تنال به رضاه
ولذ بالمصطفى خير البرايا
رسول قد حباه واجتباه
عليه من المهيمن كل وقت
سلام عطر الدنيا شذاه
اللهم أفض علينا من بحر احسانك واجبرنا بغفرانك وارو عطاش قلوبنا برضوانك واكتب لنا توقيع امانك يا رب العالمين

*(فصل في حد الزنا)* قال الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اعلم ان الزنا أثم المعاصي وأشنعها

امرأة بالبصرة نذرا ان فعل الله تعالى ذلك بها أن تنسج ثوبا من غزلها وصفته وتكسوه خير أهل البصرة فرأت تمام نذرها فوقفت بما نذرت ثم سألت من خير أهل البصرة فقالوا الحسن وكان الحسن رضى الله عنه أول من انهج سبيل هذا العلم وفتق الالسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف به قناعه وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من اخوانه فقيل له يا أبا سعيد انك تتكلم فى هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فمن أخذت هذا فقال من حذيفة بن اليمان قيل وقالوا لحذيفة بن اليمان نراك تتكلم فى هذا العلم بكلام لا نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أين أخذته فقال خصنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة ان أقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقنى وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفى لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الاعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآنى أسأل عن آفات الاعمال خصنى بهذا العلم وكان حذيفة قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق و بسرائر العلم ودقائق الفهم وخفايا اليقين من بين الصحابة فكان عمر وعثمان وأكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الفتن العامة والفتن الخاصة و يرجعون اليه فى العلم الذى خص به و يسألونه عن المنافقين وهل بقى منهم من ذكر الله تعالى وأخبر عنهم أحد فكان يخبر باعدادهم ولا يذكر أسماءهم وكان عمر يستكشفه عن نفسه هل يعلم فيه شيأ من النفاق فبرأه منه ثم يسأله عن علامات النفاق وآية المنافق فيخبره من ذلك بما يصلح مما أذن له فيه و يستعفى مما لا يجوز له ان يخبر به فيعذر فى ذلك وكان عمر رضى الله عنه اذا دعى الى جنازة ليصلى عليها نظر فان حضر حذيفة صلى عليها وان لم ير حذيفة لم يصل عليها وكان حذيفة يسمى صاحب السر وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئلوا عن علم يقول أحدهم تسألونى عن هذا وصاحب السر فيكم يعنى حذيفة وروينا عن أنس بن مالك رضى الله عنه انه لما حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضل مجلس الذكر لان أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب قال فالتفت الى زيد الرقاشى وزياد النميرى فقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم و يخطب على أصحابه و يسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه فى الدين ونعد نعم الله تعالى علينا وقد كان عبد الله بن رواحة يقول لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالوا حتى نؤمن ساعة فيجلسون اليه فيذكرهم العلم بالله تعالى والتوحيد والآخرة وكان يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قيامه فيجتمع اليه الناس يذكرهم الله تعالى وأيامه و يفقههم فيما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فربما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مجتمعون عنده فيسكتون فيجلس اليهم و يأمرهم أن يأخذوا فيما كانوا فيه و يقول صلى الله عليه وسلم بهذا أمرت والى هذا دعوت وروى نحو هذا عن معاذ بن جبل رضى الله عنه وقد كان يتكلم بهذا العلم وقد روينا هذا مفسرا فى حديث جندب كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن فسمى علم الايمان ايمانا كما سماه ابن رواحة لان علم الايمان وصف الايمان والعرب تسمى الشئ بوصفه وتسميه بأصله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثله تعلموا اليقين أى علم اليقين وكما قال تعالى وابيضت عيناه من الحزن أى من البكاء فسماه بأصله لان الحزن أصل البكاء وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خرج ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله تعالى و يرغبون اليه والآخر يتفقهون فى الدين و يعلمون الناس فوقف بينهما ثم قال أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس و يتفقهون فى الدين وانما بعثت معلما ثم عدل الى الذين يفقهون الناس فى الدين ويذكرون الله تعالى فجلس معهم ويحكى عن بعض السلف قال دخلت المسجد ذات يوم فاذا بحلقتين احداهما يقصون ويدعون والاخرى يتكلمون فى العلم وفقه الاعمال قال فلت الى حلقة الدعاء

ومن ثم أوجب الحد وهو جلد مائة وتغريب عام الى مسافة القصر ان لم يكن محصنا وان كان محصنا يرجم لما اشتهر عن النبى صلى الله عليه وسلم من رجمه اليهوديين وماعزا والغامدية وعلى ذلك جرى الخلفاء بعدهم وعن عمر ابن ميمون الاودى قال رايت فى الجاهلية قردة قد زنت فرجموها ورجمتها معهم ولا قصاص على قاتل الزانى المحصن وقاتل تارك الصلاة ولا دية عليه والمضطر قتلهما وأكلهما بخلاف الذمى ولا يجوز أعطاء الماء لهما ان كان لا يكفى الوضوء والغسل فعلى العاقل أن يحرس نفسه من هذه الخصلة الذميمة المحرمة فى ملل جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم ولو استحل أحد الزنا أو نفى انه لا يحرم الزنا فقد كفر وان لم يقم عليه الحد فى الدنيا وقع فى العذاب الشديد والفضيحة العظيمة من الوقوع فى ثقب مثل التنور اعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته النار كما فى البخارى وغيره ثم الوقوع فى النار الكبرى يوم القيامة وغير ذلك من الشدائد والخزى العظيم ولذلك أقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحد على ولده أبى شحمة فى المنتقى للديلمى عن ابن عباس

جلست اليهم فملتني عيناي فنمت فهتف بي هاتف أو قال الى شخص بجلست الى هؤلاء ونركت مجلس العلم أمالو جلست اليهم لوجدت جبريل صلى الله عليه وسلم عندهم فحقيقة الذكر هو العلم بالله تعالى الا تسمع الى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر قول لا اله الا الله وقال سبحانه وتعالى في تصديقه فاعلم انه لا اله الا الله وقال في مثله فاعلموا انما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو ثم ان العلم من الذكر علم المشاهدة والمشاهدة صفة عين اليقين فاذا كشف غطاء العين شهدت معاني الصفات بأنوارها وهو مزيد نور اليقين الذى هو كمال الايمان وحقيقته فهنا التذكرة الموصوف بمشاهدة المذكور بنور وصفه ألم تر الى قوله تعالى وكانت أعينهم في غطاء عن ذكرى فمن كانت عينه في كشف من ذكره شهد المذكور فعندها ذكر ثم توجد حقيقة العلم بعد نسيان الخلق كقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت فحق الذكر نسيان ما سواه كما ان حقيقة الايمان الكفر بكل اله كقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وقال بعض أهل الحديث جاءني رجل من اخواني من أهل المعرفة فقال قد وجدت من قلبي غفلة فأريد أن تحملني الى مجلس من مجالس الذكر فقلت نعم فمضى له مذكرا يتكلم في علوم العامة قال فحضرنا عنده واجتمع الخلق فأخذ في شئ من القصص وذكر الجنة والنار فنظر الى صاحبي فقال أليس زعمت ان هذا يذكر الله ويذكر به عز وجل ويذكر أيامه فقلت نعم هكذا هو عندنا فقال لما أسمع الاذكار الخلق فأين ذكر الله تعالى ثم توقف ساعة ينتظر منه ما يريد من علم المعرفة وغيرها مما سمعه من شيوخه الصوفية قال فليس الا القصص والحكايات فالتفت الى وقال قم بنا فانه لا يسعني الجلوس لانه لا ينبغي في ذلك فقلت اما اما اذا استغفي أن أتخطى الناس فاصنع أنت ما ترى فقام يتخطى الناس حتى خرج وقد روى الزهرى عن سالم عن ابن عمر انه خرج من المسجد وقال ما أخرجني الا القصاص ولولاهم ما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري رحمه الله نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص أن يقصوا وحدثنا عن أبي معمر عن خلف بن خليفة قال رأيت سيارا أبا الحكم يستاك على باب المسجد وقاص يقص في المسجد فقام رجل فقال يا أبا الحكم ان الناس ينظرونك فقال انى في خير مما هم فيه أنا في سنة وهم في بدعة وقد فعل الاعمش أبلغ من ذلك دخل البصرة وكان فيها غريبا فنظر الى قاص في الجامع وهو يقول حدثنا الاعمش عن أبي اسحق وحدثنا الاعمش عن أبي وائل قال فتوسط الاعمش الحلقة ورفع يده وجعل ينتف شعر ابطه فبصر به القاص فقال يا شيخ ألا تستحي نحن في علم وأنت تفعل هذا فقال له الاعمش الذى أنا فيه أفضل من الذى أنت فيه قال كيف قال لانى في سنة وأنت في كذب أنا الاعمش وما حدثتك مما تقول شيأ فلما سمع الناس ذكر الاعمش انفضوا عن القاص واجتمعوا حوله وقالوا حدثنا يا أبا محمد وأخبرونا عن محمد بن أبي هرون ان اسحق حدثه قال صليت مع الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه صلاة العيد فاذا قاص يقص يلعن المبتدعة ويذكر السنة فلما قضينا الصلاة ومررنا ببعض الطريق ذكر أبو عبد الله القاص فقال ما أنفعهم للعامة وان كان عامة ما يحدثون به كذبا وأخبرت عن محمد بن جعفر ان أبا الحرث حدثه انه سمع الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول أكذب الناس القصاص والسؤال وحدثونا عنه أيضا انه قال ما أحوج الناس الى قاص صدوق لانهم يذكرون الميزان وعذاب القبر قلت له أنت تحضر مجالسهم قال لا ورويناه عن حبيب بن أبي ثابت عن زياد النميرى قال أتيت أنس بن مالك وهو بالزاوية فقال لى قص فقلت كيف والناس يزعمون انه بدعة فقال ليس شئ من ذكر الله تعالى بدعة قال فقصصت وجعلت أكثر قصصي ودعائي رجاء أن يؤمن قال فجعلت أقص وهو يؤمن وقد كانوا يجعلون الدعاء قصصا وحدث يوسف بن عطية عن محمد بن عبد الرحمن الخراز قال فقد الحسن عامر بن عبد الله العنبرى فقال اذهبوا بنا الى أبي عبد الله فأتاه الحسن فاذا عامر في بيت قد لف رأسه وليس في البيت الا رمل فقال له الحسن يا أبا عبد الله لم نرك منذ أيام فقال انى كنت أجلس هذه المجالس فاسمع تخليطا وتعليطا وانى كنت أسمع

رضى الله عنهما قال كنت ذات يوم في المسجد وعمر جالس والناس حوله اذ أقبلت جارية فقالت ان والدك أبا شحمة جرني الى حائط بنى النجار ونال مني ما ينال الرجل من المرأة فوضعت منه هذا الغلام فاحكم بحكم الله بيني وبينه فأمر عمر مناديا فنادى فأقبل الناس يهرعون اليه فقام عمر وقال لا تفرقوا حتى آتيكم ثم خرج ثم قال لى أسرع معي فلم يزل حتى أتى منزله فدخل على أبي شحمة وهو على الطعام فقال كل فيوشك أن يكون آخر زادك من الدنيا فلقد رأيت الغلام وقد تغير لونه وارتعد وسقطت اللقمة من يده فقال له عمر هل دخلت حائط بنى النجار فرأيت امرأة فواقعتها قال قد كان ذلك وأنا تائب فجره عمر الى المسجد فقال يا أبت لا تفضحني وخذ السيف وقطعني اربا اربا قال أوما سمعت قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ثم جره الى بين يدى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقال صدقت المرأة وأقر أبو شحمة بما قالت وكان له مملوك يقال له أفلح فقال يا أفلح خذ ابني هذا اليك واضربه مائة سوط ولا تقصر في ضربه فتزعزع بابه وضج الناس بالبكاء والنحيب وجعل الغلام

مشبجتنا فيما يروون عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ان أصدق الناس ايمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا في الدنيا وأكثر الناس ضحكا في الجنة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحا في الآخرة أطولهم حزنا في الدنيا فوجدنا البيت أحلى لقلبي وأقدر لي من نفسي على ما أريد منها قال الحسن اما انه لم يعن مجالسنا هذه انما عنى مجالس القصاص في الطرق الذين يخلطون ويغلطون ويقدمون ويؤخرون وقد قسم بعض العلماء المتكلمين ثلاثة أقسام فوصفهم بما كانهم فقال المتكلمون ثلاثة أصحاب الكراسي وهم القصاص وأصحاب الاساطين وهم المفتون وأصحاب الزوايا وهم أهل المعرفة فمجالس أهل العلم بالله تعالى وأهل التوحيد والمعرفة هي مجالس الذكر وهي التي جاءت فيها الآثار وفي الخبر اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان الله تعالى ملائكة سياحين في الهواء فضلا عن كتاب الخلق اذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا ألا هلموا الى بغيتكم فيأتونهم حتى يجلسوا اليهم فيحفون بهم ويستمعون منهم ألا فاذكروا الله واذكروا أيامه وقال وهب بن منبه اليماني مجلس يتنازع فيه العلم أحب الي من قدر صلاة لعل أحدهم يسمع الكلمة فينتفع بها السنة أو ما بقي من عمره وسئل أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن مجالس الذكر وفضلها فرغب فيها وقال رحمه الله وأي شئ أحسن من أن يجتمع الناس فيذكرون الله عز وجل ويعددون نعمه عليهم كما قالت الانصار وروينا عن علي كرم الله وجهه ما يسرني ان الله تعالى أماتني طفلا وأدخلني الدرجات العلى من الجنة قيل ولم قال لانه أحياني حتى عرفته وقال مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شئ فيها قيل وما هو قال المعرفة ثم أنشأ يقول

ان عرفان ذي الجلال لعز * وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين أيضا بهاء * وعليهم من المحبة نور
فهنيئا لمن عرفك الهي * هو والله دهره مسرور

وقال يحيى بن معاذ الرازي في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى شئ ولم يستوحش قيل وما هي قال معرفة الله تعالى وقال آخر لم يخطئك من العارف احدى ثلاث خلال تدل عليه هيبة أو حلاوة أو أنس وقال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله خرج العلماء والزهاد والعباد وقلوبهم مقفلة ولم يفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو يعني مقفلة عن مفاتح المعرفة وشهادة عين التوحيد فمجالس الذكر هذه قديما كانت لاهل المعرفة وأصحاب معاملات القلوب وعلم الباطن وهم علماء الآخرة وأهل الفقه في الدين وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية فذكر الفقه الذي هو من صفة القلب والخوف الذي هو سبب الفقه وعلم العقل داخل في علم الظاهر والعلم بالله داخل في اليقين كما روي في الخبر اليقين الايمان كله وقال الله تعالى وما يعقلها الا العالمون فجعل العقل وصفا من العلم وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم اليقين كما أمر بطلب العلم فكان هذا الحديث مخصوصا من ذلك فيكون قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين للخصوص لان اليقين مقام فوق العلم ويكون قوله طلب العلم فريضة للعموم وفي قوله تعلموا اليقين أمر بمجالسة الموقنين لان اليقين لا يظهر بذاته وانما يوجد عند الموقنين فقد أمرهم ولم يقل تعلموا علم المعقول ولا علم الفتاوى وكان علماء الظاهر قديما يسمون المفتين ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتاك المفتون فرده الى فقه القلب وصرفه عن فتيا المفتين فلولا أن القلب فقيه لم يجز أن يرده صلى الله عليه وسلم على غير فقيه ولولا أن علم الباطن حاكم على علم الظاهر ما دفعه عن علوم أهل الظاهر وهم علماء الالسنة الى علم الباطن وهو علم أهل القلوب ما رده اليه ولا يجوز أن يرده من فقيه الى فقيه دونه كيف وقد جاء هذا الحديث بلفظ مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وهذا مخصوص لمن كان له قلب وألقى سمعه وشهد قيام شاهده وعري عن شهواته ومعهوده لان الفقه ليس من وصف اللسان ألم تسمع قوله تعالى لهم



يشير الى أبيه يا أبت ارحمني فقال عمر وهو يبكي وانما أفعل هذا كي يرحمك ربك ويرحمني ثم قال يا أفلح اضربه فضربه وهو يستغيث وعمر يقول اضربه حتى بلغ سبعين فقال يا أبت اسقني شربة من ماء فقال يا بني ان كان ربك راضيا عنك يسقيك محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا تظمأ بعدها أبدا يا غلام اضربه فضربه حتى بلغ ثمانين فقال له يا أبت السلام عليك فقال وعليك السلام ان رأيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام وقل له خلفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود يا غلام اضربه فلما بلغ تسعين انقطع كلامه وضعف فرأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا عمر انظر ما بقي أخره الى يوم آخر وقال كما لم يؤخر المعصية لم يؤخر العقوبة وجاء الصريخ الى أمه فجاءت باكية صارخة وقالت يا عمر أحج بكل ضربة حجة تامة وأتصدق بكذا وكذا درهما قال ان الحج والصدقة لا ينوب عن الحد اضربه فلما كان آخر ضربة وقع الغلام ميتا فصاح وقال يا بني محص الله عنك الخطايا ثم جعل رأسه في حجره وجعل يبكي ويقول بأبي من قتله الحق بأبي من مات عند انقضاء الحد بأبي من لم يرحمه أبوه وأقاربه

قلوب لا يفقهون بها فمن كان له قلب سميع بسميع شهيد بشهيد فقه به الخطاب فاستجاب بما سمع وأناب وذكر في قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون معنيين ظهرا عن الفقه أحدهما النذارة وهو مقام في الدعوة الى الله عز وجل ولا يكون النذير الا مخوفا ولا يكون المخوف الا خائفا والخائف عالم والثاني الحذر وهو حال من المعرفة بالله عز وجل وهو الخشية له والفقه والفهم اسمان لمعنى واحد والعرب تقول فقهت بمعنى فهمت وقد فضل الله تعالى الفهم عنه على العلم والحكم وهو رفع الافهام على القضاء والاحكام فقال تعالى ففهمناها سليمان فأفرده بالفهم عنه وهو الذي فضله به على حكم أبيه في القضية بعد أن أشركهما في الحكم والعلم وقد فضل الحسن بن علي رضي الله عنهما علماء الهداية الى الله سبحانه وتعالى الدالين عليه عز وجل وسماهم العلماء وحققهم بالعلم في كلام روي لنا عنه سنذكره وقد روينا أيضا عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه

ما الفخر الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
ووزن كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

فمن كان عالما بعلم معلومه الله سبحانه وتعالى فمن أفضل منه وأي قيمة تعرف له اذ كل علم قيمته معلومه ووزن كل عالم علمه وقد قال عبد الواحد بن زيد امام الزاهدين كلاما في هذا المعنى ويفرد به العلماء بالله تعالى ويرفع طريقهم فوق كل طريق أنشدوناه عنه رحمه الله تعالى

الطرق شتى وطرق الحق مفردة * والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا تدرك مقاصدهم * فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم * فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وروينا عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لما مات عمر رضي الله عنه اني لاحسب هذا الرجل قد ذهب بتسعة أعشار العلم فقيل له تقول هذا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فقال اني لست أعني العلم الذي تذهبون اليه انما أعني العلم بالله عز وجل وكان ابن مسعود يقول المتقون سادة والعلماء قادة ومجالستهم زيادة يعني ان المتقين سادة الناس كما قال الله عز وجل ان أكرمكم عند الله أتقاكم والعلماء قادة المتقين أي أئمتهم يقتفون آثارهم لانه قال تعالى واجعلنا للمتقين اماما ففضل العلماء على المتقين وجعلهم أئمة لهم وصار المتقون أصحابهم وأخبر بالمزيد في مجالستهم أي مجالستهم زيادة على مجالسة المتقين غير العلماء لان كل عالم تقي وليس كل تقي عالما كما روي بمعناه العلماء كثير والحكماء من العلماء قليل والصالحون كثير والصادقون من الصالحين قليل وسئل ابن المبارك من الناس قال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال من يأكل بدينه وقال مرة في رواية الذين يتلبسون ويطلبون ويتعرضون للشهادات وقال فرقد السنجي للحسن رحمهما الله تعالى في شيء سأله عنه فأجابه يا أبا سعيد ان الفقهاء يخالفونك فقال ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت بعينيك فقيها انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم جمعنا قوله هذا في ثلاث روايات عنه نحن لفقتها هذه صفات العالم بالله تعالى وهم العارفون وحدثنا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال قلت لابي بلغنا انك كنت تختلف الى معروف أكان عنده حديث فقال يا بني كان عنده رأس الامر تقوى الله عز وجل وقيل للامام أحمد رضي الله عنه بأي شيء ذكر هؤلاء الائمة ووصفوا فقال ماهو الا الصدق الذي كان فيهم قيل له وما الصدق قال هو الاخلاص قيل له فالاخلاص ماهو قال الزهد قيل وما الزهد فأطرق ثم قال سلوا الزهاد سلوا بشر بن الحرث وقد حدثت عن بشر في منصور بن عمار رحمهما الله حكايات طريفة كان منصور بن عمار من الواعظين المذكرين ولم يكن العلماء في وقته مثل بشر وأحمد وأبي ثور يعدونه عالما كان عندهم من القصاص وكانت العامة تسميه عالما

تنظر الناس اليه فاذا هو قد فارق المنبر فلم نر يوما أعظم منه وضج الناس اليه بالبكاء والنحيب فلما كان بعد أربعين يوما أقبل علينا حذيفة بن اليمان صبح يوم الجمعة فقال اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام واذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ عمر مني السلام وقل له هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود وقال الغلام يا حذيفة اقرأ أبي مني السلام وقل له طهرك الله كما طهرتني والسلام اهـ ملخصا فانتبه من رقدتك أيها السامع وارحم نفسك بترك العصيان وسكب المدامع شعر

متى تهجر الدنيا وتهوى لها بغضا
متى تترك العصيان قل لي متى ترضى
متى يا شقي الحظ تأتي بتوبة
وعمرك في الدنيا يساق به ركضا
فلا بد بعد الموت أن تسكن البلى
برمسك تحت الارض تحت الثرى رضا
وتعطى كتابا فيه كل فضيحة
وتشهد أهوال القيامة والعرضا
فقم في الدجى الليل لربك طائعا
لعل الذي يسخط عليك عسى يرضى

اللهم صل على شافع الامة

فقد ثبت عن نصر بن على الجهضمى انه مزح ذات يوم مزاحا أفرط فيه فقيل له تقول هذا وأنت من العلماء فقال ما رأيت أحدا من العلماء الا وهو يمزح فقيل له فقد رأيت بشر بن الحرث فهل سمعته يمزح قال نعم كنت جالسا معه ذات يوم فى بعض الدروب فجاء منصور بن عمار يعدو فقال يا أبا نصر الامير قد أمر بجمع العلماء والصالحين فترى لى أن أختفى فدفعه بشر وقال تنح عنا لا يمر جمل شوك فيلقيك علينا فيمزق ثيابنا فهذا كان محل القصاص عند العلماء فيما سلف حتى ذهب أهل هذا العلم وجهلت مجالس الذكر وعلوم اليقين والمعاملات الا من عرف سيرة المتقدمين وطريقة السالفين الذين كانوا يفرقون بين مجالس الذكر وبين القصاص ويميزون بين العلماء وبين المتكلمين وبين علم اللسان وفقه القلب وبين علم اليقين وعلم العقل لان الفرق بين العالم والقاص ان العالم يسكت حتى يسئل فاذا سئل أجاب فيما يعلم بما هيأ الله تعالى له وكشف وينطق فيما أجراه الله عز وجل عليه وعرفه فان كان الصمت أفضل آثر السكوت لعلمه بالافضل فان لم ير أهله تربص حتى يضعه فى أهله وأهله من عرفه وكان له نصيب من مشاهدته ووجده وقال الله سبحانه وتعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ففى ذلك معنيان أحدهما ان أهل الذكر هم العلماء بالله تعالى لقوله ان كنتم لا تعلمون فلا يجوز أن يقول سلوا من لا يعلم وهم جاهلون فيزدادوا جهلا والمعنى الثانى يدل على أن العلماء سكوت حتى يسألوا فاذا سئلوا وجب عليهم أن يجيبوا لقوله تعالى لمن لا يعلم فاسئلوا فدل ان مجالس الذكر هى مجالس العلماء التى وردت الاخبار بفضائلها وفى تدبره ان أهل الذكر هؤلاء المسؤلون هم الذين وصل لهم القول لعلهم يتذكرون فلما وصل لهم المفصل تذكروا عما وعدة تعالى فلما تذكروا علموا فعندها أمر أن يسألوا ولذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى للجاهل أن يستقر على جهله ولا ينبغى للعالم أن يسكت على علمه وقد قال الله تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى رويناه من طريق أهل البيت العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول ان من يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال الاعمش من الكلام كلام جوابه السكوت وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى حسن سؤال الصادقين مفتاح قلوب العارفين فاما القاص فهو الذى يبتدئ فيقص الاخبار ويذكر القصص والآثار ولذلك سمى قاصا أى يتبع قصة من سلف ومنه قوله تعالى وقالت لاخته قصيه أى تتبعى أثر موسى تعرفى قصته وأخبرينى خبره وقال مالك بن أنس رحمه الله تعالى من اذالة العلم أن ينطق به قبل أن يسأل عنه وقال مرة من اذالة العلم أن يجيب عن كل ما يسأل عنه أى من اهانته ووضعه يقال أذل هذا وأذل هذا أى ارفع وضع يقال اذا تكلم بالعلم قبل أن يسأل عنه ذهب ثلثا نوره وقد قال ابراهيم بن أدهم وغيره سكوت العالم أشد على الشيطان من كلامه لانه يسكت بحلم وينطق بعلم فيقول الشيطان انظروا الى هذا سكوته أشد على من كلامه ولذلك يقال الصمت زين العالم وستر الجاهل وعن القاسم بن محمد انه قال من اكرام المرء نفسه أن يسكت على ما عنده حتى يسأل عنه وكذلك هو لعمرى لانه اذا تكلم بعد السؤال فهو صاحبها وربما كان فرضا وليس الحاجة الا القيام بالفرض من الشهوات ولقوله تعالى فاسئلوا أهل الذكر فأوجب أن يجيبوا من حيث أمر أن يسألوا وقال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار فتوعده عليه بالعقاب وقد يكون الابتداء بالشئ من خفايا الشهوات والشهوات من الدنيا ووصف رجل لمالك بن أنس فقال لا بأس به لولا انه يتكلم بالشئ قبل أن يسأل عنه وقال مرة لا بأس به الا انه يتكلم بكلام شهر فى يوم وقد قيل فى معنى ما ذكر ان الكلام من الشهوات فالحو الذى يبتدئ به قبل أن يسأل عنه ووصف بعضهم الابدال فقال فى وصفهم أكلهم فاقة وكلامهم ضرورة وكانوا لا يتكلمون حتى يسألوا عن شئ فيجيبوا ومن لم يتكلم حتى يسأل فليس بعد لاغيا ولا متكلما فيما لا يعنيه لان الجواب بعد السؤال كالفرض بمنزلة رد السلام وكما قال ابن عباس رضى الله عنهما

انى

وكاشف الغمة وادفع عنا كل نقمة واجلب الينا كل نعمة

*(فصل)* اعلم ان ترك الزنا من خوف الله تعالى من موجبات الجنة والثواب الجزيل والنعمة العظيمة وظل الله تعالى يوم لا ظل الا ظله قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى قال مقاتل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها ثم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة حتى لا يعلم شماله ما ينفق يمينه وفى تنبيه الغافلين وغيره انه كان فى بنى اسرائيل عابد قد أوتى جمالا وحسنا وكان يعمل القفاف بيده ويبيعها فمر ذات يوم بباب الملك فنظرت اليه جارية لامرأة الملك فدخلت على سيدتها وقالت لها ههنا رجل ما رأيت أحسن وجها منه يطوف بالقفاف ويبيعها

انى لارى رد الجواب واجبا كرد السلام وقد قال أبو موسى وابن مسعود رضى الله عنهما من سئل عن علم فليقل به ومن لا فليسكت والا كتب من المتكلفين ومرق من الدين وروينا عن ابن عباس أيضا وقد كانوا يتخافون من دخول التكلف عليهم فى كل شئ ويعد بعضهم الابتداء بالكلام من غير حاجة تدعو اليه أو قبل سؤال عنه من غير أن يرى له موضعا أو يجد له أهلا يعدونه من التكلف وفى وصية ابن عباس لمجاهد لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه أفضل ولا آمن عليك الخطأ ولا تتكلم فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعنت وروى فى حديث الانصارى الذى قالت له أمه عند موته هنيأ لك الجنة جاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه فى الجنة ولعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه ومن أظهر علما من غير أن يسأل عنه ونشره فى غير أهله فأنكر عليه سئل عنه وكان عليه فيه مطالبة لانه قد تكلف اظهاره فان كان سئل عنه ثم تكلم فيه لم يكن عليه فيه مطالبة فيمن أنكر لانه خرج جوابا على سؤال ومن هذا كان السلف المتكلمون فى هذا العلم يسكتون حتى يسألوا عنه وكان أبو محمد يقول العالم يقعد فيسكت ويرفع قلبه الى مولاه فيفتقر اليه فى حسن توفيقه ويسأله ان يلهمه الصواب فاى شئ سئل عنه تكلم بما فتح له مولاه فيجعل العالم فى حالة سكوته ونظره الى سيده محتاجا الى التوكل ومنتظرا الوكيل فى أى شئ يجريه وقال بعضهم انما العالم الذى اذا سئل عن المسئلة كانما تقلع ضرسه وقال رقبة بن مصقلة وغيره ليس العالم الذى يجمع الناس فيقص عليهم انما العالم الذى اذا سئل عن العلم كانما يسعط الخردل وقد روينا انه قاله الاعمش وقد كان محمد بن سوقة يسأله عن الحديث فيعرض عنه ولا يجيبه فالتفت الاعمش الى رقبة فقال له هو اذا أحق مثلك ان كان يدع فائدته لسوء خلقى فقال محمد بن سوقة ويحك انما أجعلك بمنزلة الدواء أصبر على مرارته لما أرجو من منفعته وقد روينا عن على وابن مسعود رضى الله عنهما انه مر برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفونى وحدثنى بعض علماء خراسان عن شيخ له عن أبى حفص النيسابورى الكبير وكان هذا هنالك نظير الجنيد ههنا انه قال انما العالم الذى يسأل عن مسئلة فى الدين فيغتم حتى لو جرح لم يخرج منه دم من الفزع يخاف ان يسئل فى الآخرة عما سئل عنه فى الدنيا ويفزع ان لا يتخلص من السؤال الا ان يرى انه قد افترض عليه الجواب لفقد العلماء ومن ههنا كان ابن عمر رضى الله عنهما يسكت عن تسع مسائل ويجيب عن واحدة ويقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا فى جهنم تقولون افتانا ابن عمر بهذا وكان ابراهيم التيمى اذا سئل عن مسئلة يبكى ويقول لم تجد من تسأله غيرى أو احتجتم الى قال وجهدنا بابراهيم النخعى ان نسنده الى سارية فابى وكان اذا سئل عن شئ بكى وقال لقد احتاج الناس الى وقد كان سفيان بن عيينة تفرد فى زمانه بعلوم انفرد بها فى وقته وكان مع ذلك يضرب المثل لنفسه ويقول

خلت الديار فسدت غير مسود ❊ ومن الشقاء تفردى بالسودد

وأما أبو العالية الرياحى فكان يتكلم على الاثنين والثلاثة فاذا صار واأربعة قام وكذلك كان ابراهيم والثورى وابن أدهم رحمهم الله تعالى يتكلمون على النفر فاذا كثر الناس انصرفوا وكان أبو محمد سهل رحمه الله يجلس الى الخمسة أو ستة الى العشرة وقال لى بعض الشيوخ كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضع عشرة قال وما تم أهل الجلسة عشرون وقد حدثت عن أبى الحسن بن سالم شيخنا رحمه الله ان قوما اجتمعوا فى مسجده فارسلوا اليه بعضهم ان اخوانك قد حضروا ويحبون لقاءك والسماع منك فان رأيت ان تخرج اليهم فذاك وكان المسجد على باب بيته ولم يكن يدخل عليه فى منزله فقال للرسول بعد ان خرج اليهم من هم فقال فلان وفلان وسماهم فقال ليس هؤلاء من أصحابى هؤلاء أصحاب المجلس ولم يخرج كانه رآهم عموما لا يصلحون لتخصيص علمه فلم يذهب وقته لوقتهم وكذلك العالم خلوته تعز عليه فان وافق خصوص أصحاب آثرهم على خلوته فكان ذلك مزيدا لهم وان هو لم يوافق لم يؤثر على

فقالت أدخليه فلما دخل نظرت اليه فأعجبها فقالت له اطرح تلك القفاف وخذ هذه الملحفة وقالت لجاريتها هات الدهن والطيب وقالت له نفسك من هذا البيع فقال لها ما أريد ذلك مرارا فقالت فانك غير خارج حتى تقضى حاجتى منك فأمرت بالابواب فغلقت فلما رأى ذلك قال هل فوق قصرك متوضأ قالت نعم قالت يا جارية آتيه بوضوئه فلما رقى به الى ناحية السطح فرأى قصرا مرتفعا ولا شئ يتعلق به ليرسل نفسه فاخذ يعاتب نفسه ويقول أنت منذ سبعين سنة تطلبين رضا الله تعالى جاءتك عشية واحدة تفسد عملك وجعل يعاتب نفسه ثم عزم على القاء نفسه فرارا من سخط الله فلما تهيأ ليلقى نفسه قال الله تعالى لجبريل عليه السلام عبدى يريد قتل نفسه فرارا من سخطى فتلقه بجناحك كى لا يصيبه مكروه فبسط جبريل عليه السلام جناحه وأخذ بيده فوضعه على الارض وضع الوالد الرحيم لولده فاتى امرأته وترك القفاف وقد غابت الشمس فقالت أين ثمن قفافك فقال لها ما أصبنا اليوم لها ثمنا قالت فعلى أى شئ نفطر الليلة قال لها نصبر ليلتنا هذه ثم قال قومى فاسجرى التنور فانا نكره أن يرى جيراننا

بخلوته غيره فيكون منا تنا البطالين وقد كان ابن سالم أبو الحسن يخرج الى اخوانه من بر ام موضع العلم فيجلس اليهم و يذاكرهم وربما أدخلهم اليه ثم ارا أوليلا ولعمري ان المذاكرة تكون بين النظراء والمحادثة تكون مع الاخوان والجلوس للعلم يكون للاصحاب والجواب عن السؤال نصيب العموم وكان عند أهل هذا العلم ان علمهم مخصوص لا يصلح الا للمخصوص والخصوص قليل ولم يكونوا ينطقون به الا عند أهله و يرون ان ذلك من حقه وانه واجب عليهم كما وصفهم على كرم الله وجهه في قوله حتى يودعوه أمثالهم و يزرعوه في قلوب أشكالهم وكذلك جاءت الآثار بذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق الذي يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها جهل ومن منعها أهلها ظلم ان الحكمة حقا وان لها أهلا وان لاهلها حقا فاعط كل ذي حق حقه وفي حديث عيسى صلاة الله وسلامه عليه لا تعلقوا الجوهر في أعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير وكان بعض هذه الطائفة يقول نصف هذا العلم سكوت ونصفه تدري أين تضعه وقد قال بعض العارفين من كلم الناس بمبلغ علمه بمقدار عقله ولم يخاطبهم بقدر حدودهم فقد بخسهم حقهم ولم يقم بحق الله عز وجل فيهم وكان يحيي بن معاذ يقول اغرف لكل واحد من نهر واسقه بكأس ونحن نقول بمعناه كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وحدثني بعض أشياخنا من هذه الطائفة عن أبي عمران وهو المزين الكبير المكي قال سمعته يقول لابي بكر الكتاني وكان صاحب هذا العلم بذولا لجميع الفقراء فجعل أبو عمران يعاتبه و ينهاه عن بذله وكثرة كلامه فيه الى ان قال انا منذ عشرين سنة أسأل الله تعالى ان ينسيني هذا العلم قال ولم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسمعته يقول ان لكل شئ عند الله تعالى حرمة ومن أعظم الاشياء حرمة الحكمة فمن وضعها في غير أهلها طالبه الله تعالى بحقها ومن طالبه خصمه وقد كان بعض السلف يقول اذا استند الرجل الى سارية أو أحب ان يسأل فلا تجلس اليه ولا ينبغي ان يسأل ولم ير في مجالس أهل هذا العلم فيما سلف ثلاثون رجلا ولا عشرون الا نادرا غير لزام ولا دوام انما كانوا من الاربعة الى العشرة و بضعة عشر وقد كان يجتمع في مجالس القصاص والمذكرين والواعظين مئون من عهد الحسن الى وقتنا هذا فهذا أيضا من الفرق بينهما ان العلم مخصوص لقليل وان القصص عام لكثير وقال بعض علمائنا كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الذكر والوعظ ولم يكن من يتكلم في علم المعرفة واليقين والمقامات والاحوال الا ستة منهم أبو محمد سهل والصبيحي وعبد الرحيم وقد قيل من لم ينتفع بسكوت العالم لم ينتفع بكلامه أي ينبغي ان يتأدب بصمته وخشوعه وورعه و يقتدي بيقينه في ذلك كما يتأدب بمنطقه و يقتدي بكلامه على انهم كانوا يقولون علم الظاهر من علم الملك وعلم الباطن من علم الملكوت يعنون ان ذلك من علم الدنيا لانه يحتاج اليه في أمور الدنيا وهذا من علم الآخرة لانه من زادها وهذا كما قالوا لان اللسان ظاهر فهو من الملك وهو خزانة العلم الظاهر والقلب خزانة الملكوت وهو باب العلم الباطن فقد صار فضل العلم الباطن على الظاهر كفضل الملكوت على الملك وهو الملك الباطن الخفي وكفضل القلب على اللسان وهو الظاهر الجلي وقد كان بشر بن الحرث رحمه الله يقول حدثنا وأخبرنا باب من أبواب الدنيا وقال مرة الحديث ليس من زاد الآخرة وحدثنا بعض أشياخنا من بعض أصحابه قال دفن اله بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة كتبا لم يحدث منها بشئ الا ما سمع منه نادرا في الفرد وكان رحمه الله تعالى يقول اني أشتهي ان أحدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت ثم قال انا أجاهد نفسي منذ أربعين سنة وقال اذا سمعت الرجل يقول حدثنا وأخبرنا فانما يقول أوسعوا لي وكان زاهدا عالما وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشته ان تحدث فحدث وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى قبله تقول الثوري رضي الله عنه نعم الرجل سفيان لولا انه يحب الحديث وكانت تقول فتنة الحديث أشد من

مثلما تخالف عليهم من أمرنا فيشتغل قلوبهم بنا فقامت فسجرته ثم جاءت فقعدت و جاءت امرأة من جيرانهم فقالت يا فلانة أعندك وقود قالت نعم ادخلي فخذي من التنور فدخلت لتأخذ فقالت يا فلانة مالي أراك جالسة تحدثين مع فلان تعني زوجها وقد نضج خبزك في التنور فقامت فاذا التنور محشو خبزا نقيا فحملته في جفنة ثم جاءت الى زوجها فقالت له امر بك لم يصنع بك هذا الا وأنت عليه كريم فادع الله ان يبسط علينا بقية عمرنا في معيشتنا فلم تزل به حتى قام في جوف الليل وصلى ودعا وقال اللهم انها زوجتي قد سألتني شيئا طلبها ما تتوسع به في بقية عمرها فانفرج السقف فنزل عليهم كف عليه ياقوتة أضاء بها البيت كما يضيء الشمع فغمزها وكانت نائمة فقال لها اجلسي وخذي ما سألت فقالت لا تعجل الهذا أيقظتني رأيت في المنام كاني أنظر الى كراسي مصفوفة من الذهب مكللة بالدر والزبرجد آخرها فيه ثلمة فقلت لمن هذه قال لزوجك ومقدار الثلمة مقدار هذا الكف ثم قالت ما لنا حاجة الى شئ تثلم علينا مجلسك فادع ربك ان يردها الى موضعها الثلمة فدعا به فرجع الكف اعلم انك لا تصل الى حفظ

فتنة المال والولد وقال الشعر قولا انه بحب الدنيا يعنى اجتماع الناس حوله الحديث وكان أبو سليمان
الدارانى رحمه الله تعالى يقول من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشا فقد ركن الى الدنيا وقال بعض هذه
الطائفة كل من أدرك العلوم غير العلم بالله عز وجل فقد استدرك والذى أدرك العلم بالله فقد تدورك ثم
تلا قوله تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء أى تدورك بعلم المعرفة لطرح فى بعد الهوى والعرا
البعد وعلم المعقول بعد الى جنب علم اليقين وقال أيضا فى فهم قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم أى ثبتناك بالمعرفة لقد كدت تسكن الى علوم العقل وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى فى قوله
عز وجل واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا قال لسانا ينطق عنك لا عن سواك وفضل العلم بالله عز وجل والعلم
بالايمان وعلم اليقين على العلم بالاحكام والقضايا كفضل المشاهدة على الخبر وقد قال الرسول صلى الله عليه
وسلم ليس الخبر كالمعاينة وفى لفظ آخر ليس الخبر كالعيان وقد روى عياض بن غنم عن النبى صلى الله عليه
وسلم فى تفسير قوله عز وجل الهاكم التكاثر علم اليقين كرأى العين وفى هذا الخبران من خيار أمتى قوما
يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه أقدامهم فى الارض وقلوبهم فى السماء
أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة قال فيها هى الاخبار والاستفتاء
هو الاستخبار ومنه قوله تعالى فاستفتهم وقوله تعالى ويستفتونك أى يستخبرونك فعلم الخبر قد يدخله الظن
والشك والمشاهدة ترفع الظن وتزيل الشك كما قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فاثبت الرؤية للقلب
بالعين فرؤية القلب هو اليقين وذو القلب هو الموقن وقال النبى صلى الله عليه وسلم كفى باليقين غنى ففى علم
اليقين غنية عن جميع العلوم لانه حقيقة العلم وخالصه وليس فى جميع العلوم غنى عن علم اليقين ولان الفقر
بالشك والحاجة الى اليقين فى علم التوحيد وعلم الايمان أشد من الفقر بالحاجة الى علوم الفتيا وغيرها
فلذلك صار الغنى باليقين أعظم من الاستغناء بسائر العلوم فنى هذا العلم مثل من فاتحة الكتاب الى سائر
القرآن كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب تجزى من كل القرآن وليس القرآن كله
يجزى من فاتحة الكتاب فكذلك مثل العلم بالله عز وجل الى العلم بما سواه ففى العلم بالله تعالى عوض من
كل العلوم وليس فى سائر العلوم عوض من العلم بالله عز وجل من حيث كان فى الله تعالى عوض به عن
كل ما سواه وكل علم موقوف على معلومه فعلم اليقين معلومه الله تعالى ففضله كفضل الله تعالى على
ما سواه وقد قال بعض الحكماء فى معنى ما ذكرناه من عرف الله تعالى فما ذا جهل ومن جهل الله تعالى فماذا
عرف فالعلماء بالله تعالى هم ورثة الانبياء لانهم ورثوا عنهم الدلالة على الله تعالى والدعوة اليه والاقتداء
بهم فى أعمال القلوب وقد قال الله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وكما قال تعالى ادع
الى سبيل ربك بالحكمة وكما أمره بالدعاء واشرك معه اتباعه فى الدعاء الى الله تعالى لا فى البصيرة فقال تعالى
قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى ويحشرون يوم القيامة مع الانبياء كما قال تعالى أولئك
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين وكما قال تعالى وجىء بالنبيين والشهداء ثم فسره فقال بما استحفظوا من
كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقد روينا معناه عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقرب
الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الانبياء وأما أهل
الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وعلماء الدنيا يحشرون مع الولاة والسلاطين وقد قال بعض
السلف العلماء يحشرون فى زمرة الانبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين وكان اسمعيل بن اسحق
القاضى من علماء أهل الدنيا ومن سادة القضاة وعقلائهم وكان مؤاخيا لابى الحسن بن أبى الورد وكان هذا
من أهل المعرفة فلما ولى اسمعيل القضاء هجره ابن أبى الورد ثم انه اضطر الى ان دخل عليه فى شهادة فضرب
ابن أبى الورد يده على كتف اسمعيل القاضى وقال يا اسمعيل علم أجلسك هذا المجلس لقد كان الجهل خيرا منه
فوضع اسمعيل رداءه على وجهه وجعل يبكى حتى بله وعلماء الظاهر هم زينة الارض والملك وعلماء الباطن

الفرج الا بحفظ العين عن
النظر وحفظ القلب
عن التفكر وحفظ البطن
عن الشبهة وعن الشبع
وان هذه محركات الشهوة
ومغارسها وكذا ينبغى ان
تجتنب صحبة أهل الفجور
ومجالستهم وتختار صحبة
من نهى النفس عن
الهوى فان الجنة المأوى

شعر

نالوا بذلك فرحة وسرورا
وسعوا فاصبح سعيهم مشكورا
قوم أقاموا لله نفوسهم
فكسا وجوههم الوسيمة
نورا
تركوا النعيم وطلقوا لذاتهم
زهدا فعوضهم بذا السرورا
قاموا يناجون الحبيب
بادمع
تجرى فتحكى لؤلؤا منثورا
ستروا وجوههم باستار
الدجى
ليلا فاضحت فى النهار بدورا
علموا بما علموا وجادوا بالذى
وجدوا فاصبح حظهم موفورا
واذا بدى ليل سمعت أنينهم
وشهدت وجدا منهم وزفيرا
تعبوا قليلا فى رضا محبوبهم
فاراحهم يوم المعاد كثيرا
صبروا على مر البلا فجزاهم
يوم القيامة جنة وحريرا
اللهم ارزقنا اتباع
الصالحين واحشرنا فى
زمرتهم يا رب العالمين

(فصل) فى اتيان الكاهن
والمنجم والطيرة وهى
التشاؤم بالشئ م عن حفصة
قالت قال النبى صلى الله

زينة السماء والملكوت وعلماء الظاهر أهل الخبر والسان وعلماء الباطن أرباب القلوب والعيان وقال بعض العلماء لما خلق الله تعالى اللسان قال هذا محل خبري ان صدقني نجيته ولما خلق الله تعالى القلب قال هذا موضع نظري ان صفا لي صافيته وقال بعض الخلف الجاهل ينجو بالعلم والعالم ينجو بالجد والعارف ينجو بالجاه وقال بعض العارفين علم الظاهر حكم وعلم الباطن حاكم والحكم موقوف حتى يجيء الحاكم بحكم فيه وقد كان علماء الظاهر اذا أشكل عليهم العلم في مسئلة لاختلاف الادلة سألوا أهل العلم بالله لانهم أقرب الى التوفيق عندهم وأبعد من الهوى والمعصية منهم الشافعي رحمه الله تعالى كان اذا اشتبهت عليه المسئلة لاختلاف أقوال العلماء فيها وتكافؤ الاستدلال عليها رجع الى علماء أهل المعرفة فسألهم قال وكان يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يجلس الصبي بين يدي المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكيف يصنع في كذا فيقال له مثلك يا أبا عبد الله في علمك وفقهك تسأل هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما علمناه وكان الشافعي رحمه الله قد اعتل علة شديدة وكان يقول اللهم ان كان في هذا رضاك فزدني منه فكتب اليه المعافري من سواد مصر يا أبا عبد الله لست وإياك من رجال البلاء فسأل الرضا الاولى بنا ان نسأل الرفق والعافية فرجع الشافعي رحمه الله عن قوله هذا وقال استغفر الله تعالى وأتوب اليه فكان بعد ذلك رحمه الله يقول اللهم اجعل خيرتي فيما أحب وقد كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين رضي الله عنهما يختلفان الى معروف بن فيروز الكرخي رحمهم الله ولم يكن يحسن من العلم والسنن ما يحسنانه فكانا يسألانه وقد روي في الخبر قيل يا رسول الله كيف نصنع اذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولا تقضوا فيه أمرا دونهم وفي حديث معاذ رضي الله عنه فان جاءك ما ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة رسول الله قال أقضي فيه بما قضى الصالحون فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسوله وفي بعضها اجتهد رأيي وحدثونا عن الجنيد قال كنت اذا قمت من عند سري السقطي قال لي اذا فارقتني من تجالس فقلت الحارث المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين قال فلما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث يعني انك اذا ابتدأت بعلم الحديث والاثر ومعرفة الاصول والسنن ثم تزهدت وتعبدت تقدمت في علم الصوفية وكنت صوفيا عارفا واذا ابتدأت بالتعبد والتقوى والحال شغلت به عن العلم والسنن فخرجت اما شاطحا أو غالطا لجهلك بالاصول والسنن فاحسن أحوالك ان ترجع الى العلم الظاهر وكتب الحديث لانه هو الاصل الذي تفرع عليه العبادة والعلم وانت قد بدأت بالفرع قبل الاصل وقد قيل انما حرموا الوصول بتضييع الاصول وهو كتب الحديث ومعرفة الآثار والسنن فاذا أنت رددت الى الاصل فقد انحططت عن مرتبة الناقدين ونزلت من درجة العارفين وفاتك مزيد اليقين والايمان وقال سفيان الثوري رضي الله عنه كان الناس اذا طلبوا العلم عملوا فاذا عملوا أخلصوا فاذا أخلصوا هربوا وقال آخر العالم اذا هرب من الناس فاطلبوه واذا طلب الناس فاهرب منه وقال أبو محمد سهل العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا رحل وقال ذو النون يقول اجلس الى من تكلمك صفته ولا تجلس الى من يكلمك لسانه وقد كان الحسن قبله يقول جالس من تكلمك أعماله ولا تجالس من تخاطبك مقاله وقد كان طائفة يصحبون كثيرا من أهل المعرفة للتأدب بهم والنظر الى هديهم وأخلاقهم ان لم يكونوا علماء لان التأديب يكون بالافعال والتعليم يكون بالمقال ومن أبلغ ما سمعت منهم في هذا المعنى ما قال بعض الحكماء موعظة واحد لالف بفعل أنجع فيهم وأوقع من وعظ ألف لواحد بقول وكان سهل يقول العلم كله دنيا والآخرة منها العمل به والعمل هباء الا الاخلاص وقال جميع الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له به ولم يكن العالم عند العلماء من كان عالما بعلم غيره ولا حافظا الفقه سواه هذا كان اسمه راويه وواعيا وحاملا وناقلا وقد



عليه وسلم من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة د عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو امرأته حائضا أو أتى امرأة في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قال في المفاتيح من جامع امرأته في حال الحيض أو في دبرها معتقدا تحليله أو سأل كاهنا عن حال معتقدا انه حق أو صدق فقد كفر وان علم تحريمه كان فاسقا د عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العيافة والطرق والطيرة من الجبت وفي حياة الحيوان قال ابن عبد الحكيم لما خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة قال رجل من لخم تطيرت فاذا القمر في الدبران فكرهت ان أقول له فقلت له الا تنظر الى القمر ما أحسن استواءه في هذه الليلة قال فنظر عمر فاذا هو في الدبران فقال كأنك كرهت ان تعلمني انه في الدبران انا لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكنا نخرج بالله الواحد القهار اعلم ان المرأة اذا أتت الكاهن والعراف فهو معصية على معصية فيتضاعف العقوبة لانه يحرم نظرها الى الاجنبي ونظره اليها لا سيما اذا كان كافرا فانه يزداد معصية فوقها كيف وقد

كان أبو حازم الزاهد يقول ذهب العلماء وبقيت علوم في أوعية سود وقد كان الزهري يقول كان فلان وعاء العلم وحدثني فلان وكان من أوعية العلم ولا يقول كان عالماً وكذلك جاء الخبر رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه وكانوا يقولون حماد الراوية يعنون انه كان راوياً ودخول الهاء في الاسم للمبالغة في الوصف كما يقال علامة ونسابة وانما كان العالم عندهم الغني بعلمه لا بعلم غيره وكان الفقيه فيهم هو الفقيه بفقه علمه وقلبه لا بحديث سواه كما جاء في الاثر أي الناس أغنى قال العالم الغني بعلمه ان احتيج اليه نفع والا اكتفى عن الناس بعلمه لان كل عالم بعلم غيره فانما صار عالماً بمجموعه فجمعه جمعهم العلماء وكل فاضل بوصف سواه فوصفه فمعهم الفضلاء فاذا تركهم وانفرد سكت فلم يرجع الى علم لنفسه يختص به فصار في الحقيقة موصوفاً بالجهل واسقط الطرائق أهل الفضل موسوماً بعلم السمع والنقل فمثل العالم بعلم غيره مثل الواصف لاحوال الصالحين العارف بمقامات الصديقين ولا حال له ولا مقام فليس يعود عليه من وصفه الا الحجة بالعلم والكلام وسبق العارفون بالله في الجنة بالاعمال والمقام فمثله كما قال الله تعالى ولكم الويل مما تصفون وكقوله عز وجل كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا الا يرجع الى بصيرة فيمحو ما التبس من ظلمات الشبه عليه مما اختلف العلماء فيه ولا يحقق بوجد منه فيه يجده عن حال ألبسها بوجده وانما هو متواجد بوجد غيره فغيره هو الواجد وشاهد على شهادة سواه فالسوى هو الشاهد وقد كان الحسن يقول ان الله تبارك وتعالى لا يعبأ بصاحب رواية انما يعبأ بذي فهم ودراية وقال أيضاً من لم يكن له عقل يسوسه لم تنفعه كثرة روايته للحديث وقد أنشدنا بعض الحكماء في معنى ذلك

العلم علمان فمسموع ومطبوع * ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع

* كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع * وكان الجنيد رحمه الله كثيراً ينشد

علم التصوف علم ليس يعرفه * الا أخو فطنة بالحق معروف

وليس يعرفه من ليس يشهده * وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

لان الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له في كل شيء والتفقه على مذهبه محدث لم يكن الناس قديماً على ذلك في القرن الاول والثاني وهذه المصنفات من الكتب حادثة بعد سنة عشرين ومائة من التاريخ وبعد وفاة كل الصحابة وعلية التابعين يقال ان أول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف من التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سنناً منثورة مبوبة ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس رضي الله عنه في الفقه ثم جمع ابن عيينة كتاب الجوامع في السنن والابواب وكتاب التفسير في أحرف من علم القرآن وجامع سفيان الثوري الكبير رضي الله عنه في الفقه والاحاديث فهذه من أول ما صنف ووضع من الكتب بعد وفاة سعيد بن المسيب وخيار التابعين وبعد سنة عشرين أو أكثر ومائة من التاريخ فكان العلماء الذين هم أئمة هؤلاء العلماء من طبقات الصحابة الاربعة ومن بعد موت الطبقة الاولى من خيار التابعين هم الذين انقرضوا قبل تصنيف الكتب وكانوا يكرهون كتب الحديث ووضع الناس الكتب لئلا يشتغل بها عن القرآن وعن الذكر والفكر وقالوا احفظوا كما حفظنا ولئلا يشتغل الناس عن الله تعالى برسم ولا وسم كما كره أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعلية الصحابة تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشوا اشتغال الناس بالصحف واتكالهم على المصاحف فقالوا نترك القرآن يتلقاه الناس بعضهم من بعض تلقناً بالتلقين والاقراء ليكون هو شغلهم وهمتهم وذكرهم حتى أشار عليه عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة أن يجمع القرآن في المصاحف لانه أحفظ له ولم يرجع الناس الى المصحف لما لا يؤمن من الاشتغال بأسباب الدنيا عنه فشرح الله تعالى صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن في الصحف المتفرقة في المصحف

أوجب الاحتجاب عن الكافرة وكذا يحرم الخلوة مع الاجنبي ومع الكافر أشد خ م قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والدخول على النساء فقال رجل من الانصار أفرأيت الحموة قال الحمو الموت والحمو قريب الزوج كاخيه وابن أخيه وعمه وخاله وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت لما كشف الله تعالى مما يقع منه ولو خرجت المرأة لذلك بغير اذن زوجها فهو بلاء على بلاء ولو اذن الزوج لذلك أو لغيره مما فيه اظهار الزينة لغير البعل ونحوه عصى لانه اعانة على معصية فهو من الديوثين قد صار عبداً للشيطان في ارضاء زوجته الخبيثة المظهرة زينتها لغير البعل والاب ونحوه بل صار عدواً لها ولنفسه في الحقيقة قال الحسن رضي الله عنه والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله في النار فيا ماشية الى الكهان ويا خارجة من بيتها لاظهار الزينة طاعة للشيطان كيف بك اذا وقع بك الموت في وقت لا تحسبينه ونقلك من بيت الحبور الى بيت القبور وكيف بك اذا شم منكر ونكير رجليك فوجداها قد سعتا الى مجمع أو عرس فيه المناهي من النظر المحرم واظهار الزينة لغير من يباح اظهار الزينة

الواحد وكذلك كانوا يتلقون العلم بعضهم عن بعض ويحفظونه حفظا لهذه الطهارة القلوب من الريب وفراغها من أسباب الدنيا وصفائها من الهوى وعلو الهمة وقوة العزيمة وحسن النية ثم ظهرت بعد سنتمائتين وبعد تقضي ثلاثة قرون في القرن الرابع المرفوض مصنفات الكلام وكتب المتكلمين بالرأى والمعقول والقياس وذهب علم المتقين وغابت معرفة الموقنين من علم التقوى والهام الرشد واليقين فخلف من بعدهم خلف فلم تزل في الخلوف الى هذا الوقت ثم اختلط الامر بعد هذا التفصيل في زماننا هذا فصار المتكلمون يدعون علماء والقصاص يسمون عارفين والرواة والنقلة يقال علماء ليس غير فقه في دين ولا بصيرة في يقين وروينا عن ابن أبي عبلة قال كنا نجلس الى عطاء الخراساني بعد الصبح فيتكلم علينا فاحتبس ذات غداة فتكلم رجل من المؤذنين لا بأس به بمثل ما كان يتكلم به عطاء فانكر صوته رجاء بن أبي حيوة فقال من هذا المتكلم فقال أنا فلان فقال اسكت فانه يكره أن يسمع العلم الا من أهله وكذلك كانوا يقولون ابى أهل العلم بالله تعالى الى أن يسمعوا هذا العلم الا من أهله الزاهدين في الدنيا وكرهوا أن يسمعوه من أبناء الدنيا وزعموا انه لا يليق بهم واعلم أن العبد اذا كان بذكر الله تعالى بالمعرفة وعلم اليقين لم يسعه تقليد أحد من العلماء وكذلك كان المتقدمون اذا افتقروا هذا المقام فالقوا من حملوا عنه العلم لمزيد اليقين والافهام وقال ابن عباس رضي الله عنهما ليس أحد الا يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالف زيدا في الفقه وأبيا في القراءة وقال بعض الفقهاء من السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ به ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال قالوا ونقول ولاجل ذلك كان الفقهاء يكرهون التقليد ويقولون لا ينبغي للرجل ان يفتي حتى يعرف اختلاف الفقهاء أي فيختار منها على علمه الاحوط للدين والاقوى باليقين فلو كانوا يستحبون أن يفتي العالم بمذهب غيره لم يحتج أن يعرف الاختلاف ولكان اذا عرف مذهب صاحبه كفاه ومن ثم قيل ان العبد يسأل غدا فيقال ماذا عملت فيما علمت ولا يقال له فيما علم غيرك وقد قال الله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والايمان ففرق بينهما يدل به ان من أوتي ايمانا ويقينا أوتي علما كما ان من أوتي علما نافعا أوتي ايمانا وهذا أحد الوجوه في معنى قوله سبحانه كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه أي قواهم بعلم الايمان فعلم الايمان هو روحه وتكون الهاء عائدة الى الايمان وكذا العالم الذي هو من أهل الاستنباط والاستدلال من الكتاب والسنة فانه اداة الصنعة وآلة الصنع لانه ذو تمييز وبصيرة ومن أهل التدبر والعبرة فأما الجاهل والعامي الغافل فله أن يقلد العلماء ولعالم عموم أيضا ان يقلد عالم خصوص والعالم بالعلم الظاهر ان يقلد من فوقه ممن جعل على علم باطن من أهل القلوب لان النبي صلى الله عليه وسلم ردهم عن علم الالسنة والفتيا الى علم القلوب ولم يرد أهل القلوب في علمهم الذين يختصون به الى المفتين لانهم يأخذون من المفتين فتياهم ثم يجدون في قلوبهم حكاو حزازة فيلزمهم فتيا القلب لقوله استفت قلبك بعد قوله وان أفتاك المفتون مع قوله الاثم حزاز القلوب الى قوله ما حاك في صدرك فدعوا ان أفتوك وأفتوك ثم درس معرفة هذا الجهل فصار كل من نطق بكلام وصنعه غرب على السامعين لا يعرف حقه من باطله سمي عالما وكل كلام مستحسن زخرف ونفقه لا أصل له يسمى علما لجهل العامة بالعلم أي شئ هو ولقلة معرفة السامع بوصف من سلف من العلماء كيف كانوا فصار كثير من متكلمي الزمان فتنة المفتونين وصار كثير من الكلام والرأى والمعقول الذي حقيقته جهل كأنه علم عند الجاهلين فلا يفرقون بين المتكلمين والعلماء ولا يميزون بين العلم والكلام وقد قلنا ان خصوص الجهال يشبهون بالعلماء فيشتبهون على مجالسيهم في الحال فأعلم الناس في زمانك هذا أعرفهم بسيرة المتقدمين وأعلمهم بطرائق السالفين ثم أعلمهم بالعلم أي شئ هو وبالعالم من هو من المتعلم والمتعالم وهذا كالفرض على طالبي العلم أن يعرفوه لانه لما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة توجب عليهم ان يعرفوا أي شئ هو العلم



لمنخفضا فهما الخفة فالتهبا مع جسمك نارا وكيف بك اذا اشما سمعك الذي أصغيت به الى كلام الكاهن أو الغناء المحرم فوجدا قيسه تتن الاصغاء فنفخا فيه فالتهب مع جسمك نارا وكيف بك اذا التهبت عيناك الناظرتان الى الكافر والاجنبي نارا وكيف بك اذا جاءت العطية للكاهن وصارت مرصعة في أجنابك نارا فيا ذلك وخيبة من أطاع الشيطان وترك طاعة رسول الرحمن فالحذر الحذر من ذلك فانها من أسباب المهالك فتوبي قبل خروج الامر من يدك ووقوع الحسرة والندامة على سوء صنعك

شعر

ويحك يا نفس البدار البدار
فما هذه الدار لحي بدار
منزلة والناس سفر وكم
خانهم صرف الليالي وجار
قد نفد العمر وقل البقا
الى متى يا نفس ذا الاغترار
من كان في الدنيا يرى راحلا
كيف له فيها يقر القرار
أم كيف يهنا العيش فيها لمن
عليه كاسات المنايا تدار
يا أيها النائم قم وانتبه
قد فاتك المطلوب والركب سار
ان كنت أذنبت فقم واعتذر
الى كريم يقبل الاعتذار
وانهض الى مولى عظيم الرجا
يغفر في الليل ذنوب النهار

اللهم انا نستغفرك من كل ذنب أذنبنا عمدا أو خطأ

حتى يطلبوه اذ لا يصح طلب ما لا يعرف ثم وجب عليهم من هذا أن يعرفوا العالم من هو ليطلبوا عنده العلم اذ العلم عرض ولا يقوم الا بجسم فلا يوجد الا عند أهله كما قيل لعلى كرم الله وجهه وقيل له ان فلانا الفت فلانا فى كذا فقال خيرنا أتبعنا لهذا الدين وكما قيل لسعد ان ابن المسيب يقرأ ما ننسخ من آية أو ننسأها فقال ان القرآن لم ينزل على ابن المسيب ولا على أبيه ثم قرأ أو ننسها فاعلم الناس فى هذا الوقت وأقربهم من التوفيق والرشد أتبعهم لمن سلف وأشبههم بشمائل صالحى الخلف كيف وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل من أعلم الناس فقال أعرفهم بالحق اذا اشتبهت الامور وقال بعض السلف أعلم الناس أعرفهم باختلاف الناس وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول محدثان أحدثا فى الاسلام رجل ذو رأى سوء زعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار ارفعوا انكارهم لربهم باعمالهم ان رجلا أصبح فى هذه الدنيا بين مترف يدعوا الى دنياه وصاحب هوى يدعو الى هواه قد عصمه الله تعالى منهما يحيى الى السلف الصالح يسأل عن فعالهم ويقتص آثارهم لتعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا وكما روينا عن ابن مسعود رضى الله عنه وقد جاء مسندا انما هما اثنتان الكلام والهدى فاحسن الكلام كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ألا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم ألا كل ما هو آت قريب ألا ان البعيد ما ليس بآت وفى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم التى رويناها عن أبان عن انس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة وجانب أهل الذل والمعصية طوبى لمن ذل فى نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وقال بعض الادباء كلاما منظوما فى وصف زماننا هذا كأنه شاهده

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت فى خلف يزكى بعضهم * بعضا ليدفع معور عن معور

ابنى ان من الرجال بهيمة * فى صورة الرجل السميع المبصر

فطن بكل مصيبة فى ماله * فاذا أصيب بدينه لم يشعر

فسل الفقيه تكن فقيها مثله * من يسع فى أمر بلفقه يظفر

وقد كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول حسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال فى وصف زمانه باليقين وفى وصف زماننا بالشك فقال انكم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الامور وسيأتى بعد كم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف يعنى لكثرة الشبهات وقال حذيفة رضى الله عنه أعجب من هذا ان معروفكم هذا منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد يأتى وانكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف وكان يقول أيضا يأتى فى آخر الزمان قوم يكون العالم فيهم بمنزلة الحمار الميت لا يلتفتون اليه يستخفى المؤمن فيهم كما يستخفى المنافق فينا اليوم المؤمن فيهم أذل من الامة وفى حديث على كرم الله وجهه يأتى على الناس زمان ينكر الحق تسعة أعشارهم لا ينجو منهم يومئذ الا كل مؤمن نومة يعنى صموتا مستغافلا أولئك مصابيح العلم وأئمة الهدى وليسوا بالمذاييع البذر يعنى المتكلمين كثيرا المتظاهرين بالكلام افتخارا وفى خبر يأتى على الناس زمان من عرف فيه الحق نجا قيل فأين العمل قال لا عمل يومئذ لا ينجو فيه الا من هرب بدينه من شاهق الى شاهق وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه يأتى على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا وفى بعضها بعشر ما يعلم وعن بعض الصحابة أنتم اليوم فى زمان من ترك منكم عشر ما يعلم هلك وسيأتى عليكم زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وقال بعض الخلفاء يأتى عليكم زمان يكون أفضل العلم الصمت وأفضل العمل النوم يعنى لكثرة المنافقين بالشبهات فصار الصمت

أو سترا أو علانية ونسأل الله التوفيق
* (فصل فى آفات اللسان) * وهى كثيرة فمنها النميمة وهى كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو اليه أو ثالث وهى من الكبائر خ م عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل الجنة نمام خ م قال صلى الله عليه وسلم تجدون شر الناس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه عافانا الله من ذلك وروى الدارمى عنه صلى الله عليه وسلم من كان ذا وجهين فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار قال الغزالى وغيره ويجب على من قيل له قال فلان فيك كذا أن لا يصدقه وينهاه عن ذلك ويبغضه فى الله ولا يظن بالمنقول عنه السوء ولا يبحث عن الحقيقة ولا يحكى نميمة ومنها الغيبة وهى ذكرك أخاك بما يكرهه لو سمعه سواء كان فى بدنه أو دينه أو دنياه أو خلقه أو عمامته أو غير ذلك وروى أبو يعلى الموصلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكل ويضج ويكلح د عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من

الجاهل علما ولكثرة العاملين بالشهوات فصار النوم عبادة البطال ولعمري ان الصمت والنوم أدنى أحوال العالم وهما أعلى أحوال الجاهل وكان يونس بن عبيد يقول أصبح اليوم من يعرف السنة غريبا وأغرب منه من يعرفه يعني طريقة السلف يقول فمن يعرفه عرف طريق من مضى وهو غريب أيضا لانه قد عرف غريبا وقال حذيفة المرعشي كتب الى يوسف بن اسباط ذهبت الطاعة ومن يعرفها وكان أيضا يقول ما بقي من يونس به وقال ما طننت بزمان مذ اكثرة العلم فيه مستقبل ولم ذلك قال لانه لا يجد أهله وقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول انكم لن تزالوا بخير ما أحببتم خياركم وقيل فيكم الحق فعرفه يل لكم اذا كان العالم فيكم كالشاة النطيح وقد كان المتقدمين علوم يجمعون عليها ويتفاوضونها بينهم قد درست في زماننا وكان الصالحين معان وطرائق يسلكونها و يسألون عنها قد ذهبت في وقتنا وكان اليقين والمعرفة مقامات وأحوال يتذاكرها أهلها و يطلبون أربابها قد عفت آثارها عندنا لقلة الطالبين لها ولعدم الراغبين فيها وفقد العلماء بها وذهاب السالكين في طرقها منها طلب الحلال وعلم الورع في المكاسب والمعاملات وعلم الاخلاص وعلم آفات النفوس وفساد الاعمال وعلم نفاق العلم والعمل والفرق بين نفاق العلم والعمل والفرق بين نطق القلب ونفاق النفس و بين اظهار النفس شهوتها واخفائها اذلك والفرق بين سكون القلب بالله وسكون النفس بالاسباب والفرق بين خواطر الروح والنفس و بين خاطر الايمان واليقين والعقل وعلم خلائق الاحوال وأحوال طرائق العمال وتفاوت مشاهدات العارفين وتلوينات الشواهد على المريدين وعلم القبض والبسط والتحقيق بصفات العبودية والتخلق بأخلاق الربوبية وتباين مقامات العلماء الى غير ذلك مما لا نذكره من علم التوحيد ومعرفة معاني الصفات وعلوم المكاشفة بتجلي الذات واظهار الافعال الدالة على معاني الصفات الباطنة وظهور المعاني الدالة على النظر والاعراض والتقريب والابعاد والنقص والمزيد والمثوبة والعقوبة والاختباء والاختبار وقد ذكرنا من جميع هذه المعاني فصولا ورسمنا جملا وأصولا تنبه على فروعها وتدل على اشكالها لمن وفق لتدبرها وأريد بتذكرها وجعل له نصيب منها وقال بعض علمائنا أعرف المتقدمين سبعين علما كانوا يتحاورون بها و يتعارفونها في هذا العلم لم يبق منها اليوم علم واحد يعرف قال وأعرف في زماننا هذا علوما كثيرة من الاباطيل والدعاوى والغرور وقد ظهرت وسميت علوما لم تكن فيما مضى تعرف فهذا كالشراب الذي وصفه الله تعالى بقال يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ وكان الجنيد رحمه الله تعالى من قبله يقول علمنا هذا الذي نتكلم فيه قد طوى بساطه منذ عشرين سنة وانما نتكلم في حواشيه وكان يقول أيضا قد كنت أجالس قوما سنين يتحاورون في علوم لا أفهمها ولا أدري ما هي وما بليت بالانكار قط كنت أتقبلها وأحبها من غير أن أعرفها وكان أيضا يقول كنا نتجارى مع اخواننا قديما في علوم كثيرة ما نعرف في وقتنا هذا ولا سألني عنها أحد وهذا باب قد أغلق وردم ولما صنف شيخنا أبو سعيد بن الاعرابي كتاب طبقات النساك ووصف أول من تكلم في هذا العلم وأظهره ثم من بعده من البصريين والشاميين وأهل خراسان الى ان كان آخرهم البغداديين وقال آخر من تكلم في هذا العلم صاحبنا جنيد القواريري وكانت له بصيرة فيه وحقيقة وحسن عبارة وما بقي بعده الا من تجالسه غنطا وقال مرة أخرى ما بقي بعد جنيد الا من يستحيي من ذكره وقد كان امامنا أبو محمد سهل رحمه الله يقول بعد سنة ثلثمائة لا يحل ان يتكلم بعلمنا هذا لانه يحدث قوم يتصنعون للخلق و يتزينون بالكلام لتكون مواجيدهم لباسهم وحليتهم كلامهم ومعبودهم بطونهم وقد كان حذيفة رضي الله عنه اذا سئل أي الفتن أشد فقال ان يعرض عليك الخير والشر فلا تدري أيهما تأخذ لكثرة الشبهات كما كان سهل يقول بعد سنة ثلثمائة لا يصح لاحد توبة لانه يفسد خبزهم وهم لا يصبرون عن الخبز يعني ان أول التوبة أكل الحلال وقد روينا في خبر يأتي على الناس زمان يضلون فيه دينهم فلا يعرفونه يصبح الرجل على دين و يمسي على دين يضل أمره على غير يقين وتسلب عقول أكثر أهل ذلك



نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس و يقعون في أعراضهم • قال صلى الله عليه وسلم الغيبة أشد من الزنا قالوا يارسول الله وكيف الغيبة أشد من الزنا قال ان الرجل يزني فيتوب فيغفر الله له وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفرها له صاحبه واعلم أنه يجب على سامعها الانكار بلسانه فان لم ينزجر به فبيده وان لم يستطع بهما فبقلبه وفارق المجلس ان قدر عليه وروى الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله عز وجل يوم القيامة على رؤس الخلائق ت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة ومنها القذف وشهادة الزور وسب المسلم واللعن والكذب قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ثم قال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول الله وما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل

الزمان وأوّل ما يرفع عنهم الخشوع ثم الاجابة ثم الورع ويقال أوّل ما يرفع من الناس الالفة

*(ذكر ما أحدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف)*

كان الناس قديما اذا التقوا يقول أحدهم لصاحبه ما خبرك وما حالك يعنون بذلك ما خبر نفسك في مجاهدتها وصبرها وما حال قلبك من مزيد الايمان وعلم اليقين ويريدون أيضا ما خبرك في المعاملة لمولاك وما حالك في أمور الدنيا والآخرة هل ازددت أم انتقصت فيتذاكرون أحوال قلوبهم ويصفون أعمال علومهم ويذكرون ما وهب الله تعالى لهم من حسن المعاملة وما فتح لهم من غرائب الفهوم فكان هذا من تعديد نعم الله تعالى عليهم ومن جميل شكرهم ويكون مزيدا لهم في المعرفة والمعاملة وقد كان بعضهم يقول أكثر علومنا ومواجيدنا ما نعرفه بعضنا من بعض وما يخبر به أحدنا أخاه اذا التقينا فقد جهل هذا اليوم فترك فهم اذا تساءلوا عن الخبر والحال انما يريدون به أمور الدنيا وأسباب الهوى ثم يشكو كل واحد مولاه الجليل سبحانه وتعالى الى عبده الذليل ويسخط أحكامه ويتبرم بقضائه وينسى نفسه وما قدمت يداه فمثله كما قال تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه وكما قال تعالى ان الانسان لربه لكنود قيل كفور بنعمته يعدد المصائب وينسى النعم كل ذلك جهالة بالله تعالى وغفلة عنه ومنه قولهم الآن كيف أصبحت وكيف أمسيت هذا محدث انما كانوا اذا التقوا قالوا السلام عليكم ورحمة الله وفي الخبر من بدأ كم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وانما أحدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقى أخاه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف أمسيت منه لأن أحدهم كان اذا أصبح لم يمس واذا أمسى لم يصبح فبقي هذا الى اليوم ونسي سببه وكان من عرف حدوثه من المتقدمين يكرهه حدثونا عن أحمد بن أبي الحواري قال قال رجل لأبي بكر بن عياش كيف أصبحت أو كيف أمسيت فلم يكلمه وقال دعونا من هذه البدعة قال وقلت لبعض السلف كيف أصبحت فأعرض عني وقال ما كيف أصبحت قل بالسلام وروى أبو معشر عن الحسن رضي الله عنه انما كانوا يقولون السلام عليكم سلمت والله القلوب فأما اليوم كيف أصبحت أصلحك الله كيف أمسيت عافاك الله فان أخذنا بقولهم كانت بدعة ألا ولا كرامة فان شاؤا غضبوا علينا ومن ذلك ابتداء الرجل في عنوان الكتاب باسم المكتوب اليه وانما السنة أن يبتدئ بنفسه فيكتب من فلان الى فلان قال ابن سيرين رحمه الله تعالى غبت غيبة فكتبت الى أبي فبدأت باسمه فكتب الي أبي اذا كتبت الي فابدأ باسمك في الكتاب فان ابتدأت باسمي قبل اسمك لا أقرأ لك كتابا ولا أرد اليك جوابا وكتب العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه وكتب من العلاء بن الحضرمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال أوّل من أحدثه زياد فتابعه العمال عليه وعدوه من احداث بني أمية وقد بقي سنة هذا في كتب الخلفاء والامراء الى اليوم على نحو ما مضى فهم يقدمون اسماءهم في كتبهم ومن الاحداث قول الرجل اذا جاء منزل أخيه يا غلام يا جارية فيه مخالفة لامر الله عز وجل وأمر رسوله عليه السلام قال الله عز وجل لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال أهل التفسير الاستئناس التنحنح أو التنخع أو الحركة حتى يؤذن بذلك ان وراءها انسانا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء أحدكم منزل أخيه فليسلم ثلاثا فان أذن له فليدخل والا فليرجع وكان السلف يقرع احدهم باب أخيه ثم يسلم ثلاثا يقف بعد كل تسليمة هنيهة فان أذن له دخل وقد لا يحب صاحب المنزل أن تدخل عليه في ذلك الوقت لسبب عذر له فيقول وعليكم السلام ورحمة الله ارجع عافاك الله فاني على شغل فيرجع عنه غير كاره لرجوعه ولا يؤثر ذلك عليه في نفسه وقد يكون قوله ارجع أحب اليه لانه أفضل له رجاء الاجابة والتزكية لقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم فربما رجع في اليوم مرتين أو ثلاثا بعد رد صاحبه له وهو يعود لان ذلك لم يؤثر في قلبه شيأ وهذا الفعل بعض الناس من أهل عصرنا هذا الكره ولعل أن لا يعود يومه ذلك فاما

الزنا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات خ م عن أبي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت خ م قال صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر خ م قال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بملة غير الاسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة وليس على رجل نذر فيما لا يملكه ولعن المسلم كقتله خ م قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر يا مسكين لا تضيع عمرك سدى بكلام لا يعنيك ت عن أنس قال توفي رجل من الصحابة فقال رجل أبشر بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم أولا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه واياك أن تضيعه بكلام فيه العقوبة ت عن أبي هريرة سئل رسول الله صلى

العلماء فقد كان بعض الناس لا يستأذن عليهم الا انهم لا يمنعه بل كانوا يقعدون على أبوابهم وفى مساجدهم ينتظرون خروجهم لاوقات الصلاة اجلالا للعلم وهيبة للعلماء وحدثونا عن أبى عبيد قال ماقرعت على عالم قط بابه كنت أجىء الى منزله فاقعد على بابه انتظر خروجه من قبل نفسه أتأول قول الله عز وجل ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم وقد رويناه مثل هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما فى موضعه من العلم والشرف ان المار كان يمر به وهو قائم على باب منزل الرجل من الانصار تسفى عليه الرياح فيقول مايجلسك ههنا يا ابن عم رسول الله فيقول أنتظر خروج صاحب المنزل فيخرج الرجل فيقول ابن عم رسول الله لو أرسلت الى لجئتك فيقول لا أنا كنت أحق أن آتيك فيسأله عما يريد من حديث بلغه انه يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن هو سمعه منه ومن ذلك استقصاء الرجل فى المسئلة عن حال أخيه وخبره وقد كره ذلك تزوج سلمان الفارسى رضى الله عنه فلما دخل على أهله خرج الى الناس من الغد فقال له رجل كيف أنت يا أبا عبد الله قال بخير أحمد الله تعالى قال كيف حالك وكيف بت البارحة وفى لفظ آخر كيف وجدت أهلك فغضب سلمان وقال لم يسأل أحدكم فيحفى المسئلة وليسأل عما وراء البيوت يكفى أحدكم أن يسأل عن ظاهر الامر وأما سليمان بن مهران الاعمش فان رجلا قال له فى منزله كيف أنت يا أبا محمد قال بخير قال كيف حالك قال فى عافية قال كيف بت البارحة فصاح بالجارية ائتينى بالفراش والمخاد فأنزلت بذلك فقال افرشى واضطجعى حتى اضطجع الى جنبك لترى أنا كيف بت البارحة وكان يقول يأتى أحدهم أخاه فيسأله عن كل شئ حتى عن الدجاج فى البيت ولو سأله درهما ما أعطاه وكان من مضى من السلف اذا التقى أخاه لا يزيد على قوله كيف أنتم أوحيا كم الله بالسلام ولو سأله شطر ماله قاسمه ومن ذلك قول الرجل لاخيه اذا لقيه ذاهبا فى الطريق الى أين تريد أو من أين جئت فقد كره هذا وليس من السنة ولا الادب وهو داخل فى التجسس والتحسس لان التحسس فى الآثار والتجسس فى الاخبار وهذا السؤال عن ذلك يجمعهما وقد لا يحب الرجل أن يعلم صاحبه أين يذهب ولا من أين جاء وقد كره ذلك مجاهد وعطاء قالا اذا لقيت أخاك فى طريق فلا تسأله من أين جئت ولا أين يذهب فلعله أن يصدقك فتكره ذلك ولعله أن يكذبك فتكون قد حملته عليه وقد كانوا يكرهون بيع المصاحف وشراءها وكان بعضهم لبيعها أكره منه لشرائها وقد ابتدع الناس علوما لم تكن تعرف فيما سلف منها علم الكلام والجدل وعلوم المقاييس والنظر والاستدلال على سنن الرسول صلى الله عليه وسلم بأدلة الرأى والمعقول ومنها ايثار علم العقل والرأى والقياس على ظواهر القرآن وعلى الاخبار ومنها اظهار الاشارات بالمواجيد من غير علومها ولا بيان تفصيلها وفى ذلك تحيير السامعين واضلال للعاملين وانما كان العلماء بهذا العلم يظهرون علوم المواجيد ويخفون الاشارة بالوجد فيظهرون للناس ما ينفع ويخفون ما يضر ولان المواجيد أحوال قلوبهم فكتمها أفضل وعلومها أنفع للمريدين والعاملين فاظهارها والبغية لهم فاظهروه واخفوا وجدهم لانه سر لهم فسلموا من التصنع والدعوى وأعطوا السامعين نصيبهم ومنعوهم ما ليس لهم فعدلوا فى الوصفين معا ففضلوا فى الحالين جميعا فجهل هذا الآن فأظهر ضده وكان الى الضرر أقرب ومن السلامة أبعد فمن لم يحسن التفصيل ولم يرزق العبارة فانه يحسن الصمت فهو واسع ان من لم يتكلم بعلم على سنة فسكوته أقرب له الى الله تعالى فمثله فى ذلك كما قال الله عز وجل ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ومما اظهر اظهار علوم المعرفة بمعانى الرغبة ليتميزوا عن الفقراء تكبرا منهم فلا يجعلون مجعلهم فليصرف اليهم من الاسباب على قدر انسهم وأحوالهم وهذا من أكبر أبواب الدنيا وأضره على مريدى الآخرة وألطفه تمويها فى الدين ومنها الكلام فى التوحيد بمخالفة علم الشرع وأن الحقيقة تخالف العلم والحقيقة هى علم وهى أحد طرقات الشريعة وعلم الشرع عنها فكيف تنافيها وهى التى أوجبته وانما هى عزيمة وضيقة وعلم الظاهر هو الرخصة والسعة فمن تكلم فى علم الباطن على غير قواعد العلم الظاهر وأصوله فذلك

من

الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار قال الفم والفرج واقطع صحبة صديق يدعوك اليه فانه عدوك وأى عدو يحملك على دخول نار لا تطيقها الجبال واياك ثم اياك أن لا تنكر الغيبة حتى لا تكون لك حبة خردل من ايمان كما فى صحيح مسلم فتنبه لذلك فخلق كثير لا يهتدون لذلك وربما يسمع شخصا يغتاب آخر يصغى اليه وربما ساعده عليه ولا تغتر بكثرة من لا يبالى بذلك من فقهاء السوء والمتصوفة الجهلة فانهم لصوص الدين وبهم فساد أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى على يد اثنين عالم فاسق وعابد جاهل

(شعر)

يا أيها الغافل جد الرحيل
وأنت فى لهو وزاد قليل
لو كنت تدرى ما تلاقى غدا
لذبت من فرط البكا والعويل
فاخلص التوبة تحظى بها
فما بقى فى العمر الا قليل
ولا تنم ان كنت ذا غبطة
فان قدامك نوما طويل

اللهم صل على محمد هادينا وآله واغفر لنا ولوالدينا ولاحبابنا وللمسلمين

*(فصل فى الغضب والكبر والحسد)* خ م عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى علك

من الالحاد فى الشريعة والولعة بين الكتاب والسنة وقد قال بعض العارفين نظرت الى هؤلاء الشاطحين فما وجدت الاباه لا مغرورا أو خاسئا مجبورا أو مستظهرا بلاشئ ومنها الكلام فى الدين بالوساوس والخطرات عن غير رد مواجيدها الى الكتاب والسنة والواجب معرفة تفصيلها ونفى ما لم يشهد له الكتاب والسنة منها اذ فى المواجيد ضلال وغرور وفى المشاهدات باطل وزور مع دعواهم المحبة وانكارهم الصفة التى جاءت بها السنة وعن غير شهادة موصوف وادعائهم المعرفة من غير تعرف معروف ومما أحدثوا السجع فى الدعاء والتغريب فيه ولم يرد الكتاب به ولا نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة بل كانوا ينهون عن الاعتداء فى الدعاء ويجتنبون تجاوز ما أخبر الله تعالى عن أوليائه من الادعية الجامعة المختصرة المعروفة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع فى الدعاء حسب أحدكم ان يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفى الخبر سيأتى قوم يعتدون فى الدعاء والطهور وسمع عبد الله بن مغفل ابنه يدعو بدعاء يغمق فيه فقال يا بنى اياك والحدث والاعتداء فى الدعاء وفى قوله عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل فى الدعاء فالاعتداء فى الدعاء هو ترك ما أخبر الله عز وجل عن أوليائه الصالحين من الدعاء بالمغفرة والرحمة والتوبة ومعنى ذلك من الدعاء المعروف والقول المشهور الى التنطع والتعميق والتغريب والتدقيق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيد أحدهم على سبع كلمات فى الدعاء ووجدت تصديق ذلك فى الكتاب ان الله تعالى ما أخبر عن عباده فى الدعاء فى مكان واحد أكثر من سبع دعوات وهى التى فى آخر سورة البقرة والا انما يخبر عنهم بالدعوتين والثلاث والاربع الى الخمس فى مواضع من الكتاب متفرقة ومر بعض السلف بقاص يدعو يسجع فى دعائه ويتعمق فقال له ويلك على الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمى يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير قال والناس يدعون من كل ناحية وكانت تعرف اجابة دعائه وبركته وكان أبو يزيد البسطامى يقول سله بلسان الحاجة لا بلسان الحكمة وقال الحسن ادع بلسان الاستكانة والافتقار لا بالفصاحة والانطلاق ومما أحدثوه أخذ القرآن بالادارة وتنازع الاثنين الآية أو تلقى الرجلين الآيتين فى مكان واحد بمنزلة الاختلاس والنهبة من غير خشوع القرآن ولا هيبة وقراءة القرآن تحتاج الى حزن وسكون وخشوع ومن ذلك أخذ المقرئ على الاثنين وليتمه قام بقراءة الواحد لسهو القلب كما قيل لابراهيم الحربى ان فلانا يأخذ على الاثنين فقال هما يحتاج اثنان أن يأخذا على واحد ومن البدع التلحين فى القراءة حتى لا تفهم التلاوة وحتى يجاوزا اعراب الكلمة بمد المقصور وقصر الممدود وادغام المظهر واظهار المدغم ليستوى بذلك التلاحن ولا يبالى باعوجاج الكلم واحالته عن حقيقته هو بدعة ومكروه استماعه قال بشر بن الحرث سألت ابن داود الحربى أمر بالرجل يقرأ أفأجلس اليه قال يقول بطرب قلت نعم قال لا هذا قد أظهر بدعته ومن ذلك التلحين فى الاذان وهو من البغى والاعتداء فيه قال رجل من المؤذنين لابن عمر رضى الله عنهما انى لاحبك فى الله تعالى فقال له لكنى أبغضك فى الله تعالى قال يا أبا عبد الرحمن لم قال لانك تبغى فى أذانك وتأخذ عليه أجرا وكان أبو بكر الآجرى رحمه الله يقول خرجت من بغداد وما يحل لى المقام بها قد ابتدعوا فى كل شئ حتى فى قراءة القرآن وفى الاذان وكان يعنى بذلك قراءة الادارة والتلحين وقدم علينا مكة فى سنة ثلاثين ومن جل ما أحدث الخلف نخالفوا به سنن السلف انهم شددوا فى أشياء كان السلف يسهلون فيها وسهلوا أشياء كان السلف يشددون فيها فمثلهم فى ذلك كالخوارج شددوا فى الصغائر من الذنوب وسهلوا فى الآثار والسنة وفى ترك مذهب الجماعة حتى فارقوهم فمما شدد فيه الخلف مما كان السلف يسهلونه كتب الاحاديث من أنواع طرقها وتتبع الغرائب من طرقاتها وتحرى الالفاظ فيها وقد قال ابن عون أدركت ثلاثة يرخصون فى المعانى ابراهيم والشعبى والحسن رحمهم الله تعالى وعن

---

نفسه عند الغضب م عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم وفى رواية ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبرا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجرع عبد أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى ه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الغضب ليفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل خ عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم قريب وروى أحمد فى الزهد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة هم رجال فى صورة الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله تعالى حتى يقضى بين الناس ثم قال اذهبوا بهم الى نار الانيار قيل يا رسول الله وما نار الانيار قال عصارة أهل النار م عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة فقال ان الله جميل

جماعة من علماء السلف والصحابة التوسعة في معاني الاحاديث وان لم يؤد ألفاظها ومن ذلك تجريد الحروف وتحري المقرئ الواحد في جميع اختياره حتى كأنه فرض عليه ومن ذلك التدقيق في القياس والنظر والتبحر في علوم النحو والعربية كما قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أعربنا في الكلام فلم نلحن ولحنا في الاعمال فيا ليتنا لحنا في الكلام وأعربنا في الاعمال وذكرت العربية عند القاسم بن المخيمرة فقال أولها كبر وآخرها بغي وقد قال بعض السلف النحو يذهب الخشوع من القلب وقال آخر من أحب أن يزدري الناس كلهم فليتعلم العربية ومن ذلك التشدد في الطهارة بالماء وتنظيف الثياب وكثرة غسلها من عرق الجنب ولبس الحائض ومن أرواث ما يؤكل لحمه وأبواله وغسل اليسير من الدم ونحو ذلك وكان السلف يرخصون في هذا كله وبما سهلوه مما كان السلف يشددون فيه أمر المكاسب وترك التحري فيها والكلام فيما لا يعني والخوض في الباطل والغيبة والنميمة والاستماع اليهما والقعود على البلاغات وسوء الظن لاجلها وهو اشتراك في الغيبة والنميمة وكل بلاغ تزيد وتنقص ان كان شرا ازددت فيه وان كان خيرا نقصت منه وسهلوا في النظر الى الزور واللهو ومجالسة البطالين والمشي في أسباب الهوى والتعصب وشدة الحرص على الدنيا وهذا كله كان السلف يشددون فيه ومما أحدثوا دخول النساء الحمام من غير ضرورة ودخول الرجل بغير مئزر وهو فسق وسئل ابراهيم الحربي رحمه الله تعالى عمن يشرب النبيذ ولا يسكر أيصلى خلفه قال نعم قيل فمن دخل الحمام بغير مئزر فقال لا يصلى خلفه هذا لان شرب النبيذ يختلف فيه اذا لم يسكر ودخول الحمام بغير مئزر محرم باجماع وكان بعض العلماء يقول يحتاج داخل الحمام الى مئزرين مئزر لوجهه ومئزر لعورته والا لم يسلم في دخوله وكان ابن عمر يقول الحمام من النعيم الذي أحدثوه ومن المنكر في الحمام تولي القيم لعورة الرجل المسلم في الاطلاء بالنورة وقد كان من هدى العلماء في قعودهم أن يجتمع أحدهم في جلسته فينصب ركبتيه ومنهم من يقعد على قدميه ويضع مرفقيه على ركبتيه كذلك كان شمائل كل من تكلم في هذا العلم خاصة من عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن زمن الحسن البصري وهو أول من أظهر هذا العلم وفتق الالسن به الى وقت أبي القاسم الجنيد قبل أن تظهر الكراسي وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقعد القرفصاء ويحتبي بيديه وفي رواية أخرى انه كان يقعد على قدميه ويجعل مرفقيه على ركبتيه وأول من قعد على كرسي من أهل هذا العلم يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى بمصر وتبعه أبو حمزة ببغداد فعاب الاشياخ عليهما ذلك ولم يكن ذلك من سيرة العارفين الذين يتكلمون في علم المعرفة واليقين انما كان يجلس متربعا النحويون واللغويون وأبناء الدنيا من العلماء المفتين وهي جلسة المتكبرين ومن التواضع الاجتماع في الجلسة

## *(ذكر تفصيل العلوم معروفها وقديمها ومحدثها ومنكرها)*

اعلم أن العلوم تسعة أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف فاما الاربعة المعروفة فعلم الايمان وعلم القرآن وعلم السنن والآثار وعلم الفتاوى والاحكام وأما الخمسة المحدثة فالنحو والعروض وعلم المقاييس والجدل في الفقه وعلم المعقول بالنظر وعلم علل الحديث وتطريق الطرقات فيه وتعليل الضعفاء وتضعيف النقلة للآثار فهذا العلم من المحدث الا انه علم لا هله فيسمعه أصحابه منهم وقد كانوا يرون القصص بدعة وينهون عنه ويكرهون مجالسة القصاص وقال بعض العلماء نعم الرجل فلان لولا انه يقص وقال بعض هذه الطائفة مثل أصحاب الحكايات في أهل المعرفة مثل القصاص في الفقهاء وقال آخر مثل القصاص في العلماء مثل أهل السواد في أهل المدن فأما أكل الدنيا بالدين وأخذها على الصلاح وبيع العلم بالدنيا والتصنع والتزين للعموم فمن قبيح ما أحدث وهو أظهر من أن يدل على فساده عند من عرف ظاهر العلم وقد سمي هؤلاء في زماننا هذا الجاهلون بالعلم علماء وجعلهم الناقصون عن الفضل فضلاء لقلة معرفتهم بطريق المتقدمين وعدم بصيرتهم بحقيقة علم الدين واعلم أن الكلام ينقسم



يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس أي دفع الحق واحتقار الناس • عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة منجيات وثلاثة مهلكات فأما المنجيات فتقوى الله في السر والعلانية والقول بالحق في الرضا والسخط والقصد في الغنى والفقر وأما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه وهو أشدهن اعلم ان الكبر أول معصية عصى الله تعالى بها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر فمن تكبر شارك ابليس في ذنب أورثه الطرد والبعد والعذاب الذي لا آخر له فلا يأمن على نفسه سوء الخاتمة د قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ت ا عن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لنعم الله تعالى أعداء قيل من أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله اعلم أن الحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها سواء كانت

عندنا سبعة أقسام العلم منه قسم واحد وسائر الستة لغو مطرح يلتقطه من لا يعرفه ولا يفرق بين العلم والجهل والعرب تقول لكل ساقطة لاقطة ولكل قائلة ناقلة فالستة اقلها سهو وخطأ وظن وزخرف ووسوسة فهذه أسماؤها عند العلماء يشملون ذلك جميعا فضل الله تعالى لهم من بيانه واستنطقهم من كتابه وجعلهم شهداء على دينه وعباده فالقسم السابع من الكلام هو ما عدا هذه الستة ولم يقع عليه اسم منها منسوم فهو علم وهو نص القرآن والسنة أو ما دل عليه واستنبط منهما أو وجد فيهما اسمه ومعناه من قول وفعل والتأويل اذا لم يخرج عن الاجماع داخل في العلم والاستنباط اذا كان مستودعا في الكتاب يشهد له المجمل ولا ينافيه النص فهو علم وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد جمع الله تعالى بين رونق العقل ومتعة الدنيا بتسمية الزخرف فقال تعالى ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وكما قال زخرف القول غرورا فذهاب الجاهل بالاستحسان لزخرف القول من المؤمن غل الدنيا كمتعة الجاهل من أبناء الدنيا بزخرف الذهب ذاهبا عن حقيقة الامر والزخرف ما موه على الذهب فيشتبه بحسبه الجاهل والصبي عين الذهب كذلك الزخرف من القول ما موه ويشبه على العلم بحسبه المستمع من الجهال علما فكذلك جمع بينهما في التسمية الزخرف وقد قيل ان الزخرف هو الذهب فعلى هذا شبه قول الغرور بالذهب الذي يذهب بقاؤه ويقل حقيقته عند الربانيين وأهل الحقيقة الزاهدين اذ شبهه الانبياء والصديقون كالحجر والمدر وكان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان وقال الامام مالك بن أنس رضي الله عنه لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال في أكثر الامور أدركتهم يقولون مستحب ومكروه وكان مالك كثير التوقف في الاجوبة اذا سئل ويكثر أن يقول لا أدري سل غيري وقال رجل لعبد الرحمن بن مهدي ألا ترى الى قول فلان في العلم حلال وحرام وقطعه في الامور بعلمه يعني رجلا من أهل الرأي والى قول مالك اذا سئل أحسب أحسب فقال عبد الرحمن ويلك قول مالك أحسب أحسب أحب الي من قول فلان اشهد اشهد وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما أحدثوا فانهم قد أعدوا له جوابا ولكن اسألوهم عن السنن فانهم لا يعرفونها وكان الشعبي رحمه الله تعالى اذا نظر الى ما أحدث الناس من الرأي والهوى يقول لقد كان القعود في هذا المسجد أحب الي مما تعدل به فقد صار فيه هؤلاء المراؤن فقد بغضوا الى الجلوس فيه ولأن أقعد على مزبلة أحب الي من أن أجلس فيه وكان يقول ما حدثوك عن السنن والآثار فخذ به وما حدثوك عما أحدثوا من رأيهم فاخطط عليه وقد قال الحمة قبل عليه وقد كان السلف يستحبون العي والبله عن علوم المعقول وقد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان اذ قرنه بالحياء فقال الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وقال عليه السلام أبغض الخلق الى الله عز وجل البليغ الذي يتخلل الكلام بلسانه كما يتخلل الباقر الخلا بلسانها يعني الحشيش الرطب وقال في حديث آخر العي عي اللسان لا عي القلب وقال ان الله عز وجل كره لكم البيان كل البيان فصار الفقه انما هو فقه القلب عن الرب سبحانه وتعالى وصار فقه اللسان بالبيان انما هو عي القلب عن الشهادة والايقان وعي اللسان وطول الصمت الذي كان يستحبه السلف هو اليوم عيب ومن المتكلمين من لا يعرف من كلام البدع وعلم المناقضين الذي ذمه القدماء هو اليوم سنة وأهل التدقيق به هم العلماء اليوم ولقد صار المعروف منكرا والمنكر معروفا وصارت السنة بدعة والبدعة سنة وكذلك جاءت به الاخبار في وصف علماء آخر الزمان وفي الخبر المشهور ان الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين فمن غلب عليه هذا الوصف فكان متشدقا بليغا في علم الرأي والمعقول عي القلب عن مشاهدة اليقين وعلم الايمان كان الى النفاق أقرب ومن حقيقة الايمان أبعد وقد كان أبو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن ألهم شيأ من الخيرات أن يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذا وافق ما في نفسه

الحمد لله دينا أو دنيا فاحذر يا أخي فانه يؤدي الى محذور عظيم لانه منازعة في الربوبية وعدم رضا بما قسمه الله لعبده من خزائنه بعلمه وحكمته وفي منهاج العابدين حكي ان تلميذا لفضيل بن عياض رحمه الله حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال يا أستاذ لا تقرأها فسكت ثم لقنه الشهادة فقال لا أقولها فاني بريء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي أربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم وهو يسحب به الى النار فقال بأي شيء نزع الله المعرفة عنك وكنت أعلم تلامذتي فقال بثلاثة أشياء أولها النميمة فاني قلت لاصحابي بخلاف ما قلت لك والثاني الحسد حسدت لاصحابي والثالث كان بي علة فجئت الى طبيب فسألته عنها فقال اشرب في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل تبق بك العلة فكنت أشربه نعوذ بالله من السخط الذي لا طاقة لنا به * اخواني انظروا الى ما فعلت به الآثام ووقع به عند الحمام أبيدكم كتاب أمان من زوال الايمان اخواني الى متى تؤخرون المتاب هذا الشيب مدنا وقد تولى الشباب أخي متى تصالح مولاك متى تقف بالباب أما اعتبرت

وقال بعض العارفين ما قبلت خاطرا من قلبي حتى يقيم لي شاهدي عدل من كتاب وسنة وكان امامنا أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه هذه الاربع أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك حتى الممات وقد كانوا يعيبون على من تكلم بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس بغير ذكر الله تعالى وكانوا يخرجون المتحدثين من المساجد فلا يبقى فيه الا مصل أو ذاكر لله تعالى وقد كان السلف يستعظمون يسير الحديث في الدين ودقائق البدع في الاسلام لعظم الايمان والسنة في قلوبهم ولمعرفتهم بحقيقة المعروف قال عبد الله بن مغفل لابنه وقد سمعه يقرأ خلف الامام يابني اياك والحدث اياك والحدث وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع في كلامه هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك أبدا وكان قد جاءه يسأله حاجته وقال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوتي امرؤ شرا من طلاقة في لسانه وقال صلى الله عليه وسلم لابن رواحة حين سمعه سجع سجعه فوالى بين ثلاث وقال اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع ما زاد على كلمتين وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أمره بدية الجنين لما قال كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل فمثل هذا بطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الاعراب ورويناه أن مروان لما أحدث المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدري فقال يامروان ماهذه البدعة فقال انها ليست بدعة هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت قال أبو سعيد رضي الله عنه ولا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لا صليت وراءك اليوم فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد فالخطبة على منبر في صلاة العيد وخطبة الاستسقاء بدعة وكان عليه السلام يخطب فيهما على الارض متوكئا على قوس أو عصا وروى ان عمر رضي الله عنه أخر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة وفعله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أيضا فأعتق رقبة استنانا بعمر وهو جده لامه ورويناعن ابن عمر رضي الله عنهما انه أخر صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين وفي الخبر لا تزال أمتي على مسكة من دينها مالم يؤخروا صلاة المغرب الى اشتباك النجوم تشبها باليهودية ولم يؤخروا صلاة الصبح الى افتراق النجوم تشبها بالنصرانية وقال سفيان الثوري رحمه الله ويوسف بن أسباط لا تقلد دينك من لا دين له وقال وكيع لان أزني أحب الي من أن أسأل مبتدعا عن ديني وكان الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قد أكثر عن عبيد الله بن موسى العبسي ثم بلغه عنه أدنى بدعة قيل انه كان يقدم عليا على عثمان وقيل بل ذكر معاوية بسوء فانصرف احمد ومزق جميع ماحمل عنه ولم يحدث عنه شيأ وقيل لمعروف يا أبا عبد الله أوكيع أشبه بالسلف أم عبيد الله فقال وكيع وانتزف وحدثونا عن ابراهيم الحربي قال كتبت عن علي بن المديني رضي الله عنه جملا فآليت على أن لا أحدث عنه بحرف قيل ولم يا أبا اسحق فذكر صلاته خلف مبتدع وكان رحمه الله تعالى يقول صحبت الفقهاء وأصحاب الحديث وأهل العربية واللغة سبعين سنة ماسمعت هذه المسائل التي أحدثت في هذا الوقت من أحد منهم قط يعني الاسم والمسمى ونحو ذلك وقال والحرج على من كان من أهل الكلام والجدل أن يحضر مجلسي أو يسألني عن شئ فانه لا علم لي بالكلام ولا أنا أحسنه ولا أقول بأهله ولو عرفت أحدا منهم ما كلمته ولا أجبته عن شئ وهجر الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أبا ثور صاحب الشافعي لما سئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال ان الهاء عائدة على آدم فغضب وقال ويله وأي صورة كانت لآدم يخلقه عليها ويله يقول ان الله تعالى خلق على مثال فأي شئ يعمل في الحديث المفسر ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن فبلغ ذلك أبا ثور فجاءه معتذرا وحلف انه ماقلت عن اعتقاد وانما هو رأي رأيته والقول ماقلت وهو مذهبي وهجر أيضا حارثا المحاسبي رحمه الله تعالى في رده على المبتدعة وكان من أهل السنة فقال أين ترد عليهم وقد حكيت قولهم وأيضا فانك تحملهم على التفكر والرأي فيما قلت فيكون سببا لرد الحق بالباطل وهجر أيضا يحيي بن معين في كلمة تكلم بها وهو قوله لو أعطاني



بالراطسين من الأحباب والاتراب شعر

المفلس مكرك ياسيدي
كل البرايا دائما يعذرون
فكم عيوب وذنوب مضت
ونحن عنها سيدي غافلون
نضيع العمر بكسب الخطا
فنحن في أوقاتنا لاعبون
نشاهد الموتى ولا نعتبر
ولا انتبهنا لريب المنون
بل غفلة تعمي أبصارنا
وشقوة شابت لها الظنون
فنحن يارب الورى كلنا
اليك من زلاتنا هاربون
لكننا نسألك رب الورى
عفوا وصفحا كي تقر العيون

*(فصل)* في الرياء وهو طلب المنزلة في قلوب الناس بارائتهم الخصال المحمودة قال الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وفي الحديث ان رجلا قال يارسول الله اني أقف الموقف أبتغي به وجه الله عز وجل وأحب أن يرى موطني فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية الكريمة ت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يارسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل يارسول الله ومن يدخله قال القراء المراؤن بأعمالهم ورواه ابن ماجه وزاد فيه وان من أبغض القراء الى

الشيطان شيأ أخذته وقال مالك بن أنس رضي الله عنه ليس من السنة أن تجادل عن السنة ولكن تخبر بها فان قبل منك والا فاسكت وقيل لعبد الرحمن بن مهدي رضي الله عنه ان فلانا يرد على المبتدعة فقال بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قالوا لا بل بالمعقول قال بئسما صنع رد بدعة ببدعة وحدث زيد بن أخزم عن وهب بن جرير قال سمعت شعبة رحمه الله تعالى يقول أتيت الحرث العكلي فقلت ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا تبع أحدكم جنازة فلا يجلس حتى توضع قال أرأيت ان جئتنا ولم يحضر له ينبغي لنا أن نقوم قياما فقمت قال لي أرأيت تركتمو وروى محمود بن غيلان أيضا عن وهب أيضا عن شعبة قال أتيت المنهال بن عمرو أسأله عن حديث فسمعت من منزله صوت طنبور فرجعت ولم أسأله ثم ندمت بعد ذلك فقلت هلا سألته فعسى كان لا يعلم به ومما أحدثوا البيع والشرا على الطريق وكان الورعون لا يشترون شيأ ممن قعد يبيعه على طريق وكذلك اخراج الرواشن من البيوت وتقديم العضايد بين يدي الحوانيت الى الطريق مكروه ومما كرهه أهل الورع البيع والشرا من الصبيان لانهم لا يملكون وكلامهم غير مقبول وحدثت عن أبي بكر المروزي ان شيخا كان يجالس الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ذاهبة فكان أحمد يقبل عليه و يكرمه فبلغه عنه انه طين حائطا داره من خارج قال فاعرض عنه في المجلس فاستنكر الشيخ ذلك فقال يا أبا عبد الله هل بلغك عني حدث أحدثته قال نعم طينت حائطك من خارج قال ولا يجوز قال لا لانك قد أخذت من طريق المسلمين أنملة قال فكيف أصنع قال اما أن تكشط ما طينته واما أن تهدم الحائط وتؤخره الى ورائه مقدار أصبع ثم تطينه من خارج قال فهدم الرجل الحائط وأخره أصبعا ثم طينه من خارج قال فاقبل عليه أبو عبد الله كما كان ومما كرهه السلف طرح السنور والدابة على المزابل في الطرقات فيتأذى المسلمون بروائح ذلك وكان شريح وغيره اذا مات لهم سنور دفنوها في دورهم ومثله اخراج الميازيب وصبها الى الطرقات وكان الامام أحمد بن حنبل رحمه الله وأهل الورع يجعلون ميازيبهم الى داخل دورهم وقال ابراهيم النخعي رحمه الله كان أحدهم يكذب مرتين ولا يشعر يقول لاشئ الاشئ ليس بشئ يعني قول الناس للشئ اليسير الذي لا يوصف بكثير لاشئ فاستعظم هذا ورآه كذبا مرتين وروينا عن عمر رضي الله عنه انه قال لعوانه كنت أرثي لك من العمى فصرت الآن أغبطك به قال وكيف قال الصرت لا ترى أبا الصغرى بعينيك مبتدع كان بالمدينة وقيل لقتادة تود لو انك بصير فقال لا على من كنت أفتح عيني بل لو كان في وقت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أنظر اليهم وحدثونا عن الفضل بن مهران قال قلت ليحيى بن معين أخ لي يقعد الى القصاص فقال انهه فقلت لا يقبل قال عظه فقلت لا يقبل أأهجره قال نعم قال فأتيت الامام أحمد بن حنبل فذكرت له نحو ذلك فقال قل له يقرأ في المصحف و يذكر الله تعالى في نفسه و يطلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فان لم يفعل قال بلى ان شاء الله تعالى فان هذا الاجتماع محدث قلت فان لم يقبل أأهجره فتبسم وسكت وسأل رجل بشر بن الحرث رحمه الله تعالى عن مسئلة من علم القلوب فتوقف ثم أجابه ثم سأله مسئلة أخرى من علم المعاملات فسكت ونظر اليه ثم قال من تجالس من الناس فقال منصور بن عمار وابن السماك فقال ألا تستحي تسألنا عن علم القلوب ثم تجالس القصاص قال فاعرض عنه حتى قلنا له يا أبا نصر انه لا بأس به انه من أهل السنة وقد كانوا يكرهون الصلاة في المقصورة وروينا انها أول بدعة أحدثت في المساجد و يكرهون تزويق المساجد وكذا القبلة بالزخرف وتحلية المصاحف وهذا من البدع وفي الخبر اذا ما زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدبار عليكم وقد كانوا يكرهون كثرة المساجد في المحلة الواحدة وروي ان أنس بن مالك رضي الله عنه لما دخل البصرة جعل كلما خطا خطوتين رأى مسجدا فقال ما هذه البدعة قلنا كثرت المساجد قل المصلون أشهد لقد كانت القبيلة باسرها ليس فيها الا مسجد واحد وكان أهل القبائل يتباعدون المسجد الواحد في الحي من الاحياء واختلفوا في أيهما يصلي اذا اتفق مسجدان في محلة فمنهم من قال في أقدمهما والمذهب أنس بن مالك وغيره من

الله تعالى الذين يرزون الامراء قال الهلالي يعني الجسورة دقا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها اه عن شداد بن أوس انه بكى فقيل له ما يبكيك قال شئ سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكرته فابكاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية قال قلت يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك قال نعم اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراؤن بأعمالهم والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه وروى ابن أبي الدنيا ان المرائي ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك اعلم ان الرياء ضربان رياء محض وهو أن يريد بعمل الآخرة نفع الدنيا ورياء تخليط وهو أن يريد نفع الدنيا ونفع الآخرة وكلاهما محبطة للاجر ويكون الرياء بخمسة بالبدن والهيئة والثياب والقول وصفات الاعمال قال بعضهم الاخلاص أن يريد بالطاعة

الصحابة قال وكانوا يجاوزون المساجد المحدثة الى المساجد العتق وكان الحسن يقول يصلي في أقربهما منه ويقال أول ما حدث من البدع أربع الموائد والمناخل والاشنان والشبع وكانوا يكرهون ان تكون أواني البيت غير الخزف ولا يتوضأ أهل الورع في آنية الصفر والنحاس قال الجنيد قال لي سري السقطي اجتهد ان لا تستعمل من آنية بيتك الا جنسك يعني من الطين ويقال لا حساب عليه ومما كرهه السلف تشييد البناء بالجص والآجر يقال أول من طبخ الطين هامان أمره به فرعون ويقال هو بناء الجبابرة وكرهوا النقوش والتزويق في السقوف والابواب وكانوا يغضون من النظر الى ذلك وغاب الاحنف بن قيس غيبة فرجع وقد خضر واستقف بيته وصفره فلما نظر اليه خرج من منزله وحلف ان لا يدخله حتى يقلع واذلك منه ويعيده كما كان وقال يحيى بن معاذ من أصحاب الثوري رحمه الله كنت أمشي مع الثوري في طريق فمررنا بباب منقوش مزخرف فنظرت اليه فجذبني سفيان حتى جزت فقلت ما تكره من النظر الى هذا فقال انما بنوه لينظر اليه ولو كان كل من مر به لا ينظر اليه ما بنوه فكأنه نخشى ان يكون بنظره اليه معاونا له على بنائه ومما أحدث الناس مما كانوا يكرهونه الثياب الرقاق مثل القصب ورقيق بزمصر للنساء والرجال وهو للنساء أكره وأغلظ وكانوا يقولون الثياب الرقاق لباس الفساق ومن رق ثوبه رق دينه ويقولون أول النسك الزي وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يشبه الزي الزي حتى يشبه القلب القلب وخطب بشر بن مروان وعليه ثوب رقيق فجعل رافع بن خديج رضي الله عنه يهزأ به ويقول انظروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق ولما جاء عبد الله بن عامر بن ربيعة فى بزته الى أبي ذر رضي الله عنه وسأله عن الزهد وأخذ يتكلم فيه فجعل أبو ذر يضرط به في كلمه ثم أعرض عنه ولم يكلمه فغضب ابن عامر وكان قرشيا شريفا فشكاه الى ابن عمر رضي الله عنهما فقال له أنت فعلت بنفسك تأتي أبا ذر في هذه الثياب وتسأله عن الزهد وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وصف نساء يكن في آخر الزمان فقال كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤسهن أمثال اسنمة البقر يعني المعاجر والاكوار لا يجدن رائحة الجنة كان ابن عباس يفسر التبرج انه منه لبس مارق من الثياب وقال في قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال كانت المرأة تلبس ثيابا فيمتها كذا وكذا الا توارى لها عورة مما لا يجوز فيه الصلاة لانه يصف أو يشف فكرهوا لبسه وانما كانت ثياب السلف السنبلاني والقطواني وعصب اليمن ومعافري مصر والقباطي مثل كسوة الكعبة والثياب السحولية اليمانية والكرابيس الحضرمية وهذه كلها غلاظ كثيفة وكانت الاثمان من خمسة دراهم الى ثلاثين درهما وما بين ذلك ثم أحدث الناس الثياب الرقاق من كتان مصر وقطن خراسان وكان طول ستر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ونصفا وثمنه الى الاربعة والخمسة وكانت أثمان ثيابهم القمص من الخمسة الى العشرة فيما بينهما من الثمن ولكن قد جاء في الخبر لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لا يأتي على الناس عام الا أماتوا فيه سنة وأحيوا فيه بدعة حتى تموت السنن وتحيا البدع وانما قيل منكر لانه لا يعرف فاذا اختفى الحق فلم يعرف وقع عليه اسم منكر وكذلك قيل معروف لانه مشهور ومألوف فاذا فشا الباطل وكثر الجهل حتى ألف وعرف وقع عليه اسم المعروف وكذلك قيل يكثر الجور حتى يولد فيه من لا يعرف العدل وكان الشعبي رحمه الله يقول يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج وهذا قد أتى منذ زمان لان الحجاج قد ابتدع أشياء أنكرها الناس عليه في زمانه هي اليوم سنن معروفة وأعمال مستحسنة يترحم الناس ويغبطون من أحدثها ويحسبون انه مأجور عليها مشكور له سعيه فيها الا انهم لا يعرفون انه أحدثها فهم وان لم يفوهوا بالصلاة عليه قولا فان استعمالهم لما أحدث واستحسانهم لما ابتدع ترحم منهم عليه والترحم هو الصلاة وأيضا فانه ابتدع أشياء من الخير وداخلة في أبواب الآخرة ثم ظهرت ولاة بعده أحدثوا احداثا من الجور وابتدعوا بدعا من الفسوق فصارت سننا بعدهم فوجب بذلك الصلاة على الحجاج



التقرب الى الله عز وجل دون التصنع للخلق أو تحصيل أن يحمد عند الناس أو قصد معنى من المعاني غير التقرب الى الله عز وجل قالوا وللاخلاص علامات منها استواء المدح والذم ومنها أن ينسى أن يرى عمله في حال طاعته ومنها طلب ثواب الآخرة اعلم أن الرياء والحسد والكبر وغيرها من المعاصي كالظلم وترك الزكاة والربا ونحوها تتشعب من حب الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ت قال صلى الله عليه وسلم ان لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال اه قال صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وفي حياة الحيوان وغيرها عن عبد الله بن المبارك انه كان يتجر ويقول لولا خمسة ما اتجرت السفيانان وفضيل وابن السماك وابن علية ليصلهم فقدم سنة فقيل له ولي ابن علية القضاء فلم يأته ولم يصله بشيء فأتى اليه ابن علية فلم يرفع رأسه اليه ثم كتب اليه ابن المبارك شعر

يا جاعل العلم له بازا
يصطاد أموال المساكين
احتلت الدنيا ولذاتها
بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعدما
كنت دواء للمجانين

الى جنبه ما أظهر بعده فما أحدث هذه المحامل والقباب التى خالف بها هدى السلف بالتنعم والرفاهية وانما كان الناس يخرجون على الرواحل والزوامل فيضحون للشمس وينصبون فى سبيل الله تعالى ويشعثون ويغبرون ويقل أكلهم ونومهم ويكثر رفاهية الابل وتقل المشقة والحمل عليها فيكون ذلك أثوب لهم وأزكى لحجهم وأدنى الى السلامة لابلهم ويوافقون به سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخرجهم من جميع ذلك بما أدخلهم فيه من بدعته فصاروا يخرجون فى بيوت مظللة مع الحمل على الابل ما لا تطيق فيكون سبب تلفها فيشركونه فيه ويشركهم بسنته وابتدع أيضا هذه الاخماس والعواشر ورؤس الآى وحمر السواد وخضره وصفره فادخل فى المصحف ما ليس فيه من الزخرف وكان السلف يقولون جردوا القرآن كما أنزله الله تعالى ولا تخلطوا به غيره فانكر العلماء النقط حتى قال أبو رزين يأتى على الناس زمان ينشأ فيه نش يحسبون ان ما أحدث الحجاج فى المصاحف هكذا أنزله الله تعالى بنيه بذلك وحتى نقل الاختلاف وان بعضهم كان لا يقرأ فى مصحف منقوط بحمرة لان بعضهم كان لا يرى القراءة فى مصحف منقوط كما نقل ان بعضهم كان يرى شراء المصحف ويكره بيعه اى وكذلك اذا لم تنقطه انت فلا بأس ان تقرأ فيما نقطه غيرك وقد كانوا يكرهون أخذ الاجر على تنقيط القرآن لاجل انه مبتدع وقال أبو بكر الهذلى سألت الحسن رحمه الله عن تنقيط المصاحف بالاجر قال وما تنقيطها قلت يعربون الكلم بالعربية فقال أما اعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقال فراس بن يحيى وجدت ورقا منقوطا بالعصفر فى سجن الحجاج فجئت بشىء كان أول نقط رأيته فاتيت به الشعبى فاخبرته فقال لى اقرأ عليه ولا تنقطه أنت بيدك ومنها انه جمع من القراء ثلاثين رجلا فكانوا يعدون حروف المصحف ويعدون كلمه شهرا ولو رآهم عمر أو عثمان أو على يصنعون هذا بالقرآن أى يعدون حروفه وكلماته وجمع رؤسهم ضربا وهذا الذى كرهته الصحابة ووصفوا به قراء آخر الزمان انهم يحفظون حروفه ويضيعون حدوده وكان الحجاج اقرأ القراء واحفظهم لحروف القرآن كان يختم القرآن فى كل ثلاث وكان أضيع الناس لحدوده ومنها انه ابتدع اخراج الحصى والرمل من المساجد وفرشها بالبوارى كما روى ان قتادة سعد فدخلت فى عينه قصبة وكان ضريرا فقال لعن الله الحجاج ابتدع هذه البوارى يؤذى بها المصلين وقد كانوا يستحبون السجود على الارض والتراب تواضعا لله تعالى وتخشعا وذلا الى غير ذلك من بدعه التى لم نقصد تعديدها عليه ولا جمعها فهى اليوم سنن معروفة وشرائع مألوفة مع ما أحدث غيره مما يكثر عدده منكر كله عند من عرف المعروف من سيرة المتقدمين وشمائل الصالحين وقد قال ابن مسعود رضى الله عنه يظهر المنكر والبدع حتى اذا غير منها شئ قيل غيرت السنة وقال فى آخر حديثه كيسهم فى ذلك الزمان الذى يروغ بدينه روغان الثعالب وقد كان أنس بن مالك رضى الله عنه فى سنة ثمانين وأيام الحجاج يقول ما أعرف اليوم شيأ كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قد غير الا شهادة ان لا اله الا الله قيل فالصلاة يا أبا حمزة قال أوليس قد أحدثوا فى الصلاة ما علمتم يعنى تأخيرها والتثويب قبلها وتعين السلام حتى انهم يضاهون به الاقامة فعلوه كالسنة وكان يقول للقراء اذا دخلوا عليه مثل يزيد الرقاشى وزياد النميرى وفرقد السنجى ما أشبهكم باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيفرحون فيقول نعم رؤسكم ولحاكم فهذا كما قال المجنون

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نسائها

وعن جماعة من الصحابة لو نشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوكم لما عرفوا شيأ مما انتم عليه الآن الا الصلاة فى جماعة وفى لفظ آخر الا انكم تصلون جميعا وكان الحسن يقول صحبت طوائف لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق وقال أبو حازم أدركت القراء وهم القراء حقا ولو كان حامل القرآن فى سائر جل لعرف بشدة تواضعه وحسن سمته وخشوعه وقد وقره

أنبروا اباتك فى سردها من ابن عوف وابن سيرين آنبر واباتك والقول فى * لزوم أبواب السلاطين ان قلت أكرهت فذا باطل * زل حمار العلم فى الطين فلما وقف اسمعيل بن علية على الابيات ذهب الى الرشيد ولم يزل به الى ان استعفاه من القضاء فعفاه انتهى يا اخوانى استغفروا الله من الذنوب وطهروا منها ضمائر القلوب واعجبا لمن يطهر منظر الخلق ولا يطهر منظر الخالق ويستحيى من الناس ولا يستحيى من الله الله اصغر عندك من الناس أم نار جهنم أهون عليك من حر الظهيرة كلا ولكن شملت الغفلة فاستحكمت على القلوب أقفالها

شعر

يا غاديا فى غفلة ورائحا
الى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا
يستنطق الله به الجوارحا
واعجبا منك وأنت مبصر
كيف تجنبت الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرأ فى غد
صحيفة قد حوت الفضائحا
وكيف ترضى ان تكون خاسرا
يوم يفوز من يكون رابحا
فاعمل لميزانك خيرا فعسى
يكون فى يوم الحساب راجحا

ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين واجعلنا من المخلصين وصل على محمد سيد

القرآن في سمته وقد نخضعه القرآن وأخشعه فاما هؤلاء فوالله ماهم بالقراء ولكنهم الجراء وقد قال بعضهم كنا نشهد الجنازة فلا نعرف صاحب المصيبة ولا ندرى من نعزى من شدة حزن القوم قال وكان أحدهم يبقى بعد شهود الجنازة ثلاثا لا ينتفع به وكان الفضيل رحمه الله يحذر من قراء زمانه فقال اياك وصحبة هؤلاء القراء فانك ان خالفتهم في شئ كفروك وقال سفيان الثورى رحمه الله ماشئ أحب الى من صحبة فتى ولاشئ أبغض الى من صحبة قارئ وكان كثيرا يقول من لم يحسن يتغنى لم يحسن يتقرى وكان بشر بن الحارث يقول لان أصحب فتى أحب الى من ان أصحب قارئا فانا بالله وصحبة القراء فانهم ينمون غير منموم وان تركت الصلاة معهم في جماعة تشاهد واعليك كل ذلك لانهم يجاوزون الحد في الشئ ويسرعون الانكار الى كل شئ لغلبة الجهول عليهم وقلة مجالستهم العلماء ومعاناتهم العلم وانهم موصوفون بدقائق الرياء والتصنع للعامة فينكرون غير منكر ويتعصون بالبغضة والهجر في الشئ اليسير الذى قد يغتفر مثله وهم غير موصوفين بمحاسن الاخلاق ولا موسومين بالبشاشة والانطلاق اذ فيهم كزازة وتغلظ على الناس ولزازة وحنق على الاغنياء حتى كانهم يأكلون أرزاقهم وكانهم يعملون العبادة لهم وفيهم كثرة مقت لاهل البشر والطلاقة فلذلك قال بعضهم الشريف اذا تقرى تواضع والوضيع ان تقرى تكبر وقال آخر السفلة اذا تقرى أكثر الامر بالمعروف واعترض على جيرانه في كل شئ به سنى أكثر الامر بالمعروف ليعرف به فمن أجل ذلك رفضهم العلماء وذمهم الحكماء لان العلم يبسط ويوسع وتكون معه الاخلاق الحسنة والآداب والمروآت الواسعة والعالم يضع الاشياء في مواضعها من الناس ولا يجاوز بها ولا بهم المقادير ويستخرج لهم المعاذير ومن صفة العلماء الانقباض في بسط خلق وقد قال الامام الشافعي رحمه الله الانقباض على الناس مكسبة لعداوتهم فكن بين المنقبض والمنبسط وفي الخبر انكم لا تسعون الناس باموالكم فليسعهم منكم وجه طلق وخلق حسن وفي لفظ آخر وبشر وبشاشة وهذا كله معدوم من القراء ولا يعرفونه وقد جعل الله تعالى لكل شئ قدرا فمن تعدى حد الشئ فقد أفسده وقال بعض السلف قليل التواضع يكفى من كثير العمل وقليل الورع يكفى من كثير العلم ومن اخلاق السلف مما تهاون به الخلف انهم كانوا يعدون من النفاق ان يتكلم الرجل فيمن يكلمه أو يكلم من تكلم فيه لانهم كانوا اذا كلموا أحدا أو سلموا عليه سلمت له قلوبهم ولم يتكلموا فيه واذا تكلموا في أحد لبدعته أو فجوره وفسقه لم يكلموه وكانوا اذا امدحوا أحدا بقول لم يذموه بفعل واذا ذموا احدا بفعل لم يمدحوه بقول لان في ذلك لسانين واختلاف وجهين واختلاف سر وعلانية وكانوا يقولون معنى سلام عليك اذا لقيته أى سلمت مني ان اغتابك وأذملك فكان اختلاف هذا عندهم من أبواب النفاق وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وفي حديث آخر من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار وكان بعضهم يقول ماذكر عندى انسان قط الا مثلته جالسا فقلت في غيبته ما يحب ان يسمع وقال آخر ماذكر عندى رجل الا تصورت في نفسى مثاله فكل ما أحب ان يقال لى قلته له وقال بعض السلف قليل التواضع يكفى عن كثير العمل وقليل الورع يكفى عن كثير العلم فهذه كانت صفات المسلمين الذين يسلم الناس على أيديهم وقلوبهم كان أحدهم اذا ذكر عنده غيره بسوء وقف وتفكر في شأن نفسه فان كان فيه مثل ذلك السوء قطعه الحياء عن الكلام في أخيه فسكت وان لم يكن ذلك فيه حمد الله عز وجل ورحم أخاه فتشغله الشكر لمولاه اذ عافاه فهذه كانت سيرة السلف ويقال في بعض كتب الله تعالى عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ولمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب وأعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين وأبغض الناس على الشك ومن طريقة السلف مما كانوا يشددون فيه حب المدح وطلب الحمد حتى قال بعضهم من أحب المدح وكره الذم فهو منافق وقال عمر رضي الله عنه لرجل من سيد قومك قال انا قال لو كنت كذلك لم تقل وكتب محمد بن كعب فانتسب فقال



المرسلين وآله وصحبه أجمعين

(فصل) في طول الامل قال الله سبحانه وتعالى الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون خ م عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده قال ابن عمر مامرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندى وصيتى ت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بادروا بالاعمال سبعا هل تنتظرون الا فقرا منسيا وغنى مطغيا ومرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا او الدجال فشر غائب ينتظر والساعة والساعة أدهى وأمر وفي شرح السنة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرب الماء فتيمم بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء منك قريب يقول ما يدريني لعلى لا أبلغه وفيه عن سفيان الثورى قال ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ والخشن وأكل الجشب انما الزهد في الدنيا قصر الامل ويروى عن علي رضي الله عنه أخوف ما أخاف عليكم اثنان طول

القرظى قيل له قل الانصارى قال أ كره أن أمن على الله عز وجل بما لم أفعل وقال الثورى رضى الله عنه اذا قيل لك بئس الرجل انت تغضب فانت بئس الرجل وقال آخر لا يزال الخلق بخير ما لم تر ان فيك خيرا وسئل بعض العلماء ما علامة النفاق قال الذى اذا مدح بما ليس فيه ارتاح لذلك قلبه وكان سفيان رضى الله عنه يقول اذا رأيت الرجل يحب ان يحبه الناس كلهم ويكره ان يذكره أحد بسوء فاعلم انه منافق فهذا داخل فى وصف الله تعالى المنافقين بقوله تعالى ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم فينبغى لمن امن فى أهل السنة ان يخاف فى أهل البدع وهذا مما دخل على القراء الذين ذمهم العلماء مداخل الليل فى النهار واعل مغرور ا جاهلا يتأول الحديث الذى جاء اذا مدح المؤمن ربا الايمان فى قلبه على غير تأويله ويحمله على غير محمله فانما قال ربا الايمان ولم يقل ربا المؤمن فربو الايمان زيادته وزيادته بالخوف والاشفاق من المكر به والاستدراج وفيه طريق العارفين بان يعلو الايمان العلى الى المؤمن الاعلى فيفرح بذلك او لا ويضيفه الى سببه الذى به تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد فى الفطرة فاطرها فيكون ذلك التحمد للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى نفسه ولا يعجب بوصفه وهذه طرقات قد درست وانقطع سلا كها الا من رحم ربك

## *(باب تفضيل علم الايمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه وبيان ما ذكرناه)*

اعلم أن كل علم من العلوم قد يتأتى حفظه ونشره لمنافق أو مبتدع أو مشرك اذا رغب فيه وحرص عليه لانه نتيجة الذهن وثمرة العقل الا علم الايمان واليقين فانه لا يتأتى ظهوره ومشاهدته والكلام فى حقائقه الا لمؤمن موقن من قبل ان ذلك تعريف مزيد الايمان وحقيقة العلم والايقان فهو آيات الله تعالى وعهده عن مكاشفة قدرته وعظمته وآيات الله تعالى لا تكون للفاسقين وعهده لا ينال الظالمين وعظمته وقدرته لا تكون شهادة الزائغين ولا وجد المبطلين اذ فى ذلك توهين لآيات الله وحججه وانتقاص لبراهينه وقدرته ودخول الشك فى اليقين الذى هو محجة الخاصين والذين هم بقية الله تعالى من عباده واشتباه الباطل بالحق الذى هو وصف أهل الصدق الذين هم أدلته عليه من أهل وداده وهذا من أدل دليل على فضل علم المعرفة على غيره قال الله عز وجل أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل وقال تعالى بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وقال سبحانه وتعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال قد بينا الآيات لقوم يوقنون وقال عز وجل ولنبينه لقوم يعلمون فهؤلاء العلماء بالله تعالى الناطقون عن الله عز وجل جعل لهم انصبة منه ومكانا عنده ولا يكون ذلك لمن ليس اهلا له ولا حقيقا به لانهم آيات الله تعالى وبيناته وشهوده وبصائره كاشفو طرق علمه ومظهرو بيانه اذ يقول تعالى ثم ان علينا بيانه ثم قال تعالى خلق الانسان علمه البيان بعد قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين مع قوله تعالى وكانوا أحق بها وأهلها فنصرهم بما نصرهم به وتحققوا بما حققهم منه وشهدوا له بما شهد لهم عنده فكانوا المتقين اماما والى الهداية أعلاما وقال بعض أهل المعرفة من لم تكن له مشاهدة من هذا العلم لم يعر من شرك أو نفاق لانه عار من علم اليقين ومن عرا من اليقين وجد فيه دقائق الشك وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم شئ بدعة أو كبر وقال طائفة من أهله من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقال أبو محمد سهل أقل عقوبة من أنكر هذا العلم ان لا يرزق منه شئ أبدا واتفقوا على انه علم الصديقين وان من كان له منه نصيب فهو من المقربين وينال درجة أصحاب اليمين واعلم ان علم التوحيد ومعرفة الصفات مباين لسائر العلوم فالاختلاف فى سائر العلوم الظاهرة رحمة والاختلاف فى علم التوحيد ضلال وبدعة والخطاء فى علم الظاهر مغفور وربما كانت حسنة اذا اجتهدوا والخطاء فى علم التوحيد وشهادة اليقين كفر من قبل ان العباد لم يكلفوا حقيقة العلم عند الله تعالى فى طلب العلم الظاهر وعليهم

الامل واتباع الهوى الا وان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق ق عن ابن عمر انه قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الانصار فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الاكياس ت قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله أى المقصر من اتبع الشهوات وتمنى على الله ان يغفر له وهذا هو الاغترار فان الله تعالى أمره ونهاه وعن معروف الكرخى رحمة الله عليه انه قال رجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه حماقة وخذلان قال الغزالى رحمة الله عليه اعلم انه اذا طال الامل هاج منه أشياء ترك الطاعة والكسل فيها وترك التوبة وتسويفها والحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا وقسوة القلب ونسيان الآخرة قال القد وعظت نفسى بالقرآن والموت فضلت قولا وعملا لا قولا ولم تجتهد فى تزود الآخرة كاجتهادها فى تدبير العاجلة ولم تستح من الله كما

واجب طلب موافقة الحقيقة عند الله فى التوحيد ومن ابتدع شيأ ردت عليه بدعته وكان مسؤلا عنه ولم يكن حجة الله تعالى على عباده ولا غياثا فاقا بلاده بل كان موصوفا بالدنيا وفيها من الراغبين ولم يكن دليلا على الله عز وجل ولا من دعاة الدين ولا امام المتقين وقد جاء فى الخبر العلماء أمناء الرسل مالم يدخلوا فى الدنيا فاذا دخلوا فى الدنيا فاحذروهم على دينكم والخبر المشهور من أحدث فى ديننا ما ليس فيه فهو رد وقد روينا عن عيسى عليه السلام وقيل له من أشد الناس فتنة فقال زلة عالم اذا زل زل بزلته عالم وقد روينا معناه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مما أخاف على أمتى زلة عالم وجدال المنافق فى القرآن وكان بعض السلف يقول مثل العالم اذا زل مثل سفينة اذا غرقت غرق معها خلق كثير ومثل كسوف الشمس يصيح الناس يا غافلون الصلاة وانها عند العامة آية يفزع منها وروى فى خبر غريب من غش أمتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يا رسول الله وما غش أمتك قال أن يبتدع بدعة فى الاسلام يحمل الناس عليها وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول ويل للعالم من الاتباع وويل للاتباع من العالم يزل العالم زلة فيتبعه عليها اقئام من الناس وتبلغ الآفاق وما أعلم أحدا أعظم جرما من ابتدع فى دين الله عز وجل فنطق فى كتاب الله تعالى وفى علم المعرفة بعلم لم يأذن به الله ثم لم يعبأ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو حجة الله تعالى على جميع خلقه وطريق مقربيه من عباده فاضل بذلك عباد الله عز وجل فان مثل من ابتدع فى الدين واتخذ وليجة دون الكتاب والسنة وبين طريق المؤمنين الى جنب من يكاثر فى أمور الدنيا وارتكب فيها شهوات الاهواء كمثل من اجترح المظالم بين الناس فى الاموال والدماء الى جنب من ظلم نفسه بكسب الذنوب بينه وبين ربه ان مظالم العباد أعظم وهو الديوان الذى لا يترك كذلك الظلم به فى الدين أعظم لانه مظالم الآخرة وقطع طرقات المؤمنين ومحو شريعة المرسلين ومثله أيضا مثل من أذنب وجحد ذنبه واحتج لنفسه الى من أذنب واعترف بذنبه واعتذر من نفسه فهو أقرب للعفو وأرجى للرحمة من الآخر كذلك من اعتل بالتقصير والتفريط فى العمل ولم ينصح لنفسه الا انه أظهر حقيقة العلم ونصح لله تعالى ولرسوله ببيان كتابه وذكر سنته أقرب الى حسن الاخلاص وأولى بالتدارك فى العافية ممن شرع فى دين الله تعالى وابتدع فى الامة ما يخالف به الكتاب والسنة هكذا كأنه قد قلب ملة وبدل شريعة فهذا يوله النفاق فى قلبه حتى يختم له به ومثل من ابتدع فى الملة مخالفا للسنة الى من أساء الى نفسه بالذنوب مثل من عصى الملك فى قلب دولته وتظاهر عليه فى ملكه بالازالة الى جنب من عصى أمره وقصر فى حقه من الرعية وقد قال بعض الحكماء ثلاث لا يحسن من الملك ان يغفرها من قلب دولة من رعيته أو عمل فيما يوهن الملك او أفسد حرمة من حرمه وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته وقال على كرم الله وجهه الهوى شريك العمى وقال الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ثم قال تعالى أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فسوى بين الكذاب فى الفرية على الله تعالى وبين المتشبه المضاهى للربوبية وكذلك من أعظم المنكر بعد هذا انكار الحق من أهله ورده عليهم بالتكذيب وقد سوى الله تعالى أيضا بين التكذيب بالحق وبين ابتداء الكذب على الخالق فى قوله عز وجل ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه وقال تعالى فى مثله فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه كذلك أيضا فى ضده سوى كما سوى عز وجل بين الصادق بالصدق والمصدق به فقال تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العالم والمتعلم شريكان فى العلم وقال عيسى عليه السلام بمعناه المستمع شريك القائل ولكن الله تعالى قد جعل هذه الطائفة من أهل العلم بالله تعالى ترد على جميع الطوائف من الشاطحين والمبتدعين أهل الجهالة بالدين والحيدة عن سبيل المؤمنين بما أراهم الله تعالى من علم اليقين وبما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والتعديل فى قوله يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله

نستحى من واحد من الخلق ولم تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها فى الصيف لاجل الشتاء وفى الشتاء لاجل الصيف ففتشت عن سبب تماديها فوجدت سببه اعتقاد تراخى الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق فى بياض نهاره انه يموت من ليلة أو يموت الى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن انه يتعاطاه لله تعالى وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لى تحقيقا ان من أصبح وهو يأمل انه يمسى أو أمسى وهو يأمل انه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر الا على سير ضعيف انتهى فاتقوا الله عباد الله وبادروا الموت الذى ان هربتم أدرككم وان أقمتم أخذكم وان نسيتموه ذكركم عجبا لمن نسى الموت وهو يرى من يموت عجبا للبخيل يستعجل الفقر الذى منه هرب ويفوته الغنى الذى اياه طلب فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الاغنياء اللهم عافنا من كل بلاء الدنيا وعذاب الآخرة وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين (فصل) فى سبب طول الامل قال الله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة

ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فالغالون هم الشاطحون لانهم قد جاوزوا العلم ومحوا الرسم فاسقطوا الحكم والمبطلون هم المدعون المبتدعون لانهم جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق واقتروا بالدعوى وابتدعوا بالرأى والهوى والجاهلون هم المنكرون لغرائب العلم المقتصرون لما عرفوا من ظاهر العقل كما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله عز وجل فاذا نطقوا به لم يجهله الا أهل الاغترار بالله تعالى ولا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما فان الله عز وجل لم يحقره اذ آتاه وكل من تأول السنن بالرأى أو المعقول أو نطق بما لم يسبق اليه السلف من القول أو بمعناه فهو متكلف مبطل فأهل العلم بالله تعالى يردون علوم المعقول بعلم اليقين وعلم الرأى بعلم السنة ويثبتون أهل الآثار ويؤيدون نقلة الاخبار بما يفصلون من أخبارهم ويفسرون من حديثهم مما لم يجعل للنقلة طريق اليه ولم يهتد الرواة الى كشف معناه مما أشهدهم الله عز وجل واستودعهم ونور به قلوبهم ونطقهم فهم ينطقون عن الله سبحانه وتعالى فيما يخبرون عنه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وقد قال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال على رضى الله عنه عليكم بالنمط الاوسط الذى يرجع اليه العالى ويرتفع عنه التالى وهكذا سيرة السلف انه لا يستمع الى مبتدع لانه منكر ولا يرد عليه بالجدال والنظر لانه بدعة ولكن يخبر بالسنن ويحتج بالاثر فان قبل فهو أخوك فى الله عز وجل ووجبت عليك موالاته وان لم يرجع وأنكر نقض بانكاره وعرف ببدعته وحقت عداوته وهجر فى الله تعالى وهذا طريق لا يسلكه فى وقتنا هذا الا من عرف فضله وطريقة السلف فيه وحدثت عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده فى وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء القوم ما نصيب منهم شيأ قد أتعبونا فيقول انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فيهم فرجعوا اليه منكسرين منكوسين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء القوم نصيب منهم الشئ بعد الشئ من الخطايا فاذا كان من آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فتبدل سيآتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيأ لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة أهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فتبدل حسناتهم سيئات قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبعث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون الى الله قال فتسلطت عليهم الاعداء وقادتهم أين شاؤا وقد قال ابن عباس رضى الله عنه ان الضلالة حلاوة فى قلوب أهلها وقد قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا كما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فالعلم رحمك الله هو الذى كان عليه السلف الصالح المقتفى آثارهم والخلف التابع المقتدى بهديهم وهم الصحابة أهل السكينة والرضا ثم التابعون لهم باحسان من أهل الزهد والنهى والعالم هو الذى يدعو الناس الى مثل حاله حتى يكونوا أمثاله فاذا نظروا اليه زهدوا فى الدنيا لزهده فيها كما كان ذو النون رحمه الله يقول جالس من يكلمك علمه لا من يكلمك لسانه وقد قال الحسن رضى الله عنه قبله عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك وقال سهل رحمه الله العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقد روينا معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قيل له أى جلسائنا خير فقال من ذكركم بالله تعالى رؤيته وزاد فى علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله فأما الذى يطلب دنياهم حتى يكون مثلهم فاذا رأوه اغتبطوا بحالهم فهذا شر منهم لانه يدعو الى نفسه لا الى مولاه مولانا طامع فيهم وهم زاهدون فيه فالعلماء الذين هم ورثة الانبياء هم الورعون فى دين الله عز وجل الزاهدون فى فضول الدنيا الناطقون بعلم اليقين والقدرة

اختبار وامتحان ليظهر كم انكم تشتغلون بها عن الله سبحانه وتعالى فتنسونه وتعصونه أى تذكرونه وتطيعونه فيها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حب الدنيا رأس كل خطيئة اعلم أن طول الامل له سببان أحدهما حب الدنيا لانه اذا أنس بها وبشهواتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن التفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها والانسان مشغوف بالامانى الباطلة فيمنى نفسه أبدا بما يوافق مراده وهو البقاء فى الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره فى نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه وان خطر به فى بعض الاحوال أمر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى أن تكبر ثم تتوب واذا كبر قال الى أن تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له أو تفرغ من قهر هذا العدو الذى يشمت

لاعلم الرأى والهوى الصامتون عن الشبهات والآراء لا يختلف هذا الى يوم القيامة عند العلماء الشهداء على الله تعالى برأى قائل ولا بقول مبطل جاهل كما روى عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم صلح أول هذه الامة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والامل وقال يوسف بن اسباط كتب الى حذيفة المرعشى ما ظنك بمن قد بقى لا يجد أحدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد أهله قلت ليوسف يا أبا محمد وتعرفهم قال لا يخفون علينا ويقال ان الابدال انما انقطعوا فى أطراف الارض واستتروا عن أعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء هذا الوقت ولا يصبرون على الاستماع لكلامهم لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء فقد صاروا من أهل الجهل وأهل الجهل بالجهل على الوصف الذى قال سهل رحمه الله ان من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام أهل الغفلة أيسر عندهم لانهم لا يعدمون ذلك حيث كانوا من أطراف الامصار لان العامة لا يتوهون فى الدين ولا يغرون المؤمنين ولا يدعون انهم علماء لانهم يتعلمون وبالجهل معترفون فهم الى الرحمة أقرب وهم من المقت أبعد وكان أبو محمد أيضا يقول قسوة القلب بالجهل بالعلم أشد من القسوة بالمعاصى لان الجاهل بالعلم تارك ومدع والعاصى بالفعل مقر بالعلم ويقول أيضا لان العلم دواء به تصلح الادواء فهو يزيل فساد الاعمال بالتدارك والجهل داء يفسد الاعمال بعد صلاحها فهو يزيل الحسنات فيجعلها سيئات فكم بين ما يصلح الفاسد وبين ما يفسد الصالحات وقد قال الله تعالى ان الله لا يصلح عمل المفسدين وقال تعالى انا لا نضيع أجر المصلحين فهذا من أدل دليل على فضل العالم المقصر على العابد المجتهد واعلم ان العبد اذا باين الناس فى كل شئ من أحوالهم انفرد عن جمعهم ولم يألف أحدا منهم وان باينهم فى أكثر أحوالهم اعتزل عن الاكثر منهم فان فارقهم فى بعض الاحوال ووافقهم فى بعض حاله خالط أهل الخير وفارق أهل الشر

## *(باب تفضيل الاخبار وبيان طريق الارشاد وذكر الرخصة والسعة فى النقل والرواية)*

جميع ما ذكرناه فى هذا الكتاب من الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن الصحابة وعن التابعين وتابعيهم ومما سمعناه حفظا وسقناه على المعنى الا يسيرا اتفق وجوده فى أيدينا وقرب تناوله منا من أخبار فيها طول فانا نقلناها من مواضعها وما بعد علينا فلم نطلبه ولم نشغل همتنا به فما كان فيه من صواب وبيان وتثبت فمن الله تعالى بحسن توفيقه وقوة تأييده وما كان فيه من خطأ وعجلة وهوى فمنا بالسهو والغفلة ومن عمل الشيطان بالعجلة والنسيان كذلك روينا عن ابن مسعود رضى الله عنه فى قضيته التى قضاها برأيه وقولنا لرأيه تبع وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم البيان والتثبت من الله عز وجل والعجلة والنسيان من الشيطان يعنى بواسطته وبعلة التوفيق ولم أعتبر ألفاظ الاخبار فى أكثره ولم آل عن سياق المعنى فى كله اذ ليس تحرير الالفاظ عندى واجبا اذا أتيت بالمعنى بعد أن تكون عالما بتصريف الكلام وبتفاوت وجوه المعانى مجتنبا لما يكون به تحريف أو احالة بين اللفظين وقد رخص فى سوق الحديث على المعنى دون سياقه على اللفظ جماعة من الصحابة منهم على وابن عباس وأنس بن مالك وواثلة بن الاسقع وأبو هريرة ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم امام الائمة الحسن البصرى ثم الشعبى وعمرو بن دينار وابراهيم النخعى ومجاهد وعكرمة رضى الله عنهم نقلنا ذلك عنهم فى كتب سيرهم بأخبار مختلفة الالفاظ وقال ابن سيرين كنت أسمع الحديث من عشرة المعنى واحد والالفاظ مختلفة وكذلك اختلف الصحابة فى رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من يرويه تاما ومنهم من يجئ به مختصرا ومنهم من يرويه على المعنى وبعضهم يغاير بين اللفظتين ورأوا سعة اذا لم يخالف المعنى ولم يحل البغية وكلهم لا يتعمد الكذب وجميعهم يقصد الصدق ومعنى ما سمع ولا يحيل البغية فلذلك وسعهم وكانوا يقولون انما الكذب على من تعمده وقد روينا عن عمران بن مسلم قال قال رجل للحسن يا أبا سعيد انك تحدث بالحديث أنت أحسن له سياقا وأجود تعبيرا

بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض فى شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر الى أن تختطفه المنية فى وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف وثانيهما الجهل لان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت فى الشباب أكثر فالى أن يموت شيخ يموت ألف صبى وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا يدرى أن ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض انما يقع فجأة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب ومشيب وكهولة وصيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر أن تشيع جنازته وسيله ان يقيس

وأفصح به لسانا منا اذا حدثتنا به فقال اذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك وقد قال النضر بن شميل كان هشام لحانا فكسوت لكم حديثه كسوة حسنة يعني بالاعراب وكان النضر نحويا ونحن قائلون في جميع ما رويناه أو كما قيل ونحوه وشبهه وبمعناه كذلك قال ابن مسعود في حديثه وكان سليمان التيمي يقوله في كل ما يحدث به وقد كان سفيان رحمه الله يقول اذا رأيت الرجل يشدد في ألفاظ الحديث في المجلس فاعلم انه يقول اعرفوني قال وجعل رجل يسأل يحيى بن سعيد القطان عن حرف في الحديث على لفظه فقال له يحيى يا هذا ليس في أيدينا أجل من كتاب الله تعالى وقد رخص في القراءة فيه بالكلمة على سبعة أحرف فلا تشدد وفي بعض ما رويناه مراسيل ومقاطيع ومنها ما في سنده مقال وربما كان المقطوع والمرسل أصح من بعض المسند اذ رواه الائمة وجاز لنا رسم ذلك لمعان أحدها انا لسنا على يقين من باطلها والثاني ان معنا حجة بذلك وهو روايتناه وانا قد سمعناه فان أخطأنا الحقيقة عند الله تعالى فذلك ساقط عنا كما قال الاسباط وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين في قولهم ان ابنك سرق فاخطؤا الحقيقة عند الله تعالى الا انهم كانوا معذورين لوجود الدليل وهو شهادتهم الصاع مستخرج من رحل أخيهم والثالث ان الاخبار الضعاف غير مخالفة الكتاب والسنة لا يلزمنا ردها بل فيهما ما يدل عليها والرابع انا متعبدون بحسن الظن منهيون عن كثير من الظن مذمومون بظن السوء والخامس انه لا يتوصل الى حقيقة ذلك الا من طريق المعاينة ولا سبيل اليها فاضطررنا الى التقليد والتصديق بحسن الظن بالنقلة مع ما تسكن اليه قلوبنا وتلين له أبشارنا ونرى انه حق كما جاء في الخبر وأيضا فانه ينبغي أن نعتقد في سلفنا المؤمنين انهم خير منا ثم نحن لا نكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على التابعين فكيف نظن بهم أن يكذبوا وهم فوقنا على انه قد جاءت أحاديث ضعاف بأسانيد صحاح فكذلك يصلح ان نورد أحاديث صحاحا بسند ضعيف لاحتمال ان يكون قد روي من وجه صحيح اذ لم نحط بجملة العلم أولان بعض من يضعفه أهل الحديث يقويه بعضهم وبعض من يجرحه بعضهم أحد يعدله غيره فصار مختلفا فيه فلم نرد حديثه بقول واحد دون من فوقه أو مثله أولان بعض ما يضعف به رواة الحديث وتعلل به أحاديثهم لا يكون تعليلا ولا جرحا عند الفقهاء ولا عند العلماء بالله تعالى مثل أن يكون الراوي مجهولا لايثاره الخمول وقد ندب اليه أو لقلة الاتباع له اذ لم يقم لهم الاثرة عنه أو ينفرد بلفظ أو حديث حفظه أو خص به دون غيره من الثقات أو يكون غير سائق الحديث على لفظه أو لا يكون متنبا بحفظ ودرسه وقد يتكلم بعض الحفاظ بالاقدام والجراءة فيجاوز الحد في الجرح ويتعدى في اللفظ ويكون المتكلم فيه أفضل منه وعند العلماء بالله تعالى أعلى درجة فيعود الجرح على الجارح أو يكون رأى عليه لباسا أو سمع منه كلاما يجرحه عند الفقهاء الجهل به بعض القراء من الرواة وأن بعض من يضعفه أصحاب الحديث هو من علماء الآخرة ومن أهل المعرفة بالله تعالى وله في الرواية والحديث مذاهب غير طريقة بعض أصحاب الحديث فيعمل في روايته بمذهبه فلا يكون أصحاب الحديث حجة عليه الا كان هو حجة عليهم اذ ليس هو عند أصحابه من العلماء دون أصحاب الحديث ممن ضعفه اذ رأى غير رأي مذهبه وقال بعض العلماء الحديث وان كان شاهدا فقد وسع فيه بحسن الظن كما جوز فيه قبول شهادة واحد أي الضرورة كشهادة القابلة ونحوها ورويناه معناه عن الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه والحديث اذا لم ينافه كتاب أو سنة وان لم يشهدا له ان لم يخرج تأويله عن اجماع الامة فانه يوجب القبول والعمل بقوله صلى الله عليه وسلم كيف وقد قيل والحديث الضعيف عندي آثر من الرأي والقياس وهذا مذهب الامام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه والحديث اذا تداوله عصران أو رواه القرون الثلاثة أو دار في العصر الواحد فلم ينكره علماؤه وكان مشهورا لا ينكره الطبقة من المسلمين احتمل ووقع به حجة وان كان في سنده قول الا ما خالف الكتاب والسنن الصحيحة أو اجماع الامة أو ظهر كذب ناقليه بشهادة الصادقين من الائمة وقال وكيع بن الجراح ما ينبغي لاحد أن يقول هذا الحديث باطل لان

نفسه بقبره ويعلم انه لابد ان تحمل جنازته ويدفن في قبره ويعلم اللبن الذي يغطى به قبره ولحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فقسوته لجهل محض واذا عرف ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالذكر الصافي من القلب الحاضر وسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه عن القلب شديد وهو الداء العضال الذي أعيا الاولين والآخرين علاجه فلا علاج له الا الايمان بالله وباليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحق عن القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت الى الدنيا كلها وان أعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها أو يرسخ في القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير الموت في القلب مثل النظر الى من مات من

الحديث أكثر من ذلك وقال أبو داود قال أبو زرعة الرازى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف عين تطرف كل واحد قد روى عنه ولو حديثا ولو كلمة أو رواية فحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أن يحصى وذكر رجل عند الزهرى حديثا فقال ما سمعنا بهذا فقال أكل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت قال لا قال فثلثاه قال لا قال فنصفه فسكت قال اعدد هذا من النصف الذى لم تسمعه وقال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه كان يزيد بن هرون يكتب عن الرجل وهو يعلم انه ضعيف وكان له ذكاء وعلم بالحديث وقال اسحق بن راهويه قيل للامام أحمد بن حنبل هذه الفوائد التى فيها المناكير ترى أن نكتب الجيد منها فقال المنكر أبدا منكر قيل له فالضعفاء قال قد يحتاج اليهم فى وقت كأنه لم ير بالكتابة عنهم بأسا وقال أبو بكر المروزى عثمان الحديث عن الضعفاء قد يحتاج اليه ومما يدل على مذهبه فى التوسعة انه أخرج حديثه كله فى المسند المأثور عنه الذى رويناه عن أشياخنا عن ابنه عبد الله عنه ولم يعتبر الصحيح منه وفيه أحاديث كثيرة يعلم الثقات انها ضعيفة وهو أعلم بضعفها منهم ثم أدخلها فى مسنده لانه أراد تخريج المسند ولم يقصد تصحيح السند فاستجاز رواياتها كما سمعها وقد كان قطع أن يحدث الناس فى سنة ثمان وعشرين وتوفى فى سنة احدى وأربعين فلم يسمع أحد منه فى هذه المدة الا ابنه عبد الله وابن منيع جزأ واحدا بشفاعة جده أحمد بن منيع وحدثونا عنه أعنى الامام أحمد قال كان عبد الرحمن ينكر الحديث ثم يخرج الينا بعد وقت فيقول هو صحيح قد وجدته قال وأما وكيع فلم ينكر ولكن يقول اذا سئل عنه لا أحفظه وحدثونا عن ابن أخت عبد الرحمن بن مهدى قال كان خالى قد خط على أحاديث ثم صحح عليها بعد ذلك وقرأتها عليه فقلت قد كنت خططت عليها قال نعم ثم تفكرت فاذا انى ان ضعفتها أسقطت عدالة ناقلها فان حاجنى بين يدى الله تعالى وقال لم أسقطت عدالتى رأيتنى سمعت كلامى لم يكن لى حجة هذا كان مذهب الورعين من السلف وقد كان بعضهم يقول كانترك مجالسة شعبة لانه كان يدخلنا فى الغيبة وانما كان كلامه فى التضعيف وقال بعضهم فى تضعيف الرواة ان خاصمت نبيك يعنى ان أردت الله عز وجل والدين بذلك لم يكن لك ولا عليك فهذه الفصول الذى ذكرناها هى أصول فى معرفة الحديث وهو علم لاهله وطريق هم سالكوه ثم حدث قوم لم يكن لهم علم يختصون به ولا حال من علم يوصفون به ولا شغل من عبادة تقطعهم فجعلوا النفوسهم علما تشاغلوا به وشغلوا من استمع اليهم وصنفوا كتبا وأخذوا يتكلمون فى نقلة الاخبار بالتعليل وتتبع العثار فطرقوا لاهل البدع الى رد السنن وايثار الرأى والمعقول عليها المارون من طعنهم فيها واغتبطوا بالقياس والنظر لما وجدوا من زهدهم فى السنة والخبر سيما فى زماننا هذا والاحاديث فى الترغيب فى الآخرة والتزهيد فى الدنيا والترهيب والوعيد الله تعالى وفى فضائل الاعمال وتفضيل الاصحاب متقبلة محتملة على كل حال مقاطيعها ومراسيلها لا تعارض ولا ترد وكذلك فى أهوال القيامة ووصف زلازلها وعظائمها لا تنكر بعقل بل تتقبل بالتصديق والتسليم كذلك كان السلف يفعلون لان العلم قد دل على ذلك والاصول قد وردت به وقد روينا من بلغه عن الله فضيلة أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به أعطاه الله ثواب ذلك وان لم يكن ما قيل والخبر الآخر من روى عنى حقا فأنا أقوله وان لم أكن قلته ومن روى باطلا فانى لا أقول بالباطل وفى كل ما رسمناه من هذا الكتاب نقول الله أعلم وأحكم وعلمه المقدم وعنده حقائق العلوم واليه ترجع الامور وما شاء كان والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله وهذا آخر كتاب العلم وتفصيل العلوم ووصف طريق السلف ونشر ما أحدث بعدهم الخلف

*(الفصل الثانى والثلاثون فيه شرح مقامات اليقين وأحوال الموقنين)* أصول مقامات اليقين التى ترد اليها فروع أحوال المتقين تسعة أولها التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد والتوكل والرضا والمحبة وهذه محبة الخصوص وهى محبة المحبوب

*(ذكر فروض التوبة وشرح فضائلها ووصف التوابين)*

قال

---

الاقران والاشكال واشهم كيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوه أما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما ومن كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة فى أطرافه وأعضائه وليتدبر كيف انها تأكلها الديدان ولا محالة وكيف يتفتت عظامها وليتفكر فى أن الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولا و باليسرى فما على بدنه شئ الا وهو يطعمه الدود وماله من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال يوم القيامة وفزع النداء يوم العرض الاكبر فأمثال هذه الافكار التى تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب

*(فصل)* اعلم أن الموت ثلاث دواه الاولى الالم بسكراته قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ٭ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده قدح عند الموت يجعل يده فيه ثم يمسح وجهه و يقول اللهم هوّن على محمد سكرات الموت وفاطمة تقول وا كرب

قال الله تعالى فى البيان الاول من خطاب العموم وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون معناه ارجعوا اليه من هوى نفوسكم ومن وقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم فى المعاد وكى تبقوا ببقاء الله عز وجل فى نعيم لا زوال له ولا نفاد ولكى تفوزوا وتسعدوا بدخول الجنة وتنجوا من النار فهذا هو الفلاح وقال فى البيان الثانى من مخاطبته الخصوص يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار فنصوحا من النصح جاء على وزن فعول للمبالغة فى النصح وقد قرئت نصوحا بضم النون فتكون حينئذ مصدر نصحت له نصحا ونصوحا فمعناه خالصة لله تعالى وقيل اشتقاقه من النصاح وهو الخيط أى مجردة لا تتعلق بشىء ولا يتعلق بها شىء وهو الاستقامة على الطاعة من غير روغان الى معصية كما تروغ الثعالب وأن لا يحدث نفسه بعود الى ذنب متى قدر عليه وان يترك الذنب لاجل الله تعالى خالصا لوجهه كما ارتكبه لاجل هواه مجمعا عليه بقلبه وشهوته فتى أتى الله عز وجل بقلب سليم من الهوى وعمل خالص مستقيم على السنة فقد ختم له بحسن الخاتمة فحينئذ أدركته الحسنى السابقة وهذا هو التوبة النصوح وهذا العبد هو التواب المتطهر الحبيب وهذا اخبار عمن سبقت له من الله الحسنى ومن تداركه نعمة من ربه ورحمته بها من تلوث السوأى وهو وصف لمن قصد بخطابه اذ يقول فى كتابه ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وسئل الحسن عن التوبة النصوح فقال هى ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح واضمار أن لا يعود اليه وقال أبو محمد سهل رحمه الله ليس من الاشياء أوجب على هذا الخلق من التوبة ولا عقوبة أشد عليهم من فقد علم التوبة وقد جهل الناس علم التوبة وقال من يقول ان التوبة ليست بفرض فهو كافر ومن رضى بقوله فهو كافر وقال التائب الذى يتوب من غفلته فى الطاعات فى كل طرفة ونفس وقد جعل على كرم الله وجهه ترك التوبة مقاما فى العمى وقرنه باتباع الظن ونسيان الذكر فقال فى الحديث الطويل ومن عمى نسى الذكر واتبع الظن وطلب المغفرة بلا توبة ولا استكانة فطرض التوبة الذى لا بد للتائب منه ولا يكون مع تائبا الا به الاقرار بالذنب والاعتراف بالظلم ومقت النفس على الهوى وحل الاصرار الذى كان عقده على أعمال السيآت ومطالبة الغذاء بغاية ما يقدر عليه لان الطعمة أساس الصالحين ثم الندم على ما فات من الجنايات وحقيقة الندم ان كان حقا اذ لكل حق حقيقة أن لا يعاود الى مثل ما وقع الندم عليه ثم اعتقاد الاستقامة على الامر ومجانبة النهى وحقيقة الاستقامة أن لا يقابل ما استقبل من عمره بمثل ما وقع الاعوجاج به وان يتبع سبيل من أناب الى الله وأن لا يصحب جاهلا فيرديه ثم الاشتغال باصلاح ما أفسد فى أيام بطالته ليكون من المصلحين الذين تابوا وأصلحوا ما أفسدوا فان الله عز وجل لا يصلح عمل المفسدين كما لا يضيع أجر المحسنين ثم الاستبدال بالصالحات من السيآت والصالحات من الحسنات ليكون ممن تبدل سيآته حسنات لحقيقة التوبة وحسن الانابة لان التبديل يكون فى الدنيا يبدل بالاعمال السوأى أعمال الحسنى بدليل قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فاذا غيروا ما بهم من سيئ حسنا بدل سيآتهم حسنات ثم الندم ودوام الحزن وحقيقة الندم والحزن على الفوت أن لا يفرط ولا ينى فى وقت دركه ولا يرجع ولا ينثنى فى حسرة استبداله فيفوت نفسه وقتا ثانيا اذ كان يعمل فى درك ما فات ولا يفوت ما أدرك فى حال تيقظه فتكون يقظته شبيها بما مضى من غفلته اذ كان فى درك ما فات شبيها بما مضى من غفلته اذ لا يدرك الفوت بالفوت ولا ينال النعيم بالنعيم ليكون كما وصف الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قبل الاعتراف والندم وقال أبو سليمان الدارانى لو لم يبك العاقل فيما بقى من عمره الا على فوت ما مضى منه فى غير الطاعة لكان خليقا أن يحزنه ذلك الى الممات فكيف بمن يستقبل ما بقى من عمره بمثل ما مضى من جهله وقال سهل بن عبد الله التائب لا يقلقه شىء يكون قلبه متعلقا بالعرش حتى يفارق النفس ولا عيش له الا الضرورة للقوام ويغتم على ما مضى والجد فى الامر ومباينة النهى

أبتاه وفى رواية ابن خزيمة واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم وروى ابن أبى الدنيا من رواية الحسن مرسلا ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وقال شداد بن أوس الموت أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت لما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم وقال عمر لكعب الاحبار حدثنا عن الموت فقال نعم هو كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل فاخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى وفى دلائل البيهقى عن أبى سعيد قال مر النبى صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة الى خباء فقالت يا رسول الله حلنى حتى أذهب فارضع خشفى ثم أرجع فتربطنى فقال صلى الله عليه وسلم صيد قوم وربيطة قوم فقالت يا رسول الله ارجع قال فاخذ عليها العهد فحلها فما مكثت الا قليلا حتى جاءت وقد نفضت ما فى ضرعها فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى الى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها ثم قال صلى الله عليه وسلم

فيما بقي ولا يتم لهذا الا باستعمال علم اليقين في كل شئ ثم المتابعة باعمال الصالحات ليكون ممن قال الله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة الآية أي يدفعون ما سلف من السيآت بما يعملون من الحسنات وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر فاذا عملت سيئة فاعمل بعدها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية وفي وصيته لمعاذ أتبع السيئة الحسنة تمحها وليدخل في الصالحين كما قال الله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ثم المسارعة الى الخيرات اذا قدر عليها ليدرك بها ما ضيع وفات ليكون من الصالحين وفي هذا المقام يصلح أولا فيحفظه ويتولاه كما قال الله وهو يتولى الصالحين وجملة ما على العبد في التوبة وما تعلق بها عشر خصال أولها فرض عليه أن لا يعصي الله تعالى والثانية ان ابتلي بمعصية لا يصر عليها والخصلة الثالثة التوبة الى الله تعالى منها والرابعة الندم على ما فرط منه والخامسة عقد الاستقامة على الطاعة الى الموت والسادسة خوف العقوبة والسابعة رجاء المغفرة والثامنة الاعتراف بالذنب والتاسعة اعتقاد ان الله تعالى قدر ذلك عليه وانه عدل منه والعاشرة المتابعة بالعمل الصالح ليعمل في الكفارات لقوله صلى الله عليه وسلم وأتبع السيئة الحسنة تمحها وفي جميع هذه الخصال جمل آثار رويناها عن الصحابة والتابعين يكثر ذكرها ويقال ان ملك الموت اذا ظهر للعبد أعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستأخر عنها طرفة عين قال فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا من أولها الى آخرها لخرج منها على أن يضم الى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها أو يستدرك بها فلا يجد الى ذلك سبيلا وهذا تأويل قوله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون قيل التوبة وقيل الزيادة في العمر وقيل حسن الخاتمة حيل بينهم وبين ذلك كما فعل بأشياعهم من قبل أي بنظرائهم وأهل فرقتهم قال فاذا كل ساعة تمضي على العبد فهي بمنزلة هذه الساعة قيمتها الدنيا كلها اذا عرف قيمة ذلك فلذلك قيل ليس لما بقي من عمر العبد قيمة اذا عرف وجه التقدير من الله تعالى بالتصريف والحكمة وقيل في معنى قوله تعالى من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب قال الوقت القريب أن يقول العبد عند كشف الغطاء يا ملك الموت أخرني يوما أعتذر فيه الى ربي وأعتب فيه وأتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول أخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة قال فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه عند الغرغرة فيغلق باب التوبة ويحجب عنه وتنقطع الاعمال وتذهب الاوقات وتتصاعد الانفاس ويشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيمتد بصره فاذا كان في آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ما سبق له من السعادة فتخرج روحه على التوحيد وذلك حسن الخاتمة أو يدركه ما سبق له من الشقوة فتخرج روحه على الشك فهذا الذي قال الله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فهذا سوء الخاتمة نعوذ بالله منه وقيل هذا هو المنافق ويقال المدمن على المعاصي المصر عليها وقد قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قيل قبل الموت وقيل قبل ظهور آيات الآخرة وقيل قبل الغرغرة أي تغرغر النفس في الحلقوم لانه تعالى قد حكم ان التوبة بعد ظهور اعلام الآخرة لا تقبل ومنه قوله عز وجل يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل يعني من قبل معاينة الآيات أو كسبت في ايمانها خيرا قيل التوبة هي كسب الايمان وأصول الخيرات وقيل الاعمال الصالحة هي مزيد الايمان وعلامة الايقان وقد قيل ثم يتوبون من قريب أي عن قريب عهد بالخطيئة لا يتمادى فيها ولا يتباعد عن التوبة وتوبته من قريب أن يعقب الذنب عملا صالحا ولا يردفه بذنب آخر وان يخرج من السيئة الى الحسنة ولا يدخل في سيئة أخرى وقيل أول من يسأل الرجعة من هذه الامة من لم يكن أدى زكاة ماله أو لم يكن حج بيت ربه فذلك تأويل قول الله تعالى فأصدق وأكن من الصالحين وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول هذه الآية من أشد شئ على أهل التوحيد هذا القوله تعالى في أولها يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وقد قيل لا يسأل عبد الرجعة عند الموت وله عند الله عز وجل مثقال ذرة من خير وروينا معناه من كان

لو علمت البهائم من الموت ما تعلمون لما أكلتم منها سمينا أبدا الثانية مشاهدة ملك الموت وهي مزعجة لاهل الشقاوة دون أهل السعادة والثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم في النار وخوف الكل قبل المشاهدة الى أن يسمعوا نغمة الملك باحدى البشارتين اما ابشر يا عدو الله بالنار واما ابشر يا ولي الله بالجنة وفي كتاب المؤمنات الصالحات للمصنف وفي هذه الحالة يحضر الشيطان جنده عليه ويقول ان فاتكم في هذه الحالة لا تدركوه أبدا فيأتون اليه في صورة أب وأم وشيخ وصديق وغير ذلك ويقولون قد متنا على دين كذا غير دين الاسلام ووجدناه حقا وخفنا عليك الموت على الاسلام فتهلك فلا يزالون به كذلك حتى يفتنوه عن دين الاسلام فيهلك هلاك الابد الا أن يكون قد سبقت له السعادة فيموت على التوحيد فحينئذ يحثو الشيطان على رأسه التراب ويقول ويلكم كيف تفلت هذا منكم وفي مختصر الاحياء للبلالي وسببه عقيدة فاسدة تثمر عند الموت الجحود أو الشك ومن أسبابه الاصرار على فعل منهي أو صفة مذمومة كعجب ونحوه ومنها الغفلة قد خطف خلق كثير بنزغة الشيطان لتمكنه منه اهـ وروى أحمد ان رسول الله

له فى الآخرة مثقال الذرة من شعير لوان له الدنيا بما فيها من أولها الى آخرها لم يحب أن يعود الى الدنيا وقال بعض العارفين ان الله تعالى الى عبده سرين يسرهما اليه يوجد ذلك بالهام يلهمه أحدهما اذا ولد وخرج من بطن أمه يقول له عبدى قد أخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك ائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقانى كما أخرجتك وسر عند خروج روحه يقول عبدى ماذا صنعت فى أمانتى عندك هل حفظتها حتى تلقانى على العهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب فهذا داخل فى قوله عز وجل والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وفى قوله تعالى أوفوا بعهدى أوف بعهدكم عمر العبد أمانة عنده ان حفظه فقد أدى الامانة وان ضيعه فقد خان الله ان الله لا يحب الخائنين وفى خبر ابن عباس رضى الله عنه من ضيع فرائض الله عز وجل خرج من أمانة الله وعندنا التوبة النصوح تكفير السيآت ودخول الجنات وكان بعضهم يقول لقد علمت متى يغفر الله لى قيل ومتى قال اذا تاب على وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف منى من أن أحرم المغفرة وقال الله تعالى ومن أصدق من الله حديثا فتاب عليكم وعفا عنكم وقال تعالى فى مثله وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت وقال بعض العلماء لا تصح التوبة لعبد حتى ينسى شهواته ويكون ذاكرا الحزن لا يفارق قلبه ذاهبا عن الذنب لا يخالج سره وقال بعض علماء الشام لا يكون المريد تائبا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال معصية عشرين سنة وقال بعض السلف من علامة صدق التائب فى توبته أن يستبدل بحلاوة الهوى حلاوة الطاعة وبفرح ركوب الذنب الحزن عليه والسرور بحسن الانابة وقال بعض العلماء فى معناه لا يكون العبد تائبا حتى يدخل مرارة خشية الله النفس مكان حلاوة موافقتها وحدثنا فى الاسرائيليات ان الله عز وجل قال لبعض أنبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين فى العبادة ولم ير قبول توبته فقال له وعزتى وجلالى لو شفع فيه أهل السموات والارض ماقبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه ومن بقيت حلاوة المعصية فى قلبه أو نظر اليها اذا ذكرها بفكر خيف عليه العود فيها الا بشدة مجاهدة وكراهة لها ونفى خاطرها عن سره اذا ذكرها بالخوف والاشفاق منها وقال أبو محمد سهل أول ما يؤمر به المبتدئ المريد التوبة وهو تحويل الحركات المذمومة الى حركات محمودة ويلزم نفسه الخلوة والصمت ولا تصح له توبة الا بأكل الحلال ولا يقدر على الحلال حتى يؤدى حق الله تعالى فى الخلق وحق الله تعالى فى نفسه ولا يصح له هذا حتى يتبرأ من حركته وسكونه الا بالله تعالى وحتى لا يأمن الاستدراج بأعمال الصالحات وحقيقة التوبة أن يدع ماله حتى لا يدخل فيما عليه ولا يكون يسوف ابدا انما يلزم نفسه الحال فى الوقت وحدثونا عن سرى السقطى انه قال من شرط التوبة انه ينبغى للتائب المنيب انه يبدأ بمباينة أهل المعاصى ثم بنفسه التى كان يعصى الله تعالى لها ولا يشتغلها الا بما لا بد منه ثم الاعتزام على أن لا يعود فى معصية أبدا ويلقى عن الناس مؤنته ويدع كل ما يضطره الى حيرة ولا يتبع هوى ويتبع من مضى من السلف وينبغى لاهل التوبة أن يحاسبوا نفوسهم فى كل طرفة ويدعوا كل شهوة ويتركوا الفضول وهى ستة أشياء ترك فضول الكلام وترك فضول النظر وترك فضول المشى وترك فضول الطعام والشراب واللباس قال ولا يقوى على ترك الشبهات الا من ترك الشهوات وسئل يحيى بن معاذ رحمه الله كيف يصنع التائب فقال هو من عمره بين يومين يوم مضى ويوم بقى فيصلحهما بثلاث اما ما مضى فبالندم والاستغفار وأما ما بقى فبترك التخليط وأهله ولزوم المريدين ومجالسة الذاكرين والثالث لزوم تصفية الغذاء والدؤوب على العمل ومن علامة صدق التوبة رقة القلب وغزارة الدمع وفى الخبر جالسوا التوابين فانهم أرق شئ أفئدة ومن التحقق بالتوبة أن يستعظم ذنوبه فانه يقال ان الذنب كلما استعظمه العبد صغر عند الله تعالى ويقال ان استصغار الذنب كبيرة كما جاء فى الخبر المؤمن الذى يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق الذى يرى ذنبه كذباب مر على انفه فأطاره وقد روينا فى خبر مرسل ليتق أحدكم أن يؤخذ عند أدنى ذنوبه فى نفسه وقال بعضهم الذنب الذى لا يغفر

صلى الله عليه وسلم قال آخر من يخرج من النار من يخرج بعد ألف عام انه ينادى يا حنان يا منان كان الحسن يقول ياليتنى ذلك الرجل خوفا من سوء الخاتمة التى تقتضى عذاب الابد فى نار جهنم عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه ❊ وفى التذكرة للقرطبى روى فى الخبر الشهير المروى فى أربعين عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن بيت الا وملك الموت يقف على بابه كل يوم خمس مرات فاذا وجد الانسان قد نفد أكله وانقطع أجله ألقى عليه غمرات الموت فغشيته كرباته وغمراته وعلزاته فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها والباكية لشجوها والصارخة بويلها فيقول ملك الموت عليه السلام ويلكم مم الفزع وفيم الجزع ما أذهبت لواحد منكم رزقا ولا قربت له أجلا ولا أتيته حتى أمرت ولا قبضت روحه حتى استأمرت وان لى فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحدا قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على نفوسهم حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش وهو ينادى يا أهلى ويا ولدى

قول العبد ليت كل شئ عملته مثل هذا فهذا كما قال بلال بن سعد لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت وقد حدثنا عن الله تعالى انه أوحى الى بعض أوليائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظمة مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها فانما عظمت الذنوب عن تعظيم المواجه بها وكبرت فى القلوب بلشاهدة ذى الكبرياء ومخالفة أمره اليها فلم يصغر ذنب عند ذلك وكانت الصغائر عند الخائفين كبائر وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قيل الحرمات تعظم فى قلبه فلا ينتهكها ومن هذا قول الصحابة التابعين انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من الموبقات ليسوا يعنون أن الكبائر التى كانت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم صارت بعده صغائر ولكن كانوا يستعظمون الصغائر لعظمة الله تعالى فى قلوبهم لعظيم نور الايمان ولم يكن ذلك فى قلوب من بعدهم وأوحى الله تعالى الى بعض أوليائه كم من ذنب رأيته مستصغرا قد أهلكت بدونه أمما من الامم وقد روينا عن أبان بن اسمعيل عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أهلك الله تعالى أمما من الامم كانوا يبيتون بذكورهم فاما نسيانه الذنوب وذكرها فقد اختلف قول العارفين فى ذلك فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وهذان طريقان لطائفتين وحالان لاهل مقامين فاما ذكر الذنوب فطريق المريدين وحال الخائفين يستفرح منهم تذكرها الحزن الدائم والخوف اللازم وأما نسيان الذنوب شغلا عنها بالاذكار وما يستقبل من مزيد الاعمال فطريق العارفين وحال المحبين ووجهة هؤلاء شهادة التوحيد وهى مقام فى التعرف ووجهة الاولين مشاهدة التوقيف والتهديد وهى مقام فى التعريف فنى أى المقامين أقيم عبد قام بشهادته ووجهته وعمل بحكم حاله ومقام شهادة التوحيد أفضل عند العارفين من مقام مشاهدة التعريف وان كانت هذه أوسع وأكثر الا انها فى أصحاب اليمين وفى عموم المقربين وشهادة التوحيد أضيق وأقل وأهلها أعلى وأفضل وهى فى المقربين وخصوص العارفين وقد يعترض المريد بقصة داود عليه السلام فى تذكره ونوحه على خطيئته فان الانبياء لا يقاس عليهم لمجاوزتهم حدود من دونهم وقد يتقلبون فى أحوال المريدين ويسلك بهم سبيل المتعلمين وذلك لاجل الامة ليكون طريقا للعاملين واعلم انه لا يؤمن على ضعيف اليقين قوى النفس عند تذكر الذنوب ثوران القلب اليها بشهوة أو ميل نفس معها بحلاوة فيكون ذلك سبب فتنته فيفسد من حيث صلح كما لا يؤمن على معتاد خطيئة بالنظر الى سببها حركة النفس اليها وان كان الافضل الاتفاق معها ما لم يكن الاتفاق معصية لمجاهدة النفس بالصبر عنها الا ان ذلك غرور وفيه خطر فترك الاجتماع وقطع الاسباب حينئذ أسلم وما كان أسلم للمريد فهو أفضل وفى نسيان الذنوب الذكر لما يستقبل والانكماش على ما يفوت من الوقت خوف فوت الثانى وقد كان بعض أهل المعرفة يكره للمريد أن يكون وسواسا الجنة أو تذكر ما فيها من النعيم واللباس والازواج وقال واستحب للمريد أن يكون وسواسه ذكر الله تعالى وخواطره وهممه متعلقة بالله تعالى لا سواه قال لان المريد حديث عهد بتوبة غير معتاد لطول الاستقامة والعصمة فاذا تذكر نعيم الجنة لم آمن عليه لضعف قلبه أن يشتهى مثله مما يشاهد فى الدنيا من اللباس والطيبات والنكاح لان هذا عاجل وذاك آجل فتطلب نفسه مثل ما تذكرت من نعيم الآخرة معجلا فى الدنيا قال فاذا كان همه الله تعالى كان أبعد له من زينة الدنيا وشهواتها ولم يعتبر العدو ويتمثل ذلك له من العاجل الى أن يقوى يقينه وتنتقل عادته وتدوم عصمته وقد اختلف أهل العلم أيضا فى عبد ترك ذنبا وعمل فى الاستقامة ونفسه تنازعه اليه وهو يجاهدها وفى آخر ترك الذنب وانكمش فى الاصلاح فلم تكن نفسه تطالبه فلا تنازعه الى الذنب ولم يكن على قلبه منه ثقل ولا مجاهدة أى هذين أفضل فقال بعض علماء أهل الشام الذى تنازعه نفسه الى الذنب وهو يجاهدها أفضل لان عليه منازعة وله فضل مجاهدة ومال الى هذا القول أحمد بن أبى الحوارى وأصحاب أبى سليمان الدارانى



لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت
بى جمعت المال من حله
ومن غير حله ثم خلفته لغيرى
فالمهناة له والتبعة على
فاحذروا مثل ما حل بى
فاجتهد أيها العبد فى صالح
أعمالك بسلم ايمانك الذى
هو رأس مالك فانه ان فاتك
تخلدت فى نار جهنم مع ما لا
يحصى من الحسرات والندم
واشفق من كأس لابد أنت
ذائقه وارحل عن عيش
لابد أنت مفارقه يا ناسيا
رحيله اعتبر بمن سبقك
ولا تغتر بشبابك فان
موت الاطفال والشبان
أكثر من الشيوخ
وروى أن بعض المتعبدين
أتى قبر صاحب له فانشد
يقول شعر
مالى مررت على القبور مسلما
قبر الحبيب فلم يرد جوابى
أحبيب مالك لا تجيب مناديا
أمللت بعدى خلة الاصحاب
فهتف هاتف من جانب
القبر يقول شعر
قال الحبيب وكيف لى بجوابكم
وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسنى
فنسيتكم
وحجبت عن أهلى ومن
أحبابى
اللهم انا نعوذ بك من زوال
نعمتك ومن تحول عافيتك
وفجأة نقمتك وجميع
سخطك
*(فصل) فى القبر قال الله
تعالى قتل الانسان
ما أكفره من أى شئ خلقه
من نطفة خلقه فقدره ثم

وقال علماء البصرة الذي سكنت نفسه عن المنازعة بشاهد من شواهد اليقين والطمأنينة فلم يبق فيه فضل لعود ولا طلب لمعتاد أفضل ومال الى هذا رباح بن عمرو القيسي وهو من كبار علماء البصريين وقال لو ترك هذا لكان هذا أقرب الى السلامة ولم يؤمن على الآخر الرجوع وهذا كما اختلف العلماء أيضا في عبدين سئل أحدهما شيأ من بذل ماله في سبيل الله فأبت نفسه عليه وثقل عليها ذلك فجاهدها وأخرج ماله وسئل آخر بذل ماله فبذله مع السؤال طوعا من غير منازعة نفس ولا ثقل عليها ولا مجاهدة منه لها أيهما أفضل فقال القوم المجاهد لنفسه أفضل لانه اجتمع له الاكراه والمجاهدة فحصل له عملان وذهب الى هذا القول ابن عطاء وأصحابه وقال آخرون الذي سمحت نفسه بالبذل طوعا من غير اكراه ولا اعتراض أفضل قال لان مقام هذا في سخاوة النفس والتحقق بالزهد أفضل من جميع أعمال الاول من الاكراه والمجاهدة ومن بذل ماله على ذلك ولان الاول وان غلب نفسه في هذه الكرة لا يأمن غلبتها له في كرة ثانية أو ثالثة اذ ليس السخاء من مقامها لانها كانت محمولة عليه والى هذا ذهب الجنيد رحمه الله وهو عندي كما قال اللفظ لنا وسئل أبو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجد حلاوة فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة الا ان يرفع قلبه الى مولاه بالشكوى وينكره بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه ويدعو الله تعالى ان ينسيه ذكر ذلك ويشغله بغيره من ذكره وطاعته وقال فان هو غفل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه ان لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار والحزن فانه لا يضره وهذا عندي هكذا لان التوبة لا تصح مع بقاء الشهوة ويكون العبد مرادا بالمجاهدة وهذا حال المريدين ومحو الشهوات من القلب بدوام التولي وصف العارفين وربما تعلق بالذنب ذنوب كثيرة هي أعظم منه مثل الاصرار عليه والاغتباط به وتسويف التوبة بعده ووجد حلاوة الظفر بمثله أو وجد الحزن والكراهة على فوته والسرور بعمله أو حمل غيره عليه ان كان ذنبا بين اثنين أو انفاق مال الله سبحانه وتعالى فيه فهو كفر النعمة به وقد قيل من أنفق درهما في حرام فهو مسرف ومن ذلك ان يستصغر الذنب ويحتقره فيكون أعظم من اجترائه أو يتهاون بستر الله تعالى عليه ويستخف بعلم الله تعالى عنه فيكون ذلك من الاغترار والامن أو يجهل نعمة الله تعالى عليه في ستره واظهار ضده كما قال في الدعاء المأثور الذي يمدح الله سبحانه وتعالى به يا من أظهر الجميل وستر على القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر ويقال كل عاص تحت كنف الرحمن فاذا رفع يديه عنه انهتك ستره ومن ذلك المجاهرة بالذنب والصول به والتظاهر وهذا من الطغيان وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين يبيت أحدهم على الذنب قد ستره الله تعالى عليه فيصبح فيكشف ستر الله تعالى ويتحدث بذنبه وربما سن العاصي بالذنب سنة اتبع عليها فتبقى سيآت ذنبه عليه ما دام يعمل به وقد قيل طوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم يؤاخذ بها بعده وطوبى لمن لم يحدث ذنبه غيره وقال بعضهم لا تذنب فان كان لا بد فلا تحمل غيرك على الذنب فتكتسب ذنبين وقد جعل الله تعالى هذا المعنى وصفا من أوصاف المنافقين في قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف فمن حمل أخاه على ذنب معه فقد أمر بالمنكر ونهى عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من ان يساعده على معصيته ثم يهونها عليه وقد يعيش العبد أربعين سنة ثم يموت فتبقى ذنوبه بعده مائة سنة يعاقب عليها في قبره اذا كان قد سنها واتبع عليها الى ان تندرس أو يموت من كان يعمل بها ثم تسقط عنه ويستريح منها ويقال أعظم الذنوب من ظلم من لا يعرفه ولم ير من المتقدمين مثل ان يتكلم فيمن سلف من أهل الدين وأئمة المتقين فهذه المعاني كلها تدخل على الذنب الواحد وهي أعظم منه ومن ذلك قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم قيل سننهم التي عمل بها بعدهم وفي الخبر من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه مثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيأ وكان ابن عباس رضي الله عنهما

السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ت عن أبي سعيد رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مصلاه فرأى ناسا كأنهم يكتشرون فقال أما انكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى الموت فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم الا تكلم فيه يقول انا بيت الغربة انا بيت الوحدة انا بيت التراب انا بيت الدود والهوام فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا اما ان كنت لأحب من يمشي على ظهري الي فاذ وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك قال فيتسع له القبر مد بصره ويفتح له باب من الجنة واذا دفن العبد الفاجر أو الكافر يقول له القبر لا مرحبا ولا أهلا اما ان كنت لمن أبغض من يمشي على ظهري فاذ وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك فيلتئم عليه القبر حتى يلتقي ويختلف أضلاعه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم باصابع يديه فشبكها ثم يقيض له تسعون تنينا أو قال تسعة وتسعون لو ان واحدا منها نفخ في الارض ما أنبتت شيأ ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يقضى به الى الحساب قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما القبر

يةولويل للعالم من الاتباع بزلزلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعض أهل الادب مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق الخلق معها وفي الخبر الاسرائيلي ان عالما كان يضل الناس بالبدع ثم أدركته توبة فرجع الى الله تعالى وعمل في الاصلاح دهرا فأوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك بالغاما بلغ ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فادخلتهم النار فأما استحلال المعصية أو احلالها الغير فليس من هذا الباب في شئ انما ذلك خروج عن الملة وتبديل الشريعة وهو الكفر بالله تعالى كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقد سمى الله تعالى عامل السوء جاهلا فقال تعالى انه من عمل منكم سوءا بجهالة وقال تعالى بل أنتم قوم تجهلون وقال بل أنتم قوم مسرفون ويقال ان العرش يهتز ويغضب الرب تعالى لثلاثة أعمال لقتل النفس بغير نفس واتيان الذكر الذكر وركوب الانثى الانثى وفي خبر لو اغتسل اللوطي بالبحار لم يطهره الا التوبة ولو لم يكن في يسير المعصية من الشؤم الا حرمان الطاعة وفقد حلاوة الخدمة ومقت المولى لكان هذا من أعظم العقوبات كما قال وهيب بن الورد وقد سئل هل يجد العاصي حلاوة الطاعة قال لا ولا من هم بمعصية وإذا لك سمى الله تعالى يحيى سيدا لانه لم يهم بمعصية فصار علامة السيد بقدر سودد من لا يهم بالمعاصي فصار من لا يهم بالمعاصي سيدا وفي خبر من لبس ثوب شهرة وفي بعضها من نظر الى عطفيه فاختال أعرض الله تعالى عنه وان كان عنده حبيبا كيف وفي الحال فقد وجود البعد والوحشة والانقطاع من المعاملة وروينا في خبر ان آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته قال فاستحيا التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه فجاء جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه ونوديا من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت آدم الى حواء باكيا وقال هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب وروينا ان سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما وقع على خطيئته من أجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يوما وقيل ان المرأة سألته ان يحكم لابيها على خصمه فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب بقلبه ان يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها فسلب ملكه أربعين يوما فهرب تائها على وجهه وكان يسأل بكفه فلا يطعم فاذا قال اطعموني فاني سليمان بن داود شج وضرب ولقد بلغني انه استطعم من بيت فطرد وبزقت امرأة في وجهه وفي رواية قال فأخرجت اليه عجوز جرة فيها بول فصبته على رأسه الى ان خرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين وهي أيام العقوبة قال فجاءت الطير فعكفت عليه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فلما عرفها الصادون عقروا بين يديه واعتذروا اليه مما كانوا طردوه وشجوه فقال لا ألومكم فيما صنعتم قبل ولا أحمدكم فيما تصنعون الآن هذا أمر من السماء فلا بد منه ولقد بلغني انه كان في مسيره والريح تحمله في جنوده اذ نظر الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكأنه أعجبه فوضعته الريح بالارض فقال لها لم فعلت ولم آمرك قالت انما اطيعك اذا اطعت الله تعالى وقد قال بعض العلماء في معنى هذا من خاف الله تعالى خافه كل شئ ومن خاف غير الله تعالى أخافه الله تعالى من كل شئ فكذلك أيضا من أطاع الله تعالى سخر له كل شئ ومن عصاه سخره لكل شئ أو سلط عليه كل شئ ولو لم يكن في الاصرار على المعصية من الشؤم الا ان كل ما يصيب العبد يكون له عقوبة ان كان سعة عوقب بذلك ولم يأمن بم الاستدراج وان كان ضيقا كان عقوبة له وفي الخبر ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد قيل الرزق من الحرام من قلة التوفيق للاعمال الصالحة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول اني لاحسب ان العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه ولو لم يكن من بركة التوبة والعلم والاستقامة على الطاعة الا ان كل ما يصيب العبد فهو خير له ان كان سعة فهو رفق من الله تعالى به عليه ولطف له منه وان كان ضيقا فهو اختيار من الله تعالى وخيرة للعبد ويجد حلاوة ذلك ولذته لانه في سبيله وقد أصابه وهو مقيم على طاعته ولو لم يكن من شؤم الناس ووجد



روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار
عن هانئ مولى عثمان بن عفان كان عثمان اذا وقف على القبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتذكر القبر فتبكي فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد منه وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه وكان ينشد

شعر

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة
والا فاني لا أخالك ناجيا

• عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في القبر الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو أخ أو صديق فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا وما فيها وان الله تعالى ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الارض أمثال الجبال وان هدية الاحياء الى الاموات الاستغفار لهم وفي الاحياء قال أبو قلابة أقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر

النقص لهذا الطتهم الاان المعصية معهم أشد وهي بهم أعظم لتعلق المظالم في أمر الدنيا وشأن الدين وكل من قلت معارفه قلت معهم خطاياه وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة ان لا يخرج من ذنب الا وقع في مثله أو شر منه وذلك ان اللعنة هي الطرد والبعد فاذا طرد من الطاعة فلم تيسر له بعد عن القربات فلم يوفق لها فقد لعن وقد قيل في معنى الخبر الذي يرويه ثوبان ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه قيل ان يحرم الحلال ولا يوفق له بورعه في المعصية وقيل يحرم مجالسة العلماء ولا ينشرح قلبه لصحبة أهل الخير وقيل بمقته الصالحون وأهل العلم بالله تعالى فيعرضون عنه وقيل يحرم العلم الذي لا اصلاح العمل الا به لاجل اقامته على الجهل ولا تنكشف له الشبهات باقامته على الشهوات بل تلتبس عليه الامور فيقصر فيها بغير عصمة من الله تعالى ولا يوفق للاصوب والافضل وقد كان الفضيل يقول لما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك أورثتك ذلك ويقال نسيان القرآن بعد حفظه من أشد العقوبات والمنع من تلاوته وضيق الصدر بقراءته والاشتغال عنه بضده عقوبة الاصرار وقال بعض صوفية أهل الشام نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فأخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا أبا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز بدي وقال لتجدن عقوبته بعد حين قال فعوقبت بعد ثلاثين سنة وقال بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال آخر أعرف العقوبة حتى في فار بيتي وحدثونا عن منصور الفقيه قال رأيت أبا عبد الله السكري في النوم فقلت ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه في العرق حتى سقط لحم خدي قلت ولم ذاك قال نظرت الى غلام مقبلا ومدبرا والعقوبة بموضوعها الشدة والمشقة فعقوبة كل عبد من حيث يشتد عليه فأهل الدنيا يعاقبون بحرمان رزق الدنيا من تعذر الاكتساب واتلاف الاموال وأهل الآخرة يعاقبون بحرمان رزق الآخرة من قلة التوفيق للاعمال الصالحات وتعذر فتوح العلوم الصادقة فذلك تقدير العزيز العليم وكان أبو سليمان الداراني يقول الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت أحدا صلاة في جماعة الا بذنب يحدثه فدقائق العقوبات على قدر ترافع الدرجات وقد جاء في الاخبار ما أنكرتم من زمانكم فيما غيرتم من أعمالكم وفي الخبر يقول الله عز وجل ان أدنى ما أصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ان أحرمه لذيذ مناجاتي فهذه عقوبة أهل المعاملات ولو ظهر تغير القلب عند المعصية على وجه العاصي لاسود وجهه ولكن الله تعالى سلم بعلمه وستره فغطى ذلك في القلب مع تأثيره فيه وعقابه لصاحبه وقسوته عن الذكر وعن طلب الخير والبر والمسارعة الى الخير وهو من أكبر العقوبات ويقال ان العبد اذا عصى اظلم قلبه ظلمة يثور على القلب منها دخان يشهده الايمان فهو مكان حزن العبد الذي تسوءه سيئته ويكون ذلك الدخان حجابا له عن العلم والبيان كما تحجب السحابة الشمس فلا ترى ويكون غلفا يجده في نفسه للخلق فاذا تاب العبد واصلح انكشف الحجاب فيظهر الايمان فيأمر بالعلم كما تبرز الشمس من تحت الحجاب ومن هذا قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب ويصير الايمان تحت الحجاب فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا وعندها ينكس أعلاه أسفله اذا استكمل سواده فينئذ مرد على النفاق فأملس فيه واطمأن به وثبت الى ان ينظر الله تعالى اليه فيعطف بفضله عليه وقد كان الحسن رضي الله عنه يقول ان بين العبد وبين ربه عز وجل حدا من المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه بعدها للخير وفي حديث ابن عمر الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله تعالى الطابع فطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة فكلما أذنب ذنبا انقبضت أصبع حتى تقبض الاصابع كلها فتشد على القلب فذلك هو القفل ويقال لكل ذنب نبات ينبت على القلب فاذا كثرت الذنوب قام النبات حول القلب مثل الكم للثمرة فانضم على القلب فذلك هو الغلاف ويقال انه الكنان احد الاكنة التي ذكر الله تعالى ان القلب لا يسمع معها ولا يفقه وقد حدثني بعض هذه

يشككني يقول آذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم وتعملون ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان تركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله أهل الدنيا عنا خيرا أقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال ومما وجد من الشعر مكتوبا على قبر شعر

ان الحبيب من الاحباب مختلس
لا يمنع الموت بواب ولا حرس
وكيف تفرح بالدنيا ولذتها
يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلا في النقص منغمسا
وأنت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته
ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفت به
عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف
وقبرك اليوم في الاجداث مندرس

اللهم ارزقنا حسن النظر فيما يعنينا وجنبنا الغفلة عن مآبنا

(فصل) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا

لطائفة عن أبي عمرو بن علوان في قصة تطول قال فيها كنت قائماً أصلي ذات يوم فخامر قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجل قال فوقعت الى الارض واسود جسدي كله فاستترت في البيت ثلاثة أيام فلم أخرج وقد كنت أعالج غسله في الحمام بالصابون والالوان الغاسلة فلا يزداد الاسوادا قال ثم انكشف عني بعد ثلاث فرجعت الى لوني البياض قال فلقيت أبا القاسم الجنيد رحمه الله وكان وجه الي فأشخصني من الرقة فلما أتيته قال لي أما استحييت من الله تعالى كنت قائماً بين يديه فسامرت نفسك شهوة حتى استولت عليك برقة فأخرجتك من بين يدي الله تعالى لولا اني دعوت الله عز وجل لك وتبت اليه منك للقيت الله تعالى بذلك اللون قال فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة ولم يطلع عليه الا الله عز وجل فذكرت هذه الحكايات لبعض العلماء فقال كان هذا رفقاً من الله تعالى به وخبرة له اذ لم يسود قلبه وظهر السواد على جسده ولو بطن في قلبه لاهلك ثم قال ما من ذنب يرتكبه العبد يصر عليه الا اسود القلب فتمثل سواد الجسم الذي ذكره لا يجلوه الا التوبة ولكن ليس كل عبد يصنع له صنع ابن علوان ولا يجد من يلطف له به مثل أبي القاسم الجنيد رحمه الله ولكل ذنب عقوبة الا ان يعفو الله والعقوبة ليست على قدر الذنب ولا من حيث يعلم العبد لكنها على تقدير المشيئة وعن سابق علم الربوبية فربما كانت في قلبه وهي من أمراض القلوب وربما كانت في الجسد وقد تكون في الاموال والاهل وتكون في سقوط الجاه والمنزلة من عيون علماء الاسلام والمؤمنين وقد تكون مؤجلة في الآخرة وهذه أعظم العقوبات وهي لاهل الكبائر من الموبقات الذين ماتوا عن غير توبة ولاهل الاصرار والعزة والاستكبار لانها اذا كانت في الدنيا كانت يسيرة على قدر الدنيا واذا تأخرت كانت عظيمة على قدر الآخرة وفي الخبر اذا أراد الله تعالى بعبد خيراً عجل له عقوبة ذنبه واذا أراد به شراً أخره حتى يوافي به الآخرة واعلم أن الغم على ما يفوت من الدنيا والهم بالحرص عليها من العقوبات والفرح والسرور بما نال من الدنيا مع ما لا يبالي ما نقص من دينه من العقوبات وقد يكون دوام العوافي واتساع الغنى من عقوبات الذنوب اذا كانا سببين الى المعاصي وقد تكون عقوبة الذنب ذنباً مثله أو أعظم منه كما يكون مثوبة الطاعة طاعة مثلها أو أفضل منها وفي أحد الوجوه من معنى قوله تعالى وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قال الغنى والعافية كما يكون الفقر والسقم رحمة من الله تعالى اذا كانا سبباً للعصمة وهما أمهات المعاصي اذا كانا سببين لها ومطرقين اليها واعلم أن الحلم لا يرفع العقوبة ولكن يؤخرها ومن شأن الحليم أن لا يعجل بالعقوبة وقد يعاقب بعد حين وروينا في معنى قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء أي الرخص والرغد حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة بل بعد ستين سنة وفي الخبر من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وفي لفظ آخر لا يكفرها الا الهموم والاحزان والاهتمام بالمباحات من حاجات الدنيا للفقراء كفارات وهو على ما يفوت من قربات الآخرة للمؤمنين درجات وهو على حب الدنيا والجمع منها والحرص عقوبات وقال بعض السلف كفى به ذنباً لا يستغفر منه حب الدنيا وقال آخر لو لم يكن للعبد من الذنوب الا أنه يقيم بمصائب الدنيا بما لا يقيم بما لا يفوته فيهما من نصيب الآخرة والتزود لها وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له من الاعمال ما يكفرها أدخل الله عز وجل عليه الغموم والهموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يعرض للقلب في وقت لا يعرف العبد سبب ذلك فهو كفارات الهم بالخطايا ويقال هو حزن العقل عند تذكره الوقوف والمحاسبة لاجل جنايات الجسد فيلزم العقل ذلك الهم فيظهر على العبد منه كأنه لا يعرف سبب غمه ومن أخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه لولا ما سبق لك في علمي من عنايتي بك لجعلت نفسي عندك أبغض الباخلين لكثرة ترددك الي بطول سؤالك لي وتأخيري اجابتك ولكن من عنايتي بك ان جعلت نفسي في قلبك اني أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وقد سبق لك عندي منزلة لم تكن تنالها بشيء من عملك الا بحزنك على يوسف فأردت أن أبلغك تلك المنزلة وكذلك ما روينا ان جبريل عليه

السلام

حوله كأن على رؤسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهى به الى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب

السلام لما دخل على يوسف عليه السلام في السجن قال له كيف تركت الشيخ الكئيب قال لقد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله تعالى قال أجر مائة شهيد وفي خبر روينا عن السلف ما من عبد يعصي الا استأذن مكانه من الارض ان يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا فيقول الله عز وجل للارض والسماء كفا عن عبدي وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل صالحا فأبدله حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا أي من معاصي العباد ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما أي عن معاصيهم غفورا لمساويهم وقيل في تفسير ذلك ان الله عز وجل اذا نظر الى معاصي العباد غضب فترجف الارض وتضطرب السماء فتنزل ملائكة السماء فتمسك أطراف الارضين وتصعد ملائكة الارضين فتمسك على أطراف السموات ولا يزالون يقرؤن قل هو الله أحد حتى يسكن غضبه سبحانه وتعالى فذلك قوله تعالى ان الله يمسك السموات الآية وقال بعض العلماء اذا ضرب الناقوس في الارض ودعي بدعوة الجاهلية اشتد غضب الرب سبحانه وتعالى فاذا نظر الى صبيان المكاتب ورأى عمار المساجد وقيل اذا نظر الى المتحابين في الله أو المتزاورين له وسمع أصوات المؤذنين حلم وغفر فذلك قوله تعالى انه كان حليما غفورا فاذا اتبع العبد الذنب بالذنب ولم يجعل بين الذنبين توبة خيف عليه الهلكة لان هذا حال المصر ولانه قد شرد عن مولاه بترك رجوعه اليه ودوام مقامه مع النفس على هواه وهذا مقام المقت في البعد وافضل ما يعمله العبد قطع شهوات النفس أحلى ما يكون عنده الهوى اذ ليس لشهواتها آخر ينتظر كما ليس لبدايتها أول يرتسم فان لم يقطع ذلك لم يكن له نهاية فان شغل بما يستأنف من مزيد الطاعة ووجد حلاوة العبادة والا أخذ نفسه بالصبر والمجاهدة فهذا طريق الصادقين من المريدين وقيل في قوله تعالى استعينوا بالله واصبروا أي استعينوا به على الطاعة واصبروا على المجاهدة في المعصية وقال علي كرم الله وجهه أعمال البر كلها الى جنب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كتفلة الى جنب البحر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى جنب الجهاد في سبيل الله تعالى كتفلة في جنب بحر والجهاد في سبيل الله تعالى الى مجاهدة النفس عن هواها في اجتناب النهي كتفلة في جنب بحر لجي وعلى هذا معنى الخبر الوارد رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر مجاهدة النفس وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة صبر على معصية ثم الصبر على الطاعة وقد روينا في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة في بلدة فأرسل عبده يحملها اليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم بالله قال فنبأه الله تعالى فكان نبيا في بني اسرائيل وفي بعض قصص موسى عليه السلام انه قال للخضر عليه السلام بأي شئ أطلعك الله تعالى على علم الغيب فقال بترك المعاصي لاجل الله تعالى فالجزاء من الله تعالى يجعله غاية العطاء لا على قدر العمل لكن اذا عمل له عبد شيأ لاجله أعطاه أجره بغير حساب ثم انه لا يتخذ التائب عادة من ذنب فيتعذر بها توبته فان العادة جند من جنود الله تعالى لولاها لكان الناس كلهم تائبين ولولا الابتلاء لكان التائبون مستقيمين ثم ان يعمل في قطع معتاد ان كان ثم ليصبر على مجاهدة النفس في هوى ان بلي به فهذه الخصال من أفضل أعمال المريدين وأزكاها ومعها تلهم النفس المطمئنة رشدها وتقواها وبها تخرج من وصف الامارة بالسوء الى وصف المطمئنة الى أخلاق الايمان وهذا أحد المعاني في الخبر الذي روي أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس لان النفس تكره خلاف الهوى والهوى هو ضد الحق والله تعالى يحب الحق فصار جبار النفس على خلاف الهوى وعلى وفاق الحق لان محبة الحق من أفضل الاعمال كما قال تعالى والوزن يومئذ الحق الآية واستثنى من أهل الخسر الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وهذا أول اليقين وحدثت عن بعض أهل الاعتبار انه كان يمشي في الوحل فكان يتقي ويشمر ثيابه عن ساقيه ويمشي في جوانب الطريق الى ان زلقت رجله في الوحل فادخل رجليه في وسط الوحل وجعل يمشي في المحجة قال فبكى فقيل له

عبدي في عليين وأعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له ما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة افتحوا له بابا الى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول انا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي وقال ان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله قال فتفرق في جسده

ما يبكيك فقال هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب منها وذنبين فتفسدها تخوض الذنوب خوضا وعلى العبد ان يتوب من الغفلة التي هي كائنة فاذا اعرف هذا لم تنقطع أبدا توبته وقد جعل الله تعالى أهل الغفلة في الدنيا هم أهل الخسران في العقبى فقال عز من قائل وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ولكن غفلة دون غفلة وخسران دون خسران ولا تستحقرن الغفلة فانها أول المعاصي وهي عند الموقنين أصل الكبائر وقد جعل علي كرم الله وجهه الغفلة احدى مقامات الكفر وقرنها بالعمى والشك وأمال صاحبها عن الرشد ووصفها بالحسرة فقال في الحديث الذي يروى من طريق أهل البيت فقام عمار بن ياسر فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما بني فقال علي أربع دعائم على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الاماني فأخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب ومن شك تاه في الضلالة وقال بعض العلماء من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله تعالى سبع مرات لم يبتل بها وقال آخر من تاب عن ذنب واستقام سبع سنين لم يرجع اليه أبدا وقال بعض العلماء كفارة الذنب المعتاد أن تقدر عليه عند ما أتيته ثم لا تقع فيه فيكون كل ترك كفارة الفعل وهذا حال الاقوياء من التوابين وليس هو طريق الضعفاء من المريدين بل حال الضعفاء الهرب والبعد ومن حدث نفسه بمعصية في عدمها لم يملك نفسه عند وجودها فليعمل المريد في قطع وساوس النفس بالخطايا والا وقع فيها لان الخواطر تقوى فتكون وسوسة فاذا كثرت الوساوس صارت طرقا للعدو بالتزيين والتسويل فاضر شيء على التائب تمكينه خاطر السوء من قلبه بالاصغاء اليه فانه يتسبب في هلكته وكل سبب يدعو الى معصية أو يذكر بمعصية فهو معصية وكل سبب يؤول الى ذنب ويؤدي اليه فهو ذنب وان كان مباحا وقطعه طاعة وهذا من دقائق الاعمال وكان يقال من أتى عليه أربعون وهو العمر وكان مقيما على الذنب لم يكد يتب منها الا القليل من المتداركين وقد روي في الخبر المؤمن كل مفتن تواب وان المؤمن ذنبا قد اعتاده الفينة بعد الفينة يعني حينا بعد حين وفي الحديث كل بني آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون وفي الخبر الآخر المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه أي واه بالذنوب راقع بالتوبة والاستغفار وقد وصف الله تعالى المؤمنين بترك متابعة الذنوب وترادف السيئة بالحسنة في قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة وقد جعل هذا من وصف العاملين الذين صبروا فقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة فجعل تعالى لهم صبرين عن الذنب وعلى التوبة فآتاهم به أجرين وقد اشترط الله تعالى على التائبين من المؤمنين ثلاث شرائط وشرط على التائبين من المنافقين أربعة لانهم اعتلوا بالخلق في الاعمال فاشركوهم بالخالق في الاخلاص فزاد عليهم الشرط تشديدا للشدة دخولهم في المقت واعتل غيرهم بوصفه فخفف عنهم شرطين فقال عز وجل الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فقوله تعالى تابوا أي رجعوا الى الحق من أهوائهم وأصلحوا يعني ما أفسدوا بنفوسهم وبينوا فيها وجهان أحدهما بينوا ما كانوا كتموا من الحق وأخفوا من حقيقة العلم وهذا لمن عصى بكتم العلم ولبس الحق بالباطل وقيل بينوا توبتهم حتى تبين ذلك فيهم فظهرت أحكام التوبة عليهم وقال في الشرطين الآخرين ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله لانهم كانوا يعتصمون بالناس وبالاموال وكانوا يراؤن بالاعمال فلذلك اشترط عليهم الاعتصام بالله والاخلاص لله عز وجل فينبغي أن تكون توبة كل عبد عن ضد معاصيه قليلا بقليل أو كثيرا بكثير ويكون التائب على ضد ما كان أفسد ليكون كما قال الله تعالى انا لا نضيع أجر المصلحين ولا يكون العبد تائبا حتى يكون مصلحا ولا يكون مصلحا حتى يعمل الصالحات ثم يدخل في الصالحين وقد قال الله تعالى وهو يتولى الصالحين وهذا وصف التواب وهو المتحقق بالتوبة والحبيب لله تعالى كما قال تعالى ان الله يحب التوابين أي يتولى الراجعين اليه من أهوائهم المتطهرين له من المكاره وكما قال رسول الله صلى الله



فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء ان كذب فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها

عليه وسلم التائب حبيب الله وسئل أبو محمد سهل متى يكون العبد التائب حبيب الله تعالى فقال حتى يكون كما قال الله تعالى التائبون العابدون الآية ثم قال الحبيب لا يدخل فى شئ لا يحبه الحبيب وقال لا تصح التوبة حتى يتوب من الحسنات وقد قال غيره من العارفين العامة يتوبون من سيئاتهم والصوفية يتوبون من حسناتهم يعنى من تقصيرهم فى أدائها العظيم ما يشهدونه من حق الملك العزيز سبحانه وتعالى المقابل بها ومن نظرهم اليها أو نظرهم الى نفوسهم بها وهى منة الله تعالى اليهم واصلة وكان سهل يقول التوبة من أفضل الاعمال لان الاعمال لا تصح الا بها ولا تصح التوبة الا بترك كثير من الحلال مخافة أن يخرجهم الى غيره والاستغفار قوت التوابين ومفزع الخاطئين قال الله تعالى وهو أصدق القائلين استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقال تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه فابتدئ التوبة بالاستغفار وعقب الاستغفار بالتوبة فالاستغفار مع الذنب سؤال الستر من الله تعالى ومغفرة الله تعالى لعبده فى حال ذنبه ستره عليه وحلمه عنه ويقال ما من ذنب ستره الله تعالى على عبده فى الدنيا الا غفره له فى الآخرة ان الله تعالى أكرم من أن يكشف ذنبا كان قد ستره وما من ذنب كشفه الله فى الدنيا الا جعل ذلك عقوبته فى الآخرة فالله أكرم من أن يثنى عقوبته على عبده وروى عن على وابن عباس رضى الله عنهما نحو ذلك وقد أسنداه من طريق الاستغفار بعد التوبة وهو سؤال العبد مولاه العفو عن المؤاخذة ومغفرة الله تعالى لعبده بعد التوبة تكفيره لسيآته وتجاوزه عنها بالعفو الكريم وهو تبديل السيآت حسنات كما جاء فى الخبران تفسير قول العبد يا كريم العفو قال هو ان عفا برحمته عن السيآت ثم بدلها بكرمه حسنات وقد أحكم الله تعالى ذلك بقوله فاستقيموا اليه واستغفروه وبعد قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا أى وحدوا الله تعالى ثم استقاموا على التوحيد فلم يشركوا وقيل استقاموا على السنة فلم يبتدعوا وقيل استقاموا على التوبة فلم يروغوا منها أن لا تخافوا عقاب الذنوب فقد كفرها عنكم بالتوحيد ولا تحزنوا على ما فاتكم من الاعمال فقد تداركها الله تعالى لكم بالتوبة وبلغكم منازل المحسنين بالاستقامة ثم قال تعالى وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون فى السابق نحن أولياؤكم أى نليكم ونقرب منكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بالتثبيت لكم على الايمان ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم أى اجسامكم من النعيم المقيم ولكم فيها ما تدعون أى ما تمنون بقلوبكم من النظر الى الملك الرحيم وفى الخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله تعالى وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولى أستغفر الله باللسان عن غير توبة وندم بالقلب وفى خبر الاستغفار باللسان من غير توبة وندم بالقلب توبة الكذابين وكانت رابعة تقول استغفارنا هذا يحتاج الى استغفار فكم من توبة تحتاج الى توبة فى تصحيحها والاخلاص من النظر اليها والسكون والادلال بها فمن عقب السيئات بحسنات وخلط الصالحات بالطالحات طمع له فى الخاتمة ورجى له الاستقامة قبل الوفاة قال الله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم أى يعطف عليهم وينظر اليهم وقيل خلطوا عملا صالحا هو الاعتراف بالذنوب والتوبة المستأنفة وآخر سيئا ما سلف من الغفلة والجهالة وقد كان ابن عباس يقول غفور لمن تاب رحيم حيث رخص فى التوبة وقد قال الله تعالى وانى لغفار لمن تاب أى من الشرك وآمن بالتوحيد وعمل صالحا أدى الفرائض واجتنب المحارم ثم اهتدى كان على السنة وقيل استقام على التوبة فهذه صفات المؤمنين فلم يرد الله تعالى المخلصين الى ما رد اليه المنافقين وهو التوبة وكذلك لم يرد اليها المشركين اذ لا طريق للكل الا منها ولا وصول الى المحبة والرضا الا بها وقال تعالى فى وصف المنافقين وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم أى مع الاصرار واما يتوب عليهم أى بالاستغفار وأحكم ذلك وفصله بما شرطه كما قال فى شأن الكافرين فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وقد قرن الله تعالى الاستغفار للعباد ببقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فى الامتوع مع العذاب عنهم بوجوده فضلا منه ونعمة وقال تعالى وما كان

---

ويعنو بها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيها اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة وفى رواية أبى داود وغيره ثم يقيض له يعنى للكافر اعمى أصم ومعه مرزبة من حديد لو ضرب بها الجبال لصارت ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبور وساكنيها انك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الانس منك به ولو رأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخرقه الديدان مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه ومما وجد على قبر مكتوبا بشعر

اسلمنى الاهل ببطن الثرى * وانصرفوا عنى فيا وحشتا
وغادرونى معدما يائسا * ما بيدى اليوم الا البكا
وكل ما كان كأن لم يكن * وكل ما حذرته قد أتى

الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وكان بعض السلف يقول كان لنا أمانان ذهب
أحدهما وبقي الآخر فان ذهب الآخر هلكنا يعني الذي ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم والذي بقي الاستغفار
وسئل سهل رحمه الله عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة
فالاستجابة أعمال الجوارح والانابة أعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه وترك الخلق ثم يستغفر من
تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم ينتقل الى
الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا
يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتفويض مراده والتوكل
صاحبه ثم ينظر الله تعالى اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وكان يقول العبد لا بد له من
مولاه على كل حال وأحسن حاله أن يرجع اليه في كل شيء اذا عصى يقول يارب استر علي فاذا فرغ من
المعصية قال يارب تب علي فاذا تاب قال يارب ارزقني العصمة فاذا عمل قال يارب تقبل مني ومن أحسن
ما يتبع المذنب من الاعمال بعد التوبة وحل الاصرار مما يرجى به كفارة الخطيئة ثمانية أعمال أربعة من
أعمال الجوارح وأربعة من أعمال القلوب فأعمال الجوارح أن يصلي العبد ركعتين ثم يستغفر سبعين مرة
و يقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ويصوم يوما وأعمال القلوب هي اعتقاد
التوبة منه وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له ثم يحسن على الله تعالى بحسن ظنه
وصدق يقينه كفارة ذنبه فهذه الاعمال قد وردت بها الآثار انها المكفرة الزلل والعثار وقد يشترط في
بعضها فيتوضأ و يسبغ الوضوء ويدخل المسجد فيصلي ركعتين وفي بعض الاخبار فيصلي أربع ركعات قال
و يقال اذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فان
تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها ويقال صدقة الليل تكفر ذنوب النهار وصدقة السر تكفر
ذنوب الليل وفي بعض الاخبار اذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية وفي
أخبار متفرقة جمعناها ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول
أحدهما ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر ياليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر
ياليتهم اذ علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي بعضها ياليتهم اذ لم يعملوا تذاكروا ما عملوا فيقول الآخر وياليتهم
اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا فأول ما يجب لله عز وجل على عبده أن لا يعصيه بنعمه لئلا تكون
معصيته كفرانا للنعمة وجوارح العبد وماله من نعم الله تعالى عليه لان قوام الانسان بجوارحه وثبات
جوارحه بالحركة ومنافع الحركة بالعافية فاذا عصاه بالنعمة فقد بدلها كفرا كما قال تعالى بدلوا نعمة الله
كفرا قيل استعانوا بها على معاصيه ثم توعد على التبديل بالعقاب الشديد فقال ومن يبدل نعمة الله من بعد
ما جاءته فان الله شديد العقاب فقد يكون العقاب على تبديل النعمة بالمعصية معجلا في الدنيا ويكون مؤجلا
في الآخرة وقد يكون العقاب في أسباب الدنيا وقد يكون في حرمان أسباب الآخرة لانهما له ومثواه وقد
يكون فيهما معا وقد تكون نفس المعصية بالنعمة عقوبة والجهل بالنعمة وتضييع الشكر عليها
واستصغارها والسكون اليها والتطاول والتفاخر والتكاثر بها كل هذه الاسباب عقوبات ثم يفترض
على العبد اذا عصاه الرجوع الى مولاه وهو التوبة عقيب وقوعها من نفسه وهو موافقة الهوى بالخطيئة
فتأخيره بالتوبة واصراره على الذنب ذنبان مضافان الى الخطيئة فاذا تاب من ذنبه وأحكم التوبة منه اعتقد
الاستقامة على الطاعة ودوام الافتقار الى الله تعالى في العصمة ثم يتوب أبدا من الصغائر الى الهم والتمني
ومن الخوف والطمع في المخلوق وهي ذنوب الخصوص الى الطرفة والنفس والسكون الى شيء والراحة بشيء
وهذه ذنوب المقربين حتى لا يبقى على العبد فيما يعلم مخالفة وحتى يشهد له العلم بالوفاء فتبقى حينئذ توبته من
مطالعة علم الله تعالى فيه لما استأثر به عنه من علم غيبه بكاشفه به ومن معنى نفس العبودية وكون الخلق عن

وذا كم الجموع والمقتنى •
قد صارف كفي كمثل الهبا
ولم أجد لي مؤنسا ههنا
غير فجور كان لي أوحنا
فلو تراني أو ترى حالتي
بكيت لي باصاح مستعلنا
اللهم انا نعوذ بك من عذاب
القبر وفتنة المحيا والممات
وفتنة المسيح الدجال اللهم
انا نعوذ بك من المأثم والمغرم

• (فصل) • فيما يكون
منه عذاب القبر قال الله
تعالى ألهاكم التكاثر حتى
زرتم المقابر كلا سوف
تعلمون يعني ما ينزل بكم من
العذاب في القبر ثم كلا سوف
تعلمون أي في الآخرة اذا
حل بكم العذاب خ عن
سمرة بن جندب رضي الله
عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكثر
أن يقول لاصحابه هل رأى
منكم أحد رؤيا فيقص
عليه ما شاء الله أن يقص
وانه قال لنا ذات غداة انه
أتاني الليلة آتيان وانهما
قالا لي انطلق فانطلقت
معهما وانا أتينا على رجل
مضطجع فاذا آخر قائم
عليه بصخرة واذا هو يهوي
بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه
فيتدهده الحجر ههنا
فيتبع الحجر فيأخذه فلا
يرجع اليه حتى يصح
رأسه كما كان ثم يعود عليه
فيفعل به مثل ما فعل المرة
الاولى قال قلت لهما
سبحان الله ما هذا قالا لي
انطلق انطلق فانطلقنا

تسليط الربوبية بوصفها وكبرها فيكون بهذا الخوف متوبته لما نزع من علم نفسه الى ما لا يمكن ذكره ولا يعرف نشره من ذنوب المقربين التى هى صالحات أصحاب اليمين لفقد مشاهدتها والجهول بعرفته مقاماتها عند العموم فيكون حال هذا المقرب الاشفاق من البعد فى كل طرفة ونفس الى وقت اللقاء والخوف من الاعراض والحجب فى كل حركة وهم فى هذه الدار الى دار البقاء وقد روينا فى خبر غريب ان الله عز وجل أوحى الى يعقوب عليه السلام أتدرى لم فرقت بينك وبين يوسف قال لا قال لقولك لاخوته انى أخاف أن يأكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجنى له ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظى له فهذا معنى قول يوسف للساقى اذكرنى عند ربك قال الله تعالى فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين فهذا مما يعتب على الخصوص من خفى سكونهم ولمح نظرهم الى ما سوى الله تعالى وانما حرم بعض التابعين ذلك المزيد ولم يجدوا حلاوة التوبة لتهاونهم بحال الرعاية وتسامحهم بترك حسن القيام بشاهد المراقبة وذلك يكون من قلة احكام أمر التوبة ولو قاموا بحكم التوبة من الذنب الواحد وأحكموا حال توابين الصادقين فى التوبة لم يعدموا من الله تعالى المزيد لانهم محسنون فهم فى تجديد قال الله تعالى سنزيد المحسنين فاذا رأيت مستقيما على التوبة عاملا بالصالحات ولم تجد له على مزيد من ميراث وجد حلاوة أو حسن خليقة أو عروض زهد أو خاصية معرفة فارجع الى باب المراقبة أو موقف الرعاية فتفقدهما واحكم حالهما فمن قبلهما أتيت وقال بعض العلماء من تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب من ذنب واحد لم يكن عندنا من التائبين ولا تغفلن عن التفقد وتجديد التوبة أدبار الصلوات فانما دخل الخسران على العمال من حيث لا يعلمون من تركهم التفقد ومحاسبة النفس ومسامحتها بما يعملون واعلم أن حقيقة كل ذنب عشرة أعمال لا يكون العبد توابا يحبه الله تعالى ولا تكون توبته نصوحا التى شرطها الله تعالى وفسرتها النبوة الا أن يحكم العبد عشر توبات من كل ذنب أولها ترك العود الى فعل الذنب ثم يتوب من القول به ثم يتوب من الاجتماع مع سبب الذنب ثم التوبة من السعى فى مثله ثم التوبة من النظر اليه ثم التوبة من الاستماع الى القائلين به ثم التوبة من الهمة ثم التوبة من التقصير فى حق التوبة ثم التوبة من ان لا يكون أراد وجه الله تعالى خالصا بجميع ما تركه لاجله ثم التوبة من النظر الى التوبة والسكون اليها والادلال بها ثم يشهد بعد ذلك تقصيره عن القيام بحق الربوبية لعظيم ما يشهد بالمزيد من الاشراف على التوحيد من كبير جلال الله تعالى وعظم كبريائه فتكون توبته بعد ذلك من تقصيره عن القيام بحقيقة مشاهدته ويكون استغفاره لما ضعف قلبه ونقص همه عن معاينته مشاهدة لعلو مقامه ودوام مزيده وعلاه ولا نهاية لتوبة العارف ولا غاية لوصفه لما هو عليه لما كشف ولا وصف يحتمل ذكر دقيق بلائه ولا يكبر عن التوبة نبى فمن دونه ولكل مقام توبة ولكل حال من مقام توبة ولكل مشاهدة ومكاشفة توبة فهذا حال التائب المنيب الذى هو من الله تعالى مقرب وعنده حبيب وهذا مقام مفتن تواب أى مختبر بالاشياء مبتلى بها تواب الى الله تعالى منها لينظر مولاه أينظر بقلبه اليه أو اليها أو يعتكف بهمته عليه أو عليها أو يطمئن اليه بوجودها أو اليها أو يطلب ايامهم بامنها أو اياها فعليه لكل مشاهدة لسواه ذنب وعليه فى كل سكون الى سواه عتب كله فى كل شهادة علم ومن كل اظهار فى الكون حكم فذنوبه لا تحصى وتوباته الى الله تعالى لا تستقصى فهذه حقيقة التوبة النصوح وصاحبها مسلم وجهه لله تعالى محسن من نفسه مستريح وديه عند الله تعالى مستقيم ومقامه وحاله من الله تعالى سليم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب كل مفتن تواب واعلم أن الذنوب على سبعة ضروب بعضها أعظم من بعض كل ضرب منها مراتب فى كل مرتبة من المذنبين طبقة منها معاص يعتل بها العبد من معانى صفات الربوبية مثل الكبر والفخر والجبرية وحب الحمد والمدح ووصف العز والغنى فهذه مهلكات وفيها من العموم طبقات ومعاص تكون من معانى أخلاق الشياطين مثل الحسد والبغى والحيلة والخداع والامر بالفساد وهذه موبقة وفيها من أهل الدنيا طبقات ومعاص تكون من ضد السنة وهو ما خالفها الى بدعة

فأتينا على رجل مستلق لقفاه واذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد واذا هو يأتى احدى شقى وجهه فيشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه ثم يتحول الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الاول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل فى المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذان قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فاحسب انه قال فاذا فيه لغط وأصوات فاطلعنا فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذاهم يأتيهم لهب من أسفل منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قلت ما هؤلاء قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت انه كان يقول أحمر مثل الدم واذا فى النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتى ذلك الرجل الذى قد جمع عنده الحجارة فيفغر فاه فيلقمه حجرا فيسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغر فاه فالقمه حجرا قلت لهما ما هذان قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآى أو كاكره ما أنت راء رجلا مرآى

والاحداث المبتدعة وهى كبائر منها ما يذهب الايمان و ينبت النفاق وست من كبائر البدع وهى تنقل عن الملة وهى القدرية والمرجئة والرافضية والاباضية والجهمية والشاطحون من المغالطين وهم الذين لا يقولون بخلق ولا رسم ولا حكم فى تعدى الحدود ومجاوزات العلم فهم زنادقة هذه الامة ومعاص متعلقة بالخلق من طريق المظالم فى الدين والالحاد بهم عن طريق المؤمنين وهو ما أضل به عن الهدى وأزاغ به عن السنن وحرفه من الكتاب وتأوله من السنة ثم أظهره ثم دعا اليه فقبل منه واتبع عليه وقد قال بعض العلماء لا توبة لهذه المعاصى كما قال بعضهم فى القاتل لا توبة له للاخبار بثبوت الوعيد وحق القول عليه والضرب الخامس من المعاصى ما تعلق بمظالم العباد فى أمر الدنيا مثل ضرب الانسان وشتم الاعراض وأخذ الاموال والكذب والبهتان فهذه مو بقات ولا يدفعها من القصاص الموافقة بين يدى الحاكم العادل والقطع منه بقضاء فاصل الا أن يقع استحلال أو يستوهبها الله عز وجل من أربابها فى المآل بكرمه و بعوض المظلومين عليها من جنايته بعوده وقد جاء فى الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فاما الديوان الذى يغفر فذنوب العباد بينهم و بين الله تعالى وأما الديوان الذى لا يغفر فالشرك بالله تعالى وأما الديوان الذى لا يترك فمظالم العباد أى لا يترك المطالبة به والمؤاخذة عليه والضرب السادس من الذنوب ما كان بين العبد و بين مولاه من نفسه الى نفسه متعلق بالشهوات والجرى فى العادات وهذه أخفها والى العفو أقربها وهذه على ضربين كبائر وصغائر فالكبائر ما نص عليه بالوعيد وما وجبت فيه الحدود والصغائر دون ذلك الى نظرة وخطرة والتوبة النصوح تأتى على جميع ذلك بعموم قوله تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم و باخباره عز وجل عن حكمه اذ يقول ثم تاب عليهم ليتوبوا و بظاهر قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ومثله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الى قوله ان ربك من بعدها لغفور رحيم هكذا قراءة أهل الشام بنصب الفاء والتاء ولان الابتغاء من التوبة اذا كانت غفران الذنب والزحزحة عن النار ونحن لا نرى أبدية الوعيد على أهل الكبائر بل نجعلهم فى مشيئة الله ونجوز تجاوز الله تعالى عنهم فى أصحاب الجنة كما جاء فى الخبر فى تفسير قوله تعالى فجزاؤه جهنم خالدا فيها أى ان جازاه وكذا روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم من وعده الله تعالى على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن وعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه وكما قال ابن عباس رضى الله عنه يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلم يجد المغفرة ذنبا غير الشرك وترك المسلمين مع سائر الذنوب فى مشيئته فقد يحتج محتج بالخبر المأثور فى ترك قبول توبة المبتدع ان الله تعالى احتجر التوبة على كل صاحب بدعة فهذا مخصوص لمن لم يتب ممن حكم عليه بدرك الشقاء ألا ترى انه لم يقل ان الله تعالى احتجر قبول التوبة عمن تاب انما أخبر عن حكم الله تعالى فيمن لم يتب بان الله تعالى حجب التوبة عنه فهكذا نقول أيضا ان القاتل اذا كان قد سبق له سوء الخاتمة بانه يموت على غير توحيد وكذلك المبتدع ان جعل اسمه فى أصحاب النار ثم كان القتل والبدعة علامة ذلك وسببه انهما جميعا ممنوعان من التوبة فانها محجورة عنهما وكذلك القول فيمن حقت عليه كلمة العذاب بسبق سوء الخاتمة فلو انه تاب سبعين توبة لم تنقذه من النار وليست توبته بأكثر من قوله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من أهلها ولا يبقى بينه وبينها الا شبر ثم يدركه الشقاء وفى لفظ آخر ثم يسبق عليه الكتاب بعمل أهل النار فيدخلها فقد دخلت التوبات فى صالح أعماله الحسنات ثم أحبطها عنه فى جملة عمله بسبق الكتاب بالشقاء له وأما من لم يسبق له سوء الخاتمة ووهبت له التوبة النصوح ولم يدركه الشقاء فانها لم تحجر عنه وان الله تعالى يعفو عنه بما وهبه له من التوبة كقوله تعالى فى المنافقين اما يعذبهم واما يتوب عليهم وليس النفاق دون البدعة ولا كل المنافقين تاب عليهم ولا جميعهم ختم لهم به ولعموم قوله تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم فهذا مجمل فيمن تاب والخبر مخصوص فيمن لم يتب ولقوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ولقوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم

وإذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها قلت لهما ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا الى أن قال قلت لهما فانى رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذى رأيت قالا لى اما انا سنخبرك أما الرجل الاول الذى يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وأما الرجل الذى يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق وأما الرجال والنساء العراة الذين هم فى مثل بناء التنور فانهم الزناة والزوانى فأما الرجل الذى يسبح فى النهر ويلقم الحجارة فانه آكل الربا وأما الرجل الكريه المرأى الذى عند النار يحشها ويسعى حولها فانه مالك خازن جهنم وانا جبريل وهو ميكائيل ابن آدم ان جاءك رسول ملك بلدك وقال لك ان فعلت كذا ثلغ الملك رأسك بالحجر أو شق شدقك الى قفاك أو حبسك فى تنور ضيق واوقد تحته النار انتهيت عنه لا محالة وهذا رسول رب العالمين قد جاءك وقال ان نمت عن الصلاة المكتوبة ثلغ رأسك بالحجر وان كذبت شق شدقك ومنخرك وعينك الى قفاك وان زنيت حبست فى بناء مثل التنور الضيق الاعلى الواسع الاسفل

ان الله غفور رحيم ثم ان الناس فى التوبة على أربعة أقسام فى كل قسم طائفة لكل طائفة مقام منهم تائب من الذنب مستقيم على التوبة والانابة لا يحدث نفسه بالعود الى معصية أيام حياته مستبدل بعمل سيا ته صالح حسناته فهذا هو السابق بالخيرات وهذه هى التوبة النصوح ونفس هذا هى المطمئنة المرضية والخبر المروى فى مثل هذا سيروا سبق المفردون المستهترون بذكر الله وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافا والذى يلى هذا فى القرب عبد عقد التوبة ونيته الاستقامة لا يسعى فى ذنب ولا يقصد ولا ينحو ولا يهتم به وقد يبتلى بدخول الخطايا عليه عن غير قصد منه ويمتحن بالهم واللمم فهذا من صفات المؤمنين يرجى له الاستقامة لانه فى طريقها وهو ممن قال الله تعالى يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وداخل فى وصف المتقين الذين قال الله تعالى فيهم والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية ونفس هذا هى اللوامة التى أقسم الله تعالى بها وهو من المقتصدين وهذه الذنوب تدخل على النفوس من معانى صفاتها وغرائز جبلاتها وأوائل أنسابها من نبات الارض وتركيب الاطوار فى الارحام خلقا من بعد خلق ومن اختلاط الامشاج بعضها ببعض ولذلك عقبه تعالى بقوله هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم الآية فلذلك نهى عن تزكية النفس المنشأة من الارض والمركبة فى الارحام بالامشاج الأمزاج فقال تعالى فلا تزكوا أنفسكم أى فهذا وصفها عن بدء انشائها وكذلك وصف مشيج خليقته بالابتلاء فى قوله انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا وشرح هذا يطول ويخرج الى علم تركيبات النفوس ومجبول فطرتها وقد ذكرنا أصوله فى بعض الابواب من هذا الكتاب وفى مثل هذا العبد معنى الخبر الذى جاء المؤمن مفتن تواب والمؤمن كالسنبلة تفيء أحيانا وتميل أحيانا فازراء هذا العبد على نفسه ومقته لها عن معرفته بها وتركه نظره اليه وسكونه الى خير ان ظهر عليها يكون من كفارات ذنوبه لانه من تدبر الخطاب فى قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بكم والعبد الثالث هو الذى يقرب من هذا الثانى فى الحال عبد يذنب ثم يتوب ثم يعود الى الذنب ثم يحزن عليه بقصده له وسعى فيه وايثاره اياه على الطاعة الا انه يسوف بالتوبة ويحدث نفسه بالاستقامة ويحب منازل التوابين ويرتاح قلبه الى مقامات الصديقين ولم يأن حينه ولا ظهر مقامه لان الهوى يحركه والعادة تجذبه والغفلة تغمره الا انه يتوب خلال الذنوب ويعاود لتقدم المعتاد فتوبته هذا فوت من وقت الى وقت ومثله ترجى له الاستقامة لمحاسن عمله وتكفيرها السالف سيئته وقد يخاف عليه الانقلاب بدلا ومتخطمة ونفس هذا هى المسولة وهو ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليه فيستقيم فيلحق بالسابقين فهذا بين حالين بين أن تغلب عليه وصف النفس فيحق عليه ما سبق من القول وبين أن ينظر اليه مولاه نظرة تجبر له كل كسر وتغنى له كل فقر فيتداركه بعناية سابقة فتلحقه بمنازل المقربين لانه قد سلك طريقهم بفضله ورحمته ونيته الآخرة والعبد الرابع أسوأ العبيد حالا وأعظمهم على نفسه وبالا وأقلهم من الله نوالا عبد يذنب ثم يتبع الذنب مثله أو أعظم منه ويقيم على الاصرار ويحدث نفسه به متى قدر عليه ولا ينوى توبة ولا يعقد استقامة ولا يرجو وعدا بحسن ظنه ولا يخاف وعيدا التمكن أمنه فهذا هو حقيقة الاصرار ومقامه بين العتو والاستكبار وفى مثل هذا جاء الخبر هلك المصرون قدما الى النار ونفس هذا هى الامارة ووجهه أبدا من الخير فرار ويخاف على مثله سوء الخاتمة لانه فى مقدماتها وسالك طريقتها ولا يبعد منه سوء القضاء ودرك الشقاء ولمثل هذا قيل من سوف الله تعالى بالتوبة أكذبه وان المغفرة خروج من ذنب الى أعظم منه وهذه الطائفة فى عموم المسلمين وهم فى مشيئة الله من الفاسقين كما قال تعالى مرجون لامر الله أى مؤخرون لحكمه اما يعذبهم بالاصرار واما يتوب عليهم بما سبق من حسن الاختيار نعوذ بالله تعالى من عذابه ونسأله نعيما من ثوابه وهذا آخر كتاب التوبة

## *(شرح مقام الصبر ووصف الصابرين وهو الثانى من مقامات اليقين)*

قد جعل الله عز وجل الصابرين أئمة المتقين وتمم كلمته الحسنى عليهم فى الدين فقال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون

---

وأوقدت تحته النار وان أكلت الربا تسبح فى نهر من دم وتلقم الحجارة هذا كله الى يوم القيامة فان لم تنته عن هذه المعاصى فاما أن يكون ذلك لعدم تصديقه صلى الله عليه وسلم فأنت كافر مخلد فى نار جهنم واما لظنك اطاقتك هذه العقوبات الى يوم القيامة فجرب نفسك بامرك واحدا أن يفعل بك شيأ من هذه العقوبات يوما تاما فان لم تطق ذلك يوما واحدا فأنت عن هذه العقوبات الفظيعة الى يوم القيامة أعجز واما أن يكون لطمع فى التوبة بعد فليس بيدك كلب أملك من مفاجاة المنية فلم لا تتوب منها ولا تنتهى سريعا نعوذ بالله من قلة الفكر فى أمر الآخرة وفى التذكرة للقرطبى روى الطحاوى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أمر بعبد من عباد الله عز وجل أن يضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت جلدة واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه أفاق فقال علام جلدتمونى قالوا انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره وفى الزهر الفائح وغيره ان حسان بن أبى سنان كان لا ينام بالليل ولا يأكل سمينا ولا يشرب باردا فلما مات رؤى فى النوم فقيل

بأمرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال بعض الصحابة ماذا جعل الله تعالى من الشقاء والفضل فى التقى والصبر وقال ابن مسعود الصبر نصف الايمان وقد جعل على كرم الله وجهه الصبر ركنا من أركان الايمان وقرنه بالجهاد والعدل واليقين فقال بنى الاسلام على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال على كرم الله وجهه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد لا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر فى العلو والفضل الى مقام اليقين وقرنه به وكذلك قال الله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان من أوتى نصيبه منهما لم يسأل مافاته وأخبر عليه السلام ان الصبر كمال العمل والاجر فقال فى حديث رواه شهر بن حوشب الاشعرى عن أبى أمامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وفى حديث ابن المنكدر عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال عز وجل انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فضاعف أجر الصابرين على كل عمل ثم رفع جزاء الصبر فوق كل جزاء فجعله بلا نهاية ولا حد فدل ذلك انه أفضل المقامات وجمع للصابرين ثلاثا فرقها على جل أهل العبادات الصلاة والرحمة والهدى بعد البشارة فى الآخرة والعقبى وكان عمر رضى الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعنى بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يعلى به فوق الحملين على البعير فيكون كعدل ثالث وقد أخبر الله تعالى انه مع الصابرين ومن كان الله تعالى معه غلب كما أن من كان معه علا فقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين كما قال الله عز وجل وانتم الاعلون والله معكم واشترط الصبر لامداده بجنده ونصرته وتأييده بقوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وكان سهل يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة الصبر على المعصية ثم الصبر على الطاعة وقال فى معنى قوله عز وجل استعينوا بالله واصبروا أى استعينوا بالله على أمر الله واصبروا على أدب الله وقال لم يمدح الله تعالى أحدا الا من صبر للبلاء والشدة فبذلك يثنى عليه وكان يقول الصالحون فى المؤمنين قليل والصادقون فى الصالحين قليل والصابرون فى الصادقين قليل فجعل الصبر ناصية الصدق وجعل الصابرين خصوص الصادقين وكذلك الله تعالى وهو أصدق القائلين قد رفع الصابرين على الصادقين فى ترتيب المقامات فجعل الصبر مقاما فى الصدق ان كانت الاوصاف المنسوقة نعتا واحدا للمسلمين وكانت الواو للمدح وان كانت مقامات فالواو للترتيب فقد جعل الله الصابرين فوق الصادقين والقانتين أعنى فى قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية وفى حديث عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر رضى الله عنه نعم يا رسول الله قال وما علامة ايمانكم قال نشكر فى الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة والصبر ينقسم على عملين أحدهما لا صلاح للدين الا به والثانى هو أصل فساد الدين ثم يتنوع الصبر فيكون صابرا على الذى فيه صلاح الدين فيكمل به ايمانه ويكون صابرا عن الذى فيه فساد الدين فيحسن به يقينه روينا فى معنى هذا عن على رضى الله عنه انه لما دخل البصرة واستقام له الامر دخل جامعها فجعل يخرج القصاص ويقول القصص بدعة

فانتهى

فما فعل الله بك قال أنا محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم أردها لصاحبها وعن قبيصة بن سفيان قال رأيت سفيان الثورى فى المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال شعر

نظرت الى ربى عيانا فقال لى هنيأ رضائى عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قواما اذا الليل قد دجى بعبرة مشتاق وقلب عميد

فدونك فاختر أى قصر تريده وزرنى فانى عنك غير بعيد

اللهم ارزقنا اتباع الصالحين واحشرنا فى زمرتهم يا أرحم الراحمين

*(فصل)* قال الله تعالى وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب خ م عن ابن عباس رضى الله عنهما مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير اما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين ثم غرز فى كل قبر واحدة فقال لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا وفى التذكرة للقرطبى روى البيهقى عن الربيع ابن أنس عن أبى العالية عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه

فانتهى الى حلقة شاب يتكلم على جماعة فاستمع اليه فاعجبه كلامه فقال يافتى أسألك عن شيئين فان خرجت منهما تركتك تتكلم على الناس والا أخرجتك كما أخرجت أصحابك فقال سل ياأمير المؤمنين فقال أخبرني ماصلاح الدين وما فساده قال صلاحه الورع وفساده الطمع قال صدقت تكلم فمثلك يصلح ان يتكلم على الناس يقال ان هذا الشاب هو امامنا في هذا العلم وهو امام الائمة الحسن بن يسار مولى الانصار البصري وكان ميمون بن مهران يقول الايمان والتصديق والمعرفة الصبر واحد وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر واعلم ان الورع أول الزهد وهو أول باب من أبواب الآخرة والطمع أول الرغبة وهو باب كبير من أبواب الدنيا وهو استشعار الطمع من حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة ويقال أول معصية عصي الله تعالى بها الطمع وهو ان آدم عليه السلام طمع في الخلود فأكل من الشجرة التي نهي عنها وابليس طمع في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوسوس اليهما فتفقا في اسم المعصية لربهما تعالى بالطمع ثم افترقا في المطموع فيه وفي الحكم فتدورك آدم عليه السلام بحسن سابقته من الله تعالى وهلك ابليس بما سبق عليه من الشقوة والطمع هو تصديق الظن ولذلك وصف الله تعالى به عدوه في قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه والظن ضد اليقين ولا يغني من الحق شيأ وقال الله تعالى في وصف المشركين ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين فمن صبر عن الطمع في الخلق أخرجه الصبر الى الورع ومن صبر عن الورع في الدين أدخله الصبر في الزهد ومن طمع في تصديق الظن الكاذب أدخله الطمع في حب الدنيا ومن استشعر حب الدنيا أخرجهما من حقيقة الدين وقد قال بعض العلماء كان من ايمان من لم يؤذ فيحتمل الاذى و يصبر عليه ايمانا وقد فعل الله تعالى ذلك بالمؤمنين اختبارا وأخبران ذلك ليس منه عذابا وانما هو فتنة لمن أراد فتنته و بلاء ممن الناس فصار ذلك فتنة عليهم وابتلاء لهم وصار رحمة للمؤذى وخيرا في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله يعني فتنة الناس به كعذاب الله تعالى يعني اياه أي ليس ذلك عذابا مني انما هو رحمة باطنة فهو كقوله تعالى وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا أي لم أهنك بالفقر كما لم أكرم الآخر بالاكرام والتنعيم وعلى معنى هذا خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي أمر به فقال تعالى واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود فسلاه به وفضله عليه وقدر وينا في خبر يؤتى بأشكر أهل الارض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين و يؤتى بأصبر أهل الارض فيقال له أترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كما أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وكتب ابن أبي نجيح يعزي بعض الخلفاء فقال في كتابه ان أحق من عرف حق الله فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقى واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون فيه أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون به وفي الاخبار مامن عبد الا يعطى أجره بحساب ووحد الا الصابرين فانهم يجازفون مجازفة بغير ميزان ولا حد وجاء في الخبران أبواب الجنة مصراعان يأتي عليها زحام كثير الا باب الصبر فانه مصراع واحد لا يدخل منه الا الصابرون أهل البلاء في الدنيا واحد بعد واحد وقد قال الله تعالى في جزاء المخلصين أولئك لهم رزق معلوم وقال تعالى في جزاء الصابرين انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قيل في التفسير يغرف لهم غرفا والمعنى في ذلك ان الصبر أشق شئ على النفس وأكرهه وأمره على الطبع وأصعبه فيه الالم والكظم عند الذل والحلم ومنه التواضع والكتم وفيه الادب وحسن الخلق وبه يكون كف الاذى عن الخلق واحتمال الاذى من الخلق وهذه من عزائم الامور التي يضيق منها أكثر الصدور وفيما كراه النفوس وحملها على الشدة والبؤس وقد جاء أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس ولاجل ذلك اشترط الله تعالى على المتقين والصادقين الصبر في الشدائد والمكاره وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم وأكمل به وصفهم وأعمال

الآية سبحان الذي أسرى بعبده ليلا الآية قال أتى بفرس فحمل عليه قال كل خطوة منتهى أقصى بصره فسار وسار معه جبريل فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصد واعاد كما كان فقال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء المهاجرون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنات بسبعمائة وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخرة كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شئ من ذلك فقال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تثاقل رؤسهم عن الصلاة قال ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام على الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم في قدر نضيج ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج فقال ياجبريل من هؤلاء قال هذا الرجل يقوم وعنده امرأة حلال طيبا فيأتي المرأة الخبيثة فتبيت معه حتى يصبح ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها

ربهم فقال تعالى والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فمعنى الصبر حبس النفس عن السعى فى هواها وحبسها أيضا عن مجاهدتها المرضاته ولاهاتحمل ما أوجب المجاهدة على قدر ما يبتلى به العبد لان المجاهدة على قدر البلاء والحبس عن نحو الشر ودوحبسها على دوام الطاعة وصبرها عن شره الطبع الذى يظهر سوء الادب بين يدى الرب سبحانه وتعالى وصبرها على حسن الادب فى المعاملة ثم يتفرع الصبر الى معان شتى من الصبر عن تفاوت الاهواء والصبر على الثبات فى خدمة المولى فمن ذلك ما أوجب المجاهدة تصرف الهمة عنه وتطهير القلب منه من خطرات الهوى ونزغات الاعداء وتزيين الدنيا ومن الآفات ما أوجب الصبر كف الجوارح عنها وحبس النفس عن المشى فيها ومن الصبر حبس النفس على الحق وعكوفها عليه بمعاملة اللسان والقلب والجسم وبذلك وصف الله تعالى المؤمنين الذين يعملون الصالحات واشترط لصلاح أعمالهم الصبر وأخبر ان الناس كلهم فى خسران الا من كان من أهل الحق والصبر وعظم الصبر فأفرده باعادة التواصى به ومن الصبر حبس النفس على عبادة الخالق سبحانه وتعالى وصبرها على القناعة وعلى منع الرازق ومن الصبر كف الاذى عن الخلق وهو مقام العادلين يدخل فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل ثم احتمال الاذى عن الخلق وهو مقام المحسنين يدخل فى قوله والاحسان ومن الصبر الصبر على الانفاق واعطاء أهل الحقوق حقوقهم الاقرب فالاقرب وهذا مقام المنفقين يدخل فى قوله تعالى وايتاء ذى القربى ومنه الصبر على الفحشاء وهو الامر الفاحش فى العلم والايمان والصبر عن المنكر وهو ما أنكره العلماء والصبر عن البغى وهو التطاول والغلو ومجاوزة الحد بالكبر والاسراف فى أمور الدنيا فهذه الآية كلها جامعة لمعنى الصبر وهى قطب القرآن ثلاث منها وهى الاول الصبر على العدل والاحسان والاعطاء وثلاث منها الصبر عن الفحشاء والمنكر والبغى وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول أجمع آية فى كتاب الله عز وجل لامر ونهى هذه الآية وقال الله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا فانما أتم أجرهم حتى وصفهم بالصبر وما أكرم رزقهم ووصفهم حتى مدحهم بالصبر والصبر يحتاج اليه قبل العمل ومعه وبعده يحتاج فى أول العمل ان يصبر على تصحيح النية وعزم العقود والوفاء بها حتى تصح الاعمال لان النبى عليه السلام قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وحقيقة النية الاخلاص ولان الله تعالى قدم الصبر على العمل فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير والصبر الثانى فى العمل حتى يتمه ويعمل لقوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا والصبر بعد العمل هو الصبر على كتمه وترك التظاهر به والنظر اليه ليخلص من السمعة والعجب فيكمل ثوابه كما خلص من الرياء كما قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم وقال تعالى فى مثله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال بعض السلف لا يتم المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وكتمه ومن الصبر حبس النفس عن المكافأة والصبر على الاذى توكلا على المولى عز وجل ومنه قوله تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وهذا صبر الخصوص ومنه قال بعض أهل المعرفة لا يثبت للعبد مقام فى التوكل حتى يؤذى ويصبر على الاذى وقد ذكر الله تعالى ذلك فى قوله عز وجل ودع أذاهم وتوكل على الله وفى قوله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وهذا هو أول الرضا والمقام الثانى من الرضا هو الصبر على الاحكام وهو صبر أهل البلاء الامثل فالامثل بالانبياء لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل ولقوله تعالى فى المجمل ولربك فاصبر ثم فسره فى الكلام المفسر واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ومن الصبر حبس النفس على التقوى والتقوى اسم جامع لكل خير فالصبر معنى داخل فى كل بر فاذا جمعهما العبد فهو من المحسنين وما على المحسنين من سبيل ومنه قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال تعالى لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا

اذى

الجزء الأول من ... يقول الله عز وجل ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد أن يزيد عليها قال يا جبريل من هذا قال هذا رجل من أمتك عليه أمانة لا يستطيع أداءها وهو يزيد عليها ثم أتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم شئ من ذلك قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء خطباء الفتنة ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع قال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل الذى تكلم بالكلمة فيندم عليها فيريد أن يردها فلا يستطيع وذكر الحديث وخرج من حديث ابن هرون العبدى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال له أصحابه يا رسول الله أخبرنا عن ليلة أسرى بك الحديث وفيه قال فصعدت أنا وجبريل فاذا أنا بملك يقال له اسمعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف ملك قال وقال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فاستفتح جبريل فاذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه أرواح

أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور أى ان تصبروا على الاذى عن المكافأة وتتقوا
عند الابتلاء والمكاره ولا تجاوز وافانه أفضل كما قال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين وقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ثم قال عز وجل ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور قال فالاول أعنى المكافأة والانتصار بالحق من العدل والعدل حسن والثانى أعنى
العفو والصبر من الفضل وهو الاحسان وهذا مجاز قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك
الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب فاستماع القول هو العدل والعدل حسن وهو الانتصار والعفو
أحسن وفيه المدح بالهدى والعقل وهذا هو مقام المخبتين قيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا
فالمدح بالوصف لاهل هذا المقام هو الاخبات وهو الخشوع والطمأنينة بحسن الجزاء من الله سبحانه وتعالى
فى الآخرة لقرب القلوب وسرعة فناء الدنيا أمدح كما قال تعالى وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل
والتقوى والصبر معنيان أحدهما منوط بالآخر لا يتم كل واحد منهما الا بصاحبه فمن كانت التقوى
مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر أفضل الاحوال من حيث كان التقوى أعلى المقامات اذ الاتقى هو
الاكرم عند الله تعالى والاكرم على الله تعالى هو الافضل وقد شرف الله تعالى الصبر بأن أضافه اليه بعد
الامر به فقال واصبر وما صبرك الا بالله وقال تعالى ولربك فاصبر وان كان كل شئ به وكل عمل صالح له ولا يصف
الله تعالى عبدا ولا يثنى عليه حتى يبتليه فان صبر وخرج من البلاء سليما مدحه ووصفه والا بينه كذبه
ودعواه وقيل لسفيان الثورى رضى الله عنه ما أفضل الاعمال قال الصبر عند الابتلاء وقال بعض العلماء
وأى شئ أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى فى كتابه فى نيف وتسعين موضعا ولا نعلم شيأ ذكره الله تعالى
هذا العدد الا الصبر فلا يطمعن طامع فى مدح الله له وحسن ثنائه عليه قبل ان يبتليه فيصبر له ولا يطمعن
أحد فى حقيقة الايمان وحسن اليقين قبل ان يمدحه الله تعالى ويثنى عليه ولو أظهر الله تعالى على جوارحه
سائر الاعمال ثم لم يمدحه بوصف ولم يثن عليه بخير لم يؤمن عليه سوء الخاتمة وذلك ان من اخلاق الله تعالى انه اذا
أحب عبدا ورضى عمله مدحه ووصفه فمن ابتلاه بكراهة ومشقة أو بهوى وشهوة فصبر لذلك أو صبر عن ذلك
فان الله تعالى يمدحه ويثنى عليه بكرمه وجوده فيدخل هذا العبد فى أسماء الموصوفين ويصير واحدا من
الممدوحين فعندها يثبت قدمه من الزلل ويختم له بما سبق من صالح العمل ومن الصبر صبر على العوافى ان
لا يعمل بها فى المخالفة والصبر على الغنى ان لا يبذله فى الهوى والصبر على النعمة ان لا يستعين بها على معصية
فحاجة المؤمن الى الصبر فى هذه المعانى ومطالبته بالصبر عليها كحاجته ومطالبته بالصبر على المكاره والفقر
وعلى الشدائد والضر وقال ان البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والعوافى لا يصبر فيها الا صديق وكان سهل
يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء وكذلك قالت الصحابة رضى الله عنهم لما فتحت الدنيا فنالوا
من العيش واتسعوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فعلموا الاختبار بالسراء
وهو ما سر على الاختبار بالضراء وهو ما ضر وقد قال تعالى الذين ينفقون فى السراء والضراء فمدحهم
بوصف واحد فى الحالين المختلفين لحسن يقينهم وسخاوة نفوسهم وحقيقة زهدهم ومن هذا المعنى قول
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله لان فيهما ما يسر ويشغل عن الذكر ثم
قال عز وجل ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم لان فى الازواج والاولاد ما يفرح به فيوافق
فيه الهوى ويخالف بوجودهما المولى فصارا عدوين فى العقبى لما يؤول اليه من شأنهما ومن هذا الخبر
الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم لما نظر الى ابنه الحسن يتعثر فى قميصه فنزل عن المنبر واحتضنه ثم قال
صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة أى لما رأيت ابنى هذا لم أملك نفسى ان أخذته ففى هذا عبرة لاولى
الابصار وروى عنه فى الحديث أيضا الولد محزنة مبخلة مجبنة فهذه مصادر الحزن والبخل والجبن اى يحمل
حب الاولاد والاموال على ذلك فمن صبر على السراء وهى العوافى والغنى والاولاد وغير ذلك وأخذ الاشياء

فى ريشه المؤمنين فيقول
روح طيبة ونفس طيبة
اجعلوها فى عليين ثم تعرض
عليه أرواح ذريته الفجار
فيقول روح خبيثة ونفس
خبيثة اجعلوها فى سجين
ثم مضيت هنية فاذا انا باخونة
عليها لحم مشرح ليس
يقربها أحد واذا أنا باخونة
أخرى عليها لحم قد أروح
وأنتن عندها ناس يأكلون
منها قلت يا جبريل من
هؤلاء قال هؤلاء من أمتك
يتركون الحلال ويأتون
الحرام قال ثم مضيت هنية
فاذا انا باقوام بطونهم
أمثال البيوت كلما
نهض أحدهم خر
يقول اللهم لا تقم الساعة
قال وهم على سابلة آل
فرعون قال فتجىء السابلة
فتطؤهم قال فسمعتهم
يضجون الى الله عز وجل
قلت يا جبريل من هؤلاء
قال هؤلاء من أمتك الذين
يأكلون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذى يتخبطه
الشيطان من المس قال
ثم مضيت هنية فاذا انا بقوم
مشافرهم كمشافر الابل
قال فتفتح أفواههم
ويلقمون ذلك الجمر ثم
يخرج من أسافلهم فسمعتهم
يضجون الى الله عز وجل
فقلت يا جبريل من هؤلاء
قال هؤلاء من أمتك الذين
يأكلون أموال اليتامى
ظلما انما يأكلون فى
بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا ثم مضيت هنية فاذا

من حقها ووضعها في حقها فهو من الصابرين الشاكرين لا يزيد عليه أهل البلاء والفقر الا بحقيقة الرضا والشكر وقد جمع الله تعالى بين ما سر وضر وجعلهما من وصف المتقين ومدحهم بالاحسان معهما فقال تعالى أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ومن الصبر كتمان المصائب والاوجاع وترك الاستراحة الى الشكوى بهما فذلك هو الصبر الجميل قيل هو الذي لا شكوى فيه ولا اظهار وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء الفرائض لله تعالى وصبر عن محارم الله تعالى وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فمن صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة ومن صبر على محارم الله تعالى فله ستمائة درجة ومن صبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وهذا يحتاج الى تفسير ولم يفضل ابن عباس الصبر على المصيبة لانه أفضل من الصبر عن المحارم وعلى الفرائض بل لان الصبر على ذينك من أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين وانما فضل المقام في اليقين على مقام الاسلام ومن ذلك ما روي من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أسألك من اليقين ما تهون به على مصائب الدنيا فأحسن الناس صبرا عند المصائب أكثرهم يقينا وأكثر الناس جزعا وسخطا في المصائب أقلهم يقينا ومثل هذا الخبر الذي رويناه عن سلمة بن وردان عن أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له في وسط الجنة ومن ترك الكذب بني له في ربض الجنة فقد علمت ان ترك الكذب وترك المراء مبطلا أفرض وأوجب فينبغي ان يكونا أفضل ولكن المعنى فيه ان الكذب والمراء بالباطل يتركه المسلمون فأما المراء والعبد محق صادق ثم لا يماري زهدا في التظاهر ورغبة في الصمت والسلامة فلا يصبر على هذا الا الموقنون وهم خصوص المؤمنين فمقامه من اليقين والزهد وايثار الخمول والصمت على الكلام والشهوة فيه أفضل وهو من اليقين فصار هذا المؤمن بمقامه أفضل من عموم المؤمنين الذين يتركون الكذب والمماراة وان كانا أفرض وأوجب فهذا بيان ذلك ومعناه ومن الصبر اخفاء أعمال البر ومنع النفس الفكاهة والتمتع بذكرها واخفاء المعروف والصدقات فان كتمه من الادب مع السلامة في الاعلان وبه الساحة في الاخبار ولكن اخفاؤه أفضل وأزكى وأحب الى الله تعالى بل هي من كنوز البر أعني هذه الثلاثة اخفاء الاوجاع والمصائب والصدقة أي من الذخائر النفيسة عند الله تبارك وتعالى ومن الصبر صون الفقر واخفاؤه والصبر على بلاء الله تعالى في طوارق الفاقات وهذا حال الزاهدين الراضين وأفضل الصبر الصبر على الله تعالى بالمجالسة له والاستماع اليه وعكوف الهم عليه وقوة الوجد به وهذا لخصوص المقربين أو حياء منه أو حبا له أو تسليما أو تفويضا اليه وهو السكون تحت جريان الاقدار وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الاقسام في شهود المشيئة له والحكمة فيها والقصد بالابتلاء بها وهو داخل في قوله تعالى ولربك فاصبر وفي قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وغيره من الائمة أصبحت ومالي سرور الا في مواضع القدر وروي أيضا الا انتظار القضاء ويقال من علامة اليقين تسليم القضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين وقال سهل في تأويل قول علي رضي الله عنه ان الله تعالى يحب كل عبد نومة قال هو الساكن تحت جريان الاحكام يعني من غير كراهة ولا اعتراض وأما اشتراط الصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى في قول النبي صلى الله عليه وسلم انما الصبر عند الصدمة الاولى فلانه يقال ان كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر فاشترط لعظم الثواب لها عند أول كبرها قبل صغرها وهي في صدمة القلب أول ما يبغته الشيء فينظر الى نظر الله تعالى فيستحي فيحسن الصبر كما قال فانك بأعيننا وهذا مقام المتوكلين على الله تعالى والصبر أيضا عن اظهار الكرامات وعن الاخبار بكشف القدرة والآيات داخل في حسن الادب من المعاملات وهو من معنى الحياء من الله تعالى وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد ومن فضائل الصبر حبس النفس عن حب المدح والحمد

والرياسة

---

الا بنسوة معلقات بثديهن فسمعتهن يضججن الى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء النساء قال هؤلاء الزانيات من أمتك قال ثم مضيت هنية فاذا انا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون وذكر الحديث وقال بعض الصالحين مات لي أخ في الله فرأيته في النوم فقلت له يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لي لان أقدر أن أقولها يعني الحمد لله رب العالمين أحب الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنون فان فلانا جاء فصلى ركعتين لان أقدر ان أصليهما أحب الي من الدنيا وما فيها وروي ان بعض النباشين نبش ذات ليلة قبرا فلما كشف عن الميت اذا بنار تحرق الميت فاهوت اليه منها شرارة فهرب وتاب الى الله تعالى وقيل رؤي الاوزاعي في المنام فقال ما رأيت ههنا درجة ارفع من درجة العلماء ثم المحزونين وعن منصور بن اسمعيل قال رأيت عبد الله البزازي في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وغفر لي كل ذنب أقررت به الا واحدا فاني استحييت ان أقر به فوقفني في

والرياضة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا مقطوعا الصبر فى ثلاث الصبر عن تزكية النفس والصبر عن شكوى المصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى على خيره وشره ومن الصبر حبس النفس عن الحول والتواضع والذلة ايثارا للآخرة على الدنيا وهربا الى الله تعالى وتحققا بوصف العبودية وترك المنازعة والتشبه بمعانى أوصاف الربوبية تسليما للالهية واستسلاما للأحدية فلا يخرج جلة قلة الصبر عن ذلك الى الطلب بشئ منه فتزل قدم بعد ثبوتها نعوذ بالله من ذلك ومن الصبر صبر على العيال فى الكسب لهم والانفاق عليهم والاحتمال للاذى منهم فان فى العيال طرقات الى الله تعالى أدناها الاهتمام بهم وأعلاها الرضا عن الله تعالى والتوكل عليه فيهم وأوسطها الانفاق وحبس النفس عليهم واعلم ان أكثر معاصى العباد فى شيئين قلة الصبر عما يحبون أو قلة الصبر على ما يكرهون وقد قرن الله تعالى الكراهة بالخير والمحبة بالشر فى قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وحد الصبر وهو أوله فريضة بمثل أول الاخلاص والصبر أيضا حيلة من لا حيلة له لان الامر اذا كان بيد غيرك لم يكن الا الصبر عليه ولان الشئ اذا كان لا يأتيك الا قليلا قليلا وأنت محتاج اليه لم يكن الا الصبر عليه والا انقطع ذلك القليل وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبر له لانه لو قوى يقينه كان الاجل من الوعد عاجلا اذا كان الواعد صادقا فيحسن صبره لقوة الثقة بالعطاء ولا يصبر العبد الا بأحد معنيين مشاهدة العوض وهو أدناهما وهذا حال المؤمنين ومقام أصحاب اليمين أو النظر الى المعوض وهو حال الموقنين ومقام المقربين فمن شهد العوض غنى بالصبر ومن نظر الى المعوض حمله النظر وقد جعل بعض العارفين الصبر على ثلاث معان وانه لى أهل مقامات ثلاث فقال أوله ترك الشكوى قال وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصادقين وقد نوع القدماء من السلف الصبر على ثلاثة أنواع وروينا عن الحسن وغيره الصبر على ثلاثة معان صبر عن المعصية وهو أفضلها وصبر على الطاعة وصبر فى المصائب وهذا داخل فى جمل ما فرقناه من معانى الصبر ومجمل ذلك ان الصبر فرض وفضل يعرف ذلك بمعرفة الاحكام فما كان أمرا وايجابا فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان حثا وندبا فالصبر عليه أو عنه فضل والتصبر غير الصبر وهو مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترغيبها فيه وهو التعمل للصبر والتصنع للصبور بمنزلة التزهد وهو أن يعمل فى أسباب الزهد ليحصل الزهد والصبر هو التحقق بالوصف وذلك هو المقام ولا يخرج العبد من الصبر كراهة النفس ولا وجدان المرارة والالم بل يكون مع ذلك صابرا لان هذا وصف البشرية لما ينافى طبعها ولكن يكون حاله الكظم عن الشكوى ونفى السخط لحكم المولى لان عدم ذلك وفقده هو الرضا وحقيقة التوكل وهذا من أعلى مقامات اليقين وهذه مراتب اليقين لا يخرج عن حد الصبر والذى يخرج من حد الصبر منه هو الجزع ومجاوزة الحد من العلم واظهار السخط وكثرة الشكوى وظهور الغم والتبرم ومن رياضة النفس على التصبر وهو مقام المتصبرين وحال الضعفاء المريدين ان النفس الامارة اذا جمحت بك الى فضول الشهوات أو نازعتك الى مطالبة متقدم العادات أن تمنعها حاجتها من كل شئ يشغلها مع الحاجة ووجود الفاقة مما لا بد منه عن طلب فضول الشهوات فاذا رضتها بالمنع ومنعتها محبوبها بالتصبر عن الحلال انقادت لك بالصبر عن فضول الشهوات فتكون تاركة لشهوة بعوض عاجل من مباح وتكون صابرة عن فضول شهوة لما منعتها من نال الفاقة وتاركة للهوى طمعا فى زوال الحاجة من الغذاء وهذا من أكبر أبواب الرياضات للنفوس الطامحات وفيه فضل الاقوياء من المتصبرين الذين لم تستجب لهم نفوسهم بالصبر والصلاة ولم تتقد ما الجوع والظمأ فأما الضعفاء من أهل الطبقة الثالثة لا من الاولين اهل الصوم والصلاة ولا من هؤلاء فانهم لا يصبرون على تصبر النفس عن الحاجة كما لا تصبر نفوسهم عن الشهوة فرياضة هؤلاء لنفوسهم ان يقطعوها من كل حرام معنا من الحلال ومن كل شهوة مهلكة ويصفها من شهوة مقتصدة لتسكن نفوسهم

العرق حتى سقط على وجهى فقلت وما كان ذلك فقال نظرت الى شخص جميل فاستحييت ان أذكره وروى عن هشام بن حسان انه قال مات لى ابن حدث فرأيته فى النوم فاذا شيب فى رأسه فقلت يابنى ما هذا الشيب قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق أحد منا الا شاب وروى ان بعض الصالحين قال كان لى ابن استشهد فلم أره فى المنام الى ليلة توفى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فتراءى لى تلك الليلة فقلت يابنى ألم تك ميتا فقال لا ولكنى استشهدت وأنا حى عند الله تعالى أرزق فقلت ما جاء بك فقال نودى فى أهل السموات ان لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد الا وحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلاة ثم جئتكم لاسلم عليكم فتفكر يا أخى فى هذه العقوبات فانها من بعض عذاب القبر وتزود لنفسك يا أخى بالتقوى ومن عرف ما بين يديه لم يؤثر الهوى ومن تفكر فى رحيل من كان لديه صار الهوض مستقيما عليه كم من معمر ونشابه وعدة حاله اختطفه الموت من خلاله كم من مائل الى جمع ماله ترك تركه ومر باثقاله هل رحم الموت مريضا لضعف أوصاله هل ترك

بذلك في حبسها عن المحرمات وتنقطع شهوتها عما وراء الثمن الموبقات فهذا تطمئن نفوس الضعفاء وقد اختلف الناس في الصبر والشكر أيهما أفضل وليس يمكن الترجيح بين مقامين لان في كل مقام طبقة متفاوتين والمحققون من أهل المعرفة يقولون انه لا يجتمع عبدان في مقام بالسواء بل لا بد من ان يكون أحدهما أعلى بعلم أو عمل أو وجد أو مشاهدة وان كان الصواب والقصد والاصل واحدا وأعلى التفاوت مشاهدات الوجوه قد قال الله تعالى ومن أصدق من الله حديثا ولكل وجهة هو موليها وقال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا قيل أقصد وأقرب طريقا وظاهر الكتاب والسنة يدلان على تفضيل الصبر لقوله تعالى يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فالشاكر يؤتى أجره مرة فأشبه مقام الصبر مقام الخوف وأشبه مقام الشكر مقام الرجاء وقد قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقد اتفق أهل المعرفة على تفضيل الخوف على الرجاء من حيث اتفقوا على فضل العلم على العمل فالصبر حال من مقام الخوف فقرب حال الصابر في الفضل من مقامه والشكر حال من مقام الرجاء كذلك يقرب بحال الشاكر من مقامه ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم في الخبر الذي ذكرناه من قبل من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته وذكر الحديث المتقدم فقرن الصبر باليقين الذي لا شيء أعز منه ولا أجل وارتفاع الاعمال وعلو اليقين به وفي مناجات أيوب عليه السلام ان الله سبحانه وتعالى أوحى اليه يا أيوب اني آليت على نفسي لا تشرت الصابرين دواوين ولا نظروا الى حد الصراط ولا رأوا هم نقص الميزان دارهم دار السلام * بيان آخر من تفضيل الصبر الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لانه على النفس أشق لقول الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فالشاكر يوفى أجره بحساب لان انما لتحقيق الوصف ونفي ما عداه * بيان آخر من فضل الصبر فقد رفع علي كرم الله وجهه الصبر على أربع مقامات اليقين وجعله دعائمه التي بها يستبين وجعله فيه فوقها فقال في حديثه العلو بل الذي وصف فيه شعب الايمان والصبر على أربع دعائم على الشوق والشفقة والزهد والترقب فمن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ومن ارتقب الموت سارع الى الخيرات فجعل هذه المقامات أركان الصبر لانها توجد عنه وتحتاج اليه في جميعها وجعل الزهد أحد أركانه وقد جعل الله تعالى الصبر حال التقوى ورفع للمتقين في الاكرام درجات فقال عز وعلا انه من يتق ويصبر وقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فالاكرم والاتقى فوق أن يقال أكرمكم المتقون لان الاكرم والاتقى يدل على تفاوت فمن كان أتقى كان أكرم عند الله سبحانه وتعالى ومن كان أصبر على ما يوجب التقوى كان أتقى واعلم أن الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار لانه جاء في الخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فيحتاج المؤمن الى صبر على المكاره ليدخل الجنة ويحتاج الى صبر عن الشهوات لينجو من النار فأما تفصيل التفضيل فعلى ثلاثة أوجه أحدها ان المقامات أعلى من الاحوال وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد يكونان مقامين فمن كان مقامه الصبر كان حاله الشكر عليه فهو أفضل لانه صاحب مقام ومن كان مقامه الشكر كان حاله الصبر عليه فحاله مزيد لمقامه فقد صار الصبر مزيدا للشاكر في مقامه الوجه الثاني من التفضيل المقربون أعلى من أصحاب اليمين فالصابرون من المقربين أفضل من الشاكرين من أصحاب اليمين والشاكرون من المقربين أفضل من الصابرين من أصحاب اليمين فان قيل فان كان الشاكر والصابر من المقربين فايهما أفضل قيل فقد قلنا ان اثنين لا يتفقان في مقام من كل وجه لانفراد الوجه بمعاني لطائف اللطيف بمثل ما انفردت الوجوه بلطيف الصنعة مع تشابه الصفات واستواء الادوات فأفضلهما حينئذ أعرفهما لانه أحبهما الى الله تعالى وأقربهما منه وأحسنهما به ظنا لان اليقين أعز ما أنزل الله تعالى وجه آخر من بيان التفضيل نقول ان الصبر عما يوجب الشكر أفضل وان الشكر على ما يوجب الصبر أفضل فقد يختلف باختلاف الاحوال تفسيره ان الصبر عن حظ



شعر
لقد أخبرتك الحادثات نزولها
ونادتك الا ان سمعك ذو وقر
تنوح وتبكي للاحبة ان مضوا
ونفسك لا تبكي وأنت على الاثر

اللهم ارحمنا ولا تعذبنا وانصرنا ولا تخذلنا وعافنا ولا تهنا واكرمنا ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا انك على كل شيء قدير

*(فصل)* في أشراط الساعة قال الله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون م عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماذا تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ويروى نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر ا عن عبد الله ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في أمتي فيمكث

النفس وعن التنعم والترفه أفضل ان كان عبدا لله النعمة فالصبر عن النعم والغنى مقام فى المعرفة وهو
أفضل لان فيه الزهد المجمع على تفضيله وتقول ان الشكر على الفقر والبلاء والمصائب أفضل ان كان عبدا لله
الجهد والبلاء فالشكر عليه مقام له فى المعرفة فهو حينئذ أفضل لان فيه الرضا المتفق على فضله * نوع آخر من
الاستدلال على فضل الصابر وتفضيل الصبر جملة الصابر العارف أفضل من الشاكر العارف لان الصبر حال
الفقر والشكر حال الغنى فمن فضل الشكر على الصبر فى المعنى فكأنه قد فضل الغنى على الفقر وليس هذا
مذهب أحد من القدماء انما هذه طريقة علماء الدنيا طرقوا لنفوسهم بذلك وطرقوا الخلق اليه فوسهم من
ذلك فان من فضل الغنى على الفقر فقد فضل الرغبة على الزهد والعز على الذل والكبر على التواضع وفى هذا
تفضيل الراغبين والاغنياء على الزاهدين والفقراء ويخرج ذلك الى تفضيل أبناء الدنيا على أبناء الآخرة
وانما فضلنا الصبر على الشكر فى الجملة والمعنى لان الصبر حال من مقامات البلاء وأهل البلاء هم الامثل فالامثل
بالانبياء ولان الصبر أبعد من أهواء النفوس وأقرب الى الضر والبؤس وأشد فى مكاره النفوس وأنفر
لطباعها وأشد مباينة لملاءمتها فاذا سكنت معه ووجد عندها كان أعز لوصفها وأعجب فى طمأنينتها
فمدحت بالسكون والطمأنينة وكانت راضية مرضية وأيضا فان الله تعالى أمر بالصبر وبالغ فيه بالمصابرة
ووكدهما بالمرابطة فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا قيل فى أحد الوجوه
رابطوا عليهما فهذه ثلاثة أمور فى مكان واحد بمعنى الصبر فهذا يدل على تعظيم الصبر ومحبته تعالى له فمن وجد
منه ذلك كان أشد تعظيما لشعائر الله عز وجل ومن عظم شعائر الله فهو أتقى لله تعالى ومن كان اتقى لله
كان أكرم على الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ثم قال الله تعالى ان أكرمكم
عند الله أتقاكم والصبر أيضا مقام أولى العزم من الرسل الذين أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالقدوة بهم
وباهى الله تعالى بهم عبده فقال تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وأيضا فان العزائم فى الدين أولى
من الرخص روينا عن سفيان الثورى رضى الله عنه عن حبيب بن أبى ثابت قال سئل مسلم البطين
ايهما أفضل الصبر أم الشكر فقال الصبر والشكر والعافية أحب الينا وقد قيل فى معنى قوله تعالى الذين
يستمعون القول فيتبعون أحسنه قيل شدائده وعزائمه لان استحلال الدنيا حسن والزهد فيه أحسن وقد
جعل الله تعالى الصبر من العزائم فى قوله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقد شرك الله تعالى
عباده فى الشكر وأفرد عز وجل لنفسه تعالى الصبر فينبغى ان يكون المفرد للمفرد أعلى من المشترك
بالعبد فقال تعالى أن اشكر لى ولوالديك وقال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم
يشكر الله عز وجل ولم يشرك فى الصبر من خلقه أحدا فقال تعالى ولربك فاصبر وقال واصبر لحكم ربك واعلم
ان الشكر داخل فى الصبر والصبر جامع للشكر لان من صبر ان لا يعصى الله بنعمه فقد شكرها ومن أطاع
الله فصبر نفسه على طاعته فقد شكر نعمته وقد سئل الجنيد رحمه الله عن غنى شاكر وفقير صابر أيهما أفضل
فقال ليس مدح الغنى الوجود ولا مدح الفقير العدم انما المدح فى الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط
الغنى يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تؤلم صفته وتقبضها
وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشروط ما عليهما كان الذى آلم صفته وأزعجها أتم حالا ممن متع
صفته ونعمها هذا نقل كلام الجنيد رحمه الله تعالى وكان أبو العباس بن عطاء قد خالفه فى ذلك فقال ان
الجنيد دعا عليه فلحقه ما أصابه من البلاء منه قتل أولاده واتلاف ماله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان
يقول دعوة الجنيد اصابتنى ورجع عن قوله فى تفضيل الغنى على الفقر فصار يفضل الفقر ويشرفه وأيضا
فقد روينا فى الخبر أعرفكم بنفسه أعرفكم بما ابتلاه به منها وما ابتلاها به منه فاعظم ما ابتلانا به محبتنا لها
وابتلاها بعداوتنا فمن أفضل ممن صبر على مجاهدة عدوه على انه مع ذلك عدو الله تعالى منازع لصفات الربوبية
ومن أشد بلاء ممن ابتلى بعداوتك وابتليت بمحبته وأنت فى ذلك تترك محبته لمحبة الله تعالى وتصبر على عداوته

أربعين لا أدرى أربعين
يوما أو أربعين شهرا أو
أربعين عاما فيبعث الله
عيسى بن مريم عليه
السلام كأنه عروة بن
مسعود فيطلبه فيهلكه ثم
يمكث الناس سبع سنين
ليس بين اثنين عداوة ثم
يرسل الله عز وجل ريحا
باردة من قبل الشام فلا
يبقى على وجه الارض أحد
فى قلبه مثقال ذرة من خير
أو ايمان الا قبضته حتى لو
أن أحدكم دخل فى كبد
جبل لدخلته عليه حتى
تقبضه فيبقى شرار الناس
فى خفة الطير وأحلام
السباع لا يعرفون معروفا
ولا ينكرون منكرا
فيتمثل لهم الشيطان
فيقول ألا تستجيبون فيقولون
فماذا تأمرنا فيأمرهم
بعبادة الاوثان وهم فى
ذلك دار رزقهم حسن
عيشهم ثم ينفخ فى الصور
فلا يسمعه أحد الا أصغى
ليتا ورفع ليتا قال فأول
من يسمعه رجل يلوط
حوض ابله قال فيصعق
الناس ثم يرسل الله أو قال
ينزل الله مطرا كأنه الطل
فتنبت منه أجساد الناس
ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم
قيام ينظرون ثم يقال
يا أيها الناس هلموا الى
ربكم وقفوهم انهم مسئولون
ثم يقال أخرجوا بعث
النار فيقال من كم فيقال
من كل ألف تسعمائة
وتسعة وتسعين قال فذلك

بدولم مجاهدته لمرضاة الله تعالى فهذا أعدل العدل وأفضل الفضل ولا سبيل الى ذلك الا بفضل أرحم الله تعالى وحسن عناية وجود ودوام نظره اذ لا توفيق ولا قوة ولا صبر الا به سبحانه وتعالى فاما المسئلة التى سئل عنها بعض القدماء عن عبدين ابتلى أحدهما فصبر وانعم على الآخر فشكر فقال كلاهما سواء قال لان الله تعالى اثنى على عبدين أحدهما صابر والآخر شاكر ثناء واحدا فقال تعالى فى وصف أيوب عليه السلام نعم العبد انه أواب وقال فى وصف سليمان عليه السلام نعم العبد انه أواب ففى قول هذا رحمه الله غفلة عن لطائف الافهام وذهاب عن حقيقة تدبر الكلام اذ عندنا بين ثناء الله عز وجل على أيوب فى الفضل على ثنائه على سليمان عليهما السلام ثلاثة عشر معنى وشركه سليمان عليه السلام بعد ذلك فى وصفين آخرين وافراد أيوب عليه السلام بفضل ثنائه ثلاثة عشر معنى أولها ان قوله عز وجل فى أول مدحه واذكر فهذه كلمة مباهاة باهى بأيوب عند رسوله المصطفى عليه السلام وشرفه وفضله بقوله تعالى واذكر يا محمد فأمره بذكره والاقتداء به كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل قيل هم أهل الشدائد والبلاء منهم أيوب عليه السلام فرضوا بالمقادير بشر وبالمناشير وكانوا سبعين نبيا وقيل هم ابراهيم واسحق ويعقوب وهؤلاء آباء الانبياء وأفاضلهم لقوله تعالى واذكر فى الكتاب ابراهيم ولقوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى والابصار يعنى أصحاب القوة والتمكن وأهل البصائر واليقين ثم رفع أيوب الى مقامهم فضمه اليهم وجعله سلوته صلى الله عليه وسلم ثم ذكره بالعبودية ثم قال تعالى عبدنا فأضافه اليه عز وجل اضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه وبينه لام الملك فيقول عبدا لنا فألحقه بنظرائه من أهل البلاء فى قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وهم أهل الابتلاء الذين باهى بهم الانبياء وجعل من ذرياتهم الاصفياء فأضاف أيوب اليهم فى حسن الثناء وفى لفظ التذكرة به فى الثناء ثم قال اذ نادى ربه فافرده بنفسه لنفسه وانفرد له فى الخطاب ووصفه وقال مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فوصفه بمواجهة التملق له ولطيف المناجاة واظهار له وصفه الرحمة فاستراح اليه بنداءه فشكا اليه واستغاث به فاشبه مقامه مقام موسى ويونس عليهما السلام فى قولهما سبحانك تبت اليك وفى قول الآخر لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وهذا خطاب المشاهدة ونظر المواجهة ثم وصفه بالاستجابة له وأهله لكشف الضر عنه وجعل كلامه سببا لتنفيذ قدرته ومكانا لمجارى حكمته ومفتاحا للفتح اجابته ثم قال بعد ذلك كله ووهبنا له أهله فزاد على سليمان فى الوصف اذ كان بين من وهب لاهله وبين من وهب له أهله فضل فى المدح لانه قال فى وصف سليمان ووهبنا لداود سليمان فاشبه فضل أيوب فى ذلك على سليمان كفضل موسى على هرون لانه قال عز وجل فى مدح موسى عليه السلام وتفضيله على هرون ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وكذلك قال فى مدح داود ووهبنا لداود سليمان فوهب لموسى أخاه كما وهب لداود ابنه وأشبه مقام أيوب فى المباهاة والتذكرة به مقام داود عليه السلام لانه قال تعالى فى وصف داود لنبيه عليه السلام فاصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وكذلك قال تعالى فى نعت أيوب واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه فقد شبه أيوب بداود وموسى عليهما السلام فى المعنى ورفعه اليهما فى المقام وهما فى نفوسنا أفضل من سليمان عليهم السلام فاشبه أن يكون حال أيوب أعلى من حال سليمان وعلم الله تعالى المقدم ولكن هكذا ألقى فى قلوبنا والله أعلم ثم قال تعالى بعد ذلك كله رحمة منا فذكر نفسه ووصف عبده تشريفا له وتعظيما ثم قال عز وجل وذكرى لاولى الالباب فجعله اماما للعقلاء وقدوة لاهل الصبر والبلاء وتذكرة وسلوة من الكروب للاصفياء ثم قال تعالى انا وجدناه صابرا فذكر نفسه سبحانه وتعالى ذكرا ثانيا لعبده ووصل اسمه باسمه حباله وقربا منه لان النون والالف فى وجدنا اسمه تبارك وتعالى والهاء اسم عبده أيوب صلى الله عليه وسلم ثم قال صابرا فوصفه بالصبر فاظهر مكانه فى القوة وخلفه بخلقه ثم قال تعالى فى آخر أوصافه نعم العبد انه أواب فهذان أول وصف سليمان وآخره ههنا شركه فى الثناء وزاد أيوب بما تقدم من المدح والوصف الذى لا يقوم

يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق يا أخى أشفق من هذا اليوم العظيم وأخلص النية فان الخطر عظيم وبادر بالعمل فان الاجل قريب وجوده فان الناقد بصير وأكثر الزاد فان الطريق سحيق وأوثق السفينة فان البحر عميق كما ينادى بالمحسن ليجازى باحسانه فكذلك ينادى بالمسيء ليؤخذ بعصيانه فيقال أين من أدبر وتولى أين من تمرد وعصى أين من تجبر وعلا أين من أذنب وطغى أين من ضل وغوى أين أصحاب الفجور أين أهل الخمور أين من أكل الربا أين من جاهر بالفسق والزنا أين من خان واعتدى ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى كان ابليس كالبلدة العامرة فوقعت فيها صاعقة الطرد فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا انما طرد ابليس لانه لم يسجد لكم فالعجب كيف صالحتموه وهجرتمونا شعر

طويل العمر فى الدنيا قصير
وغاية كل ما يفنى يسير
وما أحد من الايام يبقى
وكل سلامة فيها غرور
بعثنا المسير الى المنايا
فحال بنا بسرعتها نطير
وأحسن حالة الانسان فيها
كفاف العيش والعمل الكثير

الهى بحرمة فقرنا اليك وغناك عنا لا تطردنا عن

له شئ فمن قوله عز وجل واذكر عبدنا أيوب الى قوله نعم العبد انه أوّاب عظيم من الفرقان عند أهل الفهم والتبيان وجعل فى أوّل وصف سليمان انه وهبه لابيه داود عليهما السلام فصار حسنة من حسنات داود عليه السلام واشتمل قوله تعالى نعم العبد انه أوّاب على أوّل وصفه وأوسطه وهو آخر وصف أيوب عليه السلام وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام وقد روينا فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفى لفظ آخر يدخل سليمان بن داود الجنة بعد الانبياء بأربعين خريفا وقد جاء فى الآثار ان أوّل من يدخل الجنة أهل البلاء امامهم أيوب وهو امام أهل البلاء وان أبواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد وأوّل من يدخله أهل البلاء فقد زاد أيوب على سليمان عليهما السلام بعموم هذه الاخبار لانه سيد أهل البلاء وتذكرة وعبرة لاولى النهى وامام أهل الصبر والضر والابتلاء ولم نقصد بما ذكرناه التفضيل بين الانبياء لانا قد نهينا عن ذلك فيما روينا عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوا بين الانبياء ولكن الله تعالى قد أخبرنا أن بعضهم مفضل على بعض فى قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وانما أظهرناه فضل الشاهد المستودع فى الكتاب فاستنبطناه باطن الوصف المكرر فى الخطاب فى قصة أيوب على قصة سليمان عليهما السلام بما ظهر لنا من فهم فصل الخطاب وتدبر معانى الكلام وعلم الله تعالى المقدم وهو عز وجل أعلم وأحكم وقد ندبنا الى الاستنباط فى قول الرسول عليه السلام اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه ولان فى ذلك عز الاهل الصبر والبلاء وتقوية لقلوبهم وتعريفا لسوابغ نعم الله تعالى عليهم واظهارا لبواطن النعم وتنبيها على لطائف الكلم وتزهيدا فى الدنيا والنفس وترغيبا فى الآخرة والصبر وتفضيلا لطريق أهل البلاء الذين هم الامثل فالامثل بالانبياء فجاء من ذلك تفضيل المبتلى الصابر على بلائه ورضا بحكم مولاه وتسليما للرضا انه على المنعم عليه الشاكر على نعمائه اذ النعم ملائمة الطبع موافقة النفس لا يحتاج معها الى كد النفس بالصبر عليها ولا حملها على المشقة فيها بالرضا بها والبلاء مباين الطبع نافر منه النفس يحتاج الى حمل عليه ومشقة فيه وما كرهته النفس فهو خير وأفضل ولا سبيل اليه الا بسكينة من الله تعالى وتصبر عليه بقوته عز وجل وعناية منه واصبر وما صبرك الا بالله وهذا آخر شرح مقامات الصبر

*(شرح مقام الشكر ووصف الشاكرين)* وهو الثالث من مقامات اليقين قال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فقرن الشكر بالايمان ورفع بوجودهما العذاب وقال تعالى وسنجزى الشاكرين وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وقال ابن مسعود رضى الله عنه الشكر نصف الايمان وقد أمر الله تعالى بالشكر وقرنه بالذكر فى قوله تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون وقد عظم الذكر بقوله ولذكر الله أكبر فصار الشكر أكبر لاقترانه به ورضا الله تعالى بالشكر مجازاة من عباده لفرط كرمه لان قوله تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروا لى خروج من لفظ المجازاة لتحقيق الامر وتعظيم الشكر لان الفاء للشرط والجزاء والكاف المتقدمة للتمثيل فقوله تعالى فاذكرونى متصل بقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى واشكروا لى والمعنى كمثل ما أرسلت فيكم رسولا منكم فاشكروا لى والعرب تكتفى من مثل بالكاف كما تكتفى من سوف بالسين فى قوله تعالى سنؤتيهم وسنستدرجهم وهذا تفضيل للشكر عظيم لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى وقد روينا فى أخبار أيوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه انى رضيت بالشكر مكافأة من أوليائى فى كلام طويل وفى أحد الوجوه من قوله عز وجل لاقعدن لهم صراطك المستقيم قال طريق الشكر فلولا أن الشكر طريق يوصل الى الله تعالى لما عول العدو على قطعه ولولا أن الشاكر حبيب رب العالمين ما نقصه ابليس اللعين فى قوله تعالى ولا تجد أكثرهم شاكرين وكذلك قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وقد قطع الله

يا ملك ولا تبعدنا من جنابك يا أرحم الراحمين

*(فصل)* قال الله سبحانه وتعالى لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوّى بنانه بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر خرج عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال يا عائشة الامر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض قال المحاسبى يحشر الله الامم من الجن والانس عراة أذلاء قد نزع الملك من ملوك أهل الارض ولزمهم الصغار بعد عتوهم والذلة بعد تجبرهم على عباد الله فى أرضه ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكسة رؤسها بعد توحشها من الخلائق وانفرادها ذليلة من هول يوم النشور من غير بلية ولا خطيئة أصابتها حتى وقفت من وراء الخلائق بالذلة والانكسار للملك الجبار

تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فيه واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال تعالى يرزق من يشاء بغير حساب يغفر لمن يشاء وقال عز وجل ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وختم بالمزيد عند الشكر من غير استثناء فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم فالشاكر على مزيد والشكور في نهاية المزيد وهو الذي يكثر شكره على القليل من العطاء ويتكرر منه الشكر والثناء على الشئ الواحد من النعم وهذا خلق من أخلاق الربوبية لانه سماه باسم من أسمائه والمزيد هو الى المنعم يجعله ما شاء فأفضل المزيد حسن اليقين ومشاهدة الاوصاف وأول المزيد شهود النعم انها من المنعم بها من غير حول ولا قوة الا به عز وجل وأوسط المزيد دوام الحال ومتابعة الخدمة والاستعمال وقد يكون المزيد أخلاقا وقد يكون علوما وقد يكون في الآخرة وتثبيتا عند فراق العاجلة وقد جعل الله تعالى الشكر مفتاح كلام أهل الجنة وختام تمنيهم في قوله تعالى الحمد لله صدقنا وعده وقال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فلولا انه أحب الاعمال اليه ما بقاه عليهم لديه وروينا في مناجاة أيوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه في صفة الصابرين دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر الى أزيدهم وهذا غاية الفضل فأول الشكر معرفة النعم انها من المولى وحده لا شريك له فيها ولا ظهير له عليها اذ قد نفى ذلك عن نفسه لانه هو الاول في كل شئ لا شئ معه ولا ظهير له في شئ اذ قد جعل الضر والسراء منه واليه جار بين على عباده فقال تعالى وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير الشرك الخلط والظهير المعين ثم قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير وقال تعالى في جمل النعم بعد اضافتها اليه وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وقال تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فالاسباب مع صحتها والاواسط مع ثبوتها انما هي حكمه واحكامه فظروف العطاء وآثار المعطي لا تؤثر في الحكم بها ولا الجعل لها حكما ولا جعلا يعني لا تحكم ولا تجعل لانها محكومات فكيف تحكم ومجعولات فكيف تجعل لا حاكم الا الله وحده ولا يشرك في حكمه أحدا وهذا الحرف في مقرأ أهل الشام أبلغ وأوكد لانه يخرج على الامر لانهم قرؤه بالتاء وجزم الكاف ولا تشرك في حكمه أحدا فالاسباب أحكام حق والاواسط حكمه فشاهدة المنعم في النعمة وظهور المعطي عند العطاء حتى ترى النعمة منه والعطاء عنه هو شكر القلب لان الشكر عند الشاكرين معرفة القلب ووصفه لا وصف اللسان وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وأمر باقتنائه الشكر واتخاذه مالا في الآخرة عوضا من اقتناء الاموال في الدنيا فقال في حديث ثوبان وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما حين نزل في الكنوز ما نزل سأله عمر أي المال نتخذ فقال ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وروينا في أخبار موسى عليه السلام وداود عليه السلام يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فأوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت أن النعم مني فقد رضيت منك بذلك شكرا وشكر اللسان حسن الثناء على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له واظهار انعامه واكرامه ونشر أياديه واحسانه وأن لا يشكو المالك الى المملوك ولا المعبود الجليل الى العبد الذليل وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد عليه النبي عليه السلام السؤال ثانية كيف أنت فقال بخير فأعاد عليه الثالثة كيف أنت فقال بخير أحمد الله تعالى وأشكره فقال هذا الذي أردت منك يعني اظهار الحمد والشكر والثناء وانما كان السلف يتساءلون عن أحوالهم اذا التقوا ليستخرجوا بذلك حمد الله تعالى وشكره فيكونوا شركاء في ذلك لانهم سبب ذكره لله تعالى فمن علمت انه يشكو مولاه ويتكره عندك قضاءه اذا سألته عن حاله فلا تسأله فتكون أنت سبب شكواه وشريكه في جهله وما أقبح بالعبد أن يشكو المولى



فأقبلت الشياطين بعد تمردها وعتوها خاضعة ذليلة العرض على الديان حتى تكاملت عدة أهل الارض من انسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وانعامها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر فأظلما عليهم ومارت سماء الدنيا من فوقهم فدارت بعظمها فوق رؤسهم وجميع ذلك بعينك وعين أهل الموقف ينظرون الى هوله ثم انشقت بغلظها وهو خمسمائة عام فياهول صوت انشقاقها في سمعهم وتمزقت وتقطرت لهول يوم القيامة من عظيم يوم الطامة ثم ذابت حتى صارت مثل الفضة المذابة كما قال الجبار تبارك وتعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقال يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن أي كالصوف المنفوش وهو أضعف الصوف وهبطت الملائكة من حافاتها الى الارض بالتقديس لربها فتوهم انحدارهم من السماء بعظم أجسامهم وكثرة أخطارهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم من خوف ربهم فتوهم فزعك حينئذ وفزع الخلائق لنزولهم مخافة أن يكونوا قد أمروا بهم فأخذوا مصافهم محدقين بالخلائق منكسي

الذي ليس كمثله شيء والذي بيده ملكوت كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء ومن الشكر أن يشكر الله تعالى على اليسير لانه قليل من الحبيب كثير ولان الله تعالى حكيم فمنعه حكمة وقدرة فاذا عرف وجه الحكمة في المنع مع القدرة على العطاء علم انه منعه ليعطيه فشهد في المنع عطاء واليسير منه كثيرا ويعلم أن الذل والصبر عند المنع عز وشرف وهو أفضل وأنفس عند العلماء من التعزز بالعبيد والتشرف بهم وان الطمع والتذلل اليهم والاستشراف الى عبد مملوك مثله تذلل لذليل وحسن الذل للعزيز كحسن الذل للحبيب وقبح الذل الذليل كقبح الذل للعدو وقد قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى في معناه ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم والعبادة هي الخدمة والطاعة تبذل ولا يحسن بالعبد المقبل أن يظهر فقره وفاقته الى غير مولاه الذي يلي تدبيره ويتولاه لانه عليم خبير بحاله يسمعه ويراه فهو أعلم بما يصلح منه وقد قال الله تعالى في معناه ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى الموقن أن يشكر في القبض والمنع كما يشكر في العطاء والبسط ثم يشهد الشاكر بقلبه شهادة يقين ويعلم ان وصفه وصف العبودية وحكمه أحكام العبيد محكوم عليه بأحكام الربوبية وانه لا يستحق على الله شيأ وان الله عز وجل يستحق عليه كل شيء لان العبد خلقه وصنعته والرب صانعه ومالكه فاذا شهد العبد هذه الشهادة رأى لله عز وجل عليه كل شيء فرضي منه بأدنى شيء ولم ير له على الله تعالى شيأ فلم يقنع لله تعالى منه بشيء ولم يطالب مولاه بشيء فكثرة الذكر وحسن الثناء وجميل النشر للنعماء وتعديد النعم والآلاء هو شكر اللسان لان معنى الشكر في اللغة هو الكشف والاظهار يقال كشر وشكر بمعنى اذا كشف عن ثغره فأظهره فيكون اظهار الشكر وكشفه باللسان ما ذكرناه كما جاء في الخبر ليس شيء من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد وفي الحديث من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة ليس ان الحمد أعلى من التوحيد ولكن لفضل مقام الشاكر ولان الله تعالى افتتح به كلامه في كتابه وفي الخبر الحمد رداء الرحمن عز وجل وفي الخبر أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين ويكون أيضا ظهور الشكر وغلبته في القلب شكر القلب ويكون شكر الله تعالى لعبده كشفه له ما ستره عنه واظهاره له ما حجبه عنه من العلوم والقدر وهو المزيد فيفيده ذلك حسن معرفته به سبحانه وتعالى وعلو مشاهدته منه وكله يرجع الى معنى الكشف والاظهار وأما شكر الجوارح للمنعم المفضل سبحانه وتعالى فهو أن لا يعصيه بنعمة من نعمه وانه يستعين بنعمه على طاعته ولا يستعين بها على معاصيه فيكون قد كفرها كما قال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قيل استعانوا بنعمه على معاصيه فالخلق لا يقدرون على تبديل نعمة الله عز وجل ولكن معناه بدلوا شكر نعمة الله كفرا وهذا من المضمر ومعناه لظهور دليله عليه لانه أمرهم بالطاعة بالنعم نفسها فعصوه بها فكان ذلك تبديلهم لما أمروا ومثله قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون المعنى شكر رزقكم تجعلونه تكذيبكم برسل الله تعالى وهذا من المحذوف أيضا وهي في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم مظهرة مفسرة روينا عنه عليه السلام انه قرأ وتجعلون شكركم فهذا ظاهر وبمعناه ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب أي يعاقب من كفر بالنعمة فضيع شكرها بمعصيته بها يعاقبه بزوالها وكذلك قوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قيل ان كفرتم النعمة فقد يكون العذاب في الدنيا تبديل النعم عقوبات وتغييرها هوانا ومذلات وقد يكون العذاب مؤجلا كقوله تعالى ان عذابها كان غراما قال طالبهم على النعم بالشكر فلم يكن عندهم فأغرمهم ثمن النعمة فحبسهم في جهنم وقد قال الله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه ففيه تنبيه لذوي الالباب الذين وصل لهم القول ليتذكروا أن يذروا ظاهر الاثم شكر الظاهر النعم ويذروا باطن الاثم شكر الباطن النعم وظاهر النعم عوافي الاجساد ووجود الكفايات من الاموال وظاهر الاثم أعمال الجوارح من معاني حظوظ النفس وباطن النعم معافاة القلوب وسلامة العقود وباطن الاثم

رؤسهم لعظيم هول يومهم قد نصر بلوا أجنحتهم ونكسوا رؤسهم بالذلة والخضوع لربهم وكذلك ملائكة كل سماء الى السابعة قد أضعف أهل كل سماء على أهل السماء الذين قبلهم في العدة وعظم الاجساد والاصوات حتى اذا وافى الموقف أهل السموات السبع والارضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين ثم أدنيت من الخلائق قاب قوس أو قوسين فلا ظل ذلك اليوم الا ظل عرش الرحمن فمن بين مستظل بظل العرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته واشتد فيها كربه وأقلقته وقد ازدحمت الامم وتضايقت ودفع بعضها بعضا واختلفت الاقدام وانقطعت الاعناق من العطش قد اجتمع عليهم في مقامهم حر الشمس مع وهج أنفاسهم وتزاحم أجسامهم ففاض العرق منهم على وجه الارض على أقدامهم على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربهم من السعادة والشقاوة فمنهم من يبلغ العرق الى كعبيه ومنهم من يبلغ الى ركبتيه ومنهم من يبلغ الى حقويه ومنهم من يبلغ الى شحمة أذنيه ومنهم من قد ألجمه العرق وكاد أن يغيب فيه قال في الاحياء فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي

أعمال القلوب السيئة مثل الاصرار وسوء الظن ونيات السوء وقال مطرف بن عبد الله لان أعافى فاشكر أحب الى من أن ابتلى فاصبر لان مقام العوافى أقرب الى السلامة فلذلك اختار حال الشكر على الصبر لان الصبر حال أهل البلاء وقد روينا عن الحسن البصرى معنى ذلك الخبر الذى لا شر فيه العافية مع الشكر والصبر عند المصيبة فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم معنى هذا فى قوله وعافيتك أحب الى وقال لعلى رضى الله عنه حين سمعه يقول فى مرضه اللهم انى أسألك الصبر قال لقد سألت الله تعالى البلاء فسله العافية ومن الشكر الاعمال الصالحة وبالعمل فسر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الشكر للمنعم فقال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عوتب فى اجتهاده وقيامه حتى تورمت قدماه أفلا أكون عبدا شكورا فأخبر أن المجاهدة وحسن المعاملة شكر المستعمل وجزاء المنعم وقد قال بعض العلماء شكر القلب المعرفة بان النعم من المنعم لا غير وشكر العمل كلما وهب الله عز وجل لك عملا أحدث له عملا ثانيا شكرا منك للعمل الاول وعلى هذا يتصل الشكر بدوام المعاملة وأول الشكر عند العارفين أن لا تصيبه بنعمة من نعمه فيجعلها فى طاعة الهوى فأما شكر الشاكرين فهو ان تطيعه بكل نعمة فيجعلها فى سبيل المولى وهذا شكر جملة العبد وحقيقة الشكر التقوى وهو اسم يستوعب جمل العبادة التى أمر الله تعالى بها عباده فى قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ثم عبر عن حقيقة الشكر بتقواه وأخبر سبحانه وتعالى ان التقوى هو الشكر فقال سبحانه وتعالى فاتقوا الله لعلكم تشكرون وفى الشكر مقامان عن مشاهدتين أعلاهما مقام شكور وهو الذى يشكر على المكاره والبلاء والشدائد واللاواء ولا يكون كذلك حتى يشهد ذلك نعما توجب عليه الشكر بصدق يقينه وحقيقة زهده وهذا مقام فى الرضا وحال من المحبة وبهذا الوصف ذكر الله تعالى نبيه نوحا عليه السلام فى قوله تعالى انه كان عبدا شكورا فى التفسير انه كان يشكر الله تعالى على كل حال من خير أو شر أو نفع أو ضر وروينا فى الخبر ينادى مناد يوم القيامة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفى لفظ آخر على السراء والضراء وقد قال بعض العلماء فى قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال ظاهرة العوافى والغنى وباطنة البلوى والفقر فهذه نعم الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة والمقام الثانى من الشكر أن ينظر العبد الى من هو دونه ممن فضل هو عليه فى أمور الدنيا وأحوال الدين فيعظم نعمة الله تعالى عليه بسلامة قلبه ودينه وعافيته مما ابتلى الآخر به ويعظم نعمة الدنيا عليه بما آتاه الله تعالى وكفاه مما أحوج الآخر وألجأه اليه فيشكر على ذلك ثم ينظر الى من هو فوقه فى الدين ممن فضل عليه بعلم الايمان وبحسن يقين فيمقت نفسه ويزرى عليها وينافس فيه بل ما رأى من أحوال من هو فوقه ويرغب فيها فاذا كان كذلك كان من الشاكرين ودخل تحت اسم الممدوحين وقد روينا معنى ذلك فى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر فى الدنيا الى من هو دونه ونظر فى الدين الى من هو فوقه كتبه الله تعالى صابرا شاكرا ومن نظر فى الدنيا الى من هو فوقه ونظر فى الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا وقد شرحنا هذا فى مقام الرضا فكرهنا اعادته ههنا وكل وصف يكون العبد شاكرا به يكون الشكر مقاماله فيه فان كفر النعمة يلزمه بضده لان الكفر ضد الشكر ومن كبائر النعم ثلاث من جهلها أضاع الشكر عليها ومعرفتها شكر العارفين أولها استتار الله تعالى بقدرته وتنزهه عن الابصار ولو ظهر للعباد لكانت معاصيهم كفرا لانهم لم يكونوا ينقصون من المعاصى المكتوبة عليهم جناح بعوضة ولانه تبارك وتعالى كان يظهر بوصف لا يمتنعون معه عن المعاصى وراء هذا سرائر الغيوب لانهم كانوا يكفرون بالمواجهة لانتهاك حرمة المشاهدة وأيضا لما كان لهم فى الايمان به من عظيم الدرجات ما لهم الآن لانهم حينئذ يؤمنون بالشهادة وهم اليوم يؤمنون بالغيب فرفعت لهم



فيقول يارب ارحمنى من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا وانك واحد منهم ولا تدرى الى أين يبلغ بك العرق واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عن المنكر فيستخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم عن الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة فانه يوم عظيم شديد طويل مدته شعر

فلابد من المذنب العاصى اذا لم يتب من قبل ما يأتى الردى
ما الامر سهل فاستعد الى اللقا
واعلم بانك لن تكون مخلدا واذكر وقوفك فى المعاد وأنت فى
ذل العتاب وقد نأى عنك الهدى
وسمعت توبيخ العتاب وأنت فى كرب الحساب وحشت عبدا مفردا
سوفت حتى ضاع عمرك باطلا وأطعت شيطان الغواية والعدا
فانهض وتب مما جنيت وقم الى

الدرجات بحسن اليقين ولذلك مدحهم الله تعالى ووصفهم والنعمة الثانية اخفاء القدر والا بانة عن عموم الخلق لانها من سر الغيب وصلاح العبيد واستقامة الدنيا والدين ولو ظهرت لهم لكانت شططا باهم الصغائر كما هو مع معاينة الآيات ولما ضوعفت لهم على أعمالهم الحسنات كمضاعفتها الآن للايمان بالغيب والنعمة الثالثة تغيب الآجال عنهم اذ لو علموا بها لما كانوا يزدادون ولا ينقصون من أعمالهم الخير والشر ذرة فكان مع علمهم بالاجل أشد مطالبة لهم وأوقع الحجة عليهم فأخفى ذلك عنهم معذرة لهم من حيث لا يعلمون ولطفا بهم وتنظرا لهم من حيث لا يحتسبون ثم بعد ذلك من لطائف النعم شمول ستره لهم فحجب بعضهم من بعض وسترهم عند العلماء والصالحين ولولا ذلك لما نظروا اليهم ثم حجب الصالحين والاولياء عنهم ولو أظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربهم منه لبطل ثواب المحسنين اليهم ولحرم قبول علمهم ولحبطت أعمال المسيئين اليهم ففي حجب ذلك وستره ما عمل العاملون لهم في الخير والشر على الرجاء وحسن الظن بالغيب من وراء حجاب اليقين وتأخرت عقوبات المؤذين لهم عن المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله تعالى وجليل قدرهم ففي ستر هذا تم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة عن المتهتكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله تعالى من أجلهم اذ كانوا أساؤا اليهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم الوهاب سبحانه وتعالى كما جاء في الخبر يقول الله عز وجل من آذى وليا من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر لوليي لا أكل نصرته الى غيري وعن جعفر الصادق رضي الله عنه في معنى هذه النعم التي أوجبنا الشكر في انفهامها قال ان الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحتقروا منها شيأ لعل رضاه فيه وخبأ غضبه في معاصيه فلا تحتقروا منها شيأ لعل غضبه فيه وخبأ ولايته في عباده المؤمنين فلا تحتقروا منهم أحدا لعله ولي لله تعالى ويكون مثل ذلك مثل من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته وان الله تعالى نبأ مقبل ان يخبره انه نبي الله عز وجل ورسوله اليه فلا يكون وزره وزر من انتهك حرمة نبي قد أعلمه انه نبي الله تعالى لعظيم حرمة النبوة وللشاكرين طريقان أحدهما أعلى من الآخر أولهما شكر الراجين وهو حسن المعاملة لما أملوه ورجوه من ظواهر النعم فعملوا رجاء تمامها فكان حالهم المبادرة والمسابقة الى الاعمال الصالحة شكرا لما ابتدأهم به وخصهم دون سائر خلقه وأعلاهما شكر الخائفين وهو خوف سوء الخاتمة والاشفاق من درك الشقاء بحكم السابقة نعوذ بالله تعالى منه فكان خوفهم دليلا على اغتباطهم بموهبة الايمان وكان اغتباطهم يدل على عظيم قدر الاسلام في قلوبهم ونفيس مكانه عندهم فعظمت النعمة به عليهم فعرفتهم بذلك هو شكرهم فصار الخوف والاشفاق طريقا لهم في الشكر للرازق وقد جعل الله تعالى ذلك نعمة وكل نعمة تقتضي شكرا في قوله تبارك وتعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما قال بعض المفسرين أنعم الله عليهما بالخوف وهذا أحد وجهي الكلام ولو لم يشكر العبد مولاه الا انه تبارك وتعالى على هذه الاوصاف والاخلاق التي هي صفاته وأخلاقه من نهاية الكرم والجود الذي لا غاية له ومن غاية التفضل والحلم الذي لا نهاية له فلما كان تبارك وتعالى بهذه الاخلاق المرجوة والصفات الحسنى وجب أن يشكره العبيد لاجله تعالى لا لاجل نعمه وأفعاله وهذا ذكر المحبين اذ لو كان الله تعالى على غير هذه الصفات والاخلاق التي عرفها بها العارفون ولا بد لهم منها اي شيء كان يصنع العباد وأي حيلة كانت لهم فله الحمد كما هو له الشكر كله كما هو مستحقه وأهله بحمده لنفسه ولا ينبغي الا له سبحانه وتعالى كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله اذ كان ولم يزل على ما هو الآن ولا يزال أبدا على ما كان من الاوصاف والنعوت التامات والاسماء الحسنى والامثال العلى ومعرفة هذا هو شكر العارفين ومشاهدته هو مقام المقربين فشكر هؤلاء لله تعالى لاجل الله تعالى ودعاء هؤلاء التمجيد والتقديس وأعمالهم الاجلال والتعظيم لاجل العظيم وسؤالهم تجلي الصفات والنصيب من مشاهد معاني الذات ووصف هذا لا يوصف وشرحه بالمعقول لا يعرف وهذا داخل

باب الكريم ولذبه متلوذا
واذا طردت عن الجناب فقم على
أعتابه بالنوح منك معددا
وادعوه في الاسحار دعوة مذنب
واعزم ولا تك في المتاب مفندا
فلعل رحمته تعم فانها
تسع العباد ومن تجاوز واعتدى
واذا أردت بأن تفوز وتتقي
نار الجحيم وحرها المتوقدا
لذ بالنبي الهاشمي محمد
خير الورى نسبا وأكرم محتدا
صلى عليه الله ما سرت الصبا
وشدى الهزار على الغصون وغردا
اللهم انا نسألك أن تهون علينا سكرات الموت وأهوال القيامة وان تحشرنا في زمرة المتقين وتجيرنا من عذاب السعير

*(فصل)* في طول يوم القيامة قال الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن

فى مشاهدة قوله لمن شهد سر الكلام اذ يقول عز وجل ليس كمثله شئ وعن هذه المشاهدة اغتبط موسى عليه السلام بالربوبية وأنس بالتقريب فانبسط بالتمكين فقال لى ما ليس لك فقال الله تعالى وما هو فقال لى مثلك وليس لك مثل نفسك فقال عز وجل صدقت يعنى لى أنت على هذه الاوصاف التى هى غاية الطالبين ولا مزيد عليها للراغبين وليس لك كأنت اذ ليس كمثلك شئ وأن لا اله الا أنت فمن غامض النعم الشكر على هذه المعانى ما زوى عنك وصرفه من فضول الدنيا فانه أقل الشغل والاهتمام وأيسر الحساب ثم ابتلى به غيرك من الدنيا مما اشتغل به عنه وقطعه دونه ففى صرف الدنيا عنك وابتلاء غيرك بها نعمتان عليهما شكران وكذلك اذا رأيت مبتلى فى دينه بصفات المنافقين أو مبتلى بنفسه بأخلاق المتكبرين أو منهما فيما عليه من أفعال الفاسقين عددت جميع ذلك نعما من الله تعالى عليك اذ لم يجعلك كذلك لانك قد كنت أنت ذاك لولا فضل الله عليك ورحمته فتحسب كل ما وجه الى غيرك من الشر أو صرفه عنك من الخيرات تعده نعما عليك بجمل ما وجهه اليك من الخير وصرف عنك من الشر لان النفوس كنفس واحدة فى الامر بالسوء والمشيئة والقدرة واحدة فقد رحمك بما صرف عنك من السوء فذلك من فضل الله تعالى عليك فمعرفته بذلك شكر منك لله تعالى وأكثر عقوبات الخلق من قلة الشكر على النعم وأصل قلة الشكر الجهل بالنعمة وسبب الجهل بالنعمة قصور العلم بالله تعالى وطول الغفلة عن المنعم وترك التفكر فى نعمه والتذكر لآلائه ومننه سبحانه وتعالى فقد أمر بذلك فى قوله تعالى واذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قيل نعمه وقال المفسرون واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وبمعناه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون يعنى على نعمة الهداية وتوفيق الطاعة فاذا جهل العبد النعمة لم يعرفها واذا لم يعرفها لم يشكر عليها واذا لم يشكر عليها انقطع مزيده ومن انقطع عنه المزيد فهو فى نقصان ما ادعى وأيضا فان من لم يشكر النعم لجهله بها لم يؤمن عليه كفرها فان كفرها أدركه العذاب الشديد للوعيد الا أن تداركه نعمة من ربه وأصول نعم المرافق للاحوات أربعة أولها النطفة التى أخرجت من خزانة الارحام جميع البهائم والانام ثم الحرث الذى أخرج من خزانة الارض جميع الثمر ثم الماء الذى لنا منه شراب ومنه شجر ثم النار التى فيها ضياء ومصالح الاطعمة وبها الاهل البصائر تذكرة وهذه النعم هى التى ذكرها المنعم فى آخر سورة الواقعة وأضافها الى نفسه عز وجل ولم يجعل فيها شريكا معه وفتح للعباد العمال أبوابها ومن أفضل النعم وأجلها نعمة الايمان به سبحانه وتعالى ثم نعمة الرسول ثم نعمة القرآن ثم ان جعلنا من خير أمة أخرجت للناس وقبل ذلك أول نعمة عقلناها ان جعلنا موجودين دون سائر المعدومات ثم جعلنا حيوانا دون سائر الموات ثم جعلنا بشرا دون سائر الحيوان ثم ان جعلنا ذكورا دون الاناث ثم صورنا فى أحسن تقويم ثم عوافى القلوب من الزيغ عن السنة ومن الميل الى دواعى النفس الامارة ثم صحة الاجسام ثم كشف الستر ثم حسن الكفاية العاجلة ثم صنوف ما أظهر من الازواج والاقوات ثم تسخير الصنعة لنا مما بين السماء والارض فهذه أمهات النعم فكلما كثرت هذه المعانى وحسنت كثر الشكر عليها لعظيم النعم بها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكان أبو محمد سهل رحمه الله يقول نخص بمعرفة النعم وبمعرفة عظيم حلم الله تعالى وستره الصديقون وقد قال الله تعالى أصدق القائلين وأحسن الواصفين وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم فتمت النعمة بوصفيه اللذين هو لهما أهل من المغفرة والرحمة ثم قال أيضا فى مثله ان الانسان لظلوم كفار فكان أعظم للنعمة وأوسع فى الكرم والمنة على وصف الانسان اللذين هو أهل لهما من الظلم والكفر فهو سبحانه وتعالى أهل التقوى وأهل المغفرة والعبد أهل لما وصفه به مولاه عز وجل الى ان يعود عليه بقديم ما به تولاه فبنعمته أطاعه العاملون ومن نعمته بارزاهم وبنعمته عصاه الجاهلون ومن نعمته ستر وحلم عنهم ومن النعم اظهار الجميل وستر القبيح فلا ندرى أى النعمتين أعظم جميل ما أظهر أو قبيح ما ستر وقد مدح الله



فى الارض جميعا ثم يحبسه كما روى الطبرانى فى معجمه الكبير عن عبد الله بن عمرو ابن العاص انه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله عز وجل كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر اليكم قال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم وسقوا من عين آنية قد أنى حرها واشتد لفحها عن عبد الله ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم وقال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم وزاد عبد الله حدثنى الليث قال حدثنى أبو جعفر فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم وروى البيهقى فى شعب الايمان عن أسماء بنت يزيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

تعالى بالوصفين معانى الدعاء المأثور يا من أظهر الجميل وستر القبيح ومن النعمة الصحة والفراغ هما أول نعيم الدنيا وأصول أعمال الآخرة وبهما تكون المغابنات كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقال الفضيل بن عياض عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وقد روى في خبر ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقد قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم قيل لا يغير نعمه عليهم حتى يغيروها بتضييع الشكر فيعاقبهم بالتغيير والوجه الآخر لا يغير ما بهم من عقوبة حتى يغيروا معاصيهم بالتوبة فذكر بذلك السبب الاول من حكمه ثم ذكر السبب الثانى من حكمته وهو مسبب الاسباب الحكمة والمشيئة ويقال ان تحت كل شعرة من جسم العبد نعمة و بكل عرق فى جسده نعمتان فى تسكينه وتحريكه وفى كل عظم أربع نعم و بكل مفصل سبع نعم وفى جسم الانسان ثلاثمائة وستون مفصلا ومثل ذلك من العظام وفى كل طرفة نعمتان و بكل نفس نعمتان وفى كل دقيقة تأتى عليه من عمره نعم لا تحصى والدقيقة جزء من اثنى عشر جزأ من شعيرة والشعيرة جزء من اثنى عشر جزأ من ساعة والانفاس أربعة وعشرون ألف نفس فى اليوم والليلة وفى أخبار موسى عليه السلام يارب كيف أشكرك ولك فى كل شعرة من جسدى نعمتان ان لينت أصلها وان طمنت رأسها وقد روى فى الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى عليه الا فى مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه هذا مع سوابغ العوافى والكفايات والوقايات ويقال ان فى باطن الجسم من النعم سبعة أضعاف النعم التى فى ظاهره وان فى القلب من النعم أضعاف ما فى الجسم كله من النعم وان نعم الايمان بالله تعالى والعلم واليقين اضعاف نعم الاجسام والقلوب فهذه كلها نعم مضاعفة على نعم مترادفة لا يحصيها الا من انعم بها ولا يعلمها الا من خلقها ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير سوى نعم المطعم والمشرب والملبس والمنكح من دخول ذلك وخروجه وكثرة تكرره وتراتيبها أدخل مهنأ وأخرج اذى وبأن طيب مدخله و يسر مخرجه و بقى منفعته وما أحاله من صورته وغير من صفته فللتزهيد والمثلة والاعتبار والتذكرة وتلك أيضا نعم قال يقال ان الرغيف لا يستدير حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صنعة من السماء والارض وما بينهما من الاجسام والاعراض والافلاك والرياح والليل والنهار و بنى آدم وصنائعهم والبهائم ومعادن الارض أولها ميكائيل الذى يكيل الماء من الخزائن فيفرغه على السحاب ثم السحاب التى تحمله فيرسله ثم الرياح التى تحمل السحاب والرعد والبرق والملكان اللذان يسوقان السحاب وآخرها الخباز فاذا استدار رغيفا طابت سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع فهذه كلها نعم فى حضور رغيف فكيف بما زاد عليه مما وراءه فعلى العبد بكل نعمة شكران طولب بشكر نعمة واحدة على حقيقتها هلك الا ان تغمده رحمة من ربه فتغمره لتمام النعمة وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى أسألك تمام النعمة فقال هل تدرى ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقيل لبعض الحكماء ما النعيم قال الغنى فانى رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال العافية فانى رأيت السقيم لا عيش له قيل زدنا قال الامن فانى رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فانى رأيت الهرم لا عيش له قيل زدنا قال لا أجد مزيدا و بعض ما ذكره هو أحد الوجوه فى قوله تعالى أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا قيل الشباب وقيل الفراغ وقيل الامن والصحة وفى قوله تعالى وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قيل العوافى والغنى و بعضاء فى قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة قيل ظاهرة العوافى و باطنة البلاوى لانها سبب نعيم الآخرة ومزيدها لقوله تعالى ونقص من الاموال والانفس والثمرات و بشر الصابرين وقد جاء فى الخبر من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وأنشدت فى معناه لبعض أهل القناعة اذا القوت تأتى لك والصحة والامن * وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن

يحشر الناس فى صعيد واحد يوم القيامة فينادى مناد فيقول أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يؤمر بسائر الناس الى الحساب وفى الاحياء وكتاب المؤمنات الصالحات فتفكر يامسكين فى طول ذلك اليوم وشدة أهواله وطول الانتظار حتى يخف عليك الصبر عن الشهوات والمعاصى فى عمرك القصير المحتقر بالنسبة الى ذلك اليوم يوم يغضب فيه الرب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم يؤخذ بالنواصى والاقدام يوم لا تجزى نفس عن نفس شيأ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يوم الحسرة يوم الخزى يوم المحاسبة قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون يوم العدل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم

وأنشد الآخر كن وفلقتنيز وكوز ماء وأمن * ألذ من كل عيش يعوبه سحب وسجن
وحدثونا ان عابدا عبد الله تعالى سبعين عاما فارسل الله تعالى اليه ملكا يبشره بدخول الجنة برحمة الله تعالى فهجس في نفسه بل بعملي فاطلع الله تعالى على ذلك منه فأوحى الى عرق مما كن من عروقه ان تحرك عليه قال فاضطرب لذلك وقلق وانقطعت عبادته وذهبت أعماله شغلا منه بنفسه وقلق بنفسه ثم أوحى الله تعالى الى العرق ان اسكن فسكن فرجع العبد الى عبادته فأوحى الله تعالى اليه انما تممت عبادتك عرق واحد سكن من عروقك فاعترف ورويناه معناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصف آخر ان رجلا عبد الله سبعين عاما قال فيأمر الله عز وجل به الى الجنة برحمته فيقول بلى بعملي فيقول الله عز وجل أدخلوا عبدى الجنة بعمله قال فيمكث في الجنة سبعين عاما فيأمر الله تعالى به أن يخرج ويقال له قد استوفيت ثواب عملك قال فيسقط في يديه ويندم فينظر أقوى شئ كان في نفسه بينه وبين ربه فاذا هو الرجاء وحسن الظن فيقول يارب اتركني في الجنة برحمتك لا بعملي قال فيقول الله عز وجل دعوا عبدى في جنتي برحمتي وحدثث عن رجل شكا الى بعض أهل المدينة فقره وأظهر لذلك غمه فقال له الرجل أيسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف قال لا قال فيسرك انك أخرس ولك عشرة آلاف قال لا قال فيسرك انك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرة آلاف قال لا قال فيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال لا قال أفما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا وهذا كما قال لان في الانسان قيم هذه الاشياء من الجوارح وزيادة من المال لانها ديات جوارح لو قطعت وحدثني بعض الشيوخ في معناه ان بعض القراء المقربين اشتد به الفقر حتى أحزنه وضاق به ذرعا قال فرأى في المنام كأن قائلا يقول له تود أنا أنسيناك سورة الانعام وان لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيم مائة ألف وأنت تشكو الفقر فأصبح وقد سرى عنه همه وهكذا جاء في الخبر تغنوا بالقرآن أى استغنوا به ومن لم يستغن بآيات الله تعالى فلا أغناه الله عز وجل وان القرآن هو الغنى الذى لا فقر معه ولا غنى بعده ومن آتاه الله القرآن فظن ان أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله تعالى وفي لفظ آخر فقد استخف بما أنزل الله عز وجل وفي الخبر من لم يتغن بالقرآن فليس منا وفي الخبر المجمل كفى باليقين غنى والقرآن هو حق اليقين ورويناعن بعض السلف يقول الله عز وجل ان عبدا أغنيته عن ثلاث فقد أتممت عليه نعمتى عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعما في يد أخيه وروينا في مناجاة أيوب عليه السلام ان الله تبارك وتعالى أوحى اليه ما من عبد لى من الآدميين الا ومعه ملكان فاذا شكر على نعمائى قال الملكان اللهم زده نعما على نعم فانك أهل الشكر والحمد فكن من الشاكرين قريبا وزدهم شكرا وزدهم من النعماء وكفى بالشاكرين يا أيوب علو الرتبة عندى وعند ملائكتى فأنا أشكر شكرهم وملائكتى تدعو لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكى عليهم فكن لى يا أيوب شاكرا ولآلائى ذاكرا ولا تذكرنى حتى أذكرك ولا تشكرنى حتى أشكر أعمالك أنا أوفق أوليائى لصالح الاعمال وأشكرهم على ما وفقتهم وأقتضيهم الشكر ورضيت به مكافأة فرضيت بالقليل عن الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل وشر العبيد عندى من لم يشكرنى الا في وقت حاجته ولم يتضرع بين يدى الا في وقت عقوبته وذكر الكلام وقد جعل الله تعالى الشاكرين بوصف الصالحين والمقربين والعالمين وهذه الاوصاف الثلاث من أعالى مقامات الموقنين فقال عز وجل وقليل من عبادى الشكور كما قال الله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وكما قال في وصف المقربين ثلة من الاولين وقليل من الآخرين وكما قال عز وجل ما يعلمهم الا قليل وفي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سلوا الله العافية وما أعطى عبد أفضل من العافية الا اليقين ففضل العافية على كل عطاء ورفع اليقين فوق العافية لان بالعافية يتم نعيم الدنيا واليقين معه وجود نعيم الآخرة ولليقين فضل على العافية كفضل الدوام على الانتقال والعافية سلامة الابدان من الاسقام والعلل



الغفلة ولهم سوء الدار فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين اذ يرسل الله الينا سيد الاولين والآخرين وينزل عليه الكتاب مخبرا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين فنتلوه بالسنتنا ونحن عنه غافلون نعوذ بالله من هذه الغفلة التى عاقبتها هذه الاهوال والحسرة فبينما هم في هذه الاهوال اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء باجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا بأخذ النواصى الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا ما بين شفرى عينيه مسيرة خمسمائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك ليأخذوك ويسوقوك الى مقام العرض وعند نزولهم لا يبقى صالح ولا صديق ولا نبى الا ويخر لذقنه تخوفا من ان يكون هو المأخوذ فاذا كان هذا حال المقربين فكيف حال المقصرين فيبدأ بالرسل فيقول الله تعالى ماذا أجبتم فيقولون لا علم لنا فباشدة هول تذهل فيه عقول الرسل حتى لا يدرون ماذا يجيبون ثم يقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا باسمه هلم الى موقف العرض فعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول حتى يتمنى أقوام ان يذهب

واليقين وسلامة الاديان من الزيغ والاهواء فهاتان نعمتان تستوعبان عظيم الشكر من العبد كما استوعب القلب والجسم جسيم النعم من الملك ومن أقوى المعانى فى قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الامن أتى الله بقلب سليم قيل سالم من الشك والشرك والسالم الصحيح المعافى ووجود عافية اليقين فى القلوب عدم الشك والنفاق وهى أمراض القلوب كما قال تعالى فى قلوبهم مرض قيل شك ونفاق وعافية القلب أيضا من الكبائر كما قال تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض يعنى الزناء ويقال مامن مصيبة الا ولله تعالى فيها خمس نعم أولها انها لم تكن فى الدين ويقال كل مصيبة فى غير الدين فهى طريق من الدين والثانية انها لم تكن أكبر منها والثالثة انها كانت مكتوبة عليه لا محالة فقد نفدت واستراح منها والرابعة انها عجلت فى الدنيا ولم تؤجل فى الآخرة فتعظم على مقدار عذاب الآخرة والخامسة ان ثوابها خير منها فان المصيبة اذا كانت فى أمر الدنيا فانها طريق الى الآخرة وعندنا فى قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار قيل ظلوم بالسخط كفار بالمعاصى وبالنعم وحدثنا ان العباس رضى الله عنه لما توفى قعد ابنه عبد الله رضى الله عنه للتعزية فدخل الناس أفواجا يعزونه فكان فيمن دخل اعرابى فانشده

اصبر نكن بك صابرين فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس أجرك بعده * والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس ما عزانى أحد تعزية الاعرابى واستحسن ذلك وفى قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود قيل هو الذى يشكو المصائب وينسى النعم ولو علم ان مع كل مصيبة عشر نعم عدها نعما أو زيادة فلت شكواه وبدلها شكرا ثم ان المصائب لا تخلو من ثلاثة أقسام كلها نعم من الله تعالى اما أن تكون درجة وهذا للمقربين والمحسنين واما أن تكون كفارة وهذا لخصوص أصحاب اليمين والابرار أو تكون هذا عقوبة وهذا للكافرين المسلمين فتعجيل العقوبة فى الدنيا رحمة ونعمة ومعرفة هذه النعم طريق الشاكرين ومن أفضل النعم عند العلماء نعمة الايمان ثم دوامه لان دوام الشئ نعمة ثانية لانه بحكم ثان عن مشيئة ثانية لان الارادة منه تعالى بحكم الاظهار لا توجب دوام المظهر فكان الشئ يظهر بارادته ثم يتلاشى كان لم يكن الا أن يحكم سبحانه وتعالى حكما ثانيا بنعمة ثانية بالثبات والدوام اذ لولم يرد دوام السموات والارض مادامتا ولولم يرد دوام ثبات الجبال ماثبتت كذلك لولم يرد دوام الايمان وثباته فى القلوب بعد الكتب لظهر بالكتب ثم انمحى ورجع القلب الى الكفر لكنه أتم نعمه الاعظمى بدوامه وثباته فى القلب ومنه قوله تعالى يمحو الله مايشاء ويثبت أى يمحو مالا يشاء ثبوته ويثبت مايحب ولا يستطيع العبد شكر نعمة الايمان ومعرفته بداية التفضل به وقديم الاحسان من غير قدم من العبد ولا استحقاق بل بفضل الله ورحمته وهذا أحد الوجوه فى قوله تعالى كلا لما يقض ما أمره أى لا يقضى العبد أبدا شكر ما أمره الله تعالى من نعمة الاسلام التى هى أصول النعم فى الدنيا والآخرة وهى سبب النجاة من النار ومفتاح دخول الجنة ولا أول للعبد فيها ولا شفيع كان له الى الله تعالى بها ثم دوام ذلك وثباته مع الطرف والانفاس بعد ممه ثم متراد فة ومن هذا قوله تعالى كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه أى قواهم بمدد يثبته ويقوّيه وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب أى عن الايمان ومقلبها فى الشك والشرك ثبت قلبى على طاعتك ومعرفتك فهذه النعمة العظيمة العظيمة تستخرج من القلب بخوف سوء الخاتمة لمشاهدة سرعة تقليب القلب بالمشيئة وذلك مزيد شكرها وهذا داخل فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله تعالى لما أسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به أيضا من فضل ما غذانا به نعمة الايمان له والمعرفة به وعداوة لما منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتا عليه فى تصريف الاحوال اذ هو أصل الاعمال التى هى مكان النوال ولو قلب قلو بنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا فى الذنوب ولو قلب قلو بنا فى الشك والضلال كما يقلب نياتنا فى الاعمال أى شئ كنا نصنع وعلى أى شئ كنا

بهم الى النار ولا يعرض فيلقى أعمالهم على الجبار ولا يكشف أستارهم على الخلائق ويظن كل واحد انه المقصود دون غيره فيقول الجبار لجبريل عليه السلام ائتنى بالنار فيجيئها ويقول لها أجيبى الجبار فلا تلبث بعد ندائه ان تثور وتزفر الى الخلائق فيسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وتنبث خزانها الى الخلائق غضابا على العصاة فتمتلئ قلوب الخلائق رعبا ويتساقطون على ركبهم وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون وينادى الظلمة وأعوانهم وهم تحت أرجل الخلائق بالويل والثبور جزاء لهم من جنس صنيعهم بالخلق فى الدنيا وينادى الصديقون كل منهم نفسى نفسى فبينما هم كذلك اذ زفرت النار زفرة ثانية فتتضاعف خوفهم ويظنون أنهم مأخوذون ثم تزفر الثالثة فيتساقط الخلق لوجوههم ويشخصون بأبصارهم ينظرون من طرف خفى وينضم عند ذلك قلوب الظالمين فتبلغ لدى الحناجر كاظمين مالهم من ولى ولا حميم انتهى شعر

يا ناقض العهد يا من حاله قبحت
مع الاله بلا خوف ولا جزع
ضيعت عمرك يا هذا بلا عمل
تمسى وتصبح بين الحرص والطمع

نعول و باى شئ كانطمئن و نرجو فهذا من كافر النعم ومعرفته هو من شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة وادعاء الايمان انه عن كسب معقول أو استطاعة بقوة وحول وكفر نعمة الايمان وأخاف على من توهم ذلك ان يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا وقد جعل الله تعالى الخيرات من كسب الايمان وليس لنا فيما يكسبنا الخيرات مكان بل الله تعالى من علينا ان هدانا للايمان وجعله سببا يكسب لنا باحسانه الاحسان كما قال تعالى أو كسبت فى ايمانها خيرا قبل التوبة وقبل الصالحات كلها كسب الايمان ومن النعم بعد الايمان توفيقنا للحسنى وتيسيرنا لليسرى ثم صرف الكفر وأخلاق الكفرة وأعمالهم ثم تزيين الايمان وتحبيبه الينا وتكريه الفسوق والعصيان فضلا منه ونعمة الى مالا يحصى من نعمه فشكر ذلك لا يقام به الا بما وهب أيضا وانعم به من المعرفة بذلك والمعونة عليه والحياء من تتابع النعم هو من الشكر والمعرفة بالتقصير عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم الحلم وكثيف الستر شكر والاعتراف بما أعطى من حسن الثناء وجميل النشر انه من النعم من غير استحقاق من العبد بل هو مضاف الى نعمه بل هو من الشكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الخلق بالدعاء لهم وحسن الثناء عليهم لانهم ظروف العطاء وأسباب المعطى تخلقا باخلاق المولى جل وعلا هو من الشكر وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدى المنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول وتكثير تصغيرها وتعظيم حقيرها من الشكر لان ما تفتحلكت باستصغار الاشياء واحتقار وجود المنافع بها جهلا بحكمة الله تعالى واستصغار النعمه فكان ذلك كفرا بالنعم ومن الناس من يقول ان الصبر أفضل من الشكر وليس يمكن التفضيل بينهما عند أهل التحصيل من قبل ان الشكر مقام لجملة من المؤمنين والترجيح بين جماعة على جماعة لا يصح من قبل تفاوتهم فى اليقين فى المشاهدات لان بعض الصابرين أفضل من بعض الشاكرين لفضل معرفته وحسن صبره وخصوص الشاكرين أفضل من عموم الصابرين لحسن يقينه وعلو مشاهدته ولكن تفضيل ذلك من طريق الاحوال والمقامات انما نقول والله أعلم ان الصبر عن النعيم أفضل لان فيه الزهد والخوف وهما أعلى المقامات وان الشكر على المكاره أفضل لان فيه البلاء والرضا وان الصبر على الشدائد والضراء أفضل من الشكر على النعم والسراء من قبل انه أشق على النفس وان الصبر مع حال الغنى والمقدرات يعصى بذلك أفضل من الشكر على النعم من قبل ان الصبر عن المعاصى بالنعم أفضل من الطاعة بها لمن جاهد نفسه فيها فاذا شكر على ما صبر عليه فقد صار البلاء عنده نعمة وهذا أفضل لانها مشاهدة المقربين واذا صبر عما شكر عليه من النعم كان أفضل لانها حال المجاهدين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يعنى الاقرب شبها بنا فالاقرب فرفع أهل البلاء اليه ووصف نفسه به وجعلهم الامثل فالامثل منه فمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثل كان هو الافضل وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم شاكرا على شدة بلائه كذلك الشاكر من الصابرين يكون أفضل لشكره على البلاء اذ هو الاقرب والامثل بالانبياء وكل مقام من مقامات المقربين يحتاج الى صبر وشكر وأحدهما لا يتم الا بالآخر لان الصبر يحتاج الى شكر عليه ليكمل والشكر يحتاج الى صبر عليه ليستوجب المزيد وقد قرن الله تعالى بينهما ووصف المؤمنين بهما فقال ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور وقد ذكر الشكر بلفظ المبالغة فى الوصف على وزن فعول كما ذكر الصبر على وزن فعال وهو وصف للمبالغة أيضا ولذلك اقتسما الايمان نصفين كما جاء فى الخبر الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله لان اليقين أصلهما وهما فرعاه عنه يوجدان لان الشاكر أيقن بالنعمة انها من المنعم وأيقن بانجاز ما وعده من المزيد فشكر كما أيقن الصابر بحسبها بالبلاء لانه هو المبتلى وايقن بثواب المبلى وحسن ثنائه على الصابرين فصبر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فهما حالا الموقن اذ لا يخلو فى أدنى وقت من أحد اثنين بلية أو نعمة اذ فى كل شئ له آية فحاله فى البلية الصبر وحاله فى النعمة الشكر والله يحب

الصابرين

وتسمع الوعظ لاينهاك زاجره
بل أنت فى غفلة عن ذاك
فارتدع
فقم لتقرع بابا الذى كثرت
للسائلين عطاياه وأنت مى
لعله أن يرانا ما تبين له
يمنّ بالعفو عن عصياننا
الشنع
اللهم ارحمنا واسبل علينا
سترك وأظلنا بظل عرشك
ولا تخزنا بنار سياستك واعف
عنا وعن والدينا ومشايخنا
وأصدقائنا وأحبائنا
ومحبينا آمين يارب العالمين
*(فصل فى المسئلة)* قال
الله تعالى فوربك لنسألنهم
أجمعين عما كانوا يعملون
خ م عن عدى بن حاتم
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما منكم
من أحد الا سيكلمه ربه
ليس بينه وبينه ترجمان
ولا حجاب يحجبه فينظر
ايمن منه فلا يرى الا ما قدم
من عمله و ينظر أشأم منه
ولا يرى الا ما قدم و ينظر
بين يديه فلا يرى الا النار
تلقاء وجهه فاتقوا النار
ولو بشق تمرة ت عن أبى
هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا تزول
قدما عبد يوم القيامة حتى
يسأل عن أربع عن عمره
فيم أفناه وعن علمه ما عمل
به وعن ماله من أين اكتسبه
وفيم أنفقه وعن جسمه
فيم أبلاه ص قال قال
رسول الله صلى الله عليه

الصابرين وحب الشاكر وهذا آخر شرح مقام الشكر والحمد لله رب العالمين

## *(شرح مقام الرجاء ووصف الراجين وهو الرابع من مقامات اليقين)*

قال الله تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وقال جلت قدرته وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ورويناه في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم وفي الاخبار المشهورة قبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالى المعنى والله أعلم ان رحمتي وسعت كل شئ فليس يضيق هؤلاء عنها ولا أبالى بدخولهم فيها ويكون هؤلاء أيضا في الجنة ولا أبالى باعمالهم السيئة كلها وقال سبحانه وتعالى في وصف المتقين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وقال عز وجل في وصف المتوكلين الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وقال تعالى مخبرا عن الملائكة الحافين حول عرشه والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبره عز وجل ان النار أعدها للاعدائه وانه خوف بها أولياءه فقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ومثله قوله عز وجل واتقوا النار التى أعدت للكافرين وقال فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وقال تعالى في عفوه عن الظالمين وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ورويناان النبي عليه السلام لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد صلى الله عليه وسلم ان يدخل واحد من أمته النار وكان أبو جعفر محمد بن على رضى الله عنه يقول أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وعده به عز وجل ان يرضيه في أمته ورويناف حديث أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة جعل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من أمتي رجلا من أهل الكتاب فيقال هذا فداؤك من النار ورويناه في لفظ آخر يأتى كل رجل من هذه الامة بيهودى أو نصرانى الى جهنم فيقول هذا فدائى من النار فيلقى فيها وفي الطبران الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمنين من النار وروينا في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم تريد ان أجعل حساب أمتك اليك فقال لا يا رب أنت خير لهم منى قال اذا لا اخزيك فيهم وقال سفيان الثورى رضى الله عنه ما أحب ان يجعل حسابى الى أبوى لانى أعلم ان الله تبارك وتعالى ارحم بى منهما ورويناه في خبر سلة ابن وردان عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه تعالى في ذنوب أمته فقال يا رب اجعل حسابهم الى لئلا يطلع على مساويهم غيرى فاوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيرى كيلا تنظر في مساويهم أنت ولا غيرك وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال حياتى خير لكم وموتى خير لكم أما حياتى فانى أبين لكم السنن واشرع الشرائع وأما موتى فاعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله عز وجل وما رأيت منها شيأ استغفرت الله عز وجل لكم وروينا في الاثر اذا تاب العبد من ذنوبه انسى الله عز وجل ملائكته وبقاع الارض معاصيه وبدلها حسنات حتى يرد القيامة وليس شئ يشهد عليه وكذلك يقال ان المؤمن اذا عصاه ستره الله تعالى عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يا كريم العفو فقال له جبريل عليه السلام تدرى ما تفسير يا كريم العفو هو انه عفا عن السيآت برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم انى أسألك تمام النعمة فقال هل تدرى ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقد أخبرنا الله تعالى انه قد أتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا فهذا دليل على دخول الجنة

وسلم أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس الدماء ت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر وان انتقص من فريضته شيأ قال الرب تبارك وتعالى انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر أعماله على ذلك ط عن يحيى بن سعيد قال بلغنى ان أول ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة فان قبلت منه نظر فيما بقى من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر في شئ من عمله م عن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى فيقول فانى لا أجيز اليوم على نفسى شاهدا الا منى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وروى في شرح السنة ان رسول الله

فقال عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقد اشتركنا في ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن نرجو المغفرة لنا تربنا بفضله فقال عز من قائل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك وفي خبر علي رضي الله عنه من أذنب ذنبا فستره الله تعالى عليه في الدنيا فالله تبارك وتعالى أكرم من ان يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى أعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الآخرة وفي لفظ آخر لا يذنب عبد في الدنيا فيستره الله تعالى عليه الا غفره له في الآخرة وعن بعض السلف كل عاص فانه يعصي تحت كنف الرحمن والكنف من الانسان حضنه ما بين يديه وصدره قال بعض التي عليه كنفه ستر عورته ومن رفع عنه كنفه افتضح ويقال ان من فضح في الدنيا بذنب فهو كفارته ولا يفضح به في الآخرة وفي الخبر اذا أذنب العبد فاستغفر الله يقول الله سبحانه وتعالى للملائكة انظروا الى عبدي أذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب فيأخذ بالذنب أشهدكم اني قد غفرت له وحدثت عن محمد بن مصعب قال كتب الي اسود بن سالم بخطه ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه يرفع يديه يدعو يقول يا رب فاذا قال يا رب حجبت الملائكة صوته فاذا قال الثانية يا رب حجبت الملائكة صوته فاذا قال الثالثة يا رب حجبت الملائكة صوته فاذا قال الرابعة يقول الله تعالى حتى متى تحجبوا صوت عبدي عني قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري أشهدكم اني قد غفرت له وفي الحديث اذا أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني وفي حديث آخر لو لقيني عبدي بتراب الارض ذنوبا لقيته بترابها مغفرة ما لم يشرك بي شيأ وفي الخبر ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا أذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال لصاحب الشمال وهو أميره عليه ألق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع تسع حسنات فيلقي عنه هذه السيئة ويقال ان الله تعالى يجعل في قلب صاحب اليمين من الرحمة للعبد أضعاف ما جعل في قلب صاحب الشمال مع انه أميره عليه فاذا عمل العبد حسنة فرح بها ملك اليمين ويقال فرح بها الملائكة فيكتب العبد بفرحهما الحسنات ورويناه في حديث أنس بن مالك الطويل اذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال فان عاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال الى متى يا رسول الله قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله تعالى وان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فاذا عملها كتبها عشر حسنات ثم ضاعفها الله عز وجل الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة وراءها حسن عفو الله تعالى وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لا أصوم الا الشهر لا أزيد عليه ولا أصلي الا الخمس لا أزيد عليهن وليس لله تبارك وتعالى في مالي صدقة ولا حج ولا أتطوع أين أنا اذا مت فقال النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة قال يا رسول الله معك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينك من اثنين النظر الى ما حرم الله تعالى وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين ورويناه في الخبر الطويل عن أنس رضي الله عنه ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق قال الله عز وجل قال هو بنفسه قال نعم قال فتبسم الاعرابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا أعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الأعرابي الا لا كريم أكرم من الله عز وجل هو أكرم الاكرمين ثم قال عليه السلام فقه الاعرابي وفيه أيضا ان الله تبارك وتعالى شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى قال الاعرابي ومن أولياء الله قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت الله تعالى يقول الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من

الظلمات

صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يتجشأ فقال اقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أطولهم شبعا في الدنيا فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاها عن كل قليل وكثير وسر وعلانية وجميع جوارح فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته ألم أمهلك في العمر ففيما أفنيته ألم أرزقك الاموال فمن أين اكتسبتها وفيما أنفقتها ألم أعلك العلم فماذا عملت فيه فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعدد عليك انعامه ومعاصيك فان أنكرت شهدت عليك جوارحك فيا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وأرخيت الستور واسترت من الخلائق وقارفت الفجور فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك هنالك هب انه قد ستر عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء الى العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ قد تؤخذ بناصيتك فتنقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك

الظلمات الى النور وفى الخبر المفرد عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن أفضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة وفى الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو وأبى هريرة رضى الله عنهما وكعب الاحبار انه نظر الى الكعبة فقال ما أشرفك وما أعظمك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك وقد أمر الله سبحانه وتعالى أنبياءه بتطهير بيته لاوليائه اجلالا لهم فشرف البيت بهم وفى الخبر عن الله تعالى من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وأنا الثائر لوليى فى الدنيا والآخرة وفى أخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تدرى لم فرقت بينك وبين يوسف عليه السلام هذه المدة قال لا قال لقولك لاخوته أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب عليه ولم ترجنى له ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظى له ومن سبق عنايتى بك انى جعلت نفسى عندك أرحم الراحمين فرجوتنى ولولا ذلك لكنت أجعل نفسى عندك أبخل الباخلين فالرجاء هو اسم لقوة الطمع فى الشئ بمنزلة الخوف اسم لقوة الحذر من الشئ ولذلك أقام الله تعالى الطمع مقام الرجاء فى التسمية وأقام الحذر مقام الخوف فقال تعالى كانوا يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهو وصف من أوصاف المؤمنين وخلق من أخلاق الايمان لا يصح الايمان الا به كما لا يصح الايمان الا بالخوف فالرجاء بمنزلة أحد جناحى الطير لا يطير الا بجناحيه كذلك لا يؤمن من لا يرجو من آمن به ويخافه وهو أيضا مقام من حسن الظن بالله تعالى وجميل التأميل له فلذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يموتن أحدكم الا وهو حسن الظن بالله تعالى لانه قال عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء وكان ابن مسعود رضى الله عنه يحلف بالله تعالى ما أحسن عبد بالله تعالى ظنه الا أعطاه الله تعالى ذلك لان الخير كله بيده أى فاذا أعطاه حسن الظن بالله تعالى فقد أعطاه ما ظنه لان الذى حسن ظنه به هو الذى أراد أن يحققه ورويناه عن يوسف بن أسباط قال سمعت سفيان الثورى رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين قال اى احسنوا بالله تعالى الظن وكذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجل وهو فى سياق الموت فقال كيف تجدك فقال أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى فقال عليه السلام ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله تعالى ما رجا وأمنه مما يخاف ولذلك قال على كرم الله وجهه للرجل الذى أطار الخوف عقله حتى أخرجه الى القنوط فقال له يا هذا اياسك من رحمة الله تعالى أعظم من ذنبك صدق رضى الله عنه لان الاياس من روح الله تعالى الذى يستريح اليه المكروب من الذنوب والقنوط من رحمة الله تعالى التى يرجوها المبتلى بالذنوب أعظم من ذنوبه وهو أشد من جميع ذنوبه لانه قطع بهواه على صفات الله تعالى المرجوة وحكم على كرم وجهه بصفته المذمومة فكان ذلك من أكبر الكبائر وان كانت ذنوبه كبائر وهكذا جاء فى التفسير ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال هو العبد يذنب الكبائر ويلقى بيده ولا يتوب ويقول قد هلكت لا ينفعنى عمل فنهوا عن ذلك الا ان الرجاء مقام جليل وحال شريف نبيل لا يصلح الا الكرماء من أهل العلم والحياء وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف يروحون به من الكرب ويسترجعون اليه من مقارفة الذنب ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء ومن لم يقم فى مقام الخوف لم يرفع الى مقامات أهل الرجاء على صحة وصفاء ورجاء كل عبد من حيث خوفه ومكاشفته عن أخلاق مرجو من معنى ما كان كوشف به من صفات مخوفة فان كان أقيم مقام المخوفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والاسباب رفع من حيث تلك المقامات الى مقامات الرجاء بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق الجنان وما فيها من الاوصاف الحسان وهذه مواجهات أصحاب اليمين وان كان أقيم مقام مخاوف الصفات عن مشاهدة معانى الذات مثل سابق العلم وسوء الخاتمة وخفى المكر وباطن الاستدراج وبطش القدرة وحكم الكبر والجبروت رفع من هذه المقامات الى مقام المحبة والرضا فرجا من معانى الاخلاق وأسماء الكرم والاحسان والفضل والعطف واللطف والامتنان وليس يصح أن نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل الرجاء فى مقامات الرجاء من قبل انه

وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخترق الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس المجنوب وقد رفعت الخلائق اليك أبصارهم فتوهم نفسك فى أيدى الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله يا ابن آدم ادن منى فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فكم تنكر فى عظم حيائك اذ اذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدى أما استحييت من مبارزتى بالقبيح واستحييت من خلقى أكنت أهون عليك من عبادى استخففت بنظرى اليك وأعظمت نظر غيرى أظننت أنك لا تلقانى ألم أرسل اليك رسولا يتلو عليك كتابى ومن يقدر على هذا الخطاب فما أعظم مصيبة من فرط فى طاعة مولاه واتبع هواه شعر

نحن المسيؤن ومن ذنبنا
اليك يا رب الورى تائبون
فلا تؤاخذنا بأفعالنا
انا على أنفسنا مسرفون
قد مسنا الضر ولا راحم
سواك يا من لا تراه العيون
لا تشتكى الا الى راحم
يطمع فى رحمته المذنبون

*(فصل فى الميزان والقصاص)* قال الله تعالى فأما من ثقلت

لا يصلح لعموم المؤمنين وهو يفسد من لم يرزقه أشد الفساد فليس يصلح الا لخصوص ولا يعد به ولا يستجيب له ولا يستخرج الامن الحب ولا محبة الا بعد نصح القلب من الخوف وأكثر النفوس لا يصلح الا على الخوف كعبيد السوء لا يستقيمون الا بالسوط والعصا ثم واجهون بالسيوف صلتا ومن علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطنا في رجائه لانه لما تحقق برجاء شئ خاف فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به فهو لا ينفك في حال رجائه من خوف فوت الرجاء والرجاء هو ترويحات الخائفين ولذلك سمت العرب الرجاء خوفا لانهما وصفان لا ينفك أحدهما عن الآخر ومن مذهبهم أن الشئ اذا كان لازما لشئ أو وصفا له أو سببا منه أن يعبروا عنه به فقالوا مالك لا ترجو كذا وهم يريدون مالك لا تخاف وعلى هذا المعنى قول الله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا أجمعوا على تفسيره مالكم لا تخافون لله عظمة وهو أيضا أحد وجهي تفسير قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه أي يخاف من لقائه ومثل الخوف من الرجاء مثل اليوم من الليلة لما لم ينفك أحدهما عن الآخر جاز أن يعبر عن المدة بأحدهما فيقال ثلاثة أيام وثلاث ليال ومنه قول الله تعالى مخبرا عن قصة واحدة فقال عز وجل آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ثم قال تعالى ثلاثة أيام الا رمزا فلما لم يكن اليوم ينفك عن ليلته والليلة لا تنفك عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر لان أحدهما يشبه الآخر مندرج فيه ولا يظهر الا أحدهما بحكمة الله تعالى وقدرته لتفاوت أحكامه فيهما وافتراق انعامه بهما فاذا ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرته تعالى واذا ظهر الليل استتر النهار بحكمة الله تعالى وهو حقيقة ايلاجه أحدهما في الآخر وتحقيق تكويره أحدهما على صاحبه فكذلك حقيقة الرجاء والخوف في معاني الملكوت اذا ظهر الخوف كان العبد خائفا وظهرت عليه أحكام الخوف عن مشاهدة التجلي بوصف مخوف فسمي العبد خائفا لغلبته عليه وبطن الرجاء في خوفه واذا ظهر الرجاء كان العبد راجيا وظهرت منه أحكام الرجاء عن مشاهدة تجلي الربوبية بوصف مرجو فوصف العبد به لانه هو الاغلب عليه وبطن الخوف في رجائه لانهما وصفان للايمان كالجناحين للطير فالمؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه وكلسان الميزان بين كفتيه ومنه قول مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فهذا أصل في معرفة حقيقة الرجاء وصدق الطمع في المرجو فللمؤمنين في اعتدال الخوف والرجاء مقامان أعلاهما مقام المقربين وهو ما حال عليهم من مقام مشاهدة الصفات المخوفة والاخلاق المرجوة والثاني مقام أصحاب اليمين وهو ما عرفوه من بدائع الاحكام وتفاوت الاقسام من ذلك انه أنعم سبحانه وتعالى على الخلق بفضله عن كرمه اختيارا لا اجبارا فلما علموا ذلك رجوا تمام النعمة من حيث ابتدأوها ومن ههنا طمع السحرة في المغفرة لما ابتدؤا بالايمان فقالوا انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين أي من حيث جعلنا أول المؤمنين من هذا المكان نرجو أن يغفر لنا بان جعلنا مؤمنين به فرجوه منه وقد ذم الله تعالى عبدا أوجده نعمة ثم سلبها فأيس من عودها عليه فقال تعالى ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ثم استثنى عباده الصابرين عليه الصالحين له فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات وروى أن لقمان عليه السلام قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تأمن فيه مكره وارجه رجاء أشد من خوفك قال وكيف أستطيع ذلك وانما لي قلب واحد قال أما علمت أن المؤمن كذي قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر والمعنى أن الخوف والرجاء وصف الايمان لا يخلو منهما قلب مؤمن فصار كذي قلبين حينئذ ثم ان الخلق خلقوا على أربع طبقات في كل طبقة طائفة فمنهم من يعيش مؤمنا ويموت مؤمنا فمن ههنا رجاؤهم لانفسهم ولغيرهم من المؤمنين اذ قد أعطاهم فرجوا أن يتم عليهم نعمته وأن لا يسلبهم بفضله ما به بدأهم ومن الناس من يعيش مؤمنا ويموت كافرا فهذا موضع خوفهم عليهم وعلى غيرهم لمكان علمهم بهذا الحكم ولغيب حكم الله تعالى بعلمه السابق فيهم ومن الناس من يعيش كافرا ويموت مؤمنا ومنهم من يعيش كافرا ويموت كافرا فهذان الحكمان أوجبا رجاءهم الثاني للمشرك اذا رأوه فلم يقنطوا بظاهره أيضا وخوف هذا الرجاء خوفا ثانيا أن يموت على تلك الحال وأن يكون ذلك هو

موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية قوله التذكرة القرطبي وحياة الحيوان ذكر خيثمة بن سليمان في مسنده عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيآت فمن رجحت حسناته على سيآته مثقال صؤابة دخل الجنة ومن رجحت سيآته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار قيل يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيآته قال أولئك أصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وروى أحمد بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء حتى الذرة من الذرة خ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه أو من شئ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه ت عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي مملوكين يكذبونني ويعصونني ويخونونني

حقيقة عند الله تعالى فعلم المؤمن بهذه الاحكام الاربعة تورثه الخوف والرجاء معا فاعتدل حاله بذلك لاعتدال ايمانه به وحكم على الخلق بالظاهر ووكل الى علام الغيوب السرائر ولم يقطع على عبد بظاهر من الشر بل يرجو له ما بطن عند الله تعالى من الخير ولم يشهد لنفسه ولا لغيره بظاهر الخير بل يخاف أن يكون قد استسر عند الله تعالى باطن شر الا ان حال التمام أن يخاف العبد على نفسه ويرجو لغيره لان ذلك هو وجد المؤمنين من قبل انهم متعبدون بحسن الظن فهم يحسنون الظن بالناس ويخرجون لهم المعاذير بسلامة الصدور وتسليم ما غاب الى من اليه تصير الامور ثم هم في ذلك يسيئون الظن بنفوسهم لمعرفتهم بصفاتها ويوقعون الملاوم عليها ولا يخرجون لها الباطن الاشفاق منهم عليهم والخوف التزكية منهم لهم فمن قلب عليه هذان المعنيان فقد مكر به حتى يحسن الظن بنفسه ويسيء ظنه بغيره فيكون شائنا على الناس راجيا لنفسه عاذرا لنفسه محتجا لها لائما للناس ذاما لهم فهذه أخلاق المنافقين ثم ان الراجي حالا من مقامه وحاله علامة من رجائه فمن علامة الرجاء عن مشاهدة المرجو دوام المعاملة وحسن التقرب اليه وكثرة التقرب بالنوافل لحسن ظنه به وجميل أمله منه وانه يتقبل صالح ما أمر به تفضلا منه من حيث كرمه لا من حيث الواجب عليه ولا الاستحقاق منا وانه أيضا يكفر سيء ما عمله احسانا منه ورحمة من حيث لطفه بنا وعطفه علينا الاخلاقه السنية وألطافه الخفية لا من حيث اللزوم له بل من حيث حسن الظن به كما قال سفيان الثوري رضي الله عنه من أذنب ذنبا فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله عز وجل له ذنبه قال لان الله تعالى عير قوما فقال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم وقد قال سبحانه وتعالى في مثله وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا أي هلكى ففي دليل خطابه عز وجل ان من ظن حسنا كان من أهل النجاة وقد جاء في الاثر ان من أذنب ذنبا فاحزنه ذلك غفر له ذنبه وان لم يستغفر ومقام الرجاء كسائر مقامات اليقين منها فرض وفضل فعلى العبد فرض أن يرجو مولاه وخالقه ومعبوده ورازقه من حيث كرمه وفضله لا من حيث نظره الى صفات نفسه ولؤمه وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول من سأل الله تبارك وتعالى شيأ فنظر الى نفسه والى أعماله لا يرى الاجابة حتى يكون ناظرا الى الله تبارك وتعالى وحده والى لطفه وكرمه يكون موقنا بالاجابة ولعمري ان من سأل الله تعالى ورغب اليه في شيء ورجاه ناظرا الى نفسه وعمله فانه غير مخلص في الرجاء له تعالى لشركه في النظر اليه واذا لم يكن مخلصا لم يكن موقنا ولا يقبل الله تعالى عملا ولا دعاء الا من موقن بالاجابة مخلص فاذا شهد التوحيد ونظر الى الوحدانية فقد أخلص وأيقن وهكذا جاء في الخبر اذا دعوتم فكونوا موقنين بالاجابة فان الله تعالى لا يقبل الا من موقن ومن داع دعاء بيناه من قلبه لان من استعمله الله تعالى بالدعاء له فقد فتح له بابا من العبادة وفي الخبر الدعاء نصف العبادة ولا يقبل الله تعالى من الدعاء الا الناخلة يعني المنخول وهو الخالص وأقل ما يعطيه من دعائه أن يكون ذلك حسنة منه يضعفها عشر الى سبعمائة ضعف وأعلاه أن يدخر له في الآخرة ما هو خير له من جميع الدنيا وما فيها مما لم يخطر على قلبه قط ويكون ذلك حسن نظر من الله تعالى له واختيار وأوسط ذلك أن يصرف عنه من البلاء الذي هو لو كان علمه كان صرفه أهم عليه وأحب اليه مما سأل فيه وقدر ويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من داع دعا موقنا بالاجابة في غير معصية ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله تعالى احدى ثلاث اما أن يجيب دعوته فيما سأل أو يصرف عنه من السوء مثله أو يدخر له في الآخرة ما هو خير له وفي أخبار موسى عليه السلام يارب أي خلقك أنت عليه أشد سخطا فقال تعالى من لم يرض بقضائي ومن يستخيرني في أمر فاذا قضيته له كره ذلك وفي الخبر الآخر انه قال يارب أي الاشياء أحب اليك وأيها أبغض فقال سبحانه وتعالى أحب الاشياء الى الرضا بقضائي وأبغضها الى أن تعاري نفسك ورويناعن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل الذي قال أوصني فقال لا تتهم الله تعالى في شيء قضاه عليك وفي الخبر الآخر انه نظر الى السماء وضحك صلى الله عليه وسلم فسئل عن ذلك فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن في كل قضائه له خير ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له وان قضى عليه بالضراء

وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما تقرأ قول الله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين فقال الرجل ما أجد لي ولهؤلاء شيأ خيرا من مفارقتهم أشهدك انهم كلهم أحرار خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها ثغاء فيقول يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغت في الدنيا وفي التذكرة للقرطبي روى رزين عن أبي هريرة قال كنا نسمع ان الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول ما لك الي وما بيني وبينك معرفة فيقول كنت تراني على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهاني وفيما روينا في الاربعين عن أبي هريرة

رءى به وكان خير الهو من حسن الظن بالله تعالى لطف الله لق له سبحانه وتعالى وهو من قوة الطمع فيه وفى الخبر حسن الظن بالله عز وجل من حسن عبادة الله عز وجل كما روينا فى تفسير قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ان الكلمات هى قوله عليه السلام يا رب هذا الذنب الذى أصبته كان من قبل نفسى أو من شئ سبق فى علمك قبل أن تخلقنى قضيته على فقال بل شئ سبق فى علمى كتبته عليك قال يا رب فكما قضيته على فاغفر لى قال فهى الكلمات التى لقاه الله تعالى اياها وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة ما منعك اذ رأيت المنكر أن تنكره قال فان لقن الله تعالى العبد حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال لقد غفرته له وفى الخبر المشهور أن رجلا كان يداين الناس فيسمح لهم ويتجاوز عن المعسر فلقى الله تعالى ولم يعمل خيرا قط فقال الله سبحانه وتعالى نحن أحق بذلك منك قال فغفر له برجائه وظنه ثم يتفاوت الراجون فى فضائل الرجاء فالمقربون منهم رجوا النصيب الاعلى من القرب والمجالسة والتجلى بمعانى الصفات بما عرفوه وهذا عن علمهم به وأصحاب اليمين من الراجين رجوا النصيب الاوفر من مزيده والفضل الاجزل من عطائه يقينا بما وعد ومن الرجاء انشراح الصدر بأعمال البر وسرعة السبق والمبادرة بها خوف فوتها ورجاء قبولها ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انجاز الموعود وتقربا الى الرحيم الودود ومنه قول أصدق القائلين ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرة والمجاهدة فقال المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد نفسه فى الله تعالى واقام الصلاة التى هى خدمة المعبود وبذل المال سرا وعلانية وقليلا وكثيرا وان لا يشتغل عن ذلك بتجارة الدنيا كما وصف الله سبحانه وتعالى المحققين من الراجين اذ يقول عز من قائل ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ومن الرجاء القنوت فى ساعات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء عند تجافى الجنوب عن المضاجع لما وقر فى القلوب من المخاوف ولذلك وصف الله الراجين بهذا فى قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فسمى أهل الرجاء والحذر وأهل التهجد آناء الليل علماء وحصل من دليل الكلام ان من لم يخف ولم يرج غير عالم لنفيه المساواة بينهما وهذا مما يحذف خبره اكتفاء بأحد وصفيه اذ فى الكلام دليل عليه فالرجاء هو أول مقام من اليقين عند المقربين وهو ظاهر أوصاف الصديقين ولا يكمل فى قلب عبد ولا يتحقق به صاحبه حتى يجتمع فيه هذه الاوصاف الايمان بالله تعالى والمهاجرة اليه سبحانه وتعالى والمجاهدة فيه وتلاوة القرآن واقام الصلاة والانفاق فى سبيل الله تعالى ثم السجود آناء الليل والقيام والحذر مع ذلك كله فهذه جملة صفات الراجين وهو أول أحوال الموقنين ثم تتزايد الاعمال فى ذلك ظاهرا وباطنا بالجوارح والقلوب عن تزايد الانوار والعلوم ومكاشفات الغيوب بالاوصاف الموجودة وفصل الخطاب ان الخوف والرجاء طريقان الى مقامين فالخوف طريق العلماء الى مقام العلم والرجاء طريق العمال الى مقام العاملين وقد وصف الله عز وجل الراجين مع الاعمال الصالحة لقوة رجائهم بالخوف تكملة لصدق الرجاء وتتمة لعظيم الغبطة به فقال تعالى وتقدس والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة وقال عز وجل مخبرا عنهم فى حال وفاتهم وأعمال برهم انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا وقال عز وجل يوفون بالنذر ويخافون يوما من قبل أن الخوف مرتبط بالرجاء فمن تحقق بالرجاء صار عنه الخوف أن يقطع به دون مارجاه وقال أهل العربية فى معنى قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أى الذين لا يخافون عقوبات الله تعالى فاذا كان هذا أمره بالمغفرة لمن لا يرجو فكيف يكون غفره وفضله على من يرجو وبعضهم يقول فى معنى قوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون أى تخافون منه ما لا يخافون فلولا انهما عند العلماء كشئ واحد ما فسر أحدهما بالآخر ومن الرجاء الانس بالله تعالى فى الخلوات ومن الانس به الانس بالعلماء والتقرب من الاولياء وارتفاع الوحشة بمجالسة أهل الخير وسعة الصدر

قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس اذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له مم تضحك يا رسول الله قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى ربى عز وجل فقال أحدهما يا رب خذ لى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى اعط أخاك مظلمته فقال يا رب ما بقى من حسناتى شئ فقال يا رب فليحمل من أوزارى وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان ذلك اليوم ليوم يحتاج فيه الناس الى ان تحمل عنهم أوزارهم ثم قال قال تعالى للطالب حقه ارفع بصرك فانظر الى الجنان فرفع رأسه فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يا رب فقال لمن أعطانى ثمنه قال ومن يملك ذلك يا رب قال أنت قال بماذا قال بعفوك عن أخيك قال يا رب فانى قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم قال القرطبى وهذا لبعض الناس ممن أراد الله ان يعفو عنه انتهى اعلم أن الناس بعد السؤال منهم من لا حسنة له فتلتقطهم عنق النار ومنهم من لا سيئة له فيسرحون الى الجنة ومنهم من خلط عملا صالحا وآخر سيئا وهم الاكثرون فتعدل فى حقهم بالميزان

والروح عندهم ومن الرجاء سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى وبوجود حلاوة الأعمال والمسارعة اليها والحث لأهلها عليها والحزن على فوتها والفرح بدركها ومن ذلك الخبر المأثور من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن والخبر المأثور خيار أمتي الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا لأن المؤمن على يقين من أمره وبصيرة من دينه والخوف والرجاء وصف الموقن بالله تعالى فهو اذا عمل حسنة أيقن بثوابها لصدق الوعد وكرم الموعد واذا عمل سيئة أيقن بالكراهة لها وخاف المقت عليها لخوف الوعيد وعظمة المتوعد ومن قبل ان دخوله في الطاعة دخول في محبة الله تعالى ومرضاته لما دل العلم عليه فهذا رضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا فكيف لا يسره رضاه ومن قبل ان دخوله في المعصية دخول في غضب الله تعالى ومكارهه بما دل العلم عليه فذلك الذي يسوءه لأن مقت الله تعالى اليوم معاصيه وسخطه غدا تعذيبه ومن هذا قول الله عز وجل وهو أصدق القائلين ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم قال لما نظروا الى أنفسهم بتشويه خلقهم في النار مقتوها فنودوا لمقت الله في الدنيا على معاصيه أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم في العذاب كما أن رضاه غدا تنعيمهم في جنته كذلك رضاه اليوم عملهم بطاعته ومرضاته وهذا وصف عبد مراد مكاشف بعلم اليقين ومن هذا حديث زيد الخيل اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم جئتك أسألك عن علامة الله تعالى فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت فقال أصبحت أحب الخير وأهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وأيقنت بثوابه واذا فاتني شيء منه حزنت عليه وحننت اليه فقال صلى الله عليه وسلم هذه علامة الله تعالى فيمن يريد ولو أرادك للأخرى هيأك لها ثم لم يبال في أي أوديتها هلكت ومن الرجاء التلذذ بدوام حسن الاقبال والتنعم بمناجاة ذي الجلال وحسن الاصغاء الى محادثة القريب والتلطف في التملق للحبيب وحسن الظن به في العطاء الجليل ومنال الفضل الجزيل وقال بعض العارفين للتوحيد نور وللشرك نار ونور التوحيد أحرق لسيئات المؤمن من نار الشرك لحسنات المشرك ولما احتضر سليمان التيمي قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله تعالى على حسن الظن به وكذلك لما احتضر سفيان الثوري رضي الله عنه لوفاته جعل العلماء حوله يرجونه وحدثنا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه انه قال لابنه عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن فلولا أن الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الاوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة طول الحياة ولذلك قيل ان الخوف أفضل ما دام حيا فاذا حضر الموت فالرجاء أفضل وقد كان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول في مقامات الرجاء اذا كان توحيد ساعة يحبط ذنوب خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ماذا يصنع بالذنوب وقال أبو محمد سهل رضي الله عنه لا يصح الخوف الا لأهل الرجاء وقال مرة العلماء مقطوعون الا الخائفين والخائفون مقطوعون الا الراجين وكان يجعل الرجاء مقاما في المحبة وهو عند العلماء أول مقامات المحبة ثم يعلو في الحب على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث في الرجاء لا يصلح ذكرها لعموم الناس ولكن نذكر من ذلك انما ظهر خلق الله تعالى لجهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله عز وجل به عباده الى الجنة وخبرا آخر يقول الله تعالى انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم أخلقهم لأربح عليهم وفي حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيأ الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه والخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي والاخبار المشهورة عن معاذ بن جبل وأنس بن مالك رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه قول لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله تعالى لا يشرك به شيأ حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وقد قال في خبر آخر لو يعلم الكافر سعة رحمة الله تعالى ما أيس من رحمته أحد وقد قال الله تعالى في حسن عفوه عن أكبر الكبائر

ليجز فهم ان الغالب حسناتهم أو سيئاتهم فيتطاير الصحف وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب أتقع في اليمين أم في الشمال ثم الى لسان الميزان أيميل الى جانب السيئات أم الحسنات وهذه حالة هائلة فيها تطيش عقول الخلق فمن رجحت سيئاته أخذت الزبانية بناصيته وأهوى بها في النار واعلم انه لا ينجو من خطر الميزان الا من حاسب نفسه في الدنيا ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأحواله وخطراته في جميع لحظاته وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية توبة نصوحا ويتدارك في طاعة الله ويرد المظالم حبة حبة ويستحل كل من آذاه بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم أحاطت به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يعضده وهذا يقبض بناصيته وكل أحد يتعلق به ويذكر مظلمته فيقول هذا شتمني ويقول الآخر استهزأ بي ويقول الآخر اغتابني والآخر أساء جواري والآخر غشني في المعاملة والآخر طفف على المكيال والميزان والآخر قد أخذ مني الربا

بعد ظهور الآيات ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وقال في خطاب لطيف لاوليائه يعرفهم نفاذ أحكامه فيهم وجريان مشيئته عليهم فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم عزيز لا يوصل اليه الا به حكيم حكم بمشيئته على عباده ثم يغفر الذنوب جميعا فلا يبالى كما أجرى على من فضله على العالمين مقالة الكافرين فلم يضرهم مع تفضيله لهم اذ قالوا لموسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة فقال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين وبهذا المعنى عارض على كرم الله وجهه رأس الجالوت لما قال له لم تلبثوا بعد نبيكم عليه السلام الا ثلاثين سنة حتى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف فقال على كرم الله وجهه أنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ورويناعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم وينفرهم وقال في حديث آخر بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ولما وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الحديث فهبط جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول لم تقنط عبادى فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجاهم وشوقهم ولما تلا الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال أتدرون أى يوم هذا يوم يقال لآدم عليه السلام قم فابعث نصيب النار من ذريتك فقال كم قيل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة قال فبكوا يومهم ذلك وتركوا الاشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بالكم أنتم في الامم مثل شعرة بيضاء في جلد ثور اسود والخبر المشهور لولم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم وفى لفظ آخر لذهب بكم وجاء بقوم يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم أى ان وصفه سبحانه وتعالى المغفرة والرحمة فلا بد أن يخلو مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليهم كذا كما يقول في علم المعرفة ان له سبحانه وتعالى من كل اسم وصفا ومن كل وصف فعل وفى هذا سر المعرفة ومنه معرفة الخصوص وحكى لنا معناه عن ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه قال خلا لى الطواف ذات ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت فى الملتزم عند الباب فقلت يارب اعصمنى حتى لا أعصيك أبدا فهتف بى هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول لولم يذنب المؤمن لكان يطير طيرا ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وفى الخبر مثله لولم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب ولعمرى ان العجب من صفات النفس المتكبرة وهو يحبط الاعمال وهو من كبائر أعمال القلوب والذنوب من أخلاق النفس الشهوانية ولان يبتلى العبد الشهوانى بعشر شهوات من شهوات النفس خير له من أن يبتلى بصفة من صفات النفس مثل الكبر والعجب والبغى والحسد وحب المدح وطلب الذكر لان هذه منها معانى صفات الربوبية ومنها أخلاق الابالسة وبها هلك ابليس وشهوات النفس من وصف الخلقة وبها عصى آدم ربه فاجتباه بعدها وتاب عليه وهدى وقد قال بشر بن الحرث سكون النفس الى المدح أضر عليها من المعاصى ورأى يوسف بن الحسين مخنثا فأعرض عنه ازراء عليه فالتفت اليه المخنث وقال وأنت أيضا يكفيك ما بك ففزع من قوله فقال وأى شئ تعلم قال لان عندك انك خير منى فاعترف يوسف بقوله فتاب واستغفر وكان بعض الراجين من العارفين اذا تلا هذه الآية آية الدين التى فى سورة البقرة يسر بذلك ويستبشر لها ويعظم رجاؤه عندها فقيل له فى ذلك انما الياس فيها رجاء ولاما يوجب الاستبشار فقال بلى فيها رجاء عظيم قيل وكيف ذلك فقال ان الدنيا كلها قليل ورزق الانسان فيها قليل من قليل وهذا الدين من رزقه قليل ثم ان الله تبارك وتعالى احتاط فى ذلك ورفق النظر لى بان وكد دينى بالشهود والكتاب وأنزل فيه أطول آية فى كتابه ولو فاتنى ذلك لم أبال به فكيف يكون فعله بى فى الآخرة التى لا عوض لى من نفسى فيها وكذلك كان بعض الراجين يفهم من قوله تعالى اذا تلا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون يرجو من



والآخر قد أخذ منى المكس والآخر وجدنى مظلوما فما قدر من الظالم مع القدرة ويذكر كل ما ظلم فيه حتى شكوته عمن يضربه ولو معلما ويقول الآخر وجدنى محتاجا فلم يسد خلتى الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر فبينما أنت كذلك مبهوت متحير من كثرتهم وقد ضعفت عن المقاومة ورجوت ان يخلصك مولاك من أيديهم اذ سمعت نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار فعند ذلك يؤخذ حسناتك التى تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك وان فنيت حسناتك قبل ان يقضى ما عليك حمل من أوزارهم وطرحت فى النار فكيف أنت يا مسكين فى يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتى فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال فى الصبر عنها نصبك فتقول هذه سيئات ما قارفتها فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة

شعر

ذلك بوادي الجود والكرم والاحسان مما لم يحسب في الدنيا قط وقد كان الجنيد رحمه الله يقول ان بدت
عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين وعلى ذلك جاء في الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة
ما خطرت قط على قلب أحد حتى ان ابليس يتطاول رجاء ان تصيبه وفي الخبر ان لله تعالى تسعا وتسعين
رحمة أظهر منها في الدنيا رحمة واحدة بها يتراحم الخلائق فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها
فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى تلك التسعة والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها
طباق السموات والارضين قال فلا يهلك على الله تعالى الا هالك وقد قال بعض العلماء ان الله تعالى اذا غفر
لعبد في موقف القيامة ذنبا غفر ذلك الذنب لكل من عمله وقال النبي صلى الله عليه وسلم اعملوا وأبشروا
واعلموا ان أحدا لن ينجيه عمله وفي الحديث الآخر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار
قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله تعالى برحمة وفضل وروي عنه صلى الله عليه وسلم انى
اختبأت شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وفي لفظ آخر أترونها للمصفين المتقين بل هي للمخلصين المتلوثين
وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما وقد بعثهما واليين على اليمن فأوصاهما فيما
أمرهما به فقال يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا فعلم المؤمنين بكرم الله تعالى وخفي لطفه ولطيف منه
لا يقعدهم عن تأميله ولا يقصر بهم عن رجائه ولا حسن ظنهم به ولا يقوى الخوف فيخرجهم الى الاياس
من رحمته لاجل علمهم بعبريته وكبريائه من قبل ان المهوب هو المحبوب فمحبته تؤنسهم وترجيهم وهيبته
تزعجهم وتخيفهم تخوفهم في المهابة في المأخذ وتنعمهم بالحب في سعة فهم في مقام الخوف والمحبة معتدلون
وبقوة العلم بهما متمكنون وفي مشاهدة المخوف والمحبوب مستقيمون وهذا المقام هو وصف العارفين من
الموقنين وهم أهل كمال الايمان وصفوة خصوص ذوي الايقان اذ قد عرفوا ان الله تبارك وتعالى كامل
في صفاته لا يعتريه نقصان في وصف دون وصف وانما الرحمة لسعة العلم كما العلم لسعة القدرة لما شهدوا من
وصفه بما سمعوا من كلامه انه كان عليما قديرا كذلك قال تعالى وسعت كل شيء رحمة وعلما وكذلك فهموا
من قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فدخلت جهنم وغيرها في توسعة الرحمة من حيث كن شيأ وقوله
عز وجل فسأكتبها للذين يتقون معناه خصوص الرحمة وصفها الا كنهها اذ لا نهاية للرحمة لانها صفة الراحم
الذي لا حد له ولانه لم يخرج من رحمته شيء كما لم يخرج من حكمته وقدرته شيء لان جهنم والنار الكبرى
وغيرهما ليس كنه عذابه ولا كلية تعذيبه فمن ظن ذلك فانه لم يعرفه ولانه لما أظهر من عذابه مقدار طاقة
الخلق كما انه أظهر من ملكه ونعمه مقدار مصالح الخلق وما لا يصلح للخلق ولا يطيقون اظهاره أكثر مما أظهر
من النعيم والعذاب بل لا ينبغي لهم أن يعرفوا فوق ما أبدى لان نهاية تعذيبه وتنعيمه من نهاية ملكه الذي
هو قائم به وملكه عن غاية قدرته وسلطانه ولا نهاية لذلك ولا يطيق الخلق كلها اظهار ذلك وذلك أيضا عن
تعالى صفاته وبهاء أسمائه المتناهيات ولا سبيل الى كشف ذلك من الغيوب فسبحان من لا نهاية لقدرته
ولا حد لعظمته ولا أمد لسلطانه وكذلك شهدوا لما سمعوا من قوله عز وجل انه كان حليما غفورا وكان
الله عليما حليما فعلموا ان المغفرة على سعة الحلم كما ان الحلم سعة العلم فلما رأوا عظيم حلمه رجوا عظيم مغفرته
ولما شهدوا كثيف ستره أملوا جميل عفوه وكذلك يقال ان حملة العرش يتجاوبون بأصوات سبحانك
على حلمك بعد علمك سبحانك على عفوك بعد قدرتك فالراجين من العارفين فهوم من السمع للكلام نحو علو
نظرهم عن سموء علومهم بمعاني الصفات وكل صاحب مقام يشهد من مقامه ويسمع من حيث شهادته
فأعلاهم شهادة الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون ثم خصوص المؤمنين فيه تبارك وتعالى استدلوا عليه
ومنه اليه نظروا هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وكان سهل رضي الله عنه يقول المحسن يعيش في
سعة الرحمة والمسيء يعيش في سعة الحلم وصفاته تبارك وتعالى كاملات فمن شهد ترجيح بعضها على بعض
دخل عليه النقص من مشاهدته لقصور علمه عن تمام علم من فوقه من الشهداء ولاجل مقامه المراد به دون

أيا من أضاع العمر في غفلاته *
ولم ينل من فعل خيره مناه
بادر الى التوبة من قبل ان
تعدم والله سبيل النجاة
واستطل الاخوان من كل ما
آذيتهم من قبل تأتي الوفاة
وازرع ليوم البعث زرع البقا
لعل ان ينمو وتجني جناه
وان تخف من قبح ذنب مضى *
فاذن من تأوي اليه العصاة
محمد المختار خير الورى *
من طبق الارض جميعا شذاه
صلى عليه الله ما أشرقت *
شمس وما حنت اليه الحداة
الهي ان سألتني حجة لم
يكن لي حجة وان تحرقني لم
يكن لي طاقة فاعف عنا
وعن أحبابنا بمحض فضلك
وكرمك آمين يا مجيب دعوة
المضطرين

*(فصل في الصراط)*
اعلم ان الناس بعد الاهوال
يساقون الى الصراط وهو
جسر ممدود على متن جهنم
أحد من السيف وأدق
من الشعر خرج عن
حذيفة وأبي هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجمع الله تبارك
وتعالى الناس فيقوم
المؤمنون حتى تزلف لهم
الجنة فيأتون آدم فيقولون
يا أبانا استفتح لنا الجنة
فيقول وهل أخرجكم من
الجنة الا خطيئة أبيكم لست
بصاحب ذلك اذهبوا الى
ابراهيم خليل الله قال
فيقول ابراهيم لست
بصاحب ذلك انما كنت
خليلا من وراء وراء

طريق الصديقين من الاقوياء فعادة ذلك على العبد فصارة الشمقاماله فى القرب والبعد تعالى وصف المشهود من النقصان والحد ومثل الرجاء من الخوف مثل الرخصة فى الدين من العزائم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وفى لفظ آخر أبلغ من هذا وأوكد ان الله يحب أن يقبل رخصه كما يكره أن يؤتى معاصيه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله تعالى وخير الدين أيسره وقال هلك المتعمقون هلك المتنطعون وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقال صلى الله عليه وسلم أحب أن يعلم أهل الكتاب ان فى ديننا سماحة وقال الله عز وجل ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم واستجاب للمؤمنين فى قولهم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا فقال عز وجل قد فعلت فهذه العلوم هى أسباب قوة الرجاء فى أولى الالباب كيف وقد جاء ما يغلب حكم الرجاء من غير اغترار ما روى عن الله تعالى أنا الى الرحمة والعفو أقرب منى الى العقوبة وفى الخبر اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم ويشق عليهم وفى كلام لعلى رضى الله عنه انما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم مكر الله تعالى وأوحى الله سبحانه وتعالى الى داود عليه السلام مالك وحدانيا قال عاديت الخلق فيك قال أما علمت ان محبتى ان تعطف على عبادى وتأخذ عليهم بالفضل هنالك أكتبك من أوليائى وأحبابى ولا تنظر الى عبيدى نظرة جفاء ولاة وقال فاذا أنت قد أبطلت أجرك فاحفظ عنى ثلاثا خالص حبيبى بخالصة وخالف أهل الدنيا بخالقود بنك فقلد نبىو عن داود وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى الى خلقى قال يارب هذا أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك الى خلقك فقال عز وجل اذكرنى بالحسن الجميل واذكر آلائى واحسانى وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون منى الا الجميل وروى عن يزيد الرقاشى عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم عن أقوام ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء بمنازلهم من الله تعالى على منابر من نور يعرفون عليها قالوا من هم قال الذين يحببون عباد الله الى الله تعالى ويحببون الله عز وجل الى عباده ويمشون فى الارض نصحاء فقلنا هذا يحببون الله الى عباده فكيف يحببون عباد الله الى الله قال يأمرونهم بما يحب الله وينهونهم عما حرم الله فاذا أطاعوهم أحبهم الله ورؤى أبان بن عياش فى النوم بعد موته وكان من أكثر الناس حديثا بالرخص وأبواب الرجاء فقال أوقفنى ربى عز وجل بين يديه فقال ما حملك على ان حدثت عنى بما حدثت به من الرخص قال فقلت يارب أردت أن أحببك الى خلقك قال قد غفرت لك وحدثت عن مالك بن دينار انه لقى أبانا فقال الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا أبا يحيى انى لأرجو أن ترى من عفو الله تعالى يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح وفى حديث ربعى بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات أخى سجى بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال انى لقيت ربى عز وجل فحيانى بروح وريحان ورب غير غضبان وانى رأيت الامر أيسر مما تظنون ولا تغتروا فان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكأنما كانت حصاة وقعت فى طست فحملناه فدفناه وقال بكر بن سليمان دخلنا على مالك رحمه الله تعالى فى العشية التى قبض فيها فقلنا كيف تجدك قال ما أدرى ما أقول لكم الا أنكم ستعاينون غدا من عفو الله تعالى ما لم يكن لكم فى حساب قال فما برحنا حتى أغمضناه ودفناه ورؤى يحيى بن أكثم فى النوم فقيل ما فعل الله تعالى بك فقال أوقفنى بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت قال فأخذنى من الرعب والفزع ما يعلم الله تعالى ثم قلت يارب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عنى فقلت حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن أنس بن مالك عن نبيك صلى الله عليه وسلم عنك انك قلت تباركت وتعاليت أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء وقد كنت أظن بك أن لا تعذبنى فقال عز وجل صدق نبيى وصدق انس وصدق الزهرى وصدق معمر

وصدق

اذهبوا الى موسى الذى كلمه الله تكليما فيأتون الى موسى عليه السلام فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا الى عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه فيقول لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له وترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق قال قلت بأبى أنت وأمى أى شئ كالبرق قال ألم تر الى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرحال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول يارب سلم سلم حتى يعجز أعمال العباد حتى يجىء الرجل ولا يستطيع السير الا زحفا قال وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من مرت به فمخدوش ناج ومكردس فى النار والذى نفس أبى هريرة بيده ان قعر جهنم لسبعون خريفا قال فى حياة الحيوان روى الدارقطنى والبيهقى وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى محفل أصحابه اذ جاء اعرابى من بنى سليم قد صاد ضبا وجعله فى كمه ليذهب به الى رحله فرأى جماعة فقال علام هؤلاء الجماعة فقالوا على هذا الذى يزعم أنه نبى فقال يا محمد

وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فغلقت وخلع علي وألبست ومشى بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا الهنا من فرحتي وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يشدد على الناس ويقنطهم من رحمة الله تعالى فيقول الله تعالى له يوم القيامة اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وفي الحديث ان رجلين تواخيا في الله تعالى من بني اسرائيل فكان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه فكان هذا العابد ينهاه ويزجره فيقول له دعني وربي أبعثت علي رقيبا حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى له يوم القيامة أتستطيع ان تحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم قال للعابد وأنت فقد أوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته وروينا في معناه ان لصا كان يقطع الطريق أربعين سنة في بني اسرائيل فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد قال وأحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي قال فضم نفسه وتقدم الى عيسى عليه السلام فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه قال فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام قل لهما يستأنفان العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما أما الحواري فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيآته بما ازدرى على نفسه قال فأخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حواريه وروينا عن مسروق بن الاجدع ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض العتاة على عنقه حتى الزق الحصى بجبهته قال فرفع النبي عليه السلام رأسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك قال فأوحى الله تعالى اليه تتألى علي في عبادي اني قد غفرت له قال ابن عباس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت يدعو على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزلت ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم الى قوله ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم قال فترك الدعاء عليهم قال فهدى الله تعالى عامة أولئك الى الاسلام والاخبار فيما يوجب الرجاء وحسن الظن أكثر من أن تجمع ولم نقصد جمعها وانما ذكرنا قليلا على كثير ونبهنا عقول ذوي التبصير وقد قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم فنبه العبد مع غرته على كرمه وذكر مع جهله حسن تدوينه اياه بتعديله يدل على نعمته وروينا عن الضحاك ان العبد ليدنو من ربه تبارك وتعالى عند العرض فيقول عبدي أتحصي عملك فيقول الهي كيف أحصيه من دونك وأنت الحافظ للاشياء فيذكره الله تعالى جميع ذنوبه في الدنيا في ساعاتها فيقول أنت عبدي فقر بما عرفتك فتذكر فيقول نعم سيدي فيقول الله سبحانه أنا الذي سترتها عليك في الدنيا فلم أجعل الذنوب رائحة توجد منك ولم أجعل في وجهك شينا وأنا أغفرها لك اليوم على ما كان منك بايمانك بي وتصديقك المرسلين وروينا عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي كرم الله وجهه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال يا محمد اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل فالله تعالى أكرم من ذلك أولى أن لا يعاتب من عفا عنه قال فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله عز وجل اليهما ميكائيل فقال ان ربكما يقرئكما السلام ويقول لكما كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمي ومن الرجاء شدة الشوق الى ما شوق اليه الكريم وسرعة التنافس في كل نفس ندب اليه الرحيم فأما الرجاء الذي هو همة جهلة الناس من الاقامة في المعاصي والاثم مالك في الخطايا وهو يرجو المغفرة وينتظر الكرامة فليس هذا رجاء عند العلماء لان الرجاء مقام من اليقين وليس هذا وصف الموقنين لان هذا اسمه اغترار بالله تعالى وغفلة عن الله تعالى وجهل بأحكام الله تعالى وقد تهدد الله تعالى قوما ظنوا مثل هذا وأصروا على حب الدنيا والرضا بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا والخلف الردي من الناس وتوعدهم بشديد البأس في قوله عز وجل فخلف

لما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك فلولا ان تسميني العرب عجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس أجمعين فقال عمر يا رسول الله دعني أقتله فقال صلى الله عليه وسلم أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واللات والعزى لما آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب وأخرج الضب من كمه فطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان آمن بك آمنت فقال صلى الله عليه وسلم يا ضب فكلمه الضب بلسان فصيح عربي مبين صريح يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يا رسول الله رب العالمين فقال صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن أنا يا ضب قال أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك فقال الاعرابي أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله حقا لقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أبغض الي منك والله لأنت الساعة أحب الي من نفسي ومن والدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال له رسول الله صلى الله عليه

من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا والاخبار في حقيقة الرجاء تزيد المغترين اغترارا وتزيد المستدرجين بالستر والنعم خسارا وهي مزيد للتوابين الصادقين وقرة عين المحبين المخلصين وسرور لاهل الكرم والحياء وروح وارتياح لذوي العصمة والوفاء ينتفع به ويشتد عنده حياؤهم ويروح به كروبهم وترتاح اليه عقولهم فهؤلاء يستخرج منهم الرجاء وحسن الظن من العبادات ما لا يستخرجه الخوف اذ المخاوف تقطع عن أكثر المعاملات فصار الرجاء طريقة الاهله وصاروا راجين به كما قال عمر رضي الله عنه رحم الله صهيبا لو لم يخف الله تعالى لم يعصه أي يترك المعاصي للرجاء لا للخوف فصار الرجاء طريقه فهؤلاء هم الراجون حقا وهذه علامتهم ولمثل هذا ذكرنا الاسباب التي توجب الرجاء وتولد حسن الظن في قلوب أهل الصفاء ومن الرجاء تحسين الاخلاق مع الخلق وجميل الصبر عليهم وحسن الصفح ولطيف المداراة لهم تقربا الى الله عز وجل بذلك وتخلقا باخلاقه رجاء ثوابه وطمعا في تنجيز وعده واتباعا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن الرجاء ترك الاهواء الرديئة والشهوات المطغية ويحتسب في ذلك على الله نفيس الشيء المآثر العالية فقد روينا عن حميد عن أنس قال بمقابل عرش الرحمن غرفة يرسل اليها جبريل عليه السلام فاذا انتهى اليها خر لله ساجدا ثم يقول يا رب لمن خلقت هذه لاي نبي لاي صديق لاي شهيد قال فيرد عليه عز وجل ان آثر هواي على هواه ومن الرجاء فتعال الطاعات وحسن الموافقات ينوى بها ويسأل مولاه الكريم عظيم الرغائب وجليل المواهب بلا وهبه له من حسن الظن به كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله تعالى فاعظموا الرغبة وسلوه الفردوس الاعلى فان الله عز وجل لا يتعاظمه شئ وفي حديث آخر فاكثروا وسلوا الدرجات العلى فانما تسألون جوادا كريما وفي الآثارات رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة فاذا دخلا الجنة رفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول الآخر يا رب بما كان هذا في الدنيا بأكثر عبادة مني فرفعته علي في عليين فيقول الله سبحانه وتعالى انه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وكنت أنت تسألني النجاة من النار فأعطيت كل عبد سؤله ورويناه في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يخرج من النار فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول له كيف وجدت مكانك فيقول يا رب شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى أي معنى تلتفت فيقول له يا رب قد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول تعالى اذهبوا به الى الجنة فقد صار الرجاء طريقه الى الجنة كما كان الخوف طريق صاحبه في الدنيا اليها كما روينا ان الآخر سعى مبادرا الى النار لما قال ردوه فقيل له في ذلك فقال لقد ذقت من وبال معصيتك في الدنيا ما خفت من عذابه في الآخرة فقيل اصرفوه الى الجنة وقال الله سبحانه في وصف قوم أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه فطرق لاوليائه من القرب والوسيلة الرجاء كما طرق الخوف منه اليها وهذا أحد الوجهين في الآية لمن لم يجعله وصفا للاصنام لانها قرئت بالتاء تدعون قرأها طلحة بن مصرف فكذلك ندب المؤمنين الى طلب القرب منه في قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة فهذه جملة أحكام الرجاء وأوصاف الراجين فمن تحقق بجميعها فقد استحق درجات أهل الرجاء وهو عند الله تعالى من المقربين ومن كان فيه وصف من هذه الاوصاف فله مقام من الرجاء واعلم أن مقامات اليقين لا يزيل بعضها بعضا ولكن يندرج بعضها في بعض فمن غلب عليه حال مشاهدته وصف بما غلب عليه واستتر بما سوى ذلك من المقامات فيه ومن عمل بشرط مقام منها وقام بحكم الله تعالى فيه نقل الى ما سواه وكان المقام الاول له علما والثاني الذي أقيم فيه له وجدا فكتم الوجد لانه سره وعبر عن العلم لانه قد جاوزه فصار له علانية ومقام الرجاء هو جند من جنود الله عز وجل يستخرج من بعض العباد ما لا يستخرج غيره لان بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان وتقبل وتطمئن بمعاملة النعم والاحسان ما لا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب بل قد يقطعها ذلك

ويوحشها

عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى ولا يقبل الله الا بصلاة ولا تقبل الصلاة الا بقرآن قال فعلمني فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم سورة الحمد وقل هو الله أحد وقال يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا قال صلى الله عليه وسلم ان هذا كلام رب العالمين وليس بشعر اذا قرأت قل هو الله فكأنما قرأت ثلث القرآن وان قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلثي القرآن وان قرأتها ثلاثا فكأنما قرأت القرآن كله فقال الاعرابي الهنا يقبل اليسير ويعطي الكثير ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم ألك مال فقال ما في بني سليم قاطبة رجل أفقر مني فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه أعطوه فاعطوه حتى أبطروه وقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله اني أعطيته ناقة عشراء تلحق ولا تلحق أهديت الي يوم تبوك فقال صلى الله عليه وسلم قد وصفت ما تعطي واصف لك ما يعطيك الله جزاء قال نعم قال لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من زبرجد أخضر وعيناها من زبرجد أخضر عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق تمر بك على الصراط كالبرق الخاطف فخرج الاعرابي من عند رسول الله صلى الله

وتوحشها اذقدجعل الرجاء طريقها ووجدت فيه قلوبها ومثل الرجاء في الاحوال مثل العوافي والغنى في الانسان من الناس من يقبل قلبه ويجتمع همه عندهما ويوجد نشاطه وتحسن معاملته بهما كما روينا عن الله سبحانه وتعالى ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ومن عبادي من لا يصلحه الا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك انى أدبر عبادي بعلمي انى بهم خبير فكذلك من عبادي من لا يصلحه الا الرجاء ولا يستقيم قلبه الا عليه ولا تحسن معاملته الا بوجود حسن الظن فهو طريقه اليه ومقامه منه ومنه عليه وعنده يجد قلبه معه الا أنه وان كان طريقا يخرج الى الله عز وجل فان الخوف أقرب منه وما كان أقرب فهو أعلى كما أن الغنى والعوافي طريقان الى الله تعالى الا أن الفقر والبلاء عندي أقرب منهما وأعلى والله غالب على أمره وقد روينا عن معمر عن الحسن انه قال انما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن بالله الظن وأحسن العمل وأما الكافر والمنافق فأساءا بالله الظن ولكن أكثر الناس لا يعلمون (شرح مقام الخوف ووصف الخائفين وهو الخامس من مقامات اليقين) قال الله عز وجل وما يعقلها الا العالمون فرفع العلم على العقل وجعله مقاما فيه وقد قال سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فجعل الخشية مقاما في العلم حققهم بها والخشية حال من مقام الخوف والخوف اسم لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين ينتظم هذين المعنيين قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون وقوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وهذه الآية قطب القرآن مداره عليها والتقوى سبب أضافه تعالى اليه تشريفا له ومعنى وصله به وأكرم عباده عليه تعظيما له فقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم وفي الخبر اذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم يقول يا أيها الناس انى قد أنصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فأنصتوا الى اليوم فانما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس انى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم الا فلان بن فلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون قال فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلهم الجنة بغير حساب والخوف حال من مقام العلم وقد جمع الله تعالى للخائفين ما فرقه على المؤمنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهذه جمل مقامات أهل الجنان فقال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال جل ذكره رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وفي خبر موسى عليه السلام وأما الخائفون فلهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه فأفردهم من غير مشاركة بالرفيق الأعلى كما حققهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة لأنهم مع الانبياء في المزية من قبل انهم ورثة الانبياء لأنهم هم العلماء قال تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ثم قال تعالى في وصف منازلهم وحسن أولئك رفيقا يعني رفقاء عبر عن جماعتهم بالواحد لأنهم كانوا كأنهم واحد وقد يكون رفيقا مقاما في الجنة من علي عليين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم عند الموت وقد خير بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى فقال أسألك الرفيق الأعلى وفي خبر موسى عليه السلام فأولئك لهم الرفيق الأعلى فدل أنهم مع الانبياء بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وشرف مقامهم فوق كل مقام لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فالخوف اسم جامع لحقيقة الايمان وهو علم الوجود والايقان وهو سبب اجتناب كل نهي ومفتاح كل أمر وليس شيء يحرق شهوات النفوس فيزيل آثارها آثارا فانهما الا مقام الخوف وقال أبو محمد سهل رحمه الله تعالى كمال الايمان العلم وكمال العلم الخوف وقال مرة العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة وقال أبو الفيض المصري لا يسقى المحب كأس المحبة الا من بعد أن ينضج الخوف قلبه وقال خوف النار عند خوف الفراق بمنزلة قطرة قطرت في بحر لجي وكل مؤمن بالله تعالى خائف منه ولكن

عليه وسلم قد لقاه ألف اعرابي على الصحابة بألف سيف فقال لهم أين تريدون فقالوا نريد هذا الذي يكذب ويزعم انه نبي فقال الاعرابي أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا له صبوت فدنهم بحديثه فقالوا كلهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا يا رسول الله مرنا بأمرك فقال كونوا تحت راية خالد ابن الوليد فلم يؤمن من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم اعلم يا مسكين ان من استقام في هذا العالم على الصراط المحمدي نجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالاوزار زل بأول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك اذ رأيت الصراط ودقته ثم أبصرت سواد جهنم من تحته ثم سمعت شهيق النار وتغيظها وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع اضطراب قلبك وثقل ظهرك بالاوزار فكيف بك اذا وضعت احدى رجليك فأحسست بحدته واضطررت الى أن ترفع القدم الثاني والخلائق بين يديك يزلون ويتناولهم الزبانية بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر اليهم ينتكسون فيتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلو أرجلهم فانظر الى حالك وأنت ترجف عليه وتصعد اليه تلتفت

خوفه على قدر قربه فخوف الاسلام اعتقاد العزة والجبرية لله تعالى وتسليم القدرة والسطوة له والتصديق لما أخبر به من عذابه وما تهدد به من عقابه وقال الفضيل بن عياض اذا قيل لك تخاف الله فاسكت لانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف من يخاف وشكا واعظ الى بعض الحكماء فقال الا ترى الى هؤلاء أعظهم واذكرهم فلا يرقون فقال وكيف تنفع الموعظة من لم يكن في قلبه لله تعالى مخافة وقد قال الله تعالى في تصديق ذلك سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى أي يتجنب التذكرة الشقي فجعل من عدم الخوف شقيا وحرمه التذكرة فخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب من باطن العلم بالعقد وخوف خصوصهم وهم الموقنون بباطن القلب من باطن العلم بالوجد فاما خوف اليقين فهو للصديقين من شهداء العارفين عن مشاهدة ما آمن به من الصفات المخوفة وقد جاء في خبر اذا دخل العبد في قبره لم يبق شئ كان يخافه دون الله عز وجل الا مثل له يفزعه ويرعبه الى يوم القيامة فاول خوف اليقين الموصوف الذي هو نعت الموصوفين من المؤمنين المحاسبة للنفس في كل وقت والمراقبة للرب في كل حين والورع عن الاقدام على الشبهات من كل شئ من العلوم بغير يقين بها ومن الاعمال بغير فقه فيها وفي خبر موسى عليه السلام وأما الورعون فانه لا يبقى أحد الا ناقشته بالحساب وفتشته عما في يديه الا الورعين فاني أستحييهم وأجلهم ان أوقفهم للحساب فالورع حال من الخوف ثم كف الجوارح عن الشبهات وفضول الحلال من كل شئ بخشوع قلب ووجود اخبات وقال علي كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ثم صمت اللسان وخزن الكلام لئلا يدخل في دين الله عز وجل ولا في العلم ما لم يشرعه الله في كتابه أو لم يذكره رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته أو لم ينطق به الائمة من السلف في سيرهم مما لم يكن أصله موجودا في الكتاب والسنة وتسميته واضحة في العلم فيجتنب ذلك كله ولا تقف ما ليس لك به علم خوفا من المسائلة ولا يدخل فيه لتحقيق هوى يدخل عليه ولا لعظيم حظ دنيا يدخل فيه وان ينصح نفسه لله تعالى لانها أولى الخلق في الله تعالى فيبتدئ بالنصح في أمور الدين والآخرة ثم يعقبه في أسباب الدنيا لان أمور الآخرة أهم والغش في الدين أعظم والتزود للمنقلب آثر روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من غش أمتي فعليه لعنة الله قيل وما غش أمتك يا رسول قال ان يبتدع لهم بدعة فيتبع عليها فاذا فعل ذلك فقد غشهم وثمرة الخوف العلم بالله عز وجل والحياء من الله عز وجل وهو أعلى سريرات أهل المزيد يستبين أحكام ذلك في معنيين هما جملة العبد ان يحفظ رأسه وما حواه من السمع والبصر واللسان وان يحفظ بطنه وما وعاه وهو القلب والفرج واليد والرجل وهذا خوف العموم وهو أول الحياء فاما خوف الخصوص فهو ان لا يجمع ما لا يأكل ولا يبني ما لا يسكن ولا يكاثر فيما عنه ينتقل ولا يغفل ولا يفرط عما اليه يرتحل وهذا هو الزهد وهو حياء مزيد أهل الحياء من تقوى أصحاب اليمين وقد روينا معنى ما ذكرناه في حديثين أحدهما عام والآخر خاص وكل من لم يستعمل قلبه في بدايته ويعمل الخوف حشو ارادته لم ينجب في نهايته ولم يكن اماما للمتقين عند علو معرفته وأعلى الخوف ان يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة لا يسكن الى علم ولا عمل ولا يقطع على النجاة بشئ من العلوم وان علت ولا لسبب من أعماله وان جلت لعدم علم تحقيق الخواتم فقد قيل انما الوزن من الاعمال خواتمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى يقال انه من أهل الجنة وفي خبر حتى ما يبقى بينه وبين الجنة الا شبر ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار ولا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شئ من عمل الجسم بالجوارح انما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول له وشرك التوحيد الذي لم يكن محققا به وشك في اليقين الذي لم يكن في الحياة الدنيا شاهده فظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما يظهر له أعماله السيئة فيستعملها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجده فتكون هي خاتمته التي تخرج عليها روحه وذلك في سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم



فيخاوتهما الا الى الخلق وهم يتهافتون في النار والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط فكيف بك لو زلت بك قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل وقلت ياليتني قدمت لحياتي وعند ذلك تخطفك النار والعياذ بالله فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت مؤمنا بها وبالاستعداد لها متهاونا فما أعظم حسراتك فطول فكرك في هذه الاهوال ولا ينفعك الا خوف منعك عن المعاصي ويحثك على الطاعة ولا ينفع رقة النساء وخوف الحمقى واذا سمعوا الاهوال سبق الى ألسنتهم الاستعاذة والبكاء وهم مع ذلك مصرون على المعاصي شعر

يا نفس توبي الى مولاك واجتهدي
وصابري فيه ايقانا برؤياه
يا نفس من منقذي يوم الحساب غدا
سوا مشهدي اياه الا هو
ومن لقلب اذا لج الغرام به
الا الذي جلة العشاق ثم راه
متيم باه شوقا اذا جن الظلام تجد
قوما سكارى تساوى عند ذكراه
وكيف يعدلني عن بابه والي
بجاه قد جئت أرجو طيب لقياه

من الكتاب تكون عند مفارقة الروح من الجسد وأما الموفوهم نصيبهم غير منقوص وقد جاء في خبر حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بعمل أهل النار وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقي وتكون النفس قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت في القلب الى الحلقوم فهذا هو شبر وفواق ناقة هو ما بين الحلبتين وقيل هو شوط من عدو هابين سيرين وهذا من تقلبات القلوب عند حقيقة توجهها للتوحيد الى وجهة الضلال والشرك عند ما يبدو له من زوال عقل الدنيا وذهاب علم المعقول فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب وأكثر ما يقع سوء الخاتمة لثلاث طوائف من الناس أهل البدع والزيغ في الدين لان ايمانهم مرتبط بالمعقول فأول آية تظهر لهم من قدرة الله تعالى ان يطيح عقله عند شهودها فيذهب ايمانه ولا يثبت لمعاينتها كما تحترق الفتيلة ويسقط المصباح والطبقة الثانية أهل الكبر والانكار لآيات الله عز وجل وكراماته لأوليائه في الحياة الدنيا لانهم لم يكن لهم يقين بحمل القدرة ويحده الايمان فيعتورهم الشك ويقوى عليهم لفقد اليقين والطبقة الثالثة ثلاثة أصناف متطرقون متفاوتون في سوء الخاتمة وجميعهم دون تينك الطائفتين في سوء الخاتمة لان سوء الختم على مقامات أيضا كمقامات اليقين والشرك في عمر الحياة منهم المدعي المتظاهر الذي لم يزل الى نفسه وعمله ناظرا او الفاسق المعلن والمصر المدمن يتصل بهم المعاصي الى آخر العمر بدوم تقلبهم فيها الى كشف الغطاء فاذا رأوا الآيات تابوا الى الله تعالى بقلوبهم وقد انقطعت أعمال الجوارح فليس يتأتى منهم فلا تقبل توبتهم ولا تقال عثرتهم ولا ترحم عبرتهم وهم من أهل هذه الآية وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن فهم مقصودون بقوله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون وهم معنيون بمعنى قوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده فنصوص الآية للكفار ومعناها ومقام منها لاهل الكبائر وذوي الاصرار من الفاسقين الزائغين من حيث اشتركوا في سوء الخاتمة ثم تفاوتوا في مقامات منها تظهر لهم شهوات معاصيهم ويعاد عليهم تذكرها لخلو قلوبهم من الذكر والخوف حتى يختم لهم بشهادتها فهذه الاسباب تجلب الخوف وتقطع قلوب ذوي الالباب وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكذلك قال أبو يزيد رحمه الله تعالى قبله اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي زنار أخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فيقطع عني الزنار فهذا لي في كل يوم خمس مرات هذا لعلمهم بسرعة تقلب القلوب في قدرة علام الغيوب وقد روينا معنى ذلك عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معشر الانبياء نخاف الكفر وروينا في أخبار الانبياء أن نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين فأوحى الله تعالى اليه اما رضيت ان عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فلم يذكر له نعمته عليه بنبوته وعرضه للكفر وجوز دخوله عليه بعد النبوة فاعترف النبي عليه السلام بذلك ورضي به واستعصم وقد كان عبد الواحد بن زيد امام الزاهدين قبلهما يقول ما صدق خائف قط ظن انه لا يدخل النار وما ظن أن يدخل النار الا خاف أن لا يخرج منها أبدا وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى امام العلماء قبلهم يخرج من النار رجل بعد ألف عام ويا ليتني ذلك الرجل هذا الشدة خوفه من الخلود في الابدية قال فبعد أن أخرج منها بوقت لا أبالي والعدو يدخل على العارفين من طريق الالحاد في التوحيد والتشبيه في اليقين والوسوسة في صفات الذات ويدخل على المريدين من طريق الآفات والشهوات فلذلك كان خوف العارفين أعظم ومن قبل أن العدو يدخل على كل عبد من معنى همه فيشككه في اليقين كما يزين له الشهوات فأرواحهم معلقة بالسابقة اذا سبق لهم من الكلمة هنالك مشاهدتهم ومن ثم فزعهم لا يدرون أسبق لهم قدم صدق عند ربهم فيختم لهم بمقعد صدق فيكونون ممن قال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ويخافون أن يكونوا قد حقت عليهم الكلمة فيكونون ممن قال فيهم الرسول

ولي شفيع اليه لا يرد في جميع الكل فيما راو وقد نادوا
محمد المصطفى المختار من مضر من طيب الارض طيبا عند رباه
أموت شوقا ولا أحظى برؤيته واحسرتا ان أحظى برؤياه
نارهما في فؤادي قط بارحة الا وذكراه فيها ليس تنساه
صلى عليه اله العرش ما طلعت شمس وغابت سحابا من محياه
اللهم انظر الينا بنظر رحمتك واغفر لنا جميع معاصينا وارزقنا جوازا على الصراط ونصيبا من الجنة

*(فصل في الشفاعة)*

ثم عن أبي سعيد الخدري ان اناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله تعالى يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ولا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين وقال فماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت

صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى هؤلاء فى النار ولا أبالى فلا ينفعهم شفاعة شافع ولا ينقذهم من النار دافع كما قال مولاهم الحق أفمن حقت عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار وكقوله تعالى ولكن حق القول منى لأملأن جهنم فهذه الآية ومعناها تخويف لأولى الابصار وقال عالم النار رحمه الله فى قوله تعالى واياى فاتقون عموم أى فيما لم يبت عنه وقوله تعالى واياى فارهبون أى فى السابقة وهذا خصوص وقد نوّع بعض العارفين خوف المؤمنين على مقامين فقال قلوب الابرار معلقة بالخاتمة يقولون ليت شعرى ماذا يختم لنا به وقلوب المقربين معلقة بالسابقة يقولون ليت شعرى ماذا سبق لنا به وهذان المقامان عن مشاهدتين احداهما أعلى وأنفذ من الاخرى لحالين أحدهما أتم وأكمل فهذا كما قيل ذنوب المقربين حسنات الابرار أى ما يرغب فيه الابرار فهو عندهم فضائل قد زهد فيه المقربون فهو عندهم حجاب ومن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له من مولاه الختم بسوء الاكتساب لم ينفعه شئ فهو يعمل فى بطالة لا أجر له ولا عاقبة فقد نظر اليه نظرة بعد فهو يزداد بأعماله بعدا من قبل أن سوء الخاتمة قد تكون فى وسط العمر فلا ينتظر بها آخره يوافق معصية تكون سببها كعند الخاتمة اذ هما فى سبق العلم سواء فالخاتمة حينئذ فاتحة الوقتان واحد فاذا انقطعت الآجال وانتهت الاعمال تناهى فى الابعاد فحل فى دار البعد وقد روينا فى الخبر والله لا يقبل الله تعالى من مبتدع عملا انه ردعلى الله تعالى سنته فرد عليه عمله كلما ازداد اجتهادا ازداد من الله تعالى بعدا كما قال الحكيم

من غص داوى بشرب الماء غصته ✽ فكيف يصنع من قد غص بالماء

بل كيف يصنع من أقصاه مالكه ✽ فليس ينفعه طب الاطباء

وعن مشاهدة هذا المعنى كان خوف الحسن البصرى رحمه الله تعالى وحزنه لعلمه بانه عز وجل لا يبالى ما فعل نخاف أن يقع بوصف الجبر به فى ترك المبالاة أن يجعله نكالا لاصحابه وموعظة لاهل طبقته يقال انه ما ضحك أربعين سنة وكنت اذا رأيته قاعدا كأنه أسير قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها واذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه وعوتب فى شدة حزنه فقال ما يؤمننى أن يكون قد اطلع على فى بعض ما يكره فمقتنى فقال اذهب فلا غفرت لك فأنا أعمل فى غير معمل فنحن أحق بهذا من الحسن رحمه الله ولكن ليس الخوف يكون لكثرة الذنوب فلو كان كذلك لكنا أكثر خوفا منه انما يكون لصفاء القلب وشدة التعظيم لله تعالى وقد بشر العلاء بن زياد العدوى بالجنة وكان من العباد فغلق عليه بابه سبعا ولم يذق طعاما وجعل يبكى و يقول أنا أنا فى قصة طويلة حتى دخل عليه الحسن فجعل يعذله فى شدة خوفه وكثرة بكائه فقال يا أخى من أهل الجنة ان شاء الله تعالى أفقاتل نفسك فما لمثلك وجعل يعذله الحسن فى الخوف وقد كان من فوقهم من علية الصحابة يتمنون انهم لم يخلقوا بشرا وقد بشروا بالجنة يقينا فى خبر خبر من ذلك قول أبى بكر رضى الله عنه ليتنى مثلك يا طير وانى لم أخلق بشرا وقول عمر رضى الله عنه وددت انى كنت كبشا فذبحنى أهلى لضيفهم وأبو ذر رضى الله عنه يقول وددت انى شجرة تعضد وطلحة والزبير رضى الله عنهما يقولان وددنا انا لم نخلق وعثمان رضى الله عنه يقول وددت انى اذا مت لا أبعث وعائشة رضى الله عنها تقول وددت انى كنت نسيا منسيا وابن مسعود رضى الله عنه يقول ليتنى انى أكون رمادا وفى رواية عنه ليتنى كنت بعرة ليتنى لم أك شيأ فى طبقة يكثر عددهم ونحن فى ارتكاب الكبائر ونحدث نفوسنا بالدرجات العلى والقرب من سدرة المنتهى ونسينا ان أبانا آدم صلوات الله عليه أخرج من الجنة بعد ان دخلها بذنب واحد ونحن لم نرها بعد فانما نضرب فى حديد بارد وروينا فى خبر أن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله تعالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفى حديث آخر بمثل هذه القصة انه دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع أمه تقول هنيأ لك الجنة فقال من

ثم يسجد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه وفى رواية أبى سعيد فيقول هل بينكم و بينه آية تعرفونه فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة و يقولون اللهم سلم سلم فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا و يصلون و يحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا

هذه المتألية على الله عز وجل فقال الرجل هي اي يارسول الله قال اليوم ما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وروينا بمثل معنى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على طفل منفوس ففي رواية انه سمع يقول له في دعائه اللهم قه عذاب القبر وعذاب جهنم وفي رواية ثانية انه سمع قائلة تقول هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك انه كذلك والله اني رسول الله وما أدري ما يصنع بي ان الله عز وجل خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وقد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الاولين واستشهد لما قالت أم سلمة رضي الله عنها ذلك وكانت تقول والله لا أزكي أحدا بعد عثمان رضي الله عنه وأعجب من ذلك انا روينا عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه انه قال والله لا أزكي أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي الذي ولدني قال فتكلمت الشيعة فأخذ يذكر من فضائل علي كرم الله وجهه ومناقبه فهذه المعاني أحرقت قلوب الخائفين وأصل ذكر البعد في الابعاد الذي شيب الحبيب القريب في قوله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود وأخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون لان في سورة هود ألا بعدا لثمود ألا بعدا لعاد قوم هود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وفي سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ثم وقعت السابقة لمن سبقت له وحقت الحاقة بمن حقت عليه فانفصل ترافعة خفضت قوما في الآخرة كانوا مرفوعين في الدنيا حين ظهرت الحقائق وكشفت عواقب الخلائق وأما سورة التكوير ففيها خواتم المصير وهي صفة القيامة لمن أيقن وفيها تجلي معاني الغضب لمن عاين آخر ذلك واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت هذا فصل الخطاب أي عند تسعير النيران واقتراب الجنان حينئذ يتبين للنفس ما أحضرت من شر يصلح له الجحيم أو خير يصلح له النعيم وتعلم اذ ذاك من أي أهل الدارين تكون وفي أي منزلين تحل فكم من قلوب قد تقطعت حسرات على الابعاد من الجنان بعد اقترابها وكم من نفوس تصاعدت زفرات عن يقينها بمعاينة النيران انها تصيبها وكم من أبصار ذليلة خاشعة لمشاهدة الاهوال وكم من عقول طائشة لمعاينة الزلزال وحدثنا عن أبي محمد سهل رحمه الله تعالى قال رأيت كأني أدخلت الجنة فلقيت فيها ثلثمائة نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا الى سوء الخاتمة فالخاتمة هي من مكر الله تعالى الذي لا يوصف ولا يفطن له ولا يطلع عليه وقف ولا نهاية لمكره لان مشيئته وأحكامه لا غاية لها ومن ذلك الخبر المشهور ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل بكيا خوفا من الله تعالى فأوحى الله اليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا ومن يأمن مكرك فلولا انهما علما ان مكره لا نهاية له لان حكمه لا غاية له لم يقولا ومن يأمن مكرك مع قوله قد أمنتكما ولكان قد انتهى مكره بقوله ولكانا قد وقفا على آخر مكره ولكن خافا من بقية المكر الذي هو غيب عنهما وعلما انهما لا يقفان على غيب الله تعالى اذ هو علام الغيوب فلا نهاية لعلام في علم ولا غاية للغيوب بوصف فلم يحكم عليهما القول لعلمنا يشهم ما وفضل نظره اليهما ولانهما على مزيد من معرفة الصفات اذ المكر عن الوصف واظهار القول لا يقضي على باطن الوصف فكأنهما خافا أن يكون قوله تعالى قد أمنتكما مكرى مكرا منه أيضا بالقول على وصف مخصوص عن حكمة قد استأثر بعلمها يختبر بذلك حالهما وينظر كيف يعملان تعبدا منه لهما به اذ الابتلاء وصفه من قبل أن المبتلى اسمه فلا يترك مقتضى وصفه لتحقق اسمه ولا تبدل سنته التي قد خلت في عباده كما اختبر خليله عليه السلام لما هوى به المنجنيق في الهواء فقال حسبي الله ربي فعارضه جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة قال لا وفاء بقوله حسبي الله فصدق القول بالعمل فقال الله تعالى وابراهيم الذي وفى أي بقوله حسبي الله ولان الله تعالى لا يدخل تحت الاحكام ولا يلزمه ما حكم به على الانام ولا يختبر صدقه سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يوصف بضد الصدق وان بدل الكلم هو بتبديل منه لان كلامه قائم به فله أن يبدل به ما شاء وهو الصادق في الكلامين العادل في الحكمين الحاكم في الحالين لانه حاكم عليه ولا حكم يلزمه فيه لانه قد جاوز العلوم والعقول التي هي أماكن المحدود

كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوم لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم الله في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه ق قال صلى الله عليه وسلم يصف أهل النار فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان ما تعرفني انا الذي سقيتك شربة وقال بعضهم انا الذي وهبت لك وضوأ فيشفع له فيدخله الجنة اعلم ان الله تعالى يقبل شفاعة الانبياء والصديقين والعلماء والشهداء والصالحين فاحرص أنت على رتبة الشفاعة بان لا تحقر آدميا ولا معصية ولا طاعة أصلا فانك لا تدري

من الامر والنهي وفات الرسوم والمعقول التي هي أواسط الاحكام والاقدار وفي مشاهدته ماذكرناه علم دقيق من علوم التوحيد ومقام رفيع من أحوال التوحيد وبمثل هذا المعنى وصف صفيه موسى في قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى بعد قوله تعالى لا تخافا انني معكما الآية فلم يأمن موسى أن يكون قد أسر عنه في غيبه واستثنى في نفسه سبحانه مالم يظهره له في القول لمعرفته موسى عليه السلام بخفي المكر وباطن الوصف ولعلمه انه لم يعطه الحكم اذهو محكوم عليه مقهور فخاف خوفا ثانيا حتى أمنه أمنا ثانيا بحكم ثان فقال لا تخف انك أنت الاعلى فاطمأن الى القائل ولم يسكن الى الاظهار الاول لعلمه بسعة علمه انه هو علام الغيوب التي لا نهاية لها ولان القول أحكام والحاكم لا تحكم عليه الاحكام كما لا تعود عليه الاحكام وانما تفصل الاحكام من الحاكم العلام ثم تعود على المحكومات أبدا ولانه جلت قدرته لا يلزمه ما لزم الخلق الذين هم تحت الحكم ولا يدخل تحت معيار العقل والعلم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا عند من عرفه فأجله وعظمه عن معارف من جهله ومن هذا قول عيسى عليه السلام ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك لما قال له أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ومثل هذا قوله في يوم القيامة ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فجعلهم في مشيئته لعزته وحكمته ولا يصلح أن تكشف حقيقة ما وصلناه في كتاب ولا ينبغي أن نرسم ما رمزناه من الخطاب خشية الانكار وكراهة تفاوت علم أهل المعقول والمعيار الا ان يسأل عنه من أقيم فيه وأريد به من ذوي القوة والابصار فينتقل من قلب الى قلب فيتلذذ بتلاوة شاهد منه أو يكشفه علام الغيوب في سرائر القلوب بوحي الالهام ويقذفه بنور الهدى للاعلام والله الموفق لمن شاء من العباد لما شاء من الحيطة بالعلم وهو الفتاح العليم اذا فتح القلب علمه واذا نوره باليقين ألهمه من خوف العارفين علمهم بان الله تعالى يخوّف عباده بمن شاء من عباده الاعلين يجعلهم نكالا للادنين ويخوف العموم من خلقه بالتنكيل ببعض الخصوص من عباده حكمة له وحكما منه فعند الخائفين في علمهم ان الله تعالى قد أخرج طائفة من الصالحين نكالا خوّف بهم المؤمنين ونكل طائفة من الشهداء خوّف بهم الصالحين وأخرج جماعة من الصديقين خوّف بهم الشهداء والله تعالى أعلم بما وراء ذلك وقد أخرج جماعة من الملائكة وعظ بهم النبيين وخوّف بهم الملائكة المقربين فصار من أهل كل مقام عبرة لمن دونهم وموعظة لمن فوقهم وتخويف وتهديد لاولى الابصار وهذا داخل في بعض تفسير قوله عز وجل آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال بعض أهل التفسير في أخبار بلعم بن باعوراء انه أوتي النبوة والمشهور انه أوتي الاسم الاكبر فكان سبب هلاكه وهو مقتضى وصف من أوصافه وهو ترك المبالاة بما أظهر من العلوم والاعمال فلم يسكن عند ذلك أحد من أهل المقامات في مقام ولا نظر أحد من أهل الاحوال الى حال ولا أمن مكر الله تعالى عالم به في كل حال كيف وقد سمعوه تبارك وتعالى يقول ان عذاب ربهم غير مأمون فأجهل الناس من امن غير مأمون وأعلمهم من خاف في الامن حتى يخرج من دار الخوف الى مقام أمين وهذا الخوف لا يقوم له شئ وكرب لا يوازيه مقام ولا عمل ولولا ان الله تعالى عدله بالرجاء لاخرج الى القنوط ولولا انه روحه بروح الانس بحسن الظن لادخل في الاياس ولكن اذا كان هو المعدل وهو المروّح كيف لا يعتدل الخوف والرجاء ولا يمتزج الكرب بالروح والرضا حكمة بالغة وحكما نافذا لعلم سابق وقدر جار ما شاء الله تعالى لا قوة الا بالله وفي شهود ما ذكرناه علم عن مشاهدة توحيد لمن أشهده فأقل ما يفيد علم هذا الخائفين ترك النظر الى أعمالهم ورفع السكون الى علومهم وصدق الافتقار في كل حال ودوام الانقطاع بكل هم والازراء على النفس في كل وصف وهذه مقامات القوم فيكون هذا الخوف سبب نجاتهم من هذه الوقائع اذ قد جعل الله تعالى التخويف أمنة من الاخذ بالمفاجأة وسببا للرأفة والرحمة لمن ألبسه اياه وهو أحد الوجهين في قوله تعالى أفأمن الذين مكروا السيآت أن يخسف الله بهم الارض الآية ثم قال تعالى أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم وليس يصلح أيضا أن نكشف سر الخاوف من الخاتمة والسابقة

لان

قل أي عبد خشيا ولا يشعه في أي معصية غضبه وفي أي طاعة رضاه واجتهد بكل الجهد في تقربه بمحبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لترحم بشفاعة المحبوب ولا تترك الطاعة اتكالا على الشفاعة لان المعاصي بريد الكفر فلا تأمن أن ينزع ايمانك فلا شفاعة أصلا وان يسلم فلا تقدر على نار جهنم وان علم منك شك فيه فاجلس على نار الدنيا لتعرف قدرتك على نار جهنم شعر

سلام على قبر النبي محمد
نبي الهدى والمصطفى والمهتدى
وكان رسول الله أفضل من مشى
على الارض الا انه لم يخلد
وأول من ينشق عنه ضريحه
وخير الورى الهادي المشفع في غد
وأكوابه مثل النجوم وحوضه
لوراده فازوا بأعذب مورد
فيا خير مبعوث الى خير أمة
ومن خص بالدين القويم المؤيد
سألتك يا خير الانام شفاعة
بها أرتجي سؤلي وأبلغ مقصدي
عليك سلام الله يا خير مرسل
وأشرف مخلوق وأكرم سيد

*(فصل في الحوض)*

قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ق

لان ذلك يكون عن حقائق معانى الصفات التى ظهرت عن حقيقة الذات كما ظهرت بدائع الافعال وغرائب المآل واعادت الاحكام على من أظهر بها وجعل لها من حقت عليه الكلمات وجعل نصيبه من معانى هذه السر بر من الصفات فيؤدى ذلك معناه الى كشف باطن الاوصاف وهذا غير مأمور به ولا مأذون فيه لانه لا يجب فلم يؤمر به ولانه لم يبح فلم يؤذن فيه وهو من سر القدر وقد نهى عن افشائه فى غير خبر ولم يطلع الاولياء عليه الا لقليل فلا تفشوه فان أقام الله تعالى عبدا مقام هذه المشاهدة أغناه بالمعاينة عن الخبر وآنسه بالمشاهدة عن الاثر وذلك هو العلم النافع الذى يكون العلام معلمه وذلك هو الاثر اللازم الذى يكون الجاعل مؤثره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه فالكتب الذى لا يمحى ما كان من نوره والعين التى لا تخفى لانها بحضوره والنور الذى لا يطفأ لانه من روحه والروح الذى لا كرب فيه لانه من ريحانه والمدد الذى لا ينقطع فمن روحه وقد كتب وأيد وكل كتاب بيد مخلوق فغير محفوظ وقد يضيع وكل أيد بغير روحه فمقطوع وما كتبه الصانع بصنعه فى قلب حفظا فثبت عتيد وقد روينا عن زيد بن أسلم فى قوله تعالى فى لوح محفوظ قال قلب المؤمن وقال آخر فى قوله والبيت المعمور قلب العارف وقال بعض أهل المعرفة فى بيوت اذن الله أن ترفع قلوب المقربين رفعت الى وصف الخالق عن ذكر المخلوقين ويذكر فيها اسمه بالتوحيد على تجريد الوحدانية عن شهادة الاحدية وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول الصدر هو الكرسى والقلب هو العرش والله تبارك وتعالى واضع عليه عظمته وجلاله وهو مشهود بلطفه وقربه فصدر المؤمن أوله صمدية وآخره روحانية وأوسطه ربوبية فهو صمدى روحانى ربانى وقلبه أوله قدرة وآخره بر وأوسطه لطف فاذا كان كذلك فهو مشكاة فيها مصباح يرى به الزجاج كأنها كوكب درى تشهد به الآلاء فهو مرآة تجسدى يرى فيرى به الوجه بعينه عنده كما يراه من وراء مرآة مشاهد فمن قلب موقن بعين يقين يشهد الصدر الكرسى والقلب العرش والله تعالى عليه ولا يعلم العلماء أيضا كشف علامات سوء الخاتمة بين أوهامهم من العمال لان لها علامات جلية عند المكاشفين بها وأدلة خفية عند العارفين المشرفين بهم عليها ولكنها من سر المعبود فى العبد خبيئة وخباءة فى خزائن النفوس لم يطلع عليها الا الافراد وقد ستر ذلك وغطاه بسعة رحمته وحلمه كثيف ستره وفضله وسيخرج ذلك الخباء يوم تبلى السرائر عند غضبه وعظيم سطوته فما له من قوة من عمل ولا ناصر من علم لا قوة له فينتصر بها لان النصرة عزة وهو ذليل ولا ناصر لان الناصر هو الخاذل والمقوى هو المضعف فما أسوأ حال من لا ينصر نفسه وليست له من مولاه محبة ولو محبه لنصره ولو نصره لاعزه ولو وليه لهرب منه عدوه قال تعالى لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منها يصحبون وقال تعالى قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض الآية فمن حكمته غفره ومن رحمته ستره وقال تعالى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون فهذه العلوم التى ذكرناها توجب حقائق المخاوف وهى من سر الملك وخباء الملكوت على أن للعبد عند الموت علامات ليس يخفى على العارف بسوء الخاتمة بها المشاهدة لها وللاحياء علامات عند المكاشفين على الاطلاع يعرفون بها سوء الخاتمة منهم وهذا علم مخصوص به من أتم مقام مقامات المكاشفات عن مشاهدة تحقيقه من ذات وهو سر علام الغيوب عند من أطلعه عليه من أهل السلوب لان الكشف يتنوع أنواعا من المعانى فمنه كشف معانى الآخرة ومنه كشف بواطن الدنيا ومنه الاطلاع على حقائق الاشياء المستورة لظواهر الاحكام فهذا من سر الملكوت ومن معانى كشوف الجبروت وقد جاء فى خبر القدر سر الله فلا تفشوه فهذا خطاب لمن كوشف به وفى خبر آخر ستر الله فلا تكشفوه فهذا خطاب لمن لم يكاشف به وهذا نهى عن السؤال عنه وهو داخل فى قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أى لا تتبع نفسك علم ما لم تكلف ولا تسأل عما لم يجعل من عملك ولم يوكل اليك ولانه اذا علمه لم ينفعه علمه شيأ وانما ينفعه علم الاحكام والاسباب لانها طرقات وبمثل مخاطبة المؤمنين خاطب أنبياءه عليهم السلام فى

عن ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حوضى من عدن الى عمان البلقاء وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة ليس يظمأ بعدها أبدا وأول الناس ورودا فقراء المهاجرين الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد ت عن كعب بن عجرة ان امراء يكونون من بعدى فمن غشى أبوابهم فصدقهم فى كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولا يرد على الحوض ومن غشى أبوابهم ولم يصدقهم فى كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه وسيرد على الحوض يا كعب بن عجرة انه لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به وفى التذكرة قال علماؤنا والمرتدون والمبتدعون كالروافض والمعتزلة والظلمة المسرفون فى الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصى مطرودون عن الحوض انتهى ملخصا وفى الاحياء فليرج كل عبد أن يرد على الحوض وليحذر أن يكون متمنيا ومغترا فان الراجى للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها ورجا فضل الله بالانبات ودفع الصواعق الى الحصاد

هذا المعنى في قوله تعالى لنوح عليه السلام حين قال ان ابني من أهلي وان وعدك الحق لانه قد كان وعده نجاة أهله فقال سبحانه وتعالى انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم أي دعاءك ومسألتك لي ما لم أجعله من علمك ولم أكله اليك عمل غير صالح فعندها استغفر ربه واسترحمه وان العبد عند موته في آخر ساعة من عمره يكشف له عند كشف الغطاء عن بصره وجوه كثيرة قد اتخذت آلهة من دون الله أو أشرك بها مع الله تعالى وكلها تزيين وغرور فان توقف القلب مع أحدها أو ركن اليه بعضها أو تقلب قلبه في شيء منها عند آخر أنفاسه ختم له بذلك فخرج روحه على الشك أو الشرك وهذا هو سوء الخاتمة وهو نصيب العبد من الكتاب في السابقة عند خلق الارواح معدومة لها في الاشباح في الآباد والآزال فقبل اظهار الاكوار والادوار فشهدتها الارواح هنالك غرورا ووقفت معها وتزادت لها زورا رسوم في القلب في التخطيط قبل خلق الاجسام لها وقبل جمعها بكشف الهياكل عند ظهورها في الوجود وقبل اقامتها بشاهد العقل لكن بشاهد الاولية بدت وبمعنى القيومية وجدت وبوصف الجامع جمعت ثم فرقت ههنا فظهرت الآن عند الفراق لما كانت شهدت في التلاق وامترفت في الآخر كما كانت نطقت في الاول وخرجت الروح على ما شهدت وهذا كان خبر السابقة التي أدركت الارواح المرافقة لها في الاجسام عند الخاتمة ومن ذلك ما في الاثر يأخذ ملك الارحام النطفة في يده فيقول يا رب أذكر أم أنثى أسوي أم معوج ما رزقه وما عمله ما أثره ما خلقه قال ثم يخلق الله تعالى على يده كما قال فاذا صوره قال يا رب أنفخ فيه بالسعادة أو بالشقاوة فلذلك خرجت الروح بما دخلت به فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة كما بدأنا أول خلق نعيده ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني وقال سبحانه وتعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين فهذه الآي ونظائرها وردت في السوابق الاول والخواتم الاخر وفيها سرائر الغيوب وغرائب الفهوم وهي من آي المطلع لاهل الاشراف على شرفات العرش والاعراف وقال بعض العارفين لو علمت أحدا على التوحيد خمسين سنة ثم حالت بيني وبينه اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لاني لا أدري ما ظهر من التقليب وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل حركة وكل خطرة وهمة يخافون البعد من الله تعالى وهم الذين مدح الله تبارك وتعالى وقلوبهم وجلة وقال لا يصح خوف حتى يخاف من الحسنات كما يخاف من السيآت وقال أيضا أعلى الخوف ان يخاف سابق علم الله تعالى فيه ويحذر ان يكون منه حدث خلاف السنة يجره الى الكفر وقال خوف التعظيم مصير ان خوف السابقة وكان بعض العارفين يقول لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة قيل ولم قال لاني لا أدري ما يعرض بقلبي من المشاهدة فيما بين باب الحجرة وباب الدار فيغير التوحيد وروينا عن زهير بن نعيم البابي قال ما أكبر همي ذنوبي انما أخاف ما هو أعظم علي من الذنوب وهو ان أسلب التوحيد وأموت على غيره وروى ابن المبارك عن أبي لهيعة عن بكر بن سوادة قال كان رجل يعتزل الناس أينما كان يكون وحده فجاء أبو الدرداء فقال أنشدك الله تعالى ما يحملك على ان تعتزل الناس قال اني أخشى ان أسلب ديني وأنا لا أشعر قال أترى في الحي مائة يخافون ما تخاف فلم يزل ينقص حتى بلغ عشرة قال فحدثت بذلك رجلا من أهل الشام فقال ذاك شرحبيل بن سمط يعني من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان أبو الدرداء يحلف بالله تعالى ويقول ما أحد أمن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وقد كان بعض علمائنا يقول من أعطى التوحيد أعطيه بكماله ومن منعه منعه بكماله اذا كان التوحيد



أو ما صنع ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها ورجا انبات الله الحب والثمار كيف تغتر وتتمنى وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور وحمق نعوذ بالله منه فان الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا عن أبي سعيد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما طول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من أولئك المؤمنين بترك هواك لمولاك فما بقي لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيديك فاعمل في أيام قصار لايام طوال تربح ربحا كثيرا لا منتهى لسروره شعر

يا ذا الذي قد نام وهنا أو غفا
ماذا يفوت النائمين من الوفا
قم باغفولا عن وصال حبيبه
اجر الدموع على الخدود تأسفا
واسمع ودع عنك التكلف انه
ما طاب من أضحى هواه تكلفا
لي بالعقيق وبين جرعاء الحمى
بدر رشيق القد اسمر أهيفا
أعيا عيون الناظرين بحسنه
وقضى لطرف ماله ان يطرفا
ان يبد في ليل ترى بدرا بدا
ولو انثني قلبا لحسام المرهفا

فى نفسه لا ينبعض ولما احتضر سفيان الثورى رضى الله عنه جعل يبكى و يجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أوعلى ذنوبى أبكى لو علمت انى أموت على التوحيد لم أبال ان ألقى الله تعالى بأمثال الجبال من الخطايا وقال مرة ذنوبى أهون من هذه و رفع حبة من الارض انما أخاف أن أسلب التوحيد فى آخر الوقت وقد كان رحمه الله أحد الخائفين كان يبول الدم من شدة الخوف وكان يمرض المرض من المخافة وعرض بوله على بعض الكتابيين فقال هذا بول راهب من الرهبان وكان يلتفت الى حماد بن سلمة فيقول يا أبا سلمة ترجو لمثلى العفو أو يغفر لمثلى فيقول له حماد نعم أرجو له وقد كان بعض العلماء يقول لو أنى أيقنت ان يختم لى بالسعادة كان أحب الى مما طلعت عليه الشمس فى حياتى أجمعها فى سبيل الله تعالى وحدثنى بعض اخوانى عن بعض الصادقين وكان خائفا انه أوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتنى الوفاة فاقعد عند رأسى فاذا عاينت فانظر الى فان رأيتنى مت على التوحيد فاعمد الى جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل المدينة وقل هذا عرس المنفلت وان رأيتنى مت على غير التوحيد فاعلم الناس انى قدمت على غير التوحيد حتى لا يغتر وا بشهود جنازتى ليحضر جنازتى من أحب على بصيرة لئلا يلحقنى الرياء فاكون قد خدعت المسلمين فقلت ومن أين أعلم انك قدمت على التوحيد فذكر له علامة تظهر من بعض الاموات لم نحب ذكرها قال فكنت عند رأسه انظر اليه كما أمر حتى اعاين فرأيت علامة حسن الخاتمة وأمارة الموت على التوحيد قد ظهرت وفاضت روحه قال فنفذت وصيته كما أمر ولم أحدث بذلك الا خصوص اخوانى من العلماء وذلك ان العبد مهما عمل فى حياته من سوء أعيد ذكره عليه عند فراق الحياة و وقعت مشاهدته فيه عند آخر ساعة من عمره فان استحلى ذلك بقلبه أو استهواه نفسه وقف معه فاذا وقف معه حسب عليه عملا له وان قل وكان ذلك خاتمته وكذلك ما عمل من خير أعيد ذكره ومشاهدته عليه فان عقد عليه بقلبه أو أحب وقف معه فحسب عملا له وكان ذلك حسن خاتمته وقال بعض هذه الطائفة فى قول الله تعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم قال يبلوكم بتقليب القلوب فى حال الحياة بخواطر الذنوب وفى حال الموت بالحاد عن التوحيد فمن خرجت روحه على التوحيد وجاوزت البلاوى كلها الى المبلى فهو المؤمن وذلك هو البلاء الحسن كما قال الله تعالى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا فهذه المعانى من العلوم أوجبت خوف الخائفين من علم الله تعالى فيهم فلم ينظر وا معها الى محاسن أعمالهم لحقيقة معرفتهم بربهم وهذا الخوف هو الثواب لعلمهم بما يعلمون فلما سلموا من مطالبتهم بما يعلمون وصحوا على العلم ظهر لهم خوف علم الله تعالى فيهم نعمة من الله تعالى عليهم فكان ذلك مقاما لهم كما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما قيل بالخوف والمقام الآخر لاصحاب اليمين دون هؤلاء خوف الجنايات والاكتساب وخوف الوعيد وسوء العقاب وخوف التقصير فى الامر وخوف مجاوزة الحد وخوف سلب المزيد وخوف حجاب اليقظة بالغفلة وخوف حدوث الفترة بعد الاجتهاد عن المعاملة وخوف وهن العزم بعد القوة وخوف نكث العهد بنقض التوبة وخوف الوقوع فى الابتلاء بالسبب الذى وقعت منه التوبة وخوف عود الاعوجاج عن الاستقامة وخوف العادة بالشهوة وخوف الحور بعد الكور وهو الرجوع عن المحجة الى طريق الهوى وحرث الدنيا وخوف اطلاع الله تعالى عليهم عند ما سلف من ذنوبهم ونظره اليهم على قبيح فعلهم فيعرض عنهم و يمقتهم وهذه كلها مخاوف وطرقات لاهل المعارف و بعضها أعلى من بعض و بعضهم أشد خوفا من بعض و يقال ان العرش جوهرة يتلألأ لأهل الكون فلا يكون للعبد وجد فى حال من الاحوال الا طبع مثاله فى العرش على الصورة التى يكون عليها العبد فاذا كان يوم القيامة ووقف للمحاسبة أظهرت له صورته من العرش فرأى نفسه على هيئته التى كان فى الدنيا فذكر فعله بمشاهدته نفسه فيأخذه من الحياء والرعب ما يجل وصفه و يقال ان الله سبحانه اذا أعطى عبدا معرفة ثم لم يعامله بها سلبه اياها بل

هو سيد الكونين والنور الذى
ظهرت سرير بعثته بعد الخفا
وهو المشفع فى القيامة وحده
فيمن هوى فى النار أو من أشرفا
هو صاحب الخلق العظيم فلا ترى
الا صفوحا عاطفا متلطفا
هو صاحب المعراج من أسرى به
ليلا الى أسنى مقام أشرفا
ملئت به الآفاق نورا باهرا *
وعلا على متن البراق مشرفا
كانت ملائكة السماء خدما له *
ولجنان الخلد أبدت زخرفا
أوحى اليه الله جل جلاله
اسراره ولغيره لن تكشفا
يا سيد الكونين جئتك أشتكى
من جور دهر لى غدا متعسفا
أنوى المسير اليك وهو يصدنى
والقلب نحوك قد غدا متشوقا
والعمر مدولى ضياعا حسرة
وانا لاجلك قد فنيت تأسفا
فعسى أنيلك عزمة تبوية *
أبقى بها قصدى وعيشا قد صفا
صلى عليك الله يا علم الهدى *
ما ناح قمرى الاراك ووصفا
اللهم ارزقنا زيارة نبيك فى الدنيا وشفاعته فى العقبى واحشرنا تحت أقدام الصالحين يا أرحم الراحمين

*(فصل فى جهنم)* قال الله تعالى وان منكم الا واردها أى بالجواز على الصراط الممدود على جهنم كان أى الورود على ربك حتما أى واجبا أوجبه على نفسه مقضيا أى قضاه الله

أبقاها عليه لصاحبه على مقدارها ولكن يرفع عنه البركة ويقطع عنه المزيد وقد ذم الله تعالى عبدا أوجده نعمة استعملها بها صالحا بعد ان كان قد ابتلاه بهواه فغفر الآن بعمله ونسي ما قدمت يداه ولم يخف ان يعيده فيما فقد كان جنا فى قوله تبارك وتعالى ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيآت عني انه لفرح فخور ومن المخاوف خوف النفاق وقد كان السلف الصالح من الصحابة رضي الله منهم وخيار التابعين يخافون ذلك كان حذيفة رضي الله عنه يقول ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا حتى يلقى الله تعالى انى لاسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات وكان يقول تأتى على القلب ساعة تمتلئ بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة و يأتى عليه ساعة تمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وفى لفظ آخر من الموبقات وقد كان الحسن رحمه الله يقول لو انى أعلم انى برىء من النفاق كان أحب الى مما طلعت عليه الشمس وقيل لا يعرى من النفاق الا ثلاث طبقات من المؤمنين الصديقون والشهداء والصالحون وهؤلاء الذين مدحهم الله تعالى بكمال النعمة عليهم والحقهم بمقامات أنبيائه لكمال الايمان وحقيقة اليقين فيهم وقيل من أمن من النفاق فهو منافق وكان بعضهم يقول علامة النفاق ان يكره من الناس ما يأتى مثله وان يحب على شىء من الجور وان يبغض على شىء من الحق ومن النفاق من اذا مدح بما ليس فيه أعجبه ذلك وعلامات النفاق أكثر من ان تحصى يقال هى سبعون علامة والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أربع هن أصولها تتشعب منها الفروع فقال عليه السلام أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى و زعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من نفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى لفظ آخر اذا عاهد غدر فصارت خمسا وقال رجل لابن عمر رضي الله عنهما انا ندخل على هؤلاء الامراء نصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم و روينا عنه من طريق آخر انه سمع رجلا يذم الحجاج و يقع فيه فقال له أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد من ذلك ان نفرا قعدوا على باب حذيفة رضي الله عنه ينتظرونه فكانوا يتكلمون فى شىء من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه قال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعظم من هذا ما كان الحسن رحمه الله يذهب اليه كان يقول ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج فدقائق النفاق وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين أوجبت المخاوف على المؤمنين خشية مقت الله تعالى وخوف حبوط الاعمال من ذلك ما كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان الرجل ليخرج من منزله ومعه دينه فيرجع الى منزله وليس معه من دينه شىء يلقى الرجل فيقول انك لذيت وذيت و يلقى الآخر فيقول لا انت وأنت ولعله لا يحلى منه بشىء وقد سخط الله تعالى عليه يعنى به التزكية بلا علم والمدح لمن يستحق الذم واختلاف قلبه ولسانه ففى هذا مقت من الله تعالى وفوق هذه المخاوف خوف سلب الايمان الذى هو عندك فى خزانة المؤمن يظهره كيف شاء و يأخذه متى شاء لا يدرى أهبة وهبه لك فيبقيه عليك لكرمه أو وديعة وعارية أودعك اياه وأعارك هو فيأخذه اذا لاعدالة لعدله وحكمته وقد أخفى عنك حقيقة ذلك واستأثر بعاقبته وقال بعض العارفين انما قطع بالقوم عند الوصول مع الخاتمة وقال آخر واضطراه كما قال أبو الدرداء وحلف ما احد أمن من ان يسلب ايمانه الا سلبه أفرأيت الوقت الذى قال حذيفة يأتى على القلب ساعة فيمتلئ نفاقا حتى لا يكون فيه للايمان مغرز ابرة ان صادف الموت ذلك الوقت وكان هو آخر وقت أليس تخرج روحه على النفاق وكذلك تقليبات القلوب

عليكم ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فتفكر يا أخى فانك من الورود على يقين ومن النجاة على شك م عن سمرة بن جندب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال منهم من تأخذه النار الى كعبيه ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار الى حجزته ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته خ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهون أهل النار عذابا هو أبو طالب وهو متنعل بنعلين يغلى منهما دماغه ق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من بضعين جزأ من نار جهنم ولولا انها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وانها لتدعو الله ان لا يعيدها فيها ت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها حتى اسودت فهى سوداء مظلمة (ا) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى النار لحيات كأمثال البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وان فى النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين وفى الاحياء وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من

فى معانى الشرك وتلويحات الشكان وافق وقت الوفاة كانت خاتمته عند لقاء مولاه وانما سميت الخاتمة لانها آخره وآخر ساعته من العمر وخاتم الشئ آخره ومن ذلك قوله تعالى وخاتم النبيين أى آخرهم ومثله ختامه مسك وخاتمه مسك أى آخر الكاس بدلا من الثفل يكون مسكا ومن المخاوف خوف قطع المزيد من علم الايمان مع بقية المعرفة المبتدأة ليكون مستدرجا بها كما قال بعض العلماء ان الله تبارك وتعالى اذا أعطى عبدا معرفة فلم يعامله بها لم يسلبه تلك المعرفة لكن يقاؤها فيه حجة عليه ليحاسبه على قدرها وانما يقطع عنه المزيد وقد يقسى قلبه وتجرى عينه وذلك من النقصان الذى لا يعرفه الا أهل التمام لانه يمنعه ما ينفعه عنده ويعطيه ما يغتر به ويفتتن عند الخلق لان عين الوجه من الملك الدنيا وعين القلب من الملكوت للآخرة وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة اذا استكمل العبد النفاق ملك عينيه فيبكى متى شاء وقد كانوا يستعيذون بالله عز وجل من بكاء النفاق وهو ان يفتح للعبد الوان البكاء ويغلق عنه باب الذل والخشوع وقد قال الله عز وجل وجاؤا أباهم عشاء يبكون وكان السلف أيضا يقولون استعيذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما هو قال ان تبكى العين والقلب قاس فلأن يعطى الانسان رقة القلب فى جود عين خير من ان يعطى دموع عين فى قسوة قلب ورقة القلب عند أهل القلوب هو خشوعه وخوفه وذله وانكساره واخباته فمن أعطاه هذا فى قلبه لم يضره ما منعه من بكاء عينيه فان رجله بفيض العين فهو فضل ومن أعطاه بكاء العين وحرمه خشوع القلب وذله وخضوعه واخباته فهو مكر به وهذا هو حقيقة المنع وعدم النفع وجملة بكاء العين انما هو فى علم العقل فاما علم التوحيد بمشاهدة اليقين فلا بكاء فيه لانه يذهل لشاهد الوحدانية فيحمله على علم القدرة فتفيض الدموع بانشاق القوة وقد وصف الله تعالى البا كين ان البكاء يزيدهم خشوعا فى قوله تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا فاذا زادنا البكاء كبرا ونفرا علمنا بذلك عدم الخشوع فى القلب فكان تصنعا وعجبا خفايا آفات النفوس فاعلى المخاوف خوف السوابق والخواتم كما كان بعض العارفين يقول لما بكائى وغمى من ذنوب وشهواتى لانها أخلاقى وصفاتى لا يليق بى غيرها انما حزنى وحسرتى كيف كان قسمى منه وتصيبى حين قسم الاقسام وفرق العطاء بين العباد فكيف كان قسمى منه البعد فهذا الذى ذكرناه وجل خوف العلماء الذين هم ورثة الانبياء وهم أبدال النبيين وأئمة المتقين أولوا القوة والتمكين وسئل أبو محمد رحمه الله هل يعطى الله أحدا من الخوف مثقالا فقال من المؤمنين من يعطى من الخوف وزن الجبل قيل فكيف يكون حالهم يأكلون وينامون وينكحون قال نعم يعلمون ذلك والمشاهدة لا تفارقهم والمأوى يظلهم قيل فاين الخوف قال يحمله حجاب القدرة بلطيف الحكمة ويسترا قلب تحت الحجاب فى التصريف بصفات البشرية فيكون مثل هذا العبد مثل المرسلين وهذا كما قال لان مشاهدة التوحيد بالتصريف والحكمة تغيبه بالقيام بالاحكام وذلك ان نور الايمان فى القلب عظيم لو ظهر القلب لاحرق الجسم وما تصل به من الملك الا انه مستور بالفضل مغطى بالعلم لايقاع الاحكام وايجاب التصريف فيها والقيام بحرى مجرى الغايات من معانى القدر والصفات لان الانوار محجوبة بالاسماء والاسماء محجوبة بالافعال والافعال محجوبة بالحركات فتظهر الحركة بالقدرة وهى غيب من ورائها كذلك يظهر التصريف بالحكمة عن نور الايمان وأنوار الايمان مستورة من ورائه وقال بعض العارفين لو كشف وجه المؤمن لعبد من دون الله تعالى ولو ظهر نور قلبه للدنيا لم يثبت له شئ على وجه الارض فسبحان من سترا قدرة ومعانيها بالحكمة وأسبابها حلما منه ورحمة وتطريقا للخلق اليه المنفعة وفى قراءة أبى بن كعب مثل نور المؤمن فلولا ان نورهم من نوره ما استجاز ابدال الحرف بغير معناه وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول الخوف مباينة للنهى والخشية الورع والاشفاق الزهد وكان يقول دخول الخوف على الجاهل يدعوه الى العلم ودخوله على العالم يدعوه الى الزهد ودخوله على العامل يدعوه الى الاخلاص وقال أيضا الاخلاص فريضة لاتنال الا بالخوف ولا ينال الخوف الا بالزهد

سلطا عليه فى الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ت ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ق عن الحسن قال قال عتبة ابن غزوان على منبر البصرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الصخرة العظيمة تلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما وما تفضى الى قرارها وكان عمر يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد وعن أحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم لو ضرب جبل بمقمع منها لتفتت وفى التذكرة قال ابن زيدوان الحلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل فى الدنيا لهدته وفى الوسط عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ولهم مقامع من حديد لو وضع مقمع من حديد فى الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض وقال كعب لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها وان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مصطفى الا خر جاثيا على ركبتيه ويقول نفسى نفسى ت قال النبى صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق

فقد صار الخوف يصلح للكافة اذ دخوله على العامة يخرجهم عن الحرام ودخوله على الخاصة يدخلهم في الورع والزهد لان من خاف ترك وقال أيضا من أحب ان يرى خوف الله تعالى في قلبه فلا يأكل الا حلالا ولا يصلح علم الرجاء الا للخائف وقال الخوف ذكر والمحبة أنثى ألا ترى ان أكثر النساء يدعون المحبة يريد بهذا ان فضل الخوف على الرجاء كفضل الذكر على الانثى وهذا كما قال لان الخوف حال العلماء والرجاء حال العمال وفضل العالم على العابد كفضل القمر على الكواكب وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل من علم أحب الي من فضل من عمل وخير دينكم الورع واعلم ان الخوف عند العلماء على غير ما يتصور في أوهام العامة وبخلاف ما يعدونه من القلق والاحتراق أو الوله والانزعاج لان هذه خطرات وأحوال ومواجيد للوالهين وليست من حقيقة العلم في شئ بمنزلة مواجيد بعض الصوفية من العارفين في أحوال المحبة من احتراقهم وولههم والخوف عند العلماء انما هو اسم لصحيح العلم وصدق المشاهدة فاذا أعطى عبد حقيقة العلم وصدق اليقين سمي هذا خائفا فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم من أخوف الخلق لانه كان على حقيقة العلم ومن أشدهم حبا لله تعالى لانه كان في نهاية القرب وقد كان حاله السكينة والوقار في المقامين معا والتمكين والتثبيت في الاحوال كلها ولم يكن وصفه القلق والانزعاج ولا الوله والاستهتار قد أعطى أضعاف عقول الخليقة وعلومهم ووسع قلبه لهم وشرح صدره لهم بر عليهم فكان صلى الله عليه وسلم مع الاعرابي كأنه اعرابي ومع الصبي يعنا ومع المرأة في نحوها يقاربهم في علومهم ويخاطبهم بعقولهم ويظهر منه مثل وجدهم ليعطيهم نصيبهم من الانس به ويوفيهم حقوقهم من البرك منه ولئلا تعظم هيبته في صدورهم فينقطعون عن السؤال له والانس به حكمة منه لا يفطنون لها ورحمة منه قد جبل عليها قد ألبس مواجيدهم لبسة وأدخل ذلك عليه صبغة بغير تكلف ولا تصنع تعلم ذلك من الحكيم العليم فلذلك وصفه عز وجل بخلقه وتعجب من وصفه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قيل على أخلاق الربوبية وقرنت بالاضافة ليكون عظم اسم الله سبحانه لا يظهر من حاله ونصيبه شيئا لقوة التمكين وفضل العقلاء ولا يبخس من نصيبهم منه شيأ لحقيقة العدل ولا يتظاهر بشئ لحقيقة الزهد ونهاية الخشوع والتواضع ولا يظهر عليه شئ لمكانة القوة ورسوخ العلم والحكمة وعلى منهاجه وسنته وصف العارفين من أهل البلاء الذين هم الامثل فالامثل بالانبياء وقال بعض أهل المعرفة من طالب الخلق بعلمه وخاطبهم بعقله فقد بخسهم حقوقهم منه ولم يقم بحق الله تعالى فيهم وقال بعض العلماء لا يكون اماما من حدث الناس بكل ما علم وأظهر لهم نصيبه وكان يحيى بن معاذ يقول لا تخرج أحدا من طريقه ولا تخاطبه بغير علمه فتتعب ولكن اغرف له من نهره واسقه بكأسه وسئل بعض العلماء عن العارف هل يستوحش من الخلق قال لا يستوحش ولكن قد يكون نفورا قيل فهل يستوحش منه فقال العارف لا يستوحش منه ولكن قد يهاب ومما يدل ان الخوف اسم لحقيقة العلم ان في قراءة أبي بن كعب في قوله تعالى فخشينا ان يرهقهما فخاف ربك ان يرهقهما وقال يحيى ابن زياد النحوي ومعناه فعلم ربك وقال الخوف من أسماء العلم والله أعلم * بيان آخر في معنى الخوف والخوف أيضا من أسماء المعاني فوجوده بانتفاء ضده فاذا عدم من القلب الامن من كل وجه من أحوال الدنيا وأمور الآخرة فلم يأمن مكر الله تعالى في كل الاحوال في تصريف أحكام الدنيا وتقليب حركات القلوب والنفوس وجواذب الشهوات واثارة طبائع العادات ولم يسكن الى عرف ولا اعتياد ولم يقطع بسلامته وبراءته في شئ كان هذا خائفا وسمي العبد بفقد الامن من جميع ذلك خائفا فهذا مستعمل فاش في كلام العرب ومذهبهم يقول أحدهم أخافه من كذا اذا لم يأمنه أو أخاف ان يكون ذا اذا تحقق علمه وقيل لبعض العلماء ما بال العارف يخاف في كل حال فقال لعلمه ان الله تعالى قد يأخذ في جميع الاحوال ثم ان الخائفين بعد هذا طرقا ووجهة من قبل الخوف المقلق والاشفاق المزعج والوجل المحرق هي مجاوزات الطرق السالمة التي هي منهاج الائمة المختارة الفاضلة وفيها مناه ومهالك نقلت عنها العلماء السادة والصفوة المختارة



يجرانق في المنبلا لانتن أهل النار ت عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته ت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان قالوا الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ت عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعظم أهل النار في النار حتى ان بين شحمة اذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه مثل أحد وفي شرح السنة عن أنس عن النبي صلى الله عليه

الا انه قد سلك ببعض الزهاد والعباد فيها وأريد بعض العارفين بها ليست بمفضلة كل ذلك عن العلماء ولا بمتناقض فيها مغبوط عليها عند العارفين لانها قد تخرج من طرقات المسالك الى مطاوز المهالك وانما أريد ببعضهم التعريف لها والاطلاع عليها ومنهم من أريد منه التيه والوله فيها الا انها أشهر في اسماع العامة وأعجب وأهول عند العموم * ذكر تفصيل هذه المخاوف اعلم ان للخوف سبع مفاتيض تفيض اليها من القلب فالى أي مفيض فاض من القلب اليه أتلف ما حجبه الاما بثبته فقد يفيض الخوف من القلب الى المرارة وهي أرق صفات الادمة وهي باطن البشرة فيحرقها فيقتل العبد وهؤلاء هم الذين يموتون من الغشي والصعق وبداوة الوجد وهم ضعفاء العمال وقد يطير الخوف من القلب الى الدماغ فيحرق العقل فيتيه العبد فيذهب الخالع بسقط المقام وقد يصل الخوف السحر وهو الرئة فينقبها فيذهب الاكل والشرب حتى يسل الجسم وينشف الدم وهذا لاهل الجوع والطي والاضطرار وقد يسكن الخوف الكبد فيورث الكمد اللازم والحزن الدائم ويحدث الفكر الطويل والسهو الذاهب وفي هذا المقام يذهب النوم ويدوم السهر وهذا من أفضلها وفي هذا الخوف العلم والمشاهدة وهو من خوف العاملين وقد يقدح الخوف في الفرائص والفريصة هي اللحمة التي تكون على الكتف يقال اللحمتي الكتفين الفريصتان وجمعها الفرائص ومنه الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الفريصتان من الغنم وهو أرق لحم الحيوان وأعذبه فمن هذا الخوف يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة وقد يبدو الخوف من القلب فيغشى العقل فيمحي سلطانه لقهر سلطان القدرة ومحو الشمس اذا برزت ضوء القمر البادي الذي يبدو على السر من خزائن الملكوت فيضعف لاجله العقل فيضطرب لضعفه الجسم فلا يتمكن العبد من القرار لضعف صفته وذلك ان أجزاء الانسان وان كانت متفرقة في البنيان المحكمة الاتقان فهي كشئ واحد يجمعها لطيف القدرة باظهار المشيئة فاسفل البنية منوط باعلاها فاذا اضطرب أعلاها مال أسفلها واذا وصل الداء والدواء الى عضو منها تداعى له سائرها وهذه الطائفة أشبه بالفضل وأدخل في وصف العلم وقد سلك في هذا الطريق أكابر العلماء وأفاضل أهل القلوب وقد كان هؤلاء في التابعين كثير منهم الربيع بن خثيم وأويس القرني وزرارة بن أوفى ونظراؤهم من الاخيار رضي الله عنهم ولم ينكر هذا عليه الصحابة مثل عمر وابن مسعود رضي الله عنهم وقد كان عمر رضي الله عنه يغشى عليه حتى يضطرب مثل البعير ويسقط من قيام وقد كان ذلك يلحق سعيد بن حذيم وكان من زهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أمراء الاجناد بعثه عمر رضي الله عنه واليا على أهل الشام وكان يوصف له من زهده وشدة فاقته ما يعاتبه عمر في ذلك ويبعث اليه بالمائة دينار وبار بعمائة دينار ليستنفقها على أهله فيفرق ذلك على الغزاة في قصة طويلة فكتب اليه أهل الشام يذكرون شأنه وكان يغشى عليه في مجلسه فخشوا عليه من دخيلة في عقله ولم يعرف ذلك أهل الشام فسأله عمر لما قدم عن الذي يصيبه اذا تحدث فاخبره بما يجد من مشاهدته وهو وجد الصوفية من أهل الاحوال فعرف عمر ذلك وعذره وما زاده ذلك عنده الا خيرا فكان يكرمه ويعرف له فضله وكتب الى أهل الشام ان لا تعنفوا في أمره ودعوه وقد كان أقوى الاقوياء وهادي الهداة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم يغشى عليه عند نزول الوحي اذا لبسه أزال ترتيب العقل منه ورفع مكان الكون عنه ويغط ويتربد وجهه ويحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي الا ان هذا كان يصيبه في ضرب من الوحي اذا تغشاه وينزل عليه روح القدس في روحه واستبطن باطن قلبه لان الوحي على أربعة أضرب ضربان متصلان هذا أحدهما وضربان منفصلان ومن كل واحد يلحق العلماء بالله تعالى أهل القلوب الناظرة والشهادة الحاضرة وشرح هذا يطول وليس يعرفه علم يقين الا من سلك طريقه ولا يشهده شهادة تحقيق الا من ذاق حقيقته ومن آمن به تصديق تسليم فله منه نصيب الا ان هذا في أهل مقامات ثلاث من المقربين مقام المعرفة والمحبة والخوف وكل ضروب الوحي بعد هذه الاربعة وهي عشرة لاهل هذه المقامات

وسلم قال يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى يسيل دموعهم على وجوههم كأنها جداول حتى ينقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أرخيت فيها لجرت

شعر

فيا عاملا للنار جسمك لين
فجربه تمرينا بحر الظهيرة
ودرجه في لسع الزنابير تجترى
على نهش حيات هناك عظيمة
فان كنت لا تقوى فويلك ما الذي
دعاك الى اسخاط رب البرية
تبارزه بالمنكرات عشية
وتصبح في أثواب نسك وعفة
فأنت عليه منك أجرى على الورى
بما فيك من جهل وخبث طوية
تقول مع العصيان ربي غافر *
صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر
فلم لم تصدق فيهما بالسوية
فانك ترجو العفو من غير توبة
ولست ترجو الرزق الا بحيلة
على انه بالرزق كفل نفسه
لكل ولم يكفل لكل بجنة
الهي أجرنا من عظيم ذنوبنا *
ولا تخزنا وانظر الينا برحمة
الهي اهدنا فيمن هديت وخذ بنا
الى الحق نهجا في سواء الطريقة
وخذ بنواصينا اليك وهب لنا
يقينا يقينا كل شك وريبة

*(فصل)* قال الله تعالى فاما من طغى وآثر الحياة

الثلاث منه تصيب خواطر أو وجد أو شهادة أو حال أو مقام وهو وصف التمام الا نوعين من أنواع الوحي فانهما مما يختص ومخصوص بهما المرسلون أحدهما الطهور والملك في صورته وسمع كلام الله بصفته ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام في صورته بالابطح فصعق وروى حمزة عن حمران بن أعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ آية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر موسى صعقا وقد يفيض الخوف من القلب الى النفس فيحرق الشهوات ويمحو العادات ويخمد الطبع ويطفئ شعل الهوى وهذا أحد المخاوف وأعلاها عند أهل المعارف وهؤلاء أفضل الخائفين وأرفعهم مقاما وهو خوف الانبياء والصديقين وخصوص الشهداء وليس فوق هذا وصف يثبت عليه الخائف ولا يفرح به عارف فان جاوز الخوف هذه الاوصاف فقد خرج عن حده وجاوز قدره لانه اذا أحرق الشهوات ومحا الاهواء صار بمنزلة شهوة ولا هوى ثم ان لم يعصم العبد من مجاوزة حد الخوف خرج به الخوف الى أحد ثلاثة معان خيرها أن يسري الى النفس فيحرقها فيتلف العبد فتكون له شهادة وليس هذا محمودا عند علماء الخائفين من أرباب العلوم والمشاهدات الا انه قد قال بعض العلماء ما شهداء بدر بأعظم أجرا ممن مات وجدا وهذه أوصاف ضعاف المريدين اذ للعلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين أجر شهيد وأوسطها أن يعلو الى الدماغ فيدنيه فتنحل عقدة العقل القوية فتضطرب الطبائع لانحلال عقدة العقل ثم تختلط المزاجات لاضطرابها فتحترق الصفراء فتحول سوداء فيكون من ذلك الوسواس والهذيان والتوه والوله وذلك أن الدماغ جامد وهو مكان العقل هو مركب عليه معقود به فاذا اختلطت المزاجات اشتعلت فتلهب شعلها الى الدماغ فأحرقه وأذابه فحل محل العقل الذي مسكنه مخ الدماغ وسلطانه مقال القلب الناظر كصقال الرقعة وهو بمنزلة الشمس الطالعة محلها الفلك العلوي وشعاعها على الارض كذلك العقل محله المخ وسلطانه في القلب وفي هذا المقام الطيش والهيمان وهذا منكر عند العلماء وقد أصاب ذلك بعض المحبين في مقام المحبة فانطبق عليهم قولهم أو وجده ومنهم من فزع ذلك عن قلوبهم فسرى عنهم فنطقوا بعلمه وقد كان أبو محمد رحمه الله تعالى يقول لاهل التقلل الطاوين المتقشفين احفظوا عقولكم فانه لم يكن ولي الله ناقص العقل والمعنى الثالث وهو شرها في مجاوزة الخوف هو أن يعظم الخوف ويقوى فيذهب الرجاء اذ لم يواجه بعلم الاخلاق من الجود والكرم والاحسان التي تعدل المقام فتروح كروب الحال فيخرجه ذلك الى القنوط من رحمة الله والاياس من روح الله تعالى دخلت عليهم هذه المشاهدة من قبل العدل والانصاف بعيار العقل فجاوزتهم علم وصفه بالكرم وخفي الالطاف فتعدتهم الحدود من قبل قوة نظارهم الى الاكتساب وتمكن تحكم شهادة الاسباب ورجوعهم الى أنفسهم في الحول والاستطاعة واثباتهم لتحقيق الوعيد عليهم خاصة لا محالة والحكم على الحاكم الراحم بعقولهم وعلومهم من غير تفويض منهم الى مشيئته ولا استسلام لقدرته ولا تأميل لاحد معاني صفاته الحسنى التي تعم جميع صفاتهم السوأى فظهرت سيآتهم الثواني أمامهم فحجبتهم عن الحسن الاول ولم يعلموا انهم باحسانه اليهم أساؤا وبسبق علمه فيهم تعدوا وان قلمه لم يكن بأيديهم اذ جرى بما لديهم وان قهر قدرته وسلطان جبره ما أظهر منهم من خواتيمها فيهم يدلك على ما ذكرناه ان أكثر هذه المخاوف كانت في البصريين وأهل عبادان والعسكريين فكان مذهبهم القدر والقول باللطف وتفويض المشيئة وتقديم الاستطاعة منهم العمرية أصحاب عمرو والعبادية شيعة عباد والفوطية والعطوية أصحاب هشام الفوطي وابن عطاء الغزال ومنهم التيمية نفوا نصف القدر ومنهم المنازلية أصحاب المنزلة بين المنزلتين والقول بقدرين من قادرين وفعل من فاعلين فابتلوا بالاعتماد على الاسباب وبالنظر الى أولية الاكتساب فحجبهم ذلك عن القدر والوهاب فهرب هؤلاء من الامن والاغترار فوقعوا في أعظم منهما من القنوط والاياس فصاروا في كثير العادي من شرهم منها فمثلهم مثل الخوارج خرجوا على الائمة بالسيف لانكار المنكر فوقعوا في أنكر المنكر من تكفير الائمة وانكارهم السلطان وتكفيرهم الامة بالصغائر وهذا من أبدع البدع وهؤلاء كلاب

أهل

الشيطان الرجيم هي المأوى وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات حرف التذكرة المكاره كل ما شق على النفس فعله كالطهارة في السبرات وغيرها من أعمال الطاعات والشهوات كل ما وافق النفس وتدعو اليه أعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة لا تنال الا بقطع مفاوز المكاره وبالصبر عليها وان النار لا ينجى منها الا بترك الشهوات وفطام النفس عنها حرف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم أول من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي فيقول بلى يارب قال فماذا عملت فيما علمت فيقول كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول له الملائكة كذبت انما أردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد فيقول بلى يارب فيقول فماذا عملت فيما آتيتك فيقول كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله تعالى له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت ان يقال فلان

أهل النار ومثلهم أيضا مثل المعتزلة هربوا من طريق المرجئة ان الموحدين لا يدخلون النار فحققوا الوعيد على الموحدين وخلدوا الفاسقين في النار فجازوا حد المرجئة وزادوا عليهم كمجاوزة المرجئة طريق أهل السنة وقصرت عنهم وكان شيخنا أبو محمد رحمه الله تعالى يقول أهل البدع كلهم يرون الخروج على السلطان و يرون السيف على الامة و يكفرون الائمة فهذا أعظم الوجوه في مجاوزة الخوف عن قدره وهو من التعدى لحدود الله تعالى وأمره قد جعل الله لكل شئ قدرا ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فصدق الرجاء واعتدال الخوف به من حقيقة العلم بالله تعالى ومجاوزة الشئ كالتقصير عنه والمؤمن حقا هو المعتدل بين الخوف والرجاء فالخوف المتلف النفس بالموت أو المزيل العقل بالفوت خير من هذا الوصف الذى هو القنوط لان هذا مزيل العلم ومسقط المقام موقع في الكبائر على أن هذين المقامين من الخوف ليس فيهما علم ولا مشاهدة على الكشف وانما هو قوة وجد تصطلم مرارته فتوجد اتلاف النفس ومحو العقل من عبد بمنزلة خوف الكروبيين خاصة من الاملاك أهل الكرب والتمكن لانهم لا ينتقلون في المقامات التي يعملون بها كتقربي الروحانيين و بلغني أن منهم جيلا يخرج كل يوم من تحت العرش بعدد البشر قد أقلقه الشوق وحفزه الكرب يريد النظر الى وجه العلى الاعلى فيحرقهم شعاع سبحات وجهه الكريم سبحانه وتعالى فيحترقون احتراق الفراش في المصباح ثم يعود مثلهم من الغد فهذا دأبهم الى يوم القيامة كل ملك لو جمع السموات والارضين في كفه غابت في قبضته ولعمرى ان سائر الملائكة لا ينتقلون في المقامات كالمؤمنين بل لكل ملك مقام معلوم لا ينتقل منه الى غيره انما يمدون من ذلك المقام بمدد لا نهاية له الى يوم القيامة بأكثر ما يزاد جميع البشر ولكن أولئك يحمل خوفهم قواهم و يثبت بمشاهدة وصف المخوف خوفهم وصفاتهم فلا يؤودهم ولا يقتلهم لانهم يمدون بالقوى و يعصمون من الموت بحفظ آجالهم الى وقتها في الآخر على أن منهم من يطيش عقله و يتوله قلبه ومنهم من يصبح في تيهه ومنهم من يتيه فلا يردوجهه شئ الى يوم القيامة ومنهم من يفزع الفزعة فلا يرتد اليه طرفه ولا يرجع اليه عقله الى يوم الحشر ومنهم من يصعق صعقة فلا يزال في صرخة واحدة الى نفخ الصور وكثير منهم يصعقون عند سماع الكلام من الملك الجبار حتى اذا فزع عن قلوبهم سألوا الروحانيين من المقربين ذوى الحجب القريبة والرتب العلية منهم جبريل واسرافيل وميكائيل ماذا قال ربكم فهؤلاء الحاضرون من الناظرين والمتمكنون من الشاهدين بحبة القدس أولى المحبة والانس قالوا الحق وهو العلى الكبير فمثل هؤلاء الخائفين مثل المخلصين من المؤمنين الذين قال الله أولئك لهم رزق معلوم ومثل الاقوياء من العالمين أولى البصائر والتمكين مثل الصابرين الذين يؤتون أجرهم بغير حساب وعلماء الموقنين ينقلون في مقامات اليقين بمقتضى احكامها من مقام خوف الى مقام رجاء مثله فاذا عملوا في هذه المقامات بما يقتضيهم رفعوا الى ما فوقها من مقام رجاء الى مقام رجاء هو خير منه ومن حال خوف الى حال خوف أشرف منه ثم ينتقلون من مقامات الاشفاق الى حال الاشتياق ومن أحوال الوجل والاحتراق الى مقام التملق والطمأنينة ومن حال الفزع الى مقام الانس ومن الابعاد والوحشة والتهويل الى الرضا والمحبة والتأميل فهذا مكان فضلهم على من وقف في مقام لم يجاوزه من العموم ومن استتر بحاله وقام في ظله فلم يقطعه الى ظل ممدود فوقه ولم يرفع منه الى محل رفيع أعلا ومثل الخائفين من المؤمنين مثل الكروبيين من الملائكة ومثل الراجين من المحبين كمثل الروحانيين من المقربين وأصل الرجاء وتفضيله ان عند العلماء بالله تعالى من عظيم الرجاء ما يضاهى عظيم الخوف فيعدل البنية و يحكم بين المقامين بالسوية فلا يبدو على قلوبهم باد من الخوف عن مشاهدة وصف من الصفات المخوفة تكربهم الاطلاع طالع وراءه من عظيم الرجاء أشهدخلقا من الاخلاق اللطيفة تروحهم ولا يطرأ على قلوبهم طارئ من الخوف يرهبون منه الابدا عليهم باد من الرجاء يأنسون به اليه فتعتدل صفاتهم وتستوى مقاماتهم عن معاينة معنى من معانى صفاته لاستوائه كمال ذاته فتكون قلوبهم كلسان الميزان بين الخوف والرجاء وتكون كالطائر مقوما بين

---

جراد وقد قيل ذلك ثم يؤتى بالذى قتل في سبيل الله فيقول الله فيم اذا قتلت فيقول أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول له الملائكة كذبت و يقول الله بل أردت ان يقال فلان جرئ وقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبة أبى هريرة فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة فاخبر معاوية بهذا الحديث عن أبى هريرة فقال قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقى من الناس ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظن انه هالك ثم أفاق ومسح عن وجهه وقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فمالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم وغرثهم فقال الله تعالى للجنة انما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل

جناحيه عن شهود وصف وتخلق اقتضاء ظهور البلاء والنعماء فيحمل الخوف الرجاء ويستوى الرجاء على الخوف ويفيضان معاً فى سعة القلب وقوته فيغيبان فيه لانه قوى يقوى ووسع واسع وقادر بمقتدر وينفرد الهم عن المعنيين فيقف بشاهد منفرد فيحكم عليه بما به أفرد ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم بك أحول وبك أقول وبك أصول ومن ذلك قوله فى علو شهادته وتفاوت علمه من كونه بشاهده أعوذ بك منك ومثله قوله ألا كل شئ ما خلا الله باطل فهذا نطق عن وجد فى مقام البقاء بعد فقد ساك الفناء هنالك سمع قول الباقى الغنى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ومن ذلك الاثر المشهور عن الله سبحانه وتعالى لم تسعنى سمائى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن الشاكر اللين الوادع ولا يسع تفصيل ما أجملناه ولا شرح ما أومئ اليه وقال بعض علماء السلف ما ألبس المؤمن لبسة أحسن من سكينة فى خشوع ووله فى خضوع فهذا حالان من الخوف وهى لبسة الانبياء وسيما علماء الاولياء وقال لقمان لابنه يا بنى خف الله تعالى خوفاً لا تيأس فيه من رحمته وارجه رجاء لا تأمن فيه مكره ثم فسره مجملاً فقال المؤمن كذى قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر ومعنى ذلك أن المؤمن ذو وصفين عن مشاهدتين لان المؤمن الاول والشاهد الاعلى ذو وصف مخوف مثل البطش والسطوة والعزة والنقمة فاذا شهد العبد ما آمن به من هذه الصفات خاف اذ عرفها وتجلى له بشاهدها والمعروف أيضاً هو المألوف ذو أخلاق مرجوة من الكرم والرفق والرحمة واللطف فاذا شهد القلب ما آمن به من هذه الاخلاق رجا من شهدها فصار العبد لوصفيه الرجاء والخوف عن معنى شهادتيه المخوفة والمرجوة عن وصفى مخوفه ومرجوه صار كذى قلبين كأنه يرجو بقلب ويخاف بآخر وانما هما شهادتان فى قلب واحد لانهما مقامان لقلب واحد عن شهود مخوف ومرجو واحد فهذا تفسير قول لقمان وهو صفة المؤمن ذى الايقان الا ان الخائف يوصف بما غلب عليه من الحال بما قوى عليه من المشاهدة ويندرج الرجاء فى مقامه ويوصف الراجى بما قوى عليه من الحال عن غلبة شهادته وينطوى الخوف فى مقامه ولكنه المخوف تعالى وعلا ولا نهاية المرجو عز وجل سبحانه وتعالى فأما الشهيد الموقن العالم المقرب فبالحالين جميعاً يوصف مع اعتدالهما وبالوصفين جميعاً يعرف مع استوائهما ثم يغلب عليه الوصف التام والحال الكامل فاذا عرف به أدرج الوصفان فيه فيقال صديق لانه قد تحقق بالصدق فأغنى عن أن يقال مخلص ثم يقال عارف لانه قد رسخ فى العلم فكفى أن يقال صادق ثم يقال مقرب لانه قد أشهد القريب فاقترب ولم يحتج الى أن يقال عامل وهذه أسماء الكمال وأحوال التمام لا يفتقر الى ذكر ما دونها ولا يوصف بوصف كل وصف خائف أو راج لوجودهما فيه واعتدالهما عنده لان الخوف والرجاء قد فاضا عليه ثم غاضا فيه فاذا قلت عارف أو مقرب أو صديق فقد دخل فيه وصف محب وخائف وراج وعامل لا محالة كما اذا قلت فلان هاشمى استغنيت أن تقول قرشى أو عربى لان كل هاشمى يكون عربياً قرشياً لا محالة ثم تصفه بوصف التمام أيضاً فيندرج الوصفان فيه فتقول فلان حسنى أو حسينى فاكتفيت أن تقول هاشمى أو قرشى أو علوى وان كان هاشمياً قرشياً علوياً لانه قد عرف ان كل حسينى فهو هاشمى قرشى علوى لا محالة فأما أن تقول فلان عربى أو هاشمى أو قرشى أو علوى فلا يعرف الا بما وسمته به لانه قد يكون علوياً وهو الغاية فى النسب ولا يكون حسينياً وقد يكون هاشمياً غير علوى ويكون قرشياً غير هاشمى ويكون عربياً غير قرشى فيلزمه وصف ما عرفته بحسب فكذلك قولك عارف أو محب أو مقرب أو صديق هى اسم التمام والكمال فى المقامات التى تحتوى على جميع الاسباب كقولك حسنى هو اسم التمام وشرف الكمال الذى يفوق على كل الانساب ولا يصح مقام المعرفة الا بعين اليقين وشاهد التوحيد بعد أن لا يبقى من النفس بقية فى مقام اليقين ولا من الخلق رؤية فى شاهد التوحيد فيكون روحانياً بعد فناء النفس باليقين ربانياً عند شهود الخالق سبق منه التوحيد لان العارف لا يوسم بحال دون حال وقد استغرق الاحوال ولا يوسم بمقام دون مقام اذ قد جاوز المقامات

---

وأحسنتها كما أوتها حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها الى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب د قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار م قال صلى الله عليه وسلم أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال وأهل النار خمسة الضعيف الذى لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبغون أهلاً ولا مالاً والخائن الذى لا يخفى له طمع وان دق الا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسى الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش خ م عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة كسوف الشمس رأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا بم يا رسول الله قال بكفرهن

فحقيقته معناه عارف بالمعروف الذي هو بكل نهاية وفضل موصوف وغموض غريب يعتقد ضيراً بما يجنسه أن ينكروه فإن تعرف إليهم أو عرفوه فليس بعارف وقال بعضهم في وصف العارف أن يعرف كل شيء ولا يتعرف إلى شيء وقيل حقيقته أن يعرفه ولا يعرف عن مقتضى وصف من أوصاف الربوبية لأنه روحاني رباني وثلاث مقامات لا يقاس عليها ولا يتمثل بها فمن قاس عليها أخطأ ومن تمثل بها ادعى مقام النبوة ومقام المعرفة ومقام محبوب وقد ذكرنا وصفه في شرح مقام المحبة في كتاب المحبين فهذه طرائق الخائفين وجل صفات العارفين لأنهم متفاوتون في القرب والاقتراب متفاوتون في التقريب والتقرب متراقون في التعرف والتعريف فالموقنون من الشهداء وهم المقربون من الصديقين بشهادتهم فائتون لهم من القرب الاقتراب ومن التقريب التقرب ومن التعريف التعرف ومن الإيلاف التأليف لأن مقامهم من القريب العالي الطريق الأقرب والوجهة العليا وهم السابقون لأهل مقامات اليمين أول القرب والتقرب وأول الحب النصيب ولهم الألف والتأليف والتعريف وهؤلاء الأبرار ومن أفضل طرقات الخائفين ما سرى خوفه إلى النفس فأطفأ شغل الهوى وأخمد نار الشهوات فسقطت له أثقال المجاهدة وخفت عنه مؤنة المكابدة ووجدت معه حلاوة الطاعة لفقد حلاوة المعصية واجتمع لهم بالحق عند زوال التشتت بالهوى والخلق وسكنت النفس بالطمأنينة لمعاينة القلب الشهادة وظهر نعيم الزهد والرضا الباطن الصدق والإخلاص ثم سكن الخوف في القلب بعد ذلك ولم يجاوزه فيتعدى الحد إلى بعض المقانط التي ذكرناها بل كان منه الحزن الدائم والهم اللازم والخشوع القائم وهذا هو وصف القلب المنكسر وحال العبد المنصبر الذي يوجد عنده الجبار فجبره بعد كسره فصلح له بعد أن عطل من غيره وصار مريد العالم الخائف من الله تعالى كشوف اليقين وتقبله لديه في شهادة المقربين فكان القريب لديه موجوداً وصار الحبيب عنده مطلوباً لأنه من المنكسرة قلوبهم من أجله وبأنه صار عند من أهله واعلم أن الذي يقطع الخلق عن هذه حلاوة الهوى ولا يخرجها إلا أحد شيئين تجرع مرارة الخوف فيغلب حلاوة الهوى فيخرجه أو غلبة حلاوة المحبة فيستغرق حلاوة الهوى فيغمر فإن عدم أحد هذين فهو من المذبذبين بين ذلك وروينا أن علياً رضي الله عنه قال لبعض الخائفين وقد تاه عقله فأخرجه الخوف إلى القنوط ما أصارك إلى ما أرى فقال ذنوبي العظيمة فقال ويحك إن رحمة الله تعالى أعظم من ذنوبك فقال إن ذنوبي أعظم من أن يكفرها شيء فقال إن قنوطك من رحمة الله تعالى أعظم من ذنوبك والخوف جند من جنود الله تعالى قد يستخرج من قلوب المريدين والعابدين ما لا يستخرجه الرجاء فيستجيب له القلوب المراد فيه بنهايات الزهد وحقائق التوبة وشدة المراقبة وقد يفعل الله تعالى جميع ذلك بأهل الرجاء في المحبة ومقام الرجاء يستخرج منهم الكرم والحياء والخوف اسم جامع لمقامات الخائفين ثم يشتمل على خمس طبقات في كل طبقة ثلاث مقامات فالمقام الأول من الخوف هو التقوى وفي هذا المقام المتقون والصالحون والعاملون والمقام الثاني من الخوف هو الحذر وفي هذا المقام الزاهدون والورعون والخاشعون والمقام الثالث هو الخشية وفي هذا طبقات العالمين والعابدين والمحسنين والمقام الرابع هو الوجل وهذا للذاكرين والمخبتين والعارفين والمقام الخامس هو الإشفاق وهو للصديقين وهم الشهداء والمحبون وخصوص المقربين وخوف هؤلاء عن معرفة الصفات لأجل الموصوف لا عن مشاهدة الاكتساب لأجل العقوبات كما جاء في الخبر أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فالسبع إنما يخاف لوصفه بالبطش والسطوة ولما ألبس وجهه من الهيبة والكبر لا لأجل ذنب كان من الإنسان إليه وكذلك لهؤلاء عن الرجاء العظيم والنصيب الأوفر على معنى خوفهم الأوسع للعموم أن يذكر فضلهم برجائهم وحسن ظنهم بما هو لهم لا يصفه إلا هم ولا يعرفه سواهم بجل ذلك أنصبة القرب ونعيم الأنس وروح اللقاء وسرور التملق وحلاوة الخدمة وفرح المناجاة وروح الخلوة وارتياح المحاورة فلهم منه تجلي معاني الصفات وظهور معاني محاسن

قالوا يكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيرا قط شعر

وكيف قرت لاهل العلم أعينهم
أو استلذوا لذيذ النوم إذ هجعوا
والموت ينذرهم جهرا علانية
لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار بادية لابد موردهم
وليس يدرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والأنعام آمنة
والنون في البحر لا يخشى لها فزع
والآدمي بهذا الكسب مرتهن
له رقيب على الأسرار مطلع
حتى يوافيه يوم الجمع منفردا
وخصمه الجلد والأبصار والسمع
إذ النبيون والأشهاد قائمة
والجن والانس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف والأيدي منشرة
فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف سهوك والأنباء واقعة
عما قليل ولا تدري بما تقع
في الجنان وفوز لا انقطاع له *
أم الجحيم فلا تبقي ولا تدع
تهوي بسكانها طورا وترفعهم
إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم
هيهات لا رقة تغني ولا جزع

الاوصاف فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ولاصحاب اليمين اظهار نعيم الافعال ومواهب العطاء والافضال وقد كان يحيى بن معاذ يقول من عبد الله تعالى بالخوف دون الرجاء غرق فى بحار الافكار ومن عبده بالرجاء دون الخوف تاه فى مفاوز الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء معا استقام فى محجة الاذكار وقال مكحول النسفى رحمه الله تعالى فى معناه الا انه جاوز فيه الحد فقال من عبد الله تعالى بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد والله سبحانه وتعالى أعلم

*(شرح مقام الزهد ووصف أحوال الزاهدين)*

وهو المقام السادس من مقامات اليقين قد سمى الله تعالى أهل الزهد علماء بقوله تعالى اذ وصف قارون فخرج على قومه فى زينته الى قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن قيل هم الزاهدون فى الدنيا وقال عز وجل أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا جاء فى التفسير صبروا على الزهد فى الدنيا وقال جل وعلا والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم قيل على الفقر ويشهد الصبر عن الدنيا فى هاتين الآيتين قوله عز وجل فى وصف العلماء الزاهدين لما قال وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قال عقيب ذلك فى بقية ثنائه عليهم ولا يلقاها الا الصابرون أى عن زينة الدنيا ثم قال فى مدحهم بوصف آخر يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فقد حصل للزاهد أجران بصبره على الفقر وبوجود زهده وللفقير المعدم أجر واحد على الغنى لوجود فقره وعدم زهده وعلى ذلك تأويل الخبرين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى أحدهما يدخل فقراء أمتى الجنة قبل اغنيائهم بأربعين خريفا وقال فى الخبر الآخر يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام لان الفقير الزاهد يدخل الجنة قبل الغنى المصلح بخمسمائة عام وهؤلاء خصوص الفقراء وان الفقير غير الزاهد يدخل الجنة قبل الاغنياء بأربعين خريفا لاجل فقره فقط وهم عموم الفقراء فصار الاغنياء مفضولين فى الحالين معا وان جملة الفقراء يدخلون الجنة قبلهم لمكان غناهم فى الدنيا وان عموم الاغنياء من أهل الدنيا وأبنائها موقوفون للحساب ومطالبون بالانفاق والاكتساب بالخبر الثالث اطلعت فى الجنة فاذا أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فاذا أكثر أهلها الاغنياء وفى معناه الخبر الآخر فقلت أين الاغنياء فقال حبسهم الجد أى الحظ وقد سمى الله تعالى الفقراء الزاهدين محسنين ووضع عنهم السبيل فقال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ثم قال ما على المحسنين من سبيل ثم نص على ذكر من عليه الحجة والمطالبة فقال جل وعلا انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف يعنى النساء وعلى هذا المعنى جاء تأويل قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قيل أزهد فى الدنيا فصار الاحسان مقام الزاهدين وهو وصف اليقين كذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل ما الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه يعنى على اليقين وهو المشاهدة ولعمرى ان الزهد حال الموقن لانه مقتضى يقينه وقد يحتج متوهم بفضل الاغنياء على الفقراء عنده لقوله تعالى مخبرا عن الفقراء تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون ولا يعلم ان هذا عند أهل التدبر للقرآن مزيد للفقراء لتمام حالهم لما كانوا محسنين كما قال سبحانه وتعالى وسنزيد المحسنين فكان مزيدهم الحزن والاشفاق وخوف التقصير لمشاهدة عظم حق الربوبية عليهم حتى كأنهم مسيئون حتى بشرهم الله تعالى بانهم محسنون لما قال عز وجل ما على المحسنين من سبيل لانه ضمهم اليهم فى الوصف وعطفهم عليهم فى المعنى وأيضا فلم يكن بكاؤهم على فوت الدنيا ولا على طلب الغنى والله تعالى يمدحهم بصبرهم عن الدنيا ويذم الدنيا اليهم بل حزنهم على طلب المزيد من الفقر ليجدوا الانفاق فيخرجوه فيفتقروا منه فيزدادوا فقرا ببذله الى فقرهم فعلى كثرة الانفاق وحقيقة الفقر من الدنيا كان حزنهم فهذا فضل ثان للفقراء لا على الجمع والادخار والموضع الاعلى الذى فضل



ليشفع العلم قبل الموت عله قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا

*(فصل)* قال الله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى روى الدارمى عن النعمان ابن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنذرتكم النار فما زال يقولها حتى لو كان فى مقامى هذا سمعه أهل السوق وحتى سقطت خميصة كانت عليه عند رجليه * واخوانى حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل ان توزنوا وتعالبوا واعرضوا المعاصى على أنفسكم فما كان منها فى أنفسكم توبوا عنه توبة نصوحا كى لا توقعها فى نار وقودها الناس والحجارة فأى بدن يصبر عليها وأى قلب يطيقها وفى التذكرة قال كعب لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب يغلى دماغه حتى يسيل من حرها وان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى مقرب ولا نبى مصطفى الا خر جاثيا على ركبتيه ويقول نفسى نفسى وقال ابن زيد وان الحلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل فى الدنيا لهدته

الفقراء من هذه الآية عند أهل الاستنباط والتفكر وهو مشاركتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حاله ووصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بمثل حالهم في قوله تعالى قلت لا أجد ما أحملكم عليه ثم نعتهم بمثله لانهم هم الامثل فالامثل به فقال تعالى أن لا يجدوا ما ينفقون فمن كان برسول الله صلى الله عليه وسلم أمثل فهو أفضل كيف وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر فجعل الفقر تحيته من ذي الهبات المباركات مع الخبر المشهور الفقر على المؤمن أزين من العذار على خد الفرس الجواد والفقر اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعار الانبياء وطريقة الصحابة والأصفياء وروينا في الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه في الدنيا وفي الخبر الآخر رأيته يدخل الجنة زحفا ولا نعلم في الامة أفضل من طائفتين المهاجرون وأهل الصفة وجميعا مدح الله تعالى بالفقر فقال الفقراء المهاجرين الذين أحصروا في سبيل الله فقدم وصفهم بالفقر على أعمالهم الهجرة والحصر والله تعالى لا يمدح من يحب الا بما يحب ولا يصفه حتى يحبه وروينا في قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وفي خبر العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم وجاء في الاثر لا يزال لا اله الا الله ترفع عن العباد سخط الله تعالى ما لم ينالوا ما نقص من دنياهم وفي خبر آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله عز وجل كذبتم لستم بها صادقين وقد روينا في خبر عن أهل البيت اذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قال لم يترك له أهلا ولا مالا وفي أخبار أهل الكتب أوحى الله تعالى الى بعض أوليائه احذر اذا مقتك فتسقط من عيني فأصب عليك الدنيا صبا ويقال ليس عمل من أعمال البر يجمع الطاعات كلها الا الزهد في الدنيا وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم تابعنا الاعمال كلها فلم نر أبلغ في أمر الآخرة من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا وفي وصية لقمان لابنه واعلم أن أعون الاشياء على الدين زهادة في الدنيا وقال من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وفي خبر آخر اذا رأيتم العبد قد أعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وروينا في الآثار جعل هذه الاخبار من أصبح وهمه الدنيا شتت الله تعالى عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ينل من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال الله تعالى في معنى ذلك من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقد روينا في خبر قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال كل مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا حسد ولا بغي قيل يا رسول الله فمن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة والشيء يعرف بضده كما يعرف بمثله وضد الشنآن المحبة وضد الزهد الرغبة وفي دليل خطابه ان شر الناس الذي يحب الدنيا وان الراغب فيها هو المحب لها والاقتناء لها والاستكثار منها علامة الرغبة فيها كيف وقد جاء أيضا ان أردت أن يحبك الله تعالى فازهد في الدنيا فجعل الزهد سبب محبة الله تعالى فصار الزاهد حبيب الله تعالى فينبغي أن يكون الزهد من أفضل الاحوال اذ المحبة أعلى المقامات وفي دليل الكلام ان من رغب في الدنيا فقد تعرض لبغض الله تعالى الذي لا شيء أعظم منه وأن المحب للدنيا بغيض الله تعالى وكان أبو محمد رحمه الله تعالى يقول اجعلوا أعمال البر كلها في موازين الزهاد ويكون ثواب زهدهم زيادة لهم وقال أيضا العباد في موازين العلماء والعلماء في موازين الزهاد يوم القيامة فلا يطمعن طامع في محبة الله تعالى وهو محب الدنيا الا ان الله تعالى مقتها وفي خبر ما نظر اليها منذ خلقها يقول لها اسكتي يا لاشيء

ويخف يا مسكين من زوال ايمانك بشؤم ذنوبك فتخلد في عذاب جهنم بأهوالها وتطفك حسرة لا منتهى لها فقد روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جيء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح و يقال يا أهل الجنة خلود بلا موت و يا أهل النار خلود بلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وفي رواية الترمذي و يقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم فيضجع فيذبح ولولا ان الله عز وجل قضى لاهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا ان الله عز وجل قضى لاهل النار بالحياة فيها والبقاء لماتوا ترحا وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم

أنت وأهلك الى النار وفي الخبر يقول الله تعالى يوم القيامة الدنيا ميزوا ما كان منها لي والقوا سائرها في النار وكذا الشرور ينافى الا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وفي لفظ آخر فمثل الدنيا مثل ابليس خلقه الله تعالى للبعد واللعنة ليبتلي به ويهلك به من اتبعه وقد شهد ذلك بعض المكاشفين فقال رأيت الدنيا في صورة جيفة ورأيت ابليس في صورة كلب وهو جاثم عليها ومناد ينادي من فوق أنت كلب من كلاب وهذه جيفة من خلقي وقد جعلتها نصيبك مني فمن نازعك شيئا منها فقد سلطتك عليه فهذا من هذا انها مكانه فمن تمكن في شيء منها تسلط العدو بالمكانة منه بقدر ما أصاب منها وقد كوشف بها بعض الاولياء في صورة امرأة ورأى أكف الخلق ممدودة اليها وهي تجعل في أيديهم شيئا قال فقلت له ماهو قال شيء يلتذ وطائفة تمر عليها لمكتوفي الايدي لا تعطيهم شيئا وكوشف بها مورق العجلي في صورة عجوز شمطاء مدنية عليها أنواع الزينة قال فقلت أعوذ بالله منك فقالت ان أردت أن يعيذك الله تعالى مني فابغض الدرهم وكذلك سماها في الخبر الدنيا موقوفة منذ خلقها الله تعالى بين السماء والارض لا ينظر اليها فتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لادنى أوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يالا شيء أما أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم وقال بعض السلف الدنيا دنية وأدنى منها قلب من يحبها وروي عن علي كرم الله وجهه الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مزاحمة الكلاب وفي أخبار موسى عليه السلام انك لم تلق الفقير بمثل ما تلقى به الغني فاجعل كل علم علمتك تحت التراب واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال امامنا أبو محمد رحمه الله تعالى وروينا عن بعض علمائنا في أخبار داود عليه السلام اني خلقت محمدا لاجلي وخلقت آدم لاجل محمد وخلقت ما خلقت لاجل ولد آدم فمن اشتغل منهم بما خلقته لاجله حجبته عني ومن اشتغل منهم بي سقت اليه ما خلقته لاجله وكان يقول الصديقون في بداياتهم طلبوا الدنيا من الله تعالى فهم فلما تمكنوا من أحوالهم عرضها عليهم فامتنعوا منها وكان عيسى عليه السلام يقول للدنيا اليك عني يا خنزيرة وقد روينا هذا القول عن يزيد بن ميسرة وكان من علماء الشام قال كان أشياخنا يسمون الدنيا خنزيرة ولو وجدوا لها اسما شرا من هذا لسموها به قال وكانت اذا أقبلت على أحدهم الدنيا قال لها اليك عنا يا خنزيرة لا حاجة لنا بك انا قد عرفنا الهنا عز وجل معناه قد عرفنا بالابتلاء بك لينظر كيف نعمل في الزهد فيك والآثرة سبحانه وتعالى وعرفناه أيضا بالمقت لك فوافقناه في ذلك وعرفنا أيضا انا فتنة الهت قلوبنا اليه وأعرضنا عما سواه وكذلك كان الحسن رحمه الله تعالى يصف أشياخه كان أحدهم يعرض عليه المال الحلال فيقال خذه فاستعن به فيقول لا حاجة لي فيه أخاف أن يفسد علي قلبي فهذا كان له قلب صالح راعاه فخاف تغيره كذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مر بجدي ميت أجرب فقال أترون هذا هان على أهله قلنا يا رسول الله من هوانه القوه فقال الدنيا أهون على الله تعالى من هذا على أهله وفي لفظ آخر انه قال أيكم يحب ان هذا له بدرهم قلنا لا أينا وأي شيء يساوي هذا قال صلى الله عليه وسلم الدنيا أهون على الله تعالى من هذا عليكم وكذلك أخبر بالغاية في قلتها وعدم قيمتها بقوله لو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وضرب المثل في نتنها وانقلابها على أهلها بقوله للاعرابي أرأيت ما تأكلون وتشربون ألستم تتغوطون وتبولون قال بلى قال فالى أي شيء يصير قال الى ما علمت يا رسول الله قال أليس يقعد أحدكم خلف بيته فيجعل يده على أنفه من نتن ريحه قال نعم قال فان الله تعالى جعل الدنيا مثلا لما يخرج من ابن آدم وكذا الشرور ينافي تأويل قوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون قيل مواضع الغائط والبول وقال سبحانه وتعالى وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع قال بعض أهل اللغة متاع أي جيفة منتن عن الاصمعي قال بعض العرب يقول منتع اللحم اذا تغير وانتن وقد كان الحسن رحمه الله تعالى يقول لما هبط آدم عليه السلام الى الدنيا كان أول شيء عمل فيها انه أحدث وروينا عن ابن عباس رضي الله

بكلاليب الحديد فاذا أدنيت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون أدعوا خزنة جهنم فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون أدعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش نبئت ان بين دعائهم واجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون أدعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل وروي الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي قال اخشى ان يطرحني الله في النار ولا يبالي شعر

يا نفس توبي عن فعال منكرة
واسعي الى دار البقا مستبصرة
يا نفس فاز القوم من رب العلى
بالعفو عن زلاتهم والمغفرة
يا نفس قد قطعوا النهار لربهم
بصيامهم وقيامهم ما أكثره
يا نفس ويحك للمتاب فبادري
من قبل يأتيك الذنوب مسطرة

عنهما قال انه نظر الى ما خرج منه فقال آدم بعد ما غتم لذلك فقال له جبريل هذا رائحة خطيئتك فتشهد العقلاء من الله تعالى الدنيا فى صورة كنيف فلم يتناولوا منها الا ضرورة فكلما استغنيت عن دخول الكنيف كان أفضل وشهدها بعضهم جيفة فلم ينالوا منها الا بلغة فكلما تقللت من الجيفة كان خيرا وقال وهب بن منبه قرأت فى بعض الكتب يا ابن آدم ان تردنى اترك الدنيا وان ترد الدنيا طال عنائك وفى بعض كتب الله تعالى يا ابن آدم أنا بدك اللازم فلا تؤثر على ما منه بد وقال بعض المخبرين عن الله سبحانه وتعالى انه أوحى الى الدنيا أخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك وقال آخر وقد روينا مسندا ان الله تعالى أوحى الى الدنيا تمررى لاوليائى حتى تكون رغبتهم فيما عندى واحلولى لاعدائى حتى يكرهوا لقائى وفى حديث عائشة رضى الله عنها من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله تعالى كره الله لقاءه فهذه الآثار كلها قاصمة لظهر أبناء الدنيا ممقتة لعين محبيها واضدادها من الاخبار الحسنى فى فضل الزهد وشرف الفقر رافعة لرؤس الفقراء الصادقين وقرة عين الصالحين لله عز وجل الزاهدين فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وأصل الرغبة فى الدنيا من ضعف اليقين لان العبد لو قوى يقينه نظر بنوره الى الآجل فغاب فى نظره العاجل فزهد فيما غاب وأحب الحاضر فآثر ما هو أعود عليه وأبقى وأنفع له ولمولاه أرضى وقدم ما يفنى وينقطع الى ما يدوم ويتصل وهذا هو صورة الزهد وشهادة الموقن وان الحاضر لا يحب ما غاب وانتقل ألم تر الى وصفه عز وجل لابراهيم وليكون من الموقنين قال لا أحب الآفلين والموقن مأمور باتباع ملة ابراهيم بقوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم أى عليكم ملة أبيكم ابراهيم واتبعوا ملته وليس يشهد الوعد والوعيد الآجل بنور العقل انما يشهد بنور اليقين على انا نقول ان الانوار أربعة والقلب موجه جهات أربعة الى الملك والملكوت والى العزة والجبروت فبنور العقل يشهد الملك وبنور الايمان يشهد الملكوت وهو الآخرة وبنور اليقين يشهد العزة وهى الصفات وبنور المعرفة يشهد الجبروت وهو الوحدانية والجبار تعالى فوق القلب محيط به يكاشفه بما شاء فيغلب عليه وجدما أشهده وضعف اليقين قد يدخل فى كل شئ وقوة اليقين تحتاج اليه فى كل عمل والا فهو دنيا يهتدى اليه بنور العقل فمن لم يعط نور اليقين لم ير الملك الكبير فاستهواه الملك الصغير فأحب لا شئ فلم تكن همته فى العلو ولا عنده الاعلى شيأ ونذكر ماهية الزهد أى شئ هو وليس يمكن عبد أن يعرف الزهد حتى يعرف الدنيا أى شئ هى فقد قال الناس فى الزهد أشياء كثيرة ونحن غير محتاجين الى ذكر أقوالهم بما بين الله تعالى وأغنى بكتابه الذى جعل فيه الشفاء والغنى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحبل المتين والصراط المستقيم من طلب الهدى فى غيره أضله الله وقال سبحانه وتعالى وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله وقال عز وعلا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فقد ذكر الله جل اسمه فى كتابه ان الدنيا سبعة أشياء وهو قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ثم قال تعالى فى آخرها ذلك متاع الحياة الدنيا ووصف حب الشهوات بالتزين ثم نسق الاوصاف السبعة على الحب لها ثم أشار لها بقوله تعالى ذلك فذا اشارة الى الكاف والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق واللام بين ذا والكاف للتمكين والتوكيد فحصل من تدبر الخطاب ان هذه السبعة جملة الدنيا وان هذه الدنيا هذه الاوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات يرد الى أصل من هذه الجمل فمن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا نهاية الحب ومن أحب أصلا منها أو فرعا من أصل فقد أحب بعض الدنيا فعلمنا بنص الكلام ان الشهوة دنيا وفهمنا من دليله ان الحاجات ليس بدنيا لانها تقع ضرورات فاذا لم تكن الحاجة دنيا دل انها لا تسمى شهوة وان كانت قد تشتهى لان الشهوة دنيا ولتفرقة الاسماء لايقاع الاحكام عليها واستند ذلك الى خبر روينا عن الله سبحانه وتعالى فى الاسرائيليات ان ابراهيم صلوات الله عليه أصابته حاجة فذهب الى صديق يستقرض منه شيأ فلم يقرضه فرجع مغموما فأوحى الله تعالى اليه لو سألت

يا نفس ان القوم زادوا خيفة
من مكره وقلوبهم متذكره
يا نفس جدى فى التقى وتزودى
عجلا وكونى للبقا مستشعره
يا نفس كم قوم على الدنيا احتووا
ظلما وما لهم اذا من آخره
يا نفس كم أمم تفانوا فى البلى
وعظامهم أضحت عظاما ناخره
يا نفس توبى اليوم من قبل الردى
عسى تكونى فى غد مستبشره
يا نفس من لى بالذنوب بعدكلها
يوم القيامة فى الكتاب محرره
يا نفس ما يخيلك فى يوم اللقا
من عظم أهوال الحساب المحضره
الا شفاعة أحمد الهادى الذى
يرجى له به العفو عند المقدره
فهو النبى الهاشمى المصطفى
المجتبى من خلقه اذ أظهره
يا نفس جدى فى المسير لقبره
واصغى الى أبوابه مستصغره
وتمشى بحماله ورجاله
كى لا تكونى فى الورى متحيره
واذا وصلت الحرباء فعظمى
تلك المواقف وادخلى متوقره
فعسى تنالى الفوز من رب العلى
وتعود زلات الذنوب مكفره
وتشاهدى ذاك الضريح وقد بدت
أنواره للكائنات منوره
هو صفوة الرحمن من كل الورى
وبأحسن التكوين حقا صوره

خليلك لاعطاك فقال يارب عرفت مقتك الدنيا فخشيت أن أسألك منها فتمقتني فأوحى الله تعالى اليه ليس الحاجة من الدنيا ثم سمى الله تعالى وجل قدره هذه السبعة الاوصاف في مكان آخر الى خمسة معان فقال عز وجل من قائل اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فهذه الخمسة هي وصف من أحب تلك السبعة ثم اختصر الخمسة في معنيين منها جامعا لمعاني السبعة فقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الاثنين الى وصف واحد وعبر عنه بمعنيين فصارت الدنيا ترجع الى شيئين جامعين مختصرين يصلح ان يكون كل واحد منهما هو الدنيا فالوصف الواحد الذي يرد الاثنين اليه اللذان هما اللعب واللهو هو الهوى اندرجت السبعة فيه فقال عز وجل ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فصارت الدنيا طاعة النفس الهوى بدليل قوله تعالى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلما كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا لان النهي عنه ضد الايثار له فمن نهى نفسه عن الهوى فانه لم يؤثر الدنيا واذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي لمن لم ينه نفسه عن الهوى بايثاره الدنيا فصارت الدنيا هي طاعة الهوى وايثاره في كل شئ فينبغي ان يكون الزهد مخالفة الهوى من كل شئ وأما المعنى الآخر الذي عبر به عن هذا الوصف الذي هو الهوى فجعله دنيا أيضا فهو حب البقاء لمتعة النفس استنبطناه من قوله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشي بالسيف الى السيف والفناء بين السيفين فقالوا هلا بقيتنا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء نفسه حب البقاء بانه هو الدنيا فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فانكشف الناس وافتضح المنافقون وابتلي المؤمنون عند فرض القتال وظهر الصفوة الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وعند ها ربح الذين هم لانفسهم وأموالهم بائعون وخسر الذين هم للحياة الدنيا بالآخرة مشترون لما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فلما اشتراها باعوها وقال في المشترين الخاسرين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة يعني رغبوا في البقاء الادنى لما اشتروه ببيع البقاء الآخرة اذ باعوه فمن اشترى ثلاثين سنة أو أربعين سنة بألف ألف أو بأبد الابد فما ربحت تجارته ولا هدى سبيله فهذه تجارة من رغب في حياة دنياه فاشتراها ببقاء الابد فقد صار بائعا الحياة العالية بما استبدل به من اشترا ضدها فهذا تدبر قوله تعالى اشتروا الحياة الدنيا أي باعوا الحياة العليا وذلك الاول تجارة من باع حياة نفسه وفرق مجموع ماله فاشتراه الله تعالى منه وعوضه دارا واسكنه عنده جواره فقد ربحت تجارته واهتدى سبيله لما باع حياة عشرين سنة وثلاثين سنة بحياة الابد الابد فهذا ربح تجار الآخرة الزاهدين في الدنيا وذلك خسر تجار الدنيا الراغبين في الهوى فشتان بين التجارتين فما أعظم حسرة الفوت على من خسر ما ربحه الزاهدون بعد الموت وقد كان الناس مستورين باظهار الزهد في البقاء ومظنونا بهم حب الباقي الاعلى حتى نزلت ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية الآية وحتى نزل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كانوا قالوا انا نحب ربنا ولو علمنا في أي شئ محبته لفعلنا فلذلك قال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ما كنت أحسب ان فينا أحدا يريد الدنيا حتى نزلت منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وكذلك قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال لي رسول الله عليه السلام قيل لي أنت منهم أي من القليل الذي كان يفعل ذلك فاذا كان حب البقاء هو الدنيا فينبغي ان يكون حب بقاء الباقي هو الزهد فصار الزهد في الدنيا هو الزهد في البقاء فمن زهد في الحياة الفانية وفي ماله المجموع بالجهاد بالنفس والانفاق في سبيل الله فقد زهد في الدنيا ومن زهد في الدنيا أحبه الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك صار الجهاد أفضل الاعمال

أسرى به البارى البرية
في جنح ليل صبحه ما أسفره
ورقى على ظهر البراق معظما
والكون من أنواره قد نوره
واستبشرت بقدومه أهل السما
فبذاك أضحت من شذاه معطرة
وهو الذي جليت جمال عروسه
في ليلة المعراج لما أظهره
وهو الذي بالحق جاء وبالهدى
وأباحنا الدين القويم وأظهره
صلى عليك الله ما سرت الصبا
وأتت بطيب ثنائه متعطرة
اللهم أجرنا من النار اللهم لا تشوه خلقنا بالنار اللهم لا تجعلنا ممن يطلب النار فانها بئس الدار وبئس المثوى وبئس القرار
*(فصل في الجنة)* وقال الله تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون
خ م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين خ م عن

لانه حقيقة الزهد فى الدنيا ولان الله تعالى يحب من زهد فى الدنيا ثم كان مخالفة الهوى أفضل الجهاد لانه
هو حقيقة الرغبة فى الدنيا وقد عبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد فى الدنيا اذ قال فى الحديث الاول
ازهد فى الدنيا يحبك الله تعالى ثم قال فى الخبر الثانى بمعناه اجتنب المحارم يحبك الله تعالى واجتنابها زهد
فى الدنيا فالزاهد فى الدنيا حبيب ربه تعالى والراغب فى حب البقاء لنفسه منافق فى دين ربه تعالى ومنه
الخبر الذى جاء من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق وبه كشف الله تعالى الكاذبين
ووصفهم بمرض القلوب فقال سبحانه وتعالى فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى
قلوبهم مرض يعنى نفاقا ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فاولى لهم تهدد ووعيد أى وليهم العذاب
وقرب منهم ثم قال طاعة وقول معروف أى يظهر منهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر وحقت الحقائق
كذبوا ونكثوا فلو صدقوا الله أى فى الوفاء لكان خيرا لهم وهذا من الكلام المضمر فلذلك أشكل والبقاء
والحياة اسمان لمعنى ولذلك جعل الله تعالى الدنيا وصفا للحياة فتكون الدنيا هى الحياة ونعتها بالدنيا نعت
مؤنث لدخول الهاء فى الاسم التى هى احدى علامات التأنيث فصارت الحياة هى الدنيا وصار قوله الدنيا نعتها
بالدناءة ولو كان الاسم مذكرا مثل البقاء لمتبعذكر فقال الادنى وقد قال فى مثله يأخذون عرض هذا
الادنى فالادنى تذكير الدنيا والدنيا تأنيث أدنى كالاعين والاتقى والاشعث تذكير عيناء وقنواء وشعثاء
والعرض اسم لما يعرض ويقل بقاؤه فمن أحب ذلك فقد أحب الدنيا بحبه الادنى وهذا يرجع الى حب
حياة الاصل لانه انما يريد العرض الادنى لاجل الحياة فصار حب البقاء الذى لاجله يريد عرض الادنى
هو الدنيا وصار حب العرض لاجل البقاء من الدنيا فهله من هذا الذى ذكرناه ان حقيقة الدنيا حب البقاء
لطاعة الهوى وموافقة الهوى فى حب العرض لاجل البقاء فدخل أحد هذين فى الآخر لان حب البقاء
لاجل المتعة هو من الهوى الذى هو صفة النفس الامارة بالسوء وطاعة الهوى الذى هو عيش النفس انما
يكون لحب البقاء لان العبد لو أيقن بالموت ساعته لآثر الحق على الهوى ولو أيس من البقاء لما رغب فى
العرض الادنى فصار حب البقاء من الهوى وصار ايثار الهوى انما هو لحب البقاء فكان ذلك حقيقة الدنيا
وكان أقصر الناس أملا فى البقاء أزهدهم فى الدنيا حتى لا يدخر شيأ لغد لانه عنده غير باق الى غد وصار أرغب
الناس فى الدنيا أطولهم أملا لان رغبته اشتدت فيها وحرصه كثر عليها لامتداد أمله فى الحياة فيها اذ لو قصر أمله
لغد لاختار الفقر حينئذ واختيار الفقر هو الزهد * بيان آخر من الزهد أى شئ هو قال الله سبحانه وتعالى
وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين فهذه تسمية لهم بالزهد لتحققهم بالمعنى تحتاج
ان نكشفه ليكون من يتحقق بمعنى ذلك زاهدا فوله تعالى وشروه باعوه العرب تقول شريت بمعنى بعت
لانهم يقولون ابتعت بمعنى اشتريت فلما باعوه وخرج من أيديهم صاروا زاهدين كذلك العبد اذا باع
نفسه وماله من الله تعالى وخرج من هواه الى سبيل مولاه فهو من الزاهدين وكذلك قال المولى عز وعلا
ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة كما قال عز من قائل ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هى المأوى فاذا كان العوض واحدا وهو الجنة ذكر فى المعنيين كان بيع النفس والمال
واخراجهما لله تعالى بمعنى النهى عن الهوى فيهما الذى هو الحياة الدنيا وهو اقتناؤه النفس وحبس النفس
عليه أعنى المال فاستبدال ذلك بضده من اخراج الهوى من النفس وادخال الفقر على المال هو الزهد فى
الدنيا وليس ذلك من أمر النفس الامارة بالسوء لان هذا نهاية الخير فصار نهيا لها من الهوى الذى هو
اقتناء المال للجمع والمنع وهذا هو الدنيا ووصف النفس الامارة بالسوء لان هذا جنة لسوء كله فمن كان
بهذا الوصف فنفسه غير مرحومة لامرها بالسوء واذا لم تكن مرحومة لم يكن صاحبها بائعها واذا لم يبعها
لم تكن مشتراة فلا يكون صاحب هذه النفس الا جامعا للمال مانعا له راغبا فى الدنيا محبا لها وليس هذا
من صفة المؤمن والله أعلم * وصف آخر من البيان والتفصيل لما حقق الله تعالى الزهد بغنى النفس واخراج

أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها خ م قال صلى الله عليه وسلم ان للمؤمنين فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة عرضها وفى رواية طولها ستون ميلا وفى كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمنون وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ث عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم لو أن ما يقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والارض ولو ان رجلا من أهل الجنة اطلع فبدت أساوره لطمس ضوءه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ت عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها

المال فذكر البيع والمشترى فى قوله تعالى يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وكان الزهد هو ترك طاعة الهوى وبيع النفس بهما عنه من المولى وكان العوض من ذلك الجنة كان الزاهد هو الخائف مقام ربه البائع نفسه طوعا قبل ان يخرج نفسه اليه كرها وكان الله تبارك وتعالى هو المحبوب القريب منه فصار العبد بحباله فجعله من المقربين عنده تعالى واذا كانت الدنيا هى طاعة الهوى وحب الحياة الدنية لمتعة النفس الشهوانية كان الراغب فى ذلك آمنا لمكر الله تعالى مشتريا بالحياة الدنيا بآيات الحياة العليا فلم يكن بحباله وكان من المبعدين عنه بسوء اختياره وحق عليه الخسران والجحيم فى الآخرة لانه ضد الزاهد المقرب الظافر بدار القرب فى جوار الحبيب القريب ❊ ذكر بيان حقيقة الزهد وتفصيل أحكامه ووصف الزاهد اعلم ان الزهد يكون بمعنيين ان كان الشئ موجودا فالزهد فيه اخراجه وخروج القلب منه ولا يصح الزهد فيه مع تبقيته للنفس لان ذلك دليل الرغبة فيه وهذا زهد الاغنياء وان لم يكن موجودا وكان العدم هو الحال فالزهد هو الغبطة به والرضا بالفقد وهذا هو زهد الفقراء وكذلك القول فى الزهد فى ترك الهوى لا يصح الا بعد الابتلاء به والقدرة عليه ألم تر ان اخوة يوسف عليهم السلام هموا بالزهد فيه بقولهم ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ولم يسمهم الله تعالى زاهدين وتكلموا بالزهد فيه بقولهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ولم يسموا زاهدين وأرادوا الزهد فيه بقولهم أرسله معنا غدا يرتع ونلعب ولم يتحققوا بالزهد فيه وعزموا على الزهد فيه واجمعوا عليه ولم يسمهم الله تعالى زاهدين مع قوله تعالى مخبرا عنهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب لان هذا كله من أسباب الزهد ومقدماته قد يلتبس ويشكل على من لا يعرف حقيقة الزهد فيظنه زهدا وليس هو زهدا لانه فى أيديهم فلما اخرجوه من أيديهم واعتاضوا منه سموا وحق زهدهم فيه فقال تعالى مخبرا عن حقيقتهم وشروه أى باعوه وكانوا فيه من الزاهدين وكذلك التوبة تهم ببيعه وتريد بيعه وتغلب عليك بيعه ولا تكون زاهدا ولكن تكون موصوفا بالارادة للزهد حتى تبيعه وتعتاض منه فيتبين حينئذ زهدك فيه ففى تدبر الخطاب من قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان من اخرج الشئ من يده طوعا ونفسه تتبعه فله مقام فى الزهد بالمجاهدة ومن أمسك الشئ وأظهرت نفسه الزهد فيه بالارادة والهمة فلا مقام له فى الزهد لان الامساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهد فكيف يوصف بالشئ وضده فى حال فأما الممسك الشئ المتوهم الزهد فيه باظهار نفسه ذلك باحد وصفين اما ان لا يعرف الزهد أو لا يعرف خفى شهوة النفس هذا ان لم يموه على الراغبين والمخرج لقلبه عنه هو المتحقق بالزهد فيه وهذا هو الذى وصف الله تعالى به اخوة يوسف والممسك الشئ المغتبط به الذى همه فيه وقلبه معه كيف يكون هو المتحقق بالرغبة فيه وهذا وصف عزيز مصر فى يوسف لما اشتراه فحققه الله تبارك وتعالى بالرغبة فيه لاقتنائه له فقال مخبرا عنه بعد ما اشتراه اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك وصف امرأة فرعون فى رغبتها فى موسى عليه السلام بقولها قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا فكذلك كل من أمل شيأ أو ادخره لنفسه لا يكون زاهدا فيه حتى يخرجه عن يده وقلبه اذ لم يكن ذلك وصف اخوة يوسف الزاهدين فيه الا بعد ان اخرجوه استصغارا له وتعوضوا منه ❊ بيان آخر مستنبط من الكتاب اعلم ان زهد اخوة يوسف عليهم السلام فى أخيهم قد كان يقارب زهدهم فى يوسف عليه السلام لانه كان نظيره عند أبيه وقد كانوا هموا بالزهد فيه أيضا لقولهم وجه أبيهم منهما الم تسمع الى قولهم ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وكذلك جاء فى الخبر انهم أرادوا ان يلقوا أخاه معه فى الجب حتى ألقى نفسه عليه يهوذا فشفع فيه فرحموه ومنعوهم منه وكان شديدا منهم منيعا مهيبا فيهم وقد قيل انه استوهبه منهم وقال دعوه يكون فيه سلوة للشيخ الكبير لا تفجعوه بهما ولا تفقدوه اياهما معا فوهبوه له ثم ان الله تعالى لم يقل مع ارادتهم لذلك وهمهم به وكانوا فيهما من الزاهدين من قبل انهم لم يتحققوا بالزهد فيه كالزهد فى أخيه لانه كان فى أيديهم لم يخرجوه فكذلك أنت اذا كان الشئ موجودا عندك وأنت ممسكه لنفسك ثم توهمت انك زاهد فيه لخواطر

يموتون ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم ت عن عبد الله ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته خ م عن النبى صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة تدخل الجنة من أمتى على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد نجم فى السماء اضاءة ثم هم بعد ذلك منازل لا يتغوطون ولا يبولون ولا يمتخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم آدم صلوات الله عليه ستون ذراعا فى السماء ت عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها لكما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة ق عن أبى هريرة قال ان النبى صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال يا أبا هريرة ما الذى تغرس قال غراسا قال ألا أدلك على غراس خير من هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

الارادة أولا رادة الزهد فقد كذبت على نفسك بتمسكك اياها زاهدا وكذبتك نفسك بوجودها جهلا منها بالعلم زهدا أو كذبت وجعلك على العلم جهلا منك بربك عز وجل أو ترهت على نفس غيرك عن لا يعرف الزهد وهذا زهد منك في الزهد ورغبتك أيضا في الدنيا حتى تخرج الشيء الذي تظن انك تزهدت فيه وتعاض منه محبة الله تعالى وطلب مرضاته تبارك وتعالى أوما عنده من ثوابه فحينئذ يصح زهدك فيه على العلم وعند العلماء فتكون صادقا في نهاك وصالحا زاهدا بالزهد ويسمك الزاهدون زاهدا فأما اذا لم يكن الشيء موجودا لك فان زهدك فيه الا عانك لا يصح والزهد في معدوم باطل من قبل أن تصرفك لا يصح فيه الا عانك فكذلك لا يصح زهدك فيه ولعله لو كان موجودا تغير قلبك له وتقلب فيه اذ ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر قد يشتبه و يوهم والمعاينة تكشف الحقيقة وتحكم على الخلق ولان النفس ذات بدوات لما طبعت عليه من حب المتعة بالرفاهية فكذلك لا يجعل لك معدوما كيقين موجود فلو كان كيف كان الامر ولكن قد يكون له مقام من الزهد في المعدوم يقيامك بشرطه وهو أن لا تحب وجود الشيء ولا تأسى على فقده أو تكون مغتبطا بعدمه لتسر ورابفقرك يعلم الله تعالى ذلك من غيبك و يطلع على سرك انك لا تفرح بوجوده لو وجدته وتخرجه ان دخل عليك وان قلبك قائم بالله سبحانه وتعالى راض عن الله تعالى بحالك التي هي العدم من الدنيا فحينئذ بحب الاستبدال بها من الغنى بصدق يقينك بفضيلة الزهد فاذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهدا وكان لك باحدى هذه المعاني ثواب الزاهدين وان لم تكن الدنيا واجد او هذا زهد الفقراء الصادقين وهو التحقق بالفقر وقد قال بعضهم حقيقة الفقير أن يكون مغتبطا بفقره خائفا أن يسلب الفقر كما يكون الغنى مغتبطا بغناه يخاف الفقر وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول اذا قيل له انك زاهد قال انما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فزهد فيها فأما أنا ففي أي شيء زهدت وقد يصح الزهد للعارف في الشيء مع وجوده عنده اذا لم يقتنه لمتعة نفسه ولم يتملكه و يسكن اليه بل كان موقوفا في خزانة الله سبحانه وتعالى التي هي يده منتظرا لحكم الله تعالى فيه ومحنة ذلك استواء وجوده وعدمه والمسارعة اذا رأى حكم الله تعالى الى تنفيذه فيكون في ذلك كأنه لغيره من عيلته أو اخوانه أو سبيل من سبيل الله تعالى وهذا المقام زائد على الزهد فكذلك لم يخرج منه بل كان مخصوصا فيه بخصوص وهو أيضا مقام من التوكل وبيان آخر مستنبط من السنة في ماهية الزهد أي شيء هو الزهد أيضا تقليل الدنيا وتقريبها واحتقارها بالقلب واستصغارها من ذلك الخبر الذي جاء في ساعة يوم الجمعة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هي في آخر ساعة قال و يجعل يزهدها يقللها أي يقرب وقتها و يدنيه من الغروب والمعنى الآخر في الخبر الثاني من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لما نزلت آية الامر بالصدقة لمناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له كم ترى أن نجعل عليهم من الصدقة مقدمة المناجاة فقال شعيرة من ذهب قال انك لزهيد أي مقلل مصغر الدنيا ولكن نجعل عليهم دينارا وزهيد كأنه معدول من زاهد للمبالغة في الوصف بالزهد كما عدل شهيد من شاهد ومجيد من ماجد وكما عدل عليم وقدير ورحيم من عالم وقادر وراحم للمبالغة في العلم والقدرة والرحمة ذكر وصف الزاهد وفضل الزهد قوت الزهد الذي لابد منه و به تظهر صفة الزاهد و ينفصل به عن الراغب هو أن لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك وأن يأخذ الحاجة من كل شيء عند الحاجة الى الشيء ولا يتناول عند الحاجة الا سد الفاقة ولا يطلب الشيء قبل الحاجة وأول الزهد دخول غم الآخرة في القلب ثم وجود حلاوة المعاملة لله تعالى ولا يدخل غم الآخرة حتى يخرج هم الدنيا ولا تدخل حلاوة المعاملة حتى تخرج حلاوة الهوى وكل من تاب من ذنب ولم يجد حلاوة الطاعة لم يؤمن عليه الرجوع فيه وكل من ترك الدنيا ولم يذق حلاوة الزهد رجع في الدنيا ولا يدخل حلاوة المعاملة حتى تخرج حلاوة الهوى وخالص الزهد اخراج الموجود من القلب ثم اخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم الموجود على الاستصغار له

والقها أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة ت عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله و بحمده غرست له نخلة في الجنة ع قيل لوهب أليس لا اله الا الله مفتاح الجنة قال بلى ولكن ليس مفتاح الا له اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح لك ت عن بريدة بن خصيب قال اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلت الجنة الا سمعت خشخشتك امامي فقال بلال يا رسول الله ما أذنت قط الا صليت ركعتين وما أصابني حدث الا توضأت عنده ورأيت ان لله ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما ت قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها و بطونها من ظهورها فقام اليه اعرابي فقال لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام وفي الاحياء قال على الطلحي رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت قالت حوراء

والاستقلال والتقلل لهوان الدنيا عنده وصغرها في عينه فهنا يتم الزهد فينسى زهده في زهده فيكون حينئذ زاهدا في زهده راغبا في زهده وبهذا يكمل الزهد وهذا الزهد حقيقته وهو أعز الاحوال في مقامات اليقين وهو الزهد في النفس لا الزهد لاجل النفس ولا الرغبة في الزهد الزهد وهذه مشاهدة الصديقين وزهد المقربين عنده وجده عين اليقين ودون هذا مقامات لاخراج المرغوب فيه من اليد مع تطلع اليه وعلى مجاهدة النفس فيه وهو زهد المؤمنين وذلك العمل بالزهد عقد وعمل اذ كان الزهد من الايمان والايمان قول وعمل وكذلك الزهد عقد وعمل فعقده خروج حب الدنيا من القلب بدخول حب الآخرة في القلب والعمل بالزهد اخراج المحبوب من اليد في سبيل الله تعالى معتاضا منه ما عنده سبحانه وتعالى من وجهه الكريم جل وتعالى أو قرب جوار في داره وان لم تكن الدنيا موجودة فان ترك الاسف عليها وقلة الحرص فيها وترك الطلب والتمني لها وسكون القلب مع العدم ورضاه بيسير القسم بحسب المعيشة زهد الآن ذلك حال الفقير فاذا قام بحكمه وجب عليه أكثر من القيام به والورع هو من الزهد كما الزهد من الايمان والحياء والايمان في قرن واحد كما جاء في الخبر اذا نزع أحدهما تبعه الآخر وروينا في ذلك حديثا من طريق أهل البيت الزهد والورع يجولان في القلب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا والقناعة باب من الزهد أيضا والرضا باليسير من الاشياء حال من الزهد والتقلل في الاشياء مفتاح الزهد وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فأنت حريص والحريص محروم واذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل وقال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم أي منها وهذان الوصفان هما أتم حال في الزهد من أعطى أحدهما تبعه الآخر لان الذي لا يأسى على ما فاته من الدنيا هو الذي لا يفرح بما أتاه منها لانه مثله والذي لا يفرح بما أتاه منها هو الذي لا يحزن على ما فاته وهذا وصف عبد غير متملك وسيما عبد قائم بحكم ربه ونعت عبد موقن محب قد شغلته مشاهدة الآخرة عن التفرغ لمتعة الدنيا وقد فرغته معاينة الآخرة من الاشتغال بما يفنى وفي أحد الوجوه من قوله تعالى وانه هو أغنى وأقنى قيل أغنى أهل الآخرة بالله سبحانه وتعالى وأغناهم عن الدنيا بالآخرة وأقنى أهل الدنيا من الدنيا أي جعل لهم قنية ومدخرا وعدة كما وصف من ذمه من قوله تعالى جمع مالا وعدده أي قال هذا عدة لكذا وهذه عدة لكذا فهدده بالويل فحصل من ذلك ان الزاهد في المال عدته الله تعالى في كل الاحوال وكنزه وذخره وطوبى له وحسن مآب وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وكفى بالموت واعظا وهذا جملة وصف الزاهد الموقن الذي هو الموت من تقرب مع الخبر المشهور ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الزهد في الدنيا علما لحقيقة الايمان وقربه بمشاهدة الايقان في قوله عليه الصلاة والسلام لحارثة عرفت فالزم عبد نور الله قلبه لما قال أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك فابتدأ بالزهد فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا وأشد من هذا الخبر الآخر الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم الزهد من علامة شرح الصدر بالنور وهو نور التصديق الذي هو عموم وصف المؤمنين لانه هو في التحقيق الاسلام فسر قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قيل يا رسول الله ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فهذا هو الزهد جعله شرطا لحقيقة الاسلام وأشد من هذين الخبرين الخبر الثالث الذي فسر الحياء من الله تعالى بالزهد في الدنيا فقال استحيوا من الله تعالى حق الحياء قلنا انا نستحي قال تبنون ما لا تسكنون

وتجمعون

---

فقالت زوجني نفسك قالت اخطبني الى سيدي وامهرني فقالت ما مهرك فقالت حبس نفسك عن آفاتها شعر

فيا عجبا نشرى بنار وجنة ... وليس الذي نشتاق أو تلك نحذر

اذا لم يكن خوف وشوق ولا حيا ... فلا أي فيناسن الخير يذكر

ولسنا على صابرين ولا بلى ... فكيف على النيران يا قوم نصبر

وفوت جنان الخلد أعظم حسرة ... على تلك فليحسر المتحسر

فاف لنا اف كلاب مزابل ... الى نتنها نسعى ولا نتدبر

نبيع خطيرا بالحقير عماية ... وليس لنا عقل وقلب منور

فطوبى لمن يؤتى القناعة بالتقى ... وأوقاته في طاعة الله يعمر

اللهم انا نسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد ونعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد

(فصل في الرؤيه) وقال الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ت عن سعيد بن المسيب انه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة

وتجمعون ما لا تأكلون ويعني هذا تمام ايمان الوفد الذين سألهم ما أنتم فقالوا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالأعداء فقال عليه السلام لا تنزلوا السلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فهذا هو الزهد جعله تكملة ايمانهم وعلو مقامهم وتماما على احسانهم وأعظم من هذه كلها الخبر الرابع الذي جعل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهد من شرط اخلاص التوحيد في حديث رويناه عن ابن المنكدر عن جابر قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي كرم الله وجهه فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها فسرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا وطلب لها واتباع لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون أعمال الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة فلذلك كان علي رضي الله عنه يجعل الزهد مقاما في الصبر ويجعل الصبر عمدة الايمان في حديثين رويناهما عنه أولهما قوله في الحديث الطويل الذي رواه عكرمة وعتبة بن حميد والحرث الاعور وقبيصة بن جابر الاسدي في مباني الايمان انه قال الايمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد ثم قال فيه والصبر منها على أربع شعب على الشوق والشفق والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ومن ترقب الموت سارع في الخيرات والخبر الآخر في الصبر الذي جعله عمود الايمان ينهدم الايمان بهدمه هو قوله والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد لا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وروينا في خبر مقطوع السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك فكان هذا الحديث مفسرا للخبر المجمل السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار فسر في ذلك الخبر بأي معنى يكون السخي قريبا من الله تعالى قريبا من الجنة لان السخاء من اليقين وبأي معنى يكون البخيل بعيدا من الله تعالى قريبا من النار لان البخل من الشك فالسخاء وصف الزاهد ولا يكون الزاهد الا سخيا والبخل وصف الراغب ولا يكون الحريص الا بخيلا ولا يكون البخيل زاهدا الا ان الزهد يدعو الى اخراج الشيء والبخل يدعو الى امساكه فنفس السخاء زهد فلذلك ذم البخل لانه رغبة في الدنيا ثم ان الحرص علامة البخل لانه دليل الرغبة والقناعة علامة السخاء لانها باب الزهد فلذلك قيل سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء البذل ثم يفترقان في الحكم بعد اجتماعهما في الاسم فمن جاد بملكه لله تعالى كان زاهدا فيه لله تعالى ووقع أجره على الله ومن جاد به لاجل الناس كان أيضا زاهدا في ذلك موصوفا بالسخاء ولكن ذلك لنفسه ولاجل هواه ولا أجر له عند الله تعالى اذ لم يكن من عمال الله تعالى فبطل أجره لانه عمل لنفسه وحصل شكره وذكره في الدنيا لانه عمل لاجل الناس كما قال ابن المبارك رحمه الله ما رأيت بين الفتوة والقراءة فرقا الا في شيء واحد ما حضرت القراءة شيئا الا فتحته الفتوة وانما يفترقان في ان القراءة يراد بها وجه الله تعالى والفتوة يراد بها وجوه الناس ومدحهم وقد كان أستاذه سفيان الثوري رحمه الله يقول من لم يحسن يتفتى لم يحسن يتقرى اي من لم يعرف أحكام التفتي فيقوم بها حتى يستحق وصف فتى لم يحكم أوصاف التقري حتى يوصف بانه قارئ ثم ان العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها بالصبر على الحق بان يخرج المرغوب وينفق المحبوب على كراهة من النفس وحمل بالزهد عليها فيكون له مقام في الزهد ينال البر ويستوجب مدحا من البر والمتزهد غير الزاهد وهو الذي يتصنع الزهد ويعمل في أسبابه من التقلل ورثاثة الحال في كل شيء فمثله مثل المتصبر من الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصابرها على العلم فيكون له مقام من الصبر وصفوة الزهد انتظار الموت وقصر الامل لانه يورث ترك الادخار وتحسين الاعمال وقال ابن عيينة

اسأل الله ان يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أفيها سوق قال نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دني على كثبان المسك والكافور ما يرون ان أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا قال أبو هريرة قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا قال نعم هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا قال كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب أفلم تغفر لي فيقول بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه فبينما هم على ذلك

بعد الزاهد أن يكون شاكرا عند الرخاء صابرا عند البلاء وقال بشر بن الحرث رحمه الله الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس من زهد فيهم فقد زهد في الدنيا وكذلك قال بعض الحكماء اذا طلب الزاهد الناس فاهرب منه واذا هرب من الناس فاطلبه وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله متى يكون الرجل زاهدا فقال اذا بلغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهدا وقال القاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف بقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد فكانت الدنيا عنده الشبع وأكل الشهوات وقال فضيل بن عياض رحمه الله الزهد هو القناعة فكانت الدنيا عنده هو الحرص والشره وقال الثوري الزهد هو قصر الامل فكانت الدنيا عنده طول الامل وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول الدنيا كل ما يشغلك عن الله تعالى فكان الزهد عنده التفرغ لله تعالى وقد قال انما الزاهد من تخلى عن الدنيا واشتغل بالعبادة والاجتهاد فأما من تركها وتبطل فانما طلب الراحة لنفسه وكان داود الطائي رحمه الله تعالى يقول كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل أو مال فهو عليك شؤم وقال أبو سليمان من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشا فقد ركن الى الدنيا وقرأ قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة وقد قال أويس القرني رحمه الله تعالى اذا خرج يطلب ذهب الزهد وكان امامنا وشيخنا أبو محمد سهل بن عبد الله رحمه الله يقول أول الزهد التوكل وأوسطه اظهار القدرة وقال لا يزهد العبد زهدا حقيقيا الا رجعة بعده الا بعد مشاهدة قدرة فان أول القدر تعبدي ان يشهد ما جمع من كلام القادر المزهد اذ يقول تبارك وتعالى ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله فالحلية الذهب والفضة وهما قيم الاشياء اللذان ماسكا النفوس ونكسا الرؤس فالمتاع ما سواهما من معادن الارض فاذا شهد العبد الذهب الذي هو سبب الدنيا ولاجله أشرك من أشرك وعبد الله ارتبك من ارتبك ولوقوع حلاوته في القلب وقع من وقع فاذا شهد جوهر الذهب والفضة زبدا طافيا على وجه الماء لا نفع فيه ولا غنى به ولا قيمة زهد فيه حينئذ زهدا صادقا فكان زهده معاينة لا خبرا وكان من المؤمنين حقا الذين وصفهم الحق بالحق في قوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فالزهد مزيد الايمان ثم قال وعلى ربهم يتوكلون فالزهد يدخل في التوكل ثم قال فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون فالتوكل يوقف على الصبر وكان هذا قد سمع من كلام الله تعالى فهمه فأبلغه الله تعالى مأمنه في المقام الامين في جنات وعيون واستحق وصف الله تعالى بالايمان اذا تلا القرآن بحقيقة الايقان فقال عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به وذلك ان هذا الزبد تشبيه من الله تعالى لمثل ضربه للحق والباطل فانما هو الماء والزبد فمثل الحق في نفعه وبقائه بالماء ومثل الباطل في ذهابه وقلة نفعه بالزبد ثم شبه الذهب لذهابه عن الحقيقة بالزبد تشبيه مماثلة لا تشبيه مجاز لقوله زبد مثله والمماثلة مستقصاة ثم قال كذلك يضرب الله الامثال الذين استجابوا لربهم الحسنى أي الجنة والبقاء وقال تعالى الذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء وهم المريدون الحياة الدنيا وزينتها الراضون المطمئنون بها ليس لهم في الآخرة الا النار فسبحان من نفذ بصره الابصار وسبحان مقلب الليل والنهار وسبحان من كل شئ عنده بمقدار يبصر ما لا نبصر كما يقدر على ما لا نقدر خص المشاهدين بمعنى مشاهدته كما خصهم بالاحاطة بشئ من علمه فأحاط عليهم بما شاء علما أحاط لهم ما شاء فكان الذهب والفضة عندهم زبدا طافيا تفرقه الرياح فيكون فوق الماء متجافيا وهما من معادن الجبال فكانت الجبال عندهم امواجا ثابتة باثبات وساكنة بتسكين تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ وصارت الارض بحرا عجاجا يضرب بالامواج فيظهر بينهما من المدن والقفار تلاطم امواج الاعوجاج وصار الانام يسبحون في الاسراب يدبون بين المناكب والاحداب أظهر فيهما من كل شئ موزون بمقدار كتنفس النهار في الليل وكالغشاء على الليل ذلك اظهور حكمته وخفي قدرته ولطيف صنعه ودقيق صنعته ذلك لشهود نعمته من القيام

بشكره

فغشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثله ريحا قط ويقول ربنا قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة فيها ما لم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه وذلك انه لا ينبغي لاحد ان يحزن فيها ثم ننصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وان بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فنقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا ت عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنى أهل الجنة ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء

بشكر هو جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وهم من كل حدب ينسلون ان ربى لطيف لما يشاء فاجتمع الفرق وارتتق الفتق وغاب كل متفرق ونطق وكان عرشه على الماء ليبلوكم فهذه مشاهدة ابناء الآخرة هى أعلى من زهدهم فى الدنيا وافترق الجمع وانفتق الرتق وظهر من الماء كل شئ حى ظاهر واتسع الفضاء واستتر الغطاء ووجد التفصيل وحكم الحسبان بالتفصيل كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون هذه مشاهدة أبناء الدنيا هى أعظم عليهم اذا تبطلوا من غيبهم وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا هذه مشاهدة العموم عند الموت فيعظمه عليهم بالحسرة الفوت وقد فرغ الخصوص من نصيبهم لمشاهدته فهم ناظرون الى مستقبل المزيد مشغولون به عن العبيد فائقون بشاهد الحق لهم متصرفون باشهاده اياهم ظاهرا وباطنا ولطيفا ومستترا ومعروفا ومنكرا والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فغالب عليه لا يظهر وما لبسه عليهم اياهم قهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر

* ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وقال الحق والحق أقول خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول لو فسرت لكم هذه الآية لكفرتم قيل وكيف قال كنتم تنكرونها وانكاركم لها كفر بها وفى لفظ آخر لو فسرت الآية التى فى سورة النساء القصرى لرجمتمونى بالحجارة معناه لكفرتمونى لانهم لا يقتلون الا كافرا عندهم وروينا عنه فى قوله تعالى جميعا منه قال فى كل شئ اسم حرف من أسمائه فاسم كل شئ من اسمه فانما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله ناطقا بقدرته وظاهرا بحكمته وبمعناه كان أبو محمد رحمه الله تعالى يتأول قوله ما زاغ البصر وما طغى ... من اليقين فغابت السبع فى السبع العلى والسبع السفلى لما طوى نفس الهوى وغابت العليا والسفلى فى ملكوت العرش والثرى لما طوى طى النفس وغاب العرش والثرى فى جبروت الاعلى لما هى طى العلى وحضر الازلى الاول اذا غاب المحدثات الثانى وظهر الباطن الاخير حين بطن الظاهر السائر فصار العبد شهيدا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ألا كل شئ ما خلا الله باطل وأراه الآيات فى الآفاق فتبين الحق بقول الحق سبحانه وتعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط وكذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذى قال اللهم أرنى الدنيا كما تراها فقال لا تقل هكذا فان الله تعالى لا يرى الدنيا كما تراها ولكن قل أرنى الدنيا كما يراها الصالحون من عبادك وهذه شهادة أهل الله تعالى وغابت فيه الشهادة الاولى كما غيبت تلك الاولى مشاهدة أهل الدنيا فكشف هذا المقام واظهار هذه الشهادة لا تحل الا لشهيد ذى مقام فى الصديقين عتيد وقال الحكيم لقد عزت معانيه فغابت عن الابصار الا الشهيد وهم أولو المطلع فى القرآن الذين سلموا من هول المطلع فى العيان وافشاء سر الربوبية معصية واعلان سر السر كفر ولكن يحتاج هذا الزاهد أن يشهد المزهود بمنزلة الزهدان لم يبلغ تمام شهادة المزهد الاحد ليكون من أهل السمع والشهادة فينبنى بذكر قلبه معارضه العادة ويكون عند الله شهيدا له أجره ونوره كما قال الشاهد الاعلى والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم فكيف يكون شهيدا من لم يشهد بشهادته بل كيف يشهد وصف الاولية بغير نورها أم كيف يقوم بشهادته من لم يشهد قيوميته بل كيف يرى قيوميته بغير نور وحدانيته ان لم يقرب فى هذا المكان فكما قال أو ألقى السمع وهو شهيد فيسمع من مكان هو الى جنب القرب بعيد ويكون من أهل البيان والفكر كقول الحق المبين كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة أى تتفكرون فى فناء الدنيا وزوالها وبقاء الآخرة ودوامها فتؤثرون الباقى الدائم وترغبون فيه على الزائل الفانى وتزهدون فيه لانما يكون

طم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها أو ان لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بى أو تضحك بى وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه قال وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة ت عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة رزقنا الله تعالى واياكم النظر الى

آخره فلا يشبه آخره أول أمره وأوله لم يكن وما يكون آخره فناء فكأنه لم يزل فما أشبه أوله آخره في البقاء وكذلك قال العليم الحكيم والآخرة خير وأبقى فوصفها البقاء لأنها في المآل بوصفين من صفاته كما قال تعالى والله خير وأبقى ولأنه قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فنسب الفناء الينا اذ لسنا الا أهل الفناء وليزهدنا فيها وأضاف الآخرة اليه ليعزها به لانه أهل البقاء وليرغبنا فيها فاذا شهد العبد بعين قلبه يقين ايمانه ما يستحق به ما عقله الذي هو فهم سمعه وادراك بصره ما يفنى آخره كأنه لم يكن وما يبقى آخره كأنه لم يزل كان من المتفكرين في هذه الآية المشاهدين لها وممن تلاها حق تلاوتها لأنه من حقيقة الايمان وزهد في الدنيا حقيقة الزهد ورغب في الآخرة حق الرغبة وكان من أولى الايدي والابصار أي من ذوي القوى في الدين والبصائر في اليقين فلما أبصر بقواه عبر الدنيا الى الله تعالى وكان زاده تقواه كما قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أي تذكرون الفرد ففروا الى الله أي من الاشكال والاضداد كما قال فاعتبروا يا أولي الابصار فعبر لما أبصر بمعنى عندها كان ممن أخذ الكتاب بقوة قيل بعمل فيه وقيل بيقين فيه ويقال بجد واجتهاد فكان من المحسنين الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض الآية وقال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ويل لمن تلاها ومسح بها سبلته وذلك ان السموات والارض عبر بهما عما وراءهما من درجات الجنان ودركات النيران وهو الملكوت الى الملك الباطن والملك الكبير فكشف هذان عما علا وسفل وأحاط بهما من العرش والثرى لمن تفكر فيهما ثم كشف ذلك له ورآه من العزة وجاوزت الافكار الملكوت لما شرحت القلوب بأنوار اليقين الى الافق الاعلى والجبروت فنفذت أبصار المتفكرين بقواها الى مشاهدة ذلك وبقيت أنوار يقينهم معاينة ما أحاط بذلك وهو ما قدمنا ذكره آنفا مما لم يظهر كشفه كعلوم ما نبه الله تعالى العباد بها يشهدون الى ما وراءه مما به أيقنوا والمؤمنين مشاهدة الدنيا قريبة دون هذه من طريق العقول يشهدون انها عقوبة كما قيل ما فضت الدنيا على عبد الا مكرا به ولا زوي بشيء عنه الا نظرا له وسمعنا في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تدري لم ابتليت آدم بأكل الشجرة لاني جعلت معصيته سببا لعمارة الدنيا فينبغي في دليل الخطاب أن تكون الطاعة سبب خرابها وهو الزهد فيها فصح بذلك الخبر المشهور حب الدنيا رأس كل خطيئة لانه كان أساسها ولكن لا يسع ذلك العامة لانهم مرادون بالعمارة وصلح لنفر من الخاصة لان نقصان عددهم من الكافة لا ينقص عمارة الدنيا اذ المراد عمارتها باهلها ويقال عن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له أي شيء تريد فقال آدم عليه السلام أريد أن أضع ما في بطني من أذى فقيل للملك قل له في أي مكان تضعه على الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا قال وتلطف الله تعالى له بهذا المعنى فاهبطا الى الارض وقد نغص الله تعالى فاكهة الدنيا وغيرها بحشو العجم والثفل ليزهد فيها وأخبر انها مقطوعة ممنوعة ليرغب في الدائم الموهوب وكان بعض العلماء يقول لما سطع لي زينة من زخرف الدنيا الا كشف لي باطنه فظهر لي عزوف عنه فهذه عناية من الله تعالى بمن وليه من أوليائه المقربين منه فمن شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر بآخرها ومن عرفها باطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بعاقبتها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول يا علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن وقال مالك بن دينار رحمه الله اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا فمن حرص على الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه فان قوي حرصها عليها واشتد عشقه لها قتل غيره قال الله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا أنفسكم وقال في قتل غيره بصده اياه عن سبيل الله ان كثيرا من الاحبار

وجهه الكريم وادخلنا دار النعيم بمحض فضله وكرمه العظيم أيها المسكين لا حزم ولا احتياط للعبد أحسن من الطاعة يتقيه الذي رباه ولا حماقة ولا سخافة أكبر من الاغترار بعصيان مولاه ولا حسرة أعظم من فوت الجنة ونعيمها ولا زاد أفضل من التقوى ورعايتها ولله در القائل شعر

حياة القلب علم فاغتنمه ✽ وموت القلب جهل فاجتنبه
وخير الزاد تقوى فادخره ✽ كفاك الوعظ هذا فاتبعه

اللهم ارزقنا اتباعه واغفر لنا زلاتنا وعثراتنا واغفر لنا خطيئاتنا واستر عيوبنا واتمح ذنوبنا واعف عن زلة اللسان وعثرة القلم انك أنت الاعز الاكرم شعر

أباعدني عند الشدائد والبلى
وذكرى لما قد كان يأتي مهولا
كسبت ذنوبا لا أطيق أعدها
وقد كرب ناسا من عبادك غفلا
واني عجول ذو معاص كبيرة
أسيرا ... كسلان طاعة
... [illegible]

والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وروينا في أخبار عيسى عليه السلام انه مر في سياحته ومعه طائفة من الحواريين بذهب مصبوب في الارض فوقف عليه ثم قال هذا القاتول فاحذروه ثم عبر وأصحابه فتخلف ثلاثة لاجل الذهب فأقام اثنان ودفعا الى واحد شيأ منه يشترى لهم من الطيبات من أقرب الامصار اليهم فوسوس اليهما العدو ترضيان أن يكون هذا المال بينكم أثلاثا اقتلاه فيكون المال بينكم نصفين فاجمعا على قتله اذا رجع اليهما فالوجاء الشيطان الى الثالث فوسوس اليه أرضيت لنفسك أن تأخذ ثلث المال اقتلهما فيكون المال كله لك قال فاشترى سما فجعله في الطعام فلما جاءهما به وثبا عليه فقتلاه ثم قعدا يأكلان الطعام فلما فرغا ماتا فرجع عيسى عليه السلام من سياحته فنظر اليهم حول الذهب صرعى والذهب بحاله فعجب أصحابه وقالوا ماشأن هؤلاء فأخبرهم بهذه القصة وقيل لابن المبارك من الناس قال العلماء قيل فمن الملوك قال الزاهدون وروينا عن ابن المسيب عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زهد في الدنيا أدخل الله تبارك وتعالى الحكمة قلبه وأنطق بها لسانه وبصره داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السلام وروينا في الخبر الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول رأيت سبعين بدريا كانوا والله فيما أحل الله تعالى لهم أزهد منكم فيما حرم الله تعالى عليكم وفي حديث آخر كانوا بالبلاء والشدة تصيبهم أشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب قال ولو كان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد على قلبي فمن كان له قلب حفظ من فساده وخاف من تغيره وابعاده وعمل في صلاحه وارشاده ومن لم يكن له قلب فهو يتقلب في ظلمات الهوى فربما انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة أو يكون من أهل الرضا بالدنيا وأهل الغفلة عن آيات الله تعالى فيكون قد رضي بلاشئ وآثره على من ليس كمثله شئ كوصف من أخبر الله تعالى عنه في قوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون فيستحق الاعراض من الحبيب ويستوجب المقت من القريب كمثل من أمر الله تعالى بالاعراض عنهم وترك القبول منهم اذ يقول عز من قائل فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وقال عز وجل ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا أي مجاوز المانهي عنه مقصرا عما أمر به وقيل مقدما الى الهلاك وقد نهى الله تعالى رسوله أن يوسع نظره الى أهل الدنيا متاعا لهم وأخبر أنما أظهر من زهرة الدنيا فتنة لهم وأعلمه أن القناعة والزهد خير وأبقى تنتظم هذه المعاني في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى قيل القناعة وقيل قوت يوم بيوم ويقال الزهد في الدنيا وهذا الوجه أشبه بكتاب الله تعالى بدليل قوله تعالى والآخرة خير وأبقى وكذلك قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى يعني الزهد في الدنيا وقال أيضا في مثله بقية الله خير لكم يعني القناعة وقيل الحلال وفي خبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم اليهم وأنفسه عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والولد والوبر وهي الرواحل من الابل التي ضرب بها النبي عليه السلام بها مثل خيار الناس فقال عليه السلام الناس كابل مائة لاتكاد تجد فيها راحلة أي الابل كثيرة والراحلة التي تجمع هذه الاوصاف الخمسة من الابل قليل وهي العشار التي ذكر الله تعالى في قوله واذا العشار عطلت أي تركها أهلها وهربوا الهول قيام الساعة شغلا بنفوسهم عنها قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يارسول الله هذه أنفس أموالنا لم لاتنظر اليها فقال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا هذه الآية ولا تمدن عينيك الآية وفي حديث عمر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للدينار والدرهم قال فقلنا نهانا الله تعالى

علمي باني لست أهلا لوعظهم
ولكن جرى ما كان في اللوح فصلا
ولولم يعظ الا تقيف موفق
لصار الهى الوعظ للناس معطلا
فما كان من جهل وسهو وعثرة
وكبر وعجب والرياء تنزلا
أغثني منها يا الهي وسيدى
وأحبابنا انصر والعدى اخذلا
وبلغ مرادى واقض حاجة باطني
وسلم ووفق واعف عنا تفضلا
بحق كليم قد أنلت محمدا
وما فيه من اسم عظيم مجملا
وتوراة موسى ثم انجيل ذى الكلا
م مهد صباثم اسمائك العلا
وحق جميع الانبياء وآلهم
واعلام دين والمشايخ كملا
وصل على خير الانام وآله
وصحب وكل الانبياء على الولا
وأرض جميع الاولياء ومشايخ
واعلام دين صار منهم مكملا

من كنز الذهب والفضة أى شئ ندخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر الآخرة وفى حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله تعالى بثلاث همالا يفارق قلبه أبدا وفقر الا يستغنى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا ورويناه حديثا مرسلا عن على بن معبد عن على بن أبى طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرة الشئ وروينا عن عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة تعلقت بعبر عليها الى الآخرة فاعبروها ولا تعمروها وقال له رجل احملنى معك فى سياحتك فقال أخرج مالك والحقنى قال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام بعسر يدخل الغنى الجنة أو قال بصعوبة وقال والله لو أمرتنا بانى الله أن نبنى بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء قالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال فكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا وقال لا يبلغ أحدكم حقيقة الايمان حتى لا يحب أن يحمد بعبادة الله تعالى ولا يبالى من أكل الدنيا وكان بشر ابن الحرث يقول لا تحسن التقوى الا بزهد وقال حرمة العبادة لا تليق بالاغنياء مثل العبادة على الغنى مثل روضة على المزبلة ومثل العبادة على الفقير مثل عقد الجوهر فى جيد الحسناء وقد استنبطنا ذلك من كتاب الله تعالى بمعنى وصف الفقراء فى العبادة فى قوله سبحانه وتعالى للفقراء المهاجرين الذين أحصروا فى سبيل الله ثم قال تراهم ركعا سجدا فحسنت لبسة العبادة عليهم لحسن سيماهم بالفقر وروينا فى وصية لقمان لابنه وهو يعظه مداخل العدو قال واذا جاءك من قبل الفقر فأخبره أن الغنى من أطاع الله تعالى والفقير من انتهك معصيته واذا شهى اليك الغنى فأخبره أنه لا يحسن جمع الغنى والقراءة وقال بعض السلف أبى أهل العلم بالله تعالى أن يسمعوا الحكمة والوعظ الا من الزاهدين فى الدنيا وقالوا لبس أهل الدنيا لذلك أهلا ولا يليق بهم وروينا عن عيسى عليه السلام فيما أوحى الله تعالى اليه يا ابن آدم ابك أيام الحياة بكاء من ودع الدنيا وارتفعت رغبته الى ما عند الله تعالى اكتف بالبلغة من الدنيا ليكفك منها الجشب والخشن بحق أقول لك ما أنت الا بيوم لنفسه ساعتك مكتوب عليك ما أخذت من الدنيا وفيما أنفقته فاعمل على حسب هذا فانك مسؤل عنه لو رأيت ما وعدت الصالحين لزهقت نفسك فكان عيسى عليه السلام يقول حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وجودة الثياب خيلاء القلب يعنى اعجابه وكبره وملء البطن جمام النفس يعنى قوتها واجتماعها بحق أقول لكم كما لا يلذ المريض بطيب الطعام كذلك لا يجد حلاوة العبادة من أحب الدنيا ومن الزهد فى الدنيا ترك الملبس الناعم والمنظور اليه المرتفع واجتناب النزهات من لطائف الطعام والتفتق فى الشهوات التى يرغب فيها المتنعمون وترك الزينة والمفاخر من الآلة والاثاث الذى يستأنس فيه المترفون ومن الزهد أن يكون الشئ الواحد يستعمل فى أشياء كثيرة كذلك كان سيرة السلف فى الاثاث وهو التقلل كما أن أبناء الدنيا يستعملون الشئ الواحد أشياء كثيرة وهو وصف من التكاثر وذلك من أبواب الدنيا وقال بعض السلف أول النسك الزى وقال بعض العلماء من رق ثوبه رق دينه وقال ابن مسعود رضى الله عنه لا يشبه الزى الزى حتى يشبه القلب القلب وفى الخبر المشهور البذاذة من الايمان قيل هو التقارب فى اللباس والحديث المفسر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى خيره الله تعالى من حلل الايمان أيها شاء وفى لفظ آخر من ترك زينة لله تعالى ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله تعالى وابتغاء وجهه كان حقا على الله تعالى أن يدخره من عبقرى الجنة فى تخت الياقوت ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده قال أما انى لست أحرمه ولكنى أتركه تواضعا لله تعالى وأتى عمر رضى الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل فى يوم صائف فقال اعزلوا عنى حسابها وأوحى الله تعالى الى نبى من أنبيائه قل لاوليائى لا تلبسوا ملابس أعدائى ولا تدخلوا مداخل أعدائى فتكونوا أعدائى كما هم أعدائى ولما خطب بشر بن مروان على منبر الكوفة قال بعض الصحابة انظروا الى أميركم

وشفعهم فينا لننجو من ردى
ومن نار تعذيب وما كان هائلا
اللهم اغفر لنا ما سلف من الذنوب واعصمنا فيما بقى من الاجل الهنا ومولانا انسألك ان تصلح شأننا وشأن أولادنا وأقاربنا وأصحابنا وأحبابنا واعف عنا وعن والدينا ومشايخنا وأحبابنا وعمن أحب وأحسن الينا والمسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين
تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب المسمى بسراج القلوب وعلاج الذنوب وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين
ويليه كتاب حياة القلوب فى كيفية الوصول الى المحبوب

بعظ الناس وعليه ثياب الفساق قلت وما كان عليه قال ثياب رقاق وجاء عامر بن عبد الله بن ربيعة الى أبي ذر رضي الله عنه في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب عامر فأتى ابن عمر رضي الله عنهما فقال ألم تر ما لقيت من أخيك أبي ذر قال وما ذاك قال جعلت أقول في الزهد فأخذ يهزأ بي فقال ابن عمر أنت صنعت بنفسك تأتي أبا ذر في هذه البزة وتتكلم في الزهد وقال علي كرم الله وجهه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره وقد عوتب عمر رضي الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من القطن قيمة قميصه ثلاثة دراهم وخمسة دراهم ويقطع ما فضل عن أطراف أصابعه وقال هذا أدنى الى التواضع وأجدر أن يقتدي بي المسلم وأتت برود من اليمن الى عمر رضي الله عنه فقسمها على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا بردا ثم صعد المنبر يوم الجمعة فخطب الناس في حلة منها والحلة عند العرب ثوبان من جنس واحد وكان ذلك من أحسن زيهم فقال ألا اسمعوا ألا اسمعوا ثم وعظ فقام سلمان فقال والله لا نسمع والله لا نسمع قال وما ذاك قال لأنك قد أعطيتنا ثوبا ثوبا ورحت في حلة فقد تفضلت علينا بالدنيا فتبسم ثم قال عجلت يا أبا عبد الله رحمك الله اني كنت غسلت ثوبي الخلق فاستعرت برد عبد الله بن عمر فلبسته مع بردي فقال سلمان قل الآن حتى نسمع ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ان عباد الله تعالى ليسوا بالمتنعمين وروي فضالة بن عبيد وهو والي مصر أشعث حافيا فقيل له أنت الامير وأنت هكذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وأمرنا أن نحتفي أحيانا وروينا أن عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال أنشد الله رجلا علم في عيبا الا أخبرني به فقام شاب فقال فيك عيبان اثنان قال وما هما رحمك الله قال تذيل بين البردين وتجمع بين الادمين قال فما أذال بين البردين وما جمع بين الادمين حتى لقي الله تعالى هكذا حدثنا به قال الشيخ باسناده يذيل بالذال فمعناه تجمع بين ذيليهما فيتفق ذيل الاعلى على ذيل الاسفل من طول البرد الاعلى وأنا أحسب أن معناه تديل بالدال أي تبدل أحدهما بالآخر دولة ذا ودولة ذا ويصلح أن يكون بالذال من الاذالة أي الوضع يقال أذل هذا وأذل هذا مثل قول الناس من اذالة العلم ان يجيب العالم عن كل ما يسأل عنه كأنه أراد تضعه عند لا معا وهو راجع الى معنى تديل من الدولة وقال علي لعمر رضي الله تعالى عنهما ان أردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول اخلولقوا واخشوشنوا وتمعددوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي رضي الله تعالى عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من هذا ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام ولما قدم عمير بن سعد أمير حمص على عمر رضي الله عنه قال له ما معك من الدنيا يا عمير قال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي أحمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة يعني السطيحة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال له عمر صدقت رحمك الله وكان عمر رضي الله عنه قد كتب الى أهل حمص أن عدوا الى فقرائكم فسموا له في الكتاب نفرا فذكروا فيهم سعيد بن جذيم ويقال بل عمير بن سعد فقال عمر من سعيد بن جذيم فقالوا أميرنا يا أمير المؤمنين قال أو فقير هو قالوا نعم ما فينا أفقر منه قال فما فعل عطاؤه قالوا يخرجه كله لا يترك لنفسه ولا لاهله شيئا منه فوجه اليه عمر رضي الله عنه بأربعمائة دينار وسأله أن ينفقها على نفسه وأهله فلما وصلت اليه دخل على زوجته وهو يبكي فقالت له ما شأنك أمات أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت فتق فتق في المسلمين قال أشد من ذلك قالت فما هو قال أتتني الدنيا لقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تفتح الدنيا علي وكنت في أيام أبي بكر رضي الله عنه فلم تفتح الدنيا علي وخافت الى أيام عمر رضي الله عنه ألا وشر أيامي أيام عمر ثم حدثها فقالت نفسي فداؤك فاصنع بها ما بدا لك فقال أو تساعديني على ما أريد قالت نعم قال أعطيني خلق ذلك البرد قال فغسل بعزقه





بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العامل المتقن المحقق عماد الدين محمد بن الحسن بن علي القرشي الاموي الاسنوي الاشعري رحم الله سلفه وبوأه من أعلى الجنان غرفه الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل الحمد لله القديم بالالهية الازلي بالربوبية الذي وجب له نعت الوحدانية وصفة الفردانية تفرد بالربوبية واختص بالالوهية لم يكن لازليته ابتداء ولا لابديته انتهاء أحاط بالاشياء قبل كونها علما ونفذت فيها ارادته أبد الابد وسدا السرمد وأحدث الاشياء الحي منها والميت والناطق والصامت وأبدع موادها وصورها وأشكالها وتراكيبها وسائر أعراضها ليظهر لاولي العقول من مخلوقاته باهر عظمته وعظيم قدرته وبالغ حكمته وعجائب صنعته ونفوذ مشيئته وارادته فظهر لهم بذلك عظيم القدرة وبالغ الحكمة وعجائب الصنعة وأسرار التدبير ونفوذ المشيئة واحاطة العلم وعلم

و يصرها فيه صرراما بين العشرة والخمسة والثلاثة حتى أفناها ثم جعلها في مخلاة وتأبطها وخرج فاعترض جيشا من المسلمين يريدون الغزو فجعل يدفع اليهم صرة صرة على نحو ما يرى من حالهم ثم رجع ولم يترك لاهله منها دينارا فبهذه كانت شمائل جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان رضي الله تعالى عنهم وروينا في حديث عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الابدال ان من خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الاعلى قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الارض وأفئدتهم عند العرش وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه لما وصف الابدال قال فقلت له فكيف لي أن أكون بهذا الوصف وأنى لي أن أكون مثلهم فقال يا ابن أخي ما بينك وبين أن تكون في أوائل ذلك وأوسطه الا أن تزهد في الدنيا فتعاين الآخرة بقلبك فتعمل لها وروينا في الخبر أن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال الثوري وفضيل رحمهما الله تعالى جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه الرغبة في الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا وسئل يوسف بن أسباط وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى أي الاعمال أفضل فقالا الزهد في الدنيا وهذا موجود في ظاهر الخبر المنقول عن عيسى عليه السلام ورويناه عن نبينا صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة فتدبره أن بغضها رأس كل طاعة كذلك كان بعض السلف يقول كفى به ذنبا لا يستغفر منه حب الدنيا وأشد من ذلك ما رواه سفيان عن يحيى بن سليم الطائفي رفعها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا عبد الله تعالى عبادة أهل السموات والارض ولقيه محبا للدنيا الا أقامه الله تعالى في الموقف مقاما شهره فيه بين الخلائق ألا ان فلان بن فلان قد أحب ما أبغض الله تعالى وقال يحيى بن جابر الطائي قال عمرو بن الاسود العنسي لا ألبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دثار أبدا ولا أركب على مأثور أبدا ولا أملأ جوفي من طعام أبدا فقال عمر رضي الله عنه من سره أن ينظر الى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله تعالى عنها فرأى على بابها سترا وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبو رافع وهي تبكي فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال من أجل الستر والسوارين فهتكت الستر ونزعت السوارين فأرسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت به فضعه حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق به عليهم فدخل عليها وقال بأبي أنت قد أحسنت وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا أعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا وقال سفيان الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وأنا أصلي فادعه ويمر بي بعض هؤلاء من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته فلا أدعه يجوز قال بعضهم ما رأيت الغني في مجلس قط أذل منه في مجلس الثوري رحمه الله تعالى ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري وقال آخر كنا اذا جلسنا الى سفيان تمنينا أنا كنا فقراء لما نرى من اقباله عليهم واعظامه لهم وقال بعضهم انما العالم هو الذي يقوم الفقير من عنده غنيا والغني من عنده فقيرا وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانيق وقال ابن شبرمة خير الثياب ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف أحب الثياب الي ما لا يستخدمني وأحب الطعام الي ما لا أغسل يدي منه وقال بعض العلماء البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك قال وعددنا في قميص عمر رضي الله عنه أربعة عشر رقعة بعضها من أدم وكان بعض العلماء يقول كثرة الثياب على ظهر ابن آدم عقوبة من الله تعالى له وكان الخواص رحمه الله تعالى لا يلبس أكثر من قطعتين ازار بن أو قميص ومئزر يعطف ذيل قميصه على رأسه يجعله في وسطه فيغطي به رأسه وكذلك استحب الفقير وهو وحيد اللباس وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى الثياب ثلاثة ثوب لله تعالى وثوب للنفس وثوب للناس فالذي لله

الله الا اله الا الواحد الحي القيوم العليم الحكيم الخبير الفعال لما يريد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير أحاط علمه بما كان وما هو كائن وما هو سيكون علم ما استتر في حجب الغيوب وخفي في سرائر القلوب حصر الضمائر فراصدها ودنا من السرائر فراقبها يعلم جيش الضمائر وكسر الحواجب واغضاء الجفون وطلل الحركات وموجبات السكون لا يغيب عنه شيء باستتاره ولا مراضع الذرفي حالتي استقراره وانتشاره الاشياء كلها ظاهرة مكشوفة بسلطان القهر محبوسة وقوته حتى يجري عليها الاحكام بما قضاه لها في القدم من الاقسام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك العلام والصلاة والسلام على أنبيائه ورسله الذين هم الصفوة من خلقه خصوصا امام المتقين وسيد الزاهدين وسلطان العارفين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي العربي المكي المدني رسول رب العالمين الى الثقلين أجمعين وصفيه وخليله وحبيبه وخيرته من خلقه ووليه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون دينه أشرف الاديان وأمته خير الامم جعل منهم الاصفياء والاولياء والنجباء العارفين

تعالى ماستر العورة وأديت فيه الفريضة والذى للنفس ماطلبت لينه ونفاسته والذى للناس ماطلبت جوهره وحسنه ثم قال وقد يكون الثوب الواحد لله تعالى وللنفس وقد كان بعض العلماء يكره أن يكون على الرجل من الثياب ماجاوز قيمة أربعين درهما وبعضهم يقول الى المائة ويعده سرفا فيما جاوزها وكان جمهور العلماء وخيار التابعين قيمة ثيابهم مابين العشرين الى الثلاثين وكان المتقدمون من الصحابة أثمان ازارهم اثنا عشر درهما فكانوا يلبسون ثوبين قيمتهما نيف وعشرين درهما واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة الى دينار وكان طول ازاره أربعة أذرع ونصف واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس ثوبين من جنس واحد وربما لبس بردتين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ وفى الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات وقد لبس عليه السلام يوما واحدا ثوب سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان أصحابه يلمسونه ويقولون انزل عليك هذا من الجنة تعجبا منه وكان قد أهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بقبول هديته ويلبسه ثم نزعه وأرسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وقد يكون لبسه اياه توكيد التحريم بعده كما لبس خاتما من ذهب يوما واحدا ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضى الله عنها فى شأن بريرة اشترطى لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه فهذا يكون مؤكدا للتحريم وكما أباح المتعة ثلاثا ثم حرمها لتوكيد أمر النكاح وقد يحتج بمثل هذا علماء الدنيا ويلرقون به لنفوسهم ويدعون الناس منه اليهم ويظهرون الدعوة الى الله تعالى تأولا لمتشابه الحديث كما تأول أهل الزيغ متشابه القرآن على أهوائهم ابتغاء الفتنة وطلب الدنيا لان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على معانى كلام الله تعالى فيه ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وخاص وعام وعدل علماء الدنيا وأهل الاهواء عن الحكم الساتر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الى ماذكرناه وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خميصة لها علم فلما سلم قال شغلنى النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبى جهم وأتونى بانبجانيته يعنى كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم ورأى على باب عائشة رضى الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلى به الى آل فلان وفرشت له عائشة رضى الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وكان ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال أعيدى العباءة الخلقة ونحى هذا الفراش عنى قد أسهرنى الليلة وكذلك أتته دنانير خمسة أو ستة عشاء فبيتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقى الله تعالى وهذه عنده وكان شراك نعله العربى قد أخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فانى نظرت اليه فى الصلاة ولبس خاتما فنظر اليه وهو على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلنى هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحبنى فليستن بسنتى وقال فى الخبر المشهور عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول من علامة حب الله تعالى حب النبى عليه السلام ومن علامة حب النبى صلى الله عليه وسلم حب السنة ومن علامة حب السنة بغض الدنيا وعلامة بغضها أن لا يأخذ منها الا الزاد والبلغة وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها ان أردت اللحوق بى فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعيه وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين جديدتين فأعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال أعجبنى حسنهما فتواضعت لربى خشية أن يمقتنى ثم خرج بهما فدفعهما الى أول مسكين رآه وأمر عليا رضى الله عنه فاحتذى له نعلين سبتيتين قال فرأيته وقد لبسهما بنى جردا وين أى معطوفتين وقال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة من كان على مثل ما أنا عليه من الدنيا وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وقال عليه

الأبرار والعلماء الأخيار ذوى البصائر النافذة والسرائر الطاهرة والاعمال الباطنة والظاهرة رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون (أما بعد) فان علم الباطن وهو المسمى بعلم القلب وبعلم التصوف علم جليل شريف نفيس وهو أجل العلوم وأشرفها وهو الزبدة الممخوضة من الشريعة التى لم تبعث الانبياء عليهم السلام الا لاجلها وقد حض الشرع عليه تحضيضا كثيرا فى الكتاب العزيز وفى السنة النبوية وأكد فى طلبه وتعلمه وفى العمل به بعد ان بينه وقسمه وأبدله وفصله وهو الطريق التى توصل الى الله وبه تعرف كيفية المسير اليه والقرار بين يديه والمحل به تنال سعادة الابد فيما سلف من الايام ومضى من الاعوام وحين اقامتى ببلاد الشام طالعت كثيرا من كلام الائمة الاعلام أرباب هذا العلم فجمعت منه ما قدره الله مفرقا ويسر مجمعه معى وقد حرك الله منى فى هذا الزمان داعية وقوى عندى عزيمة على تأليف كتاب فى هذا العلم أجمع فيه ما كنت قد جمعته من كلام هؤلاء السادة ووقفت عليه فى كتب المصنفين فى علومهم فشرعت فيه متوكلا على الله تعالى

السلام لا يعذب الله عبدا الا جعل رزقه في الدنيا قوت يوم بيوم وقال عليه السلام طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان رزقه في الدنيا قوتا وقنع به وقال لقد فاز من أسلم وصبر عليه وقال عليه السلام ما من أحد غني ولا فقير الا ودّ يوم القيامة ان رزقه كان في الدنيا قوتا ودرويتنا عنه صلى الله عليه وسلم اللهم من أحبني وأجاب دعوتي فاقلل ماله وولده ومن أبغضني ولم يجب دعوتي فأكثر ماله وولده وأوطئ عقبيه يعني كثرة الاتباع وكانت هذه دعوة الصحابة على من مقتوه ودرويناف الخبر نقصان الدنيا زيادة الآخرة وزيادة الدنيا نقصان الآخرة وفي الاثر ما من أحد أعطى من الدنيا شيأ الا نقص من درجته وان كان على الله تعالى كريما وقال ابراهيم بن أحمد الخواص رحمه الله في وصف المدعين وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من الثياب يموهون بذلك على الناس ليهدوا اليهم مثل لباسهم ولئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقرون فيعطون كما يعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجؤا الى المضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوا احالا لهم مائلون الى الدنيا متبعون الهوى وكان الخواص رحمه الله تعالى لا يلبس أكثر من قطعتين ازار بن وقميص ومئزر يعقده ويعطف ذيل قميصه على رأسه يغطي به رأسه وكذلك أستحب للفقير هذا اللباس والاخبار في فضائل الفقر وفضل الفقراء وفي ذم الدنيا ونقص الاغنياء أكثر من ان تذكر ولم نقصد جمعها ولا كثرة الاستدلال بها ومن الزهد ترك فضول البنيان وان لا يبني عاليا ولا مشيدا ولا من الطين الا ما يحتاج اليه وقيل أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل والموائد وأول شئ ظهر من طول الامل التدرير والتشييد يعني درز الثياب وانما كانت تشل شلا والبنيان بالجص والآجر وهو التشييد وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء في الاثر يأتي على الناس زمان يوشون بنيانهم كما توشى البرود اليمانية ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما كنت أظن ان في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فأوقد لي يا هامان على الطين يعني به الآجر ويقال أول من بنى بالجص والآجر فرعون وأول من بناه له هامان ثم تبعهما الجبابرة فهذا هو الزخرف وذكر بعض السلف جامعا في بعض الامصار فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من رهوص ثم رأيته الآن مبنيا باللبن فكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهوص وكان أصحاب الرهوص خيرا من أصحاب اللبن وقد كان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في اتقان البنيان وكان منهم من اذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والثمام والجلود وعلى ذلك العرب ببلاد اليمن الى اليوم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس رضي الله عنه ان يهدم علية كان قد علا بها ومر عليه السلام بجنبذة معلاة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فرجع فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فسأل عنها فاخبر انه هدمها فدعا له بخير وكان بناء السلف قامة وبسطة وقال الحسن كنت اذا دخلت بيوت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا علا العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك الى أين يا فاسق الفاسقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيامة ومر عمر رضي الله عنه ببيت عال فقال أبت الدراهم الا ان تخرج رؤسها ومر بعامل له فرآه قد علا وشيد فقال له علي كل خائن أمينان الماء والطين ثم شاطره ماله فجعله في بيت المال وفي الخبر كل نفقة يؤجر عليها العبد الا ما أنفقه على الماء والطين وقد روينا عن بعض السلف اذا مقت الله تعالى مال عبد سلطا عليه الماء والطين وقال يحيى بن عثمان رحمه الله كنت أمشي مع الثوري رحمه الله في طريق فنظرت الى



مستعينا بالله متبرئا من الحول والقوة الا به واذا فرغت منه ان شاء الله تعالى شرعت في غيره (وسميته بحياة القلوب في كيفية الوصول الى المحبوب) ليوافق اسمه مسماه ويطابق لفظه معناه ورتبته على مقدمة وقسمين وخاتمة اللهم اجعل ذلك بحقك ولا تجعله حجة علي وانفعني به وأيقظني ونبهني وانشطني ورغبني وزكني وطهرني واعزلني وارحمني انك أنت الغفور الرحيم الجواد الكريم ذو الفضل العظيم ولنشرع في مقدمة الكتاب وفيها فصول (الفصل الاول في حد هذا العلم وحقيقته وفائدته وموضوعه اما حد علم الباطن وحقيقته فقيل هو علم يعرف منه أحوال النفس في الخير والشر وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتها وتطهيرها من الصفات المذمومة والرذائل والنجاسات المعنوية التي ورد الشرع باجتنابها والاتصاف بالصفات المحمودة وهي الصفات التي طلب الشرع تحصيلها وكيفية السلوك والسير الى الله تعالى والفرار اليه وأما فائدته وثمرته فهي النجاة في الآخرة والفوز برضا الله تعالى ونيل سعادة الابد وأما موضوعه فهو الباطن أعني القلب من ناحية ما يعرض له من

بابه مشيد قال لا تنظر اليه فقلت يا أبا عبد الله ما تنكر من النظر قال اذا نظرت اليه كنت عونا له على بنائه لانه انما بناه لينظر اليه ولو كان كل من مر به لم ينظر اليه ما عمله وقد قال بعض السلف قبله ولا تنظر الى بنيانهم فانهم انما زخرفوه لاجلكم وفى قول الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا قيل حب الكثرة والرياسة والتطاول فى البنيان وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما أكن من حر أو برد وقال للرجل الذى شكا اليه ضيق منزله اتسع فى السماء أى فى الجنة وهذا أحد التأويلين والثانى اتسع فى المعرفة ولا تطلب اتساع المكان واعلم ان الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد فى الصبر ويديم الجوع والفقر فيكون هذا رزق الزاهد من الآخرة على هذا الوصف من حرمان نصيبه من الدنيا وحمايته عن التكثر منها والتوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون ما صرفه عنه ومنعه من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة والدرجات العلى بحسن اختياره من الله تعالى وحسبانه نظر كما حدثنا عن بعض العلماء ان بقالا جاءه فقال انى كنت أبيع فى محلة لا بقال فيها غيرى فكنت أبيع الكثير ثم قد فتح على بقال آخر فهل ينقص ذلك من رزقى شيأ فقال لا ولكن يزيد فى بطالتك عن البيع فلعل بطالا الاعباء يحتج لتوسعه وهواه ويموه على أبناء الدنيا ممن يتولاه فيقول بان الزهد فى الدنيا لم ينقص من رزقى شيأ فدع مقاما لى مع التوسع والاستكثار وعلى التنعم والرفاهية والاستئثار لانى انما آكل رزقى وآخذ قسمى فلى فى الزهد مقام ومن الرضا والتوكل حال أو يقول ان الزهد قد يصح مع التكاثر والزينة يزخرف بقوله على من لا يعرف الزهد ويغر به من لا يعرف طريق الزاهدين ولعله ممن يأكل الدنيا بالدين أو يزخرف القول ليشبه العلم على الغافلين فتلك كما قال على رضى الله عنه للخوارج حين قالوا لا حكم الا لله فقال كلمة حق أريد بها باطل وصدق رضوان الله عليه لانهم أرادوا بذلك اسقاط حكم الائمة وترك الطاعة للامام العادل كما أراد القائل انما آكل رزقى وآخذ من الاشياء قسمى الاحتجاج لنفسه بهواه والاعتذار عند الجاهلين خيفة لومهم اياه ولا يعلم المغرور بداء الغرور انه وان كان يأكل رزقه من الدنيا ويأخذ قسمه من العطاء فبحكم النقص والبعد وبوصف الرغبة والحرص لان السارق والغاصب أيضا يأكل رزقه ويأخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار اذ كان الله سبحانه وتعالى يرزق الحرام للظالمين كما يرزق الحلال المتقين وانما بينهما سوء القضاء ودرك الشقاء للاعداء وحسن التوفيق والاختيار بالسعادة للاولياء من المولى الكريم فقد حرم المدعى لذلك رزقه من الزهد وبخس نصيبه الاوفر من حب الفقر ونقص حظه الافضل من الآخرة اذ كانت الدنيا لضدها وجعل ما صرف فيه وما صرف اليه سببا لنقصان مرتبته من طرائق الزاهدين وانه قد اختبر بالدنيا وبما فتح عليه من السراء ليظهر صدقه من كذبه فوقع فى الفتنة ولم يفطن للابتلاء وصارت مشاهدته هذه اذا كان صادقا فيها غير كاذب على وجده حجابا له عن علوم العارفين المقربين واستدرج بعلمه هذا لانه علم من علوم الدنيا يفنى بفنائها الا غرة له فى الباقية مكر به فيه وعدل به اليه عن علوم الخائفين ومشاهدة الورعين الزاهدين الذين نظروا من الحلال فى الدقيق وصدقوا القول فى ترك الرغبة بالعمل بالزهد التحقيق وان كان كاذبا فى مشاهدته ظالما لنفسه بالادعاء من وجده فهو من أولياء الشياطين ومن أئمة المضلين فيض اللاعبين وسبق اليهم فتنة لهم ليس اماما للمتقين بل من الائمة المضلين الحيرومين أبناء الدنيا العاطلين رغبة فى الدنيا وزهدا فى طرائق السلف لوجود الطمع وعدم اليقين فقد مكر بهذا المدعى ولبه عن علوم الموقنين وحقائق مشاهدتهم على هذا الوصف الذى يدبه بالذى تغلب فيه وهو لا يشعر بالمكر ولا يعرف الاستدراج بالنعم وانى له بعلم ذلك والله تبارك وتعالى يقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فهيهات هيهات ان يفطن الممكور لما مكر به أو يعلم المستدرج ما درج فيه لان الماكر ألطف الماكرين والمدرج أحكم الحاكمين نعوذ بالله تعالى من الاغترار بعلم الاظهار ونسأله الصلاة على نبيه محمد وآله

---



والهواجس والوساوس والعلوم والنيات والقصود والعزائم والاعتقادات وحديث النفس وغير ذلك وأما سائله فالاحكام المتعلقة بهذه الخواطر والهواجس والنيات والقصود والعزائم وسائر أحوال النفس

*(الفصل الثانى)* فى جلالة هذا العلم وشرفه وعظم قدره وبيان ان أهله هم الصفوة من بنى آدم بعد الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام اعلم أن علم الباطن وهو علم طريق الآخرة وهو العلم الذى درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهو العلم الذى لم يبعث الله الانبياء الا لاجله وقد سماه الله تعالى فى كتابه فقها وعلما وضياء ونورا وهدى ورشدا وهو مستخرج من القرآن او السنة ومدلول عليه منهما صاو نصا او تلويحا وكناية واشارة وغير ذلك من أصناف الدلالة قال الغزالى علم الباطن هو علم نفس المقربين وثمرته الفوز برضا الله تعالى ونيل سعادة الابد وبه تزكية النفس وتطهيرها وتنوير القلب وصفاؤه بحيث ينكشف بذلك النور أمور جليلة ويشهد أحوالا عجيبة ويعاين ما غيبت عنه بصيرة غيره من المعرفة الحقيقية بذات الله

أجمعين وحسن التوفيق لمشاهدة علم التحقيق وبمثل ماقلناه جاءت الآثار وكثرت الأخبار ان مثل الدنيا والآخرة كضرتين برضا احداهما في سخط الأخرى وانهما بمنزلة المشرق والمغرب من استقبل احدهما استدبر الآخر وانهما بمنزلة كفتي الميزان برجحان احداهما بنقصان الأخرى وكان عمر رضي الله عنه يقول والله ان هما الا بمنزلة قدحين امتلئ أحدهما فما هو الا ان تفرغ أحدهما في الآخر يعني انك ان امتلأت من الدنيا تفرغت من الآخرة وان امتلأت من الآخرة تفرغت من الدنيا وان كان لك ثلث قدح الآخرة أدركت ثلثي قدح الدنيا وان كان لك ثلثا قدح الآخرة يكون لك ثلث قدح الدنيا وهذا تمثيل حسن الا أن فيه شدة وتدقيقا وقال بعض السلف مثل من زهد في الدنيا مع التنعم فيها كمثل من يغسل يديه من الغمر بسمك وقال آخر مثل من زهد وهو يطلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء وكان بعض الزاهدين من أهل الشام يتكلم عليهم فكان رجاء بن حيوة فقيه أهل الشام يحضر مجلسه فاحتبس يوما عنهم وقد اجتمعوا فتكلم عليهم مؤذن الجامع فانكر صوته رجاء بن حيوة فقال من هذا فقال انا فلان فقال اسكت عافاك الله انا نكره ان نسمع الزهد الا من أهله وفي لفظ آخر انا نكره ان نسمع الوعظ الا من أهل الزهد وقال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا فان بريق أموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وروينا في الخبر لكل أمة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان أصل العجل من الحلية وقال عز وجل ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله فكان فهم هذه السنة من هذه الآية فالمؤمن يوم ذي شارقة الا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول أحدهما من المشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ويقول الآخر اللهم أعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول احد الذين في المغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب وقال بعض العلماء ان الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليجعل أنس المطيعين به وبلغنا ان من دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه اللهم اني أسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف وقال بعض العارفين مامن شئ الا وهو معار ومخزون في الخزائن الا الفقر مع المعرفة فانه مخزوم مختوم عليه لا يعطاه الا من طبع بطابع الشهداء وقد يحتج بعض علماء الدنيا لانفسهم بتفضيل الغني على الفقر بتأويل الخبر من قوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا عند أولي الالباب في تدبر الخطاب معنى به الفقراء لانه قيل لهم في أول الكلام ان فعلتم كذا لم يسبقكم أحد قبلكم ولم يدرككم أحد بعدكم فثبت هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم فصح لانه معصوم في قوله كما هو معصوم في فعله فلا ينبغي أن ينقض أول الكلام آخره فما جاء بعده محمول عليه ولم يصح أن ينقلب لانه اخبار عن شئ فلا يجوز الرجوع عنه ولما فعل الاغنياء ما أمر به الفقراء اوقف الفقراء في نظر الرسول صلى الله عليه وسلم لنظرهم الى مزيد الاغنياء عليهم بالقول فرجعوا اليه يستفتون منه ما أخبر به فقال لا تنظروا فان الذي قلت لكم كما قلت هو فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء وأنتم ممن شاء أن يؤتيه فضله فصح تأويلنا هذا وبطل تأويلهم بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم الاول فكان قوله الثاني بالآخر مواطئا لقوله الاول ولم يناقض الاول بالآخر كيف وقد جاء دليل ماقلناه مكشوفا في الحديث المفسر الذي رويناه عن زيد بن أسلم عن أنس رضي الله عنه قال بعث الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم من عند قوم أحبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان



وبصفات الله النامات وبافعاله وحكمته في خلق الدنيا والآخرة والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية الوحي والمعرفة بملكوت السموات والارض وكيفية تلاطم جنود الملائكة والشياطين ومعرفة الفرق ومعرفة القلب بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعرفة معاني المتشابهات ومعنى قوله تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله والنظر اليه ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومرافقة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في جو السماء كما ورد ذلك في صحيح البخاري الى غير ذلك مما يكثر شرحه ويطول تفصيله وهذه هي العلوم التي عناها بن الرجحة ومعدن الحكمة الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا أهل المعرفة بالله وقال أيضا في موضع آخر كان اسم الفقه

الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغنى الفقير وان انفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على صحة ما أو يلنا وقد روينا معنى هذا مجملا فى الخبر الذى رويناه عن اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أى الناس خير قالوا موسر من المال يعطى حق الله فى نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس قال مؤمن فقير يعطى جهده لذهب القوم الى علم العقل فردهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى علم اليقين فكذلك من فضل حال الغنى على حال الفقر فانه ينظر فى العلم بعين العقل وانما يشهد الآخرة والحقيقة بعين اليقين وهذا نص فى تفضيل حال الفقر فمن فضل الغنى بعده فقد عاند السنة ان كان عالما فأحسن حاله الجهل بالآثار وان كان بسلاهلا فقد اسمعه الجهل أضر عليه من لطفه بالعلم ويروى وفى الخبر الآخر خير هذه الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا فى الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله تعالى فقيرا ولا تلقه غنيا قال وكيف لى بذلك قال اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تخبأ افتراه كان يأمر بلالا بأدنى الحالين فكيف وهو من أعلى الصحابة فأشبه الفقر فى الاحوال اليقين فى الايمان كما قال لابن عمر اعمل لله بالرضا واليقين فان لم يكن فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا فرفعه الى اليقين لفضله كما رفع بلالا الى الفقر لشرفه فى الاحوال فلم يكن صلى الله عليه وسلم يرضى لبلال الا ما يرضاه لنفسه فصار الفقر حال المؤمن لانه يكشف الآخرة وصار الشكر فى الغنى حال المؤمن لانه يوجد الدنيا ففضل الفقير الزاهد على الغنى الشاكر كفضل الموقن الشاهد على الموقن المجاهد وكذلك روينا فى حديث عطاء عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفنى فقيرا ولا توفنى غنيا ولم يكن ليأمر بلالا بأدنى الحالين فيقول الق الله تعالى فقيرا كما لم يندب ابن عمر الى أخفض المقامين لقوله اعمل لله تعالى بالرضا فى اليقين وكذلك جاء فى الخبر المشهور الذى دعا فيه صلى الله عليه وسلم لنفسه أن يحييه الله تعالى مسكينا ويتوفاه مسكينا ويحشره فى زمرة المساكين كل ذلك لتفضيل الفقر وتشريف الفقراء مع قوله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام وروينا عن عيسى عليه السلام انه قال انى لاحب المسكنة وأبغض المال الغنى وان فى المال داء كبيرا قيل يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال قال يشغله كسبه عن ذكر الله تعالى قال وهب بن منبه لابن عباس انا نجد فى التوراة ان الفقير المصلح خير من الغنى المصلح قال ابن عباس أما علمت انه لا شئ أحب الى الله تعالى من الفقير اذا كان صالحا وقيل كان أحب الاسماء الى عيسى عليه السلام أن يدعى به أن يقال له يا مسكين وكان يقول من شر الغنى أن العبد يعصى ليستغنى ولا يعصى ليفتقر وقد قال بعض حكماثنا فى كلام منظوم

يا عائبا للفقر تبغى الغنى • عيب الغنى أعظم لو تعتبر
انك تعصى لتنال الغنى • ولست تعصى الله كى تفتقر

وروينا فى حديث عطاء عن أبى سعيد الخدرى يا أيها الناس لا تحملنكم العسرة والفاقة على أن تطلبوا الرزق من غير حله فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفنى فقيرا ولا توفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال لقمان لابنه يا بنى ان من أعون الاخلاق على صلاح الدين زهدا فى الدنيا من يزهد فى الدنيا يرغب فيما عند الله تعالى ومن يرغب فيما عند الله تعالى يعمل لله تعالى ومن يعمل لله تعالى يأجره الله تعالى وقال الحواريون يا روح الله نحن نصلى كما تصلى ونصوم كما تصوم ونذكر الله تعالى كما أمرتنا ولا نقدر نمشى على الماء كما تمشى أنت فقال أخبرونى كيف حبكم للدنيا قالوا انا لنحبها فقال ان حبها يفسد الدين لكنها عندى بمنزلة الحجر والمدر وفى خبر آخر انه رفع حجرا فقال أيهما أحب اليكم هذا أو الدينار والدرهم قالوا الدينار قال فانهما عندى سواء ويقال ان من صح زهده فى الدنيا حتى يستوى عنده الذهب والحجر مشى على الماء وقد اشتهر ذلك فى العامة حتى قال الشاعر

فى الزمن الاول يتعلق على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة الذى أشار اليه الحق سبحانه وتعالى بقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأشار اليه نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الى غير ذلك من دقائق علم القلب وانما أرباب العلم الظاهر تصرفوا فى هذا اللفظ بالتخصيص والقصر لا بالنقل والتحويل كما تصرف أهل العرف فى لفظ الدابة ويدلك على هذا قوله تعالى ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو المتعلق باصلاح القلب واستقامته والفقه الذى به تزكية النفس وتطهيرها دون تعرفات السلم والاجارة والطلاق واللعان فان ذلك لا يحصل به انذار وتخويف ولا ينجى النفس من مهلكاتها ولا يخلصها من ورطاتها أولى السادة الائمة أرباب البصائر وأهل اليقين المعرض عن علم طريق الآخرة وما به النجاة وانه وقع انتباه على الاسم الظاهر وتواعملهم أيضا من الاشتغال بعلم ظاهر الدين عند التأذى بالمرد

لو كان زهدك فى الدنيا كزهدك فى * وطى مشيت بلاشك على الماء

وروينا أن عيسى عليه السلام مرفى سياحته برجل نائم ملتف فى عباءة فأيقظه وقال قم يانائم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد منى انى قد تركت الدنيا لأهلها فقال له عيسى عليه السلام نم حبيبى اذاً نم وروينا عن موسى عليه السلام انه مر برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته فى التراب وهو متزر بشملة عباءة فقال يارب عبدك هذا فى الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى اليه ياموسى أما علمت انى اذا نظرت الى عبدى بوجهى كله زويت عنه الدنيا كلها وأوحى الله سبحانه وتعالى الى نبيه اسمعيل عليه السلام اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم قال يارب ومن هم قال الفقراء الصادقون فهذا كأنه مفسر لخبر موسى عليه السلام فى قوله أين أجدك قال عند المنكسرة قلوبهم وقد كان أحمد بن عطاء وهو من المتأخرين يفضل حال الغنى على الفقر لشبهة دخلت عليه وهو أن بعض الشيوخ سأله عن الوصفين أيهما أفضل قال الغنى لانه صفة الحق فقال له الشيخ فالله غنى بالاعراض والاسباب فانقطع ولم ينطق بحرف وهذا كما قال الشيخ لان الله تعالى غنى بوصفه والفقير أحق بهذا المعنى لانه غنى بوصفه بالايمان لا بالاسباب لانفراده عنه فهو الافضل فأما الغنى فانه مشتت مجتمع بالاسباب فهو مفضول بالارتياب وقد خالفه الخواص فوفق للصواب وكان فوقه فى المعرفة فقال فى كتاب شرف الفقر والفقر صفة الحق أى صفة منه يصف به الفقراء فوافقنا فى التأويل يعنى انه تعالى منفصل من الاشياء منفرد عنها ووجه آخر من الغلط الذى دخل عليه من جهة الغنى الذى ذكره لانه ان كان فضل الغنى على الفقر لانه صفة الحق فينبغى أن يفضل المتكبر الجبار ومن أحب المدح والعز والحمد لان ذلك كله صفة الحق فلما أجمع أهل القبلة على ذم من كان هذا وصفه كان من وصفه الغنى فى معناه لان وصف الغنى صفة الحق مقترن بالعز والكبر وينبغى أن يسلم صفات الحق للحق ولا ينازع اياها ولا يشاركه فيها فبطل قول ابن عطاء لصحة قول الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى العز ازارى والكبرياء ردائى من نازعنى أحدهما قصمته فى النار وقد خالفه أيضا رواة نامن لايشك الخاص والعام فى فضل معرفته علمه أبو محمد سهل بن عبد الله فقال من أحب الغنى والبقاء والعز فقد نازع الله تعالى صفاته وهذه صفات الربوبية يخاف عليه الهلكة فاذا ثبت ذلك كان الفقر أفضل لانه وصف العبودية فمن جعل وصفه فقد تحقق بالعبودية وأوصاف العبودية هى أخلاق الايمان وهى التى أحبها الله تعالى من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع والفقر مضاف اليها وأوصاف الربوبية ابتلى به قلوب أعدائه الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر والبقاء والغنى مضموم اليها وكان الحسن رحمه الله يقول ما رأيت الله تعالى جعل البقاء الا لبغض خلقه اليه وهو ابليس وكذلك كان العلماء يقولون لا ترغبوا فى البقاء فى هذه الدنيا فان شرار الخلق أطولهم بقاء وهم الشياطين والغنى غمار دار البقاء ويقال ان الجنيد رحمه الله تعالى باهل ابن عطاء فى هذه المسئلة ودعا عليه لانه أنكر قوله أشد الانكار وكان يقول الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر وان تساويا فى المقام بحكم حالهما لان الغنى التقى يتبع نفسه ويسم صفته والفقير الصابر قد أدخل على صفته الآلام والمكاره فقد زاد عليه بذلك وبهذا كما قال وكذلك كان أحمد بن حنبل يقول ما أعدل بالفقر شيأ وكان يفضل حال الفقر ويعظم شأن الفقير الصابر وقال المروزى وذكر بعض الفقراء فجعل يحمده ويكثر السؤال عنه قال فقلت له يحتاج الى علم فقال لو يحلّ اسكت صبره على الفقر ومقاساته الضر فيه خير من كثير من العلم ثم قال هؤلاء خير منا بكثير وأقول ان من فضل حال الغنى على الفقر فانه لم يذق مرارة الفقر ولا حلاوته فهو غير بذلته فاتت حلاوته لانه لو ذاق مرارته من الضر والهم لنفضله ولو أذيق حلاوته من الزهد والرضا لما فضل عليه وقد روينا فى الخبر يقول ابليس لم ينج الغنى منى من احدى ثلاث خصال ان أحبب اليه المال فيكتسبه من غير حقه أو يضعه فى غير حقه أو يمنعه من حقه فلولم يعلم العدو ان الفقر من أفضل الاحوال ما قعد على طريقه وقد قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم فأخبر الخبر عنه فقال الشيطان يعدكم الفقر أى يخوفكم

به

والتأصيل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وعلماء الآخرة يدورون مع الاعمال الظاهرة بتطهير الباطن وقطع مواد الشر والآفات والامراض بافساد منابتها وقلع مغارسها وهى فى القلب قال النبى صلى الله عليه وسلم ألا ان فى الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وأما بيان ان أهل العلم بالله وبطريق الآخرة هم الصفوة من بنى آدم بعد الانبياء والرسل عليهم السلام فنقول أرباب هذا العلم هم الذين ورثوا علوم الانبياء والمرسلين عليهم السلام واقتفوا آثارهم وسلكوا طريقهم فرفضوا الدنيا وفرغوا عنها واجتهدوا فى جهاد أنفسهم قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وصبروا على مرارات الطريق ومشاق السير وكابدوا وحشة الطريق وصبروا على وعثاء السفر حتى وصلوا الى مقصودهم وظفروا بالقرب من معبودهم فهم الفارون الى الله عند ما سمعوا أمره بالفرار حيث قال الله تعالى ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين وهؤلاء هم عباد الصحابة وزهادهم من أهل الصفة وغيرهم ومن التابعين وتابعيهم فى الصحابة مثل

به جفاء الفقير الصادق فسلك الطريق المستقيم الى الآخرة واطرح تخويف العدو بحول الله وقوته وقبل الاغنياء المغتبطون بغناهم تخويف العدو جاء بنو الفقر فألقى بهم مثل السوء من ذلك قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون فتبعوا تخويف الشيطان وخالفوا ندب الرحمن فكانوا كمن قيل فيهم ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه الآية فلو لم يكن من فضل الزاهدين الا انهم توسطوا الطريق الذي هرب الناس منه وأمنوا بالتوكل على الله والرضا عنه ما خافه أبناء الدنيا لكفاهم ﴿ذكر ماهية الدنيا وكيفية الزهد فيها وتفاوت الزهاد في مقاماتهم﴾ ثم ان الدنيا هي نصيب كل عبد من الهوى وما دنا من قلبه من الشهوات فمن زهد في نصيبه ملك من هواه المذموم فهذا هو الزهد المفترض ومن زهد في نصيبه من المباح وهو فضول الحاجة من كل شئ فهذا هو الزهد الفضل ويجمع ذلك الى حظوظ جوارحه التي هي أبواب الدنيا منه وطرقها اليه فالزهد في محرماتها هو زهد المسلمين به يحسن اسلامهم والزهد في شبهاتها هو زهد الورعين به يكمل ايمانهم والزهد في حلالها من فضل حاجات النفس هو زهد الزاهدين به يصفو يقينهم وروينا الحديث عمرو بن ميمون عن الزبير بن العوام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا زبير اجهد نفسك عند نزول الشهوات والشبهات بالورع الصادق عن محارم الله عز وجل وتدخل الجنة بغير حساب وكان سهل يقول في فضائل الزهد وأعلى مقاماته لا يتم زهد عبد حتى يزهد في هذه الثلاث في الدرهم الذي يريد أن ينفقه في أبواب البر يتقرب بذلك الى الله تعالى ويزهد في الثياب التي تستر بدنه في الطاعات ويزهد في قوته الذي يستعين به على العبادة وانما قال هذا لان عنده حقيقة الزهد من أفضل المقامات كلها لانه كان يقول يعطى الزاهد جميع ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعماله وقال لا يوافي القيامة أحد أفضل من ذي زهد وعالم وورع وقال أيضا لا ينال الزهد الا بالخوف لان من خاف ترك فجعل الزهد مقاما في الخوف وضمن يد الهم عليه وقد روى مسروق عن ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب الى الله تعالى من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا ولا نهاية للزهد عند طائفة من العارفين لانه يقع عن نهاية معارفهم بدقائق أبواب الدنيا وخفايا لوائح الهوى وقال بعضهم نهاية الزهد أن تزهد في كل شئ وتتورع عن كل شئ للنفس فيه متعة وبه راحة فهذا كما روى عن عيسى عليه السلام انه وضع تحت رأسه حجرا فكأنه لما رفع رأسه عن الارض استراح بذلك فعارضه ابليس فقال يا ابن مريم ألست تزعم انك قد زهدت في الدنيا قال نعم قال فهذا الذي وطأته تحت رأسك من أي شئ هو قال فرمى عيسى عليه السلام بالحجر وقال هذا لك مع ما تركته ومثله روينا عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه لبس المسوح حتى نقب جلده فسألته أمه أن ينزع مدرعته الشعر ويلبس مكانها جبة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت على الدنيا قال فبكى ونزع الصوف وردمدرعته الشعر على جسده وكان الحسن يقول أدركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه واعلم انى رأيت جمل النعم ثلاثا وتمامها بالزهد وذلك ان أصل النعم كلها الاسلام لان من ورائه مقامات كثيرة أخطأوا فيها حقيقة التوحيد ثم النعمة الثانية السنة اذ من ورائه بدع كثيرة كلهم أخطؤا حقيقة السنة والنعمة الثالثة العلم بالله تعالى لان من ورائه جهلا كثيرا بعظمة الله تعالى وقدرته ثم الزهد في الدنيا فمن أعطى مع الثلاث تمت عليه النعم فكان مع الذين أنعم الله تعالى عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أي تمت نعمة الله عليهم لان من ورائه حرصا كثيرا على الشبهات ورغبة عظيمة في الشهوات وقد كان سهل رحمه الله تعالى يجعل الزهد من شرط السنة والاتباع لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال في السنة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان زاهدا ثم تفاوت الزاهدون لاى شئ زهدوا مقامات على نحو علوم المشاهدات فمنهم من زهد اجلالا لله تعالى ومنهم من زهد حياء من الله تعالى ومنهم من زهد خوفا من الله تعالى ومنهم من زهد رجاء موعود الله تعالى ومنهم

حارثة والبراء بن مالك وأبو اسرائيل وحنظلة وأبي الدرداء وأبي ذر وعكاشة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسلمان وصهيب وأبي رافع وبلال وخباب وهم قريب من ألف عارف زهاد عباد قائمون لله بالعبودية باذلون له حقوق الربوبية ومن التابعين علي بن الحسين ابن زين العابدين وابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وأويس القرني وابن حازم وسلمة بن دينار والحسن البصري وعلقمة والاسود بن زيد وابراهيم النخعي ومالك بن دينار ومحمد بن سيرين وغيرهم ممن لا يحصى عددهم وهم يزيدون على ألف ولي ومن تابعيهم وهم مثل عبد الواحد بن زيد وعتبة الغلام والفضيل بن عياض وابراهيم بن أدهم وداود الطائي وسفيان الثوري وأبي سليمان الداراني وابنه سليمان وذي النون الاخميمي وأخيه ذي الكفل وبشر ابن الحرث والسري السقطي والحرث المحاسبي وأبي القاسم الجنيد وابراهيم الخواص وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ومن أراد أن يطلع على أكثر مما ذكرنا فعليه بكتاب حلية الاولياء لابي نعيم وكتاب صفوة الصفوة لابن

من زهده مسارعة منه لامر الله تعالى ومنهم من زهد حبا لله تعالى وهو أعلاهم وأدناهم من زهد مخافة طول الوقوف ومناقشة الحساب كما قيل ذو الدرهمين أشد حسابا يوم القيامة من ذي الدرهم ولان طريق المتقين لا يسلكه من ملك في الدنيا زوجين من شيء وما أحد يعطى من الدنيا شيأ الا قيل خذه على ثلاثة أثلاث ثلث هم وثلث شغل وثلث حساب وان الرجل من الاغنياء ليوقف للحساب ما لو ورد مائة بعير عطاش على عرقه لصدرت رواء وانه ليرى منازله من الجنة فلما وقر هذا في قلوب الورعين أشفقوا من طول الحساب فزهدوا في الجمع والمنع وفارقوا فضول الاموال طلبا لخفة السؤال ويسر عة الوقوف في الاهوال ومن الزهد في الدنيا حب الفقر وأهله ومجالسة المساكين في أوطانهم والتذلل لهم كما كان مطرف رحمه الله تعالى يجالس المساكين في برته يتقرب بذلك الى ربه وكان محمد بن يوسف الاصفهاني عالما زاهدا ومن الناس من كان يفضله على الثوري رحمهما الله تعالى الا انه كان يؤثر الخمول فلم يكن يعرفه الا العلماء وكان من حسن رعايته وشدة يقظته يعمل في كل وقت أفضل ما يقدر عليه في ذلك الوقت فلما طلبه ابن المبارك بالمصيصة قال له بعض من يعرفه انه ذاك لا يكون في المصر الا في أفضل موضع فيه قال فهو اذا في الجامع فطلبه فقيل له انه لا يقعد الا في أفضل مكان قال فطلبه عند الفقراء فاذا هو دس رأسه وأخمل نفسه مع المساكين فكان عنده ان أفضل وطن في المصر الجامع لانه يقال ان الصلاة فيه بخمسين صلاة وان أفضل الاماكن موضع الفقراء من الجامع وان أفضل الاحوال الخمول فلذلك أخمل نفسه فيما بين الفقراء في الجامع ليحوز فواضل الاعمال ومن الزهد أن يكون بفقره مغتبطا مشاهدا العظيم نعمة الله تعالى عليه به يخاف أن يسلب فقره ويحول عن زهده كما يكون الغني مغتبطا بغناه يخاف الفقر ومن وجود حلاوة الزهد حتى يعلم الله تعالى من قلبه ان القلة أحب اليه من الكثرة وان الذل أحب اليه من العز وان الوحدة آثر عنده من الجماعة وان الخمول أحب اليه من الاشتهار فهذا من اخلاصه في زهده ورويناه عن عيسى عليه السلام وعن نبينا عليه السلام أربع لا يدركن الا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وقال الثوري رحمه الله تعالى لا يكون الرجل عالما حتى يعد البلاء نعمة والرخاء عقوبة وقال بعض السلف لا يفقه العبد كل الفقه حتى يكون الفقر أحب اليه من الغنى والذل آثر عنده من العز وقد روينا خبرا مقطوعا لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرته وكان السلف الصالح يقولون نعمة الله علينا فيما صرف عنا من الدنيا أعظم من نعمته فيما صرف الينا وكان الثوري رحمه الله تعالى يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا منزل فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وكان سهل بن عبد الله رحمه الله يقول لا يصح التعبد لاحد ولا يخلص له عمل حتى لا يجزع ولا يفرح من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل كما روينا أن ابراهيم التيمي رحمه الله تعالى دفع اليه خمسون ألف درهم فردها فقيل له لم رددتها فقال أكره أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بخمسين ألفا ومن الزهد عند الزاهدين ترك فضول العلوم التي معلوماتها تؤول الى الدنيا وتدعو الى الجاه والمنزلة عند أبنائها وفيما لا نفع فيه في الآخرة ولا قربة به عند الله تعالى وقد تشغل عن عبادة الله تعالى وتفرق الهم عن اجتماعه بين يدي الله تعالى وتقسي القلب عن ذكر الله تعالى وتحجب عن التفكر في آلائه وعظمته وقد أحدثت علوم كثيرة لم تكن تعرف فيما سلف اتخذها الغافلون علما وجعلها البطالون شغلا انقطعوا بها عن الله تعالى وحجبوا بها عن مشاهدة علم الحقيقة لا تستطيع ذكرها لكثرة أهلها الا أن تسئل عن شيء منها أعلم هو أم كلام أم حق أو تشبيه أو صدق وحكمة أم زخرف وغرور أم سنة هو عتيق أو محدث وتصديق فحينئذ نخبر بصواب ذلك ومن أفضل الزهد الزهد في الرياسة على الناس وفي المنزلة والجاه عندهم والزهد في حب الثناء والمدح منهم لان هذه المعاني هي من أكبر أبواب الدنيا عند العلماء فالزهد فيها هو زهد العلماء كان الثوري رحمه الله تعالى يقول الزهد في الرياسة



الجوزي وغيرهما من الكتب واعلم أن الصوفية دخلوا مع الفقهاء والمفسرين والمحدثين والمتكلمين في علومهم فسمعوا الحديث وتنظروا في الاحاديث وقرؤا القرآن واشتغلوا بتدبره وتنظروا في أصول الدين وعلم الفقه فالبداية فقيه والنهاية صوفية ومن لم يبلغ من الصوفية مبلغ الفقهاء وأصحاب الحديث ولم يحط بما أحاطوا به فانه يرجع فيما وقع له من المسائل الى العالمين بأحكام أعمال الجوارح الظاهرة وهم أصحاب العلوم الظاهرة والصوفية يلزمون أنفسهم بالاخذ بالاغلظ والاشق من أقوال العلماء في المسائل الخلافية ثم انهم خصوا مع ذلك بعلوم عالية وأحوال شريفة ومقامات رفيعة فتكلموا في علوم المعاملات وعيوب النفس وآفات القلب وشريف المقامات مثل اليقظة وهي الانتباه والتوبة والزهد والورع والصبر والرضا والتوكل وكيفية جهاد النفس والهوى والشيطان ومعاداته والخشية والمراقبة واليقين وغير ذلك من المقامات والاحوال وفي معرفة النفس ورياضتها ودقائق الرياء والشهوة الخفية والشرك الخفي وكيفية الخلاص منها ولهم أيضا علوم مستنبطة من أمور مشكلة على فهوم الفقهاء

ومدح الخلق أشد من الزهد فى الدينار والدرهم قال لان الدينار والدرهم قد يبذلان فى طلب ذلك وكان يقول هذا باب غامض لا يبصره الا سماسرة العلماء وقال الفضيل رحمه الله تعالى نقل الصخور من الجبال أيسر من ازالة رياسة قد ثبتت فى قلب جاهل وذهب أويس القرنى رحمه الله تعالى الى أن الزهد هو ترك الطلب للمضمون قال هرم بن حيان لقيته على شاطئ الفرات يغسل كسرا وخرقا قد التقطها من المنبوذ وكان ذلك أكله ولباسه قال فسألته عن الزهد أى شئ هو فقال لى أى شئ تريد قلت أطلب المعاش فقال اذا وقع الطالب ذهب الزهد وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول لا زهد الا زهد أويس بلغ به العرى حتى قعد فى قوصرة وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول الزهد فى النساء ان تختار المرأة الدون أو اليتيمة على المرأة الجميلة والمرأة الشريفة وذهب الى هذا مالك بن دينار وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى لا يصح الزهد فى النساء لانهن قد حببن الى سيد الزاهدين ووافقه ابن عيينة فقال ليس فى كثرة النساء دنيا لان أزهد الصحابة على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان له أربع نسوة وبضعة عشر سرية وكان الجنيد يقول احب للمريد المبتدى أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال أحب للصوفى أن لا يقرأ ولا يكتب لانه أجمع لهمه وفى الخبر انما الزهد أن تكون بما فى يد الله سبحانه وتعالى أوثق منك بما فى يديك فهذا مقام التوكل وذهب قوم الى أن الزهد ترك الادخار وكانت الدنيا عندهم هو الجمع وقال بعضهم الدنيا هو ما شغل القلب واهتم به فجعلوا الزهد ترك الاهتمام وطرح النفس تحت تصريف الاحكام وهذا هو التفويض والرضا وقال أحمد بن أبى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى ان مالك بن دينار قال للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التى كنت أهديتها الى فان العدو يوسوس الى ان اللص قد أخذها فقال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفيين هو قد زهد فى الدنيا ما عليه من أخذها فأراد أبو سليمان منه حقيقة الرضا بجريان الاحكام وأراد مالك من نفسه حقيقة الزهد بأن يصرف عن قلبه الاهتمام وقال بعض العلماء الدنيا هو العمل بالرأى والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذه طريقة أهل الحديث وهذا القول من الظواهر يشبه قول علماء الظاهر كما روينا عن سفيان قال قالوا للزهرى ما الزهد قال ما لا يغلب الحرام صبره ولا يمنع الحلال شكره يعنى أن يكون العبد صابرا عن الحرام حتى لا تغلبه شهوة الحرام ويكون شاكرا فى الحلال حتى لا يغلبه الحلال فيشغله عن الشكر وأما الحسن فانه قال الزاهد هو الذى اذا رأى أحدا قال هذا أفضل منى فذهب الى أن الزهد هو التواضع وكان الفضيل يقول القناعة هو الزهد وقال أبو سليمان الورع هو أول الزهد وقال أحمد بن أبى الحوارى قلت لابى هشام المغازلى أى شئ الزهد قال قطع الآمال واعطاء المجهود وخلع الراحة وكان يوسف ابن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات وأكل الخبز من حلاله فقد أخذ باصل الزهد وقال أحمد قلت لابى صفوان الرعينى ما الدنيا التى ذمها الله تعالى فى القرآن وينبغى للعاقل أن يجتنبها قال كل ما عملت فى الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم وكل ما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها فحدثت به مروان فقال الفقه ما قال أبو صفوان انما قال ذلك لان الدنيا كل شئ الا الاخلاص فما وافق العلم فهو مباح وما خالفه فهو الهوى وحظ النفس والاخلاص حظ الرب عز وجل فالمخلصون بينة الله عز وجل من عباده على عدوه وهم أهل الآخرة فى الدنيا وكان ابن السماك يقول الزاهد قد خرجت الافراح والاحزان من قلبه فهو لا يفرح بشئ من الدنيا ولا يحزن على شئ منها فانه لا يبالى على عسر أصبح أم على يسر وقال أبو سعيد بن الاعرابى عن أشياخه الصوفية انما الزهد عندهم خروج قدر الدنيا من القلب اذ هى لا شئ ولا يكون فى نفسه زاهدا لانه لم يترك شيأ اذ كانت لا شئ وهذا العمرى هو الزهد فى الزهد لانه زهد ثم لم ينظر الى زهده فزهده اذ لم ير شيأ لانه زهد فى لا شئ وهذا يشبه ما نقول ان حقيقة الزهد هو الزهد فى النفس لانه قد يزهد

---

والمتكلمين وذلك مثل العوارض والعوائق وحقائق الاذكار وتجريد التوحيد ونعنى بتجريد التوحيد ان لا يشوب توحيده خاطر تشبيه أو تعطيل ومنازل التفريد وخبايات السر وتلاشى المحدث اذا قوبل بالقديم وعيون الاحوال وجميع المفترقات والاعراض عن الاعراض وترك الاعتراض والتفويض فهم مخصوصون بالوقوف على المشكل من ذلك بالمنازلة والمباشرة والهجوم ببذل المهج فهم حماة الدين وأنصاره وأعوانه وهم ورثة الانبياء وهم نازلوا المقامات وباشروا الاحوال وكابدوا الرياضات وقاسوا شدائد الطريق وركبوا المنازل وعبروا المفاوز أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم المفلحون

* (الفصل الثالث) فى معنى التصوف وأحوال الصوفية وأدبهم مع الحق والخلق قال الائمة أول التصوف علم وأوسطه عمل وآخره موهبة فالعلم يكشف عن المراد والعمل يعين على المطلوب والموهبة تبلغ غاية الامل وأهله على ثلاث طبقات طبقة مريد طالب ومتوسط سائر ومنتهى واصل فالمريد صاحب وقت والمتوسط صاحب حال والمنتهى صاحب نفس وأفضل الاشياء عندهم عد الانفاس فالمريد الطالب متعوب فى طلب المراد

في الدنيا لنفسه طلب العوض فيكون ذلك رغبة على صفة فاذا زهد في النفس التي يريد لها الاعواض على الزهد فهو حقيقة الزهد وهذا يشبه قول من قال ان حقيقة الزهد في الفناء هو الزهد في البقاء لان العبد ربما زهد في الفناء ولم يزهد في البقاء فيكون فيه بقية من الرغبة واذا زهد في البقاء فهو حقيقة الزهد في الفناء اذ كان الفناء يراد للبقاء

●(فصل آخر)● ان الرغبة في الهوى حقيقة الدنيا وان كان العبد زاهدا في المال من قبل انه يعطى الزهد في شيء دون شيء كما يزهد في الثناء ولا يزهد في المال ولا يعطى الزهد في الاطعمة وقد يعطى الزهد في المال ولا يعطى الزهد في منصبه لغلبة الهوى فاذا أعطى الزهد في الهوى كائنا ما كان فقد أعطى حقيقة الزهد في الدنيا وهذا هو الزهد في النفس لان النفس عين الرغبة والهوى روح النفس فاعرف هذا وكان يونس بن ميسرة الجيلاني يقول ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله تعالى أوثق منك بما في يدك وأن يكون حالك في المصيبة وحالك اذا لم تصب بها سواء وأن يكون ذامك ومادحك في الحق سواء وقال سلام بن أبي مطيع رحمهما الله الزهد على ثلاثة أوجه واحد أن تخلص العمل لله عز وجل والقول فلا يراد بشيء منه الدنيا والثاني ترك ما لا يصلح والعمل بما يصلح والثالث الحلال أن يزهد فيه وهو تطوع وكان امامنا في هذا العلم ابراهيم بن أدهم رحمه الله يقول الزهد ثلاثة أصناف زهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالزهد الفرض في الحرام والفضل الزهد في الحلال والسلامة الزهد في الشبهات وأما أبو عبد الله الصبيحي فكان يقول الزهد أن يقعد أحدكم في منزله فان كان قعوده لله تعالى رضا والا خرج وان يخرج فان كان خروجه لله تعالى رضا والا رجع فان كان رجوعه لله تعالى رضا والا امسك ويخرج درهمه فان كان اخراجه لله رضا والا حبسه فان كان حبسه لله تعالى رضا والا رمى به ويتكلم فان كان كلامه لله تعالى رضا والا سكت فان كان سكوته لله تعالى رضا والا تكلم فقيل هذا صعب فقال هذا الطريق الى الله عز وجل والا فلا تلعبوا فقد ذهب الى أن الزهد هو المراقبة والمراقبة هي الاخلاص وسئل حاتم الاصم صاحب شقيق البلخي رحمهما الله تعالى عن الزهد فقال أوله الثقة وأوسطه الصبر وآخره الاخلاص فاذا كان الاخلاص عندهم هو آخر الزهد فكيف يصح لمبتدئ آخر الزهد قبل أوله أم كيف يجاوز الاخلاص الى مقامات المعرفة فقد صار آخر الزهد عندهم أول المعرفة وذهبت طائفة الى أن الزهد في الدنيا فريضة على المؤمنين لان حقيقة الاخلاص هو الزهد عندهم ما وجبوه من حيث أوجبوا على المؤمنين الاخلاص ومال الى هذا القول عبد الرحيم بن يحيى الاسود وقد روينا معناه عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله قيل لاحمد بأي شيء ذكرا قوم وصاروا أئمة فقال بالصدق قالوا وما الصدق قال الاخلاص قيل وما الاخلاص قال هو الزهد قيل وما الزهد يا أبا عبد الله فاطرق ثم قال سلوا الزهاد سلوا بشر بن الحرث وقال قوم الزهد في الدنيا طلب الحلال وانه واجب مفترض في مثل زماننا هذا لاختلاط الاشياء وغلبة الشبهات قالوا فقد تعين فرض الزهد وهذا مذهب ابراهيم بن أدهم ووهيب بن الورد وسليمان الخواص وجماعة من أهل الشام وقد كان سهل يقول أزهد الناس في الدنيا أصفاهم مطعما وقال أقصى مقام في الورع أدنى مقام من الزهد وقد روينا عن يوسف بن اسباط ووكيع رحمهما الله قالا لو زهد عبد في زماننا هذا حتى يكون كابي ذر وأبي الدرداء ما سميناه زاهدا لان الزهد عندنا انما هو في الحلال المحض ولا نعرف الحلال المحض اليوم وكذلك كان الحسن البصري رحمه الله امام الائمة يقول لا شيء أفضل من رفض الدنيا وقال الفضيل بن ثور قلت للحسن يا أبا سعيد رجلان يطلب أحدهما الدنيا بحلالها فأصاب بها وصل بها رحمه وقدم منها لنفسه ورجل رفض الدنيا قال أحبهما الى الذي رفض الدنيا قلت يا أبا سعيد هذا طلبها بحلالها فأصاب فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه قال أحبهما الى الذي جانب الدنيا وانما

والتوفيقات ... لطالب
بآداب المنازل وهو صاحب تلوين لانه يترقى من حال الى حال وهو في الزيادة والمنتهي الواصل محول قد جاوز المقامات وهو في محل التمكين لا تغيره الاحوال ولا تؤثر فيه الاهوال كما نقل في قصة يوسف عليه السلام عند زليخا لما كانت صاحبة تمكين في حب يوسف لم تؤثر فيها رؤية يوسف كما أثرت في اللاتي قطعن أيديهن لانها كانت أتم حالا في حبه منهن في بلائها بحبه وهذا قول الدقاق فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتحمل المشاق وتجرع المرارات ومجانبة الحظوظ ومقام المتوسط ركوب الاهوال في طلب المراد ومراعاة الصدق في الاحوال واستعمال الادب في المقامات ومقام المنتهي الصحو والتمكين واجابة الحق من حيث دعاه قد استوى في حقه الشدة والرخاء والمنع والعطاء والعافية والبلاء قد فنيت حظوظه باطنه مع الحق وظاهره مع الخلق وكل ذلك معقول معلوم مشهور من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وحركاته وسكناته في ابتداء أمره وانتهائه ومن أحوال الصحابة والنقباء والنجباء والاصفياء العلماء الحكماء أرباب البصائر واليقين مثل حارثة والبراء بن مالك وأبي ذر وعمار وبلال وصهيب

شرف

شرف الحسن الذي رفض الدنيا لان مقام الزهد يجمع التوكل والرضا ألا تسمع الى الخبر الذي جاء الزهد أن
تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك فهذا هو التوكل ثم قال وان تكون بثواب المصيبة أفرح منك لو انها
بقيت لك وهذا هو الرضا ثم ان المعرفة والمحبة بعد الزهد لان الزهد عليهما أى مقام أعلى من مقام جمع هذه
الاربعة وهي غاية الطالبين ولعمري انه هكذا الامر روى عن ابن عباس رضي الله عنهما حديث فيه شدة قال
يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال
أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله تعالى من معرفتها فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم
الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي أي رب أين اتباعي واشياعي فيقول
الله الحقوا بها اتباعها واشياعها وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أشد من هذا
حدثنا عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا
يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وكذلك كان الحرث
ابن أسد المحاسبي رحمه الله يقول انما الزهد اسقاط قيمة الدنيا من القلب وأن لا يكون لشيء منها محل في القلب
وزن فاذا سقطت قيم الاشياء واستوت في القلب فهو الزهد فأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فانه كان يقول
ليس الزاهد من لا يملك شيأ انما الزاهد من لا يملكه شيء وقال عالم مثله في معناه الزاهد من لا يملك الاشياء
ولم يسكن اليها وكان يقول الزاهد قوته ما وجد وثوبه ما ستر وبيته ما أواه وحاله وقته وقال بعض العارفين
الزهد انما هو ترك التدبير والاختيار والرضا والتسليم لاختياره شدة كان أورثه وهذا طريق الخواص
والثوري وذي النون رحمهم الله تعالى وقال أبو يزيد رحمه الله مرة انما الزاهد من لا يملك شيأ ولا يملكه
شيء وقال حقيقة الزهد لا يكون الا عند ظهور القدرة والعاجز لا يصح زهده لان يعطيه كن ويطلعه على
الاسم ويقدره على الاشياء باظهار الكون فيزهد في ذلك حياء من الله تعالى ويتركه حياء له وكان يستعيذ
بالله من أربعة عشر مقاما من اظهار القدرة وقال لابي موسى عبد الرحيم في أي شيء تتكلم قلت في الزهد
قال في أي شيء قلت في الدنيا قال فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في الزهد في شيء الدنيا لا شيء ايش تزهد
فيه وذهب الى هذا المعنى سهل وغيره وقال سبعة عشر مقاما في المعرفة أدناها المشي على الماء وفي الهواء
وطي الارض وكنوز الارض وهذا كله من زخرف الدنيا وقد حكي لنا معنى هذا عن الجنيد قال اجتمع أربعة من
الابدال في جامع المنصور ليلة العيد فلما أسحروا قال أحدهم أما أنا فقد نويت ان أصلي العيد في بيت
المقدس وقال الآخر أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد بطرسوس وقال الثالث أما أنا فقد نويت ان أصلي
العيد بمكة وسكت الرابع وكان أعرفهم فقيل له أنت أي شيء نويت فقال أما أنا فقد نويت اليوم ترك
الشهوات لا أصلي الا في هذا المسجد الذي نحن فيه فقالوا أنت أعلمنا فقعدوا عنده فصار عند هؤلاء كالذي ذكرناه
آنفا ان هذه الآيات هي من الشهوات اذ ليست حاجات مقامات والشهوة من الدنيا لانها من الهوى وأيضا
ففيها تدبير واختيار وعند الزهاد العارفين والمحبين ان هذا مكر وخداع يبتلون به ويقطعون لينظر كيف
يعملون اذا ابتلاه كل عبد على قدره تبتنى حاله فيلزمه الزهد فيه وقال هي في المقام السابع عشر من
المعرفة فمن سلك به الطريق رآها فيه وفوقها نيف وسبعون مقاما أفضل من ذلك وقد سئل الجنيد عن
الزهد فقال معنيان ظاهر وباطن فالظاهر بغض ما في الايدي من الاملاك وترك طلب المفقود والباطن
زوال الرغبة عن القلب ووجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك فاذا تحقق بذلك رزقه الله تعالى
الاشراف على الآخرة والنظر اليها بقلبه فحينئذ يصدق العمل بتقصير الامل وتقريب الاجل لان الاسباب
عن قلبه منقطعة والقلب منفرد بالآخرة وحقيقة الزهد قد خلصت الى قلبه فامتلأ من الذكر الخالص

وتغزى بقتل محمد بن مسلمة
وعكاشة بن محصن الاسدي
وأبي الدرداء وحنظلة بن
الراهب وأبي رافع مولى
النبي صلى الله عليه وسلم
ورأيضا وعمرو بن ثعلب
وعمرو بن الاسد ومصعب
ابن عمير والبراء بن معرور
وسلمان الفارسي وابن
الهيثم بن التيهان وغيرهم
من أصحاب الصفة وأصحاب
بيعة العقبة وأهل بيعة
الرضوان والخلصاء من
المهاجرين والانصار كان
صلى الله عليه وسلم قبل
نزول الوحي عليه وبعده
متخليا في غار حرا ثم صار
مع الخلق ولا فرق عنده بين
الخلوة والجلوة وكذا أصحاب
الصفة صار جماعة منهم
بعد التمكين أمراء لانهم
تمكنوا في الايمان بالله
والمعرفة به والاخلاص له
فلم تؤثر المخالطة بالخلق
فيهم ولا في أحوالهم وهذه
أحوال المشايخ من بعدهم
واعلم أن التصوف له ظاهر
وباطن فظاهره استعمال
الادب مع الخلق بالاخلاق
الحسنة معهم وباطنه
منازلة الاحوال والمقامات
مع الحق فالظاهر علامة
الباطن والباطن حقيقة
الظاهر ألا ترى ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما نظر
الى المصلي وهو يعبث فقال
لو خشع قلب هذا لخشعت
جوارحه قال الله تعالى ان
الذين يغضون أصواتهم
عند رسول الله أولئك الذين

لربه سبحانه وتعالى فالزهد عن حقيقة الايمان والمشاهدة للآخرة فتكون بعد الزهد واستواء الاشياء فيكون عدمها كوجودها بعد المشاهدة لاستواء القلب ومعه يستوى المدح والذم لسقوط النفس وذهاب رؤية الخلق فعندها خلص الاخلاص الى قلبه لصفاء الزهد وثبت الزهد لسقوط النفس دليل ذلك الخبر الذى رويناه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل استويت قال وكيف أستوى قال يستوى عندك المدح والذم وقول حارثة لما سأله عن حقيقة الايمان عزفت نفسى عن الدنيا فابتدأ بالزهد ثم ذكر الاستواء حجرها وذهبها ثم ذكر المشاهدة بعد ذلك الحديث وهذه كلها مقامات فى الزهد وكل من جعل الدنيا شيأ مبلغ علمه وعلو مشاهدته جعل الزهد ضده وقد نوع أهل المعرفة الايمان فى القلب على مقامين فجعل لهما زهدين فقال اذا تعلق الايمان بظاهر القلب أحب العبد الدنيا وأحب الآخرة وعمل لهما فاذا بطن الايمان فى سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها وقد كان أبو سليمان يقول من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه سبحانه وتعالى شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين ولهذين المقامين دليل من السنة أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الناس خير فقال من يشنأ الدنيا ويحب الآخرة فأوقع الشنآن الدنيا وفرع ضده من حب الآخرة والمقام الاعلى دليله من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله تعالى أمر آخرته ودنياه والهم الواحد يوجد واحدا لرب واحد هو وصف عبده موحد لواحد مقلبه الى واحد وقد وهب له خلقا من أخلاقه فهو الاحد وحدانية صفته وعبد متوحد يوجده بين خلقه فهو منفرد الهم مجتمع القلب وانفراد الهم يكون بعد محو الهوى ومحوه بعد امتحان القلب للتقوى واجتماع القلب يكون مع طيب النفس وطمأنينتها بالايمان أو فلاحها بالتزكية والرضا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم طيب النفس من النعيم وقال الله تعالى قد أفلح من زكاها وقال تعالى راضية مرضية فيكون متوحدا بالروح مخالقة بأخلاق الايمان مواطنة القلب بمشاهدة اليقين وقال وهب بن منبه وجدت فيما أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام من أحب الدنيا أبغضه الله تعالى ومن أبغضها أحبه الله تعالى ومن أكرم الدنيا أهانه الله تعالى ومن أهانها أكرمه الله تعالى وأما علماء الظاهر فقالوا الزهد فى الدنيا هو موافقة العلم والقيام بأحكام الشرع وأخذ الشئ من وجهه ووضعه فى حقه وما خالف العلم فهو هوى كله فذكروا فرض الزهد وظاهره ولم يعرفوا دقائقه وبواطنه وقد روينا عن سفيان بن عيينة والثورى معنى هذا أنهما سئلا أيكون الرجل زاهدا وله مال قالا نعم اذا كان اذا ابتلى فصبر واذا أنعم عليه شكر قال ابن أبى الحوارى فقلت له يا أبا محمد يعنى ابن عيينة قد أنعم عليه فشكر وابتلى فصبر وحبس النعمة كيف يكون زاهدا فضرب بيده وقال اسكت من لم تمنعه النعماء من الشكر ولا البلوى عن الصبر فذلك الزاهد ووافقهما الزهرى فقال كذلك وقد فصل ذلك أبو سليمان فقال ابن أبى الحوارى قلت له أكان داود الطائى رحمه الله تعالى زاهدا قال نعم قلت بلغنى انه ورث من أبيه عشرين دينارا فانفقها فى عشرين سنة فكيف يكون زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد ولعمرى آثار روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعما بالمال الصالح للمرء الصالح والمال الصالح هو الحلال والمرء الصالح المنفق ماله بالليل والنهار سرا وعلانية فى سبيل الله ابتغاء مرضاته كما وصفه الله تعالى ومدحه وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين الا من يحب والذى يحبه الله تعالى ممن أعطاه الدنيا لا يخالف حبيبه الى هواه ولا يؤثر نفسه على محبة مولاه تبارك وتعالى اذ قد تولاه فيما أعطاه وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر والطاعم الشاكر هو الذى يستعين بطعمته على خدمة مولاه ويعبده شكرا لما أولاه وقد قالوا فى الزهد وصفان جامعان لاحوال القلوب قال مضاء بن عيسى قلت لسباع الموصلى يا أبا محمد الى أى شئ أفضى بهم الزهد قال



الشين الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وقال أبو نصر السراج أدب أهل الدنيا بالفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم والتاريخ والشعر وأدب أهل الدين معرفة العلم به ورياضة النفس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات والمسارعة الى الخيرات وأدب أهل الخصوصية من أهل الدين حفظ القلوب ومراعاة الاسرار واستواء السر والعلانية والنظر الى الاعداء بعين الرحمة كما كان دأبه صلى الله عليه وسلم مع عداته ودأب سائر الانبياء مع أعدائهم كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه فى بعض غزواته فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ومسكه اعرابى بردائه وجذبه حتى أثرت حاشية الرداء فى عنقه وما كلمه بكلام قط خشن وقال اعدل يا محمد فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك من يعدل ان لم أعدل لخبت وخسرت اذا لم أعدل وفى كتب السنة من هذا الباب شئ كثير ومر المسيح على قوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقال له بعض الحواريين يقولون لك شرا وتقول لهم خيرا فقال عيسى كل ينفق مما عنده ولما فتح صلى الله عليه وسلم مكة ودخلها سامح أهلها فقال ا

الى الانس بالله تعالى وقال عثمان بن عمارة كان يقال الورع يبلغ بالعبد الى الزهد والزهد يبلغ به حب الله تعالى فهذان الحالان غاية الطالبين الحب للجليل والانس باللطيف فمن لم يتحقق بالزهد لم يبلغ مقام الحب ولم يدرك حال الانس ثم ان سرائر الغيوب في مقام الحب والخلة وفي حال الانس والقربة وفقنا الله واياكم لما يحب وبلغنا ما نؤمل بفضله ورحمته ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وهذا آخر كتاب الزهد

*(تم الجزء الاول من قوت القلوب ويليه الجزء الثاني)*

*(أوله شرح مقام التوكل ووصف أحوال المتوكلين)*

٨٠٢٨
الف ٢٦
٨٠٢٨
الف ١٢٦
١١٦

راهم مقبلين قال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اشارة الى اختلاف مسالكهم اعلم ان مسالكهم مختلفة لاختلاف أحوالهم ومقاماتهم فمنهم من سلك طريق الزهد والعبادة ولازم المساجد والمحراب واشتغل بكثرة الذكر والنوافل وواظب على الاوراد وهي أسلم الطرق أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب ومنهم من سلك طريق الرياضات والمكابدة وقهر النفس بالمخالفة وهي أفضل الطرق أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ومنهم من سلك طريق العزلة والخلوة طلبا للسلامة من المخالطة وهي أصح الطرق أولئك ما عليهم من سبيل ومنهم من سلك طريق التجرد عن الخلق والتفرد (٢٧١) بالحق والموالاة في الله والمعاداة فيه وهي أعضد الطرق أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون ومنهم من سلك طريق السياحة والاسفار والاغتراب عن البلدان وخمول الذكر وهي أوضح الطرق أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيآتهم ومنهم من سلك طريق الخدمة وبذل الجاه للاخوان وادخال السرور عليهم وهي أظرف الطرق أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنهم من سلك طريق المجاهدات وركوب الاهوال ومباشرة الاحوال وهي أعز الطرق أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ومنهم من سلك طريق اسقاط الجاه عند الخلق وقلة الالتفات اليهم وترك الاشتغال بخيرهم وشرهم ونفعهم وضرهم وهو أوعر الطرق أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون تلك أمة قد خلت فتلك تصا كتهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا ومنهم من سلك طريق العجز والانكسار وهي أقرب الطرق أولئك يرجون رحمة الله ومنهم من سلك طريق التعلم وحفظ المسائل ومجالسة العلماء واستماع الاخبار والاحاديث وحفظ العلوم وهي أطهر الطرق أولئك لهم الامن وهم مهتدون ولكل طريق من هذه الطرق أهل ولهم وبها آداب وشرائط ولهم أعلام ومناهل وكل سالك الطريق يحتاج فيه الى موقف ودليل يأخذ به ليسلم من الحيرة والفتنة فان لم يكن معه في سيره من يعرف كيفية السفر ويؤنسه والا يخيف عليه الرجوع والهلاك لبعضهم ان فلانا قد رجع فقال ما أراه رجع الا من وحشة الطريق وقلة سالكيه

---

ويأتي بعد هذا في هامش الجزء الثاني الفصل الرابع في شرح عقيدتهم

*( الجزء الثاني )*

من كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد لسيدنا ومولانا الشيخ الامام العالم المحقق أبي طالب محمد بن أبي الحسن علي ابن عباس المكي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

*( وبهامشه بقية كتاب حياة القلوب في كيفية الوصول الى )*
*( المحبوب لعماد الدين الاموي رحمه الله )*

العـ ٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

## (شرح مقام التوكل ووصف أحوال المتوكلين)

وهو المقام السابع من مقامات اليقين التوكل من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين قال الله الحق المبين ان الله يحب المتوكلين فجعل المتوكل حبيبه وألقى عليه محبته وقال الله عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون فرفع المتوكلين اليه وجعل مزيدهم منه وقال جلت قدرته ومن يتوكل على الله فهو حسبه أى كافيه مما سواه من كان الله تعالى كافيه فهو شافيه ومعافيه ولا يسأل عما هو فيه فقد صار المتوكل على الله تعالى من عباد الرحمن الذين أضافهم الى وصف الرحمة ومن عباد المخصوص الذين ضمن لهم الكفاية وهم الذين وصفهم فى الكتاب بقوله سبحانه وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر أوصافهم وهم الذين كفاهم فى هذه الدار المهمات ووقاهم بتفويضهم اليه السيآت بقوله تعالى أليس الله بكاف عبده وقوله تعالى وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيآت ما مكروا وليس هؤلاء من عباد العدد فقط الذين قال الله عز وجل ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وقال بعض الصحابة وغيره من التابعين التوكل نظام التوحيد وجماع الامر وحدثونا عن بعض السلف قال رأيت بعض العباد من أهل البصرة فى المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لى وأدخلنى الجنة قلت فأى الاعمال وجدت هناك أفضل قال التوكل وقصر الامل فعليك بهما وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الاخلاص والتوكل والاستسلام للرب عز وجل وكان أبو محمد سهل رحمه الله يقول ليس فى المقامات أعز من التوكل وقد ذهب الانبياء بحقيقته وبقى منه صبابة انتشقها الصديقون والشهداء فمن تعلق بشئ منه فهو صديق أو شهيد وقال بعض العارفين وهو أبو سليمان الدارانى فى كل المقامات لى قدم الا هذا التوكل المبارك فلى منه الا مشام الريح وقال لقمان فى وصية لابنه ومن الايمان بالله عز وجل التوكل على الله فان التوكل على الله يحبب العبد وان التفويض الى الله من هدى الله وبهدى الله يوافق العبد رضوان

الله

---

بقية كتاب حياة القلوب

*(الفصل الرابع)* فى شرح عقيدتهم التى اجمعوا عليها وما أخذوا به من المذاهب فى فروع الاحكام أما عقيدتهم فعقيدة شيخ السنة ابى الحسن الاشعرى وأصحابه من فاتحتها الى خاتمتها فاجمعوا على ان الله تعالى واحد فرد صمد قديم أزلى باق أبدى وان ما سواه فهو صنعه وخلقه لا شريك له ولا ضد له ولا ند له ولا شبيه له موصوف بكل ما وصف به نفسه من الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام مسمى بكل ما سمى به نفسه ليس بجسم فان الجسم ما كان مؤلفا والمؤلف يحتاج الى مؤلف ولا هو بجوهر فان الجوهر ما كان متحيزا والرب سبحانه وتعالى ليس بمتحيز بل هو خالق كل متحيز ولا هو عرض فان العرض لا يبقى ولانه يحتاج الى الجوهر وهو سبحانه وتعالى لا يكيفه العقل ولا يمثله الفكر ولا تلحقه العبارات ولا تعينه الاشارات ولا تحيط به الافكار ولا تدركه الابصار العقول محجوبة عن درك حقيقته اذ العقول للعبودية لا للاشراف على الربوبية

الله و يحوا فقد ترضوان الله يستوجب العبد كرامة الله وقال العماء أيضا ومن يتوكل على الله و يسلم لقضاء الله و يفوض الى الله و يرض بقدر الله فقد أقام الدين وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير وأقام الاخلاق الصالحة التى تصلح للعبد أمره وقال بعض علماء الابدال وهو أبو محمد سهل العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل قال فليس للتوكل حد ولا غاية تنتهى اليه وقال أيضا فى قول الله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال أصدق توكلا وقال التقوى واليقين مثل كفتى الميزان والتوكل لسانه به تعرف الزيادة والنقصان وسئل عن قول الله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم قال باظهار الفقر والفاقة اليه وسئل عن قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فقال اعبدوه بالتوكل وقال أبو يعقوب السوسى لا تطعنوا على أهل التوكل فانهم خاصة الله الذين خصوا بالخصوصية فسكنوا الى الله واكتفوا به واستراحوا من هموم الدنيا والآخرة وقال من طعن فى التوكل فقد طعن فى الايمان لانه مقرون به ومن أحب أهل التوكل فقد أحب الله تعالى فأول التوكل المعرفة بالوكيل وانه عزيز حكيم يعلى لعزه و يمنع لحكمه فيعتز العبد بعزه و يرضى بحكمه وكذلك أخبر عن نفسه ونبه المتوكلين عليه فقال سبحانه ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم عز من أعز بعطيته ونظر لمن منعه بحكمته فاذا شهد العبد الذليل الملك الجليل قائما بالقسط والتدبير والتقدير وعنده خزائن كل شئ وكل شئ عنده بمقدار لا ينزله الا بقدر معلوم وشهد الوكيل قابضا على نواصى المماليك له خزائن السموات من الاحكام والاقدار الغائبات وله خزائن الارض من الايدى والقلوب والاسباب المشاهدات نخزائن السموات ما قسمه من الرزق وخزائن الارض ما جعله على أيدى الخلق وفى السماء رزقكم وما توعدون وفى الارض آيات للموقنين ولكن المنافقين لا يفقهون وأيقن العبد ان فى يده ملكوت كل شئ وانه يملك السمع والابصار و يقلب القلوب والايدى تقليب الليل والنهار وانه حسن التدبير والاحكام للموقنين وانه أحكم الحاكمين وخير الرازقين ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه عندها نظر العبد الذليل الى سيده العزيز فقوى بنظره اليه وعز بقوته به واستغنى بقربه منه وشرف بحضوره عنده وكذلك جاء فى الخبر كفى باليقين غنى حينئذ نظر اليه فى كل شئ ووثق به واعتمد عليه دون كل شئ وقنع منه بأدنى شئ وصبر عليه ورضى عنه اذ لابد له منه فثم لا يطمع فى سواه ولا يرجو الا اياه ولا يشهد فى العطاء الا يده ولا يرى فى المنع الا حكمته ولا يعاين فى القبض والبسط الا قدرته هنالك حقت عبادته وخلص توحيده فعرف الخلق من معرفة خالقه وطلب الرزق عند معبوده ورازقه وقام بشهادة ما قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه فعندها لم يحمد مخلوقا ولم يذمه ولم يمدحه لا يجعل انه منعه أو انه أعطاه ان كان الله هو الاول المعطى ولم يشكره الا لان مولاه مدحه وأمره بالشكر له تخلقا بأخلاقه واتباعا للسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذمه أو مقته فلا يجعل مخالفته لمولاه بموافقته هواه لانه تعالى قد مدح المنفقين وذم الباخلين والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد مفرد لا ينبغى الا لله وهو الاعتراف بان النعمة من الله عز وجل وحسن الثناء على الوجه انه لا شريك له فيها ولذلك قال الحمد لله رب العالمين أى الحمد كله لا يكون ولا ينبغى الا لله لانه رب العالمين وفى الخبر الحمد رداء الرحمن عز وجل والشكر اظهار الثناء واسرار الدعاء الا واسطة فهذا مشترك يدخل فيه الوالدان وهو أيضا مخصوص لمن هو أهل ان يشكر من الناس حدثونا عن يوسف بن اسباط قال قال لى الثورى لا تشكر الا من عرف موضع الشكر قلت وكيف ذاك قال اذا أوليت له معروفا فكنت به أسر منه وكنت منه أشد استحياء فاشكر والا فلا وسأل ابراهيم رجلا من أصحابه درهمين لم يكن معه فاخرج منى فى مجلسه كيسا فيه مائتا درهم فعرضه عليه فلم يقبله وقال أو كل من بذل لنا شيأ قبلناه منه لا نقبل الا ممن نرى أنه...

وقالوا فى الاستواء ما قاله مالك بن أنس رحمه الله حين سئل عن ذلك فقال الاستواء معلوم والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وكذلك مذهبهم فى النزول وأجمعوا على ان كلام الله تعالى قديم غير محدث واجمعوا على جواز رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة بالابصار وأوجبوه بالآيات الظاهرة والاخبار الصحيحة وانما نفى الله تعالى الادراك بالابصار لان ذلك يوجب كيفية واحاطة وليست كذلك الرؤية والنبى صلى الله عليه وسلم شبه النظر بالنظر لا المنظور بالمنظور اليه بقوله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم الحديث واجمعوا على الاقرار والايمان بجملة ما ورد فى الكتاب العزيز وجاءت به الروايات الصحيحة عنه صلى الله عليه وسلم من اعادة الارواح الى الابدان وبعثها للحساب والجزاء والجنة والنار واللوح والقلم والحوض والصراط والشفاعة والميزان والصور وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير واخراج قوم من النار بالشفاعة وان أهلها فيها مخلدون غير أهل الكبائر من المؤمنين فانهم لا يخلدون فى النار وأجمعوا على انه خالق لاعمال العباد وان

الله عليه فيما أعطى أعظم من نعمته علينا فيما أخذ وحدثونا عن الحسن في قصة طويلة ان رجلا بذل له جملة من المال فرده فلما انصرف قال له هاشم الاوقص عجبت منك يا أبا سعيد رددت على الرجل كرامته فانصرف حزينا وأنت تأخذ من مالك بن دينار ومحمد بن واسع الشئ بعد الشئ فقال له الحسن ويحك ان مالكا وابن واسع ينظران الى الله فيما أخذ منهما فعلينا ان نقبل وان هذا المسكين ينظر الينا فيما يعطى فرددنا عليه صلته وعندها الا نذم أحدا ولا نبغضه لاجل انه كان سبب المنع اذ كان الله هو المانع الاول واذ له في المنع من الحكمة مثل ماله في العطاء من النعمة ولكن نذمه وننتقصه ونبغضه ان كان استوجب ذلك من مولاه فيكون موافقا لمولاه فالله تعالى يشهد بيده في العطاء ويمدح المنفقين نهاية في كرمه ويشهد في المنع والمكروه مشيئته ويذم الباخلين والعاصين قدرة من حكمته وحكما من تقديره لاظهار الاحكام وتفصيل الحلال والحرام ووجود الثواب والعقاب على الانام فقد أظهر الامر واستأثر بسر القدر فعمل المؤمن بما أمر وسلم له ما استأثر وروى بعض العلماء عن الله تعالى لو ان ابن آدم لم يخف غيري ما أخفته من غيري ولو ان ابن آدم لم يرج غيري ما وكلته الى غيري وروى أعظم من هذا قال وضع العبد في قبره مثل له كل شئ كان يخافه من دون الله عز وجل يفزعه في قبره الى يوم القيامة وقال الفضيل بن عياض من خاف الله خاف منه كل شئ ويقال ان الخوف من المخلوقات عقوبة نقصان الخوف من الخالق وان ذلك من قلة الفقه عن الله تعالى وقد قال الله أحسن القائلين في معناه لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فكان العبد اذا تم خوفه من الله تعالى أزال ذلك الخوف خوف المخلوقين عن قلبه وحول ذلك في قلوب المخلوقات فصارت هي تخافه ان لم يخفها هو كما اذا كملت مشاهدة العبد وقام بشهادته وغيبت تلك المشاهدة وجود الكون مع الله عز وجل فلم يرها وقام له القيوم بنعيمه من الملك لما تفرغ قلبه لمعاينة الملك وقال سنيد عن يحيى بن ابى كثير مكتوب في التوراة ملعون من ثقته مخلوق مثله وقال سنيد يعني ان يقول لولا فلان هلكت لولا كذا ما كان كذا ويقال ان قول العبد لولا كذا ما كان كذا من الشرك وقال في الخبر اياكم ولو فانه يفتح عمل الشيطان وقال بعض العلماء سوف جند من جنود ابليس وقد جاء في تفسير قوله تعالى فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قالوا كان الملاح فارها ومثله في قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قيل قالوا لولا نباح الكلاب وزقاء الديكة لاخذنا السرق وروينا عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعتز بالعبيد أذله الله وقد جاء في الخبر لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقد كان عيسى عليه السلام يقول انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن أكبر بطونا من الطير فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق ويقال لا يدخر من الدواب الا ثلاثة النملة والفارة وابن آدم وقال أبو يعقوب السوسي المتوكلون على الله تجرى أرزاقهم بعلم الله واختياره على يد خصوص عباده بلا شغل ولا تعب وغيرهم مكدودون مشغولون وقال أيضا المتوكل اذا رأى السبب أو ذم أو مدح فهو مدع لا يصح له التوكل وأول التوكل ترك الاختيار والمتوكل على صحة قد رفع أذاه عن الخلق لا يشكو ما به اليهم ولا يذم أحدا منهم لانه يرى المنع والعطاء من واحد فقد شغله عما سواه وقيل لسهل ما أدنى التوكل قال ترك الاماني وأوسطه ترك الاختيار قيل فما أعلاه قال لا يعرفه الا من توسط التوكل وترك الاختيار أعطى فذكر كلاما طويلا وقال بعض هذه الطائفة العبيد كلهم يأكلون أرزاقهم من المولى ثم يفترقون في المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بعز لا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فاما الذين يأكلون أرزاقهم بذل فالسؤال يشهدون أيدي الخلق فيذلون لهم والذين يأكلون بامتهان فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنة وكره والذين يأكلون أرزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر أحدهم نفاق سلعته فهو متعوب القلب معذب بانتظاره والذين يأكلون أرزاقهم بعز من

الخلق كلهم يموتون بآجالهم وان المقتول يموت بأجله وان الشرك والمعاصي كلها بقضاء الله وقدره من غير أن يكون لاحد من الخلق على الله حجة بل لله الحجة البالغة ولا يرضى لعباده الكفر والمعاصي والرضا غير الارادة ويرون الصلاة خلف كل بار وفاجر ولا يوجبون الثواب بالطاعة ولا العقاب بالكبيرة ويتبرؤن من المعتزلة والقدرية والجهمية والمشبهة والمعطلة والخوارج والروافض وسائر أهل البدع ولا يرون الخروج على الولاة وان كانوا ظلمة وان محمدا أفضل الانبياء وان الله ختم به النبوة وأجمعوا على تفضيل الرسل على الملائكة وان بين الملائكة تفاضلا كما بين الانبياء وأجمعوا على ان الايمان قول وعمل واعتقاد وان من ترك الاقرار فهو كافر ومن ترك التصديق فهو منافق ومن ترك العمل فهو فاسق وان الايمان يزيد وينقص وان المعرفة بالقلب لا تنفع ما لم يتكلم بكلمتي الشهادة الا أن يكون له عذر يثبته بالشرع ويرون الاستثناء في الايمان من غير شك وأجمعوا على ان أعمال العباد ليست بسبب للسعادة والشقاوة لقوله صلى الله عليه وسلم السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من

غير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون قسمهم من يده بعزة فأما الذين يأكلون من أرباب السلاطين فباعوا أرواحهم فتلك قسمة خاسرة ووقعوا في الذل الواضح وسئل بعض العلماء عن معنى الخبر المأثور الخلق عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله فقال هذا خصوص وعيال الله خاصة مقبل كيف قال لان الناس أربعة أقسام تجار وتجارة وصناع وزراعة فمن لم يكن منهم فهو من عيال الله فأحب الخلق الى الله أنفعهم لهؤلاء وهذا كما قال لان الله سبحانه وتعالى أوجب الحقوق وفرض الزكاة في الاموال لهؤلاء لانه جعل من عياله من لا تجارة له ولا صنعة يجعل معاشهم على التجار والصناع ألا ترى ان الزكاة لا تجوز على تاجر ولا صانع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لقوي مكتسب فأقام الاكتساب مقام الغنى وقال الله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين فكان من تدبر الخطاب ان من ليس له برازقين هو من ليس له فيها معيشة في الارض وقال عامر بن عبد الله قرأت ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل استغنيت بهن على ما أنا فيه فاستغنت قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فعلمت ان أراد ان يضرني لم يقدر أحد أن ينفعني وان أعطاني لم يقدر أحد أن يمنعني وقوله فاذكروني أذكركم فاشتغلت بذكره عن ذكر من سواه وقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فوالله ما اهتممت برزق منذ قرأتها فاسترحت وقد كان سهل بن عبد الله يقول المتوكل اذا رأى السبب فهو مدع وقال ليس مع الايمان أسباب انما الاسباب في الاسلام معناه ليس في حقيقة الايمان رؤية الاسباب والسكون اليها انما رؤيتها والطمع في الخلق يوجد في مقام الاسلام ومن ذلك ما قال لقمان لابنه الايمان أربعة أركان لا يصلح الايمان كما لا يصلح الجسد الا باليدين والرجلين التوكل على الله والتسليم لقضائه والتفويض الى الله والرضا بقدر الله فحال المتوكل سكون القلب عن الاستشراف الى العبيد والتطلع وقطع الهم عن الفكرة فيما بأيديهم من التطامع عما كف القلب على المقلب المدبر مشغول الفكر بقدرة المصرف المقدر لا يحمله عدم الاسباب على ما حظره العلم عليه وذموه ولا يمنعان ينزل الحق وان يعمل به أو يوالي في الله ويعادي فيه جريان الاسباب على أيدي الخلق فيترك الحق حياء منهم أو طمعا فيهم أو خشية قطع المنافع المعتادة ولا تدخله نوازل الحاجات وطوارق الفاقات في الانحطاط في أهواء الناس والميل الى الباطل أو الصمت عن حق لزمه أو يوالي في الله عدوا ويعادي وليا الرب بذلك ماله عندهم أو يشكر بذلك ما أسدوا اليه بالكف عنهم ولا يرب الصنعة التي قد غرقهم النظر الى الصانع ولا يتصنع لمصنوع دخله لعلمه بسبق الصنع لدوام مشاهدته ولا يشكي الى عاجز من خلق ولا يثق بعتاد من مخلوق اذ فقد أيقن برزقه ونفعه وضره من واحد فهذه المعاني من فرض التوكل فان وجدت في عبد خرج بها عن حد التوكل دون فضائله وتدخله في ضعف اليقين وقد كان الاقوياء اذا دخل عليهم شيء من هذه الاهواء المفسدة لتوكلهم قطعوا تلك الاسباب وحسموا أصولها واعتقدوا تركها وعملوا في مفارقة الامصار والتغرب عن الاوطان وترك الالاف والايلاف فاخرجوا ذلك من حيث دخل عليهم ووضعوا عليه دواءه وضده من حيث تطرق اليهم حتى ربما فارقوا ظاهر العلم وخالفوا علم أهل الظاهر الى علوم الباطن وحكم مشاهدتهم وقيامهم بحق أحوالهم اذ ليس أهل الظاهر حجة عليهم في شيء الا وهم عليهم حجة في مثله لان الايمان ظاهر وباطن والعلم محكم ومتشابه ولان أهل الحق أقرب الى التوفيق وأوفق لاصابة الحقيقة كل ذلك رعاية لصحة توكلهم ووفاء بحسن عهدهم وعملا باحكام حالهم لئلا تسكن قلوبهم لغير الله ولا تقف هممهم مع سوى الله ولا تطمئن نفوسهم الى غيره ولا يتخذوا أشكاسوا ولا يسكنوا الى أهواء النفوس ويخدعوا السكون بها عن سكون القلب فيبقى ذلك فيهم ويوهن ايمانهم الذي هو الاصل ويستأسر قلوبهم التي هي المكان للكشف والشهادة فيخسر وا رأس المال فتفوتهم حقيقة الحال فيذا يرتجون وبأي شيء يقومون وهذا لا يفطن له الا العاملون ولا تشهده العيون وقد قال بعض المقربين في حقيقة التوكل لما سئل عنه فقال هو الفرار من التوكل يعني

شيء في بطن أمه فان العقاب والثواب ليسا من جهة الاستحقاق بل من جهة الفضل والعدل والمشيئة وان الخوف والرجاء لازمان للعبد من سوء الادب وان كل قلب خلا منهما فهو خراب وان الصفات الذميمة تنفى من العارفين وتحمد في حق المريدين وان العبد ينتقل في الاحوال والمقامات حتى يصير الى نعت الروحانيين فتظهر عليه الكرامات وان الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الايمان في الدين وأوجبوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان نبوة الانبياء لم تثبت بالمعجزة بل بارسال الله تعالى اياهم ووحيه اليهم وأما المعجزة فهي لاثبات الحجة على المنكرين وان الانبياء متعبدون باظهار المعجزة لاثبات النبوة والاولياء متعبدون بكتمان الكرامة لدفع الفتنة وأنكروا المراء في الدين ومنعوا من المناظرة والجدال في أحكام الدين ويرون الاقتصار على الادون من الثياب دون النفيس منها وان الخلقان والمرقعات أفضل من الجديد لان النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وكذا أهل الصفة وغيرهم من أجلاء الصحابة وفي البخاري ان ستين من أصحاب الصفة لم يكن لهم أردية وأما المذاهب التي أخذوا بها في الفروع ويجمعوا هنا

ترك السكون الى المقام من التوكل أي يتوكل ولا ينظر الى توكلهم انه لاجله يكفى أو يعافى أو يرزق فيجعل نظره
الى توكله فانه في توكله يلزمه القرار منها حتى يدوم نظره الى الوكيل وحده بلا خلل و يقوم له بشهادة منه بلا
ملل فلا يكون بينه و بين الوكيل شئ ينظر اليه أو يعول عليه أو يدل به حتى التوكل أيضا الذى هو طريقه
وكذلك قال قبله بعض العارفين في معنى قوله عز و جل أمن يجيب المضطر اذا دعاه فقال المضطر الذى يقف
بين يدى مولاه فيرفع اليه يديه بالمسئلة فلا يرى بينه و بين الله حسنة يستحق بها شيأ فيقول يا رب لى مولاى
بلا شئ فتكون بضاعته عند مولاه الافلاس و يصير حاله مع كل الاعمال الافلاس فهذا هو المضطر فهؤلاء
القوم من الذين وصفهم الله عز و جل بالتقوى و المخافة و جعلهم أهلا للدعوة و النذارة و أخبرانهم لا يرون
بينه و بينهم سببا يليهم ولا شفاعة فقال تعالى يأمر رسوله بانذارهم بكلامه فعلمهم و جهة خلقه و مكانا لكلامه
كما جعل رسوله وجهة لهم و مكانا لتكليمهم فقال تعالى و انذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس
لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ثم قال تعالى في وصف أمثال الناس من أهل اللعب و اللهو و الغرة
و السهو متهددا للناس و متوعدا و ذر الذين اتخذوا دينهم لعبا و لهوا و غرتهم الحياة الدنيا وقيل لبعض علمائنا ما
التوكل قال التبرى من الحول و القوة و الحول أشد من القوة يعنى بالحول الحركة و القوة الثبات على الحركة
وهو أول الفعل يعنى بهذا لا تنظر الى حركتك مع المحرك اذ هو الاول و لا الى ثباتك أيضا بعد الحركة في تثبيته
اذ هو المثبت الآخر فتكون الاولية و الآخرية حقيقة شهادتك له بانه الاول الآخر بعين اليقين أى
فعندها صح توكلك بشهادة الوكيل وقال مرة التوكل ترك التدبير و أصل كل تدبير من الرغبة و أصل كل
رغبة من طول الامل و طول الامل من حب البقاء و هذا هو الشرك يعنى انك شاركت الربوبية في وصف
البقاء وقال الله سبحانه خلق الخلق و لم يحجبهم عن نفسه و انما جعل حجابهم تدبيرهم و قد كثر قوله رحمه الله في
ترك التدبير و ينبغى ان يعرف ما معناه ليس يعنى بترك التدبير ترك التصرف فيما وجه العبد فيه و أبيح له كيف
وهو يقول من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن في ترك التكسب فقد طعن على التوحيد
انما يعنى بترك التدبير ترك الامانى وقوله لم كان كذا اذا وقع و لم لا يكون كذا أو لو كان كذا فيما لا يقع
لان ذلك اعتراض و جهل بسبق العلم و ذهاب عن نفاذ القدرة و شهادة الحكمة و غفلة عن رؤية المشيئة
و جريان الحكم بها و يعنى ترك التدبير فيما بقى و ما يأتى بعد أى لا تشتغل بالفكر فيه بعقلك و عملك فيقطعك
عن حالك في الوقت الذى هو ألزم لك و أوجب عليك حتى قطعك فيما يأتى من الاحكام والتصريف في ترك
التدبير و التقدير لهما بالزيادة و النقصان و نقلها من وقت الى غيره أو من عبد الى آخر بالتقديم و التأخير
تكون في ذلك كما كنت فيما قد مضى ألا ترى أن الانسان لا يدبر ما قد مضى قال فينبغى ان يكون فيما يستقبل
تاركا للتدبير له تاركا للامانى فيه بمعانى ما ذكرنا كتركه اياه فيما مضى فيستوى عنده الحالان لان الله أحكم
الحاكمين ولان العبد مسلم للاحكام و الافعال راض عن مولاه في الاقدار مع جهله بعواقب المآل و ترك
التدبير بهذه المعانى هو اليقين و اليقين هو مكان المعرفة اذ جعل الله تعالى قلب الموقن مكانا تمكن فيه على قدر
المكان ما يليق به وكان يقول يا مسكين كان و لم تكن و يكون و لا تكون فلما كنت اليوم قلت انا و أنا كن
فيما أنت الآن كما لم تكن فانه هو اليوم كما كان وكان يقول أيضا الزهد انما هو ترك التدبير فهذا يعنى به
ترك الاسباب التى توجب التدبير و اخراج السبب الذى يجب تدبيره لانه يكون مسببا متعلقا بالاسباب وهو
ترك تدبيرها لان التدبير في هذا الموضع انما هو التمييز و القيام بالاحكام و وضع الاشياء مواضعها فكيف
لا يكون العبد كذلك مع وجود الاشياء وهو عاقل مميز متعبد بالعلم مطالب بالاحكام و انما يقول أترك
الاشياء المدبرة و ازهد في الاسباب المعبرة حتى يسقط عنك التدبير و التقدير فيكون بتركها تاركا للتدبير
بسقوط أحكامها عنك و استراحتك من القيام بها و النظر فيها فهذا هو تفصيل جملة قوله في ترك التدبير
وهذا هو حال المتوكلين و المتوكل لا يهتم بما قد كفى كالايتم ثم الصحيح بالدواء اذا عوفى ولكن قد يحتمى قبل



العلم و سلمه لقوله صلى الله عليه و سلم العلم فريضة على كل مسلم و اختاروا من المذاهب في أحكام الفروع مذهب فقهاء أصحاب الحديث و يرون ان اختلاف الفقهاء في الفروع رحمة للحديث الوارد في ذلك و أوجبوا طلب الحديث و سماعه و حفظه و روايته و كتابته و عظموا المحدثين لانهم أساس الدين و حراس السنة الذابون عنهما و عظموا الفقهاء و المتكلمين و المفسرين لقيامهم بعلوم الدين و اظهارهم العلوم الخفية و تقريرهم الاحكام بالادلة و ردهم على المبتدعين و المخالفين خصوصا الشيخ أبا الحسن حتى قالوا طريقة ابى الحسن الاشعرى هي باب الشرع و قالوا لا تنسل حلة سنية الا بطريقة سنية و عنوا بها طريقة أبى الحسن الاشعرى هذا هو الكلام في المقدمة و أما مقاصد الكتاب فهى في قسمين كما تقدم في ديباجة الكتاب * القسم الاول في ذكر عيوب النفس و آفات القلب و كيفية محوها و التخلى عنها و التنقى منها و التطهير من النجاسات و القاذورات التى ورد الشرع باماطتها و محوها قال الله تعالى قد أفلح من زكاها و التزكية التطهير و قد قال الله تعالى في حق قوم من الصحابة رجال

النزال كما يحتمى المعافى قبل ورود العلل قال الله سبحانه وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم فالمتوكل قد علم بيقينه اذ كل ما بيناه من العطاء من ذرة فما فوقها ان ذلك رزقه من خالقه وان رزقه هوله وان ماله واصل اليه لا محالة على أى حال كان وان ماله لا يكون لغيره أبدا وكذلك ما لغيره من القسم والعطاء لا يكون لهذا أبدا فقد نظر الى قسمه ونصيبه من مولا بعين يقينه الذى به تولاه من احدى ثلاث مشاهدات وان دنت مشاهدته نظر الى قسمه من العطاء فى الصحيفة التى كتبت له عند تصوير نطفته فكتب فيها رزقه وأجله وأثره وشقى أو سعيد فكما لا يقدر أحد من الخلق ان يجعله سعيدا ان كان قسمه شقيا فلا يقدر أحد ان يجعله شقيا ان كان قسمه سعيدا كذلك لا يقدر أحد ان يجعل معسرا أعطاه مولاه من القسم فيجعله معسرا وماولا يعطيه ما سمعه من الحكم فيجعله موسرا وقالا ان ذلك قد كتب كتابا واحدا وجعل مجعلا سواء فان ارتفعت مشاهدته نظر الى هذا فى اللوح المحفوظ مفروغا منه وهو ام الكتاب الذى استنسخ منه هذه الصحيفة فكان بيقينه يكتب رزقه فى اللوح وانه لا يزاد فيه بحول ولا حيلة ولا ينقص منه لعجز ولا سكينة كيقينه بما كتب فيه من انه من أهل الجنة فهو داخلها لا محالة وان عمل أى عمل بعد ان يكون قد كتب اسمه فى اللوح وجعل له فيها أثر كقوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون فقد كتبت الآثار والارزاق من كل شئ كتابا واحدا فى ثلاث مواضع توكيدا للعلم وتسكينا للقلب فى القسم كتب ذلك فى الذكر الاول وهو اللوح المحفوظ ثم فى الزبر الاولى وهى الصحف ثم أنزل ذلك فى كتابنا هذا الذى به عرفنا ما سلف من ذلك وان علت مشاهدته كل عبد عن مقامه ومن معبوده ومن مكانه فى دنوه وعلوه يشهد هذا الذى ذكرنا معلوما فى علم الله تعالى قبل خلق اللوح فسكن قلبه واطمأن الى علم الله سبحانه وتعالى وما سبق له منه ولهذا جاء فى الاثر ان الزهد فى الدنيا ان تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك وان يكون ثواب المصيبة أرغب منك فيها لو انها بقيت لك أى فيتصل حوصلك لنفاذ شهادتك ويذهب فى الخلق طمعك فهذا هو الرضا والزهد فقد جمع التوكل المقامين معا فان ما بيد الله سبحانه وتعالى هو رزقك الواصل اليك لا شك فيه على أى حال هو الذى لك عند الله وهو معلوم علم الله تعالى الذى لا ينقلب وذلك أحد ثلاثة أشياء ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت فهذا هو الذى لك فى الدنيا والآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالى تعجبا من جهل ابن آدم وغفلته ثم قال انما لك من مالك فذكر هذه الثلاث واشترط مع كل واحدة آخر غايتها فقال ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت فاشترط الافناء والابلاء والامضاء ثم قال بعد ذلك وما سوى ذلك فهو مال الوارث فهذه الثلاث على هذه الاوصاف هى رزق العبد وهى التى فى يد الله عز وجل له الواصلة اليه فاما ما جعل فى يد العبد فقد لا يكون له وانما هو مستودع اياه ومستخلف فيه وان تملكه وحازه خمسين سنة وانما العبد ما فرغ منه العبد وهو الذى فرغ له منه لما سبق له به فان تملك سوى هذا وادعاه لاجل انه فى خزانته أو قبض يده فذلك لجهله بالله تعالى وقلة فقهه عن الله سبحانه وغفلته عن حكمة الله تعالى لانه لو عرف حكمة الله وقدرته علم ان صندوقه من خزائنه ويده من خزائن الله تعالى فى أرضه يودعها من يشاء الى الوقت الذى يشاء حتى يستقر الى كيف يشاء فقد قال تعالى فمستقر ومستودع وقال لكل نبأ مستقر وقال سبحانه ولله خزائن السموات والارض وهكذا روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله وقال صلى الله عليه وسلم وان لكل عبد رزقا هو آتيه لا محالة فمن قنع به بورك له فيه ومن لم يقنع به ولم يرض لم يبارك له فيه ولم يسعه ويقال لو هرب العبد من رزقه كما يهرب من الموت لادركه وفى وصية النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الخلائق لو جهدوا ان ينفعوك بما لم يكتبه الله لك ما قدروا على ذلك ولو جهدوا ان يضروك بشئ لم يكتبه الله سبحانه لك لم يقدروا على ذلك طويت الصحف وجفت الاقلام فمن كانت هذه مشاهدته فى القسم المعلوم سقط عنه جملة من الهموم واستراح

يحبون أن يتطهروا وقال صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان وانما كان شطر الايمان لان الايمان ينقسم الى فعل المأمورات واجتناب المنهيات وهو يتناول الطهارة المعنوية وهى طهارة النفس من نجاساتها كما يتناول الطهارة عن النجاسات المحسوسة وقال النبى صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والطريق يشمل السفر الى الله تعالى كما يشمل طريق المشى وهذه المعاصى والقبائح النفسية مؤذيات تؤذى السالك بطريق الله تعالى فيجب اماطتها عن الطريق ولهذا المعنى قدم الشرع حرف النفى وهو لا فى كلمة التوحيد على حرف الاثبات وهو الا لان حرف النفى يجرى مجرى التطهير من الاضداد فوجب تقديمه فوجب لذلك تقديم هذا القسم وهو قسم التطهير والتخلى عن الصفات المذمومة على قسم الاتصاف والتحلى بالصفات المحمودة وهو السر فى التمامه والاحوال لان الصفات المذمومة وهى نتائج النفس ورذائلها وخبائثها أضداد الصفات المحمودة تعوق النفس عن الاتصاف بها فوجب تقديم ذكر كيفية ازالتها على ذكر الاتصاف بالصفات المحمودة

من النظر الى الخلق واستراح الخلق من أذاه وشغل عنهم بخدمة مولاه وكان قد فهم شيأ من الخطاب ومن أقبل على الله الكريم بصالح ما دعاه اليه واستجاب كما روى ان رجلا لزم باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه كل غداة فشهده عمر منه مجيئه لاجل الطلب فقال له ياهذا هاجرت الى عمر أو الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل فغاب زمانا حتى افتقده عمر فسأل عنه فدل عليه فاتاه فاذا هو قد اعتزل الناس واقبل على العبادة فقال له عمر رضى الله عنه انى قد افتقدتك حتى اشتقت اليك فما الذى شغلك عنا فقال انى قد قرأت القرآن فاغنانى عن عمر وعن آل عمر فقال له عمر رحمك الله فما الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه وفى السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقى فى السماء وانا أطلبه فى الارض فبكى عمر وكانت موعظة له منه فكان عمر بعد ذلك يتابه فى الاحايين فيجلس اليه ويستمع منه وجاء رجل الى بشر بن الحارث فقال انى قد عزمت على سفر الى الشام وليس عندى زاد فما ترى فقال ياهذا أخرج فيما قصدت له فان لم يعطك ما ليس لك لم يمنعك ما لك وشكا رجل الى فضيل حاله فقال ياهذا امدبر غير الله تريد وكان الحسن يقول التوكل هو الرضا وفى تفسير قوله عز وجل وقدر فيها أقواتها قال خلق الارزاق قبل الاجسام بألفى عام فالمتوكل لا يطالبه مولاه برزق غد كما لا يطالبه مولاه بعمل غد فاما المتوكل فى المضمون من الرزق المعلوم من القسم فهو توكل العموم يستحيى الخصوص من ذكره ويتكرمون عن نشره اذ كان الله تعالى قد قسم بنفسه ان الرزق فى السماء حق كما أقسم بنفسه ان كلامه حق فجمع بينهما فى الحقيقة بالقسم بالذات دون سائر الافعال لتسكن بذلك نفوس المنقطعين النظر الى الادوات ليرتفع الشك فيهما ويحصل اليقين بحقيقتهما فقال سبحانه فورب السماء والارض انه لحق كما قال تعالى ويستنبؤنك أحق هو قل اى وربى انه لحق وليس فى القرآن قسم بالذات فيما سبرناه الا خمسة القسم الذى فى سورة النساء على تسليم الاحكام فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية وفى سورة التغابن على بعث الكافرين وأنبائهم زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن وفى سورة الواقع من سأل سائل فى تبديل الخلق خلقا خيرا منهم فلا أقسم برب المشارق والمغارب الى قوله بمسبوقين وهذان القسمان المتقدمان وسائر الاقسام بالافعال ولان العبد قد وكل برزقه من يقوم له به من الخلق فان لم يرزق من كسبه وعن يده رزق من كسب غيره وبيده ولكن شغل الخصوص باعمال الآخرة وما يفوتهم من القربات الى الله عز وجل وبالخدمة للمولى الذى وكل اليهم فان لم يقوموا به لم يقم به غيرهم لهم ولم ينب غيره من الدنيا منابه لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية وقوله تعالى والآخرة خير وأبقى وقوله تعالى والله يريد الآخرة ولقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه ولم يقل هذا فى أرزاق الدنيا ومعنى الزيادة ان لا يحاسبه على ما يعطيه من الدنيا اذ لا زيادة فى القسم وقد قيل ان الله تعالى يعطى الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا وهذا لعلو الآخرة ودناءة الدنيا وكان على رضى الله عنه يقول الا ان حرث الدنيا المال وحرث الآخرة العمل الصالح وقد قيل ان الزيادة فى الآخرة رفعة الدرجات لمن كانت نيته وقصده ولها يعمل فشغل الخصوص بما وكل اليهم وبما لا يعمله غيرهم لهم عما تكفل به لهم فاقيم غيرهم فيه مقامهم وناب عنهم فيه من أسباب دنياهم كما روى فى أخبار داود عليه السلام انى خلقت محمدا لاجلى وخلقت آدم لاجل محمد وخلقت ما خلقت لاجل آدم فمن اشتغل منهم بما خلقته لاجله حجبته عنى ومن اشتغل منهم بى سقت اليه ما خلقته لاجله وتوكل الخصوص أيضا فى الصبر على الاذى من القول والفعل اذ كان أمر بذلك الرسول فى قوله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون مع قول الرسل عليهم السلام ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وكذلك أمر نبيه عليه السلام لما قال تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فأمره باتباعهم وقال ودع أذاهم وتوكل على الله الى قوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقال بعض العارفين لا يثبت لاحد مقام فى

لانها كان متقدما فى الرتبة وجب تقدمه فى الذكر وفى هذا القسم أبواب طلشرع فى ذكرها

*(باب فيما يقبح ويذم من أفعال الجوارح الظاهرة وفيه فصول)*

(فصل فى شره الطعام) وهو مكروه فى الشرع لان الشبع منبع الشهوات لان من الشبع يتولد شهوة الجماع ثم اذا غلبت شهوة الاكل والجماع تولد عنها الشره فى المال لانه لا يتوصل الى تحصيلها الا بالمال وتتولد عن شهوة المال وجمعه شهوة الجاه والرياسة لانهما أمران معينان على تحصيل المال ثم يتولد عن محبة الجاه والرياسة أمور منها الشحناء والتباغض والتنافس والمعاداة والحسد والكبر والحقد ولهذا عظم النبى صلى الله عليه وسلم أمر الجوع وقال لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وقام النبى صلى الله عليه وسلم يوما على المنبر فقال يا أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء ومن استحيا من الله حق الحياء [illegible] راحلته بين [illegible] وما حوى والبطن وما وعى وليذكر القبور والبلى ومن أحب الآخرة ترك

التوكل حتى يستوي عنده المدح والذم من الخلق فيسقطان وحتى يؤذى فيصبر على الأذى يستخرج بذلك منه رفع السكون الى الخلق والنظر الى علم الخالق الذي سبق ثم التوكل في الصبر على حسن المعاملة وترك الطلب للمعارضة حياء من الله واجلالا له وتخوفا منه وحبا له فقد وصفهم بذلك ظاهرا أو باطنا فالظاهر قوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فلما عملوا صبروا وعلى علمهم ثم توكلوا عليه في جميع ذلك فانعم أجرهم وأجزل ذخرهم والباطن فيما أخبر عنهم انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فقطعهم الخوف من الطلب ففي قوله منكم وجه حسن غريب وهو باطن الآية قد يكون بمعنى لا نريد بدلا منكم كقوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون ليس انه جعل من البشر ومنكم ملائكة ولكن المعنى بدلا هذا أحد الوجهين في الآية وهو أعلاهما والوجه الظاهر ان يكون الكاف والميم اسماء المطعمين أي لا نريد من عندكم جزاء أي مكافأة ولا شكورا أي حسن ثناء فلما لم يطلبوا العوض من أجلهم ولا المكافأة من عندهم وقالوا انا نخاف من ربنا جزاهم أفضل الجزاء وأحسن لهم غاية العطاء فقال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اذلم يطلبوا جزاء ولا شكورا فجعل جزاءهم شرابا طهورا وجعل سعيهم لديه مشكورا ثم التوكل عليه في تسليم الحكم والرضا به ومنه قول يعقوب عليه السلام حين سلم الحكم توكلا على الوكيل الحاكم ان الحكم الا لله عليه توكلت لان العبد اذا كان مريد المراد نفسه من الأشياء فقد لا يوجد في كل شيء اراده ثم هو على يقين من اراده مولاه لكل شيء وان كل شيء مراد لوكيله فينبغي أن يريد ما يريد مولاه اذ لم يتفق له ما يريد بل ينبغي أن يكون مراد مولاه أحب اليه وآثر عنده لان ما أراده مولاه مما لا عقوبة على العبد فيه ولا مسخط لمولاه فانه محبوب لله مختار له فلتكن محبة الله عز وجل مقدمة لديه على محبته واختياره اذ لله عاقبة الامور وقد شرف المتقين ونزههم عن أمور العاجلة الدنية بقوله عز وجل والعاقبة للمتقين وكما روى في أخبار موسى عليه السلام اذا لم يكن ما تريد فرد ما يكون فان أبيت الا ما تريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما أريد وروى عن الحسن وددت ان أهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار وهذا من نهاية التوكل وليس ذلك الا في تسليم الاحكام والرضا بها كيف جرت بهم لان هذا كلام قد جاوز المعقول وقد كان وهيب بن الورد المكي يقول لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا ثم اهتممت برزقي لظننت اني مشرك ويقال من اهتم برزق غد وعنده اليوم قوت غد فهي خطيئة تكتب عليه وقال سفيان الصائم اذا اهتم في أول النهار بعشائه كتب عليه خطيئة وكان سهل يقول ان ذلك ينقص من صومه وقال اعرف في البصرة مقبرة عظيمة يغدو على موتاهم برزقهم من الجنة بكرة وعشية يرون منازلهم من الجنان وعليهم من الغموم والكروب ما لو قسم على أهل البصرة لماتوا أجمعين فقيل ولم قال كانوا اذا تغدوا قالوا بأي شيء نتعشى واذا تعشوا قالوا بأي شيء نتغدى وقال مرة أخرى لم يكن لهم من التوكل نصيب وهذه المقامات من فضائل التوكل ودونها ما لا يصلح رسمه في كتب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين منها انه أعطاهم كن باطلاعه اياهم على الاسم فزهدوا في كون كن لاجل كان توكلا عليه وحياء منه أن يعارضوه في قدرته ورغبوا عن تقديره أو يضاهوه في تكوينه لان تدبيره عندهم احكم وأيقن وهم بالعواقب اعلم واخبر وهم له أشد اجلالا واعظاما مما تقدر نحن ونعلم وأما التوكل عليه في القوت فانه عندهم فرض التوكل يستحيون من ذكره مع الوكيل وكذلك التوكل عليه في تسليم الاقدار لوها ومرها خيرها وشرها من الله حكمة وعدلا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وكما قال تعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك وان ما أصابك لم يكن ليخطئك وكذلك قال الله عز وجل وكل صغير وكبير مستطر فالعلم بهذه الاشياء وطمأنينة القلب بها وسكينة العقل عند ورودها وأن لا يضطرب بالرأي والمعقول ولا ينازع بالتشبيه والتمثيل فان هذا عندهم من فرائض الايمان لا يصح ايمان عبد حتى يسلم ذلك كله

زينة الحياة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم (٩) قالت وكيف نديم قال بالجوع والعطش وقال المسيح عليه السلام طوبى للجياع العطاش من أجل العدالة والبر فانهم هم الذين يرون الله واعلم ان للجوع فوائد كثيرة منها صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ولان مفتاح السعادة هو المعرفة بالله وبآياته ولا ينال ذلك الا بصفاء القلب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الجوع قرع باب الجنة ومنها رقة القلب حتى يدرك لذة المناجاة ويتأثر بالذكر والعبادة ومنها ذل النفس وانكسارها والمنع عن الغضب والبطش والطغيان وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما شبع من خبز بر ولا شعير قط وانه كان يربط الحجر على بطنه من الجوع وكان أكثر أيامه صائما وكان يواصل في صيامه وكان يتردد في ذهابه الى غار حراء للخلوة بتمرات يسيرة لايام كثيرة صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد النبي صلى الله عليه وسلم الشبع اذ القوم لما شبعوا اجتاحت بهم نفوسهم الى الدنيا ومنها خفة البدن للعبادة والتهجد وقيام الليل للاوراد وزوال النوم المانع من ذلك قال بعضهم صاحب الرياضة والجوع نفسه تجول حول العرش وصاحب الشره والبطنة نفسه تجول حول الحش

وليس هذا من التوكل في شيء ومن مقول ابن عباس القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضا للتوحيد فجعل الايمان بالاقدار كلها انها من الله مشيئة وحكما بمنزلة الخيط الذي ينتظم عليه الخرز وان التوحيد منتظم فيه يقول اذا انقطع الخيط سقط الحب قال كذلك اذا كذب بالقدر ذهب الايمان فالتوكل فرض وفضل ففرضه منوط بالايمان وهو تسليم الاقدار كلها للقادر واعتقادان جميعها قضاؤه وقدره ألم تر الى ربك كيف أقسم بنفسه في نفي الايمان عمن لم يحكم الرسول فيما اختلف عليه من حاله فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فكيف بالحاكم الاول والقاضي الاجل فأما فضل التوكل فانه يكون عن مشاهدة الوكيل فانه في مقام المعرفة ينظر عين اليقين كما قال العبد الصالح فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فظهرت منه قوة عظيمة بقوي وأخبر عن عزيز به رفكأنه قيل ولم ذلك وأنت بشر مثلنا ضعيف فقال اني توكلت على الله ربي وربكم فكأنه سئل عن تفسير توكله كيف سيما فأخبر بمشاهدة يد الوكيل آخذة بنواصي دواب الارض فقال ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ثم أخبر عن عدله في ذلك وقيام حكمته وانه وان كان آخذا بنواصي العباد في الخير والشر والنفع والضر فان ذلك مستقيم في عدله فقال ان ربي على صراط مستقيم وقال تعالى في فرض التوكل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى في مثله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال تعالى في فضله وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين

## *(ذكر اثبات الاسباب والاواسط لمعاني الحكمة ونفي انها تحكم وتجعل لثبوت الحكم والقدرة)*

اعلم ان الله عز وجل ذو قدرة وحكمة فأظهر أشياء عن وصف القدرة وأجرى أشياء عن معاني الحكمة فلا يسقط المتوكل ما أثبت من حكمته لاجل ما شهد هو من قدرته من قبل ان الله تعالى حكيم فالحكمة صفته ولا يثبت المتوكل الاشياء حاكمة جاعلة نافعة ضارة فيشرك في توحيده من قبل ان الله قادر والقدرة صفته وانه حاكم جاعل ضار نافع لا شريك له في أسمائه ولا ظهير له في أحكامه كما قال عز وجل ان الحكم الا لله ولا يشرك في حكمه أحدا وكما قال تعالى وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير الظهير المعين على الشيء فالمتوكل مع مشاهدته قدرة الله على الاشياء وانه منفرد بالتقدير والتدبير قائم بالملك والملكوت هو أيضا عالم بوجوه الحكمة في التصريف والتقليب بإظهار الاسباب والاواسط لاظهار الاشخاص والاشباح لايقاع الاحكام على المحكوم وعود الثواب والعقاب على المرسوم من حيث كان المتوكل قائما بأحكام الشريعة ملتزما لمطالبات العلم مع تسليمه الحكم الاول لله واعترافه ان كلا بقدر الله اذ سمع الله تعالى يقول لا يسئل عما يفعل وهم يسألون وان الله تعالى في جميع ما أظهر أخفى قدرته في حكمه فظهرت حكمته في الاشياء لعود الاحكام على المظهرين لها وبطنت قدرته في الاشياء لرجوع الامر كله اليه ولاتقان الصنعة الظاهرة لصنع الباطن فلذلك قال عز وجل صنع الله الذي أتقن كل شيء أي صنعه الباطن أتقن صنعه الظاهر ثم قال تعالى واليه يرجع الامر كله من الظاهر والباطن فاعبده وتوكل عليه في جميع ذلك فالعارف المتوكل من الصنع الباطن شهادة هو قائم بمساواة في الحكمة الظاهرة علم شرع وتسليم اسم ورسم هو عامل به وهذا هو شهادة التوحيد في عبادة التفصيل وهو مقام العلماء الربانيين وكل مؤمن بالله متوكل على الله ولكن توكل كل عبد على قدر يقينه فتوكل الخصوص ما قدمناه من ذكر المشاهدة ومعاني الرضا وتوكل العموم ما عقدناه من الايمان بالاقدار خيرها وشرها وقد أخبر الله تعالى انه هو الرزاق كما هو الخالق كما هو المحيي المميت فقرن بين هذه الاربع في قرن واحد مع ترتيب الحكمة والقدرة فكيف يختلف حكمها أو يتبعض وصفها لظهور الاسباب ووجود الاواسط فقال سبحانه وتعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فكما ليس في الثلاث الاخر جاعل ومظهر الا الواحد فكذا ليس في الرابعة من الرزق الا هو ألا ترى انك

وقال آخرون الجيعان يدور حول المساجد والشبعان يدور حول المزابل وقال آخرون كانت همته ما يدخل في بطنه كانت قيمته ما يخرج من بطنه واعلم انه ينبغي لمن أراد ان يعوّد نفسه الرياضة وقلة الاكل ان يفعل ذلك بتدريج فينقص كل يوم من طعامه لقمة حتى ينقص رغيفا في مقدار شهر فلا يظهر له أثر ويصير القليل عادته وما قدر ما يتناوله من الطعام فأقل ما يكون من ذلك الاقتصار على ما يحفظ الحياة ويسد الرمق وهذه طريقة المجاهدة وهو اختيار سهل بن عبد الله التستري وكان يرى ان الصلاة قاعدا لضعفه بالجوع أفضل من الصلاة قائما مع الشبع وأوسطه نصف مد كل يوم وهو ثلث البطن وعلى ذلك كان عمر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة فانه كان قوتهم في الاسبوع صاعا من شعير وهذا القدر أولى في حق عمر والصحابة لاشتغالهم بجهاد الكفار واقامة الدين والسعي بالحركة في مصالح المسلمين فيحتاجون الى ما يحتاج يحفظ به القوة ويعين على الحركة وأكثره مد الواحد وهو ما رضيه الله تعالى قوتا للمساكين في الكفارة وهو رطل وثلث بالبغدادي وينبغي أن لا يتعوّد الطيبات ولا يكثر من اللحم بل يأكل اللحم في الاسبوع مرة وكانت هذه طريقة عمر وكثير من الصحابة وامتنع عمر عن ذلك لان الله تعالى قد عاب على أقوام همهم أكل الطيبات بقوله تعالى أذهبتم طيباتكم في حياتكم

لا تقول خلقني أبي وان كان هو سبب خلقك ولا تقول أحياني وأماتني فلان وان كان آواسطا في الاحياء والقتل لان هذا شرك ظاهر اشتهر فيه قولك ولذلك قال الله تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون وكذلك قال تعالى أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون فأضاف الامناء والحرث الينا لانها أعمالنا ونحن عبيد عمالنا ولانا صفاتنا وأحكامها عاشتغلنا وأضاف الخلق والزرع اليه لانها آيات من قدرته وحكمته والله هو القادر الحكيم وكذلك كل ما ذكر في الكتاب من الاعمال والاكتساب أضيف الى الجوارح الجسد حتى نسب الى الادوات المكتسبة وما كان من القدرة والارادة وصف نفسه به لانه المريد الاول والقادر الاعلى فافهم عن الله خطابه كيلا يزيغ قلبك فيما تشابه ثم قد يقول العبد أعطاني ومنعني فلان لان هذا شرك خفي ولان الاسباب تظهر على أيديهم وتجري بأواسطهم فحسبوا بها من المسبب واسترعتهم المعاني المانع فقبح هذا أيضا عند الموقنين كقبح ذلك لان الله تعالى نفى الرزق من سواه كما نفى الخلق فقال تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم ولم يرد اللفظ على اللفظ وان حسن فيه ولم يخلقكم لانه أراد سبحانه أن يفيدنا فضل بيان و يعلمنا اقتران الرزق بالخلق وانهما سببان عن القدرة فالمتوكل قد أيقن انه لم يكن على الله أن يخلقه فلما خلقه كان عليه أن يرزقه وهكذا روي عن الله تعالى أنا خلقت خلقا ولا أرزقه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رد اعليهم حين قالوا جدي في كذا وجدي في كذا يعنون صنوف الاسباب فنفى ذلك بقوله هذا في صلاته وأسمعهم اياه مخشية دخول الشرك عليهم أي جد العبد لا ينفعه منك شيأ وهذا كما قال الله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيأ قال بعض العلماء في معنى ذلك من جد في الطلب وحرص وجد منك المنع لم ينفعه جده في طلبه وحرصه شيأ وقال أيضا في معنى قول الله عز وجل يمحو الله ما يشاء و يثبت قال يمحو الاسباب من قلوب العارفين و يثبت القدرة و يمحو المشاهدة من قلوب الغافلين ويثبت الاسباب في صدورهم وقال هذا أيضا خلق الله النفس متحركة ثم أمرها بالسكون وهذا هو الابتلاء فان تداركها بالعصمة سكنت وهذا الخصوص وان تركها تحركت بطبعها وجبلتها وهذا هو الخذلان وفي وصية لقمان لابنه يا بني اردد رغبتك الى الله ان شاء أعطاك وان شاء منعك فان حيلتك لن تزيدك ولن تنقصك من قسمة الله التي قسم لك واعتبر رزقك بخلقك فان استطعت أن تزيد في خلقك بحيلتك فانك اذا تزيد في رزقك والا فاعلم ان الله هو الذي عدل الخلق وقسم الرزق فلن تستطيع أن تزيد في أحدهما فان منهم المحتال الجلد البطوش ولا يزداد الا فقرا ومنهم العيي الواهن المهين ولا يزداد ماله الا كثرة ولو كان من الحيلة لسبق القوي الضعيف الى كل شئ ولكن الله يخلق و يرزق ولا يملك العباد من ذلك شيأ وهكذا حكي ان بعض الاكاسرة سأل حكيما في زمانه فقال ما بالي أرى العاقل محروما والاحمق مرزوقا فقال أراد الصانع أن يدل على نفسه ولو كان كل عاقل مرزوقا وكل أحمق محروما لوقع في العقول ان العاقل يرزق نفسه والاحمق حرم نفسه فلما رأوا الامر بخلاف هذا علموا أن الصانع هو الرازق وروينا عن ابن مسعود في اعطاء هذا المال فتنة وفي منعه فتنة ان أعطيه عبد مدح غير الذي أعطاه وان منعه عبد ذم غير الذي منعه وقد روينا معناه في حديث مطرف عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب فقال ألا ان في اعطاء هذا المال فتنة وفي منعه فتنة يعدو الرجل الى ابن عمه فيسأله الحاجة التي قد كتبها الله له فلا علك منعه فيعطيه ما كتب له فيظل يشكره و يثني عليه ثم يعود اليه العام المقبل فيسأله الحاجة التي لم يكتبها الله له فلا يملك أن يعطيه كما يعطه في العام الاول أن عصى فيمنعه ما لم يكتب له فيرجع فيحتقها عليه ذنبا او يثني عليه بها شرا الا ان في اعطاء هذا المال ومنعه فتنة والفظ الخبر ولم أنل بعني بالفتنة الاختبار وصدق صلى الله عليه وسلم يختبر بذلك الموقنون الصابرون والعادلون لينظر كيف يعملون فأما أهل اليقين فيعتبرون بالاسباب و يعجبون من المسبب فيزدادون بذلك هدى وايمانا بالشهود هم المعطي

الدنيا الآخرة وكان عمر رضي الله عنه اذا بلغه عن أحد أنه يكثر التردد الى الجهاز ضربه بالدرة و يقول ان لهذه الجهاز ضراوة كضراوة الخمر

(فصل) في الفضول من القول و يدخل في ذلك الكلام فيما لا ينبغي من الحديث المباح والكذب والغيبة والنميمة والمراء والمجادلة والمزاح الذي يغضب القلب والاطراء في المدح وتزكية النفس بكثرة الدعاوى والشتم واللعن والسفه والدعاء على الناس ولو ظالمين والاستهزاء والسخرية بالناس أما ما ينبغي من الكلام كالتحدث بما يتفق للناس من الامور والاحوال المباحة فينبغي تركه لان الاسترسال فيه يؤدي الى الوقوع في الكلام المحرم كالغيبة ومساوي الناس ونحو ذلك قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ووصى معاذا بحفظ لسانه وحذره من حصائد الالسن وقال من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به و يدخل في الكلام فيما لا ينبغي حكاية الاسفار وأحوال أطعمة البلاد وأحوال الصناعات والتجارات ونحو ذلك وأما الكذب فهو حرام في كل شئ الا لضرورة كما اذا كان الكذب يتضمن نجاة مؤمن من ظالم يقصد قتله أو ماله فيباح الكذب كما يباح الميتة للمضطر واعلم ان الجوارح تؤثر أعمالها في القلب سيما

المانع واحدا فى العطاء والمنع ولمعرفتهم بجريان الحكمة بما اقتضته الشريعة ثبت لهم مقامات الشكر له والصبر عليه وأما الغافلون فيضطربون لذلك ويثبتون بنظرهم الى الاسباب والايدى فيمدحون المعطين ويذمون المانعين عندهم فينقصون بذلك فقد صار المال فتنة الطريقين يكشف ايمانهم وتقص التقوى قلوبهم وكذا اشباهه فى انظران العبد اليهم من الميل بالاهم من أمور الدنيا من التجارة وغيرها الذى لو فعله كان فيه مهلكته فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وبابن عمه من سبقنى من دهانى ومادهاه الارحمة رحمه الله بها وعن ابن مسعود أنه قال من الاخلاص أن لا تحب أن يحمدك الناس على عبادة الله وأن لا تحمدهم على مارزقك الله وقد روينا عن عيسى عليه السلام وعن ابن مسعود وغيره ان من اليقين أن لا تحمد أحدا على ما أعطاك الله ولا تذمه على مالم يؤتك الله وقال الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله وفى حديث الافك الذى رواه معمر بن أبان عن حمران عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها انها قالت فقام الى أبواى فقبلانى فى صدر رهما فقلت بغير حمدكما ولا حمد صاحبكما أحمد الله تعالى الذى عززنى وبرأنى وفى حديث غيره قال لها أبو بكر قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أفعل ولا أحمد الا الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر فهذه المعانى التى قدمناها تكون من ضعف اليقين ونقصان المعرفة فاذا انطوت فى سر العبد وخلده وكثرت من قوله وفعله أذهبت حقيقة الايمان كما قال عبد الله وان العبد ليخرج من منزله ومعه ايمانه فيرجع الى منزله وليس معه من ايمانه شئ يلقى الرجل لا يملك له ضرا ولا نفعا فيقول انك لذيت وذيت ويلقى الآخر كذلك حتى يرجع الى منزله ولعله لم يحل منه بشئ وقد أسخط الله عليه وسئل بعض علمائنا عن معنى الخبر المنقول من التوراة من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه فقال لان الايمان عقد وفعل وقول فاذا تواضع للغنى لاجل دنياه بالثناء والحركة الى ذهب ثلثا ايمانه وبقى الثلث وهو العقد فان جعلت الاواسط فى الرزق أوائل فى الجعل لثبوتها فان الله تعالى قد أظهرها أسبابا وأثبت نفسه فيها فقال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم رفعهم وأظهر نفسه فقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وكذلك قال أفرأيتم ماتحرثون فذكر الاواسط ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وقال فى التفصيل فأرسلنا اليها روحنا ثم قال تعالى فى التوحيد فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل عليه السلام كما قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * قال أهل التفسير فاذا قرأه عليك جبريل فخذ عنه بعد قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وكذلك قال جبريل لأهب لك غلاما زكيا لان الله تعالى وهبه أن يهب لها فذكر نفسه وهو يشهد به ثم قال فى الحرف الآخر ليهب لك يعنى الله تعالى ومثله قول موسى عليه السلام لا أملك الا نفسى وأخى لاجل ان الله تعالى قال ووهبنا له من رحمتنا أخاه وهو فى الحقيقة لا يملك نفسه ولا أخاه اذ لا مالك أصلا الا الله عز وجل وهذا على أحد الوجهين اذا كان وأخى فى موضع نصب والوجه الآخر ان يكون قوله وأخى فى موضع رفع فيكون المعنى وأخى أيضا لا يملك الا نفسه وكذلك قال سبحانه فى التفصيل والامر اقتلوا المشركين وقال فى مثله من ذكر واسطة الامر قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ثم قال فى التوحيد فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال فى اثبات الاسباب ورفعها حقا تقها وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقال تعالى فى ذكر الاواسط فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها وقال فى مثله الذى علم بالقلم ثم قال تعالى الرحمن علم القرآن وقال تعالى علمه البيان ثم قال ان علينا بيانه وقال فى تثبيت الاملاك وبيعها منه بالاعواض كرما منه وفضلا ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فجاز ذلك اذ ملكهم ماله كقوله تعالى الا ماملكت أيمانكم وعند أهل المعرفة أن لا فاعل حقيقة الا الله عز وجل لان حقيقة الفاعل هو الذى لا يستعين بغيره بآلة ولا سبب وعندهم ان فعلا لا يتأتى من فاعلين والا كان شركا لان الفاعل الثانى المظهر الذى فعل بيده وأجرى الفعل بواسطته هو مات ومحدث والاول القديم هو الفاعل الاصلى كما ان عندهم ان حقيقة

اللسان فانه يؤدى من التلبس افيمس  الصور ينتظر لكل كالصورة فى القلب ... ان كان الكلام كذبا فيعوج وجه القلب ويسود ويظلم ويعرض من ذلك آفات كثيرة منها عدم صدق ما رآه فى منامه كما فى المرآة المعوجة التى ترى فيها الصورة على خلاف ما هى عليه ثم اذا اضطر الى الكذب فليبادر الى المعاريض ما أمكنه حتى لا تتعود نفسه الكذب كما حكى عن أبى بكر رضى الله عنه من قوله لذلك الكافر الذى سأله عن النبى صلى الله عليه وسلم وهما ذاهبان الى المدينة من هذا الذى معك فقال رجل يهدينى السبيل وأراد سبيل الايمان وقوله أيضا نحن من قبيلة ماء من العرب وأراد ماء مهين وكان بعضهم ينكر ما قال فيقول ان الله ليعلم ماقلت من هذا فيوهم النفى ويعرف ماهو يريد غير ذلك وتباح المعاريض لغرض تخفيف من تطييب قلب الشخص بالمزاح معه كقوله صلى الله عليه وسلم لسلمان لما دخل عليه يعوده من رمد كان به نوجده يأكل تمرا فقال أتأكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله آكل على الناحية الصحيحة وكقوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الجنة عجوز وأحملك على ولد الناقة وزوجك الذى فى عينه بياض وأما الغيبة فحرام بالنص من القرآن والسنة واجماع الائمة قال الله تعالى ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا

الملك هو خالق الشئ ومن جعل فى يده فهو مملك لانه لم يخلق ما بيده كما يجرى على يده الفعل مفعول لان الله تعالى هو الاول القيوم بنفسه لا يستعين بغيره وقد جعل الله أيضا بحكمته وعزته الخلقة والحياة واسطة وهو ملك الارحام فى الخبر انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة فى يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب أذكر أم أنثى أسوى أم معوج فيقول الله ما شاء ويصور الملك وفى لفظ آخر يخلق الملك ثم ينفخ فيها الروح بالشقاوة أو بالسعادة ويقال ان الملك الذى يقال له الروح هو الذى يولج الارواح فى الاجساد ويقال انه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج فى جسم ولذلك سمى الروح وقد قال الله تعالى فى وصف نفسه البارئ المصور كما قال الخالق وقال تعالى خلق الموت والحياة وقد جعل للاحياء واسطة كما جعل للموت وهو اسرافيل صاحب الصور ينفخ فيه النفخة الثانية فيحيا كل ميت ثم يرفعه الله تعالى فقال يوم ينفخ فى الصور ووصف نفسه بأنه المحيي المميت وفى بعض الاخبار ان ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي كل ميت فأوحى الله اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع فأنا المميت وأنا المحيي ولا مميت ولا محيي سواى وكذلك أيضا قيل عن الله تعالى أنا الدليل على نفسى ولا دليل على أدل منى ولم يمنع وجود هذه الاواسط أن يكون الله سبحانه هو الاول فى كل شئ وهو الفاعل لكل شئ وحده لا شريك له فى شئ ولم يقل أحد من المسلمين الملك يخلقنى ولا عزرائيل أماتنى ولا اسرافيل قد أحيانى كذلك أيضا لا يصح أن يقول الموقن المشاهد للتوحيد فلان أعطانى أو منعنى كما لا يقول فلان رزقنى ولا فلان قدر على وان جعل واسطة فى ذلك وأجرى على يديه ذلك لان العطاء هو الرزق والمنع هو القدر ولا كان عندهم شركاء فى أسماء الله غيره اذ كان الله هو المعطى المانع الضار النافع كما هو المحيي المميت لا شريك له فى ملكه ولا ظهير له من عباده فى خلقه ورزقه وهذا عندهم يقدح فى حقيقة التوحيد للعبد وهو من الشرك الخفى الذى جاء فى الاثر الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل فى الليلة المظلمة وقال بعضهم فى معنى قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال مؤمن بالاقرار ان الله هو المقدر المدبر ومشرك فى الاعتماد على الاسباب ورد الافعال اليها ومن الاخلاص عند المخلصين بلا اله الا الله ولا معطى ولا مانع الا الله ولا هادى ولا مضل الا الله كما لا اله الا الله هذا عندهم فى قرن واحد ومشاهدة واحدة وهو أول التوحيد وان كان قد جعل هادين ومضلين ومعطين ومانعين ولكن بعد اذنه ومن بعد مشيئته وحكمه كما قال تعالى أحسن الخالقين خير الرازقين لانه خلقهم وخلق خلقهم ورزقهم ورزق رزقهم وكذلك هو هداهم وهدى بهم وأضلهم وأضل بهم فمن هدى يتهدوا به ومن أضلاه ضلوا بعد ارادته كما عن خلقه خلقوا ومن رزقه رزقوا وكيف وقد فسر ما ذكرناه بقوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى وبقوله تعالى لو هدانا الله لهديناكم وقال فى مثله فأغويناكم انا كنا غاوين فبمشاهدة ما ذكرناه يخرج العبد من الشرك الخفى وهو تحقيق قوله لا اله الا الله بعد التصديق أى ليس من تأله القلوب وتأله اليه الا الله ثم يقول معها وحده لا شريك له أى يوحده فى قدرته وتوحيده لا شريك له فى ملكه من خلقه ثم وكد ذلك بقوله له الملك أى جميع ما أظهر وله الحمد فى جميع ما أعطى ومنع يستحق الحمد كله فهو لا يستحقه غيره وهو على كل شئ قدير أى من الخلق والامر فالقدرة كلها له والخلق كله له يحكم فى خلقه بأمره ما شاء كيف شاء ومثل الاواسط مثل الآلة بيد الصانع الا ترى انه لا يقال الشفرة حذت النعل ولا السوط ضرب العبد انما يقال الحذاء حذا النعل وفلان ضرب عبده بالسوط وان كانت هذه الاواسط مباشرة للافعال الا انها آلة بيد صانعها وكذلك الخليقة يباشرون الاسباب فى ظاهر العيان والله من ورائهم محيط القادر الفاعل بلطائف القدرة وخفايا المشيئة ألم تر الى قولهم الامير أعطانى كذا وخلع على كذا وان لم يتناوله بيده ولا يصلح أن يقول خادم الامير أعطانى لاجل انه جرى على يده وان كان باشر العطاء بنفسه اذ قد علم أن الخادم لا يملك ولا يتصرف فى ملك الامير الا بامره الا أن يسئل الانسان بيد من أعطاك الامير أو على يد من وجه

وحد الغيبة كما بينه النبى صلى الله عليه وسلم أن تذكر أخاك بما يكره ولو بلغه وأعظم من الغيبة  اشاعتها سمعه من الكلام السوء فى حق غيره قال الله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم وروى ان عيسى عليه السلام قال يوما لبعض جلسائه لو ان أحدكم مر على رجل نائم فوجد الريح قد كشف عن عورته ما الذى يصنع به قالوا يستره ويغطيه قال لا بل تريدون كشف عورته لان أحدكم يسمع فى غيره بالكلمة السوء فيزيد عليها ويشيعها قال بعض العلماء ولا تقتصر الغيبة على اللسان بل قد تكون بالاشارة أو بالرمز أو بحكاية الشئ من أعضائه وكذلك أيضا تحرم الغيبة اذا كانت بالقلب وهو أن يحدث نفسه بشئ من الظن بمساوى الغير ويعتقد ذلك فيه ويحكم به عليه وأما مجرد الخواطر وحديث النفس من غير عقد بالقلب ولا حكم فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه واعلم انه يرخص فى الغيبة فى ستة مواضع أحدها التظلم عند السلطان الثانى عند الاستغاثة بالغير على تغيير المنكر الثالث المستفتى اذا افتقر الى ذكر ذلك الرابع تحذير المسلم من شر الغير ويدخل فى ذلك جرح الشاهد الخامس أن يكون معروفا باسم أو كنية يكرههما كالاعمش والاعرج والبطين ونحو ذلك السادس أن يكون مجاهرا بذلك العيب كالمخنث وصاحب الماجور والفاسق والمعلن بالفسق والامام الجائر وهؤلاء مجاهرون

البسك بالعطاء لبغية تكون للسائل فى معرفة أى عبد جاء به فيجوز أن يقول حينئذ بيد عبده فلان فأما أن يبتدئ المعطى من غير أن يسأل اذا أراد أن يظهر العطاء فيقول الامير أعطانى على يد عبده فلان فان هذا لغو لا يحتاج الى ذكر العبد مع ذكر الملك لان البغية اظهار العطاء من الملك المعطى فلا معنى لذكر العبد الذى جرى العطاء على يده فافهم ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى ناوله التمر خذها لو لم تأتها لأتتك ولو التمر ملا تأتى ولم يقل جاءتك بها رجل اذ لا بغية فى ذكر ذلك ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى قال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد فقال عرف الحق لاهله وانما ذكر الله تعالى الاسباب لان الاسماء متعلقة بها والاحكام عائدة على الاسماء بالثواب والعقاب فلم يصلح ان لا تذكر فتعود الاحكام على الحاكم تعالى عن هذا انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الاحكام من الحاكم ويعيدها على المحكوم وهذا هو سبب اظهار المكان من الموات والحيوان لئلا يكون تعالى محكوما وهو الحاكم ولا يكون مأمورا وهو العزيز الآمر فعادت على المحكومات المأمورات ومن هذا قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فجميعا عنده وفى خزائنه الا انه أضاف الدنيا الينا لرجوع الاحكام علينا ولنزهد فيها وأضاف الآخرة اليه تخصيصا لها وتفضيلا لنرغب فيها وكما أخبر عن عيسى واذ تخلق من الطين ومثله فارزقوهم فيها فسماه خالقا اذ خلق الله على يده وسماهم رازقين لما أجرى على أيديهم رزق أهليهم فهو عندى كقوله لمريم وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وقد علمت ان الرطب لم يتساقط بهزها ولا جعل ولا فضل لهزها فى الرطب ولكن أراد أن يظهر كرامتها ويجعل الآية منه بيدها ومثله اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فنبعت عينان فشرب من احداهما واغتسل من الاخرى ولا فعل لرجله فى اظهار العينين وقد نفى لبيد ما سوى الله فى قوله * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنشد ذلك صدق وفى لفظ آخر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أصدق بيت قاله الشاعر

* ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وهو يعلم صلى الله عليه وسلم ان فى الاشياء أواسط حق وأسباب صدق ثم لم يمنعه ذلك ان قال أصدق بيت قاله الشاعر كذا ايثارا منه للتوحيد وتوحيد المتوحد هذا مع قرب عهدهم بتكذيب الرسل وابطال الكتب ولكن لما كانت الاشياء بعد ان لم تكن ولا تكون بعد ان كانت أشبهت الباطل الذى لا حقيقة أولية ولا ثباتا آخرية وكان الله تعالى الاول الازلى الآخر الابدى فهو الحق ولا هكذا سواه ومثله الاسباب أيضا فى ثوانيها وأواسطها الى جنب الاول المسبب مثل ما يقول فى القرآن قال الله كذا ولك أن تقول قال نوح وقال يوسف كذا فكل صواب فاذا قلت قال الله سبحانه وتعالى فهو القائل الاول قبل القائلين منه كلاما بوصفه مخبرا عن علمه بغير وقت لموقت ولا حد لمحدود ولا حدثان وان قلت قال صالح وقال شعيب فقد قالوه بانهم ثوان فى القول لما أواسط به قالوا ذلك عنه بحدوث أوقات وظهور أسباب كذلك الاسباب فى أواسطها هى ثوان عن الاول المبدئ ومن ههنا وفى مثله دخلت الشبهة على المبتدعين فقالوا بخلق القرآن فلو لم يدخل عليهم الا انهم جعلوا قول القائلين قبل قول الله أحكم الحاكمين فاثبتوا قبل قوله قيلا وهو القول منهم لنفيهم قدم الكلام فوقعوا بجهلهم فى أعظم مما هربوا منه لانهم هربوا من اثبات قديم آخر بزعمهم فوقعوا فى اثبات حدث أولا واحداث قدم ثانيا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وسبحانه بكرة وأصيلا ولم يعلموا بجهلهم انهم انما قالوه بعد قوله فصار قولهم عن قوله وكان هو الاول فى القول من حيث كان هو الاول بالقدم والسابق بالعلم وصاروا هم ثوان فى المقال من حيث كانوا حوادث من الافعال فكذلك أيضا تدخل الشبهة على الغافلين من ضعف اليقين لشهود المانعين والمنفقين أوائل فى الفعل من قبل ان الله تعالى أظهر العطاء والمنع بأيديهم فشهدوهم معطين مانعين لنقصان توحيدهم فاشركوا فى أسماء الله كما أشركت المبتدعة فى صفات الله عز وجل ان حجبوا عن شهادة سبق علم الله كما حجب الزائغون عن حقيقة توحيد الله تعالى الا أن شرك الزائغين ضلال ينقل عن الملة

---

لايكرهون الذكر قاله المفتون من السلف كالحسن البصرى ومن وافقه وأما النميمة فهى حرام قال الله تعالى هماز مشاء بنميم وقال تعالى حمالة الحطب قيل كانت نمامة حمالة للحديث الذى يشعل نار الفتنة وقال النبى صلى الله عليه وسلم أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة وقال أبو ذر قال النبى صلى الله عليه وسلم من أشاع على مسلم كلمة يسبه بها بغير حق سابه الله فى النار يوم القيامة وقال أبو الدرداء قال النبى صلى الله عليه وسلم أيما رجل أشاع كلمة على رجل وهو منها برىء يسبه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يسمعها فى النار يوم القيامة وحد النميمة على ما قاله الغزالى فى الاحياء انها كشف ما يكره كشفه سواء كان الكشف بالقول أم بغيره من كتابة أو رمز أو ايماء أو اشارة وسواء كان المكشوف قولا أو فعلا أو عيبا أو غير ذلك فحقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر لما يكره وليست مختصة بنقل كلام الشخص الى المقول فيه كقوله فلان تكلم فيك بكذا وكذا بل هى أعم من ذلك وأما المراء والمجادلة فالمراء هو الاعتراض على كلام الغير لاظهار خلل فيه اما فى اللفظ واما فى المعنى والباعث عليه محبة الترفع باظهار الفضيلة وتنقيص الغير بالطعن فى كلامه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا قال مالك بن أنس وهو

وهو شرك جلي وشرك ضعفاء اليقين غفلة وجهل لا ينفك من الهلاك لأنه شرك خفي وحكي أن بعض العلماء صلى خلف رجل فلما انفتل الامام نظر اليه فرآه غير مكتسب فقال ياشيخ من أين تأكل فقال اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك وحدثونا في معناه عن آخر انه لزم العكوف في المسجد ولم يكن ذا معلوم من عيش فقال له الامام الذي يصلي بالناس لو تكسبت وتعيشت كان أفضل لك فلم يجبه فأعاد عليه وقتا آخر نحو ذلك فقال يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقطعت بذلك تحرج حدثت التكسب فقال الامام ان كان صادقا في ضمانه فان عكوفك في المسجد خير لك فقال له الرجل ياهذا أنت لو لم تكن اماما للمسلمين تقوم بينهم وبين الله لنقص توحيدك كان خيرا لك وحدثت ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين أدرك لي لطف الفطنة وخفي اللطف فاني أحب ذلك قال يارب وما لطف الفطنة قال ان وقعت عليك ذبابة فاعلم اني أوقعتها فسلني أرفعها قال وما خفي اللطف قال اذا أتتك فولة مسوسة فاعلم اني قد ذكرتك بها وهذا الذي ذكرناه من ان الله سبحانه وتعالى هو المعطي المانع الضار النافع حيث كان هو الخالق الرازق كيف شاء ومتى شاء وبمن شاء هو في عقود عموم المؤمنين وفي علمهم الا أن فيهم جهلا بالحكمة وغفلة عن الحاكم يحيلون ذلك الى عاداتهم ويريدون أن يكون رزقهم من حيث معتادهم أو من حيث معقولهم باختيارهم ومعقولهم وبالعز والفخر والتطاول والانفة لا على الذل والتواضع والفقر والمسكنة ولا يكلون أمورهم الى الله ويرضون بتدبيره وتقديره أن يرزقهم كيف شاء وبيد من شاء فيؤثرون أخلاق الجبابرة على أخلاق المؤمنين لبعدهم من مشاهدة اليقين ولاستيلاء أخلاق النفس عليهم ثم ان نفوسهم مع علمهم ان الخلق والارض كلها لله عز وجل وان الحمد والملك له قد تطمع في غير الله وترجو سواه وقد تضطرب بجبلتها عند أثقال الحقائق وقلوبهم لا تطمئن بل تنزعج عند الابتلاء بالمصائب والفاقات ولا تصبر للخالق وان ألسنتهم قد تسبق بالمدح والفرح مع رؤية الاواسط أو بالذم والاسى على فوت العطاء لوجود الغفلة وذهابهم عن مشاهدة ما يعلمون فهذا دليل نقص توحيدهم وضعف يقينهم وان معرفتهم معرفة سمع وخبر لا معرفة شهادة وخبر وقد شركهم الموقنون بتسليم ذلك لتحقيق العلم والقدر ولاثبات الاواسط والاسباب لمجاري الحكمة وعود الثواب والعقاب على الخليقة ولكن زادوا عليهم بحسن اليقين وقوة المشاهدة وجميل الصبر وحقيقة الرضا فسكنت القلوب واطمأنت النفوس عند النوازل والبؤس وثبتوا في الابتلاء لشهود المبلي بدبر الخلائق كيف شاء فحصل لهم مقام في اليقين وحال من التوكل ونصيب من الرضا وخرج أولئك من حقائق هذه المعاني ودخلوا في عمومها ودخل عموم المؤمنين مع الموقنين في فرض التوكل قد جاوزهم الموقنون فارتفعوا عليهم وعلوا في فضله ووصف العموم ونكصوا عن العلو لعدم اليقين بهم وحجب الاسباب لهم وسبق المقربون الى الفضل ويؤت كل ذي فضل فضله هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وقال بعض العلماء احتجب عن العموم بالاسباب فهم يرونها وحجب الاسباب بنفسه عن الخصوص فهم يرونه ولا يرونها وحدثونا عن سري السقطي قال ثلاث يستبين بهن اليقين القيام بالحق في مواطن الهلكة والتسليم لامر الله عند نزول البلاء والرضا بالقضاء عند زوال النعمة وقال يوسف بن أسباط قبله كان يقال ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه من اذا رضي لم يخرجه رضاه الى باطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا قدر لم يتناول ما ليس له

* (ذكر التكسب والتصرف في المعايش) *

ولا يضر التصرف والتكسب لمن صح توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص من حاله قال الله سبحانه وجعلنا النهار معاشا وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل العبد من كسب يده وكل بيع مبرور وقد كان الصانع بيده أحب اليهم من التاجر والتاجر أحب اليهم من البطال وقال ابن مسعود اني لاكره أن يكون الرجل بطالا ليس في عمل دنيا ولا في عمل آخرة ولان التوكل من شرط الايمان ووصف الاسلام قال الله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين

---

رحمه الله المراء بغير التلبيس يؤثر الشحناء وأما المباهاة فتقسم منها قال عليه الصلاة والسلام (١٥) ماضل قوم الا أوتوا الجدال وقال عمر رضي الله عنه ينهى عن الجدال وضرب صبيغا بالدرة وطالبه بالتجريد لما تكلم في المتشابهات وأكثر من البحث فيها وهجر وأمر الناس بهجره والجدال عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح وتسبته الى القصور والعجز والجهل لكنه يباح عند الحاجة وذلك اذا كان لتحقيق مسئلة دينية فانه يباح في هذه الحالة بل يجب بشرط أن يقصد به اظهار الحق والاعانة على الارشاد للغير على الصواب وكانت مناظرة الصحابة والتابعين كلها معاونة على اظهار الحق واتباعا لسلوك جهة الصواب ولهذا كان قصدهم من المناظرة ثم أحدث من بعدهم هذه المصطلحات في المناظرة وفيها من الآفات شيء كثير ان أردت الاطلاع عليها فعليك بكتاب الاحياء وكتاب قوت القلوب وغيرهما من الكتب وأما المزاح الذي يغضب القلب فحرام لانه يؤثر الشحناء لما فيه من الايذاء قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها في النار أبعد من الثريا حكى ان الحسن البصري لم يضحك اربعين سنة ... لم يضحك ... ان عطاء السلمي لم يضحك أربعين سنة وهذا كان حال سائر عباد البصرة غلبت عليهم المخاوف قد كان حال ... الخوف ... الاتحاد ... و.

فاشترط في الايمان به والاسلام له التوكل عليه فان كان حال المتوكل التصرف فيما اقدره وجعل فيه ودخل في الاسباب وهو ناظر الى المسبب في تصرفه معتمد عليه واثق به في حركته متسبب فيما يقلبه فيه مولاه متعيش فيما اسبابه وتوجهه فيه عالم بأن الله تعالى قد أودع الاشياء منافع خلقه وجعلها خزائن حكمته ومفاتيح رزقه ويكون أيضا متبعا للسنة والاثر تاركا للترفه والتنعم فهو في تكسبه وتصرفه أفضل عمن دخلت عليه العلل في توكله فيما كتبنا وقد ذكرنا عن بعض العلماء انه رؤي يطحن برجله وكان قد ترك العمل أربعين سنة فقيل له دخلت في التكسب بعد ان كنت قد تركته فقال يا هذا اذا عدمنا عز التوكل لم نصبر على ذل الاستشراف فكذلك الامر فيمن دخلت عليه الآفة في ترك التكسب فليخرج منها الى الاحتراف ومن دخل عليه اليقين فاقتطعه فليقعد عن الاكتساب فالتكسب خير من التشرف الى الخلق واعتياد المسئلة وسالك على طريق فهو يصل وان كان في طريقه بعد والتوكل لمن أقعد به ناظر الى الوكيل أفضل لمن صح له لفراغ قلبه من الخلق وشغله بالخالق وهو طريق قريب فصاحبه مقرب والتارك التكسب طمعا في الخلق وترفها للنفس وحبا للمسئلة واتباعا للهوى سالك على غير طريق لا قريب ولا بعيد وهو عن المحجة تارك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لان يأخذ أحدكم فأسه وحبله فيذهب الى الجبل فيحتطب فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه وقال صلى الله عليه وسلم استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك يعني بفضله وقال من يضمن لي خصلة واحدة أضمن له الجنة لا يسأل الناس شيأ وقال بعض علمائنا من أنكر التكسب فقد طعن في السنة ومن أنكر القعود عن التكسب فقد طعن في التوحيد وقال بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم أصناف كما هم اليوم منهم التاجر والصانع والقاعد ومن يسأل الناس ومن لم يسأل الناس فما قال للتاجر اترك تجارتك ولا قال للقاعد اكتسب واصنع بل جاءهم بالايمان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله وقد كان بعض المتوكلين يقول من لم يصبر على جوع ثلاثة أيام أخاف أن لا يسعه ترك العمل اذا وجده وقال أيضا من فقد الاسباب فضعف قلبه أو كان وجودها أسكن لقلبه من عدمها لم يصح له القعود عن المكاسب لان فيه انتظار الغير الله وقال بعض العلماء من طرقته فاقة تسعة أيام فتصور في قلبه طمع في خلق أو استشراف الى عبد فالسوق أفضل له من المسجد وقال أبو سليمان الداراني لا خير في عبد لزم القعود في البيت وقلبه معلق بقرع الباب متى يطرق بسبب وقال بعض علمائنا اذا استوى عنده وجود السبب وعدمه وكان قلبه ساكنا مطمئنا عند العدم لم يشغله ذلك عن الله تعالى ولم يتفرق همه فترك التكسب والقعود لهذا أفضل لشغله بحاله وتزوده لمعاده وقد صح له مقام في التوكل وقال سهل وقد سئل متى يصح للعبد التوكل فقال اذا دخل عليه الضر في جسده والنقص في ماله فلم يلتفت اليه ولم يحزن عليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله عليه وقال ابراهيم الخواص وهو امام المتوكلين من المتأخرين ثلاثة مواطن حمل الزاد فيهن من آداب التوكل القعود في المسجد والركوب في سفينة وصحبة القافلة وقال سفيان الثوري العالم اذا لم يكن له معيشة صار وكيلا للظلمة والعابد اذا لم تكن له معيشة أكل بدينه والجاهل اذا لم تكن له معيشة كان سفيرا للفساق وقال بعض أهل المعرفة الناس ثلاثة رجل شغله معاده عن معاشه فهذه درجة الفائزين ورجل شغله معاشه لمعاده فتلك حال الناجين وآخر شغله معاشه عن معاده فهذه صفة الهالكين وروينا عن علي رضي الله عنه الرزق رزقان رزق يطلبك ورزق تطلبه ففسره بعض العلماء فقال الرزق الذي يطلبك هو رزق الغذاء والرزق الذي تطلبه مرزق التمليك وهو طلب فضول القوت وقال أبو يعقوب السوسي وقد كان له مقام مكين في التوكل التوكل على ثلاثة مقامات عام وخاص عام وخاص خاص فمن دخل في الاسباب واستعمل العلم وتوكل على الله تعالى ولم يتحقق باليقين فهو عام ومن ترك الاسباب وتوكل على الله وحقق في اليقين فهو خاص عام ومن خرج من الاسباب على حقيقته بوجود اليقين ثم دخل في الاسباب فتصرف لغيره فهذا خاص خاص وهذا وصف الطبقة العليا

المزاح الذي لا يغضب القلب فهو مباح بل مستحب في بعض الاحوال لما فيه من جبر القلب وتطييب النفس قال النبي صلى الله عليه وسلم لصهيب وهو يأكل تمرا وكان أرمدا تأكل التمر وأنت أرمد فقال يارسول الله أنا آكل على الجانب الآخر ومازح النبي صلى الله عليه وسلم أنسا غلامه وكان صبيا اذ ذاك وقال له ياذا الاذنين قال أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي في شيء فعلته لم فعلته ولا في شيء تركته لم تركته وكان يمازحني وربما قال لي ياذا الاذنين وقال اني أمزح ولا أقول الا حقا وأما الاطراء في المدح كما جرت عادة الناس عند زيارة الرؤساء المحتشمين من أهل الدنيا فحرام قال النبي صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين وفي الاطراء بالمدح ست آفات احداها ان المادح قد يقع في الكذب عند الافراط في المدح الثانية انه قد يظهر من الحب ما لم يكن عنده وذلك نفاق الثالثة انه قد يقول فيه ما لا يتحققه فيكون مجازفا الرابعة انه يفرح الممدوح وربما كان ظالما فيعصي بادخاله السرور على قلب الظالم الخامسة انه يمدحه فيحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان السادسة أن يغتر بمدحه فيفتر عن العمل ويرضى بنفسه وعلمها بما هو ذ به وعلاج ذلك أن ينظر الممدوح الى عيوب نفسه ويتذكر ما يعرف من قبائحها فلا يؤثر فيه عند المدح شيأ

من

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرة وغيرهم بوجودهم اليقين من الدنيا فادخلهم العلم في الاسباب لغيرهم ردت عليهم أحوال الغير واتسعوا بالعلم على حقيقة اليقين ولذلك كان الخواص رحمه الله تعالى يقول دخول الخصوص في الاسباب لغيرهم ردت عليهم أحوال الغير وجعلوا رازقين لهم فتصرفوا فيها لاجلهم وهم بريئون من التعلق بها وقد كان أبو جعفر الحداد شيخ الجنيد أحد المتوكلين وقال أخفيت التوكل عشرين سنة ولا فارقت السوق أكتسب في كل يوم دينارا وعشرة دراهم أبيت منه دانقا ولا أستريح فيه الى قيراط أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرة أبي جعفر يقول أستحي من الله أن أتكلم في مقام هو وهو حاضر وقد شرط النبي صلى الله عليه وسلم للعطاء ترك المسئلة والاستشراف تنزيها للفقراء وردا لهم الى الله تعالى لان في مسئلة العبد الفقير ذلا وتذليلا وحرصا على الدنيا جايلا وفي الاستشراف الى العبيد طمع في غير مطمع ونظر الى غير الله واتيان البيوت من غير أبوابها ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن فتح على نفسه باب مسئلة فتح الله عليه باب فقر فكان الفقراء الصادقين جعل لهم أخذ العطاء بل ندبوا الى قبوله عوضا لهم من ذلك لما منعوا من الاستشراف والسؤال تنزيها لهم وتفضيلا فمثلهم في هذا مثل أهل البيت جعل لهم خمس الخمس من الغنائم لما حرمت عليهم الصدقة تفضيلا لهم وتشريفا وقد كان أحمد بن حنبل رحمه الله أمر أبا بكر المروزي أن يعطي بعض الفقراء شيئا فيه فضل عما كان استأجره عليه فرده فلما ولى قال له أحمد الحقه فادفعه فانه يأخذه قال فلحقه المروزي فدفعه اليه فأخذه فسأل أحمد عن ذلك كيف رد في الاول وأخذ في الثاني فقال انه كان قد استشرف لذلك فرده وقد أحسن فلما انصرف أيست نفسه منه فلذلك قبل وقد كان الخواص اذا نظر الى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس له لم يقبل منه شيئا وكان يقول صوفي لا يكون بعريف وهذا كله يحسن في حال المنفرد فأما ذو العيال فالامر عليه واسع من ذلك ولا بأس أن يأخذ لعياله كما يأخذ لاجل غيره من الناس لان عياله عيال الله عنده فقد وكلهم وأجرى أرزاقهم على يده فان طلب لهم وحث على استخراج حقهم مما أوجب الله لهم لم ينقص ذلك من حاله وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سعد بن الربيع وبين عبد الرحمن بن عوف فقال له سعد أشاطرك مالي وأهلي فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق فعمل يومه ذلك فراح بشيء من سمن واقط فلو كان التكسب في الاسواق ينقص التوكل لم يختر عبد الرحمن وهو امام الائمة ما ينقص توكلا ولكنه أحب احتمال المشقة على نفسه وكره التنعم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين وروي فضالة بن عبيد أشعث أغبر حافيا وهو أمير مصر فقيل له أنت هكذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن الارفاه وأمرنا أن نحتفي احيانا ثم اختار عبد الرحمن أيضا ايثار أخيه بما أرمه رعاية لحق اخوته ولان الله تعالى قد ندب الى الايثار ووصف به الاحباب وأعلى من عبد الرحمن مقاما امام الائمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة أخذ الاثواب تحت حضنه ودخل السوق ينادي فهذا في أتم أحواله حين أهل للخلافة وأقيم مقام النبوة حتى اجتمع المسلمون وكرهوا له ذلك فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان أضعتهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين لا وكس ولا شطط فلما رضوا أجمعوا بذلك وأنفقوا عليه ترك السوق لشغله بهم وبامورهم ألا تراه كيف آثر القيام بحقه وما أوجب الله عليه لاهله وتواضع لله في حال رفعته وأسقط الخلق عن عينه حتى كره المسلمون ذلك فتركه لحكم ثان فكذلك التوكل لا يزال مع الحكم الاول حتى ينهج الله له طريقا آخر فيسلكه بطريق ثان وقد كان بعض علماء السلف يجمع اليه الناس للكلام عليهم فكان يقول لهم اعلموا ان أهلي يحتاجون الى باقة بقل ما تكلمت عليكم ففي هذا بيان وبرهان لمن لم تستهوه الاهواء في انكار التكسب على أهل التوكل احتجاجا بالسنة واعتدادا من بطالته

وحينئذ ليس الخبر كالمعاينة وصاحب الدار أدرى بالذي فيها وأما تزكية النفس بكثرة الدعاوي والعلم والديانة فهو حرام قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ومادح نفسه ان كان كما قال فحسن نفسه لم يسلم من الرياء والعجب وان لم يكن كذلك فهو كاذب قال النبي صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعطه كلابس ثوبي زور وأما الشتم واللعن والنبز والدعاء على الناس فهو حرام قال النبي صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن لا يكون لعانا وقال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب والاخبار في هذا كثيرة وأما الاستهزاء والسخرية بالناس فحرام قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم الآية ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب على وجه يضحك منه وذلك يكون بالقول والفعل كالمحاكاة وبالاشارة وبالغمز والرمز

*(فصل في النظر الى محارم الله تعالى)* يجب عليك أن تحفظ عينك عن ثلاثة أشياء أحدها عن أن تنظر بها الى مسلم بعين الازدراء والاحتقار الثاني أن لا تطلع بها الى عيب مسلم الثالث تحفظها عن النظر الى صورة مليحة من امرأة أجنبية أو أمرد بشهوة فانها لم تخلق لذلك بل خلقت لرؤية النزهات المباحة ولتهتدوا بها في الظلمات وتستعينوا بها في الحاجات وتنظروا بها الى

ولا يسمع العلماء في الدين الا البيان وكشف حقيقة العلم بالبرهان فالتكسب والاسباب طرق أودعها الله العطاء والارزاق لاهي تعطي وترزق بمنزلة الاواسط من الاشخاص فالمتوكل المتسبب موقن ان الله سبحانه هو المعطي والمانع وانه هو المسبب الرازق وانه هو الاول في التصريف والآخر في التقليب فقلبه ناظر الى القسام ونفسه ساكنة الى القسم وقلبه قانع راض بالمقسوم وجسمه متحرك في المعلوم الذي وجه فيه وسبب له وهو عارف بمقامه وبالمراد منه راض بعمله وما فقد استغنى فيه والزم اياه والذي ينقص المتوكل ويخرجه من حد التوكل اكتساب الشبهات والاستكثار أو السعي بالتكسب للجمع والافتخار أو الحرص على طلب ما حظر العلم عليه أو طلب ما يكره المثل لعينه أو التسخط للاقدار اذا لم تؤاته على ما قدر أو ترك النصح لمن عامله بان يحتال عليه أو يدبر أو التشرف الى الخلق أو الطمع في سبب فهذا كله لا يصح معه التوكل وقد قال بعض العلماء ان العبد اذا دخل السوق للتكسب فكان درهم أحب اليه من درهم غيره لم ينصح للمسلمين في المبايعة وهذا عنده يخرجه من التوكل ودخول الآفات وما كنتها القصور علم أو غلبة فهو يخرج العبد من التوكل وهو أن يكون متوكلا على الناس بأن يطمع فيهم أو يتصدى لهم بالتعرض والتصنع أو يكون متوكلا على صحة جسمه ودوام عوافيه وانه لا يرزق الامن كده أو يكون متوكلا على ماله بأن يثق به ويطمئن اليه ويحسب انه ان افتقر انقطع رزقه وعلامة ذلك ضنته به واعداده له عدة لكذا وعدة لكذا فهذه المعاني تخرج من التوكل فقد تخفى دقائقها وتدق حقائقها الا على جهابذة العلماء الراسخين في العلم المتضلعين باليقين القائمين على الدوام بالشهادة فمن نظر الى هذه المعاني من الاسباب والاشخاص أو سكن اليها سكون انس فتقوى قلبه بوجودها فانه يضطرب ويستوحش أو يضعف قلبه لفقدها فهي علة في توكله وروينا عن بشر بن الحرث قال ان العبد ليقرأ اياك نعبد واياك نستعين فيقول الله تعالى كذبت ما اياي تعبد ولا بي تستعين لو كنت تعبد اياي لم تؤثر هواك على رضاي ولو كنت بي تستعين لم تسكن الى حولك وقوتك ولا الى مالك ونفسك وان التارك للتكسب والتصرف في الاسواق اذا كان في أدنى كفاية وأعين بالصبر والقناعة في مثل زماننا هذا أفضل وأتم حالا من المتكسب اذا خاف أن لا ينال المعيشة الا بمعصية الله من دخوله في شبهة عيانا أو خيانة لاخوانه المسلمين ولانه قد تعذر القيام بشرائط العلم مع مباشرة الاسباب وكثرة دخول الآفات والفساد في الاكتساب فترك ملابسة أهل الاسواق ومخالطتهم على هذا الوصف المكروه أقرب الى السلامة لبعده من رؤية الاشياء وفقده مباشرتها لان الحكم متعلق بالرؤية ومثل الحرام مثل المنكر اذا لم تره سقط عنك حكمه وليس الخبر كالمعاينة ولا المجاورة كالمباشرة ولا المعاين كالمخبر وذلك كمن زال عن حقيقة الكعبة على البعد الا انه متوجه الى الشطر فصلاته جائزة ولو زال عنها أنملة مع المعاينة لها بطلت صلاته والتكسب ليس بفرض وقد يفترض بأحد معنيين بوجود العيال وعدم كفايتهم من وجه من الوجوه المباحة أو بأن يقطع عدمه عن فرض ويضعف عنه مع فقد ما يقام به الفرض بما لا بد منه وقد كان بشر بن الحرث ترك التكسب وكان يتكلم في الحلال ويشدد فيه فقيل له يا أبا نصر فأنت من أين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكي مثل من يأكل وهو يضحك وقال مرة ولكن يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وقد كان الثوري خمسون دينارا يتجر له بها ثم أخذها في آخر أمره ففرقها على اخوانه وترك التكسب ويقال انه فعل ذلك لما مات عياله وليس للعبد أن يحمل حال عياله على حاله الا أن يكون اختيارهم كاختياره وصبرهم على فقرهم ومعرفتهم بفضله كمعرفته فجائز حينئذ أن يسير بهم سيرته ويسقط عنه التكسب لاجلهم لانهم كهو في الحال مع سقوط المطالبة منهم له بحقوقهم عليه وقد فعل ذلك جماعة من السلف وبعض العارفين يفضلون من لا معلوم له على من له معلوم وهم لا يرون ترك التكسب أفضل لانه معلوم وبعد هؤلاء سكون القلب مع وجود المعلوم علة ولكن اذا سكن قلبه مع غير معلوم واجتمع همه وانقطع طمعه في حال المعدوم فهذا هو

المقام

* * *

فيه آيات ملكوت الارض والسموات وحكم المخلوقات *(فصل في سماع المحرم من الغيبة والفحش من الكلام)* وعليك أن تحفظ أذنك عن سماع كلام المبتدعة في الدين والعقائد وعن سماع الغيبة والفحش من الكلام وعن سماع الهجر والتغزل بالمردان أو بامرأة معينة وعن سماع المزامير والاوتار فانهما لم تخلق لذلك بل خلقت لتسمع بهما كلام الله وكلام رسوله وتتوصل بهما الى الاطلاع على معاني القرآن وتدبر ألفاظه وفهم أسراره وحكمه وتسمع بهما المواعظ من كلام الله وكلام رسوله والزجر والوعيد والامثال والترغيب والترهيب والتهذيب فاذا أصغيت بهما الى شيء من المكاره فقد استعملتها في غير ما ينبغي لها وخبت وخسرت وكان فقدهما لك خيرا من وجودها

*(فصل في صيانة اليدين والرجلين عن المحرمات)* يجب عليك أن تحفظ يديك عن البطش بغير حق أو تشير بهما الى غيبة مسلم أو انتقاصه والتهزؤ به أو تكتب بهما ما لا يجوز وعن البطش باليد وبالجملة فصنهما عما يصان به اللسان من الكلام فان الكتابة كلام اليد كما ان الالفاظ كلام اللسان وأما الرجلان فصنهما عن أن تمشي بهما الى حرام أو تسعى بهما الى باب ظالم من غير ضرورة فقد خلقتا لتمشي بهما في ضرورات معيشتك وتسعى بهما الى المساجد ومواضع الذكر والعبادة فاسمع ذلك واعمل به ترشد

المقام وتفصيل هذا في التوسط من المقال عندي والله أعلم ان العبد لا يفضل بنفس عدم المعلوم كما لا يفضل بنفس القعود من المكاسب وانما يفضل بحاله من مقامه فاذا كان ذو المعلوم أحسن معرفة وأقوى يقينا فضل على من لا معلوم له ولا يكون سكون القلب وطمأنينة النفس أيضا مع وجود المعلوم علة في الحال على قدر المقام ولكن لا يكون مقاما يرفع به ولا حالا يفضل فيها الا أن الطمع في الخلق وتشتت القلب مع وجود معلوم الكفاية نقصان عند الكل وعندي وقطع الطمع في الخلق واجتماع القلب مع العدم أفضل وأعلى درجة عند الجماعة وفي حديث حبة وسواء ابني خالد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤسكما فان ابن آدم تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ناوله التمرة لو لم تأتها لأتتك ويقال ان العبد لو هرب من رزقه لأدركه كما لو هرب من الموت لأدركه الموت وان الرزق لا ينقطع عن العبد حتى يظهر له ملك الموت فحينئذ ينقطع عنه رزق الدنيا ويتصل به رزق الآخرة فيكون أول رزق الآخرة آخر رزق الدنيا ولا آخر لهذا الرزق وقال سهل بن عبد الله التستري لو أن العبد سأل الله أن لا يرزقه لم يستجب له ولقال له يا جاهل أنا خلقتك ولا بد من أن أرزقك أبدا وقال وقد سئل عن القوت فقال هو الحي الذي لا يموت فقيل انما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسد فقال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه أما رأيت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها وقال الخواص وقد روينا عن سهل ان الله تعالى يلقي على الخصوص الفاقة ويحوجهم الى الخلق بالطمع فيهم ويلقي في قلوب الخلق المنع لهم فيحرمهم ما في أيديهم ليردهم اليه فاذا رجعوا اليه آيسين منقادين رزقهم من حيث لا يحتسبون ومن علامة الخصوص انهم اذا استشرفوا الى شيء حرموا ذلك الشيء واذا اشتكوا الى عبد سلط عليهم ليرفع سكونهم اليه وقد كان بعضهم اذا جاءه السبب بعد تطلع اليه رده ومنهم من كان يخرجه ولا يتناول منه عقوبة لنفسه وكان ذو النون المصري يتكلم على اخوانه في علم التوحيد والمعرفة فسأله غلام شاب عن الخبز من أين هو فقال خذوا بيده واذهبوا به الى الصوفية حتى يعلموه الادب وقد حكي عن معروف أبي محفوظ الكرخي انه ذكر له انقباض بشر عن الاسباب التي تفتح له فقال ان أخي بشرا قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة الا أن معروفا كان لا يأخذ السبب الا عند الحاجة ويأخذ منه ما لا بد له منه وكان لا يدخر وكان قصير الامل لم يكن يأمل البقاء من وقت صلاة الى صلاة أخرى كان اذا صلى الظهر يقول للجيران اطلبوا لكم من يصلي صلاة العصر وكان يقول انما أنا ضيف في دار مولاي ان أطعمني أكلت متى أطعمني وان أجاعني صبرت حتى يطعمني وقد كان أبو محمد سهل يقول المتوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحبس

*(ذكر الادخار مع التوكل)* ولا يضر الادخار مع صحة التوكل اذا كان مدخرا لله وفيه وكان ماله موقوفا على رضا مولاه لا مدخرا لحظوظ نفسه وهواه فهو حينئذ مدخر لحقوق الله التي أوجبها عليه فاذا رآها بذل ماله فيها والقيام بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيد بها علوا وحدثونا عن بعض أصحاب بشر بن الحرث قال كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه كهل أسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رأيته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب قال وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته بين يديه فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فأخذه الرجل فجمعه في ثوبه وجعله تحت يده وانصرف قال فعجبت من فعله ذلك وكرهته له اذ لم يأمره بشر بذلك ولا هو استأذنه فيه فقال لي بشر بعد ذلك لعلك أنكرت فعله ذلك قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير اذن فقال تعرفه قلت لا قال ذلك أخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما أراد أن يعلمنا أن التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار وترك الادخار انما هو حال من مقامه قصر الامل وقد يصح التوكل مع تأميل البقاء فان كان أمله الحياة للطاعة لمولاه وخدمته والجهاد في سبيل الله فضل ذلك

*(فصل)* يلي في مذموم أعمال الجوارح الزنا ومقدماته والسرقة وشرب الخمر (١٩) وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وقتل النفس بغير حق والغصب وكل هذه قبائح عظيمة الذنب كبيرة الاثم فاجتنبها كل الاجتناب تأمن من سطوة منزل العذاب يوم العرض والحساب فهذا ما يحرم ويكره من أفعال الجوارح الظاهرة وأما ما يحرم ويكره من أفعال القلب فالجهل والغفلة وغرور الدنيا والنفس والشيطان وعداوته والشهوة والهوى واللهو والانتصار للنفس والقيام مع حظوظها وسوء الظن والتجسس والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس والحسد والغضب والغيظ والعداوة والبغضاء واتخاذ اخوان العلانية على معاداتهم في السر والغل والحقد والامن من مكر الله وعذابه والاشر والبطر والرغبة في الدنيا وخوف الفقر والشره والطمع وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالمساكين والفخر والخيلاء ومحبة الرياسة والجاه والرياء والمداهنة والغش والمكر والخيانة والطيش وقلة الحياء وزوال الحزن من القلب والفرح بالدنيا والقسوة وقلة الرحمة وقلة الشفقة على خلق الله والكبر والعجب ومحبة الثناء والمدح فهذه وأمثالها من أعمال القلب وصفاته المذمومة ومغارس الفواحش ومنابت الاعمال السيئة فلنذكر منها ما تيسر ذكره

*(باب الجهل والغفلة وغرور الدنيا والنفس والشيطان وعداوتهم)*

وهذا طريق طائفة من الراجين والمستأنسين وان كان أمله في الساعة لأجل متعة نفسه وأخذ حظه وطلبها من دنياه نقص ذلك من زهده في الدنيا فسرى النقص الى توكله وما نقص من الزهد نقص من التوكل بحسابه وليس ما زاد في الزهد زيد في التوكل بحسابه لان الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم الزهد فكل متوكل ذي مقام زاهد لا محالة وليس كل زاهد في مقام متوكلا لان التوكل مقام والزهد حال والمقامات للمقربين والاحوال في أصحاب اليمين الا أن من أعطى حقيقة الزهد فانه يعطى التوكل لا محالة لان حقائق الاحوال هو ثبوتها ودوام استقامة أهلها فيها ولزومها القلوب هي مقامات فاذا جاز للمتوكل تأميل البقاء لشهر أو شهرين جاز له الادخار لذلك الا ان طول الامل يخرج من حقيقة التوكل عند الخواص ولا يخرجه من حده عندي وأكره للمتوكل الادخار لاكثر من أربعين يوما كما يكره تأميل البقاء لاكثر من أربعين ومن ادخر لاصلاح قلبه وتسكين نفسه وقطع تشرفه الى الناس أن كان مقامه السكون مع المعلوم فالادخار له أفضل فاما من ادخر لعياله لتسكن قلوبهم ولوجود رضاهم عن الله ولسقوط حكمهم عنه ليتفرغ لعبادة ربه فهو فاضل في ادخاره اتفقوا عليه ولانه في ذلك قائم بحكم ربه راع لرعيته التي هو مسؤول عنها وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ليس ذلك وقد نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيأ لغد ونهى بلالا أيضا من الادخار ليقتدي به أهل المقامات في ذلك كما روى انه قبض صلى الله عليه وسلم وله بردان في الخف ينسجان وقد كان عليه السلام أقصر املا من ذلك كان يبول فيتيمم قبل أن يصل الى الماء فيقال له في ذلك ان الماء منك قريب فقال وما يدريني لعلي لا أبلغه ولكن فعله لئلا يأثم من طال أمله من أمته فجعل فعله نجاة له فهذا يدلك أن الادخار يتسع ويضيق على قدر مشاهدات العارفين من قبل أن الشرع يتسع بالرخص والعزيمة فالعزائم من الدين للاقوياء الحاملين والرخص من الدين للضعفاء المحمولين وقد كان الخواص يدقق في أحوال التوكل ويذكر أن الادخار يخرج من حد التوكل ولم يكن يفارقه أربعة أشياء وكان يقول ادخارها من تمام حال المتوكل لانها من أمور الدين الركوة والحبل والابرة والخيوط والمقراض وكان سهل يضرب المدخر مثلا في قصر الامل وطوله فيقول لمثل من يترك الادخار مثل رجل يقول أريد أن أخرج الى الابلة فيقال له خذ رغيفا فان قال أريد أن أخرج الى عبادان قيل له خذ رغيفين فان قال أريد أن أخرج الى العسكر قيل له خذ أربعة أرغفة قال فكذلك ترك الادخار على قدر قصر الامل وطوله وأعجب ما سمعت في انقطاع الامل ما حكى أن موسى والخضر اجتمعا فشكا موسى الى الخضر الجوع فقال اقعد فقعد فتكلم الخضر بشئ فأقبل ظبي يخيض حتى وقف بينهما فوقع نصفين نصفه الى الخضر مشويا ونصفه الى موسى نيأ فقال له الخضر قم فاقدح نارا واشو نصيبك وأخذ الخضر يأكل ففعل ذلك موسى ثم سأله لم وقع نصفه الي مشويا فقال انه لم يبق لي في الدنيا أمل وعلى ذلك فان الادخار ينقص من فضائل الزاهد بمقدار ما يمنع من حقيقة الزهد وفي حديث شهر بن حوشب عن أبي أمامة فذكر الفقير الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وأسامة فغسلاه وكفنه ببردته فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية فقلنا وما هي يا رسول الله قال انه كان صواما قواما كثير الذكر لله غير انه كان اذا جاءه الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاءه الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه من قابل ثم قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وحدثونا عن بعض العارفين قال رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وكان الناس يساقون زمرة زمرة الى الجنة على طبقات قال فنظرت الى طبقة أحسن الناس هيئة وأعلاهم مرتقى وأسرعهم سبقا فقلت هذه أفضلهم أكون فيهم قال فذهبت لاختلط اليهم وأدخل معهم في طريقهم فاذا بملائكة حولهم قد منعوني وقالوا قف مكانك حتى يجيء أصحابك فتدخل معهم فقلت تمنعوني أن أكون مع هؤلاء السابقين فقالوا هذا طريق لا يسلكه الا من لم يكن له الا قميص واحد ومن كل شئ واحد وأنت لك

قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال تعالى وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان جائعان في غنم تفرقت احداهما في أولها والاخرى في آخرها بأسرع منه فسادا من امرئ في دينه يبتغي شرف الدنيا ومالها قال العلماء أرباب المعارف والبصائر الغرور هو نوع من الجهل وهو أن تعتقد الشئ وتراه على خلاف ما هو به فالغرور سكون النفس الى ما يوافق الهوى وتميل اليه الطبائع عن شبهة وخدعة من الشيطان ومن اعتقد انه على خير وصلاح عن شبهة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه فأكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت أصناف غرورهم وأشدهم غرورا الكفار آثروا العاجلة على الآجلة وقالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فاذا هي خير وقالوا لذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة الآية وصدورهما من الكفار لعدم ايمانهم بالبعث والثواب والعقاب وأما المبتدعة والفساق وأهل المعاصي فهم أصناف صنف اغتر باعتقاده والارجاء وهم طائفة المرجئة غرتهم الشبه في الارجاء وصنف منهم غره التسويف والامل

قيصان ومن الاشياء وجات قال فانتبهت بما كاحز بنا فحطت على نفسي أن لا أملك من كل شيء الا واحدا وقد كان حذيفة المرعشي يقول منذ أربعين سنة لم أملك الا قميصا واحدا وكان كثير من السلف اذا استجد ثوبا أو شيأ أخرج الاول منهما وكانوا يستعملون الشيء الواحد من الاشياء الكثير فهذا كله داخل في التعلق بالزهد وهو من فضائل المتوكلين والخبر المشهور أن رجلا من أهل الصفة توفي فما وجدوا له كفنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه قال فوجدنا داخل ازاره دينارين فقال كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف عدة فلا يقول له ذلك لان هذا كان حاله الزهد واظهار الفقر فعابه الادخار (ذكر التداوي وتركه للمتوكل) وتفصيل ذلك ولا ينقص التداوي أيضا توكل العبد لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر به وأخبر عن حكمة الله تعالى فيه فقال صلى الله عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال عليه الصلاة والسلام تداووا عباد الله وسئل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر فقال هي من قدر الله وفي الخبر المشهور ما مررت بملا من الملائكة الا قالوا أمتك بالحجامة وفي الحديث انه أمر بها فقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم ففي ذكر تبيغ الدم دليل على توقيت هذا العدد من الايام للحجامة الا انه أريد به هذه الايام من الشهر واحسبه لاهل الحجاز خاصة لشدة حر البلد كقول عمر رضي الله عنه في الماء المشمس انه يورث البرص سمعت أن ذلك في أرض الحجاز خاصة وكان من سيرة السلف أن يحتجموا في كل شهر مرة الى أن يجاوز الرجل الاربعين وكانوا يستحبون الحجامة في آخر الشهر وقد روي في خبر منقطع من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة وقد روينا من طريق أهل البيت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب دواء كل سنة والتداوي رخصة وسعة وتركه ضيق وعزيمة والله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه وقد قال الله سبحانه وتعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج أي ضيق وربما كان المتداوي فاضلا في ذلك لمعنيين أحدهما أن ينوي اتباع السنة والاخذ برخصة الله وقبول ما جاءت به الحنيفية السمحة وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية وقطع لبعضهم عرقا وكوى آخر وقال لعلي رضي الله عنه وكان به رمد العين لا تأكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه أوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق أو شعير وقد تداوى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث من العقرب وغيرها وروي انه كان اذا نزل عليه الوحي صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء وفي الخبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وهو أعلى المتوكلين وأقوى الاقوياء فان قيل انما تداوى لغيره وليس ذلك قلنا فلا رغب عن سنته ولا زهد في بغيته اذا كان فعل ذلك لنا لئلا يكون معطلا لنا وتكون الرغبة عن سنته الى توهم حقيقة التوكل طعنا في الشرع وقد كان صلى الله عليه وسلم ظاهره للخلق ليقتفوا آثاره من ذلك انه صام في السفر في شدة الحر فكان يصب على رأسه الماء ويستظل بالشجر ليسن بذلك الرخصة في التبرد بالماء للصائم فقيل له ان قوما صاموا وقد شق عليهم فدعا بقدح فيه ماء فشرب وأفطر الناس فنزل حاله صلى الله عليه وسلم لاجلهم فقيل له ان قوما لم يفطروا فقال أولئك العصاة والمعنى الثاني الذي يفضل به المتداوي انه يحب سرعة البرء للطاعة ولخدمة مولاه والسعي في أوامره اذ كانت العلل قاطعة عن التصرف في العمل ومشغلة للنفس عن الشغل بالآخرة وذكر بعض علمائنا ان موسى عليه السلام اعتل علة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا لو تداويت بكذا لبرأت فقال لا أتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء قال فطالت علته فقالوا له ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا أتداوى فدامت علته فأوحى الله عز وجل اليه وعزتي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله اليه أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الاشياء وفي بعض الاخبار شكا نبي من الانبياء الى الله علة يجدها فأوحى

والطمع في العفو وصنف غرهم الستر فاسترسلوا في المعاصي ومنهم من غرهم العلم فتعلموا العلوم (٢١) وأحكموها وأهملوا بعقد الجوارح وحفظها عن المعاصي واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله تعالى بمكان وأنهم قد بلغوا مبلغا لا يعذب مثلهم بل يقبل بالخلق شفاعتهم وهم مغرورون بذلك ومنهم من غره التذكير والوعظ ومنهم من غره التكلم في أحوال النفس وآفاتها وخواطر القلب والتكلم على المقامات والمنازل والاحوال وهم قوم عوام الصوفية وقال السيد الامام ولي الله أبو عبد الله الحرث المحاسبي الغرة هي اعتماد القلب على ما لا ينبغي أن يعتمد عليه كاعتماد العالم على علمه والحكيم على حكمته والزاهد على زهده والعابد على عبادته والعارف على معرفته والعصاة على امهال الله تعالى اياهم والاغنياء على غناهم وهذا شرك فان الاعتماد ليس الا على وجه الله تعالى اذ لا ينجي أحدا عمله الا ان يتغمده الله برحمته والمعتزلة مغرورون لانهم رأوا لانفسهم أعمالا اعتقدوا وجوب الثواب والفوز بها واعلم ان الغرور قد يلتبس على العامة بالرجاء فيصرون على الفعل القبيح اغترارا بسعة رحمة الله تعالى وكثرة النعمة وجهلا بالفرق بين الرجاء والغرور فان الرجاء انما يتحقق عند وجود أسباب الفلاح وطرق النجاح فيأتي بالطاعات ويرجو قبولها والثواب عليها والغرور يكون عند عدم أسبابه

الله اليه كل البيض وفي خبر آخر ان نبيا من الانبياء شكا الى الله تعالى الضعف فأوحى الله اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قال الشيخ أحسبه الضعف عن الجماع وذكر وهب بن منبه ان ملكا من الملوك اعتل علة وكان حسن السيرة في أهل مملكته فأوحى الله تعالى الى شعيا النبي صلى الله عليه وسلم قل له اشرب ماء التين فانه شفاء من علتك وقد روينا أعجب من ذلك ان قوما شكوا الى نبيهم قبح أولادهم فأوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد فقد كانوا يطعمون الحبالى السفرجل والنفساء الرطب وهذا والله أعلم يكون في الشهر الثالث والرابع من حملها وعلى ذلك كله فان ترك التداوي أفضل للاقوياء وهو من عزائم الدين وطريقة أولي العزم من الصديقين لان في الدين طريقين طريق تبتل وعزيمة وطريق توسع ورخصة فمن قوي سلك الطريق الاشد فهو أقرب وأعلى وهذه المقربين وهم السابقون ومن ضعف سلك الطريق الارفق وهو الاوسط الا انه أبعد وهو لاصحاب اليمين وهم المقتصدون وفي المؤمنين أقوياء وضعفاء ولينون وأشداء وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي أحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير وروي عنه صلى الله عليه وسلم في المؤمنين من هو أشد في الله عز وجل من الحجارة وفيهم من هو ألين من اللبن وقال في وصف الاقوياء مثل المؤمن كمثل النخلة لا يسقط ورقها وقال الله تعالى في معنى ذلك أصلها ثابت وفرعها في السماء وقال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل السنبلة تفيئها الرياح يمينا وشمالا وقال عليه السلام في صفة المؤمن المطعم مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبا ووضعت طيبا وقال في وصف المستطعم مثل المؤمن كمثل النملة تجمع في صيفها لشتائها فأوصاف المؤمنين متفاوتة في الضعف والقوة وفي الجبن والشجاعة وفي الصبر والجزع فشتان بين من شبه في القوة والعلو بالنخلة قلبه ثابت وهمه في السماء يطعم جناه ولا يدخر الى من شبه بالنملة في الضعف والذي يستطعم ويحتكر وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما ومدحهم انهم لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وذكر انهم يدخلون الجنة بغير حساب فعلل بالتوكل وأخبر انهم تركوا ذلك توكلا ثم سأله عكاشة ان يدعو الله ان يجعله منهم ففعل لانه رأى ذلك طريقه ورأى معه زاده وشهد فيه القوة فأهله لذلك فلما قال له الآخر ادع الله ان يجعلني منهم والمقامات لا يقتدى بها ولا يتمثل فيها كالايدي لانها مواجيد قلوب بأتعاد قريب ومشاهدات غيوب بأشهاد حبيب فلما لم ير ذلك طريقه ولم يشهد معه زاده لم يؤهله لذلك ووقفه على حده وحكم عليه بضعفه فرده ردا جميلا لانه كان حييا كريما فقال سبقك بها عكاشة فهذا كما يقول الحاكم الحكيم اذا ضعف أحد الشاهدين زدني شاهدا آخر ولا يصرح بجرح الشاهد ولو عدله لقبله ولم يطلب الزيادة والا فالمقامات لا تضيق لمن سبق اليها والرسول غير بخيل مع قوله تعالى شاهدا له وما هو على الغيب بضنين ولكن لم ير فيه شاهد التمكن القوة وتبين فيه الضعف عن الحمل فلم يخاطر به وقد نهى عن الكي في غير حديث وقال لرجل أراد ان يداوي أخاه الا انه مات من علته فقال أما لو رأيت رأيته لعلمت أن عمايم جس في بعض النفوس ان الشفاء والنفع من فعل الدواء وذلك من الشرك فكره المحققون بالتوحيد التداوي خشية دخول ذلك عليهم وروي عن موسى عليه السلام يارب ممن الدواء والشفاء قال مني قال فما يصنع الاطباء قال يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي أو قضائي وقد كان ابن حنبل يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من الاشربة وغيرها واعتل عمران بن حصين فأشاروا عليه ان يكتوي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه زياد بذلك وكان أميرا حتى اكتوى فكان يقول كنت أرى نورا وأسمع صوتا وأسمع تسليم الملائكة علي فلما اكتويت انقطع ذلك عني وفي خبر كانت الملائكة تزوره فيأنس بها حتى اكتوى فكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما أفلحنا ولا أنجحنا ثم تاب من ذلك وأناب الى الله تعالى فرد الله عليه ما كان يجد من أمر الملائكة وقال مطرف بن عبد الله ألم تر ان الكرامة التي

النجاح والفلاح ومدار الغرور كله على الجهل قال أصحاب المعارف والاخلاص حجب الله تعالى الخلق في الدنيا بثلاث حجب حجاب الشك والفكرة في طلب الاعداء الاهانة وحجاب الغفلة والشبهة في قلوب العوام للمحنة وحجاب الحس لزيادة الهيبة فيزول الاول في الدنيا والثاني في الدنيا عند الموت والثالث انما يزول في الآخرة ولما سد باب الرؤية على الخلق في الدنيا فتح عليهم فيها أبواب الادلة فمن عمي عن أبواب الادلة دخل في أبواب الشبه وكان من المغرورين

(فصل) والنفس الامارة هي شر أعداء الانسان ولهذا اسعت في شروره وهي أشد عداوة من الشيطان قال الله تعالى حكاية عن ابليس ما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ولان الشيطان عدو مباين للانسان بخلاف الدنيا والنفس فانهما عدوان من داخل فعداوتهما أشد فان قيل الشيطان أيضا عداوته من داخل لانه يجري من ابن آدم مجرى الدم قلنا النفس تصل الى أماكن من القلب لا يصل اليها الشيطان ولا تخرج الا بالموت والشيطان ... يدخل ... دليل رابع هوان النفس مباشرة للمعاصي والشيطان والدنيا متسببان وفي فتاوى العلماء بالاحكام تقديم المباشرة على السبب

كان أكرمني الله بها فردها علي بعد ان كان أشعره بفقدها فلولا ان ذلك كان عنده ذنبا لما ندم عليه وتاب منه ولولا ان ذلك كان نقصا ما صرفه الا لشكه عنه ومرض أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقيل له لو دعونا لك طبيبا فقال قد نظر الي الطبيب فقال اني فعال لما أريد وقيل لأبي الدرداء في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قيل أفلا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضني وقيل لأبي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما فقال اني عنهما لمشغول فقيل فلو سألت الله ان يعافيك فقال أسأله فيما هو أهم الي منهما وقيل لأبي محمد سهل متى يصح لعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله والنظر الى قيام الله عليه وقد كان أصاب الربيع بن خثيم الفالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا كانت فيهم الأوجاع وكانت فيهم الأطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئا وقد أصاب عبد الواحد بن زيد الفالج فعطل عن القيام فسأل الله أن يطلقه في أوقات الصلاة ثم رده الى حاله بعد ذلك فكان اذا جاء وقت الصلاة فكأنما أنشط من عقال فاذا قضى الصلاة رجع اليه الفالج كما كان قبل ذلك ومن لم يتداو من الصديقين والسلف الصالح أكثر من ان يحصى الا انه مخصوص لمخصوصين الم تر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ثم وصفهم بانهم لا يكتوون ولا يسترقون فقام اليه عكاشة بن محصن الاسدي فقال ادع الله ان يجعلني منهم فدعا له فقام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة فلم يمنعه من الدعاء بخلا عليه الا ان طريق الخصوص الأقوياء لا يسلكها العموم الضعفاء كما ان طريق العموم قد يزهد فيه الخصوص وأعجب ما سمعت قال بعض العارفين أصفى ما أكون قلبا اذا كنت محموما ومن مواجيد العارفين ما حكي لنا ان موسى والخضر عليهما السلام اجتمعا في فلاة من الارض فشكا موسى الى الخضر الجوع فقال له الخضر اجلس بنا حتى ندعو فتكلم الخضر بشيء فاقبل ظبي حتى وقع بينهما منصفين نصفه الى الخضر مشويا ونصفه الى موسى نيا فقال له الخضر قم فاحمل همومها كما حملت همومها فاوقد نارا واشو نصيبك وكل قال فقدح موسى نارا واشعل حطبا وشوى نصيبه فلما فرغ قال الخضر كيف وقع نصفه اليك مشويا قال انه لم يبق لي في الدنيا أمل وقيل عنه أيضا مرة أخرى انه ليس لي في هذا الخلق حاجة وقد كان مذهب سهل ان ترك التداوي وان أضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوي لأجل الطاعات وكانت به علة فلم يكن يتداوى منها وقد كان يداوي الناس منها وكان اذا رأى العبد يصلي من قعود أولا يستطيع أعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام في الصلاة والنهوض الى الطاعة يعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع رضاه بحاله أفضل له من التداوي للقوة ويصلي من قيام وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل الى شيء من الدواء فانما هو سعة من الله لأهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو أفضل لانه ان أخذ شيئا من الدواء ولو كان الماء البارد سئل عنه لم أخذته ومن لم يأخذ فليس عليه سؤال وقال من لم يأخذ الماء البارد فليس عليه سؤال وقال من يأخذ الماء البارد على سبيل الدواء سئل وأصله في هذا ان عنده من أفضل الأعمال ان يضعف العبد قوته حتى لا يكون لنفسه حركة لأجل الله تعالى وان ذرة من أعمال القلوب مثل التوكل والرضا والصبر أفضل من أمثال الجبال من عمل الجوارح وهذا مذهب البصريين في اسقاط القوة بالجوع الطويل والطي الكثير لتضعف النفس لان عندهم ان في قوة النفس قوة الشهوات وغلبة الصفات وفي ذلك وجود المعاصي وكثرة الهوى وطول الرغبة والحرص على الدنيا وحب البقاء يقول اذا أدخل الله عليها الامراض من حيث لا تحتسب فلا تعالج لرفع الامراض عنها فان المرض من نهاية الضعف ومن أبلغ ما ينقص به الشهوة وقد كان يقول علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة وقال مرة أمراض الجسم للصديقين وقد كان ابن مسعود يقول تجد المؤمن أصح شيء قلبا وأمرضه جسما وتجد المنافق أصح شيء جسما وأمرضه قلبا وعن رسول الله صلى الله

*(فصل)* واعلم ان الجهل والغفلة والغرور وأسباب الحجب عن الله تعالى وعن رحمته ورضوانه وأكثر الخلق محجوبون عن الوصول الى الله بشهوات الدنيا وهوى النفس وغرورها وأصناف المحجوبين كثيرة فمنهم من حجب بالظلمة العظمى أعني ظلمة الكفر وهم الملحدة وسائر أصناف الكفرة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن هؤلاء المشركون الذين مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبورهم وقال ان هذه القبور لمملوءة عليهم ظلمة ومنهم من حجب بظلمة الشهوة والهوى قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه فهؤلاء اطاعوا شهواتهم وعبدوا أهواءهم فاعرضوا عن طاعة مولاهم وأقبلوا على لذات دنياهم من مأكل ومشرب ومنكح واستبدلوا هذه اللذات الخسيسة عن النعيم الذي هو قرة العين وهؤلاء بمنزلة البهائم بل البهائم أحسن حالا منهم اذ لا عقاب عليها ومنهم من حجب بظلمة الصفات السبعية وهي شهوة الانتقام والاعتداء على الخلق وكسر القلوب وايذاء النفوس فغلبت عليهم محبة القتل والضرب والقهر لما خلقوا وهؤلاء رضوا لانفسهم ان يكونوا بمنزلة السباع ومنهم من حجب بظلمة المال فهم يجتهدون في جمعه وكثرته وادخاره ويركب الواحد منهم الاخطار في البراري والبحار في تحصيله وجمعه ويشح به على نفسه فضلا عن غيره وهؤلاء هم المرادون بقول النبي [illegible]

عليه وسلم تعس عبد الدنيا تعس عبد  الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة الخ ومنهم من يحجب بظلمة الرياسة والجاه

عليه وسلم تحبون ان تكونوا كالحمر الصيالة لا تمرضون ولا تسقمون وقد قيل لا يخلو المؤمن من علة في جسمه أو قلة في ماله وقيل لا يخلو من علة أو ذلة والعبد ان لم يبتل وأعمال حسنة فمنها ان ينوي الصبر على بلاء الله تعالى والرضا بقضائه والتسليم لحكمه اذ قد حسن عنده لانه موقن واذ قد عرف الحكمة في ذلك والخيرة في العاقبة لانه حكيم ومنها ان مولاه أعلم منه وأحسن نظرا واختيارا وقد حبسه وقيده بالامراض عن المعاصي كما روي عن الله تعالى الفقر سجني والمرض قيدي أحبس بهما من أحب من خلقي فلا يأمن ان تداوي فعوفي ان تقوى النفس فيلبسه هواها الا ان المعاصي في العوافي وعلة ستنجير من معصية واحدة لقي بعض الناس بعض العارفين فقال له العارف كيف كنت بعدي قال في عافية فقال ان كنت لم تعص الله فأنت في عافية وان كنت قد عصيته فأي داء أدوى من المعصية ما عوفي من عصى وقال علي رضي الله عنه لما رأى زينة النبط بالعراق يوم عيدهم ما هذا الذي أظهروه قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد لنا وقال الله تعالى وهو أصدق القائلين وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون فقيل العوافي والغنى وقال بعضهم انما حمل فرعون ان قال أنا ربكم الاعلى طول العوافي لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة والمليلة في كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية واعلم ان الانسان قد يطغى بالعوافي كما يطغى بالمال لانه قد يستغني بالعافية كما يستغني بالمال وكل فيه فتنة وقد قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وقال الرسول صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والعصمة في حال العافية نعمة ثانية كالعصمة في الغنى نعمة النعمة وهذا أحد الوجوه في قوله عز وجل أذهبتم طيباتكم في حياتكم ومنها ان الامراض مكفرة للسيآت فاذا كثرت الامراض بقيت ذنوبه عليه موفورة وفي الخبر لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على وجه الارض وما عليه خطيئة وفي خبر حمى يوم كفارة سنة وأحسن ما سمعت في معناه قال لان حمى يوم تهد قوة سنة وقيل في الانسان ثلاثمائة وستون مفصلا يدخل حمى يوم في جميع المفاصل فيكون له بكل مفصل كفارة يوم ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت ربه ان لا يزال محموما قال فلم تكن الحمى تفارقه في كل يوم حتى مات وسأل ذلك طائفة من الانصار وكذلك لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فلقد رأيت الانصار يتمنون العمى ولما جاءت الحمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن عليه قال اذهبي الى أهل قباء وهذا أحد الوجهين في قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا أي بالامراض من الذنوب وعن عيسى عليه السلام يقول لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه والصديقون يبتلون بعلل الجوارح والمنافقون يبتلون بامراض القلوب لان في أمراض الاجسام ضعفها عن الآثام والطغيان وفي أمراض القلوب ضعفها عن أعمال الآخرة والايقان وفي معنى قوله عز وجل وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافي وباطنة البلاوي لانها نعم الآخرة وروي ان موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه فأوحى الله عز وجل اليه كيف ارحمه مما به ارحمه وقد قال الله وهو أصدق القائلين في تصديق هذا المعنى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون فأخبر ان في ترك الرحمة لهم لطفا ورحمة ورويناه عن عبد الواحد انه خرج في نفر من اخوانه الى بعض نواحي البصرة فأواهم المسير الى كهف جبل فاذا فيه عبد مقطع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا الاطباق به فقالوا له لو دخلت البصرة فتعالجت من هذا الداء الذي بك فرفع طرفه الى السماء وقال سيدي باي ذنب سلطت هؤلاء على يسخطوني عليك ويكرهون الي قضاءك سيدي استغفرك من ذلك الذنب لك العتبى اني لا أعود فيه أبدا قال ثم أعرض بوجهه عنا فتركناه وفي الحديث نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب

ومن يحجب بظلمة محبة الصور الجميلة ومنهم من يحجب بظلمة الحسد ومنهم من يحجب بظلمة الرياء ومنهم من يحجب بظلمة الكبر ومنهم من يحجب بظلمة العجب الى غير ذلك من الصفات الذميمة التي هي قواطع وحجب وعوائق تعوق عن السلوك الى الله تعالى والوصول الى رضوانه

*(باب في الهوى واللهو والشهوة)*

قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار تقع فيها فجعل يردهن ويغلبنه ويتقحمن فيها فانا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمونها أي تقتحمونها بفعلكم المعاصي والشهوات وهوى أنفسهم الذي يرديهم في النار والهوى هو ارادة ما تحب النفس من اللذات والمشتهيات واعلم ان أمراض القلوب أنواع يجمعها كلها الهوى والشهوة واللهو وهذه الامراض بعد مرض الكفر والجهل بالله وبآياته وبحكمته وبما يجب من محبته وطاعته وتصديق أنبيائه ورسوله وملائكته وكتبه وهي خوف الفقر

الايمان

الايمان شدد عليه البلاء ومن كان فى ايمانه ضعف خفف عليه البلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسود محترقا وقد روينا حديثا من طريق أهل البيت اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى اصطفاه ومنها ان الملك يكتب له مثل أعماله الصالحة التى كان يعملها فى صحته وانه يجرى له من الحسنات مثل ما كان يجرى له على أعماله فيكتب الملك له أعمالا خيرا له من أعماله لانه قد يدخلها الفساد واختيار الله ان يستعمله بالاوجاع خير له من اختياره لنفسه ان يستقل الى الله بالاعمال الصالحة وهذا أحد المعنيين فى معنى الخبر أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس قيل هو ما دخل عليها من المصائب فى الانفس والاموال فهى تكره ذلك وهو خير لها ومن هذا المعنى قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم فقد يكره العبد الفقر والعلة والضر والخلة وهو خير له فى الآخرة واحمد عاقبة وقد يحب الغنى والعوافى والشهرة وهو شر له عند الله واسوأ عاقبة وفى الخبر أيضا يقول الله تعالى للملائكة اكتبوا العبدى صالح ما كان يعمل فانه فى وثاقى ان أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتى فابدال صفة لحسن اختيار الله خيرة له من الدنيا والآخرة ومن شهوته والاصل فى التوكل وتركه ان المتوكل على الله قد علم فى تركه ان العلة وقتا اذا انتهت البرء العليل باذن الله لامحالة ولكن الله عز وجل قد حكم انه ان تداوى شفاه فى عشرة أيام وان لم يتداو برأ فى عشرين يوما فيترخص العليل بما أباحه الله فيطمع فى تعجيل البرء فى عشرة أيام ليكون أسرع لشفائه وأقرب الى عافيته على انه معتقد ان الدواء لا يشفى وان التداوى لا ينفع بعينه لان الله هو الشافى وهو النافع فالشفاء والنفع فعله لعبده وجعله فى الدواء من لطائف حكمته لا يعجله سواه ولا يفعله الا اياه اذ كانت العقاقير مطبوعة مجبولة على خلقها بجاعل الاسباب فيها هو جابلها لان الجعل فيها والخاصية منه ليس من عمل المتطبب وان كان يعمل بها ويجمع بينها وبين العليل لانه ظهر على يديه سيار رزقه فالله خالق جميع ذلك وفاعله وكذلك قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون وكذلك أيضا عند العارفين ان الخبز لا يشبع وان الماء لا يروى كما ان المال لا يغنى والعدم لا يفقر لان الله هو المطعم المسقى وهو المشبع والمروى كما هو المغنى المفقر بما شاء كيف شاء وهو جاعل الشبع والرى فى المطعوم والمشروب ويوقف النفس بالغنى والفقر لحكمته ورحمته كان الله تعالى هو المشبع المظمى فيدخل الطعام والشراب على الجوع والعطش اللذين جعلهما فيهم سماعا أدخل عليهما كما يدخل الليل على النهار ويدخل النهار على الليل فيغلب سلطان كل واحد على الآخر فيذهبه فسواء هذا عند الموحدين من وصف الليل والنهار ومن العلل والادوية يتسلط الشئ على ضده فيزيله بقلبه فهذه باذن الله والشرك فى هذه الاشياء فى العموم أخفى من دبيب النمل على الصفا والموقنون أصحاب التوحيد من جميع ذلك براء وعلى هذه المعانى أحد الوجهين فى قوله تعالى الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى أى أعطى كل لون وجنس خلقته وطبعه أى صورة الشئ ووصفه الضر والنفع فان تعجل العليل البرء بالتداوى فبرأ كان ذلك بقضاء الله وقدره على وصف السرعة من المعافاة فان كان نوى بالتداوى به واستعجاله شفاءه الطاعة لمولاه والقيام بين يديه بالخدمة كان مثابا على ذلك فاضلا فيه غير منقوص فى مقام توكله وان أراد بذلك صحة جسمه لنفسه والنعيم بالعوافى كان ذلك بابا من أبواب الدنيا ودخولا فيما أبيح له منها وهو يخرجه من فضيلة التوكل وحقيقته بمقدار ما نقصه من الزهد فى الحياة والنعيم وان أراد باستعجال العوافى قوة النفس لاجل الهوى وليسعى فى خدمة المولى كان مأزورا فى ذلك وعليه ويخرج من المباح الى المحظور وذلك يخرجه من حد التوكل وأوله وهذا من مذموم أبواب الدنيا ومقوتها وان كانت نيته فى تعجيل العوافى التصرف فى المعايش والتكسب للانفاق والجمع نظر فى شأنه فان كان يسعى فى كفاف وعلى عيلة ضعاف وعن حاجة واجحاف لحق هذا بالطبقة الاولى وهذا باب من أبواب الآخرة وهو مأجور

وسخط المقدور والغل والحسد والحقد والكبر والعجب وحب الثناء والمدح والغضب والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والأشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالمساكين والفخر والخيلاء وحب كثرة الكلام وتحسينه والتفاصح والصلف والتزين للخلق والمداهنة والرياء والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية من القلب والفرح بالدنيا وشدة الانتصار للنفس والقيام مع حظوظها وضعف الانتصار للحق والامن من مكر الله تعالى والمكر والخيانة وطول الامل والقسوة والفظاظة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وأمثالها هى أمراض القلوب وهى صفات قبيحة وخصال خبيثة مهلكة وكلاب عاقرة وهى نجاسات تحل القلب تمنع من دخول الملائكة فيه قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت وهو منزل الملائكة والصفات الرذيلة مثل الحسد والحرص والشره والشر والحقد وغيرهما كلاب نابحة عقارة مؤذية فلا تدخله الملائكة وهو مشحون بهذه الرذائل التى هى كلاب مؤذية

*(فصل)* واعلم ان القلب لا ينبت الاعمال الصالحة ولا يصير منبعا للحكم الا بعد تنقيته من توبه وتطهير من الصفات الذميمة كالغل والحسد والكبر والعجب والرياء والشهوات الردية التى

عليه ولا يخرج عن التوكل وان كان يسعى في تكثير رزقه ولا يبالي من أين كسب وفيما أنفق حتى هذا الى الطبقة الثالثة من العاصين وهذا من أكبر الدنيا المبعدة عن الله عز وجل فهذه نيات الناس في التداوي المحمود منه والمذموم منه فان لم يتداو المتوكل تسليما الوكيل وسكونا تحت حكمه ورضا باختياره وسمعا اذ قد أيقن ان العلة وقتا اذا جاء برئ باذن الله تعالى الا انه به عشرين يوما يصبر ويرضى ويحمل على نفسه العشرة أيام رضا بقضاء الله وصبرا على بلائه وحسن ظن باختياره ولا يتهمه في قضائه علما منه فهذا هو أحد الوجوه في حسن الظن باختيار الله ان لا يتهم الله في فضيلة كيف وقد روى فيه نص ان رجلا قال يا رسول الله أوصني فقال لا تتهم الله في شئ قضاه عليك وقد روى في معنى هذا خبر فيه شدة يقول الله تعالى من لم يصبر على بلائي ويرض بقضائي ويشكر نعمائي فليتخذ ربا سواي وهذا باب من الزهد في الدنيا بمقدار ما نقص من الرغبة في نعيم النفس لان الجسم من الملك فما نقص منه نقص من الدنيا والقلب من الملكوت فما زاد فيه زاد في الآخرة وهو باب من الصبر بقدر ما صبر عليه من النقص كما قال تعالى ونقص من الاموال والانفس يعني أمراضها واسقامها وبشر الصابرين ونقص الاموال اتلافها واذهابها فكذلك جعلنا زهد الاقتران بالمال العوم هذا فهو لا يأمن في تعجيل العوافي من المعاصي فاذا انتهى وقت العلة برئ من غير دواء باذن الله وله في الامراض تجديد التوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار وحسن التذكرة وقصر الامل وكثرة ذكر الموت وفي الخبر أكثروا من ذكر هاذم اللذات ومن أبلغ ما يذكر به الموت وتوقع نزوله الامراض فقد قيل الحمى بريد الموت وفي قوله عز وجل أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين الآية قيل بالامراض والاسقام يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تقبل وقد كانوا يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص أو مال ويقال لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوما ان يروع بروعة أو يصاب بنكبة فكانوا يكرهون فقد ذلك في ذهاب هذا العدد من غير ان يصابوا فيه بشئ وروى ان عمارا تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل له انها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاوجاع من الصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اليك عني من أراد ان ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا الان في الخبر ان الحمى حظ المؤمن من نار جهنم وفي حديث أنس وعائشة يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ الحديث الآخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه وان ترك التداوي وبرئ بغير دواء كان هذا من قضاء الله وقدره على وصف الابتلاء وقد اختلف رأى الصحابة في مثل هذا المعنى عام خرج عمر رضي الله عنه الى الشام فلما بلغوا الجابية انتهى اليهم خبر الشام ان به وباء عظيما وموتا ذريعا فوقف الناس وافترقوا فرقتين فمنهم من قال لا ندخل على الوباء نلقي بايدينا الى التهلكة فتكون سببا لاهلاك أنفسنا وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل على الله ولا نهرب من قدره ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فرجع الجميع الى عمر فسألوه عن رأيه فوافق عمر الذين قالوا نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له آخرون أنفر من قدر الله فقال عمر نعم نفر الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال أرأيتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة أليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله فسكتوا ثم دعا عمر بعبد الرحمن بن عوف يسأله عن رأيه فقيل هو غائب قد تأخر في المنزل الذي نزلنا فيه فثبت عمر وأصحابه على ذلك الرأي وعلى ان يسأل عبد الرحمن عن رأيه فيه فلما أصبحوا جاءهم عبد الرحمن بن عوف فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا أمير المؤمنين شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه الله أكبر يقول اذا سمعتم بالوباء في أرض

من تلك المؤذيات وغير ذلك مما هو مثبت الفواحش ويخلص أعمال النبوة كما تطلب الارض لخلاف حله لمنابت الضرر مثل الشوك والعليق والحلفاء لم تصلح الزرع والاثمار الكريمة الا بعد محاولة كثير من قلع تلك المؤذيات من الارض وتنقيتها منها فان بذرفيها وهي على هذه الحالة كان الزارع فذلك مضيعا تعبه وخسر بذره لا ينفع بعود عليه

*(فصل)* وكل قلب لا تدخله محبة الله فهو مريض وعلامة محبة الله ان لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره فمن عنده شئ أحب من الله اليه فقلبه مريض فبهذا يعرف ان أكثر القلوب مريضة الان من الامراض ما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو ذبح النفس وان وجد من نفسه قوة الصبر لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى المرض على قلوبهم والطبيب المريض قل ما انبعث الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر

فلا

فلا تقدموا عليه واذا وقع في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فخرج عمر بذلك اذ وافق رأيه فرجع بالناس من الجابية * بيان آخر من التمثيل في التداوي وتركه وشبه التداوي وتركه في انهما مباحان وان أحدهما طريق الاقوياء الصابرين وهو تركه مثل التكسب وتركه ان التكسب عند الجوع الذي هو علة الجسم ليستعمل العبد الدواء بالخبز جائز له لا يقدح في توكله لانه مباح له مأمور به فان نوى بالتكسب التقوّي على الطاعة والسعي في سبيل الله والمعاونة على البر والتقوى كان فاضلا فيه وان نوى بالتكسب الأكل للشهوات والقيام بحظوظ النفس من الرفاهية نقص ذلك من توكله وأخرجه من حقيقته فكان طريقا من طرقات الدنيا الا انه مباح وان قصد بتكسبه التكاثر والحرص للجمع والمنع كان عاصيا بكسبه مخالفا به وهذا من أكبر طرق الهوى ثم ان لم يتكسب وصبر على الجوع ورضي بالقلة والفقر فان رزقه يأتيه لا محالة في موقته وان كان قليلا دون سعته ولكنه يحتاج الى فضل صبر وحسن رضا وسكون نفس وطمأنينة قلب فان وجد هذه المعاني فهذا هو التوكل كان فاضلا في ترك التكسب بحسن يقينه وثقته برازقه وشغله بما هو أفضل وأنفع له في عاقبته وان تشتت همته واضطربت نفسه وتنكر فضاق به فاخرجه ذلك الى الجزع والهلع والتبرم والشكوى فالتكسب لهذا أفضل وهو منقوص بتركه كذلك أيضا من أكثر الشكوى من علته وتسخط حكم ربه وتبرم وضجر وسخط على الناس وما خلقه بمرضه فان الافضل لهذا ان يتداوى وهو ناقص بتركه وروينا عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ضعف اليقين ان ترضي الناس بسخط الله وان تحمدهم على رزق الله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كره كاره ان الله بعلمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط * ذكر استواء شهادة المتوكل مع اختلاف ظهور الاسباب ويستوي عند الخصوص بعين يقينهم ما جاءهم بواسطة أيديهم وأسباب كسبهم وما جاءهم بأيدي غيرهم وبغير كسبهم اذا كان المعطي عندهم واحدا والعطاء كله رزقا اذ كانت الايدي ظروف العطاء فيستوي كان الظرف يدك أو يد غيرك وسواء كان الكسب كسبك أو كسب غيرك لك اذ جميعه رزقك ولان لكل شيء حكما وفي كل شيء حكمته وبكل شيء نعمة قال الله تعالى ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فاضافها اليه في الخلق بعد ان بنوها بأيديهم وفرغوا منها ومثل هذين أيضا يستوي عندهم ما ظهر بيد القدرة لا خلق فيه ولا واسطة به وما ظهر بأيديهم عن الحكمة وترتيب العرف لان القدرة أيضا بمنزلة ظرف العطاء ظهر العطاء بها فهي كأيدي العباد من يد الانسان نفسه أو يد غيره اذ القدرة والحكمة خزانتان من خزائن الملكوت والملك فهذه المعاني الثلاث أعني ما ظهر عن يدك وتكسب له وما ظهر بيد غيرك وعن كسبه لك وما أظهرته القدرة عن غير عرف معتاد ولا واسطة مرتبة هذا كله عند الموقنين سواء لا يترجح بعضه على بعض لرجحان ايمانهم وقوة يقينهم ونفاذ مشاهدتهم اذ كله حكمة بالغة وقدرة نافذة عن حكيم واحد وقادر واحد * ومما يدلك على استواء ما ظهر بيد الاواسط وما أظهرته القدرة عند العلماء ان كل من جمع كرامات الاولياء واجابات الصديقين ذكر فيها ما ظهر لهم عن القدرة وما ظهر لهم على أيدي الخلق من الانفاق عند وقت الفاقات عن غير مسئلة ولا استشراف نفس فسووا بينهما في الكرامات وجعلوهما واحدا من الاجابات وحسبوا كذلك من الآيات على ان العارفين يشهدون ما وصل العبيد اليهم من أقسام رزقهم انها ودائع لهم عندهم وانه حق لهم بأيديهم يؤدونه اليهم قليلا قليلا ويوفونهم اياه شيأ فشيأ الا انهم لا يسألونهم اياه ولا يطالبونهم به وان كان لهم عندهم حسن أدب فيهم وحسن اقتضاء لان من حسن الاقتضاء ترك الطلب ولقوة يقينهم برازقهم انه يوفيهم نصيبهم غير منقوص فقد سكنوا الى قديم وعده كما نظر والى بسط يده وكذلك مشاهدة العالمين الموصلين اليهم قسمهم الدافعين اليهم حقوقهم يشهدون انهم قد خرجوا اليهم من حقهم وأدوا اليهم

مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال تقربهم من الكفر وما يأتون من العبادات على التدوير والقساوة فهي عبادات في الظاهر وغباوات في الباطن وقال المسيح عليه السلام ما أكثر الاشجار وليس كلها مثمرة وما أكثر الثمار وليس كلها بطيب وما أكثر العلماء وليس كلهم بمرشد واعلم أن هذه الامراض يكون علاجها بأن تداوى كل خصلة منها بضدها فتعالج البخل ببذل المال للمساكين والصدقة عليهم وتعالج حب الدنيا وشهواتها بالزهد فيها والرغبة عنها وانها فانية زائلة عن قريب ونعيم الآخرة باق لا يفنى ولا يزول والعاقل لا يترك الكثير الباقي للقليل الفاني وينبغي لمريد طريق الآخرة أن يكون له صديق صالح ناصح يوقفه على عيوب نفسه وينبهه عليها فان الانسان أعمى عن عيوب نفسه كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله عبدا أهدى الى عيوب نفسي ولما قدم سلمان من السفر كان عمر يسأله عن عيوبه ويقول له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال سمعت عنك انك جمعت بين أدمين على مائدة وان لك ثوبين ثوبا بالليل وثوبا بالنهار فقال هل بلغك غير هذا فقال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين هل ترى فيّ شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره في الايمان وعلو

وداتهم فيستتر يعون الى انواع ذلك و يفرحون بادائه الى أربابه و يشكرون الله على حسن توفيقه واعانتهم على سقوط ذلك عنهم كما يفرح من عليه الدين الثقيل اذا أداه فسقط عنه بحكمه وقضائه وهذا مقام الموصلين فى المعرفة وحال لهم من اليقين حسنة وهو مشاهدة عالية الا تعذبن من المتوكلين *ذكر تشبيه التوكل بالزهد* اعلم ان التوكل لا ينقص من الرزق شيأ ولكنه يزيد فى الفقر و يزيد فى الجوع والفاقة فيكون هذا رزق المتوكل و رزق الزاهد من الآخرة على هذا الوصف المخصوص من حرمان نصيب الدنيا وحمايته من التكاثر منها والتوسع فيها فيكون التوكل والزهد سبب ذلك فيكون ما صرفه عنه من الدنيا زيادة له فى الآخرة من الدرجات العلى وكذا اثر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقصان الدنيا زيادة الآخرة وزيادة الدنيا نقصان الآخرة ومن أعطى من الدنيا شيأ نقص ذلك من منزلته فى الآخرة وان كان على الله كريما وقيل ان الدنيا والآخرة مثل ضرتين من أرضى احداهما أسخط الاخرى وقال رجل لبعض العلماء كنت فى صلاة ليس فيها بقال فسيرى فقم الى جنبي بقال آخر فخاف ان ينقص ذلك من رزقى شيأ فقال ليس ينقص من رزقك شيأ ولكن يزيد فى بطالتك تقعد كثير الاتبيع شيأ وقد غلط فى هذا الطريق قوم ادعوا التوكل والزهد وتسعوا فى المآكل والملابس على ان ذلك لا ينقصهم من رزقهم شيأ فوهوا على من دونهم ممن لا يعرف طريق الزهد والتوكل *(ذكر كتم الامراض وجواز اظهارها)* الافضل لمن لم يتداوا ان يخفى علله لان ذلك من كنوز البر ولانها معاملات بينه و بين خالقه فسترها أفضل وأسلم له الا أن يكون له نية فى الاظهار أو يكون اماما يستمع اليه و يقتبس منه الآثار ويكون مكينا فى المعرفة فيخبر بعلته وقلبه راض عن الله بما قدره أو يكون ممن يشهد البلاء نعمة فيكون اخباره بمثابة التحدث بنعمة الله والا فاظهار العلل لمن لا يتداوى نقص حاله وداخل فى الشكاية لمولاه لان فى الشكوى استراحة النفس من البلوى كالاستراحة بالدواء وهذا لا يعلمه عالم لان الاستراحة بالدواء الذى أباحه المولى خير من استراحته الى العبيد بالشكوى على انه لا يأمن دخول الآفات عليه فى الاخبار من التصنع او التزيد فى العلة وغير ذلك وقد قيل فى قوله عز وجل فصبر جميل قال لا شكوى فيه وقال بعضهم من بث شكواه فلم يصبر وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذى أذهب بصرك فقال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله اليه تفرغت تشكونى الى خلقى فقال يارب أتوب اليك وعن طاوس ومجاهد يكتب على المريض أنينه فى مرضه قال وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهار معنى يدل على شكوى قيل ما أصاب ابليس من أيوب الا أنينه فى مرضه فجعل الانين حظه منه وفى الخبر اذا مرض العبد أوحى الله تعالى الى الملكين انظرا الى عبدى ما يقول لعواده فان حمد الله وأثنى عليه بخير ادعوا له وان شكا وذكر شرا قالا كذلك يكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة فى القول ان يخبر عن العلة با كثر منها فيكون فى ذلك كفرا لنعمة بين بلاءين وكان بعضهم اذا مرض أغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج اليهم منهم فضيل ووهيب و بشر كان يقول اشتهى ان أمرض بلا عواد وقال فضيل ما أكره العلة الا لاجل العواد وقد رأينا من الصالحين من فعل ذلك ممن هو امام وقدوة ولا ينقص توكل المتوكل اخباره بعلته على معنى التحدث بها مع فقد آفات النفوس اذا كان قلبه شاكرا لله راضيا بقضائه و يكون بذلك مظهرا الافتقار والعجز بين يدى مولاه أو راغبا فى دعاء اخوانه المؤمنين أو يشهد ذلك نعمة فيتحدث بها شكرا وقد حكى ان بشر بن الحرث كان يخبر عبد الرحمن المتطبب باوجاعه فيصف له أشياء وقيل عن أحمد بن حنبل انه كان يخبر بامراضه و يقول انما أصف قدرة الله تعالى فى وروى عن الحسن البصرى اذا حمد المريض الله عز وجل وشكره ثم ذكر علته لم يكن ذلك شكوى وقد كان أحمد بن حنبل لا يخبر بامراضه اذا سئل عنها ثم رجع الى قول الحسن هذا فكان بعد ذلك يحمد الله و يثنى عليه و يقول أجد كذا وأجد كذا وروى انه قيل لعلى رضى الله عنه فى مرضه كيف أنت فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك فقال أتجلد

فلم نر مثل الذين هكذا كانت همته لنفسه وكان أهل الدين يحرصون على أن يتقوا المظنون بهم بشئ غيرهم وقد آل الامر فى هذا الزمان الى أن صار أبغض الناس الينا من ينصحنا و يعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا عن ضعف الايمان ونقص فى العمل فان الصفات الذميمات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوب أحدنا عقربا لتقلدنا منه وفرح بذلك واشتغل بابعاد العقرب وقتلها فكيف لا نعجب نحن ممن ينصحنا و يعرفنا عيوبنا ويشبه أن يكون هذا من القسوة التى أثمرتها كثرة الذنوب وأصل ذلك كله ضعف الايمان فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله ونسأله العفو والمغفرة و أن يجنبنا الفواحش كلها *(فصل)* واذا كثرت خبائث القلب أظلم القلب وعمى وقسا وظهر منه على الجوارح الذنوب والمعاصى والاستهتار وقلة المبالاة بخشية الله تعالى و يظهر على الوجه الخزى والاجرام وقلة الحياء والمقت لان أعمال الجوارح رشح القلب وكان بعض العمال كثيرا ما يقول فى دعائه اللهم اصلح الراعى والرعية يريد القلب والجوارح وروى عبد الله بن وهب صاحب مالك بن أنس فى جامعه عن حذيفة بن اليمان صاحب النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال القلوب أربعة قلب أغلف مشدود عليه غلافه فهو قلب الكافر وقالوا قلوبنا

على

على الله كانه أحب ان يظهر افتقاره الى الله وأراد أيضا ان يعلمهم انه لا بأس بذلك لان من يقول بخير اذا سئل كثير كما قال الثوري انما العلم الرخصة من ثقة فاما التشديد فكل أحد يحسنه فكان على رضي الله عنه اراد أن يتحقق بتأديب النبي صلى الله عليه وسلم له ونهيه اياه عن اظهار القوى لانه روى انه مرض فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صبرني على البلاء فقال لقد سألت الله البلاء ولكن سل الله العافية ومن ههنا قال مطرف لان أعافى فاشكر أحب الى من ان ابتلى فاصبر لان البلاء مطرق الاقويا وكره أهل الاشفاق والخشية اظهار الجلد والتقوى بين يدى القوى العزيز وقد حكى ان الشافعي مرض مرضة شديدة بمصر فكان يقول اللهم ان كان في هذا رضاك فزدني منه فكتب اليه بعض العلماء وهو ادريس ابن يحيي المعافرى يا أبا عبد الله لست من رجال البلاء فسل الله العافية فرجع عن قوله هذا واستغفر منه فبعد هذا والله أعلم لعله ما حكى عنه انه كان يقول في دعائه اللهم اجعل خيرتى فيما أحببت *(ذكر فضل التارك التكسب)* قد يفضل التارك التكسب شغلا بالعبادة عن المتكسب من حيث فضل المتقدمون الزاهد في الدنيا على كاسب المال حلالا ومنفقه في سبيل الله وسئل الحسن عن رجلين احدهما محترف والآخر مشغول بالتعبد أيهما أفضل فقال سبحان الله ما اعتدل الرجلان المتفرغ للعبادة أفضلهما وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وبالتقوى غنى وبالعبادة شغلا وقد علم التارك التكسب توكلا على الله وثقته به ورعاية لمقامه وصبرا على فقره وشغلا بمعاده عن معاشه ومقاساة الفتنة ان مولاه قد تكفل له برزقه في الدنيا وقد وكل اليه عمل الآخرة وانه ان شغل بما وكله اليه من عمل آخرته أقام له من يقوم بكفايته من دنياه فلو لم يتصرف المتوكل تصرف له غيره وان عمل آخرته الذى وكله اليه ان لم يعمله لم يقم غيره مقامه وان الله تكفل له بعمل الدنيا فان لم يعمل لعمل له سواه كيف شاء فهذا هو الفرق بين ما تكفل له به من عمل الدنيا وبين ما وكله به من عمل الآخرة قال الله سبحانه في رزق الدنيا الذى تكفل به وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقال تعالى في رزق الآخرة الذى وكل به وأن ليس للانسان الا ما سعى ثم قد علم المتوكل بعد توحيده ان هذه الاربعة الاشياء منتظمة في سلك واحد كشئ واحد يقع وقعة واحدة رزق مقسوم لا يزاد فيه في وقت معلوم ولا يتقدم ولا يتأخر بسبب محكوم لا ينقلب عند أمر مكتوب ولا يتغير فالرزق بفضل الرازق والوقت الذى يظهر فضل العطاء لا يقع الا في ظرف والسبب حكمة القاسم والاثر حد المرزوق فلما أيقن المتوكل بهذا كان ان تصرف تصرف بحكم وان قعد قعد بعلم فاستوى تصرفه وقعوده لانه قائم بحكم ما يقتضى منه في علم حاله عالم بحكمه تصرفه ومقعده فان شغله مولاه بخدمته عن خدمته من سواه فصرفه في معاملته دون معاملة العبيد ساق اليه رزقه كيف شاء من الوجوه وبيد من شاء من العبيد يحفظه له عن مجاوزة الحدود كما قال تعالى حافظات للغيب بما حفظ الله ويتوليه وعصمته اياه عن التورط في محظور كما أخبر عن أوليائه في قوله عز وجل وهو يتولى الصالحين وكان العبد فاضلا في قعوده لشغله عن العبيد بعبوديته وانقطاعه الى معاملة الملك دون ما يقطعه من معاملة المماليك وبهمة الآخرة عن الدنيا وكان ذا اخلاق وصفه ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل كفاية الله فيما روى عنه من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله آخرته وخارجا عن وصف من قطعه عن الله بهمة غيره وعرضه الهلكة في أودية الهموم في قوله عليه السلام من أصبح وهمه غير الله فليس من الله وفي قوله ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله في أى أودية هلك وان كان سال المتوكل ان يجرى رزقه على يد نفسه وكسب جارحته فهو خزانة من خزائن الملك وهو عبد من عبيد الملك يوصل اليه عن يد نفسه بما يوصله اليه عن يد غيره وسواء ساق اليه الرزق أو ساقه الى الرزق بعد ان يرزقه لان ما الفتنه فقد لقيك والعبد متوكل على الله في الحالين ناظر اليه بالعينين قائم بحكم حاله في الامرين عارف بحسن اختيار الله في الحكمين ومن ترك التكسب لاجل الله ثقة به وسكونا اليه أو لدخول الآفات وتعذر القيام بالاحكام فسنه كحسن من عمل شيأ

غلف وقالوا قلوبنا في أكنة أولئك لم يرد الله أن يطهر قلوبهم وقلب منكوس (٢٩) وهو قلب المنافق وقلب أجرد مثل السراج ازهر وهو قلب المؤمن وقلب مصفح مثل الخير والشر فيه كمثل العين تمد الخيرة ومثل القرحة تمد القيح فتجد الرجل يكون عاملا بما يحب الله سنينا من دهره ثم يتحول فيكون عاملا بما يكرهه الله فيموت على ذلك فغلبت القرحة التى تمد القيح على العين التى تمد الخيرة ويكون الرجل على ما يكرهه الله زمانا ثم يتحول فيكون على ما يحب فيموت على ذلك فغلبت العين التى تمد الخيرة القرحة التى تمد القيح *(فصل)* واعلم أن الهوى أصل الجهل وفرع له كما ان أصل كل شئ يظهر في فرعه كالنواة أصل النخلة وهى تظهر في فروعها التى هى الثمرة فلما خلق الله ابن آدم مجبولا على هوى النفس أمده حينئذ عقلا يجاهد به هواه عونا له على الرغبة في الدنيا ثم غلب الهوى على عقول أكثر الناس فصرفها عن طلب العلم بالله فبقيت في منزلة الجهل ثم تمادت بهم غلبة الهوى الى راحة الدنيا وضرورة حلاوة ما تألفه النفس من اللذات في الصبا وما بعده واستمر بهم الحال وهم على ذلك حتى تبعدوا عن أمر ربهم واستولت عليهم العادات والمألوفات والضراوة فترا كم عليهم الخذلان من الله عز وجل لاعراضهم عن أمره وطاعتهم لهواهم وترك أعمالهم بعقولهم فيما

لاجل الله لان التراك عمل يحتاج الى نية صالحة وأفضل الناس عند الله أتقاهم له وأتقاهم له أعرفهم به متصرفا كان أو قاعدا هذا هو فصل الخطاب وروينا في حديث عبد الله بن دينار عن عمرو بن ميمون عن النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال حين استوى على عرشه ونظر الى خلقه عبادي أنتم خلقي وأنا ربكم أرزاقكم بيدي فلا تتعبوا أنفسكم فيما تكفلت لكم به واطلبوا أرزاقكم مني وانصبوا أنفسكم لي وارفعوا حوائجكم الى أصب عليكم أرزاقكم أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال عبدي أنفق أنفق عليك ووسع أوسع عليك ولا تضيق فأضيق عليك ان أبواب الرزق بالعرش لا تغلق ليلا ولا نهارا فأنزل الرزق منها لكل عبد على قدر نيته وعطائه وصدقته ونفقته فمن أكثر أكثرت له ومن أقلل أقللت له ومن أمسك أمسك عليه يا زبير ان الله يحب الانفاق ويبغض الاقتار فكل واطعم ولا تقتر فيقتر الله عليك ولا تعسر فيعسر عليك أطعم الاخوان ووقر الاخيار وصل الجار ولا تماش الفجار تدخل الجنة بغير حساب فهذه وصية الله لي ووصيتي لك يا زبير بن العوام والاسواق مواضع الاباق يعلم المولى منها من أبق من خدمته وهرب من مجالسته ووهن عن معاملته وجبن في متاجرته قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون وقال بعض أهل العربية من القدماء ما أريد أن يرزقوا الخلق ان الله هو الرزاق أي لهم لا يطالبهم أن يرزقوا نفوسهم اذا أخدموه فذكر الله الوجوه الثلاثة واختار لنفسه أحدها وهي الخدمة وعليها الكفاية واختار من العبيد أحدهم بفعله عابده وتنزه عن أحدهما وتعالى عنه وهو الاطعام من العبيد له وصرف عموم العبيد في الوجه الثالث من الاطعام لانفسهم وهو التكسب وضرب هذا مثلا بينه وبين خلقه في الارض وله المثل الاعلى في السموات والارض فبقي العبيد مع الله تعالى بحكمين أحدهما ما اختاره لنفسه من العبادة وهي المعاملة وعليها الرزق كيف شاء ومتى شاء وهؤلاء عباد الرحمن لا عبيد الدنيا والثاني ما صرف العبيد فيه من التكسب لانفسهم وجعل ذلك رزقا منه لهم بجوارحهم ومدحهم على هذا الوصف وهؤلاء عموم العبيد منهم عبيد الدنيا وعبيد الهوى وبقي المولى مع العبيد على الاحكام الثلاثة التي أباحها الله تعالى لهم وضرب بها المثل بينه وبينهم أيها اختاره كان ذلك لهم وتفسير ذلك أن المولى من الخلق أن يقول لعبده اذهب فأطعمني لانك عبدي وملك يدي فأنا أملك كسبك كما أملك نفسك وهذا هو الوجه الذي ذكرناه ان الله تنزه عنه وتعالى علوا كبيرا فقال تعالى وما أريد أن يطعمون كما يريد الموالي من عبيدهم هذا ثم يقول المولى منا العبده اذهب فاطعم نفسك واسع في قوتك فقد أعتقتك ذلك ووهبت لك كسبك فهو رزق مني لك وتفضل مني عليك وبهذا صار المكاتب لعبده في فكاك عتقه كالمعتق بان كان له الولاء وقد يكون له الميراث في حال لانه منعم عليه بالكتابة له كالمعتق وان كان العبد هو الذي سعى في فكاك رقبة نفسه بكسبه من قبل أن المولى يستحق عليه كسبه وعلك رقبته فلما ملك عبده ذلك صار محسنا اليه فهذا حال عموم العبيد مع الله تعالى لانه مولاهم الحق وهم عبيده فقال اذهبوا فتكسبوا وأطعموا انفسكم فقد رزقتكم ذلك ووهبته لكم وهذا هو الوجه الثاني الذي نزه الخصوص عنه تفضلا لهم فلم يسعهم وقطعهم فشغلهم بخدمته عن خدمة نفوسهم وخلقه وتوكل لهم بكفايتهم ولم يوكلهم فيها كما وكل غيرهم بل وكل بأرزاقهم من يشاء من عباده وهو معنى قوله تعالى ما أريد منهم من رزق لنفوسهم بدليل قوله تعالى ان الله هو الرزاق أي لهم بالقامة غيرهم وباظهاره في قوله وما أريد أن يطعمون فكانت هذه الياء متمكنى بها وهذه ارادة خصوصية لا عامة لكل مراد فهي ارادة ابتلاء ومحبة بمعنى ما أحب وخصوصية بخصوصين من عباده كما كان قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون كانت هذه الآية خصوصية ان عبده منهم معناها مؤمني الجن والانس لا عامة لجميع خلقه والوجه الثالث أن يقول المولى منا العبده اخدمني وعلى طعمتك تقوم خدمتك لي مقام كسبك لنفسك وهذا هو الوجه الاعلى الذي اختاره الله تعالى وأحب ملن يحبه واختاره من عبده من العبيد من خصوص العاملين له وهم العاملون به دون من صرفه في رزق نفسه

أصحابه ونم واعنه حتى بعد وانه الله عن كتب الله المنيع فتودوا من مكان بعيد تجمعوا اشغلوا بهم حقيقة المعنى لاشتغال حاسة قلوبهم بالهوى والشهوات فقد صار الهوى أصلا للجهل وفرعا له واعلم ان الهوى والطبع يدعوان أبدا الى اتباع اللذات الحاضرة وايثارها من غير فكر في العاقبة ولا روية في ذلك وان كانت تلك اللذات جالبة للآلام وشدائد ونقص فيما بعد ومانعة من لذات مستقبلة هي أضعاف تلك العاجلة لان الهوى والطبع لا ينظران الا الى حالهما في وقتهما الذي هما فيه ولا يعتبران الا الامر العاجل كذا بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة وهذا كالصبي الرمد الذي لا يفكر في العواقب بحك عينيه ويؤثر اللعب في الشمس وأكل التمر والرطب على أكل الهليلج وشرب الدواء والحجامة فحق على العاقل الناظر لنفسه ان يردها ويقمعها عن هواها ولا يطلقها الا بعد التثبت والنظر فيما يعقب الشئ من خير فيقدم عليه أو شر فيكف عنه قيل مر الجنيد بفقير جالس تحت حائط ملتفا بعباءة فرفع رأسه الى الجنيد وقال يا أبا القاسم متى يكون الداء دواء فقال له الجنيد اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها فعلم الفقير ومضى وهو يقول لنفسه قد سمعت الجواب (فصل) واعلم ان جميع شهوات الدنيا تنقسم على ثلاثة أقسام موبق ومبعد ومخلف فالموبق ما يجب فيه بنفسه

بنفسه وهو قوله تعالى الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق أى أن يرزقوا نفوسهم بكسبهم الذى أجعله لهم فيكونوا كغيرهم ممن قلت له اذهب فتكسب فقد أردت منك الرزق لنفسك بكسبك وقد وهبته لك أى أنا أريد من هؤلاء العباد قولها خلقتهم فكل ميسر لما خلق له فمن كانت صنعته العبادة خلق لها ويسرت له ومن كانت صنعته الدنيا وخلق لها يسرت له وفى الخبر ان الله تعالى خلق كل صانع وصنعته وقال ان الله تعالى لما أظهر الخلق فى العدم أظهر لهم الصنائع كلها ثم خيرهم فاختار كل واحد صنعته فلما أبداهم فى الوجود أجرى على كل واحد ما اختار لنفسه قالوا وانفردت طائفة فلم تختر شيأ فقال لها اختارى فقالت ما أعجبنا شئ رأيناه فنختار فقال فأظهر مقامات العبادات فقالت قد اخترنا خدمتك فقال وعزتى وجلالى لاخدمنكم اياهم ولاسخرنهم لكم وفى الخبر أوحى الله تعالى الى الدنيا اخدمى من خدمنى وأتعبى من خدمك فالعبادة هى الخدمة ومن ذلك قولهم اياك تعبد وإليك نصلى ونسجد واليك نسعى ونحفد أى اليك نعمل ونخدم مثل قوله تعالى بنين وحفدة أى خدما فى أحد الوجوه والعبادة هى الخدمة بذل وتواضع والعرب تقول طريق معبد اذا كان مذللا ممهدا وموطوأ بالاقدام ويقولون بعير معبد اذا كان ممتهنا بالكد نضوا من السير والحمل عليه ومنه قول القبط أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون يعنون بنى اسرائيل خدمنا نستذلهم ونمتهنهم بالكد والعمل وقال بعض العارفين ان الله سبحانه وتعالى اطلع على قلوب طائفة من عباده فلم يرها تصلح لمعرفته ولا موضعا للمشاهدة فرحمها فوهب لها العبادات والاعمال الصالحات ثم اطلع على قلوب طائفة أخرى من خلقه فلم ير جوارحهم تصلح لخدمته ولا موضعا للمعاملة فاستعملهم للدنيا وعبدهم لاهلها ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم تعس عبد الزوجة تعس عبد الخميصة أى الذين يذلون لهذه الاشياء ويسعون لها وفى أخبار داود عليه السلام انى خلقت محمدا لاجلى وخلقت آدم لاجل محمد وخلقت جميع ما خلقت لاجل ولد آدم فمن اشتغل منهم عما خلقته لاجله حجبته عنى ومن اشتغل منهم بى سقته ما خلقته لاجله * (ذكر حكم المتوكل اذا كان ذا بيت) * فان كان المتوكل ذا بيت فليغلقه اذا خرج احرازا له لا يجعل الامر بالحذر ولا تباع السنة والاثر قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم وقال تعالى واحذرهم أن يفتنوك وقد روى فى خبر اعقلها وتوكل ولا ينقص ذلك توكله اذا كان ساكن القلب الى الله لا الى خلقه ناظر الى حسن تدبيره فى تبقية رحله أو ذهابه لا الى احرازه غير مختار لبقاء ما فى بيته على اختيار الله له حسن احكامه عنده لان الله تعالى اذا رفع عبدا الى مقام التوكل عليه فى شئ أعطاه التوكل فى كل شئ كما لا يكون توابا يحبه الله حتى يتوب الى الله بكل شئ وفى كل شئ أى يرجع اليه بالاشياء وفيها فلذلك قال الله تعالى ان الله يحب المتوكلين كما قال ان الله يحب التوابين مع قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون أى ليتوكل عليه فى كل شئ من توكل عليه فى شئ هذا أحسن وجوهه والوجه الآخر وعليه فليتوكل فى كل توكله من توكل عليه فى الاشياء لان الوكيل فى شئ واحد فينبغى أن يكون التوكل عليه واحدا فى كل شئ فالتوكل مقام رفيع من مقامات الانبياء ومن أعالى درج الصديقين والشهداء من تحقق به فقد تحقق بالتوحيد وتوكل ايمانه وكان على مزيد واتقى عنده فاتق الشرك وخفايا تولى العدو فانقطع سلطانه عنه قال الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه يعنى العدو والذين هم به مشركون يعنى الله سبحانه فلم يشترط نفى سلطان العدو بالايمان مجردا حتى يضيف مقام التوكل فى اليقين فلذلك فصلنا شرحه وأطلقنا تفصيله لانه من أعلى مقاما من التوكل على حقيقة مشاهدة الوكيل انتظم له جل مقامات اليقين وأحوال المتقين كما قال عبد الله بن مسعود التوكل جماع الايمان وقد يبتلى المتوكل فى توكله بالاسباب والانتقاص والاغراض وضروب المعانى كما يبتلى سائر أهل المقامات ويبقى عليه من العدو نزغ وطيف لا غير دون الاقتران والاستهواء ذ يختبر بذلك صدقه فى توكله حتى يرد فى جميع ذلك نظره الى الوكيل ليجزى جزاء الصادقين المقربين أو ليكشف له دعواه فيعلم كذب

عذاب الآخرة وهو الحرام البين والبعد ما يجب فيه حساب الآخرة وهو الشبهات والتخلف ما يوجب التخلف عن السابقين ويقطع عن لحاق المقربين وهو الحلال فهذه جنايات الشهوات على أهلها فى الآخرة ولها فى الدنيا عقوبات فى القلوب والابدان أما الحرام فانه يورث القلوب امراضا ثم يعود لمن أصر عليه وداوم استهتارا وشكا يشبه الكفر ويورث البدن ضعفا عن أداء الفرائض فما وراءها وأما الشبهات فانما تورث القلوب قسوة تدعو الى التجرؤ على الحرام البين وتمنع وصول الذكر والخشوع الى القلب وتورث البدن ضعفا عن أداء المندوبات المؤكدة المسنونة فما وراءها وتورث القلب ضعفا عن اتقان الفرائض بما يجب به اتقانها وأما الحلال فانه يغشى نور القلب ويطمس مواريث اليقين مثل التوكل والتفقه ويحجب عن فوائد المعرفة مثل العلوم العالية المخصوصة بالعلماء بالله وبآياته ويورث البدن ضعفا عن أعمال الفضائل التى هى نوافل مطلقة وينازعه الى طلب الراحة والكسل

*(فصل)* ومن تفرق عن الله بهواه وتبع شهواته وما يهواه فاته الحق وكيف لا يفوته وتداخلته الهموم هواه فمن اتبع أهوية نفسه الأشياء الملونة فرقته الأهواء لانه يصير له الى كل شئ منها هوى وتقسمه الاهواء وتقسمه يرى شرساء قال [illegible]

وتعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء  متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا واعلم ان الحرية المحضة هي

بلسه فيكون مردودا الى التوبة كما قال تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم وحسب جزاء المتوكلين أن يكون الصادق حسبهم وأن يكون خلعة الصدق شعارهم ثم قال تعالى ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم فأحسن حال المدعين التوبة بها يخرجون من ظلمهم وقال تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ثم أخبر بسنته التي قد خلت في عباده فقال ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولن تجد لسنة الله تبديلا فلعل المتوكل عند خروج حسن منزله معتقد الذلك بعد غلق بابه للامر والسنة اللهم ان جميع ما في منزلي ان سلطت عليه من يأخذه فهو في سبيلك صدقة مني على من أخذه فان أخذ ما في منزله كان له في ذلك سبع معاملات احداها قبول توكله على الله بتدبير الله أمره كيف شاء واختيار الله له نقصان الدنيا واذهاب ما معه يفتتن بتبقيته والثانية اختبار الله تعالى لعبده وابتلاؤه اياه بفقد ما يخبر به ليظهر صدقه ومسالمته أو ليستبين له بد كذبه فان حمد الله وشكره على حسن بلائه ولم تضطرب نفسه أعطي ثواب الشاكرين الراضين كما جاء في العلم المكنون عن بعض أنبيائه قال يا رب من أولياؤك قال الذين اذا أخذت منه المحبوب سالمني والثالثة ان اضطربت نفسه وجزعت جاهدها بالصبر والصمت وحسن الثناء على الله وترك الشكاية الى عبيده فأعطي ثواب الصابرين المجاهدين والرابعة ان لم يكن في هذا المقام ولا في المقام الاول انكشف له بطلان دعواه وظهر له خفي كذبه في حيائه فاعترف بذلك واعتذر الى الله واستكان وخضع فيكون هذا أيضا مزيده لله على معنى الاعلام والبيان فيعلم انه كذاب لكراهيته ما قضى الله وقلة صبره أو بسخطه ما حوله الله من خزانته التي هي في يده الى خزانته الاخرى التي هي في يد غيره اذ قد علم ان يده خزانة مولاه وان ما حوله منها لم يكن له وانما كان عنده استودعه فخزن وسامه حتى استرجع منه ما أودعه أو أعاره وأودعها غيره أو دفعها الى من هي رزقه وكان ته من قبل ان المتوكل قد علم ان الله تعالى اذا وهب شيأ من الدنيا للاجسام من الملك وشيأ من الآخرة من الملكوت وصار ذلك رزقا للمتوكل في آخرته فان كان لضعف يقينه رزقد نياه على رزق آخرته لنقصان زهده ليس ذلك الا للطامع فيه وفضل الرغبة والشره اذ قد علم ان ما أخذ منه كان وديعة لغيره عنده فهذه كلها ذنوب عند المتوكلين موجبات التوبة والاستغفار عند الموقنين من قبل أن المتوكل قد علم أن الله تعالى اذا وهب شيأ من الملك في الدنيا للاجسام أو شيأ من ملكوت الآخرة للقلوب لم يأخذه أبدا فما كان في الدنيا بقي لصاحبه الى آخر عمره حتى يفنيه ويبليه وما وهبه من الآخرة من الايمان والعلم والعمل لم يأخذه أبدا بل ينميه ويزيده فيه الى أبد الابد في دار الابد ولكن قد يعير ويستودع من أمور الدنيا وأمور الآخرة فهذا النوع لا بد أن يسترده ويسترجعه في الدنيا لان حكمته أوجبت رده كما أوجب كرمه تبقيته ما وهبه فلا ينبغي للمتوكل الموقن بما ذكرناه أن يحزنه ما حول الله من خزانته التي في يده مما أعاره واستودعه الى خزانته الاخرى التي هي بيد غيره ممن لعله يهبه له أو يبتليه بأحكامه فيه فيخرج أيضا من يده الى يد غيره لانه ما خرج من الدار شيء ولله حكمة وابتلاء في كل شيء فالحزن والاسف على فوت مثل هذا عند العارفين جناية ومن المؤمنين خيانة يستغفرون الله ويتوبون اليه كما يتوبون من المعاصي لانهم قد شهدوا ما بيناه ولانه قد أمرهم بترك الاسى على فائت الدنيا وقلة الفرح بما أتى منها اذ لا بد من كونه حالا لانه قد علموه بعد عله ودكتبوه بعد كتبه قد أعلم به فكشف لهم اليقين عن الكتاب المستبين ان ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها فما ظهر من المصائب في الاموال والانفس فقد سبق قبل خلق الخلق وهذا قوله تعالى من قبل أن نبرأها قيل من قبل أن نخلق الخليقة وقيل أن نبرأ الارض وقيل من قبل أن نبرأ الانفس وقيل من قبل أن نبرأ المصيبة ثم قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فالاسى على فقد الشيء على قدر الفرح بوجوده أفلا يستحي العبد أن يكون على ضد ما أمر به أو على خلاف ما يحبه منه مولاه فيأسى على ما ليس له ويحزن على ما أخذ منه واستودعه أو يفرح بما ليس له لانه لا يعلم انه قد وهب له فيبقى عليه أو قد أعير فيؤخذ منه فلما استرجعه من يده التي هي يده تعالى

الخروج عن ملك سلطان الشهوة والهوى والقهر لهما بالصبر والعبودية المحضة هي طاعة الارادة فما لا تضطر النفس اليه الا بشق العقل وتبعات اللذة وكل من خدم في زمان حداثة الشهوة والهوى شق عليه في زمان الشيخوخة ما يلحقه من ضعف بدنه من خدمة الله ومن خدم في زمان حداثته الرأي والادب والدين وشق ذلك عليه في الحداثة كان في زمان الشيخوخة مستريحا ويقال ان بعض الملوك مر ببعض الزهاد فسلم عليه فقال له الزاهد وعليك السلام يا عبد عبدي فقال له الملك ولم قلت ذلك قال له الزاهد لانك عبد الهوى والشهوات وأنا استعبدتهما فأنت عبدان هو عبدي نسأل الله تعالى ان يعتقنا من رق الهوى وعبودية الشهوات وان يجعل حركاتنا وسكناتنا كلها مصروفة في طاعته وخدمته بمنه وكرمه وسعة جوده

*(باب الحسد)*

اعلم ان الحسد من نتائج الحقد الذي هو من نتائج الغضب فهو فرع الغضب والغضب أصل أصله وقد ورد ذم الحسد في آيات وأخبار كثيرة قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وذلك في معرض الانكار وقال الله تعالى من

وقبضه

قبضه أيقن انه لم يكن لهوانه انما كان ودبعتده فزن وساء فهذا المأيقن شك ولما علم جهل ورغب فيما ينبغي
أن يزهد فيه فأي شك مع ذلك يتوهم المتوكل على الله ويدعي منازل الاقوياء الاغنياء بالله الشاهد ين لمجاري
قدر الله في تصاريف حكمه فاذا علم العبد انه كاذب اشكان استكانة الكذابين وتاب توبة المدعين ولم ينطق
بكلام الصادقين ولا يدل ادلال الصبورين فيكون تعريف الله اياه هذه المعاني تأديبا له ومزيد اله وهذا مزيد
الناقصين * والمعاملة الخامسة أن يكون له بكل درهم تلف سبعمائة درهم كأنه قد أنفقه في سبيل الله فحسبه
ذلك لانه قد كان نواه وكذلك ان لم يؤخذ ماني بيته استنباطا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك
العزل فأقر النطفة قرارها انه له أجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له فقال
أنت تخلقه أنت ترزقه اليك مصيره اليك مماته أقرها قرارها ولك ذلك * والمعاملة السادسة أن لا يأثم أخوه الذي
أخذ رحله ان كان قد جعله صدقة عليه فيؤجر أجرا ثانيا لاشفاقه على أخيه وحسن نظره للعصاة من حيث
لا يعلمون تخلقا بأخلاق مولاه وينال بعفوه عن ظالمه درجة المحسنين ويحقق مقام المتقين ويكون ممن وقع
أجره على الله فيحق له مالا تعلم نفس من قرة العين ولانه قد علم كيف جرى الامر وان الآخذ مبتلى بسوء
القضاء وانه قد عوفي اذ لم يكن هو ذلك العبد فيرحم أهل البلاء حينئذ ويحمد الله على ما عافاه فيشغله
الشكر لله عن الدعاء على ظالمه قال بعض العارفين لبعض أصحابه لم أسقط أهل المعرفة الائمة من الظالمين
لهم فقلت لا أدري قال لعلمهم ان الله قصدهم بذلك وابتلى الظالمين بهم فرحموهم وذلك داخل في نصر أخيه
الظالم لنفسه وطاعة لامر رسوله في قوله انصر أخاك ظالما أو مظلوما أي تمنعه من الظلم فاذا عفا عنه فقد منعه
من الظلم لانه لو رآه منعه من أخذه أو وهبه فيقوم عفوه عنه مقام رؤيته * والمعاملة السابعة تحققه في الزهد
فيما ذهب وقال أبو سليمان الداراني لما بلغه عن مالك بن دينار انه قال للمغيرة اذهب فخذ تلك الركوة من
البيت فلا حاجة لي بها وكان قد أهداها اليه وقبلها منه فقال ولم قال يوسوس الي العدو ان اللص قد أخذها
وكان مالك لا يغلق بابه انما كان يشده بشريط وكان يقول لولا الكلاب ما شددته أيضا فقال أبو سليمان
هذا من ضعف قلوب الصوفيين هو قد زهد في الدنيا فما عليه من أخذها وهذا كما قال أبو سليمان لان الزهد
اذا صح دخل الرضا فيه ولقول مالك يضا وجه كأنه كره أن يعصى الله به فيكون هو سبب معصية الله ولكن
قول أبي سليمان اعلى لاجل التوكل والرضا وهذا الذي ذكرنا من ذهاب ما في البيت هو لكل من ذهب له
مال في سفر أو حضر ولكل من أصيب بمصيبة في نفس أو أهل هذه المعاملات كلها اذا اعتقدها بقلبه وكانت في
خلده ووجدها وان لم ينطق بها أو يظهرها فان أكثر الناس ايمانا وأحسنهم يقينا أقلهم غما وأيسرهم أسى على
ما فات من الدنيا وأحسنهم رضا وأعظمهم شهادة من رأى ان ذلك نعمة أوجبت عليهم شكرا وأقل الناس
ايمانا وأضعفهم يقينا أشدهم أسى وأكثرهم غما على ما فات وأطولهم شكوى وأقلهم شكرا والمصائب محنة
تكشف الزهد في الدنيا والرغبة ألم تسمع الى الحديث الذي جاء فيه هذا الدعاء وأسألك من اليقين ما تهون به
علينا مصائب الدنيا فشدة الغم على فوت الدنيا دليل على حبها وعلامة تضعف اليقين يجبر به وسهوله الغم
على فوتها دليل على الزهد فيها وقوة اليقين بربه فان وجد المتوكل رحله بحاله لم يضره تبقيته شيء وكان له
أجر ما قد نوى من المعاملات ولا أعلم هذا القول واعتقاده عند خروج العبد من منزله أو تركه لرحله أو خروجه
في سفر ينفعه شيأ ولا يضره ولا يقدم ضياع شيء حكم الله ببقائه له ولا يؤخر تلك العدل لهذا تبقيتها حكم الله
بذهابه ومع ذلك فيكون له حال من التوكل ومقامات في المعاملات الاشياء واحدا من باب نقصان الدنيا من
طريق الورع فانه ينقصه وهو انه ان أخذ ما توكل على الله فيه وفوض اليه أمره به ثم رد عليه لم يستحب له في
الورع ان يملكه ولا أن يرجع فيه في حسن الادب لانه قد كان جعله صدقة في سبيل الله فان رجع فيه لم ينقص
ذلك توكله لانه قد صح تفويضه الى الوكيل في الحالين معافيا ورد عليه لانه قد كان وهبه له بمنزلة ابتداء
عطاء منه وقد روينا أن ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى أعيا ثم قال في سبيل الله ودخل المسجد وصلى

شر حاسد اذا حسد وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا الحديث مشهور
وهو في مسلم وغيره وقال
صلى الله عليه وسلم دب
اليكم داء الامم من قبلكم
الحسد والبغضاء والبغضاء
هي الحالقة ولا أقول
حالقة الشعر ولكن حالقة
الدين والحاسد عدو لا
يرضى الا بزوال النعمة واذا
أراد الله أن يسلط على عبد
عدوا الا رحمه سلط عليه
حاسدا وقيل الحسود
لا يسود وقيل الحسود
مغتاظ على من لا ذنب له
*(فصل)* والحسد هو
كراهة حصول النعمة
لغيرك ومحبة زوالها عنه
وله أسباب منها أن يكون
عدوا له أو مبغوضا له ومنها
أن يكون قبول الناس
عليه أكثر ومحبتهم له
أقوى ومنها أن يكون
موصوفا عند الناس بزيادة
في العلم والفضل فيحسده
على ذلك ومنها كثرة المال
والجاه الى غير ذلك من
الاسباب وأكثر ما يكون
الحسد بين الاقران والامثال
والاخوة وبني العم والاقارب
وانما يكون غالبا بين
أقوام تجمعهم روابط
يجتمعون بسببها في مجالس
المخاطبات ويتواردون
في الاغراض فاذا خالف
واحد صاحبه في غرض
من أغراضه نفر طبعه عنه
وأبغضه وثبت الحقد في قلبه
فعند ذلك يريد أن يستحقره
ويتكبر عليه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى أغراضه فلا تحاسد بين شخصين في بلدين

ركعتين فجاء رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان ناقتك بمكان كذا فلبس نعله وقام ثم نزعهما ثم قال أستغفر الله وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال اني قد كنت قلت في سبيل الله وحدثني بعضهم قال رأيت بعض اخواني في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة وعرضت على منازلي فيها فرأيتها قال وهو في ذلك كئيب حزين فقلت قد دخلت الجنة وغفر لك وأنت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم اني لا أزال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم ذلك قال اني لما رأيت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هي لمن أمضى السبيل فقلت وما أمضى السبيل قيل لي قد كنت تقول للشيء اذا ذهب منك في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضيناها لك وقد حدثونا ان الربيع بن خيثم سرق فرسه وكان ثمنه عشرين ألفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه الناس يعزونه فقال اما اني قد كنت رأيته وهو يحله قيل وما منعك أن تزجره قال كنت فيما هو أحب الي من ذلك يعني الصلاة قال فجعلوا يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له الا تدعو على ظالمك فقال ما أحب أن أكون عونا للشيطان عليه قيل أفرأيت لو ردت اليك سرقتك أكنت تأخذها قال ولا كنت أنظر اليها اني قد كنت أحللته منها وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال انما ظلم نفسه فلا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى أزيده شرا وذهب لبعض المسلمين مال فجاء قوم يعزونه عليه فقال ما تعزوني على أمر الدنيا فوالله ما حزنت على ذهابها فكيف على ذهاب شيء منها قيل ولم قال شغلني الشكر عليه عن الحزن وقد كانوا يقولون اذا ظلموا من الغصب والسرقة وغير ذلك هذه نعمة الله علينا اذلم يجعلنا ظالمين وجعلنا مظلومين أعظم مما فاتنا من الظلامة وقد كان السلف يخافون أن يذكروا الظالم بالسبب والدعاء عليه فيكون ذلك زيادة على مظلمتهم وقد روينا من دعا على ظالمه فقد انتصر وأكثر بعضهم بشتم الحجاج عند بعض السلف فقال له لا تغرق في شتمه فان الله ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله وفي الخبر أن العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم وقال بعض العلماء لرجل وقد كان شكا اليه قطع الطريق وأخذ ماله فقال له ان لم يكن غمك انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بما لك فما نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن فقال أعلى الدنانير تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين انه يسئل يوم القيامة بهم ولا يكون له حجة وقيل لبعضهم في معنى هذا ادع على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فان رد على المتوكل كل ما أخذ منه فالافضل له أن لا يتملكه ان كان قد جعله في سبيل الله ليمضي السبيل فان كان قد جعله صدقة على الآخذ نظر في ذلك فان كان فقيرا احله فقره على السرقة والخيانة والحاجة أمضى صدقته عليه وان كان غير ذلك صرفها الى فقير وقد كان بعضهم اذا أخذ له الشيء يشترط فيقول ان كان فقيرا فهو صدقة عليه وان كان محتاجا فهو في حل وقد أخبرني بعض الاشياخ عن شيخ كان بمكة من العباد انه اتهم بعض الحاج بسرقة همبانه لانه كان قائما الى جانبه فقال له كم كان فيه فأخبره فحمله الى منزله فوزن له من المال ثم ان أصحابه علموا انهم من حوامهم وحلوا همبانه وهو نائم فجاءه هو وأصحابه اليه فردوا عليه ماله فقال ما كانت لتعود الي بعد اذ خرجت هي لكم فقلنا لا حاجة لنا بهم فقال خذوها قال فأبينا فقال يا بني ودعا ابنه وجعل يصرها صررا ويبعث بها الى قوم حتى فرغ منها وهذا كانت نيته اخراجها لله سبحانه فلم يعد فيما أخرجه كما نقول فيمن أخرج رغيفا الى سائل أو أعد درهما لفقير فلم يصادفه فانا نستحب أن لا يرجع الى ملكه بل يعزله لسائل آخر أو فقير غيره لم يزل هذا من أخلاق المؤمنين وقد رأينا من كان بهذا الوصف وهذا طريق قد عفا أثره ودرس خبره فمن عمل به فقد أحياه وأظهره وقد كان ندعها طريقا الى الله تعالى عليه السابلة من الاولياء * ذكر بيان آخر من

ولا الامير القاضي ولا عكسه * (فصل) * وعلاج الحسد يكون بكف جوارحك من أن تعمل بمقتضى ما في قلبك من الحسد حتى لا يظهر على جوارحك شيء مما يؤلم المحسود وهذا بعد أن تسعى في محوه من قلبك بكل ما يمكنك من الاسباب بحيث يحصل عندك كراهة من جهة العقل لزوال نعمته في مقابلة الميل الطبيعي اليه والهاتف اذا فعلت ذلك فقد أديت ما يجب عليك وقال قوم لا يأثم بها في القلب ما لم يظهر الحسد على جوارحه وهذا ضعيف فان الحسد أمر قائم بالقلب وانما يظهر أثره على الجوارح وقد ورد ذم الحسد والنهي عنه وذلك مصروف الى المعنى القائم بالقلب وهو مساءة الغير وكل محنة ساءت المسلم فهي حسد واعلم أن الحسد ينشأ عن أمور منها التكبر والعجب والرياسة وحب المنزلة والعداوة والبغضاء * (فائدة) * الحسد القائم بالقلب ذنب بين الله تعالى وبين الحاسد لا تتوقف صحة التوبة منه على تحليل المحسود وابرائه منه بخلاف آثار الحسد فانها أذية للمحسود فلا تصح التوبة عنها الا بالخروج من عهدتها لانتم الضرر الا بمجرد الحسد وانما هو تعاطي آثاره * (باب الغضب والغيظ والعداوة وتوابعها البغضاء والحقد والبخل) *

أحكام المتوكل اعلم ان التوكل على الله فى الاسباب لا يوجب بقاءها العبد ولا ايثاره بها ولا حفظها عليه ولا يقدم شيأ من شئ ولا يؤخره لصلاح دنيا أو اختيار عبد بل هو الى الاذهاب والاتلاف أقرب لان التوكل قرين الزهد هكذا هو عند الخصوص ولا لاجل اختيار العبد وتحقيق مسئلة مقته ولاجل من نفى التشئ من الدنيا قال الله سبحانه وتعالى فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة فان ذهب ماله فصبر أو شكر أو رضى كان صادقا فى توكله وهذه أحوال المتوكلين فى التوكل ان كانوا صادقين وان عجز واضطرب كان كاذبا فى دعواه التوكل و يلزمه من مجاهدة النفس عند اضطرابها بعد عدم الاشياء ما يلزم من مجاهدتها ونفى الآفات فى سائر الاعمال فان حفظ عليه ماله فقد رفق به فى ذلك وستر عليه عن كشف حقيقته له بتلف ذلك وجعلت كرامة من الدنيا له ليطمئن بذلك فى حاله ويسكن به قلبه فى طريقه وهذا مقام الضعفاء وان نقص من الدنيا فقد أقيم مقام أهل البلاء الامثل فالامثل بالانبياء ولولا الامتحان لكثر الصادقون وكذلك التوكل على الله فى ترك الدواء لا يجلب العوافى ولا يعجلها ولا ينقص من الامراض ولا يذهبها بل هو الى الازدياد منها أقرب للتمحيص والابتلاء ومنه قوله عز وجل وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين فمن لم يشهد نقصان الدنيا من النفس والمال نعمة توجب عليه الشكر ويرى المنع عطاء فقد جهل تلك النعمة باضاعة شكرها فافاته من جهل النعمة وترك الشكر أعظم مما يترك من جميع الدنيا وأخاف عليه طبقة من المحق والمحق نقصان الشئ الى ذهاب جملته عند الكفر بنعمته لقوله تعالى ويمحق الكافرين فالله أعلم أى شئ يمحقه و ينقصه بمقدار ما كفر شكر نعمته وقد قال سبحانه ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين فهذا النقص من هذه الخمس التى المزيد منها هو جملة الدنيا هو المزيد من الآخرة لا عند الدنيا كما قال تعالى وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فصبروا على مصائبهم توكلا على ربهم ثم توكلوا فى صبرهم لشهادة وكيلهم وحسن ظنهم به ثم صبروا على توكلهم لتمام حالهم و يعلو بذلك فيه مقامهم فالصبر أول مقام فى التوكل وهو عند مشاهدة القضاء بلاء والشكر أعلى من ذلك وهو شهود البلاء نعمة والرضا فوق ذلك كله وهو أعلى التوكل وهو مقام المحبين من المتوكلين قال الله عز وجل فى وصف عموم المتوكلين وما عند الله خير للذين يتقون أفلا تعقلون فمن اتقى الله وعقل خطابه توكل عليه فيما أصابه فلم ييأس على ما فاته ولم يفرح من الدنيا بما هو آت وهذا أوسط الزهد وأول التوكل وقال تعالى فى وصف الخصوص وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فأهل العقل عن الله والمتقون له هم المتوكلون عليه وقد زهدهم فيما يفنى برغبته اياهم فيما يبقى حين فهموا الخطاب اذ هم أولوا الالباب وذلك انه أضاف ما عنده اليه ووصفه بالبقاء ليرغبوا فيه لانهم قد توكلوا عليه وأضاف ما عندهم اليهم ليزهدوا فيه ووصفه بالفناء لانهم قد زهدوا فى نفوسهم اذ قد باعوها منه فكيف يملكون ما عندها والعبد وماله لسيده وهو تعالى قد اشتراها منهم لرغبتهم فيه وعوضهم منها ما يبقى لهم فقال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق

بيان آخر من فضيلة المتوكل اعلم يقينا ان الله تعالى لو جعل الخلائق كلهم من أهل السموات والارضين على علم أعلمهم به وعقل أعقلهم عنه وحكمة أحكمهم عنده ثم زاد كل واحد من الخلائق مثل عدد جميعهم واضعافه علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم العواقب واطلعهم على السرائر وأعلمهم بواطن النعم وعرفهم دقائق العقوبات وأوقفهم على خفايا اللطف فى الدنيا والآخرة ثم قال لهم دبروا الملك بما أعطيتكم من العلوم والعقول عن مشاهدتكم عواقب الامور ثم أعانهم على ذلك وقواهم به لما زاد تدبيرهم على ما يرا من تدبير الله تعالى من الخير والشر والنفع والضر جناح بعوضة ولا نقص جناح بعوضة ولا أوجبت العقول المكاشفات ولا العلوم المشاهدات غير هذا التدبير ولا غمت بغير هذا التقدير الذى دعا ينمو يتقلب فيه ولكن لا يبصرون لانه أجراه على ترتيب العقول وعلى معانى العرف والمعتاد من الامور بالاسباب المعروفة والاوساط المشهورة على معيار ما طبع العقول فيه وجبل العقول عليه ثم غيب

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وروى ابن مسعود نحوه وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لا تغضب واعلم أن حركة النفس يحدث بها غليان دم القلب شهوة للانتقام فاذا كانت هذه الحركة عنيفة أججت نار الغضب وأضرمتها فاحتد غليان القلب وملئت الشرايين والدماغ دخانا مظلما مضطربا ينتشر به حال العقل ويختل ادراكه فلذلك يعمى الغضبان عن الرشد ويصم عن الموعظة بل تصير المواعظ كاهانة فى تلك الحال سيما الزيادة فى الغضب وليس ترجيه فى تلك الحالة حيلة وينبغى للانسان ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله الا على حد يستحب فى الشرع وذلك يكون بالمجاهدة وبتكلف الحلم والاحتلام فيعطى نفسه ويحاطبها بانك عن قريب راحلة وموطنك القبر ومستقرك الآخرة وانما الدنيا معبر يعبرها و يتزود منها قدر الضرورة ويزهد فى الدنيا ويهون مصائبها ويمحى حبها من قلبه واعلم ان الحلم وترك الغضب من نتائج التوحيد فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله تعالى فانه لا يغضب على أحد من خلقه اذ يراهم مسخرين فى قبضة قدرته فيندفع الغضب والغيظ بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وان الله لا يفعل

مع ذلك العواقب وعجب السرائر وأخفى المثاوب فغاب عنها حسن التدبير وجميل التقدير فجهل أكثر الناس الحكم الا المتوكلين وما يعقلها الا العالمون ويقال أصغر ما خلق الله من الحيوان والموات البعوضة والخردلة وفي كل واحد منهما ثلثمائة وستون حكمة ثم يتزايد الحكم في المخلوقات على قدر تفاوتها في العظم والمنافع ومزيد آخر من الهدى والبيان لو تمنى أهل النهى من أولى الالباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب نهاية أمانيهم فكونت أمانيهم على ما عنوا الكانت رضاهم عن الله في تدبيره ومعرفتهم بحسن تقديره لهم خير لهم من كون أمانيهم وأفضل لهم عند الله من قبل ان الله أحكم الحاكمين وقال تعالى مسوبخا للانسان بجهلا المتمني لقلة الايقان أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى أي يحكم فيهما بغير الاماني لانه قال تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن فالمتوكل محب لله تعالى مسرور بربه فرح له بحلمه بان لله الآخرة والاولى يحكم فيهما كيف شاء والعبد عاجز لا يقدر على شيء فهذا أول مقام في المحبة فقد كفى الخلائق هذا كله بحسن تدبير الخالق العليم الخبير البصير وانما يحتاجون الى معرفة بالحكمة ومشاهدة الحكم والرجوع الى بصيرة ويقين يسكن عنده قلوبهم ولا يضطرب هذا الذي ذكرناه عند الموقنين ويستطلع العموم على سر ما ذكرناه من لطيف التدبير وباطن التقدير وهو سر القدر ولطائف المقدر في الآخرة عند المعاينة وقد كشف الغطاء وظهر ما اختص من عجائب الخبء في السموات والارض وقد اطلع الله على ذلك العلماء به في الدنيا وهو محمود مشكور على ما أظهر وأخفى ففي كل واحد منهما نعمة ومع كل واحد منهما حكمة ورحمة ولكن قد خلق الله العلماء بأخلاقه فليس يكشفون من علمه الا بقدر ما كشف وليس يعرفون من سر قدره الا بمعيار ما عرف وقال تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فقد تأدبوا بهذا الخطاب ووقفوا عنده وقال أبو سليمان الداراني اذا لاحظت الاشياء من فوق وجدت لها طعما آخر وقال بعض العارفين اذا رأيت الاشياء كلها كشيء واحد من معدن واحد رأيت ما لم تسمع وفهمت ما لم تفهم الخلق وقال بعضهم لا ترى العجب حتى ترى عجبا فان لم تر عجبا رأيت العجب ❊ ذكر بيان آخر من وصف المتوكلين اعلم أن العلماء بالله سبحانه لم يتوكلوا عليه لاجل أن يحفظ لهم دنياهم ولا لاجل تبليغهم مرادهم ولا ليشترطوا عليه حسن القضاء بما يحبون ولا ليبدل لهم جريان أحكامه بما يكرهون ولا ليغير لهم سابق مشيئته الى ما يعقلون ولا ليحول عنهم سنته التي خلت في عباده من الابتلاء والاختبار هو أجل في قلوبهم من ذلك وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا لو اعتقد عارف بالله أحد هذه المعاني مع الله في توكله كان كبيرة توجب عليه التوبة وكان توكله معصية وانما أخذوا نفوسهم بالصبر على أحكامه كيف جرت فطالبوا قلوبهم بالرضا عنه كيف جرت وقال رجل لمالك بن أنس يا أبا عبد الله اني تعلقت بأستار الكعبة فتبت من كل ذنب وحلفت أن لا أعصي الله فيما استقبل فقال له ويحك ومن أعظم معصية منك تتألى على الله أن لا ينفذ حكمه فيك وأنشدنا بعض العلماء لبعض الحكماء

لما رأيت القضا جاريا ❊ لا شك فيه ولا مرية ❊ توكلت حقا على خالقي ❊ وألقيت نفسي مع الجرية

وانما كرهوا ما كره الله طاعة لله فذلك كراهتهم كرمحبا الله وأكثر ما الحكمه عليهم لا كراهتهم ما قضى اذ ليس لهم أن يقولوا لم قضيت ما تكره ولم كرهت ما قضيت هو أجل وأعظم وفي نفوسهم أخوف وأهيب أن يواجهوه بهذا الخطاب في قول أو عقد بل عرفوا حكمته فيه وصبروا على حكمه به وانما توكل العلماء به عليه لاجل انه يحب المتوكلين ولاجل انه يستحق التفويض اليه ويستوجب التسليم له اذ كان هو الوكيل الاول والكفيل الاجل حين سمعوه يقول وهو على كل شيء وكيل ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وحين سمعوا قوله ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ولما عقلوا من خطابه أليس الله بأحكم الحاكمين أو لاجل انه أمر بالتوكل وندب اليه وحقق الايمان به اذ سمعوه تعالى يقول أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أمن يملك السمع والابصار ومن يدبر الامر وما من دابة في الارض الا على الله

به الاماليه الخبير وربما تكون الخيرة في جوفه وصلت بعوض شوموته فقتله ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما تكون كالبرق الخاطف فيغلب في أحوال مختلفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لتصور للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم انا بشر أغضب كما يغضب البشر وانما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في حال الغضب والرضا فقال أكتب والذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق وأشار الى لسانه فلم يقل اني لا أغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق وسب رجل أبا بكر فقال له ما ستر الله عنك أكثر والغضب ينقسم الى محمود ومكروه ومحرم فالغضب لله محمود وهذا كالغضب عند المشاهدة للمنكرات والفواحش غيرة على الدين وطلبا للانتقام ولهذا مدح الله تعالى الصحابة بكونهم أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وأما المكروه فالغضب عند فوات حظوظه المباحة كغضب الانسان على خادمه وعبده عند كسر آنية أو توانيه في خدمته فهذا لا ينتهي الى حد المذموم ولكن التغافل والتجاوز فيه أولى

رزقها وفي السماء رزقكم وما توعدون ثم أقسم عليه بنفسه انه حق فتوكلوا عليها سقيا منه ولوجود اليقين الذي رفع خفايا الشك وحذر من التهمة له وثوقه بالاعتقاد عليه فمنهم من توكل عليه لاجل هذه المعاني كلها ومنهم من توكل عليه لمشاهدة بعضها فكل عبد توكل على الوصف الذي به عرفه وكل عرفه عن المعنى المتجلي الذي عرفه فكل يطيعه على قدر قربه منه وكل يقرب على قدر علمه بقربه منه بقدر ما يعرف من كينونيته في مكنون كانه وكل يعمل على قدر عنايته به ومن ورائه سر القدر فشاهدة كل عبد من مقاصد معاملته من وجد شهادته وجزاؤه نحو معاملته والله يضاعف لمن يشاء هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون فدار السلام جامعة لهم وهم متفاوتون في درجاتها كدار الدنيا تجمعهم وهو يرفعهم اليه في ملكوتها بتخصيص التولي وحسن الولايات عن تحسين المعاملات الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ومن الخصوص من توكل عليه تعظيما له واجلالا ومنهم من توكل عليه يقينا بوعده ليحقق صدقه كأنه قد أخذ الموعود بيده اذ يقول تعالى ومن أوفى بعهده من الله انه كان وعده مأتيا ومنهم من توكل عليه استسلاما لما شهده من قهر عزه وعظيم قدره ومنهم من توكل عليه ليحفظ عليه ماله فيه ومنهم من توكل عليه ليحفظ له ما استحفظه ويحمي ماله عليه ومنهم من توكل عليه لقيامه بشهادته عن حسن معرفته ومنهم من توكل عليه استسلاما له عن جميل معاملته ومنهم من فوض اليه لحسن تدبيره عنده وبحكم تقديره ومنهم من توكل عليه لان توحيده له وشهادة قيوميته ذلك يقتضيه فهذه كانت مواجيد أوليائه ومناهج أحبابه عن مشاهدة القرب بمعرفة القريب وبعضهم أعلى مقاما من بعض وبعض هذه المشاهدات أقرب وأرفع فاعلاها من توكل عليه للاجلال والتعظيم وأوسطها من توكل عليه للمحبة والخوف وأدناها من توكل عليه تسليما له وتعبدا اليه وقد ذكرنا أيضا من توكل العموم ما يستحي العارفون من ذكره وينزهون قلوبهم عن فكره وهو التوكل عليه في القلوب وقد طوينا ذكر توكل خصوص الخصوص من صديقي المقربين لانه لا يحتمله عقل عاقل ولا يسع أن يستودع في كتاب لعاقل اذ ربما نظر فيه منكر جاهل والله المستعان فدخل من عرفه فيما يجب لاجله ورغبوا فيما مدح لوصفه ليحصل لهم وصف يعطيهم به الولي حسن ثنائه ينالون بذلك التقرب منه ومحبته له وذكر بيانا آخر في التوكل وما لا ينقص المتوكل ولا ينقص المتوكل على الله سبحانه مسئلة مولاه فيما أحب من صالح الدنيا ومزيد الآخرة اذ لم يقصد غير مطلوب وكان مفوضا الى الله الامور ولكن يحتاج الى معرفة الاجلة فقد يكون المنع اجابة وقربا اذا كان العطاء شغلا عنه وبعدا لان الخيرة فيما لا يعلم العبد وقد يكون فيما يكره مما يعلم الله سبحانه حسن عاقبته لانما يعقل العبد عاجل منفعته فعليه التسليم لحكم الحاكم والرضا بقسم القاسم فان سأل تكاثرا من الدنيا أو مالا يحتاج اليه وما ليس فيه صلاح قلبه ولا قربة الى ربه أخرجه من حقيقة التوكل بمقدار ما يخرجه من الزهد وان انقطع بالذكر عن المسئلة أعطاه فوق عطاء من سأله وان سكت حياء من الوكيل اذ هو حسبه فشهد الكفاية ورضي بجميع التصرف فهذا مقام من المواجهة عن مشاهدة القيومية وهو حال المقربين ولا يقدح في التوكل تشرف المتوكل الى رزقه لانه خلق ضعيفا اذا افتقر رزقه لوم لا بد منه والمعلوم مقسوم فتشرفه الى القسم تشرف منه الى القاسم ومن تشرف الى مولاه شرفه وتولاه ولكن ان تشرف الى الزيادة وخرج من القناعة وطلب العادة وأراد الشيء قبل وقته أو كره تأخره عنه الى وقت مقدوره فان هذا يقدح في توكله وينقص من زهده ولو كان التشرف الى الرزق منها والتطلع الى الرزق مجملا ينقص التوكل لعاب من باع واشترى وجهلنا من تعالج من علته بالدواء لان في ذلك تشرفا الى الرزق وتطلعا الى البرء فيلزم من ذلك تضعيف التابعين وطعن على المتداوين من الصحابة والسلف الصالح وأخرجهم ذلك من التوكل والزهد ولهم منهما مقامات ولا يخرجه من التوكل مطالعته العوض على معاملته من جزاء الآخرة لانه قد شوق الى ذلك وندب اليه ولكن لا يدخله ذلك في حقيقة الاخلاص ولا يرفعه الى علو درجة الصديقين من المتوكلين وقد يكون مزيدا

وأحب وأما المذموم فهو الاستشاطة الصادرة عن الكبر والتكبر والمباهاة والمنافسة والحسد والحقد وغير ذلك من الحظوظ الدنيوية دون الدينية وهذا هو الغالب على أكثر الخلق

*(فصل)* وينبغي لكل من حصل عنده غيظ ان يمسكه ويجتهد في ان لا تظهر آثاره عليه قال الله تعالى والكاظمين الغيظ الآية قال المفسرون هم الذين يمسكون غيظهم في نفوسهم على ما فيها من غمومهم ولا يصرحون من كربه بقول ولا فعل لا يعجل لهم حكما يفعله المتغيظون من الاشرار (سؤال) أيما رجل أفضل يغتاظ ويكتم غيظه بالتقى أو رجل لا يغتاظ لوفور نصيبه من الحلم والنهى (الجواب) الحليم أفضل من الكظيم لان الحلم درجة اذ هو من جملة المقامات والكظم مثوبة وأين أهل المثوبات من أهل الدرجات والمقامات لكن هذا بشرط ان يكون الحلم اختيارا يعمل عليه متابعة الشرع لا ما اذا كان فطريا يبعثه عليه الطبع

*(فصل في دواعي الغضب والغيظ والاسباب المهيجة لهما ومباشرة الغضب والغيظ)* قال العلماء الفهماء الحكماء النبهاء أرباب البصائر واليقين الاسباب المهيجة للغضب والغيظ هي الكبر والعجب والهزل والتعيير والمماراة وشدة الحرص على فضول الدنيا والجاه وهي بأجمعها صفات ردية وأخلاق مذمومة ولا خلاص من الغضب مع بقاء

على قدر ماله الا انه لا يدخله في اخلاص المحبين ولا يرفعه في درجات المقربين ولا يصح التوكل الا بالزهد في الدنيا وأول الزهد ترك الرغبة في الحرام وأول أحوال المتوكل التوكل في القوت ثم الصبر على حكم الحي الذي لا يموت وأعلى التوكل عليه في الاستسلام للاحكام والرضا عنه في السابقين الاقدام وهو اطراح النفس ونسيانها اشتغالا منه عنها بنفسها وحبه له وحقيقة التوكل بعد مشاهدة يد الوكيل فاذا ظهرت يده غابت الايدي فيها فعندها توكلت عليه بتذلل فقبل توكلك واستسلمت اليه فسلمك فانه يتجلى لك بوصف يلزمك حكما يضطرك الحكم الى الحاكم ويوقفك الوصف على الوكيل كما يضطرك الحاكم الى الحكم ويجري لك وعليك ما شاء من القسم فاعلى توكلك عليه حياء منه واشهاده اياك توكله لك بحسن التدبير فلم يكلك الى سواه ولم يول لك الا اياه فاما أن يقتضيك تصبرا له واما أن يقتضيك تفويضا اليه واما أن يقتضيك رضا عنه أو تسليما له أو استرواحا من تدبيرك لنفسك أو يسقط عنك اهتمامك بتقديرك وأمانيك ومن يتوكل على الله فهو حسبه والحسب اي الحسيب يجعله ماشاء كيف شاء فقد قيل حسبه اي التوكل وقد قيل التوكل حسبه من سائر المقامات وقيل الله حسبه أي يكفيه ممن سواه قال تعالى معرفا لمكانه فتسليما لحكمه ان الله بالغ أمره أي منفذ لحكمه فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكون الله حسبه أي يكفيه أيضا مهم الآخرة والدنيا ولا يزيد من لم يتوكل عليه جناح بعوضة في قسمه كما لا ينقص من توكل عليه ذرة من رزقه لكن يزيد من توكل عليه يهدى الى هداه ويرفعه مقاما في اليقين على تقواه ويعزه بعزه وينقص من لم يتوكل عليه من اليقين ويزيده من التعب والهم ما يشتت قلبه ويشغل فكره والمتوكل عليه يوجب له بذلك تكفير سيآته ويلقي عليه رضاه ومحبته والكفاية فقد ضمنها تعالى لمن صدق في توكله عليه والوقاية فقد وهبها لمن أحسن تفويضا اليه الا أن الاختيار وعلم الاستئثار اليه والكفاية والوقاية يجعل ذلك ما شاء كيف شاء وأين شاء ومتى شاء من أمور الدنيا وأمور الآخرة من حيث لا يعلم لان العبد موجود يجري عليه الاحكام في الدارين وفقير محتاج الى اللطف والرحمة والرفق في المكانين والله هو الغني الحميد المبدئ المعيد وقيل لابي محمد سهل متى يصح للعبد التوكل فقال اذا علم أن تدبير مولاه خير من تدبيره لنفسه فان نظر مولاه أحسن من نظره لنفسه فيترك التفكر فيما كان والتمني لما يكون فيترك التدبير ولله عاقبة الامور وهو على كل حال محمود مشكور ❊ ذكر أحكام مقام الرضا والرضا عن الله سبحانه وتعالى من أعلى مقامات اليقين بالله وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فمن أحسن الرضا عن الله جازاه الله بالرضا عنه فقابل الرضا بالرضا وهذا غاية الجزاء ونهاية العطاء وهو قوله عز وجل رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد رفع الله الرضا على جنات عدن وهي من أعلى الجنات كما فضل الذكر على الصلاة فقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر كما قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والذكر عند الذاكرين المشاهد فمشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة وهو أحد الوجهين من الآية والوجه الثاني ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لله وقال أبو عبد الله الساجي من خلق الله عباد يستحيون من الصبر يتلقون مواقع اقداره بالرضا تلقفا وقد كان عمر بن عبد العزيز يقول أصبحت ومالي سرور الا في مواقع القضاء فالراضون عن الله عز وجل هم الذاكرون لله بما يحب ويرضى فالرضوان الاكبر جزاء أهل الذكر الاكبر وهذا أحد المعاني في قوله من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين أي الرضا عنه لان السائلين يسألونه لهم فاعطاهم العفو والذاكرون ذكروه فاعطاهم الرضا عنه عز وجل ويكون أيضا معناه أعطيته النظر الي لان الذكر يدخل في المشاهدة فقابل النظر اليه اليوم بالنظر اليه غدا كما قابل الوصف بالوصف في قوله عز وجل وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال الرسول صلى الله عليه وسلم يتجلى لنا ربنا ضاحكا والذكر قرب السمع والسمع يخرج الى النظر والرضا هو حال الموقن واليقين هو حقيقة الايمان والى هذا ندب النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس في وصيته له فقال اعمل لله باليقين في

هذه الأسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب بالاتصاف باضدادها فينبغي أن يميت الكبر بالتواضع ويميت العجب بالمعرفة بنفسه ويزيل الحسد بالجد في طلب الفضائل الدينية وتصحيح القصد في طلبها والعمل الصالح وتهذيب الاخلاق وأما تعيير الناس فيزيله بالحذر من الكلام الفحش وقول القبيح وصيانة اللسان عن سوء الخطاب وأما شدة الحرص على فضول الدنيا فيزيله بالقناعة بقدر الضرورة ليصون نفسه عن ذل الحاجة واعلم ان آفة الغضب عظيمة وكيف لا تعظم آفته وهو يحمل الجوارح الظاهرة على القتل والضرب والشتم واطالة اللسان ويحمل القلب على الحقد والحسد واضمار السوء أو الشماتة والعزم على افشاء السر وهتك الستر والفرح بمصيبة المغضوب عليه والغم بمسرته وكل واحد من هذه الخبائث سم قاتل مهلك فعليك في كسر سورة الغضب بوظائف احداها ما تقدم من ازالة أسبابه بالاتصاف باضدادها والثانية كسره في الرياضة ولست أعني بكسره ازالته من أصله فانه لا يزول بأصله ولو زال فينبغي تحصيله فانه آلة القتال مع الكفار والمنع من المنكرات وبه يحصل كثير من الخيرات كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينتصر لنفسه ولا يغضب لها ولا للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر للحق واعلم ان الغضب كجارحة الصيد

الرضا فان لم يكن فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا فرفعه الى أعلى المقامات ثم رده الى أوسطها كذلك قال لابن عمر واعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فنديه الى المشاهدة وهو الاحسان لانه سأل ما الاحسان قال تعبد الله كأنك تراه ثم رده الى الصبر والمجاهدة وهو الايمان وهذا مكان العلم بان الله يراه وليس بعد هذا مكان يوصف وقد رفع الله تعالى الرضا منه فوق ما أعطى من النظر ففي الخبر ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر تفضيل عظيم للرضا ولان بالرضا دام لهم النظر لما كان الرضا موجب النظر سألوا دوام الرضا ليدوم القرب والنظر فسألوه تمام النعمة من حيث بدايتها ولا يصلح ان يظهر في معنى قولهم رضاك أكبر من هذا ولا يرسم في كتاب حقيقة الامر لانه على كشف وصف من صفات الذات وجب على العبد هيبة الربوبية وخوف هذا عن القلوب محجوب وحكمة من سرائر الغيوب وهذا في الدنيا ثواب لاهل الخشية عن معرفة خاصية قال الله سبحانه رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ولدينا مزيد قال يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين أحدها هدية من عند الله ليس عندهم في الجنان مثلها وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهداية فهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية ومن التسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر من النعيم الذي هم فيه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لطائفة من المؤمنين ما أنتم قالوا نحن المؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرضاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر انه قال حلماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا أنبياء فشهد لهم بالايمان بعد وصف الرضا وكذلك جعل لقمان الحكيم الرضا من شرط الايمان لا يصلح الا به فقال في وصيته للايمان أربعة أركان لا يصلح الا بهن كما لا يصلح الجسد الا باليدين والرجلين ذكر منها الرضا بقدر الله وحدثونا في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله دهرا طويلا فرأى في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة فسأل عنها الى ان وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر الى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال أما لك عمل غير ما رأيت قالت ما هو والله الا ما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في ان كنت في شدة لم أتمن أني في رخاء وان كنت في مرض لم أتمن اني في صحة وان كنت في الشمس لم أتمن اني في الظل قال فوضع العابد يده على رأسه فقال أهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وقد روينا عن ابن مسعود من رضي بما ينزل من السماء الى الارض غفر له وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وروى عن محمد بن حوشب عن النبي صلى الله عليه وسلم من خير ما أعطي العبد الرضا بما قسم الله وفي الخبر المشهور طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وفي مثله أيضا من رضي من الله عز وجل بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا من طريق أهل البيت اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه فالرضا عن الله عز وجل والرحمة للخلق وسلامة القلب والنصيحة للمسلمين وسخاوة النفس مقام الابدال من الصديقين وقد روينا في أخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا سل ربك أمرا اذا فعلناه رضي به عنا قال موسى الهي قد سمعت ما يقولون فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم ويشهد لهذا الخبر المروي عن نبينا صلى الله عليه وسلم من أحب ان يعلم ماله عند الله فلينظر ما لله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه وقد روينا حديثا حسنا كالمسند عن حماد ابن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك اذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا قال فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا الصراط فيقال لهم رأيتم جهنم

المارناهيته في بادي يشعر بنقاد العقل والشرع ولا يخرج عن حدودهما الجميع باشارة العقل والشرع ويسكن باشارتهما ولا يخالفهما كما ينقاد الكلب للصياد وهذا يمكن بالمجاهدة وهو اعتياد الحلم والاحتمال فان الغيظ المقتضيات قال السري رحمة الله عليه ثلاث من كن فيه استكمل الايمان من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضي لم يخرجه رضاه الى الباطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له الثالثة ضبط الغضب عند الهيجان كالتكلم ويعين عليه علم وعمل أما العلم فهو ان يعلم انه لا سبب لغضبه الا انه أنكر ان يجري على مراد الله لا على مراده وهذا غاية الجهل والامن يعلم ان غضب الله عليه أعظم من غضبه وان فضل الله أكثر وكم عصاه وخالف أمره فلم يغضب ان خالفه غيره فليس أمره ألزم على عبده وأهله ورفيقه من أمر الله وأما العمل فهو ان يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فان لم يسكن غضبه بذلك جلس ان كان قائما فان لم يسكن فليتوضأ ورد بذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم

*(فصل)* والحقد من الغل وهو من الرذائل المبعدة عن رضوان الله والخبائث الموجبة لسخط الله تعالى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن ليس بحقود والموجب للحقد هو ان الانسان اذا أوذي بشيء فظهر عليه الغضب وعجز عن السعي في الحال يرجع الغضب الى الباطن

فيقولون ملو أيناشيأ فتقول الملائكة من أمتين أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون لشدنا كم الله محدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وماهما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم الله لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا هكذا كان في كتب شيخنا عن أنس وقال فيه لطائفة من أمتي فيه دليل على المسند وقد جاء لا يؤمن رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل وقال بعض علمائنا أعرف في الموتى عالما ينظرون الى منازلهم من الجنان في قبورهم يغدى عليهم و يراح من الجنة بكرة وعشيا وهم في غموم وكروب في البرزخ لو قسمت على أهل البصرة لماتوا أجمعين قيل وما كانت أعمالهم قال كانوا مسلمين الا انهم لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضا نصيب وقد جاء في فرض الرضا قول النبي صلى الله عليه وسلم أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وقرن لقمان الرضا بالتوحيد فقال في وصيته لابنه أوصيك بخصال تقربك الى الله وتباعدك من سخطه الاولى تعبد الله لا تشرك به شيأ والثانية الرضا بقدر الله فيما أحببت وكرهت وقال في وصيته ومن يتوكل على الله ويرضى بقدر الله فقد أقام الايمان وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير وأقام الاخلاق الصالحة التي تصلح العبد أمره فمن الرضا سرور القلب بالمقدور في جميع الامور وطيب النفس وسكونها في كل حال وطمأنينة القلب عند كل مفزع مهلع من أمور الدنيا وقناعة العبد بكل شئ واغتباطه بقسمته وفرحه بقيام مولاه عليه واستسلام العبد للمولى في كل شئ ورضاه منه بأدنى شئ وتسليمه الاحكام والقضايا باعتقاد حسن التدبير وكمال التقدير فيهما وتسليم العبد الى مولاه ما في يديه رضا بحكمه عليه وان لا يشكو المالك السيد الى العبد المملوك ولا يتبرم بفعل الحبيب ولا يفقد في كل شئ حسن صنع القريب ومن الرضا عند أهل الرضا ان لا يقول العبد هذا يوم شديد الحر ولا هذا يوم شديد البرد ولا يقول الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة ولا يفقد بقلبه من ذلك ما لا يغيره بل يرضى القلب ويسلم ويسكن العقل ويستسلم بوجود حلاوة التدبير واستحسان حكم التقدير كما قال عمر بن عبد العزيز أصبحت ومالي سرور الا في انتظار مواقع القدر وقال ابن مسعود الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل وقال أحمد بن أبي الحواري قلت لابي سليمان ان فلانا قال وددت ان الليل أطول مما هو فقال قد أحسن وقد أساء أحسن حيث تمنى طوله للعبادة وأساء اذ لم يحب ما لم يحب الله وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء وقال ذات يوم لامرأته عاتكة وقد غضب والله لاسوءنك فقالت أتستطيع ان تصرفني عن الاسلام بعد ان هداني الله قال لا قالت فأي شئ تسوءني اذا وقال جعفر بن سليمان الضبعي قال سفيان الثوري وما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت أما تستحيي من الله ان تسأله الرضا وانك غير راض عنه فقال استغفر الله قال جعفر فقلت لها متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى فقالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وقال فضيل بن عياض اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي وفي أخبار داود ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم وفي بعضها يا داود ان محبتي من أوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون ابالك والغم ولا انتهم للخير وأنت تريد بدني ويقال أكثر الناس هما في الدنيا أكثرهم هما في الآخرة وأقلهم هما في الدنيا أقلهم هما في الآخرة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن واعلم ان الفرح بالدنيا يخرج هم الآخرة من القلب والغم على الدنيا يحجب عن الحزن على فوت الآخرة وذكر عن رابعة عابدة ان لها عند الله منزلة وكان قوتها ما يقسم من له لبعض ملوكهم فقال رجل عندها فيما يضرها اذا كانت له عند الله منزلة ان يسأله فيجعل قوتها في غير هذا فقالت له أسكت يا بطال أما علمت ان أولياء الله هم أرضى عنه ان يتخير وا عليه ان ينقلهم من معيشة حتى يكون هو الذي يختار لهم وقال أحمد بن أبي الحواري قال لي أبو



والتحقير وصار حقدا او الحقد بغير أمور أشبه الحسد ونحوه والحالة نفسه والشماتة والتنبه فيمو الخير منع عليه والشتم والضرب والبغض له والنفرة عنه وعلاجه بتعاطي الحلم والعفو والصفح ونذكر ما ورد في ذلك كقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله تعالى والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقوله تعالى وان تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم وقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وقوله صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعف عمن ظلمك

* ( باب الامن من مكر الله تعالى وعذابه والاشر والبطر والرغبة في الدنيا ومحبة المال ومحبة الصور ) *

قال الله تعالى أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون قال العلماء بالله من ركب الذنوب والمعاصي وضيع الفروض فهو ممن أمن مكر الله وعذابه لانه قد سكن عنده هيجان الخوف من غضب الله ووعيده وزال عنه الحذر من ذلك وأما الخائف من عذاب الله الذي لا يأمن مكره فانه اذا خطر له خاطر من النفس أو من العدو وعرض له سبب أو داع الى تضييع فرض أو ركوب معصية هاج من قلبه فزع من الله ورعبة منه والخائف من انه في ضعف هذا الداعي وقوة هذا الصادق على مراتب وأعلى هؤلاء مرتبة هم الذين

سليمان ان الله تعالى من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذاك قال أليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه وقال الاعمش قال لي أبو وائل يا سليمان نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصانا وقال الله عز وجل في معناه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى يطيعهم ويستجيب لهم والاستجابة الطاعة كقوله تعالى فليستجيبوا لى فلما استجابوا لله استجاب لهم أطاعوه فيما أحب فأطاعهم فيما يحبون وهذا أحد وجهي الآية كقوله تعالى وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وهو على تأويل من قرأ هل يستطيع ربك ان يطيعك قال ابن عباس كان الحواريون أعلم بالله ان يشكوا ان الله يقدر على ذلك وانما معناه هل يستطيع ان يطيعك وروينا أيضا عن عائشة مثله وقال الفضيل من أطاع الله تعالى أطاعه كل شيء ومن خاف من الله خاف منه كل شيء وفي أخبار موسى عليه السلام يا رب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله فأوحى الله تعالى اليه ان رضاى في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فان رضاى في رضاك بقضائي وقد روى على وجه آخر ان بني اسرائيل سألوا موسى فقالوا له سل لنا ربك أي شيء رضاه بنا فنفعله فأوحى الله اليه قل لهم رضاى في رضاهم بقضائي وفي مناجاة موسى عليه السلام يا رب أي خلقك أحب اليك قال من اذا أخذت منه المحبوب سالمني قال فأي خلقك أنت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي وقد ورد أشد من هذا كله ان الله تعالى قال أنا الله الذي لا اله الا أنا من لم يصبر على بلائي ويرض بقضائي ويشكر نعمائي فليتخذ ربا سواي وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق ومثله في الشدة يقول الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حين يلقاني ومن سخط فله السخط مني حين يلقاني وفي الخبر أولها كتب لموسى عليه السلام انى أنا الله لا اله الا أنا من رضي بحكمي واستسلم لقضائي وصبر على بلائي كتبته صديقا وحشرته مع الصديقين يوم القيامة وروينا في الخبر المشهور بمعناه يقول الله جل جلاله قدرت الخير والشر وأجريتهما على أيدي عبادي فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكا الى الله الجوع والفقر عشر سنين كل ذلك لا ينظر في مسئلته فأوحى الله اليه لم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد وعزتي وجلالي لئن تخالج في صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة وروينا ان آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على جسمه وينزلون يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك قال وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا أبت ألا ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني انى رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا انى تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك حركة أخرى فيصيبني ما لا أعلم وروينا في بعض الاخبار انه قال ان الله ضمن لي ان حفظت لساني أن يردني الى الدار التي أخرجني منها وقال أبو محمد سهل حظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله وروى عطية عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط ومن الرضا ان لا تتهم شيئا أصلا ولا تعيب اذا كان قضاء مولاه شاهدا الصانع في جميع الصنعة ناظرا الى اتقان الصنع والحكمة وان لم يخرج ذلك عن معتاد المعقول والعادة وبعض العارفين يجعل هذه الاشياء في باب الحياء من الله عز وجل ومنهم من يقول هي من حسن الخلق مع الله تعالى ومنهم من جعلها من باب الادب بين يدي الله فاذا كان هذا كذلك كان ذم

اذا عرض لهم عارض من النفس أو من الشيطان هاج من قلبه في الحال ما لو انشقت السماء فتخل فيها أو الارض لهوى فيتقطع كان أهون عنده من الركون الى ما عرض له من الوسواس في القلب الحذر من الله والرغبة منه قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقد جاء ان جماعة من الصحابة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انه يخطر بقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوي بنا الريح في مكان سحيق أحب الينا ان نتكلم به قال وقد وجدتم ذلك قالوا نعم قال ذلك محض الايمان لانه لما هاج من قلوبهم الفزع من الله تعالى والرغبة منه عند اعتراض الوساوس من الشيطان دل ذلك على قوة قلوبهم

*(فصل)* والامن من مكر الله هو مخالفة الرب مع عدم الخوف من عاقبة المخالفة كالاخذ بغتة بعقوبة متكاملة أو بموت على غير توبة أو استدراج بنعم زائدة كما قال تعالى فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ممن آمنه الله تعالى في الدنيا والآخرة انه كان اذا رأى غمامة مطلقا أكثر الشعرا الخروج ويتغير لونه فيقول له بعض أزواجه الخ يا رسول الله قد تولى ما يرى

الاشـياء التى أبعث وعيبها من سوء الخلق مع الله وكانت من سوء الادب بين يدى الله واعظم من ذلك انها تدخل فى باب قلة الحياء من الله و يصلح ان يكون هذا أحد معانى الخبر الذى جاء قلة الحياء كفر يعنى كفر النعمة بان يذم و يعيب بعض ما أنعم الله به عليه من الارفاق والالطاف اذ كان فيها تقصير عن تمام مثلها أو كانت مخالفة لهواه منها فيكون ذلك كفرا للنعمة وقلة حياء العبد من المنعم اذ قد أمره بالشكر على ذلك فيبدل الشكر كفرا لان أحدا لو اصطنع لك طعاما فعبته وذممته كره ذلك منك فكذلك تعالى يكره ذلك منك وهـذا داخل فى معرفة معانى الصفات وفى معنى ما قيل أعرفكم بربه أعرفكم بنفسه لانك اذا عرفت صفات نفسك فى معاملة الخلق عرفت منها صفات الخالق وبعض الراضين يجعل ذم الاشياء وعيبها بمنزلة الغيبة لصانعها لانها صنعته ونتاج حكمته ونفاذ علمه ومحكم تدبيره وتدبير مقاديره ولانه أحكم الحاكمين وخير الرازقين وأحسن الخالقين له فى كل شئ حكمة بالغة وفى كل صنعة صنع متقن ولانك اذا عبت صنعة أحد وذممتها سرى ذلك الى الصانع لانه كذلك صنعها وعن حكمته أظهرها اذ كانت الصنعة مجبولة لم تصنع نفسها ولا صنع لها فى خلقتها وكان الورعون لا يعيبون صنعة عبد كراهة الغيبة له وذلك ان الراضى عن الله متأدب بين يدى الله يستحيى ان يعارضه فى داره أو يعترض عليه فى حكمه فصاحب الدار يصنع فى حكمه ما شاء والحاكم يحكم بامره كيف شاء والعبد راض بصنع سيده مسلم لحكمة حاكمه وروى فى الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام مر مع نفر من أصحابه بجيفة كلب فغطوا آنافهم وقالوا أف أف ما أنتن ريحه فلم يخمر عيسى عليه السلام أنفه وقال ما أشد بياض أسنانه أراد ان ينهاهم بذلك عن الغيبة و يعلمهم ترك عيب الاشياء كيف هو يرى بعين نفسه ان الصنعة من صانعها فهو يقلبها و يصرفها على معانى نظر مورود ينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما عاب طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه وقال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ليس كل امرئ كما يريد صاحبى ما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ لم أفعله الا فعلته ولا قال فى شئ كان ليته لم يكن ولا لشئ لم يكن ليته كان وكان يقول لو قضى شئ لكان وهذا وصف الراضى الموقن القائم بشهادته فبالنظر فى هذه الدقائق والوقوف عندها رفع القوم عند الله الى مقام المقربين و بالتهاون بها والغفلة عنها نغلت القلوب بفسدت حتى لم تصح المحبة والرضا وهذه المعانى من الاعتراضات والتغيير هو تقدم بين يدى الله وذلك التدبير الذى يشير اليه سهل و يقول ان تدبير الخلق حجبهم عن الله عز وجل وحكى لنا ان بعضهم صحب بعض العارفين فى طريق فعبث بشئ نقاه من مكان الى مكان آخر فقال له العارف ماذا صنعت أحـدثت فى الملك حدثا من غير ضرورة ولا سنة ولا تصحبنى أبدا فلو لم يكن لنا من الذنوب الا هذه الاشياء لقد كان كافيا وفوق ذلك تنها و بنا بها وأعظم من ذلك ترك التوبة والاستغفار منها وأعمال طلاب الرضا من الله مضاعفة على أعمال المجاهدين فى سبيل الله لان أعمال المجاهدين تضاعف الى سبعمائة ضعف وتضعيف طالبى الرضا لا تحصى قال الله تعالى والله يضاعف لمن يشاء وقال تعالى فيضاعفه له اضعافا كثيرة قيل الحسنة الى ألفى ألف حسنة وقد قال سبحانه ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسـهم كمثل جنة بربوة فكم فى هذه الجنة من سنبلة وحبة فهؤلاء الذين قال والله يضاعف لمن يشاء هم أهل الرضا عنه وهم الذين أقرضوا الله قرضا حسنا الاجله فضاعفه لهم اضعافا كثيرة فمن عقل عن الله حكمته كان مع الله تعالى فيما حكم مسلما له ما شهد لانه سبحانه باختياره انشأ الاشياء وبمشيئته أبداها وعنه يتصرف المقدور واليه عواقب الامور لا يكون مع نفسه فيما يهواه ولا مع معتاده وعرفه فيما يعقل وقال بعض العارفين قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فما لى منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلنى النار لكنت بذلك راضيا وقيل لعارف فوقه نلت غاية الرضا عنه فقال الغاية لا ولكن مقام من الرضا قد نلته حتى لو جعلنى جسرا على جهنم يعبر الخلائق على الى الجنة ثم ملأ بى جهنم تحلة لقسمه و بدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وحدثونا عن الروذبارى قال قلت لابى عبد الله بن

فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا فأمن صلى الله عليه وسلم مكر الله بأهل

ان تشكرونه كما قال الله تعالى الارض قال أبو حازم اذا رأيت تتابع نعم الله عليك وأنت تعصيه فاحذره

*(فصـل)* والرغبة فى الدنيا ومحبة المال أمران مـذمومان فى كتب الله المنزلة على ألسنة أنبيائه عليهم السـلام والقرآن الكريم مملوء من ذمهما والتنفير عنهـما وصرف الخلق عنهـما ودعوتهما الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك قال الله تعالى وما الحيـاة الدنيا الا متاع الغرور وقال تعالى وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع وقال تعالى فلا تغـرنكم الحياة الدنيا ولا يغـرنكم بالله الغرور والى غـير ذلك من الآيات وعنه صلى الله عليه وسلم انه مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها فقالوا من هوانها ألقوها فقـال والذى نفسى بيده الدنيا أهون عند الله من هذه الشاة على أهلها وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة عليها عظام قد نخرت وخرق بالية وأرواث وعذرة فقال هلموا انظروا هذه هى الدنيا فأشار الى ان زينتها ستخلق مثـل تلك الخرق وان الابدان تصـير عظاما وان أطعمتها تصـير عذرة وروى أبو الدرداء رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم

الجلاء

الجلاء المشتق تقول فلانة وددت ان جسدي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق أطاعوه فما معناه قال يا هذا ان كان من طريق الاشفاق على الخلق والنصح فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا أعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن حصين استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان تحته موضع لحاجته و بوله فدخل عليه مطرف أو أخوه العلاء فجعل يبكي لما يرى من حاله فقال لم تبكي فقال لاني أراك على هذه الحال العظيمة فقال لا تبك فان أحبه الى الى الله ثم قال أحدثك شيأ لعل الله ان ينفعك به واكتم علي حتى أموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها أراد عمران رحمه الله بذلك أن يعلم ان هذا البلاء ليس بعقوبة لان مثل هذه الآية انما هو درجة ورحمة وبلاء العقوبات لا يكون معها الآيات ولا يوجد عنده الحلاوات ولا تزيد القلوب من نسيم ريحان الغيوب ولانه كان يحزن عليه فأراد أن يبشره فلا تذكر الحبيب ولا حب لقاء الطبيب كما أنشد بعض المحبين

يا حبيبا بذكره تتداوى * وصفوه لكل داء عجيب
من أراد الطبيب سرا اذا * اعتل اشتياقا الى لقاء الطبيب
من أراد الحبيب سار اليه * وجفا الاهل دونه والقريب
ليس داء المحب داء يداوى * انما برؤه لقاء الحبيب

قال ودخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيأ حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا لا أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما ثم قال وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر واعتل حذيفة علة الموت فجعل يقول اخنق خنقاتك فوعزتك انك لتعلم اني أحبك فلما حضره الموت جعل يقول حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وروي أيضا مثل هذا عن أبي هريرة ولما قدم سعد الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال عبد الله بن السائب فأتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم ثم قال يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصري وقيل ان بعض هذه الطائفة ضاع ولده وكان صغيرا ثلاثة أيام لا يعرف له خبرا فقيل له لو سألت الله ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى أشد من ذهاب ولدي وقد روينا عن بعض العباد انه قال أذنبت ذنبا فانا أبكي عليه منذ ثلاثين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب الي من ان أقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وحدثونا عن بشر الحافي قال رأيت ببغداد رجلا قد قطعه البلاء وقد سالت حدقتاه على خديه وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله قال واذا هو قد صرع من حبه به قال فوضعت رأسه في حجري وجعلت أسأل الله عز وجل كشف ما به وادعو له فافاق فسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي يعترض عليه في نعمه علي قال ونحى رأسه قال بشر فاعتقدت ان لا اعترض على عبد في نعمة أراها عليه من البلاء وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال هل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا اني استحي منك لاخبرتك ان معاملتك خمسين سنة مدخولة أراد بذلك انه لم يقربك فيجعلك في مقام المقربين فيكون مزيدك لديه من أعمال القلوب وكذلك يصنع باوليائه انما أنت عنده في طبقة أصحاب اليمين فمزيدك العموم من أعمال الجوارح وقد يكون الرجل محلا في مقامه وان كان قوته فوق وقدر وينا عن ابن محيريز وكان من عباد أهل الشام وعلمائهم كلمة غريبة المعنى دقيقة في معنى المخالفة لله عز وجل وان كان قد فسرها فانه لم يكشف معناها الفهم السامعين

الآخرة ولو علمتم ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على أنفسكم وهو حديث  طويل يشتمل على مواعظ جليلة وقال بعض العلماء الدنيا جيفة فمن أراد منها شيأ فليصبر على معاشرة الكلاب وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى الله تعالى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وذكرت الدنيا يوما عند الحسن البصري رحمة الله عليه فقال

أحلام نوم أو كظل زائل * ان اللبيب بمثلها لا يخدع

وقال بعضهم الدنيا عدوة محبوبة شأنها قتل عشاقها تبيت عاشقها في العافية ويصبحها في الهاوية وهو مع ذلك يحبها حب الصبي لانه يفرح بها اذا أقبلت ويحزن عليها اذا أدبرت قال أبو بكر بن عياش رحمة الله عليه رأيت الدنيا في صورة عجوز شوهاء شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق كثير يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما جاءت بحذائي أقبلت علي وقالت اني لو ظفرت بك لصنعت بك كما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال رأيت هذا قبل ان أقدم بغداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها وقال من القيلولة ورأى بعض الصحابة بيتا من جص فقال

منه والحاضر من عنده يحتاج تفسيرها الى تفسير وروينا عنه انه قال كما لم يلق الله تعالى ولعله قد كذبه وذلك ان أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب من زينة الدنيا وقد ذم الله تعالى الدنيا وان البلاء زينة أهل الآخرة وقد مدح الله الآخرة أي فانت اذا أعطاك زينة الدنيا أظهرتها وتقربت بها واذا أعطاك زينة الآخرة وهي المصائب والبلاء كرهتها وأخفيتها لئلا تعاب بذلك فحسب عليه حب الدنيا والتزين بها وكراهة البلاء تكذيبا لله وردا عليه ما وصفه وهذا يدخل في باب الزهد وفي باب الرضا ويدخل على من أخفى الفقر والبلاء حياء من الناس لئلا يعاب بذلك فهو من ضعف يقينه بقوة شاهد الخلق ويدخل فيمن أظهر الغنى من غير نية ولا تحدث بنعمة الله فذلك أيضا من قوة شاهد حب الدنيا وكذلك قال أبو سليمان الداراني ثلاث مقامات لا حد لها الزهد والورع والرضا وخالفه سليمان ابنه وكان عارفا ومن الناس من كان يقدمه على أبيه فقال بلى من تورع في كل شئ فقد بلغ حد الورع ومن زهد في كل شئ فقد بلغ حد الزهد ومن رضي عن الله في كل شئ فقد بلغ حد الرضا ولا ينقص الراضي من مقام الرضا مسئلة مولاه مزيد الآخرة وصلاح الدنيا تعبدا بذلك وافتقارا اليه في كل شئ لان في ذلك رضاه ومقتضى مدحه بمسئلة الخلائق له فان صرف مسائله الى طلب النصيب من المولى وابتغاء القرب منه حباله وآثره على ما سواه كان فاضلا في ذلك لانه قد رد قلبه اليه وجمع همه بذلك وهذا على قدر مشاهدة الراضي من معرفته ومقام المقربين ومقتضى حاله لانه يسئل عن علمه بعلمه في وقت من أحواله كما يسئل عن جملة أعماله بعلومه في جملة عمره وهذا أصل فاعرفه فهو طريق الصوفيين وعليه عمل العارفين من السلف فلم يكن يضرهم عندهم خلاف من خالفه وان كان دعاؤه تمجيد السيد وثناؤه عليه شغلا بذكره ونسيانا لغيره وولها بحبه لانه مستوجب لذلك بوصفه ولانه واجب عليه فقد استغرقه وجوب ما عليه عما له فهذا أفضل وهو مقام المحبين وهو من القيام بشهادته وقد دخل فيما ذكرناه من مقتضى حاله بالعمل بعلمه في وقته والعلماء مسئلة قد اختلفوا فيها في أهل المقامات ثلاث أيهم أفضل عبد يحب الموت شوقا الى لقاء الله وعبد يحب البقاء للكد والخدمة للمولى وعبد قال لا اختار شيئا بل أرضى ما يختار لي مولاي ان شاء أحياني أبدا وان شاء أماتني غدا قال فحاكموا الى بعض العارفين فقال صاحب الرضى أفضلهم لانه أقلهم فضولا وهذا كما قاله في الاعتبار بترك الاعتراض والاختيار لانه دخل في الدار بغير اختيار وكذلك يكون خروجه منها على معنى دخوله بلا اختيار لان مقام الرضا أعلى من مقام التشوق ثم الذي يليه في الفضل الذي يحب الموت شوقا الى لقاء الله وهذا مقام في المحبة وفي حقيقة الزهد في الحياة وفي الخبر من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والذي يحب البقاء للخدمة وكثرة المعاملة هو فاضل بعد هذين مقامه مقام الرجاء وحسن الظن في العصمة وله أيضا مطالعات من الانس وملاحظات في القرب به طاب مقامه وعنده سكنت نفسه وقصرت أيامه وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل المؤمنين ايمانا أو قال أكمل المؤمنين ايمانا من طال عمره وحسن عمله هذا لان الاعمال مقتضى الايمان لان حقيقة الايمان انما هو قول وعمل وليس بعد هؤلاء مقام يفرح به ولا يغبط صاحبه عليه ولا يوصف بمدح انما هو حب البقاء لمتعة النفس وموافقة الهوى وقد تشرف النفس على الضعفاء من أهل هذا الطريق ويختفي فيها علة وهو ان يحب البقاء لاجل النفس والمتعة بروح الدنيا وما طبعت عليه من حب الحياة وتكره الموت لمنافرة الطبع ولطول الامل فيتوهم انه ممن يحب البقاء لاجل الله وطاعته وهذا هو من الشهوة الخفية التي لا يخرجها الا حقيقة الزهد في الدنيا ولا يفضل في هذا الطريق الثالث الا عارف زاهد دائم المشاهدة باليقين فاما المعتل بوصفه وهواه فليس يقع به اعتبار في طريق ولا مقام واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال الثوري قد كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم فاما اليوم فوددت اني مت فقال له يوسف ولم قال لما أتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا أكره طول البقاء فقال الثوري ولم تكره الموت قال لعلي أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا فقيل

أرى الامر أعجل من ذلك وأنكر ذلك وقال المسيح عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها واعلم ان المال آفات منها انه يجر الى المعصية لانك تجد الداعية لا تحرك الى المعصية الا باستشعار القدرة فان صبر فالصبر مع القدرة شديد ولان فتنة السراء أعظم من فتنة الضراء ولان المال يجر الى التنعم بالمباحات حتى تعود ذلك وله منها آفات كثيرة وهي كل ما ترى الناس فيه من المتحول في الشبهة والحرام والعداوة والبغضاء والمنافسة ومن لا مال له بمعزل عن ذلك كله

*(فصل)* وأما محبة الصور فهو الداء العضال والسم القاتل وهو الذي يأسر القلب ويقطعه عن عبودية الهه وخالقه الى عبودية معشوقه ومحبوبه من البشر ولا شئ أضر على العبد منه فانه عذابه وسجنه وحجابه عن ربه ويجمع همومه وغمومه وأحزانه فهو معذب بمعشوقه قبل وصوله اليه وبعد فراغه ولولا سكر اللذة في حال الوصال لرأى عذاب قلبه في تلك الحال ولكن غلب وارد الشهوة واللذة فوارى حكم الالم والسم والا فالقلب محشو بالآلام والغم في الاحوال الثلاثة قبل الوصال وحال الظفر وبعد الفراق فعشاق الصور أبدا في بلاء وعناء وخوف فقبل حصول معشوقه له هو في هم وغم حتى يحصل عنده فاذا حصل فهو خائف من ذهابه وهو لا يدوم فاذا ذهب فهو حزين على فقده فلا يزال

لوهب أى شئ تقول اتختار فقال انا لا اختار شيأ أحب ذلك الى احبه الى الله قال فضيل الثورى مابن عيينه وقال روحانية ورب الكعبة يعنى مقام الروحانيين وهم المقربون أهل الروح والريحان وأولو المحبة والرضوان كما قال تعالى فروح وريحان يعنى لهم روح من نسيم القرب وريحان من طيبا طيبوا بذاته تعالى لما ذكر ان لاصحاب اليمين فى كل شدة وهول سلامة وكان المقربون هم الاعلون كان أيضا فيما ول الفهم عليه ان المقربين من كل هول بروحانهم لشهادتهم القريب بروح كل غم بسنم ريحان لقرب الحبيب فبذلك علوا وبذلك فضلوا وهكذا قال بعض الصوفية سر العارف فى الاشباح واقف مثل المعلق البترلا يمتار المقام وان أخرج خرج فان ذم هذا الراضى ما ذم الله وكره ما كرهه الله لم ينقص ذلك رضاه وكان محسنا فى فعله اذ وافقه مولاه وان لم يرض عماله نقص فى الدين والآخرة أو كره مزيد الدنيا من الكثرة والجمع والادخار لم يقدح ذلك فى رضاه لانه من التحقق بالزهد وهو فى جميع ذلك موافق للعلم والله تعالى أعلم باحكامه من العبد واغير على نفسه من الغير واعلى مشاهدة من الخلق له المثل الاعلى فهو على ذلك يشهد أحكامه ويذم المحكوم عليه اذ تعدى حدود أمره وينفذ علمه بمشيئته ويمقت العاصين له باجتراح نهيه حكمته وعدلا كما انه يشهد يده فى العطاء ويمدح المتقين ويمضى ارادته بالقضاء بتوفيقه ويشكر العاملين كرما منه وفضلا كذلك الراضى عنه موافق فيما حكم ومتبع له فيما رسم ومسلم له فيما قدر وعالم من مراضيه عامل ومستعمل لما شرع ومواطئ لرسوله يذم ما ذمه مولاه ويمدح ما مدحه لاجل مولاه لا لاجل نفعها ياموا التحدث بالارجاع والاخبار عن المصائب لا ينقص حال الراضى اذا رآها نعمة من الله عليه وكان القلب مسلما راضيا غير متسخط ولا متبرم بمر القضاء وأول الرضا الصبر ثم القناعة ثم الزهد ثم المحبة ثم التوكل فالرضا حينئذ حال المتوكل والتوكل مقام الرضا وقال فضيل اذا استوى العطاء والمنع عند العبد فهو الراضى وقال غيره اذا لم يختلف قلبه فى العدم والوجود وفى الصحة والسقم فقد رضى وقال الثورى منع الله عطاء لانه يمنع من غير بخل ولا عدم فمنعه اختيار وحسن نظر وهذا كما قال لان حقيقة المنع انما يكون ان لك عنده شئ فمنعك أو تستحق عليه شيأ فلم يعطك فاما من لا تستحق عليه شيأ ولا لك معه شئ لانه الاول قبل كل شئ والمظهر لكل شئ والمالك أظهر والمختار لما خلق وليس لاحد من خلقه اختيار ولا فى حكمه اشتراك له الخلق والامر ولا يشرك فى حكمه أحدا والعبد لم يكن شيأ مذكورا فكل شئ اختاره فهو عطاء منه على تفاوت مقادير ومراتب أحكام وتصاريف تدبير حلو ومر ولطف وعنف وشقور خاء ومواضعة النفس ومرتق ومخالفة لما يهوى مما الطبع الا يوافق فالصبر على الاحكام مقام المؤمنين والرضا بها مقام الموقنين ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين واعلم ان الرضا فى مقامات اليقين وأحوال المحبين ومشاهدة المتوكلين وهو داخل فى كل أفعال الله سبحانه لانها من قضائه لا يكون فى ملكه الا ما قضاه فعلى العارفين به الرضا بالقضاء ثم رد ذلك الى تفصيل العلم وترتيب الاحكام فما كان من خير وبر أمر به أو ندب اليه رضى به العبد وأحبه شرعا وفعلا ووجب عليه الشكر وما كان من شر نهى عنه وتهدد عليه فعلى العبد أن يرضى به عدلا وقدرا ويسلم له حكمة وحكما وعليه أن يصبر عنه ويقر به ذنبا ويعترف به لنفسه ظلما ويرضى بعود الاحكام عليه بالعقاب وانه اجترحه بجوارحه كسبا ويرضى بان لله الحجة البالغة عليه وان لا عذر له فيه ويرضى بانه فى مشيئة الله عز وجل من عفو عنه برحمته وكرمه ان شاء أو عقوبته له بعدله وحقه ان شاء وفصل الخطاب انه يرضى بسوء القضاء عقد الامن نفسه فعلا ويرضى به عن الله ولا يرضى به من نفسه لان الموقنين والمحسنين لا يسقطون الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يتركون انكار المعاصى وكراهتها بالالسنة والقلوب من قبل ان الايمان فرضها والشرع ورد بها ولان الحبيب كرهها فكانوا معه فيما كره كما كانوا معه فيما أحب ومقام اليقين لا يسقط فرائض الاعمال ومشاهدة التوحيد لا تبطل شرائع الرسول ولا تسقط اتباعه فمن زعم ذلك فقد افترى على الله ورسوله وكذب على المؤمنين والمحبين ألم تر أن الله تعالى ذم قوما

مغمورا بواردات الهموم والمخاوف والاحزان كلما برئ من داء ظهر به داء آخر ولا يزال هذا حاله حتى انه يجعل تناوله اللذات والشهوات من باب التداوى فيتداوى بالوصال مع محبوبه ومشاهدته فاذا حصل الوصال تأكدت أصول المحبة وازدادت دواعى عليه واضطرمت نيرانها فى القلب وقويت لكنها خافية كامنة لكونها مغمورة بلذات الوصال التى هى المرقات من الآلام ثم اذا حصلت المفارقة تأججت تلك النيران فى القلب وأسعر بها وعظم اشتعالها فيعظم البلاء وتشتد المحبة وتصير سبب الاعراض هذا المسكين عن طاعة مولاه وحجابه عن ربه لانه صار مقبلا على تلك الصور ومتوجها بظاهره وباطنه وجميع حواسه وهكذا حال كل من أحب شيأ سوى الله تعالى من مال أو جاه أو غير ذلك ولا خلاص من ذلك الا بعلاج النفوس وقطعها عن هذه الاشياء الفانية التى لا بقاء لها الى جناب الله تعالى الذى هو قرة العين والانابة اليه قال بعضهم من لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات اللهم علق قلوبنا بك واجعل همتنا فى الاقبال على جنابك والاعراض عما سواك

*(باب الحرص والبخل والامل وخوف الفقر والشره والطمع)* اعلم ان الحرص والبخل مذمومان شرعا وعرفا قال الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك هم

رضوا بالدنيا ورضوا بالمعاصي ورضوا بالتخلف عن السوابق فقال سبحانه رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فذمهم بذلك وقال تعالى ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون فعابهم به وقال تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف يعني النساء وهذا جمع التأنيث وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون فمن رضي بالمعاصي والمناكير منه أو من غيره وأحب لاجلها ووالى ونصر عليها أو ادعى ان ذلك في مقام الرضا الذي يجازى عليه بالرضا أو انه حال الراضين الذين وصفهم الله تعالى ومدحهم فهو مع هؤلاء الذين ذم الله ومقت وفي الخبر الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر فاعله قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وقد جاء في الحديث لو أن عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكه في قتله وقد روينا حديثا حسنا عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق مرسل من نظر الى من فوقه في الدين والى من دونه في الدنيا كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر الى من دونه في الدين ومن فوقه في الدنيا لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا وقد غلط في باب الرضا بعض البطالين من المتأخرين ممن لا علم له ولا يقين فحمل الرضا على جميع ما يكون منه من معصية وهوى لجهله بالتفصيل وقلة فهمه بعلم التأويل ولاتباعه ما تشابه من التنزيل طلبا للفتنة وغربة الحال وابتداعا في القول والفعال لان أوقاته قد ذهبت فلا يذهب وقت غيره بذكرها وبطلان قول هذا عند العلماء أظهر من ان يدل على فساده والاشتغال بالبطال بطالة وانما الرضا فيما كان غير مخالف لله ولا معصية مثل ما يكون من نقص الدنيا ونقص الاموال والانفس من الاهل والولد وفيما على النفس فيه مشقة ولها منه كراهة وفيما كان زيدا في الآخرة لا عقوبة فيه من الله ولا وعيد عليه ولا ذم لفاعليه وقد يحتج أيضا بطال لجهله وقلة مواساته وبذله أو بخل لاتساعه في أمر الدنيا واستكثاره على الفقراء ان الذي يمنعه من البذل والايثار والزهد فيما في يديه والاخراج رضاه بحاله وقلة اعتراضه على مجريه فيموت هذا مقام من مقامات الرضا تحص به عند نفسه وهذا قول لاعب ذي هوى وهو من خدع النفوس وأمانيها ومن غرور العدو ومكايده لان الرضا لا يمنع من اختيار الفقر والفضيلة لمعرفة الراضي بفضل الزهد وأوصافه كيف يكون فالراضي لا يأمر بالاستثناء والاتساع لما ذكره من النعمة والاستكثار لان الرضا لا يوقف عما ندب العبد اليه ولا يحمل على ما كره له وهذا اعتذار من النفس وتمويه على الخلق ليسلم منهم ولا عذر بهذا عند مالكه ولا سلامة فيه من سائله ومحمل ما ذكرناه ان الرضا لا يصح الا فيما يحسن الصبر عليه والشكر عليه لان الرضا مقام فوق الصبر والشكر ومزيد الصابرين والشاكرين فاما ان كان العبد على نقصان من الدين وفي مزيد من الدنيا ثم رضي بحاله فرضاه بحاله شر من أعماله لمخالفة الامر قال الله عز وجل اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وقال تعالى يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وسارعوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى يسارعون الى الخيرات وهم لها سابقون فندب الى المسارعة والسوابق وذم التخلف عنها والتثبط بالعوائق فعلى هذا طريق المؤمنين وبه مقامات الموقنين وانما كان سبب ترك سري السقطي السوق وزهده في الدنيا قوله الحمد لله لانه انما تكلم رضا ظهر نفسه في موضع الاسترجاع للمصيبة وذلك انه بلغه ان الحريق وقع في سوقه فأحرق دكانه فخرج في قطع من الليل فاستقبله قوم فقالوا يا أبا الحسن احترقت دكاكين الناس الا دكانك فقال الحمد لله ثم تفكر في ذلك فقال قلت الحمد لله في سلامة مالي وهلكت أموال اخواني المسلمين فتصدق بجميع ما كان في دكانه من السقط والآلة كفارة لكلمته هذه وخرج من السوق فشكر الله له فعله فزهد في الدنيا ورفعه الى مقام المحبة فأوصله ترك الرضا الى الرضا وبلغني عنه انه كان يقول قلت كلمة فأنا أستغفر الله منها ثلاثين سنة يعني قوله الحمد لله وقد جاء في الخبر من لم يهتم بأمر المسلمين فليس من المسلمين وفي الخبر المشهور أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض فيه فجعل ذلك من أوثق العرى لانه منوط بالايمان لا يستطيع الشيطان حله ولا سلطان له عليه كما لا سبيل له على حل عقد الايمان لان الله يحول بينه وبينه وقد تولى تأييد

المطهرون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والبخل فانه أهلك من كان قبلكم واعلم ان أصل البخل حب المال وهو مذموم ومن لا مال له لا يظهر بخله بالامساك لكن يظهر بحبه المال وذلك مذموم لان حب المال يلهي عن ذكر ربه تعالى ويصرف وجه القلب الى الدنيا ويحكم علاقته بها حتى تشتد كراهته الموت وقال رجل يا رسول الله اني لا أحب الموت قال هل لك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب الرجل مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان أخره أحب ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقالت الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة فينبغي للعبد أن يكون قانعا من الدنيا باليسير وأن لا يكون حريصا على جمع المال واكتسابه ولا بخيلا بصرفه وانفاقه في وجوهه ويجتزي منه بقدر الضرورة ويقصر أمله على يومه أو شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان

الايمان بر وحه بعد كتبه فى القلوب برحمته وفى الحب فى الله الولاية والنصرة بالنفس والمال والفعل والمقال وفى البغض فى الله ترك ذلك فبغض المبتدع والفاجر المجاهر والظالم المعتدى وترك موالاتهم ونصرتهم واجب على المؤمنين فلاجل ذلك صارت الموالاة لاولياء الله والمعاداة لاعدائه من أوثق عرى الايمان لانك قد تعصى وتخالف مولاك تسليط العدو وغلبته والك الا انك تبغض العاصين ولا توالبهم على المعاصى ولا تحبهم لاجلها من قبل أن العدو لم يسلط على حل عقد ايمانك كما سلط على فعلها من نفسك كما انه لم يسلط على حل عقد ايمانك كما سلط على حل المراقبة والخوف منك ولم يسلط أيضا عليك فى استحلال المحارم ولا استحسانها ولا التدين بها ولا فى ترك التوبة منها ولا بالرضا بها كما سلط عليك باقترافها فان سلط على مثل هذا منك العدو حتى تحب الفساق وتواليهم وتنصرهم على فسقهم أو تستحل ما ارتكب من الحرام أو ترضى به أو تدين به فقد انسلخ منك الايمان كما انسلخ النهار من الليل فلست منه فى كثير ولا قليل لان هذه العقود منوطة بعرى الايمان وهى هو فى قرن واحد مقترنان ألم تسمع الله تعالى يقول لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ وما سمعته تعالى يقول لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ومثله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا أى حجة قاطعة أن يجمعكم واياهم فى النار وكذلك قال الله تعالى وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين وقال تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ثم قال تعالى ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وقد روينا فى خبر ان الله تعالى أخذ على كل مؤمن فى الميثاق أن يبغض كل منافق وأخذ على كل منافق أن يبغض كل مؤمن وفى الخبر المشهور المرء مع من أحب وله ما احتسب وفى حديث آخر من أحب قوما ووالاهم فى الدنيا جاء معهم يوم القيامة وفى معنى قوله أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فيه وجه ثان هو أن يحبك المؤمنون ويبغضك المنافقون فيكون ذلك علامة وثيقة عرى ايمانك لان قوله الحب فى الله يصلح أن يبغضك المنافقون كما تبغضهم أنت فكأنك تتحبب الى المؤمنين حتى يحبوك وتتبغض الى المنافقين حتى يبغضوك باظهار التباعد عنهم وبترك الموالاة لهم وبمقتك اياهم فيدل ذلك على قوة ايمانك لم تأخذك فى الله لومة لائم منهم كما وصف تعالى بذلك من يحبهم ويحبونه ويكون ذلك أبعد لك من المداهنة والنفاق وأقرب الى الورع والاخلاص فاذا فعلت ذلك بهم أبغضوك ومقتوك فهذا على معنى ما قال الله سبحانه أشداء على الكفار رحماء بينهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكما أمر نبيه عليه السلام فى قوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وروى عن عيسى عليه السلام ان الله عز وجل قال أحب عبادى الى الذين يذكرونى بالاسحار ويبغضون الى الفجار معناه أن يظهر لهم البغض وينابذهم العداوة حتى يبغضوه فاذا أبغضوه أبغضهم الله فيكون قد بغضهم اليه بهذا المعنى أى كان سبب عقوبة لهم بالبغض والمقت وقد كان الثورى يقول اذا رأيت الرجل محببا الى جيرانه فاعلم انه منافق وقال كعب الاحبار لابى ادريس الخولانى وكان من علماء الشام كيف أنت فى قومك قال يحبونى ويكرمونى فقال كعب ما صدقتنى التوراة اذن قال وما فى التوراة قال أجد فى التوراة ان الرجل العالم لا يحبه جيرانه وقال بعض المريدين قلت لبعض أهل المعرفة انى كثير الغفلة عن الله قليل المسارعة الى مرضاته أوصنى بشئ أعمله أدرك به ما يفوتنى من هذا قال يا أخى ان استطعت ان تتحبب الى أولياء الله وتتقرب من قلوبهم فافعل لعلهم يحبونك فان الله عز وجل ينظر الى قلوب أوليائه فى كل يوم سبعين نظرة فلعله ان ينظر اليك فى قلوبهم لمحبتهم لك فيجبر لك خيرة الدنيا والآخرة اذا لم تكن ممن ينظر اليه كفاحا وكذلك يقال ان الله تعالى عز وجل ينظر الى قلوب الصديقين والشهداء مواجهة ثم ينظر الى قلوب قوم فى قلوب قوم والى قلوب قوم من قلوب آخرين فهكذا عندى من عزائم الدين وسبيل الورعين ان تتبغض الى أعدائه وتتمقت اليهم من المبتدعين والظالمين ليبغضوك ويمقتوك فيكون لك

تشوّق الى الكثير لزمه طول الامل وفاته عز القناعة ودخل فى ذل الحرص والطمع وقاده ذلك الى صفات مذمومة وقال النبى صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة فى الطلب فقال ألا أيها الناس اجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له فى الدنيا ولن يذهب عبد عن الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة وقال أبو هريرة قال لى النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز ماء وعلى الدنيا الدمار وقال مالك بن عوف الاشجعى كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا أوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك بعد قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ والصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيأ فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه وهو راكب بعيره فلا يسأل أحدا ان يناوله اياه وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد اذ وعوه وعقلوه

من القربة كتب أوليائه الله وحبك لهم فهذا من أسباب ولاية الله وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي ووصل بعض الامراء أباهر برة بالف دينار وعشرة أثواب فردها عليه وقال ما كنت لأقبل منه ما أخذ المال من غير حله ووضعه في غير حقه وقد رد الرسول صلى الله عليه وسلم هدية الفاجر عليه لا ترى أنكم ترضون عليه وأقل ما لك في هذا الزهد وهو باب كبير من أبواب الدين اذا كانت المداهنة والممالاة من أكبر أبواب الدنيا لان بذلك يستوي عيش اهل الدنيا وتتم سلامتهم لهم فهذا هو الطرف الآخر من معنى قوله الحب في الله والبغض في الله وهو وجه غامض ومعناه اذا كشف بلى ظاهر موجود عند علمائه الآخرة وقد جعل الله من أراد أن يحبه الفاسقون و يأمن فيهم وجعل من يسارع بالادهان واظهار المتابعة للظالمين خشية دوائر الدوائر عليه علما من اعلام النفاق فقال سبحانه ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم و يأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها وقال تعالى في المعنى الثاني فترى الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين يسارعون فيهم يعني يواطئون الكافرين سرا يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أي نخاف أن تكون الدولة للكافرين على المؤمنين قال الله تعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده الآية فينبغي لمن آمن في المؤمنين وأهل السنة وأحبوه أن يخاف في المنافقين وأهل البدع وأن يبغضوه و ينبغي لمن سارع في مواطأة المؤمنين أن يبني و يبطئ في مداهنة الظالمين ومتابعتهم حتى يخلص له ايمانه من النفاق وتستقيم طريقته من الضلال وقد نفى الله الايمان عمن أحب من حاد الله وأثبت الايمان والتأييد باليقين لمن أبغض فيه أعداءه فقال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية فأما من قال من الجاهلين بان الرضا قد يكون بالمعاصي منه أو من سواه كما يكون في الطاعات فقد جعل المعاصي والمخالفات من القربات وسوى بينهما وفي هذا هدم شرائع الانبياء وابطال تفصيل الله ما أحل لنا مما حرم علينا وما أمرنا به مما نهانا عنه وقد روي في خبر من شر الناس منزلة عند الله من يقتدي بسيئة المؤمن و يترك حسنته وقال بعض العلماء من حمل شاذ العلماء فقد حمل شرا كثيرا ومن حسن الادب في المعاملة اذا عملت صالحا فقل يا سيدي أنت استعملتني و بعونك وقوتك وحسن توفيقك أطعتك لان جوارحي جنودك واذا عملت سيأ ظلمت نفسي بهواي وشهوتي اجترحت جوارحي وهي صفاتي ثم يعتقد في ذلك انه بقدره ومشيئته كان مما قضاه فتكون بالمعنيين قد وافقت مرضاة مولاك وتكون في الحالين عاملا بما يرضيه بالقول والعقود و ينتفي عنك العجب في أعمال البر و يصح منك المقت لنفسك واعترافك بظلمك وقد نقلت هذه المشاهدة على الجاهل فاذا عمل حسنا شهد نفسه ونظر الى حوله وقوته فهلك بالكبر و بطل عمله بالعجب واذا عمل سيأ لم يعترف بالذنب ولم يقر على نفسه بالظلم ولم تصح له توبة ولم يرض له عملا نعوذ بالله من مشاهدة الضلال وقال أبو محمد سهل رحمه الله تعالى اذا عمل العبد حسنة فقال يا رب أنت استعملتني شكر الله له ذلك فقال أنت عملت فاذا نظر الى نفسه فقال أنا عملت يقول الله بل أنا استعملت قال واذا عمل سيئة فقال أنت قدرت وأنت أردت يقول الله تعالى أنت ظلمت وأنت عصيت بشهوتك وهواك فان قال العبد ظلمت نفسي وعصيت بجهلي اختصه الله منه فقال بل أنا قدرت وأنا قضيت قد غفرت لك باعترافك بالظلم على نفسك فهذه آداب العاملين ومشاهدة العالمين وهذا داخل في قوله أعرفكم بربه أعرفكم بنفسه فكذلك يعجب ابن آدم ممن عامله الاعتراف والتواضع وهذا أيضا أحد المعاني في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا قيل هو الاعتراف عقيب العمل السيء لانه قد تقدم ذكره فكان الصالح بعده اعترافه وفي الحديث الذي رويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم آنفا انه قال من نظر الى من فوقه في الدين والى من دونه في الدنيا كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر الى من دونه في الدين ومن فوقه في الدنيا لم يكتبه صابرا ولا شاكرا فيه أربعة معان حسان اذا تدبرها العبد وتفكر فيها لم يعدم ان يرى أهلها لانه لا يخلو أن يرى بعينه أو بقلبه لسيرة المتقدمين فيرى من فوقه في باب الدنيا فيشكر الله على حاله و يقنع منه برزقه

فيكون

كالبطالة والطمع وشره النفس وطلب الحرام  (فصل) وعلاج هذه الامراض يكون بالعلم والصبر والعمل أما العلم فبان يعلم ما في الحرص والبخل والطمع من الذل وما في القناعة والسخاوة من عز النفس فاذا تحقق ذلك عنده انبعثت رغبته الى السخاء والقناعة وأما الصبر فبأن يصبر على ألم الشهوات وفضول العيش الموجبات للحرص والطمع واذا صبر على ذلك انقطع طمعه وضعف حرصه وقوي على متابعة الحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من كثر جمعه الدنيا وحرصه عليها وطمعه فيها كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ولا الانكار عليهم وتلزمه المداهنة والمراآة لهم وفي ذلك هلاك نفسه وأما العمل بان يقتصد في المعيشة و يرفق في الانفاق و يقنع من كل جنس من أجناس المأكول والملبوس والمنكوح بأدونه واذا تيسر له ما يكفيه في الحال فلا ينبغي ان يكون شديدا لاضطراب لاجل المستقبل و يعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد وان يأتيه ولا يحدث نفسه بانه ان لم يحرص على الجمع والادخار فربما عرض أو يعجز و يحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال الشيطان طول العمر يتبعه في الطلب خوفا من التعب و يضحك عليه في احتماله التعب عاجلا لاجل تعب آجل

فيكون صابرا شاكرا بصبر فيما قنع به ورضي باختيار ما صرف عنه من الفضول وزوى عنه من الحساب الطويل ولا يخلو أن يرى من فوقه فى أمر الدين يسارع الى السمو ويسابقه اذ قد ندب الى ذلك فيكون حثا له وحثا على افتعال الخيرات وأعمال الصالحات وأقل ما يفيد ذلك الازراء على نفسه والمقت لها فى تقصيره ثم ينظر فى الامرين الآخرين من وجه آخر فلا يخلو أن يرى من هو دونه فى الدنيا من ذوى الفاقات والحاجات فيحمد الله على تفضيله عليه وحسن صونه له ويشكر نعمته لفضل احسانه وكفايته له ويجد أيضا فى المعنى الآخر من هو دونه فى أمر الدين من الفجرة والظالمين وأهل البدع والزائغين فيفرح بفضل الله ورحمته ويشكر الله على حسن اسلامه وجميل معافاته مما ابتلى به غيره فيكون أيضا صابرا شاكرا فيكون العبد فى هذه الطبقات من الناس أربع معاملات بما وهب الله من البصيرة والاعتبار ويشهد لما ذكرناه قوله لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها فى الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق وفى لفظ حديث آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الرجل لو آتانى الله ما آتى هذا فعلت كما يفعل فندب الى الحسد على أعمال البر وفضل الحاسد لما ندب الله اليه من المنافسة فى أعمال الخير فمن حسد على هذه المعانى من أعمال الخير كان ذلك مزيدا له فى مقام الرضا الغبطة به والطلب له فأما من قلبت عليه هذه المعانى فجهل عواقب الامور وغلبت عليه الغفلة واستحوذت عليه الجهالة فجعل ينظر الى من فوقه فى الدنيا فيغبطه على حاله أو يتمنى مكانه أو يدخله نظره اليه فى استصغار نعمة الله عليه ويزدرى يسير ما قسمه الله له ثم ينظر الى من دونه فى الدين من عموم المسلمين فيرضى بنقصان مقامه ويجعل ذلك معذرة له وتأسيا به ويثبطه عن المسارعة الى القربات ولعله أن يداخله العجب والكبر حتى يتفضل عليه بعمله أو ينظر الى نفسه بأعماله لتقصير غيره عن مثل فعاله فهذا اذا يكتب جزوعا عن الصبر كفورا للنعمة باضاعة الشكر لانه ليس بصابر ولا شاكر وهذا وصف من أوصاف المنافقين وهو مقام الهالكين اذ الصبر والشكر من صفات المؤمنين وقد وصف هذا البلد بمثل هذا المعنى فالله المستعان وقد حدثونا عن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى انه قال طفت الشرق والغرب فما رأيت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف ذلك يا أبا عبد الرحمن قال هو بلد تزدرى فيه النعمة وتستصغر فيه المعصية وحدثونا عنه انه قيل له لما قدم خراسان كيف رأيت الناس ببغداد قال ما رأيت بها الا شرطيا غضبان أو تاجرا لهفان أو قارئا حيران وقيل انه كان يتصدق كل يوم بدينار لاجل مقامه ببغداد الى أن يخرج الى مكة فبلغنى انه كان يتصدق بستة عشر دينارا وقد وصفها الشافعى انها هى الدنيا فروينا عنه انه قال الدنيا كلها بادية وبغداد حاضرتها وروينا عن يونس بن عبد الاعلى قال قال لى الشافعى يا يونس رأيت بغداد قلت لا قال ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس وقد ذم العراق جماعة منهم عمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار فروينا عن عمر انه قال لمولى له أين تسكن قال العراق قال ما تصنع هنالك بلغنى انه ما من أحد سكن العراق الا قيض له قرين من البلاء وذكر كعب الاحبار العراق يوما فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الداء العضال ومن سكن بلدا كثير المنكر ظاهر المعاصى فكان منزعجا فيه غير مطمئن اليه يرغب الى الله عز وجل فى اخراجه منه لحسن اختياره له وكان مضطرا فى المقام فيه لعيلة تقبله أو قلة ذات يده وقلة لا يستطيع حيلة فى الخروج ولا يعرف طريقا وهو على يقين من سلامة دينه فيه فانه معذور عند الله لحسن تفضل من الله وهو أقرب الى العفو والسلامة ممن اغتبط بمقامه وطمأن ورضى بحاله أو كان مقامه على هوى أو لاختلاف أسباب الفتنة والدنيا قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فى التفسير اذا كنت فى بلد يعمل فيه بالمعاصى فتحول منه الى غيره وقيل اذا كان العبد فى بلد من يعمل فيه بالمنكر والمعاصى أضعف أو أقل من أهل الدين والمعروف ثم لم ينكر ذلك فقد وجب الخروج منه ثم قال عز وجل فى قوم من المستضعفين عذرهم وأرجى الى العفو أمرهم والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وقال تعالى فى علمهم وصفهم واستثنائهم

منوهم مع ما فى ذلك من الغفلة عن الله تعالى واساءة الظن بوعده فان الله تعالى قد وعد بالرزق وتكفل به قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والفضل هو الرزق

*(فصل)* فى حد البخل قال بعضهم البخل منع الواجب وكل من أدى ما عليه فليس ببخيل وهذا القدر غير كاف فى تعريف البخل فان من رد الخبز على الخباز لنقصان حبة درهم خبزا ورد اللحم على الجزار لنقصان حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من سلم الى عياله القدر الذى يفرضه القاضى ثم يضايقهم فى لقمة زائدة على فرضهم أو تمرة أكلوها من ماله فانه يعد بخيلا فالصواب فى تعريف البخل ان يقال البخيل هو الذى يمنع ما وجب عليه شرعا ولا تقتضيه المروءة والعادة ويختلف ذلك بحسب الاشخاص وقدر المال

*(فصل)* وأما الامل وخوف الفقر فهما قاطعان عن كل خير وطاعة موصلان لكل شر وفتنة وهما الداء العضال الذى يوقع الخلق فى أنواع البلايا واعلم ان طول الامل ينتج عنه أربعة أشياء أحدها ترك الطاعة والكسل والتسويف بالطاعات من وقت الى وقت يقول سوف أفعل كذا والايام بين يدى ولا يفوتنى ذلك ولقد صدق داود الطائى رحمة الله عليه حيث قال من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن أطال أمله أساء عمله وقال يحيى بن معاذ ...

من غيرهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ولا يصح الرضا الا بالعصمة من جميع الهوى وأول الرضا القناعة وقال بعض أهل المعرفة لا يكون العبد قانعا حتى لو جاء الى باب منزله جميع ما رغب فيه أهل الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله والعصمة حال الراضي من الله عز وجل وهي ظاهر الرحمة والرحمة أول الرضا من الله تعالى قال الله سبحانه وتعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وقال تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم فالعصمة من الله لعبده دليل على الرحمة منه ثم تنقله الرحمة الى مقام المحبة وهي رحمة المحبوبين ثم ترفعه المحبة الى الرضا فتكون المحبة مقامه عن شهادة محبوب ويكون الرضا حاله في جميع تصريف البقية والمطلوب وهذا آخر كتاب الرضا

(ذكر أحكام المحبة ووصف أهلها وهو المقام التاسع من مقامات اليقين) والمحبة من أعلى مقامات العارفين وهي ابشار من الله تعالى لعباده المخلصين ومعها نهاية الفضل العظيم قال الله جلت قدرته يحبهم ويحبونه ثم قال تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا الخبر متصل بالابتداء في المعنى لان الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضله عليهم وما اعترض بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان الله ليعذب حبيبه بالنار وقال الله عز وجل مصداق قول نبيه عليه السلام ردا على من ادعى محبته واحتجاجا عليهم قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق وقال زيد بن أسلم ان الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول اصنع ما شئت فقد غفرت لك وروينا عن اسمعيل بن أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد اشترط الله للمحبة غفران الذنوب بقوله تعالى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فكل مؤمن بالله فهو محب لله ولكن محبته على قدر ايمانه وكشف مشاهدته وتجلي المحبوب له على وصف من أوصافه فدليل ذلك استجابتهم له بالتوحيد والتزام أمره وتسليم حكمه ثم تفاوتهم في مشاهدات التوحيد وفي دوام الالتزام للاوامر وفي تسليم الاحكام فليس ذلك يكون الا عن محبة وان تفاوت المحبون على حسب أقسامهم من المحبوب وليس يقصر عن المحبة صغير كما لا يصغر عن المعرفة من عرف ولا يكبر عن التوبة كبير ولو كان على كل العلوم قد أوقف لان الله تعالى وصف المؤمنين بشدة الحب له فقال تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله وفي قوله أشد دليل على تفاوتهم في المحبة لان المعنى أشد فاشد ولم يقل شديدو الحب لله فاشبه هذا الخطاب قوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فدل على تفاوتهم في الاكرام على قدر تفاضلهم في التقوى ولم يقل ان الكرام المتقون وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب فالمؤمنون متزايدون في الحب لله عز وجل عن تزايدهم في المعرفة به والمشاهدة له وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان قال ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وفي حديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وفي خبر آخر أشد توكيدا وأبلغ من هذين قوله والله لا يؤمن العبد حتى أكون أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي خبر آخر ومن نفسه وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالمحبة لله فيما شرعه من الاحكام فقال أحبوا الله لما أسدى اليكم من نعمه وأحبوني لحب الله فدل ذلك على فرض المحبة لله وان تفاضل المؤمنون في نهايات فضائله ومن أفضل ما أسدى الينا من نعمه المعرفة به فافضل الحب له ما كان عن المشاهدة والمحبون لله على مراتب من المحبة بعضها أعلى من بعض فاشدهم حبا لله أحسنهم تخلقا باخلاقه مثل العلم والحلم والعفو وحسن الخلق والستر على الخلق وأعرفهم بمعاني صفاته وأتركهم منازعته في معاني الصفات كي لا يشركوه فيها مثل الكبر والحمد وحب المدح وحب الغنى والعز وطلب الذكر ثم أشدهم حبا لرسوله اذ كان حبيب الحبيب واتبعهم لآثاره أشبههم هديا لشمائله وقد روي ان رجلا قال يا رسول الله اني أحبك فقال استعد للفقر فقال اني أحب الله فقال استعد للبلاء والفرق بينهما ان البلاء من أخلاق المبلي وهو الله تعالى المبتلي

عليه الامل قاطع عن كل خير والطمع مانع من كل حق والصبر صائر الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر. الثاني ترك التوبة وتسويفها يقول سوف أتوب وفي الايام فسحة وأنا شاب فيأتيه الموت على غفلة فيعثر معه على غرة قال بعض أهل البصائر من تجاوز الخمسين ومات فبعيد عليه أن يتوب والثالث الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الآخرة يقول أخاف الفقر في الكبر وربما أضعف عن الاكتساب ولابد لي من شئ فاضل أدخره لمرض أو هرم هذا ونحوه مما يحرك الرغبة الى الدنيا والحرص عليها والاهتمام بالرزق فتشغل قلبك ويضيع عليك وقتك ويكثر همك ونوحك بلا فائدة ولا طائل قال أبو جعفر الخياط طاوس الحرمين كنت يوما أصلح مرقعة لي واذا أنا بالشيخ أبي جعفر الحداد قد لطمني فقلت يا سيدي مالك فقال أي شئ الزهد عندك فقلت قصر الامل قال فمن قصر الامل تجود بخياطة مرقعتك قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه شغل قلبي هم يوم لم أدره قيل له وكيف ذلك يا أبا ذر فقال ان أملي جاوز أجلي والرابع القسوة في القلب والنسيان للآخرة لانك اذا أملت العيش الطويل لا تذكر الموت ولا القبر كما قال علي كرم الله وجهه أخوف ما أخاف عليكم اثنان طول الامل واتباع الهوى ألا وان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق فاذا بصير

فكرك ومعظم قلبك في حديث الدنيا وأسباب العيش في صحبة الخلق ونحوها فلذا يقسو القلب  من ذالنوائم ارفقنا اليه ومصغونه بذكر

الذاكر محبته أخبره بالبلاء ليصبر على أخلاقه كما قال تعالى ولنبلونكم فاصبر فدل على أحكامه وبلائه والفقر من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذاكر محبته دله على اتباع أوصافه ليقتفي آثاره لقوله عليه السلام احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في جملة المساكين ومن علامة المحبة كثرة ذكر الحبيب وهو دليل محبة المولى لعبده وهو من أفضل منته على خلقه وفي الخبران لله في كل يوم صدقة يمن بها على خلقه وما تصدق على عبد بصدقة أفضل من ان يلهمه ذكره وفي حديث سفيان عن مالك بن معول قيل يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة الذكر لله كما أمر بمحبة الله لان الذكر مقتضى المحبة فقال أكثر من ذكر الله حتى يقول الناس انك مجنون وقد روينا أكثروا من ذكر الله حتى يقول المنافقون انكم مراؤن وفي حديث أبي سلمة المدني عن أبيه عن جده أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الى مسجد قباء فذكر حديثا فيه طول قال في آخره من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وقد أخبران الذاكرين هم السابقون المفردون ورفعهم الى مقام النبوة في وضع الوزر ورفع الذكر ان كان الذكر موجب الحب في قوله سيروا سبق المفردون قيل من المفردون قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم أوزارهم يردون القيامة خفافا ومن أعلام المحبة حب لقاء الحبيب على العيان والكشف في دار السلام ومحل القرب وهو الاشتياق الى الموت لانه مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المعاينة وفي الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة أحب الى الله تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله وقد شرط الله لحقيقة الصدق القتل في سبيله وأخبر انه يحب قتل محبوبه في قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص بعد قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل محنة محبته وعلامة أخذ مال محبوبه ونفسه اذ يقول تعالى يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مري والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فان حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب أبغض اليك من الموت ولن تعجزه وكان الثوري وبشر بن الحرث يقولان لا يكره الموت الا مريب وهو كما قالا لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب وهذا لا يعده الا عبد يحب الله بكل قلبه عندها يشتاق اليه مولاه فينزعج القلب لشوق الغيب فيحب لقاءه وروي ان أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة أنكح سالما مولاه ابنته فعاتبته قريش في ذلك وقالوا أنكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى فقال والله لقد أنكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله أشد عليهم فقالوا وكيف وهي أختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم ففي الدليل ان من المؤمنين من يحب الله ببعض قلبه فيؤثره ببعض الايثار ويوجد فيه محبة الاعتبار ومنهم من يحبه بكل قلبه فيؤثره على ما سواه فهذا عابده ومألوهه الذي لا معبود له ولا اله الا اياه وفيه دليل على انهم على مقامات في المحبة من معاني مشاهدات الصفات بين البعض في القلوب والكلية وقد كان نعيمان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحده في معصية يرتكبها الى أن أتي به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه من المحبة مع المخالفة وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب يعني على الفؤاد كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان باطن القلب فكان في سويدائه أحبه الحب البالغ ومحبة الله ان ينظر فان كان يؤثر الله على جميع هواه ويغلب محبته على هوى العبد حتى تصير محبة الله هي بغية العبد من كل شئ فهو محب متحقق كأنه مؤمن به حقا وان رأيت قلبك دون ذلك فلك من المحبة بقدر ذلك فأدل علامات المحبة الايثار للمحبوب على ذخائر القلوب ولذلك

الموت والقبر والثواب والعقاب وأحوال الآخرة فاذا لم يكن عندك شئ من ذلك فمن أين يحصل لقلبك رقة قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم واعلم ان الامل على قسمين أمل العامة وأمل الخاصة فأمل العامة يريدون الحياة والبقاء بجمع الدنيا والتمتع بها وهذه معصية محضة قال الله تعالى ويلههم الامل فسوف يعلمون وأما أمل الخاصة فانهم يريدون البقاء لاتمام عمل خير واصلاح عبادة وطاعة واعلم ان مما يخلص من الامل في أمور الدنيا الاستثناء بالمشيئة فاذا قال أفعل كذا في وقت كذا ان شاء الله لم يكن ذلك الامل مذموما لانه لم يجزم ببقائه الى ذلك الوقت بل قيده بمشيئة الله تعالى قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ويخرج الانسان عن الامل في الامور الدنيوية أيضا بالتفويض ليسلم من خطر المفسدة في الفعل فانه لا يدري أهو صواب أم لا فاذا وجد الاستثناء لاجل خطر الوصول والتفويض ليسلم من خطر المفسدة وحصلت الارادة بهذه الشروط تكون نية الفعل في المستقبل نية محمودة خارجة عن حد الامل والله تعالى أعلم

(فصل) وأما الشره والطمع فمذمومان ويخرج الانسان عنهما بأن لا يطلب

وصف الله المحبين بالايثار ووصفه العارفون بذلك فقال تعالى في وصفه المحبين يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ثم قال تعالى و يؤثرون على أنفسهم وقال في وصفه تالله لقد آثرك الله علينا وقال بعض العلماء ان ظاهر القلب محل الاسلام وان باطنه مكان الايمان فمن ههنا تفاوت المحبون في المحبة لفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر وفرق بعض علمائنا البصريين بين القلب والفؤاد فقال الفؤاد مقدم القلب وما استدق منه والقلب أصله وما اتسع منه وقال مرة القلب تجويفان فالتجويف الظاهر هو الفؤاد وهو مكان العقل والتجويف الباطن هو القلب وفيه السمع والبصر وعنه يكون الفهم والمشاهدة وهو محل الايمان وقد قال الله كتب في قلوبهم الايمان وقال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فمحبة الاسلام مفترضة على الخلق وهي متصلة باداء الفرائض واجتناب المحارم طاعة لله ومحبة له فاما محبة المقربين فعن مشاهدة معاني الصفات و بعد معرفة أخلاق الذات وهي مخصوصة بمخصوصين والاصل في هذا ان المحبة اذا كانت عن المعرفة فان المعرفة عموم وخصوص فللخصوص العارفين خاصة المحبة ولعمومهم عموم المحبة و يروى في الاخبار السالفة ان زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفته نهارا فقالت يا يوسف انما كنت أحبك قبل ان أعرفه فاما اذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها ان الله أمرني بذلك وأخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما اذا كان الله أمرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله فعندها سكنت اليه وقال بعض العلماء بالله اذا تم التوحيد تمت المحبة واذا اجتمعت المحبة تم التوكل فتم ايمانه وخلص فرضه وسمي ذلك يقينا وقال الفضيل بن عياض في فرض المحبة اذا قيل لك تحب الله فاسكت فان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت وقال بعض علمائنا ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشئ من ذلك وقال عالم فوقه كل أهل المقامات يرجى أن يعفى عنهم و يسمح لهم الا من ادعى المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وبكل حركة وسكون وكل نظرة وخطرة فيه وقف الله ومع الله واعلم ان المحبة من الله لعبده ليست كمحبة الخلق اذ محبة الخلق تكون حادثة لاحد سبع معان لطبع أو لجنس أو لنفع أو لوصف أو لهوى أو لرحم ماسة أو لتقرب بذلك الى الله فهذه محدودة الشئ الذي يشبهه الشئ والله يتعالى عن جميع ذلك لا يوصف بشئ منه اذ ليس كمثله شئ في كل شئ ولان هذه أسباب محدثة في الخلق لمعان حادثة ومتولدة من المحبين لاسباب عليهم داخلة وقد تتغير الاوقات وتنقلب لانقلاب الاوصاف ومحبة الله سابقة للاسباب عن كلمة الحسنى قديمة قبل الحادثات عن عنايته العليا لا تتغير أبدا ولا تنقلب لاجل ما بدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني الكلمة الحسنى وقيل المنزلة الحسنى فلا يجوز أن يسبقها سابق منهم بل قد سبقت كل سابقة تكون كقوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فكذلك قال هو سماكم المسلمين من قبل وقال تعالى لهم قدم صدق عند ربهم وقال تعالى في آخر آياتهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر ولا يصلح أن يكون قبل قدمه الصدق منهم قدم كما لا يصلح أن يكون قبل علمه بهم منهم عمل بهم منهم لان عمله سبق المعلوم ومحبته لاوليائه سبقت محبتهم اياه ومعاملتهم له ثم هي مع ذلك خاصية حكم من أحكامه ومزيد من فضل اقسامه وتتضمن سابغ انعامه خالصة لمخلصين ومؤثرة لمؤثرين بقدم صدق سابق لخالصين يؤول لى مقعد صدق عند صادق لسابقين ليس لذلك سبب معقول ولا لاجل عمل معمول بل يجري مجرى سر القدر ولطف القادر واشباه سر القدر كفر ولا يعلمه الا نبي أو صديق ولا يطلع عليه الا من يظهره وما ظهر في الاخبار من الاسباب فانما هو طريق الاحباب ومقامات أهل القرب من أولي الالباب وانما تستبين المحبة وتظهر للعبد بحسن توفيقه وكلاءة عصمته ولطائف تعليمه من غرائب علمه وخفايا الطافه في سر عقد دهم اليه في كل شئ

فالقدر الكفاية ولا تزيد في الطلب على ذلك فان قلت ما قدر الكفاية الذي يخرج الانسان بالاقتصار عليه من الشره والطمع فاقول اعلم أن الضرورة انما تدعو الى المطعم والملبس فقط فان تركت التجمل في الملبس فيكفيك في السنة ديناران لثيابك وصيفك فتتخذ به ثوبا خشنا تدفع به الحر والبرد ولئن تركت التنعم في طعامك والشبع من الطعام في جميع أحوالك فيكفيك في كل يوم مد فيكون في السنة خمسمائة رطل ويكفيك لادمك ان لم توسع فيه واقتصرت على اليسير منه في بعض الاوقات ثلاثة دنانير على التقريب في السنة عند رخاء الاسعار فاذا بلغ كفايتك خمس دنانير وخمسمائة رطل وهذا القدر الذي نقدره اذا فرضنا عدم نفقة القريب كالاسير أو الاب فان كنت معيلا فخذ لكل واحد منهم ذلك فاذا كنت كسوبا وكسبت في بعض اليوم ما يكفيك اليوم فانصرف واشتغل بعبادتك فان طلبت الزيادة صرت من أهل الدنيا ودخلت في أهل الشره والطمع فان لم تكن كسوبا وكنت مشغولا بالعلم والعبادة واقتنيت صنعة يدخل منها هذا القدر دائما فارجو أن لا تصير بذلك من أهل الدنيا لاسيما في هذه الاعصار وقد تغيرت القلوب واستولى عليها الشح وانصرفت الهمم عن تفقد ذوي الحاجات فاقتناء هذا أولى من السؤال و ربما لا يحصل بعض الانحاص القناعة بالقدر الذي ذكرنا الا بشدة ومشقة ووفور همم

ووقوفهم عنده ونظرهم اليه دون كل شيء وقربه منهم أقرب من كل شيء وكثرة استعماله لهم لحسن مرضاته وكشف اطلاعهم على معاني صفاته ولطيف تعريفه لهم مكنون أسراره وفتوحه لافكارهم من بواطن انعامه واستخراجه منهم خالص شكره وحقيقة ذكره فهذه طرقات المحبين عن كشوف اطلاعهم من عين اليقين يقال اذا أحب الله عبدا اقتناه فاذا اقتناه اصطنعه وقيل اذا أحب الله عبدا نظر اليه واذا نظر الله الى عبد لم يعذبه وروى بعض هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروينا في الخبر اذا أحب الله عبدا ابتلاه واذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا فالصبر بدايتار من لحب الاول وهو الله لعبده وأحكام تظهر من المحبوب وهو العبد في حسن معاملته أو حقيقة علم بهيبة كما قال اخوة يوسف حين عرفوا محبة الله ليوسف عليهم تالله لقد آثرك الله علينا ثم قالوا وان كنا لخاطئين فذكروا سالف خطاياهم وانه آثره عليهم بوثره به فقال الله تعالى في وصفه اياه قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقال في موهبته له آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين فذكر ما سلف من احسانه لما آثره وقالت الرسل ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وقال تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وفي الخبر اذا أحب الله عبدا ابتلاه يعني اختبره فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رأيت تحبه ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد أن يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه فقال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه ومن دلائل المحبة حب كلام الحبيب وتكريره على الاسماع والقلوب وحدثونا عن بعض المريدين قال كنت وجدت حلاوة المناجاة في سوء الارادة فادمنت على قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول لي في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي الاول وقد قال بعض العارفين لا يكون العبد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريده وكان ابن مسعود يقول لا على أحدكم أن يسأل على نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله ومن علامة حب القرآن حب أهل القرآن وكثرة تلاوته آناء الليل وأطراف النهار وقال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن وحب الله حب النبي عليه السلام وعلامة حب النبي عليه السلام حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة وقال تعالى وهو أحسن القائلين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أي لا يرتدون لانهم ابدال من المرتدين ولا ينبغي أن يكونوا أمثالهم كما قال يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ومن علامة محبة المولى تقديم أمور الآخرة من كل ما يقرب من الحبيب على أمور الدنيا من كل ما هو من هوى النفس والمبادرة بأوامر المحبوب ونوادبه قبل عاجل حظوظ النفس ثم ايثار محبته على هواك واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أمر به ونهى ثم الذل لاوليائه من العلماء به والعاملين ثم التعزز على أبناء الدنيا الموصوفين بها المؤثرين لها كما قيل لابن المبارك ما التواضع فقال التكبر على المتكبرين وقال الفتح بن شخرف رأيت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في النوم فقلت أنبئني بحرف خير فقال ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء رجاء ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة بالله وانما وصف الله أحباءه بالذل للاولياء والعز على الاعداء لانه يصف من يحبه بأحسن الاوصاف فالذل للحبيب حسن والعز على العدو حسن مثل العز على الذليل فلذلك وصف الله محبه بالذل للولي وبالعز على العدو وقبح العز على الحبيب كقبح الذل للعدو والله لا يصف أولياءه بقبيح ومن علامات الحب المجاهدة في طريق المحبوب بالمال والنفس ليتقرب منه وليبلغ مرضاته ويقطع كل قاطع يقطعه عنه بالمسارعة الى قربه كما قال تعالى وعجلت اليك رب لترضى وكم من حبيب

عليه فلا حرج عليه في الازدياد على هذا القدر الا ليصير بذلك من أبناء الدنيا ولا يخرج من حزب أبناء الآخرة واعلم ان المسافر الى الله تعالى لا يقصد بطعامه وشرابه التلذذ وتهييب البيت في الدنيا بل يقصد به دفع ألم الجوع عن العبادة والاذكار ثم ما يفضل عن ذلك يصرفه الى المساكين قال أبو بكر الشبلي وددت ان فاقات الخلائق كلها لقمة واحدة آكلها فيبقى الخلق مع الله تعالى بلا علاقة فان قلت أنا لا أتقي المال المتنعم به بل خوف آفات الفقر فلا تعتمد اعتمادا على سوء الظن بكرم الله تعالى ورحمته بل ينبغي ان تدفع ذلك عن نفسك بحسن الظن بتدبير الله فان المال قد تصيبه آفة وينفتح الرزق باب من حيث لا تحتسبه فاتكل على فضل الله وكل الامور الى مدبر الملك والملكوت وهو اعلم بمصالحك فجاهد نفسك بالصبر عن شهوات الدنيا وجوع نفسك لتطعمك الفردوس غدا على خوان عليه من الخيرات والنعم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

(باب تعظيم الاغنياء والاستهانة بالمساكين والفقر والخيلاء ومحبة الرياسة والجاه)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة والنجاة من النار وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ثم يقول المريد بعده مثل ما دل

صلى الله عليه وسلم فى قوله وتبتل اليه تبتيلا بمعنيان أحدهما انقطع اليها نقطاعا عما سواه بالاخلاص له والاثرة على غيره والاخرى انقطع كل ما قطعك عنه اليه أى اقطع كل قاطع حتى تصل اليه فهذان من أدل الدليل على المحبة ثم أن لا يخاف فى محبته لومة لائم من الخلق لامه على محبته أو على السلوك اليه بشق النفس وهجران الدار ورفض المال ولا يرجو فى محبته مدح مادح ولا رغب فى محسن ثناء العباد بايثارك له على الاهل والمال ثم وجود الانس فى الوحدة والروح بالخلوة ولطف التملق فى المناجاة والتنعم بكلامه والتنعم بر أحكامه ووجد حلاوة الخدمة ورؤية البلاء منه نعمة وقال ثابت البنانى كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة ومن المحبة ترك السكون الى غير محبوبه اذ هو السكن وقال أبو محمد خيانة المحب عند الله أشد من معصية العامة وهو أن يسكن الى غير الله ويستأنس بسواه وفى قصة برخ العبد الاسود الذى استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى ان برخا نعم العبد هو لى الا ان فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال يعجبه نسيم السحر فيسكن اليه ومن أحبنى لم يسكن الى شئ فالسكون فى هذا الموضع الاستراحة الى الشئ والانس به والسكون فى غير هذا الموضع النظر الى الشئ والادلال به والطمأنينة والقطع به ذكرت هذه الحكاية لبعض أهل المعرفة فقال لم يرد بهذا برخا انما أراد به موسى لانه أقام مقام المحبة فاستحيى أن يواجهه بذلك فعرض له ببرخ وكان هذا ابوابا منه فى سأل تعلم أخبر موسى بعيبه وهو يحبه دون أن يخبر هو بعيب نفسه فأجاب بهذا فالمقربون من المحبين انما نعيمهم بالله وروحهم وراحتهم اليه من حيث كان بلاؤهم منه فاذا وجدوا ذلك فى سواه كانت ذنوبا لهم عن غفلة أدخلت عليهم لينوبوا منها اليه فيغفر لهم ورو ينا أن عابدا عبد الله فى غيضة دهرا فنظر الى طير قد عشش فى شجرة يأوى اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدى الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال ففعل فأوحى الله الى النبى عليه السلام قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشئ من عملك أبدا فمن صدق المحبة وتمامها الانقطاع الى الحبيب بوجود الانس به ومصادفة الاستراحة والروح عنده بمصادفته فى المجالسة ومناجاته فى الخلوة وذوق حلاوة النعيم فى ترك المخالفة لغلبة حب الموافقة كما أنشدنى بعضهم عن بعض المحبين

أتجمل الصبر عما ألفه ۞ وأهوى لما أهواه تركا فاتركه

وقال نظيره فى مثله وأترك ما أهوى لمن قد هويته وأرضى بما يرضى وان سخطت نفسى ثم الطمأنينة الى الحبيب وعكوف الهم على القريب ودوام النظر وسياحة الفكر لان من عرفه أحبه ومن أحبه نظر اليه ومن نظر اليه عكف عليه اما فهمت هذا من قوله تعالى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ومن فرائض المحبة وفضائلها موافقة الحبيب فيما أحب حبا لله كما قال عمر رضى الله عنه لصهيب رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه أى ان معصيته تمنعها الخشية عن غيره فهو يطيعه حبا له وكان صهيب يقول انه يستخرج منى حب لى شيئا لا يستخرجه غيره يعنى من معانى الصفات المخوفة والافعال المرجوة وقال بعض علمائنا الايثار يشهد للمحب فعلامة حبه ايثاره على نفسك وقال ليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا لله ولكن كل من اجتنب ما نهاه عنه صار حبيبا وهذا كما قال ان المحبة تستبين بترك المخالفة ولا تبين بكثرة الاعمال كما قيل أعمال البر يعملها البر والفاجر والمعاصى لا يتركها الا صديق وقيل أفضل منازل الطاعات الصبر على الطاعات وان الصبر على الطاعة يضاعف الى سبعين والصبر عن المعصية ضاعف الى سبعمائة كأنه أقيم مقام المجاهد فى سبيل الله لانه يقع اختيارا من الله وضرورة من كلية النفس فاذا ترك هواه فقد ترك نفسه فاقل ماله فى ذلك الزهد فى الدنيا والجهاد فى سبيل الله ومن أجل ذلك ضوعفت حسناته الى سبعمائة ومن أجله ثبتت له المحبة بترك المخالفة ولذلك قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ففضله على غيره بجنة وأعجب ما سمعت فى هذا ان موسى سأل الخضر بأى شئ بلغت هذه المنزلة فقال بترك المعاصى كلها وقد كان أبو محمد يقول فى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم قال عيش نفوسهم الفانى وهو عاجل

ثم يقول له اللهم انى أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأولياءك انى قد قبلتك شيخا فى الله تعالى ثم هو يداوم يقول له الشيخ اللهم انى أشهدك وأشهد ملائكتك ورسلك وأولياءك انى قد قبلته ولدا فى الله اللهم فاقبله واقبل عليه وكن له ولا تكن عليه ومن بعد أيده ثم يقول وعاهدتك يا ولدى أن لا تباشر كبيرة ولا تصر على صغيرة وان تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وأن تجمع بين الشريعة والحقيقة فيقول المريد قبلت ثم يدعو الشيخ لكل منهما وللمسلمين ويقول فى دعائه اللهم أصلحنا وأصلح بنا واهدنا واهد بنا فمن نكث فانما ينكث على نفسه الى آخره والله أعلم ٧

*(فصل)* وأما محبة الرياسة والجاه فهو الداء الوبيل والمحبوبات هى ثلاثة الجاه والرياسة والصور وقد تقدم الكلام على محبة الصور وما فى ذلك من الآفات فهذه الثلاثة هى أصول المحبوبات وما عداها تبع لها والجاه والرياسة متى فهما من أتعب خلق الله تعالى قلوبا وأقلهم راحة وأنكدهم عيشا تسوءهم الكلمة وتسرهم الكلمة وهم أغراض لسهام البلاء من كل جانب ولا يمكنهم ارضاء الخلق كلهم فتنشأ العداوة ويبقى طول عمره مشغولا بالمكر فى أعدائه مستعدا لدفع ما يرد منهم من اشتغاله بخدمة الدين قامت رياسته بهم وفكرته فى مصالحهم ومعاشرتهم على قدر أخلاقهم وارادتهم فلا يزال فى العناء والتعب والهموم

٧ هكذا وجد بالاصل من بعد الترجمة الى هنا ولا تعلق له بالترجمة ولا بما الكلام فيه ولعله زيادة من بعض النساخ فليتأمل اه مصححه

عاجل حظوظهم من الشهوات ومن المحبة وجود الروح بالشكوى اليه والاستراحة الى عتابه وحده واخلاص المعاملة لوجهه وحسن الادب فيها وهو الاخفاء لها وكتم ما يحكم به من الضيق والشدائد واظهار ما ينعم به من الالطاف والفوائد وكثرة التفكر في نعمائه وخفي ألطافه وغرائب صنعه وعجائب قدرته وحسن الثناء عليه في كل حال ونشر الا لاعمه و لافضال والصبر على بلائه لانه قد صار من أهله وأوليائه وقد يعسف باوليائه ويعنف باحبابه لتمكنه منهم ومكانتهم عنده وعلمه انهم لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا اذ ليست لهم راحة لسواه ولا غنية سواه ولا لهم همة الا اياه كما قال بعض المحبين و يلي منك و بلي عليك افزع منك واشتاق اليك ان طلبتك أتعبتني وان هربت منك طلبتني فليس لي معك قرار ولا لي في غيرك استراحة ثم المسارعة الى ما ندب اليه من أنواع البر ووجد الحلاوة و بشرح الصدر كما جاء في الاثر ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ثم الرضا بقضائه لانه مستحسن لافعاله ثم اللهج بذكره وحب من يذكره وحب المستمعين بذكره ودوام التشكي والحنين اليه وخلو القلب من الخلق وسبق النظر الى الخالق في كل شئ وسرعة الرجوع اليه بكل شئ ووجد الانس به عند كل شئ وكثرة الذكر له والتذكر بكل شئ ومن علامة المحبة طول التهجد وروي عن الله سبحانه كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني الا ان بعضهم يجعل سهر الليل في مقام بعينه ذكر له هذا الخبر فقال ذلك اذا أقامه مقام الشوق فاما اذا أنزل عليه السكينة وآواه بالانس في القرب استوى نومه وسهره ثم قال رأيت جماعة من المحبين نومهم بالليل أكثر من سهرهم وامام المحبين وسيد المحبوبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام مثل ما يقوم وقد يكون نومه أكثر من قيامه ولم يكن تأتي عليه ليلة حتى ينام فيها ومن المحبة الخروج الى الحبيب من المال بالزهد في الدنيا والخروج اليه من النفس بايثار الحق على جميع الاهواء وقال الجنيد علامة المحب دوام النشاط والدؤب بشهوة يفتر بدنه ولا يفتر قلبه وقد قال بعض السلف العمل عن المحبة لا يداخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما استنشق محبته من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل ومن المحبة التناصح بالحق والتواصي به والصبر على ذلك كما وصف تعالى الرابحين من الصالحين فقال تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر لان المحبين ليسوا كمن وصفه في قوله تعالى يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم يعني ان يسألكم محبوبكم من الاموال و يستقصي عليكم يخرج أحقادكم عليه وروينا في قراءة ابن عباس ويخرج أضغانكم يعني الاموال فلولم يدخل على هؤلاء الضعفاء الا الشرك في محبة الاموال والشغل بها عن ذكر ذي الجلال لخسروا ما ربح المخلصون من الاحباب وفاتهم ما أدرك الصالحون من طوبى وحسن مآب فالله تعالى يسأل أحبابه اموالهم وأنفسهم حتى لا يبقى لهم محبوب سواه ولئلا يعبدوا الا اياه محبة منه وكشفا لهم واختبارا لاخبارهم في صدقهم وصبرهم ولانه جواد ملك لا يسأل الا كلية الشئ وجملته وهو غيور لا يحب أن يشركه سواه في محبته فلا يصبر عليه الا من عرفه ولا يحبه الا من صبر عليه ولا يرضى بحكمه فيه الا من أيقن به الا انه لا يسأل الجملة كلها الا من أحبه المحبة الخالصة وذلك كله من نظام حكمته وقيل لبعض المحبوبين وكان قد بذل المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم يبق عليه منها بقية ما كان سبب حالك هذه من المحبة فقال كلمة سمعتها من خالق لخلق عملت بي هذا البلاء قيل وما هي قال سمعت محبا قد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فأي شئ تنفق علي فقال يا سيدي أملكك ما أملك ثم أنفق عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخلق لخالق وعبد لمعبود فكان ذلك سببه فقد دخلت الاموال في الانفس تحت الشراء وقد باعوا نفوسهم فلا دنيا لهم الا بتهم اياه وقد اشتراها منهم لنفاستها عنده فعلامة محبته لها اشتراؤها منهم وعلامة شرائها طيبها عنهم فاذا طووا ها لم يكن عليهم منها بقية هوى في سواه فقد اشتراها واعلم ان آفات النفوس هي ادواؤها وطهرة النفوس

والغموم والاحزان فطالب الرياسة من أذل الناس معاقبته من الله بنقيض قصده وبالجملة فمن تأمل أحوال الرؤساء من الملوك والامراء والولاة والقضاة وغيرهم يتبين له ان صرف الرياسة لا يفي بنقصها كما قال الشاعر

قايست بين جمالها وفعالها فاذا الملاحة بالقباحة لا تفي

فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة واعلم ان حب الرياسة يتفرع عنه آفات عظيمة وهي محبة التعظيم ومحبة الثناء والمدح ومحبة الاستعلاء على الخلق واستعبادهم ومن كان في قلبه شئ من ذلك كان مدعيا للربوبية بلسان الحال قال بعض الاكابر ادعى فرعون الربوبية جهارا وادعتها رؤساء الدنيا بلسان الحال نسأل الله تعالى العافية ونعوذ به من الخذلان بمنه وكرمه آمين

*(باب الرياء والمداهنة)*

قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قيل وما هو قال الرياء وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يقال للقارئ العالم والمنفق اذا قال فعلت يقال له كذبت أردت ان يقال فلان عالم أو شجاع أو جواد فيذهب به الى النار واعلم ان حقيقة الرياء هي طلب المنزلة في قلوب الناس

من الادواء هو دواؤها كما قال تعالى قد أفلح من زكاها فاذا اصطفاها من الآفات فقد صفاها واذا اختصها بالتخصيص من الشهوات للتقوى فقد اشتراها ولكل داء من النفس دواء على قدر صغره وعظمه فتنح الدواء على الداء من حيث دخل عليك بادخال ضده عليه او بقطع أصله عنه فعلامة النفوس المشتراة وهي المحبوبة المجتباة التوبة الى الحبيب بالخدمة له وكثرة الحنين بالسياحة اليه ودوام الصلاة بحسن الادب بين يديه والامر بما يحب والنهي عما يكره والحفظ لحدوده التي حدها وترتيب العلم لى مدارج العقل باتخاذ علم التوحيد واسرار قيومية القدر من المخالفة لأن العقل حدود لك من كتمان علم المحبة فهو عند المحبين كحفظ حدوده على الجوارح التي شرعها بألسنة الرسل ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين والله يحب المتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد أن يحبه الله فليزهد في الدنيا فلا يطمعن طامع في محبة الله قبل الزهد في الدنيا فهذه جمل أوصاف المحبين ومن المحبة أن لا يطلب بخدمته سواه وان يجتمع في محبته همه وهواه ولا يهوى الا ما فيه رضا المولى ولا يخفى عليه مولاه الا بما يهواه وروى عن بعض العلماء اذا رأيته يتوحشك من خلقه فاعلم انه يريد أن يؤنسك به وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه أن أود الاوداء الى من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفيما نقل وهب من الزبور ومن أظلم من عبدني لجنة أو نار ولو لم أخلق جنة ولا نارا لم أكن أهلا أن أطاع وكما في أخبار عيسى اذا رأيت الفتى مشغوفا في طلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه وعن عيسى عليه السلام المحبة تحب النصب وروى عنه انه مر على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال لهم ما أنتم فقالوا نحن عباد قال لاي شئ تعبدتم قالوا اخوفنا الله من النار فخفنا منها فقال حق على الله أن يؤمنكم مما خفتم ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال لاي شئ تعبدتم قالوا شوقنا الله الى الجنان وما أعد فيها لاوليائه فنحن نرجو ذلك فقال حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم فمر بآخرين يتعبدون فقال ما أنتم قالوا نحن المحبون لله لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته ولكن حبا له وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم فأقام بين أظهرهم وفي لفظ آخر انه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا أحببتم وقال لهؤلاء أنتم المقربون وممن روى عنه هذا القول وأقيم في هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم أبو حازم المدني كان يقول اني لاستحيي من ربي أن أعبده خوفا من العقاب فأكون مثل العبد السوء ان لم يعط أجره لم يعمل ولكن أعبده محبة له وقدرويناه معنى هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكونن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجره لم يعمل وقال بعض اخوان معروف له اخبرني عنك أي شئ أهاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت فقال وأي شئ الموت قلت ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شئ القبر فقلت خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شئ هذا ان ملكا بيده هذا كله ان أحببته أنساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وحدثت عن علي بن الموفق قال رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله عز وجل لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فقد أباحه النظر اليه الى يوم القيامة قلت فمن الآخران قال اخواك بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل وهذا مقام الابدال من الصديقين لا يقامون مقام أبدال الانبياء ولا يعطون منازل الشهداء حتى تغلب محبة الله على قلوبهم في كل حال فيتألهون اليه ويذهلون به عن غيره وينسون في ذكره من سواه فيعبدونه لاجله صرفا وهم المقربون ونعيمهم في الجنان صرف ويمزج لاهل المزج وهم أصحاب اليمين كما قال تعالى

العلماء وصدق فان من عمل بطاعة الله تعالى وهو يريد بها الناس فقد استهزأ بجنبة الله تعالى وهذا كما اذا وقف رجل بين يدي ملك في معرض الخدمة وليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة عبد من عبيد الملك فانه يستحق النكال لاستهزائه بالملك وعدم اعظامه لجنبته

* (فصل) * وما يرائي به ستة أنواع الاول الرياء من جهة البدن وهو اظهار النحول والاصفرار ليظهر به السهر والصيام واظهار الحزن ليظهر انه شديد الاهتمام بأمر الدين واظهار تشعث الشعر وتفثل اللحية ليظهر انه لشدة اشتغاله بأمر الدين لا يتفرغ لنفسه واظهار ذبول النفس وخفض الصوت ليستدل به على الصوم وكثرة المجاهدة الثاني الرياء بالهيئة كحلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدو في الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه وتغميض العينين ليظهر انه فناء في الوجد والمكاشفة أو غائص في الفكر الثالث الرياء في الثياب كلبس الصوف والثوب الخشن وتقصيره وترك الثوب مخرقا ووسخا ليظهر انه مستغرق الوقت لا يتفرغ لغسله واصلاحه ولبس المرقعة والسجادة ليظهر انه من الصوفية مع افلاسه عن حقائق التصوف الرابع الرياء بالقول كرياء أهل الوعظ

في وصف نعيمهم ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ثم قال في نعت شراب المقربين ومزاجه يعني مزاج شراب الابرار من تسنيم عينا يشرب بها المقربون أي يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين فاطاب شراب الابرار لامتزاج شراب المقربين فعبر عن جميع نعيم الجنان بالشراب كما عبر عن العلوم والاعمال بالكتاب فقال في نعت الابرار ثم ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فتنافس علمهم ولا صفت أعمالهم ولا زكتهم الا بشهادة المقربين لما قربت منهم وحضره وكذلك كانوا في الدنيا تحسن علومهم بعلمهم وترتفع أعمالهم بمشاهدتهم ويجدون المزيد في نفوسهم بقربهم منهم كما بدأنا أول خلق نعيده وقال تعالى جزاء وفاقا أي وافق أعمالهم وقال تعالى سيجزيهم وصفهم أي كوصفهم في الدنيا انه حكيم عليم فمن كان في هذه الدار نعيمه طيبات الملك فكذلك غدا يكون الملك نعيمه ومن كان فيها نعيمه وروحه بالطيب الملك فهو غدا في مقعد صدق عند مليكه كما قال أبو سليمان الداراني من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقد روينا عن رابعة العدوية وكانت احدى المحبين وكان الثوري يقعد بين يديها ويقول علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول نعم الرجل أنت لولا انك تحب الدنيا وقد كان رحمه الله زاهدا في الدنيا عالما الا انها انما كانت تجعل ايثار كتب الحديث والاقبال على الناس من أبواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عبد شريطة ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدته خوفا من ناره فاكون كالامة السوء ان خافت عملت ولا حبا لجنته فاكون كامة السوء ان أعطيت عملت ولكني عبدته حباله وشوقا اليه وروى عنها حماد بن زيد انها قالت انى لاستحيي ان أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها وكان هذا جوابا لانه قال لها اذكري لي حوائجك حتى أقضيها وخطبها عبد الواحد بن زيد فقالت يا شهواني اطلب شهوانية مثلك أي شيء رأيت في من آلة الشهوة وخطبها محمد بن سليمان أمير البصرة على مائة ألف وقال لي غلة عشرة آلاف في كل شهر ادفعها اليك فكتبت اليه ما يسرني انك لي عبد وان كل ما تملكه لي وانك شغلتني عن الله طرفة عين وقد قالت في معنى المحبة أبياتا تحتاج الى شرح حملها عنها أهل البصرة وغيرهم منهم جعفر بن سليمان الضبعي وسفيان الثوري وحماد بن زيد وعبد الواحد بن زيد

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

فأما قولها حب الهوى وقولها حبا لانك أهل له وتفريقها بين الحبين فانه يحتاج الى تفصيل حتى يقف عليه من لا يعرفه فهو يخبر من لم يشهده وفي تسميته ونعت وصفه انكار من ذوي العقول ممن لا ذوق له ولا قدم له فيه ولكنا نجمل ذلك وندل عليه من عرفه تعني حب الهوى اني رأيتك فاحببتك عن مشاهدة عين اليقين لا عن خبر وسمع تصديق من طريق النعم والاحسان فتختلف محبتي اذا تغيرت الافعال لاختلاف ذلك علي ولكن محبتي من طريق العيان فقربت منك وهربت اليك واشتغلت بك وانقطعت عن سواك وقد كانت لي قبل ذلك أهواء متفرقة فلما رأيتك اجتمعت كلها فصرت أنت جملة القلب وجملة المحبة فانسيتني ما سواك ثم اني مع ذلك لا استحق على هذا الحب ولا استأهل ان أنظر اليك في الآخرة على الكشف والعيان في محل الرضوان لان حبي لك لا يوجب عليك جزاء عليه بل يوجب على كل شيء لك مني كل شيء مما لا أطيقه ولا أقوم بحقك فيه أبدا اذ كنت قد أحببتك الزمني خوف التقصير ووجب علي الحياء من قلة الوفاء فتفضلت علي بفضل كرمك وما أنت له أهل من تفضلك فاريتني وجهك عندك آخرا كما أريتنيه اليوم عندي أولا فلك الحمد على ما تفضلت به في ذا عندي في الدنيا ولك الحمد على ما تفضلت به في ذاك عندك في

والتذكير بتحسين الالفاظ وتسجيعها والنطق بالحكمة والاخبار وكلام الانبياء والاولياء والزهاد مع ترقيق الصوت واظهار الحزن مع الخلو من حقيقة الصدق والاخلاص بالباطن بل ليظن به ذلك الخامس الرياء بالعمل كاطالة الخشوع في الصلاة وتطويل ركوعها وسجودها والتصدق والحج والاخبات في المشي عند رؤية الناس واطراق الرأس وقلة الالتفات مع ان الله تعالى عالم من باطنه انه لو كان في خلوة بحيث لا يراه أحد لما فعل شيأ من ذلك بل تساهل في الصلاة واسرع في المشي السادس الرياء بكثرة التلامذة والاتباع وكثرة ذكر الشيوخ ليظن انه لقي شيوخا كثيرة فهذه مجامع ما يراءى به في الدين *(فصل)* والرياء على درجات منها ان يلبس في الخلوة غير ما يلبسه عند الاجتماع بالناس وكالذي ينفق في الضيافات وعلى الاغنياء أموالا ليعتقد انه سخي لا ليعتقد انه ورع صالح فليس ذلك بحرام فان ذلك القلب انما هو الاموال نعم اذا حصل الافراط في ذلك وجر الى الغفلة والمعاصي فيكون محظورا لذلك لا لنفسه واعلم ان المرائي الذي قصد بالعبادات مراآة العباد فقد اعتقد ان عباد الله أقدر على نفعه وضره من الله تعالى اذ عظمة العباد في قلبه دعته الى أن يقبل عندهم بعبادة الله تعالى ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك الخفي والشرك الأصغر

الا آخر ولا حد لى فى ذا هو هنا ولا حد لى فى ذاك هنالك اذ كنت انما وصلت اليهما بك فانت المحمود فيهما الا بك وصلت فى جم ما قوذا الذى فسرناه هو وجد المحبين المحقين نطنا بقولها ذلك اذ كان لها فى المحبة قدم صدق والله أعلم ولا يسعنا ان نشرح فى كتاب كشف حقيقة مما أجملناه ولا ان نفصل وصف ما ذكرناه ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى يدل بمحبته و يقتضى الجزاء عليها من محبوبه و يوجب على حبيبه شيأ لاجل محبته فهو مخدوع بالمحبة محجوب بالنظر اليها وانما ذلك مقام الرجاء الذى ضده الخوف وليس من المحبة فى شئ ولا تصح المحبة الا بخوف المقت فى المحبة وقال بعض العارفين ما عرفه من ظن انه عرفه ولا أحبه من توهم انه احبه

* (ذكر مخاوف المحبين ومقاماتهم فى الخوف) * والمحب سبع مخاوف ليست بشئ من أهل المقامات بعضها أشد من بعض أولها خوف الاعراض وأشد منه خوف الحجاب واعظم من هذا خوف البعد وهذا المعنى فى سورة هود وهو الذى شيب الحبيب اذ سمع المحبوب يقول ألا بعدا لثمود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود فذكر البعد فى البعد يشيب أهل القرب فى القرب ثم خوف السلب للمزيد والايقاف مع التعبيد وهذا يكون للخصوص فى الاظهار والاختيار منهم فيسلبون حقيقة ذلك عقوبة لهم وقد يكون عند الدعوى للمحبة ووصف النفس لحقيقتها و ينقصون معه ولا يشعرون لذلك وهو لطيف من المكر الخفى ثم خوف الفوت الذى لا درك له سمع ابراهيم بن أدهم وهو أحد المحبين قائلا يقول فى سياحته قائما

كل شئ لك مغفور * سوى الاعراض عنى قد وهبنا منك ما فا * ت بقى ما فات منى

فاضطرب وغشى عليه فلم يفق يوما وليلة وهذا فى قصة طويلة كانت له بعد مقامات أقيم فيها نقل عنها الى هذا المكان حتى قال فى آخر ذلك فسمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا قال فكنت عبدا فاسترحت معناه لا تكن الا واحدا تكون عبدا له حرا مما سواه ولا تملك شيأ فان الاشياء فى خزائنه مليكها لا تملكها فتستعبدك من مالك وتشرك بعبد ما ملكتها وقد ضرب الله مثلا بينه و بين خلقه ان رجلين أحدهما فيه شركاء متشاكسون عليه من أهل ومال وشهوات وآخر سالما خالصا لواحد انهما لا يستويان فى قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون أى الاكثر ليسوا اعلى هكذا الواحد وأشد من الفوت خوف السلو وهذا أخوف ما يخافون لان حياتهم كانت به لا بهم وهو نعمة عظيمة لا يعرف قدرها فكيف يشكره عليها ولا يقوم لها شئ فكذلك سلوهم عنه يكون به كما كان حبهم له به فيدخل عليهم السلو عنه من حيث لا يشعرون من مكان ما دخل عليهم الحب له من حيث لا يعلمون فقصد السلو به كما وجدت المحبة له فتكون به قد سلوت عنه وأنت لا تدرى كيف سلوت لانه يدرجك فى ذلك ادراجا بلطائف الحكمة كما انك أحببته وأنت لا تدرى لانه أشهدك وصفه باطلاع القدرة عن بطنان الرحمة او جدت نفسك محبا له كذلك ترجع المحبة كما جاءت فتصحبك عنه من وصف المكر والجبر به فتجد قلبك ساليا عنه بلا حول منه ولا قوة ولا اجتلاب ولا حيلة وهذا لا يعرفه الا عارف بدقيق بلائه ولا يعذره الا خائف من خفى مكره وابتلائه فاذا سلوت عنه به كان ذلك دليلا منه انه قد رفضك واطرحك كما انت اذا كنت محبا انما أحببته به وهذا هو تحقيق المكر السريع بسرعة تقليب القدرة له او ب الذى تحقق بالمكور وهو درك الشقاء الذى أدرك المغرور بما لا يدركه الطرف اسرعته ولا يصل فى الوهم لخفيته كقوله تعالى اذا لهم مكر فى آياتنا أى معصية بالنعم قل الله أسرع مكرا أى اخفى تقليبا قد أظهر لهم نعما أجروها وكانت عقوبة ونقما باطنة فى لبس النعم الظاهرة يدرجوا بها الى درجة درجة من حيث لا يعلمون وأشد من هذا كله خوف الاستبدال لانه لا مشوبة فيه وهذا حقيقة الاستدراج يقع عن نهاية المقت من المحبوب وغاية البغض منه والبعد والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب بداية ذلك كله والقبض عن الذكر وضيق الصدر بالبر أسباب هذه المعانى المبعدة والمدارج المدرجة اذا قويت وتزايدت أخرجت الى هذا كله واذا تناقصت وبدل بها الصالحات والحسنات أدخلت فى مقامات المحبة والقربات كما جاء

واعلم ان الرياء كما انقسم و ينقسم ايضا باعتبار اختلاف الغرض الباعث عليه ينقسم ايضا بما يراءى به الى ما اثره على غيرها أعظمها المراآة فى الايمان وهذا هو النفاق فى الايمان أعاذنا الله تعالى منه كما عليه الزنادقة والملحدة الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر الثانية الرياء باصل العبادات كمن يصلى و يزكى بحضرة الناس والله تعالى يعلم من باطنه لو خلا بنفسه لم يفعل ذلك الثالثة الرياء بالنوافل دون الفرائض كالذى يكثر النافلة و يحسن هيئة الفرض بحضرة الناس والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل شيأ من ذلك وهذا أيضا حرام لكن حرمته أخف من حرمة القسم الذى قبله * (فرع) * اذا كانت العبادة باعثة مستقلة لو خلا بنفسه ولكن زادته رؤية غيره نشاطا وخف عليها العمل لسببه فارجو أن لا يحبط ذلك القدر من الرياء عمله بل تصح عبادته و يثاب عليها بل قصد الرياء ينقص من ثوابه * (فرع) * لو تساوى عنده قصد العبادة ومراآة الناس ووقع الفعل بهذين القصدين فهذا قد أفسد العبادة بقصد الرياء من وجه وأصلحها من وجه آخر فالظاهر انه لا يسلم رأسا برأس ويحتمل ان يقال اذا تساوى القصدان فاحدهما كفارة للآخر وقوله تعالى فيما حكاه نبينا عن قوله تعالى أنا أغنى الاغنياء عن الشرك يدل على انه لا يقبله ولا يثيب عليه

في

فى الاثر الثابت عن حبيب الله وكذلك فى تدبر الخطاب ان العاكف على هواه مقيت الله لوجود هذه الاوصاف منه لدلائل ما عاد عنك من الاستبدال بك والاسقاط لك وانما الخوف عن هذه المعانى علامة المعرفة بأخلاق المولى ولا يصلح شرح هذه المقامات فى كتاب ولا تفصيلها برسم خطاب انما يشرح فى قلبه بيقينه فقد شرح وبه فضل العبد من نفسه فقد فصل فاما قلب مشترك وعبد فى هواه مرتبك فليس لذلك أهلا واقه المستعان وثم خوف ثامن عن شهادة حب عال يغرب اسمه فيلتبس ويخفى وصفه لقلة اشتهاره فى الاستماع فيجهل لم نسمه لانه خوف عن مقام له اسم من المحبة فيشتبه على كثير من سامعيه فينكرونه ويشنع فى أوهام غير مشاهديه بالخلق فيمثلونه لان أسماء صفات الخلق ملتبسة بمعانى صفات الخالق وانما لهم من ذلك ما يعلمون وهم بعلومهم محجوبون ولكنهم بما يشهدون فاذ ذكرنا خوفه ثم على ذكر مقامه فنظر بالمعيار فكان عليه أفضل من نشره الى أن يسأل عنه من ابتلى بمصدره عنه بعد ان تشرب منه لان مقامات المحبة كلها الى جنبه قامه كنهر منيف الى بحر مثله كمثل مشاهدات اليقين كلها الى جنب شهادة التوحيد بالتوحيد وهو وصف من المحبة يعرف لانه من شوق الحبيب الى المحبوب ومن معنى قول رابعة آنفا احب الهوى ومن معنى قول عائشة رضى الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم أرى ربك يسارع الى هواك ومن صدر عن مقام محب بصدور ورده ورفع الى هذا المقام لانه فى مقام محبوب بجليل مشاهدات اليقين وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد هذين البيتين كثيرا

ومن بعد هذا ما تدق صفاته • وما كتمه أحظى لديه وأعدل
ألا ان السرعن سرائره • الى أهله فى السر والستر أجمل

وقد ذكرنا معناه لبعض المحبوبين فى كلام منظوم فى بيتين وهما

فنسك بما احب بعزتها زاجا • بما موصال كنت أنت وصلته
ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه • فكان بلا كون لانك كنته

وقال بعض العلماء من عرف الله من طريق المحبة بغير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عرفه من طريق الخوف من غير محبة انقطع منه بالبعد والاستيحاش ومن عرف الله من طريق المحبة والخوف أحبه الله وقربه وعلمه ومكنه وليس العجب من خوف الخائفين اذ لا يعرفون الا الصفات المخوفات والافعال القاصمات وانما العجب من خوف المحبين مع ما عرفوا من أخلاقه وحسنه وشهدوا من تعطفه والطافه ما لم يعرف الخائفون ثم هم مع حبهم يهابونه وعلى أنفسهم به يخافونه وفى فزعهم منه يشتاقون اليه وفى بسطه لهم ينقبضون بين يديه وفى اعزازه لهم يذلون له لان من قبض فانقبض فليس بعجب ولكن من أعز وأكرم فتواضع وذل فهو العجب فللمحبين الانقباض فى البسط وللخائفين الانقباض فى القبض وللمحبين الذل مع العز والكرامة وللخائفين الذلة مع الهيبة والمهنة فهذا يدل على ان معرفة المحبين به أعظم المعارف اذ كانت أوائل أحوالهم المخاوف فكل محب لله خائف وليس كل خائف محبا الا فى محبة المقربين لانه لم يذق طعم الحب لان طعم محبة المسلمين المفترضة لا يقع بها اعتبار فى مقامات الخصوص لانه لا يوجد عنها مواجيد الاحوال ولا يعلى بها فى مشاهدات الانتقال لانها قوت الايمان منوطة بصحته وموجودة بوجوده والمحبة لا ترفع الهيبة فلذلك كان محبا خائفا لان المحبوب مهوب والخوف قد يقبض عن المحبة لشغل الخائف بوصفه السالف وهذا كشف الابرار وهو حجاب المقربين لان المحبين لهم من الخوف قوت ومن المحبة اتساع والخائفون لهم من الخوف اتساع ومن المحبة قوت وهذا كما يقول فى الرجاء والخوف لانهما وصفا الايمان الا ان الخائف يندرج الرجاء فى حاله والراجى ينطوى الخوف فى رجائه فوق سبق ترتيب المقامات من الله تعالى حكم غريب وحكمة لطيفة لا يعرفها الا من أعطى يقين شهادتها ان سبق الى العبد بمقام الخوف كان محبا حب المقربين العارفين وان سبق اليه بمقام المحبة كان محبا محبة أصحاب اليمين ولم يكن له مقامات المحبين المستأنسين ولا المشتاقين فى مقامات المقربين وكل هؤلاء موقنون صالحون وان خرجت أحوالهم عن ترتيب علوم أهل الظاهر لان

*(فصل)* والرياء منه أكبر ومنه أصغر فالأكبر هو ان يريد الناس بطاعة الله تعالى وعبادته ولا يريد وجه الله تعالى والرياء الاصغر ان يريد بالعبادة الناس ورب الناس وهذا أخف الرياء لانه أقبل على الله تعالى من وجه وعلى الناس من وجه فاما الاول فلانه أعرض عن الله تعالى بالكلية وأقبل على الناس وكلاهما محبط للعمل لانه جاء عن الله تعالى من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته لشركه ولا يتصور شرك الرياء ممن عبد الله تعالى تعظيما واجلالا لان تعظيمه عنعه من أن يعصيه بشرك الرياء وكذلك الحياء والحب أيضا مانعان من عصيان المستحيى منه ومن عصيان المحبوب فيما يقرب به اليه

*(فصل)* والرياء بعضه جلى وبعضه خفى وفيه ما هو أخفى من دبيب النمل أما الجلى فما يبعث على العمل حتى لولاه لم يرغب فى العمل وأخفى منه ان لا يستقل بالحمل عليه ولكن يخفف عليه العمل ويزيده نشاطا وأخفى منه ان لا يزيد نشاطه ولكن لو اطلع غيره على تعبده قبل فراغه أو بعده فرح بذلك واهتزت نفسه وذلك يدل على ان الرياء مستكن فى القلب استكنان النار تحت الرماد حتى يرشح منه السرور عند الاطلاع عليه وقد كان غافلا عنه قبله وأخفى منه ان لا يسر بالاطلاع عليه ولكن يتوقع ان يبدأ بالسلام ويوقر ويتعجب ممن يسىء اليه ولا يعذره فكأنه يتوقع من الناس ان يعظموه

ويوقر ويشكره عابدا زاهدا مع انه فانه  ذلك عنهم وأمثال هذه الحكايات لا يعلو منها الا الصديقون وجميع ذلك اثم وبطال منه

لمسكر لهم أكثر من الفقر والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وربما كانت المحبة ثوابا للخوف ومزيدا له وهذا في مقام العاملين وربما كان الخوف مزيد المحبة وثوابها وهذا في مقام العالمين فمن كانت محبته مزيده بعد الخوف فهو من المقربين المحبوبين ومن كان الخوف مزيد محبته فهذا من الابرار المحبين وهم أصحاب اليمين وسئل بعض علمائنا البصريين الحب أفضل أو الحياء فقال الحب الذي يورث من الخوف الحياء أفضل منه والحب الذي يورث الحياء منه أفضل من الحياء وهو الشوق وقال الجنيد المحبة نفسها تقرب القلب من الله بالاستنارة والفرح فاما حب تجلي الصفات من الاسماء الباطنة فلم تذكر منها شيئا وانما ذكر محبة الاخلاق من الاسماء الظاهرة ولا أحسب انه يحل رسمه في كتاب ولا كشفه لعموم الناس لانه من سر المحبة لا يكاشف به الا من اطلع عليه ولا يحدث به الا من أطلعه ولو رأيت أحدا رسمه في كتاب لانه لا يؤخذ من كتاب وانما يتلقى من أفواه العلماء وينسخ من قلب الى قلب وهو يشبه ما كتبناه آنفا من الخوف الثامن الذي لم نصفه لمن لا يعرفه ومما نقل في الاثر من وصف من اذيق منه ولم يفصح بذكر وصفه اثار ورينا في الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسأل الله أن يرزقه ذرة من محبته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسأل له الصديق ربه فقال يا رب انقصه من الذرة نصفها فاوحى الله اليه انما أعطيناه جزأ من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة ألف عبد سألوني شيأ من المحبة في الوقت الذي سألني هذا فاخرت اجابتهم الى أن شفعت أنت لهذا فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته فقسمت ذرة من المحبة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقلت سبحانك أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيته قال فاذهب الله عنه جملة ذلك الجزء وبقي فيه عشر معشاره وهو جزء من ألف جزء فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وصار كسائر العارفين ومن علم المحبة سهر الليل بمناجاة الجليل والحنين الى الغروب شوقا الى الخلوة بالمحبوب ومناجاة القلب سرائر الوجد ومطالعة الغيب والمناجاة عند أهل المصافاة انما هي بالقلوب وهي مطالعتها بواطن الغيوب وجولانها في سر الملكوت وعلوها في معاني الجبروت بأنوار أرواحها وسماعها اسماع أنوارها فيوقفها على خزائن أسرارها والمناجاة دليل رؤية القرب وشاهد وجود الانس وفيما أخبرنا عن الله تعالى انه قال كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه ها أنا ذا قريب من أحبابي اسمع سرهم ونجواهم واشهد حنينهم وشكواهم وروينا عن بعض العلماء القدماء ان الله عز وجل أوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني وأحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي فاول ما أعطيهم ثلاثا اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه وأما الشوق فانه مقام رفيع من مقامات المحبة وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيما في غير مشوقه والمشتاقون مقربون بما أشهدوا من الشوق اليه وهم المأمور بطلبهم الموجود الحبيب عندهم عقوبة منه لهم لما شوقهم اليه في قوله لموسى عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي هم المشتاقون من المحبين والله أعلم وذلك ان الحبيب قرب بعضهم بوصف تنكر ما فقرحوا بقربه وعاشوا بمشاهدته ونعموا بالحضور وهم عنده ثم احتجب

انبساط العمل فجاهد نفسك في دفع أسباب الرياء عنك واحرص على ان تكون الناس عندك كالبهائم والصبيان ولا تفرق في عبادتك بين وجودهم وعدمهم وعلمهم بها أو غفلتهم عنها واقنع بعلم الله تعالى وحده واطلب الاجر منه

*(فصل)* من يجد قلبه من الرياء الجلي لكن يعجز عن تجريد قلبه عن الرياء الخفي فهل تنعقد عبادته مع ذلك قالوا الاعلى اما أن يكون وارد الرياء ورد مع أول العمل أو في دوامه أو بعد الفراغ منه فان قارن ابتداء العمل فانه يبطل العمل ويمنع انعقاده لان الرياء صار باعثا مؤثرا في الحال على العمل واذا لم يكن باعثا مؤثرا على الحال على العمل بل وقع العمل به وبباعث التقرب الى الله تعالى فقد تقدم حكمه واذا كان الرياء لم يقارن ابتداء العمل لكن ورد على دوامه فان أبطل باعث العبادة بطلت العبادة لان النية قد انقطعت مثاله ان ينسى شيأ فيتذكره ولو شغلا بنفسه لقطع الصلاة لاجله لكنه آتى استحياء من الناس وان لم يبطل باعث العبادة لكنه صار مغمورا كالوحضر قوم ورآه في تلك العبادة فغلب على قلبه الفرح باطلاعهم والتفعر باعث العبادة بطلت صلاته لانه يغلب على الظن انه قد انقضى ركن وهو في باعث الرياء قبل معاودة

عنهم

باعث العبادة وأما ما يطرأ بعد العقد من الرياء بأن يعقد عقد سر ورابعد فراغه من الصلاة باطلاع الناس عليه الا انبساط ذلك

عنهم غيرة على نفسه لعزه فانكسرت قلوبهم لاجله فاشتاقوا اليه ما وجدوا منه فتشتد بحرمتهم فاس أولياء يطلبهم وأوجد نفسه عندهم لكانتهم عند مفترح هؤلاء من المحبين بفرحه لا يوصف وانكسارهم وحزنهم لاجله لا يعرف والله سبحانه قد يعرض عن محبيه تعززا اليزعجهم الشوق اليه ويقلقهم الاسف عليه و ينظر اليه في اعراضه عنهم من حيث لا يعلمون لينظروا اليه من حيث يعلمون فيسكنون بالادب بين يديه وحدثونا عن ابراهيم بن أدهم وكان أحد المشتاقين وهو من ابدال هؤلاء الذين تتكلم في علومهم ونكشف طريقتهم وكانت له رحمه الله أماكن من المحبة رفيعة ومكاشفات في القرب عالية قال قلت ذات يوم يارب ان كنت أعطيت أحدا من المحبين لك ماتسكن به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد أضرني القلق قال فرأيت في المنام انه أوقفني بين يديه فقال يا ابراهيم أما استحييت مني ان تسألني ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه أم هل يستروح المحب الى غير مشوقه قال فقلت يارب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني كيف أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك وقد حدثونا بمعنى ذلك عن أحمد بن عيسى الخراز وكان مشتهرا بالسماع كثير الحركة والصعق عنده ذكر بعض أصحاب سهل قال رأيته في المنام بعد موته فقلت مافعل الله بك فقال أوقفني بين يديه فقال لي يا أحمد حملت وصفي على ليلى وسعدى لولا اني نظرت اليك في مقام واحد أردتني به خالصا لعذبتك قال وأقامني من وراء حجاب الخوف فارعدت وفزعت ماشاء الله ثم أقامني من وراء حجاب الرضا فقلت ياسيدى لم أجد من يحملني غيرك فطرحت نفسي عليك فقال صدقت من أين تجد من يحملك غيري قال وأمر بي الى الجنة وفي هذا تخويف للسامعين على التشبيه الحائدين عن سمع أهل الفهم والتنبيه لان السماع علم لا يصلح الا لاهل الصفاء فمن سمعه على كدر فذلك له محنة وضرر ويدخل من الآفات على نقصان المشاهدات اذا سمع من قبل النغمة والصوت مايدخل على من نظر الى الايدى في العطاء لان الصوت ظرف المعاني بمنزلة اليد ظرفا للارزاق فالناظر الموقن يأخذ رزقه من اليد و يترك النظر والسامع الحق يأخذ المعاني من الصوت ولا يلتفت الى التنغيم فمن سمع على التشبيه والتمثيل الحدود من سمع على الهوى والشهوة فهو لاعب ولاه ومن سمع باستخراج الفهم ومشاهدة العلم على معاني صفات حق ونظر وتعارف ودليل على آيات صدق كان سامعا على مزيد وهذه طرائق أهل التوحيد وفي السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس بمشاهدة هوى وشهوة فهو حرام ومن سمعه بعقوله على صفة مباح من جارية وزوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه وفعل هذا بعض السلف من التابعين ومن سمعه بقلب بمشاهدة معان تدله على الدليل وتشهده طرقات الجليل فهذا مباح ولا يصح الا لاهله ممن كانت له نصيب منه ووجد في قلبه مكانا له لعبد أقيم مقام حزن أو شوق أو في مقام خوف أو محبة فيحركه السمع ويخرجه الى الشهادة فيكون ذلك مزيدا من السمع فاما من سمعه على نغمة أو لاجل صوت أو ليلهو به أو يستروح اليه فهذا لاعب لاه لا يحل له اذ ليس مراده وكان الجنيد يقول تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن عند الطعام لانهم لا يأكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتذاكرون أحوال النبيين ومقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد و يشهدون حقا وكان بعض العارفين يقول تعرف مواجيد أصحابنا في ثلاثة أشياء عند المسائل وعند الغضب وعند السماع وانما ذكرنا هذا لانه كان طريقا لبعض المحبين وحالا لبعض المشتاقين فان أنكرناه مجملا فقد أنكرنا على تسعين صادقا من خيار الامة وقد دخل فيه غير أهله فاحالوه من وجهه وعدلوا به عن قصده وقد كان بعض السامعين يقتات السماع فيجعله قوته و يتقوى به على زيادة طيه وكان أحدهم يطوى اليومين والثلاثة فاذا تاقت نفسه الى القوت عدل بها الى السماع فاثار منه مواجيد وأهاج فيه اذكاره فيغنيه ذلك عن الطعام واغتاه عن الانام فهذا لا يصلح الا لقلب صاف من الاكدار نقى نظيف من الآثام ومن شهد فيه خلقا فذلك علامة كدر قلبه ومن أحدث فيه لعبا ولهوا فهو دليل نقص لبه حدثني بعض الشيوخ عن شيخ

على ما مضى ولكن يعصى و يأثم

*(فصل)* واذا عرفت حقيقة الرياء وكرهت مداخلته فعليك بالجد في مجانبته وازالتمه وذلك بدفع الاسباب الباعثة عليه من حب المدح وخوف الذم والطمع فالحب لمدح الناس له يحمله ذلك على المراياة بالاعمال ليمدحوه عليها ومن يخاف ذم الناس على التقصير في العمل يرائى الناس بالعمل ليتوقى ذمهم والطامع في الدنيا يحمله الطمع في الدنيا على المراياة في الاعمال ليتفقده الناس بالاعطاء والهدايا والصلات لاعتقادهم فيه انه من عمال الآخرة وهذا هو آكل الدنيا بالدين ويأبى الله الا أن يكشف سر هؤلاء ويظهر نفاقهم و يسخط عليهم خلقه بعد ان سخط عليهم واعلم ان دفع أسباب الرياء يكون بامور منها تذكر النفس بما أمر الله تعالى به من اصلاح القلب واخلاص العمل وبما قد حرمه الرائى من التوفيق ومنها خوف مقت الله تعالى اذا اطلع على قلبه وهو منطو على الرياء ومنها ما يفوته من ثواب الاخلاص في الآخرة وما يلحقه من عقابها ومنها تقبيح تحبيبه الى الناس بما يبغضه الى الله تعالى ومنها تزيينه لهم بما يشينه عند الله تعالى ومنها التقرب اليهم بما يبعده من الله تعالى ومنها ارضاؤهم بالتعرض لسخط الله تعالى

له قال ورأيت أبا العباس الخضر فقلت ما تقول فى هذا السماع الذى يختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفا الزلال لا يثبت عليه الا أقدام العلماء وقد صدق فى قوله لا طريق لنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتى الشهوة الخفية والنغمة الملهية ولان حمادا روى عن ابراهيم الغناء ينبت النفاق فى القلب وعن مجاهد ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال الغناء وهذا كما قالاه لان سماع الغناء حرام وأجور المغنيات وأثمانهن حرام والفرق بين الاغانى والقصائد ان الاغانى ما نسب به النساء وذكر فيه الغزل ووصفن به وشهدن منه ودعا الى الهوى وشوق الى اللهو فمن سمع من حيث قال القائلون بهذه المعانى فالسماع عليه حرام والقصائد ما ذكر الله ودل عليه وشوق اليه وأهاج مواجيد الايمان وأثار مشاهدات العلوم وذكر به طرقات الآخرة ومقامات الصادقين فمن سمع من حيث شهد بهذه الشهادة فهو من أهله اذ له نصيب منه وقال الله سبحانه ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون فالكلام زوجان منثور ومنظوم فالمنثور كلام العلامة والمنظوم كلام الشعراء فما ذكر به الله ويذكر منه فهو طريق اليه ولم يزل الحجازيون عندنا يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة وهى الايام التى أمر الله عباده فيها بذكره فيها أيام التشريق من وقت عطاء بن أبى رباح الى يومنا هذا ما أنكره عالم وقد كان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما ويحمل القول فى السماع ان من سمع فظهرت عليه صفات نفسه وذكرته حظوظ دنياه فالسماع عليه حرام ومن سمع فظهرت له بذكر ربه وذكر به أجل ما شوقه الله اليه وأعده لاوليائه فهو له ذكر من الاذكار وسئل عالم رحمه الله فقيل له بلغنا انك تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون يسمعون فقال كيف أنكر السماع وقد سمعه عبد الله بن جعفر الطيار وهو ابن أبى طالب وانما أنكر اللهو وأنكر اللعب فى السماع ولعمرى ان هؤلاء الاشياخ الذين ذكروا لقد كانوا يسمعون ولكن كان منهم من سمع المردود العلانية ومنهم من كان يسمع مع اخوانه ونظرائه دون الاتباع والاصحاب وكانوا يقولون لا يصح السماع الا لعارف مكين ولا يصلح لمريد مبتدئ وكان بعض العلماء ترك السماع فقيل له فقال ممن فقيل له فانت فقال انما سمع من كانوا لا يسمعون الا من أهله ومع أهله وحدثونا عن يحيى بن معاذ قال فقدنا ثلاثا فما نراها ولا أراها تزداد الا عزة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء وقد سمع من الصحابة غير عبد الله بن جعفر أربعة منهم ابن الزبير والمغيرة بن شعبة وحدثونا عن ابراهيم بن أدهم قال طفت ذات ليلة بالبيت وكانت ليلة مظلمة ذات مطر ورعد فخلا الطواف فلما انتهيت الى الباب قلت اللهم اعصمنى حتى لا أعصيك أبدا قال فسمعت قائلا يقول من جوف البيت يا ابراهيم أنت تسألنى ان أعصمك وكل عبادى يسألونى العصمة فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وفى خبر وهب ابن منبه أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك تكثر مسألتى ولا تسألنى ان أهب لك الشوق قال يا رب وما الشوق قال انى خلقت قلوب المشتاقين من رضوانى وأتممتها بنور وجهى فجعلت أسرارهم موضع نظرى الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الى عجائب قدرتى فيزدادون فى كل يوم شوقا الى ثم أدعو نجباء ملائكتى فاذا أتونى خروا الى سجدا فاقول انى لم أدعكم لعبادتى ارفعوا رؤسكم أريكم قلوب المشتاقين الى فوعزتى وجلالى ان سموات لتضئ من نور قلوبهم كما تضئ الشمس لاهل الدنيا معنى قوله لداود عليه السلام ولا تسألنى الشوق ليس انه قد يعطى الاولياء ما لا يعطى الانبياء كما غلط فى هذا بعض الناس ففضل العارف على النبى ولكنه ذكر ذلك لداود عليه السلام ابتداء اياه فيعطيه فلما أخبره به أعطاه مقام الشوق اليه فجاوز مقامات المشتاقين من العارفين وانما أراد أن يجعل ذلك على لسانه ليريه فضل مكانه ويظهر له ذلك عن مسئلته ليفضله ويشرفه بسرعة اجابته كما ان قول داود عليه السلام وما الشوق ليس انه لم يعرف الشوق وقد آتاه الحكمة والنبوة ولكن سكت بين يديه استحياء منه واعترف له به بالجهل لانه عند علام الغيوب وأراد أن يسمع منه حقيقة وصفه لانه أصدق القائلين وأمدح الواصفين وأما الغيرة فقال

لمع احباط عمله والاسلام ومناجته وخجلته بين يدى ربه الا اذا عرض عليه أشبه على الخلق واعراضه عن ربه ومن أخلص عمله لله تعالى وفرغ قلبه من الخلق ومن متاع الدنيا فقد سعد كل السعادة وظهرت عليه أحوال النجاة وفاضت عليه أنوار الاخلاص وأمده الله تعالى بعونه وتوفيقه

(فصل) ان الشيطان فى الرياء ثلاثة أعمال أحدها ان يخطر الرياء بقلب الانسان والثانية ان يزينه ويحببه اليه والثالثة ان يدعوه اليه ويحثه عليه بعد ان حببه اليه وأسعد الناس من يدفع الخطرة عن نفسه ويصرفها عن قلبه ويليه الذى يدفعها بعد تحبيبه وتزيينه ويليه الذى لا يتعاطاه بعد حث الشيطان على موعدته اليه وهذا جار فى جميع المعاصى ويندفع دعاء الشيطان الى الرياء والى جميع المعاصى بشيئين أحدهما كراهة المعصية والرياء والثانى الامتناع مما كرهه الله تعالى وانما تحصل الكراهة بتذكير ما فى تلك المعصية من سخط الله تعالى وبما ذكرناه من مضار الدنيا والآخرة فى الفصل الذى قبله فان الله تعالى جبل الانسان على محبة ما ينفعه وكراهة ما يضره وخلق النفس مائلة الى ما ينفعها ونافرة عما يضرها والشيطان عرضة لها على ذلك وخلق العقل ليدفع أعظم الضررين بادناهما ويقدم أعلى النفعين على أدناهما والشرع هو المعرف للضر والنفع والعقل كالبصر

سنة

سنبينه من أحوال المحبين لانه قد أظهرهم على معانى نفسه فضنوا بها لما امتلأت به قلوبهم وصارت فيها عقولهم الا ان هؤلاء خصوص أصحاب اليمين وهم عموم المحبين الا انه اذا رفعهم الى مقام التوحيد فاشهدهم الايجاد بالوحدانية والانفراد بالفردانية نظروا فاذا هو لم يعط منه لبس واشتباها ولا أظهر من معانيه وصفا فاتلوث الغيرة فى توحيدهم اما عرفوا بيقين التوحيد انه ما نظر اليه سواه ولا عرفه الا اياه فتسقط هممهم بالغيرة عليه وعرفوا حكمته بتعريفه أنواع ما يظهر وأقسام ما ينشر وانه فى غيب غيبه لا يظهر عليه سواه وفى سر سره لا يشهده الا اياه فقام لهم مقام المعرفة بالتوحيد مقام الغيرة عليه فهذا اذا طولعوا به مقام الموحدين من الصديقين وقد روينا فى دلائل المحب وأوصافه أبياتا عن يحيى بن معاذ وأبى تراب النخشبى وعن أبى سعيد الخراز أيضا على قافية واحدة فى معان متقاربة وهى جامعة مختصرة فى نعت المحبين من المريدين وفى وصف السائرين من المرادين بالتقرب والانقطاع أولى الاحوال والمشاهدات الرفاع فالذى روينا عن أبى تراب هذه الابيات

لا تخدعن فللحبيب دلائل * ولديه من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمه بمر بلائه * وسروره فى كل ما هو فاعل

فالمنع منه عطية مقبولة * والفقر اكرام ولطف عاجل

ومن الدلائل ان يرى من عزمه * طوع الحبيب وان ألح العاذل

ومن الدلائل ان يرى متبسما * والقلب فيه من الحبيب بلابل

ومن الدلائل ان يرى متفهما * لكلام من يحظى لديه السائل

ومن الدلائل ان يرى متقشفا * متحفظا من كل ما هو قائل

والذى رويناه عن يحيى بن معاذ

ومن الدلائل ان تراه مشمرا * فى خرقتين على شطوط الساحل

ومن الدلائل حزنه ونحيبه * جوف الظلام فما له من عاذل

ومن الدلائل ان تراه مسافرا * نحو الجهاد وكل فعل فاضل

ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دار ذل والنعيم الزائل

ومن الدلائل ان تراه باكيا * ان قد رآه على قبيح فاعل

ومن الدلائل ان تراه مسلما * كل الامور الى المليك العادل

ومن الدلائل ان تراه راضيا * بمليكه فى كل حكم نازل

ومن الدلائل ضحكه بين الورى * والقلب محزون كقلب الثاكل

والذى رويناه عن أبى سعيد الخراز فدخل فيما ذكرناه عنهما وأحسب انه أخذه منهما لانهما أقدم منه الا أن قوله كان أحد عشر بيتا فقط وجميع ما قدمناه ذكره من العلامات والدلالات هى أوصاف المحبين وكل محب لله فهى محبة الله لان وجود العبد لمحبته لله علامة قبل محبة الله له بين ذلك النبيه فى هذه الشهادة الا ان فى المحبة مقامين مقام تعريف ومقام تعرف فمقام التعريف هو معرفة العموم وهذا تبل المحبة الخاصة ومقام التعرف معرفة الخصوص وهذا بعد محبة العموم وهو من بدا الحب الاول وهذا محبة خصوص وكذلك فى المحبة مقامان مقام محب وأعلى منه مقام محبوب وهذا كما عبروا عن قولهم مريد ومراد وعلى الحقيقة كل مريد لله فهو مراد بذلك الا انهم جعلوا اسم مراد بوصف خصوص يعرف به مميزا معه المبتدى من المبادى والمنيب من المجتبى والطالب من المطلوب والراغب من المرغوب والحافظ من المحفوظ فكذلك لعمرى ليس الحامل مثل المحمول ولا الزائر كالمزور ولا الاشتياق كالحضور ولا المحب مثل المحبوب قال أبو موسى الدبيلى عرضت على أبى يزيد البسطامى كتاب صاحبنا عبد الرحيم فى الاخلاص

لايرى النفع والضر والا فى ور والشرع كانت البصر لا يرى الحسن والقبيح الا بنوره فاذا زين الشيطان المعصية وحببها الى النفس امتلأ القلب بحبها فنسى العبد ما كان عزم عليه من الطاعة والاخلاص فيغفل عما فى العقل من مضرته فى دينه ودنياه وانما ينقطع ذلك باستجلاب التذكير فى الذنب من المفاسد التى تربو على ما فى الشهوة من المصالح فاذا علم ما فى طاعة الشهوة من الضرر العظيم كرهتها النفس حينئذ لانها مجبولة على دفع أعظم الضررين بالتزام أخفهما ولا شك ان ضرر الذنوب فى الدنيا والآخرة أعظم من ضرر فوات شهوة فانية فاذا اطلعت النفس على ذلك صارت مع العقل فيغلب جند الرحمن حينئذ جند الشيطان اذ لا يتصور فى العادة ان يتذكر العبد ما فى الطاعة والاخلاص من مصالح الدنيا والآخرة وما فى الرياء والمعصيات مع العلم بما فيهما من فوات المصالح وحصول المفاسد

* (فصل) * من أراد أن يعلم من نفسه انه مراء أو مخلص فعلامة كونه مرائيا ان يحب الحمد على الطاعة ويكره الذم فيفعل الطاعة خوفا من الذم واذا أخلص لله تعالى فى السر أو عمل عملا لا يطلع الناس لم يقنع بعلم الله تعالى منه ذلك وطمح قلبه لمحبة اطلاع الناس عليه فاحب الناس اليه من يحمده على ذلك وان طالب نفسه بطاعة خفية تطلع عليه ولم تطاوعه على ذلك * (فصل) * وقد

فما أعجبه منه الاحكاية أبي عاصم الشامي في الشوق يعني ان عبد الرحيم ذكر الاخلاص في كتابه فقال قيل لابي عاصم وافد أهل الشام يشتاق الى الله فقال لا قيل ولم قال انما يشتاق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق قلت سقط الشوق وهذا مقام محبوب وفي المشاهدة مقامان مقام شوق ومقام أنس فالشوق حال من القلق والانزعاج من مطالعة العزة ومعاينة الاوصاف من وراء حجاب الغيب بخفايا الالطاف وفي هذا المقام الحزن والانكسار والانس حال من القرب عن مكاشفة الحضور بلطائف القدرة ففي هذا المقام السرور والاستبشار وقال بعضهم عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا وعجبت لها كيف أنست بسواك وقال الجنيد علامة كمال الحب دوام ذكره في القلب بالفرح والسرور والشوق اليه والانس به وأثره صحبة نفسه والرضا بكل ما يصنع وعلامة أنسه بالله استلذاذ الخلوة وحلاوة المناجاة واستفراغ كله حتى لا يكاد يعقل الدنيا وما فيها ولا يحمل هذا على الانس بالخلق فيرتب على مدارج المعقول كما لا يحمل المحبة على محبة الخلق فيكون بمعاني المعقول لانه حال منه وانما هو طمأنينة ويكون اليه وجد حلاوة منه واستراحة وروح بما أوجدهم وقد أنكر الانس من لا مقام له فيه كما أنكر المحبة أيضا من لا معرفة له بها لانه تخيل فيها صحبة المخلوق وتمثل لها صفاتهم فقال لا يعرف المحبة ولا يعقلها الا المخلوق وليس الا الخوف والهيبة ومن ذهب الى هذا القول أحمد بن غالب المعروف بغلام خليل أنكر على الجنيد وأبي سعيد والنوري كلامهم في المحبة وليس هذا مذهب السلف ولا طريقة العارفين كتب عامر بن عبد الله الى بعض اخوانه آنسك الله بنفسه وقيل لابراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل من أين أقبلت قال من الانس بالله وأنشدونا لبعض العارفين

الانس بالله لا يحوي به بطال ✱ وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب ✱ وكلهم صفوة لله عمال

وقد روينا في التفسير عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله عز وجل الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله قال هشت اليه وأنست به وفي مقام الانس يكون التملق والمناجاة ومعه تكون الحادثة والمجالسة ومعنى من البسط ولا يعيب الله تعالى هذا النوع من الادلال الا من أقامه مقام الانس ولا يحسن ذلك الا منهم نحو قول موسى عليه السلام في مقام الانس يا رب لي ما ليس لك قال وما هو قال لي مثلك وليس لك مثل نفسك قال صدقت معنى قوله مثلك أي لي أنت كقوله تعالى ليس كمثله شيء معناه ليس كهو شيء لانه لا مثل له فيكون لمثله مثل اذ لا يكون لمثله مثل والعرب تعبر بالمثل عن نفس الشيء وفوق هذا من البسط ما أخبر الله تعالى عنه انه قال مواجها الجليل العظيم اني قتلت منهم نفسا فاخاف أن يقتلون وأعظم من هذا قوله اذهب الى فرعون فقال مجيبا له فارسل الى هرون ولهم علي ذنب ومثله قوله اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري فحسن هذا منه لانه أقامه مقام البسط بين يديه والانس به ولانه مكانه لديه مكان محبوب فادل به عليه فحمله ذلك وهذا من غير موسى في غير هذا المقام من سوء الادب بين يدي المرسل ولم يحتمل ليونس عليه السلام شاطرا من هذا القول لما أقيم مقام القبض والخوف حتى عوقب بالسجن في بطن الحوت في البحر في ظلمات ثلاث ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم وقيل بعراء القيامة ونهى الله تعالى حبيبه صلى الله عليه وسلم ان يقتدى به في القول والفعل فقال تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وقد قال تعالى منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واحتمل لاخوة يوسف ما عزموا عليه واعتقدوه وما فعلوه وما أسروه من قولهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم الى نحو ذلك من الكلام والفعال ولقد عددت من أول قولهم ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا الى رأس العشر من اخباره عنهم في قوله وكانوا فيه من الزاهدين نيفا وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض قد يجتمع في الكلمة الواحدة الاربعة والخمسة من الخطايا ودون ذلك وفوقه بدقائق الاستخراج ومعرفة خطايا الذنوب

يكمل الانسان الطاعة في السر فيطلع عليه الناس فيسر باطلاعهم عليه ليقتدوا به [illegible] فيشكروه فهذا لا يحبط عمله بذلك لانه مضى على الاخلاص ولا يأثم به لان من طبع الانسان الميل الى ما يوافق طبعه ولكنه اذا ظهر حبه لذلك لم يأمن من أن يكون خطرت له خطرات الرياء تغلبت عليه لان الرياء في العبد أخفى من دبيب النمل فان اطلع عليه في أثناء العمل فسر بذلك فقد اختلف فيه السادة العلماء أئمة هذا العلم وتردد فيه الحبر الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبي واختار الاحباط قال بعضهم فيه نظر لانه لم يراه بعقبة عمله ومجرد الحب لاطلاع الناس عليه ميل طبيعي لا معصية فيه فكيف يحبط به الطاعة والحاصل انه لا يعصي العبد بمجرد حب الرياء الا ان يقترن به رياء وارادة رياء

✱(فصل)✱ لا يجوز الدخول في العمل الا مع تيقن الاخلاص الحقيقي أو الحكمي فالاخلاص الحقيقي هو ان يكون منه كون الفعل لله مقرونا بالعمل والحكمي هو ان يتقدم من المكلف انه مهما فعله من الطاعات انما يفعله لله تعالى خالصا فاذا شرع العبد في العمل مع الاخلاص ثم مضى عليه زمن يمكن ان يخطر له فيه الرياء ثم تمم به أجزاء العبادة لانه تيقن الإخلاص في أولها وشك في الرياء المفسد لها فاشبه من دخل في الصلاة على يقين الطهارة ثم شك

فقدر لهم ذلك ان كانوا في مقام محبوبين ولم يحتمل لعزير مسئلة واحدة سأل فيها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وقد قال الله تعالى فوق ذلك كله ثم اتخذتم العجل من بعد ما جاءتكم البينات فعفونا عن ذلك فان شاء ان يعفو عفا من العظائم فلم يعظم عليه شئ وان شاء طالب وناقش على الصغائر ولا تصغر الذرة والخردلة من مطالبته وكيف يصغر ذنب من واجهه الملك الجبار ألا ترى من كشف عورته بين يدي نبي كفر لانتهاك حرمة النبوة فكيف بالعظيم الاكبر ولا عظم و وجه قوله سبحانه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قيل يغفر لمن يشاء على الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وقيل يشترك الجماعة في المعصية فيغفرها لبعضهم ويبدلها حسنات فلا تضر بل تكون عاقبتها يسرا ويعذب البعض بذنبه ولا يغفره وقد لا ينفعه معه عمل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون له الخلق والامر يحكم بأمره في خلقه ما يشاء كيف شاء ولا حول ولا قوة الا بالله واحتمل لآصف بن برخيا فوق ذلك كله يقال انه كان أحد المسرفين ولا يصلح أن نذكر ذنوبه لمكان علمه ولحسن عطف الله عليه ثم تداركه ولاه واجتباه وأعطاه العلم والفضل وأيد به نبيه وخليفته وجعله وزيره وأطلعه على الاسم الاعظم بعدما كان منه ما يتعاظم لئلا ييأس محب من عطفه ولكيلا يقنط مغضب من لطفه ولم يسمح لبلعم بن باعوراء بذنب واحد من ذنوب آصف بن برخيا الا أن بلعم أكل دنياه بدينه وأدخل الهوى على العلم فضل بذلك وهلك واستدرجه الله وآصف كانت معاصيه في جوارحه بينه وبين خالقه فكان آصف مستبدلا به من بلعم لما أوتي تلك الآيات فانسلخ منها بعد العبادات اذلم يرد حقائقها والثبات فيها ويقال انه أوتي الاسم الاعظم المتصل بكن المتصلة بكان وقد قيل كان أوتي فوق ذلك ثم انسلخ من الآيات فسكن الى الدنيا وهوى في الهلكات ولم ينفعه ما كان منه من العبادة والزهادة كي لا يأمن عامل من حيلة مكره ولئلا يدل عالم عليه بما أظهره وكان آصف كاثر الخالفات فاستنقذ منها ثم أوتي بعدها الآيات لانه موصف مراد وفي مقام محبوب هذا بحضرة نبي الله وخليفته في الارض سليمان عليه السلام وذا ما قصة بلعام فهي أشهر من أن نذكرها وانها قدمت فيها القصص واطالة لانشتغل بذكره ولكن نذكر بعض ما انتهى الينا من قصة آصف وليس كل أحد على قصته يقف حدثونا ان الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام يا ابن رأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن أخذته عطفة من عطفاتي عليه لأتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده قال فلما دخل آصف على سليمان أخبره بما أوحى الله اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع يديه نحو السماء وهو يقول الهي وسيدي أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني لأعودن فأوحى الله اليه صدقت أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة الي فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه ومتملق له منه ومن ادلال المحبوبين من المستأنسين مناجاة برخ الاسود الذي أمر الله كليمه ان يسأله أن يستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين واستسقى لهم موسى في سبعين ألفا فأوحى الله الى موسى كيف استجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع فان عبدا من عبادي يقال له برخ قل له يخرج حتى أستجيب له فسأل عنه موسى فلم يعرف فبينا موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق فاذا بعبد أسود استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله فسلم عليه وقال ما اسمك فقال اسمي برخ قال فأنت طلبتنا منذ حين أخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك وما هذا من حلمك وما هذا الذي بدا لك أنقصت عليك عيونك أم عاندت عن طاعتك الرياح أم نفد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترينا انك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر

في أثنائها واعلم أن الفرق بين النية والاخلاص هو أن النية تتعلق بفعل العبادة وأما الاخلاص الحقيقي للعبادة فيتعلق باضافة العبادة الى الله تعالى ويكفيه في اخلاص العبادة ان يتقدم منه أنه مهما فعله من العبادات انما يفعله لله تعالى خالصا فيجزيه هذا الاخلاص الحكمي من أول العمل الى آخره والاولى أن يأتي في كل فعل بنية الاخلاص فيه كما يأتي في نية العبادة مثل الصلاة وتسبيح الجنازة والاخلاص الحكمي والحقيقي مشروط فيه بعدم طرو ما يناقضه كما في نية العبادة واعلم ان الفقهاء يفتون بصحة صلاة من راءى بصلاته ومن كان فكره مشتغلا بالدنيا وأمورها الا عند عقد النية وهذه الصلاة غير معتد بها في فتوى علماء الآخرة وكذلك الفقهاء يفتون ببراءة ذمة الممتنع من أداء الزكاة اذا أخذها السلطان قهرا ولا يعتد بذلك في فتوى العلماء بالله تعالى وكذلك يفتون العلماء بالاحكام ببراءة ذمة من ناشز زوجته وضيق عليها في عشرته لها حتى تبرئه من مهرها وحقوقها فاذا أبرأته من ذلك نفذت البراءة في ظاهر الحكم وباطنه عند العلماء بالاحكام وأما العلماء بطريق الآخرة فلا تصح هذه البراءة عندهم في باطن الامر والطلبة باقية الى يوم العرض



وابلزامه (ص ل) وأما المداهنة هكذا بياض بالاصل

(باب) الحكم والعصبية

وأثبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ قال ففي هذا ذكرى الراجين وأنس المشتاقين وطمع العاملين وتحبب الى المطيعين هذا كما قال بعض العارفين الحبيب لا يحاسب والعدو لا يحسب وروى عن الله سبحانه انه أوحى الى عبد تداركه بعد ان كان أشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد أهلكت في دونه أمة من الامم وقد اشترك عبد الله في اسم المعصية ثم تباينا في الاجتباء والعصمة آدم عليه السلام وابليس لعنة الله عليه ثم اجتبى آدم وهدى لما سبق له من الاصطفاء والكلمة الحسنى وابليس أبلس من رحمته وأغوى لما سبق له من الشقوة والكلمة السوء وقد عاتب الله تعالى نبيه على الاعراض عن عبد وكره له الاقبال على عبد فقال تعالى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى وقال تعالى في الاخرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ورجلهما واحد وجنسه أمره بالاقبال والسلام على طائفة وأمره بالاعراض وترك القعود مع طائفة فقال تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وكلهم عبيد لواحد ومثل المحبوب من المحب مثل مقام المصطفى صلى الله عليه وسلم من مقام موسى عليه السلام قال موسى رب اشرح لي صدري وقال لمحمد ألم نشرح لك صدرك وقال موسى واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي وقال لمحمد ورفعنا لك ذكرك اى تقرن بي في الشهادة والاذان لا أوازرك بغيري لانك من أهلي والوزير القرين والظهير أي فأنت من أهلي فقد وزرتك وقرنتك بذكري فأنا ظهيرك ومعينك لا أشد أزرك بغيري فأشبه هذا ما رويناه عن ليث عن مجاهد في قوله عز وجل عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش فكان العرش مكان الربوبية تثبيته في الدنيا وهو مستغن عنه بقدرته فوهبه لحبيبه في الآخرة فجعله مكانه تفضيلا له وتشريفا ليكون هنالك فوق المرسلين في الجلالة كما كان ههنا آخرهم في الرسالة وقال لموسى عليه السلام بعد المقام قد أوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى في هذا تعديد وقال لمحمد عليه السلام بعد المقامات وقل رب زدني علما لم يحد له حدا فهذا غاية المزيد وقال موسى عليه السلام رب أرني أنظر اليك أى في محل العبودية وقال لمحمد عليه السلام ما زاغ البصر وما طغى فكان قاب قوسين أو أدنى أي مكان الربوبية بين المحب والمحبوب في التقليب كما بين موسى ومحمد عليهما السلام في التقريب كم بين من رأى ما رأى عند نفسه في مكانه وبين من رأى ربه عند ربه في علاه كم بين من عجل اليه شوقا منه ليرضى عنه وبين من عجل به شوقا اليه ليرضاه اليه لرضاه عنه كم بين من رأى ما رأى فلم يثبت ففاضت عليه الانوار اصعق وبين من رأى ما رأى فثبته وغاصت فيه الانوار اسعته فقد جاوز المحبوب مقام المحب في التمكين كما جاوز محمد صلى الله عليه وسلم مقام موسى عليه السلام في المكان أدخل بينه وبين موسى لام الملك وأقام محمدا مقامه في الملك وقال تعالى لموسى واصطنعتك لنفسي وقال لمحمد ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فكم بين من صنعه لنفسه وبين من جعله بدلا من نفسه تفضيلا وتعظيما كم من فصل مدحه من وصفه وبين من وصل مدحه بوصفه فقال تعالى في الفصل وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني وقال في الوصل لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية وقال في مثله والله ورسوله أحق ان يرضوه وقد قيل في قوله تعالى يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين أي خذ ما آتيتك من الكلام فقد اصطفيتك به على الناس فاشكر عليه والنظر فقد منعته به محمدا وعن ابن عباس وكعب ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فأعطى موسى الكلام وخص محمدا بالرؤية ومما يؤيد هذا القول ان الذى آتاه الكلام هو الذى ثبت له فدل انه هو الذى أريد به لان الله تعالى اذا أراد عبدا بشئ ثبته فيه وقواه عليه وقد ثبت محمدا لما آتاه من



بالاعتقاد والمدح أما الكبر فهو العلة المهلكة قال الله تعالى في حق ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين والكبر هو ان يعظم على غيره أنفة واحتقاره وله أسباب منها العجب فالكبر مسبب عنه ولا يتكبر الا من جهل قدر نفسه وعظمة ربه والكبر على أقسام أحدها الكبر عن بعض طاعة الله تعالى الثاني الكبر عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم الثالث الكبر على عباد الله تعالى وهو ان يرى انه خير منهم فينظر اليهم بعين الازدراء والانفة والاحتقار ولا يقبل منهم الحق مع كونه عالما بانه حق فمن أمره بخير تكبر عن قبوله كما تكبرت اليهود عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وكما تكبر ابليس على آدم مع علمه بان الله تعالى فضله عليه قال بعض أهل البصيرة حجبت القلوب عن علوم الوراثة بشيئين أحدهما الذنوب والثاني الكبر على المؤمنين قال الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق واعلم ان الكبر يكون مسببا عن العجب بالعلم فمن أعجب بعلمه تكبر على من هو دونه في العلم وعلى العامة ويتبرم من رده الى الصواب في العلم وان وعظ أنف ممن يعظه وان أمر بالحق لم يقبله وان ناظر ازدرى بمن يناظره وكل ذلك المرض فخلقه من الله تعالى وقد يكون الكبر سببا من العجب بالعمل فمن تكبر اعجابا بعمله احتقر من لا يعمل عمله

الرؤية وقواه لها وتمكنه منها لانه أراد منها ومن صفة علم المحبوب ما قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه صف لنا أصحابك فقال عن أيهم تسألون قالوا عن سلمان قال أدرك علم الاول والآخر قالوا فعمار قال مؤمن ملئ ايمانا الى مشاشه قالوا فحذيفة قال صاحب السر أعطي علم المنافقين قالوا فاخبرنا عن نفسك فقال اياي أردتم بهذا كنت اذا سألت أعطيت واذا سكت ابتدئت فهذا مقام محبوب لانه اذا سأل سمع منه فاستجيب له واذا سكت ثار اليه لعطف عليه وقد روينا عنه من أحب من لا يعرف فانما يلعب بنفسه أي من لا يعرف صفات حبيبه وأخلاقه وأفعاله وأحكامه فيحبه بعد خبره فيسارع الى مرضاته ويجانب مكارهه فانما يلعب بنفسه أي يلهو بها ويلعب ليس فيه شيء من حد المحبين ولا حقيقة العارفين اذ لا يأمن انقلاب محبته لتقليب أفعال محبوبه ولا يأمن تغيير حبه لابتلاء حبيبه واختلاف أحكامه فيكون كما قال صاحب لا يعرف الا عقابه وفي مثل هذا المقام من جهل المحبين بأفعال المحبوب اغترار عظيم * ومن المحبة كتمان المحبة اجلالا للحبيب وهيبة له وتعززا وتعظيما له وحياء منه وهذا وصف المخصوصين من عقلاء المحبين وهو من الوفاء عند أهل الصفاء اذ كانت المحبة سر المحبوب في خزائن القلوب فاظهارها وابتذالها من الخيانة فيها وليس من الادب ولا الحياء النسبة اليها ولا الاشارة بها لان في ذلك اشتهارا فقد دخل عليه مدعى الدعوى والاستكبار وقد قال بعض العارفين أبعد الناس من الله أكثرهم اشارة به هو الذي يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التزين والتصنع بذكره عند كل أحد هذا ممقوت عند المحبين لله والعلماء به ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء يعجل عن الوصف فقال ذو النون لا يحبه من وجد ألم ضربه فقال الرجل لكني أقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون لكني أقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله وأتوب اليه وهذا كما قال ذو النون * ومن علامة الاخلاص في المحبة اذ كانت من أعمال القلوب وجود الاشفاق والحذر من اظهارها خشية السلب والاستبدال وخوف المكر والاستدراج علامة الصدق بها وادخارها عن النفس وسترها عن أبناء الجنس وترك التظاهر بها علامة الظفر بحالات المحبوب وغيرته على نفسه وعلى ظهور محبته أشد من غيرته على اظهار محبته وغيرته على اظهارهم لغير أبناء جنسهم أشد من غيرة جميع محبيه عليه وهذا كلام على عالم صاح في مقام صحو وتمكين فاما السكران بحبه والواله بوجده فمغلوب والمغلوب معذور قال رجل لابي حفص وقد رأى من بعض المحبين شيأ استجهله به فاستنكر ذلك فتبسم ثم قال يا أخي له محبون صغار وكبار ومجانين وعقلاء فهذا الذي رأيته من مجانينهم ومن المحبة كتمان البلاء للحبيب بعد الرضا به لان ذلك من السر عنده وحسن الادب لديه وعوتب سهل في العلة التي كانت به وصلة مهولة كان يداوي الناس منها ولا يداوي نفسه فقيل له في ذلك فقال ضرب الحبيب لا يوجع وكان حينئذ يقول من علامة الحب في المكاره والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطف منه ولا هو فيه الغربة الى محبوبه وقلة التأذي بكل بلاء يصيبه لغلبة الحب على قلبه وقد كان بعض المحبين يقول أعنى ما أكون ذكرا اذا ما كنت محموما وذكر بعض من ينتمي الى المحبة مقامه في المحبة عند بعض المحبين فقال له المحب أرأيت هذا الذي تذكر محبته أهممت بسواه قط قال نعم قال فهل رأيته في ليلة مرتين وثلاثا قال لا قال لولا اني أستحي لاخبرتك ان محبتك معلولة تهتم بسوى حبيبك ولا تراه في ليلة ثم قال لكني لا أدعي محبته وعلى ذلك ما اهتممت بسواه مذ عرفته ورأيته في ليلة سبع مرار وذكر بعض المحبين ممن كان بدلا عن ابراهيم ابن أدهم ممن تكلم في علم طريقه ووصفه ساله وذكر القصة بطولها انه لرأيت الله عز وجل مائة وعشرين مرة وسألته عن سبعين مسئلة أظهرت منها أربعة فانكرها الناس فاخفيت الباقي وقد ذكر من وصف الحب كفاية وغنية عن وصف المحبوب وليس يمكننا وصف المحبوب اذ كان جماله يجل عن الوصف وكيف يوصف من يسمع ويبصر من سمعه ويبطش ويعقل عن محبوبه فيكون هو سمعه وبصره وقلبه ويده كما جاء في الخبر اذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها وقلبه الذي يعقل به



وانظر اليه بعين الازدراء وقد يكون الكبر مسببا من الرياء وبعضها فالتمعل ان يرد الحق مثل من أمر بمعروف ونظر منهم وان كان أفضل منه كبرا يقال غلب فلان فلانا أو خطأه أو قهره فيخرجه ذلك الى الانفة من قبول الحق والاعتراف به وقد يكون الكبر مسببا عن الحقد فيوجبه هذا الكبر رد الحق مع العلم به

*(فصل)* قد يكون الكبر عن أسباب دينية وقد ذكرنا جملة منها روي عن حذيفة انه تولى امامة قومه فلان نفسه حدثته انه أفضلهم وقد يكون عن أسباب دنيوية منها التكبر بالانساب والاحساب الموجبة لاحتقار الناس والافتخار عليهم مثل ان يقول أنا ابن فلان فمن أبوك ومثلك يقاوم مثلي أو يخاطبني ومنها التكبر بحسن الصورة فيتكبر على من هو دونه في الحسن ومنها التكبر بالاموال والاولاد وكثرة الشعائر

*(فصل)* وعلاج الكبر يحصل لمن أحضر في قلبه ان الله تعالى خلق أباه من تراب ثم جعل نسله من نطفة في مكان قذر وأوجده بعد العدم وأسمعه بعد الصمم وأنطقه بعد البكم ثم أخرجه من بطن أمه جاهلا ضعيفا عاجزا ثم رباه الى أن أدركه أجله وهو فيما بين ذلك ملابس للاقذار كالبول والغائط والمخاط والبصاق لا ينفك عن ذلك بعضو ويسقم بالكلمة العلية تنعش قلبه وقرصة البرغوث تؤلمه ضعيف عاجز لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فاذا تفكر الانسان في ذلك علم قدر نفسه

وكالمتبين ذنبه (فصل) والعجب (٦٨) من قبائح الاوصاف التي تاتي صاحبها الهلاك لان من اعجب بعمله لم يلتفت

ان سالني أعطيته وان سكت ادخرته لو قسم نوره على أهل الارض لوسعهم فهذا كامل مقام محبوب ويقال ان هذه الآيات والقدوس سرا ثر الغيوب وخطايا الملكوت التي تسميها العامة المعجزات والآيات وتسميها العلماء الكرامات والاجابات وهي آيات الله في أرضه وشهوده وقدرته في عباده وجاريه وعناياته لملكه مستقرة ليس للعباد منها الا كشفها ونظرهم اليها اذا أقيم ولمقام الانس من مقام محبوب ويقال انه اوجد في المقام السابع عشر من مقامات المعرفة اذا أقيم العبد هذا المقام في المعرفة يؤدي بما اظهرت له وفوقها ثلاثة وثمانون مقاما من مقامات العارفين أفضل من ذلك ويقال انها لا تكون لابدال المرسلين من الصديقين وانما يعطاها أبدال النبيين من الصالحين فابدال المرسلين فضلهم على أبدال النبيين كفضل المرسلين على النبيين وكفضل الصديقين على من دونهم من الصالحين كيف وقد قال بعض العلماء مارأيت هذه الكرامات أظهرت الاعلى أيدي البله من الصادقين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من يدخل الجنة من أمتي البله وعليون لذوي الالباب فاولوا الالباب هم المواجهون بالخطاب الشهداء عليه المستحفظون الكتاب كما قال تعالى بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء والعامة يحسبون انها من أعلى مقامات المعرفة فجميع تلك الاسرار من الغيوب التي تكنها الحجب والاستار لا يظهر عليها الا مطلوب والمطلوب من نفسه مسلوب فمن بقيت عليه من نفسه بقية أو نظر الى حركة وسكونه بعينه نظرة خفية فسترها عليه رحمة له لانه لو كوشف هلك في حيرة الهوى وغرق في بحر الدنيا ونفس حبه لها وعن طلبه اياها هو محجوب عنه واستتارها منه حتى يكون كارها الظهور وربما كراهته لظهور الخلق عليه فهمته وخاف ان تفتنها خيفة من نفسه في تظاهرها عليه بملكته فاذا بقي بباق وحي بحياة حي صرفها منه وصرفا عنه بلا طلب ولا نظر ولا سبب ولا مكر أدى لها بسبب وفتح له كنوز غرائبه ويفعل الله ما يشاء وقال بعض العارفين ممن يكشف من مشاهدته عبدت الله ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيئا فذكر أشياء من مكاشفات السموات في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت ما انتم قالوا نحن المحبون لله نعبده ههنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا قط طلب سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من أعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم في جهنم وقال بعض العلماء كل مقام له عبر عنه الا مقام المحبة قيل ولم قال لان الشيء يعبر عنه بألطف منه ولا شيء الطف من المحبة وقيل لمعروف أخبرنا عن المحبة أي شيء هي قال يا أخي ليس المحبة من تعليم الناس المحبة من تعليم الحبيب وقد كان الحذاق من العلماء لا يخبرون بحقائق أربع مقامات حقيقة التوحيد وحقيقة المعرفة وحقيقة المحبة وحقيقة الاخلاص وقال بعض العارفين كل المقامات من أنوار الافعال والصفات الا المحبة فانها عن نور حقيقة الذات فلذلك عز وصفها وعز بعلمها وقل من المؤمنين المتحقق بها وذلك انه اسم كالمعرفة اذا ظهر المحبوب أحببته كما اذا رأيت المعروف عرفته وذلك متعلق به وهو الظاهر لظاهر المعرفة والمحبة الباطن لباطن المحبة والمعرفة عن وصف باطن ومن أدرك مقام المحبة لله لم يضره فوت شيء من المقامات ومن فاته المحبة لم يغبط بدرك شيء وقد قيل في قوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الهاء عائدة على التوكل أي فالتوكل حسبه من جميع المقامات والتوكل حال من مقام المحبة وقد قال الله تعالى ورضوان من الله أكبر والرضا مقام من المحبة فقد جلت المحبة ان توصف ودقت عن العلوم بالمعقول ان يعرف مثلها مثل العلم بالله فكذلك أي قلب اجل من قلب يكون محبوبه الله ولا أعلم من علومه الله وقيل ان القلب حبة هي باطنه عليها تعلق المحبة ومنه سميت محبة كان اشتقاقه من حبة القلب وهي التي يقال لها سويداؤه والميم في الاسم لعقد تزاد للمبالغة في الوصف ومن هذا قول الله عز وجل قد شغفها حبا لما وصفها بنهاية الوصف في الحب أي قد خرق حبه شغاف قلبها ووصل الى حبة القلب وخرق الشغاف وهو حجاب القلب وحبا منصوب على التفسير كانه قيل قد شغفها أي خرق شغافها فقيل ماذا فقيل حبا فالحب اذا

ذنبا فيتوب منه ولم ير لنفسه تقصيرا فيقطع عنه وغدبات النشر به فتبذم الاعجاب لاداته الى ما ذكرنا والعجب موجب لاستعظام الطاعات والادلال بها على رب الارض والسموات مفض الى الكفر والتكبر والتعظيم على العباد حتى يصير المعجب كانه منة على الله تعالى لاستعظام أعماله قال وتولد العجب في المعجب لاعتقاده استقلاله أي انفراده بعمل وعبادته وطاعته ومن هنا لزم المعتزلة الخسارة بالادلال على الله تعالى والاعجاب بطاعتهم حتى انهم نزلوا أنفسهم منزلة الاجراء لا منزلة العبيد فاوجبوا على الله تعالى على قولهم العوض على الاعمال والثواب على الطاعات وأهل السنة هم أهل العبودية والمسكنة لانهم رأوا أعمالهم وطاعاتهم كلها مستحقة عليهم لمالكهم ولم يوجبوا ثوابا ولا عوضا بل الثواب من فضله وكرمه ولا يجب عليه شيء أصلا وكذلك عن على عباد الله تعالى بما يسديه اليهم من معروف واحسانه فيزعم سعفا أجدره بان يحبط الله عمله لاعجابه ويكله الى نفسه والمسكين المعجب بنفسه وفيه من كل عيب وينعاظم ويعمى كل نقص شعر

أنا معيوب وعيبي ظاهر * وعلى الظاهر من عيبي دليل

فايأس لم يعده لا يرى به نقصه

وصل

وصل الى هذا الموضع من العبد لعلمه الحب نفسه فخرج قلبه واستلاءه ولم يتعبر على ترتيب سار مياه وربما خروج الى الوله والاستهتار وبادره ميلا العقل فى التصرف والاذكار والعرب تقول شدمه وأرأسه وقاده وركبته كذلك قوام م اشغفه اذا أصاب شغاف قلبه فهتك حجابه وقد قرئت بالعين ومعنى قد شعفها بلغ أعلى القلب ونهايته لان الشعف أعلى كل شئ وأبعده فالمعنى ذهب به الحب اقصى المذاهب وغايته فعند علكه الحب فيكون أسيره ويغلب عليه الحبيب فيصير مأسوره فيحكم عليه ولا يجاوز ويفرغ له قلبه من كل شئ سواه ويتعلق به فلا يبقى فيه شئ سواه ولا يقدر على الكتمان لظهور سلطان قهر الحب فحينئذ يكشف قناعه ويرسل عذاره فيه ويصفه الحب بالحب وهو سامت حقيقة الحب الالمن أحب وهو ظاهر وليس يكون هذا الا فى مقام شكر وحال عليه فمن لم يعرف هذا المقام انكر هذا الكلام الا ان ربط قلبه بتأييده ويحفظ سره بتمكينه كما قال تعالى واصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين أى من المصدقين انا رادوه اليها ولا تظهر انه ابنها فيقتل وكما لطف الفتية الذين آمنوا وهم أصحاب الكهف لما غلب حب الايمان على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لئلا يظهروا ايمانهم لما غلب حبه عليهم فيقتلوا فهذه لطائف الحكيم وخفى صنع العليم فالمحبون له حافظون الغيب بما حفظ وقال سمنون لبعض الفقراء فى قصة ذكرها يفرح بحبه وبذكر المحبة وقال بعض الناس فى وصف المحبين انا اقامهم مقام المحبة فلم يزن الملك فى قلوبهم حبة الحب بغير الله فى محبة الله شرك عند المحبين وهى خيانة عند بعضهم وهو من نقض العهد وقلة الوفاء بالعقد وقال سهل من أحب الدرهم لا يحب الآخرة ومن أحب الخبز لم يحب الله عز رجل ولا يخرج حب الوالد والولد المحبين من المحبة لان ذلك جعل الله فى القلوب نصيبا لهم ولا يخرجه أيضا حب الزوجة بمعنى الرفق بها والرحمة لها ولا يخرجه أيضا حب مصالح الدنيا من حاجات الاقسام والقلوب مما لا بد منه وليس ذلك كله يكون فى مكان محبة الله لان محبة الله فى أنوار الايمان ومحبة هذه الاشياء فى مكان العقل هكذا عندى فى الفرق بين محبة الله ومحبة المخلوق ويخرجه جميع ذلك عند بعض المحبين من السلف فأما الاشتغال بهذه الاشياء بالايثار لها على التفرغ لرضاء الله والاغتباط فى أهوائها دون محبة الله فان ذلك يخرجه عند الكل وعندى يخرج العبد من حقيقة المحبة السكون الى غير الله والفرح بسواه والحزن على فوت غيره اياه وقيل لبعض العارفين من الابدال الناس يقولون انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب ولكنى محبوب وقيل له أيضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وقال هذا اذا رأيتمونى فقد رأيتم أربعين بدلا قيل كيف وأنت شخص واحد قال لانى قد رأيت اربعين بدلا فأخذت من كل بدل خلقا من أخلاقه وقيل له بلغنا أنك ترى الخضر فتبسم ثم قال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه فلا يقدر عليه ولعمرى ان من كان عند الله بر بشر ولا ملك حدثونا ان الحسن رحمه الله اختفى عند حبيب العجمى من الحجاج فسعى به فدخل عليه الشرط ففزع الحسن وذهب ليتسور الحائط ويهرب فقال له حبيب أبو محمد اقعد حتى تبصر فقال فدخل عليه الشرط فقالوا أين الحسن قيل لنا انه عندك فقال هل ترون شيئا ففتشوا الدار كلها وخرجوا وهم لا يرونه فقال له الحسن كيف لم ينظروا الى قال لانك كنت عند الله فلم يروك ولو كنت عندى لابصروك قال له الحسن انى قد رأيتك لما دخلوا همت بشئ فهل ذكرت اسم الله الاعظم قال لا ولكن قلت اللهم اجعله عندك حتى لا يبصروه وهذا هو واحد من أصحاب الحسن وقد كان الحسن فوقه بدرجات أخوجه الله اليه وقيل لابى يزيد بلغت جبل قاف فقال جبل قاف أمر قريب الشان فى جبل كاف وجبل عين وجبل صاد قال وما هذا قال هذه جبال محيطة بالارضين السفلى حول كل أرض جبل بمنزلة جبل قاف محيط بهذه الارض الدنيا وهو أصغرها وهذه اصغر الارضين وقد كان أبو محمد يخبر انه صعد جبل قاف ورأى سفينة نوح مطروحة فوقه وكان يصفه ويصفها وقال لله عبد بالبصرة يرفع رجله وهو قاعد فيضعها على جبل قاف وقد

وقابله بما يقوله أنا خير منه وهوا علم ان العجب ظن كاذب فى النفس فى استحقاق مرتبة هى مستحقة ويقبل على من عرف نفسه ان يعرف كثرة عيوبه ونقائصه والمتفرج بما ليس فيه أحق واعلم ان سبب العجب على أقسام أحدها العلم فيقع الاعجاب بالعلم والمعارف والتوسع فى المنقولات واستخراج دقائق النظريات ويقع الاعجاب بالعمل والاجتهاد فى العبادة ويقع الاعجاب بالامور الدنيوية كالحسن وكثرة المال والجاه والنسب والعشيرة وغير ذلك وعلاج العجب بهذه الاشياء ان ترى ذلك كله ليس لك منه شئ ولا هو من سعيك ولا من كسبك وان ذلك مواهب الله تعالى ونعمه عليك فاذا لاحظت ذلك وداومت عليه ارتفع عنك العجب قال الغزالى رحمة الله عليه دواء العجب ان تذكر فى قلبك ان ذلك كله من الله تعالى وانه الذى شرفه وعظم ثوابه وقدره وهذا قرض (٧) عند دواء العجب يقبل فى سائر الاوقات قال والعجب يحبط العمل ان مات ولم يتب منه قاله بعض العلماء قال فان قيل كيف يذهب على العبد العارف ان الله تعالى هو الذى وفقه للعمل الصالح وعظم قدره فضله فاعلم ان ههنا نكتة لطيفة وهى ان الناس فى العجب على ثلاثة أصناف صنف هم المعجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله تعالى عليهم منة فى أعمالهم ويعتقدون انهم مستقلون بافعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص وذلك

فيشل الدنيا كلها خطوة الولي وان ولي الله خطا خطوة واحدة تخسه التعظيم ورفع رجله على جبل قاف والأخرى على جانبها الجبل الآخر فقبض الأرض كلها وقيل لأبي يزيد دخلت إرم ذات العماد فقال قد دخلت ألف مدينة لله في ملكه أدناها إرم ذات العماد ثم عدد كلها الليث وتاويل وبارس وجابلق وجابرس وسلك ولعل قائلا يقول فقد قال الله في وصفها التي لم يخلق مثلها في البلاد قيل فإن معناه في بلاد اليمن لأنهم خوطبوا بما في بلادهم كما قال تعالى أو ينفوا من الأرض يعني أرض بلادهم فذات العماد مدينة عادية في اليمن بين ابتر والشحر يقال لها سورها ألف باب ما بين البابين فرسخ مركبة على أعمدة الذهب والفضة والياقوت والزبرجد فيها مائة ألف عمود من ذلك كانت الجن اصطنعتها لعاد بن شداد بن سام بن نوح استخرجت الجن هذه العمد من قعور البحار والقفار وكانت سخرت الجن له قبل سليمان بن داود بأربعة آلاف عام تجتمع في هذه المدينة طائفة من الأبدال ليالي الجمع وفي الأعياد يقال فيها صناديق من حجارة طول كل صندوق عشرة أذرع فيها قبور الأنبياء أجسادهم صحيحة باقية إلى يومنا هذا وهي محجوبة عن أبصار العباد وقد كان سهل رحمه الله يزورها في كل جمعة وهذا واحد من المحبوبين وهذه آيات يسيرة من قدرة الله الكبيرة وقيل لهذا العبد حدثنا من مشاهدتك من الله فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك قيل حدثنا بأشد مجاهدتك لنفسك في الله فقال وهذا أيضا لا يجوز أن أطلعكم عليه قيل حدثنا عن رياضة نفسك في بدايتها قال نعم دعوت نفسي إلى الله في بعض الأمور فتلكأت علي فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق الغمض سنة فوفت لي بذلك وحكى عنه يحيى بن معاذ في بعض مشاهداته أنه رآه من بعد صلاة العشاء إلى صلاة الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيه وعقبيه عن الأرض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم طي الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والهوى فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فانقلبت لهم الأعيان فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الأولياء قال ثم التفت فرآني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي فقال مذ أنت ههنا قلت من صلاة العشاء فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال أخبرك بما يصلح لك أدخلني في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلي فأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال لي سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك إياه فقال أنت عبدي حقا تعبدني لأجلي صدقا لأفعلن ولأفعلن بك فذكر أشياء قال يحيى بن معاذ فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا سألته المعرفة به وقد قال لك سلني ما شئت فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني وقد كان أبو تراب النخشبي رحمه الله معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجيده فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد فقال المريد إني عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت ويلك لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله عز وجل سبعين مرة فبهت المريد من قوله وأنكره وقال وكيف ذلك فقلت له ويلك إنما ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره قال فعرف ما أقول فقال احملني إليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره يخرج إلينا من النهر قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فانظر إليه قال فنظر إليه الفتى فصعق فحركناه فإذا هو ميت قال فتعاونا على دفنه فقلت لأبي يزيد يا سيدي نظره إليك قتله قال لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لأنه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك فهذه جمل من أوصاف المحبوب المراد ورزق بغير

القسم الأسرار تعلمونه ذلك (٧٠) [illegible] أهل السنة لا يجهرون بشيء من الأعمال وذلك لبصيرة خصوا بها والثالث عامة أهل السنة تارة يلتفتون فيذكرون منة الله تعالى وتارة يغفلون فيعجبون اللهم أيقظنا من نوم الغفلة ونبهنا من رقدة الجهالة وبصرنا بعيوبنا وأصلح فساد قلوبنا فإنك مجيب الدعوات والمستزاد بالخيرات وإذ قد فرغنا من القسم الأول وهو قسم الصفات المذمومة فلنأخذ في القسم الثاني وهو قسم ذكر الصفات المحمودة تم القسم الأول بحمد الله وعونه ويتلوه القسم الثاني وهو قسم التحلي والاتصاف بالصفات المحمودة وهذه الصفات المحمودة تسمى مقامات ومنازل وهي التوبة والإنابة والتبتل والعزلة والخلوة والمحاسبة والرعاية والتفكر والتذكر والورع والزهد والتوكل والتفويض والفقر والقناعة والإيثار والمحبة والشوق والخوف والإشفاق والحزن والخشية والخشوع والإخبات والرجاء والرغبة والمراقبة والحياء والصدق والإخلاص والاستقامة والصبر والشكر والتواضع وحسن الخلق والإحسان والرضا بالمقدور والجهد والتقوى واليقين والصمت والحلم والمروءة والتقى والغنى والجمع والتفرقة والتفريد والتوحيد فهذه جمل الصفات المحمودة ومن ذاتياتها هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولنذكرها على الترتيب وقبل الشروع في ذكرها لا بد من تقديم مقدمة نذكرها

حساب

حساب من المحب الجواد بتيسير من الطالب المطلوب وعناية من المحب للمحبوب ومقام الحبيب أعز من أن يظهر وأنفى من أن يعرف غير نعت معظم سترهم بالعالم وشغلهم بهم حجبهم بأوصافهم أهل المقامات يشتاقون اليه وهو يشتاق اليهم وأهل القرب ينظرون اليه وهو ينظر اليهم وأهل الحب يحبون أن يسمعوا كلامه وهو يحب أن يسمع كلامهم وأهل الاحوال يسألونه وهو يحب أن يسألوه وأهل المشاهدات يزورونه وهو في قلوبهم يزورهم وأهل الآخرة ينظرون اليه في الآخرة وهو ينظر اليهم في الدنيا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء كما ذكرنا في قصة داود والملك الرسول اذ أرسله الملك الجليل الى أحبائه الاربعة عشر الاولياء أن يسألهم أن يسألوه حاجة فلما رأوه نفروا منه لئلا يشغلهم عنه فذكرناها قبل هذا فلا تنكرن من هذا شيأ فانه يعطى المحبوب في الدنيا أول عطاء أهل الجنة في الآخرة ولكن لا يزهدون في ذلك لاجل بقائهم ويكرهون ذلك لمعتقدهم وزوا معارف من سواهم فاذا أعطاهم كن أمرهم أن يقولوا كن في أمر الساعة ولا يقولوا كن في كشف الغطاء عن النيران والجنان ولو رأوا منها من الكون والمكان لعيان قبل التلاوة كانت ظاهرة للباطن الا أنها مستورة بالصنع للايقان مقطوع عنها الوهم راجع عنها الفكر والهم وسألهم أن لا يظهروا ما في الحكمة والعقل اخفاؤه لان اظهاره لا يصلح الخلائق ولا يستقيم عليه أمر المملكة ولا ينتظم به التدبير لما سبق من التقدير وفيه سقوط الاحكام ووقوع الهلكة للانام فاذا رأوا اذا النعيم وما قد استثناه عليهم منها حضار اله أحسن استجابة وردوه اليه أسرع مردوا بلغه في مرضاته وهو أن يتركوا الظهار شئ لا اظهاره ويزهدوا في كل معنى منها لوجهه ورضوا بتصريف قدرته في مجاري حكمته وهذا غاية الجهد ونهاية الزهد والحب فيشكر لهم ذلك أحسن شكر ويدخلهم عنده أفضل ذخر ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله عز وجل في هذا الامر فسكت ثم قال لله تعالى عباد في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة ولكن لا يفعلون قيل ولم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى لهم أشياء لا نستطيع ذكرها حتى قال لو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها واعلم ان العبد اذا بلغ من الله تعالى هذه المكانة حتى يعطيه كن اقتضت الحال أن يقول وفقني لما تحب وأعصمني مما تكره فاني بشر جاهل لا أحسن التدبير ولا أعرف المقادير ولا علم لي بعواقب الامور وأخاف أن يكون في قولي تفاوت وفي ارادتي اضطراب واذا أجابه تعالى الى ذلك سكت فلم ينطق وسلم ورضى بالتدبير فاطرف لان الذي يحب الله تعالى يحب أن تكون الامور على ما هي عليه لانها عن تدبير يظهر بمعاني الخير والشر لانه تولى التدبير بنفسه كما استوى على العرش بوصفه ولم يجعل على العباد تدبير الملك انما جعل عليهم الصبر والرضا للملك فرجع العبد الى الصمت والادب في نفوذ المراد كما كان وترك العبد الفضول والاعتراض وحصل له مقام التوكل والرضا ولذلك كان أبو محمد رحمه الله تعالى اذا قيل له ما مراد الله تعالى من الخلق يقول ما هم عليه فكيف تريد ما لا يريد وهو يحب لمعانيه التي عنها تظهر المرادات ومنها تبدو الاحكام ولا بد مما يكون كما لا بد مما كان وكن متطوعا كان ولولا كان لم يكن فكان أحب اليهم من كن لانه وله مثل كن أمثال وليس لهم ولا له مثل كان مثل فهؤلاء هم الذين لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهم المجبور ثم من عباده الزاهدون في ملكوته لوداده وكذلك صنعوا مثل هذا فيما استخلفهم فيه من الاموال لما سمعوه يقول وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فأخرجوا الكل لاجله فكان هو خلفا لهم بعد ان كانوا وكلاء فاذا قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل يقول الله تعالى لهم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله رضي الله عنهم ورضوا عنه لانهم عملوا بما قالوا فصدقوا بالايمان وقيل ان الايمان قول وعمل ولا ينوب القول عن العمل واذا قالوا اياك نعبد واياك نستعين قال الله تعالى صدقتم لانهم لا يخدمون ولا يذلون لسواه ولا يعدون النوائب الا اياه ولا يستعينون بغيره ولذلك صاروا صديقين لتصديق الصادق

الوظائف والآداب الشرعية التي يكون علم المريد المسترشد ويتوصل بالاتصاف بها الى الاتصاف بما بعدها فاذا اتصف المريد بمقام انتقل بالاتصاف به الى الاتصاف بما بعده وهلم جرا ولا يحصل المريد في شئ من المقامات الا بالتكسب والتطلب والاجتهاد والرياضة والمغالبة فاذا مقام كل سالك موضع الامتحان من الآداب والوظائف الشرعية كاليقظة وهي الانتباه والتوبة والانابة والورع والزهد والتوكل والتسليم والتفويض فمن يتحقق بأنواع المجاهدة وقطع العلائق في المقام الاول لا يتصور له الترقي الى الثاني فمن لم يتحقق بقلبه وقالبه أركان التوبة ولم يتصف بها حقيقة لا يرى اشراق نور الهداية ومن لم يتصف بالتوكل على وجه الكمال لا وصول له الى مقام التسليم والتفويض واعلم ان العلماء بالله تعالى قد ذكروا ان بين العبد وبين الله تعالى مائة حجاب من ظلمة وألف حجاب من نور وان حجب الظلمة تمحى بأنوار العمل بما كتب في الشريعة وأما حجب النور فهي التي تنجر السالك من بعضها الى بعض بأزمة الاعمال القلبية والقالبية حتى يصل الى الله تعالى قال الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبي في كتاب كيفية التعمل في العبادة ينبغي للعبد ان يكون أول شئ يأخذ به نفسه الاقرار لله تعالى بالوزر .

لهم كما بلغنا ان العبد ليقرأ قوله اياك نعبد واياك نستعين فيقول الله تعالى كذبت لو كنت اياى تعبد لم تقف ولم ترج سواى ولو كنت بى تستعين لم تسكن الى مالك وأهلك وكذلك بلغنا ان العبد ليقرأ السورة من القرآن فتصلى عليه حتى يفرغ منها اذا عمل بما فيها وان العبد ليقرأ السورة من القرآن فتلعنه الى ان يختمها اذا لم يعمل بما يقول فهذا كذلك ان الايمان ولا ايمان الا بعمل فليس هذا مؤمنا حقا فالاولياء حققوا القول بالعمل وشهدوا الايمان باليقين فاذا قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر توكلوا عليه ورضوا عنه وتألهوا اليه ولم يكن فى صدورهم غيره فيقول الله تعالى صدقتم فيكونون صديقين كما يقول للشئ كن فيكون فتدبروا فاذا قالوا ونعم الوكيل قاموا مقام التوكل فصار لهم فى الصدق مقامات بقول الصادق صدقتم فيكونون صديقين فيقول عبادى أنتم خيرتى من ذوى ودادى وأنا وكيلكم رضيتم بى وأنا حسبكم فهؤلاء الذين انقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله فاعطاهم من الجزاء بمقامات النعمة والفضل والتوكل عليه وصرف السوء واتباع الرضا برضاهم عنه رضى الله عنهم فالحبيب يحتمل منه والعدو لا يقبل منه عذره والمحبوب لا يعاتب والمبغض لا يحسبه وقد قال بعض الادباء فى معناه

من لم يكن للوصال أهلا * فكل احسانه ذنوب

وقال آخر فى وصف آخر

فى وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب ويأتى بالمعاذير

وأنشدت لبعض المريدين المحققين

انى جعلت منظرى فى مهجتى * وجعلت ودك لى اليك شفاعة

ولو ان وقتا مسك بالهجر كله * لكان قليلا أن أقوم بساعة

فيبتلى الله تعالى عبدا يطلعه الله عز وجل على ما ذكرناه فيزهد فيه ويعلو همه عنه بمشاهدة قدرة عظيمة ومعاينة آيات كثيرة ظاهرا أو باطنا أن يدعى المعرفة أو يتوهم المحبة فما عنده منها الا أمانى وغرور وظنون وزور والله تعالى يعطى قوما الظنون كما يعطى أولياءه اليقين ويعطى قوما المزورات لعلل القلوب كما يعطى أصفياءه المحققات فى مقام محبوب بآيات بينات وشواهد من اليقين باثبات آيات فى القرآن وآيات الرسول ولا يظهرهم على كن حتى ينكشف الكون عن قلوبهم وفى الكون ما فيه من نفيس الملكوت وعظائم الرغبوت مما لا يصلح ذكره واعلم ان آفات النفوس وزينة الملك حجب قلوب العموم وحظوظ العقل وشهوات الارواح من رغبوت الملكوت حجب قلوب الخصوص وسمو القلب الى معانى الدرجات التى يشاهدها أو وقوفها مع خصائص الرحموت والرغبوت التى يطالع بها حجب قلوب المحبوبين لانهم اذا جاوزوا شهوات النفوس ورفعت حجبهم عنه حجب العقول وقعوا فى شهوات الارواح فلا يواجهون بالوجه ولا ينظرون الى الوصف حتى يجاوزوا أيضا شهوات الارواح وينكشف عنهم أيضا حجب الانوار فيطالعوا الرسم ويغيروا الوسم فاذا انكشفت المقامات وانقطعت الفضائل وحققت المطالعات وسقطت المنازل والدرجات اصطلم الطالب وغلب المطلوب وفنى الراغب وبقى المرغوب أظهر لهم التعلق بالاسم وهو آخر الحجب وأول القرب يبتليهم به لينظر كيف يعملون فى الوسم فعندها حقت كلمة من عليها فان ويبقى وجه ربك الآية وهنالك صح له هذا المقام وفى معناه

ظهرت لمن أفنيت بعد بقائه * فصار بلا كون لانك كنته

فهذا مكان وجده بوجوده وقيامه بقيوميته بعد ان كان واجدا بكونه وقائما بقيامه وقد كان أبو يزيد يقول ان أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك أضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا هو بلاء مثلهم فى مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل بالانبياء فاذا لم ينظر العبد الى جميع المطلوب ولم يقف على كون مرغوب أقامه حينئذ مقام محبوب فوافق ظله وعطف عليه بحنانه ونظر اليه بعين وواجهه بوجهه فتوجه اليه ولم يثن



[illegible] تعالى وهو حجة وقد كان العلم طلبه مثل الشرب فاذا العلم ذلك علم وجوب الايمان به عليه فاذا علم بذلك ان تراه ايمانه اليقين فاذا أيقن بما أمر به عرف ان تمام ايمانه الرجاء والخوف فاذا نظر فى رجائه وخوفه علم ان الرجاء لا يتم الا بالرغبة والخوف لا يتم الا بالرهبة فاذا فكر فى الرجاء علم ان الرجاء لا يكون الا بالقلب وكذلك الخوف واعلم ان حسن الظن بالله تعالى أصل من أصول الايمان والرجاء فرع من اليقين وفروعه الثقة والسكون والطمأنينة والقناعة أصل من أصول الايمان وفروعه الرضا والتوكل والتفويض والورع أصل من أصول الايمان وفروعه الزهد فى الدنيا وعدم الاسف على فواتها والرضا عن الرب تعالى والمعرفة اذا سكنت القلب ظهر منها علوم سدت انخراق الوساوس ونفرت الآفات عن القلب واذا سكن القلب اليقين نفر عنه الشك والريب وخوف الفقر وثبت الخوف والرجاء فى القلب والمفاوز لا تقطع الا بدلالة الخبير بمسالكها وقال بعض العلماء بالله تعالى أول شئ يبدأ به المريد طلب العبادات من الكتاب والسنة فاذا أحكمه وجب عليه طلب الصدق والاخلاص فاذا أحكمه وجب عليه طلب الترغيب والترهيب وهو علم الخوف والرجاء والرضا والصبر والشكر ويعرف تقوى المريد بما الفقه فانه وهو

وسارع

ومسارع الى قربه ولم ينقل بشهدق بوجهه وجهاولا رأى في يديه بدا ولا قام بشهادته لقيومته مشاهدا فهذا غاية الطالبين من العارفين وقد قال بعض العارفين المحبين كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من فضة وذهب وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت أربعين يوما قال ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا أنظر وقلت أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم أزل أتضرع حتى صرفهن عني ولله عز وجل مثل هذا العبد في كل قرن وزمان ما يكثر عدده متفرقين في أرضه ومنتشرين في بلاده ومخبوءين مختبئين تحت ستره في عباده لا تستطيع العقول حمل وصفهم لعظمها ولا يثبت في القلوب حقيقتهم لو صفها أقل ما يوصفون به الاخلاص في الحركة والسكون وهو أجل ما عندنا والاخلاص عند المخلصين خروج الخلق من معاملة الخالق فاذا لم يدخلوا كيف يخرجون وأول الخلق النفس فاذا لم يتكدر القلب بها كيف يصفى منها والاخلاص عند المحبين أن لا يعمل عملا لاجل نفس ولا يدخل عليه مطالعة العرض والتشرف الى حظ طبع بل التعظيم ولا يشرك بحبوبا في محبة ذي الجلال والاكرام ولا يعلق قلبه بمحبوب ويتنظره من جمال لما ملأه من نهاية الحسن وغاية الجمال ولا سبيل الى هذا الا بعد معرفته ولا معرفة قبل معاينته اذ ليس الخبر كالمعاينة ولا معاينة الا بنور اليقين ولا حق يقين بوجود هوى نفس فاذا انكشف الحجاب وهوى الهوى طلعت عين اليقين فأنوار الصفات من الحسن والجمال والبهاء والكمال في عين اليقين عند ابعد عين كنور رفوق لو رأى نور النور والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم في الافعال وترك السكون والاستراحة اليهم في الاحوال ومن الاخلاص في الصدق عند الصديقين سؤال الخبء في قلوب الناس كما قال بشر وقد سئل بأي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت أكاتم الله تعالى حالي معناه أسأله أن يكتم علي ويخفي أمري وحدثنا انه رأى الخضر عليه السلام فقال ادع الله تعالى لي فقال يسر الله تعالى عليك طاعته قال قلت زدني فقال وسترها عليك فقيل في تأويل ذلك معنيان منهم من قال وسترها عليك أي يسترك حتى لا تعرف بها كما ذكرنا آنفا وقال بعضهم أراد سترها عنك حتى لا تنظر أنت اليها وقال بعضهم قلقني الشوق الى الخضر فسألت الله تعالى مرة أن يريني اياه ليعلمني شيأ كان أهم الاشياء على قال فرأيته فما غلب على قلبي ولا همني الا ان قلت له يا أبا العباس علمني شيأ اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة ولم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني في قلوب خليقتك قال ثم غاب فلم أره ولم أشتق اليه بعد ذلك قال فما تركت ان أقول هذه الكلمات في كل يوم فحدثت ان هذا كان يستذل ويمتهن حتى كان أهل الذمة يسخرون به في الطرق ويحملونه الاشياء في الطريق لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به وكانت راحته في ذلك ووجود قلبه واستقامة حاله عليه وهذا طريق جماعة من السلف وحال طبقة من صادقي الخلف أخملوا أنفسهم وأسقطوا منازلهم فسموا عقلاء المجانين وهذا من الزهد في النفس وحقيقة التواضع الا انه زهد مجانين الاولياء وتواضع وفي الضعفاء فالتكبر يكون بثلاثة معان تكبر على الناس عجبا بالنفس وتكبر في قلوب الناس عزمن النفس أي يحب أن يكبر في قلوبهم فيكون ذلك تكبرا منه وتكبر في القلب عن نظره الى صلاحه ودينه فيكبر ذلك عنده فيدل به ولعله نظر اليه من نفسه لقصور علم اليقين منه وهذا أدق معاني التكبر ولا يتخلص منه الا صحيح التوحيد صادق اليقين مخلص الصالحين وأما التكبر الظاهر الذي هو التطاول والفخر والتظاهر فهذا جلي وهو من أكثر عجب القلب وأقوى صفات النفس فلذلك نزع الاولياء عن دقائقه لما عرفوه وطالبوا القلوب والذلة بالنفس ليمتهنوها عقابا بالتواضع ليتنقى عنهم دقائق الكبر لخلاص لهم الاعمال والتواضع عند المتواضعين هو حقيقة أن يكون العبد ذليلا لاصقا لا من الاستشعار الذلة وأن يكون عند نفسه في نفسه وحيدا حقيرا معتقدا الصغر ومحاولته في نفسه لا متواضعه متكلفا وعلامة

متق ويشرف الخلاصة في علمها الاخذ بعزائم العلم وشدائده فان أغلبها العزائم والرخص فهو في خطة مخلص وحكم المريد الصبر وحكم العارف الرضا وحكم العالم التوكل وما أكثر المريدين وما أقل أهل الارادة وما أكثر من يعرف طريق الله تعالى وما أقل من يسلكها وما أكثر من يريد ما عند الناس وما أقل من يريد ما عند الله وقال أحمد العلوي المقامات مراكب الابرار فمن ركب مركب الخوف نجا ومن ركب مركب الرجاء وجل ومن ركب مركب التوكل كفي ومن ركب مركب التفويض وصل ومن ركب مركب الشوق أدرك ومن ركب مركب الانابة رحل ومن ركب مركب حسن الظن أصاب فمركب الخوف الهرب ومركب الرجاء الطلب ومركب التوكل الراحة ومركب التفويض السر عنه ومركب الانابة الدخول ومركب حسن الظن بالله تعالى الاجتبار واعلم ان المقامات تشرف بأسبابها ومتعلقاتها فالمهابة أفضل من المحبة لانها نشأت عن معرفة الجلال وتليها المحبة لانها نشأت عن معرفة الجمال وتليها المعرفة الناشئة عن معرفة الانعام والافضال ثم التوكل لان منشأه ملاحظة التوحيد بالافعال ثم الخوف والرجاء لانهما نشأ عن ملاحظة الخير والشر لكنهما اشرفا من وجه معرفة قدرة الله تعالى عليهما اذلا يرجى من يعجز ولا يخاف من لا يقدر

ذلك أن لا يغضب اذا عيب ونقص ولا يكره أن يذم ويقذف بالكبائر والآثام وبيان ذلك في وجده أن لا يجد طعم الذل في ذلة ولا يشهد الضعة في تواضعه اذ قد صار ذلك له صفة فمن ذل ووجد ذوق ذله فهو متعمل للتواضع ومن تواضع وشهد تواضعه وضعته فهو متعزز وهي علامة بقية الانفة في نفسه لنفسه ومتى غضب أو كره ذمه من غيره فهو يفرح ويرضى بمدحه فاذا كانت فيه هذه العلامات فهو محجوب عن جميع ما ذكرناه من المقامات ومتى ذل نفسه وتواضع عند نفسه فلم يجد لذلك ذوقا ولا الضعة حسا فقد صار الذل والتواضع كونه فهو لا يكره الذم من الخلق لوجد النقص في نفسه ولا يعجب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة من نفسه فصارت الذلة والضعة صفته لا تفارقه ملازمة له لزوم الزبالة الزبال والكساحة الكساح هما صنعتان لهما كسائر الصنائع ورب عاقل وأيهما العلم النظر الى نقصهما فيهما ولا يأنف منه من نفسه ولا يجد على نفسه وملكه علمها فقهرها بعزمه فالمقام محبوب وبعده المكاشفات بسائر العيوب أول ذلك دخول نور الحكمة في القلب وينبوع الحكم من قلبه كما روينا أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قال يا بني اسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تنبع الحكمة الا في قلب مثل التراب ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما أن المتعزز ان فارقه العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك عيش نفسه وممن روينا عنه اختيار الذل واسقاط المنزلة والقدر عند الناس ومحو جاهه وموضعه من قلوبهم وأظهر على نفسه ألوان معاني الذم أكثر من أن يحصى وذكرهم يطول وذلك ان حالهم الصدق فتقتضيهم القيام بحكمها فلا بد من قيامهم بمقتضى حالهم حدثني بعض الاشياخ عن أبي الحسن الكريني أستاذ الجنيد أن رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعامه ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى أدخله المنزل في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضيت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيجيء ولو زاد غيره وقال لو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وحدثني شيخ آخر عن أستاذه قال نزلت في محلة عرفت فيها بالصلاح فتشتت قلبي فدخلت حماما في جوف الحلة وعمدت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي واستخرجوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصرت أعرف في الناحية بلص الحمام فسكنت نفسي وحدثت عن بعض الصوفية أنه وقف على رجل يأكل فمد يده اليه فقال ان كان ثم شيء لله فقال له اجلس فكل فقال أعطني في كفي ما أعطني في كفه فقعد في مكانه يأكله فسأله عن امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالي مع الله عز وجل الذل فكرهت ان أطرق حالي وكان جدار بجانبه فمد يده الى الهراس فيضع فيها هر بسنور والعرب تأنف ان يوضع الشيء في أكفها لعزة نفوسها حتى روينا عن بعض الصحابة من المهاجرين الاول في أول النبوة فقال جئت ثلاثا لم أطعم شيئا فبلغني ان انسانا يتصدق بزبيب فسألته فقال هات كفك فقلت اني رجل من العرب ولا آخذ في كفي فاجعله لي في شيء قال فجعله في كيل ثم ناولنيه فلما فرغته رددته اليه فكانت فيه عزة نفس لاجرم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أنت رجل فيك جاهلية فقال على ما أنا عليه من كبر السن قال نعم وكان قد خاصم رجلا فعاره عليه تعززا وانما أتينا ببعض ما ذكرناه لتنبه العقول المستيقظة وتحركها بأيماننا القلوب الحية ليحيا من حي عن بينة بذكر أوصاف الصادقين وطرقات المخلصين ليستدل على الكثير باليسير وقد كان شاهد من شهود بسطام عظيم القدر فيهم لا يفارق مجلس أبي يزيد فقال له يوما يا أبا يزيد أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي شيئا من هذا العلم الذي تذكر وأنا أصدق به وأحبه فقال له أبو يزيد لو صمت ثلثمائة سنة وقمت لياليها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال أفلهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى أعمله قال لا تقبل قال فاذكره لي قال اذهب الساعة الى المزين واحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة



●(فصل)● وأما الاحوال فهي معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا تكسب ولا اجتلاب وهي مواهب ربانية ومنح الهية من حكمها الطرب أو الحزن أو القبض أو البسط أو الشوق أو القلق أو الهيبة والاجلال أو الطمأنينة والادلال والاحوال تأتي من عين الجود بخلاف المقامات فانها تحصل ببذل المجهود فالمقامات مكاسب والاحوال مواهب فصاحب المقام متمكن في مقامه وصاحب الحال مجذوب عن حاله واختلف المشايخ في بقاء الاحوال فأشار قوم الى بقائها ودوامها وقالوا انها اذا لم تدم فهي لوائح وبوادر ولم يصل صاحبها بعد الى الاحوال أي ما حصلت له أهلية ورود الحال على قلبه فاذا دامت تلك الصفة التي هي الموهبة فهي حينئذ تكون حالا وقال آخرون الاحوال لا تبقى كالبرق في الظهور والافول واعلم ان ما قالوه فهو اشارة الى حكم الحال لا الى نفسه اذ المعاني الحادثة لا تبقى زمانين والفرق بين المقام والحال ما أشرنا اليه من أن المقام مكسوب وثابت مستقر وأما الحال فموهوب زائل متغير وقد يكون الشيء حالا ثم يصير بعينه مقاما مثاله ان ينبعث في باطن السالك داعية المحاسبة ثم تزول بغلبة صفات النفس من داعي الهوى والشهوة ثم تعود ولا يزال يتحول بظهور صفات النفس من داعي الهوى والشهوة ثم يعود الى أن تتداركه المعونة من الله تعالى وتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها

المحاسبة وتصير له بمقام المحاسبة لاستقرارها بعد ان كانت حالا تتحول وعلى هذا القياس أي غيرها كالمراقبة وغيرها ومنهم من فرق بان المقام مكسوب والحال موهوب كما تقدم والتحقيق ان الكل مكاسب غير ان المقامات يظهر فيها الكسب وتبطن فيها الموهبة والاحوال بالعكس واعلم يا أخي أيدك الله بتوفيق منه ان المقامات والاحوال كثيرة تنتهي في العدد الى مائة وأكثر وان أنا أخذت في ذكرها على تمامها طالت على وعليك لكني أذكر أصول المقامات وكلياتها وفيها الاشارة الى أكثرها وعمها وشعبها والمقامات مترتبة في الوجود ترتيبا لا يجوز وقوعها على خلافه عادة لان النهايات لا تصح الا بعد تصحيح البدايات كما ان البناء لا يقوم الا بعد وضع أساس وقد نجزت الكلام في المقدمة فلنشرع في المقامات وبالله العون والهداية

●(باب التوبة ومقدماتها وما يتبع ذلك)●

اعلم ان التوبة مفتاح لكل خير وباب لكل سعادة فاول ما يقدمه مريد السلوك لطريق الله تعالى هو التوبة وللتوبة مقدمات منها العلم بما يجب ويستحب من الاعمال الظاهرة والباطنة ومنها التفكر والمراد بالتفكر النظر في لطائف الصنعة ووجوه الحكمة وحكم الاعمال والعبادات المفضية الى تيسير طريق وصول العبد الى ربه وأما التذكر فأخوذ من قوله تعالى وما يتذكر الا من ينيب وهو أعلى من التفكر لان التذكر

حوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة وادخل الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لى مثل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك قال كيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها فقال هذا لا أطيق ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شئ فقال لا أطيقه فقال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الماقال سبحان الله كان شركا عنده لانه سبحه برسم النفس وقد كان أبو يزيد يقول سبحاني ما أعظم شاني وهو موحد لانه وحدانية ثبت وهذا الذي ذكره دواء من اعتل بنظره الى نفسه ثم سقم بنظر الناس اليه لزمه سد نظره الى نظرهم ليس لها من دون الله كاشفة الا ان هذا من طب الحاذقين يصلح لضعفاء اليقين ولو ادخل الطبيب الاعلى ذرة من عين اليقين اخرج بها من قلبه كل نظرة فاستراح من كل دواء ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة بشواهد الحق و يحيا من حي عن بينة بشاهد الحق و بتلاوة شاهد منه فلا تنكرن من جميع ما ذكرناه شيأ فتخسر أقل النصيبة المؤمنين من علم القدرة واليقين لان للمؤمنين انصبة من هذا العلم منها المشاهدة لما وصفناه والادراك لما رمزناه ومنها الوجد وذوا الحال ومنها المعاملة والمنازلة ومنها الذوق والشم منه وآخرها التصديق والقبول فاقل النصيب من علم المعرفة ان لم يشهد ولا يجد وان لم يعرف المتعرف ويكون معقله التسليم وليس وراء هذا امكان وهذه المقامات التي شرحناها وهي مقامات اليقين أولها التوبة الى هذا المقام من الحب منوط بعضها ببعض ان اعطى العبد حقيقة من أحدها اعطى من كل مقام حاله ومع كل حال مشاهدة ولكل مشاهدة علم الا من شهد بالحق وهم يعلمون وكلها مجموعة في حقيقة الايمان ان اعطى العبد حقيقة من ايمان و يقين حتى يكون مؤمنا حقا غير متنقص ولا مستبدل به في علم الله تعالى وكان ايمانه منة وهبة لا عارية ولا وديعة فيسترد و يرتد على اظهار لبس أو ادراج مكر محنة من الله تعالى وخبرة ويكون مستبدلا لا بدلا فاذا لم يكن كذلك وكان بدلا من مستبدل به أعطى من جميعها حالا وشهادة شهادة وان تفاوت توالي العلوم وتعالوا الى القرب وذلك هو كمال الايمان وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف كمال الايمان ثلاثة أحاديث من أصول هذه الاحوال وأساس هذه الافعال منها انه قال لا يستكمل العبد ايمانه حتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرة الشئ وحتى لا يعرف أحب اليه من ان يعرف فهذان حالا الصادق الزاهد وهما أول الطريق المؤدي الى التحقيق وأس البنيان الرابع الى انه الاعتكاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشئ من عمله واذا عرض له أمران احدهما الدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذه أحوال المحب لله تعالى المخلص بمعاملة الله عز وجل الراغب فيما عند الله تبارك وتعالى والحديث الثالث قوله صلى الله عليه وسلم لا يكمل ايمان أحدكم حتى يكون فيه ثلاث خصال من اذا غضب لم يخرجه غضبه من حق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له فهذه تجمع أحوال العدل والفضل والمراقبة والزهد وهي أصول المقامات ويشبه هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الرابع ثلاث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله تعالى في السر والعلانية وتفسير ما ذكرناه قبل من أن هذه المقامات مرتبطة بعضها ببعض وان من أعطى حقيقة من أحدها أعطى جميعها حالا اذ يجمع ذلك كله الايمان بالله تعالى ليتوب العبد المحسن آمن به والى ما آمن به من الوعد وما آمن به من الوعيد ليحق ايمانه و يصح يقينه وليستقيم توحيده كما قال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقال تعالى فاستقم كما أمرت ومن تاب معك وقال فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فذهب العلماء آمن به وهو الرجوع وهي التوبة ثم يزهد فيما تاب منه من هواه لتصح توبته وتخلص نيته فيكون نصوحا كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقال والآخرة خير وأبقى وقال وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لما أخرجوه من أيديهم وتركوه وتابوا الى أبيهم وزهدوا فيه ثم يصبر عما زهد فيه ليحق زهده كما قال وتواصوا بالحق وتواصوا

بالصبر وقال عز وجل ولربك فاصبر ثم يشكر على ما صبر عنه ليكمل صبره كما قال لا قوة الا بالله وما بكم من نعمة فمن الله واذكروا نعمة الله عليكم ثم يرجو من شكره ليزيده من فضله فيعطيه فوق سؤله بحسن ظنه به كما قال تعالى ويرجون رحمته وقد ذم من أيس من رحمته بقوله ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ثم يخاف فوت ما رجاه ويخاف من تقصيره في الشكر لما أولى الحق فيمانه برجائه ويتم اشفاقه من تبديل الآية ويخاف نقصان المزيد كما قال سبحانه يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال مخبرا عن أوليائه انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا وقد عاب الله من فرح بما أظهر سره ونظر بما أوتي وأمن موعود البلاء ونسي انه كان مبتلى في قوله تعالى ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيآت عني انه لفرح فخور ثم يتوكل على من خافه فيسلم نفسه اليه ويستسلم بين يديه ان يحكم فيه ما أحب لقوله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقوله نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ثم يرضى عمن توكل عليه وعمن توكل له لعلمه بحكمته البالغة وتدبيره الحسن لقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ولقوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ثم يحب من رضي به ورضي عنه اذ كان قد اختاره على ما سواه واذ صار حسبه لما رآه فصارت هذه المقامات التسع كمقام واحد بعضها منوط ببعض ودليلها كتاب الله تبارك وتعالى الحق اليقين النور المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه من طريق الهوى ولا من خلفه من سبيل الاعداء فاشبهت دعائم الاسلام الخمس في مقام العموم من طريق الاسلام اذ بعضها مرتبط ببعض كهذه في مقام الخصوص من طريق المقربين ثم يرجع بعد مقام المحبة الى حال الرضا قوة فقوة ثم يتردد في مقام المحبة رتبة رتبة وليس فوق حال الرضا مقام يعرف ولا فوق مقام المحبة حال يوصف وهما موجب المعرفة ومنتهاها المعروف وقرارها المألوف وان الى ربك المنتهى الى ربك يومئذ المستقر فليس للرضا نهاية اذ ليس للمحبوب غاية وان الرضا مزيد أهل الجنة في الجنة وليس للحب نهاية لانه عن الوصف ولا غاية للصفات وليس لطالب الحب حد لانه عن القرب ولا غاية للقرب لانه من وصف قريب ولا حد لقرب فيتراقى المؤمنون في الحب مقامات على نحو تجلي الحبيب بمعاني الصفات ويتزايد الرضوان في الرضا درجات حسب تعاليهم في علو المشاهدات ويتعالى أهل عليين في العلو غايات على قدر انصبتهم من قوة الايمان وصفاء اليقين قال الله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فأعطاهم من معاني وصف العلو ثم وصف نصيبهم بوصفهم فقال ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون فعليون لا نهاية له في العلو فهو من اسماء المبالغة في الوصف وقيل انه اسم لا واحد له من جنسه فهو على في علوهم بعلويهم أبدا في علو علوهم في دار الابد وهم أعلون لان الاعلى معهم فهم يعلون به وعليون بعلويهم هذا كله لانه معهم كما قال وأنتم الاعلون والله معكم فالرضا الاول الذي هو قبل المحبة مقام التوكل وحال المحب المحبوب له والرضا الثاني الذي يكون بعد المحبة مقام المعرفة وحال المحبوب التوكل له والمحبة من أشرف المقامات ليس فوقها الا مقام الخلة وهو مقام في المعرفة الخاصة وهي تخلل أسرار الغيب فيطلع على مشاهدة المحبوب بان يعطى حيطة بشيء من علمه بمشيئته على مشيئته التي لا تنقلب وعلمه القديم الذي لا يتغير وفي هذا المقام الاشراف على بحار الغيوب بسرائر ما كان في القديم وعواقب ما يؤب ومنه مكاشفة العبد بحاله واشهاده من المحبة مقامه والاشراف على مقامات العباد من المآل والاطلاع عليهم في تقلبهم في الابدال والاحوال وقد ذكر أبو يزيد البسطامي وأبو محمد سهل انهما أقيما في هذا المقام ووصفا ما اليهما منه وقد كان لشقيق وابن أدهم البلخيين مطالعات في هذه المعاني وقد سلك بأبي الفيض في هذا الطريق فظهر على ما فيه عجائب من رأى انقلاب الاعيان وتبصرة بعظيم العيان وهذا محجوب عن أوهام القلوب بعقولها ومستقر في جب غاية القلوب بارواحها اذا تخرجت النفس من الروح فكان روحانيا كخروج الليل من النهار تنفس المكروب واذا انجلا العقل عن القلب فكان ربانيا انفرجت الكروب كما قال العارف

يحبائي باحبائي * لاتبعد قرباتي

لمله وحاصل والتفكر طلب له هو مثله ومبدؤها اليقظة وهي الانتباه من النومة قال الله تعالى قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى والقومة الى الله تعالى يقظة واليقظة أول منزل من منازل الطريق الى الله تعالى ونورها أول نور يستنير به قلب العبد وهي مبدأ السكل طعام ورأس كل مقام ومن أيقظه الله تعالى فقد نبهه واليقظة تكون بسبب وبغير سبب فالتي تكون بغير سبب هي أول نفحة من نفحات الجذب فيشهد الحق ويلمع لمحة من جلاله وعظمته وجماله وكماله من غير مكابدة نظر ولا مشقة بكسب ولا تعب بفكر واستدلال فاما التي بالسبب فاما أن تكون من نفس العبد أو من غيره فالتي تكون من نفس العبد اما بنظر واستدلال أو يجري على لسانه وهو غافل كما جرى لتحفة العابدة فانها كانت يوما وهي تضرب بالعود هذا الشعر

خاطبني الحق من جناني
فكان وعظي على لساني
قربني منه بعد بعد
وخصني الله واصطفاني
أجبت لما دعيت طوعا
ملبيا للذي دعاني
وخفت مما جنيت قدما
فوقع الحب بالاماني

فتنبهت وكان ذلك سبب توبتها والتي من الغير اما أن تكون من كتاب الله تعالى كما جرى للفضيل بن عياض وكان قاطع طريق اذ سمع قارئا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فقال نعم يارب فتاب وتوجه الى مكة وجاور بها ولم يزل

أشرح النفس من الروح * حدد قرح كرباتي

وقد قال أحسن القائلين ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والاستثناء واقع على احاطة الخليقة بشيء من شهادة علمه بنور ثاقب من وصفه وشعاع لائح من سبحات ذاته وهذا المعنى من سر التوحيد لا يكشفه الا عين اليقين ولا تظاهره حتى يظهر لنا منه عارف بما عليه قد أوقف وما منه به قد كوشف فحينئذ يقع العين على العين ويضيء الكوكب الدري في جوهر مشكاة القلب وقد كان الشيخ أبي الحسن بن سالم رحمه الله تعالى من هذا الطريق مشاهدات ومطالعات وسياحات في الغيوب وجريان في الآخريات وانقلبت له الاعيان وظهرت له العيان وطوى له المكان ورأى القول لله تعالى وجعل من كل واحد علما ثم انقطع الطريق بعد فقده وعفا الاثر ودرس الخبر ثم الله تعالى اعلم بما هو صانع بهذا الطريق وأهله هل ينشئ له أهلا وينهج له غامضات الطريق طريقا أم يطويهم في طي طريقهم ويخفي طريقهم في خفاء الموج الغامض في غامضات العلم السابق نقول في ذلك كما قال امام الائمة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعد اذ ذكر في خطبته قيام الساعة واستقرار أهل الدارين فيهما قال ثم الله أعلم بما هو صانع بالدنيا بعد ذلك فهذا من سر السر الذي أودعه صاحب الامر وليس فوق مقام الخلة الا درجة النبوة وهو محجوب عن القلوب كحجاب هذا المقام من الخلة عن قلوب العموم فهذا لا خوف فيه لانه درك منه ولا حزن عليه لانه لا نصيب منه ولكن مقام الخلة لا يكون الا مقام محجوب على كل حال وما سمعت من أحد من أهل العلم الباطن والمعرفة الثاقبة رسما من علم الخلة ولا من وصف محجوبه شيأ في كتب الله تعالى ولا اشارات الا انك في الاخبار ولعل من الآثار اعلم انه كلام محجوب عن مقام خلة ولكنه مستودع في كتاب الله تعالى المكنون وغامض من خطابه المصون ومخبوء في سر آياته عن القلوب والعيون وكاشف به الساجدين واظهر عليه أهل السر من العارفين ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض وقوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض وقد كان الحسن رحمه الله تعالى يروي في الخلة اخبارا منها ان الله عز وجل أوحى الى بعض أوليائه انما اتخذ خليلي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له غيري ولا يؤثر علي شيأ من خلقي وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد ألما وقد روينا عن الخليل الحبيب عليه السلام انه قال تحابوا في الله وتصافوا وتباذلوا وتحفوا الوافية أوليس من كرم الله تعالى ان اتخذ عبدا من عباده خليلا فنبأه الخلة من الله تعالى كانت لاوليائه من فرط كرم وفضل ألا انما خصهم بكرامته وأحلهم بفضله لها وعظمهم من نصيب تعظيمه فبما او الله الواسع الكريم ذو الفضل العظيم اذا رفع عبدا جاوز به الحدود واذا خفضه وضعه تحت الحدود وقد تكلم الجنيد رحمه الله تعالى في مقام من هذا وقد سئل عنه فقال هو غاية الحب وهو مقام عزيز يستغرق العقول وينسي النفوس وهو من أعلى علم المعرفة بالله تعالى وقال في هذا المقام يعلم العبد ان الله عز وجل يحبه يقول العبد بحقي عليك وبجاهي عندك ويقول بحبك لي قال وهؤلاء هم المدلون على الله تبارك وتعالى والمستأنسون بالله تعالى وهم جلساء الله تعالى قد رفع الحشمة بينه وبينهم وزالت الوحشة بينهم وبينه فهم يتكلمون باشياء هي عند العامة كفر بالله تعالى لما قد علموا ان الله تعالى يحبهم وان لهم عند الله جاها ومنزلة ثم قال عن بعض العلماء اما أهل الانس بالله تعالى فليس الى معرفتهم سبيل هذا من كلام الجنيد ونحو معناه حدثني به الحاقاني المقري ولولا الامر وبتاعة معاد ذكرناه لاما كما شرح سال هؤلاء اشفاقا على الالباب كما قال الجبلي

وان أشرح تاعك ضمراني * أجلك عن كتابي في كتاب

وقد كان شيخنا أبو بكر بن الجلاء رحمه الله كتب الى شيخنا أبي الحسن بن سالم رحمه الله تعالى يسأله عن مسائل من معاني السر في كتاب فحدثني من رأى رمى بالكتاب وقال أين صاحب هذه المسائل فقيل هو غائب بمكة فقال انا لا اجيب عن هذا في كتاب فقولوا له يحضر ان أراد وقد حدثني ابن الجلاء بهذا لانه مقام

مجدا من ذلك اليوم واما أن تكون من حديث النبي صلى الله عليه وسلم كما روي انه صلى الله عليه وسلم وعظ يوما الناس فقال اني رأيت الجنة بعيني وأنا النذير العريان الخ اما الغداة فتبعظ بذلك كثير منهم والهوا وتكون من واعظ والواعظ اما بلسان المقال أو بلسان الحال والذي بالمقال قد يكون من مؤمن وقد يكون من عدو ومخالف الدين والذي من المؤمن كما جرى للشبلي رحمة الله عليه انه كان سبب توبته حضور مجلس بعض الوعاظ وكان الشبلي حاجبا للخليفة الموفق بالله تعالى فتاب وصحب الجنيد وغيره من أكابر المشايخ وتعبد وجاهد نفسه حتى صار من كبار مشايخ الرسالة وكذلك جرى لابي سليمان الداراني فكان يقول عصفور اصطاد كركيا وكما حكي ان علي بن عيسى الوزير ركب يوما في موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا فقالت امرأة كانت هناك واقفة على جانب هذا عبد سقط من عين الله تعالى فابتلاه الله تعالى بما ترون فسمع الوزير علي ابن عيسى ذلك منها فرجع الى داره واستعفى الخليفة من الوزارة وسأله بيعه وذهب الى مكة وجاور بها ومات [illegible] بجزى الحق [illegible] [illegible] ودخل الى بيت الاصنام لينظره فرأى شابا من أولاد المشركين في بيت الاصنام يتعبدهم فقال له شيخ يا ملك الهة صما وافا [illegible] لا تعبده

الخلة هو الذي أخطيناه وعظمناه لا يعطاه العبد الا في مقام مع مقام فالمقام الاول هو المعرفة الخاصية بفناء ور تعرف كشفا عن وصف الباطن ثم يدخل عليه المحبة الخصوصة وهو مقام محبوب ثم يرفع من هذا المقام الى مقام الخلة وهو الاشراف على سرائر غيوب من شرفات العرش وسرادقات القدس وغير ذلك والاصل فيما ذكرناه انه سبحانه يعطى مقامات المعرفة في مقام عارف ولا يعطى فيه مقام محبوب وقد يعطى مقامات من المحبة في مقام محب ولا يعطى شهادة خلة لغير خليل عارف فاذا جمع مقام معرفة تعرف الى مقام محبة محبوب أعطى مقاما من الخلة الذي وصفناه وهذا من أعز ما ظهر في الكون لطلسم مكنون وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خطب الناس قبل موته بثلاث فقال ان الله تعالى قد اتخذ صاحبكم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فرفع صلى الله عليه وسلم في مقام محبوب الى درجة خليل كأنه نقل من مقام محب الى حال محبوب كالمزيد بالمحبة في مقام محبوب بالصفوة وقال أيضا في المقام الاول ان الله عز وجل اتخذ موسى صفيا واتخذني حبيبا فأول العطاء هو الصفاء من الهوى ثم المحبة بعد الصفاء ثم الزيادة بوصف محبوب فوق المحبة ثم ارتفع فعلا بعد القوة والاستواء الى العلي الاعلى فدنا عاليا فتدلى حتى دنا فكان قاب قوسين أو أدنى وكانت البلاد من ورائه والوجه مواجه الوجه

وكان ما كان مما لست اذكره ✽ فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

اذ من العلوم علم لا ينبغي ان يسئل عنه حتى يبدى العالم ذكره فهذا نهاية لا يبدى الا بقدر معلوم بمقدار ما أبدى المبدى ويعيده بقدر ما أعاد المعيد وكان له به خليلا كما كان عنده مقربا فصارت الخلة مقاما في محبوب وهو من آية المزيد كما كان مقام محبوب زيادة على مقام محب كما رفعه الى المحبة بعد الصفوة من كدر الهوى وكذلك أنت أيها السامع الشاهد يجعل لك بعد الصفاء نصيبا من نصيب وشهادة على شهادة ووجدا من وجد ولفقد النفس من فقد فلا يذهب كثير النبوة منه صغير العطية الثلاثة لانه تعالى رفع الطائعين له ولرسوله صلى الله عليه وسلم مقاما الى مقام النبيين والصديقين والصديقون يأتون الى نزول الروح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وهم الابدال عددهم في كل الدنيا ثلثمائة وما شاء الله منهم الشهداء والصالحون فهم ثلاث طبقات وكلهم مقربون سابقون ايمان صديق منهم كايمان جميع الشهداء وايمان شهيد كايمان كل الصالحين وايمان كل صالح بمقدار ايمان ألف مؤمن من عموم المسلمين وليس في الخلة شريك لغير الخليل على خليله ولانها حال مفردة لفرد موحد لواحد ولو كان يصلح لها النظير والوزير جاوز ير كان أحق الامة بذلك الصديق فقد أعطاه تعالى ثلاثا لم يعطها غيره منها ما روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ان الله عز وجل أعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من أمتي وأعطاني مثل ايمان كل من آمن بي من ولد آدم والحديث الثاني ان لله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله هل في منها خلق واحد فقال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها الى الله عز وجل السخاء والحديث الثالث هو المستفيض رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمتي فوضعت في كفة فرجح بهم وليس بين الصديق وبين الرسول الا درجة النبوة والقطب اليوم الذي هو امام لا ثاني الثلاثة والاوتاد السبعة والابدال الاربعين والسبعين الى الثلثمائة كلهم في ميزانه وايمان جميعهم كايمانه انما هو بدل من أبي بكر رضي الله تعالى عنه والا ثاني الثلاثة بعده انما هم أبدال الثلاثة الخلفاء بعده والسبعة هم أبدال السبعة الى العشرة ثم الابدال الثلثمائة وثلاثة عشر انما هم أبدال البدريين من الانصار والمهاجرين أهل الرحمة والرضوان فمع هذا الفضل العظيم لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لم يصلح ان يشرك الحبيب الرسول المقرب الخليل في مقام الخلة كما صلح ان يشرك في مقام الاخوة وهو المقام الذي شرك فيه عليا كرم الله وجهه فقال علي مني بمنزلة هرون من موسى فهذا مقام اخوة كذلك في التفرد بمقام الخلة لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تبارك

وتعالى

وتترك هذه الاوثان التي لا تضر ولا تنفع فقال الشاب المشرك لشقيق اذا كان الامر على ما تقول فلأي شيء تعنيت في التجارة الى ههنا وهو قادر ان يرزقك ببلدك فقال له شقيق صدقت فتنبه وتيقظ وترك التجارة وتعبد وكان من كبار المتوكلين وأنشد في هذا المعنى يقول

جزى الله من علمت خيرا فانني ✽ ساحمده من حيث لا يحمد النخل

وأما التنبيه الذي يكون بلسان الحال فكرؤية الموتى والاتعاظ بأهل البلاء قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم واعظين ناطق وصامت فالناطق القرآن والصامت الموت وقد يكون التنبيه على جهة التفاؤل وهي العادة عند الصوفية كما جرى لداود الطائي رحمة الله عليه انه كان يمشي في الطريق فجاء الطارقون بين يدي حميد أمير الكوفة فأزالوا داود عن الطريق فنظر لحميد وقال أف لدنيا سبقك اليها حميد

✽ (فصل) ✽ والتوبة واجبة بالآيات والاخبار قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين أي من الذنوب بالتوبة وقال النبي صلى الله

وتعالى يعني نفسه صلوات الله عليه لانه واحد لواحد مفرد لفرد فاعتبروا يا أولي الالباب بتدبر فهم الخطاب فمن أعطى من الصلاة نصيبا أعطى من الحب نصيبا وكان له من المعرفة بقوة محبته ومن المعرفة بقدر معرفته فاما المعرفة الاصلية التي هي أصل المقامات ومكان المشاهدات فهي عندهم واحدة لان المعروف بها واحد والمتعرف عنها واحد الا ان لها أعلى وأول فخصوص المؤمنين في أعلاها وهي مقامات المقربين وعمومهم في أولها وهي مقامات الابرار وهم أصحاب اليمين ولكل منهم وجهة من الصفات المعروفة عنها كانوا انما تقلبين أو الاخلاق المرجوة منها كانوا راجين أو الافعال والامثال عندها كانوا صابرين شاكرين او معاني أوصاف ذات منها كانوا محبين متوكلين قال الله سبحانه وتعالى ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ويقال من أحب شيأ حشر معه وفي الخبر المرء مع من أحب وله ما احتسب وفي الخبر من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة فاما جمل مقامات المحبين فمذكورة في الكتاب العزيز من الحبيبات تسع عشر مقاما خمس في دليل الخطاب وتدبر الالباب وسبعة في صريح الكلام بظاهر الافهام فاما السبع المصرحة فقوله عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين والله يحب الصابرين والله يحب الشاكرين والله يحب المتقين والله يحب المحسنين والله يحب المتوكلين وأما الخمسة المتدبرة فهم الموحدون لقوله لا يحب الكافرين والعادلون لقوله لا يحب الظالمين والمستقيمون لقوله لا يحب الفاسقين والمتواضعون لقوله لا يحب المستكبرين والموفون لقوله لا يحب الخائنين وهؤلاء طبقات المحبوبين تعريضا وتصريحا وشرح هذه الاوصاف هي مقامات اليقين وفي كل مقام من هذه أحوال يكثر عددها كل حال منها طريق الى الله عز وجل في كل طريق طائفة من المحبين محبتهم على قدر معرفتهم ومعرفتهم على رتبة تعرف المعروف اليهم ومن نحو تعريف المعروف لهم وذا المعنى من معارفهم فهم على رتبة يقينهم ويقينهم على حسب صفاء ايمانهم وايمانهم على نحو عناية الله بهم وتفضله عليهم وايثاره لهم ومن وراء ذلك سر القدر المخزون المستأثر وليس فوق المحبة مقام مشهور ولادون التوبة حال مذكور فأول المقامات التوبة يخرج بها من الظلم والظلم حالهم من الشرك قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقال الله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا وهذا فصل الخطاب لاضداده فاى الفريقين أحق بالامن الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك هم أحق بالامن غدا في المقام الامين وقال تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فآخر الظلم أول التوبة وآخر التوبة أول المحبة وآخر المحبة أول المعرفة وهي معرفة متعرف وهي الخاصة بمزيد المحبة الاولى وآخر نصيب العبد من المعرفة وأول التوحيد وهو توحيد الشاهدين ولا آخر له واوسط المقامات الزهد وأول الزهد آخر الهوى وآخر الزهد أول العلم وآخر العلم أول الخوف وآخر الخوف أول الحب وهذا حب محبوب الظالم لا مقام له ولا جاه ومن لا جاه له فلا شفاعة ومن لا شفاعة فلا شهادة ومن لا شهادة فلا يقين فلوا عطى مثقالا من الايمان لم يضره لانه صلى الله عليه وسلم قال في وصف الداخلين اخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان ثم قال في الخبر الآخر السعداء من اليقين ولا يدخل النار موقن وقال سبحانه وتعالى في تفصيل ما وصلنا مما عنه شهدناه لا ينال عهدي الظالمين ثم قال في البيان الثاني من الخطاب لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقال في البيان الثالث ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال في وجد اليقين بعد شهد العين في الرواية بعد المكاشفة وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قلبه يقين الى وجدت وكان اليقين بعد المشاهدة كذلك الوجد بعد اليقين واليقين هو حقيقة الايمان وكما جاء في الاثر الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقد روي في تفسير قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين قيل الجاه وقيل الشفاعة وقيل الولاية وقيل الامامة لا يكون الظالم اماما للمتقين لان من تبعه أمن من المؤمنين فهو امام المتقين والظالم مهدد بالنار متوعد بسوء المنقلب مشفوع

عليه وسلم التوبة تجب ما قبلها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الذي أضل راحلته في البادية وعليها طعامه وشرابه ثم وجدها لله أفرح بتوبة العبد من وجدان هذا لراحلته والتوبة بشروط منها ترك الذنوب لامتثال أمر الله تعالى ومنها الندم على ما سلف والعزم على ان لا يعود الى الذنب ولابد لذلك من رد المظلمة الى المظلوم أو تحليله منها فان كانت المعصية بترك فرائض الله تعالى فلابد من قضائها وان كانت شرب مسكر وهو في جوفه فلابد من التقيؤ منه هذا مما لابد منه في التوبة وقال أرباب المجاهدة ولابد فيها من اذابة كل لحم نبت من الحرام واذاقة النفس ألم الطاعة كما أذاقها حلاوة المعصية سئل بعض المشايخ عن العبد اذا خرج الى الله تعالى على أي أصل يخرج فقال على ان لا يعود الى ما منه خرج ولا يراعي غير من اليه خرج ويحفظ سره عن ملاحظة ما برئ منه بالتوبة قال والتوبة هي أول طريق شرعه الله تعالى اليه تلك وهذا يجب حمله على التوبة من الكبائر لان الامر بالتوبة من الكبائر واجب وللخطاب بخطاب الله تعالى به العبد بخلاف التوبة من المعاصي واعلم ان التوبة هي الرجوع سواء كان الرجوع عنه دنيا كما في توبة أكثر الخلق أو أمرا مباحا كمن رجع من كسل وبطالة الى الاشتغال بنوافل الطاعة فهو تائب وهذا كتوبة الـ[illegible]

الى ان يجمع بين فعيه الفضول الى غير الفضل (٨٥) منه فهو تائب وعلى هذا توبة الانبياء واستغفارهم عليهم الصلاة والسلام

فيه فكيف يكون شهيدا محجوبا عنه فكيف يكون شهيدا الم تسمع الى قول الشاهد ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون والى قوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون مع قوله تعالى فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ثم اجمل ذلك بقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فصغير التوبة لصغير الظلم من صغائر المظالم وكبير التوبة لكبير الظلم من كبائر المظالم والظلم ظلمة اليوم فى القلب وظلمة غدا فى القيامة فالتوبة تخرج العبد من الظلم ويخرج من الظلم يدخل فى منازل العهود برعاية العهد يعمل فى الاصلاح والله لا يضيع أجر المصلحين كما لا يصلح عمل المفسدين فاذا كان مصلحا بالتوبة مما أفسد بالهوى استعمل بالصالحات لانه قد صلح فاذا عمل بالصالحات أدخل فى الصالحين لانه قد فضل قال الله تعالى ويؤت كل ذى فضل فضله وقال فى البيان الاول وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين فمن صلح له تولاه ومن تولاه عليه وحباه وكشفه من نفسه وعاما وأحبه فكان هو حسبه وكفاه وجعله تحت كنفه وآواه فيكون ظاهر ساله العصمة من الهوى واهلا لمشاهدة عين اليقين من المولى ومن اكتسب من المظالم ظلم ومن ظلم ولا مثله ومن ولا مثله تولى عنه ومن تولى عنه أفسد ومن أفسد قطع ما أمر الله به أن يوصل ومن قطع بعدفا انقطع ومن انقطع فبعد لعن وطرد ومن طرد عمى وصم تحت الهوى المعمى المصم ومن عمى لم يشهد البصير ومن صم لم يسمع من السميع فكيف يتدبر الخطاب وقلبه مقفل وهمه على هواه مقبل والفتاح العليم عنه معرض فهذا من توصيل القول بعالم المقول من قوله تعالى نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ومن قوله تعالى ان توليتم أن تفسدوا فى الارض الآية فبينوا والتائب حال من أول المحبة والتواب مقام من حقيقة الحب والناس فى التوبة مقامات حسب كونهم فى الهوى طبقات وهم فى الحب درجات نحو مشاهدتهم لمحاسن الصفات فتجلى لكل وجه بمعنى حسن وجههم هذا فى القلوب من محاسن الايمان وفى الآخرة على معانى محاسن الوجوه فى العيان فحكم عليهم المشيئة منه اليهم بما وجدهم به منه على معانى ما أوجدهم منه به اليوم فسبحان من هذه قدرته من ارادته وسع كل شىء رحمة وعلما ويلزم كل عبد من المجاهدة على قدر ما ابتلى به من الهوى ويثبته من المحبة بقدر ما صح له من التوبة ويسقط عنه من المجاهدة بقدر ما يكشف له من المشاهدة فيحمل الاشهاد عنه آلام الجهاد فيكون العبد فى البلاء محمولا ويكون يقينه بالشهادة واليقين موصولا وهذا من سوابغ العوافى وتمام من النعماء وهؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وهم الذين جاء الخبر فيهم ان لله عبادا ضنائن من خلقه يغذوهم برحمته ويجعلهم فى ظل عافيته يضن بهم عن القتل والبلاء ويحييهم فى عافيته ويدخلهم الجنة فى عافية أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها فى عافية فالافضل بعد هذا لكل عبد معرفته بعلم حاله ووقوفه على حده ولزوم الصدق فى مقامه وترك التكلف والدعوى فى جميع سكونه وحركته فان هذا أبلغ فيما يريد وأوصل فى طلب ما يرجو فان علم العلماء لا يغنى منه من علمه بنفسه شيئا لا يسئل عن علومهم كما لا يسئلون من علمه وهذا طريق رأس ماله الصدق وزاده الصبر وقوته التقوى فمن عدم الصدق لم يربح ومن لم يتزود الصبر انقطع ومن لم يقتت التقوى هلك فذرة من صدق انفع من مثقال من عمل وذرة من صبر خير من مثقال من عمل وذرة من تقوى انفع من مثقال ايمان فان الظن لا يغنى من الحق شيأ ويعطى الله تعالى العبد باداء الفرائض واجتناب المحارم مقاما من مقامات اليقين يرفع به الى عليين وربما أعطاه جسما مثل ثواب الابدال بعد ان يريد بالفعل والترك وجه الله تعالى وحده وان لم يسلك به طريق الابدال قط ولم يعرف منهم أحدا أبدا ومن نقله مولاه باليقين الذى به تولاه لم يخف عليه التنقيل لان النقل يضطره الى التنقل فى الاحوال والمشاهدة تحكم عليه بالافعال وربما بلغ الله تعالى العبد بحسن الظن به وقوة الامل والطمع فيه جميع ما ذكرناه بعد ان يكون حسن اليقين وقد يعطيه مقام الصديقين بخلق من أخلاقه اذا تخلق به وربما بلغه منازل الشهداء بشىء واحد يتركه له أو شىء يؤثره به لانه غفور شكور وأضر شىء على العبد قلة معرفته به فلربما كان العبد على تسع كبائر فيترك العاشرة لوجه الله

تعالى

وذلك لما يتنقلون اليه من القربات ويرقون فيه من المقامات فيكون رجوعهم من الفضول الى أفضل منه توبة وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة والاسباب المسهلة للتوبة منها المعرفة بشدة الوعيد على الذنوب وحسن الوعد لمن تاب وأقلع ومنها معرفة تعاظم المخالفة وعظم قدر الآمر والناهى وهى تنقسم الى واجب ومندوب فالتوبة الواجبة تكون من المحرمات والتوبة المندوبة تكون من المكروهات وعن فعل ما تركه أولى أما ما يتاب منه فهو الافعال وهى تنقسم الى أفعال القلوب وأفعال الجوارح الظاهرة وكل واحد منها ينقسم الى واجب ومندوب فأما الواجب من أفعال القلوب فهى التوبة على العزم على فعل المحرمات أو ترك الواجبات أو العقد والتصميم على معتقد لا يليق بخالق البريات أو برسله عليهم السلام وأما أفعال الجوارح فكثيرة لا تحصر واعلم ان التوبة من ترك الواجبات وكذا التوبة من مظالم العباد وأخذ حقوقهم لابد فيها من الشروط السابقة من الخروج عن تلك الحقوق فاستحقها فلا بد من قضاء الصلاة المتروكة وقضاء الصوم المتروك والا فلا تصح التوبة وكذلك

تعالى فتكون تلك اللحظة ذرة الى جنب تسعة أجبل فينظر الله تعالى اليه بوجه لوجهه الذي تركه لله تعالى فتصير تلك النظرة الجبال التسعة فتصير هباء منثورا وربما حسن الله تعالى وصفا واحدا من العبد بصفه به فيحبط عنه ما تقدم من قبيح بصفة الناس به فتدبروا فلا ييأس عبد من فضل مولاه ولا يقطعن من حبله رجاءه بعد الذي عرفه فان السيد كريم رحيم ولا ينقطعن عبد من بابه وان قطع عقلا ولا يبعدن عن فنائه وان بعد باؤ ساله ولا يستوحش من التقرب اليه بما يحب بعدما توحش وتقحش اليه بما يكره فهكذا يحب الله تعالى من عباده فتبينوا ونحو هذا يحب الله تعالى منهم ان يعرفوا فيفعلوا بعد المعرفة فان المعروف مشرط الكرم واسع الرحمة فاضل الفضل فان أعطى المعرفة لم يمنع شيأ ولا يضر ما منع وان منع المعرفة لم ينفعه شيأ ولم ينفعه منه ما أعطى وقد تلتبس المحاب فتدخل محبة النعم في محبة المنعم وتدخل محبة النفس على محبة الخالق ويشتبه ذلك عند عموم المحبين ممن لم يكشف له عين اليقين فيكون العبد محبا للنعم وهو يظن بوهمه انه محب للمنعم ويكون محبا للنفس ويحسب انه محب لمولاه وعلامة ذلك سكونه الى الاشياء وفرحه بالموجودات ويجد راحته ولذته في هواه فربما اختار الله تعالى ان يكشف له حاله قبل موته وربما ستر عليه حاله ولم يفضحه حتى يلقاه فيثيبه ثواب مثله وجزاءه وليس يظهر فرقان هذا الا في قلب موقن مراد بنور ثاقب وعلم نافذ ويقين صاف من عين التوحيد وشاهد القيومية لانه من باب مشاهدة الصفات الغيبية ومشاهدة الافعال الملكوتية وهو الفرقان الذي وعده الله تعالى المتقين من المؤمنين فقال يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا تفرقون به بين الشبهات وهو المخرج الذي ضمنه الله تعالى لاهل التقوى والمنهج في قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل من كل أمر ضاق على الناس به فتفصيل معاني التوحيد من شواهد الناظرين أضيق الضيق وشهادة الجمع في التفرقة والبقاء في الفناء أخفى الخفي وشرح غريب عن الاسماع ينكر كثيرا كثير من سمعه غير أن من له نصيب منه يشهد ما رمزناه فيكشف له ما غطيناه الا انه استولى على القلب أحد وجهين فالخصوص أحبوه من طريق مشاهدة الصفات فحب هؤلاء بقلب وجد لا يتغير أبدا وهم مثبتون فيه الى لقاء الحبيب وهؤلاء عبدوه على التعظيم والمحبة والاجلال والكبرياء وفي هؤلاء المقربون والمحبوبون والخائفون والعاملون والمتوكلون والراضون وهو المقام الاعلى وهم الاعلون عنده في المنتهى والعموم احبوه من طريق مواجيد الافعال وهي النعم والاحسان والايادي والافضال وعما ظهر من العوافي ومما أخبر عنه بما سر وهم الذين خدموه شهوة وعادة وحاجة احبوه المنافعه ومرافقه ولاجل ما في يده من ملكه وحب هؤلاء يتغير لانقلاب الاحكام وهؤلاء لم يتحققوا بالاخلاص ولا الزهد وقد بقي عليهم من نفوسهم هوى حجبهم ذلك عن مشاهدة الصفة وبعدهم عن مضاهاته وهذه هي أوصافهم عائدة لهم وعليهم فحب هؤلاء متحول متقلب لان الافعال التي احبوه لاجلها تحول فيحولون وتختلف عليهم بالمكاره والمراثر فيختلفون وفي هؤلاء المريدون والعاملون والراجون والطامعون والتائبون وأصحاب اليمين من هؤلاء وقد قال بعض العارفين كل محبة كانت عن عوض اذا زال العوض زالت المحبة فثم من عرف حاله في مقامه فاعترف بنقصان محبته وتقصير شهادته واستغفر منها وأناب ومنهم من ابس عليه ذلك لنقصان مزيده وضعف يقينه فكانت محبته عن معاملته بذاته ويخاف على مثل هذا الانقلاب عند كشف الغطاء لانه في اغترار وفتنة والتباس ومحنة وفي طريق مكر وهلكة الا ان تداركه رحمة من ربه فيوقفه حده في مقامه ويرده الى حاله من مكانه فيتوب من محبته ويستغفر من شهادته فيدخل برحمة الله تعالى فيدخله في أهل العفو ويستر عليه في الآخرة كما ستر عليه في الدنيا فاقبته تحت الستر في الدارين وهذه من مخاوف الصادقين من المحبين لانها محبة الطهارة لا طهور وصاحبها في تقلب وغرور والابرار أهل محبة الاعمال ينقسمون قسمين منهم من أحبه لاجل افعاله الا ان يشهدها منه فيراها فهو يذكرها ويتعمل في المجاهدة ويجتهد في تنقية معاملته لبقاء حاله فهذا اعلاهما وهذه محبة عموم أهل الآخرة الذين لا يشهدون سواها ولا

(فصل) بعد التوبة يأخذ السالك في العبادة ويلزم العبودية والعبودية هي القيام بحقوق الطاعات كلها قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعلى سالك طريق الله تعالى الثبات والصبر في سلوك هذه الطريق فمن لم يصبر لم يظفر ولم يؤت السالكون من قلة العمل وانما أوتوا من قلة الصبر قال بعض السادة ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا وقد عز في زماننا هذا القائمون بالعبودية والباذلون حقوق الربوبية قال بعضهم عبيد النعم كثيرون وعبيد المنعم عزيزون ويحكى ان بعض الزهاد رأى رجلا أعجميا فقال له ما حرفتك فقال الرجل خربنده ومعناه بالعربية خادم الحمار فقال له ذلك الزاهد أمات الله حمارك لتكون خادما لله تعالى لا خادما للحمار ولا تحقق العبودية الا بالعبادة والعبادة زينة العبد وكرامته فمن تركها فقد تعطل من زينته والكمال ولا تتم العبودية الا بالعبادة على وجه الاخلاص منه


تعالى لا يتوب ما شائبه ولهذا لما قدم الاعرابي من البادية ليتوب فقال أتوب الى الله لا الى محمد

يطلبون الا اياها ومنهم من تتغير عليه الافعال وتخرجه من الاعتياد ويتابع عليه البلاء ويتنقصه من العوالي في المال والنفس فيخرج صفته ويظهر منه تسخط وتبرم به فهذا قد انفسخ بدعوى المحبة وقد كشفه بعد ستره فلم يزن في المحبين حبة ومنه محبة أهل الدنيا الذين هم لها يكدحون واياها يطلبون وقد سئل الجنيد رحمه الله تعالى عن المحبة فقال الناس في محبة الله خاص وعام فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان أرضوه الا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظيم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها ولو زال عنهم جميع النعم ومن الناس من يكون محبا للهوى أو للعدو وهو ابليس وهو يدعي لعظيم جهله وطول غرته المحبة لله تعالى قال بعض علمائنا عن أبي محمد في قوله لكل احد يا دوست قال وقلته قد لا يكون حبيبا كما تقول فقال في اذني سرا لا تغلوا انما يكون مؤمنا أو منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس ومن محبة الهوى ايثار عاجل حظ النفس على آجل ما وعدت به ويقدم محبتها على محبة الله عز وجل وهي مطبوعة على محبة الهوى وكراهة الحق امارة بالسوء فهي تسر كذابة فيما تظهر من الخير قال الله سبحانه وتعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم فقرن محبتها بالشر وقرن كراهتها بالخير والعرب تسمي النفس كذبة أي التي يكثر منها الكذب يصفونها بالمبالغة فيه على معنى قوله ويل لكل همزة لمزة أي الذي يكثر همز الناس ولمزهم وكذلك وصفها الله تعالى بالمبالغة بالامر بالسوء فقال امارة بالسوء أي فعاله التي يكثر منها الامر ويتكرر مرة بعد مرة من وصفها الفعل ومن محبة العدو طاعته وموافقته لان فيها كراهة الله تعالى ومخالفته وهو مجبول على ضد ما يحب الله تعالى وانه تعالى يحب ضد ما جبله عليه وذلك ابتلاء من الله تعالى له وابتلاء منه به لنا واعلم ان قليل ما أعطاك الله عز وجل من الايمان به ومعرفة التوحيد له ويسير ما قسم الله تعالى لك من الاخلاص والصدق وحسن المعاملة خير لك وانفع من كثير ما اظهر لك وعرفك وانما لك مما رأيته ما طلبته ونلته بيدك وما ملكته وما اطلعت عليه من منازلتك فاما ما لم تطلبه ولم تنله فهو لغيرك لانك قد ترى السماء ولا تنالها فهي أرض لمن حضرته وترى ما جعل لغيرك فلا ينفعك ولا يغني عنك وهو نافع مغن لمن سلط عليه فملكه ومن الناس من يتوهم ان الاطلاع هبة له وانما هو ما رآه وعرفه ملكه وحازه وتحقق به واعلم ان ألف خاطر لا يجيء منها حال وألف حال يكون منها مقام والمقام انما هو ما ثبت ودام فمثل الخواطر في مرها كالسحاب في سيرها وقيل في المثل سحابة صيف عن قليل تقشع ومثل الاحوال في حلولها كمثل الازمنة في أحوالها في كل سنة أربعة شتاء وصيف وربيع وخريف وانما الهبة من الله تعالى ما وقر في القلوب من المشاهدات وما حققته الاعمال من المنازلات فيورث ذلك علما خاصيا أو خلقا مرضيا أو حالا سنيا أو وصفا زكيا من أخلاق الصالحين وسيما المتقين وعلوم العارفين وملاحظات المقربين ولا يصلح الكلام بهذا العلم الا لمن له مشاهدة منه ان كان من علوم القدرة والتوحيد أو منازلة لمن كان له من مواريث الاعمال وعن تنقل الاحوال وعن زهد في الدنيا وسعي في طلب الاخرى ان كان من علم الوعظ والندب الى الفضل وذلك كله بعد التوبة وصحة حال الاستقامة وعن كمال علم السنة والجماعة بعد معرفة بعلم الاصول والسنن من آثار الرسول والا كان متكلفا في الدعوى داخلا الا ان يحكي شيأ سمعه فيكون به لقائله عما كان يضيف مقاله الى صاحبه فيكون عنه راويا فاما التحلي وهو اللبس الظاهر والتصنع المتحلي بالاشارة الفارغة فهو من حلية الدنيا وزينة الهوى وكذلك التمني وهو ما يظنه العقل أو توهمته النفس وتدبره الوهم أو من وسوسة العدو الخناس لعنه الله تعالى فليس هذا كله من الايمان ولا من علم اليقين في شيء بل هو من همزات الشياطين وخطراتهم وقربهم وحضرهم لان هذا داء القلوب من أدواء الذنوب

النبي صلى الله عليه وسلم ورفعه الحق لاهلها واعلم ان المريد يبتدئ بالعلم بامور منها اليقظة وهي النهوض من ورطة الفترة وقد تقدم الكلام عليها وقد قيل اليقظة أول نور يدخل القلب بعد نور الايمان والعزم اذا قام العبد لله بالمبادرة الى حفظ حدود الشريعة والتزم أوامر الله والانقطاع عن نواهيه فقد قام لله تعالى وتيقظ من نوم الغفلة ومنها الفرار المستفاد من قوله تعالى ففروا الى الله والفرار على أقسام فرار أهل المبادي وهؤلاء فروا الى الايمان بالله وبتوحيده وافراده بالربوبية وخلع الاضداد والانداد والشركاء وتصديق أنبيائه ورسله وهؤلاء فروا من الكفر الى الايمان والقسم الثاني فرار الصالحين فروا من الجهل الى العلم ومن المعصية الى الطاعة ومن الكسل الى الاجتهاد رجاء الفوز عند الله والقسم الثالث فرار المقربين وهو فرار القلب عن كل ما سوى الله تعالى الا اليه ومنها التفكر والتذكر وقد قدمنا الكلام عليهما ومنها الاعتصام قال الله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ويشار بالاعتصام الى المحافظة على طاعة الله تعالى والوقوف عند أوامره وزواجره فلا يرى غيره أصلا ولا يلتفت الى ما سواه حتى يستوي عنده الاسد والسنور والاباعد ذلك الامر في النبي صلى الله عليه وسلم وهو في شجر العضاه ليقيل تحتها فسل السيف وأتاه وقال من يمنعني منك يا محمد قال

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم الطب فقتل فهو ضامن فالمتكلم للناس بغير علم يكون قاتلا والاظهار الذي يقع به الافتراء أكثر من ان يحصى والظهور الذي يحق به الحقيقة أعز من ان يرى والله تعالى يظهر من خزانة ملكه ما شاء على الالسنة والجوارح فهي من خزائن الارض فيها من التدبير والحكمة كما في ممالك الارض وعلوم هذه الخزائن هي العلوم الظاهرة وهي حجج الله تعالى في أرضه على عباده ويظهر من خزائن ملكوته ما يحب وهي القلوب والبصائر والكنوز والسرائر فهذه خزائن الملكوت وهي من خزائن السماء وفيها من القدر والآيات كما في السموات وعلوم هذه الخزائن من علم اليقين وهو العلم الباطن النافع يخص به من يحبهم أولياؤه المقربون ان الحكم الا لله ولا يشرك في حكمه أحدا يختص برحمته من يشاء ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهذا آخر شرح مقام المحبة وهو آخر شرح مقامات اليقين التسعة

*(الفصل الثالث والثلاثون فيه ذكر دعائم الاسلام الخمس التي بني عليها)* أول ذلك فرض شهادة التوحيد للمؤمنين ووصف فضائلها وهي شهادة المقربين وشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وفضلها الموقنين قال الله تعالى وصدقت أنبياؤه لرسوله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا هو واستغفر لذنبك وقال لعباده باسمهم بمثل ذلك فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو ففرض التوحيد هو اعتقاد القلب ان الله تعالى واحد لا من عدد واول لا ثاني له موجود لا شك فيه وحاضر لا يغيب وعالم لا يجهل قادر لا يعجز حي لا يموت قيوم لا يغفل حليم لا يسفه سميع بصير ملك لا يزول ملكه قديم بغير وقت آخر بغير حد كائن لم يزل ولا تزال الكينونة صفته لم يحدثها لنفسه دائم أبد الابد لا نهاية لدوامه والديمومة صفته غير محدثها لنفسه لا بداية لكونه ولا أولية لقدمه ولا غاية لابديته آخر في أوليته أول في آخريته وان أسماءه وصفاته وأنواره غير مخلوقة ولا منفصلة عنه وانه امام كل شيء و وراء كل شيء وفوق كل شيء ومع كل شيء وأقرب الى كل شيء من نفس الشيء وانه مع ذلك غير محل للاشياء وان الاشياء ليست محلا له وانه على العرش استوى كيف شاء بلا تكييف ولا تشبيه وانه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وبكل شيء محيط الجو وجه والفضاء من وراءه والهواء وجهه والمكان من وراءه والطول وجهه والعدم من وراءه وهذه كلها حجب مخلوقات من وراء الارضين والسموات متصلات بالاجرام اللطاف ومنفصلات عن الاجسام الكثاف وهي أماكن لما شاء داخلة في قوله ومن كل شيء خلقنا زوجين داخلة في قوله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد وانه جل جلاله وعظم شأنه هو ذات منفرد بنفسه متوحد بأوصافه لا يمتزج ولا يزدوج الى الشيء بائن من جميع خلقه لا يحل الاجسام ولا تحله الاعراض ليس في ذاته سواه ولا في سواه من ذاته شيء ليس في الخلق الا الخلق ولا في الذات الا الخالق فتبارك الله أحسن الخالقين وانه تعالى ذو أسماء وصفات وقدرة وعظمة وكلام ومشيئة وأنوار كلها غير مخلوقة ولا محدثة بل لم يزل قائما موجودا بجميع أسمائه وصفاته وكلامه وأنواره وارادته وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له الخلق والامر والسلطان والقهر يحكم بأمره في خلقه ويحكم ما شاء كيف شاء لا معقب لحكمه ولا مشيئة لعبد دون مشيئته ان شاء شيئا كان ولا يكون الا ما شاء لا حول للعبد عن معصيته الا برحمته ولا قوة لعبد على طاعته الا بمحبته وهو واحد في جميع ذلك لا شريك له ولا معين في شيء من ذلك ولا يلزمه اثبات التوحيد لمشيئة البارئ في العفو ولا يجب عليه في الاحكام ما أجرى عليها ولا يعتبر بالافعال ولا يشار بالمقال حكيم عادل بحكمة وعدل هما صفتاه لا يشبه حكمته بحكمة خلقه ولا يقاس عدله بعدل عباده ولا يلزمه من اسم كما يلزمهم ولا يعود عليه من الاسماء المذمومة كما يعود عليهم قد جاوز العقول ربانية الاوهام ولا وهموا معقول هويته وصف نفسه وفوق ما وصفه خلقه تصفه بعض الرواية وصحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ليس كمثله شيء في كل شيء باثبات الاسماء والصفات ونفي التمثيل والادوات وانه سبحانه وتعالى لم يزل موجودا

الله ثم أطلعه اليه فقال الله فلعله ولا تخشيه لانه كان متقدما بالله لا يرى أحدا غير الله فمنها الانابات قال الله تعالى وبشر المخبتين ومنها التبتل قال الله تعالى وتبتل اليه تبتيلا والتبتل هو الانقطاع الى الله تعالى بالكلية وهو التجرد المحض المشار اليه بقوله تعالى له دعوة الحق فينقطع بقلبه الى الله تعالى عن جميع حظوظ نفسه فلو انقطع الى الله تعالى خوفا من العقاب أو رجاء الثواب كان تبتلا معلولا واعلم ان التوبة على ثلاثة أنواع حسب تنوع الخلق فالاول التوبة والثاني الانابة والثالث الاوبة فمن خاف من العقوبة فهو صاحب توبة ومن طمع في الثواب والدرجات فهو صاحب انابة ومن طلب مرضاة الله لا لرغبة في الثواب ولا رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة فالتوبة صفة المؤمنين والانابة صفة الاولياء والصديقين والمقربين قال الله تعالى من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب والاوبة صفة الانبياء والمرسلين قال الله تعالى نعم العبد انه أواب

*(فصل)* قال السادة الائمة العلماء بطريق الله تعالى التوبة تنقسم من ثلاثة مراتب الاول منها يوجب الثاني والثاني يوجب الثالث فالاول هو العلم بعظم الذنب وكونه حجابا بين العبد وبين الله تعالى فاذا عرف العبد عظم ذنبه وانه حجاب عن الله تعالى نزعه تألم القلب بسبب حجبه عن الله تعالى وهو الالم هو الندم والمته

بصفاته كما لم تزل له وان صفاته قائمة به لم تزل كذلك ولا تزال جلاله ابدية ولا نهاية ولا تكييف ولا تشبيه ولا تثنية بل بتوحيده هو متوحد به وتفريده هو متفرد به لا يجري عليه القياس ولا يمثل بالناس ولا ينعت بجنس ولا يلمس بحس ولا يجنس من شيء ولا يزدوج الى شيء وان ما سوى أسمائه وصفاته وأنواره وكلامه من الملك والملكوت محدث كله ومظهر كان بعد ان لم يكن ولم يكن قديما ولا أولا بل كان بأوقات محدثة وأزمان مؤقتة والله تعالى هو الازلي الذي لم يزل الابدي الذي لم يزل القيوم بقيوميته صفته الديموم بديموميته هي نعته أول بلا أول ولا من أول آخر لا الى آخر بكينونة هي حقيقته أحد صمد لم يلد بمعنى لم يولد ومعنى ذلك لم يتولد هو من شيء ولم يتولد منه شيء ومثل ذلك لم يخلق من ذاته شيء كما لم تخلق ذاته من شيء سبحانه وتعالى عما يقول الملحدون من ذلك علوا كبيرا • ذكر فرض شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبير المتعال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وقال عز وجل من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ففرض شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ان تشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء لا نبي بعده وكتابه خاتم الكتب لا كتاب بعده وهو مهيمن على كل كتاب ومصدق لما سلف من الكتب قبله وان شريعته ناسخة الشرائع قاضية عليها الا ما أقره كتابه ووافقه وكتابه شاهد على الكتب وحاكم عليها وانه هو الذي بشر به عيسى عليه السلام امته وهو الذي أخبر به موسى عليهما السلام أمته وهو المذكور في التوراة والانجيل وسائر كتب الله عز وجل المنزلة وهو الذي أخذ الله ميثاق النبيين أن يؤمنوا به وينصروه ولو أدركوه فاقروا بذلك وشهد الله تعالى على شهادتهم وهو الذي أخذت الانبياء شهادة الامم على الايمان به وأمرتهم بتصديقه وأخبرتهم بظهوره وان موسى وعيسى عليهما السلام لو أدركاه لزمهما الدخول في شريعته وان بقية بني اسرائيل من اليهود والنصارى كفرة بالله لجحودهم رسالته وان ايمانهم بكتابه مفترض عليهم مأمور به في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم وان طاعته ومحبته فريضة واجبة على الكافة كطاعة الله تعالى واتباع أمره واجتناب نهيه مفترضة على الامة ايجابا أوجبه الله تعالى له وقرنه افترضه على خلقه متصل بطاعته • ذكر فضائل شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين وقال صلى الله عليه وسلم لو أدركني موسى وعيسى ما وسعهما الا اتباعي وروينا في لفظ آخر ثم لم يؤمنا بي لاكبهما الله في النار وحدثونا في الاسرائيليات ان رجلا عصى الله تعالى مائتي سنة في كلها يتمرد ويجترئ على الله فلما مات أخذ بنو اسرائيل برجله وألقوه على مزبلة فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان غسله وكفنه وصل عليه في جميع بني اسرائيل ففعل ما أمر به فعجب بنو اسرائيل من ذلك وأخبروه انه لم يكن في بني اسرائيل أعتى على الله ولا أكثر معاصي منه فقال قد علمت ولكن الله تعالى أمرني بذلك قالوا فاسأل لنا ربك فسأل موسى عليه السلام ربه فقال يا رب قد علمت ما قالوا فأوحى الله تعالى اليه ان صدقوا وانه عصاني مائتي سنة الا انه يوما من الايام فتح التوراة فنظر الى اسم حبيبي محمد مكتوبا فقبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك فغفرت له ذنوب مائتي سنة وحدثنا في معناه عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مؤاخيا لابي لهب مصافيا له فلما مات وأخبر الله تعالى عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمني أمره فسألت الله تعالى حولا أن يريني اياه في المنام قال فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الليالي والايام فانه يرفع عني العذاب قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتني اميمة فبشرتني بولادة آمنة اياه ففرحت بولده فاعتقت وليدة لي فرحا مني به فاثابني الله تعالى بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين لذلك وقال الله تعالى في تحقيق المحبة يحبون من هاجر اليهم ثم قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ففي محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

الماضي بفعل الخير والقضاء ان كان قابلا للقضاء وهذه الامور الثلاثة من أجزاء التوبة وقد قدمنا الكلام عليها في هذا الباب فان قيل الندم هو تألم القلب وتألم القلب هو أمر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب قلنا نريد بالسبب السبب المؤدي وهو سبب العلم الذي هو النظر فانه مقدور هنا وهو الحق عند أهل البصائر واعلم ان مثارات الذنوب والمعاصي أربع صفات في الانسان صفة جبروتية وصفة بهيمية وصفة سبعية وصفة شيطانية فالصفة الجبروتية يتورم منها الكبر والعجب والفخر وحب الثناء والمدح والعز وطلب الاستعلاء على الناس وعن هذا يتشعب جملة من كبائر الذنوب والمعاصي وغفل الخلق عنها ولم يعدوها ذنوبا والصفة البهيمية يتورم منها الشره والكلب والحرص على قضاء الشهوة شهوة البطن والفرج والزنا واللواط والحرص على قضاء الشهوة لاجل الشهوات والصفة السبعية يتورم منها الغضب والحقد والتهجم على الناس بالشتم والقتل والضرب ونهب الاموال واستهلاكها والصفة الشيطانية يتورم منها الحسد والبغي والحيلة والخداع والمكر والغش والنفاق والامر بالفساد والدعوة الى البدع

ايثار سنته على الرأي والمعقول ونصرته بالمال والنفس والقول وعلامة محبته اتباعه ظاهرا و باطنا في اتباع ظاهره اداء الفرائض واجتناب المحارم والتخلق بأخلاقه والتأدب بشمائله وآدابه والاقتفاء لآثاره والتجسس عن اخباره والزهد في الدنيا والاعراض عن ابنائها ومجانبة أهل الغفلة والهوى والترك للتكاثر والتفاخر من الدنيا والاقبال على أعمال الآخرة والتقرب من أهلها والحب للفقراء والتحبب اليهم وتقريبهم وكثرة مجالستهم واعتقاد تفضيلهم على أبناء الدنيا ثم الحب في الله للبعيد المبغض وهم العلماء والعباد والزهاد والبغض في الله للقريب الحبيب وهم الظلمة المبتدعة والفسقة المعلنة ومن اتباع حاله في الباطن مقامات اليقين ومشاهدات علوم الايمان مثل الخوف والرضا والشكر والحياء والتسليم والتوكل والشوق والمحبة وافراغ القلب لله وافراد الهم بالله ووجود الطمأنينة بذكر الله فهذه معاملات الخصوص وبعض معاني باطن الرسول وهو من اتباعه ظاهرا او باطنا فمن تحقق بذلك فله من الآية نصيبه وفور أعني قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقد كان سهل يقول علامة المحبة لله اتباع الرسول وعلامة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الزهد في الدنيا وقال أيضا في تفسير قوله ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم قال يطع الله في فرائضه والرسول في الدخول في سنته فاذا اجتنب العبد البدع وتخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اتبعه وقد أحب الله تعالى وكان معه صلى الله عليه وسلم غدا في منزلته

بذكر فضائل شهادة التوحيد ووصف توحيد الموقنين قال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وقال سبحانه وتعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون فشهادة الموقن بيقينه ان الله تعالى هو الاول في كل شيء وأقرب من كل شيء وهو المعطي المانع الهادي المضل لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع الا الله كلا اله الا الله وقرب الله منه ونظره اليه وقدرته عليه واحاطته به فيسبق نظره وهمه الى الله عز وجل قبل كل شيء ويذكر في كل شيء ويعلو قلبه من كل شيء ويرجع اليه في كل شيء ويتأله اليه دون كل شيء ويعلم ان الله عز وجل أقرب الى القلب من وريده وأقرب الى الروح من حياته وأقرب الى البصر من نظره وأقرب الى اللسان من ريقه بقرب هو وصفه لا بتقريب ولا بتقرب وانه تعالى على العرش كذلك كما هو انه رفيع الدرجات من الثرى كما هو رفيع الدرجات من العرش وان قربه من الثرى ومن كل شيء كقربه من العرش وان العرش غير ملاصق له بحس ولا مفكر فيه بحس ولا ناظر اليه بعين ولا محيط به بدرك لانه تعالى محتجب بقدرته عن جميع بريته ولا نصيب للعرش منه الا كنصيب موقن عالم به واجد لما وجد منه من ان الله تعالى عليه وان العرش مطمئن به وان الله تعالى محيط بعرشه فوق كل شيء وفوق تحت كل شيء فهو فوق الفوق وفوق التحت ولا يوصف بتحت فيكون له فوق لانه هو العلي الاعلى أين كان لا يخلو من علمه وقدرته مكان ولا يحد بمكان ولا يفقد من مكان ولا يوجد بمكان فالتحت للاسفل والفوق للاعلى وهو سبحانه فوق كل فوق وفوق كل تحت في السمو وفوق ملائكة الثرى كما هو فوق ملائكة العرش والاماكن للممكنات ومكانه مشيئته ووجوده قدرته والعرش والثرى وما بينهما وحد للخلق الاسفل والاعلى بمنزلة خردلة في قبضته وهو أعلى من ذلك ومحيط بجميع ذلك محيطة هي صفته ومعنى قدرته وعلاه وعظمته بما لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم ولا نهاية لعلوه ولا فوق لسموه ولا بعد في دنوه ولا حس في وجوده ولا مس في شهوده ولا ادراك لحضوره ولا حيطة لحيطته وقد قال الله تعالى للكل يخافون ربهم من فوقهم وقال سبحانه سبح اسم ربك الاعلى وقال عز وجل الا انه بكل شيء محيط وان الله تعالى لا يحجبه شيء عن شيء ولا يبعد عليه شيء قرب من كل شيء بوصفه وهو القدرة والدرك والاشياء مبعدة بأوصافها وهو البعد والحجب فالبعد والابعاد حكم مشيئته والحدود والاقطار بحسب رتبة المسافة والتلقاء مكانه لسواه والنواحي والجهات وضع المحدثات والنهار والليل مسكن للمصرفات والبعد والفضاء مكان للمخلوقين والتوسعة والهواء محل للطالب والاحكام والاقدار واقعة على خلقه وهو سبحانه وتعالى قد جاوز المقدار والاحكام وفات العقول والاوهام وسبق الادرار واحتجب بعزه عن الافكار



والضلال وهذه الصفات هي جنود الشيطان وهي تحارب العقل الذي هو من جند الله تعالى والقتال والتطارد بينهما قائم في ساحة القلب والحرب بينهما سجال والله يؤيد بنصره من يشاء

(فصل) فيما يجب على التائب من الوظائف اعلم ان التوبة هي مبدأ طريق السير الى الله تعالى والسفر اليه فيجب على من أخذ في هذا السير بعد التوبة الاستقامة في طريق هذا السفر وذلك بالمحافظة على الطاعة واجتناب المعصية ويجب عليه تعلم الاحكام من علم الشريعة ويجب عليه محاسبة نفسه على الاعمال فينظر في جميع أعماله المتعلقة بالقلب والجوارح الظاهرة ويعتبرهما عملا عملا فما كان منها على وفق الشرع حمد الله تعالى عليه فانه من أكمل نعم الله وما كان منها مخالفا تداركه بالتوبة والاستغفار وكذلك كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فان اخر التوبة اثم بتأخيرها عن كل وقت يمكنه ايقاعها فيه ومن لم يبادر الى التوبة وشغله التسويف والامل فيوشك ان يعاجله الموت ويفاجئه ويلقى الله تعالى بذنوبه وجرمه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله تعالى من الهدى والعلم كمثل رجل أتى قومه فقال اني رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه من أطاعه من قومه وادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثلي ومثل من

لا يصوره الفكر ولا يملكه الوهم محتجب عن العقول تشهد ذاته ولم تحكم العقول بدرك صفاته اذ ليس كمثله شيء فيعرف بالتمثيل ولا له جنس فيقاس على التجنيس وهو الله في السموات وفي الارض ثم استوى على العرش وهو معكم أينما كنتم غير متصل بالخلق ولا مفارق وغير مماس للكون ولا متباعد بل متفرد بنفسه متفرد بوصفه لا يزدوج الى شيء ولا يقترن به شيء هو قريب من كل شيء بقربه هو وعلمه وهو محيط بكل شيء بحيطة هي نعته وهو مع كل شيء وفوق كل شيء هو امام كل شيء ووراء كل شيء بعلوه ودنوه وهو قربه فهو وراء الحول الذي هو وراء حملة العرش وهو أقرب من حبل الوريد الذي هو الروح وهو مع ذلك فوق كل شيء ومحيط بكل شيء وليس محيطا به شيء وليس هو تعالى في كل هذا امكانا للشيء ولا مكانا له شيء وليس كمثله في كل هذا شيء لا شريك له في الملك ولا معين له في خلقه ولا نظير له من عباده ولا شبيه له في اتحاده هو أول في آخريته بأوليته هي صفته وآخر في أوليته بآخريته هي نعته وباطن في ظهوره بباطنيته في قربه وظاهر في باطنيته بظهور هو علوه لم يزل كذلك أزلا ولا يزال كذلك أبدا لا يتوجه عليه التضاد ولا تجري عليه الحوادث والآباد ولا ينتقص ولا يزداد وهو على عرشه باختياره لنفسه فالعرش حد خلقه الاعلى وهو غير محدود بعرشه تعالى والعرش محتاج الى مكان والرب غير محتاج اليه كما كان الرحمن على العرش استوى الرحمن اسمه والاستواء نعته متصل بذاته والعرش خلقه منفصل عن صفاته ليس بمضطر الى مكان يسعه ولا حامل يحمله ولا حيطة تجمعه ولا خلق يوجده هو حامل العرش وحملته بخفي لطفه وجامع العرش والمقلة بلطيف صنعه وموجدها أحب لمن يحب من التجلي بمعاني أسمائه وصفاته بخفي لطفه ولطيف قربه لاختصاص رحمته وهو أظهر الكون من وراء الحول وهو ممكن العرش ببسطه في توسعة الحول وهو محيط بالعرش والحول بالقدرة والطول لا يسعه غير مشيئته ولا يظهر الا في أنوار صفته ولا يوجد الا في سعة البسطة فاذا قبض أخفى ما أبدى واذا بسط أعاد ما أخفى وكذلك يجعله في كل رسم كون وفعله بكل اسم مكان مما تجلى فظهر وعادى فاستتر لا يسعه غير مشيئته بقربه ولا يعرف الا بشهوده ولا يرى الا بنوره هذا لأوليائه اليوم بالغيب في القلوب ولهم ذلك غدا في المشاهدة بالابصار ولا يعرف الا بمشيئته ان شاء وسعه أدنى شيء وان شاء لم يسعه كل شيء ان أراد عرفه كل شيء وان لم يرد لم يعرفه كل شيء ان أحب وجده عند كل شيء وان لم يحب لم يوجد بشيء وقد جاوز الحدود والمعيار وسبق القبل والاقدار ذو صفات لا تحصى ولا تتناهى ليس محبوسا في صورة ولا موقوفا بصفة ولا يحكم ما عليه يحكم ولا موجودا بالعلم لا يتجلى بوصف مرتين ولا يظهر في صورة لاثنين ولا يرد منه بمعنى واحد كلمتان بل لكل تجل منه صورة ولكل عبد عند ظهوره له صفة وعن كل نظرة كلام وبكل كلمة افهام ولا نهاية لتجليه ولا غاية لأوصافه ولا نفاد لكلمه ولا انقطاع لافهامه ولا تكييف لمعانيه هذا اذ ليس في التوحيد كيف ولا للقدرة ماهية ولا يشبهه من الاوصاف خلق اذ ليس كذاته ذات كفؤا اذا احتجب عن العيان والابصار رفع ذاته عن القلوب والافكار فلم يتخيله عقل ولم يصوره فكر اذ لا يملكه الوهم فيكون مربوبا مقهورا ولا ينظر اليه بفكر فيكون مقهورا وهو قاهر لا يعقل بعقل لانه خالق العقل ولا يدرك بحيطة وهو محيط بكل حيطة حتى يتجلى آخرا باحسانه كما تجلى أولا بامتنانه فيشهد بعطفه وينظر بنوره وليس هذا سواه ولا يعرف بهذا الا اياه وهذا منه لأوليائه اليوم بأنوار اليقين في القلوب وهو لهم منه غدا بمعاينة الابصار في دار الحبيب أبد الابد في الجنان يتجلى لهم بعظائم القدرة ولطائف الحنان ويكلمهم بما لا غاية له من لذيذ المعاني يتجلى بصفات الجلال ويظهر بمعاني الحسن والجمال ويبدو بلبس البهاء والكمال يجمع لهم ما وله معنى من معانيه بما يوجدهم به من النعيم والسرور والفضل والحبور بكل نظرة أو كلمة أو قرب أو ايناس أو عطف أو وصال أو احسان جميع ما فرقه من نعيم الجنان وينظر اذا أحب الى ما يحب اختيارا لانه يحيم الاشياء عليه في نظره اجبارا ويعرض عما شاء اختيارا لا تعترض المتناورات في نظره اضطرارا يعرض في نظره الكبرياء عزه وينظر في اعراضه لطائف عطفه الملك في قبضته والخزائن في كلمته والكرسي في مشيئته والملكوت كله بيده والجبروت

الملهوف واتبع ما جنت بهن الحق قال أهل البصائر من تمادى به المطل في تأخير التوبة من وقت الى وقت تخشى عليه أن يموت من غير توبة ومن لم يخش من سيئة وما تاب فبعيد عليه أن يتوب وكثير من المخذولين المغرورين يتمادى بالمعصية ويقول أنا أطلب من الله التوبة وأتمنى على الله أن يتوب علي وهذا المسكين يكره التوبة ويتمنى على الله تعالى الاماني

*(فصل)* وكان الامر بالتوبة واردا على أرباب المعاصي الظاهرة كالزنا والسرقة والقتل وشرب المسكر والكذب والغيبة والنميمة وظلم الناس الى غير ذلك من المعاصي بالجوارح الظاهرة فهو وارد أيضا على أصحاب المعاصي الباطنة وهم الذين رفضوا وتركوا المعاصي الظاهرة كلها وطهروا جوارحهم منها وعملوا بالصالحات من الصوم والصلاة وقراءة القرآن والزكاة والحج والجهاد والعتق وعيادة المرضى وتشييع الجنائز وانكار المنكر ونصر المظلوم وغيره من أعمال البر الظاهرة لكنهم ما وصلوا الى عبادة القلوب وهي عمل القلب بما يحصل ويحرم من أعمالهم ولم يقبلوا على اصلاح أنفسهم ولم ينقوها من عيوبها الباطنة ولا حلوها بالصفات المحمودة التي بها سعادتها وروحها وراحتها وربحها فاذا جاءتهم نائبة أو حدثت بهم أمر من أمور الدنيا ظهر منهما كان كامنا في قلبه من العيوب والمعاصي التي لم ينق قلبه منها فتراه كله من الجهال الغافلين الذين لم يدينوا الله تعالى ولا عرجوا منهاج دينه ولا مكارم

و لعظمة

شر بشهات نباعث نائبة الغضب تظهر منه أمور لا تظهر الا من الفساد من الظلم والقبر والاعتداء بالضرب والشتم والمن

والعظمة سبحانه صفاته وجود الاشياء لا يضطره الى النظر اليها ان أراد الاعراض عنها لانه مقتدر قهار وعدمها لا يضطره الى ان يراها السبق علمه بها لانه امام علمه ذي الاختيار ولانه هو الجبار اذا الموجود والمعدوم يضطر غيره الى النظر لضعفه عن الامتناع والعدم يضطر سواه الى الفقد لعجزه عن الاختراع وهو تعالى مباين لسواه بعزه غير مماثل لغيره بقهره ولان المعدوم كالمحجوب وهو تعالى يرى المحجوب من الذرة من تحت الثرى من وراء السموات والارضين ولا يحجبن نظره الاقطار والبعد ولا يمنعن قربه منها ولا يعجزن قدرته عليها ولا يجاوزن دون حيطته بها اذ الحجب واقعة على الخلق غير متصلة بالخالق وبواطن الاشياء وغوامضها منكشفة للخالق وهو أيضا يشهد المآل والاواخر الى نهاية ثم لا انتهاء الى أبد الابد كما يشهد ذلك اليوم أعني من غد وبعد غد وما وراءه الى يوم القيامة وما فيها وهذا كله عدم لم يخلقه بعد لان علمه بذلك شهادته لانه ليس بينه وبين علمه حجاب فهو يشهد الكون من أوله الى آخره من حيث علمه بعلمه ووصفه ومشاهدته هي نعته ولان كلامه بذلك خبر بانه قد كان دليلا على شهوده المآب لانه شهيد عالم كما علم ما به تكلم فلم يتفاوت كلامه وعلمه ولم يختلف علمه وشهادته ومع ذلك كله فالامر موجود في الاوليته ولا المشاهدة سواء ولا شريك له في القدم ولا يقدم شاهد الا اياه قوته كقدرته وقدرته دوام بقائه ونظره سعة علمه وعلمه مدى نظره يدرك الاشياء كلها على اختلاف أوصافها بصفة من صفاته ثم يدرك بجميع أوصافه ما أدركه بهذه الصفة فصح بذلك انه ناظر وعالم وتكلم لا يدخل الترتيب في صفاته أعني بقبل وبعد ولا بوصف وقت وحد ولا يشبه بالتعقيب بقوته واحكامه أعني بثم ولم واذا وحتى ولزم على ذلك انه يعلم بنظره و ينظر بعلمه فصارت الاوائل والاواخر لديه كشيء واحد وكانت صفاته كلها آحادا كاملات تامات غير معدودة المعدودات ولا مؤقتة مرتبة المرتبات المؤقتات اذ لم يكن لها محدثات لانها قديمة بقدمه وكائنة موجودة بكونه ووجوده اذ الترتيب في الله ونحن من وصف الخلق والادوات لكونها محدثة مظهرات بعدد وترتيب وأوقات والله تعالى ليس كمثله شيء في كل الصفات فصفاته قديمة بقدمه وكائنة موجودة بكائنته ووجوده والافعال محدثة مظهرات بعدد وترتيب وأوقات وترتيب فالامر موجود في الاوليته ولا المشاهدة سواء ولا شريك له في القدم ولا قيوم له في الابد والازل سواء قبل وجود الوقت والحدثان ليست صفاته ذوات جهات فيتوجه الى جهته فيدرك بصفة دون صفة ولا ذاته ذو ذات فيقبل على مكان دون مكان فيضطره الترتيب للمخلوقات ولا يدبر الامور بافتكار فيشغله شان عن شان ولا يدخل عليه الاعتراض فيتغير عما كان ولا يلحق بالة فيستعين بسواه ولا بعجزه قدرة فيحتاج الى مباشرة بيده يخلق بيده اذا شاء وعن كلمته ان شاء وبارادته متى شاء وبمعاني صفاته كيف شاء لا يضطره التكوين الى الكلام وكلامه اليه كيف شاء كان خزائنه في كلامه وقدرته في مشيئته اذا تكلم أظهر وان شاء قدر ومتى أحب ظهر وباي قدرة شاء استتر وهو مع قربه في قربه وقريب في علوه حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالفعال كشف العلم بالارادة وأظهر الارادة بالحركات وأخفى الصنع بالصنعة وأظهر الصنعة بالادوات هو باطن في غيبه وظاهر بحكمه وقدرته غيب في حكمته وحكمته شهادة ظاهرة بمحكوماته وهي مجاري قدرته وصنعه سر في صنعته وهو علانية مشيئته ليس كمثله شيء في كل صفة ولا كقوله في ماهيته وقدر وبلغنا عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه من جملة بالغة في وصف التوحيد انه قال في خطبته الحمد لله الذي لم يجعل السبيل الى معرفته الا بالعجز عن درك معرفته وروينا عن أحمد بن أبي الحواري عن بعض علماء أهل المعرفة من أهل الشام انه قال رأى عز وجل خلقه قبل ان يخلقهم كما رآهم بعد ما خلقهم وروي عن أبي سليمان الداراني انه قال أدخلهم الجنان قبل ان يطيعوه وأدخلهم النار قبل ان يعصوه وقال أيضا ان الله عز وجل أعز من ان يغضبه أعمال خلقه لكنه نظر الى قوم بعين الغضب قبل ان يخلقهم فلما أظهرهم استعملهم باعمال أهل الغضب فاسكنهم دار الغضب وهو أكبر من ان يرضيه أعمال خلقه ولكنه نظر الى قوم بعين الرضا قبل ان يخلقهم

واذا جاءت نائبة الذل كاد أن يشرك بالله تعالى ويخلع عن دينه هو نامن الذل واقامة جاهه واذا جاءت نائبة الطمع فهو يسعى في رضا المخلوقين و يسخط الخالق جل وعلا واذا وعظ في ذلك قال أنا أفعل ذلك مداراة وكذب أو غلط في ذلك فان هذا مداهنة لا مداراة لان المداراة تكون عن الدين واما لتحصيل الدنيا وحفظ الجاه بذهاب الدين فهي المداهنة ولو كان صادقا لكفاه الله تعالى واذا جاءت نوبة الرزق كانه لم يسمع بوعد الله تعالى قط بالرزق ولم يثق بضمانه وكفالته فتراه معتمدا عليه زوالتعطا أعمى عن سبيل الله تعالى واذا جاءت نائبة الرياسة فخاطبه الانسان بغير ما يريد من التعظيم أو قصر في تعظيمه مقت نفسه وغضبت وورد ذلك في قلبه البغض له والاحقاد عليه واذا جاءت نوبة الكلام في العلم فناظره من هو دونه في العلم أو نظيره وألزمه الحق تراه يظهر على وجهه من الغيظ والغضب ويكمن في قلبه من الحقد والعداوة والبغض و يصدر من لسانه من التنقيص والاستهزاء والسفه ما يقضي منه العجب ومع هذه الاحوال التي تبدو منه راض بها منشرح لها لا يلوم نفسه عليها ولا يؤاخذ قلبه بتركها ولا ينقصه لا زالتها مع فهذا كر المعاد ونسيان ماء وقادم عليه فهو عبد لنفسه صاحب عادة وهوى

فلما أظهرهم استعملهم بأعمال أهل الرضا فأسكنهم دار الرضا وقد روينا عن ابن عباس في قوله عز وجل هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا يعني كان في علم الله انه يكونه وكانه علق قوله لم يكن بقوله مذكورا والله تعالى يخبر بما يكون في الدنيا وبما يكون في القيامة وبما بعدها بلفظ أنه قد كان لاستواء ذلك في علمه آخرا كأول اذ لا ترتيب في العلم ولا حد ولا مسافة ولا بعد في القدرة وقد قال الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا أعنده علم الغيب فهو يرى فنقصه بذلك رؤيته وقال تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين أي ويرى تقلبك وبه انتصب التقلب بالعطف على القيام وجاء في التفسير تقلبك في الاصلاب الزاكية والارحام الطاهرة لم يتفق لك أبوان على سفاح قط كذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في أصلاب الانبياء يقلبك بالتنقيل في صلب نبي بعد نبي حتى أخرجك من ذرية ورثة اسمعيل وقد روينا معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى في سمع الاصوات قبل الاشباح ونطقها قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها فأخبر انه سمع الاصوات في القدم في علمه قبل خلق المصوتين في الحدث فكيف لا يرى الكون من آخره في القدم بعلمه قبل ظهوره وهم له متصورون بفعله وقد قال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم والخلق والتصوير كانا بعد السجود لآدم فأخبر عنه أولا لشهوده واستوائه في علمه اذ لا بد من كونه فأشبه قوله تعالى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش والعرش قبل السموات والارض والاستواء صفته لم تزل به ثم أخبر عنه انه آخر الترتيب فالله سبحانه وتعالى عالم بالكون قبل الكون وناظر الى علمه لا حجاب بينه وبين معلومه وسامع لما شهده ومتكلم بما علم فقد سبق النظر والسمع والكلام الكون كله من حيث سبق العلم والقدرة والمشيئة فهو ناظر سامع متكلم بنفسه من حيث كان عالما مقتدرا مريدا بنفسه ثم أظهر الخالق ما بعد علم في وقت بعد وقت جاريا على نظره وسمعه وكلامه كما كان في علمه وقدرته ومشيئته بغير زيادة فيه ولا نقصان نحو له ألا ترى انه بقدرته وعلمه يرى يوم القيامة وما فيها والآخرة وما يكون منها على حقيقة ما أخبر عنه لا يغيبه عدم الكون ولا يحجبه بعد التأخير كذلك كان يشهد ما قد كان اليوم في قدمه بعلمه وبقدرته عليه وحيطته به لا يغيبه عدم كونه ولا يحجبه فقد ظهوره ولا يجوز أن يدرك سبحانه وتعالى اليوم ما لم يكن أدركه في القدم كما لا يجوز أن يستفيد الآن علم ما لم يكن علمه فيما لم يزل فيكون متكلما بما لم يشهد وهو معلوم مستأنف في علمه أو يكون مستترا بدا له أظهر حين ظهر وهو في قبضته وغيبه جل عن ذلك وصفه وعلا عن هذا جلاله وعز لان نظره سعة علمه وعلمه حيطة نظره فهو ناظر الى ما علمه وصفه لا يختلف عليه أوصافه الكون موجوده بعلمه لسبق علمه به ولا بيان له في علمه ولا أثر له في وصفه ولا وجود للكون في وجود كينونته ولا قدم له في قدم أزليته ليس محلا للكون ولا هو حال فيه ولان أوليته سبقت الكون والمكان فليس لهما في قدمه مقدم كما انه تعالى يشهد الآن ما يكون من العاقبة والمآل الى آخر الاحوال لا يختلف الاواخر والاول في صفاته ولا تتفاوت صفاته على ترتيبها من نظر وعلم لانها معلوم علمه وموجود ارادته فهو سبحانه وتعالى واجد الاشياء به لا بها وناظر اليها في علمه لا بوجودها لاقتداره عليها واحاطة علمه بها والكون معدوم لنفسه اثلا شيء لانه سبحانه وتعالى خالق العدم كما هو خالق الوجود وليس العدم قديما معه قديم معه فيكون ثانيا معه ولا الكون كائن موجود بنفسه فيكون أولا مع أوليته جل الواحد المتفرد بنفسه عن ثان معه في الازل أو شريك له في القدم ثم ظهرت الاشياء لنفوسها فظهر بعضها للبعض باظهاره ووجدت بايجاده وظهر عليها باظهاره بعد وقت ولا أول لها ولا قبل بل هو الاول الذي لم يزل بلا أول والقديم الابد بلا وقت ولا أمد قائم بصفاته وصفاته موجودة له قائمة به فمن شهد ما فصلناه بنور اليقين لم يدخل عليه قدم العالم اذ لا قديم مع الله في كينونية أزله ومن لم يهتد لما بيناه ووقف مع العقل ودخلت عليه شبهة قدم العالم فالحذر رؤية قدم الحدثان أو جحد قدم



وسموم وصلاته والباطن خراب يقدم على ربه بهذه الذنوب الباطنة فيرى التبعة ... الله ما لم يكن في حسابه اذ كان مغرورا بظاهر أمره لم يصدقه باطنه

*(فصل)* تصح التوبة من بعض الذنوب دون بعض عند قوم وقال آخرون لا تصح والحق انها تصح لانها تفيد تخفيف الاثم والاثم والعقاب ولا تفيد معنى النجاة في القيامة وتوبة العنين والمجبوب من الزنا الذي قارفه قبل طريان الجب والعنة عليه غير مقبولة عند المحققين لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله انعدم بنفسه لا بتركه اياه

*(فصل)* والتائبون أقسام فمنهم من يتوب من السيآت ومنهم من يتوب من الغفلات ومنهم من يتوب من رؤية الحسنات والطاعات لان رياء العارفين اخلاص المريدين وهؤلاء يعتبر في التوبة عندهم قتل النفس بمنعها من الشهوات واماتتها بترك حظوظها حتى من رؤية الطاعات وسائر أعمال البر والاعمال الاثمة ويعرف كون الشخص تائبا بأمور منها هجران اخوان السوء ورفقائه في المعصية ومنها ترك المواطن القبيحة ومنها مصاحبة أهل الخير والصلاح به لا من اخوان السوء

*(فصل)* من الذنوب ما لا تكفره الا الهموم وورد بذلك الحديث وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب

العلم بنفي وجودها لحدث فيه وهذا شرك بالصفات بترتيبها بإيهامها بالعقل ونحن نبرأ من شيء ادته مبطلون
القول منكر وزور لشركه في القدم موحدون باليقين ما لحد بالعقل لأن من قال ان شيئا بأذويهم مع الله
تعالى أو موجود بنفسه لنفسه فقد أشرك في الصفات ومن قال ان الله سبحانه نظر بعد ان لم ينظر أو علم
بعد ان لم يعلم أو تكلم بعد ان لم يتكلم فقد قال بحدوث الصفات وقدم عليها المعلومات بل المعلومات
متعاوية في العلم لا أول لها فيه والله قديم بعلمه واجد لمعلومه بنفسه من علمه به اقدرته عليه يظهره وناظر
اليه بعلمه لا بعدم معلومه والمعلوم معدوم لنفسه غير موجود بنفسه حتى أحدثه وأوجده فظهر حين أظهره
لمن أظهره بعضا لبعض لا لنفسه اذ قد فرغ منه لعلمه به لانه قريبه نظره كلم يحدث به علمه لنفسه وعلمه
صفته لم يزل له وهو قائم بوصفه ولا يجوز ان يحدث له شيئا لم يعلمه كذلك لا ينبغي ان يفقد شيئا لم يجده ومن
الخلاف عليه ما ذكرناه دخل عليه مذهب المعتزلة والجهمية لان المعتزلة مجمعة على اختلافهم ان الله
تعالى لا يرى الشيء حتى يكون واختلفوا في العلم فقالت العبادية من القدرية وهم أصحاب عباد ان الله
تعالى لا يرى الشيء حتى يكون يضاهون بذلك قول النظام وبشر المريسي في أن الله تعالى لا يرى الاشياء
حتى تكون والجهمية مجمعة على اختلافهم ان الله تعالى لم يتكلم بالشيء حتى كان ثم خلق الكلام فقدموا
التكون قبل كلامه كما قدمه أولئك قبل نظره وقال الجميع بحدوث النظر كما قالوا بحدوث الكلام والنظر
لانهم قالوا بحدوث الاسماء بعد حدوث المسميات وتقدم الاستطاعة من الخلق على الارادة من الخالق
فاستوى بذلك شركهم وخرجوا به من التوحيد كذلك كذبت العبادية من القدرية أصحاب عباد يضاهون
قول النظامية والمريسية تشابهت قلوبهم فيتبعون ما تشابه منه والمعتزلة أيضا مجمعة على نفي العلم والقدرة
والمشيئة الا أنهم يقولون عالم ولكن لا يضاف علمه الى شيء ولا يوجب شيئا جعلوه كالفاني من الخلق فقالوا عالم
بلا علم قديم وقادر بلا قدرة ومريد بلا ارادة سابقة وقدمة والاستطاعة من الخلق فقالوا لا يلزمهم سبق
المعلومات وان الارادة والكلام من نعوت الافعال مخلوقات والجهمية أيضا مجمعة ان الله تعالى لا يتكلم
بوصفه أصلا وانما يظهر في أديم الفضاء الكلام يخلق الاعراض في الاجسام فكان هذا عندهم هو التوحيد
لئلا يثبتوا مع الله قديما وهذا عند أهل السنة والجماعة هو الالحاد لنفي قدم الصفات والقول بحدوثها
والنظر الواحد الذات وليس يختلف أهل اليقين بحمد الله تعالى في جميع ما ذكرناه كما يختلفون في
حقيقة التوحيد وهذه شهادة الموقنين وأعيان المقربين فلا يشتبهن لك العقل المعقول عن شهود ما ذكرناه
فيصرفك عن النفاذ لشهادة فليس يشهد ما ذكرناه من صفات الشهيد بنور العقل وانما يشهد بنور
اليقين لان خالقا لا يشبه بمخلوق ومن ليس كمثله شيء لا يشهد الا بما ليس كمثله شيء وهو نور اليقين من نور
القادر ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وما ذكرناه من وصفه تعالى هو ظاهر التوحيد المتصل بفرض
الشهادة لا يجري على ترتيب المعقول ولا يمثل بقياس العقول لان نفي الصفات واثباتها بالمماثلات موجود
في رأي العقول كان الكفر والضلال موجود في طبائع النفوس لعدم شهادة الابصار ولفقد وجود مشاهدة
الالهية في تخيل الافكار ولجريان العادات واعرف في ظهور الاسباب كما حدثنا بعض أهل اليقين دعا الى الله
سبحانه وتعالى بحقيقة التوحيد فلم يستجب له الا الواحد بعد الواحد فتعجب من ذلك فأوحى الله تبارك وتعالى
اليه تريد أن تستجيب لك العقول قال نعم قال لا تجيبني منهم قال كيف أجيبك وأنا أدعو اليك قال تكلم
في الاسباب وفي أسباب الاسباب قال فدعا الى الله تعالى من هذه الطرق فاستجاب له الجم الغفير فقاعدة
التوحيد باثبات الصفات وأوصاف الذات التي جاءت بها السنن وشريعة الرسول صلى الله عليه وسلم مع نفي
التشبيه والماهية ونفي الجنس والكيفية ثم سكون القلب وطمأنينة المعتقد الى الايمان بذلك والتسليم
لاجل نور اليقين الموهوب لان هذا انما يشهد بنور اليقين وعلمه لا بعلم العقل ونوره لان خالقا لا يرى
بمخلوق فالعقل مرآة الدنيا بنوره يشهد ما فيها والايمان مرآة الآخرة به ينظر اليها فيرى ما فيها والله

العبد ولم يكن له عمل يكفرها أدخل الله تعالى عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل القلب والعبد لا يعرف سببه هو ظلمة الذنوب والهم بها وانما كانت الهموم كفارة الذنوب لان الشيء يكفر ضده وقد كان حصل له سرور في قلبه بلذة المعاصي والشهوات فكانت الهموم والغموم جزاء على تلك الافراح

•(فصل)• ملخص من كلام الشيخ الامام الحبر ولي الله تعالى ابي اسحق الخواص قدس الله روحه نختم به هذا الباب في التوبة قال الشيخ ابراهيم وحقيقة التوبة في قلب التائب ان يبغض الذنب كما يحبه ويكره منه كما كان يذكره ويتركه كما كان يأخذه ويفزع من عارض الذنب اذا وقع به فهذا حد التوبة في القلب وفرضها ونفلها على الظاهر باللسان الاستغفار بمقامات على صلاح ما هو آت وعملا قلب بفرض التوبة يلزمه حل الاصرار والندم على المعصية بالانصراف عنها وخوف التقلب عن القيام بفرض التوبة لما قدم من فرضها وخوف العقوبة عن التقلب ثم خوف القلب حتى يفرضها العبد على نفسه لقوله تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون قال الشيخ ابراهيم فكل توبة لا يرى لها علامة على الجوارح فما أسرع رجوعها والعلامة فيه نقص في الجسم وقلة الطعم واسبال الدمع ودوام الفزع من أخذه بغتة ويصح ذلك بقوله

تعالى اتبارى بنور اليقين وفى هذا النور مشاهدة الصفات وهو حقيقة الايمان وأعز ما نزل من السماء وهو السكينة المنزلة فى قلوب المؤمنين لمزيد الايمان ولتعريف صفات المؤمن معها بترك ضرب الاخبار بعضها ببعض ومعارضة بعضها ببعض أو ترتيب بعضها على بعض بل يؤمن بكل خبر ورد فى الصفات والقدرة على حدته كما يسلم جميعها على الجملة باسلامه والا أدى ذلك الى نفى بعضها أو ابطال جميعها الا انا أخذنا الايمان بمنة الله تعالى ورحمته من قبل التصديق واليقين والنقل لا من قبل التقليد وحسن الظن والعقل وأن بمة أشياء تسلم ولا تعارض اعتراضا كأخبار الصفات وأصول العبادات وفضائل الاعمال وفضائل الاعمال ولولا ان الله تعالى تولى قلوب المؤمنين بغيب الايمان الجاوز بتهمتها وكره الكفر وشأنه عندها لتاهوا فى الظلمات وغرقوا فى بحار الهلكات لظهور الاغيار ومعاينة الاسباب ولغيب القدرة عن العيان ولما ابتلوا به من الحس والاعيان ولكن الله تعالى سلم وحبب الايمان فى القلوب وزين وكره الكفر والعصيان وشين وكذلك مدح المؤمنين بالغيب المستور ومن ذلك سبق المقربين بمشاهدة النور فقال سبحانه وتعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فلولا انهم كانوا فى ظلمة الطبع ما منّ عليهم من نور اليقين وكذلك جاء الخبر ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه اهتدى ومن أخطأه ضل وفى أحد المعانى من قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال يمحو الاسباب من قلوب الموحدين ويثبت نفسه ويمحو الوحدانية من قلوب الناظرين ويثبت الاسباب ولولا ان التوحيد لم يرسم معارفنا فى كتاب ولا كشفه عالم فى خطاب لعجز علوم العموم عن درك شهادته ولسبق انكاره العقول لضعفها عن حمل مكاشفته لذكرنا من ذلك ما يبهر العقول ويبهت ذوى المعقول ولكنا كرهنا ان نبتدع ما لم نسبق اليه أو نظهر ما يضطرب العقول بالحيرة فيه وخفنا من عدم النصيب مما نذكر فيعود على السامعين من نفعنا ضرورة وحقيقة علم التوحيد باطن المعرفة وهو سبق المعروف الى من به تعرف به فتخصوصية بحبيب مقرب بخصوص ولا يسع معرفة ذلك الكافة وافشاء سر الربوبية كفر * وقال بعض العارفين من صرح بالتوحيد وأفشى الوحدانية فقتله أفضل من احياء غيره وقال بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو أظهره الله تعالى لبطلت الاحكام فقوام الايمان واستقامة الشرع بكتم السر به وقع التدبير وعليه انتظم الامر والنهى والله غالب على أمره وفوق ذلك علم التوحيد والاسم منه موحد وانى فالتوحيد وصفه وفوقه علم الاتحاد فالوصف منه متحد وفوقهما علم الوحدانية والاسم منه واحد وفوق ذلك علم الاحدية والاسم منه أحد وهذا سماء لها صفات وأوصاف لها أنوار وأنوارها علوم وعلوم لها مشاهدات بعضها فوق بعض وفوق كل ذى علم عليم ثم علم التوحيد أول هذه العلوم وعموم هذه المشاهدات وظاهر هذه الانوار وأقربها الى الخلق فالاسم منه موحد وهو نهايات الخلق وظهر فهذا توحيده الذى وحده به الموحدون من جميع خليقته معاذ الله عليهم برحمته والمشاهدات الاول توحيد الرب تعالى نفسه بنفسه لنفسه قبل توحيد خلقه فتوحيدهم اياه عن توحيده فيما كتبناه عنه وأخطبناه فيما أظهرناه فهو محجوب بخزائن الغيوب عن البصائر والفهوم قد جاوز علم الملكوت كله فهو من ورائها فى خزائن الجبروت وانما ذكرنا من ذلك قوت القلوب من علم التوحيد وما لابد للايمان منه من المزيد وقال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله تعالى للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسع اظهاره الا لاهله وعلم هو سر بين الله وبين العالم هو حقيقة ايمانه لا يظهره لاهل الظاهر ولا لاهل الباطن وقال بعض السلف قبله ما من عالم حدث قوما بعلم لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم *(شرح ثانى ما بنى الاسلام عليه من الخمس وهو الصلاة)* وأول ذلك وصف الطهارة أولها فرائض الاستنجاء وسننه وفرائض الوضوء وسننه وفضائله وفرائض الصلاة وسننها وأحكام المصلى فى وقت الصلاة وادراكها وما يتعلق بها وهيئات الصلاة وآداب المصلى

*(ذكر

تعالى الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا  فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم فالتائب الصادق لابد أن يتبين عليه آثار توبته لان الخوف يحمله على طريق الاجتهاد والجد وانما هو هارب يجد فى الهرب خوفا ان يدركه طالب فهو متوقع العقوبة مع مجارى الانفاس فمن لم يخرج الى الله تعالى بفزع من ذنوبه ولا ندم على فوته والا فمرتاب والخسوف الكاذب ان يقول الرجل أنا أخاف من النار وهو يعمل عملا يقربه من النار قال الشيخ ابراهيم ولم يؤت التائبون من قلة الندم والاستغفار وانما أتوا من قلة الوفاء بالعهود المأخوذة فى الشريعة على التائبين ويقال ان الخاسر من أبدى للناس أحسن أعماله وبارز الله تعالى بالقبيح وهو أقرب اليه من حبل الوريد ويقال ان من الاغترار بالله تعالى المقام على المعاصى والرجاء لثوابه وهذا هو رجاء المغترين وقد هلك فى ذلك خلق كثير لم ينظروا بعين الرحمة لانفسهم واستولى عليهم الغرور وغابت عليهم الانباه قال الشيخ ابراهيم وأول سبب الذنب خطرة فان تداركها صاحبها والا تولد منها الشهوة فان تداركها صاحبها بالمخالفة والمجاهدة والاهاج مع الشهوة تهاج فاظلمت القلب بظلمة الهوى والشهوة فاظلم القلب وعمى عن الهدى والعلم والبيان فعند ذلك يقوى العزم على المعصية ويتولد منها الفعل قال الشيخ

«(ذكر فرائض الاستنجاء) قال الله جل ثناؤه وصدقت أنباؤه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة بغير طهور وقال عليه الصلاة والسلام الطهور نصف الايمان وقال مفتاح الصلاة الطهور فأول الطهارة الاستنجاء وفيه فرضان وأربع سنن أحد الفرضين ازالة الحدث والثاني طهارة المزيل وهو أن لا يكون رجيع دابة ولا مستعملا مرة ولا عظم ميتة ويكره الاستنجاء بحممة لأثر في ذلك والسنن الاربع وتر الاستجمار ثلاثا أو خمسا أو سبعا والاستنجاء بالماء ومباشرة الاذى بالشمال ومسح اليد بالتراب فأما كيفية الاستنجاء فأن يأخذ الحجر بشماله ويمره على مقعدته من مقدمها مسحا الى مؤخرها ثم يرمي به هناك ثم يأخذ الحجر الثاني فيبتدئ من مؤخر المقعدة فيمسحها مدا الى مقدمها ثم يرمي به ثم يأخذ الحجر الثالث فيديره حول المسربة ادارة فان احتاج الى حجر آخر فليجعلها خمسا وان اكتفى بحجر واحد فلا بد من ثلاث وان استجمر بحجر كبير ذي ثلاث شعب أجزأه من ثلاثة أحجار وفي الخبر من استجمر فليوتر وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد الحاجة أبعد وكان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل لانه كان لا يقعد في فضاء بل كان ينصب وراءه شيأ أو يقعد الى حائط أو نشز من الارض يستره أو كوم من حجارة يجمعه ثم يستدبر ذلك وكان صلى الله عليه وسلم لا يستقبل القبلة أيضا لغائط ولا بول ولم يكن يرفع ثوبه لغائط حتى يدنو من الارض فأما من أراد أن يبول قريبا من صاحبه بحيث يراه ويسمعه فلا بأس بذلك فانها رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع الحياء بفعله لانه كان عليه السلام أشد الناس حياء وكان يبول والى جانبه صاحبه ليبين التوسعة في ذلك وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه فقال لا أحسبك تحسن الخراءة فقال بلى وأبيك اني بها لحاذق قال فصفها لي قال أبعد الاثر وأعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح وأقعي اقعاء الظبي وأجفل اجفال النعام والشيح نبت طيب الرائحة يكون بالبادية والاقعاء في هذا الموضع أن يستوفز على صدور قدميه والاجفال أن يرفع عجزه وفي حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة أمرنا أن لا نستجمر بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة لبول أو غائط وان يجلس أحدنا على رجله اليسرى وينصب اليمنى فأما وصف الاستبراء فهو أن يستفرغ الرجل بوله رويدا ولا يحرك ذكره فينتشر البول على الحشفة فاذا انقطع البول على مهل مد ذكره ثلاثا من أصله الى الحشفة مدا رفيقا لئلا ينتضح البول ثم ينتره ثلاثا ويتنحنح ثلاثا وان فعل ذلك سبعا سبعا فقد بالغ ثم يأخذ الحجر بيمينه ويأخذ ذكره بشماله ويمده عليه حتى يرى موضعه جافا فهنالك طهر حين قطعت النداوة ومن مده الى الارض أو الى حائط حتى يرى الجفوف من أثر فعله وهذا كافيه من الماء لم ينتشر البول على الحشفة ويستحب البول في أرض دمثة رخوة وعلى تراب مهيل ويكره أن يبول مستقبل الريح أو على أرض صلبة كيلا ينضح البول عليه وقد شبه فقهاء المدينة الذكر بالضرع وقال بعضهم انه لا يزال يخرج منه الشيء بعد الشيء ما دمت تمده وقيل اذا وقع الماء على الذكر انقطع البول وقد كان أخفهم استبراء وأقلهم استعمالا للماء في الطهور أفقههم عندهم وقد يكون ما يظهر من النداوة بعد غسل الذكر بالماء انما ذلك من رجيع الماء يتردد في الاحاليل لضيق المسالك وتلاحم الفصائل فاذا خشي الوسواس فلينضح فرجه بعد وضوئه وهو أن يأخذ كفا من ماء فليرشه عليه وفي خبر أن النبي صلى الله عليه وسلم فعله ويكره مس الذكر باليمين ويخرج من الذكر خمسة أشياء البول والمذي والودي وهو لزوجة تعقب البول اذا طال حبسه والريح والمني ثم كلها توجب الوضوء الا المني وهو الماء الدافق الذي يفتر عنه الذكر وتنقطع الشهوة ومنه يخلق الانسان فانه يوجب الغسل وما خرج من الذكر غير ذلك من دود وحصى ففيه الوضوء وقد يعتري الريح فلذلك يستحب الوضوء عند كل صلاة وهو من المرأة أطهر «(ذكر فرائض الوضوء)» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ كما أمر وفي لفظ من توضأ فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث

---

ابراهيم وثلاث خصال هي من صالحات العارفين الحذر من خواطر الهوى أن يسبق الى قلوبهم ورد الاشياء كلها الى الله تعالى واجتماع الهموم في همه ونهيه ويقال ان العارف اذا ثبتت معرفته اجتمع همه كله في الله تعالى وكان أمر الله تعالى شغله وخوف المعرفة يدهش وخوف العبادة يقطع وأما أهل المعرفة بالله تعالى فانهم عرفوا قيام الله تعالى على قلوبهم وأخرجوا من قلوبهم وضمائرهم ما يكرهه الله تعالى وعلامة اخراجهم ما يكشفه الله تعالى من قلوبهم وحالوا بين أنفسهم وبين هواها فيكشف الله تعالى لهم عند ذلك حجب الغيوب عن عظمته وجلاله وحكمته فصاروا فهماء حكماء فصحاء نطقاء عقلاء ألباء فقبضوا أيديهم عن ضر الاشياء وغضوا أبصار قلوبهم عن النظر الى الدنيا أقبلوا على ربهم فكفاهم هموم الدنيا والآخرة وطهروا أسرارهم عن الاغيار قال الشيخ ابراهيم ولا يدرك التائب شيأ مما عند الله تعالى الا بالصبر والثبات ومن لم يصبر لم يظفر وما أتى من أتى عليه من العمال والتائبين الا من قلة الصبر واستبطاء الثواب وعدم ممارسة الاعمال بالصدق فرحم الله عبدا نظر لنفسه فان من لم ينظر لنفسه لم ينظر لها غيره ومن علامة عدم نظر المرء لنفسه صحبته فيما فيه اماتتها وحظها وهواها ومن لم يسرح في رعاية نفسه أسرع به هواه الى الهلكة ومن كان من العمال لم يصدق في توبته فلا يرجع

فيهما نفسه بشىء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفى لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بما يكفر الله الخطايا به ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء فى المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضأ مرتين مرتين فقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين ثم توضأ ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوئى ووضوء الانبياء قبلى ووضوء ابراهيم عليه السلام * ذكر فرائض الطهارة وهى ثمانية طهارة الاناء ثم الماء الطاهر والنية والترتيب على نسق الكتاب وغسل الاعضاء الثلاثة الماء وربما ومسح الرأس ولا يغمس يديه بالماء عند غسل وجهه وذراعيه فان ذلك يكون مسحا ولا يلطم وجهه بالماء لطما فانه مكروه ولكن ليحمل الماء بيديه معا الى وجهه ثم ليسنه عليه سنا ويغسل وجهه غسلا من أصول شعر رأسه الى ما ظهر من لحيته وعلى ما استرسل منها وليدخل البياض الذى بين أذنه ولحيته فى غسل وجهه وليدخل مرفقيه فى غسل ذراعيه وهذا فرض وينبغى ان يقطر الماء من وجهه وذراعيه قطرا ويكفيه فى مسح الرأس ان يمسحه بل ما بيديه يبتدى بمقدم رأسه ثم يرد يديه الى مؤخره ثم يردهما الى يافوخه هذه مرة وليمسح رأسه أجمع وهذه الاربعة الاعضاء هى المنصوص عليها فاما ذكر الواو فى الترتيب فانى سمعت بعض فقهاء العرب من أهل العربية يقول ان الواو وان كانت للجمع فلا تقتضى الترتيب فى الظاهر فانه اذا لم يرد به الجمع بين شيئين وانفصال ان يجمع بهما بين اثنين فانها تقوم حينئذ مقام ثم وتكون للترتيب لا غير * ذكر سنن الوضوء وهى عشرة التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق والاستنثار وهو اخراج الماء من الانف وتخليل اللحية ومسح الاذنين وغسل كل عضو ثلاثا ثلاثا وان يبدأ بالميامن وتخليل أصابع القدمين * ذكر فضائل الطهارة وما يقال عند غسل كل عضو من الاذكار أول ذلك ان يتوضأ فى آنية دار مستور والعورة وان لا يكون الماء مشمسا وقد كره ذلك وقيل ان كراهيته فى أرض الحجاز خاصة واسباغ الوضوء يبالغ فى الشتاء فانه من عزائم الدين وقال بعض السلف وضوء المؤمن فى الشتاء بالماء البارد يعدل عبادة الرهبان كلها وان لا يعتدى فى الطهور وقد تقدم شىء من ذلك وهو ان يغسل كل عضو فوق الثلاث والوضوء على الوضوء نور وهو ان يتوضأ لكل صلاة من غير حدث فان ذلك مستحب اذا أمكن وله بكل وضوء عشر حسنات ويجزيه ان يصلى الخمس بوضوء واحد فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والوضوء على حدثه قربة الى الله تعالى اذا نوى به العبد ذلك من غير ان يصلى به وفى الخبر اذا توضأ العبد خرجت ذنوبه من جميع أعضائه وتكون الصلاة نافلة ويستحب ان يتوضأ العبد كلما بال ما لم يشق ذلك عليه وان يصلى ركعتين كلما توضأ ثم ان لا يتكلم فى الوضوء الا بذكر الله تعالى وان يقول عند غسل كل عضو ما يستحب من الدعاء فيقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش ويقول عند التسمية أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ويقول عند غسل يديه اللهم انى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ويقول عند المضمضة اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ويقول عند الاستنشاق اللهم صل على محمد وأوجدنى رائحة الجنة وأنت عنى راض ويقول عند الاستنثار اللهم انى أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار ويقول عند غسل وجهه اللهم بيض وجهى يوم تبيض فيه وجوه أوليائك ولا تسود وجهى يوم تسود فيه وجوه أعدائك وعند غسل يمينه اللهم آتنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم انى أعوذ بك أن تؤتينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى وعند مسح الرأس اللهم غشنى برحمتك وانزل على من بركاتك وأظلنى تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ويقول عند مسح الاذنين اللهم اجعلنى ممن يستمع القول فيتبع أحسنه اللهم اسمعنى منادى الجنة مع الابرار ثم يمسح عنقه فيقول اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى اللهم ثبت قدمى على الصراط مع أقدام المؤمنين ويقول عند غسل اليسرى



الى العمل فيها فان الله تعالى لا يرفع اليه مقام من مقامات السفر اليه حتى يحكم المقام الذى فيه فطوبى لمن لزم الجادة فى طريق هذا السفر وتوقى المعاطب والمهالك واخذ على نفسه بالعزم والحزم والحذر فان الهالك من هلك فى آخر سفره وقد قارب المنزل والعمى خفاء من عمى بعد البصيرة ومن تكاسل يزدد فترة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره هذا ملخص كلام الشيخ ابى اسحق ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى

* (باب العزلة والخلوة) *

ورد فى العزلة اخبار وآثار قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خير الناس معايش رجل آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ان سمع فزعة أو هيعة كان على متن فرسه يبتغى الموت أو القتل مكانه أو رجل فى غنيمة له فى رأس شعب من هذه الشعاب أو بطن واد من هذه الاودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس الا فى خير وقال النبى صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن وقال النبى صلى الله عليه وسلم أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله ثم رجل فى شعب من الشعاب يعبد الله تعالى وفى رواية يتقى الله ويدع الناس من شره والمريد فى ابتداء أمره من العزلة عن أبناء جنسه ثم فى نهايته الخلوة لتحققه بانسه والعزلة شرائط

اللهم انى أعوذ بك ان تزل قدمى عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين وان يبتدئ بغسل الذراعين من أصابع الكفين ويقطع من المرفقين كل غسلة وان يرفع فى غسل الذراعين الى انصاف العضدين وان يبتدئ بغسل القدمين من الاصابع ويخللهما باليسرى ويقطع غسلهما على الكعبين ويرفع فى غسل الرجلين الى انصاف الساقين ويبين أصابع اليد اليمنى بخنصرها او بين اليد اليسرى بابهامها واذا فرغ من وضوئه رفع رأسه الى السماء ثم قال اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى أستغفرك وأتوب اليك فاغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى شكورا واجعلنى أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا هذا جميع ما روى من القول بعد الفراغ من الوضوء بآثار متفرقة بمناهاية قال انس قال هذا بعد فراغه من الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة وأكره الوضوء فى اناء صفر سمعت ان العبد اذا توضأ احتوشته الشياطين توسوس اليه فاذا ذكر الله خنست عنه وحضرته الملائكة فان كان وضوءه فى اناء صفر أو نحاس لم تحضره الملائكة وروى عن ابن عمر وأبى هريرة كراهة ذلك وقال بعضهم سألنى شعبة ان أخرج له وضوأ فاخرجته فى اناء صفر فلم يتوضأ به وقال حدثنى عبد الله بن دينار عن ابن عمر انه كره الوضوء فى اناء صفر وتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ركوة ومن اداوة ومن تور من حجر وقدر وينافى حديث زينب بنت جحش انه رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ أو اغتسل فى حديث آخر من مخضب لها او هو نحاس وهذا رخصة

*(صفة الغسل من الجنابة)* يضع الاناء عن يمينه ثم يسمى الله تعالى ويفرغ الماء على يديه ثلاثا قبل ادخالهما الاناء ثم يغسل ذكره ويستنجى ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كاملا الا غسل قدميه ثم يدخل يديه فى الاناء يحملهما من الماء فيصب على شقه الايمن ثلاثا ظهرا او بطنا الى فخذه وساقه ثم يغسل شقه الايسر كذلك ثلاثا ظهره وبطنه الى فخذه وساقه ويدلك ما أقبل من جسده وما أدبر بيديه معا ثم يدخل يديه يحملهما من الماء فيفيض على رأسه ثلاثا ويخلل شعر رأسه باصابعه ويبل الشعر وينقى البشرة ثم يتنحى من موضعه قليلا فيغسل قدميه فان فضل من الاناء ماء أفاضه على سائر جسده وأمر يديه على ما أدركتا من بدنه فان قدم غسل رجليه فادخلهما فى أول وضوئه فلا بأس ولا وضوء عليه بعد الغسل وليتق ان يمس ذكره فى تضاعيف ذلك بيديه فان مس ذكره فليعد وضوأه وان نسى المضمضة والاستنشاق فى غسل الجنابة حتى صلى أحببت ان يتمضمض ويستنشق ويعيد الصلاة وان نسيهما فى الوضوء فلا اعادة عليه وكيفما اغتسل جسده من الجنابة جاز بعد ان يعم جميع بدنه غسلا ومن لم يتوضأ قبل الغسل أحببت له ان يتوضأ بعده ومن انغمس فى نهر أجزأه عن الغسل وأحب أن يتوضأ وفرض غسل الميت كغسل الجنابة

## *(كتاب الصلاة)*

ذكر فرائض الصلاة قبل الدخول فيها وهى سبع أول ذلك طهارة الجسد وطهارة الثوب وطهارة البقعة وستر العورة وهى من السرة الى الركبة واستقبال القبلة واصابة الوقت والقيام الامن عذر وفرائض الصلاة فى صلبها اثنتا عشرة خصلة روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة وروى عنه صلى الله عليه وسلم تحريمها التكبير وتحليلها التسليم فاول ذلك النية وتكبيرة الاحرام بلفظ التكبير وليس للعرب فى لفظ التكبير بمعنى الاكبار الا وزن افعل ولا فعيل يقولون الله أكبر والله الا كبر وليس يقولون الله كبير وهم يريدون معنى أكبر بما سواه انما يقولون كبير بمعنى عظيم لان هذه اللفظة أعجمية معربة وتقول العرب الله كبار وليس بمعنى أكبر انما هو بمعنى كبير والتفخيم التعظيم ثم يقرأ سورة الحمد أولها بسم الله الرحمن الرحيم والركوع ثم الطمأنينة فى السجود والجلسة بين السجدتين والتشهد الاخير والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم والتسليم الاول وروينا عن رسول الله صلى الله

ان ينوى باعتزاله سلامة الناس من شره كما قيل لبعض الزهاد أنت زاهد منقطع الى الله تعالى فقال أما لو كان نفسى كلب عقور يعض الناس فاخرجتها من بينهم ليسلموا من شرها الثانى ان ينهمك فى اعتزاله عن نفسه وعما سوى الله ليكون صادقا فى اعتزاله الثالث ان يكون عالما بما يصح فى اعتزاله عقد توحيده حتى لا يستهويه الشيطان بوسواسه الرابع أن يكون متضلعا بالعلوم الشرعية ليبنى أمره فى العبادة على أساس محكم والعلماء المتمكنين وأصحاب النهايات معتزلون الخلق بقلوبهم لا باجسادهم سئل بعضهم عن العزلة ما هى فقال الدخول فى الزحام واحفظ سرك لا يزاحموك وتعزل نفسك عن الانام ويكون قلبك مربوطا بالحق ولابد من العزلة بالجسد أولا لاهل البدايات لان العزلة بالقلب أثر أو قال الجنيد رحمة الله عليه من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فان هذا زمان وحشة وقال الشبلى رحمة الله عليه هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والاتكال على الحى الذى لا يموت وجاء رجل الى شعيب ابن حرب فقال له ما جاء بك قال أكون معك فقال يا أخى العبادة لا تكون بالشركة ومن لم يستأنس بالله لم يستأنس بشئ

*(فصل)* واعلم ان بالخلوة والتفرد عن الناس يحصل الامن من دواعى الرياء والتزين الى الناس فى الاقوال والافعال وقد ذكر ان هرم بن حيان قال لاويس القرنى رحمهما

الله تعالى بأو بر سلما بالزيارة والقاء ٥  فقال أربعين قدومه لتك بعلمه والتمام لك ثم سلو وهو الفعاد على ظهر الغيب لان الزيار

عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود وروى عنه صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود ورأى صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي لا يقيم ظهره في ركوعه وسجوده فقال له ارجع فصل فانك لم تصل ثم رآه لا يطمئن في الركوع والسجود فأمره أيضا باعادة الصلاة ثم علمه الطمأنينة بينهما والقيام فيهما فقال حتى تطمئن مفاصلك وتسترخي ورأى حذيفة وابن مسعود رضي الله عنهما رجلا يصلي لا يتم ركوعه وسجوده فقالا لو مات هذا لمات على غير فطرة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم وفي حديث أحدهما منذ كم تصلي هذه الصلاة فقال منذ أربعين سنة فقال ما صليت منذ أربعين سنة وعن كعب الاحبار قسمت الصلاة ثلاثة أثلاث ثلث طهور وثلث ركوع وثلث سجود فمن نقص أحدها لم يقبل منه سائرها ويقال من لم تقبل صلاته ردت أعماله كلها عليه * وذكر سنن الصلاة وهي اثنتا عشرة سنة رفع اليدين بتكبيرة الاحرام وصورة الرفع ان يكون كفاه مع منكبيه وابهاماه عند شحمة أذنيه وأطراف أصابعه مع فروع أذنيه فيكون بهذا الوصف من الرفع مواطئا للاخبار الثلاثة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يرفع يديه الى منكبيه وانه كان رفعهما الى شحمة أذنيه وانه رفع الى فروع أذنيه يعني أعاليهما ولفظ التكبير ان يضم الهاء من الاسم بتخفيف الضمة من غير بلوغ واو ويهمز الالف من أكبر ولا يدخل بين الباء والراء ألفا ويجزم الراء لا يجوز غير هذا فيقول الله أكبر ثم لا يرفع يديه اذا كبر الى قدام دفعا ولا يردهما الى خلف منكبيه وتكون أصابعه تلقاء أذنيه ثم يكبر ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويكون ارساله يديه مع آخر التكبير لا يرسلهما قبل انقضاء التكبير ولا يوقفهما بعد الفراغ من التكبير ثم يستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كبر أرسل يديه فاذا أراد ان يقرأ وضع اليمنى على اليسرى وليقبض على رسغ كفه الشمال وليضعهما تحت صدره ثم التوجه فيقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ثم يقول ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ويقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك فقد روي جميع ذلك في روايات مختلفة فالتوجه حسن الا ان يكون خلف الامام ولا يكون للامام سكتتان فلا يمكنه ان يأتي بعد التوجه كله مع قراءة الحمد ولا يشتغل حينئذ الا بقراءة الحمد فيغتنم قراءتها في سكوت الامام واحذر ان تقرأ في قراءة الامام أو تركع أو تسجد أو ترفع رأسك قبله ثم الاستعاذة ثم قراءة سورة من القرآن أو ثلاث آيات من سورة بعد الحمد والتأمين بعد قراءة الحمد سنة فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر به ثم رفع اليدين بالتكبير للركوع أيضا سنة ثم التسبيح للركوع واذا أردت عشرا أو سبعا ولا أقل من ثلاث وانما قيل ان الثلاث أدنى الكمال لان الكمال عشرة قال الله تعالى تلك عشرة كاملة ولتكن الثلاث بعد ان يضع يديه على ركبتيه وقبل ان يرفعهما لانه اذا لم يحفظها في ذلك وتهاون فيه حصل من التسبيح واحدة بعد الركوع وتكون الاولى والاخرى في الانحطاط والرفع وهذا مكروه وصورة الركوع ان يفرج بين أصابعه فيملأ بهما ركبتيه ويجافي عضديه عن جنبيه ولا يرفع رأسه ولا يخفضه وليمد عنقه مع ظهره حتى يكون ظهره ورأسه سواء ولا يكون مخفوضا الى أسفل ولا مقبوا الى فوق ثم رفع اليدين بقول سمع الله لمن حمده سنة ويقول اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات والارض وما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ثم التسبيح في السجود ان شاء عشرا أو سبعا وأدناه ثلاث ولتكن الثلاث بعد حصول جبهته على الارض وقبل رفعها اياه والا كانت واحدة تذهب الاولى في حال وضع الوجه والاخرى في حال رفع الرأس فيحصل تسبيحة واحدة في كل سجدة وهذا غير مستحب ان ينقص من ثلاث وقال أنس بن مالك ما رأيت أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من امامكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز قال فكنا نسبح وراءه عشرا في الركوع والسجود عشرا عشرا ويجعل رأسه بين كفيه في سجوده

والقاء بعرض فيهما التزين والرياء واجتمع اثنان من أكابر العلماء والاولياء فتذاكرا ساعة في العلم ثم دعيا في آخر حديثهما فقال أحدهما للآخر ما أظنني جلست مجلسا أنا به أرجى من هذا المجلس فقال له الآخر لكنني ما جلست مجلسا أنا أخوف منه من هذا المجلس الست تعمد الى أحسن علومك وحديثك فتحدثني به وتظاهر به بين يدي وأنا كذلك فقد وقع الرياء والتصنع من الجانبين فبكى العاقل الاول ساعة ثم غشي عليه قال الغزالي في بعض كتبه ولقد رأيت بمكة بعض المشايخ من أهل العلم منفردا عن الناس وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قرب منزله من المسجد قال الغزالي فسألته عن ذلك يوما في حال ترددي اليه فذكر من عذره ما أشرنا اليه

*(فصل)* واعلم ان حال الناس في العزلة على قسمين أحدهما رجل ضعيف العزم تقوى عليه شهواته ويقهره هواه وليس له علم ينتفع به فهذا الاولى في حقه بل الواجب عليه العزلة بعد ان يتعلم من أمر دينه ما يحتاج اليه والثاني رجل عالم متمكن في علمه يحتاج الناس اليه في أمر دينهم فهذا لا ينبغي له العزلة عن الخلق بل ينصب نفسه داعيا ومرشدا وناصحا للخلق ذابا

فانهما

قائما يسجدان اذا كانتا مفتوحتين فيجافي عضديه عن جنبيه ويمد ظهره ويرفع بطنه عن فخذيه ويستحب أن يباشر الارض بكفيه فانهما يسجدان مع الوجه ثم التكبير للسجود والرفع بين السجدتين والقيام بين السجود من غير رفع يديه ثم يقول رب اغفر لي وارحمني للآثار وروى ذلك عن ابن عمر وان قال رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك أنت الاعز الاكرم فمأثور روى ذلك عن ابن مسعود وان قال رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وانعشني فحسن قد روى ذلك عن علي رضي الله تعالى عنه ثم التشهد الاول ثم السلام الاخير بالاشمام اللام وضم الميم من السلام من غير تنوين ومد الاسم وجزم الهاء منه فيقول السلام عليكم ورحمة الله حتى يتبين خداه لمن عن يمينه وشماله ويلوي بعنقه الى منكبيه كذلك كان تسليم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يحول جسمه عن القبلة ولا يرفع فخذه عن الارض ❊(ذكر أحكام الصلاة في الادراك)❊ ومن أدرك من صلاة رباعية ركعتين أو الثلث من صلاة المغرب فان ما أدرك هو أول الصلاة فليبن على ذلك ومن أدرك مع الامام بعض القيام افتتح سورة الحمد ولم يركع حتى يتمها وان رفع الامام رأسه من الركوع قبله رفع بعده ومن لم يدرك مع الامام من القيام شيأ كبر للاحرام ثم كبر وركع وهي له ركعة وان ركع الامام وهو في قراءة سورة غير الحمد فليقطع حيث انتهى وليركع بعده ومن أدركه في التشهد أو في السجود ابتدأ التكبير للاحرام قائما ثم جلس وسجد للاتباع فاذا سلم الامام قام من غير تكبير يحدثه ثانيا وابتدأ بقراءة الحمد عند قيامه ولا يعتد بشيء مما أدرك مع الامام الا بالركوع وهو ان يكون قد وضع يديه على ركبتيه واطمأن قبل ان يرفع الامام رأسه فهذه ركعة ومن دخل في صلاة مكتوبة ثم ذكر ان عليه أخرى أحببت ان يتمها ثم يصلي التي ذكر ثم يعيد هذه الصلاة ومن وافق الامام في صلاة العصر ولم يكن صلى الظهر صلاها معه ثم يصلي الظهر ثم أعاد بعدها صلاة العصر فعله بعض الصحابة وهو أحب الوجوه الي ومن تكلم في صلاته ناسيا أو سلم من ركعتين من صلاة رباعية فليسجد سجدتي السهو بعد التشهد فان كان قد خرج من المسجد وتطاول ذلك ثم ذكر أحببت ان يعيد الصلاة ومن تكلم أو سلم عامدا أو استدبر القبلة أو انكشفت عورته أو رعف في صلاته أو ذكر انه نسي مسح رأسه أو غسل عضو من أعضائه أعاد الصلاة ومن فاتته جماعة فتطوع رجل قام يصلي معه أحببت ان يكون هو المصلي به فرضه ولا يخرج من الخلاف ويدخل في فرض الجماعة ولا استحب ان يصلي فرضه خلف رجل يتطوع ولا أكره صلاة النوافل جماعة ولا سجود سهو على العبد فيما يجهر فيه مما يخافت فيه مما يجهر ومن شك في ثلاث ركعات أو اثنتين فليجعلهما ثنتين ومن شك في أربع أو ثلاث حسبها ثلاثا يبني أبدا على اليقين وهو الاقل ثم يسجد سجدتي السهو قبل السلام وعليه ان يتشهد ثانيا للسجود في السهو وصلاته تامة ومن سها عن سجدتي السهو فان ذكر قريبا أو قبل ان يخرج من المسجد فاحب ان يسجدهما ثم يتشهد ويسلم فان تطاول الوقت أو كان قد خرج من المسجد سقط عنه ومن شك في القبلة لحول ظلمة أو فقد أدلة تحرى جهده فان تبين له ان القبلة بخلاف ذلك أحببت له ان يعيد ذلك واستحب سجود السهو فيما زاد بعد التسليم وفيما نقص قبله فان سجدهما في الزيادة والنقصان قبل السلام فحسن كل ذلك قد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم فان لحقه وهم في الصلاة ليس بشك أو كثر وهمه في الصلاة أحببت ان يجعل سجوده أبدا بعد السلام ومن صلى في حال ضرورة بنقصان طهارة أو نقصان فرض من فرائض الصلاة أحببت ان يعيد متى قدر على ذلك ومن صلى في ثوب ثم رأى فيه نجاسة بعد ذلك أعاد ما دام في الوقت قبل ان يدخل وقت صلاة أخرى فان خرج جميع الوقت فلا اعادة عليه ولو أعاد تلك الصلاة متى رأى تلك النجاسة كان أحب الي ومن كان عليه صلوات فرط فيها باضاعة أو نقصان حدود صلاها أحب الي منه الى خمس صلوات يوم في وقت واحد ان أمكن أو في أوقات متفرقة نسقا وان يكون ذلك في غير الاوقات المنهي فيها عن الصلاة أحب الي ومن علم في صلاته ان عليه ثوبا فيه نجاسة وانه غير مستقبل القبلة فليلق الثوب وليستقبل القبلة وليتم صلاته وان أعاد فهو أحب الي ❊ ذكر هيآت الصلاة وآدابها

عن دين الله تعالى هاديا الخلق الى سبيل الله تعالى وان كان قد اعتزل فيضبط عليه في رجوع الى المخالطة لان بالعزلة تفوته هذه الفضائل لا من لا يخالط الناس ممن هو بهذه الصفة من العلم والقوة على ارشاد الناس ولا يساكنهم وانفرد عنهم ولا يظهر فيه الفقه والنصح لهم ولا ينفعهم بعلمه وعمله وارشاده تكون اعماله قاصرة عليه معطلة عن نفع الناس لا يتوجه الى غير بفعله ولا نفع بوصله فاذا ألزم نفسه العزلة عن الخلق في البراري والقفار تعطل عن مثل هذه الاعمال وصار بمنزلة الجمادات والموتى الذين لا نفع بهم ❊ ويحكى ان الاستاذ الامام أبا بكر بن فورك رحمه الله عليه قصد ان ينفرد عن الخلق بعبادة الله تعالى فسلك البرية للتعبد فبينما هو في بعض الجبال اذ سمع صوتا ينادي يا أبا بكر لما صرت من حجج الله تعالى على الخلق تركت عبادة الله تعالى فرجع وكان هذا سبب عوده الى الاجتماع بالخلق ولما دخل الاستاذ أبو اسحاق الاسفرايني الشام طلع الى جبل لبنان للاجتماع بالاولياء وزيارة العباد فلما اجتمع بهم قال لهم يا أكلة العشب والكلا تركتم أمة محمد صلى الله عليه وسلم في ايدي المبتدعة واشتغلتم ههنا بأكل العشب والكلا فقالوا يا أبا اسحق انا لا نقوى على صحبة الخلق وأنت أعطاك الله تعالى قوة لذلك فصنف الاستاذ بعد ذلك كتابه الكبير في أصول الدين وهو كتاب جامع الجلي والخفي وهو

السواك قبل الصلاة من فضائلها روى في الخبر صلاة بسواك تفضل على صلاة بغير سواك بسبعين ضعفا ويستحب له ان يقرأ قل أعوذ برب الناس قبل دخوله في الصلاة فانه جنة له من العدو وان يستعيذ في كل ركعة قبل قراءة الحمد لانه يكون قارئا القرآن وان كل ركعة صلاة وان يضم أصابع كفيه في التكبير وان يراوح بين قدميه في القيام لا يضم كعبيه ولكن يجعل بين قدميه مقدار أربع أصابع فان ذلك يستحب قال بعضهم كانوا يفتقدون الامام اذا كبر في ضم الاصابع واذا قام في تفرقة الاقدام قال فيستدلون بذلك على فقهه ونظر ابن مسعود الى رجل قد ألزق كعبيه في الصلاة فقال لو راوح بينهما كان قد أصاب السنة وقد روي في خبران النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصفن والصفد في الصلاة فأما الصفن فرفع احدى الرجلين من قوله تعالى الصافنات الجياد اذا عطف الفرس طرف سنبكه وأما الصفد فهو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد واحدها صفد وقد رأيت بعض العلماء يفرق بين أصابعه في التكبير وتأول ان ذلك معنى الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا كبر نشر أصابعه نشرا وذلك يحتمل لتوكيده بالمصدر وهو قوله نشرا فيصلح ان يكون قوله نشر يديه التفرقة وقد تسمى التفرقة بثا ونشرا لان حقيقة النشر البسط وقد قال الله تعالى وزرابي مبثوثة فهذا هو التفرقة وقال في معنى البث كالفراش المبثوث ثم قال في مثله كأنهم جراد منتشر فاذا كان النشر مثل البث وكان البث هو التفرقة كان قوله نشرا بمعنى فرق الا ان اسحق بن راهويه سئل عن معنى قوله نشر أصابعه في الصلاة نشرا فقال ضمها وفتحها أراد بذلك ان يعلم انه لم يكن يقبض كفيه وهذا وجه حسن لان النشر ضد الطي في المعنى والقبض طي ورأيت ثلاثة من العلماء يفرقون أصابعهم في التكبير منهم أبو الحسن صاحب الصلاة في المسجد الحرام وكان فقيها ورأيت ثلاثة يضمون أصابعهم منهم أبو الحسن بن سالم وأبو بكر الآجري وأحسب ان أبا زيد الفقيه كان يفرق في أكثر ظني اذا تذكرت تكبيره وقول آمين من فضائل الصلاة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بآمين وفي لفظ آمين لغتان المد والقصر والميم فيهما مخففة لانك اذا شددت الميم أحلت المعنى فيكون معناه قاصدين من قوله ولا آمين البيت الحرام وان يترك احدى يديه على الاخرى قابضا على الزندين بين السرة والصدر فان ذلك من الخشوع وقال بعض العلماء ما أحسنه ذل بين يدي عزيز وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه من سنن المرسلين وفسر علي عليه السلام قوله تعالى فصل لربك وانحر قال وضع اليمين على الشمال وهذا موضع علم علي رضي الله تعالى عنه ولطيف معرفته لان تحت الصدر عرقا يقال له الناحر لا يعلمه الا العلماء فاشتق علي رضي الله عنه قوله وانحر من لفظ الناحر أي اوضع يدك على الناحر وهذا هو العرق كما قال ادمغ أي أصب الدماغ ولم يحمله على نحر البدن لانه ذكر في الصلاة ومن الناس من يقول اشتقاقه من النحر والنحر هو تحت الحلقوم عند ملتقى التراقي والبدن لا توضع هنالك الامن قال من أهل اللغة في معناه وانحر اي بوجه القبلة بنحرك وهذا معرى وهو لا يعني في الصلاة وهو ان يجلس على قدميه وينصب ركبتيه هذا مذهب أهل اللغة في الاقعاء أو على ركبتيه جاثيا او أصابع رجليه في الارض هذا مذهب أهل الحديث وليجتنب السدل والكف فاما السدل فهو ان يرخي أطراف ثيابه على الارض وهو قائم يقال سدل وسدن بمعنى واحد وقد تبدل اللام نونا لقرب المخرجين اذا أرسل ثيابه ومنه قيل سدنة الكعبة أحدهم سادن وهم قوامها الذين يسبلون عليها كسوتها وسدانة الكعبة ثيابها المسبلة وهذا قول أهل اللغة ومذهب أهل الحديث في السدل ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه ولا يركع ويسجد ويداه في بدن القميص ان اتسع فاما ان يدخل يديه في جسد القميص في السجود فمكروه وقد قال بعض الفقهاء في السدل قولا ثالثا قال هو ان يضع وسط ازاره على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه

الآخرة وحكى القاضي أبو بكر الباقلاني قال كنت أحضر أنا والاستاذ أبو اسحق الاسفرايني والاستاذ أبو بكر بن فورك القراءة على الشيخ أبي الحسن الباهلي صاحب الشيخ أبي الحسن الاشعري فكان اذا جلس للاقراء يجعل بينه وبين الناس سترا فسأله بعض الحاضرين عن ذلك فقال انكم ترون أهل السوق وهم أهل الغفلة عن الله تعالى فاكره ان تروني بالعين التي ترونهم بها واعلم ان العالم المحتاج اليه في باب الدين يحتاج في صحبة الخلق الى صبر طويل وحلم دائم ونظر لطيف واستعانة بالله تعالى دائما وأن يكون في المعنى منفردا عنهم وان كان معهم بشخصه قال ابن مسعود رحمة الله عليه خالط الناس وزايلهم ودينك لا تكلمنه واعلم انه اذا هاجت الفتن بعضها في بعض وظهر الهرج والمرج وولى الناس عن أمر الدين مدبرين لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولا يطلبون علما ولا يرفعون مفيدا ولا مرشدا ولا يهتمهم أمر دينهم وترى الفتن في الدين تعم العامة وتدب بين الخاصة فالعالم حينئذ معذور في العزلة والتفرد ودفن العلم كما في هذا الزمان النكد الصعب وبالله المستعان

*(فصل)* قد مثال العالم الذي تمكن في علمه وله القوى على ارشاد الناس لا ينبغي له العزلة وكذلك نقول ههنا ان مريد

وهذا قول بعض المتأخرين وليس بشيء عندي والاولان أعجب الي وهما مذهب القدماء وأما الكفت فقد نهي عنه في الصلاة أيضاً وهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه اذا أراد السجود وأكره أن يأتزر فوق القميص فانه من الكفت وقد روي عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه كراهية ذلك وروينا عن بعض أولاد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الرخصة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم معتزماً بعمامة فوق القميص وقد يكون الكفت في شعر الرأس فلا يصلي وهو عاقص شعره وفي الحديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعراً ولا ثوباً ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاختصار في الصلاة وعن الصلب فأما الاختصار فان يضع يده على خاصرته وأما الصلب فان يضع يديه جميعاً على خصريه ويجافي بين عضديه في القيام ولتقع ركبتاه على الارض قبل يديه ويداه قبل وجهه وان يسجد على جبهته وأنفه فانهما عضو واحد ولينهض على صدور قدميه وان ضعف فليعتمد على الارض بيديه وان لا يلتفت في صلاته يميناً وشمالاً ولا يلحظ عن يمين وشمال فان لحظ فهو أيسر وليرم ببصره الى موضع سجوده فان لم يفعل فليقابل بوجهه تلقاء القبلة ولا يعبث بشيء من بدنه في الصلاة وروي ان سعيد بن المسيب نظر الى رجل يعبث بلحيته في صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق ونهى عن المواصلة في الصلاة وهي في خمس اثنان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا يصل ركوعه بقراءته واثنان على المأموم ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبير الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما ان لا يصل تسليم الفرض بتسليم التطوع وليفصل بينهما وقد قيل التسليم جزم والتكبير جزم وقد جاء في الخبر سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء وزاد بعضهم والسهو والشك وقال بعض السلف أربعة أشياء في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وان يصلي بطريق من يمر بين يديه وزاد بعضهم وان لا يصلي في الصف الثاني وفي الصف الاول فرجة وقد نهي عن صلاة الحاقن والحاقب والحازق فالحاقن من البول والحاقب من وجود الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فلا يصلي من كربه هذه الثلاثة لانها تشغل القلب وأكره صلاة الغضبان والمهتم بأمر ومن عرضت له حاجة حتى يسري عنه الهم بذلك وبما يشغل القلب ويتفرغ للصلاة ومن شغل قلبه حضور الطعام وكانت نفسه تائقة اليه فليقدم الاكل لقوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء الا ان يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان وكان الحسن يقول كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع ● ذكر فضائل الصلاة وآدابها وما يزكو به أهلها ووصف صلاة الخاشعين قال الله تعالى وأقم الصلاة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من حب الدنيا وقيل من الاهتمام بها وقال جل ثناؤه الذين هم على صلاتهم دائمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتبأوس وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم فمن لم يفعل فهي خداج أي ناقصة وروينا عن الله سبحانه وتعالى في الكتب السالفة انه قال ليس كل مصل أتقبل صلاته انما أتقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي وأطعم الفقير الجائع لوجهي فمن الاقبال على الصلاة ان لا تعرف من على يمينك ولا من على شمالك من حسن القيام بين يدي القائم على كل نفس بما كسبت وكذلك فسروا قوله تعالى هم على صلاتهم خاشعون وقال سعيد بن جبير ما عرفت من على يميني ولا على شمالي في الصلاة منذ أربعين سنة منذ سمعت ابن عباس يقول الخشوع في الصلاة ان لا يعرف المصلي من على يمينه ومن على شماله وروينا عن بشر بن الحرث قال قال سفيان من لم يخشع فسدت صلاته وروينا عن معاذ بن جبل من عرف من عن يمينه ومن شماله في الصلاة متعمداً فلا صلاة له وقد أسنده اسمعيل بن أبي زياد عن بشر بن الحرث

السلوك في طريق الله تعالى ينبغي له ان لا يعتزل الناس على العموم بل يختلط بأهل الخير والاصلاح فانه يعد مخالطتهم معونة عظيمة على الخير والطاعة لان الخلطة لها تأثير عظيم في تحويل الطبائع وتغيير أحوال النفوس واكتساب الخصال المحمودة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة التي فيها السعادة الاخرى الى كلب أصحاب الكهف لما تبعهم وصحبهم كيف نال ببركة صحبتهم ما ناله من دخوله الجنة معهم وفي البخاري ان غلاما يهوديا كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتى النبي صلى الله عليه وسلم اليه يعوده وكان والد الغلام عنده فعاده النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال له يا غلام أما تسلم فنظر الى أبيه فقال له أبوه يا بني أطع أبا القاسم فأسلم الغلام فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وهو يقول الحمد لله الذي هداه بي للاسلام فمن صحب الابرار أشرقت عليه منهم الانوار ومن عاشر الزيات نمت عليه روائحه وقد استحب الاجتماع في الله وكثرة التعرف بأهل الخير جماعة من التابعين منهم الحسن البصري وأبو قلابة وكان أبو قلابة يقول لاخوانه أنتم أحب الي من أهلي وولدي لان أولئك يذكروني الدنيا وأنتم تذكروني بالآخرة وكره التعرف بالناس سفيان الثوري وابراهيم بن أدهم وأبو سليمان الداراني والفضيل بن عياض وداود الطائي وبشر بن الحارث

وغيره ومن الثوري أيضا من قرأ كلمة مكتوبة في حائط أو بساط في صلاته فصلاته باطلة وقال بشر يعني بذلك لانه عمل في الصلاة ومن الدوام في الصلاة السكون فيها وعلى ذلك فسر قوله تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون قيل هو السكون والطمانينة في الصلاة من قولك ماء دائم اذا سكن وقال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيآتهم في الصلاة من الطمانينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ثم اصغاء القلب الفهم وخشوعه التواضع وسكون الجوارح الهيبة ثم الترتيل في القراءة والتدبر لمعاني الكلام وحسن الافتقار الى المتكلم في الافهام والايقاف على المراد وصدق الرغبة في الطلب للاطلاع على المطلع من السر المكنون المستودع في الكتاب وان مر بآية رحمة سأل ورغب أو آية عذاب فزع واستعاذ أو مر بتسبيح أو تعظيم حمد وسبح وعظم فان قال بلسانه فحسن وان أسر في قلبه ورفع به همه نابه قصده عن المقال وكان فقره غاية السؤال وهذا أحد الوجهين في قوله تعالى يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به هكذا كان وصفهم في التلاوة وينبغي ان يكون قلبه يوصف على ركن من أركان الصلاة وهمه معلق بكل معنى من معاني المناجاة فاذا قال الله أكبر أي عما سواه ولا يقال أكبر من صغير انما يقال أكبر من كبير فيقال هذا كبير وهذا أكبر فان كان همه الملك الكبير كان ذكر الله أكبر في قلبه فليواطئ قلبه قول مولاه في قوله تعالى ولذكر الله أكبر ويواطئ لسانه قلبه في مشاهدة الاكبر فيكون يتلو وينظر فان الله تعالى قدم العين على اللسان في قوله تعالى ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين فلا يقدم لسانه ويؤخر بصره ويكون عقده محققا لمقاله بالوصف حتى يكون عاملا بما يقول في الحال فقد أخذ لبه ذلك لما أمره حجة عليه وتنبيها له ولا يكون بقوله الله أكبر حاكيا ذلك عن قول غيره ولا مخبرا به عن سواه بل يكون هو المحقق بالمعنى القائم بالشهادة وهذا عند أهل المعرفة واجب لان الايمان قول وعمل في كل شئ فاذا قلت الله أكبر فان العمل بالقول ان يكون الله أكبر في قلبك من كل شئ وهو من رعاية العهد لتدخل تحت الثناء والمدح في قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون فالعهد ما أعطيت بلسانك والرعاية الوفاء بالقلب ليستحق الاجر العظيم كما قال تعالى ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ومن كان في قلبه الملك الصغير الفاني أكبر من الملك الاكبر فانه قائل بقوله تعالى الله أكبر وليس هذا حقيقة الايمان لانه لم يأت بعمل وقول وانما جاء بالقول وهذا قائم بنفس من مشاهدته الآخرة وكانت قرة عينه الآخرة كما قال تعالى ما عندكم ينفد يعني الدنيا وما عند الله باق يعني الآخرة وقد قال جعلت قرة عيني في الصلاة لانه كان عند ربه فجعل قرة عينه به وقد قال سبحانه وتعالى ولذكر الله أكبر فالمذكور أكبر وأكبر وقد أخبر تعالى ان الصلاة أريد بها الذكر فقوله تعالى وأقم الصلاة لذكرى وروى معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك المذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانس بن مالك واذا صليت صلاة فصل صلاة مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا وكقوله تعالى واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال النبي صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة وكان يرى الاكبر فتقر عينه به وقال من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا كما قال من لم يترك قول الزور والخيانة فليس لله تعالى حاجة في ان يترك طعامه وشرابه فانما المراد من الصلاة والصيام المخالفة من الآثام ومن اقامة الصلاة واتمامها الوضوء لها قبل دخول وقتها لئلا يشغله عن أول وقت غيرها وينبغي ان يكون قلبه في همومه مع ربه ونيته في قلبه فيختار الربه من كلامه ما يكلمه بمطالبه ويتملقه بمناجاته ويعرفه من صفاته فان كل كلمة عن معنى اسم أو وصف أو خلق أو حكم أو ارادة أو فعل لان الكلام ينبئ عن معاني الاوصاف ويدل على الموصوف وكل كلمة من الخطاب تتوجه عشر جهات للعارف من كل جهة مقام ومشاهدات أول الجهات الايمان بها والتسليم

الثاني وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وغيرهم قال سفيان الثوري رحمة الله عليه من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيه وقال بعض العباد لاخير في الاجتماع والجدل في العزلة يوفر العرض ويستر في الفاقة ويرفع مؤنة المكافاة في الحقوق اللازمة

*(فصل)* قال الحرث المحاسبي رحمة الله عليه من الاسباب المرهبة في حق الخلوة المعينة على مجاهدة النفس عن الهوى وقطعها عن مخالطة الخلق وفطامها بمنع الحواس من الاخذ من الامور المستحسنة تهيج القلوب بالحركات الى الشهوات واضطرار الجوارح وتهييجها الى العمل بما يكره الله تعالى فاذا فقد القلب ما تجلبه الحواس سكن عن الحركة الى الشهوات واجابته الجوارح بالهدو فعند ذلك يتفرغ القلب الى أعمال البر ويضعف فيه كيد الشيطان لان سلاحه قد تعطل عند قطع ما يجتلب بالحواس عنه ووهن سلطان الهوى فيه وقويت دلالات سلطان العقل بالفكرة وغلب على القلب اذ ضعف ضده فعند ذلك يغلب على قلب العبد بالفكر فيهيج من ذلك الخوف فيحث الخوف على طلب الآخرة وترك الدنيا وما فيها فيستوحش من ذلك حب العزلة والخلوة بعمها ويأنس بها ويستوحش من المخلوقين ويفر منهم فاذا لزم الخلوة هاج عنده من الخلوة فنون من أصول

لها والتوبة اليها والصبر عليها والرضا بها والخوف منها والرجاء لها والشكر عليها والمحبة لها والتوكل فيها فهذه المقامات العشر هي مقامات اليقين لان الكلام هي حق اليقين وهذه المعاني كلها منطوية في كل كلمة يشهدها أهل التملق والمناجاة ويعرفها أهل العلم والحياة لان كلام المحبوب حياة القلوب لا ينذر به الاحي ولا يستجيب الا مستجيب قال الله تعالى ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا وقال سبحانه استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا يشهد هذه العشر مشاهدات الا من تقلب في العشر المقامات المذكورة في سورة الاحزاب أولها مقام المسلمين وآخرها مقام الذاكرين وبعد مقام الذكر هذه المشاهدات العشر فعندها الاعلى المناجاة لوجود المصافاة ولا يثقل عليه القيام الذ لذة والافهام ويسهل عليه الوقوف لدنو العطوف ويتنعم بالعتاب بحلاوة الاقتراب هنالك يندرج طول القيام في التلاوة فلا يجده كالعبد راح القبلة في الصلاة فلا يشهدها فيكون من ورائه القبلة وهو امامها كذلك القيام يحمله وهو مع حامله حدثنا ان الموقن اذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه يتأهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله أكبر اطلع الملك في قلبه فاذا ليس في قلبه أكبر من الله تعالى فيقول صدقت الله تعالى في قلبك كما تقول قال فينشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش ويكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى الوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل واذا كبر اطلع الملك في قلبه فاذا كل شيء في قلبه أكبر من الله تعالى عنده فيقول له كذبت ليس الله في قلبك كما تقول قال فيثور في قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه قال فيرد ذلك الحجاب صلاته ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس اليه ويزين له حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه وقد جاء في الخبر لولا ان الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ أثرها بزعفران ثم التفت الينا فقال أيكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا أينا قال فان أحدكم اذا دخل في صلاته فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا ودلك بعضه ببعض وقد روي اذا قام العبد في صلاته فقال الله أكبر قال الله للملائكة ارفعوا الحجاب بيني وبين عبدي فاذا التفت يقول الله تعالى عبدي الى من تلتفت أنا خير لك ممن تلتفت اليه ثم اذا قام المقبل على صلاته شهد قلبه قيامه لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم شهد وقوفه بالحضرة بين يدي الملك الجبار اذ ليس من الغافلين فتأخذه غيبة الحضور ورهقه اجلال الحاضر ويستولي عليه تعظيم القريب ويجمعه خشية الرقيب فاذا الاوقف همه مع المتكلم فاذا أراد واشتغل قلبه بالفهم عنه والانبساط معه فان ركع وقف قلبه مع التعظيم للعظيم فلا يكون في قلبه أعظم من الله تعالى وحده فان رفع شهد الحمد للمحمود فوقف مع الشكر للودود فاستوجب منه المزيد وسكن قلبه بالرضا لانه حقيقة الحمد وان سجد سما قلبه في العلو فقرب من الاعلى بقوله تعالى واسجد واقترب وأهل المشاهدة في السجود على ثلاث مقامات منهم من اذا سجد كوشف بالجبروت الاعلى فيعلو الى القريب فيدنو من القريب وهذا مقام المقربين من المحبوبين ومنهم من اذا سجد كوشف بملكوت العز فسجد على الثرى الاسفل عند وصف من أوصاف القادر الاجل فينكسر قلبه ويخبت تواضعا وذلا للعز الاعلى وهذا مقام الخائفين من العابدين ومنهم من اذا سجد جال قلبه في ملكوت السموات والارض فتاب بنار ائب الفوائد وشهد غرائب الزوائد وهذا مقام الصادقين من الطالبين وههنا قسم رابع لا يذكر بشيء يسره ومما يستحق الذم وهم الذين يجول همهم في أعطية الملك وأنصبة الممالك فهم محجوبون بالهمم الدنية عن المشاهدة العلية

الزهد في الدنيا واجتهد العبد في أن يحصل له شيء منها من غير طريق العزلة والخلوة عظمت عليه فيه المؤنة واشتد عليه فيه العلاج فاما عازم على الصبر واما عائد الى طباعه في التخليط فاول ما يهيج من محبة لزوم الخلوة طلب العبد الاخلاص والصدق في جميع أموره فيما بينه وبين الله تعالى لان الرياء ينتفي في العمل في الخلوة ويسقط عن العبد بالخلوة وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويأمن من مداهنة الناس ويورث راحة القلب من هموم الدنيا ويوقي شرور الخلق وكلفة مداراتهم قال بعضهم مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة ويهيج من الخلوة خمول النفس والانخفاض في الناس وهي أول طريق الصدق الذي منه الاخلاص ويهيج عن الخلوة الوحشة من الناس والانس بالله تعالى وتورث الخلوة طول الصمت من غير تكلف والقوة على الصبر وضعف داعية الهوى والشهوة ومن ذلك يظهر الحلم والايقاظ ويهيج من الخلوة شغل العبد بنفسه وقلة ذكره لغيره ويورث ذلك الغيرة ويورث ذلك ترك الغيبة والنميمة ويهيج من الخلوة ذلة النفس على الفكرة في عظمة الله وجلاله وخوف الشقاء في المعاد ويهيج من الخلوة ترك التزين للناس ومراءاتهم ويورث حب الخلوة حياة القلوب ونفاذ البصيرة في الامور المعينة ويهيج من الخلوة محبة لقاء الله والوحشة من الخلق والانس

مأسورون بالهوى عن السياحة الى الاعلام فان دعا هذا المصلى نظر الى المدعو فكان هو المرجو فاحمد في التمجيد والثناء والحمد والآلاء ونسي حاجته من الدنيا واشتغل عن نفسه بالمولى ومن مسألته بحسن الثناء وان استغفر هذا الداعي تفكر في أوصاف التوبة وأحكام التائب وتفكر ما سلف من الذنوب فعمل في تصفية الاستغفار واخلاص الانابة والاعتذار وجدد عقد الاستقامة فيكون له بهذا الاستغفار من الله عز وجل تحية وكرامة ففي مثل صلاة هذا العبد وردت الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الحجاب بينه وبين مولاه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه وينادي مناد لو علم المناجي من يناجي ما انفتل وان أبواب السماء تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهي ملائكته بصفوف المصلين وفي التوراة مكتوب يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله تعالى الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال وكانوا يرون ان تلك الرقة والبكاء وتلك الفتوح التي يجدها المصلي في قلبه من دنو الرب تبارك وتعالى من القلب وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ادع الله تعالى ان يرزقني مرافقتك في الجنة فقال أعني بكثرة السجود وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شيء أحب اليه من الصلاة لتعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد أو كما قال بعض العلماء المصلاة خدمة الله عز وجل في أرضه وقال آخر المصلون خدام الله عز وجل على بساطه ويقال ان المصلين من الملائكة يسمون في السموات خدام الرحمن ويفخرون بذلك على سائر المرسلين من الملائكة ويقال ان المؤمن اذا صلى ركعتين عجب منه عشر صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله تعالى به مائة ألف ملك وذلك ان العبد قد جمع فيه أركان الصلاة الاربعة من القيام والقعود والركوع والسجود وفرق ذلك على أربعين ألف ملك والقائمون لا يركعون الى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيامة وكذلك الراكعون والساجدون ثم قد جمع الله له أركان الصلاة الستة من التلاوة والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفرق ذلك على ستين ألف ملك لان كل صف من الملائكة عبادته ذكر من الاذكار الستة فاذا رأت الاملاك ما جمع فيه من الاركان الستة والاذكار في ركعتين عجبت منه وباهاهم الله تعالى به لانه قد فرق تلك الاعمال والاركان على مائة ألف ملك وبذلك فضل المؤمن على الملائكة وكذلك فضل الموقن أيضا في مقامات اليقين من أعمال القلوب على الاملاك بالتنقل في المقامات بان جمعت فيه ورفع منها والملائكة لا ينتقلون بل كل ملك موقوف في مقام معلوم لا ينقل عنه الى غيره مثل الشكر والخوف والرجاء والشوق والانس والخشية والمحبة بل كل ملك له مزيد وعلو من المقام الواحد على قدر قوته وجمع ذلك كله في قلب الموقن قال الله تعالى وهو أصدق القائلين في صفات أوليائه المؤمنين قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون فمدحهم بالصلاة كما ذكرهم بالايمان ثم مدح صلاتهم بالخشوع كما افتتح بالصلاة أوصافهم ثم قال في آخرها والذين هم على صلاتهم يحافظون فختم بها نعوتهم وقال في نعت عباده المصلين الذين استثناهم من الجزوعين من المصائب والفقر المانعين للمال والخير الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ثم نسق النعوت وقال في آخرها والذين هم على صلاتهم يحافظون فلولا انها أحب الاعمال اليه ما جعلها مفتاح صفات أحبائه وختامها ولما وصفهم بالدوام والمحافظة عليها ومدحهم بالخشوع فيها والخشوع هو انكسار القلب واخباته وتواضعه وذلته ثم لين الجانب وكف الجوارح وحسن سمت واقبال والمداومة والمواظبة عليها وسكون القلب والجوارح فيها والمحافظة هي حضور القلب واصغاؤه وصفاء الفهم وافراده من مراعاة الاوقات واكمال طهارة الادوات ثم قال تعالى في عاقبة المصلين أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فجعل أول عطائهم الفلاح وهو الظفر والبقاء وآخره الفردوس وهو خير

المستقر

وكلام رب العالمين الذى جعله نورا وشفاء للعالمين وهدى ورشدا للمستبصرين انتهى كلام الحرث وقال بعضهم من أراد الخلوة فليخل قلبه من جميع الوسائط والاسباب لان الخلوة حضرة الحق فلا يكن في قلبه غيره ولا يطالب الامنه ولا ينال شيأ من مواهب الخلوة وفي قلبه رائحة لغير الله تعالى نسأل الله العظيم الاخلاص في العمل والتوفيق لما يحبه ويرضاه

(باب الرعاية لحقوق الله تعالى ومحاسبة النفس)

قال الله تعالى فما رعوها حق رعايتها وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وورد في الاخبار انه صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وقال ميمون ابن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه واجمع العلماء على وجوب حقوق الله تعالى وعلى انه يجب على العبد ان يحاسب نفسه على الاعمال فينظر في جميع أعماله المتعلقة بالقلب والجوارح الظاهرة ويعتبرها عملا عملا فما كان منها على وفق الشرع حمد الله تعالى عليه فانه من أكمل نعم الله تعالى عليه وما كان منها مخالفا تداركه بالتوبة والاستغفار كذلك كان يفعل

المستقر والمأوى وقال في اشد ادهم من أهل النار ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين وقال في حق الآخرين منهم فلا صدق ولا صلى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاعة من نهاه عن الصلاة ثم أمره بها وأخبره ان فيها القرب والزلفى في قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى ثم قال كلا لا تطعه واسجد واقترب فالمصلون بقية من خلقه وورثة جنته من عباده وأهل النجاة من دار غضبه وابعاده جعلنا الله منهم بعطفه ورحمته وذكر الحث على المحافظة على الصلاة وطريقة المصلين من الموقنين قال الله سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا الآية فاختار لنفسه أصحابه صلوات الله عليه ثم اختار لاصحابه الصلاة فجعلها وصفهم في الانجيل والتوراة فهذا يدل ان الصلاة أفضل الاعمال لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العمال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل قال الصلاة لمواقيتها وعن عمر رضي الله تعالى عنه اذا رأيت الرجل حافظا للصلاة فظن به خيرا واذا رأيته مضيعا للصلاة فهو لما سواها أضيع وكان الحسن يقول ابن آدم ماذا يعز عليك من دينك اذا هانت عليك صلاتك فهو على الله تعالى أهون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين من تركها فقد كفر وفي حديث آخر بين الكفر والايمان ترك الصلاة وفي الخبر من حافظ على الصلوات الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشره الله تعالى مع فرعون وهامان وفي تفسير قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال الصلوات الخمس وعن ابن مسعود وسلمان الصلاة مكيال فمن أوفى وفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين وفي الخبر أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته فلا يتم ركوعها ولا سجودها وفي الخبر اذا صلى العبد في الملا فأحسن وأساء صلاته في الخلا فتلك استهانة يستهين بها ربه عز وجل وفي الخبر اذا أحسن العبد صلاته في العلانية وأحسنها في السر قال الله تعالى لملائكته هذا عبدي حقا وعن كعب وغيره من قبلت صلاته قبلت أعماله كلها ومن ردت عليه صلاته ردت عليه أعماله كلها ويقال من تقبلت منه الصلوات الخمس كلا من غيران تلفق ولا يرقع بعضها من بعض أو غيرها من النوافل اطلع على علم الابدال وكتب صديقا وعلامة قبول الصلوات ان تنهاه في تضاعيفها عن الفحشاء والمنكر والفحشاء الكبائر والمنكر ما تنكره العلماء فمن انتهى رفعت صلاته الى سدرة المنتهى ومن فرقته الاهواء فقد ردت صلاته لما هوى فهوى وقال مالك بن دينار وابراهيم بن أدهم اني لارى الرجل يسيء صلاته فارحم عياله وقال الفضيل بن عياض الفرائض رؤس الاموال والنوافل الارباح ولا يصح ربح الا بعد رأس المال وكان ابن عيينة يقول انما حرموا الوصول بتضييع الاصول وقال علي بن الحسين من اهتم بالصلوات الخمس في مواقيتها واكمال طهورها لم يكن له في الدنيا عيش وكان عليه السلام اذا توضأ للصلاة تغير لونه واصفر وارتعد فقيل له في ذلك فقال تدرون بين يدي من أريد ان أقف وعلى من ادخل ولمن أخاطب وقال بعض العارفين للصلاة أربع فرائض اجلال المقام واخلاص السهام ويقين المقال وتسليم الامر وقال أبو الدرداء خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى وكان وكيع يقول من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها لم يحافظ عليها ومن تهاون بتكبيرة الاحرام فاغسل يدك منه وروينا في تفسير قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم قال تكبيرة الاحرام وفي حديث أبي كاهل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا يفوته منها تكبيرة الاحرام كتب له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار وقال سعيد بن المسيب منذ أربعين سنة ما فاتتني تكبيرة الاحرام في جماعة وكان يسمى حمامة المسجد وقال عبد الرزاق من عشرين سنة ما سمعت الاذان الا في المسجد ويقال انه اذا كان يوم القيامة أمر بطبقات المصلين الى الجنة زمرا قال فتأتي أول زمرة كان وجوههم الكوكب الدري فتستقبلهم الملائكة فيقولون من أنتم فيقولون نحن المصلون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى

ه رضي الله عنه واعلم ان المحاسبة على الاعمال مبنية على معرفة ترتب الطاعات وما يجب تقديمه منها وتوسيطه أو تأخيره فان الشيطان اذا أيس من التائب ان يوافقه على المعاصي الظاهرة دس عليه معاصي خفية لا يشعر بها فيأمر بتقديم طاعة أوجب الله تأخيرها أو توسيطها أو يأمره بتأخير طاعة أوجب الله تعالى تقديمها أو توسيطها كل ذلك ليغر العبد من حيث لا يعلم وقد توافق النفس الشيطان على ذلك فرارا من أثقل العبادتين واشقهما الى أخفهما وأروحهما وطريقه في الصلاة من ذلك انه اذا خطرت له حسنة فلا يقدم عليها حتى ينظر أهي مما قدمه الله في ذلك أو مما وسطه فان كانت مما قدمه الله تعالى في ذلك الوقت على غيره من الطاعات فلا يقدم عليها حتى يخلصها لله تعالى فلا يريد بها سواه وارادة الله تعالى بالاعمال أقسام أحدها ان يعمل له طمعا في ثوابه الثاني ان يعمل له خوفا من عقابه الثالث ان يعمل له حبا الرابع ان يعمل له اجلالا وتعظيما من المخالفة الخامس أن يضيف بعض هذه الاقسام الى بعض *(فصل)* في كيفية رعاية حقوق الله تعالى مضيقها وموسعها ومعينها ومخيرها ومقدمها ومؤخرها وما أوجب الله تعالى على العباد عند الخطرات وكيفية ابتداء الاعمال من ابتدائها الى انتهائها قال الحرث المحاسبي رحمه الله اعلم ان

الطهارة لا يشغلنا غيرها فتقول الملائكة صدق لكم ذلك ثم تأتي الزمرة الثانية فوق أولئك في الحسن والجمال كان وجوههم الاقمار فتقول الملائكة من أنتم فيقولون نحن المصلون فيقولون وما كانت صلاتكم فيقولون كنا نتوضأ للصلاة قبل دخول وقتها فتقول الملائكة صدق لكم ذلك ثم تأتي الزمرة الثالثة فوق هؤلاء في المنزلة والجمال كان وجوههم الشمس الضاحية فتقول الملائكة أنتم أحسن وجوها وأعلى مقاما فما أنتم فيقولون نحن المصلون فيقولون وما كانت صلاتكم فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد فتقول الملائكة صدق لكم ذلك وقال بعض العلماء رضي الله عنهم سميت الصلاة صلاة لانها صلة بين العبد وبين الله عز وجل ومواصلة من الله تعالى لعبده ولا تكون المواصلة والمنال الا للتقي قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ولا يكون التقي الا خاشعا فعندها لا يعظم عليه طول الوقوف ولا يكثر عليه الانتهاء عن المنكر والائتمار بالمعروف كما قال سبحانه وتعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والخاشعون من المؤمنين هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الحافظون لحدود الله جزاؤهم البشرى كما قال وبشر المؤمنين والخاشعون أيضا الخائفون الذاكرون الصابرون والمقيمون الصلاة فاذا كملت هذه الاوصاف فيهم كانوا مخبتين وقد قال سبحانه وبشر المخبتين وكان ابن مسعود اذا نظر الى الربيع بن خثيم يقول وبشر المخبتين أما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفي لفظ آخر لاحبك يقال انه كان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة لا تحسب جارية ابن مسعود الا انه أعمى لشدة غض بصره وطول اطراقه الى الارض بنظره وكان اذا دق الباب عليه تخرج اليه الجارية فاذا رأته قالت لعبد الله صديقك ذاك الاعمى قد جاءك فكان ابن مسعود يضحك ويقول ويحك ذاك الربيع ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله ابن مسعود على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى الساعة التي صعق فيها حتى فاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله الخوف وكان هذا يقول ما دخلت في صلاة قط فاهمني فيها الا ما أقول وما يقال لي وقد كان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين كان اذا صلى ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يعقل ذلك ولا يسمعه وقيل له ذات يوم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء قال نعم بوقوفي بين يدي الله عز وجل ومنصرفي الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيئا مما نجد من أمور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في أحب الي من ان أجد شيئا في الصلاة مما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار من الزاهدين العاملين كان اذا دخل في الصلاة يقول لاهله تحدثوا بما تريدون وافشوا اسراركم فاني لا أسمع اليكم وكان يقول وما يدريكم أين قلبي وكان يصلي ذات يوم في مسجد البصرة فوقعت خلفه اسطوانة معقود بناؤها على أربع طاقات فتسامع بها أهل السوق فدخلوا المسجد وهو يصلي كانه وتد وما انفتل من صلاته فلما فرغ جاءه الناس يهنونه فقال أي شيء تهنوني قالوا وقعت هذه الاسطوانة العظيمة وراءك فسلمت منها قال متى وقعت قيل وأنت تصلي قال ما شعرت بها وقال بعض المصلين الصلاة من الآخرة فاذا دخلت في الصلاة خرجت من الدنيا وسئل بعضهم هل تذكر في صلاتك شيئا قال وهل شيء أحب الي من الصلاة فاذكره فيها وكان أبو الدرداء يقول من فقه الرجل ان يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وفي الخبر ان عمار بن ياسر صلى صلاة فخففها فقيل له خففت يا أبا اليقظان فقال هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئا قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له ثلثها ولا نصفها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وقد ذكر هذا عبد الواحد بن زيد انه اجماع فروينا عنه انه قال اجمعت العلماء انه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها قلبك فهي الى العقوبة أسرع منها الى

القلوب أول محل التكليف وان أعمال الابدان موقوفة على أعمال القلوب وان الاعمال انما يقع ابتداؤها من القلوب ثم تظهر على الجوارح فاول أعمال القلوب الخاطر ولا تكليف بسبب خطوره على القلب فاذا خطر على القلب وعرفت النفس ما فيه من المصالح أو المفاسد فانما تميل اليه ان وافقها وتنفر عنه ان خالفها ولا يتعلق التكليف أيضا بالميل ولا بالنفور عنه فانهما أمران طبيعيان لا فكاك عنهما ولا انفصال منهما ولا يكلف الله نفسا الا وسعها فاذا حصل ميل النفس أو نفورها حضر الشيطان فزين لها الاقدام على الفعل ان كان مما لا يرضى الله تعالى وزين لها النفور من الفعل ان كان مما فيه رضا الله تعالى فهذا ابتداء تكليف القلوب وهو العزم على الفعل أو العزم على الترك فالخطاب المتعلق بالعزم أول تكليف يرد على القلوب بعد الايمان والخواطر ثلاثة خطرة من النفس تخطرها بالقلب لتنال بها هواها وتدرك بها مناها وخطرة من الشيطان يخطرها ليهلك الانسان بما يزينه له من الفواحش وخطرة من الرحمن يخطرها رحمة للانسان لما ينيله من الثواب فحق على الانسان اذا خطرت له خطرة ان لا يوافقها حتى يعرفها ويميز ما تخطره النفس والشيطان مما يخطره الرحمن وانما يقع التمييز بالتثبت وعرض تلك الخطرات على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب

الثواب ويقال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الزبير وطلحة كانوا أخف الناس صلاة فسئلوا عن ذلك فقالوا نبادر بها وسوسة العدو وروينا ان عمر رضي الله تعالى عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله تعالى فيها وقال الله جل ذكره ومن أصدق من الله حديثا حتى تعلموا ما تقولون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تشعبت به الهموم لم يبال الله تعالى في أي أوديتها أهلكه وسئل أبو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف على شفع أم على وتر وسئل الحسن عن ذلك فقال هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى يخرج وقتها وكان يقول أما والله لو تركوها لكفروا ولكن سهوا عن الوقت وقال بعض السلف فيها هو الذي ان صلاها في أول الوقت أو في الجماعة لم يفرح وان صلاها بعد الوقت لم يحزن وقيل هو الذي لا يرى تعجيلها برا ولا تأخيرها اثما ويقال ان الصلوات الخمس يلحق بعضها الى بعض حتى يتم للعبد صلاة واحدة وقيل من الناس من يصلي خمسين صلاة فيكمل له بها خمس صلوات وان الله تعالى ليستوفي من العبد ما أمر به كما فرضه عليه والا تمم من سائر أعماله النوافل لانه ما فرض على العبد الا ما يطيقه بعونه اذ لم يكلفه ما لا طاقة له به برحمته وروينا عن عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب الى عبدي وقد جاء مثله عن نبينا صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لا ينجو مني عبد الا باداء ما افترضته عليه وفي الخبر المفسر أول ما يحاسب به العبد الصلاة فان وجدت كاملة والا يقول الله تعالى انظروا هل لعبدي نوافل فتتم فرائضه من نوافله ثم يعمل بسائر الفرائض كذلك يوفي كل فرض من جنسه من النفل فاذا كانت النوافل في السهو والتقصير كالفرائض أو لم يوجد نوافل فكيف يكون حاله في الحساب وكان ابن عباس يفسر قوله تعالى كلا لما يقض ما أمره قال يعني به الكافر لان عنده ان كل موضع في القرآن يذكر به الانسان خاصة انه يعني به الكافر وقد قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعني طاقتها وقال سبحانه وتعالى مخبرا عن المؤمنين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به في التفسير قد فعلت وفي هذه المسئلة اختلاف وشبهة والصواب من ذلك ان الله عز وجل لا يكلف المؤمنين خاصة ما لا طاقة لهم به فهم مخصوصون بذلك فضلا من الله تعالى ونعمة آثرهم بها على الكافرين لان له أن يؤثر بعض عباده على بعض لان الفضل بيده يؤتيه من يشاء وهذا مفهوم من دليل الخطاب من قوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به ان له تعالى ان يحمل الكافر ما لا طاقة له به عدلا منه وحكمة كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته قيل صدقا للمؤمنين وعدلا على الكافرين قال الله تعالى مخبرا عن اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا فهذا نص في الايثار لبعض خلقه على بعض ثم رأيت تصديق ما ذكرته عن ابن عباس رواه اسمعيل عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها يعني الا طاقتها من العمل لان الله تعالى افترض على المؤمنين أعمالا يطيقونها ولم يفترض عليهم ما لا يطيقون هذا نقل لفظ ابن مسعود في تخصيص المؤمنين كما ذكرناه آنفا ويقول أيضا في تفصيل هذه المسئلة للزائغين فيها تعلق ابتغاء التأويل ان الله تعالى كلف العباد ما لا يطيقونه الا به لافتقارهم اليه وعدم استغنائهم عنه في كل حركة وسكون اذ لا مشيئة لهم دون مشيئته ولا استطاعة الا بتوفيقه ولا حول ولا قوة الا به ألم تسمع الى قوله تعالى في وصف الكافرين ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وقال تعالى في مثله وكانوا لا يستطيعون سمعا وقال فيمن استطاع به ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى كما أمر غفر له ما تقدم من ذنبه وقد روي في خبر يقول الله تعالى ليس كل مصل أتقبل صلاته انما أتقبل صلاة من تواضع لعظمتي وخشع قلبه لجلالي وكف شهواته عن محارمي وقطع ليله ونهاره بذكري ولم يصر على معصيتي ولم يتكبر على خلقي ورحم الضعيف وواسى الفقير من أجلي على ان أجعل

---

والسنة علم انه من الخاطر الوارد من قبل الرحمن اما بواسطة الملك أو بغير واسطة وما خالف الكتاب والسنة علم انه من خواطر النفس أو من جهة الشيطان ويتميز خاطر النفس من خاطر الشيطان بان عندها من العزم على ما تخطر لها فان ألحت النفس في طلبه فهو من خواطرها وان سكتت عنه فهو من الخواطر الشيطانية واذا كان العزم ينقسم الى حلال وحرام فنقول اذا التبس أحدهما بالآخر لم يجز الاقدام على أحدهما الا بعد النظر والبيان كما لو اشتبه اناء طاهر باناء نجس أو درهم حلال بدرهم حرام فيجب التثبت عند الاشتباه الى أن تتبين الخطرة فان عرضتها على أصول الشريعة فلم يظهر لك شئ لم يحل لك الاقدام على الحلال الملتبس بالحرام كما اذا اجتهدت بين الاناءين فلم يظهر لك شئ فانه لا يحل لك الاقدام على أحدهما كذلك نقول ههنا قال الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبي وأما كيفية رعاية الحقوق في التقديم والتأخير فمنها التقديم بر الوالدة على الوالد ثم تقديم الاقرب فالاقرب فان استوى قدم أشدهم حاجة الثاني ان يقدم المؤن والنفقات الواجبة على التوسعة فيقدم نفقة العيال على نفقة الحج والعمرة الثالث أن تقدم صلاة الجمعة على رد الوديعة الرابع ان لا يقدم بر الوالدين المندوب على صلاة الجمعة ولا على فريضة فات وقتها الخامس

الجهالة له حلما والظلمة نورا يدعونى فألبيه ويسألنى فأعطيه ويقسم على فأبره أكلؤه بقوتى وأباهى به ملائكتى لو قسم نوره وعنده على أهل الارض لوسعهم مثله كمثل الفردوس لا يتسنى ثمرها ولم يتغير حالها وفى الخبر كم من قائم حظه من قيامه السهر والتعب ومن صلى صلاة وراء امام فلم يدر ماذا قرأ فهو من آفة السهو فانه تارك الامر للاستماع فيخاف عليه مجانبة الرحمة لان الله تعالى ضمن الرحمة بشرطين الاستماع والانصات وقال سبحانه فى المعنيين واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وقال تعالى فلما حضروه قالوا أنصتوا ورويناعن النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فترك فى قراءته شيئا فلما انفتل قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبى بن كعب فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندرى أنسخت أم رفعت فقال أنت لها يا أبى ثم أقبل على الآخرين فقال ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بنى اسرائيل كذلكم فعلوا فأوحى الله الى نبيهم أن قل لقومك تحضرونى أبدانكم وتعطونى ألسنتكم وتغيبون عنى قلوبكم باطل ما تذهبون * وقال بعض علمائنا ان العبد ليسجد السجدة عنده انه يتقرب بها الى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على أهل مدينته لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك يا أبا محمد قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه وهذا كما قال لان فيه انتهاك حرمة القرب وسقوط هيبة الرب تعالى واعلم ان طول الصلاة عليك غفلة وقصرها سهو لانها اذا طالت عليك دل على عدم الحلاوة ووجود الثقل بها وكبرها على جوارحك واذا قصرت عليك وخفت دل على نقصان حدودها ودخول الغفلة والسهو فيها فالنسيان قصرها والاسنة منه فى الصلاة أن لا تطول عليك لوجود الحلاوة ولذة المناجاة وحسن الفهم واجتماع الهم ولا تقصر عليك لتيقظك فيها ورعايتك حدودها وحسن قيامك بها وهذه مراقبة المصلين ومشاهدة الخاشعين

وذكر أحكام الخواطر فى الصلاة وما ذكر به العبد فى الصلاة من الخير فليبادر الى فعله فذلك من أحب الاشياء الى الله تعالى لانه أذكره اياها فى أحب المواطن اليه وما ذكر به من المكروه والمقوت اليه من المعتاد والمستأنف فليجتنبه فانه هو الذى يبعد من قرب الله سبحانه وتعالى وتذكيره اياه فى محل القرب توبيخ له وتقريرا وقد يكون عتابا وتنبيها فترك ذلك مما يقرب الى الله تعالى ويدل على حسن الاستجابة له وهو مسالك طريقه الى الله تعالى وما خطر به من خاطر نفس أو هوى أو ذكر بهمة ما يأتى أو ما قد مضى فان ذلك وسوسة اليه من عدوه وحسد اله ليقطعه بذلك عن وقوف قلبه عند كل ركن من أركان الصلاة ويشغل قلبه عن الوقوف فى المناجاة فيحجبه بما يبصره عما يذيعه ليحرمه بذلك من شهود معنى كل ذكر من أذكار الصلاة ما يوجبه الذكر من تدبر أو تعظيم أو حمد أو دعاء أو استغفار وان خطر بقلبه أمر معاشه وتصريف أحواله وتدبير شأنه من المناجاة فذلك من قبل النفس وفكرها بما تؤمر به من أمور الدنيا فاما ان خطرت همة بمخاورة أو فكرة فى معصية مأزورة فهذا هو الهلاك والبعد يكون عن وصف النفس الامارة باستحواذ العدو المغوى فهو علامة الابعاد والحجاب دليل المقت والابعاد والاعراض فاذا ابتلى فى صلاته بهذه المعانى فقد استتر بذلك فعليه ان يعمل فى نفسه مع نظر بدوه ولا يمكنه من الناهوس قلبه فيملكه ولا يصغى اليه بعقله فيستولى عليه ولا يعاديه ولا يحاوله فيخرجه من حد الذكر واليقظة الى مسامرة الجهل والغفلة وكل عمل محظور فالهمة به محظورة وفيه نقص وكل عمل مباح فالهمة به مباحة ونقص بالفضيلة وما خطر على قلبه من الخيرات المتأخر فعلها فليعقد النية بذلك فانه قد ذكر به وأريد منه ثم ليمض فى صلاته ولا يشتغل بتدبيره كيف يكون ومتى يكون أو كيف أكون فيه ومتى هو اذا كان فيفوته الاقبال فى الحال بتدبير شأنه فى المآل وهذا هو استراق من العدو عليه والقادح خدوعه اليه فان جاهد هذا المصلى نفسه عن مسامرة الفكر وقابل عدوه فى قطع وسوسة الصدر كان مجاهدا فى سبيل الله تعالى مقاتلا لاثنين من أعداء الله تعالى له أجران أجر الصدق للتقرب الى الكريم وأجر المحارمة والمحاربة لعدوه الرجيم وقد كان لاقويا من المؤمنين أهل

تقديم الديون الحالة التى طالب بها أربابها على الحج السادس تقديم طاعة الوالدين على الواجب الموسع السابع يقدم حق الزوجة على رضا الوالدين هذا فى المأمورات وأما المنهيات فلا تضرب الاولاد ونهيهم لرضا الزوجات الثانى لا يرضى الوالدين بقطع الارحام الثالث لا تؤدى الحقوق الواجبات من الشبهات وقد استوفى الحرث المحاسبى بجميع تفاصيل هذا الباب وأقسامه فى الرعاية فمن أحب الوقوف عليها فليطالع الرعاية

*(فصل)* قال المحققون العلماء الحكام أرباب البصائر وأهل النفاذ السلوك الى الله تعالى له بداية وتوسط ونهاية فالبداية هى اليقظة والتوبة والتوسط المحبة والادب والنهاية المعرفة والعلم ويكون الايمان محبسة والتوكل حالته والبرهان بحثه والاستسلام مطيته والزهد بضاعته والمحاسبة أمانته والبحث عن خفى عيوب النفس تقايته والاستقامة عدالته والرضا غنيمته والتسليم راحته والتفويض سياحته والتقوى عمدته والفكر والذكر كهفه والتوحيد قاعدته والصبر عادته والخلوة بيته فمن كان كذلك فهو منقطع الى الله تعالى ومن انقطع الى الله تعالى أواه الله وقال عليه الصلاة والسلام من انقطع الى الله كفاه الله المؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب وقال بعض الحكماء وهو ابراهيم الخواص رحمة الله عليه أصل الدين بعد

الملظة على الاعداء والتمكين اذا ابتلوا بداخل يدخل عليهم فى الصلاة من الاسباب يخرجهم من المشاهدة فيها عملوا فى قطع ذلك الشئ وابعاده من أصله اذ كان سبب قطعهم وابعادهم من قربهم فيستخرج بادخال ذلك عليهم اخراجهم من الدنيا وهو الزهد فيها فيكون ذلك احسانا من الله اليهم ومريدا منه لهم وهذا أحد ما زهد لاجله الزاهدون فى الدنيا لتصفو قلوبهم من الاسباب فتخلص أعمالهم من الوسواس بالاكتساب ومن ذلك ما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزع الجبة التى كانت عليه فى الصلاة لما نظر الى علمها وقال ألهتنى هذه فى الصلاة يعنى شغلتنى ونظر الى شراك نعله فى الصلاة وكان جديدا فأمر ان ينزع منها ويبدلها الشراك الخلق وكان قد احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى كيلا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها الى أول سائل لقيه ثم أمر عليا ان يشترى له نعلين سبتيين جرداوين فلبسهما وكان الضعفاء من المؤمنين بعد لو نتف نفيهم وتركوا ما كنتم معادته فى الحال لقوادح اليقين فى ايمانهم ولسرعة التيقظ فى قلوبهم لان الآفات تدخل من مكان الهوى وتمكن الاعداء ومكان الهوى وقوة العدو لطول الغفلة وعدم حلاوة الطاعة لاتساع النفس فى الشهوات وقوة سلطانها على الصفات واتساع النفس وقوة صفتها الضيق القلب وضعف اليقين اذ لو قوى يقين العبد لانشرح صدره ولا طفأ نور يقينه ظلمة هواه ولاندرجت النفس فى القلب اندراج الليل فى النهار ولاسقط مكانه من الشهادة تمكن أعدائه والعادة ولعلم يقينا ان ما هو فيه من الذكر والصلاة أنفع له وأحمد عاقبة مما تفكر فيه من عاجل دنياه فيشتغل حينئذ بما هو فيه من الذكر عما هو عليه من سوء الفكر وليس بعد هذين المقامين حال ينعت ولا عدم بشئ وما قدح فى قلبه من فهم الخطاب وتدبر معانى الكلام والايقان على المقصد والمراد فهو تعليم من الله تعالى وتوقيف وتنبيه منه وتعريف وهذا مزيد التلاوة وعلامة الاخلاص فى المعاملة وبركة التدبر ودليل القبول والشكر لحسن الخدمة فليأخذ من ذلك ما عطاه ويغترف منه ما صفا ولا ينتظره ولا يتمناه ولا يتبعه بعد انصرافه بالفكر فى معناه فيسترق العدو عليه السمع ويلقى اليه الوسوسة ويطمع فيه بالغرة ويدخل عليه من باب الامنية لانه قد قرن الامانى بالاضلال فهى مواعيد الكذب للابطال ألم تسمع الى ربك تعالى كيف أخبر عنه فى قوله تعالى ولاضلنهم ولامنينهم ثم قال فى مثله وعدهم وشاركهم فى الاموال والاولاد وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم استثنى عباده المسلطين عليه بسلطانه الغالبين له بآياته فلم يصل العدو اليهم لمواصلته لهم وتوكلهم عليه وكالته اياهم تنتظم هذه المعانى فى قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون مع قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وللعبد فى التفكر والتدبر لما يستقبل من كل كلمة شغل عما فات مما كان عمله فى الشغل فى الحال اقتطاع عما قد فهمه وما فهمه من غير ما يتلو فاستدل به على ما سواه مما يعنيه ويحتاج اليه فهى أبواب من الفطانة تفتح له فيكون التكلم مفتاحها ثم يخرج العبد الى سواها مما هو له أصلح أو عليه أوجب فليعرف بذلك ما عرف وليقف من ذلك على ما عليه موقف وما تفكر فيه من غير تدبر التلاوة أو شغل به من غير فهم المتلو فهو حجاب له عن الفهم وقطع له عن خالص العلم فليقطع ذلك والتمام فى التلاوة أن يتدبر التالى باطن الكلام ويتفكر فى غوامض الخطاب ويوقف قلبه على معانى المراد ويعمل فكره فى تذكر الوصل والترداد فان الكلام عزيز من عزيز ولطيف من لطيف وحكيم من حكيم وعلى من على ظاهره سهل قريب وباطنه بحر عميق يقول السامع اذا عقله قد فهمته اتجلى فحواه فاذا شهده كأنه ما سمعه لدقيق معناه يحسب العاقل انه قد عرفه لظهور بيانه وتفصيل حكمته فاذا عرف المتكلم به كأنه ما عقله لعمق بحاره وسعة أقطاره قد اغتر به قوم لما سمعوا بيانه فادعوا انهم يحسنونه وتخدع به آخرون لما تأولوا أمثاله فطلبوا غيره وسألوا تبديله وأصغى آخرون الى سمعه فادعوا فهمه فما كذبهم الصادق وعزلهم عن سمعه ثم أخبرنا بجميع ذلك من جهلهم وحجبنا من حرامهم فقال فى وصف الاولين واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد

الايمان بالله تعالى المحاسبة وصاحب الشهوات لا يصل الى المحاسبة والصدق ينال بالمحاسبة والمحاسبة أن يقف العبد قبل كل حركة وقفة من حركات النفس ووقفاتها حتى يسكن هيجان الحركة بتدبر عواقبها فما كان لله تعالى دخل فيه وما كان لغير الله تعالى تركه ولا ينال هذا الا بالصبر حتى تلزم المحاسبة فى القلوب ولم يكن من العبد حركة ظاهرة ولا باطنة الا والله تعالى أقرب الى قلبه من كل حركة فعندها لا يسقط له فعل ولا ارادة بل تكون أفعاله وهممه وارادته وعزائمه مقبولة عند الله تعالى قال ابراهيم الخواص رحمة الله عليه وأما الرعاية فمن لم يحسن رعاية نفسه أسرع به هواه الى الهلكة والخاسر من أبدى للناس أحسن أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب اليه من حبل الوريد انتهى كلام الشيخ ابراهيم وقال بعض المحققين الرعاية على أقسام رعاية الاعمال ورعاية الاحوال ورعاية الوقت فرعاية الاعمال بتوفيرها وتحقيرها والقيام بها من غير نظر اليها ورعاية الاحوال أن يعد الاجتهاد مراياة والفتن تشبعا والحال دعوى ورعاية الوقت ان لا يشغله بشئ مما يسخط الله تعالى ويعمره بكل ما يرضى الله تعالى انتهى

*(باب التفكر والتذكر)*

قال الله تعالى أولم يتذكروا الآية وقال تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم

سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هـذا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هـذا أو بدله وقال في نعت الآخرين يلقون السمع وأكثرهم كاذبون انهم عن السمع لمعزولون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهـم لا يسمعون ثم وصف من أسمعنا اياه وأفهمه معنا من الجن الذين هم أشد قوة من الانس وأعظمهم وصفا فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فهؤلاء ممن عقل فدخلهم بفهمه وأخبر عن صاحب التنزيل عنه فقال بل عجبت ويسخرون أى عجبت من القرآن وتفصيله وتنزيله ويسخر منه الجاهلون فان فتح للتالي بالتلاوة وبين نفس المتلو باب التفكر في معاني العظمة والقدرة وكشف له بواسطة الكلام مشاهدة ما كان علمه من وعد الآخرة ووعيدها فله أجران من حيث كان منه عملان التفكر والصلاة وهـذا كله لعموم المؤمنين من يدوهو بتلك الخصوص من المقربين دون ذلك الاما وجهوا به من طوالع الغيوب واطلعوا عليه من مطالع سرائر الغيوب فكوشفوا به من بوادي اليقين من العزة والجبروت والاجلال والرهبوت ما هجم عليهم من غير تفكر منهم ولا تدبر عما استعملهم به واضطرهم الى مشاهدته القدير فأخرس ألسنتهم عن المقال وعقل عقولهم عن المجال وأفنى قلوبهم عن الطلب ولم يوكل الى فكرهم بنظر الى سبب بل من غير تعمل منهم لتكييفه ولا روية ولا اختيار لماهيته ثم يجاوزونه اذا أخذ منهم حقه وأدركوا به نسيبهم الى العالم الاكبر فيقعون بين يديه ويعطون عنده ولا يقفون مع المشاهدة طرفة عين ولا يسكنون اليها خطرة قلب لئلا يقطعهم البيان عن المبين ولا يشغلهم الخبر عن اليقين ولا يحجبهم الشهادة عن الشهيد ولا يحبسهم البادئ العائد عن المبدئ المعيد بل قد أشرف بهم على المراد فأسقط عنهم التشرف وأذهلهم عن الاعتراف والتعريف بما بادأهم به من التعرف واقتطعهم العيان فأفناهم عن الانقطاع وتقطعوا بالمتصل فأنساهم الانتفاع وتوصلوا بالموصل فأطلعهم عليه وكان لهم حاملا اليه ودليلا أمامهم منه عليه وهذه صفة الاقوياء بالقوي الاغنياء بالغني الواجدين بالموجد الشاكرين بالمبتدئ الذاكرين بذاكر الصابرين بصابر ولا ينبغي للمصلي ان يدخل في صلاته حتى يقضي تفثه ويفرغ من حاجته ولا يبقى عليه ما يزعج قلبه ويفرق همه ليفرغ قلبه في صلاته ويجتمع همه في تلاوته ويحضر عقله لفهمه ويواطئ قلبه قوله ويقبل على المقبل عليه بعقوله وهذا يؤمر به الضعفاء عن مجاهدة الاعداء والمرضى عن مسابقة الاولياء وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي أحب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفي كل خير وقد قال الله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله الى قوله فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة مع قوله وكلا وعد الله الحسنى (شرح ثالث مباني الاسلام عليه وهو الزكاة (كتاب الزكاة) فأما فرائض الزكاة فأربع الحرية وصحة الملك ووجود النصاب وهو مائتا درهم وعشرون دينارا واستكمال الحول وهو من شهر الى مثله * ذكر فضائل الصدقة وآداب العمال وما يزكو به المعروف ويفضل به المنفقون روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس في المال حق سوى الزكاة وان جماعة من التابعين كانوا يذهبون الى ان في المال حقوقا غير الزكاة منهم ابراهيم النخعي قال كانوا يرون ان في المال حقوقا سوى الزكاة ومنهم الشعبي سئل أفي المال حق سوى الزكاة قال نعم اما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى الآية ومنهم عطاء ومجاهد وقد كان المسلمون يرون المساواة والفرض والقيام بمؤن العجزة من أنفسهم وأهليهم من المعروف والبر والاحسان وان ذلك واجب على المتقين وعلى المحسنين من أهل اليسار والمعروف وكذلك مذهب جماعة من أهل التفسير ان قوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون وقوله وانفقوا مما رزقناكم مأمور به وان ذلك غير منسوخ بآية الزكاة وانه داخل في حق المسلم على المسلمين وواجب بحرمة الاسلام ووجود الحاجة فمن فضائل الزكاة ان يخرجها في أول ما تجب عليه وان تقدمها قبل وجوبها اذا رأى اهلها وضعا يتنافس فيه ويغتنم خوف فوته من غاز في سبيل الله عز وجل أو في دين مطالب أو جهاد وغزو أو الى رجل فقير فاضل طرأ في وقته أو ان

يتفكرون ومنه صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم اجعل صمتي فكرا ونطقي ذكرا ونظري عبرا وقال العلماء بالله تعالى و بالتفكر يتوصل الى الحق اذا كان الفكر مصحوبا بنور التوفيق الالهي والخطاب الشرعي فلو انفرد الفكر العقلي عن مصاحبة الشرع زل وضل والفكر الصحيح غاية علم اليقين كما أن رعاية الاعمال عين اليقين قال العلماء الفكر الصدق يحسن البصيرة لادراك البغية وهو ثلاثة أنواع الاول فكرة في عين التوحيد وفي صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال وذلك بحر لا ساحل له ولا ينجي من الغرق في هـذا البحر الا الاعتصام بحبل الله تعالى والتمسك بالعلم الظاهر والثاني الفكرة في لطائف الصنعة وفي أسرار الحكمة وعجائب الابداع والثالث الفكرة في معاني الاعمال والاحوال قال بعضهم خالص الفكر يوصل الى استقامة القلوب واستقامة القلوب توصل الى الصدق والاخلاص وقال الروذباري التفكر على خمسة أقسام الاول تفكر في آيات الله يتولد منه المعرفة والثاني تفكر في آلاء الله تعالى ونعمائه يتولد منه المحبة والثالث تفكر في وعد الله وثوابه يتولد منه الرجاء والرغبة والرابع تفكر في وعيده وعذابه يتولد منه الخوف والرهبة والخامس تفكر في جفاء النفس مع احسان الله تعالى اليها يتولد منه الحياء من الله تعالى وأما الذكر فهو من أفضل العبادات قال الله

سبل

سبيل غريب كان تقدمتها لى هؤلاء وامثالهم أفضل وأزكى لانه من المسارعة الى الخير ومن المعاونة على البر والتقوى وداخل فى التطوع بالخير وفعله الذى أمر به ولا يأمن الحوادث ادفى التأخير آفات وللدنيا نوائب وعوائق والنفس بدوات والقلوب تقليب وان جعل رأس الحول أحد الشهرين كان أفضل فان فى هذين خاصية من الفضائل ليست فى غيرهما فاما شهر رمضان فان الله تعالى خصه بتنزيل القرآن وجعل فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر وجعله مكانا لاداء فرضه الذى افترضه على عباده من الصيام وشرفه بما أظهر فيه من عمارة بيوته بالقيام وقد كان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وقد رويناه عن ابن أبجر باسناده مسندا وأما ذو الحجة فانا لا نعلم شهرا جمع خمس فضائل غيره هو شهر حرام وشهر حج وفيه يوم الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهى العشرة والايام المعدودات وهى أيام التشريق التى أمر الله تعالى بذكره فيها وأفضل أيام فى شهر رمضان العشر الاواخر وأفضل أيام فى شهر الحجة العشر الاول وقد استحب بعض أهل الورع ان يقدم فى كل سنة بشهر لئلا يكون مؤخرا عن رأس الحول لانه اذا أخرج فى شهر معلوم ثم أخرج القابل فى مثله كان ذلك الشهر يكون الثالث عشر وهذا تأخير فقالوا انه اذا أخرج فى رجب فليخرج من القابل فى جمادى الآخرة ليكون آخر سنته بلا زيادة واذا أخرج فى رمضان فليخرج من قابل فى شعبان على هذا التلاويد على السنة شيأ وهذا احسن وينبغى أن يكون مخرجا للفرض فى كل شهر ثم ان يخرجها طيبة بها نفسه مسرورا بها قلبه مخلصا لربه مبتغيا بها وجهه لغير رياء ولا سمعة ولا تزين ولا تصنع لا يحب أن يطلع عليها غير الله عز وجل ولا يرجو فى اعطائها ولا يخاف فى منعها سواه وليكن ناظرا الى الله تعالى عارفا بحسن توفيقه له وان يعتقد فضل من يعطيه من الفقراء عليه ولا ينتقصه بقلبه ولا يزدريه وليعلم ان الفقير خير منه لانه جعل طهرة زكاته ورفعة درجة فى دار المقام والحياة وانه هو قد جعل سخرة للفقير وعمارة للدنيا كما حدثنا بعض العارفين قال أريد منى ترك التكسب وكنت ذا صنعة جليلة فجال فى نفسى من أين المعاش فهتف بى هاتف لا أراك تنقطع البنا وتتهمنا فى أن نخدمك وليا من أوليائنا أو نسخر لك منافقا من أعدائنا وان يسر ذلك الى الفقير سرا ولا يذكر ذلك فقد جاء فى تفسير قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال المن ان تذكرها والاذى ان تظهرها وحدثت عن بشر بن الحارث قال قال سفيان من من فسدت صدقته قيل كيف المن يا أبا نصر قال ان تذكره أو تحدث به وبعضهم يقول المن هو ان تستخدمه بالعطاء والاذى ان تعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل أن يعطيه والاذى ان تنهره أو توبخه بالمسئلة وفى الحديث أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر وقال بعض العلماء ثلاثة من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روينا مسندا من طريق وذلك أسلم لدينه وأقل لآفاته وأزكى لعمله ✱ وقد روينا فى الخبر لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان لجمع بين المنة والسمعة كما جمع بين السمعة والرياء وهو من الاعمال فالمسمع الذى يحدث بما صنعه من الاعمال ليسمعه من لم يكن رآه فيقوم ذلك مقام الرؤية فسوى بينهما فى ابطال العمل لانهما عن ضعف اليقين اذ لم يكتف المسمع بعلم مولاه كما لم يقنع المرائى بنظره فاشرك فيه سواه والحق المنان بهما لان فى المنة معناهما من أنه ذكره فقد سمع غيره به أو رأى نفسه فى العطاء فتغير به وأداء سرا فان أظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فان تحدث به محى من السر والعلانية فكتب رياء فلو لم يكن فى اظهار الصدقة مع الاخلاص بها الا فوت ثواب السر لكان فيه نقص عظيم فقد جاء فى الاثر تفضل صدقة السر على صدقة العلانية بسبعين ضعفا وفى الحديث المشهور سبعة فى ظل عرش الله تعالى يوم لا ظل الا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما أعطت يمينه وفى لفظ آخر فاخفى عن شماله ما تصدقت به يمينه وهذا من المبالغة فى الوصف وفيه مجاوزة الحد فى الاخفاء أى يخفى من نفسه فكيف غيره وقد تستعمل العرب المبالغة فى الشئ على ضرب المثل والتعجب وان كان فيه مجاوزة الحد من ذلك ان الله عز وجل ذم قوما ووصفهم بالبخل وبالغ فى وصفهم فقال تعالى أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا والنقير لا يريده

تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذكرونى أذكركم وقال تعالى ولذكر الله أكبر أى أكبر من كل شئ قاله بعض المفسرين وورد فى الحديث من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وقيل لبعض العلماء متى تقرب القلوب من الله تعالى فقال اذا كانت قائمة بذكره غير لاهية عنه قال ابن عطية فى تفسيره الذكر النافع هو العلم والاقبال بالقلب وتفرغه الا من الله تعالى وذكر الله تعالى العبد هو افاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة ذكره قال الله تعالى فاذكرونى أذكركم قال المحققون الذكر ركن قوى من طريق الحق سبحانه وتعالى بل هو العمدة فى هذا الطريق ولا يصل أحد الى الله تعالى الا بدوام الذكر والذكر يكون باللسان ويكون بالقلب فذكر اللسان به يصل العبد الى استدامة ذكر القلب وذكر القلب عليه المعول فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه حال سلوكه ومن خصائص الذكر انه غير مؤقت بل هو مطلوب فى عموم الاوقات وجميع الاحوال اما على جهة الفرضية واما على جهة النفلية قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية وقال سهل بن عبد الله ما أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب عز وجل واعلم ان الذكر الذى يقابله النسيان

الى الاقارب فكان فضل الصدقة على الاقارب دون البعيد كفضل الصدقة على القرابة دون الاباعد لانه ليس بعد صلة الرحم فى معناها أفضل من صلة الاخوان وكان بعض السلف يقول أفضل الاعمال صلة الاخوان ولية مدبيره من اذا دفع اليه العطاء حمد الله تعالى وشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فى نعمة فان هذا أشكر العباد لله تعالى لان حقيقة الشكر لله بشهود النعمة منه والاخلاص بحسن المعاملة له وأن لا يشهد فى النعمة بالعطاء والنعمة بالعمل الصالح سواه وفى وصية على رضى الله تعالى عنه لا تجعل بينك وبين الله تعالى منعما وأعدد نعمة غيره عليك مغرما فليغتنم مثل هذا على من لو أعطاه ورزقه أثنى عليه ومدحه وشهوده فيه فحمده فيكون قد حمد غير الذى أعطاه ونظر الى سواه وذكر غير الذى ذكره بالعطاء لان الذى يحمد الله ويشكره ويثنى عليه ويذكره يرى ان الله سبحانه وتعالى هو المنعم المعطى فينظر اليه من قرب فيثنى هذا بالله أنفع لصاحب المعروف عند الله من دعاء الآخر المثنى لانه كان سبب النفع موقن فيكون واضعا الشئ فى حقيقته وضعه ومدح الآخر ودعاؤه لاجل انه يراه هو المعطى فينظر اليه فيمدحه فضعف يقين هذا ربه أشد على المتقى من دعائه ان كان ناصحا لله تعالى فى خلقه ولخلق الله تعالى فيه الا أن لا ينصح ولا ملغلبة هواه على تقواه ولجهله بعائد النفع له فى عقباه فنقص هذا حينئذ بمقامه من التوحيد أعظم من زيادته بصدقته على انه لا يؤمن الاستشراف من الآخر اليه والاعتياد منه والطمع فيه بكلام يحبط عمله وأيضا فانه اذا رآه فى العطاء فانه يراه عند المنع فيذمه ويقع فيه فيكون هو سبب حمله عليه وهو آمن مطمئن لهذا كله مع الموقن الشاهد وفى الخبران الصدقة تقع بيد الله تعالى قبل ان تقع بيد السائل وهو يضعها فى يد السائل فالموقن يأخذ رزقه من يد الله تعالى فهو لا يعبد الا الله تعالى ولا يطلب منه الا كما أمر فى قوله تعالى فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بعض الفقراء بمعروف وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أوصله اليه قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعنى نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر الرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر به وقال قد علمت انه يقول ذلك وقد روى هذا عن عمرو عن أبى الدرداء مع جرير رضى الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فى قصة الافك نحمد الله ولا نحمدك فسره ذلك وقال لها أبو بكر لما نزل عذرها وبراءتها قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله لا أفعل ولا أحمد الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر وفى لفظ آخر انها قالت لابى بكر نحمد الله ولا نحمدك ولا نحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بل سره وأمر أباها بالكف عنها وقد جعل الله تعالى من وصف الكافرين انهم اذا ذكر الله وحده فى شئ اشمأزت قلوبهم واذا ذكر غيره فرحوا وجعل من نعتهم انهم اذا ذكر توحيده وافراده عند شئ عصوا ذلك وكرهوه واذا أشرك غيره فى ذلك صدقوا به فقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال أيضا ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم والكفر التغطية وان يشرك به تؤمنوا والشرك الخلط ان يخلط بذكره ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلى الكبير يعنى لا يشرك فى حكمه تعالى لانه العلى فى عظمته الكبير فى سلطانه لا شريك له فى ملكه وعطائه ولا ظهير له من عباده ففى دليل هذا الكلام وفهمه من الخطاب ان المؤمنين اذا ذكر الله تعالى بالتوحيد والافراد فى الشئ انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكر الله تعالى وتوحيده واذا ذكرت الاواسط والاسباب التى دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم وهذه علامة صحيحة فاعرفها من قلبك ومن قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد فى القلب او وجود خفى الشرك فى النفس ان كنت عارفا وينبغى ان يجعل صدقته من أجل ما يقدر عليه وأطيبه فى نفسه وجهده فان الله طيب لا يقبل الا طيبا وزكاء الصدقة ونماؤها عند الله تعالى على حسب حلها ووضعها

اشتغال بغير الله تعالى فيكون الذكر (١١٠) أفضل ولان الذكر ظاهر والفكر خفى والعبادة الظاهرة أشرف من العبادة الباطنة لان العبادة الظاهرة مرغبة للغير فى ان يقتدى به فيها ويأتى بمثلها فان قلت الظاهرة يدخلها الرياء قلنا ذلك يكون فى حق المبتدئين لا الواصلين أرباب النهايات وهذا الدليل الاخير فيه نظر لان الذكر المختلف فى كونه أفضل من الفكر اهو الذى بالقلب دون الذكر باللسان فاستوى الذكر والفكر فى الخفاء وعدم الظهور وأما من قال بان الفكر أفضل فاحتج له بأربعة أمور أحدها ان الفكر عمل القلب والروح والذكر عمل اللسان والجسم والروح أفضل من الجسم واللسان فيكون الفكر أفضل من الذكر الثانى ان الفكر وسيلة الى المعرفة التى هى أعظم الطاعات اذ لولا الفكر لما تبين الحق من الباطل والذكر ليس وسيلة الى عبادة فيكون الفكر أفضل الثالث ان الذكر لا يفيد الا اذا كان عن ذكر القلب بخلاف الفكر فانه لا يحتاج الى الذكر بل هو عبادة مستقلة بنفسها الرابع ان الفكر أبدا يكون فى الترقى من درجة الى درجة أعلى منها وصاحب الذكر كالواقف فالفكر أفضل من الذكر

(فصل) * والذكر على خمسة أنواع الاول ذكر هو فرض ودون ذكر هو فضل وذكر هو قربة وذكر هو طهارة وذكر هو حقيقة فاما الذكر الذى هو فرض فعند الامر

في الاخص الافضل من أهلها وينبغي ان يستصغر ما يعطي فان الاستكثار من العجب والعجب محبط الاعمال قال الله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله تعالى وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى وعن بعض العلماء لا يتم المعروف الا بثلاث تصغيره وتعجيله وستره وقد كانوا يدفعون في الزكاة المتين وفي التطوع الالوف وكانوا يسألون الفقير بما يخرجه من حد الفقر ومن الحاجة والضر الى حد الكفاية والغنية ويبقى لهم فضل وعلى هذا تأويل قوله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما أبقت غنى اى تكفي الفقير لوقته ويبقى له غنية واستغناء لوقت ثان تستقل به عن المسئلة والتشرف فيكون كانه عمل عملا ثانيا له على غيره له الاول بالعطاء وهذا أحد تأويل الخبر وقد وصف الله تعالى أهل الحاجة باوصاف خمسة فرقها في كتابه فقال سبحانه وتعالى وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وقال تعالى فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر وقال عز وجل فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير فاما السائل فهو الذي يسأل بكفه ويظهر السؤال بلسانه وأما المحروم فهو المحارف الذي حارفه الرزق أي انصرف عنه فقد حرمه وقيل هو الذي لا معلوم له ولا كسب قد حرم التصرف والتعيش وأما القانع فهو الذي يقعد في بيته ويقنع بما آتاه الله من غير طلب ولا تعرض وقيل ان القنوع هو وصف من أوصاف المسئلة من غير الحاف ولا الحاح وهو اسم من الاضداد يكون القنوع العفة والكفاف ويكون المسئلة وأما المعتر فهو الذي يعرض بالسؤال ولا يصرح تحمله الحاجة على التعريض وتوقفه الحياء عن التصريح وأما البائس فهو الذي به بؤس وشدة من مرض أو برد أو عضب وزمانة ثم ان الله تعالى قد فصل بين الفقراء والمساكين فقال أهل العلم الفقير الذي لا يسأل والمسكين السائل وقيل الفقير المحارف وهو المحروم والمسكين الذي به زمانة واشتقاقه من السكون أي قد أسكنه الفقر لما سكنه وأقل حركته وهذه أوصاف يقال قد تمسكن الرجل وسكن كما يقال تدرع وتدرع اذا لبس مدرعة فكذلك الفقير اذا كانت المسكنة لبسة له وأهل اللغة مختلفون فيهما قال بعضهم المسكين أسوأ حالا من الفقير لان الله تعالى قال أو مسكينا ذا متربة فهو الذي لا شئ له قد لصق بالتراب من الجهد وذهب الى هذا القول يعقوب بن السكيت ومال اليه يونس بن حبيب وقال قلت مرة لاعرابي أفقير أنت فقال لا والله بل مسكين أسوأ حالا من الفقير وبعضهم يتأوله على غير هذا فيقول ذا متربة من الغنى يقال أترب الرجل اذا استغنى فهو مترب من المال أي قد كان مترباً غنيا من أهل النعم ثم افتقر فهذا أفضل من أعطى وقال بعض أهل اللغة في قوله تعالى ذا متربة دليل ان المسكين أسوأ حالا قال ان الله تعالى لما نعته بهذا خاصة علمت انه ليس كل مسكين بهذا النعت ألا ترى انك اذا قلت اشتريت ثوبا ذا علم نعتته بهذا النعت لانه ليس كل ثوب به علم فكذلك المسكين الاغلب عليه ان يكون له شئ فلما كان هذا المسكين مخالفا لسائر المساكين بين الله تعالى نعته بهذا المعنى استدل أهل العراق من الفقهاء ان اللمس هو الجماع بقوله تعالى فلمسوه بايديهم ان اللمس يكون بغير اليد وهو الجماع فلما قال بايديهم خص به هذا المعنى فردوه على من احتج به من علمائنا الحجاز في قولهم اللمس باليد وقال آخرون بل الفقير أسوأ حالا من المسكين لان المسكين يكون له الشئ والفقير لا شئ له قال الله تعالى في أصحاب السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاخبران لهم سفينة وهي تساوي جملة وقالوا سمي فقيرا لانه نزعت فقرة من ظهره فانقطع صلبه من شدة الفقر فهو مأخوذ من فقار الظهر ومال الى هذا القول الاصمعي وهو عندي كذلك من قبل ان الله تعالى قدمه على الاصناف الثمانية التي جعل لهم الصدقة فبدأ به فدل على انه هو الاحوج فالاحوج أو الافضل فالافضل وقال قوم الفقير هو الذي يعرف بفقره لظهور أمره والمسكين هو الذي لا يفطن له ولا يؤبه به لخفيه وتستره وقد جاءت السنة بوصف هذا في الخبر المروي ليس المسكين الذي ترده الكسرة والكسرتان والتمرة والتمرتان انما المسكين المتعفف الذي لا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه * وقد قال بعض الحكماء في مثل هذا وقد سئل أي الاشياء أشد فقال فقير في صورة غني وقيل لحكيم

والنهي وذلك في تعالى سبحانه وما وقال العمل بهما وأما الذكر الذي هو فضل الذكر اللسان وأما الذي هو قربة فذكر الافعال وأما الذكر الذي هو طهارة فذكر الاخلاق وأما ذكر الحقيقة فقطع الاشياء والذاكر تارة يكون يذكر منته وفضله وتارة يذكر قسمه وعدله فيستغيث بفضله على عدله وشكره على كلا الحالين *(فصل)* واعلم ان الذكر يأتي على وجوه فتارة يذكر الله لعظمته فيتولد منه الهيبة والجلال وتارة يذكره لقدرته وغناه وسطوته فيتولد منه الخوف والحذر وتارة يذكره لفضله ورحمته وجوده وكرمه فيتولد منه الرجاء وتارة يذكره بوعده بالنظر اليه فيتولد منه الشوق وتارة يذكره باسدائه النعم والخيرات ودفعه البلاء والمضرات فيتولد منه الشكر وتارة بالكمال والجمال فيتولد منه المحبة وتارة يذكره بانه الذي له الامر والملك والخلق والايجاد والابداع والضر والنفع وانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فيتولد منه الصبر وتارة يذكره بانه الكافي في المهمات المتكفل بالارزاق بيده المنع والعطاء ولا يكون الا ما أراده وقدره فيتولد منه التوكل وتارة يذكره بما نصب من الادلة والعلامات والشواهد والآيات فيتولد منه زيادة اليقين وتارة يذكره بانه الذي ترجع اليه مفاتيح الامور ومباديها واواخرها ابدا تنتهي واليه تعود فيفني عن جميع ذلك فيتولد منه فناؤه عن طبيعة

آخرها أشد الاشياء قال من ذهب ماله وبقيت عادته وقال الفقهاء المسكين الذى له سبب ويحتاج الى أكثر منه لضيق مكسب أو وجود عيلة فهذا أيضا قد وردت السنة بفقر موذ كر فضله فى الحديث الذى جاء ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال ويبغض السائل الملحف وفى الخبر الآخر ان الله تعالى يحب عبده المؤمن المحترف وكل هذه الاقوال صحيحة فالافضل ان توضع الزكاة فى الاحوج فالاحوج والافضل فالافضل من أهل العلم بالله تعالى وأهل المعاملة وأهل الدين لله المنقطعين من أهل الدنيا المشغولين بتجارة الآخرة عن تجارات الدنيا ثم فى ذى العيال بقدر عياله وبقدر اغنائه من حاجاته فيكون له بعددهم أجور أمثاله من المنفردين اذهم جماعة وقد كان عمر رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكذلك فى السنة روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يعطى العطاء على قدر العيلة ويعطى المتأهل ضعف ما يعطى العزب ويعطى كل رجل على قدر أهل بيته وحدثنا عن بعض هذه الطائفة قال صحبنا أقواما كان يرهم لنا الالوف من الدراهم انقرضوا وجاء آخرون كان برهم لنا المئين ونحن بين قوم صلتهم لنا العشرات نخاف ان يجىء قوم شر من هؤلاء وقال بعض السلف رأينا قوما كانوا يفعلون ونخاف ان يجئ قوم يقولون ولا يفعلون وانا فى ذودين فى عيلة من مساكين فذلك غنيمة المتقين وذخيرة المنفقين والمعروف فى مثله واقع فى حقيقته وسئل ابن عمر عن جهد البلاء ما هو فقال كثرة العيال وقلة المال وقد جاء فى الخبر لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى لان التقى تستعين به على البر والتقوى فيشركه فى قصده وفى الخبر أيضا أطعموا طعامكم الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين وفى لفظ آخر أضف بطعامك من تحبه لله تعالى وينبغى للموقن ان يكون يفرح ويسر بقبول معروفه من الاتقياء لان ذلك عمل ان لم يقبله منه عارف بالله تعالى وأحكامه وقد ردت عليه أعماله فينبغى ان يحزن بردها عليه اذ كان ذلك ردا من الله تعالى له ومن وصل فقيرا بمعروف فرده عليه فعظم الفقير فى عينه فذلك يدل على جهل المعطى بربه لانه لو أخذها لسقط منزلته عنده ثم أخرجها سرا الى من هو أحوج اليها منه كان بذلك فاضلا ومن رد عليه فقير برّه فلم يحزنه ذلك أو سره فذلك دل على ضعف نيته فى الاخراج وقلة اخلاصه بمعروفه لان الصادق يسره رد معروفه اليه ويحزنه وينبغى ان لا يملك ذلك ان يرده عليه بل يدفعه الى فقير آخر لانه قد أخرجه لله تعالى فلا يرجع فيه والفقراء شركاء فى العطاء يرد عليهم من بعضهم الى بعض وكذلك ان أخرج صدقة باسم فقير بعينه ليعطيه اياها فصادف غيره فذكر من هو أحوج منه أو أفضل ووافق طالبا اليه فى حق عليه فلا بأس ان يدفعها الى من يدفعها الى الثانى ما لم تخرج من يده أو يكون قد وعده بها وكذلك ان دفعها الى من يدفعها الى فقير بعينه ثم رأى من أثر فى قلبه فأخرج منه فله ان يسترجعها من المأمور ويدفعها اليه ما لم يكن قد نفذها أو أعلمه بها وينبغى ان يستبشر بقبول العارفين معروفه لان ذلك قبول من الله تعالى لعلمه اذ كان العارف بالله تعالى وأيامه يتصرف عن الله تعالى فى الافعال كأنه ينطق عنه فى المقال وليس قبوله منه كقبول غيره ولا رده عليه كرد غيره اذ كان الشاهد فيه من الله سبحانه أقوى وأعلى من الشاهد فى غيره ولما هو الى التوفيق والعصمة أقرب مما سواه من الفقراء * حدثنى بعض اخوانى ان فقيرا بكى ترد على بعض الاغنياء معروفه فأخذ يبكى فقيل له فقال أليس هذا على قدرة على قبل له فان غيره يقبله فقال من أين لى مثل هذه العين وهذا كما قال لان المؤمن ينظر بعين اليقين ونور الله تعالى فرده عن الله تعالى كما قال تعالى ويتلوه شاهد منه والجاهل يتصرف بهواه عن نفسه فرده كقبوله لانه يأخذه لنفسه ويرد بنفسه والعارف ان أخذ فبربه وان رد فعن ربه تعالى وليزدد فى عينه من قبل منه معروفه نبلا وجلالة ويعظم فى عينه محبة ومهابة لانه قد أعانه على بره وتقواه وأكرمه بقبول جدواه فليشهد ذلك نعمة من الله تعالى واحسانا منه اليه وعلى العبد ان يجتهد فى طلب الاتقياء وذوى الحاجة من الفقراء ويبلغ غاية علمه بذلك فان قصر علمه ولم تنفذ فراسته ومعرفته فى الخصوص استعان بعلم من هو أعلم منه

لو يشار اليه *(باب الورع)* قال الله تعالى وثيابك فطهر وقال صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقال عليه الصلاة والسلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس وقال صلى الله عليه وسلم لابى هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى باب من الحرام وقال الضحاك أدركتهم وما يتعلمون الا الورع وأنتم تتعلمون الكلام والورع هو ترك الشبهات وهو راجع الى ما أشارت اليه الاحاديث وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل ولا قياس وهو أيضا راجع الى معانى الاحاديث المتقدمة قال صاحب منازل السائرين وهو آخر زهد العامة وأول زهد الخاصة وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى تجنب القبائح لصون النفس وتوفير الحسنات فان من خلط العمل الصالح بشئ من السيئات خفا وفر حسناته ولا صان اعماله والدرجة الثانية حفظ حدود الشريعة بترك ما لا بأس ابقاء على الصيانة والتقوى كما أشار اليه الحديث والدرجة الثالثة التورع عن كل داعية تدعو الى شتات الوقت وعن كل عارض يعرض حال جمعك على الله تعالى

وأنفذ تقارا وأعرف بالصالحين وأهل الخير منه ممن يوثق بدينه وأمانته من علماء الآخرة لا من علماء الدنيا وعلماء الآخرة هم الزاهدون فى الدنيا الورعون عن التكاثر منها فان حب الدنيا غامض قد هلك فيه خلق كثير لم ينج منه الا العلماء ولم يسلم من الدنيا الا المحققون بالعلم واليقين وهم المتقللون من الدنيا وقد قال الله تعالى وتثبيتا من أنفسهم أى يقينا يعنى انهم يتثبتون فى صدقاتهم ان لا يضعوها الا فى يقين يستروح اليه القلب وتطمئن به النفس وقد كان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء فقال لا أفعل بل أوثر هؤلاء على غيرهم قيل ولم قال لان هؤلاء همهم الله سبحانه وتعالى فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم أحدهم فلان أرد همة واحد الى الله تعالى أحب الى من ان أعطى ألفا من غيرهم ممن همه الدنيا فذكر هذا الكلام لابى القاسم الجنيد فاستحسنه وقال هذا كلام ولى من أولياء الله تعالى ثم قال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم بلغنى ان هذا الرجل اختل حاله فى أمر الدنيا حتى هم بترك الحانوت فوجه اليه الجنيد بمال كان صرف اليه فقال اجعل هذا فى بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك ويقال ان هذا الرجل كان بقالا ولم يكن يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه وأما ابن المبارك رحمه الله تعالى فانه كان يجعل معروفه فى أهل العلم خاصة فقيل له لو عممت به غيرهم فقال انى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب العالم بالحاجة أو العيلة لم يتفرغ للعلم ولا يقبل على تعليم الناس فرأيت ان أصينهم وأكفيهم حاجاتهم ليتفرغ قلوبهم للعلم ويشتغلوا بتعليم الناس هذا طريق السلف الصالح والتوفيق من الله تعالى للعبد فى وضع صدقته فى الافضل كالتوفيق منه فى اطعام الحلال الذى فى غيبه يوفقه لاوليائه ويستفرجه لهم من علمه كيف شاء بقدرته ✽(شرح رابع ما بنى الاسلام عليه) وهو الصيام ذكر فرائض الصيام اعتقاد الصوم ايجابا لله تعالى عليه وقربة منه اليه واخلاصا له وسقوط فرض عنه وان يجتنب الاكل والشرب والجماع بعد طلوع الفجر الثانى وان يتم الصيام الى سقوط قرص الشمس وان لا ينوى فى تضاعيف النهار الخروج من الصوم ✽ذكر فضائل الصوم ووصف الصائمين صوم الخصوص حفظ الجوارح الست غض البصر عن الاتساع فى النظر وصون السمع عن الاصغاء الى محرم أو الوزر والقعود مع أهل الباطل وحفظ اللسان عن الخوض فيما لا يعنى جملة مما ان كتب عنه كان عليه وان حفظ له لم يكن له ومراعاة القلب بعكوف الهم عليه وقطع الخواطر والافكار التى كف عن فعلها وترك المشى الذى لا يعدى وكف اليد عن البطش الى محرم من مكسب أو فاحشة وحبس الرجل عن السعى فيما لم يؤمر به ولم يندب اليه من غير أعمال البر فمن صام نهاره عامة هذه الجوارح الست وأفطر بجارحتين الاكل والشرب والجماع فهو عند الله تعالى من الصائمين فى الفضل لانه من الموقنين الحافظين للحدود ومن أفطر بهذه الست أو ببعضها وصام بجارحتين البطن والفرج فقد ضيع أكثر مما حفظ فهذا مفطر عند العلماء صائم عند نفسه وقد قال أبو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس كيف يعيبون قيام الحمقى وصومهم والذرة من تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين ومثل من صام عن الاكل وأفطر بمخالفة الامر مثل من مسح كل عضو فصلاته مردودة عليه لجهله ومثل من أفطر بالاكل والجماع وصام بجوارحه عن النهى مثل من غسل كل عضو مرة واحدة وصلى فهو تارك للفضل فى العدد الا انه مكمل الفرض بحسن العمل فصلاته متقبلة لاحكامه الاصل وهو مفطر للسعة صائم فى الفضل ومثل من صام من الاكل والجماع وصام بجوارحه الست من الآثام كمثل من غسل كل عضو ثلاثا ثلاثا فقد جمع الفرض والفضل وأكمل الامر والندب فهو من المحسنين وعند العلماء من الصائمين وهذا صوم الممدوحين فى الكتاب الموصوفين بالذكرى من أولى الالباب ومن فضائل الصوم ان يجتنب من حظوظ هذه الجوارح الشبهات من الاشياء وفضول الحلال ويرفض الشهوات الداعية الى العادات ولا يفطر الا على حلال متقللا منه فبذلك يزكو الصيام ولا يقبل امرأته فى صومه ولا يباشرها بظاهر جسمه فان ذلك ان لم يبطل صومه فانه ينقصه وتركه أفضل الا القوى متمكن مالك

---

✽(فصل)✽ ولا يمنع الورع من السؤال المحتاج قال بعضهم لا يسع السكوت مع العدم  ولا السؤال مع الوجود وقال بعضهم لا يحتمل الحلال السرف لقلته وندوره وصاحب الحلال يتعذر عليه توسعة الانفاق وقال السرى رحمة الله عليه أربع من أخلاق الابدال استقصاء الورع وتصحيح الارادة أى النية وسلامة الصدر للخلق والنصيحة لهم وقال أيضا خير الرزق ما سلم من الآثام فى الكسب والقلة فى السؤال والغش فى الصناعة واتيان آلة المعاصى ومعاملة الظلمة وروى ان السرى رحمة الله عليه لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من غزلها فابطأت عليه يوما فقال لها لما أبطأت فقالت غزلى ما اشترى وقالوا هذا مخلط فامتنع السرى من أكل طعامها فدخلت عليه أخته يوما فرأت عجوزا تكنس بيته وقد حملت اليه رغيفين فحزنت لذلك وشكته الى أحمد بن حنبل فعاتبه أحمد فى ذلك فقال له لما تركت الاكل من أختى قيض الله الى الدنيا تنفق على وتخدمنى

✽(فصل)✽ والورع أربعة أضرب الاول الورع الذى يشترط فى العدالة فى الشهادة والرواية وهو الذى يخرج الانسان بتركه عن أهلية الشهادة والرواية والقضاء والولاية ويحصل بالتحرز عن الحرام الظاهر الثانى ورع الصالحين وهو يحصل بالتوقف عن الشبهات التى

لاربه وليقل نومه بالنهار ليعقل صومه وليعمره بالاذكار وليجد مس جوعه وعطشه وقد كانوا يتسحرون بالتمرتين والثلاث وبالحبات من الزبيب والجرعة من الماء ومنهم من كان يقضم من شعير دابته التماسا للبركة السحور وليكثر ذكر الله تعالى وليقلل ذكر الخلق بلسانه وليسقط الاهتمام بهم عن قلبه فذلك أزكى لصومه ولا يجادل ولا يخاصم وان شتم أو ضرب لم يكافئ على ذلك لاجل حرمة الصوم ولا يهتم لعشائه قبل محل وقته يقال ان الصائم اذا اهتم بعشائه قبل محل وقته أو من أول النهار كتبت عليه خطيئة وليرض باليسير مما قسم له ان يفطر عليه وليشكر الله تعالى عز وجل كثيرا عليه * ومن فضائل الصيام التقلل من الطعام والشراب وتعجيل الفطار وتأخير السحور وليفطر على رطب ان كان والا على تمرات وجد فانه بركة أو على شربة من ماء فانه طهور هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن أو تمرات قبل ان يصلي وفي الخبر كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش قيل هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على حرام وقيل هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر بالغيبة من لحوم الناس وقيل هو الذي لا يغض بصره ولا يحفظ لسانه عن الآثام ويقال ان العبد اذا كذب أو اغتاب أو سعى في معصية في ساعة من صومه خرق صومه وان صوم يوم يلفق له في صيام أيام حتى يتم له صوم يوم ساعة ساعة وفي الحديث الصوم جنة ما لم يخرقها بكذب أو غيبة وكانوا يقولون الغيبة تفطر الصائم وقد كانوا يتوضؤن من أذى المسلم وروى عن جماعة في الوضوء مما مست النار لان أتوضأ من كلمة خبيثة أحب الي من ان أتوضأ من طعام طيب وروى عن بشر ابن الحرث عن سفيان من اغتاب فسد صومه وروينا عن ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصوم الغيبة والكذب وروى عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة ويقال ان من الناس من يكمل له صوم رمضان واحد في عشر رمضانات وفي عشرين مثل سائر الفرائض من الصلاة والزكاة التي يحاسب عليها العبد فان وجدت كاملة والا تممت من سائر تطوعه ويقال ان العبد يصح له صوم في خمسة أيام كما يصح له صلاة واحدة بخمس صلوات ترقع له الاوقات وفي الخبر من اغتاب خرق صومه فليرقع صومه بالاستغفار ويقال ان الله تعالى لم يفترض شيئا فرضي بدونه وانه يطالب بما فرضه ويحاسب على ما أوجبه وهو الله سبحانه وتعالى يأتي على كثير من الذنوب والمراد من الصيام مجانبة الآثام لا الجوع والعطش كما ذكرناه من أمر الصلاة ان المراد بها الانتهاء عن الفحشاء والمنكر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يترك قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يترك طعامه وشرابه

*(شرح خامس ما بني الاسلام عليه وهو الحج)* وبالحج كمال الشريعة وتمام الملة * ذكر فرائض الحج قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة فاذا وجد العبد زادا وراحلة لزمه فرض الحج فان أخره بعد وجود ذلك كان مكروها فان مات ولم يحج أو مات على عدم الامكان بعد وجوده كان عاصيا لله تعالى من حين أمكنه الى يوم موته ولم يكن كامل الاسلام لان الله تعالى أكمل الاسلام بالحج لما أنزل هذه الآية في الحج يوم عرفة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر من لم يمنعه من الحج مرض قاطع أو سلطان جائر ومات ولم يحج فلا يبالي مات يهوديا أو نصرانيا وقال عمر لقد هممت ان أكتب الى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات قبل ان يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وكان يفسر في هذه الآية قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال أحج ومنه له فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين قال أزكي وأحج وكان يقول هذه الآية أشد شيء على أهل التوحيد ومن كان ذا قوة على المشي أو ممن يصلح له ان يؤجر نفسه وأمن الهلكة في خروجه فحج على ذلك كان فاضلا في فعله والحاج

تتقابل فيه الاحتمالات وقال صلى الله  عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولا يكمل لاحد ترك الحرام حتى يترك الشبهات التي تقربه الى محض الحرام ولا يحصل له ترك الشبهات حتى يترك شيئا من الحلال ليكون بينه وبين الحلال حاجزا وروى عن الصحابة انهم كانوا يتركون سبعين بابا من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام وقد حرض النبي صلى الله عليه وسلم على ترك الشبهات فقال من ترك الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه وقال صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله تعالى محارمه الثالث ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه الى الحرام وقال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل الورع عن التحدث باحوال الناس خشية من الانجرار الى الغيبة والتورع من أكل الطيبات خيفة من هيجان الشهوة ونشاط النفس المؤدي الى مقارفة المحظورات الرابع ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي الى الحرام كالذي يترك النوم في كثير من الليل خشية أن يفوته القيام لله تعالى بالمبادرة والورع الاول وهو المشروط في العدالة التي هي شرط في أهلية الشهادة

الماشى بكل قدم يخطوها سبعمائة حسنة وللراكب بكل خطوة تخطوها دابته سبعون حسنة والقوة على المشى من الاستطاعة عند بعض العلماء فاما فرائض الحج عند جملة العلماء فستة اختلفوا منها فى ثلاث وهن السعى والبيتوتة بمزدلفة عند المشعر ليلة النحر ورمى جمرة العقبة يوم النحر وأجمعوا على ثلاث وهن الاحرام به والوقوف بعرفة وطواف الزيارة ولم يختلفوا فى ان ما سوى هذه سنة واستحباب ومذهبى فى هذا وهو مذهب الاكثر من العلماء ان فرائض الحج أربعة أولها الاحرام به والوقوف بعرفة بعد زوال الشمس من يوم عرفة وآخر حد الوقوف قبل طلوع الفجر من يوم النحر وطواف الزيارة بعد الوقوف بعرفة وبعد رمى جمرة العقبة والسعى بين الصفا والمروة بعد الاحرام بالحج ان شئت قبل الوقوف بعرفة وان شئت بعده وما سوى ذلك من المناسك فسنون ومستحب وبعضه أوكد من بعض وفى ترك بعضه كفارة وفى بعضه لا حرج فيه وطواف الحج ثلاثة واحد فريضة ان تركه بطل حجه وهو طواف الزيارة وواحد سنة ان تركه كان عليه دم وحجه تام وهو طواف الوداع وواحد مستحب ان تركه فلا شئ عليه وهو طواف الورود ولم نذكر من فرائض الحج وأحكامه وهيآته فى هذا الباب الا قوت الاعمال مثل ما ذكرنا من سائر الابواب فى هذا الكتاب على ما يليق بيانه بالمعنى الذى قصدناه فيه وقد أشبعنا أحكام الحج وما يقال فى المشاعر فى كتاب مناسك الحج المفرد ونذكر فضائل الحج وآدابه وهيآته وفضائل الحجاج وطريق السالف السالكين المنهاج قال الله سبحانه وتعالى الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج يعنى من أوجبه على نفسه فى هذه الاشهر فأحرم به وهو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج الرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وفجر من الكلام ومغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث فى شأن الجماع والفسوق جمع فسق وهو اسم جامع لكل خروج من طاعة ولكل تعدى حد من حدود الله تعالى والجدال وصف مبالغ فى الخصومة والمراء فيما يورث الضغائن وفيما لا نفع فيه فهذه ثلاثة أسماء جامعة مختصرة لهذه المعانى المثبتة أمر الله تعالى بتنزيه شعائره ومناسكه منها لانها مشتملة على الآثام وهن أصول الخطايا والاجرام والحج فى اللغة هو القصد الى من يعظم وكانت العرب تقول نحج الى النعمان أى نقصده تعظيما له وتبركا فينبغى ان يكون الحاج معظما لمن قصده بالحج ليتحقق بمعنى هذا الاسم والحج أيضا سلوك الطريق الواضح الذى يخرج الى البغية ويوقع على المنفعة واشتقاقه من المحجة بمنزلة النسك وهو اسم الطريق مشتق من المنسك وهو من أسماء الطريق وان كان أصله المذبح ومنه سمى الناسك لانه سالك لطريق الآخرة فأول فضائل الحج حقيقة الاخلاص به لوجه الله تعالى وان تكون النفقة حلالا واليد فارغة من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم ويكون الهم مجردا والقلب ساكنا مطمئنا بما لو أمه ذاكرا فارغا من الهوى ناظرا امامه غير ملتفت الى ورائه وصحة القصد بحسن الصدق ثم طيب النفس بالبذل والانفاق والتوسع فى النفقة والزاد وبذل ذلك لان النفقة فى الحج بمنزلة النفقة فى سبيل الله تعالى الدرهم بسبعمائة درهم والحج من سبيل الله روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عمر وغيره من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وكان يقول أفضل الحجاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وفى حديث ابن المنكدر عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام ويقال انما سمى سفرا لانه يسفر عن أخلاق الرجال وبعضهم يقول يسفر عن صفات النفس وجوهرها اذ ليس كل من حسنت صحبته فى الحضر حسنت صحبته فى السفر وقال رجل لاخوانه يعرفه فقال له هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال ما أراك تعرفه ولا يجادل ولا يخاصم ولا يكثر المراء ولا يرفث بلسانه وروينا عن بشر بن الحرث قال قال سفيان من رفث فسد حجه وليتعلم أحكام المناسك ومعالم الحج وهيآته وآداب المشاهد قبل الخروج وليكن ذلك أهم شئ اليه وليقدمه على جميع أسباب السفر فان هذا هو المقصود والبغية فلا يتأبن عنه وليعد له رفيقا صالحا عالما محبا للخير معينا عليه ان نسى ذكره وان ذكر أعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان أساء ظنه وضاق صدره وسع صدره وصبره وحسن ظنه ولا يخالف رفيقه ولا يكثر الاعتراض عليه وليحسن خلقه

والولاية لاتقاء الاثم الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك وفى رواية أخرى استفت نفسك وان أفتوك المفتون والاثم ما حاك فى الصدور والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط وجميع نظر الفقيه مرتبط بالاحكام المتعلقة بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم فى الاثم والتأثيم فى هذه الامور وفى صفات القلب والاحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل كما يدخل فى كلامه شئ من الطب والحساب واللغة

(فصل) * وقال يحيى ابن معاذ رحمة الله عليه الورع على مرتبتين ورع فى الظاهر وهو ان لا يتحرك الا بالله وورع فى الباطن وهو ان لا يدخل قلبك سوى الله تعالى وقال من لم ينظر فى الدقيق من الورع لم يصل الى الجزيل من العطاء وقال من دق فى الدين نظره جل فى الآخرة قدره ويحكى ان أخت بشر الحافى جاءت الى أحمد بن حنبل وقالت انا نغزل على سطوحنا وتمر بنا مشاعل الولاة أفيجوز لنا أن نغزل فى ضوئها فقال من أنت عافاك الله قالت أخت بشر الحافى فبكى وقال من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلى فى ضوئها ودخل الحسن البصرى مكة فرأى غلاما من أولاد على بن أبى طالب قد أسند ظهره الى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن

مع جميع الناس و يلين جانبه و يخفض جناحه و يكف أذاه عن الخلق و يحتمل أذاهم فبهذه الخلق يفضل الحج وان يحج على رحل أو زاملة فان ذلك حج المتقين وطريق السلف يقال حج الابرار على الرحال وحدث سفيان الثورى عن أبيه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رأيت في جميعهم الا محملين وقال مجاهد لابن عمر وقد دخلت القوافل ما أكثر الحجاج فقال ما أقلهم ولكن قل ما أكثر الراكب قال وكان ابن عمر اذا نظر الى ما أحدث الحاج من الزوامل والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم الحاج فينبغي ان يكون رث الهيئة خفيف المؤنة الا من كل شئ لا يحمل معه من الزاد الا ما لابد له منه مما يحتاج اليه ولا يسرف في المبالغة والتناهي فيه ولا يقتر ولا يضيق على نفسه ورفيقه بل يستعمل الاقتصار في كل شئ والكفاية و يجتنب من الزى الحرة فان ذلك يكره وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى أكسية حمر على الاقتاب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قال فقمنا اليها حتى نزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل ثم ليجتنب من الزى الشهرة وكل متطاول به من الاثاث ولا يتشبه بالمترفين ولا باهل الدنيا من أهل التفاخر والتكاثر فيكتب من المتكبرين ولا يكثر التنعم والرفاهة فان ذلك غير مستحب في سبيل الله تعالى لان المشقة والظما والمخمصة واللاواء كلما كثر في سبيل الله كان أفضل وأثوب حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمته أربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس اليه و يهتدوا بشمائله وقال عليه الصلاة والسلام خذوا عني مناسككم وكان يقول لبيك اللهم لبيك بحجة لا رياء فيه ولا سمعة وقال لبيك ان العيش عيش الآخرة وأمر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاشتفاه ونهى عن التنعم والرفاهة في حديث فضالة بن عبيد وفي الخبر انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى لملائكته انظروا الى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال الله عز وجل ثم ليقضوا تفثهم التفث الشعث والاغبرار وقضاؤه حلق الرأس وقص الاظفار وكتب عمر بن الخطاب الى أمراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا أى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة من الاشياء و بعض أصحاب الحديث يصحف هذه الحروف يقول اخلولقوا من الحلق ولا يجوز أن يامرهم باسقاط سنة كيف وقد قال لصبيغ حين توسم فيه مذهب الخوارج اكشف رأسك فرآه ذا ضفيرتين فقال لو كنت محلوقا لضربت عنقك وليتمثل بأهل اليمن في الزى والاثاث فان الاقتداء بهم والاتباع لشمائلهم في الحج طريقة السلف على ذلك الهدى والوصف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما عدا وصفهم وخالف هديهم فهو محدث ومبتدع ولهذا المعنى قيل زين الحجيج أهل اليمن لانهم على منهاج الصحابة وطريقة السلف وقيل في مدحهم بالتقلل والانفراد لا يغلون سعرا ولا يضيقون طريقا وقد كان العلماء قديما اذا نظروا الى المترفين قد خرجوا الى مكة يقولون لا تقولوا خرج فلان حاجا ولكن قولوا خرج مسافرا و يقال ان هذه المحامل والقباب أحدثها الحجاج بن يوسف فركب الناس سنته وقد كان العلماء في وقته ينكرونها و يكرهون الركوب فيها وأخاف ان بعض ما يكون من تماوت الابل يكون ذلك سببه لثقل ما يحمل ولعله عدل أربعة أنفس و زيادة مع طول الشقة وذلة الطمع و ينبغي ان يقلل من نومه على الدابة فانه يقال ان النائم يثقل على البعير وقد كان أهل الورع لا ينامون على الدواب الا من قعود يغفون غفوة بعد غفوة وكانوا أيضا لا يقفون عليها الوقوف الطويل لان ذلك يشق عليها وفي الحديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ولا يحمل على الدابة المكتراة الا ما قاضى عليه الجمال أو ما أعلمه به وقال رجل لابن المبارك احمل لي هذا الكتاب معك فقال حتى استأمر الجمال فاني قد اكتريت وليتنزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فيصير سنة وآثارا عن السلف وقد كان بعض السلف يكترى لازملة يشترط ان لا ينزل ثم انه ينزل الرواح ليكون ما رفعه عن الدابة من حسناته محتسبا له في ميزانه و بعض علماء الظاهر يقول ان الحج راكبا أفضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه أبعد لضجر

النفس

قال في ماذا لك الدين فقال الورع فقال (١١٦) ما آفة الدين فقال الطمع فتعجب منه وقال الحرث المحاسبي رحمة الله عليه أصل الطاعة الورع وأصل الورع التقوى وأصل التقوى محاسبة النفس وأصل محاسبة النفس الخوف والرجاء وأصل الخوف والرجاء الوعد والوعيد وأصل معرفة الوعد والوعيد ذكر الثواب والعقاب وأصل ذلك الصبر والفكر

*(فصل)* والورع يدخل في جميع اعمال الجوارح وعمل القلب قال بعض المشايخ الورع في النطق يورث ترك الغيبة والنميمة وفضول الكلام وكل ما لا يحسن من القول قال والورع في النطق أشد منه في الذهب والفضة والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لانك تبذلهما في طلب الرياسة وقال بشر الحافى أشد الاعمال ثلاثة الجود في القلة والورع في الخلوة وكلمة الحق عند من ترجوه أو تخافه وتكلم أبو سعيد الخراز يوما في الورع فربه عباس بن عبد الله فقال يا أبا سعيد أما تستحى ان تجلس تحت سقف بناه المتصور الدوانيقى وتشرب من بركة زبيدة وتتعامل بالمؤلفة وتتكلم في الورع وكان زهاد البصرة من أهلها لا يأكلون من ثمار البصرة لاختلاط الاملاك بعضها ببعض واشتباهها من أيام الحجاج في وقعة الجماجم وقيل حمل الى عمر بن عبد العزيز بمسك من الغنائم فقبض على أنفه وقال انما ينتفع من هذا برائحته وانما أكره

النفس وأقل لاذاه وأقرب لسلامة وتمام حجه فهذا عندي بمنزلة الافطار يكون أفضل اذا ساء عليه خلقه وضاق به ذرعه وكثر عليه ضجره لان حسن الخلق وانشراح الصدر أفضل وقد يكون كذلك لبعض الناس دون بعض ممن يكون حاله الضجر ووصفه التسخط وقلة الصبر أو لم يمكن المشي وسألت بعض فقهائنا بمكة وكان ورعا عن تلك العمر التي تعتمر من مكة الى التنعيم وهو الذي يقال له مسجد عائشة وهو ميقاتنا للعمرة في طول السنة أي ذلك أفضل المشي في العمرة أو يكترى حمارا بدرهم يعتمر عليه فقال يختلف ذلك على قدر شدته على الناس فان كان انفاق الدرهم أشد عليه من المشي فالاكتراء أفضل لما فيه من اكراه النفس عليه وشدته عليها ومن كان المشي عليه أشق فالمشي أفضل لما فيه من المشقة ثم قال هذا يختلف لاختلاف أحوال الناس من أهل الرفاهية والنعمة فيكون المشي عليهما أشد وعندي ان الاعتمار ماشيا أفضل وكذلك الحج ماشيا لمن أطاق المشي ولم يتضجر به وكانت له همة وقلب وقد روينا في خبر من طريق أهل البيت اذا كان في آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة ويكره أخذ الاجرة على الحج فيجعل نصيبه وعناءه لغيره ملتمسا عرض الدنيا وقد كره ذلك بعض العلماء ولانه من أعمال الآخرة يتقرب به الى الله يجري مجرى الصلاة والاذان والجهاد فلا يأخذ على ذلك أجرا الا في الآخرة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي العاص واتخذ مؤذنا لا يأخذ على الاذان أجرا وسئل عن رجل خرج مجاهدا فأخذ ثلاثة دنانير فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما أخذ فان كانت نيته عبد الآخرة أو همته المجاورة واضطر الى ذلك فان الله تعالى قد يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا ورجوت ان يسعه ذلك وفي الخبر يؤجر على الحجة الواحدة ثلاثة يدخلون الجنة الموصي بها والمنفذ للوصية والحاج الذي يقضيها لانه بنوي خلاص أخيه المسلم والقيام بفرضه وقد جاء مثل المجاهد الذي يأخذ أجرا على جهاده مثل أم موسى يجعل أجرها وترضع ولدها اذا كانت نيته الجهاد واحتاج الى معونة عليه كذلك من كانت نيته في حجة الآخرة والتقرب الى الله تعالى بالطواف والعمرة بعد قضاء ما عليه لم يضره أخذ أجرة على حجه ان شاء الله تعالى ومن فضائل الحج ان لا يقوى أعداء الله الصادين عن المسجد الحرام بالمال لان المعونة والتقوية بالمال تضاهي المعونة بالنفس والصد عن المسجد الحرام يكون بالمنع والاحصار ويكون بطلب المال فليحتل في الخلاص من ذلك فان بعض علمائنا كان يقول ترك التنفل بالحج والرجوع عنه أفضل من تقوية الظالمين بالمال لان ذلك عنده دخيلة في الدين ووليجة في طريق المؤمنين واقامة واظهار لبدعة أحدثت من الآخذ والمعطي وهذا كما قال لانه جعل بدعة سنة ودخولا في صغار وذلة ومعاونة على وزر أعظم في الحرم من تكلف جنابة قد سقط فرضه كيف وفي ذلك ادخال ذلة وصغار على الاسلام والمسلمين مضاهاة الجزية وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل واحد من المسلمين على ثغر من ثغور الاسلام فان ترك المسلمون فاشدد لئلا يؤتى الاسلام من قبلك وفي الخبر المشهور والمسلمون كرجل واحد ومثل المسلم من المسلمين كمثل الرأس من الجسد يألم الجسد لما يألم الرأس ويألم الرأس لما يألم الجسد وقد يترخص القائل في ذلك بتأويل انه مضطر اليه وابتلى كما ظن لانه لو رجع لما أخذ منه شيء ولو خرج في زي المترفين مما أحدث من المحامل لما أخذ منه شيء فقد زال الاضطرار وحصل منه بالطوع والشهوة الاختيار ولعل هذا الذنب عقوبة ما حملوا على الابل فوق طاقتها من البيوت المسقفة التي علوها عليها كان البعير يحمل الرجل ورحله فجعلوه يحمل مقدار أربعة وزيادة فأدى ذلك الى تلفها فهم مطالبون بقتلها لان من حمل بعيرا فوق طوقه حوسب بذلك وطولب أو لعله ذنب ما خرجوا به من التجارات وفضول الاسباب وشبهات الاموال أو لسوء النيات وفساد المقاصد وروينا ان أبا الدرداء قال لبعير له في الموت يا أيها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم أكن أحملك فوق طاقتك وقد يعاقب الله على الذنب بذنب مثله أو فوقه وينبغي ان يكون في المشاعر والمناسك أشعث أغبر شأنه سنة ويكثر ذكر الله في طريقه وجميع

ان أثم راقد دون المسلمين ورهن أحمد بن حنبل سطلا عند بقال بمكة فلما أراد فكاكه اشتبه عليه بسطل آخر لغيره فأعطى ما البقال عليه وترك له السطل ولم يأخذه ومات والد المحاسبي وترك له سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها درهما وكان من أحوج الناس الى دانق وقال صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتوارث أهل ملتين شيأ وكان أبوه قدريا وكان أبو صالح عند صديق له وهو في النزع فمات الرجل فنفث أبو صالح في السراج فأطفأه فقيل له لم فعلت ذلك فقال الى الآن كان الدهن له في السراج ومن الآن صار للورثة وكان أهل الورع في زمانهم أربعة حذيفة المرعشي ويوسف بن أسباط وابراهيم ابن أدهم وسليمان الخواص فنظروا في الورع فلما ضاقت عليهم الامور لدخول الشبهة في أموال الدنيا فزعوا الى القليل واقتصروا على قدر الضرورة وكذلك كان حال غيرهم من المتعمقين في الورع فانهم لما ضاقت عليهم الامور وتعذر عليهم الحلال الصرف الخالص عن شوب الشبهات افترقوا فرقتين فرقة منهم قويت على السياحة والتجريد فأخذوا في البوادي وساحوا في البراري وشعوب الجبال ليكون قوتهم الحلال البين والمباح الخالص من نبات الارض وعشبها ولينظر نحو العبادة نورا والهه لا يخلصهم في ورعهم ولا يسعهم في الدين غير ذلك وفرقة عجزت عن

مناسكه ويذكر به الغافلين ويقلل ذكر الناس ويلزم الصمت فيما لا يعنيه ولا يتكلف ما قد كفي ولا يدخل فيما لم يكلف وان رأى موضعا لمعروف أمر به أو منكرا انهى عنه فهذه المعاني تضاعف أمر الحج وتفضل الحاج واستحب أن يفرق بين حجه وعمرة من ميقاته لان فيما يجاب هدى يقربه وليكون بما بين نسكين من ميقات بلده ويكون قد أتى بالعمرة لانها مقرونة بالحج في الكتاب ولان مذهب كثير من العلماء انها فريضة كالحج وجماعة من السلف كانوا يستحسنون الابتداء بالعمرة وتقديمها على الحج منهم الحسن وعطاء وابن سيرين والنخعي وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع بينهما وأهل بهما معا في حديث انس وقد حدثت عن شقيق بن سلمة عن الضبي بن معبد قال أردت الغزو فاشار علي رجل من أهل العلم أن ابدأ بالحج فاستشرت رجلا من أهل الفقه فامرني ان أجمع بين حج وعمرة جميعا ففعلت فاتشاث الي بهما حتى قدمنا على عمر فاخبرته بالذي فعلت فقال هديت لسنة نبيك وان قدم العمرة فحج متمتعا ثم افرد الحج بعدها من عامه فهو أفضل وهذا اختيار جماعة من العلماء وان حج مفردا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أفرد الحج فيما رويناه من عائشة وجابر واذا فرغ من حجه رجع الى ميقات بلده فاعتمر من هنالك فحسن وقد قال الله عز وجل وأتموا الحج والعمرة لله فافرادهما من اتمامهما وهذا قول عمر وعثمان في الاتمام وليطف القرانه وليسع طوافين وسعيين ليخرج بذلك من اختلاف العلماء جمعهما أو فرقهما وليكثر العبد من التلبية في حال احرامه فهي من أفضل الاذكار فيه وليرفع بها صوته وان قال في تلبيته لبيك يا ذا المعارج لبيك حجا حقا تعبدا ورقا والرغباء اليك والعمل فقد روي هذا عن الصحابة وان اقتصر على تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسن وفيها كفاية وبلاغ وأحب ان يذبح وان لم يجب عليه وليجتنب الاكل من ذبح ما كان واجبا عليه مثل نسك نذر أو متعة أو كفارة واستحب ان يأكل مما لم يكن عليه واجبا وليجتنب المعايب الثمانية في ذبيحته التي وردت بها الآثار وكذلك في الاضحية فقد نهى ان يضحي بالجدعاء والعضباء والجرباء والعوراء وعن الشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء التي لا تنقي يعني المهزولة وهذا جميع ما جاء في عيوب الاضاحي باخبار متفرقة فالجدع في الانف والاذن والقطع فيهما والعضب الكسر في القرن وفي نقصان القوائم والجرباء من الجرب والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق والخرقاء المشقوقة من أسفل والمقابلة المخرومة الاذن من قدام والمدابرة المخرومة من خلف والتي لا تنقي المهزولة التي لا نقي لها والنقي هو المخ وقد روينا في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قيل تسمين الهدي وتحسينه وأفضل الهدي بدنة ثم بقرة ثم كبش أقرن أبيض ثم الثني من المعز وان ساق هديه من الميقات فهو أفضل من حيث لا يجهده ولا يكده وقد كانوا يغالون بثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة فان أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله وفي حديث ابن عمر ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها فهذه سنة في تخير الهدي وحسن الادب في المعاملة وترك الاستبدال بها طلبا للكثرة لان القليل الجيد خير من الكثير الدون ان في ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين فكان الخالص الحسن كافيا من الكثير المتقارب وفي حديث ابن المنكدر عن جابر سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج قال العج والثج فالعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ما عمل آدمي يوم النحر عملا أحب الى الله عز وجل من اهراق دم وانها لتأتي يوم القيامة بقرونها واظلافها فان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع بالارض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من شعرها وبكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا ولا يضحي بجذع الا من الضأن فقط وهو ما كان في آخر حوله والثني من المعز والبقر والابل فالثني من المعز ما دخل في السنة الثانية والثني من البقر ما دخل في الثالثة والثني من الابل ما دخل في السنة الخامسة وان أحرم من بلده فقد قيل انه من اتمام الحج والعمرة ومن عزائم الاعمال روينا عن عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهما وأتموا الحج والعمرة لله قالوا اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة أهلك ولتكن حاضر القلب مشاهد القرب

السياحة في الجبال والاقامة في البراري والقفار فاما سوا بين الناس والتمسوا من أحزاب القوت ما يستمسكون به الرمق ونزلوا أنفسهم منزلة المضطر ونزلوا الاموال والاقوات وسائر الاشياء التي بأيدي الناس منزلة الميتة فلم يأخذوا من ذلك الا بقدر الضرورة وهو القدر الذي يحفظ به البنية وتقوم به الحياة ويبلغهم الى أداء الطاعة وتركوا ما سوى ذلك ورأوا انهم معذورون في تناول هذا القدر لان الحياة لا تقوم بدونه والحلال الخالص غير مظفور به ولهذا قال الحسن البصري فسد السوق فعليكم بالقوت

(باب الزهد)

قال المحققون ليس الزهد فقد المال بفراغ اليد منه بل الزهد فراغ القلب منه فقد كان سليمان بن داود عليه السلام في ملكه من سادات الزاهدين وكذلك ابراهيم الخليل عليه السلام في كثرة غنمه وكذلك أيوب عليه السلام في كثرة ذهبه فالمعتبر في تحقيق الزهد ان لا يكون القلب متعلقا بالدنيا بل بالله سواء كان ملك شيأ من متاع الدنيا أم لا ثم اذا خلا القلب واليد منهما كان أكمل في حق بعض الناس روى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال عهد الينا النبي صلى الله عليه وسلم عهدا فقال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب ورجل أراد شقة من الارض فسار فنزل منزلا فأكل وعلف راحلته ثم سار فنزل منزلا فأكل وعلف راحلته

عند

عند المواطن المرجو فيها الاجابة وفى المشاهد المبتغى منها المنفعة كما قال الله سبحانه وتعالى ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم واستحب له ان يمشى فى المشاعر من حين يخرج من مكة الى ان يقف بعرفة والى ان يرجع من طواف الزيارة الى منى ومن أحب للحاج الركوب فانه يستحب له المشى الى مكة فى المناسك الى انقضاء حجه ولان عبد الله بن عباس أوصى بنيه عند موته فقال يا بنى حجوا مشاة فان الحاج الماشى بكل قدم يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف وأوكد ما يمشى فيه من المناسك وأفضله من مسجد ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى الموقف ومن الموقف الى المزدلفة فى الافاضة ومن المشعر الحرام غداة النحر الى منى وفى أيام رمى الجمار وصومه يوم عرفة فيه فضل ان قوى معه على الدعاء والتلبية ولم يقطعه الصوم من ذلك فان أضعفه فالفطر أفضل ولم يصمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة ولا أبو بكر ولا عمر وصامه عثمان رضى الله عنه وعنهم وليعتبر فى طريقه ومسيره بالآيات وما يرى من الحكمة والقدرة من تصريف الخلق وما يحدث الله تبارك وتعالى فى كل وقت فيكون له فى كل شئ عبرة ومن كل شئ موعظة فانه على مثال طريق الآخرة وليكن له بكل شئ تذكرة وفى كل شئ فطنة وتبصرة ترده الى الله تعالى وتدله عليه وتذكره به ويشهده منها فيتفكر فى أمره ويستدل به على حكمته ويشهد منه قدرته وسئل الحسن ما علامة الحج المبرور فقال ان يرجع العبد زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة وقيل فى وصف الحج المبرور هو كف الاذى واحتمال الاذى وحسن الصحبة وبذل الزاد ويقال ان علامة قبول الحج ترك ما كان عليه العبد من المعاصى والاستبدال باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة فى رفق العمل بما ذكرناه فهو علامة قبول حجه ودليل نظر الله اليه فى قصده ومن أصيب بمصيبة فى نفسه وماله فهو من دلائل قبول حجه فان المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبيل الله تعالى الدرهم بسبعمائة وبمثابة الشدائد فى طريق الجهاد وليستكثر من الطواف بالبيت لانه يستوعب بطواف أسبوع مائة وعشرين رحمة يكون بكل رحمة ما شاء الله لانه سبحانه يختص برحمته من يشاء وأقل ما له بكل رحمة عشر حسنات لان فى حديث عطاء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرين رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفى الحديث استكثروا من الطواف بالبيت فانه من أقل شئ تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه ولا تتحدث فى طوافك وعليك بكثرة ذكر الله سبحانه وتعالى من التسبيح والتهليل والحمد وتلاوة القرآن وامش بسكينة ووقار وخشوع وانكسار ولا تزاحم أحدا واقرب من البيت ما أمكن واستلم الركنين اليمانيين مع تقبيل الحجر فى كل وتر من طوافك ان أمكن وقد روينا فى الخبر من طاف بالبيت حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنوبه روى ذلك عن الحسن بن على فانه لاصحابه ورفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتق الهمة الردية والافكار الدنية فيقال ان العبد يؤاخذ بالهمة فى ذلك البلد وعن ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالارادة قبل العمل الا بمكة وقال أيضا لوهم العبد ان يعمل سوأ بمكة عاقبه الله تعالى ثم تلا ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم يعنى انه علق العذاب بالارادة دون الفعل ويقال ان السيئآت تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات وان السيئآت التى تكتسب هنالك لا تكفر الا هنالك وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من الالحاد فى الحرم وقيل الكذب فيه من الالحاد وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لان أذنب سبعين ذنبا بركية أحب الى من ان أذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزلة بين مكة والطائف وقد كان الورعون من السلف منهم عبد الله بن عمرو وعمر بن عبد العزيز وغيرهما يضرب أحدهم فسطاطا فى الحرم وفسطاطا فى الحل فاذا أراد أن يصلى أو يعمل شيأ من الطاعات دخل فسطاط الحرم ليدرك فضل المسجد الحرام لان المسجد الحرام عندهم فى جميع ما يذكر انما هو الحرم كله واذا أراد ان يأكل أو يكلم أهله أو يتغوط خرج الى فسطاط الحل ويقال ان آل الحجاج فى سالف الدهر كانوا اذا قدموا مكة خلعوا

حتى بلغ شقته من الارض وأنشز ادموعه صلى الله عليه وسلم الا مالى وللدنيا ... فى الآخرة الا كرجل ادخل أصبعه فى اليم فلينظر بماذا يرجع وعن ابن سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله الا نبنى لك قال لا ولكن عريشا كعريش موسى عليه السلام من جريد وقال فان الاجل أقرب من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله تعالى بما آتاه وقال عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أغنى الناس

*(فصل)* وقد زهد الله تعالى الخلق فى الدنيا فقال تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وقال تعالى وما الحياة فى الآخرة الا متاع وقال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والزهد من مقامات السالكين وينتظم من علم وحال وعمل كسائر المقامات فالعلم المميز لحال الزهد الذى هو العزوب عن الدنيا هو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ وان الآخرة خير لمن اتقى وما عند الله خير وأبقى والعاقل لا ينخدع بالخسيس عن العظيم النفيس الذى هو قرة العين وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمنا حقا قال ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسى عن الدنيا وزيانتها فقال صلى

تمامهم بذي طوى تعظيما للحرم وقد سمعنا من لم يكن يتغوط ولا يبول في الحرم من المقيمين بمكة ورأينا بعضهم لا يتغوط ولا يبول حتى يخرج الى الحل تعظيما لشعائر الله تعالى وتنزيها للحرم وأعمال البر كلها تضاعف بمكة والحسنة بمائة ألف حسنة على مثال الصلاة في المسجد الحرام وروي معنى ذلك عن ابن عباس وأنس وعن الحسن البصري ان صوم يوم بمائة ألف وصدقة درهم بمائة ألف درهم ويقال ان طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وان ثلاث عمر تعدل حجة وان العمرة هي الحجة الصغرى وهذا في دليل الخطاب من قوله تعالى يوم الحج الاكبر يدل ان الحج الاصغر هو العمرة ومن العرب من يسمي العمرة حجا وفي الخبر عمرة في رمضان تعدل حجة فمن وفق للعمل بما ذكرناه فهو علامة مقبول حجه ودليل نظر الله اليه فقد ذكر فضائل الحج والحاجين لوجه الله وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي حديث آخر من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وروي في الخبر حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة وفي الحديث الحجاج والعمار وفد الله تعالى وزواره ان سألوه أعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوه استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وذكر بعضهم ان ابليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوم الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك فقال خروج الحاج اليه بلا تجارة أقول قصدوه أخاف ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي أنحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله تعالى ولو كانت في سبيلي كان أحب الي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب الي قال فما الذي قصم ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله أخاف ان يكون قد فطن ولقي رجل ابن المبارك وقد أفاض من عرفة الى مزدلفة فقال من أعظم الناس جرما يا أبا عبد الرحمن في هذا الوقت فقال من قال ان الله عز وجل لم يغفر لهؤلاء وقد روينا حديثا مسندا من طريق أهل البيت أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله عز وجل لم يغفر له ويقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة فقد رواه جعفر ابن محمد فأسنده ويقال ان الله عز وجل اذا غفر لعبد ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف وزعم بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل الموقف وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ولم يحج بعد نزول فرض الحج غيرها وعليه نزلت هذه الآية وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقال علماء أهل الكتاب لو أنزلت علينا هذه الآية لجعلناه يوما عيدا فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشهد لقد أنزلت في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقد روينا في تفسير قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم عن جماعة من السلف قال غفر لهم ورب الكعبة وفي تفسير قوله تعالى لأقعدن لهم صراطك المستقيم قال طريق مكة يصدهم عنه وروينا عن مجاهد وغيره من العلماء دخل حديث أحدهما في الآخر كانوا يتلقون الحاج يدعون لهم قبل ان يتدنسوا ويقولون تقبل الله منا ومنكم وان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركاب الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقب شهر رمضان أو عقب غزو أو عقب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله تعالى عنه الحاج مغفور له ولمن استغفر له شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم وفي الخبر اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وحدثونا عن علي بن الموفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة بت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا أدري قال حج بيت ربنا ستمائة ألف فتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم ستة أنفس

فاذا قلبه [illegible] والايمان ثابت بالقلب الزهد وهو العزوف عن الدنيا حقيقة الايمان لما كان من أشهر آثاره ولوازمه ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فقال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك علامة فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فجعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور ولما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من العرب فقالوا انا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فذكروا الصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت في الاعداء فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة ايمانهم وروت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما الى أصحابه وعليه كساء من شعر مرحل بما اي عليه صورة رحال الابل والزهد حال من الاحوال للانبياء والصديقين دخل عمر على النبي صلى الله عليه وسلم فوجده على سرير من جريد النخل وقد تكسر بعضه وشد بالحبال ليس عليه شئ الا حصير من الخوص وقطعة جلد من أدم ووسادة حشوها الليف قال عمر جعلت أجول

قال

قال ثم ارتفعا في الهواء غضابا عني فانتبهت فزعا فاغتممت غما شديدا وأهمني أمري فقلت اذا قبل حج ست أنفس فاين أكون انا في ستة أنفس فلما أفضنا من عرفة وبت عند المشعر الحرام جعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا من السماء على هيئتهما فنادى أحدهما يا عبد الله قال لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا قال نعم ستمائة ألف قال فتدري كم قبل منهم قال نعم ستة أنفس قال فتدري ماذا حكم ربنا في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف ذكر في هذه القصة ستة ولم يذكر السابع وهؤلاء هم الابدال السبعة أوتاد الارض المنظور اليهم كما لا تنظر الى قلوب الاولياء من وراء قلوبهم فانوار هؤلاء من نور الجلال وأنوار الاولياء من أنوارهم وأنصبتهم وعلومهم من أنصبة هؤلاء وعلومهم فلم يذكر السابع وهو قطب الارض والابدال كلهم في ميزانه ويقال انه هو الذي يتناهى اليه الفضل من هذه الامة في العالم يعبر به في العلم وانهم ما يتفاوتون في العلم ويجد أحدهما المزيد من الآخر فلم يذكره والله أعلم لانه يوهب له من مات ولم يحج من هذه الامة لانه أوسع جاها من جميعهم وأنفذ قولا في الشفاعة من الجملة وقد روينا عن ابن الموفق قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يتقبل حجه فقلت اللهم اني قد وهبت حجتي هذه وجعلت ثوابها لمن لا يتقبل حجه قال فرأيت رب العزة في النوم قال لي يا علي تتسخى علي وأنا خلقت السخاء وخلقت الاسخياء وأنا أجود الاجودين وأكرم الاكرمين وأحق بالجود والكرم من العالمين وقد وهبت كل من لم يقبل حجه لمن قبلته وكان ابن الموفق هذا قد حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا وقال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن الموفق حججت عني قلت نعم يا رسول الله ولبيت عني قلت نعم قال فهذه يدك عندي أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب وذكر فضائل البيت الحرام وما جاء فيه في الخبران الله تعالى وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوف وكل من حجها متعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبران الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وروينا انه سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر ثم قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فاذا علي فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات فقال علي يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله عز وجل لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك يعنون هذا الكتاب والعهد وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض ثم آتي البقيع فيحشرون معي ثم آتي أهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبران آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وجاء في الخبران الله تعالى ينظر في كل ليلة الى أهل الارض فاول من ينظر اليه أهل الحرم وأول من ينظر اليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه منهم مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل القبلة غفر له وذكرت الصلاة بعبادان لابي تراب النخشبي فقال نومة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة بعبادان وكوشف بعض الاولياء قال رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة لانها خزانة الحرم وفرضة أهل المسجد الحرام وكنت أنا بمكة سنة فاهمني الغلاء بها حتى ضقت ذرعا به فرأيت في النوم شخصين بين يدي يقول أحدهما للآخر كل شئ في هذا البلد عزيز كأنه يعني الغلاء فقال الآخر الموضع عزيز فكل شئ فيه عزيز زمان أردت ان ترخص الاشياء

بمصري في البيت فلم أر فيه شيأ سوى قليل قرص في زاوية البيت وإهاب معلق وكان في الصحابة  زهاد أقوياء في الزهد كعمر بن الاسود وكان عمر رضي الله عنه يقول من سره أن ينظر الى النبي صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمر بن الاسود وعمرو بن تغلب الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه ان قوما جعل الله عندهم من فضل هذا اليقين منهم عمرو بن تغلب قال بعضهم زهدت في الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخساسة شركائها قال بعض المحققين يخرج من هذا رائحة الرغبة في الدنيا وترك الزهد فيها لان من مال الفراق باسباب أحب الوصال عند زوال تلك الاسباب فمن ترك شيأ لوجود شركاء السوء فيه أخذه اذا انفرد به وعند هذا فنقول ينبغي للعبد المحب لله الزهد في الدنيا لانها مبغوضة لله تعالى ومن أحب أحدا أبغض من يبغضه

*(فصل)* قد ظهر في هذا الزمان قوم كذابون على الله يظهرون الزهد يراؤن به الناس فيتحلون بحلى الزهد في ظاهرهم وقلوبهم مملوءة بالرغبة في الدنيا يلبس أحدهم الهدمة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة ثلاثة آلاف يلبسون ثياب الزهاد وقلوبهم قلوب الذئاب الزهد في ثيابهم والطمع في قلوبهم

 قيل أربعة من الكبائر لبس الصوف لطلب الدنيا وادعاء طريق الصالحين وترك فعلهم وذم

مابك فضمها الى شرف الموضع حتى ترخص بهذ كرمن كرا المقام بمكة كان سفيان الثوري يقول والله ما أدرى أى البلاد أسكن فقيل له خراسان قال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل الشام قال يشار اليك بالاصابع قيل فالعراق قال بلدة الجبابرة قال مكة قال تذيب الكيس والبدن وقال رجل للثوري قد عزمت على المجاورة بمكة فاوصني قال أوصيك بثلاث لا تصلين في الصف الاول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة انما كره له الصلاة في الصف الاول لانه يفتقد فيسال عنه اذا غاب فيشتهر و يعرف اذا واظب فيصبان يربا الحال بلزوم الموضع فيذهب الاخلاص ويحصل التزين والتصنع وجاء رجل الى سفيان بمكة فساله فقال أرسل معي رجل بمال فقال اصنعه في سدانة الكعبة أو قال في سدنة الكعبة فما ترى قال سفيان قد جهل فيما أمرك به وان الكعبة لغنية من ذلك قال فما ترى قال اصرفه للفقراء والارامل واياك وبني فلان فانهم سراق الحاج وقد كان بعض السلف يكره المجاورة بمكة و يحب قصد البيت للحج والخروج منه املا للشوق اليه أو خشية الخطايا فيه أوحبا للعود وقد قال الله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا أى يثوبون اليه يعودون مرة بعد مرة ولا يقضون منه وطرا وكان بعضهم يقول تكون في بلد وقلبك مشتاق متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وأنت متبرم بمقامك أو قلبك متعلق الى بلد غيره وروى ابن عيينة عن الشعبي لان أقيم بعمان أحب الى من ان أقيم بمكة قال سفيان يعني اعظاما لها وتوقيا عن الذنب فيها وقد كان عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يضرب الحجاج اذا حجوا و يقول يا أهل اليمن يمنكم و يا أهل الشام شامكم و يا أهل العراق عراقكم وكان ابن عباس يقول أجور بيوت مكة حرام ولا تقوم الساعة حتى يستحل الناس اثنتين اتيان النساء في أدبارهن وأجور بيوت مكة وكان الثوري و بشر وجماعة من الفقهاء وأهل الورع يكرهون ان يدفع الرجل كراء بيت مكة حتى قال الثوري اذا طالبوك ولم يكن لك بد من ان تعطيهم فخذلهم من البيت قيمتما أخذوا منك وقال بعض السلف كم من رجل بارض خراسان أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به و يقال ان لله عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل وحدثني شيخ لنا عن أبي على الكرماني شيخنا بمكة وكان من الابدال الاني سمعت هذه الحكاية منه قال سمعته يقول رأيت الكعبة ذات ليلة تطوف بشخص من المؤمنين وقال لي هذا الشيخ ربما نظرت الى السماء واقعة على سطح الكعبة قد ماستها الكعبة ولزقت بها وأكثر الابدال في أرض الهند والزنج وبلاد الكفر و يقال لا تغرب الشمس من يوم الا يطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة ولا يرون لها أثرا وهذا اذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال و ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادها ليلا أو نهارا و يقال عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة أصلي في الحجر فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله تعالى أشكو ثم اليك يا جبريل ما ألقى من الطائفين حولي تفكههم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا من ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى الى الجبل الذي قطع منه وفي الخبر لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والمقام وروى ان الحبشة يغزون الكعبة فيكون أولهم عند الحجر الاسود وآخرهم على ساحل البحر بجدة فينقضونها حجرا حجرا يناول بعضهم بعضا حتى يرمونها في البحر وكذلك يذكر عن بعض الصحابة وقراء الكتب السالفة كاني أنظر حبشيا أصلع أجدع قائما عليها يعني الكعبة يهدمها بمعوله حجرا حجرا وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين و يرفع في الثالثة و رفعها الذي ذكرناه يكون بعد هدمها لانه يبنى من ذي قبل حتى يعود الى مثل حاله و يحج مرارا ثم يرفع بعد ذلك ورويناه في حديث أبي رافع عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا أردت ان أخرب

الا انقباضا عن الاخذ منهم وقال بعضهم لو كان الزهد والتصوف بالثياب كان الزهد يشترى في الاسواق وتراهم أيضا يظهرون الورع فيتوسوس أحدهم في عقد نية الصلاة واذا لاح له درهم أو شئ من متاع الدنيا لا يتوسوس فيه أصلا بل يأخذه على كل حال حرثا أول حله كل تأويل بعيد والورع لا يتأول لان التأويل دخول في الشبهة وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا بالجيفة وفيه اشارة الى انه لا يستكثر منها بل لا يأخذ منها الا بقدر الضرورة كالميتة لا يتناول منها الا ما يدفع به المخمصة والضرورة *(فصل)* ولا يقوم الزهد الا بترك الشبهات والفضول المباحات ولا يباح التكلم في الزهد الا لمن أعرض عن الدنيا وقنع منها بالكفاف فاما من يجمع المال ويدخر الاثاث والمتاع فهو مراء كذاب على الزهد لان فعله هذا يكذب قول الشاعر

ولو صدقت فيما تقول من الاسى
لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

ودخل اسود على بعضهم وعليه كساء على الجسد وهو يتكلم في الزهد وعنده قميص معلق وعليه آخر فقال له يا شيخ أما تستحي تتكلم في الزهد ولك قميصان وأكثر المترسمين انما حصل لهم علم الزهد لا حال الزهد و ينبغي لمن تصدى لارشاد الانام وقد كرهوا ان لا يقبل من أحد منهم هدية ولا يأخذه تعصلة اهدى الى الحسن البصري هدية من خراسان

الدنيا

الدنيا بدأت يبيتي بخربته ثم أخرب الدنيا على أثره وايس بعد مكة مكان أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعمال فيها مضاعفة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك قيل ان فضل الاعمال بالمدينة كفضل الصلاة كل عمل بالف عمل وبعد ذلك الارض المقدسة فان فضل الصلاة فيها بخمسمائة صلاة وكل عمل يضاعف بخمسمائة رويناعن عطاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وصلاة في المسجد الاقصى بالف صلاة ثم يستوي الارض بعد ذلك فلا يبقى مندوب اليه مقصود لفضل دل الشرع عليه كما جاء في الخبر لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وبعد ذلك فاي موضع صلح فيه قلبك وسلم لك دينك واستقام فيه حالك فهو أفضل المواضع لك وقد جاء في الخبر البلاد بلاد الله تعالى والخلق عباده فاي موضع رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر المشهور من حضر له في شئ فليلزمه ومن جعلت معيشته في شئ فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال نعيم رأيت الثوري قد جعل جرابه على كتفه وأخذ قلته بيده فقلت الى أين يا أبا عبد الله فقال الى بلد أملؤ فيه جرابي بدرهم وفي حكاية أخرى بلغني ان قرية فيها رخص فاخرج اليها فقلت وتفعل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم اذا سمعت في بلد برخص فاقصده فانه أسلم لدينك وأقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل الرجل ينتقل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن وقد كان الفقراء والمريدون يقصدون الامصار للقاء العلماء والصالحين للنظر اليهم والتبرك والتأديب بهم وكان العلماء يتنقلون في البلاد ليعلموا ويردوا الخلق الى الله تعالى ويعرفوا الطريق اليه فاذا فقد العاملون وعدم المريدون فالزم موضعا ترى فيه أدنى سلامة دين وأقرب صلاح قلب وأيسر سكون نفس ولا تتزعج الى غيره فانك لا تأمن ان تقع في شر منه وتطلب المكان الاول فلا تقدر عليه والله غالب على أمره ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

*(الفصل الخامس والثلاثون في تفصيل الاسلام والايمان وعقود شرح معاملة القلب من مذاهب أهل الجماعة)* قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال سبحانه وتعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وقال جل ثناؤه ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم فعمد القلوب وكسبها عقودها وأعمالها وعقود القلب التي هي السنة المجتمع عليها نقلها الخلف عن السلف ولم يختلف فيه اثنان من المؤمنين فيها ست عشرة خصلة ثمان واجبات في الدنيا وثمان واقعات في الآخرة فاما اللاتي هن في الدنيا ان يعتقد العبد ان الايمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل وان القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق وكلمه القديم صفة من صفاته هو متكلم به بذاته وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد الى الله عز وجل بافضل من شئ خرج منه وهو كلامه وروينا عن ابن عباس ان عليا رضي الله تعالى عنهما دعا عند قتال صفين يا كهيعص أعوذ بك من الذنوب التي توجب النقمة وأعوذ بك من الذنوب التي تغير النعم وأعوذ بك من الذنوب التي تهتك الحرم وأعوذ بك من الذنوب التي تحبس غيث السماء وأعوذ بك من الذنوب التي تديل الاعداء انصرنا على من ظلمنا قال الضحاك بن مزاحم فكان علي رضي الله عنه يقدم هذا بين يدي كل شديدة وتوجها ورويناعن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله أعوذ بكلمات الله وأسمائه كلها كما قال أعوذ بعزة الله وقدرته دليل ان الكلام والاسماء صفات وعن علي رضي الله تعالى عنه من حكم الحكمين فنقم عليه الخوارج ذلك فقالوا احكم في دين الله من المخلوقين فقال والله ما حكمت مخلوقا ما حكمت الا القرآن وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين سمع قرآن مسيلمة الكذاب الذي افتعله وتخرصه يضاهي به كلام الله تعالى والله ما خرج هذا من ال ولا من تقي قال أبو عبيدة يعني ما خرج من

وهي خمسة آلاف درهم وثياب من رقيق البز فقال للذي أتى بها قال أقرئ الله مني السلام ثيابك (١٢٣) ونفقتك ولا حاجة لنا بذلك الله من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله يوم القيامة ولا خلاق له قال بعض أهل المعارف كم من عارف بزهد في الدنيا وهو طالب لها وكم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جريء على الله وكم من مقرب من الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار منه وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك الواحد منهم اذا تكلم في العلم بخشية الله تعالى بلسانه والفجور بين في عمله فما أخصبت لقلتهم وأجدبت قلوبهم وسئل بعضهم عن علماء زمانه فقال يتكلمون بالحكمة وأعمالهم أعمال الفجار يحذرون الناس من الدنيا وعملهم كله في طلبها قيل لبعضهم بماذا يعرف الزاهد في الدنيا فقال تعرفه بان لا يفرح بها اذا أقبلت ولا يحزن عليها اذا أدبرت قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم قالت عائشة رضي الله عنها توفي النبي صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز البر وكان يأكل خبز الشعير ولا ينخلون دقيقه وانما كانوا ينفضون النخالة فيطير منها ما طار وما بقي يأكلونه في الخبز ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه

الله تعالى قال وفيه دليل ان القرآن غير مخلوق وانه خرج من الله تعالى تكلم به قال ومن هذا قوله تعالى لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة معناه الله عز وجل لا يرقبونه وقدرو ينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ذلك في قوله فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه وذلك انه خرج منه وقرأت في مصحف ابن مسعود قال ياموسى قد فضلتك برسالاتي وبكلامي على الناس وهذا الاعجوز فيه الا التكلم بالذات مع قوله سبحانه وتعالى وكلم الله موسى تكليما قال أهل اللغة المصدر اذا أدخل في الفعل فهو للمواجهة والوصف لا للامر بالفعل ولا على المجاز ثم تسليم أخبار الصفات فيما ثبتت به الروايات وصح النقل ولا يتأول لذلك ولا يشبه بالقياس والعقل ولكن يعتقد اثبات الاسماء والصفات بمعانيها وحقائقها لله تعالى وينفي التشبيه والتكييف عنها اذ لا كفؤ للموصوف فيشبه به ولا مثل له فيجنس منه ولا تشبه وتصف ولا تمثل وتعرف ولا تكيف وقد ورد أخبار الصفات بطلان شرائع الاسلام من قبل ان الناقلين الينا ذلك هم ناقلو شرائع الدين وأحكام الايمان فان كانوا عدولا فيما نقلوه من الشرع بعدالة العدل مقبول القول في كل ما نقله وان كانوا كذبوا فيما نقلوا من أخبار الصفات فالكذاب مردود القول في كل ما جاء به والكذب على الله كفر فكيف تقبل شهادة كافر واذ جاز ان يجترؤا على الله عز وجل بان يزيدوا في صفاته مالم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم الى ان يكذبوا على الرسول فيما من الاحكام أولى ففي ذلك ابطال الشرع ومنه تكفير النقلة من الصحابة والتابعين باحسان فلذلك كفر أصحاب الحديث من نفى أخبار الصفات ويعتقد تفضيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته رضي الله عنهم ورضوانه كافة ويسكت عما شجر بينهم وينشر محاسنهم وفضائلهم لتأتلف القلوب بذلك ونسلم لكل واحد منهم ما فعله لانهم أوفر وأعلى عقولا منا فقد عمل كل واحد بعلمه ومنتهى عقله فيما أدى اليه اجتهاده وان كان بعضهم أعلم من بعض كما أن بعضهم أفضل من بعض الا ان علومنا وعقولنا تضعف وتنقص عن علم أدناهم علما كما فضلوا علينا بالسوابق سبقا وتقدم من قدم الله ورسوله وأجمع المسلمون الذين تولى الله اجماعهم على الهداية وضمن لرسوله صلى الله عليه وسلم تفضيلا لهم وتشريفا لهم ان لا يجتمعوا على ضلالة وقد قال علي لما قيل له ألا تستخلف علينا فقال لا أستخلف عليكم بل أكلكم الى الله عز وجل فان يرد بكم خيرا يجمعكم بعد نبيكم على خيركم قال ابراهيم النخعي فلما سلم الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما الامر الى معاوية سميت سنة الجماعة وقال له رجل من الشيعة يا مذل المؤمنين فقال بل أنا معز المؤمنين سمعت أبي عليه السلام يقول لا تكرهوا امارة معاوية فانه سيلي هذا الامر بعدي وان فقدتموه رأيتم السيوف تبدر عن كواهلها كأنها الحنظل فليعتقد بقلبه من رضي الصحابة بامامته وأجمعوا على خلافته واتفق الا غمتمن أهل الشورى على تقدمته على حديث ابن عمر في التفضيل قال كنا نقول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره وعلى حديث سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فهؤلاء الاربعة خلفاء النبوة وهم أئمة الائمة من العشرة وعيون أهل الهجرة والنصرة وخيار الخيار من الاصحاب كما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اختار أصحابي على العالمين واختار من أصحابي أربعة فجعلهم خير أصحابي وفي كل أصحابي خير واختار أمتي على الامم واختار من أمتي أربعة قرون فخير القرون سبعون سنة فانحن قوم متبعون نقفو الاثر غير مبتدعين بالرأي والمعقول نرد به الخبر اذ لا مدخل للقياس والرأي في التفضيل كما لا مدخل لهما في الصفات وأصول العبادات وانما يؤخذ التفضيل توقيفا وتسليما ومن طريق الاجماع والاتباع خشية الشذوذ والابتداع لقول الرسول صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ ومن شذ ففي النار وقال تعالى في تصديق ذلك ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وانما جاء الترتيب في التفضيل والخلافة مخالفا للقياس والمعقول توكيدا للنبوة وتأييدا للرسالة

مرهون عند أبي الشحم اليهودي على آصع من شعير وكان فراشه جلدا من أدم حشوه ليف ثم مات صلى الله عليه وسلم في متربعلها وكسا لبد وكان يركب الحمار ويخصف النعل ويأكل على الارض ولم يكن له خوان ولا مائدة وكان يأكل مع أصحاب الصفة وكان اذا أكل لعق أصابعه ولم ير الخبز النقي منذ بعثه الله تعالى وردت بهذا كله الاخبار الصحيحة

(فصل) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهي عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وقال بعض الاولياء الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة قال سفيان بن عيينة لفظ الزهد هو ثلاثة أحرف زاي وهاء ودال فمعنى الزاي اشارة الى ترك زينة الدنيا ومعنى الهاء ان تترك هوى النفس ومعنى الدال ان تترك الدنيا بأسرها فاذا كان هكذا يسمى حينئذ زاهدا قال مالك بن أنس ما زهد أحد في الدنيا الا ظهرت الحكمة على لسانه وقال بعضهم لا يبلغ أحد حقيقة الزهد الا اذا كان حرصه على ترك الدنيا كحرص الحريص على طلبها وقال ابن أبي ليلى لابن شبرمة ألا ترى الى ابن الحائك يعني أبا حنيفة لا نفتي في مسئلة الا ردها علينا فيها قال ابن شبرمة لا أدري أهو ابن حائك أوما هو ولكن أعلم ان الدنيا جاءته فهرب منها

لئلا

لئلا تلتبس النبوة بالملك ولا ينحو النبي صلى الله عليه وسلم فى الخلافة نحو الاكاسرة والاقاصرة فى المملكة كما كانت النبوة مخالفة للملك جاءت الخلافة على غير سيرة الملوك من استخلاف أبنائهم وأهل بيتهم ولو كان المعقول والقياس مدخل فى التفضيل لكان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن ابنه لان فيه النبوة والعباس عمه اذ فيه الابوة وقد أجمعوا على خلاف ذلك ومعنى هذا من اخراج الخلق من المألوف ورفع سكونهم عن المعهود ان أبا قحافة وأبا سفيان ماتا مؤمنين وان أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه ماتا كافرين أجمع أهل النقل والتواريخ على ذلك وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما أسلم أبوه بين يدي رسول الله عام فتح مكة والله يا رسول الله لاسلام أبي طالب كان أحب الي لو أسلم من اسلام أبي ليقر الله به عينك وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا فلما سبق فى علم الله تعالى ان يجعل هؤلاء الاربعة خلفاء النبوة بما قدر الله من أعمارهم فلم يكن يتم ذلك الا بترتيبهم على مراتب الخلافة فكان آخرهم استخلافا هو آخرهم موتا فقدم بخلافتهم على ما علم من آجالهم ووفى لهم بما وعدهم من استخلافهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم من خلائف أنبيائه السوالف ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وبدلهم أمنا بعد خوفهم كما قال الصادق فيما عهد ومن أوفى بعهده من الله فذلك تأويل قوله عز وجل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وان يعتقد ان الامامة فى قريش خاصة دون سائر العرب كافة الى يوم القيامة وان لا يخرج على الائمة بالسيف ويصبر على جورهم ان كان منهم ويشكر على المعروف والعدل ويطيع اذا أمر بالتقوى والبر حتى تأتيه بمخالطة أو منية قاضية كذلك السنة قال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله تعالى هذه الامة ثلاث وسبعون فرقة اثنتان وسبعون هالكة كلهم يبغض السلطان والناجية هذه الواحدة التى مع السلطان وسئل أى الناس خير فقال السلطان قيل كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان لله تعالى فى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال المسلمين ودمائهم ونظرة الى سلامة أسكارهم فيطلع فى صحيفته فيغفر له ذنوبه وقال أبو محمد الخليفة اذا كان غير صالح فهو من الابدال واذا كان صالحا فهو القطب الذى تدور عليه الدنيا قوله من الابدال يعني ابدال الملك كما حدثنا عن جعفر بن محمد الصادق انه قال ابدال الدنيا سبعة على مقاديرهم يكون الناس فى كل زمان من العباد والعلماء والتجار والخليفة والوزير وأمير الجيش وصاحب الشرطة والقاضي وشهودهم ويقال فى الخبر عدل ساعة من امام عادل خير من عبادة ستين سنة ويقال ان الامام العادل يوضع فى ميزانه جميع أعمال رعيته وكان عمرو بن العاص يقول امام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم يكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله تعالى بهم أكثر فان أحسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان أساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وفى الخبر الآخر يليكم أمراء يقولون ما لا يعرفون ويعملون ما ينكرون وفى لفظ يفعلون ما لا يؤمرون قلنا أفلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وفى الحديث الآخر ما أقاموا الصلاة وكان سهل رحمه الله تعالى يقول من أنكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وكان يقول الخشبيات السود المعلقة على أبوابهم أنفع للمسلمين من سبعين قاضيا يقضون فى المسجد وقد كان أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول اذا كان السلطان صالحا فهو خير من صالحي الامة واذا كان فاسقا فصالحو الامة خير منه وهذا قول عدل ولا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب وان عظم ولا ينزله جنة ولا نارا بل يرجو له ويخاف عليه وان من مات مصرا على الكبائر من غير توبة منها فى مشيئة الله تعالى ان اثبت وعيده عليه كان عدلا وان عفا عنه وسمح له بحقه كان ذلك منه فضلا ولا نحكم ولا نقطع على الله تعالى بشئ ولا نوجب لنا عليه شيئا نغاير بين عدله وفضله وبمشيئته واختياره ان يحقق علينا وعيده نحن أهل ذلك وان غفر لنا فهو أهل التقوى وأهل المغفرة كيف وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من وعده الله تعالى على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن أوعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار والحديث الآخر انى

وهريث متاعا لبيتنا او دخل رجل على ابي الدرداء رضي الله عنه فجعل يقلب بصره فى بيته فلم ير شيأ فقال له يا أبا الدرداء ما أرى فى بيتك متاعا ولا أثاثا فقال له ان لنا بيتا نتوجه اليه فيه صالح متاعنا وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا وهكذا بين عباد الله قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه الزهد على ثلاثة أوجه الاول ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني ترك الشبهات وهو زهد الخواص والثالث ترك ما شغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين وقال صاحب منازل السائرين الزهد للعوام قربة وللمريد وهو السالك طريق الآخرة ضرورة وللخاصة خسة وهو على ثلاث درجات الاولى الزهد فى الحرام وهو زهد العوام الثانية الزهد فى الشبهة وهو زهد الورعين الثالث الزهد فى فضول العيش وما زاد على البلاغ من القوت باغتنام التفرغ الى عمارة الوقت وهو داخل فى زهد الانبياء عليهم السلام والزهد الرابع وهو الزهد فى الزهد باستحقارك ما زهدت فيه واستوى حالتا الحصول والعدم عندك وهذا أيضا داخل فى زهد الانبياء عليهم السلام وفى مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من ناحية من نواحي المدينة هو وأصحابه فمروا على شاة ميتة قد انتشر ريحها فجعل أصحابه أيديهم على آنافهم من نتنها ولم يجعل النبي

صلى الله عليه وسلم يده على أنفه فقال النبي  صلى الله عليه وسلم أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا نعم يارسول الله فقال فوالله

صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فقال جزاؤه جهنم ان جازاه فيقى كل قضاء الله تعالى حكمة بالغة وعدل وحكم صادق وحق وان يصدق بجميع أقدار الله تعالى خيرها وشرها انها من الله تعالى سابقة في علمه جار به في خلقه بحكمه وانهم لا حول لهم عن معصيته الا بعصمته ولا قوة لهم على طاعته الا برحمته وانهم لا يطيقون ما حملهم الا به ولا يستطيعون لانفسهم نفعا ولا ضرا الا بمشيئته ويؤمن بقدرة الله وآياته في ملكه وغيب ملكوته بما ذكر في الاخبار من كراماته لاوليائه واجابته لاحبائه واظهار القدرة للصديقين والصالحين مزيد الايمانهم وتثبيتا ليقينهم وتكرمة وتشريفا لهم وانه ليس في ذلك ابطال النبوة الانبياء ولا ادحاض حججهم من قبل ان هؤلاء غير متبتين ولا مخالفين للانبياء ولا ادعوا ما ظهر لهم بحولهم وقوتهم ولا أظهروا دعوة الى أنفسهم ولا تفاخروا به ولا احتيالا بالدنيا ولا طلبا للرياسة على أهلها وانما هو شئ كشفه الله تعالى لهم من سر ملكوته كيف شاء وأظهرهم عليه من غيب قدرته أين شاء كما شاء تخصيصا لهم وتعريفا وهم للانبياء متبعون وعلى آثارهم مقتفون ولسنتهم مقتدون فآتاهم الله تعالى ذلك ببركة الانبياء وبحسن اتباعهم لهم ولانهم اخوانهم ابدا الا لا اشكالا لهم ومنهم أمثالا وقد تواترت الاخبار عن الصحابة والتابعين الاخيار بما ذكرناه فغنينا بالتواتر عن التناظر ✽ وأما الثمانى الواقعات في الآخرة فان يعتقد العبد مساءلة منكر ونكير فعندان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد وعن الرسالة وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن وهما فتانا القبر كذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معنى قول الله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة بل عند مساءلة منكر ونكير ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وعذاب القبر حق وحكمة وعدل على الجسم والروح والنفس يشتركون في ذلك بحسب اشتراكهم في المعصية وان كان نعيما كان ذلك على الجسم والروح والنفس يشتركون في النعيم كما اشتركوا في الطاعة وهذا من أحكام الآخرة يكون بمجاري القدرة ليس على ترتيب المعقول ولا عرف العقول يوصل الله العذاب والنعيم الى الارواح والاجسام وهي متفرقة فيتصل ذلك بهما كأنهما متفقان وليس في القدرة مسافة ولا ترتيب ولا بعد ولا توقيت ويؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان انه حق وعدل وحكمة وفضل كما جاء وصفه في العظم من أن طبقات السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله تعالى والصنع ويتمثل مثاقيل الذر والخردل بحقيقة العدل وقد خاب من حمل ظلما فتكون الحسنات في صورة حسنة تطرح في كفة النور فيثقل بها الميزان برحمة الله تعالى وتكون السيآت في صورة سيئة تطرح في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى ويعتقد ان الصراط حق على ما جاء وصفه في الآثار كدقة الشعر وحد السيف وهو طريق الفريقين الى الجنة أو النار دحض مزلة يثبت عليه أقدام المؤمنين بقدرة الله عز وجل فيحملهم الى الجنة بفضل الله تعالى وتزل عنه أقدام المنافقين فتهوى بهم في النار بحكم الله عز وجل وهو على متن جهنم باذن الله تعالى من قطعه نجا منها برحمة الله ومن زل عنه وقع فيها بحكمة الله تعالى ويؤمن بوقوع الحساب وتفاوت الخلق فيه فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا ومنهم من يدخل النار بغير حساب وهم الكافرون وكان امامنا أبو محمد رحمه الله تعالى يقول يسأل الانبياء عن تبليغ الرسالة ويسأل الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمون عن الاعمال معونا لقوله تبع ويؤمن بالنظر الى الله جل جلاله عيانا بالابصار كفاحا مواجهة تكشف الحجب والاستار بقدرة الله ومشيئته ونوره ورحمته كيف شاء وهو معنى قول الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر الى الله تبارك وتعالى وكذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعتقد اخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ثم بشفاعة الشافعين من النبيين والصديقين وان لكل مؤمن شفاعة باذن الله فيشفع النبيون والصديقون والعلماء والشهداء وسائر المؤمنين كل واحد وسع جاهه وقدر منزلته أجمعت الرواة بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثبات الشفاعة وفي اخراج

الدنيا أهون على الله تعالى من هذه على أهلها وعن ابن امامة الباهلي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أغبط الناس عندي لمؤمن خفيف الحال أو الحاذ الشك من الراوي ذو حظ أحسن عبادة الله تعالى وأطاعه في السر غامض في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض النبي صلى الله عليه باصبعه ثم قال عجلت منيته وقلت بواكيه وقل تراثه وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول لاصحابه كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى سرج بالليل احلاس البيوت جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء تنكرون في أهل الارض وقال موسى عليه السلام يا بني اسرائيل تلبسون ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الخنازير والذئاب الضوارى فان أحببتم ان تبلغوا ملكوت السموات فأميتوا انفسكم وعن ابن شريح ان رجلا دخل المسجد وعليه ثياب صوف فقال بعض الناس أشهر هذا نفسه فقال عبد الله بن عمر بل أنتم الذين أشهرتم أنفسكم هذا كان أمر الناس قبل اليوم وعن النبي صلى الله عليه وسلم به تأذى بعض مجالسه كن لليتيم كالاب الرحيم واعلم انك كما تزرع تحصد واعلم ان عثرة الاحمق في الملا كالثغي عند

الموحدين

الموحدين من النار وهم الجهنميون من أهل الطبقة العليا من النار وهو معنى قول الله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال أهل التفسير ذلك عند اخراج الموحدين من النار ويبقى الباقي لرحمة أرحم الراحمين فيخرج من النار بمشيئته وسعة رحمته وفضل فضله من لم يشفع لهم الشافعون ولم يقدم في الشفاعة لهم المرسلون هكذا روينا معناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه عقود السنة الهادية وطريقة الامة الراضية وقد أجمع السلف من المؤمنين على ما ذكرنا من قبل انه لم ينقل عن أحد منهم خلافه ولا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضده بل قد روى في كل ما ذكرناه أخبار توجب ايجابه ومعان تشهد لاثباته وتولى الله تعالى اجماعهم على سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تولى الظاهر دينه على الدين كله وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ضمن لي وفي انفا آخر أعطاني أن لا تجتمع أمتي على ضلالة فاذا رأيتم خلافا فكونوا مع السواد الاعظم والسواد الاعظم يعبر به عن الكثرة فالمختلفون متفقون على ان السواد الاعظم ما عليه العامة من المسلمين والكافة من العموم وان المبتدعة والمخالفة لما ذكرناه انما هم فرق وشراذم قليلون وشيع واحزاب متفرقون لان كل بدعة منهم فرقة وكل شرذمة منهم مختلفة وليس السواد الاعظم والجم الغفير الدهماء الا أهل السنة والجماعة وهم السواد والعامة ولذلك كان عمر بن عبد العزيز وغيره من الصالحين يقولون دين ديننا دين العجائز وصبيان المكاتب ودين الاعراب أي هو القوي السليم العام وفسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر فقال من كان على ما أنتم عليه اليوم فاجتمعت الامة على ان ما أحدثت الفرق المختلفة لم تكن عليه الصحابة ولا تكلموا فيه ولا نقل عنهم وانهم كانوا على ما ذكرناه آنفا لانه لم يروعن أحد منهم خلافه بل قد نقل عنهم وفاقه في القرن الاول والثاني ثم حدث ما ذكرناه من الخلاف في بعض القرن الثالث وفي القرن الرابع وقد كان عمرو بن دينار وأيوب وحماد بن زيد اذا ذكر أحدهم الارجاء ومذهب جهم يقول لعن الله دينا أنا أكبر منه يعني انه سبق حدوث هذه المذاهب التي تدين بها المبتدعون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين على حسن توفيقه وجميل هدايته وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فنعمة الله تعالى علينا بالسنة كنعمته علينا بالاسلام اذ نعمته علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم كنعمته علينا بمعرفته لاقتران طاعته بطاعته ولحاجة الكتاب العزيز الى تفسير سنته وقد روينا في حديث عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيطان مع الواحد وهو من اثنين أبعد ذئب أحدكم كذئب الشاة يتبع الشاذة والقاصية فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ومن شذ في النار وروينا عن أبي غالب عن أبي امامة انه نظر الى رؤس الحرورية يجيء بها من البصرة فنصبت على الخشب بدمشق قال شر قتلى تحت ظل السماء وخير قتلى من قتلوه ثم قال كلاب النار ثم قرأ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم وبشير باصبعه اليهم ثم بكى فقلت يا أبا امامة تقول فيهم ما تقول ثم تبكي فقال قاتل الله ابليس ما صنع بهؤلاء الناس يا أبا غالب انهم كانوا على ديننا فأبكي عليهم لا تموت هؤلاء بأرضك كثيرا فاعيذك بالله منهم ثلاث مرات فقلت آمين يا أبا امامة أشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شيء تقوله من قبل رأيك قال اني اذا لجريء ثلاث مرات لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع يقول تفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة تزيد أمتي عليها فرقة كلها في النار الا السواد الاعظم فقال رجل كان معنا يا أبا امامة ان في السواد الاعظم بني فلان قال وان فعلوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم والجماعة خير من الفرقة والطاعة خير من المعصية ثم نظر الى الرؤس فقال أتغضبون لناو يقتلونا هذه رؤس الخوارج وهم الحرورية الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بالنهروا وهم أول قرن نبغ من المبتدعة وأول بدعة ابتدعت في الاسلام وكانوا قرأوا المصاحف في أعناقهم والسجادات كركب المعزى في جباههم فانكروا عليه تحكيم الحكمين وسألوه ان ينقض حكمه فيرجع

رأس الميت وما أقبح الفقر بعد الغنى وأقبح من ذلك الضلال بعد الهدى ومنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يا أيها الناس ألا تستحيون وقال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا فقنع به ودخلت امرأة من الانصار على عائشة رضي الله عنها فقالت لها أريني مضجع النبي صلى الله عليه وسلم فأرتها اياه فاذا هو حصير عليه جلد من ادم فانطلقت المرأة فبعثت الى خلافها حتى خيطته فراشا ثم بعثت به الى عائشة فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم رآه فسأل عنه فأخبرته فقال ردوه اليها مالي وللدنيا ثم قال مالي وللدنيا انما مثلي في الدنيا كمثل رجل أوى الى ظل شجرة ثم راح وتركها وقال صلى الله عليه وسلم ان أولياء الله المتقون يوم القيامة وان كان نسب أقرب من نسب فلا تأتيني الناس بالاعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم تقولون يا محمد فأقول لكم هكذا وهكذا وأعرض في عطفيه ولقد كان في الصحابة الزهاد والاقوياء في الزهد المتمكنون في مقام الزهد وغيره من المقامات منهم البراء بن مالك قال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لابره ومنهم سلمان الفارسي

وكان يعمل الخوص بيده وهو أمير المدائن ثم يبيعه فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعيد فيه ثلثه ومنهم عمرو بن الاسود الذي كان يتبعه ... 

عنه وقالوا لا حكم الا لله وأنكروا أمر السلطان ورأوا الخروج على الامام وكفروا عثمان وصوبوا قتل غوغاء المصريين له وطالبوا عليا عليه السلام أن يوافقهم على رأيهم ويتابعهم على أهوائهم على ان قاتلوا معه المسلمين ان رجع عن تحكيم الحكمين وكفروا أهل الكبائر بالمعاصي فرأى على ما أراه الله تعالى وعاهده اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المارقين فقتلهم فهؤلاء في النار وقاتلوهم على وأصحابه خير أهل الارض في الجنة وكان رئيسهم في الضلال وقائدهم في القتال عبد الله بن الكوا الاعور وقد كان على يبغضه ويسبه قبل أن يظهر منه ما ظهر فخرج عليه عبد الله بن الكوا في ستة آلاف فأرسل على عليه السلام عبد الله بن عباس اليهم يناظرهم ويحاججهم فسب وهو يطلب شرابه وحرأهم عليه ابن الكوا هذا فقام خطيبا فيهم فقال أنه رفوفهم ذا أنا امر فكره وهذا من القوم الذين قال الله فيهم ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ثم تراجع بعضهم الى ابن عباس فسأله فكشف له عن الحق واستتاب منهم ألفين وقاتل على كرم الله وجهه أربعة آلاف فهذه أول فرقة مرقت من الدين واتبعت غير سبيل المؤمنين ثم افترقت الفرقة الثانية بالمدائن فرأوا بدن الارجاء وان الايمان قول وعمل وانه لا يزيد ولا ينقص وكتب بذلك الى أمير الشام فهم بقتالهم ثم شغل عنهم بقتال الروم ثم افترقت الفرقة الثالثة بالبصرة وهم القدرية امامهم معبد الجهني وتابعه عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهم ثم خرجت الفرقة الرابعة من الكوفة فسموا بذلك الرافضة رفضوا زيد بن على بن الحسين حين خرج يقاتل هشاما فقالوا له تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما قال هما جداى اماما عدل لا أتبرأ منهما فرفضوه ثم افترقت كل فرقة ثماني عشر فرقة فتمت اثنتان وسبعون فرقة وكلها تنبع بأرض العراق ومنه طلع قرن الشيطان وظهرت الفتن نعوذ بالله منها ما ظهر منها وما بطن وقد روينا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ثلاثة املاك ملك على ظهر بيت الله تعالى وملك على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وملك على ظهر بيت المقدس ينادون في كل يوم يقول الملك الذى على ظهر بيت الله تعالى من ضيع فرائض الله خرج من امان الله ويقول الملك الذى على ظهر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الملك الذى على ظهر بيت المقدس من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل * شرح معاملة القلب من العلم الظاهر * ذكر مبانى الاسلام واركان الايمان * قال الله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا وقال عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا وقال تعالى ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين فمبانى الاسلام خمسة * أولها شهادة ان لا اله الا الله وحده وان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وهما كواحدة لا انفصال لاحداهما بالاخرى في الوجوب والحكم واقام الصلاة الخمس وهن كواحد فمنها التعلق كل واحدة بصاحبتها وايتاء الزكاة وهى كالصلاة لاقترانها بها والاشتراط بها وصوم رمضان وحج البيت وهما كشئ واحد من الفرض فهذه الخمس كواحدة منهن في ايجاب العقد واعتقاد الوجوب وان اختلف الحكم في سقوط فعل بعضها بشرط روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة الخمس وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت واركان الايمان سبعة * الايمان باسماء الله وصفاته والايمان بكتب الله تعالى وأنبيائه والايمان بالملائكة والشياطين والايمان بالجنة والنار وانهما قد خلقتا قبل آدم صلى الله عليه وسلم والايمان بالبعث بعد الموت والايمان بجميع اقدار الله خيرها وشرها حلوها ومرها انها من الله تعالى قضاء وقدرا أو مشيئة وحكما وان ذلك عدل منه وحكمة بالغة استأثر بعلم غيبها ومعنى حقائقها لا يسئل عما يفعل ولا تضرب له الامثال بلزومات العقول وتخيلات المعقول تعالى من ذلك علوا كبيرا وقد شهد الله سبحانه وتعالى بالضلالة على من ضرب لعبده الامثال فقال تعالى جده انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فكيف بمن ضرب المثل للسيد الاجل

النبي صلى الله عليه وسلم وهم كثيرون  لا يحصرون كثرة قيل لرابعة القيسية وكنت من الناسين لو أذنت لنا كلمنا قومك يجمعوا لك ثمن خادم كان لك في ذلك وارق فيكفيك الخدمة وتفرغت للعبادة فقالت والله انى لاستحيى أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسأل الدنيا من لا يملكها

* (فصل) * والزهد ترك الاشياء لا لغرض فانك ان زهدت في شئ لطلب شئ آخر فانت طامع لا زاهد وهو رأس كل طاعة فانه خلاف حب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة والزهد عند العوام خلو اليد من المال وعند الخواص خلو القلب من الالتفات الى غير الله تعالى قال بعضهم ليس الزاهد من لا يملك الدنيا انما الزاهد من لا تملكه الدنيا فكم من مالك الدنيا زاهد فيها قد محت آثار حبها من قلبه كما قدمنا ذكره عن سليمان بن داود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام واختلفوا في متعلق الزهد فقال بعضهم هو الحرام والشبهة وأما المباح فالزهد فيه يجرى مجرى امتناع الضيف من طعام صاحب البيت ومنهم من قال الزهد في الحرام واجب وفي المباح فضيلة فان اقلال المال والعبد صابر في حاله راض بما قسم له قانع بما آتاه الله تعالى أتم ممن توسعه وتبسطه في الدنيا وهذا الخلاف راجع الى الخلاف في أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر وبالعكس ومنهم من قال اذا كان العبد يطلب المال ويكسبه من

بعد

بعد نفيه عن ذلك واخباره بعلم غيب ذلك اذ يقول فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون والايمان بما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبول جميعه وافتراض طاعته وأمره على العباد والتزام ذلك اذ قد جعل الله تعالى طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرط الايمان وقرنها بطاعته فقال تعالى أطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين واشترط للرحمة طاعة الرسول كما اشترط لها التقوى فقال وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون وحذر من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاستجابة له مقامه وجعله في المبالغة في الوصف والمدح بدلا عنه فقال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم كما قال سبحانه وتعالى ويحذركم الله نفسه وقال تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم لانه قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وهذه أمدح آية في كتاب الله تعالى وأبلغ فضيلة فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه جعله في اللفظ بدلا عنه وفي الحكم مقامه ولم يدخل بينه وبينه كاف التشبيه كانما ولا لام الملك فيقول لله تعالى وليس هذا المقام من الربوبية لخلق غير رسول الله صلى الله عليه وسلم

* ذكر اتصال الايمان بالاسلام في المعنى والحكم * وافتراقهما في التفصيل والاسم وان كل مؤمن مسلم وتحقيق القول بالعمل وابطال مذهب الجهمية والكرامية والحرورية وبيان مذهب أهل السنة والجماعة وفقنا الله تعالى لذلك قال قائلون الايمان هو الاسلام وهذا قد أذهب التفاوت والمقامات وهذا يقرب من مذهب المرجئة وقال آخرون ان الاسلام غير الايمان وهؤلاء قد أدخلوا التضاد والتغاير وهذا قريب من قول الاباضية فهذه مسئلة مشكلة تحتاج الى شرح وتفصيل فمثل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين احداهما من الاخرى في المعنى والحكم فشهادة الرسول غير شهادة التوحيد فهما شيآن في الاعيان واحداهما مرتبطة بالاخرى فهما كشيء واحد لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن لا ايمان له اذ لا يخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه ولا بد للمسلم من ايمان به يحق ايمانه من حيث اشترط الله سبحانه وتعالى للاعمال الصالحة الايمان واشترط للايمان الاعمال الصالحة فقال في تحقيق ذلك ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وقال في تحقيق الايمان بالعمل ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ومن كان ظاهره أعمال الاسلام لا يرجع الى عقود الايمان بالغيب فهو منافق نفاقا ينقل عن الملة ومن كان عقده الايمان بالغيب لا يعمل بأحكام الايمان وشرائع الاسلام فهو كافر كفرا لا يثبت معه توحيد ومن كان مؤمنا بالغيب مما أخبر به الرسول عن الله سبحانه عاملا بما أمر به فهو مؤمن مسلم ولولا انه كذلك لكان المؤمن يجوز أن لا يسمى مسلما ولجاز ان لا يسمى كل مسلم مؤمنا بالله تعالى ورسله وكتبه ومثل الايمان من الاعمال كمثل القلب من الجسم لا ينفك أحدهما من الآخر لا يكون ذو جسم حي لا قلب له ولا ذو قلب بلا جسم له فهما شيآن منفردان وفي المعنى والحكم متصلان ومثلهما أيضا مثل حبة لها ظاهر وباطن وهي واحدة لا يقال حبتان لتقارب وصفهما فكذلك أعمال الاسلام من الايمان الاسلام هو ظاهر الايمان وهو أعمال الجوارح والايمان باطن الاسلام وهو أعمال القلوب روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان سر وفي لفظ آخر والايمان في القلب فالاسلام أعلام الايمان والايمان عقود الاسلام فلا ايمان الا بعمل ولا عمل الا بعقد ومثل ذلك مثل العلم الظاهر والباطن أحدهما مرتبط بصاحبه من أعمال القلوب وأعمال الجوارح ومثله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنية أي لا عمل الا بعقد وقصد لان قوله صلى الله عليه وسلم انما تحقيق للشيء ونفي لما سواه فأثبت بذلك عمل الجوارح من المعاملات وأعمال القلوب من النيات فمثل العمل من الايمان كمثل الشفتين من اللسان لا يصح الكلام الا بهما لان الشفتين تجمع الحروف واللسان يظهر الكلام وفي سقوط أحدهما بطلان الكلام كذلك في سقوط العمل ذهاب الايمان ولذلك عدد الله تعالى في نعمته على الانسان بالكلام ذكر الشفتين مع اللسان في قوله تعالى ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين المعنى ألم نجعله ناظرا متكلما فعبر عن الكلام باللسان والشفتين لانهما مكان له وذكر الشفتين لان الكلام الذي جرت النعمة به لا يتم الا بهما ومثل الايمان

وجوه الحل وينفقه على أهل الضرورات ويواسي به أهل الفاقات من الارامل والايتام وغيرهم من الفقراء والمساكين فكسب المال له أولى من عدمه فانه زاهد فيه بقلبه ولولا زهده فيه لما بذله على مستحقه وقال بعضهم لا زهد في الحرام ولا في الشبهة لان تركهما فريضة انما الزهد ترك الحلال ويلزم قائل هذا أن لا يكون في الزهد ما هو واجب

* (فصل) * قد قدمنا ان الزهد حقيقة الترك والمحو من القلب وانه ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول الزهد الواجب وهو الزهد في الحرام الثاني الزهد المندوب وهو الزهد في الشبهة الثالث زهد فضيلة وهو الزهد في المباح وزاد كثيرون زهد الغنى وهو زهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالزهد في الحرام والشبهة هو زهد عامة المؤمنين والزهد في المباح هو زهد المريدين فانهم زهدوا في الدنيا لطلب نعيم الآخرة فكان كمن ألقى من يده درهما زيفا لمائة ألف دينار أو ذرة لدرة أو خردلة لدرة فهو رابح في تجارته كيس في نظره والزهد الاخير وهو زهد الغنى هو زهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام والخواص من الاولياء زهدوا في الحور العين وغيرهم من النعيم للنظر الى وجه الله تعالى ثم أعرضوا عن الحور العين والقصور والاتكاء على الفرش والارائك والعموم والفواكه الى مشاهدة كمال الهيكل أين

والاسلام أيضا كفسطاط قائم في الارض له ظاهر وطناب وله عمود في باطنه فالفسطاط مثل الاسلام له اركان من أعمال العلانية والجوارح وهي الاطناب التي تمسك أرجاء الفسطاط والعمود الذي في باطن الفسطاط مثله كالايمان لاقوام للفسطاط الابه فقد احتاج الفسطاط اليهما اذلا استقامة له ولا قوة الا بهما كذلك الاسلام من أعمال الجوارح ولاقوام له الابالايمان والايمان من أعمال القلوب لانفع له الا بالاسلام وهو صالح الاعمال وقد عبر الله تعالى عن الايمان بالاسلام فلولا انهما كشئ واحد ماعبر عن أحدهما بالآخر فقال سبحانه فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكونا بيتين انما هم أهل بيت واحد لوط وبناته وقال عز وجل في مثله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فعطف بقوله ان كنتم مسلمين على قوله ان كنتم آمنتم فدل على انهما اسمان بمعنى واحد وهذا كقوله تعالى فيما عبر عن الايام بالليالي لان اليوم مرتبط بالليلة وأنت تعلم انهما شيآن مقال في قصة واحدة قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا وقال أيضا سبحانه آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وأيضا فان الله تعالى قد جعل ضد الاسلام والايمان واحدا فلولا انهما كشئ واحد في الحكم والمعنى ما كان ضدهما واحدا فقال سبحانه كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وقال يأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون فجعل ضدهما الكفر وعلى مثل هذا اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام بوصف واحد فقال في حديث ابن عمر بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وفي حديث ابن عباس عن وفد عبد القيس انهم سألوه عن الايمان فذكر هذه الاوصاف فدل بذلك انه لا ايمان باطن الا باسلام ظاهر ولا اسلام علانية الا بايمان سر وان الايمان والعمل قرينان لا ينفع أحدهما بغير صاحبه ولا يصح أحدهما الا بالآخر كالابصار ولا يوجدان معا الا بنفي ضدهما وهو الكفر كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكفر أحد الا بجحود ما أقر به وأظهر من حديث ابن عباس آنفا ان في نفس حديث ابن عمر ذكر الايمان أيضا بدلا من لفظ الاسلام ورواه جرير عن سالم بن أبي الجعد عن عطية مولى بني عامر عن يزيد بن بشر قال أتيت ابن عمر فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الله بن عمر مالك تحج وتعتمر وقد تركت الغزو قال ويلك ان الايمان بني على خمس تعبد الله تعالى وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان كذلك حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اشترط الله تعالى للايمان العمل الصالح ونفي النفع بالايمان الا بوجود العمل كما شرط للايمان الاسلام فقال تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات اجماع من أهل التفسير الا من تاب من الشرك كقوله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم بعد قوله وخذوهم واحصروهم وقال سبحانه وتعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا وقال تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون كما قال تعالى الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فاشترط للايمان الاعمال والتقوى كما اشترط للاعمال الصالحة الايمان فكما لو عمل العبد بالصالحات كلها لم تنفعه الا بالايمان كذلك لو آمن الايمان كله لم ينفعه الا بالاعمال وفي وصية لقمان لابنه يابني كما لا يصلح الزرع الا بالماء والتراب فكذلك لا يصلح الايمان الا بالعمل والعلم فاما تفرقة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام لما سأله ما الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره ثم قال ما الاسلام فذكر الخصال الخمس فان ذلك تفصيل أعمال القلوب وعقودها على ما توجب هذه المعاني التي وصفناها ان تكون عقودا من تفصيل أعمال الجوارح فيما توجب الافعال الظاهرة التي وصفها ان تكون علانية الا ان ذلك يفرق بين الاسلام والايمان في المعنى باختلاف وتضاد وليس فيه دليل انهما مختلفان في الحكم اذ قد يجتمعان في عبد واحد مسلم مؤمن فيكون ماذكره من عقود القلب وصف قلبه وماذكره من العلانية وصف ظاهر

التنعم بذلك من الابتهاج بجلال رب الارباب قال بعض العارفين في قوله صلى الله عليه وسلم ان أكثر أهل الجنة البله من رضى بالجنة ولم يطلب من الله تعالى الملك الكبير وهو الرؤية الى جنابه فهو أبله لان الذي فاته أعظم من الجنة وهو اشتياقه لربه وطلب الانس به فقوله صلى الله عليه وسلم اشتاقت الجنة لعمار وسلمان وصهيب زهدوا في الجنة لشوقهم الى ربهم فاشتاقت الجنة لهم وقال الثمر ابادي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الجنة لان تارك الدنيا قليلون فهم غرباء وكذلك أهل الجنة قنعوا بنعيمها والعارفون كالانبياء والصديقين من اتباعهم تعلقت قلوبهم بالحق فلم يشغلهم عنه نعيمها فهم غرباء في الجنة أي لانظير لهم في الجنة وقال بعض أهل المعرفة الزاهد صيد الشرع من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة وأما الزهد الرابع وهو زهد الغني فانه الانبياء أيضا ومن اصطفاه الله تعالى من اتباعهم وهو زاهد في النفس وهو اعسر حالات الزهد وأشقها وأجلها وأعظمها حالات الزاهد الاول الذي هو الزاهد في الحرام والشبهة تركه للوعيد والزاهد الثاني وهو الزاهد في المباح ترك الدنيا لنعيم الآخرة الذي تحقق بالوعيد والزهد الثالث اشتغل باتقاء الله عن الجنة والزاهد الرابع وهو الزاهد في نفسه لم يبق له شيأ يزهد فيه فانه ماتت نفسه عن

جميع

جميع حظوظها وعن كل طمع حتى من روحه وتعلق بربه ولم يشغله عنه شئ وهذا أشد القوم يعني الزهد في الزهد قال أبو بكر الواسطي رحمة الله عليه كم تصول بترك كيف والى متى تصول بإعراض عما لا يساوي عند الله جناح بعوضة فالقوم لما رأوا احتقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا لهوانها عند الله تعالى فالزاهد في الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمها ان تركها تركها لله تعالى وان أخذها أخذها بالله قال السهروردي في عوارف المعارف وقد رأينا من العارفين من أقيم في هذا المقام

*(فصل)* في آداب الزهد ووظائف الزاهدين قد قدمنا الكلام على حقيقة الزهد وأصله وثمرته وان حقيقة الزهد هي عزوف النفس عن الدنيا واعراضها عنها كما هو مذكور في حديث حارثة وان أصله العلم وان نوره يشرق في القلب حتى ينشرح به الصدر فيتضح فيه ان الآخرة خير وأبقى وان نسبة الدنيا الى الآخرة أقل من نسبة ذرة أو خرزة الى جوهرة وثمرته القناعة من الدنيا بقدر الضرورة وهو قدر زاد الراكب كما أشار اليه الحديث الذي قدمنا ذكره وأما الاصل فهو نور يثمره حال انزواء عن الدنيا ولا يظهر أثره على الجوارح بالكف عن الدنيا الا بقدر ما يحتاج في زاده السالك والضروري في زاده هذا الطريق مسكن وملبوس ومطعم وأثاث أما المطعم فأوله الاقتصار على دفع الجوع

جميعه والدليل على ذلك انه جعل وصف الاسمين بمعنى واحد في حديث ابن عمر وفي حديث وفد عبد القيس الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس وقد روى ذلك مفصلا في حديث على رضي الله تعالى عنه الايمان قول باللسان وعقد بالقلب وعمل بالاركان فادخل أعمال الجوارح في عقود الايمان وأيضا فان الامة مجمعة ان العبد لو آمن بجميع ما ذكرناه من عقود القلب في حديث جبريل عليه السلام من وصف الايمان ولم يعمل بما ذكرناه من وصف الاسلام بأعمال الجوارح لا يسمى مؤمنا وانه ان عمل بجميع ما وصف به الاسلام ثم لم يعتقد ما وصفه من الايمان انه لا يكون مسلما وقد أخبر صلى الله عليه وسلم ان الامة لا تجتمع على ضلالة وليس فيه دليل على ان الاسلام غير الايمان أو ان المسلمين سوى المؤمنين أو ان الايمان ضد الاسلام والوجه الثاني من تأويل الخبران معنى قوله أو مسلم يعني به أو مستسلم فاذا جمع بين عقود القلب وبين أعمال الجوارح كان مسلما مؤمنا ومن لم يقل بهذا الذي ذكرناه فقد كفر أبا بكر رضي الله تعالى عنه وجهله في قتال أهل الردة وادعى عليه انه قتل المؤمنين لان القوم جاؤا بعقود الايمان ولم يجحدوا التوحيد ولا أكثر الاعمال وانما أنكروا الزكاة فاستحل قتلهم وواطأه الصحابة على ذلك حتى استتاب من رجع منهم وأما الحديث الآخر الذي ظاهره ان النبي صلى الله عليه وسلم فرق بين المؤمن والمسلم في انه أعطى رجلا ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم فاعاد عليه فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلم فانما في هذا دليل على تفرقة الايمان والاسلام في التفاضل والمقامات أي ليس هو من خصوص المؤمنين ولا أفاضلهم وكشف مقامه الذي خفي على سعد كما كشف مقام حارثة من حقيقة ايمانه اذ كان خاملا لا يؤبه له فقال كيف أصبحت فنطق بوجده عن مشاهدته فقال عرفت فالزم فهذا دليل لنا في تفضيل مقام الايمان على مقام الاسلام وان المؤمنين يتفاضلون في الايمان وان تساووا في أعمال الجوارح من الاسلام وان الايمان لا حد له وان كانت صحته بحدود الاسلام فآثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي آمن طوعا على المكره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يعطي من المؤلفة لرؤسائه ومن لا يؤمن عاديته وجده على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعريضه المشركين كما أكرم الرجل بعد ان تكلم فيه فقيل له في ذلك فقال هذا أحمق مطاع أو من يكثر عشيرته واتباعه فيكون ظهيرا على المؤمنين أو من فيه غنى للمسلمين ومنفعة وعز للمسلمين فاما الاتباع والسفلة من المؤلفة لم يكن يؤثرهم بالعطاء بل كان يؤثر المؤمنين ويقدمهم على أراذل المؤلفة وضعفائهم كما فعل بالقسم الذي قسمه بين المؤمنين فأعطاهم الا رجلا من العزالة معاده علوق الرأس فانه لم يعطه وقال ان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى والله ما عدل فقال صلى الله عليه وسلم ان لم أعدل فمن يعدل وكان ذلك أول قرن نجم من الخوارج أولا تراه لم يعطه هذا شيأ ولم يستأله لانه لم يكن من خصوص المؤمنين ولا ممن يتقي باسه أو يظهر في الاسلام غناه فيتألف بالعطاء وهذا مثل قول فرعون حين ألجأه الله الغرق فاضطر الى الاسلام بقوله آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين أجمع أهل التفسير ان معناه من المستسلمين فان قيل قد روى في آخر هذا الخبر في بعض الروايات ما يدل على ضد هذا التأويل وان الرجل كان فاضلا لانه كان مستسلما وهو ان في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لاعطي قوما وامنع آخرين أكلهم الى ما جعل الله تعالى في قلوبهم من الايمان منهم فلان قيل ان هذا كلام مستأنف من رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاده القائل لانه بعث بجوامع الكلم وكان يسئل عن الشئ فيخبر به ويزيد عليه البيان والهداية الذي أعطى فكأنه أراد ان يخبر بتنويع عطائه وبضروب المعطين من الناس هذا العاجة وهذا للفضل وهذا التألف لان الذي منعه كان أفضل من الذي أعطاه اذ لو كان الامر كما قال هذا القائل لكان الاسلام أفضل من الايمان ولكان المسلمون أفضل من المؤمنين ولم يقل بهذا أحد من العلماء الا ان الايمان خاص فيه التفاوت والمقامات فهو يشتمل على الاسلام والاسلام داخل فيه والمؤمنون هم خصوص المسلمين

منهم المقربون والصديقون والشهداء والاسلام علم محدود يوصف به عموم المؤمنين ويدخل فيه أهل الكبائر والاجرام ولا يخرج منه من فارق الكفر ووقع عليه اسم الايمان كما قال تعالى فمن افترى على الله الكذب وأخبر عنه بالفسوق ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين فعلى اجماعهم ان الايمان أعلى اسقاطوهم من توهم ان الرجل كان أفضل كيف وقد روينا تخصيص الايمان من النبي صلى الله عليه وسلم نصا انه سئل أى الاعمال أفضل قال الاسلام قيل فاى الاسلام أفضل قال الايمان ففعل الايمان مقاما فى الاسلام ففى هذا الحديث أيضا تخصيص للايمان على الاسلام لا تفرقة بينهما بمعنى قوله فى وصف الرجل أومسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى وصف الرجل أومسلم فدل على بطلان ما تأوله القائل لان هذه اللفظة بالف الاستفهام لا تستعمل فى عرف الكلام الا فى الوصف الانقص والحال الادنى فافهم وأما قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا فان هذا أيضا من هذا النوع معناه قولوا استسلمنا حذر القتل وهؤلاء ضعفاء المؤلفة أراذلهم كانوا ينقمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ايثاره وتقديمه المؤمنين بالعطاء عليهم وارجاءه اياهم فقالوا لم لا يعطينا كما يعطى المؤمنين فانا مؤمنون كهم فاخبر الله تعالى بذلك عنهم وأكذبهم فى دعواهم وهم الذين قص الله تعالى اخبارهم فى قوله تعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ففى هذه الآية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعطى هذا الضرب من المؤلفة وليس فى الآية تفرقة بين الايمان والاسلام بدليل قوله تعالى فى الآية التى بعدها يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان فسمى اسلامهم ايمانا لانه عطف ببعض الكلام على بعض وورد أوله الى آخره وانما اسقط المنة به على رسوله وأثبت المن عليهم بنفسه وعطف بآخر الاسم على أوله وغاير بين اللفظين فلم يرد أحدهما على الآخر فيقول ان هداكم للاسلام لاتساع لسان العرب واجتهدنا فضل بيان وان الاسلام والايمان اسمان بمعنى واحد كما قال تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم ولم يقل يخلقكم ليبين أن الرازق هو الخالق وليفيد وصفا ثانيا وصف به نفسه تعالى فهو كقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وهكذا قرأتها فى مصحف ابن مسعود وقال سبحانك تبت اليك وأنا أول المسلمين فلولا انهما بمعنى لم يجز ان يقرأ بخلاف المعنى فاما ما روى عن ابى جعفر محمد بن على الايمان مقصور فى الاسلام فمعناه هو باطنه قال وأدار دائرة كبيرة فقال هذا الاسلام ثم ادار فى وسطها دائرة صغيرة فقال وهذا الايمان فى الاسلام فاذا فعل وفعل خرج من الايمان وصار فى الاسلام يريد انه خرج من حقيقة الايمان وكماله ولم يكن من الموصوفين الممدوحين بالخوف والورع من المؤمنين لانه خرج من الاسم والمعنى حتى لا يكون مؤمنا بالله مصدقا برسله وكتبه ألا ترى الى الدائرة الصغيرة غير خارجة من الدائرة الكبيرة التى أدارها حولها فجعلها فيها وضرب المثل بها لكنها داخلها وليها ومخصوصة فيها ولو أراد انه يخرج من الايمان بالجملة لما أدار دائرتين متداخلتين ولم يجعل احداهما جوف الاخرى وكذلك جاء الخبر لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن معناه كامل الايمان أو مؤمن حقا لان حقيقة الايمان وكماله بالخوف والورع اذ الامة مجمعة ان أهل الكبائر ليسوا بكافرين واذا فسق بالزنا وشرب الخمر خرج من حقيقة الايمان وهو الخوف والورع ولم يخرج من اسمه ومعناه وهو التصديق والتزام الشريعة وفيه معنى لطيف كأنه يرتفع عنه ايمان الحياء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحياء من الايمان والمستحى لا يكشف عورته على حرام ويبقى ايمان الاسلام والتوحيد وايجاب الاحكام وقد روينا عن الحسن بيان ذلك انه قال الايمان حقيقة الاسلام وقيل لحذيفة من المنافق فقال الذى يتكلم بالاسلام ولا يعمل به فسمى علم الايمان اسلاما وقرن القول بالعمل وقال الثورى رحمه الله الناس عندنا مؤمنون مسلمون فى حدودهم ومرائضهم وفى النكاح وفى المواريث وفى الصلاة خلفهم والصلاة عليهم لا نحاسب الاحياء ولا نقضى على الاموات ونكل ما لم نعلم من سرائرهم الى الله تعالى

فى الحال فاذا ادخر بكرة لم يدخر عشاء لعشائه وأوسطه ان يدخر شهرا والى أربعين يوما وأكثره ان يدخر لسنة فان جاوز ذلك خرج من جميع أبواب الزهد الا أن يكون له سبب ولا يأخذ من الايدى فيقسم له فى ادخار ما يزيد على قوت السنة كداود الطائى فانه ورث من أمه عشرين دينارا فامسكها وتقنع بها عشرين سنة فذلك لا يبطل مقام الزهد أما مقدار ما يتناوله الزاهد فى كل يوم من القوت فاقله نصف رطل بالبغدادى وأوسطه رطل وأعلاه مد وهو رطل وثلث والزيادة عليه تبطل الزهد وأما جنس القوت فاقله ما يقوت ولو النخالة والبقل قال بعض العلماء مررت يوم العيد بعد الصلاة على قطائع الربيع ببغداد فمررت بمنزل داود امام أهل الظاهر فنزلت عن مركوبى وأتيت بابه لقصد زيارته فطرقت الباب فكلمنى داود فقلت أنا فلان فقال ادخل فدخلت عليه فوجدته جالسا يأكل وبين يديه صحفة فيها قليل نخالة وحولها شئ من أوراق الهندبا فلما رأيته على ذلك صغرت الدنيا عندى وعلمت ان ما نحن فيه من الدنيا لا يساوى شيئا ثم عرض عليه فى ذلك اليوم جملة من المال من جهة بعض أرباب الدنيا وكان ذلك بواسطتى فغضب وقال لى هذا جزاء من يأتمنك على سره ولم يقبل مدهما هو من أحوج الناس الى دانق وأوسطه خبز الشعير وأعلاه خبز البر غير منخول فان نخل فهو تنعم لا زهد وأما

تعالى ونسمع بالتشديد خفضاه ونسمع الهين فنرجو لاهل القبلة ونتهم رأينا لرأى السلف قبلنا وماذكرناه من ان الاسلام والايمان قرينان لايفترقان هذا مذهب فقهاء أصحاب الحديث وطريقة أئمة السلف رضي الله عنهم أجمعين

## ﴿باب ذكر تفضيل بيان مانقل عن المحدثين من التفرقة بينهما وماجاء في معناه﴾

فاما ماحكي عن بعض أصحاب الحديث انه فرق بين الايمان والاسلام فقال الزهري الاسلام الكلمة والايمان العمل وقال عبد الرحمن بن مهدي وقد سئل عن الايمان والاسلام فقال هما شيآن وقول حماد بن زيد الاسلام عام والايمان خاص فان قول هؤلاء على جملة قولنا وهو دليل له وشاهد عليه وانهم لم يفرقوا بين الايمان والاسلام تفرقة اختلاف ولاتضاد ولم يريدوا ان أحدهما يوجد ويصح بعدم الآخر ليواطؤا مذهب المرجئة لانهم أبعد شئ منهم اذهم أصحاب اثر وتوقيف وانما فرقوا بينهما طريق تفاوت وتخصيص اى ان الايمان أخص وأعلى لان الزيادة والنقصان فيه والفضائل والمقامات عنه والاستثناء واجب فيه وان الاسلام عام لايخرج منه الا الكافرون اذ ليس وراءه شئ وعند جماعة من العلماء ان الاستثناء غير واجب في الاسلام لانه محدود معلوم فهذا كان قصد من فرق بين الاسلام والايمان وهي طريقة بعض السلف وعبارة القدماء وهو على نحو مافصلناه وبمعنى مابيناه وان كنا نحن أظهر تفصيلا وأبين ترتيبا وهذا مثل الخبر الذي روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الايمان أفضل قال الاسلام قيل فاى الاسلام خير قال الايمان فلم يفرق بينهما ولكنه خصص فجعل الايمان حقيقة الاسلام وخالصه لانه أخبر انه منه فهذا من قوله من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه أي من تحققه بالاسلام ومن أعلى اسلامه هذا الوصف وهذا هو نعت المؤمن الموقن الزاهد وهذا يشبه مامثله أبو جعفر محمد بن علي في أنه أدار دائرة كبيرة وأدار فيها دائرة صغيرة تخصيصا وجميع ماشرحناه وذكرناه عن السلف يبطل قول المرجئة والكرامية والاباضية ويدحض دعواهم في أن الايمان قول أو معرفة وعقد بلا عمل وهو أيضا رد على المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين الذين يقولون مؤمن وفاسق وكافر فلا يجعلون الفاسق مؤمنا وهو رد على الحشوية والجرمية والقطعية والحرورية أصناف من الخوارج يقولون من أتى كبيرة خرج من الايمان وان أهل الكبائر كفار يحل قتلهم ويقولون ان أهل البغي من الائمة كفرة يجب على الرعية قتالهم ومنهم من يقول ان من بغى على الامام فقد كفر بخلاف قول الله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فامر بقتال أهل البغي بتسميته اياهم مؤمنين ولم يجعل لهم منزلة ثالثة وقد ابتلينا بطائفتين مبتدعتين متضادتين في المقالة المرجئة والمعتزلة قالت المرجئة ان الموحدين لايدخلون النار وان عملوا بالكبائر والفسوق كله لان ذلك لاينقص ايمانهم وقالت المعتزلة ان الفاسق ليس بمؤمن وان مات على صغيرة من الصغائر من غير توبة دخل النار لامحالة ولم يخرج منها خالدا مع الكفار والصواب من ذلك ان الفاسق مؤمن لايخرجه فسقه من اسم الايمان وحكمه ولكن لايدخله في المؤمنين حقا من الصديقين والشهداء وان أهل الكبائر قد استوجبوا الوعيد ودخول النار وجائز ان يغفر الله تعالى عنهم بكرمه ويسمح لهم بجوده كما روينا من علي انه قال عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه الغالي ويرتفع عنه القالي وقد قال صلى الله عليه وسلم في وصف علماء السنة ومدحهم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين فالغالون هم المجاوزون للسنن والآثار والمبطلون هم المدعون بالرأي والقياس والجاهلون هم الشاطحون من المتصوفة الضلال وعدول كل خلف من اتبع سنة صالح من سلف ولم يبتدع في الدين ولا اتخذ وليجة دون طريق المؤمنين وهم رواة الاخبار وحملة الآثار من المحدثين وفقهاء المسلمين ويوضح قولنا ويصححه قول الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم اجماعا من المسلمين وانها نزلت بعد نزول الفرائض واتمام الشرائع وفي حجة الوداع وهي آخر حجة حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول

الادام فاكله الخل والبقل والملح وأوسطه اللبن والحمص والجبن وأعلاه اللحم والدقيق الاسبوع مرة أو مرتين فاذا دام لم يكن صاحبه زاهدا قالت عائشة رضي الله عنها كان يأتي اربعون ليلة وما يوقد في بيته صلى الله عليه وسلم مصباح ولانار وأما الملبس فاقله مايستر العورة ويدفع الحر والبرد وأعلاه قميص وسراويل ومنديل من الجنس الحسن ويكون بحيث ان غسل ثوبه لم يجد غيره والاولى ان لايلبس قميصا بل ازارا في وسطه ورداء على عاتقه هذا هو الغالب من لباسه صلى الله عليه وسلم والصحابة وكان سهل بن عبد الله لايرى عليه قميص اذا غسل ازاره ورداءه فان كان الانسان صاحب قميصين لم يكن زاهدا فكان صلى الله عليه وسلم يلبس الكساء من الشعر والجبة من الصوف والرداء الخشن والصوف والشعر هو الغالب من لباس الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثل موسى والمسيح ويحيى بن زكريا وشعيب ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهو الغالب أيضا من لباس الصحابة والتابعين حتى قيل انهم كانوا عند اجتماعهم في المسجد يفوح منهم في أوقات الحر مثل رائحة الضأن فكان عمر رضي الله عنه يلبس مرقعة عدد فيها اثنا عشر رقعة بعضها من ادم وقال بعضهم ثياب سفيان الثوري ونعلاه بدرهم ودانقين واما المسكن فادناه ان يقنع بزاوية في مسجد أو رباط كاهل الصفة

فرض الحج لان سورة المائدة مدنية باجماع من القراء وهي من آخر ما نزل من القرآن باتفاق من العلماء
ولم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية الا ثلاثة أشهر وثلاثة أيام اتفق عليه أهل التاريخ
لانها نزلت يوم التاسع من ذي الحجة من آخر يوم عرفة وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة خلت
من ربيع الأول فقال الله تعالى بعد نزول الاحكام واحكام الحلال والحرام اليوم أكملت لكم دينكم
والاكمال هو اتمام الشيء الذي بعضه متعلق ببعض فلا يقال أكمل لما كان بعضه قبل بعض فاذا وجد جميعه
قيل قد أكمل وتم هذا هو حقيقة هذه الكلمة فلما كان الايمان قد تقدم بمكة وأنزل الله تعالى الفرائض
والدين شيأ بعد شيء وكان الاكمال من الدين دل ان بعضه متعلق ببعض الى أن كمله فصارت الاعمال متعلقة
بالايمان وهما الدين المكمل وقال بعض السلف من لم يقل من المرجئة ان ابليس مؤمن لانه قد أقر بالايمان
وقال به انكسر عليه مذهبه ولعمري ان ابليس لعنه الله موحد لله تعالى عارف به الا انه لم يعمل بالتوحيد ولم
يطع من عرفه وآمن به فكفر فاما تعلقهم بقول الله تعالى فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار فانه
شرط القول للمثابات أو علق الجنات بالقول فانما ذلك اثبات منه تعالى لتحقيق القول وانه قول ايمان ويقين
وانهم غير متعوذين بالقول ولا متخذوه جنة كالمنافقين اذ المنافقون قد قالوا كقولهم الا أنه أخبر عن سرائرهم
بضده فقال هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فاراد سبحانه بان قول
هؤلاء قول المؤمنين وان قولهم ايمان من أعمالهم لانهم منفردون بالقول دون العمل وفيه أيضا دليل ان
القول بالحق من الايمان وانه يستحق عليه ثوابا لانه من أعمال البر بمنزلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فاما أن يكون فيه دليل ان القول حسب هو الايمان كله وان الايمان يكون قولا لا يحتاج الى عمل فهذا باطل
بالادلة التي قدمنا ذكرها من الآي التي شرط الله تعالى فيها الاعمال ومن قوله في الكفار فان تابوا وأقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وأيضا فان في نفس هذه الآية بطلان دعوى المرجئة لان الله تعالى لم يقل
ولم يثبهم الله الا بما قالوا جنات وانما قال عز وجل فأثابهم الله بما قالوا جنات فأخبر انه أجرهم على قولهم بالحق
كما قال فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ثم أحكم ذلك وقيده بقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ولكن هؤلاء كما قال الله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه
من القرآن فهم الذين عنى الله تعالى فاحذروهم وذلك ان الله تعالى قرن الاعمال بالايمان في كل المواضع فلم
تقف المرجئة مع شيء من هذا البيان والاحكام فلما أجمل القول في موضع واحد لما ذكرناه من السبب تعلقوا
به ووقفوا معه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان لا نصيب لهما في الاسلام وفي لفظ آخر لا ينالهم
شفاعتي القدرية والمرجئة وفي الحديث الغريب طائفتان لا يدخلون الجنة من قال ان الايمان كلام ورواه
حذيفة فقال اني لاعلم أهل دينين في النار قوم شرار بلا علم وقوم في آخر الزمان يقولون كانوا ألوفا لالا نسأل
الله تعالى ان لا يصرفنا عن فهم آياته ولا يبلونا بالكبر وان يرينا سبيل الرشد ويوفقنا لاتخاذه سبيلا وان يرينا
سبيل الغي ويعصمنا من اتخاذه سبيلا كما أخبر بذلك عمن بلاه به فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي
يتخذوه سبيلا الآية * (ذكر الاستثناء في الايمان والاشفاق من النفاق وطريقة السلف في ذلك) *
فاما الاستثناء في الايمان فانه سنة ماضية وفعل الائمة الراضية على معنى الخوف والتقصير وكراهية التزكية
للنفس لا على وجه الارتياب في اليقين ولا بمعنى الشك في التصديق اذ الايمان مقامات والمؤمنون فيه درجات
ولذلك قال الله تعالى لقوم موصوفين بايمانهم أولئك هم المؤمنون حقا فهذا وصفهم بالكمال ومدحهم
بخصال الاعمال ففي دليل خطابه ان ثم مؤمنين غير حق كيف وقد قال وان فريقا من المؤمنين لكارهون
يجادلونك في الحق بعدما تبين وقال سبحانه وتعالى في وصف آخرين يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون

وأعلاه اذا طلب لنفسه وضماناً ما دون عشرة اما بشراء أو اجارة بشرط أن لا تزيد سعته على قدر الحاجة ولا يبنيه ولا يهتم بتجصيصه
ومات صلى الله عليه وسلم ولم
يضع لبنة على لبنة وأما أثاث
البيت فيه وجد سرير وكوز
وابريق وجرة وكشكول
من خشب أو فخار وجفنة
يغسل فيها خلقانه
وصاليته وكأنه أو يعتقل
بهما حية ان لقيها كان عمير
ابن سعد أمير حمص عنده
من أثاث بيته جراب وعصا
وجفنة وركوة قال الحسن
أدركت سبعين من الاخيار
يريد الصحابة ما لاحدهم
الا ثوبه وما وضع أحدهم
بينه وبين الارض ثوبا وكان
فراشه صلى الله عليه وسلم
عباءة خشنة ووسادة من
أدم حشوها ليف فهذه
سيرة الزاهدين في الدنيا فمن
حرم هذه الزينة فلا أقل
من ان لا يحزن على فواتها
ويجتهد أن يكون قربه
منهم أكثر من قربه من
المنغمسين في الدنيا
*(فصل)* الزهد على
ثلاث درجات أحدها ان
يرى نفسه مائلا الى الدنيا
ولكن يجاهدها وهذا
متزهد وليس بزاهد ولكن
بداية الزهد التزهد الثانية
ان تنفر نفسه عن الدنيا ولا
تقبل اليها لعلمه بان الجمع
بينها وبين نعيم الآخرة غير
ممكن فتسمح نفسه بتركها
كما يسمح من يبذل درهما
لتحصيل جوهرة وان كان
الدرهم محبوبا عنده وهذا
زهد الثالثة أن لا تميل نفسه الى الدنيا ولا تنفر عنها بل يكون وجودها عنده وعدمها بمثابة واحد ثم يكون المال عنده

وقال

وقال فى نعت الصادقين انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون وقال فى مثل وصفهم ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة الآية فذكر عشرين وصفا الى قوله أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون منها الايثار بالمال على حبه والوفاء بالعهود والصبر فى الامراض والجوع والشدائد فبعد ذلك شهد لهم بالصدق والتقوى وقال فى وصف المحبوبين من الموقنين ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وقال فى نعت عموم المؤمنين وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم فشتان بين من وصف بالجهاد والصدق وبين من نعت بالخلف وعرض المقت وبين من وصف بالحق وبين من يجادل فى الحق وكم بين من قبل منه المال والنفس وبين من رد عليه المال ولم يسأله لما علم منه من البخل والضغن واسم الايمان يجمعهم ومعناه يشتمل عليهم الا ان مقامات الايمان ترفع بعضهم على بعض وتفاوت بين بعضهم وبعض كما قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وكقوله لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى يعنى الجنة على تفاوت الدرجات فيها فجمع بينهم فى الدار كما جمع بينهم فى اسم الايمان ورفعهم فى الدرجات علوا فى المقامات كما قال تعالى هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وقد روينا فى خبر الايمان عريان ولباسه التقوى وحليته الورع وثمرته العلم ففيه دليل أن من لا تقوى له فلا لباس لايمانه ومن لا ورع له فلا زينة لايمانه ومن لا علم له فلا ثمرة لايمانه فان اتفق فاسق ظالم جاهل كان بالمنافقين أشبه منه بالمؤمنين وكان ايمانه الى النفاق أقرب ويقينه الى الشك أميل ولم يخرجه من اسم الايمان الا أن ايمانه عريان لا لبسة له عاطل لا كسب له كما قال أو كسبت فى ايمانها خيرا والنفاق مقامات قيل سبعون بابا والشرك مثل ذلك فيها طبقات وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى بعض هذا الحديث واذا عاهد غدر فهذه أربع خصال فان كانت فيه واحدة منهن ففيه شعبة من نفاق حتى يدعها وفى حديث أبى سعيد الخدرى وأبى كبشة الانمارى القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المدتين غلبت عليه حكم له بها وفى لفظ آخر أيهما غلبت عليه ذهب به وفى الخبر الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ففى تبعيض أخلاق الايمان وفى وجود دقائق الشرك وشعب النفاق ما يوجب الاستثناء فى كمال الايمان لجواز اجتماع الايمان والنفاق فى القلب ولوجود شعب النفاق وعدم بعض شعب الايمان من القلب كيف وقد جاء فى الخبر أكثر منافقى أمتى قراؤها والحديث الآخر الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى أن يموت انى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات وفى حديث على كرم الله وجهه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهكت الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب فيطبع عليه فذلك الختم ثم قال كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فهذا كله يوجب الاستثناء فى الايمان خشية من خطايا الشرك ووجود دقائق النفاق وخوفا من الدعوى لحقيقة الكمال لان من قال انى مؤمن حقا فقد زكى نفسه وعصى ربه لان الله تعالى نهى عن التزكية للنفس وعرض المزكى نفسه للكذب فى قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وبقوله ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ثم قال تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب وقد قال ابراهيم عليه السلام فى تفسير أحد الوجهين من قوله تعالى ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيأ ومثله قال شعيب

كالماء وخزائن الله تعالى كالبحر فلا يلتفت قلبه اليه فيبقى بقرار وهذا هو الأكمل لأن الذى يبغض شيأ فهو مشغول به فالذى يحبه كذلك لما قست الدنيا عند رابعة العدوية التى من بنى عدى فقالت لولا قدرها فى قلوبكم ما ذممتموها وحمل الى عائشة رضى الله عنها أربعون ألف درهم ففرقتها فى يومها فقالت لها خادمتها لو اشتريت لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتينى لفعلت وهذا هو الغنى وهو أكمل الزهد ولكنه مظنة غرور الحمقى ان كل مغرور يستشعر فى نفسه اذلالا لا قلبه مع الدنيا وعلامة ذلك أن لا يدرك الفرق بين أن يسرق جميع ماله أو يسرق مال غيره فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول به قال العلماء والزهد الكامل هو الزهد فى الزهد بأن لا يعتد به ولا يراه منصبا فان من ترك الدنيا وظن انه ترك شيأ فقد عظم الدنيا اذ الدنيا عند ذوى البصائر لا شئ وصاحبها كمن منعه عن دار الملك كلب على بابه فألقى اليه لقمة خبز فشغله بها ودخل دار الملك وجلس على سرير الملك فالشيطان كلب على باب الله تعالى والدنيا كلها أقل من لقمة بالاضافة الى الملك

*(فصل)* من كلام بعض المحققين يختم به هذا الباب قال الزهد قطع النفس عن الملذوذات ومخالفة النفس عن الملذوذات فيمنعها اتباع شهواتها ويمسكها عن أن تدرك لذاتها وليقتصر على القيمات يقيمن ظهره ويستر به عورته قال عليه

ومايكون لنا أن نعود فيها يعني ملة الكفر الا أن يشاء الله ربنا ثم قال وسع ربنا كل شئ علماً فجعل سعة العلم وسبق المشيئة به قطعاً بأمنا ان يكونا في سعة علم الله عز وجل وفي شئ من مشيئته وهذا هو خوف المكر وحقيقة المكر معنيان أحدهما ان يظهر شيأ ويخفي ضده والثاني ان يكشف ما كان ستره ويظهر ما كان أسره بعد الطمأنينة والعزة والانساء مع فضلهم ومكانهم يستثنون في الكفر خيفة المكر ولا يستثني الضعيف الجاهل في الايمان ويغتر بظاهر أمره بل ينبغي ان يستثني في الاسلام أيضا وفي جميع أعمال البر لان القبول غير العمل والسابقة غير ماظهر من المعاملة ولا ينبغي ان يدع الاستثناء في شئ من الاحوال وقال بعض العلماء في معنى قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق قال بالسابقة وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء يحلف بالله عز وجل ما أحد أمن ان يسلب ايمانه الا سلبه ويقال من الذنوب ذنوب تؤخرعقوبتها الى سوء الخاتمة وهذا من أخوف ما خافه العاملون مع قوله تعالى ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقيل من الذنوب ذنوب لاعقوبة لها الا سلب التوحيد في آخر نفس نعوذ بالله تعالى من ذلك وقيل هذا يكون عقوبة الدعوى الولاية والكرامات الافتراء على الله تعالى وكان سهل رحمه الله تعالى يقول من علامة الاولياء انهم يستثنون في كل شئ وقال من قال أفعل كذا ولم يقل ان شاء الله تعالى سئل عن هذا القول يوم القيامة فان شاء عذبه وان شاء غفر له وقد نهى الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان لا يقول شيأ حتى يستثني وأمره بالاستثناء اذا نسي فقال تعالى ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ثم قال واذكر ربك اذا نسيت أي الاستثناء أي فاستثن اذا ذكرت فتأدب صلى الله عليه وسلم بذلك أحسن الادب فكان يستثني في الشئ يقع لامحالة فروي انه دخل المقابر فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وقال سبحانه معلما لعباده الاستثناء ورادهم اليه بمشيئته وهو أصدق القائلين وأعلم العالمين لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين والاستثناء أصل يرد اليه من عرفه ولم ينكر الاستثناء والاصل هو ان يزيد وينقص فما زاد بادنه فقد ثبت بنص الكتاب من قوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ومن قوله تعالى فزادهم ايمانا الى نظائرها وما يزيد فهو ينقص لان ضده موجود في الكتاب بدليل الخطاب من قوله تعالى ولا يزيد الظالمين الاخسارا وقوله وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ومن قوله تعالى وفي آذانهم وقرا وفي قوله تعالى وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فما يزيد الظالمين الاخسارا ينقصهم ربحا وما زاد رجسا وما يزيدهم الا كفرا ينقصهم ايمانا وما يكون عليهم عمى ينقصهم بصيرة وما يكون لهم رجسا يكون لهم من الطهارة نقصانا وقيل ان مزيد الشر نقصان الخير كما ان مزيد الخير نقصان الشر فاذا ثبت ان الايمان يزيد بالصالحات وينقص بالسيئات توجب الاستثناء فيه لان الصالحات درجات يعلو فيها المؤمنون بحسن الولايات والمجاهدات قال الله تعالى في الجمل من الخطاب وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال والله ولي المؤمنين وقال في المفسر ولكل درجات مما عملوا وقال في مثله وهو وليهم بما كانوا يعملون وقال لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله الى قوله وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما وروينا في حديث واثلة بن الاسقع الايمان يزيد وينقص وروي ذلك عن جماعة من الصحابة ومن لا يحصى من التابعين وقيل لاحمد بن حنبل رضي الله عنهما ما معنى الاستثناء في الايمان قال أليس الايمان قولا وعملا قيل نعم قال فالتصديق بالقول والاستثناء بالعمل وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى انه منه بري وقال مرة آمنهم له وقال عمر مولى غفرة أقرب الناس الى النفاق الذي اذا زكي بما ليس فيه ارتاح لذلك قلبه وأبعد الناس منه من يتخوف انه لا يخيبه حقيقته وقيه وقال بشر بن الحرث سكون القلب الى قبول المدح أضر عليه من المعاصي وكان سهل يقول غفلة العالم السكون الى الشئ وغفلة الجاهل الافتخار بالشئ والسكون عندهم من الدعوى والدعوى من المعاصي وقال حذيفة اليوم المنافقون أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذ ذاك

الصلاة والسلام حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وأما مخالفة النفس ومخالفة دواعي الهوى فصعب شديد قال الله تعالى فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وأما ما لا ينبغي فهو كل ما يجب الاشتغال به عن التوجه الى جناب الله تعالى قال بعض المحققين يا ليت شعري ما الدنيا وما الزهد فيها وهل هي الا شباب غايته هرم ثم بعده موت وصحة في آثرها سقم وقصر نهايته خراب وثوب حسن يؤل الى الخلق وجارية حسناء غايتها موت ثم جيفة وطعام لذيذ غايته الى ما تعلم ولا تتكمل الدنيا بهذه الاوصاف الا لآحاد الناس وآخرها الى ما ذكرت فكيف من لم يعط منها شيأ قال الله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ومن تعلق قلبه بالدنيا فقد تعلق قلبه بجيفة فكيف تطمع نفسك الى الجيف فاغماض طعمة الكلاب فادفعها لهم ونزه نفسك عنها فالعاقل لا يشتغل بالخسيس الفاني عن النفيس الباقي فاذا ترك الدنيا فلا يرى في نفسه انه ترك شيأ فان من ترك لاشئ لم يترك شيأ (باب التوكل والتفويض الى الله تعالى) ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وهذا تهييج على التوكل وقال صلى الله عليه وسلم رأيت الامم بالموسم فرأيت أمتي قد ملؤا السهل والجبل فعجبتني كثرتهم وهيأتهم فقيل لي أرضيت قلت نعم قال ومن

يعطونه

يخفونه وهم اليوم يظهرونه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نفاق اليوم فقال يا ابن أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطرقات وعنه وعن غيره لو نبتت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ على الارض وسمع ابن عمر رجلا يطعن على الحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا بين يديك أكنت تتكلم فيه بما تكلمت الآن قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعل له لسانان من نار في الآخرة وفي خبر آخر شر الناس ذو الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحب الي من تلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة اني أخاف ان أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت ان تكون منافقا ان المنافق قد أمن النفاق لان النفاق على ضربين نفاق ينقل عن الملة وهو الشك في دين الله تعالى والرد لشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاق لا ينقل عن الملة ولا يخرج من الاسلام ولكنه ينقص الايمان ويذهب حقيقته ويطفئ أنواره ويحرم مزيده ويحبط الاعمال ويوجب المقت والاعراض وهو الرياء والمداهنة والتصنع للخلق والتزين بالحق واختلاف الالسنة واختلاف القلوب وتفاوت القول والعمل ومخالفة الامر الى ما ينهى عنه واختلاف السر والعلانية وزيادة الظواهر على السرائر وهذا المعنى من النفاق الذي خافه السلف وكانوا منه على اشفاق وكان سهل يقول المرائي حقا الذي يحسن ظاهره حتى لا تنكر العامة والعلماء من ظاهره شيئا وباطنه خراب وقد كان الحسن وأصحابه يسمون أهل البدع منافقين وكان ابن سيرين وأصحابه يسمونهم خوارج وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه وقال مرة ما منهم أحد يقول انا على ايمان جبريل وميكائيل عليهما السلام ❊ وقد روينا عن علي وأبي سعيد قالا الارجاء بدعة ❊ وقال أيوب انا أكبر من الارجاء أول من أحدث الارجاء رجل من أهل المدينة ذكره وقال قتادة لعن الله دينا انا أكبر منه وانما ظهر الارجاء بعد هزيمة ابن الاشعث يعني في ولاية الحجاج وقال سفيان الثوري من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة قيل فما يقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم الآية فقيل للحسن أمؤمن انت قال ان شاء الله فقيل تستثني يا أبا سعيد في الايمان فقال أخاف ان أقول نعم فيقول الله تعالى كذبت يا حسن فيحق علي الكلمة وكان يقول ما يؤمنني ان يكون الله عز وجل قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا أبدا فانا أعمل في غير معمل وكان جماعة من أهل العلم يرون السؤال عن قوله أمؤمن انت بدعة وقال يقول بعضهم اذا قيل لك أمؤمن انت فقل آمنت بالله وكتبه ورسله وقال ابراهيم اذا قيل لك أمؤمن انت فقل ما أشك في الايمان وسؤالك اياي بدعة وروينا عن الثوري عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم النخعي اذا سئلت أمؤمن انت فقل لا اله الا الله ومنصور عن ابراهيم قال سئل علقمة فقال أمؤمن أنت فقال أرجو ذلك ان شاء الله وكان الثوري يقول نحن مؤمنون بالله وملائكته ورسله وما ندري ما نحن عند الله وقال بعض العلماء انا مؤمن بالايمان غير شاك فيه ولا أدري انا ممن قال الله سبحانه أولئك هم المؤمنون حقا أم لا وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة قيل ولم قال لاني لا أدري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد من باب الحجرة الى باب الدار وقال أبو سليمان الداراني سمعت فلانا يعني بعض الامراء يتكلم على المنبر بكلام أردت ان أقوم فانكر عليه فخشيت ان يأمر بقتلي فلم يكن بي أن أموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق باني أمرت بالمعروف على الامام وقتلت في الله عز وجل عند خروج روحي فكففت عن ذلك وقال بعض العارفين لو عرفت أحدا على التوحيد خمسين سنة ثم حالت بيني وبينه سارية ثم مات لم أحكم انه مات على التوحيد لعلي بسرعة تقلب القلوب

هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن الاسدي فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وفي الكتاب والسنة من هذا الباب شيء كثير حض الله تعالى على التوكل ورغب فيه وهدد على تركه ودل قوله صلى الله عليه وسلم للرجل سبقك بها عكاشة على أن هذا التوكل حال عزيز عظيم لا يعطاه كل أحد وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يكمل لعبد الايمان بالله تعالى حتى يكون فيه خمس خصال التوكل على الله والتفويض الى الله والتسليم لامر الله والرضا بقضاء الله والصبر على بلاء الله انه من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل شرائط الايمان وقال سهل ابن عبد الله التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب سنته فمن عجز عن حاله فلا يتركن سنته واعلم ان هذه الطائفة من أهل التوكل لا يخاف عليها ما يخاف على أهل الاعتماد على الاسباب لان أهل الاسباب خافوا من الجوع والاملاق وخاف هؤلاء من الشبع وزينة الظاهر وخاف أهل الاسباب من القلة والفقر وخاف هؤلاء من الغنى والكثرة وأهل التوكل يأمنون

وقال المنصور بن زادان كان الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل قال انا مؤمن ان شاء الله وقال أبو وائل قال رجل لابن مسعود لقيت ركبا فقالوا نحن المؤمنون فقال ألا قالوا نحن من أهل الجنة وقال بعض أصحاب عبد الله لرجل أمؤمن انت قال نعم فذكر ذلك لابن مسعود فقال سلوه أمن أهل الجنة انت فقال ارجو فقال الا رجيت الاولى كما رجيت الثانية ونقش ابن لبعض التابعين على خاتمه فلان لا تشرك بالله تعالى شيأ فقال أبوه هذا أقبح من الشرك وقال بعض السلف أقرب الناس من النفاق من يرى انه أبعدهم منه عند نفسه وفى الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالسافى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا ومدحوه وأحسنوا الثناء عليه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم الرجل يقطر وجهه ماء من أثر الوضوء قد علق نعليه بيديه وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا هو الرجل الذى وصفناك آنفا فلما نظر اليه صلى الله عليه وسلم قال أرى على وجهه سفعة من الشيطان يعنى ظلمة فقام الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم وفى الحديث من قال انى مؤمن فهو كافر ومن قال انى عالم فهو جاهل ومن قال انى فى الجنة فهو فى النار وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله تعالى دعاء قال قل فيه اللهم انى أعوذ بك ان أشرك بك وانا أعلم واستغفرك لما لا أعلم وجاء فى الخبر الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل على الصفا وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انى استغفرك لما علمت وما لم أعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله قال وما يؤمننى والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا أعمالا ظنوا انها حسنات فلما كان عند الحساب والميزان وجدوها سيآت وقيل كانت هذه الآية مبكاة العابدين وقيل فى معنى قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا قيل صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك كقوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية وقال سبحانه ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقال ينالهم نصيبهم من الكتاب وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص وقال ولله عاقبة الامور وقال لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله فالاستثناء فى الايمان هو من الايمان والاستثناء فى كل شئ من علامة الاولياء والاشفاق من الشرك والنفاق هو من مزيد الايمان لئلا يسكن العبد الى شئ ولا يزكى نفسه بشئ وقال السرى السقطى لو ان رجلا دخل الى بستان فيه من جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولى الله فسكنت نفسه الى ذلك كان أسيرا فى أيديها

*(الفصل السادس والثلاثون فى فضائل أهل السنة والطريقة وطرق السلف من الائمة)* السنة اسم من أسماء الطريق وهو اسم الطريق الاقوم يقال طريق وطريقة وسنن وسنة وجهة ومحجة فمن فضائل السنة وطريق أهلها التقلل من الدنيا فى كل شئ والقناعة من الله تعالى بادنى شئ والتواضع لله بكل شئ وفى الخبر فضل العبادة التواضع وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع لا يوجدن الا بعجب التواضع وهو أول العبادة والصمت وذكر الله تعالى وقلة الشئ واعلم أن التواضع يظهر بمعان خمسة بالقول والفعل والزى والاثاث والمنزل يكون فى المؤمن بعضها فمن كملت فيه فهو متواضع والكبر ضد التواضع وهو يظهر أيضا باضداد هذه الخمسة يبتلى المؤمن ببعضها ويعافى من البعض فمن كملت فيه فهو متكبر وحقيقتها فى القلب وظاهرها بالافعال والاقوال ثم الورع عن الشبهات والمشكلات من العلوم والاعمال ان يقدم عليها بنطق أو عمل ولا يعتقد نفيها ولا اثباتها خشية ان يكون معتقد الباطل أو نافيا لحق بل يكون اعتقاده فيها تسليما لله عز وجل ويقول آمنت بحقائقها عند الله تعالى فذلك تعبد من الله عز وجل للمؤمنين فيما تشابه من الامور ان يسكتوا او يسلموا وبذلك وصف الراسخين فى العلم وأقسم بنفسه على نفى ايمان من لم يسلم تسليما وجعل التسليم مزيد الايمان فى قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وفى الخبر انما الامور ثلاثة أمر استبان

تحبث يخاف الناس ويسكنون حيث يضطرب الناس فما أبعد ما بين المعنيين وكل من ركن الى سبب كان ما ناله من زواله والخبر المروى عن عمران النبي صلى الله عليه وسلم ادخلوا قوت سنة لسنة قال ابراهيم الخواص قال لى جعفر الصائغ ان هذا الخبر لم يثبت فلا يؤخذ به والتوكل المخصوص حال النبي صلى الله عليه وسلم والخواص من أمته والتوكل العام سنة وهو طريقة الصالحين *(فصل)* والتوكل ينتظم من علم وحال وعمل فالتوكل بالحقيقة انما هو الحال والعلم أصله والعمل ثمرته فالعلم المعرفة ان الاشياء بتقدير الله تعالى وقضائه لا بكسب المكتسب ولا بحيلة المحتال وانه لا فاعل الا الله تعالى ولا رازق غيره وانه لا يكون الا ما يريد فيجب على طالب طريق الله تعالى أن لا يرى الامور كلها الا من الله تعالى بقطع الالتفات عن الوسائط والاسباب قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه فالمتوكل على الله وحده هو الموحد الذى لا يوجه وجهه الا الى الله تعالى ويخلع جميع الوسائط والاسباب من قلبه قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون قال بعض أهل البصائر ركن قوم الى العلم فكان العلم حجة عليهم وركن قوم الى الخلق فسلطوا عليهم وركن قوم الى المعارف فتنكرت عليهم وقوم أخذوا حظوظ أنفسهم ولم يروا الا الله تعالى وما ركنوا الى غيره فكان الله تعالى وليهم

رشده

رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر اشكل عليه فكله الى عالمه وكذلك ابن مسعود يقول ان لهذا القرآن منارا كمنار الطريق فما عرفتم منه فاعملوا به وما لم تعلموه فكلوه الى عالمه وكان أيضا يقول أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان يكون خيركم فيه المتبين يعني لوضوح الحق في القرن الاول ولدخول الشبهات في زماننا هذا فصار الحق غامضا فكان خير الناس اليوم المتثبت بالورع كما أخبر أن خيرهم ويذا المسارع بالفضل ومما يدلك ان الايمان هو التسليم كما أن الايمان هو التصديق ان في قراءة بعض التابعين منهم جعفر بن محمد وقد رويناه عن أبي جعفر محمد بن علي انه كان يقرأ واجعلنا مسلمين لك وقرأ أيضا الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فلولا انهما بمعنى واحد لم يجز ان يجعل المعنى في المقروء وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الامر المتشابه الذي يشبه الحق من جهة ويشبه الباطل من جهة لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ولكن قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل اليكم هذا لان الله سبحانه وتعالى أنزل التوراة فهي حق ثم أخبر انهم قد حرفوا فاحتمل ان يكون ما يخبرون به المؤمنين مما أنزل الله تعالى فلا يحل التكذيب به ولا اعتقاد نفيه واحتمل ما يخبرون به المؤمنين انهم حرفوا فلا يحل قبوله ولا اعتقاد ثبوته فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم بايقاف ذلك والايمان بما أنزل الله تعالى جملة فان كان ما أخبروهم حقا دخل فيه وان كان باطلا لم يضره فالمسلم هو الذي يسلم ما لم يظهر دليله في العقل لاجل القدرة والسنة والنقل كما ان المؤمن هو الذي يصدق بما لم يظهر بمشاهدة العين الايمان بالغيب لان العقل بصر القلب كالعين بصر الجسم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن المجنون حتى يعقل كما قال الله تعالى ليس على الاعمى حرج ثم ترك ما لا يعني مما قد كفي وما لم يكل اليه من القول والفعل لان الدخول فيما لا يعني هو التكلف المنهي عنه الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاتقياء من أمته برآء منه وهو يشغل ويقطع عما يعني وفيما يعني شغل عما لا يعني لكل فطن عاقل وهو أصل الحكمة فيما أخبر به لقمان لما سئل انى أوتي الحكمة قال بشيئين لا أتكلف ما كفيت ولا أضيع ما كلفت فهذا شيء لا يضره جهله ولا ينفع فعله ولانه شيء كتب عليه لم يكن له فيه فضل وان سمع منه وظهر به ولم يكن له فيه مزيد ولا لغيره نفع ثم كف الاذى فان ذلك من الورع وكان سهل رحمه الله تعالى يقول كف الاذى كسب العقل واحتمال الاذى كسب العلم والنصيحة للخلق والرحمة لهم كسب الايمان من العمل في قطع ما قد اعتاد من عاجل حظوظ النفس مما يقطعه عن العمل لاجل الآخرة وأعمال النفس واجهادها وان لا يكون لها معتاد من شهوة تعود على النفس منه منازعة فان العادة جند غالب لاجلها تعذرت التوبة ولغلبتها رجع العبد عن الاستقامة وهي باب من أبواب الهوى الا فيما أمر به العبد أو ندب اليه قال أبو سليمان الداراني ان قدرت ان لا يكون لك وقت معتاد في الاكل تنازعك نفسك اليه فافعل وقال لان أترك لقمة من عشائي أحب الي من قيام ليلة أي لنقص النفس من المعتاد والتقلل أيضا وقال أيضا ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها هذا كله خشية ايلاف العادات فتنازع النفس الى الالف فلا يمكنك ضبطها لغلبة الوصف ثم حسن الصبر على ما أمر به وحسن الصبر عما نهي عنه فان ذلك من أفضل الاعمال وله فضائل المزيد والكمال وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق المحارم تكن من أعبد الناس وفي لفظ آخر تكن من أورع الناس ومن أحسن ما سمعته من عظيم المثوبة في الصبر عن المعصية ما حدثونا في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة من بلدة وكان بينهما مسيرة شهر فارسل الى غلام له من تلك البلدة ليحملها اليه فسار بها يوما فلما جنه الليل أتاه الشيطان فقال له ان بينك وبين زوجها مسيرة شهر فلو تمتعت بها الليالي هذا الشهر الى ان تصل الى زوجها فانها لا تنكره ذلك وتتمنى فليك عند سيدك فتكون أحظى لك عنده فقام الغلام يصلي فقال يا رب ان عدوك هذا جاءني فسول لي معصيتك وانه لا طاقة لي به في مدة شهر وأنا أستعيذك عليه يا رب فاعذني عليه وأكفني مؤنته فلم تزل نفسه تراوده ليلته أجمع وهو يجاهدها حتى أسحر فشد على دابة المرأة وحملها وسار بها قال فرحمه الله تعالى فطوى له مسيرة

وحسبهم قال ابراهيم الخواص لقيت الخضر في سياحتي وروى بصحبتي ثم انفردت منه لاني خشيت ان تكون صحبتي معه انا لك والسكون اليه ينقص في توكلي فالخواص صح له مقام التوكل وكشف للناس من علوم التوكل وصح مقام التوكل للحواريين وفي الصحابة من كان أتم توكلا من الحواريين لان الحواريين كانت لهم زنابيل وخرائط من خرق يحملون فيها الكسر وكثير من أهل الصفة لم يكن لهم ذلك ولا شيء غير خرقتين احداهما على وسطه والاخرى على ظهره وكثير منهم لم يكن لهم الا هذه يتزر بها على وسطه وروى فضالة بن عبيد الله رضي الله عنه قال كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فترى رجالا يخرون من قيامهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى تقول الاعراب هؤلاء مجانين فاذا قضى صلى الله عليه وسلم صلاته انصرف اليهم قال لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لاحببتم ان تزدادوا فاقة وحاجة فما أغفل من يدعو الى الحركة ولم يستعمل هذه الاخلاق وكيف يتهيأ لاحد أن يدعو الى الحركة والنبي صلى الله عليه وسلم يرى أهل الصفة يتساقطون في الصلاة الفريضة من الجوع لا يتهيأ لهم ان يؤدوا فرائضهم عن قيام من الضعف وهو يقول لهم اثبتوا لهذه سنة ماضية لا تلتفت معها الى من خالفها ومن هو نار أي سعد بن عبد الله ان الصلاة قاعدا لاجل الضعف من الجوع افضل من الصلاة

شهر فـارق الخبر حتى أشرف على مدينة مولاه قال وشكر الله تعالى له هربه اليه من معصيته فنبأه فكان نبيا من أنبياء بني اسرائيل ثم اعداد العدة لما يستقبل اذا كان ذلك من مريدي السعي للآخرة والشغل بالنفس والاقبال عليها دون الناس فقد وجب ذلك والزهد في فضول الشهوات واجتناب كثير من الشبهات فقد ادترض ذلك وقلة الذكر للناس ولامور الدنيا فقد حسن ذلك ومشغلة وقسوة القلب وكثرة الذكر لله تعالى والتذكير به وذكرا لا ثم نعمائه وحسن الثناء عليه والمدح له وقد كان بعض العلماء يقول من بالسنة فليجتنب ذكر ثلاث خصال وليقض فيما يشاء يجتنب ذكر الناس فانه داء ويجتنب ذكر الدنيا فانها قسوة ويجتنب كثرة الطعام فانه اشره وقال عالم آخر من بالسنة فلا يذكر الا الله وحده فان كان لابد من ذكر غيره فليذكر الآخرة وليذكر الصالحين وكان سهل رحمه الله تعالى ورضي عنه يقول السنة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأول السنة الزهد في الدنيا لانهم كانوا زاهدين وكذلك جاء الخبر في وصف الفرقة الناجية من كان على ما أنا عليه واصحابي فقد كانوا على هذه الاوصاف التي ذكرناها فمن كان على ذلك فهو على السنة فهذه فضائل السنة وهو مزيد الايمان وحسن اليقين * (ذكر عرى الايمان وجمل الشريعة) * قال الله جل ثناؤه وصدقت أنباؤه ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها فالشريعة اسم من أسماء الطريق وهو اسم الطريق الواضح المستقيم الواسع وهو وصف لطريق جامع لجوامع الحاج كلها كانه طريق يستوعب ويجمع سائر الطرق والطريق أسماء كثيرة منها الصراط المستقيم والسبيل والمنهاج والمحجة والمنسك وجاء من اشتقاق هذا اللفظ أربعة أسماء شارع ومشرع وشرعة وشريعة وهو اسم لاوسعها وأرفعها لجميع الطرق فالشريعة تشتمل على اثنتي عشرة خصلة هي جامعة لاوصاف الايمان أول ذلك الشهادتان وهي الفطرة والصلوات الخمس وهي الملة والزكاة وهي الطهرة والصيام وهو الجنة والحج وهو الكمال والجهاد وهو النصر والامر بالمعروف وهو الحجة والنهي عن المنكر وهو الوقاية والجماعة وهي الالفة والاستقامة وهي العصمة وأكل الحلال وهو الورع والحب والبغض في الله وهو الوثيقة وقد روينا بعض هذه الخصال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء نحوها عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما * ذكر شرط المسلم الذي يكون به مسلما لا يكون معتقدا البدعة ولا مقيما على كبيرة ولا آكل الحرام ولا طاعنا على صالح السلف ويكون كاف اللسان واليد عن اعراض المسلمين وأموالهم ويكون ناصحا لجميع المسلمين مشفقا عليهم يسره ما يسرهم ويسوءه ما يسوءهم سيما لائمتهم داعيا لجملتهم ويكون مخلصا الاعمال كلها لله تعالى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه وروي عنه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله تعالى ومناصحة ولاة الامر ولزوم الجماعة فان دعوتهم تحيط من ورائهم ومن اجتمعت فيه هذه الخصال في زماننا هذا فهو من أولياء الله عز وجل وهذا أول ولاية وأول نظرة من الله تعالى اليه عاجلة مراحمة وكتب عمر بن عبد العزيز الى سالم بن عبد الله ان اكتب الى بسيرة عمر رضي الله تعالى عنه في الناس فاني أحب ان أسير بها فكتب اليه أما بعد فانك لست في زمان عمر ولا لك رجال كرجال عمر فان عملت في زمانك هذا ورجالك هؤلاء بسيرة عمر فانت خير من عمر رضي الله تعالى عنه * ذكر حسن اسلام المرء وعلامات محبة الله تعالى له يكون محبا للخير وأهله مجانبا للشر وأهله مسارعا الى ما ندب اليه أو أمر به اذا قدر عليه حزينا على ما فات من ذلك اذا أعجزه تاركا لما لا يعنيه من الاقوال والافعال بريئا من التكلف وهو اجتناب ما لم يؤمر به ولم يندب اليه من ترك وعمل مصليا الخمس في جماعة اذا أمن الفتنة وسلم له دينه مجتنبا الغيبة ولذكر الناس يحب الكافة ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه مسارعا الى الخيرات مسابقا الى أعمال البر والقربات طويل الصمت لين الجانب ذليلا للمؤمنين عزيزا على المتكبرين لا يماري في الباطل ولا يداهن في الدين ولا يبغض على شيء من الحق وان كان عليه أو من أبعد الناس منه ولا يحب على شيء من الباطل وان كان له أو من أقرب الناس اليه كارها للمدح ممن يحبه قابلا للنصح ممن يبغضه

وأصحاب اليمين هم أصحاب البدايات ثم أصحاب اليمين أعلى درجات وكذلك السابقون وأعلى درجات أصحاب اليمين هي بداية درجات السابقين فههنا تلتقي المقدمة بالساقة أعني مقدمة أصحاب اليمين بساقة المقربين الذين هم السابقون قال صاحب منازل السائرين الى الله التوكل على درجات الاولى التوكل على الله مع الطلب وتعاطي السبب على نية شغل النفس ونفع الخلق وترك الدعوى الثانية مع اسقاط الطلب وغض البصر عن السبب اجتهادا في تصحيح التوكل وقمع تشوف النفس وهؤلاء توكلوا على توكلهم لا على الاسباب الثالثة أن يتوكلوا على الله لا على السبب ولا على التوكل وهذا توكل الانبياء عليهم السلام * (فصل) * وأكثر العلماء بالله تعالى في العبارات عن حقيقة التوكل فقال بعضهم التوكل هو الاعتماد على الحق والتخلي عن الخلق وقال الدقاق ههنا ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل سكن الى وعد الله والمسلم اكتفى بعلم الله والمفوض اكتفى بحكمة الله وقال التوكل هو البداية والتسليم هو الواسطة والتفويض هو النهاية

وقال سهل التوكل هو عيش القلب مع الله تعالى بلا علاقة مع غيره وقال قوم هو الثقة بالوعد وترك التدبير وقال بعضهم

يحبون

يكون المدح والذم يجريان من قلبه مجرى واحد صدوقا فيما يضمره غير متصنع بما يستجلب نفعه سريرته أفضل من علانيته محتملا للاذى الخلق صابرا على بلائهم منفردا بعماله عنهم تاركا لكثير من مجالسهم واجتماعهم خشية دخول الشبهات عليه ونحو ذا من تغير قلبه ومن اجتمعت فيه هذه الخصال فى زماننا هذا فهو من المريدين للآخرة وهذه ولاية ثانية وتجارة ثانية قال ان ابدال كل قرن على قدر زمانهم وفى كل قرن سابقون ومقربون وقال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق قال لتركبن فى كل قرن طبقة من الناس على حال لم يكونوا عليه وأكثر ما قيل فى القرن مائة سنة وأقل ما قيل فيه أربعون وأوسط ذلك وأعدله وأشبهه بمعنى الاحاديث والاخبار بعمان القرن سبعون سنة وهو قول على رضى الله عنه لان رأس المائتين تمام ثلاثة قرون من المبعث ونحن الآن فى القرن السادس من أول سنة أربعين وثلاثمائة وآخره سنة عشر وأربعمائة ويقال ان الشمس تطلع من المغرب بعد القرن السابع وهو رأس الثمانين وأربعمائة وعلى قول من قال القرن مائة سنة تطلع بعد سبعمائة سنة وفى الخبر ان ملك الموت اذا جاء لقبض روح المؤمن قال له ملكاه أنظرنا حتى نقرأ سلاما ونثنى الثناء الحسن فيقولان جزاك الله عنا خيرا فانك كنت ما علمنا سريعا فى طاعة الله تعالى بطيئا عن معاصيه تحب الخير وأهله وتعمل بما استطعت منه قرب كلام حسن قد أسمعتنا ومجلس كريم قد أجلستنا فابشر بالموعود الصدق بيتاريبك الوقوف بين يدى الله تعالى بالشهادة لك عنده غدا * ذكر حق المسلم على المسلم وهو وجوب حرمة الاسلام على المسلمين وذلك عشر خصال مجموعة من ستة أحاديث حديث على رضى الله عنه للمسلم على المسلم ست خصال واجبة وحديث أبى أيوب الانصارى حق المسلم على المسلم ست خصال ان ترك منها شيأ ترك حقا واجبا عليه وحديث البراء بن عازب أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع وحديث ابن مسعود للمسلم على المسلم أربع خلال واجبات وحديث سعد وأبى هريرة فى معنى ذلك وحديث أنس أربع من حق المسلم عليك الا انه ذكر غير ذلك فاختلفت الالفاظ فى الخصال واتفقت المعانى وذكر بعضهم فى حديثه ما لم يذكره الآخر فجمعنا اختلافهم وعددنا الخصال فكانت عشرة الا ما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه فانه حديث غريب مؤكد للخصال وزائد عليها فى الالفاظ نذكره بعدها فاما الخصال العشر التى كثرت الاخبار بها فهى ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا أقسم عليه وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنه ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه فاما حديث أنس فرويناه عن اسمعيل بن أبى زياد عن أبان بن عياش عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من حق المسلم ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم فهذه الخصال داخلة فى تلك الخصال وجامعة لها فى معنى النصيحة لاخيك وفى ان تحب له ما تحب لنفسك وقد كان ابن عباس يؤكد هذا المعنى خاصة للمسلم على المسلم ويفرضه فرض الحلال والحرام ويفسر به قوله رحماء بينهم حدثناه فى رواية جويبر عن الضحاك عنه فى قول الله عز وجل رحماء بينهم يعنى متوادين بينهم يدعو صالحهم لطالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له قال ابن عباس هذه الآية من حلالكم وحرامكم فهذه الخصال المذكورة جامعة مختصرة فى حرمة المسلمين ووجوب حق بعضهم على بعض لا عذر لاحد منهم فى تركها الا من عذرته السنة ويشهد له العلم وبعضها أوكد من بعض وأكمل المؤمنين ايمانا أقومهم بها وأسرعهم اليها وقد كثرت بها الروايات وقد كان بعض السلف تركوا منها ثلاثة اجابة الدعوة وعيادة المرضى وشهود الجنائز الا ان هؤلاء اعتزلوا الناس أصلا وكانوا أحلاس بيوتهم لم يخرجوا الا الى الجمعات ومنهم من ترك الجماعات وكان منهم من تبوأ الجبانات وفارق الامصار والاخوان وقال سهل ما أعلم شيأ أشد من حقوق

التوكل هو النظر من السبب الى المسبب وسئل الجنيد رحمة الله عليه عن التوكل والتوحيد فقال التوكل عمل القلب والتوحيد قول القلب قال صاحب منازل السائرين التوكل هو كلة الامر الى مالكه والتعويل على وكالته كما قال تعالى فاتخذوه وكيلا والتوكل من لوازم الايمان اذ الايمان هو التوحيد ومن اعتمد على غير الله تعالى فما وحده بالحقيقة وان نطق به اللسان وحال من هو فى مقام التوكل مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع فى كل ما ينوبه الا اليها وكلما رآها تعلق بها وان نابه شئ هتف باسمها والتجأ اليها وقال مسروق التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء والقدر فى الاحكام فليلتزم المتوكل كما قال مسروق ان الاستسلام كذلك لانه انما توكل لعلمه ان الله خالق كل شئ ورازق كل حى ومن علم ذلك وحققه سلم الامور الى مالكها وانقاد لجريان قضائه وحكمه فى الاشياء وهو بروزه الى الوجود حيثما تعلق به العلم القديم وقضاه الحكم العلم ويسمى ذلك قدرا فالقضاء هو الحكم الازلى الكلى الموافق للعلم القديم والقدر ظهور متعلقاته وحصولها فى الخارج شيأ فشيأ قال الله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ومن اقيم فى هذا المقام لم يسكن الى محبوب سوى الله تعالى ولم يتعلق بمكروه ولا تصدى لدفعه الا اياه وقال سهل بن عبد الله التوكل

الناس وكان يقول من كف أذاه عن الخلق مشى على الماء وقال أبو يزيد وغيره بغية العقلاء السلامة من الله تعالى ومن أراد السلامة من الله فليسلم الناس منه فمن أراد أن يسلم الناس منه فعليه بالبعد منهم فقد أنشدت لبعضهم في معناه

الناس بحر عميق * والبعد منهم سلامه
وقد نصحتك فانظر * لا تدركنك ندامه

وقد روينا عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اتقوا الله واتقوا الناس وعن ابن عباس مثلها لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا أنيس بها وهل يفسد الناس الا الناس وقال بعض السلف كلما كثرت المعارف كثرت الغرماء وكلما طالت الصحبة توكدت الحقوق وقال بعض العلماء من عرف نفسه استراح ومن عرف الناس تعنى وقال بشر بن الحرث في ضده من عرف الناس استراح وقد قيل في معنى قوله عليه الصلاة والسلام مداراة الناس صدقة قال مداراتهم في العلوم ومفارقتهم في العقول وفي أحد الوجوه من قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن قال هي المداراة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن منع حظه من الرفق منع حظه من الدنيا والآخرة ونذكر سنن الجسد وفي الجسد اثنتا عشرة سنة ذلك مأخوذ من ثلاثة أحاديث متفرقة منها حديث جبريل عليه السلام حين استبطأه النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي خمس منها في الرأس وهي المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق شعر الرأس ومنها سبع في الجسد وهي الختان والاستحداد وانتقاص الماء وهو الاستنجاء ونتف الابط وتقليم الاظفار وغسل البراجم وتنظيف الرواجب فأما البراجم فهي معاطف ظهور الانامل لم تكن العرب تكثر غسل ذلك لتركها غسل أيديها عقيب الطعام فكان يجتمع في تلك المكاسر الوسخ فأمروا بغسلها قال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة كنا نأكل الشواء ثم تقام الصلاة فندخل أصابعنا في الحصباء ثم نفركها في التراب ونكبر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كنا نعرف الاشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بواطن أرجلنا كنا اذا أكلنا الغمر مسحنا بها ويقال أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع المناخل والاشنان والموائد والشبع فهذه كلها في شان الجوف وهو شره وطلبه وأما الرواجب فهي جمع راجبة وهي واحدة الانامل لم تكن العرب يتفق لها الجلمات في كل وقت يقصون أظفارهم فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقص الاظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما الا انه أمر بتنظيف ما تحت الاظفار لانه يجمع التفث وهي الرواجب الى أن يقصوا أظفارهم وجاء في الاثر أن النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط جبريل عليه السلام قال له كيف ننزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر أمتك بذلك ويقال للذي تحت الاظفار من الوسخ الاف وهو الذي يقال أف وتف فالاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقيل بل التف كلمة اتباع للمبالغة في التأذي بالقذر المؤذي ومن ذلك قولهم في الاتباع جائع نائع وعطشان نطشان ولا أثر له ولا عثير وقيل من هذا قول الله تعالى فلا تقل لهما أف أي لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تؤذهما تأذيك بما تحت ظفرك من الأذى أو لا تؤذهما بقذرا وذلك ونذكر ما في اللحية من المعاصي والبدع المحدثة فقد ذكر في بعض الاخبار ان لله تعالى ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى ويقال ان اللحية من تمام خلق الرجل وبها تميز الرجال من النساء في ظاهر الخلق وفي وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان كث اللحية وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية دقيقها وكان علي رضي الله تعالى عنه عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه ويقال ان أهل الجنة مرد الا هرون أخا موسى عليهما السلام فان له لحية الى صدره تخصيصا له وتفضيلا ووصف بعض بني تميم من رهط الاحنف بن قيس قال وددنا انا اشترينا للاحنف لحية بعشرين ألفا فلم يذكر حنفه في رجله ولا عوره في عينه وذكر كراهية عدم لحيته وكان عاقلا حليما وقد روينا من غريب تأويل قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال اللحى وفيه وجوه كثيرة وذكر عن شريح القاضي قال وددت لو ان لى لحية بعشرة آلاف

وقال

هو الاستقرار بين يدى الله بعطائه قال سرى السقطى يعنى أن يكون المتوكل بين يدى الله تعالى فى حال حركاته وسكناته كالميت بين يدى الغاسل وقال أبو سعيد الخراز قامت الكفايات لاهل المكنة فاستغنوا عن مقامات التوكل لطلب الكفاية ومراد الخراز بذلك أن التوكل لطلب الكفاية ليس من المقامات العالية والتوكل الذى هو من المتوكل على الله تعالى لا لطلب شئ لانه قائم بالكفاية بل لورود الامر بالتوكل بتحقيق العبودية وهذا من مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ألا ترى الى قول الخليل عليه السلام لجبريل لما اعترضه وهو فى الهواء هابطا من كفة المنجنيق وقال له هل لك من حاجة فقال أما اليك فلا قال اذا لا تدعو الله تعالى قال حسبي من سؤالى علمه تعالى قال بعض العارفين التوكل سر من الاسرار بين العبد وبين الله تعالى لانه لا يدل عليه شئ من الاحوال الظاهرة فهو سر محض لا يعلمه الا الله تعالى بخلاف المحبة والخوف وغير ذلك فان علامات تدل عليها وهى السعى والمبادرة الى الطاعات والنفور عن المعصية فلا يكاد يخفى حال المحب والخائف على الناس بخلاف التوكل فان غاية ما يظهر على المتوكل ترك التعاطى للاسباب وترك ذلك قد يكون عن قدرة واختيار وقد يكون عن عجز عن تعاطى الاسباب فلا يكون دليلا على التوكل

وقال بعض الادباء في اللحية خصال نافعة منها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار ومنها رفعه في المجالس والاقبال عليه ومنها تقدمه على الجماعة وتسقيله وفيها وقاية العرض يعني اذا أرادوا شتمه عرضوا له بها فوقت عرضه وقال أبو يوسف القاضي من عظمت لحيته جلت معرفته ففي اللحية من خفايا الهوى ودقائق آفات النفوس ومن البدع المحدثة اثنتا عشرة خصلة بعضها أعظم من بعض وكلها مكروهة قد كنا أجلنا ذلك عددا في باب آفات النفوس فاما تفسيرها فان من ذلك خضابها بالسواد لاجل الهوى وتدليس الشيبة وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين والقراء عن السنة وتبييضها بالكبريت وغيره استعجالا لاظهار علو السن وستر الحداثة لاجل الرياسة والتعظيم ليشهد عند الحكام أو لينفق بذلك حديثه ويدعي بالسن مشاهدة من لم يره فعل ذلك بعض المحدثين وبعض الشهود ومن ذلك نتفها أو نتف الشيب منها تغطية التكهل ومنها تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين والتصنع ومن ذلك النقصان منها والزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغ من شعر الرأس حتى يجاوز عظام اللحي وذلك هو حد اللحية أو ينقص من العظامين الى نصف الخد وذلك مثلة وهو نقصان من اللحية ومن ذلك تسريحها لاجل الناس تصنعا أو تركها لاجل الناس شعثة مقتلة مغبرة اظهار الزهد أو التهاون بالقيام على النفس لانه قد عرف بذلك ومن ذلك النظر الى سوادها اعجابا وخيلاء وغرة بالشباب وفخرا ومن ذلك النظر الى بياضها تكبرا بكبر السن وتطاولا على الشبان فيعجبه نظره اليها عن النظر الى نفسه من تعلم العلم وتعلم القرآن الذي لا يسعه جهله والسؤال عما يجهله استصغارا لغيره من الشباب أو حياء من شيبه أو استنكافا منه فيظن بجهله ان كثرة الايام التي بيضت شعر لحيته أعطته فضلا أو جعلت فيه علما ولا يعلم ان العقل غرائز في القلوب وان العلم مواهب من علام الغيوب ومن كانت غريزته الحمق وطبيعته الجهل كثرت حماقته كلما كبر وعظمت جهالته اذا أسن وقد رأينا جميع ذلك في كثير من الناس وهذا كله محدث وهو يضاهي سن الجسد الاثني عشر في العدد وجماع ما في جمل معاني ماذكرناه من الكراهة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حفوا الشوارب واعفوا اللحى فقوله حفوا أي اجعلوها حفافي الشفة أي حولها والاحفاف الشئ حوله ومن ذلك قوله عز وجل وترى الملائكة حافين من حول العرش وكان بعض العلماء يكره حلق الشارب حتى تظهر البشرة ويراه بدعة وقد كان مالك بن أنس وبعض علماء المدينة يقولون حلق الشارب مثلة انما هو الاخذ منه حتى يبدو الاطار والاطار حروف الشفة من فوق وفي الحديث لفظة أخرى أحفوا الشوارب والاحفاء هو الاستئصال والاستقصاء وهو أبلغ من قوله حفوا ومن هذا قوله عز وجل ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا أي يستقصي عليكم وقد كان كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعفي شاربه ونظر بعض التابعين الى رجل أحفى شاربه فقال ذكرتني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلت هكذا كانوا يحفون شواربهم قال نعم وأشد من هذا كالحلق وليس الاحفاء حلقا الا انه شبيه به وقد روينا في هذا الحديث ثلاثة ألفاظ أخر وهو خذوا من الشوارب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ من شاربه وروى قصوا الشوارب وجزوا الشوارب فهذه الثلاثة بمعنى واحد وهو يقتضي أخذ بعضه وترك البعض ليست كالاحفاء وقال المغيرة بن شعبة نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عفا شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك فهذا نص من فعله في أخذ الشارب وقد رويت لفظة غريبة طروا الشوارب طرا والطر ان يؤخذ من فوق الشارب ومن تحته حتى يستدق والطر الدقيق المستطيل المستخرج من شئ أكثر منه حتى يعمل على وصف دونه أو أصغر منه ومن هذا سميت الطرة كأنها مستخرجة من شئ كثير مجعولة على وصف لطيف وكان بعض السلف يترك سباليه وهما طرفا الشارب ويعفي وسط شاربه وروى هذا عن عمر وغيره وكذلك رأيت أبا الحسن بن سالم رحمه الله تعالى يفعل فاما قوله واعفوا اللحى يعني كثروها ومن هذا قول الله عز وجل حتى عفوا أي كثروا وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم

*(فصل)* وأكثر الخلق جعلوا الدنيا همهم دون أخراهم لتكون لذات الدنيا عاجلة فاجتهدوا في أمور الدنيا وتوكلوا في أمور الآخرة فهم على مراتب وعوامهم توكلوا والحقوا أنفسهم فلم يروا أنهم يصلون الى نعيم الآخرة الا بترك الدنيا وتركوا الدنيا واجتهدوا في الآخرة ولجؤا الى ربهم واستعانوا به لشمول علمه وتفرد ارادته فرضوا به مدبرا وكيلا وهذا عند الخواص رجوع الى الاسباب لانك رفضت الاسباب ووقفت مع التوكل فعين التوكل هو عين السبب فخرجت عن التوكل من حيث دخلت في هذا التوكل فهذا التوكل في الحقيقة ترك التوكل

*(فصل)* قد قدمنا ان التوكل حالة في القلب وهي الثقة بالوكيل الحق وقطع الالتفات الى غيره وانه على مراتب ثلاثة كما قدمنا ذلك في الفصول السابقة لكنا هنا نزيده شرحا وبيانا مع زيادة نذكرها فنقول التوكل على ثلاث درجات احداها الثقة بالوكيل بعد اعتقاد كماله في الهداية والقدرة والشفقة الثانية وهي أقوى منها تضاهي حالة الصبي في ثقته بامه وفزعه اليها في كل ما يصيبه وذلك لثقته بشفقتها وكفالتها ولكنه في توكله فانه من توكله فانه ليس يحصله بفكر وكسب وان كان لا يخلو توكله عن توسع ادراكه الثالثة هي أن يكون بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي فان الصبي يزعق بامه ويتعلق

وورد عمر بن الخطاب وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة رجل كان ينتف لحيته وقد نتف العنفكين بدعة وهما جنبتا العنفقة شهد رجل عند عمر بن عبد العزيز شهادة وكان ينتف فنيكيه فرد شهادته وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النهي عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن ونهى عليه السلام عن الخضاب بالسواد قال هو خضاب أهل النار وفي لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وأمر صلى الله عليه وسلم أبا بكر ان يغير شيب أبيه وقال يجنبه السواد وقال هو خضاب أهل النار وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة الى عمر فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ودلست عليهم شيبتك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة ويقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وقال السري بن المغلس السقطي في اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها متنفلة لاظهار الزهد وقال أيضا ودخل على داخل فمسحت لحيتي لاجله ظننت أني مشرك وعن كعب وابي الجلد وصفا قوما يكونون في آخر الزمان يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقفون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم وذكر أيضا عن جماعة ان هذا من اشراط الساعة وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة وروى أبو المهزم عن أبي هريرة ان أصحاب الدجال عليهم السيجان شواربهم كالصياصي ونعالهم مخرطة يعني شواربهم طويلة وأصل الصياصي القرون وهو جمع صيصة ومنه صيصة الديك الظفر الثاني الاماسي مؤخر رجله كانه عظم وقوله عليهم السيجان يعني الطيالسة وهو جمع ساج وقوله نعالهم مخرطة أي لها اعناق طوال معرقفة كالخراطيم وهي أكمام الاباريق وكان ابن عمر يقول الحلاق أبلغ العظمين فانهما منتهى اللحية يعني حدها ولذلك سميت لحية لان حدها اللحي فالزيادة على ذلك الحد والنقصان منه محدث وذكر ما جاء في فعل بعض ذلك واستحبابه ان من العلماء من كان يأخذ من لحيته في المناسك وغيرها وان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس قد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وتركها عافية على خلقتها أحب الي وقد روينا خبرا من سعادة المرء خفة لحيته الا ان بعض الرواة رواه على معنى آخر فانه لم يكن محفوظا فهو غريب كان يقول فيه خفة لحيته أي بتلاوة القرآن ولا أراه محفوظا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الصالحون بعده يسرحون لحاهم لاجل الدين والسنة وتنظيف الطهارة ونزع التفث من القمل وغيره ولاسقاط شعر ميت ان كان هناك وقد كان من الزهاد من يترك لحيته متفلة لا يسرحها شغلا عن نفسه والصدق بعينه حسن والصدق في كل شيء حسن قال بعضهم رأيت داود الطائي متفل اللحية فقلت يا أبا سليمان لو سرحت لحيتك فقال اني اذا الفارغ الا ان رسول صلى الله عليه وسلم كان يدهن شعره ويرجله غبا وأمر بذلك فقال وادهنوا غبا وقال من كانت له شعرة فليكرمها ودخل رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كانه شيطان وقد روينا في خبر غريب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرح لحيته في كل يوم مرتين وفي خبر أغرب منه قالت عائشة رضي الله تعالى عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم فرأيته يطلع في الحب يسوي من رأسه ولحيته وفي الخبر المشهور انه كان يمشط لحيته في كل يوم وان المشط والمدرى لم يكن يفارقه في سفر ولا حضر فهذه سنة العرب المعروفة فيهم وكان عليه الصلاة والسلام عليها وكانت من أخلاقه وقد كان الشباب يتشبهون بالكهول تفضيلا للكهول غير معجب بالشباب ولا نفر بالحداثة وفي الخبر خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم وفي الحديث ان من اجلال الله تعالى اجلال ذي الشيبة المسلم وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب ويرون فضلهم بالعلم والدين تواضعا وانصافا لا تكبرا بالكبر ولا علوا كان عمر رضي الله تعالى عنه يقدم ابن عباس وهو حدث السن على

---

لكنا بابل هذا كمن علم الله وانه لم يرزق بلمه فانها طالبه وان لم يتعلق بذيلها وتتدعى بأرجاءه وان لم يطلب نهاذلك فيكون هذا الشخص في حق الله تعالى ساقطا الاختيار ليس بقلبه اضطراب بل يتلقى القدر والاحكام بالرضا والتسليم مع التفويض

* (فصل) * واعلم ان التوكل لا ينافي السبب لان التوكل هو الاعتماد على الله تعالى وهو من أعمال القلب والسبب من أعمال الجوارح فاذا كان الانسان معتمدا بقلبه على الله تعالى يرى الامور كلها من الله تعالى ويعتقد أن الله تعالى يخلق الرزق عند السبب كما هو مذهب أهل السنة كان بعضهم متوكلا مع تعاطيه السبب واعلم ان القدرية كالمعتزلة والحرورية والزيدية وأشباههم من القائلين بالقدر لا يرون حقيقة التوكل أصلا لانهم وقفوا عند الاسباب ورأوا لقدرهم تاثيرا فما فوضوا الى الحاكم الرحيم الحكيم القدير العليم الخبير فالتوكل من ثمرات العلم والاعتقاد بانه لا فاعل الا هو ولا موجد سواه وكذلك من تعلق قلبه بالاسباب والوسائط لم يصلح له التوكل قال أويس القرني رحمة الله عليه من كثر كده وتعلقه بالاسباب فهو من خالط الشك قلبه يعني وهو توكل لمن هذا حاله قال العلماء بالله تعالى ويعرف شك الرجل بكثرة كده وكده في الدنيا او يعرف يقينه بدوام سكونه ومن لم يثبت القدرلي

أكابر الصحابة ويسأله دونهم وروى عن ابن عباس وغيره ما آتى الله تعالى عبدا العلم الا شابا والخير كله فى الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وتلا قوله سبحانه انهم فتية آمنوا بربهم وقوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقد كان أنس بن مالك اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبض وليس فى شعر رأسه وشعر لحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة وقد اسن قال لم يشنه الله تعالى بالشيب قيل أوشين هو قال كلكم يكرهه ويقال ان يحيى بن أكثم ولى القضاء وسنه احدى وعشرون سنة فقال له رجل ذات يوم وهو فى مجلسه يريد أن يخجله بذلك كم سن القاضى أيده الله تعالى فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاءها فأفحمه وروينا عن مالك بن دينار قال قرأت فى بعض كتب الله عز وجل لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال بعض الادباء كلما طالت اللحية تشمر العقل وقال أبو عمرو بن العلاء اذا رأيته طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال معاوية رحمه الله تعالى يتبين حمق الرجل من طول قامته وعظم لحيته ونقش خاتمه وكنيته وكان ابراهيم النخعى ومثله من السلف يقول عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط فى كل شئ حسن وأنشدت لبعض الظرفاء

لا تعجبن بلحية • كثرت منابتها طويله

تهوى بها عصف الريا • ح كأنها ذنب الحسيله

قد يدرك الشرف الفتى • يوما ولحيته قليله

وأنشد لبعض العرب لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى • ولكنما الفتيان كل فتى ندى

ولم يكن الاشياخ يستنكفون ان يتعلموا من الشباب علما ولا يزرون عليهم لصغر سنهم اذا الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا مانع لما أعطى الله من صبي أو صغير ولا معطى لما منع الله من كبير أو غيره وقال أبو أيوب السختيانى انى أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه فيقال له تتعلم من هذا فيقول انما أنا عبده ما دمت أتعلم منه وقال على بن الحسن من سبق اليه العلم فهو امامك فيه وان كان أصغر سنا منك وقيل لابى عمرو بن العلاء أيحسن الشيخ الكبير أن يتعلم من الصغير فقال ان كانت الجهالة تقبح به فان التعلم يحسن به فانه محتاج الى العلم ما دام حيا وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد رآه يمشى خلف بغلة الشافعى رضى الله تعالى عنه يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشى خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال أحمد لو عرفت منه ما أعرف لكنت تمشى من الجانب الآخر ان علم سفيان ان فاتنى بعلو ادركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتنى لم ادركه بعلو ولا نزول وسمعت ابا بكر بن الجلاء يقول انى لارى الصبى يعمل الشئ فاستحسنه فاقتدى به فيكون امامى فيه وما رأيت أشد تواضعا منه على علو نفسه • فاما معنى الخبر الذى روى لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أكابرهم فاذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا فان ابن المبارك سئل عن معنى ذلك فقال أصاغرهم أهل البدع لانه لا صغير من أهل السنة عن عنده علم ثم قال كم من صغير السن حملنا عنه كبير علم وقد قيل ان قوله عن أكابرهم يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مواطئ للخبر الآخر لا تزال أمتى بخير ما دام فيهم من رآنى وليأتين عليهم زمان يطلب فى أقطار الارض فلا يوجد احد رآنى كيف وقد جاءت بذلك اللفظة كرتها لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أكابرهم فاذا أتاهم عن أصاغرهم استحيى الكبير على الصغير فهلكوا أى فذلك خشية ان لا يتعلم منه فلذلك كرنا من الحياء والتكبر والانفة كان ووجه آخر هذا بجملته عندى على الخبر والكون لا على الذم لانه قد جاء فى الاثر وصف هذه الامة فى أول الزمان يتعلم صغارها من كبارها فاذا كان آخر الزمان تعلم كبارهم من صغارهم فاذا كان كذلك فهذا تفضيل الاصاغر وتشريف هذه الامة على سالف الامم لانهم لم يكونوا يعلمون العلم الا عن القسيسين والرهبان والاشياخ العباد والزهاد وأخبر ان هذه الامة فى آخر

الرزق لم يشتغل الدنيا فالايمان بالقدر والتصديق به يقتضى التوكل وسكون القلب والطمأنينة وداعى الله تعالى يدعو الى ذلك وداعى النفس والشيطان والهوى والشهوات يدعو الى الحركة للاسباب طمعا فى استعجال الرزق فمن التجأ الى الله تعالى واطمأنت نفسه الى كفالته بالرزق فقد أجاب داعى الله تعالى الى التوكل وخالف داعى النفس والشهوات الى الحركة والكد وأكثر العقلاء صدقوا بما أنزل الله تعالى وبما جاءت به الرسل ولم يعتقوا ذلك بأعمالهم ولا عملوا الى تصحيحه فى سرائرهم فألسنتهم تقر بالتصديق وأعمالهم تشهد عليهم بالنفاق وهذه الطبقة من الناس داخلة فى عموم أصحاب اليمين وطبقة أخرى من الناس حققوا ايمانهم باجتناب المحارم كلها الا أنهم شرهت نفوسهم على لذات الدنيا وانهمكوا فيها فما سكنت نفوسهم بالوعد كما انتهت بالوعيد عن المحارم وطبقة أخرى حققوا ايمانهم باجتناب المحارم وبالسكون الى وعد الله تعالى بترك الحركة والتعلق بأسباب الدنيا فهذه الطبقة من بين سائر المسلمين هى التى استمسكت بحقائق الايمان وحققت عملها اقرارها وصحح اجتهادها تصديقها لانها سكنت بالوعد وانتهت بالوعيد وهؤلاء هم السابقون المقربون

(فصل) ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يدخر شيئا ومات ولم يخلف دينارا ولا درهما ولا أثاثا ولا متاعا سوى لامة

الزمان تفضل سالف الامم فى أول أزمنتهم بان يتعلم الكبير من الصغير كما فضلهم الله تعالى به فذلك أشد وطأ الخبر الآخر أمتى كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره ولمثله من الشاهد كيف تهلك أمة أنا فى أولها والمسيح ابن مريم صلى الله عليه وسلم فى آخرها وقد روينا فى الخبر لا تعقر واعيند آآتاه الله تعالى علما فان الله تعالى لم يعقره ان جعل العلم عنده وكان شعبة يقول من كتبت عنه حديثا أو تعلمت منه علما فانا عبده وقال مرة اذا كتبت عن الرجل سبعة أحاديث فقد استرقنى فاما الخضاب بالسواد فقد روى ان بعض العلماء ممن كان يقاتل فى سبيل الله تعالى كان يخضب بالسواد ولكن لم يكن هذا يخضب به لاجل الهوى وتدليس الشيب انما كان يعد هذا من اعداد القوة من العدة لاعداء الله تعالى بمعنى قول الله عز وجل وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة واظهار الشباب من القوة وقد رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطبع هو وأصحابه ليراهم الكفار فيعلموا ان فيهم جلدا وقوة ومن صنع شيئا بنية صالحة يريد بذلك وجه الله تعالى وكان عالما بمذهب ذهب اليه فهو فاضل فى علمه وفعله وان كان ذلك من أدون أعماله لم ينبغ ان يستن به فيه لانا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شر الناس منزلة عند الله من يقتدى بسيئة المؤمن ويترك حسنته فأخبر ان المؤمن سيئة وان من شر الناس من تأسى بها معذرة لنفسه فى هواها

## *(باب ما ذكر من نوافل الركوع وما يكره من النقصان منه)*

قال الله سبحانه وتعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم روينا عن على رضى الله تعالى عنه انه فسره فال ركعتا الفجر وكذلك فسر قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار السجود قال ركعتا المغرب وهذا على قراءة من كسر الالف فأما من نصبها فان معناه ادبار الصلوات أى أعقابها وأواخرها والتسبيح اسم الصلاة النافلة لكون التسبيح فيها وتسمى النافلة سبحة فمن سنن الركوع واستحبابه ادبار الصلوات وقبلها الذى لا استحب ترك شىء منه وبعضه أوكد من بعض سبع عشرة ركعة تجموع من خمسة أحاديث حديث على رضى الله تعالى عنه انه سئل عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهار فقال ست عشرة ركعة وحديث ابن عمر حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ركعات وحديث أبى أيوب الانصارى فى الصلاة قبل الظهر وحديث أنس بن مالك وعائشة فى الصلاة بعد العشاء الآخرة وفى الوتر وخبر أم حبيبة الوارد بالفضل من العدد من صلى فى يوم اثنتى عشرة ركعة غير المكتوبة بنى الله تعالى له بيتا فى الجنة وخبر غريب رواه أهل البيت مواطئ لبعض ما ذكرناه ان الله تعالى فرض عليكم فى اليوم والليلة سبع عشرة ركعة وسننت لكم مثلها أول ذلك ركعتا الفجر وهما سنة مؤكدة وأربع قبل الظهر وهن مستحبات مؤثرة فى الاستحباب وركعتان بعدها وهما سنة وأربع قبل العصر جاءات يدخل فى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وركعتان بعد المغرب وهما سنة مؤكدة وثلاث ركعات الوتر مؤكدة فاما حديث على رضى الله عنه فانه ذكر من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لم يذكره غيره انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات فى وقتين اذا أشرقت الشمس وارتفعت قام فصلى ركعتين وهذا هو الاشراق وهو الورد الثانى من النهار واذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع السماء من المشرق ومثلها حين تكون فى ثلاثة أرباع السماء من صلاة العصر صلى أربعا وهذا هو الضحى الاعلى والورد الثالث من النهار والمواظبة على هذه الصلاة بمراعاة هذين الوقتين من عزائم الاعمال وفواضلها وذكرت أم هانئ أحت على رضى الله عنه انه صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد غيرها وأما عائشة رضى الله تعالى عنها فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله فلم تحد وقد روينا فى حديث منفرد ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات وقد روى أبو أيوب الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ تفرد به انه لم يكن يدع ان يصلى أربعا بعد الزوال وقبل صلاة الظهر يقرأ فيهن بقدر سورة البقرة قال فسألته عن هذه الصلاة فقال ان أبواب السماء تفتح هذه الساعة ويستجاب الدعاء فما أحب ان يرفع لى فيها عمل صالح وقد جاء فى حديث أم

لحربه وفرسه ولقعته التى كان يجاهد بها وعليها الكفاف وكانت تستن الجوع والفاقة تحتمل به وبأهله وطالت عليهم أوقات الشدائد والفاقة مع أنه قد أعطى مفاتيح خزائن الارض فلم يمد يده الى شئ منها قالت عائشة رضى الله عنها ومن أبيها انه لم يرعلينا هلال وهلال وما لنا طعام الا الاسودين الماء والتمر ولا توقد فى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم نار قيل لها فلا كنتم تسرجون سراجا قالت لو كان لنا ما نستصبح به لتأدمنا به وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال أبو الدرداء رضى الله عنه يا أهل دمشق مالى أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون ما يكال لكم به تطالبون وما كلتم به تضيعون واعلم ان أكثر الخلق انما تعلقوا بالاسباب وركنوا الى المخلوقين هربا من أكلة بعد أكلة ومن خرقة بعد خرقة ولم يرضوا بضمان الله تعالى ولا ثقوا بكفالته حيث قال ان الله هو الرزاق وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فالبسهم الله ثواب الذل وملأ قلوبهم بالفقر لركونهم الى المخلوقين واعراضهم عن الركون الى جنابه وأما أهل المعرفة بالله تعالى فان قلوبهم سكنت الى ما فى الغيب أشد من سكون أولئك الى ما فى اليد من الاسباب الظاهرة لا تدرى ما يحدث الله تعالى فهو ما عند الله

حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم مفسرا من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى الله له بيتا في الجنة ركعتين قبل الفجر وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب ورواه ابن عمر في حديثه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكرها الا قوله وركعتين قبل الفجر فانه قال تلك الساعة لم تكن تدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتني أختي حفصة انه كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الاخيرة أربع ركعات ثم ينام وقال أنس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد وقد جاء في خبر انه كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا وفي بعض الخبر اذا أراد ان يدخل في فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرأ فيهما اذا زلزلت الارض وسورة ألهاكم التكاثر وفي رواية أخرى وقل يا أيها الكافرون فان أضعف العبد هذه السبع عشرة ركعة فجعلها أربعا وثلاثين يداوم عليها وجعلها ورده من الصلاة فهو أفضل وهذا مذهب أهل البيت واحتجوا فيه بخبر رووه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فرض الله تعالى على أمتي في اليوم والليلة سبع عشرة ركعة وسننت لهم مثليها وان كان الحفاظ من أهل النقل يضعفون هذا الحديث الا انه قال عليه الصلاة والسلام الصلاة خير موضوع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل وقال بين كل أذانين واقامتين صلاة لمن شاء فان فعل ذلك وراعاها على ما رتبه فهو مقارب لما ذكرناه آنفا من السنن والاستحباب قبل الصلوات الخمس وبعدها ركعتان قبل الفجر وأربع من الضحى وأربع قبل الظهر وأربع بعدها وأربع قبل العصر وست بعد المغرب وأربع قبل العشاء وست بعدها ثم يوتر بواحدة فهذا حينئذ نحو ما رسمناه وهو مشبه لما نقلناه من الاثر وليستند الى الخبر المأثور والى فعل أهل البيت وأكثر ما روي من صلاته بين العشاءين مما نقل عدده ست ركعات وأكثر ما روي من صلاة الضحى ثمان ركعات ومن صلاته بالليل ثلاث عشرة ركعة الاحديثا مقطوعا موقوفا على طاوس رواه ابن المبارك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الليل سبع عشرة ركعة فهو حديث شاذ وسائر الاخبار المسندة من ابن عباس وعائشة وميمونة وأم حبيبة انما هي احدى عشرة ركعة وثلاث عشرة ركعة واستحب أن يصلي العبد قبل كل صلاة أربعا وبعدها أربعا الا انه لا صلاة قبلها ولا صلاة بعدها ثم يزيد بعد ذلك ما قسم الله تعالى له وأن يصلي الضحى ثماني ركعات ويواظب عليهن اذا أنشط لطالهن واذا اقتصر فهن فان المداومة على العمل عمل ثان وهو من أفضل الاعمال وأحبه الى الله تعالى والا اقتصر على أربع يديمهن ولا أكره ان يصلي قبل المغرب ركعتين بعد غروب الشمس فقد قال أنس بن مالك كان الشباب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون ركعتين قبل المغرب وكان أبي بن كعب وعبادة بن الصامت وأبو ذر وزيد بن ثابت وغيرهم من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلونها وقال عبادة أو غيره كان المؤذن اذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين وقال أيضا بعضهم كنا نصلي ركعتين قبل المغرب وذلك داخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة لمن شاء وقد كان أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يصليهما فعابهما الناس عليه فقال مرة لم أر الناس يصلونهما فتركتهما وقال ان صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن وذلك أستحب

*(الفصل السابع والثلاثون)* في شرح الكبائر التي تحبط الاعمال وتوبق العمال وتفصيل ذلك ومنازل أهلها فيها وسياسة الكفار قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم فاشترط لتكفير الصغائر من السيآت اجتناب الكبائر الموبقات وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة يكفر ما بينهن لمن اجتنب الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن الا الكبائر فاستثنى من

تعالى هو الباقي بالقيه حصلى أوقاته ولم يرث الخلق الامن اعتمادهم على الاسباب والركون اليها فركن كثير من العمال الى الطاعات واعتمدوا عليها ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتداركني الله برحمته وكان الواجب عليهم أن يتوكلوا على من يقيمون له الطاعات لا على الطاعات فيعملوا ويتوكلوا على الله لا على طاعتهم وهؤلاء هم أمثل من سواهم ممن اعتمد على الاسباب وما عداها ومن اعتمد على الاسباب هم فرق منهم فرقة توكلت على قوة البدن وصحة الجسم فمتى ضعف بدنه أو سقم جسمه تحير وانقطعت أعماله وكانت تلك الايام عنده شر أيامه وهؤلاء هم العمالون والحمالون وأرباب الصناعات باليد ومنهم من هو متوكل على رأس ماله ومتاجره والانفاق من أرباحه ومكاسبه فان قل كسبه أو نقص رأس ماله تراه قد قنط وحزن وكثر همه وغمه وقصر عن القيام بطاعة ربه كما قال تعالى فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وهؤلاء التجار وأصحاب البيع والشراء ومنهم من هو متوكل على زرعه وأشجاره فان لم يخصب اضطرب قلبه وساء ظنه وهؤلاء أرباب الزراعة وأصحاب الغراس ومنهم من هو متوكل على اخوانه وأصحابه ومعارفه والدخول عليهم برفق وحيل ومعرفتهم له بالفقر وكثرة العيال وهؤلاء

كفارات الذنوب الكبائر فاختلف العلماء من الصحابة والتابعين فى الكبائر من أربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك فكان ابن مسعود يقول هن أربع وكان ابن عمر يقول الكبائر سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر ان الكبائر سبع يقول هى الى سبعين أقرب منها الى سبع وقال مرة كل مانهى الله تعالى عنه فهو من الكبائر وقال هو وغيره كل ماتوعد الله تعالى عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كلما أوجب الحد فى الدنيا فهو كبيرة والصغائر عندهم من اللمم وهو مالا حد فيه ومالم يتهدد بالنار عليه فقد روى هذا عن أبى هريرة وغيره وكان عبد الرزاق يقول الكبائر احدى عشرة وهذا أكثر ماقيل فى جملة عددها مجملا وقيل انها مبهمة لايعرف حقيقة عددها كابهام ليلة القدر وساعة يوم الجمعة والصلاة الوسطى ليكون الناس على خوف ورجاء لايقطعون بشئ ولا يسكنون الى شئ وقد قال ابن مسعود فيما قاله ولاحسنا من طريق الاستنباط وقد سئل عن الكبائر فقال اقرأ من أول سورة النساء الى رأس ثلاثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم فكل مانهى الله تعالى عنه من أول السورة الى ههنا فهو من الكبائر فاشبه هذا استدلالا لقول ابن عباس فى استنباط ليلة القدر انها ليلة سبع وعشرين انه عد كلم سورة القدر حتى انتهى الى قوله هى فكانت سبعا وعشرين كلمة والله أعلم بحقيقة هذين القولين والذى عندى فى جملة ذلك مجتمعا من المتفرق سبع عشرة تفصيلها أربع من أعمال القلوب وهن الشرك بالله تعالى والاصرار على معصية الله تعالى والقنوط من رحمة الله تعالى والامن من مكر الله تعالى وأربعة فى اللسان وهن شهادة الزور وقذف المحصن وهو الحر البالغ المسلم واليمين الغموس وهى التى تبطل بها حقا وتحق بها باطلا وقيل هى التى يقتطع بها مال امرئ مسلم ظلما ولو سواكا من أراك وسميت غموسا لانها تغمسه فى غضب الله تعالى وقيل لانها تغمس صاحبها فى النار والسحر وهو ما كان من كلام أو عمل يقلب الاعيان أو يغير الانسان وينقل المعانى عن موضوعات خلقها والسحرة هم النفاثات فى العقد الذين أمر الله تعالى بالاستعاذة منهم وثلاثة فى البطن وهى شرب الخمر والسكر من الاشربة وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا وهو يعلم واثنتان فى الفرج وهما الزنا وان يعمل عمل قوم لوط فى الادبار واثنتان فى اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة فى الرجلين وهى الفرار من الزحف الواحد من اثنين غير متحرف الى الامام ولا متحيزا الى فئة ولا معتقد الكرة وواحدة فى جميع الجسد وهى عقوق الوالدين وتفسير العقوق جملة ان يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما وان يسألاه فى حاجة فلا يعطيهما وان يأمناه فيخونهما وان يجوعا فيشبع ولا يطعمهما وان يسبانه فيضربهما وذكر وهب بن منبه اليمانى أصل البر بالوالدين فى التوراة ان تقى مالهما بمالك وتؤثرهما بمالك وتطعمهما من مالك وأصل العقوق ان تقى مالك بمالهما وتوفر مالك وتأكل مالهما وفى حديث أبى هريرة الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الامن ثلاثة اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة ان تبايع الرجل ثم تخرج عليه بالسيف تقاتله وقد روينا عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم بغير حق ومن الكبائر السبتان بالسبة وأما عبادة بن الصامت وأبو سعيد الخدرى وغيرهما من الصحابة فكانوا يقولون انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وهى فى بعض الالفاظ من الموبقات وقالت طائفة كل عمد فهو كبيرة وقال بعض السلف أربعة أشياء مبهمة لايعلم حقائقها الصلاة الوسطى وليلة القدر وساعة يوم الجمعة المرجو فيها الاجابة والكبائر ذلك ليكون الناس على خوف من الوعيد فى الاتقاء وعلى رجاء من الوعد فى الابتغاء لئلا يقطعوا بشئ ولا يسكنوا الى شئ وتلك عاقبة الامور والذى ذكرناه من الخصائل هو من أوسط الاقوال وأعدلها وهو ما اتفقوا عليه وكثرت الاخبار فيه فهذه الكبائر الموبقات التى من اجتنبها كفرت عنه السيآت وثبتت له النوافل من الفرائض الخمس التى هى أبنية الاسلام وذلك ان دعائم الاسلام وهذه الكبائر قرينان يعتلجان ويتقاومان فى العظم والمعنى بالتضاد

من هو متوكل على ذلاقة لسانه وبلاغته وفصاحته واقتداره على عمل الشعر وهجو الناس ومدحهم وهؤلاء هم الشعراء ومنهم من هو متوكل على علمه وفقهه ومعرفته بالجدل ووجوه النظر لينال بذلك التدريس والقضاء واغتنيا ويعطى عليها الارزاق وهؤلاء هم الكثير من العلماء بالاحكام ومنهم من هو متوكل على مايستخرجه من الناس بسبب الوعظ والتذكير ومالم قد حفظه من حكايات ونوادر يتزين بها لمن يحضر مجلسه وهؤلاء هم الوعاظ والمذكرون فهذه أصناف المتوكلين على الاسباب المعتمدين عليها

*(فصل)* وأما من آثاهم الله تعالى فى مقام التوكل عليه فقد أمانهم بالتوكل وأحبا التوكل بهم روى الزهرى وغيره ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فى بعض أسفاره للغزاة فتفرق الناس عنه فى شجر العضاه يستظلون بها فعلق النبى صلى الله عليه وسلم سلاحه فى شجرة فجاء اعرابى الى سيفه وأخذه وسله من غمده ثم أقبل على النبى صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى يا محمد مرتين أو ثلاثا والنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله الله فجلس الى جنبه فقام يعاتبه قال تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله قال النهرزورى

فالكبائر

فالكبائر كبرت فكفر اجتنابها مادونها من الصغائر والفرائض الخمس التي هي أبنية الاسلام اذا تمت كفرت مابعدها من السيئات وثبت العبد نوافله وتبدل سيئاته حسنات فيكون له فضل عظيم برجيه الجنة ومنازل العاملين وهو السابق بالخيرات قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال من بعد الكبائر الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر فالفرائض الاربع التي هي ابنية الاسلام منوطة بالصلوات الخمس لاتصح الابها كالشئ الواحد بمنزلة الاربع فالصلوات مرتبطة بالشهادتين ان ترك خصلة منها كان كترك الخمس لانها أس الاسلام وأبنية الايمان واجتناب الكبائر منوط بالشهادتين لايقع جميع ذلك الابهما فاذا انتهكت الكبائر أحبطت الاعمال الفرائض الخمس أحبطت مابينها من السيئات الا الكبائر فانها كبرت فلاتكفرها فلايبقى العبد يوم القيامة مع ارتكاب الكبائر من الاعمال الا الفرائض الخمس وقد أكل سائر نوافله ارتكاب الكبائر فخاف عليه النار ومنازل المسرفين وهذا هو الظالم لنفسه وهو الذي حذر الله تعالى المؤمنين عنه قال يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ومنه قوله تعالى بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته قيل هي الكبائر أحاطت بجميع حسناته فحبطتها وعلى هذا اختيارنا هذا الحرف من مقر الموعلى الوجه الآخر وأحاطت به خطيئته هي الشرك الذي ختم له به فلم ينفعه عمل كان قبله فان قصر في الفرائض الخمس التي هي مباني الاسلام الا انه يجتنب الكبائر كفرت عنه سيئاته كلها وتمت فرائضه بسائر نوافله لانها نابتة له بعد ان يحصل له صحة التوحيد ويسلم من كبائر البدع التي تنقل عن الملة وهذا ممن استوت حسناته وسيئاته فيطول وقوفه للحساب ويشاهد الزلازل والاهوال ليكون ذلك رجحان حسناته ويجعل من أصحاب الاعراف على أعراف السور وهي شرفه التي بين الجنة والنار وهو الحجاب الذي بين أهل النار وأهل الجنة الى ان يتفضل الله تعالى عليه بفضل رحمته فان سمح له مولاه فعفا عنه سقط عنه هذا كله وأدخل الجنة في أصحاب اليمين وهذا هو المقصد المتوسط بين الظالم لنفسه والسابق الحريه فان لم يكن له نوافل مع نقصان فرائضه لم يبق له من أعماله الا اجتناب الكبائر فيوزن مابقي من عمله وهو اجتنابه الكبائر بفرائضه النواقص فان رجح اجتناب الكبائر مثقال ذرة وفضلت له حسنة واحدة ضاعفها الله تعالى بالمزيد وتجاوز عن سيئاته في أصحاب الجنة ولم تكن له مقامات المقربين ولا درجات السابقين وهو ممن قال الله سبحانه وتعالى ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما يعني الجنة وان خف اضاعته الفرائض لسنته كان من الموقنين الحساب الطويل واحتاج الى شفاعة الشافعين فان كان فرائضه الخمس ناقصة وكان مرتكب الكبائر فهو من الهالكين لانه ممن خفت موازينه من المؤمنين وهذا من المسرفين هم أصحاب النار فيدخل النار لنقص اسلامه ولو فور سيئاته عليه اذلم تمحها حسناته ولتطول نوافله بانتهاكه الكبائر ولان هذا نقص من مثقال دينار الا انه لايكون من الخالدين لصحة توحيده وعلى انه أول من يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من ايمان فهو في أول طبقة يخرج هذا الى زنة شعيرة الى ذرة من ايمان وهؤلاء آخر الطبقات خروجا الى ان يبدو لبعضهم من الله تعالى مالا يحتسبه ويتداركه غدا مالا يعلمه فيعفى عن البعض ولا يعمل ممن حق عليه الوعيد لما سبق له من الكلمة الحسنى ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وقد جاء في الخبر يؤتى بالرجل من هذه الامة فيسحب به ركن من أركان جهنم وقد جاء في الخبر ان العبد ليوقف بين يدى الله عز وجل وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيوجد قد سب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فينقص من حسناته حتى لاتبقى له حسنة فيقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقال ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكا الى النار وقد جاء في الميزان آخر من يبقى في جهنم من الموحدين سبعة الاف سنة ورويناعن أبي سعيد الخدري

وقد وقع كمال التوكل بالحقيقة لابراهيم عليه السلام وذلك في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام أما اليك فلا لانه غاب عن نفسه بالله تعالى فلم ير مع الله تعالى أحدا غيره قال العلماء رضي الله تعالى عنهم ومن أقامهم الله تعالى في مقام التوكل فهم الذين يتكلمون في علوم التوكل ويكشفونها الناس لانهم عرفوها بالمباشرة والمنازلة ومن ليس من أهل التوكل فليس له ان يتكلم فذلك وكذلك لايتكلم في علوم الزهد الامن هو من أهل الزهد فما أقبح حال من يتكلم في الشئ وليس من أهله فهذا المسكين يحث الناس على القرب من الله تعالى وهو يهرب منه قال صلى الله عليه وسلم المتشبع بمالم يعطه كلابس ثوبي زور وقال المتفق برأس مال غيره مفلس والانسان في خلقانه أحسن منه في جديد غيره وكان بعضهم اذا أكثر الواصفون الكلام على حقائق التوكل قال انا لا ألتفت الى هذا انا أريد رجلا يقوم الساعة هذه من مكانه هذا ويدخل هذه البرية فيذهب الى مكة ولا يستصحب رفيقا ولا زادا ولا يسلك طريق القوافل ولا الطريق الذي عليها منازل الاعراب ولا تعرف نفسه الى شئ مما يحتاج فاذا لم يجبه أحد يقول لهم قد ذهبت أعماركم فيما لاينفعكم حال لاتحصل صاحبها لاينتفع بها فرحم الله عبدا تدبر ما وصفنا وتامل ماتيسر حسابه راع من قلبه ونفادمن همه ولا يشتغل بالوصف والعلم ويترك العمل

وغيره من الصحابة وفيه شدة وقال والله لا يخرج عبد من النار بعد أن دخلها حتى يقيم فيها سبعة آلاف سنة وهذا والله أعلم آخر من يخرج من النار لانهم يخرجون زمرا امثالا وتوتمن اليوم والجمعة والشهر والسنة الى ستة آلاف سنة فاكثرهم ايمانا أقلهم مقاما وأقلهم مكثا أولهم خروجا فأول زمرة تخرج من في قلبه مثقال من الايمان فهذا أقلهم لبثا وأسرعهم خروجا الى شعيرة الى ذرة فهؤلاء أقلهم ايمانا وأنقصهم توحيدا وأعظمهم جرما وأشدهم على الله عتيا وهم أكثرهم مقاما وقد اشتهر خبر من يخرج من النار بعد ألف عام ينادي ياحنان يامنان فقال الحسن لما روى هذا الحديث ياليتني كنت ذلك الرجل لشدة خوفه خاف ان يدخلها ثم عظم خوفه فخاف ان لا يخرج منها فتمنى ان يخرج منها بعد ألف عام ٭ وقد جاء في الخبر آخر من يخرج من النار وهو أيضا آخر من يدخل الجنة فلعله والله أعلم بعد سبعة آلاف سنة فيعطى من الجنة مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف رواه أبو سعيد وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الحكمة في ادخال البشر الى النار على ترتيب السكون انهم خلقوا من ماء ثم خالطهما امتزج به من الاهواء فلا يستخرج ذلك الا بالنار فانها تخرج الماء مما امتزج حتى يخلص وانهم أيضا خلقوا من تراب الارض بمنزلة الخشب المعوج يقوم بالنار حتى يستقيم ثم يقطع عنه النار ويستقيم ذلك فعندها يصلح لغير النار وموضع الحكمة في تخليد الكافرين والشياطين في النار ان أرواحهم خلقت من جوهر النار فرجعت الى معدنها وهي أيضا سوداء مظلمة نار به وهم أيضا خلقوا لها لا يصلحون لغيرها بمنزلة الحطب والشوك والحراق التي لا يصلح الا للنار فتبارك الله تعالى حكمة معتدلة في الاشياء وحكمة غامض فيها ينظر بعين التعديل فيقسم بها القادر بمعاني التنقيص والتفضيل ومجمل ما ذكرناه ان كل وصف يكون العبد من الخير يكفر عنه سيآته فان نوافله ساقطة وكل وصف يكون له من الشر لا يحبط نوافله فان نوافله موفرة ثابتة ومن كان عاملا للحسنات وهو في ذلك يرتكب بعض الكبائر فان اعمال بره وفضائله موقوفة الى التوبة فان تاب واستقام كفرت توبته ما سلف من كبائره وبدلت استقامته على الطاعة سيآته حسنات وأكثر ما يوبق الناس من الكبائر المظالم وأكثر ما يدخلهم النار ذنوب غيرهم اذا طرحت عليهم وكثير يدخلون الجنة بحسنات غيرهم اذا طرحت عليهم لانها صحة ثابتة وقد تبطل حسناتهم لدخول الآفات عليها بلغني عن أبي عبد الله بن الجلاء ان بعض اخوانه اغتابه ثم أرسل اليه يستحله فقال لا أفعل ليس في صحيفتي حسنة أفضل من حسناته أريد ان أزين صحيفتي بها وفي الحديث ذنب يغفر وذنب لا يترك فالذنب الذي يغفر ظلمك نفسك والذنب الذي لا يترك مظالم العباد والتوبة طريق السكل والرجعة تسعهم وباب التوبة مفتوح للكافة الى طلوع الشمس من مغربها وكل عبد توبته مقبولة ما لم تبلغ الروح الحلقوم ولم يعاين الملائكة فاذا بلغت الروح التراقي وعاينت الاملاك غلق عليه باب التوبة فمات على الاصرار وقيل من راق أي من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب وظن انه الفراق أيقن انه قد فارق الدنيا بمعاينة الآخرة وفارق الناس والاهل بمعاينة الملائكة فان مات عن غير توبة كان ممن قال الله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون قبل التوبة كما فعل باشياعهم من قبل ولما قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن وحضور الموت يكون عند معاينة ملك الموت اذا خرجت الروح من جميع الجسم فلم يبق الا ما بين القلب والعينين فهو الوقت الذي قال الله عز وجل يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وهو الذي خوف منه في قوله تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة يعني عند الموت وهذا لاهل المعاينة أو يأتي ربك يعني يوم القيامة وهذا لاهل البرزخ يوم يأتي بعض آيات ربك وهو اليأس الذي يقع عنده من الدنيا اليأس من طلوع الشمس من مغربها وهو آخر التوبة يؤمن معه كل كافر فقال سبحانه يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أي من قبل المعاينة أو كسبت في ايمانها خيرا قبل التوبة وهو الوقت الذي قال الله تعالى فلما رأوا بأسنا يعني كشف

بالذي وصف وعلم ٭(فصل)٭ سئل الحارث المحاسبي رحمة الله عليه هل يقطع المتوكل الاسباب فاجاب بان أكثر الاسباب تقطعه وهي الاسباب التي تشين التوكل وهي التي منها الحرص والمكالبة على الدنيا وتشغله عن دوام السكون وتزيد في اضطراب القلوب وتستعبد النفس وما لا يكون من ذلك لا يشين التوكل قال صلى الله عليه وسلم لذلك الاعرابي قيد ناقتك وتوكل فقيل له وما علامة سكون التوكل قال أن لا يحركه ازعاج المستبطئ فيما ضمن له من رزقه ولا يلحقه فترة المتواني عن فرضه مقبل على الله تعالى بقلبه ناظر بعلمه الى مجاري قدرته حسن عمله بحسب تدبير الله تعالى له فعندها أسقط من قلبه اختياره لنفسه ورضي بما اختاره الله تعالى له قال وقال سهل بن عبد الله علامة ذلك ان لا يسأل في الاعواز ولا يرد ما أتاه وهو على فاقة ولا يحبس عنده عمن يحتاج اليه وسئل هل ينقص من توكله شيئا اذا قصد الى أخ أو الى صديق لشدة جوعه أو قرض درهم فقال لا ينقص من توكله بذلك شئ لقوله تعالى أو صديقكم الآية وقد ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر الى بيت ابي الهيثم بن التيهان لاجل خصاصة كانت بهم فاكلوا عنده شيئا ولحما أو رطبا وشربوا ماء باردا وسئل عن المتوكل كيف يدخل في الاسباب فاجاب بانه يأخذ البلغة لاقامة قوته حتى يؤدي

الغفلاء قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده يعني طريقته وشأنه الذي مضى في الخلق لا تبديل له ولن تجد لسنة الله تبديلا وحكم العباد كلهم في المعاد الى الله عز وجل ان شاء عذبهم فيما اكتسبوا ويعفو عن كثير وان شاء ان يغفر لهم وهو الغفور الرحيم وقد يتفاوت الناس في جميع ما ذكرناه من أداء الفرائض ومن ارتكاب المعاصي والعرف والتخلق باخلاق النفس من عادات ابناء الدنيا وعرف معاشرتهم فيما بينهم فان ذلك حال الغافلين ومقام الجاهلين غير محمود العاقبة ولا مغبوط الخاتمة ولا يترك العمل الصالح أيضا خشية دخول الآفة ولا يدعه ان كان داخلا فيما يعتريه فيه ذلك بغية صدقه منه لكن يكون على نيته الاولى من جهة القصد فان دخلت عليه علة وضع عليها دوامه وعمل في نفيها وازالتها وثبت على حسن نيته وصالح معاملته ولا يدع عملا لاجل الخلق حياء منهم وكراهة اعتقادهم فضله لان العمل لاجل الناس شرك وتركه لاجلهم رياء وترك العمل لاجل دخول الآفة فيه جهل وتركه عند دخول العلة عليه ضعف ووهن ومن دخل في العمل لله تعالى وخرج منه لله تعالى لم يضره ما كان بين ذلك بعد ان يتقبله ولا يبطله وقد يضره ما يكون بعد ذلك مثل ان كان سرا فاظهره بعد زمان فصار علانية فنقل من ديوان السر الى ديوان العلانية ومثل ان يتظاهر به ويفتخر ويدل به ويتكبر فيحبط ذلك عمله لانه قد أفسده والله لا يصلح عمل المفسدين ومن دخل في العمل لله تعالى ودخل عليه في وسط العمل علة تخرج من العمل بها ابطل عمله ومن دخل في العمل بآفة وخرج منه بصحة سلم له عمله وجبر بآخره أوله وأفضل الاعمال ما دخل في أوله لله تعالى وخرج منه بالله تعالى ولم تطرقه فيما بينهما آفة فيكون الله تعالى هو الاول والآخر معه وعنده ثم يظهره بعد ذلك ولا يتظاهر به وأفضل النيات ان لا تريد بعملك الا وجه الله تعالى وحده تعظيما لحق الربوبية والزاما للنفس وصف العبودية فان لم يكن هذا المقام من مشاهد توجه ذي الجلال والاكرام فشاهد ثمار غبه فيه وشوقا اليه من الآخرة عن مقام الرجاء ولا ينبغي للعبد ان يدخل في شيء حتى يعلم علمه فيكون داخلا في علم يعلم مثله لان لله سبحانه وتعالى في كل شيء حكما فما علم من ذلك حمد الله تعالى عليه وعمل له وما جهل سأل عنه من هو أعلم به وما أشكل عليه أمسك عنه حتى يستبين له وجهه فيقدم عليه أو يتركه وليكن ما تعرك فيه أو سكن عنه أو توقف عن الاقدام عليه ابتغاء مرضاة الله تعالى تقربا اليه لاجل الله تعالى فهذا أعلى النيات وهو غاية الاخلاص • ومن أراد باعماله ما عند الله تعالى من ثواب الآخرة من حظوظ نفسه ومعاني شهواته ولذته من النعيم في الجنان واتخاذ الحور والحسان مما وصف الله تعالى ونعته لم يقدح ذلك في اخلاصه ولم يغير صحة نيته من قبل ان الله تعالى مدحه ورغب فيه ووصفه وكان ذلك مزيدة لها الا ان هذا نقص في مقام المحبين وعيب عندهم كعيب من عمل لعاجل حظه من دنياه وهو شرك في اخلاص الموحدين الذين اختصوا بالعبودية فعتقوا من أسر الهوى بالحرية فلم يسترقهم سوى الوحدانية لما شهدوا من خالص الربوبية واخلاص العبودية للربوبية أشد من اخلاص المعاملة ضرورة الا ان من رزق المقام منها دخل بحقيقة لا خلاص المعاملة ضرورة فلا ينقيه ولا يصفيه عمل ولا مجاهدة كما قوا المخلصين وهذا مقام المحبين وانما أتعب المريدين بالتنقية والتصفية المعاملة لما بقي عليهم من الشرك الخفي والشهوة الخفية كما أتعب خدام الدنيا بالجمع لها لما استرقهم من الهوى فاما الاحرار فهم من خدمة الخلق برآء وهذا يذهب الاخلاص ويفسد النية ويدخل الانتقاص وما تلف له من شيء أو ظلم من حقه فليحتسب بذلك الذخر عند الله تعالى وليجعله في سبيل الله بحسن ظنه بالله تعالى وصدق يقينه فان له من ذلك ما نوى • حدثونا عن رجل رؤي بعد وفاته فسئل منه كيف رأيت أعمالك فقال كل شيء عملته لله تعالى وجدته حتى حبة رمان التقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيت ذلك كله في كفة الحسنات قال وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات قال وكان قد نفق لي حمار قيمته مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وهذا حمار قيمته مائة دينار ولا

الفرائض بسكون من قلبه ان أعطى شكر وان منع صبر برضا او بسكون من قلبه ومثل كيف وقع الاضطراب للخلق في الرزق وعدم السكون مع وجود الضمان به من الملي والصادق الوفي فقال وقع الاضطراب للخلق من وجهين أحدهما من قلة المعرفة بحسن الظن بالله وقلة المعرفة بنفي التهم من الله تعالى الثاني معارضة دواعي الهوى بخوف الفوت فتستجيب النفوس للدواعي فيضعف اليقين لان الله تعالى ضمن الارزاق وغيب الاوقات ليختبر النفوس ويمتحن أهل التوكل بعقولهم وسئل الحرث المحاسبي عن التداوي هل يشين التوكل قال لا وحديث من استرقى أو اكتوى فقد برئ من التوكل محمول على البراءة من توكل أرباب النهايات وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم الدواء مرة واستعمله أخرى فترك التداوي لانه مقتضى مقامه في نفسه واستعمل الدواء لقصد التشريع وبيان الجواز الذي وجب عليه اظهاره وتبليغه وسئل أيضا هل يستوي عند المتوكل السبع والسنور والسقر والحضر فقال نعم يستويان عنده في المقدار لمعرفة مجاري القدرة ونظام الحكم ونفاذ المشيئة من الله تعالى في خلقه ولا يستوي ذلك في الطباع لان المتوكل يعلم ان الامور كلها بيد الله تعالى وان الضر والنفع اليه وان الله تعالى لو سلط عليه السنور لكان أضر عليه من السبع ان كف عنه السبع

أدرى له ثوابا فقيل انه وجه حيث بعثت به لانك قلت للسائل لك ملك الحارث في لعنة الله تعالى أما بطل أجرك ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية أخرى قال وتصدقت يوما بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم الى فوجدته لا على ولا لى قال سفيان وقد و واحدا ما أحسن حاله حيث وجدها لا له ولا عليه فقد أحسن اليه ومن أوذى أو اغتيب فليحتسب عرضه عند الله تعالى فاصل ذلك يكون سببا افساده فقد روى ان العبد ليحاسب على أعماله كلها فتبطل بدخول الآفات فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له أعمال من الحسنات لم يكن عملها فيستوجب بها الجنة فيعجب من ذلك فيقول يارب هذه أعمال ما عملتها فيقال هى أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك جعلت حسناتهم لك ولا تحقرن شيأ من الاعمال وان قل فتقلبه من النية أو تصغره فربما كان هلاكك وصاحبه فيه وهو لا يعلم وقد روى ابن المبارك عن الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بيني وبينك الله تعالى فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت من حائطى تبنة وان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول هذا أخذ من ثوبى زئبرة ومات حماد بن أبي سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة فقيل للثورى ألا تشهد جنازته فقال لو كانت لى نية لفعلت ومات الحسن البصرى فلم يحضر ابن سيرين جنازته فسئل عن ذلك فقال لم يكن لى نية وقد كان العلماء اذا سئلوا عن عمل شيء أو حضور فيه يقولون ان رزقنا الله نية فعلنا ذلك وقال يحيى بن كثير حسن النية في العمل أبلغ من العمل وقال بعض السلف كانوا يستحبون ان يكون لهم في كل شيء نية وقال الفضيل بن عياض لا تحدث الا بنية وكان بعضهم يقول الخوف على فساد النية وتغيرها أشد من ترك الاعمال وقال الثورى من دعا رجلا الى طعامه وليس له نية ان يأكل فان أجابه فأكل فعليه وزران وان لم يجبه فعليه وزر واحد فسر عليه وزرين بانه أكل طعامه بغير نية لتعرضه للمقت وحمله أخاه على ما يكره لو علم لما أجابه فمن أفهمه الله تعالى اخلاص النية وزاده معرفة الاخلاص أخرجه ذلك الى الهرب من الناس ليخلص له معاملته لانه ينظر بعين اليقين واذا لا يطلعه شيء الا شيء بينه وبين الله عز وجل لا شرك فيه لسواه وهذا المعنى هو الذى أخرج طائفة الابدال الى الكهوف تخليا من أبناء الدنيا لخلاص أعمالهم الى النظر اليهم فهم وان فارقوا فضائل الاعمال من صلاة الجماعة وغيرها فقد تقرر عندهم ان اجتناب معصية واحدة خير من عمل سبعين طاعة فلذلك فارقوا فضول النوافل خشية دخول معصية واحدة عليهم والجاهل بالله عز وجل يعمل في طلب الفضائل ولا يبالى بيسير الذنوب وفيها بعد من الله تعالى وليس ذلك طريق المقربين وقد تختلف النيات لاختلاف المقاصد فيصير ما كان حدا قربا بحسن النية وما كان حسنا سيأ لسوء النية به من ذلك ان داود المحبر لما صنف كتاب العمل جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحا ثم رده اليه فقال مالك قال فيه أسانيد ضعفاء فقال له داود أنا لم أخرجه على أسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت بعين العمل فانتفعت به قال أحمد رده على حتى انظر فيه بالعين التى نظرت بها فرده عليه فمكث الكتاب عنده طويلا حتى اقتضاه اياه ابن المحبر ثم رده عليه وقال جزاك الله خيرا قد انتفعت به منفعة بينة وقال الحسن النية أبلغ من العمل وقال ابن آدم لا يهم بخير الا ثار في قلبه منه نور فان كانت الاولى لله عز وجل فلا تضره الاخرى يعنى ان كان عنده الاخلاص في الخير في الهمة الاولى فلا تضره الوسوسة التى تخالجه بعد ذلك فانها ضعيفة لا تحل قوة العقد ولا تحل بحكم مبرمه وقال يوسف بن أسباط تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد وحدثونا عن بعض الصوفية قال كنت في جامع أبي عبيد التسترى وهو يحرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال أبو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عينى فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال سألنى ان أحج معه فقلت لا فقال ألا فعلت قال ليس لى في الحج نية وقد نويت ان أتم هذه الارض العشية فأخاف ان حججت معه لاجله أتعرض لمقت الله تعالى لانى أدخل في عمل الله تعالى شيأ غيره فيكون هذا عندى أعظم من سبعين حجة ومن كان له في مباح نية

وكذا انه لا يستوى عنده الدينار والدرهم من طريق الطبع ويستويان عنده في المقدور لان الله تعالى اذا جعل له البركة في الدرهم كان أنفع له من الدينار اذا نزع منه البركة فيستويان في المقدور ولا يستويان في النظر والعادة انما تكون كذلك اذا استغرقت عظمة الله تعالى همومه واستولى على قلبه معرفة قدرته فصغر عنده ذلك كل ما دونه عنده كما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه أخذ باذن السبع وطرده فلما عظمت هيبة الله في صدورهم لم يهابوا معه غيره في الفزع

*(فصل)* قد منا في غير موضع من الفصول السابقة ان السبب لا ينافى التوكل وكيف ينافيه مع أن ترك السبب للمضطر أولى له مثال حرام وسئل بعضهم عمن خرج من قلبه أكثر الاغيار وبقى عنده يسير منها فقال المكاتب عبد ما بقى عليه درهم ولا تحصل الحرية الا لمن عتق كله من العبودية قال عليه الصلاة والسلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وكذا ترك التداوى والاستسلام للمهلكات حرام فمن احتاج الى القوت وتعاطى السبب لاجل القوت ولم يتكل على السبب بقلبه بل على خالقه وسببه فهو متوكل وكذا استصحاب الزاد في السفر في البوادى لا ينافى التوكل بل هو سنة الاولين وانما الذى ينافى التوكل هو تعلق القلب به وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد المتوكلين وقد كان يحمل معه الزاد في الاسفار

ولم تكن له نية في فضيلة فالافضل هو المباح حينئذ وقد انتقل المعنى فصار المباح هو الفضيلة وصارت الفضيلة هي النقيصة لعدم النية فيها وهذا لا يعلمه الا العلماء بباطن العلم وهو من غوامض التصريف مثل ان يكون رجل قد ظلم فله ان ينتصر وان عفا كان أفضل الا انه له نية في الانتصار وليس له نية في العفو فالانتصار هو الافضل ومثل ان تكون له نية في الاكل والشرب والنوم ليتقوى بها على الطاعة ويريح بها نفسه لوقت آخر وليس له في الصوم ولا في القيام نية فقد صار الاكل والنوم حينئذ هو الافضل وقد كان أبو الدرداء يقول اني لاستجم نفسي ببعض اللهو ليكون ذلك عونا لي على الحق وكل عمل مباح للعبد فيه نية فهو مأجور عليه وكل عمل فاضل لا نية للعبد فيه فأحسن حاله السلامة منه لا له ولا عليه وربما كان مأزورا فيه اذا دخلت عليه نية دنيا وكل عمل مباح أو فضل ليس للعبد فيه نية فهو عقل لا شيء له فيه ولكنه يسئل عن فراغ وقته وكل عمل فاضل للعبد فيه نية فالعمل باطل ونيته هوى وانما وجد النية فيه لقصور واختفاء لشهرته فان أراد به وجه الله تعالى سلم من عاقبته ولا فضيلة له به وان كان قد خفي عليه الهوى أو دق عليه لطيف حب الدنيا لجهله بالعلم فهو مأثوم فيه لتقصيره في طلب العلم الذي يعرف به الاخلاص وسكونه على الجهل الذي يدخل منه الانتقاص ولا عذر له في ذلك وقد جاء في الخبر ان الله تعالى لا يعذر على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه وقد قال الله سبحانه وتعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * وقد كان سهل رحمه الله تعالى سئل ما عصي الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل قال نعم قيل ما هو قال الجهل بالجهل يعني ان يكون العبد جاهلا وهو لا يعلم انه جاهل أو يحسب بجهله انه عالم فيسكت عن جهله ويرضى به فلا يتعلم فيضيع فرض الفرائض وأصل الفرائض كلها وهو طلب العلم ولعله ان يفتي بالجهل أو يتكلم بالشبهات وهو يظن انه علم فهذا أعظم من سكوته وكذلك أيضا ما أطيع الله تعالى بأفضل العلم ومن العلم العلم بالعلم أي شيء هو وذلك أيضا واجب من حيث كان العلم واجبا ليكون على بصيرة من تعلم العلم لانه قد دخل مذهب المتكلمين وأقوال الغالطين من الصوفية والقصاص في شبهات العلم فصار زخرفا من القول غرورا يشبه العلم وليس بعلم لالتباس المعنى بعضه ببعض ولاشكال دقائق العلوم وغرائبه وخفاء السنة من طريقة علماء السلف فاختلط لذلك القصاص والمتكلمون بالعلماء فصار معرفة العلم أي شيء هو والعلم بالعالم من هو علم آخر وصار العالم بالعلم ما هو دون الزخرف من القول كانه عالم فكان أيضا العلم بالعلم بمنزلة فضل العلم ووجب وجوبه كما كان الجهل بالجهل أعظم من الجهل وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول قسوة القلب بالجهل من قسوته بالمعاصي لان الجهل ظلمة لا ينفع البصر فيه شيئا ونور العلم يهتدي به القاصد وان لم يعش * وقد قيل في تفسير قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قال عملوا أعمالا لجهلهم ظنوا انها حسنات فوجدوها سيآت وقيل ذنوب بغيرهم طرحت عليهم فعذبوا بها ولم يكونوا يحتسبون بها في الدنيا يعني هذا مثل ما روي في الخبر ان العبد ليرى من أعماله الحسنات ما يرجو به المنازل في الجنة فتلقى عليه سيآت لم يعملها فتذهب بحسناته كلها فيستوجب النار فيقول يارب هذه سيآت ما عملتها قط فيقول لك بها فيقول هذه ذنوب القوم الذين اغتبتهم وآذيتهم وظلمتهم ألقيت عليك وتخاصموا منها وقد روينا في معناه حديثا مسندا من النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليوافي القيامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له دخل الجنة ويأتي قد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا تبقى له حسنة فتقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وقد بقي طالبون كثير فيقول الله تعالى ألقوا عليه من سيآتهم ثم صكوا له صكا الى النار ويبقى العبد ان أراد ان يعمل عملا ان يثبت له فيجدد له نية حسنة ثم يقف وقفة فيتفقد هل يدخل عليه في ذلك آفة واحدة أو أكثر فيخرج ما دخل عليه من الآفات بمشاهدة اليقين ثم يعمل ذلك العمل فهو وحده لا شريك له في قصده ووجده وطلبه وثوابه سواه ثم يستقيم على ذلك العمل فان دخلت عليه آفة في خلاله نفاها حتى يكون قائما بشهادته فهذا

---

وكذلك الصحابة رضي الله عنهم حملوا معهم الزاد في الاسفار وفيهم المتوكلون وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يحمل الزاد في السفر الا ليبان ان حمله سنة ليقتدى به فيه وأما التوكل فكان حاله لان قلبه لم يتعلق بالزاد ولا بشيء من الدنيا وانما كان ينوي بحمله معونة المسلمين واعانة المحتاجين وارفاق غيره ممن هو ضعيف في التوكل فان قيل فالقوي في التوكل كالنبي والولي اذا انفرد بالسفر هل الافضل في حقه حمل الزاد أو تركه قلنا الافضل في حقه الترك فان قيل هل الافضل هو الاصلح في حقه قلنا الافضل غير الاصلح لان الافضل المعلوم والاصلح غير معلوم اذ لا دليل يدل عليه فلا يلزم من كون الشيء أفضل أن يكون أصلح نعم قد يتفق أن يكون هو الاصلح ويعلمه النبي بوحي من الله تعالى فيعلم هذا كله ان السبب مطلقا لا ينافي التوكل وأما السبب الذي ينافي التوكل فهو الاستقصاء في حال المعيشة واستنباط دقائق الامور والحيل في تحصيل المال فان ذلك ثمرة الحرص وطول الامل وقد يحمل ذلك على تحصيل المال من جهة الشبهات وأما الادخار فان ادخر ليومه فقط لم يقدح ذلك في كمال التوكل وان ادخر لسنة فما فوقها قدح في كمال التوكل عند الاكثرين لما فيه من طول الامل وكذا الادخار لاربعين يوما فانه يقدح فيه عند سهل

هو الاخلاص لان المخلص يحتاج فى اخلاصه الى شيئين ليس أحدهما أولى به من الآخر صحة القصد لوجه الله تعالى وطلبه ما عنده من الآخرة ثم اخراج الآفات وحذر على ذلك العمل من دخولها عليه الى فراغه منه فبذلك يتم اخلاصه ويصفو من كدرة الهوى ويخلص من الشهوة الخفية فيكون خالصا من الرياء بالاخلاص صافيا من الشهوة بفقد دخول الآفة كما روى فى الخبر أخوف ما أخاف على أمتى الرياء والشهوة الخفية قيل حب الدنيا وقيل العمل لان يؤجر العبد ويحمد ثم اذا هم العبد بعمل وقف قبله وقفة فتدبره وتفكر كم فيه من نية قربة أو يجد فى العمل الواحد عشر نيات أو خمسا وما بين ذلك اذا كان يحتمل ذلك العمل من وجوه البر ومعانى القربات المندوب اليها فيكون له بكل نية عمل فيؤجر على العمل الواحد عشرة أجور لانه عشرة أعمال أو خمسة يكون لكل نية عمل وبكل عمل أجر وهو من فضائل الاعمال وتضاعيف الحسنات ولا يعلمه الا العلماء بالله تعالى وبأحكامه وهو طريق الابدال من صالحى أهل الاحوال فبذلك زكت أعمالهم وارتفعت مقاماتهم وكثرت أجورهم وحسنت حالاتهم لا بكثرة الاعمال لكن بحسن نياتهم ووجود النيات الكثيرة فيها وقد جاء فى الاثر من عمل عملا يريد به وجه الله لم يزل فى مقت من الله حتى يفرغ وقد قال بعض الادباء من لم يشكرك على حسن النية فيه لم يشكرك على حسن الصنيعة اليه وأنشدوا فى معناه

لأشكرنك معروفا هممت به ❊ ان اهتمامك بالمعروف معروف

ولا ألومك اذ لم يمضه قدر ❊ فالشئ بالقدر المكتوب مصروف

ولو لم يكن فى تجديد النية الحسنة وتفقد الهمة العالية الا ان صاحبها لا يزال عاملا من عمال الله تعالى بقلبه وهمه وان لم يساعده القدر على الافعال بجوارحه فيكون أبدا مأجورا ولو لم يكن فى نية الشر والهمة الدنية الا ان صاحبها فى بطالة وخسارة وان لم يساعده المقدور على الافعال السيئة بجوارحه فيكون خاسرا أبدا مأزورا ونعوذ بالله من ذلك وقال بعضهم انى لأستعد النية فى كل شئ حتى فى أكلى ونومى ودخولى الخلاء والنية فى هذا التقوى على الطاعة والاستعانة به على الخدمة لان النفس مطيتك ان قطعت بها نقطعت بك ونية التطهر من الثقل لاجل الدين فكان الناس لشدة تفقدهم وحسن رعايتهم صادقين فى ترك كثير من أعمال البر لضعف النية ويعملون فى احكام الاصل قال ابن عيينة انما حرموا الوصول لتضييع الاصول والنية أصل الاصول لانها فرض الفرائض وقال بعضهم انما أبعد القلب من الله عز وجل مظاهر أعمال الجوارح بغير مواطأة من القلب بصحة القصد يعنى بذلك نقص الاخلاص الا لاجل الله تبارك وتعالى فالنكاح من معظم شأن الدين فنيته فيه أن لا يتزوج المرأة لجمالها ولا لمالها ولا لحسنها بل لدينها وعقلها ثم ينوى السنة لها والعفة والتحصين لهما ويقنع بالمرأة الدون من غيرها وفى الخبر من نكح لله عز وجل وانكح لله تعالى استحق ولاية الله تعالى وأفضل الاعمال ما دخل فيه لله عز وجل وخرج منه لله ولم يعتوره بعد ذلك علة وأعلى من هذا من دخل فى الاعمال بالله عز وجل وثبت فيها مع الله وخرج منها بالله تعالى وهذا مقام الموحدين من الموقنين والعارفين فاهم الاعمال وأخلصها ما كان لله تبارك وتعالى هو الاول فى أولها ومع العامل فى أوسطها والعبد عندها والله تعالى هو الآخر عند آخرها ثم لا يظهرها بعد ذلك ولا يتظاهر بها ولا يطالع عوضا عنها من الكبير الا كبر بل ينساها ويشتغل بذكر مولاه عنها والقعود فى المساجد من أفضل شأن الدين وفضائل أعمال المتقين فليكن له فيه عشر نيات منها زيارة مولاه عز وجل فى بيته كما روى من قعد فى المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره ومنها انتظار الصلاة بعد الصلاة كما روى فى معنى قوله تعالى ورابطوا وهى المرابطة ومنها كف سمعه وبصره وترهبه فى تاليه كما روى رهبانية امتى القعود فى المساجد ومنها العكوف وحقيقته عكوف الهم على القلب وعكوف السر بالتألّه الى الله عز وجل ومنها ذكر الله تعالى واستماع ذكره والتذكير به كما روى من غدا الى المسجد يذكر الله تعالى ويذكر به كان كالمجاهد فى سبيل الله ومثل ذلك اذا جلس ليعلم علما أو يتعلمه كان أيضا كالمجاهد أو جلس

ابن عبد الله وقال ابراهيم الخواص لا يتقدح فيموه هذا التغير الميل أما من يه عائلة الى ان يدخر لعياله قوت سنة وقد روى انه صلى الله عليه وسلم كان يدخر لعياله ولمن يقصده من أهل الفاقة ومن يرد عليه من الوفود قوت سنة وأما فى حق نفسه فكان صلى الله عليه وسلم لا يدخر من غدائه لعشائه وأما ادخار القوت فى الصيف للشتاء فكذلك جائز فى فتوى العلماء بالله وكذلك ادخار أثاث البيت وماعونه فانه يحتاج اليه فى كل وقت وأما ادخار ثوب الصيف فى الشتاء للصيف وعكسه فقالوا انه على خلاف التوكل قلت وينبغى ان يخرج ذلك على ادخار قوت الشتاء فى الصيف للشتاء وقد يدرك الفرق بينهما قال السادة الائمة رضى الله عنهم وما ذكرناه من ترك الادخار المفرد أولى من فعله فى حق من حاق نفسه وقوى قلبه وأما الضعيف الذى يضطرب قلبه اذا لم يدخر ولا يتفرغ للعبادة فالافضل له أن يدع طريق المتوكلين ولا يحمل نفسه خلاف طاقتها اذ فساد ذلك فى حقه أكثر من صلاحه

❊(فصل)❊ الرزق ثلاثة أقسام مضمون ومقسوم وموعود فالرزق المضمون هو ما تقوم به البنية ولا بقاء للنفس بدونه وهذا هو المعروف الذى يجب التوكل فيه لان الله تعالى قد ضمنه بقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وأما الرزق المقسوم فهو ما قسمه الله تعالى

لاستفادة أخ في الله عز وجل أو لتنزل رحمة الله أو لترك الذنوب خشية أو حياء كما روينا في حديث الحسن بن علي عليهما السلام من أدمن الاختلاف الى المساجد رزقه الله تعالى احدى سبع خصال أخا مستفادا في الله تعالى أو رحمة مستنزلة أو علما مستطرفا أو كلمة تدله على هدى أو تصرفه عن ردى أو ترك الذنوب خشية أو حياء منه فاخلاص النية هو بخروج اضدادها من القلب وعن القصد والهمة وان كثر اعداده لتنفرد النية بقصدها ويخلص العمل بانفراد النية لتوجه الواحد الفرد المقصود بها كما روى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها وانتفع بها في غزاتي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب الغزاة فأملى عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي فقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في والله ما خرجت أتجر ولا معي تجارة أتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال لي يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه ما يرى

*(فصل)* ومن المناقص المشبهة بالفضائل الملتبسة على الافاضل لشهرة فضلها وروعة الهموم لدخول فيها والتصبر لها وهي منكشفة للعلماء بالله تعالى ما روى ان رجلين تآخيا في الله عز وجل بعد رفع عيسى ابن مريم الى السماء فترهب أحدهما وهو سرجس ولزم أخوه الآخر الجماعة والمساجد ومخالطة الناس وكان أعلم منه بالله عز وجل وكان يلقى أخاه سرجس فيقول يا أخي ان هذا الامر الذي دخلت فيه بدعة وان عليك فيه رعاية لا تقوم بحقها وانه ليس لله فيه رضا ولو دخلت معي في الجماعة والالفة كان ذلك لله تعالى رضا وأصبت السنة فكان المترهب يعرض عنه ولا يعبأ برأيه ويقول له انك قد ركنت الى الدنيا وأنست بالخلق فلما أعياه قال له فاجعل فطرك عندي الليلة حتى يتبين ذلك ففعل فقدم اليه فرخين شواهما وقال له تعال حتى نجعل هذين الفرخين قاضيين بيننا قال حتى يدعو الله كل واحد منا فمن كان سيرته وهديه أحب الى الله ورسوله يبعث بدعائه هذين الفرخين حتى يطيرا حيين قال نعم فادع أنت فدعا الراهب فقال اللهم ان كان هذا الامر الذي دخلت فيه أريد به رضاك أقرب الى الحق مما يدعوني اليه أخي هذا فابعث هذين الفرخين الي قال فلم يجب فقال الآخر اللهم ان كان هذا الامر الذي تمسكت به وخالفت فيه هذا وأصحابه أقرب الى الحق وأرضاهما عندك مما يدعوني اليه أخي هذا من الاعتزال والفرقة للجماعة فابعث لي هذين الفرخين قال فصارا حيين فطارا باذن الله تعالى فعلم الاخ ان ذلك ليس لله رضا فرجع الى الجماعة والمساجد ومن التباس الفضائل العالية ترك العبد حاله في مقامه طلبا للفضيلة ليزداد بها قربا الى الله عز وجل فينقلب عليه فيهلك كما أدخل العدو على برصيصا العابد في تعليم الاسم الاعظم وقصته مشهورة فالعالم عند العلماء من علم خير الخيرين فسبق اليه فقبل فوته وعلم شر الخيرين فاعرض عنه لئلا يشغله عن الاخير منهما وعلم أيضا خير الشرين ففعله اذا اضطر اليه أو ابتلي به وعلم شر الشرين فامعن في الهرب منه واحتجب بحجاب بينه وهذا من دقائق العلوم

*(فصل)* وقد تلتبس النية بالامنية فتخفى والهمة بالوسوسة فتشتبه والنية ما كان يراد به وجه الله عز وجل ويطلب به ما عنده والامنية ما تعلق بالخلق ويطلب منه عاجل الحظ من الملك الفاني وقد تلتبس الارادة بالمحبة والحاجة بالشهوة فالارادة ان يريد وقوع الامر وقد لا يحب كونه أو يريد أيضا وجود ضده والمحبة ما قهر العقل وغلب الوجد وحل في مجامع القلب وكره وجود غيره ولم يرد ضده والحاجة ما اضطررت اليه ولم يكن منه بد ولا يستغنى عنه بغيره والشهوة مزيد لذة واستدعاء فضل فاقة واجتلاب تقدم عادة وقد يختلط الذكر بالقلب بالفكر في معاني القرب فالذكر ما أظهر المنسي وكشف الغي والذكر الشكر والفكر مأمور لامر وأظهر الخير وقد يلتبس الرجاء بالمحبة والهوى بالنية فالرجاء ما طمعت فيه بسبب ما والمحبة ما تطمعت

وقدره في اللوح المحفوظ من المأكل والمشرب والملبس وأما الموعود فهو ما وعد الله به بشرط التقوى حلالا من غير كد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فهذه أقسام الرزق والتوكل انما يجب في المضمون منها دون القسمين الآخرين لان المقسوم مجهول عندنا لا يعلم قدره ولا وقته ولا امكان حصوله فيجوز التسبب فيه ولا يجب التوكل فيه بل يتسبب والموعود مشروط بشرط وهو التقوى ونحن لا نعلم حصول صفة التقوى لنا فيجوز لنا طلبه أيضا والتسبب فيه ولا يجب التوكل فيه بل يتسبب واختلفوا هل يجب على العبد طلب الرزق أم لا يجب عليه ذلك قال العلماء الرزق مضمون وهو ما به تقوم البنية لا يجب طلبه اذ هو شيء من فعل الله تعالى بالعبد كالحياة لا يقدر العبد على تحصيله وأما الرزق المقسوم فلا يجب على العبد طلبه لانه لا حاجة له اليه انما حاجته فيما تقوم به البنية وهو المضمون وقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله فهذا مردود بعد الحظر فلا يكون للوجوب بل للاباحة واعلم ان الرزق لا يزيد بالطلب ولا ينقص بتركه لانه مكتوب في اللوح المحفوظ مفروغ منه قال عليه الصلاة والسلام السائل لو لم تأتها لأتتك فالجود الالهي عم الخليقة والرحمة الربانية شملت الكل فالجود عام والرزق مبذول نشر عليهم الحب

ذوقه ووجده نه بغير تسبب تستخرجه وقد يلتبس ذل القلب بضعفه ومؤنه الطمع في الخلق بذل النفس لمشاهدة عز الخالق سبحانه وتعالى وقد يتداخل ذل الطمع لدناءة الهمة والنفس بذل العقل للاعتراف بالحق وخضوع المذلة وقد يلتبس ذل النفس لغلبة الهوى وقهر العقل بذل القلب لسرعة الانقياد للعالم الحق وقد يختلط عز القلب بتقلبه بدوام النظر اليه وعز العقل بعلمه الذي كبر عنده وقد تلتبس عزة النفس بوصفها المتسلط بعزة الايمان المعزز بغيبة اليقين فهذه فروق ظاهرة للعارفين وخروقه مستترة ترهب الغافلين وقد تلتبس العبادة بالعادة مثل أن يكون للعبد نية في علم أو عمل أو صدقة أو نفقة الشهر والسنة ثم تعزب نيته فيبقى على عادته برب حاله الذي قد عرف به لا يحب أن يخرج من عرف الناس فيعمل لاستقامة الحال على التكلف بتلك الاعمال فتذهب النية وتبقى العادة فيخرج بذلك من ارادة الآخرة والسعي لها ويدخل في ارادة الدنيا بالشهوات على جريان العادة بها وقد يشهد شهادة الدنيا من طلب الرياسة لوجود الهوى بطرقات الآخرة في معنى العلوم والاعمال فما طلب من أعمال السلف وأريد به تأديب النفس ويطلب به الزهد في الدنيا فهذه طرقات الآخرة وما كان على ضده فهو طرقات الدنيا اذ هو ضدها وقالوا كان الناس اذا علموا عملوا واذا عملوا اشتغلوا واذا اشتغلوا هربوا وقالوا تفقهتم ما نزل وقد يلتبس اظهار الاعمال وكشف ما كتم من الاحوال لاجل التأديب به والاتباع عليه أو لاظهار قدرة الله عز وجل وآياته لمزيد السامع من المعرفة بفعل مثل ذلك التزين والفخر أو للمدح به وطلب الذكر وسئل أبو سليمان عن الرجل يخبر بالشئ عن نفسه فقال اذا كان اماما يقتدى به فنعم وقال مرة هو أو غيره يختلف ذلك على قدر الارادة به اذا أراد التأديب للنفس حسن ذلك فهذا يلتبس بمداخلة النفس أو بخفاتها بقيومية شاهد اليقين للرب عز وجل

*(فصل)* ترك العمل على كثير يحتاج التارك للنهي أو المنكر وفرضا أو ورعا الى نية حسنة أن يتركه لله عز وجل طلب ما أمنه أو رغبة فيما عنده لا لوجود الخلق ولا ليربه به حاله أو يقيم به عند العبيد بجاهه لان ترك المعصية من أفضل الاعمال فيحتاج الى أحسن النيات اذ علمها من الله تعالى الى أجزل المثوبات لمساوى النفس بها واضطراب الوصف اليها وقال بعضهم من أحب أن يعرف ورعه غير الله تعالى فليس من الله في شئ وروى عن زكريا عليه السلام ان قوما دخلوا عليه وكان يعمل في حائط القوم بالطين وكان صانعا يأكل من كد يديه فقدم اليه عندهم رغيفيه وجعل يأكل ولم يدعهم حتى فرغ فسألوه عن ذلك لعلمهم زهده وكرمه فقال اني أعمل للقوم بأجرة وقربوا الي هذين الرغيفين لاتقوى بهما على عملهم فلو أكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فهذا من ترك فضلا للفرض وممن كانت له نية في الترك كما تكون له في الفعل وقال بعضهم دخلت على سفيان بن أبي عاصم وهو يأكل فما كلمني حتى لعق أصابعه ثم قال لولا اني أخذته بدين لاحببت أن تأكل منه وقد روينا في الخبر ان أعمى مر بنفر قعود يتكلمون بكلام فيه استهزاء ولهو فظن انهم يدعون الله عز وجل فقال مثل ما يقولون بحسن نيته قال فغفر الله لهم بحسن نيته وقال الحسن من علامة المسلم أن لا يبدره لسانه ولا يسبقه بصره ولا تقصر به نيته يعني لا تضعف ولا تقعد به عن المسارعة الى القربات هي ابدا في قوة وزيادة وان قصرت أعماله فيها وعجزت قوى جوارحه وقال المؤمن تبلغ نيته وتضعف قوته والمنافق تضعف نيته وتبلغ قوته وقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شئ من عمل الله عز وجل وقال الحواريون لعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام يا روح الله ما الاخلاص لله عز وجل قال الذي يعمل العمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد من الناس قالوا فمن الناصح لله عز وجل قال الذي يبدأ بحق الله تعالى قبل حق الناس واذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة بدأ بأمر الله تعالى قبل أمر الدنيا فحب المحمدة من الناس أصل هو فرعها وهو يحب أن يعرف مكانه ويريد الاشتهار وينوي بقلبه محبة الاعظام له من وجوه الانام

ولقائل أن يقول ان الثواب والعقاب أيضا مكتوب في اللوح المحفوظ فلم لا سقط طلب الثواب وطلب الخلوص من العقاب وتركه ذلك بالطلب ينقص بتركه قلنا انما وجب طلب الثواب لان الله تعالى أمر به وتوعد على تركه ولم يضمن الثواب على غير فعل منا وزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد والفرق بينهما في نكتة وهو ان المكتوب في اللوح المحفوظ قسمان قسم هو مكتوب مطلقا من غير شرط وتعلق بفعل العبد وهو الرزق والاجل وقسم هو مكتوب بشرط وذلك الشرط هو فعل العبد وطاعته وعصيانه وهو الثواب والعقاب فان قيل نحن نرى الطالبين تحصل لهم الاموال والارزاق ومن ترك الطلب يبقى فقيرا عادما قلنا ونحن نرى كثيرا تأتيهم الاموال والارزاق بلا طلب وأما كون الناس تراهم تحصل لهم الاموال والارزاق اذا طلبوا فذلك عند الطلب لا بالطلب لموافقة القدر حكي أن جماعة دخلوا على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم في أي موضع هو فاطلبوه قالوا نسأل الله ذلك قال ان علمتم ان الله ينساكم فذكروه قالوا ندخل البيت فنتوكل قال أتجربون الله بالتوكل قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة

*(فصل)* كانت طريقة البغداديين من الصوفية ترك المعلوم من المعلوم وهي طريقة الاقوياء من المتوكلين وطريقة البصريين منهم الوقوف

ولا ينفعه مع هذه النية احتقاره في الآثام وعمله غير مقبول كما روى ان عابدا من بني اسرائيل عبد الله تعالى في سرب أربعين سنة فكانت الملائكة ترفع عمله في السماء فلا يقبل فقالت ربنا وعزتك ما رفعنا اليك الا حقا فقال عز وجل صدقتم ملائكتي ولكنه يحب أن يعرف مكانه فلذلك قال بعض السلف من نجا من الكبر والرياء وحب الشهرة فقد سلم وقال الثوري ما عالجت شيأ أشد على من نيتي لانها تقلبت على يعني تتشرد وتضعف فتحتاج الى مداواتها كما قال المنصور المداومة على العمل حتى يخلص أشد من العمل وقال الثوري ما اعتد بما ظهر من عملي وقال على رضي الله تعالى عنه كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فانه لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقال بعضهم من استوحش من الوحدة وأنس بالجماعة لم يسلم من الرياء وقال عبد العزيز بن أبي رواد أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح فاذا بلغوه وقع عليهم الهم أيتقبل منهم أم لا ● وقال مالك بن دينار الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل وقال ابن عجلان العمل لا يصلح الا بثلاث التقوى لله عز وجل والنية الحسنة والاصابة وقد فسر الفضيل قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال أخلصه وأصوبه قيل وما ذاك قال العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وقال النباجي العمل أربع خصال لا يتم الا بهن معرفة الله عز وجل ومعرفة الحق والاخلاص به والعمل على السنة فأي عمل كان قبل هذه الاربع لا ينفع فمنهم من يكون حسن الاداء للفرض كثير الندم والاشفاق من معاصيه فيكون هذا أحسن حالا ومنهم من يكون سيء الاداء قليل الحزن والندم على ذنوبه فيكون هذا أسوأ حالا وليس يجدون في ذلك على قياس واحد والله يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لما سبق لهما في علمه ولما نفذ لهما من مشيئته وحكمه وقد يشترك الاثنان في معصية ويتفاوتان في حكم المشيئة ويتوب الله على من أحب ويتقبل ممن يحب والقبول غير العمل على العبد العمل والى المولى القبول يقبل عن عبيده ويرد ما يشاء ممن يشاء والسابقة غير المعصية السابقة في المشيئة يغفر لمن سبقت له الحسنى جميع معاصيه السوأى ويعذب من حقت عليه كلمة العذاب ويحبط أعماله الحسنى والخلق مردودون الى السابقة ومحكوم عليهم بعلم الله تعالى فيهم وفي الخبر هلك المصرون قدما الى النار والاصرار يكون بمعنى ان يعتقد بقلبه متى قدر على الذنب فعله أولا يعقد الندم عليه ولا التوبة منه وأكبر الاصرار السعي في طلب الاوزار وفي الخبر سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فهؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى من المقربين أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم أوزارا وضعتها الاذكار وقال تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون هذا ما علمناه من أدلة العلوم وتأويل التنزيل وعلم الله تعالى وارادته من وراء ذلك كله وعلمه القديم ولله عاقبة الامور ●(مسئلة محاسبة الكفار) وفأما محاسبة الكفار فهذه مسئلة اختلف الناس فيها فمنهم من ذهب الى أنهم يحاسبون ومنهم من أنكر حسابهم وقد اختلف الآثار في ذلك فقد جاء في بعضها ما يدل على حسابهم وبه تعلق من قال به وجاء في كثير منها ما يدل على انهم لا يحاسبون وبه احتج من أنكر حسابهم وانما يرجع هذا الاختلاف الى كتاب الله تعالى ففيه الشفاء وبه الغنى فيفصل ما أجمل القائلون ونعدل في القول الشديد فيما تأوله المتأولون فنقول والله أعلم ان الله سبحانه ذكر في كتابه آيتين تدل على مسئلة الكفار عن الشرك الذي أدخلوا في التوحيد وعن اجابة المرسلين وتكذيبهم قال الله تعالى ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ثم قال في الآية الاخرى ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فنقول انهم على هذا يسئلون عن التوحيد فقط وعن تكذيب المرسلين حسب ما في الآيتين وقال في الآيتين الاخرتين ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون وقال في الاخرى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان ثم قال يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فهذا نص في ترك المسألة على الذنوب والاعمال فنقول بهاتين الآيتين انهم لا يسئلون عن الاعمال وانما يحاسب على العمل من كانت بينه وبينه معاملة ومن

على الهلوم وذلك الطعام وهو طريق المريدين ولما قدم صوفية البصرة على الجنيد ببغداد من سهل بن عبد الله بالبصرة قال لهم الجنيد ما كنتم تعملون في الصوم قالوا الصوم فاذا أمسينا قمنا الى قفافنا أفقال آه آه لو كنتم بلا قفاف كان أتم لحالكم أي لا تسألون الى معلوم فقالوا لا نقوى على ذلك وقد اختلفوا الى عدل الاقوات ما رضيه الله تعالى للمساكين في الكفارة وهو مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي وقد أشرنا الى شيء من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب واعلم ان الاولى بسالك طريق الله تعالى ان يطلب البلاد لرخصة ولهذا كانت الشام وجبالها كثيرا ما يأوي اليها الصالحون لتيسر القوت بها ورخصه فيها قال سفيان الثوري رحمة الله عليه اذا سمعت في بلد برخص فاقصده فانه أسلم لدينك واجمع لهمك وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ قلته بيده فقلت الى أين يا أبا عبد الله فقال الى بلد املأ فيه جرابي بدرهم والسفر لطلب الرخص ورخاء السعر لا باس به فقد فعله الاكابر من أهل الدين كما حكيناه عن سفيان واختلف العلماء رحمهم الله تعالى في أن المريد اذا عدم قوته هل الافضل الاخذ له من الزكاة أو من صدقة التطوع فقال قوم بالاول لان أخذها واجب على الكفاية ولو عملا الفقراء كلهم على الامتناع من أخذها أثموا كلهم ولانه

تثبت له حسنات يقع بها ترجيح وموازنة وقد روينا عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون قال عن قول لا اله الا الله وقد رويناه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فهذا على معنى ما ذكرناه أنهم يسئلون عن التوحيد فالناس من أهل الجنة والنار يحشرون يوم القيامة على ست طبقات طائفة تدخل الجنة بغير حساب وهم السابقون المقربون وطائفة تدخل الجنة بعد الحساب اليسير وهم خصوص المؤمنين والصالحين ومنهم من يدخل بعد الحساب الطويل والمناقشة وهم أصحاب اليمين وعموم المؤمنين وكذلك أهل النار ثلاث طبقات طائفة تدخل النار بغير سؤال ولا حساب عالمات من عبدة الاوثان من ولد يافث بن نوح وهم يأجوج ومأجوج خلق خلقوا للنار وطائفة تدخل النار بعد الحساب الطويل والمناقشة وهم أهل الكبائر والمنافقون وطائفة بسؤال وتوقيف من غير محاسبة على الاعمال وهم أمم الانبياء المرسل اليهم المرسلون لقوله تعالى فلنسألن الذين أرسل اليهم الآية وقد روينا في الخبر المشهور من نوقش الحساب عذب فقيل يا رسول الله أليس الله تعالى يقول فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ذلك العرض ومن نوقش الحساب عذب وقد كان امامنا سهل بن عبد الله يقول يسئل الكفار عن التوحيد ولا يسئلون عن السنة ويسئل المبتدعون عن السنة ويسئل المسلمون عن الاعمال فاما قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم فلهما وجهان أحد الوجهين ان يكون هذا كلاما منفصلا عما قبله يراد به المسلمون لانه ذكر خبر الكفار فختمه بالعذاب فقال في أول الكلام الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر هذا آخر خبرهم ثم استأنف خبرا عن غيرهم فقال ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والوجه الآخر ان يكون قوله تعالى ثم ان علينا حسابهم أي جزاؤهم فالحساب إذا ذكر الكفار يكون بمعنى الجزاء على أعمالهم السيئة وكذلك قوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه بمعنى جزاءه الا ان الفراء وغيره من أهل اللسان خالفونا في هذا فاعتبروه بما بعده فجعلوه دليلا على المحاسبة قالوا احتمل ان يكون قوله فوفاه حسابه ان يكون جزاءه كما قلنا واحتمل ان يريد محاسبته فلما قيل والله سريع الحساب كشف التنزيل التأويل بذلك ان حسابه بمعنى محاسبته وكذلك قال الزجاج في تأويل ما ذكرناه آنفا من قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فقال معناه لا يسئلون لتوجه من قبلهم أو ليرجع اليهم من علم ذلك وسبقه عليهم أي قد فرغ الله عز وجل من ذلك فاحكمه بما سبق من علمه ووافقه مقاتل بن سليمان على هذا التأويل باختلاف معنى بمعنى صنعته التفسير لانه لم يكن له في اللغة تمكين فقال معنى ذلك ولا يسأل هؤلاء المجرمون عن ذنوب السالفين فجعل الهاء والميم على من تقدم ذكر من قارون واصحابه والقرون السالفة لان ذكرهم كان سياق هذا الخطاب في قوله تعالى أولم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ثم قال ولا يسأل عن ذنوبهم يعني هؤلاء المجرمون يعني مشركي هذه الامة وقال أيضا هو وغيره ان الكفار سألوا فقالوا أترى ماذا فعل الله تعالى بالقرون الاولى الذين يقص علينا نبأهم قال فنزلت هذه الآية فهي بمنزلة قول فرعون قال فما بال القرون الاولى فقال موسى عليه السلام علمها عند ربي الا ان الله عز وجل قد قال في ذكر الحساب بمعنى الجزاء عطاء حسابا بمعنى مجازاة وقيل كفاية بمعنى كفاهم وأحسبهم ذلك كما قال تعالى حسبهم جهنم أي كافيهم ذلك

* (الفصل الثامن والثلاثون في الاخلاص) * وشرح النيات والامر بتحسينها في تصريف الاحوال والتحذير من دخول الآفات عليها في الافعال قال الله الكبير المتعال وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله تعالى وقال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقد روينا في الحديث من طريق أهل البيت عليهم السلام لا يقبل الله تعالى قولا الا بعمل ولا قولا وعملا الا بنية وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أفضل الاعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله عز وجل فينبغي ان يكون للعبد في كل شئ نية حتى في مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه فان ذلك كله من أعماله التي يسأل عنها فان كانت

والمثل في جملة السالكين والربانيين التواضع والذلة لا مبالاة في أخذ الزكاة الواجبة لأحد الا لله تعالى ولا حق على آخذها لاحد سواه ولانه لا يؤمن أن يكون آخذ صدقة التطوع آكلا بدينه لانه قد يعطى لصلاحه وأما الزكاة فيستحقها المسلم بالحاجة فقط وقال قوم بالثاني لجريان صدقة التطوع مجرى الهدايا المأمور بقبولها ولئلا يزاحم المساكين ولعل آخذ الزكاة لا تتحقق فيه أوصاف مستحقها ولا يوجد فيه ما شرطه الله تعالى لواجبه ولان أهل البيت حرمت الزكاة عليهم دون صدقة التطوع على قول العلماء فالتطوع أوسع للعبد وممن ذهب الى ذلك ابراهيم الخواص وأبو القاسم الجنيد ومن وافقهما من العارفين

* (فصل) * وأما التفويض فهو أوسع معنى من التوكل لان التوكل قبل وقوع السبب والتفويض قبل وقوعه وبعد وقوعه وهو عين الاستسلام والتوكل شعبة منه قال الله تعالى حاكيا عن مؤمن آل فرعون وأفوض أمري الى الله فيجب على العبد تفويض جميع أمره الى الله تعالى ولا يختار لنفسه شيأ لان الاختيار لا يصلح الا لمن يكون عالما بجميع جهات الامور ظاهرها وباطنها والا فلا يؤمن من أن يختار الفساد والهلاك على ما فيه النجاة والصلاح وليس أحد اعلم بخفيات الامور وظواهرها

لله

لله تعالى وفيه كانت في ميزان حسناته وان كانت في سبيل الهوى ولغير المولى كانت في ميزان سيآته اذ لكل عبد ما نوى وان كان ذلك غفلة وسهوا من غير نية ولا عقد طوية ولا حسبة لم يكن له في ذلك شيء ولم يجد عمله في الآخرة شيأ وكان فيه لا له ولا عليه وكان ذلك في الدنيا على مثال الانعام التي تتصرف عن غير عقول ولا تكليف ولكن بالهام وتوقيف وأخاف ان يدخل في وصف من قال الله تعالى أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا أى غفلة وسهوا وقيل تفريطا وتضييعا وقيل مقدما الى الهلاك فالنية الصالحة هي أول العمل الصالح وأول العطاء من الله تعالى وهو مكان الجزاء وانما يكون للعبد من ثواب الاعمال على حسب ما يهب الله تعالى له من النيات فربما اتفق في العمل الواحد نيات كثيرة على مقدار ما يحتمل العبد من النية وعلى مقدار علم العامل فيكون له بكل نية حسنة ثم يضاعف كل حسنة عشر امثالها لانها اعمال تجتمع في عمل وصورة النية معنيان أحدهما صحة قصد القلب الى العمل بحسن التبقظ فيه والاخلاص به لوجه الله تعالى ابتغاء ما عنده من الاجر فكل عمل كان على علم بهذه النية فهو صالح متقبل بفضل الله تعالى ورحمته لان صاحبه قد اتقى الشرك والجهل والهوى فعمله مرفوع في الخزائن مدخر له الجزاء وحقيقة الاخلاص سلامته من وصفين وهما الرياء والهوى ليكون خالصا كما وصف الله تعالى الخالص من اللبن فكان بذلك تمام النعمة علينا فقال من بين فرث ودم لبنا خالصا فلو وجد فيه أحد الوصفين من فرث أودم لم يكن خالصا ولم تتم النعمة به علينا ولم تقبله نفوسنا فكذلك معاملتنا لله عز وجل اذا شابها رياء أو تعلق أو هوى من شهوة نفس ولم تكن خالصة لم يتم بها الصدق والادب في المعاملة ولم يقبلها الله تعالى منا فاعتبروا وروينا عن سعيد بن أبي بردة عن كتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى أبي موسى الاشعري انه من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله تعالى منه غير ذلك شانه الله تعالى فاعلمه وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم يا عمر ان الله تعالى عون العبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله تعالى اياه ومن قصرت عنه نيته قصر عنه من عون الله تعالى بقدر ذلك وقد قال الله تعالى في تصديق ذلك ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل سبب التوفيق ارادة الاصلاح فذلك هو أول التوفيق من الموفق المصلح للعامل الصالح وقال بعض السلف رأيت الخير انما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرا وان لم ينصب رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وكتب بعض الادباء الى أخيه أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل وقال داود الطائي من أكبر همه التقوى لو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بالله تعالى وأيامه همه الدنيا والهوى ولو تعلقت جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان مرجوعا الى ارادة الدنيا وموافقة الهوى لان سرها كان همة النفس لعاجل عرض الدنيا وقال محمد بن الحسين ينبغي للرجل أن تكون نيته بين يدي عمله وقال أيوب السختياني وغيره تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الاعمال وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العلم وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير وقال زيد بن أسلم خصلتان هما كمال أمرك تصبح ولا تهم لله تعالى بمعصية وتمسي ولا تهم لله تعالى بمعصية وكذلك قال بعض السلف في معناه ان نعمة الله تعالى أكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم أخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وروينا في الخبر عن بعض المريدين انه كان يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فاني أحب ان لا تجيء علي ساعة من ليل أو نهار الا وأنا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد وجدت حاجتك اعمل الخير ما استطعت فاذا فترت أو تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وروينا عن عيسى عليه الصلاة والسلام طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة وقد جاء في الخبر المشهور نية المرء خير من عمله * تفسير قوله نية المرء خير من عمله * فيه عشرة أوجه فقيل ان النية سر وأعمال السر تضاعف وقيل

ووجوه المفاسد والمصالح كلها الا الله رب العالمين وهو ناصح لك غير متهم ففوض اليه أمورك ولا تختر لنفسك شيأ وارض بقضاء الله وحكمه فانه واقع عليك لا محالة شئت أو أبيت لا يغنيك منه الحذر ولا يرفعه عنك السخط قال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليقل همك ما قدر يكون وما لم ترزق لم يأتك وسئل بعض السلف عن العبودية والربوبية فقال الرب يقضي والعبد يرضى فاذا قضى الرب ولم يرض العبد لم يكن في قلب العبد اقرار بربوبيته ولا اعتراف بعبوديته وقال صاحب منازل السائرين التفويض أخص من التوكل لانه قبل وقوع السبب وبعده وأما التوكل فانه بعد وقوع السبب فاذا التوكل جزء من التفويض لان العام جزء من الخاص قال والتفويض على ثلاث درجات الاولى ان يعلم ان العبد لا يملك قبل عمله استطاعة ومن هنا لم يصح التفويض لقدري ولا معتزلي وأن لا يأمن من مكر الله ولا ييأس من معونته الثانية معاينة الاضطرار فلا يرى عملا منجيا ولا ذنبا مهلكا ولا شيأ حاصلا وان الكل من الله وبالله الثالثة شهودك انفراد الحق بملك الحركة والسكون والقبض والبسط وقال يحيى بن معاذ من فر الى الله تعالى بدينه وهو متطلع في رزقه أو شيء من أموره الى أحد من المخلوقين من حي أو جماد ناطق أو صامت فهو يفر من الله تعالى لا الى الله قال علي بن محمد كنت بعيدا اسمع ابراهيم الخواص

فهو يتكلم في العلم ويسوله بجناحه فقال أن طلعت عليها الشمس وتجيت حتى وجدت حرها وهو جالس لا يعبأ بها فلما اشتدت قلت له يا سيدي ماترى أن تقوم الى الظل فقال ويلك ماتدلني الا على الشرك

•(باب الفقر والقناعة والايثار والجود)•

قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو هريرة وكن قنعا تكن أشكر الناس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال القناعة كنز لا ينفد وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقال صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن المسكين فقال المسكين الذي لا يجد ما يغنيه ويستحيي أن يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه ومعنى قوله يستحيي أي يستحيي من الله تعالى لا من الناس قال السادة الائمة الفقر هو نفض اليد من الدنيا ضبطا أو طلبا فلا يمسكها ان كانت عنده ولا يطلبها ان لم تكن عنده واسكات اللسان عنه ذما أو مدحا فان المدح والذم فيهما رائحة التشوق الى الممدوح والمذموم وفي الامثال اذا سمعته يسبه فاعلم أنه يحبه والانبياء عليهم السلام انما ذموها

وطلب

---

لانها غيب لا يطلع عليها غير الله تعالى والعاقل مستتر كقوله أيضا ان الله عز وجل يهم العبد خالصة لا يشوبها شئ اذا وجهها ولا يدخل عليها الآفات فهذا اعطاعهما وسائر الاعمال مدخولة وأيضا لانها من شرط العمل حتى لا يصح عمل الا بها وهي تصح بمجردها وكان عبد الرحيم بن يحيى الاسود يقول معنى قوله نية المرء خير من عمله يعني اخلاصه في العمل خير من العمل قال فالاخلاص بغير عمل خير من عمل غير مخلص والنية عنده هو نفس الاخلاص وعند غيره هو الصدق في الحال باستواء السريرة والعلانية وقد قال الجنيد رحمه الله تعالى في الفرق بين الاخلاص والصدق معنى لطيفا لم يفسره ويحتاج الى تفسير حدثنا بعض الاشياخ عنه قال شهد جماعة على رجل بشهادة فلم تضره وكانوا مخلصين ولو كانوا صادقين لعوقب يعني ان صدقهم ان لا يعملوا عمله أو مثل عمله الذي شهدوا به عليه فهذا صدق الحال وهو حقيقة النية واخلاصها عند المحققين وقد قيل في معنى قوله نية المرء خير من عمله لان نية المؤمن دائمة متصلة والاعمال منقطعة وبالنية خلد أهل التوحيد في الجنة وخلد أهل الشرك في النار لدوام نياتهم على التوحيد ودوام نيات الآخرين على الشرك مدة الدهر فهذه المعاني كلها على هذا الوجه الذي يقول فيه ان معناه ان النية خير من العمل وفيه وجه آخر يكون الكلام فيه على التقديم والتأخير أي نية المؤمن هي من عمله خير كأنه قال هي بعض أعماله الخير فهذا كقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها معناه نأت منها بخير وكما قال يسئلونك كأنك حفي عنها معناه يسألونك عنها كأنك حفي بهم فأخر قوله عنها ومعناه التقديم فيكون هذا على التأويل ان النية من أعمال القلوب وانها من أعمال العبد خير كثير وهذه الاقوال كلها صحيحة وهي موجودة في النية فضلت النية العمل لان هذه المعاني من صفتها وقال بعض التابعين قلوب الابرار تغلي بالبر وقلوب الفجار تغلي بالفجور والله تعالى مطلع على نياتهم فيثيبهم بقدر ذلك فانظر ما همك وما نيتك وروينا عن الله سبحانه وتعالى في بعض الكتب انه قال ليس كل كلام الحكيم أتقبل ولكني أنظر الى همه وهواه فمن كان همه وهواه لي جعلت صمته ذكرا ونظره عبرا وهذا داخل في عموم الخبر الذي روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى أجسامكم ولا الى أموالكم انما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وسئل سفيان الثوري هل يؤاخذ العبد بالنية قال نعم اذا كانت عزما أخذ بها وفي الخبر ان العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول ألقوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بذلك وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا فيقولون ربنا انه لم يعمل شيأ من ذلك فيقال انه نواه وفي حديث أبي كبشة الانماري الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء ألا ترى كيف شركه بحسن النية في محاسن عمله وشركه الآخر بسيء النية بنيته في مساوي عمله وكذلك في حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال ان بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية وقال بعض السلف صلاح الاعمال وفسادها بصلاح النيات وفسادها وكان مطرف يقول صلاح عمل بصلاح قلب وصلاح قلب بصلاح نية ومن صفا صفي له ومن خلط خلط عليه وكذلك جاء في الخبر وهو أصل من أصول الدين قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فأخبر ان لا عمل الا بالنية ثم جعل لكل عبد نيته ثم رد طالبي الدنيا والازواج الى نياتهم وحكم عليهم بها وجعلها نصيبهم من الله تعالى وفي ذلك انهم أولم يوفقه فبطلت هجرتهم بفساد نياتهم وصارت همتهم بدنياهم وهو أهم سبب حرمان ثواب المخلصين لله بحسن نياتهم

وطلب آخرتهم وكان ذلك في الآخرة حسرة عليهم في الدنيا وشينا لهم وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئاً فهو له فهاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر أم قيس وقال أبو داود هذا الحديث ربع العلم وذلك انه قال جمعت السنن الصحاح في حديث النبي صلى الله عليه وسلم فكانت أربعة آلاف حديث ثم قال قد أمرزتها الى أربعة أحاديث كل حديث ربع العلم قال وهذا الحديث أولها وانما قال ذلك لانه فرض الفروض لا يتم فرض الابه وكذلك جاء في الخبران رجلا قتل في سبيل الله عز وجل فكان يدعى قتيل الحمار وذلك انه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث أبي عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله مانوى وقال اني استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ليس له من دنياه وآخرته الاما جعلت له ✽ وروينا في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان لي هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس قال فأوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وفي أخبار كثيرة من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله بن عمر من تكن الدنيا نيته يجعل الله فقره بين عينيه ويفارقها أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته يجعل الله غناه في قلبه ويجمع عليه ضيعته ويفارقها أزهد ما يكون فيها وحديث أم سلمة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم جيشا يخسف بهم في البيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم وفي حديث عمر مثله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات وفي حديث فضالة من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها وكذلك قال في الخبر اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا قتل فلان في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى ✽ وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف بن قيس عن أبي بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه والنية عند قوم الاخلاص بعينه وعند آخرين الصدق وعند الجملة انها صحة العقد وحسن القصد وهي عند الجماعة من أعمال القلوب مقدمة في الاعمال وأول كل عمل وقد قال الله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا قيل في التفسير خالصا فسمى الخالص كثيرا وهو ما خلصت فيه النية لوجه الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقلة فقال يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني غير خالص وسميت سورة قل هو الله أحد سورة الاخلاص لانها خالصة في ذكر صفات الله تعالى وحده لا يعتنا بذكر جنة ولا نار ولا وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهي وكذلك قيل سورة التوحيد اذ لا شريك لغيره فيها من سواه فأول سلطان العدو على القلب عند فساد النية فاذا انفردت من العبد طمع فيه فتسلط عليه وأول ارتداد العبد عن الاستقامة ضعف النية فاذا ضعفت النية قويت النفس فتمكن الهوى فاذا قويت النية صح العزم وضعفت صفات النفس ولانه ينتقل العبد من معصية الى معصية دونها فيكون تاركا للاولى بنية الترك لله تعالى كان أنفع له وأحمد عاقبة وأصلح لقلبه وأقرب الى توبته من افتعال الطاعات مشوبة بالهوى وفساد النيات لانه يكون حينئذ متقلبا في المعاصي بفساد نيته وخالطا عملا سيئا بسيئة مثله ودرأ بالسيئة لسيئة قبلها وهذا خلاف وصف الله تعالى من قوله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة وخلاف لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله اتبع السيئة الحسنة تمحها وفي حديث أبي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان ومن اذان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وفي حديث ابن مسعود ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء فقال ان أكثر شهداء أمتي لاصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته وقال ثابت البناني نية المؤمن أبلغ من عمله ان المؤمن ينوي ان يصوم النهار ويقوم الليل ويخرج من ماله

---

لانه وجب عليهم تعذر الخلق منهم اولانه مطلوع لهم بعدم الميل والتشوف الى الدنيا وينبغي للفقير أن يكون غنيا بالله في معاقل الفقر فقيرا الى الله في معاقل الغنى قال ابراهيم ابن أدهم لشقيق حين قدم عليه من خراسان كيف تركت أصحابك من الفقراء فقال ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه اذا وصفهم بترك السؤال أثنى عليهم فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ وقد ذهب الحسن والثوري والجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر مع الصبر على الغنى مع الشكر واحتجوا على ذلك بآيات وأخبار في ذلك قوله تعالى وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع وغير ذلك من الآثار منها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس عند أصحاب الصفة ويرى ما هم عليه من الجهد والفاقة والصبر فيذكر لهم ما سيفتح لهم من الدنيا وانه سيبسط لهم فيقولون يا رسول الله نحن حينئذ خير نكفى المؤنة ونتفرغ للعبادة فيقول لهم بل أنتم اليوم خير وهذا صريح في ان الفقير الصابر أفضل ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خير بين الغنى وبين الفقر فاختار الفقر وذهب الطبري وغيره الى تفضيل الغنى مع الشكر واحتجوا على ذلك بما روى ان فقراء المهاجرين قالوا يارسول الله

فلا تتابعه نفسه على ذلك فنيته أبلغ من عمله وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثل القلب بالملك والجوارح جنوده فقال فاذا صلح القلب صلح الجسد واذا فسد فسد الجسد معناه اذا صلحت للعبد نيته دامت للعبد استقامته واذا خلص وصفا من شوب الكدر والهوى خلصت الاعمال من الرياء وصفت من الشهوات والاهواء واذا فسدت نيته بحب الدنيا فسدت أعمال الجوارح بحب المدح والرياء وقد حدثونا في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله تعالى دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك فأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال أين تريد رحمك الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله قال وما أنت وذاك تركت عبادتك والاشتغال بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال فاني لا أتركك تقطعها قال فقاتله فأخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس أطلقني حتى أكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك أنبي أنت قال لا قال فلا عليك ممن كان يعبدها فلو اشتغلت بعبادتك وتركتها فان لله تعالى في أرضه أنبياء لو شاء لبعثهم الى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها قال فنابذه ابليس القتال فغلبه العابد فأخذه وصرعه وقعد على صدره فلما رأى ابليس انه لا طاقة له به ولا سلطان له عليه قال يا هذا هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع من هذا الامر الذي جئت تطلبه قال وما هو قال قم عني أخبرك به فأطلقه العابد فقال له ابليس أنت رجل فقير لا شيء لك انما أنت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب أن تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع في حالك وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر الذي جئت فيه ولك علي أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين اذا أصبحت أخذتهما فصنعت بهما ما شئت وأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون لك أفضل من ذلك وأنفع للمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك لها قال فتفكر العابد فيما قال له وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله تعالى أن أقطعها فأكون قد عصيت بتركها وانما هو شيء تفضلت به وماذا يضر الموحدين من بقائها وهذا الذي ذكره أكثر منفعة لعموم الناس قال فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات ليلته فأصبح فاذا دينارين عند رأسه فأخذهما ثم كذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث فلم ير شيئا ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد فغضب وأخذ فأسه على عاتقه وخرج يؤم الشجرة ليقطعها وقال ان فاتني أمر الدنيا لا أترك أمر الآخرة قال فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال أين تريد قال أقطع تلك الشجرة قال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليأخذه كما فعل أول مرة فقال هيهات قال فأخذه ابليس فصرعه فاذا هو كالعصفور بين يديه قال وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر أو لأذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا قد غلبتني فخل عني وأخبرني عنك كيف قد غلبتك أول مرة فصرعتك والآن غلبتني فصرعتني فكيف ذلك فقال له ابليس لانك أول مرة غضبت لله تعالى وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك فغلبتني وهذه المرة جئت مغاضبا لنفسك وكانت نيتك الدنيا فسلطني الله تعالى عليك فصرعتك وهكذا حدثونا في قصة تطول ان ملكة من بني اسرائيل راودت عابدا عن نفسه فقال اجعلوا لي ماء في الخلاء أتنظف قال ثم صعد على موضع في القصر فرمى بنفسه فأوحى الله عز وجل الى ملك الهواء الزم عبدي قال فالزمه حتى وضعه بالارض على قدميه ويدا فقيل لابليس الا أغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى وفي حديث معاذ بن جبل ان العبد يوم القيامة ليسأل عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه وروينا في خبر مقطوع من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة وليس الطيب من أكبر المأمور به ولا من الاثم المنهي عنه وانما لصاحبه منه نيته فان كان

نيته

سبقنا أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم فقال صلى الله عليه وسلم ألا أعلمكم شيئا تلحقون به من سبقكم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتكبرون ثلاثا وثلاثين وتحمدون ثلاثا وثلاثين وبقوله صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وقالوا اليد العليا هي المعطية واليد السفلى هي يد السائل وبأن الغنى من أوصاف الحق والفقر من أوصاف الخلق واعلم ان حديث اليد العليا خير من اليد السفلى الحجة فيه عليهم لا لهم لان اليد العليا تنالها الفضيلة باخراج ما فيها واليد السفلى تنالها الفضيلة بحصول الشيء فيها وفي تفضيل العطاء والعطاء دليل على فضل الفقر على الغنى لانه لو كان ملك شيء محمود لكان بذله منه وما فيه فضل الغنى على الفقر فضل الامساك على العطاء ولا شك ان العطاء يكون باخراج المال الملهي عن الله تعالى وكان بعض العلماء يفضل الفقر على الغنى بأمور منها ان الفقير متواضع والغني متكبر والفقير اذا عصى الله كان وحده والغني يعصي الله مع أعوانه واخوانه فيعود وبالهم عليه ومفزع الفقير في مرضه الى الله تعالى ومفزع الغني الى الكيس والطبيب والفقر سنة عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم والغنى سنة فرعون وقارون والفقير آمن في السفر والحضر وفي النوم واليقظة والغني

نيتها اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهار النعمة لله تعالى كان بذلك مطيعا وكان له ثواب ما نواه وان تطيب لغير ذلك كان به عاصيا لاتباعه هواه وعن بعض السلف الصالح قال كتبت كتابا وأردت أن أتربه في منزل جارى فتحرجت من ذلك ثم قلت تراب وما تراب فتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وقال بعض العلماء انى لاستحب أن يكون لى في كل شئ نية حتى في أكلى وشربى ونومى وحدثت ان رجلا صلى مع سفيان صلاة العيد وكان قد خرج معه بغلس فلما أصبح نظر واذا ازار سفيان مقلوب فقال له يا أبا محمد قد لبست ثوبك مقلوبا فاصلحه قال فمد سفيان يده ليسوى ازاره ثم قبضها فلم يسوه فقال له الرجل ما منعك أن تسويه عليك قال انى لبسته لله عز وجل فلا أريد أن أسويه لغير ذلك ونادى رجل امرأته وكان فوق سطح يسرح شعره فقال هاتى المدرى ليطرف به شعره فقالت امرأته وأجيء بالمرآة فسكت هنية ثم قال نعم فقال له من سمعه لاى شئ سكت وتوقفت عن المرآة فقال له انى قلت لها هاتى المدرى بنية فلما قالت والمرآة فلم يكن لى في المرآة نية فتوقفت حتى هيأ الله لى نية فقلت نعم جيئى بها * وحدثونا عن بعض أصحاب بشر ان فتحا الموصلى دخل عليه فقام له بشر قال وما رأيته قام لغيره فقعدت فاجلسنى فلما انصرف قلت له قمت أنت اليه فلما قمت أنا أجلستنى فقال أنا قمت اليه لاجل الله تعالى وأنت قمت لاجلى فاجلستك وحدثونا أن بعض الفقراء كان يصحب أبا سعيد الخراز وكان يخف بين يديه في حوائجهم ويخدم الفقراء ويسارع في قضاء حوائج أبي سعيد وأصحابه قال فتكلم أبو سعيد يوما في اخلاص الحركة فوقر ذلك في قلب الشاب فكأنه أخذ الاخلاص والنظر فيه فتركه قد حركته وخدمته فترك ما كان يعمله من قضاء حوائج أبى سعيد في الحلقة بين يدى اخوانه حتى أضر ذلك بأبى سعيد فقال له يا بنى قد كنت تسعى في حوائج اخوانك ثم قطعت ذلك فما السبب فقال يا أستاذ انك تكلمت في الاخلاص وانى خشيت أن تكون أفعالى مدخولة فتركتها قال أبو سعيد لا تفعل ان الاخلاص لا يقطع المعاملة ولا ينبغى للعاقل أن يترك العمل لاجل الاخلاص فيفوته الاخلاص والعمل ولم أقل لك اترك ما أنت عليه انما قلت لك اخلص فيه فان طلبك للاخلاص قد قطعك عن عمل البر وقد أضر ذلك بنا فارجع الى ما كنت فيه وأخلص فيه لله تعالى فينبغى للعبد أن يكون له نية خالصة في جميع تصرفه في حركته وسكونه وسعيه وتركه فان الحركة والسكون اللذين هما أصل الاعمال من أعماله التى يسئل عنها فيحتاج الى النية والاخلاص فيهما فليجعل جميع ذلك لله تعالى وفيه بعقد واحد على مراتب من المقامات عنده اما حبا له واجلالا له واما خوفا منه أو رجاء له أو لاجل ما أمره به فينوى أداء الفرائض أو لما ندبه فينوى المسارعة الى الخير وفيما أبيح له فتكون نيته في ذلك صلاحا لقلبه واسكان نفسه واستقامة حاله وذلك كله لاجل الدين وعدة الآخرة وشكرا لربه تعالى ودخولا فيما أحل له واعترافا بما أنعم عليه واتباعا للسنة بنيته فيه ولا يكون لاقتطاع طبع ولا لجارى العادة وقال أبو عبيدة بن عقبة من سره أن يكمل عمله فليحسن نيته فان الله عز وجل يأجر العبد اذا حسنت نيته حتى باللقمة وأحسن تفسير النية بما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاحسان فقال تعبد الله كأنك تراه فهذه شهادة العارفين ومعرفة الموقنين فهم مخلصو المخلصين وقال ابن المبارك رب عمل صغير تعظمه النية وقال بعضهم القصد الى الله تعالى بالقلوب أبلغ من حركات الاعمال بالصلاة والصيام ونحوه وقال الانطاكى اذا صارت المعاملة الى القلب استراحت الجوارح وروى عن على عليه السلام من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه ومن كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه يوم القيامة وقال داود الطائى رأيت الخير كله يجمعه حسن النية فكفاك به خيرا وان لم تنصب وروى عن الحسن في تفسير قوله تعالى وآتيناه أجره في الدنيا قال نيته الصادقة كتب بها الاجر في الآخرة وروى عن عبد الرحمن بن مريح قال من قام الى شئ من الخير لا يريد به الا الله عز وجل ثم عرض له من يريد أن يرائيه بذلك أعطاه الله عز وجل بالاصل ووضع عنه الفرع ومن قام الى شئ من الخير لا يريد به الا المراياة ثم فكر وبدا له جعل آخره لله عز وجل أعطاه الله تعالى بالفرع ووضع عنه الاصل كأنه حسب ذلك توبة والتوبة تكفر ما سلف والله أعلم وقد تلتبس

بخلاف حيث سلك والفقير غير مطالب بالخراج وغير مطالب في الآخرة بالحساب والغنى مطالب بهما جميعا وكفى بالاغنياء ان رئيسهم قارون وكفى بالفقراء شرفا ان رئيسهم المسيح بن مريم عليه السلام
*(فصل)* وأما القناعة والايثار والجود فقال أهل المعارف القناعة تكون على ثلاثة أشياء قلة الغذاء بعد وجوده وصيانة الفقر عند العدم وقلة الاسباب والسكون الى أوقات الله تعالى مع طول الفاقة قال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله تعالى بما آتاه وقال أبو سليمان الدارانى القناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد لان القناعة أول الرضا كما ان الورع أول الزهد وقال ذو النون من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وأما الايثار فهو على درجتين الاولى ان تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يحظر عليك الايثار به شرعا وفيه الاحتراز عن الايثار بالقرب ويتولد ذلك من ثلاثة أشياء تعظيم الحقوق ومقت الشح والرغبة ومكارم الاخلاق الثانية ايثار رضا الله تعالى على رضا عباده وان عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن ويعين على ذلك قوة التصبر قال بعض العارفين المعارف نظران نظرة الى نفسه ونظرة الى ربه اذا نظر الى نفسه ذل وافتقر واذا نظر الى ربه عز واعتز فالفقر ذل الى الله وعز على الخلق فانه من ذل لله عز عند من سواه وأما البذل والجود فهما من أجل الخصال وأحمدها قال الله تعالى

الفضائل بالمناقص لدقة معانيها وخفي علومها كصلاة العبد النفل وهو يحسب انه الاوجب من ذلك ان رجلا كان يصلي فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه فظن ان وقوفه بين يدي الله تعالى بالتنفل أفضل له فلما سلم جاءه فقال له صلى الله عليه وسلم ما منعك أن تجيبني حين دعوتك فقال كنت أصلي فقال ألم تسمع قول الله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فكان اجابة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل له لان صلاته نافلة واجابة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض عليه قال بعضهم من كان طلب الفضائل أهم اليه من أداء الفرائض فهو مخدوع ومن شغل بغيره عن نفسه فقد مكر به وقال سفيان انما حرموا الوصول بتضييع الاصول فأفضل شئ العبد معرفته بنفسه ثم وقوفه على حد من احكامه لحاله التي أقيم فيها ثم قيامه بعلمه الذي فتح له فيبتدئ العمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهي عنه مبلغ علمه ووسع وجده لا يشتغل بطلب فضل حتى يحكم عمل فرض لان الفضل ربح لا يصح الا بعد رأس المال ولكل عمل آفة قاطعة فمن سلم منها حاز فضله ولكل امر نفيس مؤنة ثقيلة فمن تحملها أدرك نفيسها ومن تعذرت عليه السلامة فهيهات أن يصير الى فضل كرامة ومن لم يصبر على تحمل غرامة لم يدرك علو مقامه وقد يلتبس التكلف بالاخلاص واظهار العلم بظهور التزين به قال الثوري رحمه الله زين نفسك بالعلم ولا تزين به أي أدبه الله عز وجل فتكون زينا في أوليائه ولا تتزين به عند الناس ليمدحوك عليه وقد يلتبس الاختبار بالاختيار فالاختيار ما كان عن حاجة وتقرب به الى الله عز وجل والاختيار ما زاد في الشهوة وكان سلما الى الخلق كالتباس ستر العورة من الثياب بالفاخر منها النعمة والتكثر من الاسباب وقد يتطوع العبد بعمل يضيع به فرضا واحكام الفرض بجواز السلامة هو الفضل وقد روي اذا دعي أحدكم الى الطعام فان كان مفطرا فليصب وان كان صائما فليقل اني صائم فأمره باظهار عمله وهو يعلم ان الاخفاء أفضل ولكن اظهاره له من حيث لا يؤثر في قلب أخيه وجدا أفضل من اخفائه لنفسه مع تأثير ذلك في قلب أخيه لتفضيل العمال على الاعمال اذ الاعمال موقوفة على العامل فانما يعطى الثواب على قدر العامل لا على قدر العمل لتضعيف الجزاء لمن يشاء عز وجل على غيره في العمل الواحد فدل ذلك ان المؤمن أفضل من العمل فقيل له ارفع التأثير والكراهة عن قلب أخيك باظهار عملك فهو خير من اخفاء العمل مع وجد أخيك عليك لان أخاك اذا دعاك الى طعام صنعه لك فلم تجبه ولم تعتذر اليه عذرا بينا يقبله منك ويعرفه شق عليه ذلك ان كان صادقا في دعائك قال ابن شبرمة سأل كرز بن وبرة ربه عز وجل أن يعطيه الاسم الاعظم على أن لا يسأله شيئا من أمر الدنيا فأعطاه الله تعالى ذلك فسأل أن يقوى أن يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات فقيل لكرز أتعبت نفسك في العبادة فقال كم مقدار الدنيا قيل سبعة آلاف سنة قال أما رضي عبد أن يعمل سبعة آلاف سنة وينجو من يوم مقداره خمسين ألف سنة وقال سري السقطي ركعتان تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا أو قال سبعمائة حديث

*(الفصل التاسع والثلاثون في ترتيب الاقوات بالنقصان منها أو بزيادة الاوقات)* أما الاقوات فقد كان بعض السلف ينقص منها حتى يرد النفس الى أقل قوامها فمن أراد هذا الطريق فلينقص في كل أكلة ربع سبع رغيف فيكون تاركا رغيفا في شهر برياضة وتمهل فلا يؤثر النقصان عليه شيئا حتى تقف النفس على الأكل في ثلث بطنها وهو ثلث أكلها المعتاد وهذا طريق المريدين ومن العلماء من لم يكن يعرض للاقوات ولكن يعمل في زيادة الاوقات فيؤخر أكله وقتا بعد وقت حتى ينتهي الى أكثر طاقة النفس لحمل الجوع بضعف الجسم عن الفرض أو خشية اضطراب العقل فمن أراد هذا الطريق أخر فطره كل ليلة الى نصف سبع الليل حتى يكون قد طوى ليلة في نصف شهر وهذا طريق من أراد الطي السبع والعشر والخمس عشرة يوما الى الاربعين لانه يعمل في تجوعه على مزيد الايام ولا يعمل في نقصان الطعام فلا يؤثر ذلك نقصانا في عقله ولا ضعفا عن أداء الفرائض اذا كان على صحة قصد وحسن نية وصدق عقد فانه يعان على ذلك ويحفظ فيه ويكون طعمه اذا أكل عند كل وقت يزيد فيه النفس مسرورة عن غير تحمل لنقصانه لان معاه تضيق لا محالة

ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم وقال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم قال المشايخ حقيقة الجود أن لا يصعب عليك البذل واعلم أن ههنا مراتب احداها السخاء وهو في الرتبة الاولى ثم الجود وبعده ثم الايثار وهو أعلى الكل مرتبة فمن أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وأبقى لنفسه شيأ يسيرا فهو صاحب جود ومن أعطى الكل وآثر غيره بالبلغة ولم يبق عنده شئ وقاسى الضر فهو صاحب ايثار وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه صاحب ايثار لانه قاسى الضر وآثر الله ورسوله بكل ما عنده وكان عمر رضي الله عنه صاحب سخاء لانه أمسك البعض ودفع البعض وكان عثمان رضي الله عنه صاحب جود لانه خرج عن أكثر ماله وقال بعضهم دخلت على بشر الحافي رحمه الله في يوم شديد البرد وقد تعرى من ثيابه ينتفض بالبرد فقلت له ما هذا فقال ذكرت الفقراء وما هم فيه فعجزت عن أن أواسيهم في الثياب فأردت أن أواسيهم في العري وورث يوسف بن أسباط من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذها وكان يتقوت بعمل الخوص وقال بعض المشايخ كان عندنا بمكة فتى عليه أطمار رثة وكان لا يدخل علينا ولا يجالسنا فوقعت محبته في قلبي ففتح لي بمائتي درهم من وجه حلال فحملتها اليه ووضعتها على

فكلما

فكلما راد بجوعه نقص أكله على هذا الى أن ينتهى فى الجوع و ينتهى فى قلة الطعم ولا ينال فضيلة الجوع التى وردت به الاخبار الا بالطى ومن الناس من يقول حد الجوع الاول من الوقت الى مثله كالغد أربعة وعشرون ساعة وحده الآخر اثنان وسبعون ساعة فهذا حد الجوع من الاوقات فاما حده فى الاقوات فكان بعضهم يقول حد الجوع أن لا تطلب نفسك الادم فتى طلبت نفسك الادم مع الخبز فلست بجائع فهذا حده الاول وقيل حد الجوع أن تطلب الخبز فلا تميز بينه و بين غيره فتى تاقت النفس الى الخبز بعينه فلست بجائع لان لها شهوة فى التخير ومتى لم تميز بين خبز و غيره من ماكول فهذا هو حد الجوع وهو الفاقة والحاجة الى الطعام الذى جعله الله تبارك وتعالى غذاء للاجسام وهذا يكون فى آخر الحدين من الاوقات بعد الثلاث الى خمس وسبع ويكون طلب العبد عند هذا الجوع القوام من العيش والضرورة من القوت وهو ما سد الجوعة وأعان على أداء الفرض وهذا حال الصديقين وقد سمعت بعض هذه الطائفة يقول حد الجوع أن يبزق العبد فاذا لم يقع على بزاقه ذباب فقد خلت معدته من الطعام يريد أن بزاقه قد خلا من الدسومة والدهنية وصار صافيا مثل الماء فلا يسقط عليه الذباب مع نطاق حاسته التى ركبت فيه وخفى ادراكه لما يقع عليه فاما أكل العادات والتنقل فى الشهوات والاكل حتى يشبع فهذا عند العلماء مكروه وأهله عندهم بمنزلة البهائم وأما الاكل على شبع والامتلاء حتى يتخم فهذا فسق عند العلماء وقد قاله لى بعض العارفين ورويناانه قيل لابى بكران ابنك أكل البارحة حتى بشم فقال لومات ماصليت عليه فاما الصوم فليس هو عندهم الجوع المقصود لاسكان النفس واخماد الطبع لان الصوم يصير عادة و يرجع الصائم الى قوة طبعه اذا أفطر فاما اذا كان يصوم و يفطر على الشهوات و يمتلئ من الاكل فان صوم هذا لا يزيده الاقوة طبع وظهور نفس وتفتق عليه الشهوات و يدخل عليه الفتور عن الطاعات و يغلب عليه الكسل والسبات و ربما قوى طبعه جملة واحدة فظهرت عليه نفسه بقوة بجملة الا انه لايجرى فى نهاره الافيما أجريت عادته عليه و جعل حاله فيه من أبواب الدنيا والتنقل فى الهوى وان كان ظاهر حاله أسباب الآخرة عنده لقصور علمه فان شهود هاد نيا فالتقلل وأخذ البلغة من القوت فى الاوقات مع الافطار أصلح لقلب هذا وادوم لعمله وأبلغ فى آخرته من مثل هذا الصوم لان هذا الذى وصفناه صوم ابناء الدنيا المترفين ليس بصوم أهل الآخرة الزاهدين ولكن بالتقلل والطى وترك الشهوات واجتناب الشبهات تنكسر النفس وتذلل ويخمد الطبع وتضعف الصفة عن العادة وتقوى ارادة الآخرة و يعمل المريد فى سعيها وتخرج حلاوة الدنيا من القلب فيصير العبد مع التجوع والطى وترك الترهات كانه زاهد و روينا فى حديث أسامة بن زيد وأبى زيد الطويل اختصرته ان أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه فى الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوهم تبكى الارض اذا فقدتهم و يسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا الفلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس يظنون ان بهم داء يقال قد خولطوا وقد ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى أن ذهبت الدنيا عنهم فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف فى الآخرة يا أسامة اذا رأيتهم فى بلدة فاعلم انهم أمان لتلك البلدة لا يعذب الله عز وجل قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك أخدانا عسى أن تنجو بهم وان استطعت أن يأتيك الموت و بطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة و يصلى عليك الجبار عز وجل وممن اشتهر بالطى وكثرة التقلل صبه بذلك الخمس عشرة يوما الى عشرين الى الشهر جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم ابن عمر والعوفى وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وابراهيم التيمى وحجاج بن فرافصة وحفص بن العابد المصيصى

ظرف شئ كان مبسوطا فتحته وقلت له ان هذه قد فتح بها من وجه حلال فاصرفها فى بعض أمورك فنظر الى شذرا وقال اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى على الفراغ بتسعين ألف دينار غير الضياع والمستغلات تريد أن تغرنى فيها بهذه وقام فبددها ومضى

●( باب المحبة والشوق وفيه الكلام على السماع والوجد )●

اعلم أن المحبة من الصفات التى يوصف الخلق بها فيما بينهم وقد وردت الشريعة بها فى صفات الحق عز وجل قال الله تعالى يحبهم ويحبونهم وقال تعالى فاتبعونى يحببكم الله أى قل لهم يا محمد اتبعونى يحببكم الله وقال يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وفى الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه قال القشيرى رحمة الله عليه المحبة على لسان المتكلمين والعلماء بالاحكام هى الارادة وليس مراد الصوفية بالمحبة الارادة فانها لا تتعلق بالقديم اللهم الا أن يحمل ذلك على ارادة التقرب اليه والتعظيم له قال ونحن نذكر طرفا من تحقيق هذه المسئلة ان شاء الله تعالى فمحبة الله تعالى للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما أن رحمته ارادة الانعام والمحبة أخص من الرحمة فارادة الله أن يوصل الى العبد الثواب والانعام يسمى رحمة وارادته أن يخصه بالقرب وسائر الاحوال العالية تسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة تختلف أسماؤها بحسب تفاوت

والمسلم بن سعد وزهير البنانى وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابراهيم الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستا وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا وروى ان الثورى وابراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا وقد رأينا من كان يطوى تسعا وخمسا وكثيرا ممن يطوى ثلاثا ثلاثا وقد قال بعض العلماء من طوى أربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت وكان يقول لا يزهد العبد حقيقة الزهد الذى لا مشوبة فيه الا بمشاهدة قدرة من غيب الملكوت وبعضهم يقول لا يوقن العبد يقينا ثابتا يحكم عليه لاستقامة فيه وليسة حال لازمة وعلم نافذ فى الملكوت الا بمشاهدة قدرة من قدرة الغيب برأى عين تظاهر له بشهادة مداومة يقوم بها ويضطره فعند هذا يعرف من الله تعالى ومنه الخصوص القيوم به ويصح لعبد مراد بهذا الطريق المنهج ٧ أربعين فى سنة وأربعة أشهر على ما نزلنا من تأخير الاوقات وقتا بعد وقت ورتبنا من رياضة النفس فى الاوقات حتى تندرج الليالى فى الايام وتدخل الايام فى الليالى فتكون الار بعون بمنزلة يوم واحد وليلة واحدة وهذا طريق بعض المقربين لا يقدر عليه الامن ادبه محول فيمكاشف بشهادة تشغله عن نفسه وتقطعه عن طبعه وعادته وتسيح جوعه ويكشف له حقيقة من جوعه وقد عرفنا من كان فعل ذلك وظهرت له آيات من الملكوت وكشف له عن معانى قدرة من الجبروت تجلى الله عز وجل بها ومنها كيف شاء وقد وقف بعض هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع فى اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فتكلم فى ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوى اربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبى فقال له الصوفى فان طويت خمسين يوما تترك ما أنت عليه وتدخل فى دين الاسلام وتعلم ان ما نحن عليه حق وانك على باطل قال نعم فقعد عنده لا يبرح ولا يذهب الامن حيث يراه الراهب الى ان طوى خمسين يوما فقال أزيدك أيضا فطوى الى تمام الستين فعجب الراهب منه واعتقد فضله وفضل دينه وقال ما كنت أظن ان أحدا يجاوز فعل المسيح عليه السلام ولكن هذه أمة تشبه بالانبياء فى العلم والفضل فكان سبب اسلامه وممن كان يطوى أربعين يوما ابراهيم التيمى وحجاج بن فرافصة فاما الثلاثين والعشرين فقد حكى عن عدد كثير منهم سهل بن عبد الله وجماعة من البصريين وأما من يأكل فى الشهر أكلتين وثلاثة وأربعة فهم كثير من الشاميين والجزريين وان أحب المريد أن يقسم فطوره قسمين فيأكل رغيفا عند افطاره فى أول الليل فيسكن بذلك جوعه ويأكل رغيفا عند السحر يستعين به على صومه فحسن وان أحب عمل فى تأخير الافطار على رياضة ووقف عند السحر فلم يجاوزه فيكون أكله سحرا فيحصل له بذلك خمسة أشياء جوع النهار للصائم وجوع الليل للقائم وخلو القلب للفراغ للعبد ورقة الفكر واجتماع الهم لخلو القلب وسكون النفس للمعلوم فلا ينازعه قبل وقته وهذا أوسط الطريقين وأحبهما الى وهو طريق السائرين وفى حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبى هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى ترلع رجلاه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد أخر الفطر الى السحر وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان المريد يصوم يوما ويفطر يوما وهو أعدل طرقات الصيام أيضا أكل يوم فطره بعد الظهر وليلة صومه عند السحر فان لم يفعل فليأكل يوم فطاره نصف أكله بالامس فكأنه صائم فان لم يطعل اضطرب جسمه وداخله الفتور فى حاله ومن لم يكن له معلوم فلا بأس أن يأكل شبعه ثم يتربص حتى ينتهى جوعه فعلامة جوعه أن لا تختار نفسه الخبز دون غيره من المأكول فان اختارت نفسه الخبز نفسه بقية من الشبع وعلامة شبعه بعد الاكل أن يأكل الخبز الحت على شهوة فاذا تاقت نفسه الى الادم فقد ابتدأ شبعه فان تخيرت الادام فهو شبعان وترك المعلوم فى الطعام طريق صوفية البغداديين والوقوف مع المعلوم طريقة البصريين ولما قدم صوفية أهل البصرة على أبى القاسم الجنيد بعد وفاة سهل رحمه الله تعالى قال لهم كيف تعملون فى الصوم فقالوا نصوم بالنهار فاذا أمسينا قمنا الى قطاعنا فقال آه آه لو كنتم تصومون بلا

٧ هنا بياض بالاصل

منه فانها اذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وأما المحبة بمعنى الميل فهى من صفات المخلوقين والرب سبحانه يتعالى عن ذلك قال وأما محبة العبد لله فحالة يجدها العبد من قلبه تلطف عن العبادة وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم وايثار رضاه وقلة الصبر عنه ووجود الاستئناس بدوام ذكره انتهى ما ذكره القشيرى وقال غيره المحبة تعلق القلب بين الهيبة والانس فى البذل والمنع على الافراد والمحبة أول أودية الفناء والعقبة التى يجوز منها الى منازل المحو وهى آخر منزلة تلتقى فيها مقدمة العامة بساقة الخاصة وما دونها اعراض لاعواض واعلم ان كثيرا من المتكلمين أولوا محبة العبد لله تعالى وقالوا لا معنى لها الا الامتثال لاوامره سبحانه والا فما لا يشبهه شئ ولا يشبه شيأ ولا يناسب طباعا فكيف يحبه وانما يتصور منا ان نحب من هو من جنسنا وما قالوه غير صحيح فان كل عاقل يجد من نفسه الميل والحب الى كل من هو موصوف بصفات الكمال من العلم والكرم والجود والاحسان والرحمة والرأفة والشجاعة والعدل والنصفة وليس يحب من هو بهذه الصفات بصورته الظاهرة فانا قد نسمع به ولا نراه وان رأيناه فلا نحبنا صورته فاذا احببتهم انما هى له لذاتهم المعنوية وصفات الله تعالى أكمل الصفات وقدسه أقدس

قفاف

فقاف كان أنتم لحالكم أى لا تسكنون الى معلوم فقالوا الانقوى على هذا ولعمرى ان طريق البغداديين بترك المعلوم من المطعوم أعلى وهو طريق المتوكلين من الاقوياء وطريقة البصريين بالمعلوم والتوقيت أسلم من آفات النفوس وأقطع للتشرف والتطلع وهو طريق المريدين والعاملين وذكر رياضة المريدين فى المأكول وفضل الجوع وطريقة السلف فى التقلل والاكل كان أبوذر يقول فى بعض انكاره قد غيرتم نخلتكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين أدمين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا أحدكم فى ثوب وراح فى آخر ولم يكونوا هكذا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول قوتى فى كل جمعة صاع من شعير والله العظيم لاأزيد عليه حتى ألقاه فانى سمعته يقول صلى الله عليه وسلم أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة من مات على مثل ما تركته عليه وقد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة فى كل جمعة فاذا أكلوا التمر اقتاتوا صاعا ونصفا وكان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين فى كل يوم والمد رطل وثلث وكان الحسن يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع سرطا سرطا وبلعا بلعا لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وكان أبو يزيد البسطامى يقول اذا وجد الفقير الماء فقط عمت فرحته وفى الحديث المشهور الطعام المؤمن يأكل فى معى واحد والمنافق يأكل فى سبعة امعاء هذا على التمثيل فى الاتساع والكثرة أى يأكل اضعاف أكل المؤمن فكان المؤمن يأكل كل سبع أكل المنافق والعرب ترفع فى ذكر ضعف الشئ واضعافه الى سبعة وقد فسر ذلك عالمنا أبو محمد سهل فقال معنى يأكل فى سبعة امعاء أحدها شره وطمع وحرص ورغبة وغفلة وعادة أى فالمنافق يأكل بهذه المعانى والمؤمن يأكل بمعنى الفاقة والزهد ولهذا كان يقول لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا لان أكل المؤمن عند ضرورة القوام ومن الناس من يضيف هذا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخطئ فى ذلك انما هو كلام امامنا سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله وقد سئل عن قوت المؤمن فقال قوته الله تعالى قال سألت عن قوامه فقال الذكر فقال انما سألت عن غذائه فقال غذاؤه العلم قلت سألت عن طعمة الجسم فقال مالك وللجسم دع الجسم على من تولاه قديما يتولاه الآن ثم قال الجسد صنعة اذا عابت ردها الى صانعها وسئل أيضا عن الحلال فقال العالم يعصى الله فى أوله ولم ينس فى آخره وقد ذكر عند تناوله وشكر بعد فراغه وكان يقول القوت للمؤمنين والقوام للصالحين والضرورة للصديقين ومن كان ذا معلوم فالمستحب له أن لا يزيد على رغيفين فى يوم وليلة وليفصل بينهما وقتا طويلا مرة وقصيرا أخرى على حسب الحاجة ثم توقان النفس الى الغذاء الا على طرد العادة والشهوة والرغيف ستة وثلاثون لقمة يكون قوام النفس فى كل ساعة ثلاث لقمات فاذا أراد أن يأكل الرغيف على هذا التقسيم فليجرع بعد كل ثلاث لقم جرعة ماء فذلك اثنا عشر جرعة فى تضاعيف ستة وثلاثين لقمة ففى ذلك قوام الجسم وصلاحه فى كل يوم وليلة على هذا الترتيب وقد روينا فى جعل هذا أثرا كان أبوذر يقول كان قوتى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا فى كل جمعة والله العظيم لاأزيد عليه حتى ألقاه فهذا يكون فى كل يوم رطل أو نحوه والاصل فى جعل ما ذكرناه من التنزل فى القوت ما روينا ان النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى رجل سمين فأومأ الى بطنه باصبعه فقال لو كان هذا فى غير هذا كان خيرا لك يعنى لو قدمته لآخرتك وآثرت به اخوانك وكان وغير جوفك لكان ذلك خيرا لك وبقى قلة الطعام خير من كثرته وتجشأ أبو جحيفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثريد ولحم قال كنت أكلته فقال اكفف عنا جشاءك فان أكثركم شبعا فى الدنيا أطولكم جوعا يوم القيامة قال فوالله ما ملأت بطنى من طعام بعدها لى يومى هذا وأرجو أن يعصمنى الله فيما بقى وقد روينا عن الحسن عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا فى انصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء وروينا عن عيسى عليه السلام أجيعوا أكبادكم واعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وقد روى عبد الرحمن بن يحيى الاسود

سائر المقدسات وكماله أعظم الكمالات فيجب أن تحب الخلق بهذه الصفات ومن قصرت بصيرته من ادراك الجلال والكمال والميل الى مطالعته والفرح به والمحبة فانها لا تقصر عن ادراك نعمه وجوده واحسانه الى خلقه فيحبه لاحسانه اليه وتعطفه عليه وكل أحد يجد من نفسه وطبعه المحبة والميل لمن أحسن اليه حتى الكلاب فانه يحب صاحبه الذى يحسن اليه

*(فصل)* والمحبة على ثلاث درجات الدرجة الاولى محبة تقطع الوسواس وتلذذ الخدمة وتسلى من المصائب وهى تنبت من مطالعة المنة ورؤية النعمة وتثبت باتباع السنة وتنمو على الاجابة للفاقة والدرجة الثانية محبة تبعث على ايثار الحق على غيره وتلهج اللسان بذكره وتعلق القلب بشهوده وهى محبة تظهر من مطالعة الصفات والنظر فى الآيات والارتياض بالمقامات والدرجة الثالثة محبة خاطفة تقطع العبارة وتدفع الاشارة ولا تنتهى بالنعوت وهذه المحبة هى الغاية وما دونها من المحبات فهى محبات نادت عليها الالسن وادعتها الخليقة وأوجبتها العقول وقال القشيرى المحبة على خمسة أقسام حسية ونفسية وقلبية وعقلية وروحية فالحسية حقيقتها امتثال الاوامر ومحبة النفس الميل بلانيل وحقيقة المحبة القلبية فارق القلب عن رؤية ما سوى مراد المحبوب وحقيقة المحبة العقلية مراقبة الحبيب فى الشهود والغيبة وحقيقة محبة الارواح بذلها فى المحبوب وغاية

من طاوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وقيل لابي يزيد البسطامي وهو أعلى هذه الطائفة اشارة بأي شئ نلت هذه المعرفة قال ببطن جائع وجسد عار وفي التوراة مكتوب ان الله تبارك وتعالى ليبغض الحبر السمين وفي بعض الكتب ويمقت أهل بيت لحمين وقد جاء مسندا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق وقد روينا عن ابن مسعود ان الله عز وجل يبغض القارئ السمين وفي خبر مرسل ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش فاذا جعل العبد شبعه بين جوعين كان جوعه أكثر من شبعه وسلم من حديث أبي جحيفة ومن كانت له جوعة بعد كل شبعة اعتدل جوعه وشبعه ومن أكل في كل يوم مرتين فقد تابع الشبع وتحقق بخبر أبي جحيفة وشبعه حينئذ أكثر من جوعه وليس ذلك من السنة وهو من فعل المترفين وقد كانوا يعدونه سرفا وقد روينا عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها اياك والاسراف فان أكلتين في كل يوم من الاسراف وقد قال الله عز وجل والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فكان أكلتين في يوم اسراف وأكلة في يومين اقتار وأكلة في يوم قواما بين ذلك وأقول على هذا ان أكل أربعة أرغفة سرف ورغيفين قتر وثلاثة أرغفة قوام حسن وهذا أعدل الاقوات ولا ينبغي أكل أربعة أرغفة في مقام واحد لاني لا آمن به ازديادا فيصير ذلك مقتا وقد يروى في خبر الاكل على الشبع يورث البرص وقال بعض السلف ان من السرف أن يأكل العبد كلما يشتهيه وقد كان الصحابة أكلتان وشربتان فالاكلتان الوجبة والغبوق فالوجبة من الوقت الى الوقت كقولك الوقعة ومنه قوله فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها أي اذا وقعت جنوب البدن على الارض والغبوق أن يشرب مذقة لبن أو يأكل كف تمر عند النوم أو بعد عتمة أو يكون بعد الظهيرة وقد يكون ذلك سحرا والشربتان العلل والنهل فالنهل الشربة الاولى من اللبن بمنزلة الوجبة والعلل الشربة الثانية بمنزلة الغبوق فمن تقمع تمرا أو زبيبا يقوم مقام الاكلتين فهو تمام الري والاولى علالة النفس من العاش فسمى علالا وكان من أخلاق السلف ترك الشبع اختيار الانفسهم لخفة الجسم أو مواساة الفقراء أو مساواة لهم في الحال لئلا يفضلوا عليهم في حالهم ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وروينا في خبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجوع لا من عوز أي مختارا له مع الامكان في الاوقات وقال بعض العلماء أبغض الاشياء الى الله عز وجل بطن ملئ ولو من حلال وقد رويناه مسندا وفي الخبر الاسرائيلي ان يحيى عليه السلام ظهر له ابليس فرأى عليه معاليق من ألوان الاصباغ من كل شئ فقال له ما هذه المعاليق قال الشهوات بني آدم قال فهل لي فيها شئ قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله تبارك وتعالى علي ان لا أملأ بطني من طعام أبدا قال ابليس ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا وقد كان من أخلاق التابعين الصبر على الطعام الى أحد حدي الجوع الاول منهما وهو أربعة وعشرون ساعة ولم يكن من أخلاقهم الاكل للعادة ولا تغيير الاطعمة ولا تعمد الخبز خاصة دون غيره من المأكولات اذا سد الجوعة وقامت به البلغة وكان أبو سليمان الداراني يقول اذا عرضت لك حاجة من حوائج الآخرة فاقضها قبل أن تأكل فاني أخشى الانقص من عقلها أو قال تغير عقلها عما كان عليه وكان يقول لان أترك من عشائي لقمة أحب الي من قيام ليلة هذا الايثار الجوع والتقلل على العباد مع التكثر وروينا عن وهب بن منبه وغيره ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغيفات فجعل أخوه يقلب بعض الارغفة ليختار أجودها فقال له العابد مه أي شئ تصنع أما علمت ان هذا الرغيف الذي رغبت عنه ولم تقنع به قد عمل فيه كذا وكذا صانع وظهرت فيه كذا وكذا صنعتها السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والارض التي أنبتت والرياح والبهائم وبنو آدم حتى صار اليك ثم أنت بعد هذا تقلبه لا ترضى به

الجسمية الخيالية وغاية النفسية التربية وغايتها القلبية الوجد وغاية العقلية الوجود وغاية الروحية الاضمحلال ومتعلقات المحبة خمسة والحصر معلوم بالاستقراء الاول وجود النفس فالانسان يحب وجود نفسه وكماله وبقاءه والثاني حبه لمن أحسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ودفع المهلكات عنه والثالث حبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه والرابع حبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو من المعاني الباطنة والخامس حبه لمن بينه وبينه مناسبة حقيقية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في واحد تضاعفت محبته لا محالة كما لو كان لانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الناس محسن الى الوالدين كان محبوبا بالاصالة غاية المحبة ولا يقوم بالنفس محبة كاملة تجمع جميع الاسباب الا في حق الله تعالى فانه محبوب لجماله وكماله في ذاته وصفاته وأسمائه ودليل كمال محبة العبد لله تعالى أن يجد العبد من نفسه نشاطا ولذة تامة في عبادة الله تعالى وطاعته قال صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة فمن وجد من نفسه تكاسلا في الخدمة والطاعة أو تراخيا فيها فذلك لنقص في المحبة وقصور في المعرفة بالله اذ الجوارح تتبع القلب وأما المخالفة والتقصير في الخدمة والعبادة مع المحبة فهما لا يجتمعان وقال

وقال الآخر يا دقاق الخبز ان الرغيف لا يستدير فيوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا ومسبعة أولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك وملكوت الهواء ودواب الارض وآخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والخبر المشهور ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن فدل ان ما نقص من ملء البطن فذلك خير ثم قال حسب ابن آدم لقيمات يشددن صلبه ففي قوله لقيمات معنيان التقلل والتصغير لان التاء تدخل لجمع القليل وهو مادون العشرة من العدد والمعنى الآخر والتصغير لان لقيمة تصغير لقمة ثم قال فان لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث النفس وفي لفظ آخر وثلث للذكر فدل أيضا ان ملء البطن يمنع من الذكر وما منع من الذكر فهو شر قال الله سبحانه وتعالى والله خير وأبقى وقال والآخرة خير وأبقى ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ثلث طعام أن يأكل شبعه المعتاد فيصير ثلث الشبع قوام الجسد باعتياده ان كما كان ملء البطن من الشبع هو العادة الاولى وثلث الشبع هو ثمان أواق فهذا على معنى الخبر الآخر طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة ففي هذا خمسة أوجه قال بعض علمائنا البصريين طعام الواحد شبعا يكفي الاثنين قوتا وطعام لاثنين شبعا يكفي الاربعة قوتا ومنهم من قال طعام المسلم يكفي مؤمنين وطعام مسلمين يكفي أربعة من خصوص المؤمنين ويجوز أيضا أن يكون طعام الواحد من المنافقين يكفي مسلمين على معنى قوله المؤمن يأكل في معى واحد والمنافق في سبعة أمعاء ويصلح أن يكون معناه طعام الواحد من الصناع المتصرفين في المعايش يكفي اثنين ممن هو وراءه لا يتصرف ويصلح أيضا طعام الواحد من المفطرين يكفي طعام صائمين من الخصوص وفي خبر عمر رضي الله عنه حين قال لابن مسعود وأبي موسى في قصة المرتد الذي قتلاه قبل أن يستتيباه وهلا أغلقتم عليه بيتا وألقيتم اليه كل يوم رغيفا ثلاثة أيام فلعله أن يتوب ويرجع الى الاسلام اللهم اني لم آمر ولم أحضر ولم أرض اذ بلغني فدل هذا ان في كل رغيف كفاية يوم وثلاثة أرغفة عندنا بالحجاز رطل لان الرطل المكي مدوستة أقراص منذ ذلك الى يومنا هذا فيكون كل رغيف ثمان أواق فهذا كما قلناه ان ثمان أواق ثلث الشبع لقوله ثلث طعام بعد قوله لقيمات جمع لما دون العشرة وهذا مواطئ لما روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يأكل سبع لقم وحدثونا في أخبار الخلفاء ان الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي فقال لهم ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي الدواء الذي لا داء فيه حب الرشاد الابيض وقال العراقي الدواء الذي لا داء فيه الماء الحار فقال السوادي وكان أعلمهم ان الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وان حب الرشاد يرق المعدة وهذا داء وان الماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وترفع يدك عنه وأنت تشتهيه فقالوا صدق وحدثني بعض العلماء قال ذكرت لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتابة قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس فتعجب منه واستحسنه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل أحكم من هذا وانه لكلام حكيم ثم قال جهدت الاطباء من الفلاسفة ان يقولوا مثل هذا في التقلل من الاكل فلم يهتدوا اليه فأكثر ما قالوا لا تقعد على طعامك حتى تشتهيه وترفع يدك عنه وأنت تشتهيه ومنهم من قال لا يأكل الا بعد الجوع ويرفع قبل الشبع ومنهم من قال لا يأكل الا بعد الجوع المفرط ولا يشبع شبعا شديدا وانما كان مراده هذا الذي ذكره نبيكم وقد كان بعض علمائنا يقول من أكل خبز الحنطة بحتا بأدب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال يأكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع والاصل في هذا ان العلل داخلة على الاجسام من اختلاف نبات الارض لان المعدة مركبة على طبائع أربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وكذلك منابت الارض على هذه الطبائع الاربع فاذا أكثر من اختلاف منابتها أمالت الحرارة والبرودة من النبات غرائز الطبائع من الحرارة والبرودة من المعدة وأمالت الرطوبة واليبوسة من النبات غرائز الطبائع من الرطوبة واليبوسة فزاد

بعضهم

نعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن أحب مطيع

واعلم أنه لا يكفي في تحقيق معنى المحبة ترك المحب ما هو مستغنى عنه في هوى المحبوب بل لا بد مع ذلك من ترك ما هو محتاج اليه ويحب له تقربا الى محبوبه قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومن جملة المحبوبات النفس وهواها فيلزمه أيضا تركها والخروج عن هواها لله تعالى وفي الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به أي فلا تبقى له ارادة ولا شهوة ولا حظ من الحظوظ بل تكون ارادته فيما يريده الله تعالى وكراهته فيما يكرهه قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها وأصل حال المحب ان يقطع تشوقه عن كل شيء سوى محبوبه فمن نظر الى سواه فهو محجوب عن مولاه يحكى ان بعض الناس رأى امرأة جميلة فاشتغل قلبه بها فقال لها كلي بك مشغول فقالت له ان كان كلك بكلي مشغول فكلي لك مبذول لكن لي أخت لو رأيت حسنها وجمالها لم تذكرني فقال أين هي فقالت وراءك فالتفت وراءه فلطمته لطمة وقالت له يا كذاب لو كنت صادقا فيما قلت لم تلتفت الى غيري ويقال سميت المحبة محبة

بعض على بعض وقوى وضعف على مثله فكانت الامراض من مثل ذلك لان كل ما كول من نبات الا كل
يعمل في وصف من معاني الجسم وان الحنطة مخالفة لسائر نبات الارض المعتدلة في الطبائع الاربع
كاعتدال الماء في سائر الاشربة وقد شبهوا الحم المزاج في نحشه وقلة دهنه من سائر اللحوم بطبع الحنطة في
سائر الحبوب * وقال بعض الاطباء كل من الخبز بعد ما شئت فانه لا يضرك وقال غيره أكل الخبز وحده
خير من الادم الردى وقال بعضهم لم يدخل الانسان الى معدته أنفع من الرمان ولأن أضر من المالح ولان
يتقلل من المالح خير له من أن يستكثر من الرمان وقد مثل الاترج من سائر الفاكهة على سائر المعتدل في
الطبائع الاربع وقد شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بالاترجة طعمها طيب وريحها طيب فهذه
لطيفة من اللطيف وحكمة من الحكيم تعالى اذا أراد صحة جسم عبد أوحى الى المعدة أن يأخذ كل طبع
منها ضده من نبات الارض الذى وقع في المعدة فيأخذ طبع الحرارة طبع البرودة ويأخذ طبع الرطوبة
طبع اليبوسة من الماكول فتعتدل الطبائع فاستوى المزاج فيكون ذلك سببا لصحة الجسم من علله فاذا
أراد اسقام جسم أمر كل طبيعة ان تأخذ جنسها ومثلها من المأكول من نبات الارض شكله فتضرب
المزاجات ثم يدور ذلك في الجسد بمجاري العروق ومصبابها الى الاعضاء المتفاوتة الادوات فتقع كل أداة
في ضدها فتثقل بها وتغشى كل آلة من جارحة بالا بلاغها من طبعها فيسقم الجسم وتتفاوت العلل
فيكون هذا سبب الامراض والعوارض نعوذ بالله ذلك تقدير العزيز العليم * وقد روينا أصل بنية الانسان
عن الله تعالى في صفة خلق آدم عليه السلام حدثنا عن البراء قال حدثنا عبد المنعم بن ادريس قال حدثني
أبي عن ابن منبه اليماني انه وجد في التوراة صفة آدم عليه السلام حين خلقه الله عز وجل وابتدعه فقال
انى خلقت آدم ركبت جسده من أربعة أشياء ثم جعلتها وراثة في ولده تنمي في أجسادهم و ينمون عليها
ركبت جسده من رطب و يابس وسخن و بارد وذلك لانى خلقته من التراب ورطوبته من الماء وحرارته من
قبل النفس و برودته من قبل الروح ثم جعلت في الروح بعد هذا الخلق الاول أربعة أنواع من الخلق
هن ملاك الجسم باذنى وقوامه لا يقوم الجسم الا بهن ولا يقوم منهن واحدة الا بالاخرى منهن المرة السوداء
والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء
ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة في البلغم فايما جسد اعتدلت
فيه هذه الفطر الاربع التى جعلتها ملاكه وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربعا لا تزيد ولا تنقص كملت
صحته واعتدلت بنيته فان زادت منهن واحدة عليهن قهرتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر
غلبتها حتى تضعف عن طاقتهن وتعجز عن مقاربتهن ثم ذكر الحديث بطوله وقد تغلب الحرارة على بعض
المريدين من قبل قوة المزاج وحدة الشهوات فيغاير الطبع فيتسع المنى على العزب كما تقوى الحرارة فينبع
الدم لأن أصل المنى هو الدم يتصاعد في خرزات الصلب وهنالك مسكنه فتنضجه الحرارة فيستحيل أبيض
فاذا امتلأت منه خرزات الصلب وهو الفقار طلب الخروج من مسلكه فقويت الصحة بذلك فهذا
حين هيجان الانسان الى النكاح ولا يصلح لمثل هذا ان يأكل الحرارات من الاطعمة وليطفئ ذلك بأكل
البرودات والاشياء القاطعة وليجتنب أكل كل حار يابس أو بارد رطب فانه يهيج الطبع و يقوى العضو
* وقد روينا عن قتادة في تفسير قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال الغلمة وقال فياض بن نجيح اذا قام
ذكر الرجل ذهب ثلث عقله * وقد روينا عن ابن عباس في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام
الذكر وقد أسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال الذكر اذا دخل وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول أعوذ بك من شر سمعي و بصري ولساني وقلبي ومنيي وروينا عن
أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهن أجمعين السلام انهن كن يأكلن الخل والبرودات بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطعن به الشهوة وروى بعض أشياخ الصوفية قال اشتدت على صفتى

لأنه أخص من القلب شهود الاغيار لان مقلوب حب بح ومن علامة المحبة كتمان سر المحبوب لان المحبة اذا قلبتها تكون بح واعلم
ان المحبة المعهودة بين الخلق تستلزم اللذة بالمحبوب ومحبة الله تعالى ليست كذلك لان مواضع الحقيقة دهش وحيرة والمراد بمواضع الحقيقة مقامات المشاهدة والقرب والاتصال فان من يصل اليها يدهش عن كل شئ حتى عن نفسه وادراكاتها وتصطلم ويبقى في حيرة ويغيب عن كل العوالم قال أبو القاسم كان سمنون المحب ممن أقيم في مقام المحبة وكان اذا تكلم في المحبة يكاد الحجر أن ينصدع لكلامه و يقال ان قناديل المسجد كانت تتلاطم وتتكسر عندما يتكلم في المحبة ويهيم الخلق وتتوله عقولهم و يصيرون في دهش وحيرة حتى الطيور تهيم عند سماع كلامه ونزل عليه يوما طير وهو يتكلم في المحبة ومشى بين يديه حتى قعد في حجره ثم نزل من حجره الى الارض وضرب بمنقاره الى الارض وخرج الدم من منقاره ومات وسئل بعض الاكابر فقيل له ما بال كلام سمنون في المحبة يؤثر في قلوب الخلق ما لا يؤثر كلام غيره فقال ليس النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة والكلام اذا خرج من القلب دخل القلب واذا خرج من اللسان لم
يتجاوز الآذان واعلم ان المحب منعم بعذاب قلبه الذى هو هجر محبوبه له لانه يقول لمحبوبه ان هجرتني وقصدتني بالهجر وعلمت انى

فى بدء ارادتى بعالم أطيق فكنت أضيج الى الله تعالى فى كل وقت فرأيت شخصا فى النوم فقال لى مالك فشكوت اليه فقال تقدم الى فتقدمت فوضع يده على صدرى فوجدت بردها فى فؤادى وجميع جسدى قال فاصبحت وقد انكشف ما بى فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك بمثله أو أشد فأكثرت الضجيج الى الله عز وجل فجاءنى شخص فى المنام قال تحب ان يذهب ما تجد واضرب عنقك فقلت نعم فقال مد رقبتك فسل منها جرد سيفا من نور فضرب به عنقى قال فاصبحت وقد انكشف ما بى فبقيت معافى سنة ثم عاودنى بمثله من الاحتلام وأشد فرأيت شخصا خاطبنى فيما بين صدرى وجنبى فقال ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لم يحب رفعه قال فانتبهت فانقطع عنى ولم يعاودنى فكان ذلك سببا يبذر يته وولهه فاذا كان العبد ناسيا جوعه ذاكرا له عز وجل فهو يشبه الملائكة واذا كان شبعان ساهيا ملهيا فى طلب الشهوات فهو أشبه بالبهائم ويقال ان الجوع ملك والشبع مملوك وان الجائع عزيز والشبعان ذليل وقيل الجوع عز كله والشبع ذل كله وقال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة ❊ وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ بابا وباب العبادة الصوم والخبر المشهور صوموا تصحوا فصحة القلوب من علل الرؤس أعلى وأحسن من صحة الاجسام من علل الاسقام ❊ وقد روينا عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أدعوا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة يا رسول الله قال بالجوع والظمأ وقد نوع أبو سعيد الخراز مقامات أهل الجوع فى مقاصدهم من مواجيدهم وهممهم فحدثنى الجهضمى عن أحمد بن شاكر قال سمعت أبا سعيد يقول سمعت الثقة من علمائنا يقول عن عبد الواحد بن زيد انه كان يقسم بالله ما صافى أحد الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ❊ وكان بعد الاخلاق السنية الشريفة المحمودة ويخاف انهم ما نالوها الا بالجوع قال أبو سعيد معنى الجوع اسم معلق على الخلق افترقوا فى الدخول فيه والعمل به لعلل كثيرة فمنهم من يجوع ورعا اذا لم يصب الشئ الصافى ومنهم من وجد الشئ الصافى فتركه زهدا فيه من مخافة طول الحساب والوقوف والسؤال ومنهم من استلذ العبادة والنشاط لها والخلوة فرأى النيل من الطعام والشراب قاطعا له وشاغلا عن الخدمة والخلوة ومنهم من قرب من الله عز وجل فلزم قلبه حقيقة الحياء حين علم ان الله تبارك وتعالى مشاهده وكان الحياء مقامه لا غير فتوهم ان الله تعالى يراه وهو يمضغ بين يديه ويأكل ويشرب فيؤديه ذلك الى الكنيف فيجوع من هذه العين وهكذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ومنهم من أدركه السهو عن حاجاته فسلا عن نيل مصلحتين حتى يذكر فى الغيب أو يذكر ❊ وقال أبو سعيد الخراز أيضا قال جماعة من الحكماء ان الله تعالى لا يكلم أحدا وفى بطنه شئ من الدنيا فهذا يدل على أمر موسى عليه السلام يقول النيل لبقائه خاليا من الدنيا وبنفس ساكنة عن المنازعة الى شئ من الملك وروح روحانية قد أحياها الحى لحياته فعند ذلك يصلح هذا الشخص لمخاطبته بلا ترجمان ❊ وحدثنى الحسن بن يحيى البستى عن ابن مسروق قال لقيت سهل بن عبد الله فلما دخلت عليه وبشرنى وقبلنى وكان فى ارادتى قال فقلت له أحب ان تصف لى بدايتك وما كنت تقوت به فقال فى كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز واشوبه مخلصا ثلاثمائة وستين أكرة آخذ ليلة أكرة أفطر عليها فقلت الساعة كيف تعمل فقال آكلا بلا حد ولا توقيف ❊ وحدثونا فى أخبار الملوك ان ملك الهند أهدى الى المنصور تحفا منها انه وجه اليه بفيلسوف طبيب قال فعازه المنصور وأحسن اليه فلما دخل عليه قال الفيلسوف قد جئتك يا أمير المؤمنين بثلاث خصال يتنافس الملوك فيها لا تصنعها الا لهم قال وما هى قال اخضب لحيتك بسواد لا تنصل أبدا ولا تتغير عن حالها قال وما الخصلة الثانية قال أعالجك بعلاج تتسع به فى الأكل فتأكل أى شئ شئت فلا تتخم ولا يؤذيك الطعام قال وما الثالثة قال أقوى مسلكك بقوة تنبسط الى الجماع فتجامع ما شئت لا تمل من ذلك ولا يضعف بصرك

---

❊ موردك فاذا قد خطرت ببالك فيلتمم بما هو به متصلب فمن النعم ما هى عين العذاب لكن باعتبار ان الصبر كان من قصد كبيرة له وتضرعه فلذة الحب وياعزة المحبوب فيناديه الرب العزيز بلسان عبرى لمنظوره هذا أبى عليك بانى لا امثل لى وصلى لك ارادة رحمتى وترى المحبوب بقرب شخصا ويجالسه ويكلمه وليس له فى قلبه كثير حظا وعجبة يتقطع فيه وجدا وحبا ويتمنى منه نظرة وكلمة وخطرة بباله وهو مع ذلك ممتنع عليه ليكون ذلك أعظم عنده فياله من عذاب ما ألذه ومن هجر ما أعذبه

❊ (فصل) ❊ والمحبة على ثلاثة أضرب الاول حب للاحسان والثانى حب الصفات التى صدر منها الاحسان والثالث حب الذات فالحب الاول حب المؤمنين وقد يكون هذا الاحسان فى الدنيا والآخرة فهؤلاء يحبون الله تعالى لاحسانه فتعلق محبتهم على الحقيقة هو الاحسان والحب الثانى حب الخواص وهو حب يتعلق بالصفات التى تصدر منها هذه الافعال وهذا فوق الاول لانه قد رقى من النعمة الى المنعم وانه أهل أن يعبد وان يتذلل له والحب الثالث حب خاصة الخاصة وهو حب يتعلق بالذات لا يبعثه على هذا الحب شئ وانما هو حب قد أثير بقلبه فلا يلتفت فيه الى عطائه ومنعه وضره ونفعه بل جمعه انما هو لكمال ذاته وصفاته وقدسه وجلاله وعظمته وبراءته

فلا ينقص من قوتك قال فاطرق المنصور ثم رفع رأسه اليه فقال قد كنت أظن انك أعقل مما أنت أما السواد فلا حاجة لى به فان ذلك غرور وزور والشيب هيبة ووقار ولم أكن لأغير نور أجعله الله تبارك وتعالى في وجهى بظلمة السواد وأما ما ذكرت من الأكل فوالله ما أبا بشر ومالى في الاستكثار من الطعام حاجة لانه يثقل الجسم ويشغل عن النوائب وأقل شئ فيه كثرة الاختلاف الى الخلاء فارى ما أكره وأسمع ما لا أحب وأما ما ذكرت من النساء فان النكاح شعبة من الجنون وما أقبح بخليفة متخلى يحبو بين يدى صبية ارجع الى صاحبك منصور ما مدحورا فلا حاجة لى بما جئت به وحدثونا عن بعض هذه الطائفة قال أتيت قاسما الجوعى فسألته عن الزهد أى شئ هو فقال لى أى شئ فيه فقلت قالوا الزهد قصر الامل فقال وأى شئ سمعت فيه فقلت قالوا الزهد ترك الادخار فقال حسن حتى عددت عليه أقوالا فسكت فقلت أى شئ تقول أنت فقال اعلم ان البطن دنيا العبد وبمقدار ما تملك من بطنه تملك من الزهد وبمقدار ما تملكه بطنه تملكه الدنيا وعلى هذا المعنى قال وهب بن منبه حكيم هذه الامة لكل شئ وسط وطرفان فاذا أمسكت أحد الطرفين مال الآخر وان أمسكت الوسط اعتدل الطرفان فكذلك البطن وسطا بين الجوارح ان أمسكتها اعتدلت الاطراف السمع والبصر واللسان والفرج والرجلان وكذلك كان شيخنا ابن سالم يقول اذا أعطيت البطن حظه من الشبع طلبت كل جارحة حظها من الهوى فعجت بك النفس الى الهلكة واذا منعت البطن حظه قصرت عنك كل جارحة عن حظها فاستقام القلب لذلك وكان بشر بن الحرث قد اعتل فسأل عبد الرحمن المتطبب عن شئ يوافقه من المأكول فقال له عبد الرحمن تسالنى فاذا وصفت لك لم تقبل منى فقال له بشر صف لى حتى أسمع فقال تحتاج تستعمل ثلاثة أشياء فان فيهن صلاح جسمك قال ما هن قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيذاجا فقال له بشر تعلم شيئا أقل شئ من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال فانا أعرف قال وما هو قال الهندبا بالخل يقوم مقامه قال فتعرف شيئا أقل ثمنا من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال فانا أعرف قال ما هو قال الخرنوب الشامى قال فتعرف شيئا أقل ثمنا من الاسفيذاج يقوم مقامه قال أما هذا فلا قال بلى قال ما هو قال ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن فانت أعلم منى بالطب فلم تسالنى ٭ ويستحب للعبد اذا كان جائعا فتاقت نفسه الى الجماع ان لا يأكل لئلا يجمع لنفسه بين حظين فيطلع سما فربما طلبت الجماع التعفف وهى تريد الاكل لتنبسط به الى الجماع وفي الجمع بين شهوتين تقوية النفس واجراء عادة لها ويستحب للعبد اذا أكل ان لا ينام على أكله فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أو يجلس فيذكر الله تعالى فانه أقرب الى الشكر وفي الحديث أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا فتقسو قلوبكم فاقل ذلك ان يصلى أربع ركعات ويسبح مائة تسبيحة ويقرأ جزأ من القرآن عقيب كل أكلة وقد كان سفيان الثورى اذا شبع في ليلة أحياها واذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يتمثل فيقول أشبع الزنجى وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده وكان اذا جاع كأنه يتراخى في ذلك وينبغى للمتقشف ان يأكل اللحم والدسم في الشهر مرتين فان أكله أربعا فلا بأس قد كان السلف يفعلون ذلك وفي خبر عن على عليه السلام من ترك أكل اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه وقد نهى عن مداومة اللحم وقيل ان له ضراوة كضراوة الخمر وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول للمتقللين من أهل عبادان احفظوا عقولكم وتعاهدوها بالادهان والدسم فانه ما كان ولى لله عز وجل ناقص العقل وان احب المريد أن يأكل شيأ من الطيبات والفاكهة فليجعل ذلك بدلا من الخبز ويقطع به جوعه فيكون ذلك له قوتا عند الحاجة الى طعم ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة فانه أسرع لها لانه اذا شبع من الطيبات غير الخبز شبعة أو شبعتين كان أقرب الى تركه واقطاع شهوته ونظر أبو محمد سهل الى ابن سالم شيخنا رحمه الله وفي يده خبز وتمر فقال له ابتدئ بالتمر فان قامت كفايتك به والا أخذت من الخبز بعده حاجتك وقال ان التمر مبارك والخبز شؤم يعنى انه كان سبب اخراج آدم من الجنة وأما

بركة

من النقائص والآفات فصاحب هذا  الحب الثالث ترقى من الافعال الى الصفات ومن الصفات الى الذات فمحبته حينئذ غير معللة بشئ واعلم ان هذا الشرب الثالث من الحب هو أول أودية الفناء والعقبة التى يجوز منها الى منازل المجد وادونها اعراض لا اعراض للعوام منها شرب وللخواص منها شرب قد علم كل أناس مشربهم ونهاية عوام الطريق هى بداية العارفين فنهاية العوام فى المحبة وهى الحب للاحسان هى بداية الخواص فى المحبة والمحبة التى هى لغير احسان هى أول أودية الفناء ولها أول ووسط ونهاية فاولها أن يحبه ولا يشوب محبته بحظ من الحظوظ لحظه بمحبوبه وهو الحظ الاعلى وأوسطها أن يرى المحب المحبوب ونفسه ولا يحبه لحظ الذى هو الثواب فتدرق هذا عقبة ما ملكها صاحب المحبة الاولى ونهايتها ان صاحب هذه المحبة يشرف من هذه العقبة على منازل المحو وهى منزلة المحب المستهلك الذى غاب عنه الثواب وغابت عنه نفسه وتعلق حبه بالذات وصار به مغمورا وما دون هذا الحب اعراض لا اعراض يطلبون عليها عوضا وهؤلاء الطوائف الثلاثة لكل طائفة منهم شرب فشرب العوام حظهم وشرب الخواص نظرهم الى الصفات وشرب خاصة الخاصة لا يقدر أحد على وصفه

٭(فصل)٭ وفي المحبين

بركة الثمر فان الله تعالى ضرب النخلة مثلا لكلمة التوحيد في قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء قال ابن عباس كلمة التوحيد لا شئ أحلى منها كشجرة طيبة وهي النخلة وليس في الثمار أحلى من الرطب والمشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن في حلاوته ولينه وقوته وثبات أصله بالنخلة فقال لا يسقط ورقها مثلها كمثل المؤمن يقول سهل رحمه الله اذا استغنيت عن الخبز بغيره من الطعم كان خيرا لك يريد أن لا توقف نفسك مع عادة فتنازعك اليها وقد ذكرت هذه الحكاية لابي بكر بن الجلاء فاعجبته وقال هذا كلام الحكماء وكان هذا لازم حاله وان خشي المريد أن يكون شئ من المأكل والطيبات له عادة ولم يأمن تأله قلبه وتوقان نفسه اليه ومنازعتها اياه وكان العبد مبتدئا غير الا بعرف شره النفس ودواعيها ولا يفطن لمكرها وآفاتها فان ترك ذلك أفضل فليتركه كمحبته لاجل الله تعالى وان يشتهيه فيحرص على مثله ويدخل مداخل السوء من أجله ويبيع دينه فيه أو خشية تمكن العادة فيه فتعذر عليه التوبة لدخوله في الشبهات عند اعتياد الشهوات لان العادة جند الله تغلب العقل والابتلاء سلطان من سلطان الله تعالى يقهر العلم لاجله تعذرت الاستقامة ولولا العادة لكان الناس تائبين ولولا الابتلاء لكان التائبون مستقيمين فليترك حينئذ أكل الطيبات اذا صارت شهوات وخشي منها مطالبة العادات ودعاوى النفس بالآفات وليبذل الشهوات ذكرناه لصلاح قلبه وتسكين نفسه أملك بذلك نفسه قبل أن تملكه ويقطع عادتها قبل أن تملكه ويغلب بالترك طبعه وهواه فيسلم أن يكونا بالشهوة يغلبانه كما قال بعض الحكماء انى لاتقضى عامة حوائجي بالترك فيكون أروح لنفسي وكما قال آخر اذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي فيصير الترك حينئذ والمنع للنفس غذاء وعادة كما كان الاخذ والاكل عادة ففي هذا عونه على صلاح قلبه ودوام حاله وكان ابراهيم بن ادهم يسأل أصحابه عن الشئ من المأكول فيقال انه غال فيقول له أرخصوه بتركه وقال بعض الادباء في معناه

واذا غلا شئ على تركته ✱ فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وهو حينئذ تارك الشهوات لاجل الله تعالى وعامل من عمال الله وقد كان هذا طريق طائفة من السلف الى الله تعالى ثم انقرضوا فانمحى طريقهم وخلف بعدهم خلف من العلماء ابتغوا الشهوات ولم يقاموا في هذه المقامات ولا طالبتهم هذه الطرقات فلم يتسكاموا الى ترك الشهوات فلذلك درس هذا الطريق وعفا أثره لفقد سالكه وعدم كاشفه فمن عمل به وسلكه فقد أظهره ومن أظهره فقد أحيا أهله حدثني بعض علماء الشام عن بعض المريدين من أهل البصرة قال نازعتني نفسي خبز أرز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة قال فمات فرأيته في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال لا أحسن أصف اليك ما تلقاني به ربي من النعم والكرامة وكان أول شئ استقبلني به خبز أرز وسمكا فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية فكانهم أسلفوا ترك الشهوات لما تركوها وقدموا الجوع والعطش في خلواتهم فاستقبلهم بالاكل والشرب ويقال لكل عمل جزاء في الآخرة من جنسه وبعمله وقال سري السقطي منذ ثلاثين سنة أشتهي أن أغمس جزرة في دبس وأنا أمنع نفسي وكان أبو سليمان الداراني يقول ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال لان أترك لقمة من عشائي أحب الى من قيام ليلة ذلك ايثارا للتقلل وخفة المعدة من الطعام أو خشية الاعتياد للشبع وسمعت أبا بكر بن الجلاء يقول أنا أعرف انسانا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا أريد أن تصبري على طي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة التي تشتهيها وقال لي رجل رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فاخذ بعضد ذراعه وجعل يقول بحبت هذا الجوع كله ولم يقل لي اترك الجوع ولو قال لي اتركه لعله كان يتركه وقد كان رحمه الله قد ترك أكل الشهوات وأكل الخبز أيضا ثلاثين سنة وكان الجنيد رحمه الله يقول يقوم أحدهم في صلاته فيجعل

من غلب عليه الاستغراق في المحبة تغايرا من القلب الحكاية مع أهل هذا المقام متفاوتون فمنهم من يستتر به جميع أوقاته ومنهم من يستتر به في بعضها على قدر ما رزقه الله تعالى من القرب وهم أصحاب قرة العين كما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين فان قلت كيف لم تظهر هذه الاحوال على الصحابة رضي الله عنهم قلت يا مسكين أنت أعمى عن أحوال الصحابة بل أحوال الصحابة ومقاماتهم أعظم وكل ما ذكرنا من المواهب فهي عندهم أكثر وهم فيها أقوى من غيرهم وأمكن في الاحوال ألا ترى الى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق شيأ من خالص محبة الله تعالى ألهاه ذلك عن كل ما سواه فتأمل هذا الكلام من الصديق رضي الله عنه تجد المقامات كلها فيه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق أبي بكر رضي الله عنه ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشئ وقر في صدره وكذلك اذا تأملت ما نقل عن الصحابة من بذلهم نفوسهم واطراحها بين يدي الله تعالى في الحروب وقتالهم القريب والبعيد في حق الله تعالى وخروجهم عن أموالهم وديارهم في طلب رضا الله تعالى دل ذلك على ابتلاء بواطنهم بحب الله تعالى ومشاهدته وكذلك صبرهم على الجهد والبلاء الذي لا يقدر غيرهم عليه ليس ذلك الا عن أمر قدمت البواطن وصرفها على حكم

بينه و بين الله تعالى وتقليل طعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة أو يسمع فهم الخطاب ومثل البطن مثل المزهر
وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه أجوف غير ممتلئ ولو كان ثقيلا جاسيا
ممتلئا لم يكن له صوت وكذلك الجوف اذا خلا من الامتلاء كان أرق للقلب وأعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل
المنام وروى عنه ان عتبة الغلام قال لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة لا أعرفها قال ان
فلانا لا يأكل التمر وأنت تأكله قال فانا ان تركت التمر واكله عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكى
فقال له بعض أصحابه أبكى الله عينك أعلى التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه فى
الترك هو اذا ترك شيئا لم يعاود فيه أبدا وكان بعض أشياخنا ترك أكل الخبز الحار لانه كان يحبه ويشتهيه
سنين كثيرة فعوتب فى ذلك فقال لو طمعت نفسى فى أكل الخبز عشرين سنة ما أطعمتها الساعة وكان ربما
يبكى من شدة شهوته له وشدة عزمه بمجاهدته لاستشعار نفسه صدقه وحسن وفائه فتيأس من شهوتها
آخر الدهر فكذلك كان يقع عليها البكاء للاياس من المشتهى واعلم ان الشهوات لاحد لها ومثل القوة
مثل العلم ذو حدود فكم من شهوة دنية منعت رتبة علية فان لم تقطع الشهوات وتحسمها أحب ما كانت
اليك أطلتك أرغب ما تكون فيها فلا تقعد عن التوبة تنتظر آخرها فان النفس لا آخر لشهواتها الى ان ترى
الملائكة فعند ذلك تمحى صفاتها بتغيب الشهوات لانها من أوصافها فان لم تترك الشهوات المعتادة فلا
تعمل فى مثلها من الزيادة بل يكون عملك فى النقصان فهو أقرب الى أخلاق الايمان وقد كان بعضهم يقول
لاصحابه لا تأكلوا الشهوات فان أكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وكانوا يقولون ما زاد على
الخبز فهو شهوة حتى الملح وقال بعضهم الخبز من أكبر الشهوات واعلم ان ما زاد على الخبز فهو فاكهة
يتفكه به وقد روينا عن ابن عمر انه قال ما تأتينا من العراق فاكهة أحب الينا من الخبز فان كان لابد من
تفكه بفاكهة مع الخبز الذى هو قوت النفس فكما أطعم الله عز وجل الفقراء فى الكفارة وهو الوسط فى
الادام الذى أمر به وأحبه للفقراء مثل الخبز والزيت لان أعلى الادام اللحم والحلو وأدناه الملح والخل فلم يأمر
سبحانه وتعالى بأعلاه لانه يشق على الاغنياء ولم يأمر بالادنى لانه يشق على الفقراء وتوسط الامر بينهما فقال
عز من قائل من أوسط ما تطعمون أهليكم فهو ما ذكرناه وعلى ذلك فان ابتلى العبد بأكل الشهوات وحبها
فليظهر ذلك ولا يخفيه وليشترها بنفسه ولا يستسرها فان هذا من صدق الحال وهو طريق السلف ان
فاته المجاهدة فى الاعمال فلا يفوتنه الصدق فى الحال وان لم يكن صديقا فليصدق فى كذبه فان الصدق فى
الكذب أحد الصدقين وان اخفاء الكذب والنقص واظهار ضده من الاخلاص والتمام هو كذبان لانه
نقص وأظهر حال الكاملين واعتل وأبدى شعار المصونين فكذب من طريقين واستحق المقت من وجهين
فلذلك غضب الله عز وجل على المنافقين ومقتهم مقتين ثم لم يرض منهم الا بتوبتين واشترط عليهم شرطين فقال
تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار يعنى أسفل من الكفار لان الكافر أخلص فى كفره فسوى
بين باطنه وظاهره والمنافق كفر وأشرك فى اعلانه فخالف بين باطنه وظاهره واستخف بنظر الله عز وجل
الى قلبه وعظم عين المخلوق فزاد الله عز وجل فى هوانه وشدد فى توبته وأكد من شرطه فقال تعالى الا الذين
تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله الآية وهذا الضرب من الرياء مما لا يعتقد به عالم بالله عز
وجل ولا عاقل عن الله عز وجل وقد يبتلى بأكل الشهوات وببعض المعاصى كما تجرى الذنوب على
العارفين ولا يبالون برؤية المخلوقين وليس للسلف فى هذا الباب الا طريقان طريق هو المجاهدة للنفس وترك
الشهوات فمنهم من كان يخفيه لانه أسلم له ومنهم من كان يظهره لانه مؤمن قوى نيته فى ذلك القدوة والتأسى
وطريق آخر كان فيه طائفة من العلماء والعاملين وكانوا يأكلون الطيبات ويتسعون فى المآكل اذا
وجدوها الا انهم كانوا يظهرون ذلك ويكشفونه وسمهم به فان فاتك الطريق الاعلى فاسلك الطريق
الاوسط الاسلم فاما ان يكون عبدا يأكل الشهوات فى السر ويخفيها فى العلانية أو يظهر شعار ضدها

هيبة الله تعالى والنظر الى ما ذكرناه فى حقهم من الثناء وما وصفهم به من التصلب فى الدين واخلاص الايمان وما نقل عنهم من
الجد والاجتهاد فى جهاد
الكفار وجهاد النفس
والهوى والشيطان
وتجرعهم مرارات المجاهدة
وتبتلهم لعبادة الله تعالى
من الصيام والصلاة وتلاوة
القرآن ولزوم المسجد
وقيام الليل وحبس النفس
عن الشهوات وصبرهم على
الفاقة والجوع والعرى
فاذا نظرت فى ذلك علمت
انهم كانوا أقوى من غيرهم
فلذلك ملكوا الاحوال ولم
تملكهم الاحوال وغيرهم
ملكتهم الاحوال لضعفهم
عن أحوال الصحابة
فظهرت عليهم آثار
الاحوال لان قوة الصحابة
من قوة النبى صلى الله عليه
وسلم واعلم أن الكشوف
من نتائج المحبة فاذا علم
المحبوب صدق المحب فى
محبته رفع بينه وبينه
الحجاب وأطلعه على اسراره
وكشف له عن علوم غامضة
واسرار عالية والكشوف
كانت أقل مراتب العارفين
من الصحابة حصل لهم ذلك
من الولاية التى هى دون
مقام النبوة فاشرقت عليهم
من سره صلى الله عليه وسلم
وسرت الى قلوبهم من
معارفه وأما علوم المعاملة
المتعلقة بالقلوب والابدان
فانها كانت حفظا فى
صدورهم ونورا فى قلوبهم
وانما حدثت التصانيف فى
اواخر المائة الاولى ثم فى المائة الثانية ظهرت كتب الكلام ومصنفات الرأى والمعقول وكثر الخوض فى الجدال

من الترك لها والزهد فيها ولبس هذا طريق الموقنين ولا مسالك الصادقين هذا وقد عرج عن طريق المسالك وسالك سبيل المهالك فاياك ان تترك محجة الطريق فتقع في حيرة المضيق حدثنا ان عابدا من بني اسرائيل انتهى في سياحته الى أرض لقوم ورأى في وسطها طريقا مستطرقا سالكه فيه السابلة فقال هذه أرض لقوم كيف أسلكها وشق عليه ان يجاوز الارض فيبعد عليه طريقه فتفكر وقال هذا طريق مسلوك لا باس على ان أسلكه فسلكه فلما خرج من تلك الارض عوقب على ذلك ونسي ذنبه فجعل يستكشف فقيل له لانك سلكت الى غير طريق ودخلت في حرث قوم بغير اذنهم فقال يارب معذرة اليك اني رأيته قد جعل طريقا فاوحى الله عز وجل اليه وكلما اتخذ الظالمون طريقا جعلته الى سبيلا فمن سلك طريق ظالم بغير ولم يكن في ذلك معذورا وأوقعه في الحيرة والغرور فهلك وأهلك من اقتدى به وهذا طريق متمنع جاهل متطرف بذلك الى الدنيا متشرف عند الناس بترك الشهوات مظلم التوحيد في الوجد ضعيف اليقين في غيبة عن العيون وقد كان من شان الصادقين من السلف اشتراء الشهوات بأنفسهم وتعليقها في منازلهم يظهرون للناس شعار الراغبين وهم فيها عند الله عز وجل من الزاهدين لا يأكلونها يغايرون بذلك اسقاط منزلتهم من قلوب الجاهلين واخفاء حالهم عن الناظرين وليصرفوا عنهم قلوب الغافلين يقطعون بذلك المقامات ويشترون به المعاملات لان هذا مقام من زهد في الاشياء وأخفى زهده فمن نهاية اخفاء الزهد اظهار ضده واستشعار المزهود فيه ثم لا يتناول ولا يتمتع به فيكون هذا أشد على النفس من المجاهدة لانه حمل عليها ثقلين ثقل المنع من الحظ وثقل سقوط المنزلة عنه فعدمت النفس لذة المتعة به وفقدت أسباب المنزلة بتركه فجرعها كاس الصبر مرتين فهذا حال الصادقين في ترك الشهوات وطريق الاقوياء من أهل الارادات وهو يشبه فعل الزاهدين في باب العطاء ان منهم من كان يأخذ العطاء علانية ثم يخرجه سرا فيكون له في الاخذ سقوط الجاه بظهور الرغبة ويكون له في الاخراج معاملة السر بحقيقة الزهد فلا هو متع نفسه بالجامع الزهد ولا هو أنالها حظها بتناوله مع الاخذ فهذا اشد شيء على النفس وهو طريق علماء الزهد ومن سلكه أخرجه الى مقام الصديقين وهذان طريقان قد درسا وقد طفا أثرهما في وقتنا هذا الاب لكنه الا من عرفه الفرد بعد الفرد والسابلة من القراء على طرقات التصنع والتزين وروى عن جعفر الصادق رضوان الله عليه اذا اقدمت الى شهوة نظرت الى نفسي فان أظهرت شهوتها اليها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وان أخفت شهوتها وأظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيأ تفسير ذلك ان اظهار النفس الشهوة ان لا تبالي ان تعرف با كل الشهوات وان تحب ان يظهر على ذلك من يعرف من أهل الديانات واخفاء النفس الشهوة ان تشتهي وتحب ان لا يعلم انها تشتهي وتكره ان تعرف بانها ممن تشتهي فقال هذه هي المعاقبة بترك أكلها لانه اذا ترك أكل شهوة لاجل الشهوات ثم اشتهى ان لا يعرف بتركها فهذا شهوة الشهوات فقد وقع في أعظم مما كره وفتنته بشهوة النظر اليها والمدح له أكثر من فتنته بترك شهوته الماكولة وهذا من الشهوة الخفية التي جاء في الخبر أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية والرياء بالمعاملات وخفي الشهوة ان تشتهي ان تعرف وتوصف بترك الشهوات وسئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقال نعلم به باسا فقال بما أعلم به باسا الا في شيء واحد مكروه يا كل في الخلوة مالا يا كله في الجماعة ما عليه بذلك واعمري انه موضع علة لان الصادقين قد كانوا يا كلون في الجماعة مالا يا كلون في الخلوة فهذا ضد حالهم فان آثاق العبد لونان أحدهما الطف من الآخر ابتدأ فاكل الالطف منهما فلعل كفايته تتم به فيستريح من الآخر فانما ادم أهل الدنيا غلبنا الالوان على رقيقه لتسموا في الاكل وتنفتق شهواتهم فيكون لكل لون لطيف مكان آخر وشبه بعضهم المعدة بمنزلة جراب ملآنه جوزا حتى لم يبق فيه فضل للجوز فجئت بسمسم فصببته عليه فاخذ لنفسه موضعا في خلال الجوز فوسع الجراب السمسم لما فقد الجوز فكذلك المعدة اذا ألقيت فيها طعاما رقيقا لطيفا بعد طعام غليظ خشن أخذته الشهوات في أماكنها فتمكن فيها بعد الشبع بما قبله والعرب تعيب ذلك

والمناظرات وابطال المقالات فاخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان وقلت معارف الموقنين في القرن الثالث وغابت في القرن الرابع فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعراض النفس عن ذلك الا الاقلون وصار يسمى المتكلم عالما والمجادلون والمناظرون علماء ولم تكن علوم الصحابة ومعارفهم لاهل الزمان معروفة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة حال الصحابة لحال الناس بعدهم فلذلك استمر اسم العلماء على المتكلمين والمجادلين وتوارثوا القاب خلفاء عن سلف وأصبح علم طريق الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام وبين العالم والمجادل الا عن الخواص منهم وكانوا اذا قيل لهم فلان أعلم من فلان فيقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر مجادلة فكان الخواص من السلف يدركون الفرق بين العلم وبين معرفة صناعة المجادلة والمناظرة هكذا كان ضعفاء الدين في قرون سالفة فكيف بزماننا هذا وقد انتهى الامر الى أن من اظهر الانكار على البدع والمهتدي بهدي السلف ينسب الى الجنون

*(فصل)* والمحبة في ثلاثة أشياء الاول محبة المؤمنين في الله تعالى وعلامة ذلك كف الاذى عنهم وجر النفع اليهم والثاني محبة رسول الله تعالى وعلامتها اتباع سنته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

ولا تطعه الذى ستنبهان تبتدئ بالعم قبل الثريد قال وحل لبعض الانباط انت من الذين يبتدؤن بالثريد قبل الشواء فهم أهل العراق بذلك هذا اذا استوى اللونان فى الحكم أو لم يكن الثريد فى ترك الافضل منهما نيه فاما ان كان قد ترك الشهوات ثم قدمت اليه وكان على عقد نيته وتوقن معه فلا باس باكل الادون وقد كان بعض الصادقين من ترك أكل الشهوات فى الاظهار اذا قدمت اليه نال منها شيأ يسيرا ليستر عن نفسه أبصار الناظرين و يصرف عنه قلوب المادحين وقال أبو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها يسيرا ولا تعط نفسك منتهاها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم تبلغ فى شهوتها فان فعل هذا حسن لان أبا سليمان خاف عليه ما ذكرناه قبيل من تظهر ترك الشهوة فيصير بتعتيمه باعتقاد فضله من ترك الشهوات أبلغ من كل الشهوات الوان يا كلها فيسرف على نفسه بلوغ شهوته التى كان تركها بعلة الاخلاص كما تقول العامة بهلة الصبى تشبع الدابة فان قوى يقينه وغاب الخلق عن عينه تركها وقلبه مطمئن بالايمان لانه لم يعتل بالنظر فيتداوى بالتناول البعض فاما ان كان قد اعتقد ترك شهوة فلعنى دخل عليه منها يخرجه من الورع أو بعزم على المجاهدة ثم أتى بها فهذا اختبار من الله سبحانه وتعالى ابتلاء كيف يعمل فى الوفاء بالعقد فاحب الى ان لا ينال منها شيأ وليتملل ويدافع عن نفسه بالمعاريض والمعاذير حتى لا يفطن به انه قد تركها للمجاهدة فيكون قد حصل الوصفين معا الوفاء بالعقد فى تركها والتورية بلطيف الحيلة من الفطنة له فى قصده وهذا طريق المريدين وصفات المتقين وهو الطريق الادنى الذى ذكرناه أولا فان ظهر قرب الله تعالى منه وغلب نظره اليه أغناه عن الحيلة والاحتيال بقربه وشهادته ذا الجلال والاكرام وهو الطريق الاعلى الذى ذكرناه آخرا وهذا للموقنين فاما ان كان الغليظ الخشن هو الاحل فى الحكم وأبعد من الشبهة فهو الاطيب والافضل فى العلم فلا يا كل الامنه يقال أول لقمة يا كلها العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنبه فلعل الله تعالى ان يشكر له ترك لقمة شبهة تلذيذة فى الطعام ان كانت كريهة فى الحكم يتركها لاجله فيغفر له ما سلف من ذنبه انه غفور شكور وقيل غفور للذنوب كثيرة شكور العمل يسير كيف وقد وصف المؤمنين أولى الهدى والتوحيد وذوى الرحمة والرشد بحسن التفقد فى الطعمة فقال انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا يعنى بشهادتهم بالتوحيد فكان من قيامهم حسن تفقدهم فى المأكول ومن اقبيتهم قولوا احدى قولهم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه يعنى ايها أحل وأفضل فامروا رسولهم بتحرى الحلال اذ قاموا لذى الجلال والاكرام لما أمرهم باكله اذ قدمه على الاعمال الصالحة فى قوله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ورعاتهم وتقوى وكذلك فافعل لتتبع سبيل المؤمنين فتكون معهم ولا تتبع سبيل المجرمين الظالمين فتحشر معهم فهذه رياضة المريدين وطريق المجاهدين فاما العارفون فليس لهم فى الاكل تجربة وتقسيم اذا أطعموا انتقلوا وشكروا فان رأوا له مكانا آثروا وان جوعوا علموا وصبروا قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شئ فان قالوا نعم أكل وان قالوا لا قال انى صائم وكان يقدم اليه الشئ فيقول اما انى كنت أردت الصوم ثم يا كل وفى الخبر انه خرج صلى الله عليه وسلم يوما فقال انى صائم ثم دخل فقالت عائشة قد أهدى لنا حيس فقال قد كنت أردت الصوم ولكن قربيه وكانت بينه وبين الله علامة فى فطره وصومه كان الوجود علامة فطره يكون مرادا به وكان العدم علامة صومه يكون معه مرادا وعلى المعنى تصرف قلوب العارفين ومن هذه المشكاة تضىء بصائر الشاهدين ولا يوكلون الى حال ولا يوقفون مع مقام ولا تصح هذه الثلاث الابثلاث خلال أحدها علم الهوى وتوقان النفس بالعادة والثانية ان يكون له فى أكله نية كما له فى صومه نية فيكون أكله لله فيستوى أكله وصومه اذ كان العامل فيهما واحدا والثالثة أن يحفظ الجوارح الست بحسن الرعاية فيكون صائما بما هو فرض عليه وأفضل له وهن البصر والسمع واللسان والقلب واليد والرجل و يكون مفطرا بالبطن والفرج فيكون ما حفظ أكثر

والثالث صحبة الله وصحبة الله تكون  بطاعته وصحبة ... الذكر النعم وورث المحبة والمحبة اذا حصلت لزمها النصح للمحبوب فالنصح من توابع المحبة وعلامة الحب لله اذا نزل به بلاء أو محنة لا يتغير ولا يضطرب فان كان كذلك عند نزول المحنة فهو محب لله تعالى والا فهو كذاب على المحبة قال بعض السادة اذا قال رجل أنا أحبك فقد عاداته فان ثبت فهو يحبك وان اضطرب وتغير فاعلم انه كذاب واعلم ان محبة العقل لله تعالى لا يوصف بها عشق لان العشق مجاوزة الحد فى المحبة وهو معنى قول المتكلمين ان العشق افراط المحبة والعبد لا يجاوز الحد فى محبة الله تعالى لانه مقدار من المحبة يحصل فى قلب العبد لله تعالى فالله تعالى يستحق على العبد أكثر منه باضعاف مضاعفة قيل لبعضهم من أين أقبلت قال من عند الحبيب قيل له والى أين تريد قال الى قرب الحبيب قيل له وما تشتهى قال لقاء الحبيب قيل له وما قوتك قال ذكر الحبيب قيل له وما شربك قال الشوق الى الحبيب قيل له وما لباسك قال ستر الحبيب قيل له لم اصفر وجهك قال من فراق الحبيب قيل له الى ماذا تقول الحبيب الحبيب قال الى ان أرى وجه الحبيب
وروى عن الحسن بن على رضى الله عنهما انه طلق امرأة وقدم مهرها أربعين ألف درهم فقالت المرأة متاع قليل من حبيب مفارق وابلغ

وابلغ واحب الى الله عز وجل و يكون أفضل ممن صام بجوارحه فان لم يكن من أصبح صائما ثم أفطر بهذه الاوصاف الثلاث دخلت عليه الشهوة الخفية التى فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روينا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قال أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية فقال ان يصبح أحدكم صائما ثم يعرض له الطعام يشتهيه فيفطر لاجله فلا فضل ان عقد تقصوما انيته فان فسخه لغير الله تعالى موقب على ذلك من عقوبات القلوب أو عقوبات الجوارح فى طرقات الآخرة فتلك عقوبة ترك فضائل الاعمال وفى خبر نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح هكذا رويناه وقيل لبشر بن الحرث ان فلانا الغنى يصوم الدهر فقال المسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره انما حاله ان يطعم الجياع و يكسو العراة و يواسى المحتاجين فهذا أفضل له من صيامه الدهر ثم قال بشر عبادة الغنى كروضة على مزبلة وعبادة الفقير كعقد الجوهر فى جيد الحسناء ودخل سفيان الثورى يوما على أبى اسحق الفزارى فقدم اليه قصعة فيها خبيص فقال لولا انى صائم لاكلت معك فقال الفزارى دخل على أخوك ابراهيم بن أدهم فقعد فى موضعك هذا فقدمت اليه مثل هذه القصعة فاكل فلما أراد الانصراف قال انى كنت صائما الا انى أحببت ان آكل معك أسرك بذلك قال فوضع الثورى يده وجعل يأكل وتادب بابراهيم وحدثونا عن سهل رحمه الله انه سئل كيف كان فى بدايته فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه أكل دقاق التبن ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات ثلاثة دراهم فى ثلاث سنين قيل وما هو قال كنت اشترى فى كل سنة بدانقين تمرا وار بعة دوانق كسبا ثم أعجنها عجنة ثم أجزئها ثلاثمائة وستين كبة أفطر فى كل ليلة على كبة قال فقلت له فكيف انت فى وقتك هذا قال آكل بلا حد ولا توقيت وقد كان معروف الكرخى يهدى اليه طيبات الطعام فيأكل فيقال له ان أخاك بشرا لا يأكل من هذا فيقول أخى بشر قبضه الورع وانا بسطتنى المعرفة ثم قال انما أنا ضيف فى دار مولاى اذا أطعمنى أكلت واذا جوعنى صبرت مالى والاعتراض والتخير وقال بعض اخوان بشر الحافى دخلت عليه وهو يأكل فقال لى كل فقلت انى صائم فناولنى كسرة وقال لى كلها فاكلتها فقال سلمت من آفة الصوم وأدخلت على السرور وكان بشر رحمه الله قد أصبح ذات يوم صائما فزاره فتح الموصلى قال الحسين المغازلى فدفع الى كذا من دراهم فقال اشتر لنا أطيب ما تجد من الطعام وأطيب ما تجد من الحلاوة وأطيب ما تجد من الطيب قال وما قال لى مثل ذلك قط ففعلت فوضعت الطعام بين أيديهم فجعل يأكل معهم ما رأيته أكل مع غيرهم وكان بعض هذه الطائفة يقول اذا أعطاك مولاك بقطعة فضة شهاك ان تشترى ما تشاء وتشتهى وان أعطاك ما تأكل بعينه فكل ذلك ولا تتخير سواه ودفع ابراهيم بن أدهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حوارى فقلت يا أبا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا منهم الثورى والاوزاعى فقال له ما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس فى الطعام اسراف انما الاسراف فى الاثاث واللباس وهكذا حكى عن سيرة السلف قال كانوا فى الرجال مخاصيب وكان فى الزى والثياب تقصير وفى الخبر أن رجلا صنع طعاما فدعا اليه بعض اخوانه فقال انى صائم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صنع لك أخوك طعاما فلم تاكل ألا أفطرت وصمت يوما مكانه وحدثونا عن بعض العلماء انه كان قاضيا بصنعاء فدخل على أمير صنعاء فحضر وقت غدائه فعرض عليه الاكل فقال انى صائم فلما أخذ الامير فى الاكل وهو عنده اذ نظر القاضى فاذا قد جاؤا بحمل مشوى فجعل القاضى يزحف و يتقدم الى المائدة ثم مد يده يأكل فقال له الامير ألم تقل انى صائم فقال ايها الامير انا على قضاء يوم أصومه أقدر منى على قضاء مثل هذا الجمل وكان أبو سليمان الدارانى يقول لا تضر لشهوات من لم يتكلفها انما تضر من حرص عليها وكان يدعو أصحابه فيقدم اليهم الطيبات فيقولون له تمنعنا منها وتقدمها الينا فقال لانى أعلم انكم تشتهونها فانما كلوها اهتدى خيرا ولو جاءنى من يزهد ما زدته على الملح شيئا وكان يقول أكل الطيبات يورث الرضا عن الله تعالى وقال بعض الخلفاء شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله تعالى وأوحى الله

فلما بلغه كلامه قال لو واجهت امرأة لواجهتها بهذه الكلمة وكان أحمد بن حنبل لا يتخذ الاخوان ثقيلة فى ذلك فقال طائفة الفراق وكان بعضهم يقول لو كان الفراق صورة يتطاير اليها لما نظر الناس الى شئ أقبح منها قال أهل البصائر ولا يغتر المحب بالوصال فان كثيرا ما يعرض أسباب الفراق فينبغى ان يسدل فرحه بالوصال بالبكاء من خوف الفراق وروى ان يعقوب عليه السلام بكى بعد ما وجد يوسف فسئل عن ذلك فقال الاول كان بكاء الطلب وهذا بكاء خوف السلب وكثير من أهل محبة الله تعالى صاروا أعداء الله لقضاء أزلى جرت به الاحكام وسبق به القدر

*(فصل)* وأما التشوق فهو هبوب القلب الى غائب وقال القشيرى ارتياح القلب الى لقاء المحبوب ولم يرد لفظ التشوق فى القرآن الكريم وانما ورد فى الحديث فى جملة دعاء دعا به النبى صلى الله عليه وسلم وأسألك النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك والشوق يتولد عن المحبة وعلى قدر المحبة يكون الشوق والشوق على ثلاث درجات الاولى شوق العابد الى الجنة الثانى شوق الى الله تعالى زرعه الحب وهذا الحب زرعه تعلق القلب بصفاته المقدسة الثالثة نار أضرمها صفو المحبة فبغضت العيش وسلبت السلو ولم يسكنها شئ غير اللقاء قال المسايخ الشوق على قسمين الاول

سبحانه الى بعض أوليائه ادرك لى لعاب الفطنة وخفى العلف فانى أحب ذلك قال يارب وما لعاب الفطنة قال اذا وقعت عليك ذبابة فاعلم انى أوقعتها فسلنى حتى أرفعها قال وما خفى العلف قال اذا أتاك فولة مسوسة فاعلم انى ذكرتك بها فاشكرنى عليها وأوحى الى بعض الانبياء لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظمة مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها فاذا أصابك فقر وضر فلا تشكنى الى خلقى كما اذا صعدت مساويك لم أشكك الى ملائكتى

*(الفصل الاربعون فيه كتاب الاطعمة وذكر ما يجمع الاكل من السنن والآداب وما يشتمل على الطعام من الكراهة والاستحباب)* قال الله الجليل جل جلاله يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله فقدم الامر بالاكل على الامر بالشكر وقال سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقدم النهى عن الاكل الحرام على القتل النفس تفضيلا للاكل الحلال وتعظيما للاكل بالباطل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليؤجر حتى فى اللقمة يرفعها الى فيه أو الى فى امرأته وروى عنه صلى الله عليه وسلم ما أطعم المسلم نفسه وأهل بيته فهو صدقة له وسئل صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال عليه السلام فى الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام ولين الكلام وكان ابن عمر يقول من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وبذله لاصحابه وروينا عن على عليه السلام لان أجمع اخوانى على صاع من طعام أحب الى من ان اعتق رقبة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا وضع الطعام وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء قبل الصلاة قال فكان ابن عمر ربما سمع الاقامة وقراءة الامام فلا يقوم من عشائه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الطعام ما كثرت عليه الايدى وقال عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده ينفى اللمم ويصح البصر يعنى به غسل اليد وقال أحمد بن حنبل الاكل من الطيب قدمه الله عز وجل على العمل فقال عز وجل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وكان سهل يقول من لم يحسن أدب الاكل لم يحسن أدب العمل قال والذى يتصنع فى الاكل هو الذى يتصنع فى العمل وقال مرة الذى يؤذى فى الاكل هو الذى يؤذى فى الصلاة وكان بعض السلف يقول انى لاحب ان يكون لى نية فى كل شئ حتى فى الاكل والنوم وقد كان السلف الصالح يكون لاحدهم فى الاكل نية صالحة كما يكون له فى الجوع نية صالحة والذى يأكل بغير نية الآخرة للعادة والشهوة والتنعم قد يجوع لغير الآخرة للعادة والشهوة أيضا وللتزين للخلق وهذا من دقيق آفات النفوس فحسن من يأكل بنية الآخرة ولاجل الله سبحانه وتعالى كحسن من جاع لاجل الله تعالى وبنية الآخرة والاكل من أبواب الدنيا فالطعام والاكل يشتمل على مائة وسبعين خصلة ما بين فرض وسنة وأدب وفضيلة واستحباب وكراهة ومروءة وفتوة من طريق السلف وصنائع العرب أول ذلك أن يكون المأكول حلالا وعلامة الحلال ثلاث تكون عنه مروفة لم يحفظ العلماء عن ذمها العلم من ظلم وخيانة و يكون سببه باسم تعدو بسبب محظور فى الشرع لاجل هوى أو مداهنة فى دين ودنيا و يكون قد وافق فيه حكم السنة لا يكون على وصف مكروه ثم ينوى بالاكل التقوى على البر والتقوى والاستعانة على خدمة المولى ويعرف النعمة فيها انها من المنعم وحده لا شريك له فيها و يعتقد الشكر له عليها و يؤثر التقلل على الاتساع والقناعة على الحرص والادب فيه على الشره ثم غسل اليد فى أوله للاستحباب وفى آخره للنظافة والتسمية فى أوله والحمد آخره والاكل باليمين و يبتدئ بالملح ويختم به وان لا يذم مأكولا ولا يعيبه ان أعجبه أكل والا ترك وا القناعة بالمأكول من القسم والرضا بالموجود من الرزق وان تكثر الايدى على الطعام وفى الخبر اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وتصغير اللقمة وتجويد المضغ وان لا ينظر فى وجوه الآكلين ولا يتفقدهم كلهم وان يقعد على رجله اليسرى و ينصب اليمنى ولا يأكل متكئا ولا مضطجعا ولا يكون أول من يبتدئ بالاكل حتى

شوق الى الحضور عند الغيبة والثانى شوق الى اللقاء بعد الموت لان النبى صلى الله عليه وسلم انما كان باقيا فى الدنيا لبث الشرائع وتبليغ الرسالة فلما كمل الدين طلب اللقاء وأما الشوق الى الحضور عند الغيبة فالنبى صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك لان ذلك انما يثبت فى حق من غاب قلبه عن الله تعالى والحضور مع الله والمشاهدة له سبحانه كان ذلك شأنه صلى الله عليه وسلم وحاله فى كل احيانه وأوقاته فى يقظته ونومه فحين سأل الشوق لم يسأل هذا الشوق لان هذا الشوق لا يسأله الا من غاب عنه محبوبه وقلب النبى صلى الله عليه وسلم كان دائم الحضور مع الله تعالى والمشاهدة له وانما سأل شوق اللقاء الذى بعد سماع الموت لرفع الحجاب ومجاورة الرحمن

(فصل فى السماع والوجد) اختلف الناس فى سماع الغناء بآلة وبغير آلة فمنهم من منعه وألحقه بالمحرمات ومنهم من جعله من قبيل المستحبات ومنهم من توسط وفصل وهو أقرب الى الصواب وقال باباحته من الاكثرين أبو محمد بن حزم ومحمد بن طاهر المقدسى وقال ابن حزم لا يصح فى هذا الباب شئ أبدا وكل ما فيه موضوع قال والغناء وسماعه مباح ولا ينهض دليل سمعى ولا قياس على منعه وسئل بعضهم عن السماع فقال انه يأتى يوم القيامة لا فى الحسنات ولا فى السيآت واعلم ان لا اباحة

يسبق صاحب المنزل والا كبر فالا كبر الا أن يكون اماما يقتدى به أو يكون القوم منقبضين فيبسطهم
بالابتداء ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق ولا يجمعهما فى كفه وليضع النواة على ظاهر كفه من فيه ثم يلقيها
كذلك وما كان فى معناه مما له عجم أو ثفل ويستحب ان يأكل من التمر وترا سبعا أو احدى عشرة أو احدى
وعشرين وان يفطر على رطبات ان وجده والا فتمر فان لم يجد فعلى الماء وكان وهب بن منبه يقول الصائم
يزيغ بصره فاذا افطر على حلاوة رجع بصره ولا يقرن بين تمرتين فى الجماعة الا ان يفعلوا ذلك أو يستأذنهم
وان يأكل بعد الجوع ويرفع يده قبل الامتلاء لاعتقاد ثلث بطنه أو نصفه كذلك سنة السلف وهو أصح للجسم
وقال حكيم من أهل الطب ان الدواء الذى لا داء فيه هو ان لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وترفع يدك عنه وانت
تشتهيه وفى الخبر أصل كل داء البردة يقال هى التخمة ويقال فى اختيار الحكماء ان نادما الارسطاطاليس
استقضى رجلا من أهل السواد حاجة له فلم يفعل فقال له لعلك تحتاج اليه فقال ما لى اليه من حاجة فاخبر
الخادم الحكيم بذلك فقال ان كان يأكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع ويتقلل بين ذلك فقد صدق ماله
الينا من حاجة وقد أحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن حسب ابن
آدم لقيمات يشددن صلبه فان لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس والطعام انما وضع دواء
من داء الجوع اذا وجدته عالجته به فاذا لم تجده صار الاكل داء لان التأذى بالاكل مثل التأذى بالجوع أو
أشد وليأكل مما يليه الا الفاكهة فله ان يجيل يده فيها ويأكل بثلاثة أصابع الا الثريد فليأكل باصابعه كلها
وان لا يأكل من ذروة القصعة ولا وسط الطعام وليأكل من نواحيه وان لا يصمتوا على الطعام فانه من سيرة
العجم فليتكلموا بالمعروف ولا يقطع اللحم بالسكين فقد نهى عن ذلك ولكن لينهشوه نهشا ولا يقطع الخبز
بالسكين ويأكل من استدارة الرغيف الا ان يكون فى الخبز قلة وفى الآكلين كثرة فيستعان بتكسير
الخبز على التفرقة ولا يكثر قول كل على أخيه فان ذلك يحشمه وربما قطعه ولا ينبغى لاخيه ان يحوجه الى
تفقده فى الاكل وتكرير قوله له كل وقال بعض الادباء أحسن الآكلين أكلا من لم يحوج صاحبه الى
تفقده فى الاكل ومن حمل عن أخيه مؤنة القول ولا يدع شيئا من المأكول يشتهيه لاجل نظر الغير اليه
فانه من التصنع فان تركه ايثارا لاخوانه أو قدمه الى أخيه فحسن ولا ينقص من أكله المعتاد فى الوحدة
وان زاد لاجل مساعدة الجماعة أو بنية فضل الاكل مع الاخوان فلا بأس بذلك والشرب فى تضاعيف الاكل
مستحب من جهة الطب ما لم يسرد به أو يكثر منه يقال انه دباغ المعدة والشرب متكئا مكروه للمعدة أيضا
من جهة الطب والاكل متكئا وماشيا ليس من السنة الا ما يتناول أو يتنقل به من الحبوب وما فى معناها
وقد روى على رضى الله عنه وهو يأكل على ترس مضطجعا كعكا ويقال منبطحا على بطنه والعرب
تفعله وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واملكوا العجين فانه أعظم للبركة
وما رده من المأكول مع الجماعة فلا يرده فى القصعة مع الثفل فيأكله غيره ان وقع بيده فأكلوا الاثر كله مع
الثفل ولا يتم الخل بالدسم ليطبع بالحلاوة لى الحم ويقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل وفى
الخبر ان المائدة التى أنزلت على بنى اسرائيل من السماء كان عليها من كل البقول الا الكراث وكان فيها سمكة
عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وكان عليها سبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا من أحسن
الطعام اذا اتفق فان لم يكن فكما قال بعض الادباء اذا دعوت أخوانك فقدمت اليهم حصرمية وبورانية
وعقبتهم ماء باردا فقد أكملت الضيافة ودعا بعض الرؤساء اخوانه فانفق مائتى درهم فقال له بعض الحكماء لم
تكن تحتاج الى هذا كله اذا كان خبزك جيدا وخلك حامضا وماؤك باردا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد
الطعام خير من كثرة الالوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين وقال آخر شرب الماء البارد على الطعام
خير من زيادة الالوان وقال أبو سليمان الدارانى أكل الطيبات يورث الرضا عن الله عز وجل وقال المأمون
رحمه الله شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله



السماع شروطا منها ان ينوى به ترويح نفسه ليتقوى بذلك على طاعة الله تعالى ويبسط بذلك نفسه على البر ومنها أن لا يكون فى
الغناء الذى يسمعه تغزل
بشخص معين من صبى أو
امرأة ومنها أن لا يكون
من امرأة ليست بزوج
ولا أمة للسامع ولا بأس
به اذا كان معه آلة من دف
أو شبابة ولا بأس بالرقص
فى السماع اذا لم يكن فيه
تكسر وقد جاء فى الحديث
ان أبا بكر دخل على عائشة
رضى الله عنها وعندها
جاريتان تغنيان وتضربان
بالدف والنبى صلى الله عليه
وسلم مسجى فانتهرهما أبو
بكر رضى الله عنه فكشف
النبى صلى الله عليه وسلم عن
وجهه وقال دعهما يا أبا بكر
فانها أيام عيد وسئل مالك
عن السماع فقال أهل
العلم ببلدنا لا ينكرون ذلك
ولا ينهون عنه ولا ينكره
الا غبى جاهل أو ناسك
عراقى غليظ الطبع ونقل
عن أكابر من العلماء
الصالحين المقتدى بهم
انهم اجتمعوا فى دار الامام
أبى الحسن التميمى ببغداد
فى دعوة كان فيها سماع
وأنهم حضروا ذلك
السماع منهم أبو الحسن
التميمى شيخ الحنابلة
ببغداد وأبو بكر الابهرى
شيخ المالكيين ببغداد
وأبو القاسم الداركى شيخ
الشافعيين ببغداد وطاهر
ابن الحسين شيخ المحدثين
ببغداد وأبو الحسن بن
سمعون شيخ الزهاد والوعاظ ببغداد وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين ببغداد وصاحبه أبو بكر الباقلانى وكان أبو اسحق

واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن اكرام الضيف تعجيل الطعام لهم وأفضل ما قدم اليهم اللحم وخير اللحم السمين النضيج فان كان بعد اللحم حلاوة فقد جمع لهم الطيبات يتضام هذه المعاني قوله عز وجل هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين قيل في المكرمين قولان أحدهما خدمته اياهم بنفسه والثاني اكرامهم بتعجيل الطعام اليهم قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ أي بعجل حنيذ ولا أتام والحنيذ النضيج وقال تعالى فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين الروغان الذهاب بسرعة وقيل الذهاب بخفية وقيل انه جاء بفخذ من لحم فسمي عجلا لانه عجله ولم يلبث به ثم وصف بانه سمين نضيج يقال حنيذ ومحنوذ أيضا قال كان نضيجا وقال في وصف الطيبات وأنزلنا عليكم المن والسلوى المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يسلي به عن جميع الادام ان فيه غنية عن جميعها وليس في كلها مقامه ثم قال تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاوة من طيبات الرزق وليأكل الرجل في منزل أخيه حشمة أكله في منزله بغير تكلف ولا تزين لانه قد يدخل من الرياء والتزين في الطعام مثل ما يدخل في سائر الاعمال من الصلاة والصيام والاكل عمل وكل عمل يحتاج الى نية والاخلاص فلتكن نيته في أكله الاستعانة على الطاعة ولتكن نيته مع اخوانه اكرامهم بذلك وادخال السرور عليهم والتبرك بالجماعة لقول النبي صلى الله عليه وسلم الجماعة بركة و ينوي اقامة السنة في اجابة الدعوة ليكون مأجورا في أكله عاملا في جميع ذلك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا كله داخل في حسن الخلق وهو في معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم وقد قال بعضهم هو الرجل يسأل اخوانه ان يفطر معهم نهارا أو يسهر معهم ليلا و يكون من عادته الصيام والقيام فيساعدهم تخلقا معهم فيدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم وقال بعض العلماء من أهل الادب ليس من السنة والمروءة ان يزور الرجل اخوانه فيتشاغل عنهم بالصلاة النافلة أو يستزيره اخوانه فيقدمون اليه الطعام فلا يساعدهم عليه لاجل الصيام ولا يقصر عن بغيته من المأكول فيترك الاكل مع حاجته اليه فانه غير محمود ولا مأجور عليه ان لم يكن سبب أوجب عليه ذلك وقال جعفر بن محمد عليه السلام أحب اخواني الى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأثقلهم على من يحوجني الى تعاهده في الاكل وقال أيضا تتبين محبة الرجل لاخيه بجودة أكله في منزله فان قلل الاكل مع الفقراء ايثارا لهم أو لقلة الطعام فحسن وروينا ان سفيان الثوري دعا ابراهيم بن أدهم وأصحابه الى طعام فقصر في الاكل فلما رفعوا الطعام قال له الثوري انك قصرت في الاكل فقال ابراهيم لانك قصرت في الطعام فقصرنا في الاكل قال ودعا ابراهيم الثوري وأصحابه الى طعام فأكثر منه فقال له يا أبا اسحق أما تخاف ان يكون هذا السرف فقال ابراهيم ليس في الطعام سرف وليلعق أصابعه قبل ان يمسحها بالخرقة وليأكل ما سقط من فتات الطعام يقال انه مهور الحور العين يقال من لعق الصحفة وشرب ماءها كان له عتق رقبة وان أكل حلالا فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وليكثر شكر الله تعالى على ذلك وان أكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ولا تجعله قوة لنا على معصيتك وليكثر الحزن والاستغفار وفي خبر اذا دعي أحدكم الى طعام فلم يعجب فلا يقل كل هنيا فانه يكون أخذ من غيره له ولكن ليقل أطعمك الله طيبا وليقل اذا أكل لبنا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد و بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه كذلك روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لان اللبن أعم نفعا من غيره وليقل في أول لقمة بسم الله وفي الثانية بسم الله الرحمن وفي الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم وليشرب الكوز في ثلاثة أنفاس يقطعه وليقل في أول جرعة الحمد لله وفي الثانية الحمد لله رب العالمين وفي الثالثة يزيد الرحمن الرحيم وان سمى في أول كل لقمة فحسن وليقرأ بعد فراغه من الطعام قل هو الله أحد ولايلاف قريش وتقديم الفاكهة قبل الطعام أوفق وفي كتاب الله عز وجل ترتيب ذلك من قوله سبحانه وتعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ولا يرفع يده قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون أو يحتاجون

الشيرازي شيخ مذهب الشافعي في وقته ببغداد يحضر السماع وحضر من المتأخرين الشيخ عز الدين وتقي الدين بن دقيق العيد وحضره الشيخ أبو محمد الجريري والشيخ أبو القاسم القشيري والأكابر من مشايخ الصوفية وقال الشيخ أبو طالب المكي من السماع ما هو حرام ومنه ما هو شبهة ومنه ما هو حلال فمن سمعه بنفس يشاهد بها شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بعقوله على صفة مباحة من جارية له أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه ومن سمعه بقلب يشاهد به معاني تدله على الدليل وتشهده طرقات الجليل فهو مباح قال السهروردي صاحب العوارف وهذا هو الصحيح وقال بعضهم لا يندب السماع الا بشرائط أحدها أن يكون السماع ممن غلب عليه حب الله تعالى لان السماع يحرك من كل قلب ما هو الغالب عليه الثاني أن يكون له ذوق من العالم الروحاني لان الانتفاع بروح الصوت لا بنفسه الثالث ان يغلب على قلبه مشاهدة جلال الله تعالى وحقارة الدنيا فان خلا من هذه الشرائط زاحمته خواطر الرياء والوجد في السماع قد يكون من رؤية الجمال وعلامته الانبساط وقد يكون من رؤية الجلال وصاحبه متأصل متقاهر وقد يكون عن رؤية الوعيد وعلامته الحزن والقدر المشترك بين الكل الهيمان واعلم ان أهل الاستغراق في الشهود

الى بسط فان كان قليل الاكل تربص حتى يضعوا أيديهم فيأكلوا صدرا من الطعام ثم يقعد بعدهم ليستوي أكله مع أكلهم فان كانوا علماء لم يكرهوا ذلك منه وقد فعله كثير من الصحابة ولا يتكلف لاخوانه من المأكول ما يثقل عليه ثمنه أو يأخذه بدين أو يكتسبه بمشقة أو من شبهة ولا يدخر عنهم ما بحضرته ولا يستأثر بشيء دونهم ولا يضر بعياله وروينا ان رجلا دعا عليا رضي الله عنه الى منزله فقال أجيبك على شرائط ثلاث لا تدخل من السوق شيأ ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بعيالك وقد كان من سيرة السلف اذا دعا أحدهم أخاه قدم جميع ما بحضرته أو أخرج من كل شيء عنده شيأ وكان بعض الرؤساء من الاخيار اذا دعا الناس الى طعامه يدعو الخباز فيقول أعلم الناس بما عندك من الالوان قال ثم يدعهم يأكلون حتى اذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده الى الطعام فأكل وقال سمعوني بارك الله عليكم فكان السلف يستحسنون ذلك منه وليس من السنة ان يقصد الرجل قوما يتحين حضور طعامهم ليصادفه فان ذلك من المفاجأة فقد نهي عنه قال الله سبحانه وتعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما ولكن ان صادفهم يأكلون فسألوه ان يأكل معهم وعلم انهم يحبون أكله معهم فلا بأس وليس ذلك داخلا في المفاجأة فان لم يعلم انهم يحبون ان يأكل معهم وانما قالوه تعززا وحياء كرهت له الاكل معهم وان كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتعين وقت أكله فلا بأس بذلك قد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهم منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبا أيوب الانصاريين لاجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا ومن السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه اذا انصرف الى باب الدار وليس من السنة ان يخرج الضيف من المنزل من غير اذن صاحبه ولا أن يقيم الضيافة فوق ثلاثة أيام حتى يخرجه أو يتبرم به ويتأثر في ذلك وقال بعضهم اذا قصدت الزيارة فقدم ما حضر واذا استزرت فلا تبق ولا تذر وفي الخبر دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وفي حديث يونس عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا من شعير وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال كلوا لولا ان الله تبارك وتعالى لعن المتكلفين لتكلفت لكم وروينا عن أنس بن مالك وغيره من الصحابة كانوا يقدمون الى اخوانهم ما حضر من الكسر اليابسة والحشف من التمر والبقل ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما قدم اليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه وقد روينا في معناه خبرا مسندا وقد كان أنس وغيره يقدمون ما عندهم الى اخوانهم ويقولون ان الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وفي الخبر أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يجتمعون على قراءة القرآن والذكر ولا يتفارقون الا من ذواق ولا ينبغي للمدعو ان يقترح على الداعي شيأ بعينه فيقول أريد كذا فليس ذلك من القناعة فان خيره أخوه بين طعامين فليختر أقربهما عنه وأيسرهما عليه كذلك السنة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما وحدثونا عن الاعمش عن أبي وائل قال مضيت مع صاحب لي الى سلمان نزوره فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر لكان أطيب فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة فان كان أخوه ممن يأنس به وعلم ان اقتراحه عليه مما يعجبه فلا بأس بذلك قد فعله الشافعي مع الزعفراني رحمهما الله تعالى كان نازلا عليه ببغداد فكانا يخرجان يوم الجمعة الى الصلاة فكان الزعفراني يكتب في رقعة الجارية ما تصلح من الالوان فدعا الشافعي ذات يوم الجارية فنظر فيها ثم زاد لونا اشتهاه فلما جاء الزعفراني وقدمت الجارية ذلك اللون أنكره اذ لم يأمرها به فسألها عنه فأخبرته ان الشافعي زاد ذلك في الرقعة فقال أريني الرقعة فلما نظر الى خط الشافعي في الرقعة بذلك اللون فرح بذلك وأعجبه فقال أنت حرة لوجه الله تعالى فاعتقها سرورا منه بفعل الشافعي ذلك واليه تنسب درب الزعفراني بباب الشعير في الجانب الغربي من

لا تطرب نفوسهم الى السماع ولا تتعلق قلوبهم بمعاني التشد والعين بل يستوي عندهم السماع وتقبيل الهدايف قال السهروردي وأما الدف والشبابة وان كان في مذهب الشافعي فيهما فسحة فالاولى تركهما والخروج من الخلاف والاقتصار على الغناء المتضمن الذكر الهجر والوصال والقطيعة والصد مما يحمل القلب على محبة الله تعالى والشوق الى لقائه فهذا مندوب اليه وأما ما يتضمن ذكر الخدود والقدود والنساء فلا يليق بأهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك قال السهروردي وأما الحركة في السماع فقد استأنسوا لها بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فحجل والحجل هو أن يرفع احدى رجليه ويقف على الاخرى انتهى كلام السهروردي قال بعض المشايخ وأما الصعقة والصياح في السماع فانما تكره عند حضور رغائبه عن القلب أو فقد حاضر فيه ومثل خروجها من الانسان كمثل العطسة ولا يدري من أين تجيء ولا كيف تجيء وأما البكاء في السماع فهو من غلبة الوجد ولا يبكي الا لفقد مسلوب أو طالب يظفر بالمطلوب سئل بعضهم عماذا يكون البكاء فقال لا بكاء الا على عزم مطلوب أو فقد محبوب واعلم ان الحركات في السماع اذا كانت من وجد وكان صاحبها مغلوبا على أمره فلا بأس بها وقد تقدم

بعد اذ فان شهاه أخوه وسأله فلا بأس ان يذكر شهوة ليصنعها فيعينه على قضائها وقد روينا في فضل ذلك غير حديث منها الحديث المشهور من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل وروينا عن ابن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله تعالى من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد والخلال بعد الاكل حسن فلا يبين عنه ولا بأس بغسل اليد في الطست وليس من الادب التنخم فيه وروينا أن أنس بن مالك اجتمع هو وثابت البناني على طعام فقدم الطست الى ثابت ليغسل يده فامتنع فقال أنس اذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروى ان هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصب الرجل على يده في الطست فلما فرغ قال له يا أبا معاوية تدري من صب على يدك قال لا قال أمير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين انما أكرمت العلم وأجللته فأجلك الله عز وجل وأكرمك كما أجللت العلم وأكرمته وأكرم قيام الخادم أحب الى أن يصب على يده جالسا واجتماع الاثنين أو الثلاثة في غسل اليد وجمع الماء المستعمل في طست واحدة في الطست حسن وهو من التواضع ومن انفرد بغسل يده وحده فلا بأس أن يتنخم في الطست ومن بزق فيه بعد أن يرفع ويفرغ من غسل يده فلا بأس * وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا ترفع الطست من بين يدي القوم الا مملوا ولا تشبهوا بالعجم وقد روينا عن ابن مسعود أنه قال اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة العجم ولا يزدردن ما أخرج الخلال من أسنانه فانه داء ومكروه وما لاكه بأسنانه فلا بأس أن يزدرده وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر عن بعض أهل البيت عليهم السلام وليقل عند فراغه من الطعام الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شئ ولا يكفي منه شئ أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت من عيلة لك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم صل على محمد وعلى آله وأطعمنا طيبا واستعملنا صالحا واجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معاصيك * وفي الاكل مع الاخوان ثلاث فضائل روى عن جعفر بن محمد عليهما السلام اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع * وروى عن الحسن البصري رحمه الله كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها الا نفقة الرجل اذا دعا اخوانه الى طعام فان الله سبحانه وتعالى يستحي ان يسأله عن ذلك وقد روى عن بعض علماء خراسان انه كان اذا دعا اخوانه قدم اليهم نحو الكثير من صنوف الاطعمة والحبوب والفواكه اليابسة فسئل عن ذلك فقال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاخوان اذا رفعوا أيديهم من الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك الطعام فأنا أحب ان أستكثر مما أقدم اليكم لنأكل فضل ذلك * وفي خبر عن بعض السلف لا يحاسب العبد على ما يأكله مع اخوانه فكان بعضهم يكثر من الاكل في الجماعة ويتقلل اذا أكل وحده * وفي الخبر ثلاث لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه والاكل مع الاخوان ومن لم يكن له نية في تقديم فضول الاطعمة بهذا الخبر فاني أكره أن يقدم من الطعام الا ما يريد ان يؤكل ولا يترك منه شئ ولا يستثنى هو ولا أهل البيت في أنفسهم رجوع شئ منه والا كان ما يقدمه مما ينوي رجوع بعضه ولا يحب أكل كله تصنعا ومباهاة فان علم بذلك من قدم اليه لم استحب له في الورع ان يأكل منه لان المأكول اذا قدم ليؤكل بعضه فهو تصنع وتزين لا يصنع الورعون ذلك ولا يأكل المتقون من هذا لانه لا يدري كم مقدار ما يحبون ان يأكلوا منه * وروينا عن ابن مسعود قال نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه وقد كره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة والمباراة وهذا يكره لمن يقدمه بغير نية الى اخوانه لانه قد عرضهم لتناول

ذكر ذلك قال الائمة لكن التمكين أحسن (١٨٢) لاسيما الشيخ وكان يقال لا يصلح السماع الا لعارف مكين ولا يصلح لمريد مبتدئ وقال بعضهم لا يصلح السماع الا لمن له نفس ميتة وقلب حي وقال الجنيد رحمة الله عليه اذا رأيت المريد يطلب السماع فاعلم ان عنده بقية بطالة وقيل ان الجنيد رحمة الله عليه ترك السماع فقيل له كنت تسمع فقال مع من قيل له تسمع أنت لنفسك فقال ممن لانهم كانوا لا يسمعون الا من أهل مع أهل فلما فقدوا الاخوان تركوه على أن أهل الكمال في غنى عن استجلاب الوجد والحال بغناء المغني ونشيد القوال قال الحضرمي ما حال من يحتاج الى مزعج يزعجه وفي المثل السائر فما يحتاج الشاكي الى نائحة وكثيرا ما يقع في السماع من بعض الواجدين تمزيق الثياب وهو مما نهى عنه الشرع لانه اتلاف مال روى ان موسى عليه السلام قص في بني اسرائيل فمزق واحد منهم قميصه فأوحى الله تعالى اليه مزق لي قلبك ولا تمزق قميصك وأما القاء الثوب والخرقة للحادي والمغني والمنشد فان كان ذلك بحسن نية فلا بأس وان كان ذلك على جهة المراياة والتكلف فهو ممنوع شرعا واستأنسوا لالقاء الخرقة للمنشد بما روى ان كعب بن زهير دخل على النبي صلى الله عليه وسلم المسجد وأنشده قصيدته التي أولها * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * حتى انتهى الى قوله ما

مايكرهون وقد دلس عليهم مالا يعلمون وأيضا فانه شئ قد قدم لاجل الله تعالى فلا يصلح ان يستثنى ارتجاع شئ منه بمنزلة من يخرج الرغيف أو الشئ الى السائل فيجده قد انصرف فكره أن يرجع فيه فيأكله وقال يعزله حتى يأتى سائل آخر فيدفعه اليه * وكان بعض أهل الحديث اذا أكل مع اخوانه ترك من الطعام على رغيف يعزله معه وكان سيار بن حاتم اذا حضر على مائدة أكل لقيمات ثم يقول اعزلوا نصيبى وأكل ذات يوم على مائدة فى جماعة فلما جاءت الحلوى نزع قلنسوته ثم قال اجعلوا نصيبى فى هذه فينبغى أن يعزل أنصبة أهل البيت قبل تقديم الطعام الى اخوانه كيلا يحدثوا نفوسهم برجوع شئ منه فانه مكروه لهم ولعله لا يرجع شئ منه فيكون ذلك احراجا من الآكلين ومنقصة لهم وهذا عليهم أشد من اكرامهم بالطعام أن يكون ذلك مضرا بالاهل فيكون مضمار الاصل ولا ينبغى له ان يقدم الاما يحب ان يأكلوه من كل شئ أيضا ومقدار الحاجة والكفاية من المأكول فيجمع بين السنة والفضيلة * روى فى الخبر ما رفع من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط هذا لانهم كانوا مقتصين فى كل شئ فلا يقدمون الا كفايتهم ولا يأكلون الا بعد جوعهم ولا يتركون الاكل وفى نفوسهم منه شئ وللاقتصار الذى كان فيهم فضيلة ذكرناه من تقديم الكفاية لئلا يردفضول الاطعمة موافقة للسنة ولى تقديم المأكول اليد جمع أكثر مزية حسنة اباحة فيه ان من أكل ما فضل من الاخوان لم يحاسب عليه ومن كان فى جماعة فلا يأمر بتأخير الطعام فلعل فيهم من يحتاج الى تقديمه الا أن يتفقوا على تأخيره فلا بأس حينئذ بتقديمه لاجل نفسه واذا حضر الطعام والصلاة فان كانت نفوسهم تتوق اليه وفى الوقت سعة فقدمه والاكل وان كانت نفوسهم ساكنة أو ضاق الوقت أو خشوا أن يتطاول بهم الاكل صلوا أولا * واستحب الاكل على الارض كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى بطعام وضعه على الارض وكان يأكل مقعيا على قدميه ويقول لا آكل متكئا انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ورجما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه ونصب رجله اليمنى وهى جلسة العرب للاكل الى اليوم وان أكلوا على السفر فهو سنة فيتزودوا لسفره وخير الزاد التقوى وأكره الاكل على الموائد العالية لانهم كانوا يكرهون ان يعلوا الطعام على الايدى وهذا محدث وليس من التواضع قال أنس بن مالك ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة قط قيل فعلى ما كنتم تأكلون قال على السفر وقيل أول ما أحدثت الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاربع الموائد والمناخل والاشنان والشبع ومن غسل بالاشنان ابتدأ بغسل فيه بعد غسل يده اليمنى ويجعل الاشنان فى بطن كفه اليسرى يابسا ثم يغسل فاه حتى ينقيه باصابعه ثم يبل الاشنان فيغسل يديه ولا يعيد بغسل كفيه وهو فعل ذوى المروأة وينبغى اذا حضرت الالوان ان يبتدئ بتقدمة الالطف فالالطف والاطيب فالاطيب والامثل أن يبتدئ بالشواء قبل الثريد ويقدم الطباهج قبل السكباج فذلك سنة العرب ليصادف جوعهم أطيب الطعام فيستوفوا من ذلك أوفر النصيب فيكون أتوب لصاحبه وأقل لاكلهم فان احتاجوا الى ما بعده من غليظ الالوان والطعام تناولوا منه قليلا فاما تقدم أهل الدنيا اللون الغليظ على اللطيف لتتسع أكلهم وتتفتق شهوتهم فيكون اللون اللطيف فى موضع آخر وليكونوا قد أكلوا من اللون الاجود الاطيب أقل وهذا غير مستحب عند أبناء الآخرة وقد كان من سنة المتقدمين ان يقدموا جملة الالوان فى مكان واحد ليأكل كل ما يشتهى وليكون مما تقدم معلوما لهم وقال لهم اذا لم يكن عنده الالون واحد ليس بحضر الا هذا ليستوفوا منه ولا يتطلعوا الى غيره كان صوابا حدثنى بعض شيوخنا عن شيخ له قال قدم الى بعض أهل الشام لونا من طبيخ فقلت له عندنا بالعراق يقدم هذا اللون آخر الالوان فقال لى هكذا هو عندنا بالشام قال فاستحييت اذ لم يكن عنده غير ذلك اللون وقال لى آخر كنا فى جماعة عند رجل فجعل يقدم الينا ألوان الرؤس منها طبيخا وقديدا فجعلنا نتصبر فى الاكل نتوقع بعدها الالوان وحلا أو جديا قال فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها فقال لى بعض الشيوخ من أهل التصوف وكان مزاحا هو تعالى يقدر أن يخلق رؤسا

فيها ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أنت فقال أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى اليه النبى صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه فلما كان فى زمان معاوية اشتراها معاوية من أولاد كعب بعشرين ألف درهم وكانت عند خلفاء بنى أمية ثم من صاروا ملوك الاسلام وأخذوا البردة وكانت باقية عند خلفائهم الى عهد الامام الناصر لدين الله تعالى قال السهروردى والخرقة اذا رميت الى الحادى فهى له اذا قصدا عطاءه اياها واذا لم يقصد اعطاءه فقال بعضهم هى للحادى لان الخرقة هو ومنه مصدر الموجب لرمى الخرقة وقد جاء من قتل قتيلا فله سلبه وقال بعضهم هى للجميع والحادى واحد منهم لان الحركة لوجد قول الحادى مع بركة الجميع والغنيمة لمن حضر الوقعة وقيل ان كان القوال أجيرا فليس له فيها شئ وان كان متبرعا يؤثر بها والله أعلم

*(باب الخوف والاشفاق والحزن)* قال الله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقال تعالى واياى فارهبون وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال المشايخ الخوف معنى متعلق بالمستقبل فانه انما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب

بالأبدان قال فبينما تلك البدلة تجيء إذ طلب بعضنا فى آخر البدل خبزا أو فتيتا لسموره * وينبغى أن يمكنهم من بقية الألوان ولا يرفعها حتى يرفعوا أيديهم عنه فلعل فيهم من بقية فى ذلك اللون أو يكون عنده ماقدم أشهى إليه مما يقدم بعد وقد يكون فيهم من به حاجة إلى فضل أكل فينقص عليه برفعه بل أن يستوفى ما فى نفسه * وحدثنى بعض أصحابنا عن الثورى وكان صوفيا أنه حضر على مائدة أبناء الدنيا وكان فيه حمل قال فقدم إحجالا فعلوا يأكلون فلما رآهم يمزقون كل ممزق ضاق صدره فقال يا غلام ارفع إلى الصبيان قال فرفع الحمل إلى داخل الدار فقام الثورى بعده وخلف الحمل فقال صاحب المنزل إلى أين يا أبا عبد الله فقال آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل حتى استوفوا منه وكان سفيان الثورى يقول من دعا رجلا إلى طعامه وهو يحب أن لا يجيبه فإن لم يجب كتبت عليه خطيئة وإن أجاب كتبت عليه خطيئتان فالمعنى فى الخطيئة الأولى لأنه أظهر بلسانه خلاف ما فى قلبه فتصنع بالكلام وهذا من السمعة وداخل فى جملة أن يحمد بما لم يفعل والمعنى فى الخطيئتين أنه أجابه أخوه فالخطيئة الثانية لأنه حمل أخاه على ما لو يعلم حقيقته منه وعرضه لما يكره فلم ينصحه فيما أظهر له من نفسه لأن أخاه لو علم أنه غير محب لإجابته لم يأكل من طعامه ولأنه قد أدخله فى السمعة فلذلك كانت عليه خطيئة ثانية وقد كان من المتقدمين من إذا دخل عليه وهو يأكل قرنه لم يعرض على إخوانه الأكل إذا لم يحب أن يأكل معه خشية التزين بالقول أو لئلا يعرضهم لما يكرهون * دخل قوم على سمير أبى عاصم وكان زاهدا وهو يأكل فقال لولا أنى أخذته بدين لأطعمتكم منه وكان بعض السلف يقول فى تفسير التكلف أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت أى لا يكون من ما كلك فالجود وتحمله قيمة فتشق على نفسك بذلك * وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه وكان بعض السلف يأمر بتقديم ما حضر فإنه أدوم للرجوع وأذهب لكراهة صاحب المنزل وقال بعضهم ما أبالى من أتانى من إخوانى فإنى لا أتكلف له إنما أقرب ما عندى ولو أنى تكلفت ما ليس حاضرا لملته وكرهت دوام مجيئه وقال لى بعض الشيوخ كنت آنس ببعض إخوانى فكنت أكثر زيارته فكان يتكلف الأشياء الطيبة فقلت له وما حدثتنى من شئ أسألك عنه إذا كنت وحدك تأكل مثل هذا الذى تقدمه إلى قال لا قلت وكذلك أنا فى منزلى إذا كنت وحدى لا آكل مثل هذا فإذا اجتمعنا أنا كلمونحن لا نأكل مثله على الانفراد هذا من التكلف فإما أن تقطع هذا وتقدم إلى ما نأكله على الانفراد أو أقطع مجيئى إليك قال فقطع ذلك وكان يقدم ما عنده وما يأكل مثله فدامت معاشرتنا ومن دعى إلى طعام وعنده إنسان أو جماعة من حيث يعملون فليستثن الواحد أو الجماعة * فإنه من السنة والأدب فإن دعى وحده أو مع نفر بأعيانهم أو أعدادهم فتبعهم واحد لم يكن فى العدد فليذكر للداعى قبل دخولهم إليه ليأذن له معهم كذلك السنة ومن دعى فى جماعة وفوض إليه الأمر فيهم فليعرف صاحب المنزل عددهم قبل مجيئهم ليستعد لهم بعد أن يعرض عددهم ومن دعا رجلا فى غيره أو عامة وعنده قوم أو رجل بعينه فليعلمه بمن عنده ليدخل على بصيرة فلعل أن يكون عنده من يكره هذا المدعو الاجتماع معه أو لعله أن يجيبه لأنه يحسب أن ليس عنده غيره لأن الأكل معاشرة وليس كل إنسان يحب أن يعاشر كل أحد خاصة الرؤساء ومن أكل مع رجل من طعامه فوقف عليه سائل فلا يعطين شيأ إلا بإذنه أو يسأل صاحب الطعام حتى يكون هو الذى يعطيه فإن أعطاه بغير إذن كان الأجر لصاحب الطعام والوزر عليه * روى ذلك عن أبى الدرداء قال لإنسان كان يأكل معه فأعطى سائلا بغير أمره لقد كنت غنيا أن يكون الأجر لى والوزر عليك ومنه لا يدعو إلى طعام غيره أحدا بغير إذن صاحبه ومن دعا بعض إخوانه فدخل عليه داخل فلا يقعده معهم للأكل وليصرفه أو يطرده عنهم * حدثنى بعض أشياخنا عن بعض الخلف الصالح أنه دعا إخوانه من الصوفية على طعام فدخل رجل من العامة فجلس يأكل معهم فقبض على يده وأخرجه وقال هذا عملته لهؤلاء خاصة لا يصلح أن يكون معهم غيرهم ثم أفرده بطعام خصه به وعمله لأجله عوضا مما فعل ومن

---

قال الحارث المحاسبى الخوف يكون من مطالعة القلوب لسطوات الله تعالى ونقمة تثير فى القلوب الخوف وذلك عند شهود الوعيد وقال الهروى فى منازل السائرين الخوف هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الوعيد وهو على ثلاث درجات الأولى خوف العوام وهو يتولد من التصديق بالوعيد وذكر الجناية ومراقبة العاقبة الثانية خوف المكر عند رؤية الأعمال الثالثة خوف الهيبة والاجلال وهو يتولد من مطالعة الصفة وقال غيره الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال والخوف قد يكون من مقارفة الذنوب وقد يكون من الله تعالى لمعرفة صفاته التى توجب الخوف لا محالة وهذا أكمل وأتم لأن من عرف الله تعالى خافه بالضرورة وكذلك قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال صلى الله عليه وسلم أنا أخوفكم لله وأشدكم له خشية فمعرفة الجلال والعزة والعظمة والاستغناء تورث الهيبة بالضرورة وقال الأستاذ أبو بكر بن فورك فى الإبانة الخوف على أنواع منها الرهبة ومنها الخشية ومنها الوجل ومنها الهيبة ومنها العقوبة للمذنبين والرهبة للعابدين والخشية للعالمين والوجل للمحبين الهيبة للعارفين فخوف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خوف الهيبة والاجلال وهو أشد أنواع

دخل عليه داخل وهو يأكل فلا يرفع الطعام فليس ذلك من السنة ولا من فعل أهل المروءة ولعل الداخل أحوج اليه منه وقد بعث اليه اختبارا له واذا عرضت على أخيك الطعام مرة أو مرتين فلا تلحن عليه وكذلك اذا دعوته فكره فقد قالوا لا تكرم أخاك بما يشق عليه ولا تزيدن على ثلاث مرات فان الالحاح والعباج مازاد على ثلاث مرات وليس ذلك من الادب قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خوطب في شئ ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث * وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يقول الطعام أهون من ان يحلف عليه وقال مرة من ان يدعى اليه ذلك اعظم حق المؤمن وكان الثوري يقول اذا زارك أخوك فلا تقل له تأكل أو أقدم اليك ولكن قدم ما عندك فان أكل والا فارفعه وكان الحسن وابن المبارك اذا أراد الغداء أو العشاء فتحا بابهما فمن دخل عرضا عليه الاكل وقد كان هذا من سيرة السلف انهم يفتحون الباب عند حضور الطعام ومن صادف دخوله أكل معهم ومنهم من كان يقعد في دهليز داره ويفتح الباب فكل من مر عليه في الطريق دعاه الى طعامه من غني أو فقير وقال بعض التابعين الا ان خياركم آكلكم في الافنية وأوسعكم آنية وأجلاكم أطباقا الا ان شراركم آكلكم في الاخبية وأصغركم أطباقا ومن دعا رجلا الى طعامه وهو يعلم ان الاحب اليه ان لا يأكل فكره وله ان يأكل ولا يعبأ بقوله اذا علم منه ذلك فان لم يعلم حقيقة ذلك فله ان يجيبه على ظاهر قوله وليس له ان يسيء الظن به ودعا رجل الاحنف بن قيس في سفر الى طعامه فقال له الاحنف لعلك من العارضين قال وما العارضون قال الذين يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فسكت الرجل فلم يجبه الاحنف الى الطعام وكان الثوري يمشي مع رجل فمر بباب منزله فعرض عليه الدخول ليأكل عنده فقال له الثوري أصدقني عن شئ أسألك أيما أحب اليك أدخل أو انصرف فسكت فانصرف الثوري ومن علم من أخيه انه يحب ان يأكل من طعامه فلا بأس ان يأكل بغير اذن لان علمه بحقيقة حاله ينوب عن اذنه له في الاكل * وقد كان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير اذن وكان الحسن ربما دخل فيجدهم كذلك فيسر ويقول هكذا كنا وروى عنه انه كان يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فقال له هاشم الاوقص يا أبا سعيد تأكل من متاع الرجل بغير اذنه فقال يالكع أما قرأت آية الاكل ثم تلا عليه ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم الى قوله تعالى أو صديقكم ثم قال الحسن الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب فاذا كان كذلك فلا بأس ان تأكل من ماله وجاء قوم الى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة فجعلوا يأكلون ما فيها فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه الى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فسأل عنه فقيل له قد جاء فلان فأخذه فقال قد أحسن فلما لقيه قال يا أخي ان عادوا فعد وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم لحما تصدق به على بريرة من غير ان يستأذنها ولم تكن حاضرة لعلمه انها تسر بذلك وقال ان الصدقة قد بلغت محلها هو عليها صدقة ولنا هدية وقال صلى الله عليه وسلم رسول الرجل الى الرجل اذنه أي قد علم باذنه له في الدخول عليه فاغناه عن الاستئذان فتدبر فعله عليه السلام ان من علمت كراهته لاكلك من طعامه ان لا تأكل وان أذن لك بقوله فقد عمل بعض السلف صنيعا فدعا رجلا فلم يصادفه الرسول ثم اعلم وقد انصرف الناس من عنده فقصد منزله فدق عليه الباب فخرج اليه الرجل فقال هل من حاجة قال انك دعوتني فلم يتفق ذلك فقد جئت الآن لما علمت فقال قد انصرف الناس قال فهل بقي منهم بقية قال لا قال فكسرة ان بقيت قال فلم يبق شئ قال فالقدر امسحها قال قد غسلناها فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في مسئلته عن ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا بنية فنفس هذا في الضعة والذلة وسقوطها من مراتب الانفة والعزة تشبه نفس ابن الكريني وهو أستاذ أبي القاسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة أبيه فرده الاب أربع مرات في دعوة واحدة

الخوف لانه دائم لا يزول في وقت من الاوقات وسائر أنواع الخوف تكون في وقت دون وقت فيسكن خوفه اذا ذكر رحمة الله وفضله وعفوه وأما خوف الهيبة والاجلال فانه لا يسكن أبدا خوف المذنبين من العقوبات كما تقدم وخوف العابدين خوف أن لا تقبل منهم العبادات وخوف العاملين خوف الشرك الخفي في الطاعات وخوف المحبين خوف الابعاد والحجب عن التلاقي في الدنيا والآخرة وخوف العارفين خوف الهيبة والعظمة والاجلال كما ذكرنا في خوف الانبياء عليهم السلام

*(فصل)* والخوف ينتظم من علم وحال وعمل أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه كالعلم بان الذنب يفضي الى المقت من الله تعالى الى العقوبة وعلامة خوف القلب النحول في الجسم والاصفرار في اللون والغشية والصعقة والبكاء وقد تنشق منه المرارة فيفضي الى الموت ويحصل هذا الكثير ممن تعرض للقتل وقد يقوى فيورث القنوط واليأس والخوف يقرب العبد من الطاعة ويكفه من المعصية وقال الشيخ أبو القاسم الجنيد من خاف من شئ هرب منه ومن خاف من الله هرب اليه والخوف يؤدب الجوارح ويولد في القلب الذل والخشوع والاستكانة وأقسام الخوف كثيرة فمنها خوف النار وهو مقصود لذاته ومنها خوف العاصي وهو

وهو يرجع في كل مرة وهو يرده فهو لا ينفر من علمه شغف التوحيد مشاهدة بالبلوى من المولى المبتلي العبد ملقاة بالقلة موضوعة على الضعة وهذا طريق مفرد لأفراد وحال مجرد لآحاد والمتكبرون لا يجيبون الدعوات وهم عند بعضهم من أنفة النفوس قال قائلهم ألا لا أجيب دعوة تبذل ولم قال انتظار المرقة ذل وقال آخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري ذلت له رقبتي ومنهم من لم يكن يجيب الفقير لكبر في نفسه ويجيب الاغنياء لعظمهم في عينه ومن أبناء الدنيا الموصوفين بهما من لا يجيب الا نظراءه وأشكاله من مثل طبقته ومرتبته في الرياسة في الدنيا وهذا على خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلاقه انه كان يجيب دعوة المسكين ويجيب دعوة العبد ومن قوله بئس الطعام وشر الطعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء ويترك الفقراء ثم قال من لا يجيب الدعوة فقد عصى الله تعالى ومر الحسين بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الارض في الرمل وهم يأكلون وكان على بغلته فلما مر بهم سلم عليهم فردوا عليه وقالوا هلم الى الغداء يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ان الله لا يحب المستكبرين ثم ثنى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الارض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وفي خبر آخر زيادة فقال قد أجبتكم فأجيبوني قالوا نعم فوعدهم المجيء في وقت من النهار فجاؤا فرحب بهم ورفع مجلسهم ثم قال يا رباب هاتي ما كنت تدخرين فجاءت الجارية فأخرجت ما عندها من الطعام فأقبل يأكل معهم وكان ابن المبارك يقدم الى اخوانه فاخر الرطب ويقول من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما فكان يعد النوى فيعطي من كان له فضل نوى بعددها دراهم وقال بعض أهل الاعتبار ما أجيب الدعوة الا لاني أتذكر بها نعيم الجنة طعام ينقل بغير كلفة ولا مؤنة ولذلك قيل ان اجتماع الاخوان في وجود الكفاية على الانس والالفة ليس هو من الدنيا وقد كان بعض الصوفية يقول لا تجب دعوة الا من يرى انك أكلت رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبولها منه فهذه شهادة العارف من الداعين كذلك شهادة المدعوين من الموحدين أن يشهدوا الداعي الاول والمجيب الآخر والمعطي الباطن والرازق الظاهر كما امتحن أصحابه بذلك بعض الصوفيين بلغني ان رجلا دعا اماما من الصوفية في أصحابه الى طعام فلما أخذ القوم مجلسهم ينتظرون تحضيل الطعام اليهم خرج اليهم شيخهم فقال ان هذا الرجل زعم انه دعاكم وانكم تأكلون طعامه فهي حرج أو قال حرام على من لم يشهده في فعله انه يأكل قال فقاموا كلهم فخرجوا ولم يستحلوا الاكل اذ كانوا الا يرونه في الفعل الا غلاما حدثا فانه قعد اذ لم تثبت شهادته ولم ينفذ نظره الجبار وهو المعنى لقائله مثله أو نحوه وان دعاك أخوك وأنت صائم فعلمت انه يسر بأكلك فلا بأس ان تفطر لاجله فان لم تعلم ذلك منه وقال لك أنا أسر بأكلك فصدقه وأحسن به الظن وان لم تعلم ذلك منه ولم يلفظ به لسانه فاني أكره خروجك من عقد الصوم لغير نية هي أبلغ منه أو مثله فصومك حينئذ أفضل وان أكلت مع أخيك تريد اكرامه بذلك فهذه نية صالحة قد كان بعضهم اذا أكل يوم فطره أكل مع اخوانه ويحتسب أكله كما يحتسب في صومه وروينا عن ابن عباس انه قال من أفضل الحسنات اكرام الجلساء ومن لم يرد أن يطعم قوما من طعامه فلا يظهره عليهم ولا يصفه لهم سواء كان هو قد أكله أو لم يأكله وكان الثوري يقول اذا أردت أن لا تطعم عيالك من شيء تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك وينبغي أن يكون للمجيب الى الدعوة نيات سبع اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى اذ الاجابة من الاعمال فمن أرادها دنيا كانت له دنيا العاجل حظه ومن أرادها آخرة فهي له آخرة بحسب نيته وان لم تحضر نية أو اعتل بفسادها توقف حتى يهب الله عز وجل له نية صالحة فتكون الاجابة عليها أو ترك الاجابة اذا كانت بغير نية لانها من أفاضل الاعمال فتحتاج الى أحسن النيات لوجود العلم فيها فتكثر بها الحسنات ولفقد الهوى منها ليسلم فيها من السيئات والا كانت اجابته هزوا وكان عاملا في باب من أبواب الدنيا وساعيا في حظ نفسه وهوى جوفه وقد قال الرسول عليه السلام من كانت هجرته الى دنيا يصيبها فهجرته الى ما هاجر اليه فيصير مأزورا بفساد النية أو يكون غير مأجور لعدمها فأول النيات طاعة

---

ختم ولذا لم يزل الانبياء يخاف عما يفضي الى العذاب النار ومنها خوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة أو خوف الميل عن الاستقامة أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا أو خوف السابقة أو خوف الخاتمة أو خوف سلب المعرفة الى غير ذلك من أقسام الخوف فاغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر في ذلك خطر وأعلى الاقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تتبع السابقة فمن خاف السابقة خاف الخاتمة لان السابقة هي الخاتمة وقال بعض أهل المعارف الخوف من المعاصي خوف الصالحين والخوف من الله تعالى خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرف الله تعالى وعرف صفاته عرف من صفاته ما هو جدير بأن يخاف منه من غير جناية بل العاصي لو عرف الله حق معرفته لما خاف الا منه ولولا أنه يخوف في نفسه لما أقدره على المعصية ويسر عليه سبيلها ومهد له أسبابها فان تيسير أسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يستجره المعصية الثانية فالعاصي مقضي عليه بالمعصية شاء أو أبى وكذا المطيع يسر عليه أسباب الهداية وزين الايمان في قلبه فرفع أبا بكر وعمر وأبا ذر وسلمان وعمارا ومصعب ابن عمير وأبا رافع وعمر بن ثعلبة والبراء بن مالك وصهيبا وبلالا وعكاشة بن محصن وغيرهم ممن سلك بهم مسالك الفضل الى عليين

الله

الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والثانية اقامة سنة لقوله عليه السلام لو دعيت الى كراع لاجبت وهو موضع على أميال من المدينة أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره وقال في الخبر الآخر لو دعيت الى ذراع لاجبت فهذا الظاهر في الاجابة على القليل والاول يحتمل في الاجابة الى الموضع البعيد فقد نقل ان في التوراة أو في بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر اخا في الله عز وجل فبعد في اجابة الدعوة وفضلها على العيادة وشهود الجنازة لان فيها قضاء حق الحي وفيها اجابة داع والنية الثالثة اكرام أخيه وفي الخبر من أكرم أخاه المؤمن فانما يكرم الله تعالى وفي حديث الحسن وعطاء من جاءه شيء من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله تعالى فترك الاجابة رد العطاء وفي تأويل الخبر عن الله تعالى بمعناه انه يقول للعبد يوم القيامة جعت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت قد أطعمتني ففي ظاهره تعظيم حرمة المسلم لانه أقامه مقامه وفي باطنه في الفهم انه اذا أجابه فقد عاونه على اطعام نفسه فكأنه أطعمها فاذا لم يجب دعوته فقد ترك معاونته على اطعامه فدخل تحت التقريع بانه لم يطعم نفسه وهو المسلم اذا لم يجب الدعوة فتفكروا والنية الرابعة ادخال السرور على أخيك المؤمن والخبر الآخر من سر مؤمنا فقد سر الله عز وجل والنية الخامسة رفع الغم عن قلبه ووضع الهم عن نفسه في ترك اجابته من ترجيم الظنون به وتوقيع الرجم بالغيب فيه لما لم يجب ولعله يجيب والا كان يجب ان يرفع عنه ذلك ويسقط عنه مؤنته سوء الظن به وتنزيل الشك فيه باليقين به والنية السادسة ان ينوي زيارته فيصير ذلك نافلة له تماما على الذي أحسن فقد جاء في فضل الزيارة في الله تعالى وانها من استحق ولاية الله تعالى وانها علامة ولاية المتحابين في الله فاشترط الله شيئا آخر التباذل فيه والتزاور فيه فقد حصل البذل من أحدهما بقيت الزيارة من الآخر على الخبر السائر ان الاجابة من التواضع كما ذكرنا قبل ان المتكبرين لا يجيبون الداعي فهذه سبعة أعمال نيات لمن وفق لعملها والعمل بها ومن طرقته مناقبة من الفقراء فقصد بعض اخوانه يتصدى الاكل عنده فجائز له ذلك بشرطين لا يكون عنده موجود من طعام ونيته ان يؤجر أخاه ويكون هو الجالب لاجره لانه عرضه للمثوبة فهذا داخل في التعاون على البر والتقوى وداخل في التحاض على طعام المسكين ونفسه كغيره من الفقراء ولان أخاه لا يعلم بسوء حاله ولو علمه لسره ذلك فله به ادخال السرور عليه من حيث يعلم وقد فعل هذا جماعة من السلف وقد روي بمعناه أثر من ثلاثة طرق للسلف الصالح منهم عون بن عبد الله المسعودي كان له ثلثمائة وستون صديقا وكان يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له ثلاثون صديقا كان يكون عند كل واحد يوما وليلة وكانوا يقدمون هذه الاخلاق السنية مع اخوانهم فيؤثرونهم بها على المكاسب والعلوم فكان اخوانهم معلومهم ولم يكن هؤلاء يكتسبون ولا يدخرون وكان لاخوانهم فيهم نية صالحة يسألونهم ذلك ويقسمون عليهم فيه ويرونه من أفضل أعمالهم وكان هؤلاء الاخوان يكرمون اخوانهم باجابتهم وكونهم عندهم ولم يكن سعيد ابن أبي عروبة يعرض على اخوانه الطعام ولكنه كان يظهره ويعرض به فكان اللحم مسلوخا معلقا والخبز موجودا ظاهرا وكذلك كان يفعل بالثياب والاثاث كان جميع ما في منزله مظهرا مسبلا فكل من دخل عليه من اخوانه ان شاء قطع من المسلوخ فشوى وطبخ وان شاء أكل من الخبز بما وجد من الادم ومن شاء لبس من الثياب ما شاء فكان ذلك مشاعا في منزله لمن أراد تناوله ومنهم من كان منقطعا في منزل أخيه قد أفرده بمكان يقوم بكفايته ولا يبرح من منزله على الدوام بحكم فيه بحكمه كما يكون في منزل نفسه وقال بعض العلماء أكلتان لا يحاسب العبد عليهما أكلة في سحوره وما أكله عند اخوانه اكراما لهم بذلك ومن أكل عنده قوم قال عند فراغه أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وقد روينا أيضا ان يقول عليكم صلاة قوم أبرار ليسوا بآثمين ولا فجار يقومون الليل ويصومون النهار فقد كان

من خسير وسيلة سبقت منهم قبل وجودهم ووضع أباجهل وأبالهب وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وعقبة ابن أبي معيط وأمية بن خلف وأبي بن خلف والوليد ابن عتبة وغيرهم من الكفار عن سلك بهم مسلك العدل من غير جناية سبقت منهم قبل خلقهم فمن حكم بذلك أولا فهو جدير بان يخاف من جلاله وعظمته وعدله فمن أطاع انما أطاع لانه خلق فيه ارادة الطاعة وآتاه القدرة عليها وعند خلقهما توجد الطاعة لامحالة والذي عصى انما عصى لانه سلط عليه ارادة جازمة وآتاه الاسباب والقدرة وخلق فيه الشهوة والفعل بعد خلق هذه الاسباب لابد من وقوعه فليت شعري ما الذي أوجب اكرام هؤلاء بتيسير أسباب الطاعة لهم وما الذي أوجب اهانة هؤلاء وابعادهم بتسليط دواعي الكفر والمعصية عليهم وكيف يحال ذلك على العبد فاحوالة انما هي على القضاء الازلي وليس ثم جناية سابقة من العبد فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد مجزوم به عند كل عاقل وو راء هذه المعاني سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه لاحد فقال هؤلاء الجنة ولا أبالي وهؤلاء النار ولا أبالي حق على كل أحد أن يخاف وكيف لا يخاف الناس كلهم وقال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود وأخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء ذلك في سورة هود من الابعاد كقوله تعالى ألا ان ثمود ألا بعدا

لذلك القوم وعيد الآية الذين كما بعدت ثمود (١٨٨) والعلامات الخوف أفضل من الرجاء لمن غلب على قلبه الامن من مكر الله والاغترار به ومن

الجماعة يقولون ذلك به ذكر فضل اليد ليس كل أحد يحسن أدب الغسل كما ليس كل انسان يعرف سنة الاكل فمن غسل يده بالاشنان ابتدأ بغسل أصابعه الثلاث أولا ثم جعل الاشنان فى راحته اليسرى بابهام أمره على شفتيه جميعا وأنعم غسل فيه باصبعيه وظاهر أسنانه و باطنه وحنكه ولسانه ثم غسل أصابعه من ذلك بالماء ثم دلك بقية الاشنان اليابس أصابعه وظهر او بطنا ثم لم يحتمل الاشنان ثانيا الى فيه انه لا يعود بالغمر اليه من يديه وهذا يكفيه من تثنية الغسل ومن غسل يد اخوانه بعدا كلهم من طعامه فمن الادب أن يصب على أيديهم بالماء العذب فبمثل هذه الطيقة ونحوها يعرف حسن تفقد الدعاة وليستبين تعاهد الرعاة كان بعضهم يقول يده والرجل اخوانه ينفق فى الطيبات جملة و يحليهم بعدها بالحلاوة ثم يمرر أفواههم بالماء الملح فهذا يكون من نقص التعاهد وقلة التفقد به ذكر أخبار جاءت فى الآثار رويناها منثورة فى الاطعمة والاكل من بين نقص وفضل هى من طرائق السلف وصنائع العرب أدخلناها فى تضاعيف كلامنا لانها منقولة من كلام السلف ما من حديث اسحق بن نجيح عن عطاء بن ميسرة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل ما يسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده وفى خبر سعيد بن لقمان عن عبد الرحمن الانصارى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاكل فى السوق دناءة هذا قريب مسند او ليس بذاك الصحيح انه من قول التابعين ابراهيم النخعى ومن دونه وعن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن على عليه السلام قال من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل يوما سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ومن أكل فى كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم يرفى جسده شيأ يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والسارحات تعظم البطن وترخى الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفى النفساء بشئ أفضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين فى أخبار الامراءات الحجاج قال لبنادق المطبب صف لى صفة آخذ بها ولا أعدوها قال له لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تأكل طعاما الا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام ولا تشرب عليه فاذا شربت فلا تأكل عليه شيأ ولا تحبس الغائط والبول واذا أكلت بالنهار فنم واذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة وفيما قاله الفيلسوف حكمة قد ورد بعضها آثار قد روى فى خبر مقطوع ذكره أبو الطالب بن عبد الله بن بكر يرفعه من استقل بدائه فلا يتداوى فرب دواء يورث داء وكانت الحكماء تقول دافع بالدواء ما حملت قوتك الداء وقال بعضهم مثل شرب الدواء مثل الصابون للثوب ينقيه ولكن يخلقه وقال بقراط الفيلسوف الدواء من فوق والماء من تحت فمن كان داؤه فى بطنه فوق سرته سقى الدواء ومن كان داؤه تحت سرته حقن ومن لم يكن به داء من فوق ولا من تحت لم يسق الدواء فان سقى عمل فى الصحة داء اذا لم يجد داء يعمل فيه وفى الخبر تمام العروق مقة وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكادة يعنى الالية وقال بعضهم نهانى الاطباء عن الشرب فى تضاعيف الطعام والعرب تقول تعش وتمش وتغد وتمدد يريدون تمدد فابدلوا الالف من الدال الثانية كراهية التكرار ولازدواج الكلام ومنه قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أى يتمطط فابدل من الثانية الفاء يعنى يمد مطاه برفع ظهره وأما فى حبس الغائط فقد قال بعض الفلاسفة الطعام اذا خرج بحو وقبل ست ساعات فهو مكروه من المعدة واذا بقى فيها أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو ضرر على المعدة ويقال ان حبس البول يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه فاض من جوانبه و يقال ان أرواح المفاصل ميراث حبس الريح قال الشيخ أبو طالب قرأت فى الحكمة مدار صلاح الامور فى أربعة الطعام لا يؤكل الا على شهوة والمرأة لا تنظر الا الى زوجها والملك لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وقيل لبعض حكماء الروم

غلب على قلبه اليأس والقنوط فالافضل له الرجاء قال بعض العلماء الخوف والرجاء متقاربان فى المعنى ولا يتجرد أحدهما عن الآخر لان الخائف من شئ راج النجاة منه والراجى لشئ خائف أن يفوته فالرجاء متصل بخوف خفى والخوف متصل برجاء خفى وقال صالح بن عبد الكريم ان الرجاء والخوف فى القلب انهما نوران فقيل له أيهما أشد نورا فقال الرجاء فبلغ ذلك أبا سليمان الدارانى فقال سبحان الله ما أعجب هذا الكلام الخوف يتشعب منه التقوى وأعمال البر والرجاء لا يتشعب منه هذه الخصال فكيف يكون أشد نورا فبلغ ذلك أبا صالح فقال صدق أبو سليمان ولكن الرجاء لما رجع الى فضله وكرمه صار أشد نورا

* (فصل) * واذا أفرط الخوف أوقع فى اليأس والقنوط واذا أفرط الرجاء أوقع فى التهاون فى العمل وافراط الخوف شعار المعتزلة والحرورية وافراط الرجاء شعار المرجئة والاعتدال أن يكون رجاء وخوفا وقد قدمنا ان الخوف على أقسام وان من جملتها خوف سلب المعرفة وهى البلية التى تقصم الظاهر وتقطع القلوب وتذيب الاكباد قال بعضهم الغموم ثلاثة غم الطاعة أن

تقبل وغم المعصية أن لا تغفر وغم المعرفة أن تسلب روى ان بلعام بن باعوراء كان من الاخيار وكان يجلس بين يديه ألف

أى وقت الطعام فيه أصلح فقال اما لمن قدر فاذا جاع واما لمن لم يقدر فاذا وجد ويقال اذا كثرت المقدرة نقصت الشهوة وقال كسرى لجلسائه أى شئ فى الانسان أضر فقالوا الفقر فقال البخل أشد من الفقر لان الفقير لا يعد والبخيل يعد ولا يأكل وقيل لرجل رؤى سمينا ما أسمنك فقال أكل الحار وشرب القار والاتكاء على شمالى والاكل من غير مالى وقيل لآخر رؤى حسن الجسم ما أحسن جسمك قال قلة الفكر وطول الدعة والنوم على الكمظة وقيل لآخر رآه حكيم سمينا أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فما هى قال آكل اللباب وصغار المعز وادهن بخام بنفسج والبس الكتان والعرب تقول العاشية تهيج الآبية يعنى ان الذى لا يشتهى الطعام اذا نظر الى من يأكل هاجه ذلك على الاكل الذى بالملار أى الآخر تعشى وذكر الاصمعى ان بعض الحكماء أوصى ابنه فقال يا بنى لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك يعنى تتغذى وكذلك يقال فى تناول الشئ قبل الخروج الى السوق وقبل لقاء الناس انه أقل للشهوة فى الاسواق وأقطع لطعام يلقاه الناس وأنشد هلال بن خثعم شعرا

وان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها

ورؤى بعض الصوفية يمشى فى السوق وهو يأكل وكان ممن يشار اليه قال فقلت له تأكل فى السوق فقال عافاك الله اذا جعت فى السوق آكل فى البيت قلت فلو دخلت بعض المساجد فقال استحيى منه أن أدخل بيته للاكل هذا لانه رأى الاكل من أبواب الدنيا فدخل فى طريقها كما قيل الاسواق موائد الاباق ابتغوا من الحدمة فلسوا فى الاسواق وفى خبر ابن عمر قال كنا نأكل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام وقال بعض أهل الطب الحمية أحد العلتين ويقال الحمية للصحيح ضارة كما انها للعليل نافعة والدواء اذا لم يجد ما يعمل فيه وجد الصحة فعمل فيها وأنشد بعض العرب شعرا

ورب حزم كان للمبذولة * وعلة جرّها احتماء الثقال

وقال لقمان من احتمى فهو على يقين من المكروه وفى شك مما يأكل من العواقب وكان يقال ايس الطبيب من أحمى الملوك ومنعهم من الشهوات انما الطبيب من خلاهم وما يريدون ثم دبر سياستهم على ذلك حتى تستقيم أجسادهم وقال مدنى عند نا بالحجاز لبعض الاعراب أخبرنى بما تأكلون وما تدعون فقال نأكل ما دب ودرج الا أم حبين فقال المدنى ليهن أم حبين منكم العافية وفى الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صهيبا يأكل تمرا وبه رمد فقال له تأكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله انما آكل بهذا الشق الآخر يعنى جانب العين السليمة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أخبار جاءت فى الثقال والحمية وذم البطنة فى حديث اسمعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم قال قال أبو الدرداء بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد نخيب يعنى خفيفا ضعيفا ورغيب يعنى واسعة طامعة قيل لبعض الحكماء أى الطعام أطيب قال الجوع أعلم أى به يطيب الطعام كما قيل نعم الادام الجوع ما ألقيت اليه قبله قال العتبى قال عبيد الله لرجل من أهل المدينة يا أخى انى لاعجب ان فقهاءكم أظرف من فقهائنا وعوامكم أظرف من عوامنا ومجانينكم أظرف من مجانيننا قال فتدرى لم ذاك قلت لا قال الجوع ألا ترى ان العود انما صفى صوته من خلو جوفه ويقال دعا عبد الله بن الزبير الحسن بن على رضى الله عنهم فحضر هو وأصحابه فأكلوا ولم يأكل هو فقيل له فى ذلك قال انى صائم ولكن تحفة الصائم قالوا وما هى قال الدهن والمجمرة وكذلك يقال الكحل والدهن أحد القرابين واللبن أحد اللحمين والفاكهة والحديث للضيف أحد الضيافتين فيستحب لمن كان صائما فحضر ولم يأكل ان يطيب بشئ فذلك زاده وروى ان عبد الرحمن بن أبى بكرة كان على خوان معاوية فرأى معاوية لقم عبد الرحمن فلما كان بالعشى راح اليه أبو بكرة وحده فقال له ما فعل ابنك التلقامة قال اعتل قال معاوية مثله لا يعدم العلة وقيل لابى بكرة ان ابنك أكل حتى بشم قال لو مات ما صليت عليه ويقال البشم سكر كسكر الخمر وسئل الحرث بن كلدة طبيب العرب ما الدواء الذى لا داء فيه فقال هو

ضعيفة يكتبون عنه العلوم والحكم والمعارف لسلب ذلك كلهم آل به الامر الى التعطيل والالحاد ويقال انه أول من صنف كتابا فى التعطيل ونفى الصانع تعالى الله وتقدس رب كل شئ واله العالمين وقال يوسف ابن أسباط دخلت على سفيان الثورى ليلة فوجدته يبكى فقلت ما يبكيك هذا خوف من الذنوب فقال انما أبكى خشية أن أسلب الاسلام وقال يحيى بن آدم مرض سفيان الثورى فذهبت ببوله الى طبيب فلما نظر اليه قال أليس هذا بول حنيف فقلت بلى قال هذا رجل قطع الخوف كبده وما ظننت ان فى الحنيفية مثل هذا

*(فصل)* قد ذكرنا ان من جملة اقسام الخوف خوف الانبياء والملائكة وهو خوف الاجلال والهيبة وحصل لهم هذا الخوف من مطالعة عظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه وباهر قدرته وعظيم مجده وجميع ما وجب له من صفات الجلال ونعوت العظمة والكمال وخوف هذا تعبد لله تعالى لانهم أمنوا بامان الله تعالى لهم واما بقية أقسام الخوف فهى كما ان الخوف وقد ذكرنا الخوف فيما سبق أقساما من وجوه ونذكر هنا تقسيما آخر فنقول الخوف ينقسم الى واجب والى مندوب فالواجب منه ما يمنع من المحرمات ويحمل على القيام بالواجبات والمندوب منه ما يمنع عن كل مكروه وعن تعاطى الشبهات والخوف الواجب ما تعلق

الاذم يعني الحية وقيل لجالينوس انك تقل من الطعام فقال غرضي من الطعام ان آكل لاحيا وغرض غيري من الطعام ان يحيا ليأكل ويقال ما أدخل الانسان جوفه أنفع من الرمان ولا أضر من المالح ولان يتقلل من المالح خير من أن يستكثر من الرمان هذا إذا لم الاستكثار وان كان مما ينفع ومدح القلة وان كان مما يضر حدثت عن عبد المنعم بن ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه قال قال لابنه يا بني ان طول الجلوس على الخلاء يرفع الحرارة الى الرأس ويورث الناسور ويجمع الكبد اجلس هو يناوقم قال حكمه على باب الحش ويقال سأل الحجاج جلساءه ما أذهب الاشياء للاعياء قالوا أكل التمر وقال بعضهم الحمام وقال بعضهم الجماع وقال آخر الصماغ فقال يتاذوق أذهب الاشياء للاعياء قضاء الحاجة حدثت عن بعض الاطباء ان رجلا شرب خبث الحديد المعجون فبقي في جوفه واشتد به وجعه قال فحققت له قطعة مغناطيس وسقيته اياه فتعلق بالخبث وخرج مع الغائط وروى الاصمعي عن جعفر بن سليمان قال قال يتاذوق الفيلسوف ان اللحم على اللحم يقتل السباع في البرية قال ثم قال أبو جعفر قالت جارية لنا كان لنا ظبي فربحين فذهبي فأكل منه حتى حبط والحبط انتفاخ الجنبين فسلخ فوجد قد شرق باللحم فقال يونس الطبيب هكذا يصيب الانسان اذا بشم يشرق قلبه بدمه وقال الاصمعي عن جعفر والى البصرة انه قال لانسان أكرل بني اذا أكل لا تفعل فان المعدة تضغن الى التي كما تضغن الدابة العلف ولا ينضج الطعام معنى تضغن أي تألف وتعتاد وقال بعضهم سئل تاذوق من الخمر فقال دواؤه الزبيب يعجن بالشعير ثم يؤكل أسبوعين أو ثلاثا وقال الاطباء معرفة خفة الماء ان يكون سريع الغليان سريع البرد ويكون قبالة الشمس مجراه على الشمال ومروره على الطين الاحمر وعلى الرمل ذكر أبو طالب ان هذا آخر الزيادة من الاقوال وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أكرموا الخبز فان الله قد أنزله من السماء فمن بركات الخبز انه لا ينتظر به ادام ويؤكل مع ما حضر معه من الملح والخل والبقل وغيره وان لا يجعل تحت شيء من آلة المائدة ولا تحت قصارة مثل ان يسند به شيء ولا يتخذ طبقا للشيء فان وضع عليه ما يؤكل فلا بأس ومن السنة والادب ان لا ينتظر بالطعام غائب اذا حضر جماعة ولكن يأكل من حضر فان حرمة الحاضر مع حضور الطعام أوجب من انتظار الغائب الا أن يكون الغائب فقيرا فلا بأس ان ينتظر ليرفع من شأنه ولئلا ينكسر قلبه وان كان الغائب غنيا لم ينتظر مع حضور الفقراء فان انتظار الغني معصية لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء ويترك الفقراء فسمى الطعام شرا لاجل الاغنياء والطعام لا تعبد عليه وانما الشر اسم لاهل الطعام الداعين الاغنياء على التاركين للفقراء فأما طعام المأتم فهو على ضربين نوع منه يصنعه أهل الميت للنوائح والبواكي ومن يعينهم على الجزع فأكل هذا مكروه منهي عنه ونوع يحمل اليهم لشغلهم عن أنفسهم واصلاح طعامهم بينهم فهذا لا بأس به وبحمله اليهم ويجوز الاكل منه ان أطعموه غيرهم لانه من البر والمعروف ان لم يرد به النوائح ولا المجالسة على القبور للجزع والاسى وقد روينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما جاء نعي جعفر ابن أبي طالب ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنيع طعامهم فاحملوا اليهم ما يأكلون فهذا سنة في حمل الطعام الى أهل الميت ومن دعي الى طعام وكان في بيت الداعي احدى خمس خصال فلا يجيب دعوته ولا حرج في ترك اجابته ان كان نبيذ يشرب بعدها مسكرا وان لم يعاينه في الحال أو كان في الاثاث فراش حرير او ديباج أو كان في الآنية ذهب أو فضة أو كان مقعد الحيطان مسترا بالثياب كما تستر الكعبة أو كان صورة ذات روح في ستر منصوب او في حائط ومن أجاب الدعوة فرأى احدى هذه الخمس فعليه ان يخرج أو يخرج ذلك فان قعد فقد شركهم في فعلهم دعي أحمد بن حنبل رحمه الله الى طعام فأجاب في جماعة من أصحابه فلما استقر في المنزل رأى اناء من فضة في البيت فخرج وخرج أصحابه معه ولم يطعموا ويقال انه خرج من أشنانة رآها كان رأسها المقطع به فضة لم يصبر فخرج لذلك حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال حدثنا أبو بكر المروزي قال سألت أبا عبد الله عن الرجل يدعى الى الوليمة من أي شيء يخرج قال خرج أبو أيوب حين دعي فرأى البيت

التكليف به هل متعلق نفس المعنى أعني الخوف أو المعاني أسبابه لا غير فاختلف فيه المتكلمون فذهب القاضي أبو بكر الى ان المكلف به نفس المعنى وأجرى ذلك في جميع المعاني كالعلم والرجاء والزهد وغيره فلزم ان المطلوب هو نفس هذه المعاني وقال امام الحرمين متعلق التكليف هو الاسباب دون نفس المعاني لانها غير مقدورة للعبد وانما المقدور هو أسبابها والله تعالى خلقها للعبد عند تعاطي الاسباب أما أسباب الخوف المحصلة له فهو دوام الفكر فيما قدمناه من المخوفات مع العلم بما اكتسبه من الخطيئات فاذا دامت من العبد الفكرة في عظيم الذنب مع المعرفة بعظم الآمر والناهي وان مخالفته عظيمة وانه مجازي على ذلك باعظم الجزاء اثمرله ذلك الخوف وهاجت نيرانه في القلب فمالت النفس حينئذ الى الانكفاف عن المعصية وضعف الخاطر الشيطاني واثمرله الخوف السلامة من هلاك الابد والخزي الدائم وساقه الى سعادة الابد ومن ثمراته وفوائده المراقبة وبين هذه المرتبتين أعني رتبة السلامة من هلاك الابد ورتبة المراقبة من الاحوال ورتب الخائفين في الاعمال ما لا يحصى كثرة

*(فصل)* في مسائل تتعلق بالخوف منها ان أرباب المعارف اختلفوا في أيما أفضل الخائف الذي تقدمه المخوفات أو الذي ناسبه المخوفات

قد سترودعى سدبخة فرأى شيامن زى العجم فخرج وقال من تزيا بزى قوم فهو منهم قلت لابى عبدالله فان رأى شيا من فضة ترى ان يخرج قال نعم أرى ان يخرج قال وسمعته يقول دعا نا رجل من أصحابنا قبل المحنة وكنا نختلف الى عفان فاذا اناء من فضة فخرجت فاتبعنى جماعة فنزل بصاحب البيت أمر عظيم فقلت لابى عبدالله الرجل يدعى فيرى المكحلة رأسها مفضض قال هذا يستعمل كل ما لا يستعمل فاخرج منه انما رخص فى الضبة أو نحوها فهو أسهل وسالته عن الكلة فكرهها قلت فالقبة أو أخليها فلم ير بها باسا قلت لابى عبدالله ان رجلا دعا قوما فجىء بطست فضة أو ابريق فكسره هل يجوز كسره قال نعم قال أبو بكر المروزى سالته عن الرجل يدعى فيرى فرش ديباج ترى ان يقعد عليه أو يقعد فى بيت آخر قال يخرج قد خرج أبو ايوب وحذيفة وقد روى عن ابن مسعود الخروج قلت ترى ان يامرهم قال نعم يقول هذا لا يجوز قلت لابى عبدالله الرجل يكون فى بيت ديباج يدعى اليه الشئ قال لا تدخل عليه ولا تجلس معه قلت الرجل يدعى فيرى الكلة فكرهها وقال هو ر باء لا ترد من حر ولا ترد من برد قلت الرجل يدعى فيرى سترا فيه تصاوير قال لا تنظر اليه قلت قد أنظر اليه قال ان أمكنك خلعه خلعته قال سالت أبا عبدالله عن الستر يكتب فيه القرآن فكره ذلك قال ولا يكتب القرآن على شئ منصوب لا ستر ولا غيره قلت الرجل يكترى البيت فيه التصاوير ترى ان يحكه قال نعم قلت لابى عبدالله دخلت حماما فرأيت فيه صورة ترى ان احك الرأس قال نعم وسالته عن الجوز ينثر اسناده جيد أبو حصين عن خالد بن مسعود قال أبو بكر المروزى دخلت على أبى عبدالله وقد حذق ابنه وقد اشترى جوزا يريد ان يعده على الصبيان يقسمه عليهم وكره النثر وقال هذه نهبة وقال هاشم بن القاسم حدثنا محمد قال كان طلحة والزبير يكرهان النثر فى كل شئ فى العرس وفى الحذاق وغيره مما من الجوز والسكر قال وسالت أبا عبدالله عن قرص الرغيف والخبز فلم ير به باسا آخر الزيادة فى الجديد ومن الاصل الاول خمسة لا تجاب دعوتهم وان دعى رجل ولم يعلم ثم علم فلا حرج عليه ان يخرج من بيته المبتدع وأعوان الظلمة وآكل الربا والفاسق المعلن بفسقه ومن كان الاغلب على ماله الحرام ولم يكن يردع عن الآثام فى معاملته الانام لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تاكل الا طعام تقى وذلك لان التقى قد كفاك الاجتهاد فى المأكول للتقوى فاغناك عن السؤال عنه لان التقى اذا أطعمته استعان على الطعمة على البر والتقوى فتصير معاونا له عليهما كما قال تعالى فبشركة فى بره والفاجر والظالم ان أكلت طعامهما صرت من أعوان الظلمة بمشاركتك لهما فى الطعمة كما سال خياط ابن المبارك فقال انى أخيط لبعض وكلاء هؤلاء يعنى الامراء فهل يخاف ان أكون من أعوان الظلمة فقال لست من أعوان الظلمة بل أنت من الظلمة أعوان الظلمة من يبيع منك الخيوط والابر وقد عمل ذو النون المصرى أغمض من هذا الورع وما سمعت أدق منه ان السلطان لما سجنه فى كلام انكره عليه العامة من العلم الغامض كانت المائدة من قبل السلطان تختلف اليه فلم يكن يطعم منها شيا ولبث لا يأكل أياما كثيرة مدة مقامه فى السجن فكانت له أخت فى الله تعالى تبعث اليه من مغزلها وتدفعه الى السجان فيحمله اليه ويعرفه انه من قبل تلك العجوز الصالحة فلم يأكل أيضا منه فلما خرج لقيته العجوز تعاتبه على رد الطعام وقالت قد علمت انه كان من مغزلى فقال نعم الا انه جاءنى على طبق ظالم فرددته لاجل الظارف يعنى به يد السجان ولعمرى انا روينا عن على عليه السلام انه أهدى له دهقان بالكوفة فى يوم عيد لهم خبيصا على جام من ذهب يكرمه بذلك فرده ولم يأكله قال رددته لاجل ظرفه الذى كان فيه وقيل من أكل لقمة من حرام قسا قلبه أربعين يوما ويقال أظلم قلبه ومن أكل الحلال أربعين يوما زهد فى الدنيا وأدخل الله تعالى فى قلبه وأجرى الحكمة على لسانه وقال بعض السلف أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر الله تعالى له بها ما تقدم من ذنبه وقال الآخرون أقام نفسه مقام ذل فى طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما تساقط ورق الشجر فى الشتاء وكان سهل يقول فى السائحين فى الامصار والمنقطعين بالاسفار ان الرجل لا يدخل قريبة فيجوع ولا يقدر على الشهوات حلالا يأكل ويبيت تلك الليلة جائعا فيحصل فى ميزانه جميع أعمال

فقال بعضهم الذى تأمنه الشهوات أفضل لان العدو والخوف انما يخاف ممن يفرغ لقتاله وأما من هو مشغول منه بربه فلا يخافه فلا سبيل له عليه وقيل الذى تخافه الشهوات أفضل كما ورد فى الحديث من خاف الله خافه كل شئ وهذا مقام عمر رضى الله عنه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فى حقه ان الشيطان لينفر من ظل عمر وقال فى حقه أيضا ما سلكت فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجك وسبب خوف الخلق ممن يخاف الله ان صاحب مقام خوف الاجلال يتجلى على قلبه الجلال ومن تجلى على قلبه الجلال كسله ملابس الهيبة فهابه كل شئ والمفاضلة فى هذه المسئلة شبيهة بما ذكر فى تائبين أحدهما سكنت نفسه من النزوع الى الذنب والآخر فى نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها وقد اختلف علماء الطريقة فى الافضل منهما فذهب أحمد بن أبى الحوارى وأصحاب الشيخ أبى سليمان الدارانى الى ان المجاهد أفضل لان فضل المجاهد مع التوبة وذهب علماء البصرة الى ان الذى سكنت نفسه عن الذنب أفضل لانه أقرب الى السلامة اذا الحرب سجال واختار بعض المحققين فى ذلك تفصيلا فقال ان كان الذى انقطع عنه نزوعه عن الذنب انما انقطع عنه المتروى الشهوات لا المجاهدة الشهوة فالمجاهدة أفضل منه اذ تركه المجاهد تدليل على قوة يقينه وظهور باعث دينه على شهوته وان كان

أهل تلك القرية ومن أجبره سلطان على طعام أو قدم اليه شبهة أكرهه على أكلها فليتعلل بعلالة منه وليتخير تقيرا ولا يقصد طيبا ولا يكبر اللقمة ولا يستكثر في الطعمة وليأكل ما يسد رمقه وما يخاف التلف بنفسه ان هو فارقه حدثني بعض الشيوخ ان كيا من بعض أهل العلم بخراسان رد شهادة شاهد أكل من طعام سلطان كان أجبره فقال انه كان أجبرني على الاكل فقال قد علمت ذلك ولم أرد شهادتك لانك أكلت ولكنك رأيتك تقصد الطيب وتكبر اللقم فهل كان أجبرك على هذا فهذا اجرحتك عند الحاكم قال لنا الشيخ وأجبر السلطان هذا المزكي على الاكل من ماله فقال اختار واحدى خصلتين اما أن آكل كما أمرتم ولا أزكي أحدا بعد ذلك ولا أجرح ولا أعدل شاهدا واما أن أترك على هذا في الجرح والتعديل بالتزكية ولا آكل من طعامكم قال فنظر السلطان وذووه فاذا هم محتاجون اليه لانه كان قليل النظير ولم يكن له بد من حسن نظره ومن قيامه بشأن الحكام فتركوه وحده فلم يأكل من طعامهم شيأ وأجبروا من كان معه وكانوا قد حملوا من نيسابور الى بخارى في قصة طويلة حذفت سببها والمعنى هذا باختلاف الالفاظ التي سمعتها ولكن قربت ما سمعت على المعنى وقد كان بشر بن الحرث يقول في الاكل من الشبهات يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وكان اذا تفرد وتكلم في الحلال قيل له فانت يا أبا نصر من أين تأكل وهو يضحك وقد كان سري السقطي يقول لا تصبر على ترك الشبهات كما كان الزهري اذا عوتب في صحبة بني مروان يقول أصدقكم الحق اتسعنا في الشهوات فضاق علينا ما في أيدينا فانبسطنا اليهم وهذا فصل الخطاب لاولي الالباب والله أعلم

*(الفصل الحادي والاربعون) في ذكر فضائل الفقر وفرائضه ونعت عموم الفقراء وخصوصهم وتفضيل قول العلماء وزهدهم وطريقة السلف فيه قال الله الكبير المتعال للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وقال تبارك وتعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض فقدم وصف أوليائه بالفقر على مدحهم بالهجرة والحصر والله تعالى لا يصف من يحب الا بمحبوب فلولا ان الفقر أحب الاوصاف اليه ما مدح به أحبابه وشرفهم به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر وأخبر بفضله في غير حديث منها حديث اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله عز وجل في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا من خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطي جهده ومنها حديث بلال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الق الله عز وجل فقيرا ولا تلقه غنيا وفي الحديث الذي روي عن ابن الاعرابي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له لا أفضل من الفقير اذا كان راضيا وفي الحديث الآخر ان الله تبارك وتعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام والحديث الآخر اللهم احيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فهذا منه صلى الله عليه وسلم تفضيل الفقراء واكرام لهم وتنبيه وحث على فضل الفقر وروينا عنه صلى الله عليه وسلم خير هذه الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها ورويناه في خبر اسمعيل النبي عليه السلام المفسر لخبر موسى عليه السلام ان اسمعيل قال يا رب أين أطلبك فقال الله عز وجل عند المنكسرة قلوبهم من أجلي قال ومن هم فقال تعالى الفقراء الصادقون وقال أبو سليمان الداراني الاعمال كلها في الخزائن مطروحة الا الشيئين فانه مخزون مختوم عليه لا يعطيه الا من طبعه بطابع الشهداء الفقر مع المعرفة وكان يقول تنفس الفقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني عمره كله وقد كان بشر يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل العبادة على الفقير مثل عقد جوهر في جيد الحسناء وقال العبادة لا تليق بالاغنياء وكان يقول لتقوى لا تحسن الا في فقر وقال له رجل فقير يا أبا نصر ادع الله عز وجل لي فقد أضر بي الفقر والعيال فقال له بشر اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله تبارك وتعالى أنت في

لزومه من الادب المطلع عليه ليبتليه بقوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة اذ قد بلغ مبلغا فمع به هيجان الشهوة حتى تأدب بآداب الشريعة فلا يجمع الا باشارة الدين كجمعه على زوجته وأمته دون ما سواه الله تعالى فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة ومنها ان من أقيم في مقام الخوف أو غيره من المقامات مع الله تعالى يعود له من الخلق شئ من ذلك فمن خاف من الله تعالى خوف اجلال أورثه ذلك الهيبة والاجلال في نفوس الخلق ومن غلب عليه محبة الله تعالى أحبه كل شئ ومن غلب عليه الحياء من الله تعالى استحيى منه كل شئ ومن غلب عليه التعظيم لامر الله تعالى عظمه كل أحد وكذلك بالضد من ذلك في هذه الاشياء المذكورات كلها ويمكن ذلك في عموم الوصف المذكور في قوله تعالى يحبهم ويحبونه ومنها انهم اختلفوا أيما أفضل الخوف أو الرجاء فقال قوم الرجاء أفضل من الخوف لان الرجاء الى فضله والخوف من عدله والفضل أكثر من العدل ولان الرجاء يحصل من ملاحظة الوعد والخوف يحصل من ملاحظة الوعيد والوعيد من الغضب والوعد من الرحمة ورحمته سبقت غضبه وقال آخرون الخوف أفضل للعبد من الرجاء ما دام العبد صحيحا فاذا نزل به المرض فالرجاء له أفضل وقال آخرون الخوف للعاصي أفضل والرجاء للطائع

ذلك الوقت فان دعاءك أفضل من دعائي وقال بعض السلف أي أهل المعرفة بالله عز وجل ان يقبلوا هذا العلم وكرهوا ان يسمعوه من الاغنياء مزعوا انه لا يليق بهم وقد كان بعض الفقراء يقول هذا العلم يعني علم المعرفة عوضه الله سبحانه وتعالى الفقراء بدلا من الدنيا لا يظهره الا لهم ولا يوجد الا عندهم رحمهم الله عز وجل به في الدنيا وجعله عوضا لهم مما تركوه اليوم فاذا كان غدا فهم الذين لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهو المزيد وقد روينا في تفسير قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم قال الفقر في الدنيا * فمن فرائض الفقر عند الفقراء الصبر عليه بترك المسئلة قبل ورود الفاقة وقطع الهم من التشرف الى الخلق وان لا يتناول عند الحاجة ما حظره عليه العلم ولا يجاوز حدا من حدود الاحكام وان سأل عند حاجته لم يستكثر ولم يدخر فان أعطى فوق كفايته فاقتنع ليكف عن المسئلة فلا بأس به ويتوقى في مسئلته المتقين ومن يعلم انه يتحرى في مكسبه فان مسئلته عمل له يلزمه التورع فيها كما يلزمه الورع في مكسبه ولا يسأل من يعلم انه لا يبالي من أين يأكل ومن لا يرع عن الحرام في مكسبه والعبد بنفس الحاجة والجوع يستحق على اخوانه شبعة يقيم بها صلبه وبنفس العري والعدم يستحق عليهم ثوبا يواري به عورته وذلك لازم للمسلمين وواجب له فان قام به بعضهم سقط عن بعض وجوبه وان سأل ذلك فلا شيء عليه ويقال ان كفارة المسئلة صدق السائل في مسئلته وصدقه ان لا يسأل الا بعد فاقته ومع خوف التقصير في اداء فرائضه من اختلاف عقله وتشتت قلبه وان يكف مع أول الكفاية ولا يدخر بعد الشبع ليستكثر ولا يجعل المسئلة ان دفع اليها له عادة وكدا ولا حرفة ومهما استغنى عن السؤال فليكن ذلك أحب اليه فانه أفضل له وقد سأل ثلاثة من الانبياء عند فاقتهم سليمان عليه السلام لما سلب ملكه أربعين يوما وموسى والخضر عليهما السلام لما استطعما أهل القرية وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق فلو كانت المسئلة اثما وعدوانا لم يحث على الاعطاء فيكون معاونا على الاثم والعدوان ولكن ذلك من البر والتقوى لانه سبب منه وقد دل عليه فعاون بالامر به لحرمة الاسلام ولان المواساة من المعروف والاحسان وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال يا يرفا عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانية يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم نثر المخلاة بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لست سائلا انت تاجر وروينا عن علي عليه السلام ان الله عز وجل في خلقه مثوبات فقر وعقوبات فقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامات الفقر اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي به ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء هذا كما قال عليه السلام ٧ وهذا النوع الذي هو عقوبة من الفقر هو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو فقر النفس لان الفقر من المال اغناء والافتقار الى الخالق والفقر الى الاشياء مع عدم صدق الحال وقد روينا في الخبر مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيئا وكان صلى الله عليه وسلم يأمر بالتعفف والكف عن المسئلة ويقول من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله عز وجل وقال من لم يسألنا فهو أحب الينا وقال عليه السلام استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني ولو لم يكن في ترك المسئلة الا دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم وفي خبر آخر كانت مسئلته خدوشا وكدوحا في وجهه وفي الحديث استغنوا بغنى الله عز وجل قالوا وما هو قال غداء يوم أو عشاء ليلة وفي الخبر من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل الحافا ومن كان معه هذا القدر من الدنيا لم يخرج من عموم

أفضل وقيل الخوف أفضل مطلقا لان الخوف يورث الهرب من العقوبة والرجاء يورث الطلب المثوبة ودفع العقوبة أهم من جلب المثوبة قال بعض المحققين ولابد للعبد من الرجاء والخوف فانهما زمامان يقودانه الى الطاعة أو هما له كالجناحين للطائر قال بعض أهل المعارف من عبد الله على الخوف فقط فهو حروري ومن عبد الله على الرجاء فقط فهو مرجئ ومن عبده على المحبة فقط فهو زنديق ومن عبده على الثلاثة فهو سني فان قيل المحبة والرجاء يجتمعان والرجاء أيضا مع الخوف يجتمعان فاما المحبة مع الخوف كيف يجتمعان لان الخائف ينفر ممن يخافه والنفرة تورث الكراهة والكراهة تنافي المحبة قلنا هذا السؤال لا يرد في خوف الاجلال وأما خوف العبد من عقوبة الله فيجتمع معه المحبة لانه عادل حكيم رؤف رحيم فهو عبر منهم قيل لرابعة العدوية وكان يغلب عليها مقام المحبة لم لا تسألي الله الجنة فقالت الجار قبل الدار كما روي في كتابه العزيز حكاية عن آسية بنت مزاحم قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فاختارت الجار قبل الدار وقوله صلى الله عليه وسلم أسألك رضاك والجنة فيه اشارة الى ما قالت رابعة من ان الجار قبل الدار * (فصل) * والخوف كان حال الصحابة والتابعين وتابعيهم قال علي رضي الله عنه لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصبحون صفرا شعثا غبرا بين أعينهم

الفقراء فان سال مع ذلك أخرجه من عمومهم ومن سال قبل الجوع أو بعد الشبع أو سال ليدخر أو سال
وله غداء يوم أو عشاء ليلة أخرجه ذلك من نعت وصف الفقراء وسئل سفيان الثوري عن أفضل الاعمال
فقال التجمل عند المحنة وعلى الفقير ان لا يزكي غنيا لاجل عطائه ولا يطمع ولا يحبه لاجل منعه ولا يعظم أهل
الدنيا ولا يكرمهم لاجل دنياهم وقال ابن المبارك من تواضع الفقير ان يتكبر على الاغنياء وعن علي عليه
السلام في حكاية المنام ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله عز وجل وأحسن منه تيه الفقير على
الغني ثقة بالله عز وجل ومن فرائض الفقر ان لا يسكت الفقير عن حق ولا يتكلم بهوى لاجل دوام العطاء
من أحد ولا لاجتلاب نفع فان ذلك وليجة في الدين ومداهنة للمؤمنين ومن فضائل الفقر ان لا يدخر لا كثر
من أربعين يوما ولا يكون المدخر أكثر من أربعين درهما والاصل في ذلك ان الله تبارك وتعالى قال عز من
قائل وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة فأتمها له في تأميل أربعين فالادخار من الامل فان أمل حياة أربعين
يوما جاز له ان يدخر لاربعين ومن قصر أمله الى يوم وليلة لم يدخر الا ليومه وليلته فترك الادخار مقتضى قصر
الامل وقد جعل غنى الفقير أربعين درهما فهذا العموم الفقراء فاما خصوصهم فان غناهم غداء يوم
أو عشاء ليلة لقصر أملهم كما جاء في الحديث الذي ذكرناه آنفا استغنوا بغنى الله عز وجل قيل وما غنى الله
تبارك وتعالى قال غداء يوم أو عشاء ليلة ومن فضل الفقير ان لا يهتم برزق غد كأن الله تبارك وتعالى
لا يطالبه بعمل غد قبل مجيئه ولأن الرزق معلوم مقسوم والوكيل حفيظ قيوم وان يكون راضيا بفقره
شاكرا عليه ويغتبط بالفقر لعظيم نعمة الله عز وجل عليه فيه ويخاف ان يسلب فقره أشد من خوف
الغني ان يسلب غناه لشدة اغتباطه به وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله
عز وجل الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وروى عبد الرحمن بن سابط عن علي عليه السلام
عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل أحب العباد الى الله عز وجل الفقير القانع برزقه الراضي عن
الله عز وجل وينبغي ان يغتم بالاتساع ويفرح بالضيقة والمسيغة ويحب المساكين ويفضلهم على أبناء
الدنيا ويرحم الاغنياء ولا يذمهم لاجل غناهم ويؤثر الفقراء ويقربهم ويحسن على الفقير خلقه ويحمل معه
صبره ويستر بالتعفف فقره ويظهر الغنى ولا يكشف فقره بالتكره والشكوى وفي الخبر عن الله عز وجل اذا
رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى
يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لاجلك فقال كل فقير فقير التكرار فيه لمعنيين أحدهما المحقق
بالفقر والثاني الشديد الحاجة والضر وقال عيسى صلى الله عليه وسلم اني لاحب المسكنة وأبغض الغنى
وقيل كان من أحب أسمائه اليه ان يقال له يا مسكين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه الذي تلقاه
من ربه وأمره به أسألك الطيبات وفعل الخيرات وحب المساكين ومما يعتبر به فضل الفقر على الغنى ان
أفضل الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن شاركه وقارنه يعني وصفه فهو الافضل لانه الامثل فالامثل وهم
الفقراء وصفهم الله عز وجل بوصفه فقال تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه
الآية فلما شاركوه في العدم وكان حال الرسول صلى الله عليه وسلم هو الافضل والاشرف دل على فضل حالهم على
غيرهم وقد قال الله عز وجل انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى
ان رآه استغنى فوصف الاغنياء بالطغو وأوقع عليهم الحجة وقال في وصف الفقراء يحسبهم الجاهل أغنياء
ولولا ان الغنى مفضول لما نسب من وصفهم به الى النقص والغنى باب الدنيا وأصل التفاخر والتكاثر المذموم
والفقر باب الآخرة وأصل الزهد والتواضع المحمود وعند أهل المعرفة ان الغنى من الصفات التي لا ينبغي
ان ينازع فيها ويكره هذا لمن ابتلي بمعانيها وانه مثل العز والكبر وحب المدح والذكر فمن أحب شيئا من ذلك
وطلبه فقد نازع الله تعالى لبسته وترك ذلك لاجل الله عز وجل لانه من صفات الربوبية وسلموه له خوفا
منه أو حياء وان الفقر من صفات العبودية مثل الرجاء والخوف والتواضع والذل فمن طلب ذلك وأحبه فقد

مثل وكيف المترقد بأوالله تعالى تعبدا وقيلما يعني أنهم يجهدهم الخوف في العبادة وقد عز الخوف في زماننا بل عز كل مقام
ولهذا قال الشبلي اذا قيل
لك أتخاف الله فاسكت
فانك ان قلت لا كفرت وان
قلت نعم كذبت وأشار به
الى ان الخوف هو الذي
يكف الجوارح عن المعاصي
ويقيدها الى الطاعات
وممن أقيم في مقام الخوف
من الصحابة أبو بكر وعمر
وأبو الدرداء وأبو ذر وعمرو
ابن الاسود وعمرو بن ثعلبة
وسلمان وبلال وصهيب
وعبد الله بن عمرو بن العاص
ومصعب بن عمير والبراء
ابن مالك ووابصة وعنبسة
وأبو اسرائيل وأبو رافع
مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحنظلة بن
الراهب وحارثة بن سراقة
وغيرهم وهم كثيرون ومن
التابعين وتابعيهم أبو حازم
وسلمة بن دينار وسعيد بن
جبير وسعيد بن المسيب
والعلاء بن زياد ومحمد بن
سيرين وأبو بكر بن عبد
الرحمن وطاوس والحسن
البصري وعبد الواحد بن
زيد وشمر بن عطية وصالح
المري وعطاء السلمي ومالك
بن دينار ويحيى البكاء وهو
أبو نازلة وعامر بن عبد الله
وثابت البناني ومضر بن
شعيب ومسرور بن محمد
ويزيد بن مرثد وعتبة
الغلام والربيع بن خثيم
العدوي وعمر بن عبد
العزيز وابراهيم بن أدهم
وسفيان الثوري والاسود بن يزيد وعلقمة وكدرة ومسروق بن الاجدع وأويس القرني وابراهيم النخعي وأبو ادريس

تحقق بوصف العبودية والله سبحانه وتعالى يحب ان يتحقق العبد بأوصافه لانه عبد ذليل و يكره ان ينازعه معـنى صفاته لانه ملك جليل ومن أحب الغنى دل على حبه البقاء وكان سهل يقول حب الغنى شرك في الربوبية أى لان البقاء من صفات الباقي ومن فضل الغنى على الفقر دل على حبه الغنى وظاهر بذلك محبة الاغنياء لان حب الوصف دليل على حب الموصوف وحب الشيء أيضا دليل على بغض ضده فاذا أبغض الفقراء أبغض الفقر و بغض الفقر لحب الغنى فقد اختار الرغبة على الزهد والكثرة على القلة والعز في الدنيا على الذل وفي هذا ايثار الدنيا على الآخرة وهدم الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة والتابعين في تفضيل الفقر وتشريف الاغنياء ويقال كان الفقر شرف المؤمن وكان الفقراء فيما سلف في المؤمنين بمنزلة الاشراف فيكم اليوم ولا خفاء بفساد هذا القول ونقصه عند العلماء بالله تعالى ثم ان الفقراء على منازل ثلاث فقراء الاغنياء وهم السؤال عند الفاقات الكافون نفوسهم مع الكفاية القانعون بالكفاف وهم طهرة الاغنياء وضد يدهم من الله تعالى وهم الذين جعل الله لهم في أموال الاغنياء سهما لان منهم السائل والمحروم ومنهم القانع والمعتر والطبقة الثانية فقراء الفقراء وهم المتحققون بالفقر المختارون له المؤثرون اياه على الغنى لعظم معرفتهم بعظيم فضيلة أهل التعفف والصيانة لا يبتذلون السؤال ولا يعرضون في المقال راضون بالميسور من ولاهم تعرفهم اذا رأيتهم بسيماهم يحسبهم الجاهل أغنياء لترك المسئلة والشكوى ومنهم المحروم حرم السعي للدنيا ومنهم العارف انحرفت عنه الاسباب ومنهم القانع قنع بما يصل اليه من غير امتهان وتبذل فيه ومنهم المعتر رضي عن الله عز وجل بما يعتريه وقيل انه ما أعطى أحد شيأ من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول حساب وأما الطبقة الثالثة فهم أغنياء الفقراء وهم الاجواد الاسخياء أهل البذل والعطاء يأخذون و يخرجون ولا يستكثرون ولا يدخرون ان منعوا اشكروا المانع لانه هو المعطي فصار منعه عطاء وان ضيق عليهم حمدوا الواسع لانه هو المحمود فصار ضيقه غنى وان أعطوا بذلوا وآثروا وهم الزاهدون في الدنيا لانهم موقنون مكما هم اليقين غنى وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق بن ابراهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك فقال تركتهم ان أعطوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ وقد كان بشر يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى لم يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين وفقير لا يسأل وان أعطى أخذ فهو مع المقربين في حظيرة القدس وفقير يسأل عند فاقته فهذا مع الصادقين وصدقه في سؤاله كفارة مسئلته ودفع الى ابراهيم بن أدهم ستون ألفا وكان عليه دين وبه حاجات اليها فردها فعوتب في ذلك فقال كرهت أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء لستين ألفا وقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف وان درعها لمرقوع فقالت لها الخادم لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لو ذكرتني لفعلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاها فقال ان أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه فاما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم للفقراء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فلعل متوهما لم يتدبر أول الكلام فظن أن هذا تفضيل للاغنياء على الفقراء وانما هو تحقيق لقوله الاول قولوا كذا وكذا فانه لا يسبقكم أحد قبلكم ولا يدرككم أحد بعدكم فقالوه فلما سمع الاغنياء بذلك قالوا كقولهم فحس في قلوب الفقراء منه شيء فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتبينوا في قوله فضل الامر كما قال لكم لا يسبقكم أحد قبلكم اذ قد صح منه هذا القول في الاول وهو معصوم فيه فلو لم يكن كذلك لنقض آخر قوله أوله ولا يجوز ذلك وأيضا ان حمل على ظاهره كما تأوله فانه فضل الله تعالى في الدنيا لا تفضيل لهم به في الآخرة على مقامات الفقراء الا ان الاولى قد قامت بفضلهم و يصلح بمعناهم فضل أعطاهم الله تعالى بعد القول الذي قلتموه وزادهم الله به لا انه أفضل من مقامكم وحالكم بغيره اذ قد ثبت فضلكم عليهم بوصف الفقر وحال الصبر بغير هذا الذكر وهذا التسبيح رجحان لكم تماما على فضلكم بغيره وهذا القول للاغنياء تفضيل من الله عليكم و رحمة لانهم

الطولاني وأبو العالية وقيس بن رافع وسلام بن زياد وحميد بن الربيع وأبو وائل وعامر الذي من بني عنبر ورباح بن عمر وعبد الله بن عون فهؤلاء وأمثالهم غلبت عليهم المخاوف واستحوذت عليهم حتى انهم كانوا يظنون ان لا نجاة لهم لما صح عندهم من وعيد الله تعالى فيقينهم كالمعاينة وفكرهم كالمشاهدة فوجلوا على أنفسهم وخافوا المعاد هم خرقوا على أرواحهم ورقوا لمهجهم فنعوها الى أنفسهم فقلوبهم وجلة وأنفسهم مرعوبة وجوارحهم مضطربة وزفراتهم مرتعدة وأعينهم باكية في لياليهم ساهرة وبطونهم خاوية وأبدانهم عارية وهم من أعمالهم على خطر لم يروا أنفسهم أهلا للمحبة ومن هؤلاء من كان اذا قام من النوم بالليل يمس جسمه بيده مخافة ان يكون قد مسخ قال بعض العلماء بالله ينبغي للانسان ان يكون في كل وقت بل في كل آن على وجل وخوف من مآل أمره وعاقبة حاله وكيف لا يكون على وجل وقد جاء في حديث بعث النار انه يبعث من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة بل لو قيل لا يدخل النار الا رجل واحد لكان ينبغي لكل أحد ان يخاف لاحتمال ان يكون هو ذلك الواحد ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو نادى مناد كلكم داخلون الجنة الا رجلا واحدا لخفت أن أكون انا ومن أقيم في مقام الخوف من نساء التابعين جماعة من نساء هؤلاء منهم البيضاء وجادع

وغزالة والميلاء وحبيبة وليلى الباطنية .  ومن نساء الجماعة أم الدرداء ومعاذة العدوية ورابعة القيسية وليلى القيسية ولبابة كم

بما تلون به عليكم ونحن فلم نقل ليس الغنى طريقا للاغنياء الى الله وانما فضلنا طريق الفقراء لانهم الامثل فالامثل بالانبياء ومن الحسن في قوله عز وجل وما يستوي الاحياء ولا الاموات قال الفقراء والاغنياء بجعل الفقراء أحياء بمولاهم وجعل الاغنياء موتى بدنياهم وقال الثوري رحمه الله اذا رأيت الفقير يداخل الاغنياء فاعلم أنه مراء واذا خالط السلطان فاعلم أنه لص وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى بعض الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل فمن فضل الغنى على الفقر بعد الاخبار التي وردت في تفضيل الفقر والفقراء على الغنى والاغنياء فاحسن حاله الجهل بالسنن لايثار الرأي والهوى على ما فيها أثر وسنة لان الاثر اذا جاء في شئ لم يكن للرأي فيه مدخل وكان في مخالفته مع العلم به عناد ومعاندة نعوذ بالله من الجهل والهوى ونسأله التوفيق للعلم والتقوى * ذكر حكم من لا معلوم له من الاسباب فان لم يكن للفقير معلوم من الدنيا وكان رزقه قد أجرى على أيدي العباد من غير تعرض منه لهم من صنائع الدنيا معتاد فقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا المال مال الله فمن أخذه بحقه بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه فكان كالآكل ولا يشبع وروينا من أتاه شئ من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليه وفي لفظ آخر فلا يرده فان كان محتاجا اليه والا فليصرفه الى من هو اليه أحوج منه وروينا عن الحسن وعطاء حديثا مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله وروينا عن عائذ بن شريح عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة بأعظم أجرا من الآخذ اذا كان محتاجا وقال بعض العلماء لو هرب العبد من رزقه لطلبه حتى يصل اليه كما لو هرب من الموت لادركه وقال أبو محمد رحمه الله لو ان العبد سأل ربه فقال لا ترزقني لما استجاب له وكان عاصيا ويقال له يا جاهل لا بد ان أرزقك كما خلقتك وقد حدثنا بعض العارفين انه زهد في الدنيا فبلغ من زهده انه فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا أسأل أحدا شيأ حتى يأتيني رزقي ان كان لي رزق قال فاخذ يسيح فأقام في سفح جبل سبعا لم يأته شئ حتى كاد ان يتلف فقال يا رب ان أحييتني فائتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا أرزقنك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المصر الامر وأقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بادام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه أردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا أما علمت اني أرزق عبدي بايدي عبادي أحب الي من ان أرزقه بيد القدرة وقال بعض المنقطعين الى الله من العارفين كنت ذا صنعة جليلة فاريد مني تركها فقال لي صدري من أين المعاش فهتف بي هاتف لا اراك تنقطع الى وتتهمني في رزقك علي ان أخدمك وليا من أوليائي أو أسخر لك منافقا من أعدائي وفي خبر عن بعض السلف أوحى الله تبارك وتعالى الى الدنيا اخدمي من خدمني واتعبي من خدمك وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للانفاق في سبيل الله فرأيت ذات ليلة فقيرا يطوف بالكعبة في ظلمة الليل حسن الهدى والسمت قال فكنت أتتبع آثار قدمه وأمشي خلفه من حيث لا يشعر فلما قضى أسبوعه وقف في الملتزم بين الباب والحجر فسمعته يدعو دعاء خفيا فاصغيت اليه فاذا هو يقول جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى قال فنظرت فاذا عليه خلقان رثاث لا تكاد ان تواريه فقلت في نفسي لا أجد لتلك الدراهم موضعا خيرا من هذا قال فتبعته حتى انصرف الى ناحية فتبرز ثم يصلي ركعتي الطواف وذهبت الى منزلي فجئت بالدراهم فدفعتها اليه وقلت رحمك الله انت في مثل هذا الموضع وعلى مثل هذه الحالة فخذ هذه تنفقها قال وصببتها في طرف ازاره بين يديه على الارض فنظر اليها ثم أخذ منها خمسة دراهم فقال أربعة ثمن مئزرين ودرهم أتقوت به ثلاثا ثم قال لا حاجة لي بسائرها قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان قد لبسهما قال فهجس في نفسي من أمره شئ فقبض على يدي فاطاف معه اسبوعا كل شوط منها في جوهر من معادن الارض تتخشخش تحت أقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر لم يظهر

من البجعاء انها تدين بمذهب القدرية الحرورية أخذها زياد أمير البصرة فقطع يديها ورجليها فدخل الناس عليها يعودونها فقالوا لها كيف ترين يا بجعاء فقالت قد شغلني هول المطلع عن برد حديدكم هذا وغلب الخوف وأفرط في عباد البصرة وعباداتها وأهل عسكر خصوصا القدرية الحرورية والمعتزلة منهم وانما أفرط هذا الخوف فيهم لاعتمادهم على الاسباب واعتقادهم التأثير لقدرهم ورؤيتهم الافعال والاكتساب وتعاطي الاستطاعة والحول والقوة وتحقيق الوعيد وجريان الحكم على الحاكم الرحيم بالقول فما فوضوا الى المشيئة ولا استسلموا للقدرة وكانت أكثر هذه المخاوف في أهل البصرة وعباداتها وما يليهما فانهم ذهبوا الى القول بتقديم الاستطاعة على الفعل ودانوا بالبدعة في القدر ومنهم أصحاب المنزلة بين المنزلتين وأقبلوا بالاعتماد على الاسباب وهربوا من الامن واغتروا بالله تعالى فوقعوا في اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى ورأوا ان لا عفو عن أهل الكبائر الا بعد توبة وكفروا كل من خالفهم في ذلك فهم مجوس هذه الامة وهم كلاب أهل النار *(فصل)* وأما الاشفاق فقال الله تعالى الذين هم من خشية ربهم مشفقون والاشفاق على ثلاث درجات الدرجة

الناس

للناس فقال هذا كله قد أعطيناه فزهدنا فيه ونأخذه من أيدى الخلق أحب الينا لانه أحب الى الله وأخف علينا فى المطالبة وهذه أثقال وفتنة وذلك العباد فيه رحمة ونعمة ترور وينافق تجبا البلاد بلاد الله والخلق عباده فأينما وجدت رزقا فاقم واحمد الله وروينا عن ابن عباس اختلف الناس فى كل شئ الا فى الرزق والاجل أجمعوا على ان لا رازق الا الله ولا مميت الا الله وقال ان الله عز وجل لما خلق الارزاق أمر الرياح أن تفرقها فى أقطار الارض ففرقتها فمن الناس من وقع رزقه فى مائة ألف موضع ومنهم من وقع رزقه فى عشرة آلاف موضع ومنهم فى ألف موضع ومنهم فى مائة موضع ومنهم فى موضع وأقل وأكثر ومنهم من وقع رزقه على باب منزله يغدو ويروح اليه وكل عبد يسعى باثره الذى كتب له حتى يستوفى رزقه الذى قسم له فاذا فنى أثره واستوفى رزقه جاءه ملك الموت فقبض روحه واعلم ان العبد لا ينقطع رزقه أبدا منذ ظهرت خلقته كان فى بطن أمه غذاؤه مما تحيض الارحام من دم الحيض يعيش بذلك جسمه من ظاهره ومعاه المستطيل من سرته متصل بمعى امه يصل من وطئها الطعام الى بطنه فيعيش بذلك فاذا أذن الله عز وجل بخروجه بعث اليه الملك فقطع ذلك المعى من موضع اتصاله بمعى أمه فاذا دخل الى الدنيا جعل رزقه من الدنيا فاذا خرج منها فآخر رزقه من الدنيا أول رزقه من الآخرة فاذا دخل فى الآخرة كان رزقه من البرزخ كما كان فى الدنيا بتلك المعانى لمعانيه المختلفة المحتملة لذلك فاذا خرج من البرزخ ودخل فى القيامة كان رزقه فى الموقف على قدر حاله هنالك فاذا خرج من الموقف دخل أحد الدارين انتقل رزقه اليها فكان منها الى أبد الابد فاذا شهد العبد هذا بيقين ايمانه اطمأن قلبه فاستوى عنده الرزق والاجل فعلم يقينا انه لابد من رزق كما لابد من أجل فلم يكن عليه الا مراعاة الاحكام فيه وشهد من هذه الشهادة ان خلقا لا يقدر ان يزيد على رزقه ساعة ولا ينقص منه ساعة فاذا أيقن بهذا كان مشغولا بالمعاملة لمولاه فيما تعبده به مولاه ثم ان الرزق على وجهين عن معان لا تحصى وباسباب لا تعد ولا تضبط فمن الرزق ما يأتى العبد بسكونه وقعوده فيكون الرزق هو الذى تحرك اليه ويأتيه ومنه ما يأتى العبد بحركته وقيامه فيكون يتسبب اليه ويطلبه والرزق فيهما واحد والرازق بهما واحد والحكمة والقدرة فى المتحرك القائم وفى الساكن القاعد واحد الا ان الاحكام فيهما متفاوتة ثم ان الاشياء كلها على ضربين مسخر لك ومسلط عليك فما سخر لك سلطت عليه وهو نعمة عليك وعليك الشكر له وهذا مقام الشكر على معنى الرزق وما سلط عليك فقد سخرت له انت وهو بلاء عليك وعليك الصبر فيه وهذا مقام الصبر من معنى الابتلاء فمن شهد ما ذكرناه عرف حاله من مقامه فقام بحكم ما عرف ومن لم يشهده جهل حاله ولم يدر مقامه فاضطرب فيه فضيع حكم الله عليه والمستحب لمن لا معلوم له ان لا يأخذ مما آتاه الا قدر الحاجة وعلامة حاجته هو ان لا يأخذ الا ما يحتاج ان يشترى به فهو حاجته فى وقته فذلك رزق من الله تعالى ومعونة له فأخذ هذا أفضل وما آتاه مما لا يحتاج ان يشترى به أو عنده مثله فهو اختباره وابتلاء لينظر كيف زهده فى فضول حاجته وكيف رغبته فى الاستكثار لانه اذا ملك الشئ فكأنه قد كان له فيعلم الآن بحرصه ان هذا ابتلاء من الله وفيه حكمان أحدهما ان يأخذه فى العلانية ويخرجه فى السر الى من هو أحوج اليه منه هذا طريق الاقوياء وهو من أشد الاشياء على النفس وهو الذى أمر به النبى صلى الله عليه وسلم عمر وغيره وهذا حال علماء الزاهدين والحكم الآخر ان لا يأخذه ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج اليه منه لان الله تعالى له عليه فيه أحكام وهذا هو الطريق الاوسط من طرق الزهاد فاما ان يأخذه من غير حاجة ليكثر به ويدخره فلا أعلم فى هذا طريقا الى الله تعالى وما لم يكن طريقا الى الله فهو من طرقات الهوى الى العدو ثم ينظر الآخذ فيما آتاه من الله الى أحكامه فيه فان كان ما يأتيه من الزكاة المفروضة على أربابها المشترط لها الاوصاف الستة المنصوص عليها فى الكتاب فذلك أضيق عليه وألزم له فى الاحتياط لانه ان يضعه فى حقيقة موضعه عند أخيه نعمة الله تعالى فى دينه ونصحا لاخوانه فى ربه فان الافضل فى ذلك ان لا يضعه الا فى أربعة أشياء مطعم وملبس ومسكن ودين فى قضائه عنه فهذا من أفضل ما صرفت فيه الواجبات وقد روينا عن ابن عمر من اشترى ما لا يحتاج اليه باع ما يحتاج اليه

الاولى اشفاق على النفس ان تجمح الى العناد وترك طريق الارشاد واشفاق على العمل ان لا يصير الى الضياع وان يميل الى الاتساع والدرجة الثانية اشفاق على النفس ان لا تجمع به على تفرق أو يفوته تحقق أو يزاحمه عارض وعلى النفس ان يداخلها سبب من أسباب الرياء أو يشوبها طلب الهوى والدرجة الثالثة اشفاق يصون سعيه عن العجب ويكف صاحبه عن مصاحبة الخلق ويحمل على حفظ الحدود والاشفاق مستلزم لكثرة الكآبة والتأسف خشية ان تفوته السلامة ولهذا قيل الشفيق مولع بسوء الظن ولا يطمئن قلبه حتى يسمع قوله تعالى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون *(فصل)* وأما الحزن فانه توجع القلب لفائت أو تأسف على ممتنع وقال الحرث المحاسبى هو انكسار فى الباطن يكسر الظاهر من الانبساط وأوله قلق وثانيه كمد قال الله تعالى تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا وهذا تأسف على ممتنع والحزن يقبض القلب عن التفرق فى أودية الغفلة والحزن من أوصاف أهل السلوك قال الدقاق صاحب الحزن يقطع من طريق الله تعالى فى شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه فى سنين وفى الخبر ان الله يحب كل قلب حزين وفى التوراة اذا أحب الله عبدا نصب فى قلبه نائحة واذا أبغض عبدا جعل فى قلبه مزمارا وكان النبى صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الهم

والفكر والحزن بكثرة الذنوب وأما الحزن على ثلاث درجات الدرجة الأولى حزن العامة على التفريط والخدمة وعلى التورط في الجفاء والدرجة الثانية حزن أهل الإرادة وهم أهل البدايات في السلوك على تعلق القلب بالتفرقة وعلى اشتغال النفس من الشهود والدرجة الثالثة التجرد في المعارضات دون الخواطر واعلم أن الخاصة ليس من أهل مقام الحزن لأنها ارتفعت عنه لأن الحزن إنما يكون لعز مطلوب أو فقد محبوب وهم ما عز عليهم مطلوب ولا فقدوا محبوبا وتكلم الناس في الحزن فأكثرهم قالوا إنما يحمد حزن الآخرة فأما حزن الدنيا فغير محمود قال الشيخ أبو عثمان الحيري الحزن بكل وجه فضيلة وزيادة للمؤمن ما لم يكن بسببه معصية لأنه إن لم يوجب تخصيصا فلا أقل من أن يوجب تمحيصا وممن غلب عليه الحزن الحسن البصري والفضيل ابن عياض والربيع بن خثيم وداود الطائي وكان داود الطائي يقول بالليل إلهي همك عطل علي الهموم وحال بيني وبين السهاد وكان يقول كيف يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب واعلم أن الحزن ينقسم إلى حرام ومندوب فالحرام ما كان من فوات حظه من الدنيا ومتاعها قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يصح مع الحزن على متاع الدنيا إيمان بالقدر وأما الحزن المندوب فهو فيه

وفضول الدنيا وهو الزيادة على الكفاية لا يحتاج إليه والدين يحتاج إليه فلا ينبغي للعاقل أن يبيع ما يحتاج إليه من دينه بشراء ما لا يحتاج إليه من دنياه فتكون صفقته خاسرة وتجارته بائرة والشهوات لا حد لها لأنه لا غاية ينتهي إليها فيها والقوت له حد وغاية ينتهي إليه فيها وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم إلا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب وهذه الثلاث مع ابن آدم في بطن أمه وفي قبره وبين ذلك في دنياه وبعد ذلك في عقباه فالأخذ لصالح هذه الثلاث مأجور عليه العبد والزهد لما زاد عليها هو أفضل من الأخذ وينبغي أن يكون العبد الذي لا معلوم له عارفا بأحكام العطاء فإن العطاء من الله لعبده على أربعة أنواع نوعان محمودان ونوعان مكروهان فالمحمودان ما كان بمعنى الرفق والمعونة والمكروهان ما يكون بمعنى الاختبار والابتلاء وبين الرفق والمعونة فتفصيل ذلك أن الابتلاء مما جاءه من الأسباب قبل الحاجة إليه أو جاءه وله غنية عنه أو عنده مثله فهذا ابتلاء من الله تعالى له لينظر عمله فيه فالأفضل في هذا أن يخرجه فيكون معاملا لله تعالى به في السر مسقطا لمنزلته عند الناس في العلانية فإن لم يقو على هذا الثقل وحمله على النفس فالأفضل بعد أن لا يأخذه ليحكم الله فيه بما يشاء وأما الاختبار فما له سببان كان من الواجب والاختيار أن يكون الفقير قد نوى ترك أكل شيء أو اعتقد التقلل فيه في قربة إلى ربه تعالى لمخالفة هوى نفسه وعملا في صلاح قلبه يتباعد به مما يدخله في الكثرة وعمل عليه عقده فرده هذا أفضل وهو من الزهد والرعاية للعهد فإن أخذه ثم أخرجه إلى محتاج فهذا هو زهد الزهد وله في هذا معاملات منها أن العبد مندوب إلى الإيثار فإذا كان فقيرا وملك شيئا فأخرجه كان في ميزانه ومنها موافقة السنة في أنه قد أمر بأخذه أو دفعه إلى من هو أحوج إليه منه ومنها أن أخذه هذا في العلانية من الناس ورده في السر إلى الله تعالى كبيرة على النفوس إلا على الخاشعين لأن النفس تسقط في منزلتها ثم لا ينال به سمعتها فلا يصبر على هذا إلا الموقنون وهذا مقام الزاهدين في النفس وهو حال أغنياء الفقراء وعلماء الزهاد وهم أهل الطبقة العليا الذين قدمنا ذكرهم والوجهان الآخران من العطاء هو الرفق وصورته أن يأتيه الرزق عند حاجته أو مع شهوته الشيء الذي لا يقدر عليه فيعلم أن الله قد آنسه فيبعث به إليه من غير طمع في خلق أو يأتيه ما يصلح أن يشتري به ليرتفق بمنافعه فهذا النوع من العطاء رفق الله سبحانه الأفضل للعبد أن يأخذه ورد بما خيف من رد مثل هذا عقوبة من زوال عقل أو رد إلى غلبة طبع أو ابتلاء بطمع خلق أو دخول في دني من مكسب وقال بعض العلماء من أعطي ولم يأخذ سأل ولم يعط وهذا من النوع الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة بأعظم أجرا من الآخذ إذا كان محتاجا فالآخذ هذا مشارك للمعطي في الأجر من حيث استويا على المعاونة في التقوى والبر المأمور بهما ولا يضر هذا العطاء آخذه وقد كان سري السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل شيئا فيرده فقال له سري يا أحمد احذر آفة الرد فإنها أشد من آفة الأخذ فقال له أحمد أعد علي ما قلت فأعاده فقال أحمد ما رددت عليك إلا لأن عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فإذا كان بعد شهر فأنفذه إلي والرابع من العطاء هو المعونة وهذا يكون مخصوصا لأهله وهو أن يكون في خلق هذا الفقير البذل والإفضال وفي غريزته السخاء والاتساع من إطعام الطعام وإيثار الفقراء فلا يتسع لذلك حاله وتضيق عنه يده فيبعث الله إليه بالعطاء معونة له على أخلاقه ليبلغه به مراده وينفقه من المعروف والبر عادته ويعينه على خلقه ومروءته فهذا النوع من العطاء هو الاختيار عند العارفين والأفضل أخذه وإمضاؤه في سبله من المروءات والأخلاق وهذا كان طريقة كثير من السلف وقد غلط في هذا الطريق قوم لم يكن لهم زهد وقد كانت فيهم رغبة وهمم دنية فاتسعوا في قبول هذا العطاء لنفوسهم وتملكوه واستأثروا به وزعموا أن هذا هو الاختيار فغلطوا السلف في معرفة الابتلاء من الاختيار لأن هذا عند العارفين إذا لم ينفذوه ثم ربه ابتلاء ووافقوا أهواءهم في التوسع منه والتكثر به وتملكوه بالهوى فاحتجوا في العلم لإمالة المعنى وغلطوا في طريق الحال لوجود الهوى وقد كان بعض القاعدين من الصادقين يدان على الله لحسن ظنه به فإذا رزقه قضاه فإن مات هذا على هذه النية فلا تبعة عليه

فيه في دينه على مولاه قضاؤه وان يرضى عنه غرماؤه وقد كان فيما سلف يقضى دين مثل هذا من بيت مال المسلمين وكان آخرون لا يقترضون حتى يبيع أحدهم أحد ثوبيه أو فضل ما يحتاج اليه وهذا أحد الوجوه في قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قال من ضيق عليه معاشه فليبع أحد ثوبيه وقد قيل فليستقرض بجاهه فذلك آتاه الله عز وجل وقال بعضهم لله عباد ينفقون على قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن به ومات بعض السلف فأوصى بماله ان يفرق على ثلاثة طوائف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء قال أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله وأما الاسخياء فهم أهل حسن الظن بالله وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله فينبغى لمن لا معلوم له من الاسباب ان يتورع في أخذها ويتحرى المعطين لها كما يتحرى أهل المكاسب في الاكتساب لان الله سبحانه وتعالى له في كل شئ حكم والقعود عن المكاسب لا يسقط أحكامها والقاعد عن الطلب لا تسقط عنه أحكام الطالب لان ترك العمل عمل يحتاج الى عمل ولم تكن سيرة الفقراء الصالحين ان يأخذوا من كل أحد ولا في كل وقت ولا يأخذون كلما يعطون مما زاد على كفايتهم الا ان يكونوا ممن يخرجه الى غيرهم وانما كانوا يقبلون ممن يخف على قلوبهم القبول منه وممن ترتفع الوحشة والحشمة فيما بينهم وبينه لان ذلك هو الذى يفرح بقولك ويرى نعمة الله تعالى عليه في أخذك ومن يثقل على قلبك معروفه فهو الذى يثقل على قلبه اخراج ما في يده ولا يغتم بردك عليه ✽ وقال بعض العارفين ما تواخى اثنان في الله عز وجل فاحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش منه الا من علة في أحدهما فلا يصحب الفقير ان يأخذ الا من صديق ولا يقبل الا ممن يحب لان لاهل المعرفة بالله عز وجل ان يحكموا في الاسباب بما أراهم الله تعالى من الرد أو من القبول فان اعتل معتل بعمار وبما أتاك من جاءه شئ من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله تعالى وبان أهل المعرفة يشهدون ان العطاء من الله سبحانه وتعالى فلا يصلح ان يردوا عليه قيل له ان من يشهد العطاء من الله تعالى هو الذى يشهد الرد أيضا منه فان يرد اليه أو ورد اليه بمعرفته باختباره وابتلاء بحسن الرد منه وشكر الفعل له فهو أيضا اذا شهد تصريف الخلق بالعطاء فعل الله عز وجل كان يشهد فعل نفسه بالرد فعل الله تبارك وتعالى بالمنع فالحالان سواء عند من علم الاحكام ولم يتبع الهوى وقام بحكم ما منه يقتضى فليس في هذا حجة الا لعالم مستكثر أو لعابد جاهل غير مستبصر على ان في القبول من بعض الناس دون بعض وفى رد بعض الهدية سنة أهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت مرارا ان لا أتهب الا من قرشى أو ثقفى أو دوسى وفعل هذا جماعة من التابعين جاءت صرة الى فتح الموصلى فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرها وقد كان الحسن البصرى يروى هذا الحديث أيضا ثم حدثنا عنه ان رجلا أهدى اليه كيسا فيه مال ورزمة ثياب من دق خراسان فرد ذلك فقال له بعض أصحابه في ذلك فقال من جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله عز وجل يوم القيامة وليس له عند الله عز وجل خلاق وقد كان الحسن يقبل من أصحابه وكان ابراهيم التيمى يسأل أصحابه الدرهم ونحوه ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا يأخذ وقد كان بشر بن الحرث لا يقبل من الناس شيأ وكان بعضهم يقول أحب ان أعلم من أين يأكل فقال له من يخبر أمره انا أدرى من أين يأكل له صديق عاقل يعنى نظيره في العقل والدين لان بعضهم كان لا يقبل الا ممن نظر انه لا من الاتباع وهذا الصديق العاقل الذى كان يقوم بكفايته ولم يكن يظهر أمره ولا يلتقى معه هو سرى بن المغلس السقطى لانا حدثنا عن بشر انه قال ما سألت أحدا قط شيأ من الدنيا الا سريا السقطى لانه قد صح عندى زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشئ من يده ويتبرم ببقائه عنده فأكون أعينه على ما يحب ✽ وقد كان سرى يوجه الى أحمد بن حنبل في محابه فيقبل منه وكان



الحزن على فوات الاعمال الصالحة وعلى زمان مضى لم يجتهد فيه وقال الحرث المحاسبى علامات الحزن كثيرة ومنها الفكرة في الذنوب السالفة ورهبة القدوم على الله تعالى بغير زاد وأخذ القلوب بحقوق الله تعالى الواجبة والفرائض اللازمة والانقباض عن الانبساط والانقطاع عن فضول الكلام وقلة المبالاة بامور الدنيا مشتغل بشأنه وحزنه شعث منفرد متوحش غير متصنع ولا متزين كأنه ثكلى في صدتها لا تلتفت الى أعيادها وعاداتها قال حميد ابن هلال دخلنا مع الحسن على عجوز من العوائد بالبصرة وقد صامت حتى اسودت وقامت حتى أقعدت وبكت حتى عميت فقال رجل منا الى من كان الى جنبه ما أشد العمى بعد البصر فقالت له هلا يا فتى ان عمى القلب عند الله أشد من عمى العين عن الدنيا تعنى ان عمى العين عن الدنيا سهل بالاضافة الى عمى القلب عن الله وعمى بعض الزهاد فقيل له ألا نأتى لك بطبيب يعالج بصرك فقال قد زهدت في الدنيا ودخل الحسن البصرى ومعه حميد بن هلال وجماعة من العباد على العلاء بن زياد يزورونه فقال له الحسن كيف أنت يا علاء فقال واحزناه على الحزن فقال الحسن قوموا بنا الى هذا انتهى استدلال الحزن

(باب الخشوع والاخبات)

قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والخشوع هو التواضع لله تعالى والانقياد لامره وقال حذيفة أول ما تفقدون من دينكم الخشوع

اذا ذكر عنده أحد يقول ذاك الغني المعروف بطيب الغنى انه ليعجبني أمره وكان بعض العباد اذا دفع اليه بعض أبناء الدنيا الشيء يقول له دعه عندك واعرض على قلبك كيف أنا عندك بعد الاخذ أفضل أو دون ذلك وأصدقني فان قال له أنت عندي الآن أفضل منك قبل ذلك قبل وان أخبره بنقصانه في قلبه لم يقبل منه وكان بعضهم يرد على أكثر الناس صلته فعوتب في ذلك فقال انما أرد اشفاقا عليهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم وممن ذهب الى هذا سفيان الثوري وقد كان يشترط على بعض من يأخذ منه أن لا يذكره اشفاقا عليهم من ذهاب أجره لانه قيل في معنى قوله عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال المن أن يذكره والاذى أن يظهره وقال الجنيد لخراساني الذي جاءه بمال وسأله أن يأكله فقال الجنيد بل أفرقه على الفقراء فقال أنا أعلم بالفقراء منك ولم أشتر هذا فقال الجنيد أنا أؤمل أن أعيش حتى آكل هذا فقال اني لم أقل لك انفقه في الخل والكامخ والبقل انما أردت أن تنفقه في الطيبات وألوان الحلاوة فكل ما نفد أسرع كان أحب الي فقال الجنيد مثلك لا يصلح أن يرد عليه فقبله فقال الرجل ما ببغداد أحد أعظم منة علي منك فقال الجنيد وما ينبغي لاحد أن يقبل منه الا من كان مثلك فهذه كانت طرائق أهل الحقائق ولا ينبغي القاعد عن المكاسب الا أن يكون تاركا ذلك لاجل الله سبحانه عالما في قعوده باحكام الله عز وجل قائما بعلم حاله فيحسن بمشاهدته قعوده عن الاسباب ثقة منه بالمسبب الوهاب ويجعل تركه المعلوم يقينا منه بالعالم به وقد كان بعض العلماء يقول لا تأكل الا عند من يعلم أنك أكلت رزقك ولا تشكره عليه الا ربك ودعا بعض الناس شقيقا البلخي وكان في طبقة من أصحابه نحو الخمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وأنفق نفقة كثيرة فلما قعدوا قال لهم شقيق ان هذا الرجل يقول من لم ير أني صنعت هذا الطعام وأنا أقدمه اليه فطعامي عليه حرام قال فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان فيهم نقصت مشاهدته عنهم فقال صاحب المنزل لشقيق رحمك الله ما أردت الى هذا فقال أردت أن أجرب توحيد أصحابي أي كلهم لا يراك فيما صنعت ولا ينظرون اليه فيما تقدم الا ذاك الغلام وحده ويحدثونا عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يا رب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني اسرائيل يغديني يوما هذا ويعشيني هذا الليلة فأوحى الله اليه هكذا أصنع بأوليائي أجري أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم والعالم القاعد عندهم أفضل من الجاهل المتصرف والعالم المتكسب أفضل من القاعد الجاهل والقوي التارك التصرف أفضل عندهم من الضعيف المتصرف والقوي المتصرف أفضل من الضعيف التارك التصرف وقد جعل الله المستحقين للعطاء ستة ذكرهم في آيات ثلاث فقال عز وجل في الآية الاولى انما الصدقات للفقراء والمساكين وقال في الثانية وفي أموالهم حق للسائل والمحروم وقال في الثالثة فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر فمن لا معلوم له من تكسب أو تصرف فهو أدخل شيء في هذه الآيات وأحوج أحد الى الاعطاء ومن كان ذا معلوم يحتاج الى أكثر منه لفضل عيلة أو كثرة نفقة فانه يدخل بعض من أوصافهم وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول في الآية انما الصدقات للفقراء والمساكين نزلت في أهل الصفة ومن كان في معناهم الى يوم القيامة وكانوا أربعمائة وخمسين رجلا لم تكن لهم عشائر بالمدينة ولا أموال كالمهاجرين والانصار وكانوا نزاع القبائل أسكنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة المسجد وقسم الله عز وجل لهم الاموال ثم ان الله سبحانه وتعالى فرد طبقة سابعة عن جمل هؤلاء الستة ووصفهم بأحسن الصفات وفضل أجور المتقين بطيب الاكتساب عليهم الطالبين وجه الله عز وجل فقال يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وقال وما تنفقوا من خير يوف اليكم وكل هذا متصل متعلق بقوله عز وجل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض الى آخر أوصافهم ووصفهم بالاحصار في سبيله وبالعفة عن الدنيا وأبنائها وانهم لا يلحفون والتعفف زهدهم فيها وسمى من لا يعرف أوصافهم جاهلا فهذه الطائفة فوق الطبقات الموسومة بالصدقات المقسوم عليها الزكوات بل أمر المؤمنين بالانفاق عليهم من الاكتساب الطيبات من بعد وصف أحسن الخالقين لهم والله تبارك وتعالى

لا

---

وسئل الجنيد عن الخشوع فقال تذلل القلوب لعلام الغيوب وقال بعض العلماء الخشوع في الصلاة أن لا يعرف من عن يمينه ولا من على شماله وقيل الخشوع قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة وقال صاحب مقامات العارفين الخشوع خمود النفس وهمود الطبع لمتعاظم أو مفزع وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى التذلل للامر والاستسلام للحكم والاتضاع لنظر الحق والدرجة الثانية ترقب آفات النفس والعمل ورؤية فضل كل ذي فضل عليك وتنسم نسيم الفناء والدرجة الثالثة حفظ الحرمة عن المكاشفة وتصفية الوقت من مراءاة الخلق وتجريد رؤية الفضل وقال الغزالي الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلاة وفي غير الصلاة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع

*(فصل)* وأما الاخبات فهو من أوائل مقام الطمأنينة وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى أن تستغرق العصمة الشهوة وتستدرك الارادة وهي القصد الى الله تعالى والغفلة أن يستهوي الطلب الشهوة الدرجة الثانية أن لا تنقض ارادته بسبب ولا يوحش قلبه عارض ولا تقطع الطريق عليه فتنة وقول عمر رضي الله عنه نعوذ بالله من [illegible] أكثروا

لا يعجب عبد الا وصفه فاذا مدحه بوصف وأثنى عليه ثبتت محبته في المدح والوصف دليل على الحب والمحبة تدل على الفضل العظيم كما قال تعالى في آخر وصف المحبين ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد قال بعض الصوفية في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم يد المعطي هي العليا ويد المعطى هي السفلى ان المعطي هو الفقير وان المعطى هو الغني ويصح ان يستدل له بان حقيقة الاعطاء هو النصيب من الآخرة وعطاؤه منها فصار هو المعطي وصار الغني هو المعطى ويكون دليل هذا القول الخبر الآخر في قوله ان الصدقة تقع بيد الله سبحانه وتعالى قبل ان تقع بيد السائل وهو يضعها في يد السائل فقد صارت يد الفقير هي العليا والخبر الآخر يد الله العليا ويد المعطي الوسطى فهذا يصح ان الفقير هو المعطي اذا كانت يد الله تبارك وتعالى فوقه لانها هي التي تقع في يد العطاء فكانت يده هي الوسطى ❊ فان قيل قد رتب الايدي بقوله تعالى يد الله هي العليا ويد المعطي هي الوسطى ويد المعطى هي السفلى فينبغي أن يكون المعطي هو الغني اذا كان العطاء بظاهره عندنا على الترتيب قيل له ان يد الله تبارك وتعالى فوقهما معا وهي لا تدخل تحت الترتيب لانه سبحانه وتعالى العليا عليهما جميعا كما قال تبارك وتعالى يد الله فوق أيديهم وقد علمنا ان أيديهم بعضها فوق بعض ثم أخبر مع ذلك انها فوق الكل ولانه هو المعطي الاول لهما جميعا فكما لا أول أول سبق في العطاء فكذلك لا يد فوق يده في الاعطاء وانما الترتيب بين الغني والفقير أيهما المعطي بعد يد الله تعالى فقلنا ان المعطي في الحقيقة اذ كان العطاء الحقيقي هو ما يبقى ويدوم لا ما يفنى ويزول وذلك هو العطاء من الآخرة الباقية فصار الفقير هو المعطي الغني في الدنيا نصيبه من الآخرة لانه عمارة منازله فيها والغني رفق بالفقير من الدنيا وعمارة دنياه الفانية والدنيا موصوفة بلا شيء فأي شيء يعطي منها فاما يد الله تعالى فانها فوقهما والذي أعطاهما جميعا لان يده فوق الفوق وفوق التحت لا يوصف بتحت ولا بأسفل تعالت أوصافه العليا عن نعوت الخلق السفلى وهو لا يدخل تحت القياس والتشبيه فقد حدثنا بعض اخواننا عن شيخ له فقال رأيت أبا الحسن النوري يمد يده ويسأل الناس في بعض المواطن قال فاعظمت ذلك واستقبحته فأتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسأل الناس الا ليعطيهم انما سألهم ليثيبهم من الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره ثم قال هات الميزان قال فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها اليه قال قلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فهذا قد خلط منه شيئا آخر فصار مجهولا وهو رجل حكيم فاستحييت ان أسأله من ذلك قال فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان قال فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له انا لا أقبل منك أنت شيئا وأخذ ما زاد على المائة قال فقلت هذا أعجب فسألته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان يأخذ الحبل بطرفيه وزن هذه المائة لنفسه للثواب من الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كانت لله عز وجل ورددت ما كان جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال أخذ ماله ورد مالنا والله أعلم ❊ ذكر اختلافهم في اخفاء العطاء واظهاره ومن رأى ان الاظهار أفضل وتفضيل ذلك قد اختلف فعل المخلصين في ذلك فرأى بعضهم ان يخفي ما يأخذ من العطاء لانه أدخل في التعفف وأقرب الى التصون وانه أسلم لقلوب الغير وأصلح لنفوس العامة وان فيه النصرة لاخوانه من الغيبة والتهمة بمثل ذلك أو باكثر منه وفيه الاحتياط لاخيه وعونه على البر والتقوى في قوله عز وجل ان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والخبر الذي جاء أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر ولان عمل السر يفضل على عمل العلانية بسبعين ضعفا فاذا لم يعاونه هذا على اخفاء عطائه ولم يساعده على كتم معروفه فلم يتم له ذلك بنفسه لانه سر بين اثنين ان أفشاه أحدهما أو لم يفقا على كتمه فقد ظهر من أيهما كان الخبر كيف وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على أموركم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وهذا مذهب القراء من العابدين وقال أيوب السختياني اني لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسد وقال بعض الزاهدين ربما تركت استعمال الشيء لاجل اخواني يقولون من أين

المسائل على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الأمور العجيبة وهو على الأثر هو اشارة الى السلامة في الطريق من ان تضامها الفتنة نعوذ بالله من الفتن وأما الدرجة الثالثة فهو ان يستوي عنده المدح والذم ويديم لائمة نفسه وبحمي من نقصان الحلق عن درجته

❊(باب الرجاء والرغبة)❊
قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وقال تعالى أولئك يرجون رحمة الله والرجاء من جملة المقامات وانما يتم بعلم وحال وعمل فالعلم يثمر الحال والحال يثمر العمل والرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولا بد لذلك المحبوب المتوقع من سبب مكسوب للراجي وهو العمل والعمل على الرجاء أفضل من العمل على الخوف والعمل الاستحقاق أفضل من العمل الرجاء والخوف وآيات الرجاء كثيرة والاخبار فيه صحيحة قال الله تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولما تلا النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقال لآدم عليه السلام ابعث بعث النار فيبعث من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة فبئس القوم وجعلوا يبكون يومهم وتعطلوا من الاشتغال والعمل فخرج

هذا وحدثونا عن ابراهيم التيمي انه رأى بصاحب له عليه قميص جديد فقال من أين لك هذا قال كسانيه أخي خيثمة ولو علمت ان أهله علموا به ماقبلته ودفع رجل الى بعض العلماء شيأ ظاهرا فرده ودفع اليه آخر شيأ في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا أخلق معر وفه وعمل بالادب في معاملته فقبلته منه والذي أظهر معروفه أساء في الادب في المعاملة فرددته عليه ودفع بعض الناس الى بعض الصوفية شيأ بين الملا فرده فقيل له لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك فقال انك أشركت غير الله سبحانه وتعالى فيما لله ولم تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك وقد كان بعض العلماء لا يقبل في العلانية و يأخذ في السر فسئل عن ذلك فقال ان في اظهار الصدقة اذلالا للعلم وامتهانا لاهله وما كنت بالذي أرفع شيأ من الدنيا بوضع العلم واذلال أهله وكذلك حدثنا ان رجلا دفع الى بعض العارفين شيأ علانية فرده ثم دفعه اليه في السر فقبله فقيل له رددت في الجهر وقبلت في السر فقال لانك أطعت الله تعالى في السر فاعنتك على برك بقبوله وعصيته بالجهر فلم أكن عونا لك على المعصية وقد كان سفيان الثوري يقول لو علمت ان أحدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت صلته وفي هذا العمري مواطأة لما ندب الله تعالى اليه من الاخفاء ولما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله من أعمال السر وهو أيضا لا يدخل الآخذ في نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وقال في الحديث الآخر أفضل ما أهدى الرجل الى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا فجعل الورق هدية كالهدايا وهو من أفضلها كما قال لانه قيم الاشياء فهذا الآخذ الهدية جهرا يلزمه الاشراك للحاضرين فيها الا انه واذلك له فان لم يفعل لم يحبني ذلك وذهب آخرون من أهل المعرفة الموصوفين بالتوحيد الى ان الاظهار للآخذ أفضل لانه أسلم له وأدخل في الاخلاص والصدق وأخرج من الثبات والقدر والمنزلة والجاه بالرد والزهد وقد قال الله سبحانه لا تكلف الا نفسك قالوا فليس علينا اذ علمنا في سلامتنا وحكم حالنا من اسقاط جاهنا بالاخذ علانية ما وراءه ذلك من أقوال الناس يتولى الله عز وجل من ذلك من به ابتلاه وقالوا ولان في التوحيد ان الظاهر والباطن هو المعطي فلا معنى للرد عليه في الظاهر وقد قال بعضهم سر العارف وعلانيته واحد لان المعبود فيهما واحد فاختلاف فعل أحدهما شرك في التوحيد وقال بعض العارفين كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ في السر فيرفع يده به علانية ثم قال هذا من الدنيا والعلانية في أمور الدنيا أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل وقال بعض المريدين سألت استاذي وكان أحد العارفين عن اظهار السبب أو اخفائه فقال أظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك لا تخلو من أحد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو الذي تريد لانه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك وينبغي ان تعمل في ذلك فقد جاءك بلا تكلف ورجل تزداد وترتفع في قلبه فذلك هو الذي يريد أخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتؤجر أنت اذ كنت سبب مزيده وينبغي ان تعمل في ذلك وقال بعض العارفين اذا أخذت فاظهر فانه نعمة من الله اظهارها أفضل واذا رددت فاخف فانه عمل لك واسراره أفضل وهذا لعمري قول فصل وهو طريق العارفين وقال بعض علمائنا اظهار العطاء من الآخذ آخرة وكتمانه دنيا واظهار الاعمال من الدنيا وكتمها آخرة وكان هذا لا يكره الاظهار وهذا كما قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقد ذم الله تبارك وتعالى من كتم ما آتاه الله من فضله وقرنه بالبخل والبخل باب كبير من الدنيا فقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أنعم الله عز وجل على عبد نعمة أحب ان ترى عليه وهذا هو الاقرب الى قلوب الموحدين من العارفين لانه مقتضى حالهم وموجب مشاهدتهم لاستواء ظروف الايدي عندهم من العبيد ونفاذ نظرهم الى المعطي الاول فاستوى سرهم وعلانيتهم في الاخذ من يده وفصل الخطاب في هذا الباب عندي انه يحتاج الى تفصيل فنقول والله أعلم ان الخلق مبتلى بعضهم ببعض وفرض كل عبد القيام بحكم حاله ليفضل بقيامه ويسلم في حاله فعلى المعطي ان يخفي ويسر جهده فان أظهر ترك علم حاله فنقص بذلك فكانت هذه آفة من آفات نفسه

عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا وفد الكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعدما حدثتنا بهذا فقال كم أنتم في الامم أين بابل وفارس ومنسك وياجوج وماجوج أمم لا يحصيها الا الله تعالى انما أنتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في الثور الابيض فانظر كيف صلى الله عليه وسلم يسوق الخلق بازمة الرجاء والخوف الى الله تعالى اذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد

*(فصل)* وفائدة الرجاء ان يكسر حلاوة الخوف حتى لا يفضي الخوف بصاحبه الى اليأس والقنوط والرجاء على ثلاث درجات الدرجة الاولى رجاء يبعث العلماء على الاجتهاد في العمل فيولد في نفوسهم التلذذ في الخدمة ويسهل على النفس المسامحة بترك المناهي والدرجة الثانية الرجاء بزيادة القرب وزيادة الاصطفاء وهذا يحصل لاصحاب خوف الاجلال والعظمة وهم الانبياء عليهم السلام والدرجة الثالثة رجاء لقاء الله تعالى وهذا أيضا للانبياء والمرسلين واعلم ان رجاء العاصي أفضل من رجاء الطائع لان رجاء العاصي يكون بالاعتماد على عفو الله تعالى وكرمه ورجاء الطائع يكون بالاعتماد على طاعته وأعماله وعلامة الرجاء ان يكون مع الطاعة فان كل من فعل

وباباً من أبواب دنياه وعلى المعطى ان يذكر و ينشر فان أخفى وكتم فقد ترك الاخلاص في عمله ونقص لذلك وكانت آفة من آفات نفسه و باباً من دنياه مثله وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان فلاناً أعطيته ديناراً فأثنى بذلك وشكر فقال لكن فلان أعطيته ما بين الثلاثة الى العشرة فما أثنى ولا شكر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مريداً ان يشكره أو يثنى عليه وهو يقول لابن الجامة الشاعر وغيره اما ما مدحتني به فالقه عنك واما ما مدحت به ربك عز وجل فهاته فانه يحب المدح لكنه أراد منه القيام بحكم ساله لعلمه ان في الشكر والثناء محضا وغريضا على المعروف والعطاء وانه خلق من أخلاق الربوبية أحبه الله عز وجل من نفسه فشكره المنفقين وهو الرازق وأحب من أوليائه ان يشكروا الاواسط ويثنوا به عليهم وان شهدوا فيه الاول وكذلك لما قالت المهاجرون يارسول الله ما رأينا خيراً من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال كلا ما شكرتم لهم وأثنيتم به عليهم ولذلك أمر به صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر فقال من أسدى اليه معروف فليكافئ به فان لم يستطع فليثن به وفي لفظ آخر من أسدى اليكم معروفاً فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا به خيراً وادعوا له حتى يعلم ان قد كافئتم وهو الخبر العام بمعنى ذلك من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد روينا معنى الحديث لفظة غريبة جاءت من طريق وهو من لم يذكر الناس لم يذكر الله عز وجل ان يذكرهم في العطاء و يثنى عليهم به والنوع الثاني من التفضيل ان على المعطى ان لا يحب أن يذكر معروفه ولا يشكر فان علم من يقصد ذلك ويحبه منك فهذا يدل على نقصان علمه وقوة آفات نفسه فترك الثناء على مثل هذا والكتم من الفقير أفضل فان شكره فاظهر عطاءه فقد ظلمه لاعانته اياه على ظلم نفسه وتقوى آفات نفسه وهذا اذا فعله به من المعاونة على الاثم والعدوان فقد كان ينبغي المعطى أن ينصره اذا كان ظالما من حيث لا يعلم بان يخفي عليه ما يعمل والله أعلم بالصواب ❊ نوع آخر من التفضيل في الاخذ للفقير ❊ ان من الناس من يستوى عنده اظهار العطاء واخفاؤه لصحة يقينه بذلك والاخلاص نيته فيه ولقلة مشاهدته بدوام نظره الى المنعم الاول فهذا ان قبلت منه علانيته صلح وان اثنيت عليه بذلك جاز لقوة معرفته وكمال عقله وسبق نظره الى مولاه فيما رفعه به وتولاه فيشكره ذلك ويراه نعمة منه ولمثل هذا جاء الخبر المشهور واذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه وقال بعض العارفين يمدح الرجل على قدر عقله وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس له ❊ النوع الرابع من التفضيل من الناس من اذا أظهر معروفه فسد قصده بذلك واعترته الآفات من التزين والتصنع فمثل هذا لا يصلح ان يقبل منه ما أعلن به لانه يكون معيناً له على معصيته وهذا أيضاً لا يصلح ان يثنى عليه فان ذكر بمعروفه أو مدح به كان ذلك مفسدة له واغترارا منه لقوة نظره الى نفسه ونقصان معرفته به فمن مدح هذا فقد قتله ومن ذكره بمعروفه فقد أعانه على شركه ومدح رجل رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضربت عنقه لو سمعها ما أفلح وقد كان هو صلى الله عليه وسلم يثنى على قوم في وجوههم ومن حيث يسمعون لثقته بيقينهم وعلمه ان ذلك مزيد لهم وقال لرجل أقبل اليه هذا سيد أهل الوبر وقال لآخر من حيث يسمع اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه وتكلم رجل بكلام فصل فاعجبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا وقد كان يخفي الثناء على آخرين اذا علم ان ذلك خير لهم وقال الثوري ليوسف بن اسباط اذا أوليتك معروفاً فكنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله تعالى على وكنت أشد حياء منك فاشكر والا فلا فهذه اذا كان المعطى حاله الاخفاء وان الآخذ حاله الاظهار فمن خالف ذلك فارق حاله وان فرض المعطى ان يكره المدح ولا يحب الثناء والذكر فمن علمت منه ذلك فعليك ان تثنى وتشكر وتنشر ومن علمت منه يحب الاظهار ويقتضى منك الاشتهار فحالك ان تعاونه على ظلمه لنفسه فترك الثناء لمثل هذا أفضل له وأسلم لك فهذا تفصيل ما أجمله الصادقون ثم اختلفوا في الاخذ من الواجب أفضل أم التطوع فرأى بعضهم ان يأخذ من الواجب ولا يقبل من التطوع أى لان الواجب يؤخذ باذن الله تعالى من قسمه وان الله تعالى أوجب عليه أن يأخذه

المعصية فهو في غرور وليس برجاء والرجاء أصعب منازل المريدين لانه معارضة من وجه واعتراض من وجه لكن فيه فائدة جليلة ولاجلها نطق باسمها التنزيل والسنة ودخل في مسالك المتقين وتلك الفائدة انه يقتل حرارة الخوف حتى لا تعدو الى اليأس فان قلت ما وجه دخول المعارضة والاعتراض في الرجاء قلت وجه ذلك اما دخول المعارضة فمن حيث انه يستعمل النفس والهوى والامنية وهذه مداخل الشيطان وأصل الحجاب وأصل المريد خروجه عن الارادة ومخالفته لما عليه العادة وأما وجه دخول الاعتراض فيه فمن حيث انه لم يستسلم لمجارى الاقدار وعدل الاحكام والعبد الخالص في عبودية الله تعالى يرتفع من قلبه لم ولم وهذا يكون من ضعف اليقين واتهام الحاكم وقلة الادب والرضا عن النفس واستعمال التدبير لانه تارة يريد ما لا يريده الله تعالى وتارة يوافق في النفي وتارة يوافق في الاثبات فهو معترض في المخالفة معارض في الموافقة وتكلموا في ان الرجاء هل يستلزم حسن الظن أم لا يستلزمه فقال قوم انه لا يستلزمه بل هو مباين لان الراجى يكون خائفا من فواته واما حسن الظن بالله تعالى فلا خوف معه قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند حسن ظن عبدى بى فليظن بى خيراً وحسن الظن هو العلم بالله تعالى و بصفاته وانه محسن مجمل كريم رحيم جواد لكن حق الراجى ان يكون حسن الظن بالقيام

من حيث أوجب الزكاة للفقراء والمساكين لو تواطؤا على أن لا يقبلوا الزكوات أثموا أجمعون ولعصوا كلهم بذلك لاسقاطهم فرض الله عز وجل من الاموال بالزكوات قالوا ولان هذا أدخل له في جملة الضعفاء والمساكين وأقرب الى التواضع والذلة قالوا ولا منة لاحد علينا فيه ولا حق يلزمنا عليه اذ كنا نستحق ذلك منه قالوا ولانه أسلم لديننا لانه لا يدخل علينا الاكل بالدين لانا انما نستوجبه بالحاجة وحرمة الاسلام فقط ونخاف ان يكون أخذنا التطوع أكلا بديننا أو لما أعطينا الصلاح فيه واعتقاد فضلنا فلا نحب ان نخص بشئ دون الفقراء وهذا مذهب الفقراء من العابدين ومن نظر الى صلاحه ونفسه في الدين هو مقتضى حالهم وموجب شهادتهم واختارت طائفة أن يأخذوا من النوافل دون الفرائض أجر ومجرى الهدية وقالوا قد أمر بقبولها وندب الى التهادي للتآلف والتحبب قالوا ولا نزاحم المساكين في حقوقهم وانا لانكمل أوصافهم ونخاف أن لا يوجد فينا ما شرط الله عز وجل لواجبه ولا نضعه في حقيقة موضعه أولا نحتاط لمن يسقط منه الواجب به فالتطوع أوسع علينا ومع هذا انهم يشهدون النعم من الله تعالى وان الذين اعطاهم لله عز وجل كما قال الائمة الذين اخلاص وانهم مستعملون بانفسهم من حيث كانوا امنعهما عليهم لا منعمين على أنفسهم وهذه طريقة بعض أهل المعرفة وممن ذهب الى هذا ابراهيم الخواص وأبو القاسم الجنيد ومن وافقهما والامر في ذلك عندي انه من لم يأخذ من كل انسان ولا في كل أوان ولم يقبل الا عند الحاجة وما لابد له منه ثم قام بحكم الله تعالى في الواجب وحكمه في التطوع ان الحالين يتقاربان لان الواجب أمر الله تبارك وتعالى فيه حكم والتطوع ندب اليه عز وجل فيه حكم فعلى العبد ان ينظر لدينه ويحتاط لآخرته فيعمل بما يوجب الوقت من الحكم من أيهما كان فيه وافق ذلك ولا ينظر بظلامة النفس في هوى الحظ ففي ذلك سلامته

*(الفصل الثاني والاربعون في كتاب حكم المسافر والقاصد في الاسفار)* فان سنح لهذا المريد سفر ففي الحديث البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فحيث ما وجدت رزقا فاقم واحمد الله عز وجل والخبر المشهور سافروا تغنموا فغنيمة أبناء الآخرة ربح تجارة الآخرة وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال عز وجل قل سيروا في الارض فانظروا وقال تعالى وفي الارض آيات للموقنين وقال جل وعلا وفي أنفسكم أفلا تبصرون فمن جعلت آياته في نفسه تبصر فقطن ومن جعلت له الآيات في الآفاق سرى وسرى وكذلك قال الله عز وجل وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ومثله وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن سار فكانت له بصيرة اعتبر وعقل ومن مر على الآيات فنظر اليها منها تذكر وأقبل ومن أمر الله عز وجل بالمشي في مناكب بساطه والاكل من رزقه بعد اظهار نعمته بتذليل مهاده فقال سبحانه وتعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه قيل في أسواقها وقيل فراجها وقيل جبالها وهو أحب الى أصحاب الارض قراها ومناكبها جبالها لانها أعاليها وكان بشر الحافي يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه في موضع تغير وقيل انما سمي سفرا لانه يسفر عن أخلاق النفس وأيضا يسفر عن آيات الله سبحانه وقدرته وحكمه في أرضه فاذا عزم على السفر فليصل ركعتي الاستخارة وليعقد التوكل على الله عز وجل وكفى ناظرا وما كنا اليه تبارك وتعالى واثقا به ومعتمدا عليه مستورا له راضيا عنه عز وجل في تقلبه ومثواه ولينو في سفره الاعتبار بالآثار والنظر الى الآيات بالاستبصار والابتغاء من فضل الله سبحانه فيما ندب اليه من الاسباب ويقال ان الله تبارك وتعالى وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطى كل واحد على نحو نيته فمن كانت نيته طلب الدنيا أعطى منها ونقص من آخرته أضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته طلب الآخرة وأهلها أعطى من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه وملك من الدنيا بالقناعة والزهد شغله ودعت له الملائكة واستغفرت له فلتكن نية المسافر استصلاح قلبه ورياضة نفسه واستكشاف حاله وامتحان

اوصافه

حلقة فهو يأتيهم لا محالة ومن هذا قال القوم ان الرجاء ليس داخلا في طريق المحققين لان المقدور كائن لا محالة فالطامع لماذا ولهذا قال بعض العارفين كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فخرج موسى عليه السلام يقتبس نارا فنودي بالنبوة قال الائمة وينبغي للعبد ان لا يحمل نفسه دائما على الرجاء ولا دائما على الخوف بل من هذا مرة ومن هذا أخرى قال بعض الاكابر من حمل نفسه دائما على الرجاء تعطل ومن حملها على الخوف قنط ولكن يأخذ بهما وهما للسالك كالجناحين للطائر والعبادة على الرجاء أفضل من العبادة على الخوف لان الرجاء يقتضي المحبة والعبادة على المحبة كالرغبة والرغبة أفضل من العبادة على ما لان العبادة على الرجاء والخوف تنزل منزلة من ترك شيأ عاجلا ليعتاض عنه أضعافا آجلا

*(فصل)* وأما الرغبة فقال الله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين الرغبة الحق بالحقيقة من الرجاء وهي فوق الرجاء لان الرجاء طمع يحتاج الى تحقيق والرغبة سلوك على تحقيق المرغوب وهي على ثلاث درجات الاولى رغبة لاهل الخير تتولد من العلم يعظم شأن المرغوب اليه وعظم احسانه وجزيل انعامه فتبعث على الاجتهاد والطاعة الموجبين للقرب وتصون السالك

أوساقه لان النفس انما أظهرت الاذعان والانقياد في الحضر وبما استكانت وأجابت في السفر فاذا وقعت عليها أثقال الاسفار ولزمتها حقائق الاستغبار خرجت من معتاد ذلك المعيار فاستعرف حقيقتها وانكشفت دواعيها فيكون المسافر في علوم و بصائر يعرف بها خفايا نفسه ومكامنها ويكون هذا من خبء الارض الذي يخرجه الله عز وجل لحبيبه متى شاء كما قال جل وعلا يخرج الخبء في السموات والارض فان خرج ساعيا في طلب العلم فقد جاء ذلك في تفسير قوله عز وجل السائحون قيل في طلب العلم وقيل هم طلبة العلم وقد كان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى أقصى اليمن في كلمة تدل على هدى ما رأيت ان سفره كان ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة وغيره من الصحابة الى مصر فسار واشهرا في حديث بلغهم عن عبد الله بن أنيس الانصاري يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه ومن سافر في طلب العلم من عهد الصحابة الى يومنا هذا أكثر من ان يحصى وفي الخبر من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله عز وجل حتى يرجع وفي خبر آخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله عز وجل له طريقا الى الجنة ويقال ان النفقة في العلم كالنفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة وان سافر في لقاء الصالحين فقد جاء في الاثر كانوا يحجون اللقاء والحج من أفضل الاسفار فعلوه سيما لقاء الاخيار فان نوى الغربة من الامصار طمعا في سلامة دينه و بعدا من تعلق النفس بما في الحضر من حظ دنياه فحسن وربما خرج طلب الخمول والاه خشية الفتنة بالشهرة ورجاء صلاح قلبه واستقامة حاله في البعد من الناس ورياضة بالتفرق والتوحد الى ان يقوى يقينه و يطمئن قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر و يعتدل عنده وجود الخلق وعدمهم باسقاط الاهتمام بهم وقد قال الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف بالمشهور ين وهذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره وقال أبو نعيم رأيت الثوري وقد علق قلته بيده و وضع جرابه على ظهره فقلت له الى أين يا أبا عبد الله فقال قد بلغني عن قرية فيها رخص فانا أريد ان أقيم بها فقلت وتفعل هذا يا أبا عبد الله قال نعم اذا بلغك عن قرية فيها رخص فاقم بها فانه أسلم لدينك وأقل لهمك وقد كان سري السقطي يقول للصوفية اذا خرج الشتاء ودخل أذار وأورقت الاشجار طاب الانتشار ومن أفضل الاسفار ما خرج له في سبيل الله عز وجل من الجهاد والحج والرباط وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم زيارة أصحابه محتسبا بذلك ما عند الله عز وجل والسفر في زيارة الاخ في الله عز وجل مستحب مندوب اليه ور وينا في خبر عن بعض أهل البيت عليهم السلام وقيل مكتوب في التوراة سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر أخا في الله تعالى وفي الخبران رجلا زار أخا له في قرية أخرى فارصد الله عز وجل على مدرجته ملكا فقال أين تريد فقال أخا لي في هذه القرية أزوره قال أبينك و بينه رحم تصلها قال لا قال فله عليك نعمة تردها قال لا الا اني أحببته في الله عز وجل قال فاني رسول الله اليك يبشرك بالجنة ويخبرك انه قد غفر لك بزيارة أخيك وان سافر الى بعض الثغور ليرابط أربعين يوما أو ثلاثة أيام فحسن وان قصد عبادان فرابط فيها ثلاثا فقد أصاب ثلاثمائة من العلماء والعباد المرابط فيها ما يحل وصفه وروي عن علي عليه السلام انه سأل رجلا بالبصرة ان يرابط بعبادان ثلاثا ويشركه في صحبته وقال بعض العارفين كوشفت بالامصار فرأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ومن قصد في سفره أحد المساجد الثلاث المندوب اليها لشد الرحال فهو أفضل أولاها المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد بيت المقدس فيقال من جمع الصلاة في هذه المساجد الثلاث من سنته غفرت له ذنوبه كلها ومن أهل بحج أو عمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وخرج ابن عمر من المدينة قاصدا الى بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وسأل سليمان عليه السلام ربه تعالى ان من قصد هذا المسجد لا يهمه الا الصلاة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام

من الفتور * الدرجة الثانية رغبة أرباب الحال وهي رغبة لا تبقي من المرغوب شيئاً والدرجة الثالثة رغبة أهل الشهود ببذل كل ما في مجهوده وهم أهل الشهود

*(باب المراقبة والحياء)*

قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا ولما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقوله فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى حال المراقبة لان المراقبة علم العبد باطلاع الرب عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا أصل كل خير ولا يكاد العبد يصل الى هذه المرتبة الا بعد فراغه من المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله في الوقت ولازم طريق الحق وأحسن مراعاة قلبه فيما بينه و بين الله تعالى وحفظ مع الله تعالى الانفاس فقد راقب الله تعالى في عموم أحواله ومن تغافل من الجملة فهو بمعزل من بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة قال بعض أهل المعرفة من لم تحكم بينه و بين نفسه التقوى والمراقبة لم يصل الى الكشف والمشاهدة والعبد اذا كان عالما بان الله تعالى لا يخفى عليه شئ من أمره ذرة أورثه ذلك المراقبة والمراقبة تورثه الهيبة والتعظيم والهيبة والتعظيم يورثك الانزجار عن المناهي والانقياد للاوامر وعن يحيى بن معاذ انه قال المؤمن كالشاة المأبورة يعني التي في جوفها ثرثمام لا تسمن بالعلف كذلك العبد المراقب

معه ما فيه حتى يخرج منه وان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاعطاه الله تعالى ذلك وأما فضائل المجاورين في الحرمين حرم الله عز وجل وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم فأكثر من ان تذكر ها وان سافر طلبا للحلال وهو يأمن طعمة الحرام فذا لك له قربتان وقد فعله سالفو السلف في كل زمان وليكن العبد في سفره مراعيا لهمه حافظا لقلبه من التشتت والطمع في الخلق والتعرض للمسئلة فان لم يكن ذا معلوم معدود كان معلومه العلام الودود وكان طريقه اليه صدق التوكل وزاده في طريقه حسن التقوى له بصحة الاياس من الناس وعليه حينئذ الصبر على بلائه والرضا بتصريفه في قضائه والشكر على لطائف نعمائه من منع أو عطاء أو شدة أو رخاء لانه في يد الوكيل يقلبه كيف يشاء والتوكل عند المتوكلين حرف في الصبر الصبور وتسليم الحكم للحاكم ومنه قوله تعالى الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقوله ان الحكم الا لله عليه توكلت وقال رجل لبشر ابن الحرث اني أريد سفرا ولكني منعني انه ليس عندي شيء فقال لا يمنعك العدم من سفر لو انخرج لقصدك فان لم يعطك ما لغيرك لم يمنعك مالك وكان ابراهيم الخواص يقول كف فارغ وقلب طيب ومر حيث شئت ومن طرقته فاقة أو رهقته حاجة لم يخرجه من التوكل ان يسأل اذا عدم القوة والصبر لانه حينئذ يسأل لربه لا لنفسه بحركة العلم لا الهوى لاقامة فرضه وحفظا عقله الذي هو مكان تكليفه وفي الاثر من جاع فلم يسأل فمات دخل النار لانه ترك السؤال عند خوف رهق الموت ومع عدم الصبر بسبب التلف ان كان الجوع أحد الحتوف القاتلة وقد تأول بعض متأخري الصوفية قول النبي صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل العبد من كسب يده قال المسألة عند الفاقة وأنا برئ من عهدة هذا التأويل وقد كان جعفر الخادي يحكي هذا عن شيخ من الصوفية وكان هو يستحسنه ولكن قد كان أبو سعيد الخراز يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شيء لله وحدثونا عن أبي جعفر الحداد وكان شيخ الجنيد له علم في التوكل وحال من الزهد كان يقتات بخروجه بين العشاءين فيسأل من باب أو بابين فيكون ذلك معلومه الى بعض حاجاته من يوم أو يومين ولم يعب هذا عليه أحد من الخصوص وقد رأى بعض الناس رجلا من الصوفية يدفع اليه كيس فيه مئون دراهم في أول النهار ففرقه كله ثم سأل قوتا في يده بعد عشاء الآخرة فعاتبه على ذلك وقال دفع اليك شيء أخرجته كله فلو تركت منه لعشائك شيئا فقال ما ظننت اني أعيش الى المساء ولو علمت ذلك فعلت وكان هذا زاهدا فصبر الى الآن السؤال للمتوكل عند الخواص يخرجه من التوكل وقد كان سهل يقول المتوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحتكر وليس يخرجه عندي من التوكل المسألة عند الفاقة بل عدم الصبر والقوة فقد ذينك ووجود الاذن من الله له في السؤال اذا كان ناظرا الى تصريف الوكيل في كل حال لان الولي الحميد يقلب وليه في جميع الاحوال ألم تر الى اماي أهل الظاهر والكتب وأهل الباطن والقلوب استطعما أهلها لان المسلم يستحق على اخوانه سد جوعته لحرمة الاسلام وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الضيف واجبة وقال عليه الصلاة والسلام الضيافة حق وفي الخبر ولك ان تأخذ من ماله مقدار ليلة وفي الحديث أيما أهل عرصة أو قرية بات فيهم رجل من المسلمين جائعا فقد برئت منهم الذمة وكان الثوري يسأل في البوادي من الحجاز الى صنعاء اليمن فقال كنت أذكرهم حديث عبد الله هذا في الضيافة قال فيخرجون الى طعاما فآكل شبعي واترك ما بقي والمسافر هو ابن السبيل الذي أوجب الله حقه في الاموال لان السبيل هو الطريق ورا كبها ابنها لانه صاحب طريق وسالكه وليس عليه أيضا في الثواء عند أخيه المسلم ثلاثة ايام شيء لانه مقيم على ما أبيح له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاثة فما زاد فهو صدقة فلا يقيمن فوق ثلاث فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ولا يقم فوق ثلاث فيحرجه ان يضيق عليه وتأويل قوله عندي فما زاد فهو صدقة أي مكروه لا مندوب اليه ولا مأمور به فان اختار الصدقة فلم يتنزه نفسه عنها فهو أعلم أي وما كان في الثلاث فهو حق له وواجب على مضيفه فان سألوه الاقامة فوق ثلاث أو علم انهم يحبون الاقامة فلا بأس بذلك وقد تأول بعض الصوفية قول النبي صلى الله عليه وسلم فما زاد فوق ثلاث فهو صدقة انه صدقة على أصحاب المنزل من

مانع يقتطعه كل ساعة عن شغله فهو لا يصفو له عيش ولا يستريح له خاطر قال المشايخ المراقبة على قسمين الاول مراقبة العوام الثاني مراقبة الخواص فمراقبة العوام مراقبة خوف ومراقبة الخواص مراقبة حياء واعلم ان المشاهدة ميزان المراقبة فمن راقب الله تعالى شاهد بانوار اليقين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتلك حالة لطيفة أشار اليها حارثة بقوله كأني أنظر الى عرش ربي بارزا وكأني وذلك من صفاء المعرفة والتيقن والتحقق بالحال حتى يصير الغيب له كالمشاهدة لما وجد من النتائج والمواهب التي هي قرة العين قال صاحب منازل السائرين والمراقبة على ثلاث درجات الدرجة الاولى ملاحظة الحق سبحانه وتعالى في السير اليه على الدوام الدرجة الثانية مراقبة نظر الحق اليك برفض المعارضة وبالاعراض عن الاعتراض ونقض رعونة التعرض الدرجة الثالثة مراقبة الاخلاص من ربقة المراقبة

* (فصل) * وأما الحياء فهو شعبة من شعب الايمان كما ورد به الحديث قال صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان والحياء من الله تعالى هو حرص القلب من الله وقال الحرث المحاسبي رحمه الله هو الامتناع من كل ما لا يرضاه

الله تعالى وهلا مشتمل الظاهر انقباض جوارحه عن الانبساط وانثنى طاطأ رأسه حياء من الله تعالى قيل للهروى ما الذى يشين الحياء فقال اثارة النفوس الى موضع الاطماع فلتطهر بذلك والله أعلم بجنوح النفس الى نيل شهواتها فان ذلك مما يشين حياء العبد من ربه وقيل له ما أعمال الريب فقال كثيرة الحرص والميل مع الرخصة وأخذ ما لا يضر فقده وطول الامل وخوف الفقر وتضييع الشكر وقال الحسن أدركت قوما لا يسألون الله تعالى الجنة حياء منه قال بعض المتقين استجلبت الحياء من قوله تعالى ألم تعلم بان الله يرى قال الحريرى المتقدم تعامل القرن الاول من الناس فيما بينهم بالدين حتى رق الدين ثم تعامل القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعامل القرن الثالث بالمروأة حتى ذهبت المروأة ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة وسئل الجنيد رحمة الله عليه عما يولد الحياء فقال رؤية العبد آلاء الله عليه ورؤية تقصيره فى شكره قال صاحب مقامات العارفين والحياء يتولد من علم العبد بنظر الحق اليه فيجذبه الى تحمل المجاهدة ويحمله على استقباح الجناية ويكفه عن الشكوى عند البلوى ويتولد أيضا من العلم بالانعام ويده والى ركون المحبة

*(باب الصدق)* والاخلاص والاستقامة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

---

الضيف تصدق عليهم باقامته لانه مثوبة لهم ولا يجبى هذا التأويل وليحافظ على صلاته فى أوقاتها بحسن طهارته وجميل اداء وليحفظ قلبه ان يتشتت فان السفر قد يشتت هم المريد ويجمع هم العارفين ويشغل قلوب الضعفاء ويروح قلوب الاقوياء وهو محنة وكشف لاخلاق العبد وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للرجل الذى زكى عنده رجلا لما سأله عنه ليقبل شهادته فقال له هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما أراك تعرفه وعن بعض السلف اذا أثنى على الرجل معاملوه فى الحضر ورفقاؤه فى السفر فلا تشكوا فى صلاحه اذ ذاك لان السفر يسفر عن الاخلاق ويكثر الضجر ويخرج مكامن النفس من الشح والشره وكل من صلحت صحبته فى السفر صلحت صحبته فى الحضر وليس كل من صحب فى الحضر صلح ان يصحب فى السفر وقال بعض السلف ثلاثة لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر ولا ينبغى ان يفارقه من الاسباب أربعة الركوة والحبل والابرة بخيوطها والمقراض وكان الخواص من المتوكلين ولم تكن هذه الاربعة تفارقه وكان يقول ليست من الدنيا وبعض الصوفية كان يقول اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل ذلك على نقصان دينه وكان جماعة من أرباب القلوب وأهل المعاينة بالاحوال اذا استوطنت نفوسهم مصرا أو سكنت الى موضع عملوا فى الغربة لرفع العادة وايثار الغلة والذلة وقالوا الاعز للمؤمن من قلة أو علة أو ذلة وكانوا اذا خافوا الاستشراف الى الخلق خرجوا الى الاسفار لقطع ذلك وحسمه من الاذكار وقد كان الخواص لا يقيم فى بلد أكثر من أربعين يوما ويرى ان ذلك علة فى توكله فيعمل فى اختبار نفسه وكشف حاله وحدثنا عن بعض الشيوخ قال لبثت فى البرية أحد عشر يوما لم أطعم شيأ وتطلعت نفسى ان تخرج على حشيش البرية فرأيت الخضر مقبلا نحوى فهربت منه فلما وليت عنه هاربا التفت اليه فاذا هو قد رجع عنى فانظروا الى ولى الله عز وجل كيف لم يفسده على توكلى فقيل له لم هربت منه قال تشوفت نفسى ان يغيثنى وعلى المسافر من أهل القلوب ان يفرق بين سكون القلب الى الوطن والسفر وبين سكون النفس اليهما فان ذلك قد يلتبس فيحسبه من لا بصيرة له ولا تفتيش لحاله ولا صدق فى أحواله ان سكون النفس هو سكون القلب فينقص بذلك ولا يفطن لنقصانه فان كان قلبه يسكن الى أحدهما وفيه صلاح دينه وعمارة آخرته ومحبة ربه فهذا سكون القلب لانه يسكن الى اخلاق الايمان وما ورد العلم به وان كانت نفسه تسكن الى أحدهما لما فيه عاجل حظوظ وعمارة دنياه ومواتقه وافهذا سكون نفس لانها تسكن الى معانى الهوى فليتحول من الوطن الى الغربة وليرجع من الغربة الى المصر ومن كان فى سفر على غير هذا النعت من التفقد لحاله وحسن القيام باحكامه فهو على هوى وفتنة وسفره بلاء عليه ومحنة وفصل الخطاب ان من لم يكن له فى سفر مال يشغله وهم يجمعه ووقت يحبسه ومأوى يظله ومسكن يؤنسه وزاد من باطنه وعلم من علم مغاناه الحضر أرفق لحاله وأصلح لقلبه وأسكن لنفسه من السفر لانه يكون فى السفر مشتت السر مفرق الهم تارة بوجود معلوم يخاف عليه ومرة بفقد معتاد عن البسوم باستشراف الى خلق يطمع فيه فغرة بضعف قلبه مع العدم وتارة يقوى بالاستطلاع الى البشر ومرة يفزع بفقد ما عنده قد حضر فلهذا يكون فى السفر نقصان ما ادعى والسفر يجمع هم الاقوياء ويشتت قلوب الضعفاء ويذهب أحوال أهل الابتداء ثم ان من لم يصلح قلبه ولم يستقم حاله فى الحضر فانه لا يصلح حاله ولا يستقيم قلبه فى السفر وأنشد بعض السائحين فى التغرب

ألفت التفرد والغربه * ففى كل يوم أطلى تربه
فيوم مقيم على نعمه * ويوم مطل على نكبه
وعما اطيب نفس الغريب * حبيب تطيب به الصحبه

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسافر الرجل وحده فقال الثلاثة نفر وقال اذا كنتم فى سفر ثلاثة فأمروا أحدكم قال فكانوا يفعلون ذلك ويقولون ذلك أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك يستحب * وقد جاء فى الخبر خير الاصحاب أربعة والاسفار والنزلا تطيب الا فى جماعة وأقل

الجماعة اثنان والثلاثة والاربعة أفضل والسياحة لاتحسن الا على الانفراد والوحدة فان اتفق ثلاثة فى سياحة بقلب واحد وهم واحد على حال واحد فهم كعبد واحد فهو حسن وفيه معاونة على البر والتقوى قال الله عز وجل فمن منعه النصرة وحرمه الصحبة لا يستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون فمن نصره الله على نفسه فقد صحبه ومن لم يصحبه سلطه عليه نفسه ومضرواها و بجملة الامر ان السفر عمل من الاعمال يحتاج الى نية واخلاص فمنه فرض وهو ماهرب به من معصية ومنه فضل وهو ماطلب به طاعة ومنه مباح وهو ماضرب به فى تجارة ومنه معصية وهو ماسعى به فى فساد

*(الفصل الثالث والاربعون)* فيه كتاب حكم الامام ووصف الامامة والمأموم فان كان هذا المريد اماما لجيرانه كان عليه أن يقوم بحكم الامامة حتى يتمها فيستحق الامام بان يكون له مثل أجر من صلى خلفه بان يكون داعيا الى الله عز وجل قائما بين الله تعالى و بين عباده هو وجههم وطريقهم اليه وفى الخبر انما الامام أمير فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفى الحديث فان تم فله ولهم وان نقص فعليه ولا عليهم وفى الخبر أئمتكم وفدكم الى الله عز وجل فان أردتم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم وفى الخبر المشهور الامام ضامن والمؤذن مؤتمن اللهم أرشد الائمة واغفر للمؤذنين وفى الحديث ثلاثة لاتقبل لهم صلاة وفى لفظ آخر لاتجاوز صلاتهم رؤسهم العبد الآبق وامرأة زوجها عليها ساخط وامام قوم وهم له كارهون فاول ماعليه من الشروط أن يكون مجتنبا الفسوق والكبائر وغير مصر على الصغائر قارئا لكتاب الله عز وجل أولما يحسن منه بغير لحن ولا احالة معنى عالما بفرائض الصلاة وسنتها وما يفسدها وما يوجب السهو وما لا يوجبه منها وان حدثت عليه حادثة فى الصلاة أوذكر انه على غير وضوء ورع واتقى الله عز وجل وخرج من صلاته وأخذ بيد أقرب الناس منه فاستخلفه فى مقامه وقد أصاب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الامة فى الصلاة فخرج منها وذلك انه ذكر انه كان جنبا فاغتسل ثم رجع فدخل فى الصلاة فان كانت الحادثة فى الصلاة فعل ذلك وان كان ذكر انه دخل فى الصلاة على غير طهارة خرج ولم يستخلف وابتدأ القوم صلاتهم ولكن الامام مأمونا على طهارته با كما له مأمونا فى صلاته باقامتها مخلصا بالامامة يريد بها وجه الله تعالى وما عنده ولا يحل له ان يأخذ على الصلاة أجرا ولا على الاذان الذى هو طريق اليها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبى العاص الثقفى فقال واتخذ مؤذنا لايأخذ على الاذان أجرا فهذا الداعى الى الصلاة لايحل له ان يأخذ على دعائه أجرا فكيف المصلى القائم بين الله و بين عباده وقد كان بعض السلف يقول ليس بعد الانبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من أئمة المصلين لان هؤلاء قاموا بين الله تبارك وتعالى و بين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهى الصلاة و بهذه الحجة احتج على على رضى الله عنه فى تقدمة أبى بكر رضى الله تعالى عنه للخلافة فقال أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فقال فنظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وقال رجل يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة فقال كن مؤذنا قال لاأستطيع قال كن اماما قال لاأستطيع قال فصل بازاء الامام وقد كان بعض الورعين يرع عن الامامة لمافيها ولما على الامام من ثقلها وتحملها وكانوا يختارون الاذان على الامامة و يفضلونه عليها منهم كثير من الصحابة وعليه ان يراعى أوقات الصلوات ليصلى فى أوائلها ليدرك رضوان الله عز وجل و بين فضل الصلاة فى أول وقتها على الصلاة فى آخر وقتها كفضل الآخرة على الدنيا كذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حديث آخر ان العبد ليصلى الصلاة فى آخر وقتها ولم يفته ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا ومافيها وليتم الركوع والسجود والاعتدال والقعود بينهما مايكون ذلك قريبا من السواء معتدلا كله حتى يدرك من وراءه من الضعفاء والمرضى فكذلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم و ينبغى أن يكون له ثلاث سكتات كذلك روى سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاهن اذا كبر وهى الطولى منهن مقدار مايقرأ من خلفه فاتحة الكتاب لئلا يقرؤا

وقال تعالى فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وتكلم القوم فى حقيقة الصدق فقال بعضهم الصدق قول الحق فى مواطن الهلكة وقيل حقيقة الصدق ان تصدق فى موضع لاينجيك منه الا الكذب وقال أبو سعيد القشيرى الصادق الذى لاتستحيى من سره لو كشف والصادق مأخوذ من الصدق والصديق مبالغة والصادق من صدق فى أقواله والصديق من صدق فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله وقال أحمد بن خضرويه من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق فان الله تعالى قال ان الله مع الصادقين وضد الصدق الرياء والكذب قال سهل بن عبد الله لايشم رائحة الصدق عبد داهن وقال الغزالى لايكمل الاخلاص الا بالصدق وقال الحرث المحاسبى رحمة الله عليه الصدق يكون فى النية أولا ثم صدق اللسان ثم صدق العمل فاما صدق النية فهو ان لايبدو فى قلبه خوف عقاب و رجاء ثواب لا يريد العمل بذلك غير الله تعالى وأما صدق اللسان فهو ان يطلقه اذا قام له شاهد من الحق ان كان التلف عن اللفظ وهنا وأما صدق العمل فالهجوم على ماعزم عليه من العمل فيتمه بالحرص عليه والخوف من ان يقطعه عنه قاطع *(فصل)* وسئل الحرث المحاسبى عن أى مخرج الصدق والمن فى

في قراءته فيكون عليه مانقص من صلاتهم فان لم يقرؤا فاتحة الكتاب في سكوته واشتغلوا بغيره افذلك حينئذ عليهم وقد فعل هو ما عليه والسكتة الثانية اذا فرغ هو من قراءة الحمد ليتم من بقي عليه شئ من فاتحة الكتاب في هذه السكتة وهي على النصف من السكتة الاولى والسكتة الثالثة اذا فرغ من قراءة السورة قبل ان يركع وهي أخفهن على النصف من السكتة الثانية لئلا يكون مواصلا في صلاته بان يصل التكبيرة بالقراءة ويصل القراءة بالركوع فقد نهى عن ذلك وعلى المأموم أيضا ان لا يصل تكبيرة الاحرام ولا تسليمه بتسليم الامام وعليهما ان لا يصلا التسليمتين ليفصلا بينهما فقد نهى من المواصلة في الصلاة وهي في هذه الخمس وعلى المأموم ان يكبر ويركع ويسجد ويرفع ويضع بعد الامام ولا يخرون سجدا حتى تقع جبهة الامام على الارض وهم قيام ثم يخرون بعده كذلك كانت صلاة الصحابة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكبر حتى يعتدل الصف وراءه وليلتفت يمينا وشمالا فان كان أعوج أشار بيده وان رأى خللا أمر بسده فان تسوية الصف من تمام الصلاة وكانوا يحاذون بين المناكب ويتضامون في الكعاب وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يتمون صلاتهم بعد ركوع الامام وسجوده وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يكبرون ويركعون ويسجدون معه مواصلة له ومبادرة وطائفة تخرج بغير صلاة وهم الذين يرفعون ويضعون قبله فيسابقون امامهم وليقرأ في صلاة الغداة بسورتين من المثاني وهي مادون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس سنة ولا يضره خروجه منها مسفرا اذا كان قد دخل فيها مغلسا ولا أكره ان يقرأ في الركعة الثانية منها باواخر السور من نحو الثلاثين أو العشرين الى ان يختمها لان في ذلك مزيد تذكرة وفضل تبصرة لانه يبعد طروقه على الاسماع لكثرة لاعتياد التلاوة السور القصار فهي أدعى الى الاتعاظ والتذكر وانما كره ان يقرأ من أولها كذلك ثم يقطع أو يقرأ من وسطها ثم يركع قبل ان يختمها هذا الذي كرهه بعض العلماء وقد روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وروينا حديثا أشهر منه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر مائة من سورة البقرة قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية وفي الثانية ربنا آمنا بما أنزلت وفي رواية انه قرأ فيهما شهد الله انه لا اله الا هو وانه سمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت أو أصبت والخبر المشهور عن أبي بكر الصديق قال الصنابحي صليت خلفه المغرب فاصغيت اليه في الركعة الثالثة فاذا هو يقرأ هذه الآية ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الآية فكذلك يستحب ان يقرأ بهذه الآية خاصة في الثالثة من صلاة المغرب وروينا عن ابن مسعود انه أم الناس في صلاة العشاء الآخرة فقرأ في الركعة الثانية بالعشر الاواخر من سورة آل عمران وانه قرأ أيضا في هذه الصلاة بآخر سورة الفرقان من قوله تبارك وتعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وقد قال الفقهاء المستحب من القراءة بعد سورة الحمد من الزيادة عليها ان يقرأ ثلاث آيات من سورة وبعضهم يقول آيتين من سورة فان اكتفى بسورة الحمد أجزأه وقد روينا عن جابر بن زيد فقيه أهل البصرة وكان ابن عباس يستخلفه في الفتيا ويأمر ان يستفتى انه افتتح الصلاة ثم قرأ الحمد ثم قال مدهامتان وركع وهذه أقصر آية في كتاب الله عز وجل وبعدها ثم نظر وقد رأيت بعض الائمة في جامع عظيم من جوامع المسلمين قرأ في الركعة الثانية من صلاة العشاء الآخرة بآخر سورة يونس وخلفه العلماء والاشهاد فما أنكره عليه أحد وليقرأ في صلاة الظهر بطوال المفصل الى الثلاثين آية وفي صلاة العصر بوسط المفصل على نصف صلاة الظهر وفي المغرب باواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض صلى الله عليه وسلم وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخف الناس صلاة في تمام ثم قال أيضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالتخفيف في الصلاة وان كان ليؤمنا بسورة والصافات وقد روينا عن

العلم بالله يعلو ويربي والصدق أصل سائر أعمال البر وعلى قدر قوة الصدق يزداد العبد في أعمال البر فاذا وقر الصدق في القلب سطع من ذلك نور وانتشر في سائر جسده وأخذت كل جارحة بقسطها وسئل الحرث عن علامة الصدق فقال ان لا يبالي لو سقط قدره من قلوب جميع الخلق من أجل اصلاح قلبه ولا يحب اطلاع الناس على شئ من طاعاته ولا يكره ان يطلع الناس على اليسير من عمله فان كراهته لذلك دليل على انه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاص الصادقين وقال ابراهيم بن شيبان اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك العدل واذا زادت السريرة على العلانية فذلك الصدق واذا زاد الظاهر على الباطن فذلك النفاق وقال ذو النون مدار الحكمة على ثلاثة أشياء الصدق والتصديق والتحقيق فالصدق باللسان والتصديق بالقلب والتحقيق بالجوارح وقال بعض الائمة للصدق مراتب شتى من بلغ في جميعها مبلغ مراتب الكمال استحق اسم الصدق أولها الصدق في القول في جميع الاحوال ويتوقى المعاريض لانها تفهم خلاف الواقع الا ان يدعو الى ذلك غرض صحيح واعلم ان المصلي اذا تحرم بالصلاة وقال وجهت وجهي وفي قلبه في تلك الحالة شئ سوى الله تعالى فهو كاذب لا يعد من الصادقين واذا قال مع ذلك اياك نعبد وهو مع ذلك عبد الدنيا أو لنفسه أو لغيره فهو

رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرخص اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقومه صلاة عشاء الآخرة فافتتح بسورة البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه ثم انصرف فقالوا نافق الرجل ثم تشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى الرجل وزجر معاذ وقال أفتان أنت اقرأ بسورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها وليسبح في ركوعه وسجوده سبعا أو خمسا ليدرك من وراءه ثلاثا ثلاثا الا انهم يركعون و يسجدون بعده وروينا ان أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا بالمدينة قال ما صليت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل صلاة هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه في الركوع والسجود عشرا عشرا وقد روينا مجملا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنا نسبح وراءه في الركوع والسجود عشرا عشرا فان قرأ في الاخيرتين من الظهر والعصر وعشاء الآخرة بعد الحمد بسورة قصيرة أو آيتين من سورة لحسن ليدرك من وراءه قراءة الحمد على مهل وقد اختلف مذهب السلف في الامام يكون راكعا فيسمع خفق النعال هل ينتظر في ركوعه و يتوقف حتى يلحقوا في الركعة أولا يبالي بهم فقال بعضهم ينتظر حتى يلحقوا معه وممن اختاره الشعبي وقال آخرون لا ينتظرهم فان حرمة من معه في الصلاة أعظم من حرمة من تأخر عنها وقال بهذا ابراهيم النخعي وكذلك قال فقهاء الحجاز لا ينتظرهم فانه زيادة في الصلاة ومن الاخلاص بها ترك التوقف بها لاجلهم وقال بعض فقهاء الكوفة انا ننتظرهم فحسن ليدركوا معه الجماعة فيكون له فضل ادراكهم وقد قدم عثمان القنوت قبل الركوع في صلاة الغداة ليدرك الناس الركوع والذي عندي في هذا التوسط وهو انه ينتظر فان سمع خفق نعالهم في أول ركوعه فلا بأس ان يمد حتى يلحقوا وان سمعها في آخر ركوعه عند رفع رأسه لم أحب ان لا يزيد في الصلاة لاجلهم فليرفع ولا يبالي وافضل التشهد عندي الذي رواه ابن مسعود وجابر وقد اختلفت الروايات في ألفاظ التشهد والذي اختاره وأقوله ما رويناه عن عبد الله باثبات الواوات و بتقديم اسم الله عز وجل في أوله وزيادة المباركات فاكون بذلك جامعا بين جميع الروايات لان في حديث عمر ذكر المباركات وتأخير قوله لله عز وجل ومن رواية ابن عمر ذكر التسمية وقد روينا ذلك في حديث الثوري عن أيمن بن وائل عن أبي الزبير عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بسم الله و بالله التحيات لله والصلوات والطيبات لله عز وجل فهذا هو الافضل عندي لانه هو الاحوط ولم نتأول روايات الجماعات فيه ثم اختلفوا في مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم بالاشارة اليه في السلام أو تركها فالذي اختاره السلام على النبي صلى الله عليه وسلم الى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لانه قد جاء في بعض الاخبار كالتفسير لما ذكرناه قال كنا نقول اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فلما قبض صلى الله عليه وسلم صرنا نقول السلام على النبي وفي كل الروايات قوله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله فكذلك اختار الا في رواية عمر فانه ذكر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثني بعض العلماء عن بعض الصالحين قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله قد اختلف العلماء علينا في التشهد فبم نأخذ فقال التشهد هو الذي رواه ابن أم عبد ولا يدع ان يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس فيقول أعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال واذا أردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر به والمسيح بنصب الميم مع التخفيف لانه قيل سمي كذلك معدولا به من ماسح أي يمسح الارض مسحا لانه قيل تطوى له الارض وبعض أهل اللغة يقول عدل به عن ممسوح العين أي مطموسها والتكبير والتسليم جزم والاذان جزم وقد قيل ذلك واستحب ان يكون المؤذن غير الامام وقد روينا في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ان يكون الامام مؤذنا وقد كان عمر رضي الله عنه اذا ذكر فضل الاذان يقول لولا الامامة لاذنت وروينا عن النبي



الدرهم الثاني الصدق في النية وهو ان يتمحض في قلبه داعية الخير فان كان فيه شوب فقد فات الصدق ولهذا يقال هذا صادق الحوضة وهذا صادق الحلاوة اذا كان محضا غير ممتزج بهذا الى نفس الاخلاص الثالث الصدق في العزم فان العبد قد يعزم على الصدق ان رزق مالا وعلى العدل ان رزق ولاية وعزمه تارة يكون على ضعف وتردد وتارة يكون عزما قويا لا تردد فيه فالجزم القوي يسمى صاحبه صادقا كما وجد عمر في نفسه رضي الله عنه حين قال لان أقدم فتضرب عنقي أحب الي من ان أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه ودرجات عزم الصديقين في القوة تتفاوت وأقصاها ان تنتهي الى الرضى بضرب الرقبة دون الحق الرابع من أقسام الصدق الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم أولا ولكن ربما لا تفي بالعزم بان يتوالى لكون العزم هينا وانما الشدة في تحقيق العزم والوفاء به ولهذا قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه والخامس الصدق في الاعمال وذلك بان يكون الباطن موافق الظاهر ومعناه استواء السريرة والعلانية كالماشي على هدوء يدل بحركته على انه ذو وقار في باطنه فان لم يكن ذا وقار في باطنه فانه

صلى الله عليه وسلم الاذان الى المؤذن والاقامة الى الامام أى هو أملك بها والمؤذن ان ينتظر الامام وليس على الامام والمأموم انتظار المؤذن اذا دخل الوقت ولا على المؤذن انتظار أحد اذا انتظر الامام ودخل الوقت والصلاة فى أول وقتها أفضل من انتظار الجماعة لها وأفضل من قراءة طوال السور فيها وقيل قد كانوا اذا حضر اثنان فى الصلاة لم ينتظروا الثالث واذا حضر أربعة فى الجنازة لم ينتظروا الخامس وقيل انتظار المأموم مع شهود الامام مكروه والنعى بالميت والايذان به بدعة وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الفجر وكانوا فى سفر وانما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فأشفقنا من ذلك فقال أحسنتم هكذا فافعلوا وقد تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضى الله عنه حتى جاء وهم فى الصلاة فقام الى جانبه وليدخل فى الصلاة مكبرا اذا قال المؤذن قد قامت الصلاة ويكون الناس قد قاموا اذا قال المؤذن حى على الصلاة كذلك السنة وعليه كان السلف وروينا عن على عليه السلام وعبد الله وكانوا اذا قال المؤذن حى على الصلاة قام الناس الدعوة فاذا قال قد قامت الصلاة كبر الامام ويبقى المؤذن وحده يتم الاقامة ثم يدخل فى الصلاة والامام يقرأ سورة الحمد لان حقيقة قوله قد قامت الصلاة أى قد قام الناس للصلاة وقد قام المصلون لان الصلاة لا تقوم فاذا قاموا عند قوله قد قامت الصلاة كان المؤذن صادقا فى قوله وان كان جائزا على المجاز لقرب الوقت وظهور سبب القيام ولذلك كره ان يكون الامام مؤذنا لانه حينئذ يحتاج ان يكبر ويدخل الناس فى الصلاة عند قوله قد قامت الصلاة وكذلك جاء عن السلف من السنة ان يكون الاذان فى المنار والاقامة فى المسجد ليقرب على المؤذن الدخول فى الصلاة وكذلك قال بلال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبقنى بآمين أى تمهل حتى أدرك التأمين معك لمعنى اذ قد علم انه يسبقه بافتتاح الحروف هذا دليل على صحة اختيارنا فيما ذكرنا من انتظار الامام لمن سمع ولعله اذا كان فى أول الركوع لقول بلال لا تسبقنى بآمين ولم يقل لا تسبقنى بالحمد ولا أستحب للامام الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وان كانت آية من سورة الحمد فاكثر الروايات وأثبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الجهر بها وانه الآخر من فعله فقد كانوا يأخذون بالآخر فالآخر من أفعاله صلى الله عليه وسلم ولانه مذهب أكثر العلماء وروينا عن ابن مسعود انه قال من السنة ان يخفى الامام أربعا سبحانك اللهم والاستعاذة وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم والتأمين وقد روينا عن على كرم الله وجهه الجهر بها وعن ابن عباس ليس من السنة الجهر بها ولا أكره القنوت فى صلاة الغداة بالكلمات الثمانية التى رويت عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقولها سرا ولا يرفع يديه لانها تجرى مجرى الدعاء وان ترك ذلك فحسن قد تركه أكثر الفقهاء واستحب ان يقرأ فى ليلة الجمعة وغداتها من السور ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثين المشهور منهما انه كان يقرأ فى صلاة الغداة يوم الجمعة بسورة السجدة وهل أتى والحديث الآخر انه كان يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفى عشاء الآخرة بسورة الجمعة وسورة المنافقين واستحب ان يقول فى تشهده من الدعاء ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة من الجوامع والكوامل اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم أسألك مما سألك منه محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك مما استعاذك منه محمد صلى الله عليه وسلم أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل اللهم ما قضيت لى من أمر فاجعل عاقبته رشدا ثم يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ويقول ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الآية ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وليس بعد هذا دعاء مفضل ولا كلام مأثور سوى ما ذكرناه آنفا من الاستعاذة بالكلمات الخمس وان اقتصر عليها أجزأته ويكره للامام ان يخص نفسه بدعاء دون من خلفه فان دعا فى صلاته فليجمع بالنون فيقول نسألك ونستعيذك وهو ينوى بذلك نفسه ومن خلفه وفى الخبر من أم قوما فلا يخص نفسه بدعوة دونهم فان اختار المريد التأدب على الامامة فقد قال بعض السلف من

متبع كذاب قال عبد الواحد كان الحسن البصرى اذا أمر بشئ كان من أعمل الناس به  واذا نهى عن شئ كان من أترك الناس له ولم أر أحدا قط أشبه سريرته بعلانيته منه يحكى ان نحويا قال لصوفى وقد لحن كلامه ما هذا فقال له الصوفى انك أعربت فى كلامك فلم تلحن فيه وأهل عبادة الله تعالى أعربوا فى أعمالهم فلم يلحنوا فيها قلت يريد باعراب الاعمال صدقها واخلاصها ويريد باللحن فى الاعمال الرياء والتزين للناس فيها السادس وهو أعلى أبواب الصدق فى مقامات الدين كالصدق فى الخوف والرجاء والحب والرضا والتوكل وغيرها فان هذه المقامات لها أوائل وأواخر ولها حقائق وغايات اذ يقال هذا هو الخوف الصادق وهذا هو الرضا الصادق قال بعض أهل المعرفة الصدق فى ثلاثة أشياء لا يتم الا بها صدق القلب يكون بالايمان وصدق النية بالاعمال وصدق اللسان فى الكلام ومن لم يكن فى قلبه صدق ولا اخلاص فهو منافق روى حذيفة رضى الله عنه قال حدثنا النبى صلى الله عليه وسلم عن رفع الامانة وذكر من جملة الحديث انه يقال للرجل ما أظرفه وما أعقله وما فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان والمراد برفعها الردة والنفاق والانبياء تسمى الايمان أمانة قال عيسى عليه السلام لحواريه احفظوا الامانة عند البلايا كما تحفظ الحية رأسها عند الضرب وقد حفظها الصحابة

العلماء ان الاذان أفضل من الامامة وان المؤذن أعظم أجرا لقول النبي صلى الله عليه وسلم الامام أمير والقوله الامام ضامن فشبهها بالامارة والضمان ثم قال فان نقص فعليه لا عليهم فالاذان أسلم ولعله لا يقوم بحكم الامامة ولا يتم وصف الامام فيكون عليه بعض صلاة المصلين كما يكون له أيضا في الاتمام أجورهم وأيضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا للمؤذنين دعاء هو أمدح من دعائه للامام بقوله اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين ويقوله يغفر للمؤذن مدى صوته ويشهد له كل رطب ويابس ووصفه أيضا بوصف هو أبلغ فقال المؤذن مؤتمن وفي لفظ آخر مؤذنو كم أمناؤكم وأئمتكم ضمناؤكم فالامين أرفع حالا من الضامن لان الضامن غارم وقد لا يكون أمينا والامين بكينا ولا ضمان عليه ومن هذا كره سهل بن سعد الساعدي الامامة قال أبو حازم قلت لسهل بن سعد وكان يقدم فتيان قومه يصلون به فقلت انت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولك من السابقة والفضل لو تقدمت فصليت بقومك فقال يا ابن أخي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الامام ضامن فأكره ان أكون ضامنا وفي الخبر من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك يفزع الناس ولا يفزعون حتى يقضي بين الخلائق رجل قرأ القرآن فأداه الى الله سبحانه وتعالى بما فيه ورجل أذن في مسجد ابتغاء وجه الله تعالى ورجل ابتلي بالرق في الدنيا فأطاع الله عز وجل وأطاع مواليه وروينا في تفسير قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله قال نزلت في المؤذنين وعمل صالحا قال الصلاة بين الاذان والاقامة ويستحب اذا فرغ المؤذن من الاذان ان يقول وأنا من المسلمين الحمد لله رب العالمين ويتلو قوله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين وقوله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فاستحب ان يصلي المؤذن بين الاذان والاقامة أربعا وان يجتهد في الدعاء قال وكان السلف يكرهون أربعا ويتدافعونها عنهم الامامة والفتيا والوصية والوديعة وقال بعضهم ما شيء أحب الي من الصلاة في جماعة وأكون ماموما فأكفى سهوها ويتحمل غيري ثقلها ولكن اذا أقيمت الصلاة فليتقدم من أمر بالتقدم ولا يتدافعونها فقد جاء في العلم ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلاة فخسف بهم ولكن لا يقيم المؤذن حتى يحضر الامام ولا ينتظروا الامام قياما فانه مكروه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوموا حتى تروني وكان بشر بن الحارث يقول من أراد سلامة الدنيا وعز الآخرة فليجتنب أربعا لا يحدث ولا يشهد ولا يؤم ولا يفتي وفي بعضها ولا يجيب دعوة وقال مرة ولا يقبل هدية وهذا من تشديده والذي اختار من التأذين والاقامة مذهب أهل الحجاز بتثنية الاذان بالترجيع وافراد الاقامة وان يزيد في اذان الفجر الصلاة خير من النوم مرتين وان يؤذن لها قبل دخول الوقت خاصة ليتأهب لها المصلون وانما هي الصلاة الوسطى الا ان يتفقوا على صحة الحديث شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر فليدع الاختيار للآثار وان يمد المؤذن صوته ويرفعه جهده ويترسل اذانه وقيل كانوا يستحبون خفض الصوت في كل موطن الا في موضعين في الاذان وعند التلبية وفي الخبر يمهل المؤذن بين اذانه واقامته قدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره فهذا توقيت من مقدار المصلين بين الاذانين فمن كانت به حاجة الى هذين فليقدم ذلك قبل دخوله في الصلاة لئلا يشغله شيء عن صلاته ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مدافعة الاخبثين في الصلاة وأمر بتبدئة العشاء في قوله اذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء ذلك ليكون القلب فارغا به خاليا من نوائبه فذلك من اقامة الصلاة وتمامها وأكره الامامة لمن كثر سهوه في الصلاة أو دام اشتغال قلبه من فهم المناجاة أو لمن علم ان وراءه من هو أقرأ منه أو أفقه في الدين والعلم وان كان هو عابدا صالحا أو لفقيه بالعلم اذا كان وراءه أتقى منه وأصلح وأورع بعد ان يكون مؤديا بالفرض التلاوة ولا يؤم الامي القراء ولا الاعمى البصراء ولا المتيممون المتوضئين وان اتفق أميون قدم أقرؤهم وان حضر أئمة قراء فليتقدم أفقههم بالعلم وان اتفق رجلان أحدهما قد جمع كل القرآن الا ان الآخر أحسن تجويدا وتثقيفا لما يقرأ منه وليس يحفظ جميعه فليقدم أقومهم قراءة اذا كان

عالما

حيث البلايا كبلال وصهيب  وصهيب بن سنان وخبيب وعمار وغيرهم فان منهم من قتل في الله تعالى ولم يتغير له قلب من الاعمال قدر ذرة ولا أقل من ذرة وشهم من عذب في الله تعالى ولم يتغير قلبه فصبر واحتمل البلايا وحفظ ايمانه واعلم ان الصدق على أقسام الاول الصدق في القصد والنية وبه يصح الشروع في الطاعات كلها وهو روح الاعمال وعمارة كل قلب خراب والثاني ان لا يتمنى الحياة الا للحق تعالى كما حكي عن بعض أصحاب عبد الله بن مسعود صاحب النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا أحب البقاء في الدنيا الا لاعفر وجهي بالتراب على الارض لله تعالى يريد بذلك السجود لله تعالى في الصلاة وغيرها ولا يشهد من نفسه الا التقصير في الطاعة ولا يلتفت الى ترفيه الرخص

● (فصل) وأما الاخلاص فقال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى ألا لله الدين الخالص والاخلاص افراد الحق في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعة الله تعالى التقرب اليه دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو غير ذلك من خصوص اليقين وقال بعضهم الاخلاص ان تكتفي بعلم الله تعالى لعملك وقال أبو علي الدقاق الاخلاص التوقي عن ملاحظة الخلق والصدق التنقي عن ملاحظة النفس فالمخلص لا رياء له والصادق

عالماً بالصلاة وفي الخبر يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل فان كانوا في القراءة سواء فأفقههم في الدين فان كانوا في الفقه سواء فأقدمهم هجرة فان كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سناً فلذلك الامر الرجل أحق بالامامة اذا كان في منزله الا ان يأذن واستحب للامام اذا سلم ان يسرع الانفتال بوجهه الى الناس وأكره للمأموم القيام قبل انفتال امامه فقد روينا في ذلك سنة حسنة عن طلحة والزبير انهما صليا في البصرة خلف امام فلما سلما قالا للامام ما أحسن صلاتك وأتمها كما كانت تصلى الاشياء واحد الا انك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالوا للناس ما أحسن ما صليتم الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل امامكم ومن كرهه جيرانه او كرهه من وراءه من المأمومين فلا يعجل له ان يتقدم فان اختلفوا فكرهه قوم وأحبه آخرون نظر الى أهل الدين والعلم منهم فحكم بقولهم ولا يعتبر الاكثر اذا كان الاقلون هم الاخير ولا يصلي خلف مبتدع فمن صلى خلف مبتدع ولا يعلم فليعد ومن سمع الاذان من مسجد وهو في طريق يمشي فليدخل فليصل ولا يؤخر الى مسجد آخر الا لاحد معنيين ان يكون على يقين من لحوق امام آخر أفضل من هذا أو يكون يعرف هذا ببدعة أو فسوق والا فالصلاة مع أول من قام بها من المسلمين أفضل وفي الخبر لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد وفي جار المسجد قولان أحدهما من سمع الاذان وروي هذا عن علي عليه السلام والثاني من كان بينه وبين المسجد ثلاث دور وهو الرابع والتشديد في ترك الجماعة على من سمع التأذين ومن كان في جنبه مسجدان فاولاهما بالصلاة فيه أقربهما منه وهذا مذهب الحسن الا ان يكون له نية في كثرة الخطا الى الابعد أو يكون امام الابعد هو الافضل وقيل أقدمهما وروي هذا عن أنس بن مالك وبعض الصحابة انهم كانوا يجاوزون المساجد الحدثة الى العتق ومن كان مأموماً فلا يقرأ السورة مع الحمد فيما يجهر به الامام أصلاً ولا يقرأ الحمد أيضاً الا في سكتات الامام وان قطعها فان لم يكن للامام سكتات قرأ الحمد فقط فيما يجهر به الامام وكان ما عليه من وزر قراءته في قراءة الامام على امامه لانه قد نقص صلاته وترك ما عليه فالله عز وجل حسيبه فاذا أسر الامام فليقرأ الحمد وسورة اذا أمكنه ولا بد من قراءة الحمد وحدها واستحب للامام ان يتحول اذا صلى المكتوبة فلا يصلي في موضعه نافلة ففي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم وثب وكان أبو بكر رضي الله عنه اذا سلم وثب وكان عمر رضي الله عنه اذا سلم وثب وفي الخبر المشهور انه لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام ثم ينصرف وان تحول المأموم فصلى النافلة في غير مكان الفرض فتحول بقدم فحسن ففي ذلك أثر فان جلس قليلاً للتسبيح والدعاء فلا بأس وهذا آخر كتاب الامامة

(الفصل الرابع والاربعون في كتاب الاخوة في الله تبارك وتعالى والصحبة والمحبة للاخوان فيه وأحكام المؤاخاة وأوصاف المحبين) ذكر الله عز وجل عباده المؤمنين نعمته عليهم في الدين اذ ألف بين قلوبهم بعد ان كانوا متفرقين فاصبحوا بنعمته اخواناً بالالفة متفقين وعلى البر والتقوى مصطحبين ثم ضم التذكرة بالنعمة عليهم الى تقواه وأمر بالاعتصام بحبله ونهى عن التفرق اذ جمعهم الدار وقرن ذلك بالمنة منه عليهم اذ أنقذهم من شفا حفرة النار وقد جعل ذلك كله من آياته الدالة عليه سبحانه وتعالى وسبيله الواصلة بالهداية اليه فقال في جمل ما شرحناه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تفرقوا الى ولعلكم تهتدون وقد كانت المؤاخاة في الله تعالى والصحبة لاجله والمحبة له في الحضر والسفر طرائق العاملين في كل طريق فريق لما في ذلك من الفضل ولما جاء فيه من الامر والندب اذ كان الحب في الله عز وجل من أوثق عرى الايمان وكانت الالفة والصحبة لاجله والمحبة والتزاور من أحسن أسباب المتقين وقد كثرت الاخبار في تفضيل ذلك والحث عليه وليس قصدنا الجمع لما روي لميلنا الى الايجاز في كل فن ولكن نذكر الاعمال المستحسنة وما تعلق بها مما لا بد منه على ان رأي التابعين قد اختلف في التعرف فمنهم من كان يقول أقل من المعارف فانه أسلم لدينك وأقل غداً لفضيحتك وأخف لسقوط الحقوق عنك لانه يقال كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وكلما طالت الصحبة توكدت المراعاة وقال بعضهم

---

لا اعجاب له وقال بعضهم الخالص من العمل ما خلص من الآفات وترى بالآفات مفسدات الاعمال كالعجب والرياء والمن والاذى ومنه الطامع في العرض مطلقاً على رأي المحققين والاخلاص يخرجه من طريق الرغبة والرهبة قال الحرث المحاسبي العمل الصالح له أصول في القلب مغطاة من الخلق فاذا سلم من شوائب الرياء والشرك الخفي وزكى العمل وطهر من الادناس أثمر لصاحبه الثواب واذا أبدى عمله للخلق دخله الرياء والعجب وحب المحمدة وبطل ثوابه ومثل ذلك في الشجرة اذا تبين عروقها انقطعت من شربها وذبل أغصانها وجف ورقها وانقطعت ثمرتها واذا غاصت عروقها في الارض وغابت عن الناظرين كثر شربها وجرى الماء في أغصانها واخضر ورقها وأينعت ثمرتها وعلامة الاخلاص كما قال ذو النون استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الاعمال وترك اقتضاء ثواب العمل في الآخرة وسئل سهل بن عبد الله عن أي الاعمال أشد على النفس فقال الاخلاص لانه ليس لها فيه نصيب وصلى سهل الجمعة ثم خرج من الجامع فوقف ينظر الى الناس وهم يخرجون فقال أهل لا اله الا الله كثيرون والمخلصون منهم قليلون وقال بعض العمال ما أكثر من يتكلم وما أقل من يعمل وما أكثر من يعمل وما أقل من يخلص وقال مكحول ما أخلص عبد لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة

جل وأيت شرا الاثمن تعرف فكلما نقص من هذا فهو خير وقال بعضهم أنكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف وممن مال الى هذا الرأى سفيان الثورى وابراهيم بن أدهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشى وبشر الحافى وقال أكثر التابعين باستحباب كثرة الاخوان فى الله عز وجل بالتأليف والتحبب الى المؤمنين لان ذلك زين فى الرخاء وعون فى الشدائد وتعاون على البر والتقوى والفة فى الدين وقال بعضهم استكثر من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك وكانوا يأمرون بالاخوة ويتعاونون على الالفة ويقال اذا غفر للعبد شفع فى اخوانه وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا غريبا فى تفسير قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم فى اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم وممن مال الى هذا الطريق ابن المسيب والشعبى وابن أبى ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعى وأحمد بن حنبل ومن وافقهم وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقربكم منى مجلسا أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وروينا عنه صلى الله عليه وسلم المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقد قيل أول ما يرفع من هذه الامة الخشوع ثم الورع ثم الامانة ثم الالفة وفى الخبر من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسى ذكره وان ذكر اعانه وروينا فى خبر مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى مؤمنان الا أفاد الله عز وجل أحدهما من صاحبه خيرا وروينا فى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخى أخا فى الله عز وجل رفعه الله عز وجل درجة فى الجنة لا ينالها بشئ من عمله ويقال ان الاخوين فى الله عز وجل اذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه الى مقامه وانه يلحق به كما تلحق الذرية بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة تعمل كالولادة وقد قال الله سبحانه بعد قوله ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ أى وما نقصناهم وقال تعالى مخبرا عن لا صديق له حميم تنفعه شفاعته فمالنا من شافعين ولا صديق حميم ومعنى حميم أى هميم أبدلت الحاء هاء لتقاربهما مأخوذ من الاهتمام أى مهتم بأمره ففيه دليل ان الصديق لك هو المهتم بك لان الاهتمام حقيقة الصداقة وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن كثير بأخيه وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما أعطى عبد بعد الاسلام خيرا من أخ صالح وقال أيضا اذا رأى أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما تصيب ذلك وقد قال بعض الحكماء فى معناه كلاما منظوما شعر

مامالت النفس على بغية * الثمن ودصديق أمين

ممن فاته وذا أخ صالح * فذاك المقطوع منه الوتين

وقد يروى هذا المصراع الثانى فذاك المغبون حقا يقين وروينا فى الاخبار السابقة ان الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظان وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتى فهو لك عدو وفى خبر غيره عن داود عليه السلام ان الله سبحانه وتعالى أوحى اليه ياداود مالى أراك منتبذا وحدانا قال الهى قليت الخلق من أجلك فأوحى الله عز وجل اليه ياداود كن يقظان مرتادا لنفسك اخوانا فكل خدن لا يوافقك على مسرتى فلا تصحبه فانه لك عدو ويقسى قلبك ويباعدك منى وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا مؤالفين ولا تكونوا متفرقين وفى الحديث ان أحبكم الى الله عز وجل الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله عز وجل المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان وفى أخبار داود صلى الله عليه وسلم أنه قال يارب كيف لى أن يحبنى الناس كلهم وأسلم فيما بينى وبينك قال خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بينى وبينك وفى بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة وقال الشعبى عن صعصعة بن صوحان انه قال لابن أخيه مزيد انا كنت أحب الى أبيك منك وأنت أحب الى من ابنى خصلتان أوصيك بهما فاحفظهما خالص المؤمن مخالصة وخالق

من قلبه وقال بعض الاكابر طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكان بعضهم يضرب نفسه و يقول يا نفس اخلصى تخلصى واعلم ان العمل اذا غلبت فيه الشوائب بطل ذلك العمل فان كان الشوب مساويا أو مغلوبا بطل الاخلاص ولكن هل يتوقف انعقاد العبادة وخلوص أصلها على انتفاء الشوائب كلها فيه كلام المحققين وأشار كثير منهم الى انعقاد العبادة وقال بعض أهل المعارف العمل بلا اخلاص كبدن بلا روح (فصل) فى حقيقة النية اعلم ان حقيقة النية هى الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة وبيان ذلك ان جميع الاعمال لا تصح الا بالقدرة والارادة والعلم فالعلم بما فى الفعل من الخير يهيج الارادة والارادة باعثة على تعلق القدرة بالفعل فالقدرة خادمة للارادة بتحريك الجوارح فالنية عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة على التعلق بالعمل فالنية اذا عبارة عن الارادة الباعثة للقدرة على الفعل ومعنى اخلاص النية تصفية هذا الباعث عن الشوائب واعلم ان النية لا تدخل تحت الاختيار فلا ينبغى ان تغتر فتقول بلسانك وقلبك نويت كذا وكذا وتظن انك نويت فانك قد عرفت ان النية هى الباعث المحرك الذى لولاه لم يتصور وجود العمل وقول القائل ذلك اياه وحديث نفس لا نية ولا تتمحض النية وتنقى الشوائب عن العمل من القلب الا انه قوى الايمان وتمت المعرفة

الفاجر فخالقه فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن وقد قال أبو الدرداء انا لنبش في وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم فعنى هذا على التقية والمداراة ليدفع بذلك شره وأذاه كما جاء في تفسير قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن قيل السلام فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وكان ابن عباس يقول في معنى قوله عز وجل ويدرؤن بالحسنة السيئة قال يدفعون الفحش والأذى وهو السيئة بالسلام والمداراة وهو الحسنة وقد كان أفضل الحسنات اكرام الجلساء ومنه قوله عز وجل ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قيل بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وكذلك معنى قولهم خالص المؤمن وخالق الفاجر فالمخالصة بالقلوب من المودة والصحبة والمؤاخاة في الله عز وجل والمخالقة المخالطة في المعاملة والمبايعة وعند اللقاء وكذلك جاء مفسرا خالطوا الناس بأعمالهم وزايلوهم في القلوب وقد قال محمد بن الحنفية بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله عز وجل له منه فرجا فمعاملة غير تقي ومكالمته من أحوال الاضطرار ومعاشرة التقي ومصافاته من حسن الاختيار وفي أخبار موسى عليه السلام فيما أوحى الله عز وجل اليه ان أطعتني فما أكثر اخوانك من المؤمنين المعنى ان واسيت الناس وأشفقت عليهم وسلم قلبك لهم ولم تحسدهم كثر اخوانك ويقال ان أحد الأخوين في الله عز وجل اذا مات قبل صاحبه وقيل له ادخل الجنة سأل عن منزل أخيه فان كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منازله قال ولا يزال يسأله من كذا وكذا فيقال انه لم يكن يعمل مثل عملك فيقول اني كنت أعمل لي وله قال فيعطى جميع ما سأله ويرفع أخوه الى درجته معه فقد كانوا يتواخون ويتعارفون المنافع الآخرة الباقية لا لمرافقة الدنيا الفانية وأفضل الاخوة كما قال بعض العلماء المحبة الدائمة والالفة اللازمة من قبل ان الاخوة والمحبة عمل وكل عمل يحتاج الى حسن خاتمته ليتم العمل فيكمل أجره فان لم يختم له بالآخرة ولم يحسن عاقبة الصحبة والمحبة فقد أدركه سوء الخاتمة بطل منه ما كان قبل ذلك فقد يصطحب الاثنان ويتواخى الرجلان عشرين سنة ثم لا يختم لهما بحسن الاخوة فيحبط بذلك ما سلف من الصحبة فلذلك شرط العالم المحبة الدائمة والالفة اللازمة الى الوفاة ليختم له به ويقال ما حسد العدو متعاونين على بر حسده متواخيين في الله عز وجل ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه ويحث قبيله على افساد ما بينهما وقد قال الصادق عز وجل وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم يعني يقولون الكلمة الحسنة بعد نزغ الشيطان وقال عز وجل مخبرا عن يوسف عليه السلام من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين أخوتي وقد يقال ما تواخى اثنان في الله عز وجل ففرق بينهما الا بذنب يرتكبه أحدهما فقال بشر اذا قصر العبد في طاعة الله تبارك وتعالى سلبه الله عز وجل من يؤنسه ويقال العدو شيطان قد وكل بالتفريق بين المتواخيين ليس له عمل الا ذلك قد تفرغ له ومن علامة التقي حسن المقال عند التفرق وجميل البشر عند التقاطع أنشدنا بعض العلماء لحكيم في معناه

ان الكريم اذا تقضى وده * يخفي القبيح ويظهر الاحسانا
وترى اللئيم اذا تصرم حبله * يخفي الجميل ويظهر البهتانا

فوصف الكريم في هذا المعنى بخلق الربوبية ألم تسمع الى الدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوله يا من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر فكذلك صفات المؤمنين على معاني أخلاق المؤمن الاعلى وقد كان أبو الدرداء يقول معاتبة الصديق خير من فقده ومن لك بأخيك كله هن لا تحبك ولن له ولا تطع الشيطان في أمره غدا يوافيه الموت فيكفيك فقده كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركت وصله وقد روينا عن علي عليه السلام أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما وقد روينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه معناه لا يكن حبك كلفا وبغضك تلفا قال أسلم قلت وكيف ذاك قال اذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبه واذا أبغضت فلا تبغض بغضا تحب ان يتلف صاحبك ويهلك وفي وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي رويناها

بعمارة الحظوظ الدنيوية وعظيم ثواب الآخرة فاذا غلب ذلك على قلبك انبعث منك الرغبة ضرورة الى كل ما هو وسيلة الى ثواب الآخرة وان لم تنبعث منك هذه الرغبة فلا نية لك *(فصل)* قد تقدم ان الاخلاص العبد هو ان اراد الله تعالى بالقصد في الفعل فلا تعمل لله لقصد الثواب ولا لدفع العقاب بل لتؤدي واجب الربوبية قال صلى الله عليه وسلم لا يكون أحدكم كالعبد ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجره لم يعمل وفي أخبار داود عليه السلام ان أود الاوداء الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لان أطاع أو كما قال وقد أقيم في هذا المقام جماعة من التابعين منهم أبو حازم كان يقول اني لأستحي ان أعبده رجاء الثواب فأكون كالعبد السوء ان لم يعط أجره لم يعمل ولكن أعبده محبة له واجلالا قال المحققون وعلامة الاخلاص محبة الخلوات لمناجاة الله تعالى وقلة التعرف الى الخلق لعبودية الله تعالى وكراهة علم الخلق في معاملة الله وقال بعضهم علامة الاخلاص ثلاثة أحدها ان يخاف الحمدة لئلا يبطل عمله ويضيع عمره في الاعمال الردية والثاني لا يخاف ملامة الناس لان من خاف ملامة الناس ترك كثيرا من أعمال الخير وكلام الحق والثالث لا يحب المعذرة لان صاحب المعذرة لا يكون مخلصا *(فصل)* وأما

عن يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب قال قال عمر رضي الله عنه عليك باخوان الصدق تعش في أكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الأمين ولا أمين الا من خشي الله عز وجل ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تبارك وتعالى وحدثونا عن ابراهيم ابن سعيد قال حدثنا يحيى بن أكثم قال حدثني المأمون أمير المؤمنين فقلت له حدثني سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن أبجر قال لما حضرت علقمة العطاردي الوفاة دعا بابنه فقال يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا سألته أعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولت أمرا أمرك وان تنازعتما آثرك قال ابن أكثم فقال المأمون وأين هذا وقيل للأحنف بن قيس أي اخوانك أحب اليك فقال من يسد خللي ويستر زللي ويقبل عللي وحدثونا عن الاصمعي قال حدثنا العلاء بن جرير عن أبيه قال قال الأحنف من حق الصديق أن يحتمل له ثلاث أن يتجاوز عن ظلم الغضب وظلم الهفوة وظلم الدالة وقال الاخاء جوهرة رقيقة فهي ما لم توق عليها وتحرسها كانت معرضة للآفات فارض الاخاء بالذلة حتى تصل الى فوقه وبالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير ويقال من لم يظلم نفسه للناس ويتظالم لهم ويتغافل عنهم لم يسلم منهم وكان أسماء بن خارجة الفزاري يقول ما شتمت أحدا قط لانه انما يسبني أحد رجلين كريم كانت منه زلة وهفوة فأنا أحق من غفرها وأخذ عليه بالفضل فيها أو لئيم فلم أكن أجعل عرضي له غرضا فتمثل شعر

واغفر عوراء الكريم اصطناعه * واعرض عن ذات اللئيم تكرما

وأنشدونا لمحمد بن عامر في الاخوان شعر

فلا تعجل على أحد بظلم * فان الظلم مرتعه وخيم * ولا تفحش وان ملئت غيظا
على أحد فان الفحش لوم * ولا تقطع أخاك عند ذنب * فان الذنب يغفره الكريم
ولكن داو عورته برفق * كما قد يرقع الخلق القديم
ولا تجزع لريب الدهر واصبر * فان الصبر في العقبى سليم

وأنشدونا في معناه عن أحمد بن يحيى بن ثعلب قال أنشدني عبد الله بن شبيب

اخلاء الناس ممتزج * وأكثر فعلهم سمج    فان بدهتك مقطعة * فليس وراءهم فرج
فقربهم بوصلهم * فان لم يوصلوا امتزجوا    صروف الدهر دائبة * تقطع دونها المهج

ورويناه عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق وعن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل خذ العفو وأمر بالعرف قال خذ من أخلاق الناس ومن أعمالهم ما ظهر من غير تجسس وقد أنشدنا بعض الحكماء في ذلك

خذ من خليلك ما صفا * وذر الذي فيه الكدر    فالعمر أقصر من معا * تبة الخليل على الغير

ومن عرف فضل الاخوة في الله عز وجل وعلم درجة المحبة لله تعالى صبر لأخيه وشكر له وحلم عنه واحتمل له لينال ما أمله من مؤمله فيه ويبلغ ما طلب من طالبه فان الصبر يحتاج اليه لتتم العمل والشكر لابد منه لدوام النعمة ومن طلب نفيسا خاطر بنفيس ومن رغب في رغيبة بذل لها مهره وبالله عز وجل الموفق من عجيب لما يحب ورويناه في حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله عز وجل على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل

الجنة

الاستقامة فقال الله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا وقال صلى الله عليه وسلم في كلامه مع بعض أصحابه قل آمنت بالله ثم استقم والاستقامة روح تحيا بها الاعمال كما تربو الاعمال بها لا اعمال والاستقامة ان لا يتجاوز حد الاخلاص ولا يخالف نهج السنة وقال بعض المحققين الاستقامة في الاقوال بترك الغيبة وفي الافعال بنفي البدعة وفي الاعمال بترك الفترة وفي الاحوال بترك الحجبة

*(باب الصبر والشكر)* قد ذكر الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في نحو من سبعين موضعا وأثنى على أهله وأضاف اليه أكثر الخيرات والدرجات فقال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب والصبر الشرعي عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وذلك ان الله تعالى خلق الانسان ابتداء الصبا ناقصا كالبهيمة ليس فيه الا شهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب واللهو ثم شهوة النكاح وليس فيه قوة الصبر اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما وليس في الصبي الا جند الهوى فاذا تحرك فيه العقل

الجنة كما تضيء الشمس لاهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله عز
وجل وروينا فى حديث معاذ وقد قال له أبو ادريس الخولانى انى لاحبك فى الله عز وجل فقال له ابشر ثم ابشر
فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة
ووجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم أولياء الله
عز وجل الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله قال هم المتحابون فى الله عز وجل
ورواه أبو هريرة فقال فيه ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء
ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء فقالوا يا رسول الله حلهم لنا فقال هم المتحابون فى الله عز وجل
والمتجالسون فى الله تعالى والمتزاورون فى الله تعالى وروينا فى حديث عبادة بن الصامت يقول الله
عز وجل حقت محبتى للمتحابين فى والمتزاورين فى والمتباذلين والمتصادقين فى وكان ابن مسعود يقول
فى قوله عز وجل لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم قال نزلت هذه الآية
فى المتحابين فى الله عز وجل وأبو بشر عن مجاهد قال المتحابون فى الله عز وجل اذا التقوا فكشر بعضهم الى
بعض تحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء اذا يبس وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبعة يظلهم الله عز وجل فى ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله منهم كذا واثنان تواخيا فى الله عز وجل اجتمعا على
ذلك وتفرقا وكان الفضيل بن عياض وغيره يقول نظر الاخ الى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة فلا
تصح المحبة فى الله عز وجل الا بشرط فيها من الرحمة فى الاجتماع والخلطة عند الافتراق بظهور النصيحة
واجتناب الغيبة وتمام الوفاء ووجود الانس وفقد الجفاء وارتفاع الوحشة ووجود الانبساط وزوال
الاحتشام وكان الفضيل يقول اذا وقعت الغيبة ارتفعت الاخوة وقال الجنيد ما تواخى اثنان فى الله عز
وجل فاستوحش أحدهما من صاحبه واحتشم منه الا لعلة فى أحدهما ومن ذلك ما روى عن النبى صلى
الله عليه وسلم ما تحاب اثنان فى الله عز وجل الا كان أحبهما الى الله عز وجل أشدهما حبا لصاحبه وفى خبر
كان أفضلهما وفى الخبر الآخر أحب الاخوان الى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه وفى الخبر المشهور
لا يذوق العبد طعم الايمان حتى يحب المرء لا يحبه الا لله وقال ابن عباس فى وصيته لمجاهد ولا تذكر أخاك
اذا تغيب عنك الا بمثل ما تحب أن تذكر به اذا غبت واعفه مما تحب أن تعفى به وكان بعضهم يقول
ما ذكر أخى عندى فى غيب الا تمثلته جالسا فقلت فيه ما يحب أن يسمع فى حضوره وقال آخر ما ذكر أخ لى
فى غيبة الا تصورت نفسى فى صورته فقلت فيه ما أحب أن يقال فى فهذا حقيقة فى صدق الاسلام لا يكون
مسلما حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه وقال بعض الادباء من اقتضى من اخوانه
ما لا يقتضون منه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم ما يقتضون منه فقد أتعبهم ومن لم يقتضهم فقد تفضل عليهم
وبمعناه روينا عن بعض الحكماء من جعل نفسه فوق قدره عند الاخوان اثم واثموا ومن جعل نفسه فى قدره
تعب وأتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا اذ ذلك عز الناس الاخوة فى الله عز وجل قد عز الا نحو هذا
حقيقتها فروى فى الاخبار اثنان عزيزان ولا يزدادان الا عزة درهم حلال وأخ تسكن اليه وقيل تأنس به
وقال يحيى بن معاذ رحمه الله ثلاثة عزيزة فى وقتنا هذا ذكر منها حسن الاخاء مع الوفاء يعنى بالوفاء أن يكون له
فى غيبته ومن حيث لا يعلم ولا يبلغه مثل ما كان له فى شهوده ومعاشرته ويكون له بعد موته ولاهله من
بعده كما كان له فى حياته فهذا هو الوفاء وهو الذى شرطه النبى صلى الله عليه وسلم للمؤاخاة فى قوله اجتمعا على
ذلك أو تفرقا وجعل جزاءه اظلال العرش يوم القيامة وكذلك قال بعض الادباء قليل الوفاء بعد الوفاة خير من
كثيره فى حال الحياة وكذلك كان السلف فيما ذكره الحسن وغيره قالوا كان أحدهم يخلف أخاه فى عياله بعد موته
أربعين سنة لا يفقد ون الا وجهه ويقال ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على أخيه خيثمة دين قال فذهب
مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق سرا وهو لا يعلم فمن حقيقة المؤاخاة فى

وقوى ظهرت مبادى اشراق نور الهداية عند سن التمييز على التدريج الى سن البلوغ (٢١٧) لكنها هداية قاصرة ترشد الى مضار الدنيا
دون الآخرة فاذا اعتضد
العقل بالشرع تلمح ما
يتعلق بالآخرة وقامت
الحرب بينهما وبين الطبع
والهوى وهو مجال والقلب
معركة هذا القتال والصبر
عبارة عن ثبات جند العقل
والشرع فى مقابلة جند
الطبع والهوى قال صاحب
مقامات العارفين الصبر
حبس النفس عن المكروه
وهو يناسب المتقى
والصابر فى الشدائد من
شأنه ان ينتظر الفرج من
الله تعالى ولا ملجأ الا الى
الله تعالى وهو من أفضل
الخدمة وهو نصف الايمان
لما فيه من مخالفة النفس
والهوى قال ابن مسعود
رضى الله عنهما الايمان
نصفان نصف صبر ونصف
شكر وأعلى مراتب
الشكر هو الذى لا يطالع
فيه الفرج لان المبتلى اذا
علم ان حبيبه هو الذى
ابتلاه لم ينظر الى الفرج من
البلاء لمشاهدته المبلى فى
البلاء ولعلمه ان البلاء يوصله
الى المحبوب والنعم ربما
تقطعه عن محبوبه قال
بعض العارفين بالله تعالى
الذى يوجب الصبر لاهل
المعارف مشاهدة المبلى فى
البلاء لان مشاهدته
تشغلهم عن الشعور فى
البلاء كما اتفق لصويحبات
يوسف عليه السلام لم يقطعن أيديهن وقد يتلذذ المبتلى بالبلاء لان مشاهدة حبيبه فيه (يصل) والصبر

الله عز وجل اخلاص المودة له بالغيب والشهادة واستواء القلب مع اللسان واعتدال السر مع العلانية في الجماعة والخلوة فاذا اختلف ذلك فهو اخلاص الاخوة وان اختلف ذلك فهو مداهنة في الاخوة ومماذقة في المودة وذلك مدخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ولا يكون ذلك مع حقيقة الايمان وقد سأل أبو رزين العقيلي النبي صلى الله عليه وسلم فشرط له أشياء منها أن يحب غير ذي نسب لا يحبه الا لله عز وجل ومن شرط المحبة في الله تعالى أن لا يكون لرحم يصلها أو لنعمة يربها كما جاء في الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا زار أخا له في الله تعالى في قرية أخرى فارصد الله تعالى على مدرجته ملكا فقال أين تريد قال أردت أخا لي في هذه القرية قال هل بينك وبينه رحم تصلها أو له عليك نعمة تربها قال لا الا أني أحببته في الله تعالى قال فاني رسول الله اليك ان الله تبارك وتعالى قد أحبك كما أحببته فيه وقد روينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن ابنه عبد الله رضي الله عنهما لو ان رجلا صام النهار لا يفطر وقام الليل وجاهد ولم يحب في الله عز وجل ويبغض في الله ما نفعه ذلك شيأ وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه أي عرى الايمان أوثق قالوا الصلاة قال حسنة وليس به قالوا الحج والجهاد قال حسنة وليس به قالوا فاخبرنا يا رسول الله قال أوثق عرى الايمان الحب في الله تعالى والبغض فيه وقد اختلف مذهب الصحابة في الاخ يحب أخاه في الله عز وجل ثم ينقلب الآخر عما كان عليه ويتغير هل يبغضه بعد ذلك أم لا فكان أبو ذر يقول اذا انقلب عما كان عليه وتغير فابغضه من حيث أحببته وروينا عن أبي الدرداء ان شابا غلب على مجلسه حتى أحبه أبو الدرداء فكان يقدمه على الاشياخ ويقربه فحسدوه وان الشاب وقع في كبيرة من الكبائر فجاؤا الى أبي الدرداء فذكروه وقالوا له لو أبعدته فقال سبحان الله لا نترك صاحبنا لشيء من الاشياء وروينا عن بعض التابعين وعن الصحابة في مثل ذلك وقد قيل له فيه فقال انما أبغض عمله والا فهو أخي وكذلك قال الله عز وجل لنبيه في عشيرته فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل قل اني بريء منكم لحمة النسب وقد قيل الصداقة لحمة كلحمة النسب وقيل لحكيم بن مرة أيما أحب اليك أخوك أو صديقك فقال انما أحب أخي اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من أخ لك لم تلده أمك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما شتم القوم الرجل الذي أتى فاحشة فقال مه وزبرهم لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم وفي أثر عن بعض العلماء في مثل زلات الاخوان قال ود الشيطان أن يلقي على أخيكم مثل هذا حتى تقطعوه وتهجروه فماذا بقيتم من محبة عدوكم وقد كان أبو الدرداء يقول اذا تغير أخوك وحال عما كان فلا تدعه لاجل ذلك فان أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى وكان يقول داو أخاك ولا تطع فيه حاسدا فتكون مثله وقال الحسن أي الرجال المهذب وقال ابراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وقال أيضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون البرآء العيب وقال سعيد بن المسيب اني لأكره أن أفرق بين المتآلفين وقال مرة بين المتحابين وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان آخاه فخرج الى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال ذاك أخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر فقال اذا أردت الخروج فآذني قال فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب قال صدق الله ونصح لي عمر قال فتاب ورجع ومن أفضل فضيلة الحب في الله تعالى انه جعل علما لوجود الايمان وقرن بحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كما في الخبر لا يؤمن عبدي حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ثم جاء مثله لا يجد العبد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لله عز وجل فمن مقتضى الحب في الله تعالى ما ذكرناه آنفا من التزاور والتباذل والتصافي لله عز وجل وفي حديث عبادة بن الصامت وقال موسى بن عقبة

على أقسام صبر على ما هو مكتسب العبد وصابر على ما ليس بمكتسب العبد والصبر على المكتسب على قسمين صبر على ما أمر الله تعالى به وصبر على ما نهى الله عنه فاما الصبر على ما ليس بمكتسب العبد فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى على ما عليه فيه مشقة قال الجنيد رحمة الله عليه المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الله تعالى شديد والمسير من النفس الى الله تعالى صعب والصبر مع الله تعالى أشد وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارات وقال بعضهم ما أكثر المبتلين وما أقل الصابرين وقال بعضهم الناس لا يصبرون على ما يحبونه فكيف يصبرون على ما يكرهونه وقال عمرو بن عثمان المكي الصابر هو الذي يثبت مع الله تعالى على أحكام الكتاب والسنة قال علي بن عبد الله البصري وقف رجل على الشبلي فقال له أي الصبر أشد على الصابرين فقال الصبر في الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله قال لا قال فاي شيء قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف قلت الصبر في الله هو الصبر على المحن والبلايا والصبر لله هو الصبر على مشقة الطاعة وعن التكلف والصبر عن الله هو ترك الاقبال على الله وترك التوجه اليه بالطاعات قال بعض المتقين الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر في المحن عنوان الفرج ورأى بعضهم صبيا جميلا يضرب شيخا بنعله قال

كنت ألقى الاخ من اخوانى مرة فاقيم عاقلا بلقائه أياما وقال جعفر بن سليمان كنت اذا وجدت فى نفسى فترة نظرت الى محمد بن واسع فاعمل على ذلك جمعة وكان محمد بن واسع يقول ما بقى فى الدنيا شئ ألذه الا ثلاث الصلاة فى جماعة والتهجد من الليل ولقاء الاخوان وكان بعضهم يقول لقاء الاخوان مسلاة للهم ومذهبة للاحزان وكان الحسن وأبو قلابة يقولان اخواننا أحب الينا من أهلينا وأولادنا لان أهلينا يذكروننا الدنيا واخواننا يذكروننا الآخرة وقال أحدهما مال الاهل والولد من الدنيا والاخوان فى الله عز وجل من آلة الآخرة وقيل لسفيان بن عيينة أى الاشياء ألذ فقال مجالسة الاخوان والانقلاب الى كفاية وفى الخبر ما زار رجل أخاه فى الله عز وجل شوقا اليه ورغبة فى لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال الحسن من شيع اخاه فى الله عز وجل بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه الى الجنة وعن عطاء قال كان يقول تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا مشاغيل فاعينوهم وان كانوا نسوا فذكروهم وكان الشعبى يقول فى الرجل يجالس الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكى وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى رجلا يلتفت يمينا وشمالا فسأله فقال يا رسول الله أحببت رجلا فانا أطلبه ولا أراه فقال يا أبا عبد الله اذا أحببت أحدا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا أعنته وعن الضحاك عن ابن عباس قيل له من أحب الناس اليك قال جليسى وكان يقول ما اختلف رجل الى مجلسى ثلاثا من غير حاجة تكون له الى فعلمت مكافاته من الدنيا وكان سعيد بن العاص يقول لجليسى على ثلاث اذا دنا رحبت به واذا حدث أقبلت عليه واذا جلس أوسعت له وقال الاحنف بن قيس الانصاف يثبت المودة ومع الكرم العشرة تطول الصحبة وكان يقول ثلاث خلال تجلب بهن المحبة الانصاف فى المعاشرة والمواساة فى الشدة والانطواء على المودة وقال أكثم بن صيفى لبنيه يا بنى تقاربوا فى المودة ولا تتكلوا على القرابة وقد قيل لابى حازم ما القرابة قال المودة فاول ما تصح له المحبة فى الله عز وجل أن لا يكون لضد ذلك من محبة لاجل معصية ولا على حظ من دنياه ولا لسبب موافقة على هواه ولا لاجل ارتفاقه به اليوم لمنافعه ومصالحه فى أحواله ولا يكون ذلك مكافاة على احسان أحسن به اليه ولا لنعمة ويعتز به عليها فهذه ليس فيها طريق الى الله عز وجل ولا للآخرة لانها طرقات الدنيا ولاسباب الهوى فاذا سلم من هذه المعانى فهذه أول المحبة فى الله عز وجل ولا يقدح فى الاخوة لله تبارك وتعالى لان هذه شبهة ثانية فيه مثل ان يحبه لحسن خلقه وفضل أدبه وحسن حلمه وكمال عقله وكثرة احتماله وصبره أو لوجود الانس به وارتفاع الوحشة منه أو للالفة التى جعل الله بينه وبينه وانما يخرجه من حقيقة الحب فى الله عز وجل ان يحبه لما يكون دخلا فى الدين ووليجة فى طرائق المؤمنين ولما انفصل عنه ولم يكن متصلا به مثل الانعام والافضال ووجود الارتفاق فهذا الحب لا يعم القلب وجده لما جبل الطبع عليه ولبغض من كان بضده ممن أساء اليه وليس باثم ولا يعصى بوجد هذه المحبة لاجل هذه الاسباب المعروفة كما انه اذا أساء اليه وجد بغضه لا يأثم ما لم يخرجه البغض الى مجاوزة حد باعتاب حكم الا ان هذه محبة النفس بالطبع وانما يفضل المرء بمحبة القلب لاجل الله عز وجل والبغض فيه فى شئ وان كان مباحا لانه يحول ويزول وكل محبة تكون عن عوض اذا ذهب العوض زالت المحبة ومعنى الحب فى الله عز وجل والبغض فيه لا ينقلب لسبب حب جبل فى الطبع لمنافع الدنيا ولا لاجل بغض فى النفس لمضارها وحقيقة الحب فى الله عز وجل ان لا يحسده على دين ولا دنيا كما لا يحسد نفسه عليهما وان يؤثره بالدين والدنيا اذا كان محتاجا اليهما كنفسه وهذان شرطا الحب فى الله عز وجل اللذان ذكرهما الله تعالى فى قوله يحبون من هاجر اليهم ثم وصف محبتهم اذ كان يصف حقا ويمدح صدقا فقال ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا يعنى من دين ودنيا والحاجة فى هذا الموضع الحسد أى كما لا يجدون فى صدورهم حاجة لانفسهم حسدا ثم قال عز وجل فى الشرط الثانى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فهذا فصل الخطاب

فقالت له الاسمى نضرب بنهاك شجانا مثل هذا فقال لى الشاب بحريته عظيم فقلت وباهى فقال هذا شيخ جوالى ومنذ ثلاث مارآنى وقال بعضهم رأيت ببلاد الهند رجلا بطرد عين يسمى فلانا الصبور فسألت فقيل لى هذا فى عنفوان شبابه سافر صديق له فخرج فى وداعه فدمعت احدى عينيه ولم تبك الاخرى فقال لعينه التى لم تدمع لم لا تدمعى على فراق صاحبى لاحرمنك النظر الى الدنيا فغمض عينه فمنذ ستين سنة لم تفتح عينه

*(فصل)* والصبر من مقامات الدين ومنازل السالكين وهو على ثلاث مقامات أوله ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهو درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهى درجة الصديقين لان مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا أعلى من مقام الصبر والصبر يكون فى ثلاثة أشياء أحدها الصبر على محارم الله والثانى الصبر على اتباع أمر الله والثالث الصبر عند المصائب احتسابا لله والصبر ينقسم الى فرض ونفل فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكروهات نفل قال سهل بن عبد الله الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولهذا قال بعض الصحابة لما فتحت عليهم أموال الدنيا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر وكثير من الصحابة صبر على الفتنتين فتنة الضراء وفتنة السراء قال بعض أهل المعرفة البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافى لا يصبر عليها

و جملة تحت الاحباب فينبغي ان يؤثر أخاه بنفسه وماله ان احتاج الى ذلك فان لم يكن في هذه المنزلة وهو مقام الصديقين فيساويه في ماله وهذا من مقام الصادقين وهذا أقل منازل الاخوة وهو من أخلاق المؤمنين وانما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الغني والفقير ليساوي الغني الفقير فيعتدلان و ينبغي ان يقدمه على أهله وولده وان يحبه فوق محبتهم لان محبة أولئك من الدنيا والنفس والهوى ومحبة الاخوان من الآخرة لله تبارك وتعالى وفي الدين وأمور الدين والآخرة مقدم عند المتقين وكان عبد الله بن الحسن البصري يعرف اخوان الحسن اذا جاؤه لطول لبثهم عنده ولشدة شغله بهم فيقول لهم لا تملوا الشيخ فكان الحسن اذا علم ذلك يقول دعهم يا لكع فانهم أحب الي منكم هؤلاء يحبوني لله عز وجل وأنتم تريدوني للدنيا وقال أبو معاوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك قال كلهم يرى الفضل لي عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه وكان الاعمش يقول من أخلق عنا بدءه لم يخف منا ألفته أي ينظر الى اخوانه الذين يألفهم فيستدل عليهم وقد روى الاصمعي عن مجاهد عن الشعبي قال قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لرجل وكره صحبة رجل رهق فقال شعر

لا تصحب أخا الجهول ✲ واياك واياه ✲ فكم من جاهل أردى ✲ حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء ✲ اذا ما هو ماشاه ✲ وللشيء من الشيء ✲ مقاييس واشباه
وللقلب على القلب ✲ دليل حين يلقاه

وأنشد محمد بن جامع الفقيه شعرا

تذلل لمن ان تذللت له ✲ يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال ✲ على الاصدقاء يرى الفضل له

وأنشدنا لبعض الادباء

كم من صديق عرفته بصديق ✲ صار حظي من الصديق العتيق
ورفيق رأيته في طريق ✲ صار عندي هو الصديق الحقيق

وروينا عن الحسن بن علي عليهما السلام في وصف الاخ كلاما موجزا باه مختصرا

ان أخاك الحق من كان معك ✲ ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك ✲ شتت شمل نفسه ليجمعك

ولا تصح مؤاخاة مبتدع في الله تعالى ولا محبة فاسق يصحب على فسوقه ولا محبة مقبر أحب غناه لاجل دنياه ولا ما يناله من عاجل مهناه وقد تصح المحبة بين الغني والفقير وتوجد الاخوة ان لم يقم الغني بحقوق أخيه اذا آثر أخوه بما يحب ان يؤثر به فلم يفعله وقد تصح الاخوة بين العالم والجاهل و بين الصالح والطالح لاجل التدين من أحدهما والتقربة الى الله عز وجل و يكون من الاعلى منهما النيات تكون له فيها لحسن خلقه أو لجميل معاملته أو لمعان محمودة تكون فيه لان لكل مؤمن حد يدا من عمله يرجى له به والمؤمن لا يملك كله ولا يذهب جملة واحدة أو لاشفاقه عليه أو لتواضع العالم والصالح في نفسه فيراه في كل حال فوقه أو لاجل الستر عليه لئلا يلحقه النقص والشين من الغير فهذه طرقات الاخوان فيها حسن نيات وينبغي على ذلك ان تعلمه ما يجهل مما هو به أعلم فيعينه بعلمه كما يعينه بماله فان فقر الجهل أشد من فقر المال وان الحاجة الى العلم ليست بدون الحاجة الى المال وكان الفضيل يقول انما سمي الصديق لتصدقه والرفيق لترفقه فان كنت أغنى منه فارفقه بمالك وان كنت أعلم منه فارفقه بعلمك و ينبغي ان ينصح له فيما بينه وبينه ولا يوبخه بين الملا ولا يطلع على عيبه أحدا فقد قيل ان نصائح المؤمنين في آذانهم وقال جعفر بن برقان قال لي ميمون بن مهران قل لي في وجهي ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره فان كان أخوه الذي نصح له صادقا في حاله أحبه على نصحه فان لم يحبه وكره ذلك منه دل على كذب الحال قال الله سبحانه وتعالى في وصف الكاذبين ولكن لا تحبون الناصحين وقد كان بعض الصالحين يقول أحب الناس الي من أهدى عيوبي وقد

الاصد يقدر وقال خباب بن الارت رضي الله عنه قال شكونا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ما كان من الجهد مع الكفار وما يصيبنا من البلايا والعذاب من المشركين وقلنا له الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض حفرة فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه فيجعل نصفين و يمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك من دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قال ابراهيم الخواص هرب أكثر الخلق من حمل اثقال الصبر والتجؤا الى الطلب والاسباب واعتمدوا عليها كانها لهم أرباب

* (فصل) * والصبر يكون على فعل الطاعات وعلى ترك المعاصي كما قدمناه ذكره لان الافعال والتروك شاقة على النفس فتحتاج الى الصبر عليها وتحمل المشاق فيها ويكون الصبر على ترك المصائب والنوائب كما قدمناه ومن لم يقدر على الصبر عن المنهيات فيجب عليه العزلة والانفراد فلا يصحبه غيرها فالصبر على الانفراد أهون عليه من الصبر على فعل المنهيات والعزلة تقطع عنه هذه الاشياء ولا تبقى عليه الا حديث النفس ولا يمكن الصبر عنه أصلا الا بان يغلب على القلب هم آخرة الدين بترقه لكن أصبح وهمومه كلها هم

كان

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول و يأمر الاخوان بذلك رحم الله امرأ أهدى الى أخيه عيوب نفسه
ولكن قد قيل لمسعر بن كدام تحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني و بينه فنعم وان قرعني في
الملأ فلا ومن اخلاق السلف قال كان الرجل اذا كره من أخيه خلقا عاتبه فيما بينه و بينه أو كاتبه في صحيفة
وهذا لعمري فرق بين النصيحة والفضيحة فما كان في السر فهو نصيحة وما كان على العلانية فهو فضيحة
وقلما تصح فيه النية لوجه الله تعالى لان فيه شناعة وكذلك الفرق بين العتاب والتوبيخ ما العتاب
ما كان في خلوة والتوبيخ لا يكون الا في جماعة ولذلك يعاتب الله عز وجل رجلا من المؤمنين يوم القيامة
تحت كنفه و يسبل عليه ستره فيوقفه على ذنوبه سرا ومنهم من يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين
يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا دخول الجنة دفعوا اليهم الكتب مختومة فيقرؤنها وأما أهل التوبيخ
فينادون على رؤس الاشهاد فلا يخفى على أهل الموقف فضيحتهم فيزداد ذلك في عذابهم وكذلك الفرق بين
المداراة والمداهنة فالمداراة ما أردت به وجه الله تعالى وطريق الآخرة من دفع عن دين وقصدت به سلامة
أخيك من الاثم وصلاح قلبه لله تبارك وتعالى والمداهنة ما جنابت به دنيا أو أردت به حظ نفسك وكذلك
الفرق بين الغبطة والحسد ان الغبطة ان تحب لنفسك ما رأيته من أخيك ولا تحب زواله عنه بل تبقيته له
واتمامه عليه والحسد ما أردت أن يكون ذلك منه لك وأحببت زواله عنه وكرهت تبقيته عليه فهذا مكروه
فان سعيت في ذلك بقول أو فعل فهو البغي زيادة على الحسد وهو من كبائر المعاصي وكذلك الفرق بين
الفراسة وسوء الظن ان الفراسة ما توسمته من أخيك بدليل يظهر لك أو شاهد يبدو منه أو علامة تشهدها
فيه فتتفرس ذلك فيه ولا تنطق به ان كان سوأ ولا تظهره ولا تحكم عليه ولا تقطع به فتأثم وسوء الظن ما ظننته
من سوء رأيك فيه أو لاجل حقد في نفسك عليه أو لسوء نية تكون أو خبث حال فيك تعرفها من نفسك
فتحمل حال أخيك عليها وتقيسه بك فهذا هو سوء الظن والاثم وهو غيبة القلب وذلك محرم لقول النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وان تظن به ظن السوء وقوله عليه السلام
اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث فهذه خمس معان واضدادها بينها فرق عند العلماء فاعرف ذلك
و ينبغي ان ينصر أخاه و يعينه بماله ولسانه وقلبه وافعاله فان النصر في الله تعالى تكون بهذه المعاني
الاربع بالنفس ان احتاج اليه لك في الافعال وباللسان ان ظلم في المقال و بالمواساة ان احتاج الى المال
وأقل ذلك بالقلب ان يساعده في الهم والكرب في اعتقاد السلامة وجميل النية وعليه ان يحفظ
غيبه وان يحسن الثناء عليه و ينشر فضله و يطوي زلله و يقيل عثرته و يقال ما من الناس أحد الا له محاسن
ومساو فمن ظهرت محاسنه فغلبت مساويه فهو المؤمن المقتصد فالاخ الشفيق الكريم يذكر أحسن ما يعلم
في أخيه والمنافق اللئيم يذكر أسوأ ما يعلم فيه ومن هذا جاء في الخبر استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان رأى
خيرا ستره وان رأى شرا اظهره وهذا المعنى هو سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا اذ
لكل حديث يروى آخر وسبب يكون أوله خرج الحديث عليه وهو ان رجلا أثنى على رجل عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد ذمه وعابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت بالامس تثني عليه واليوم
تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم انه أرضاني بالامس فقلت أحسن ما علمت فيه
واغضبني اليوم فقلت أسوأ ما علمت فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان من البيان سحرا كأنه
كره ذلك ان شبهه بالسحر لان السحر حرام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الخبر الآخر البذاء والبيان
شعبتان من النفاق وفي الحديث الآخر ان الله تعالى كره لكم البيان كل البيان وقد قال الامام
الشافعي رحمه الله في وصف العدالة قولا استحسنه العلماء وحدثنا عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال
سمعت الشافعي يقول ما أحد من المسلمين يطيع الله عز وجل حتى لا يعصيه ولا أحد يعصي الله عز وجل
حتى لا يطيعه فمن كانت طاعاته أكثر من معاصيه فهو العدل قال ابن عبد الحكم وهذا كلام الحذاق وقال

---

واحد كما قال داود الطائي همك عطل على الهموم وحال بيني وبين السهاد واعلم ان أعظم الصبر الصبر على أذى الناس قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى واعلم ان الانسان يخرج عن مقام الصبر بالجزع والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم فينبغي تجنب ذلك و يظهر الرضا بقضاء الله و يبقى مستمرا على عادته وقيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرجه عن الصبر مقتضى البشرية من فيضان الدمع وتوجع القلب

*(فصل فيما يستعان به على الصبر)* اعلم انه يستعان على الصبر بارواء الشهوات المحرمة يستعان على الصبر عنها بالصارف عنها وهو النظر في وعيد العصاة والزجر والتهديد و يستعان على الصبر عنها أيضا بتقوية باعث الدين والصوم وهجر الاطعمة المهيجة للشهوة والعزلة وتجنب النظر الى رؤية الصور والجملة المحركة للشهوة وتسلية النفس بالمباح من جنسها فان كان ما يشتهيه الطبع وفي المباحات منه ما يغني عن المحظور ولا بد مع ذلك من صرف الفكرة عن ذلك المشتهى والاشتغال عنه بالاذكار والاوراد ونحوها من الطاعات وكف الباطن عن حديث النفس فيه وأما المباحات فيستعان على الصبر عنها بعلمه بما يفوته من عظيم الاجر بتعاطيها وكلما قوي الصارف عن الشيء سهل الصبر على تركه وذلك لضعف المعارضة وسائر فعل

أيضا ولا تصلا في التوسط بين الانقباض والانبساط حدثنا عنه قال الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين الانقباض والانبساط وقد وصف الله تعالى المؤمنين بالصبر والرحمة في قوله عز وجل وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ونعتهم بالذلة في قوله تعالى اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقال تعالى رحماء بينهم وهذا كله داخل في الاهتمام به وهو حقيقة صدق الصداقة كما قال ولا صديق حميم أي همهم من الاهتمام به وقد قال عيسى عليه السلام لاصحابه كيف تصنعون اذا رأيتم أخاكم نائما فكشفت الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه فقال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال أحدكم يسمع في أخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها وهذا مخرجه من الحسد الكائن في النفس والغل المستكن في القلب ان يزيد الرجل على الشيء مما يسمع أو ينبه بمثله فيظهر هذا فله وهذا الذي استعاذ منه المؤمنون في قولهم ولا تجعل في قلوبنا غلا الآية وينبغي ان لا يخالفه في شيء ولا يعترض عليه في مراد قال بعض العلماء اذا قال الاخ لاخيه قم بنا فقال الى أين فلا تصحبه وقال الآخر اذا قال اعطني من مالك فقال كم تريد أو ماذا تصنع به لم يقم بحق الاخاء قال أبو سليمان الداراني كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب فاقول اعطني من مالك شيئا فكان يلقي الى كيسه فآخذ منه ما أريد فجئته ذات يوم فقلت أحتاج الى شيء فقال كم تريد فخرج حلاوة اخائه من قلبي وعن ابن عمر وأبي هريرة لم يكن أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه ورويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم وفي حديث علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته وفي حديث أبي أمامة الباهلي خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب ثم قال ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فان نفعه قليل وهو يهيج العداوة بين الاخوان وقال بعض السلف من لاحى الاخوان وماراهم قلت وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن اياك ومعاداة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم وقال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيدك لطف الحقد الا وحشة منه وقد روينا ان الحقد على الاخوان الفتنة شديدة وهو ماحدثوناه عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال كنت باليمن وكان لي جار يهودي ويخبرني عن التوراة فقدم علينا يهودي من سفر فقلت ان الله تبارك وتعالى قد بعث فينا نبيا فدعانا الى الاسلام فاسلمنا وقد نزل علينا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به انا نجد نعته ونعت أمته انه لا يحل لامرئ يعلم منهم أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه المسلم وقال بعض السلف أعجز الناس من قصر في طلب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل وقال عمر بن عبد العزيز اياك ومن مودته على قدر حاجته اليك فاذا قضيت حاجته انقضت مودته ومن أخلاق السلف قال لم يكن أحد منا يقول في رحله هذا لي وهذا لك بل كان كل من احتاج الى شيء استعمله عن غير مؤامرة وقد وصف الله عز وجل المؤمنين بهذا في قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون معنى أمرهم أي أمورهم ذكر جماعها كالشيء الواحد بينهم شورى أي مشاع غير مقسوم ولا يستبد به واحدهم فيه سواء ومما رزقناهم ينفقون أي كانوا خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم رحله من بعض أي شركاء وجاء عتبة الغلام الى منزل رجل كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك الى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فاعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله عز وجل أما استحيت أن تدعي الاخوة في الله عز وجل وتقول هذا وجاء فتح الموصلي الى منزل أخ له وكان غائبا فامر أهله فاخرجت صندوقه ففتحه فاخذ من كيسه حاجته فذهبت الجارية اليه فاعلمته فقال ان كنت صادقة فانت حرة لوجه الله

الطاعات يستعان على الصبر عليها بالعلم بما للطاعة من الثواب وكثرة الاجور وأما البلايا والمحن فهي تتفاوت على حسب تعلق القلوب بالأسباب وغفلتها عن المبتلي المحض والقلوب اذا أنست بالعافية واعتادت السلامة وندرت فيها البلايا استكثرتها عند نزول الرزايا واذا تكرر عليها الامتحان وصبرت عليه في أوائل الصدمات تعودت الصبر فهان عليها أمره لقوة المعرفة بفوائد الصبر فلا يزال أمر الصبر يخف على قلبه حتى ينقله الى درجة الرضا والتسليم واعلم انا قد ذكرنا ان الصبر منه ما هو واجب ومنه ما هو مندوب وان الواجب هو الصبر على فعل الواجب وترك الحرام والمندوب منه الصبر على ترك الشهوات المكروهات والمباحات وعلى فعل المندوبات وقدمنا أيضا ان الاسباب المهمة له وهي علم القلب برؤية المبتلي الآمر الناهي بقوة اليقين وتحقيق الوعد والوعيد وان الصبر من ثمرات الوعد والوعيد فمن تحقق الوعد والوعيد هان عليه الصبر وتحمل المشاق ومما يهون الصبر العلم بعدم فائدة الجزع والقلق وعدم جوازه اذا المقدور كائن لا يرفعه الجزع ولا يدفعه القلق قال بعض أهل البصائر الصبر وان كان يجرع المرارات فهو محمود العاقبة فمن صبر على تلوع السفاهة سلم من تصريعها وقال بعض أهل المعارف أربعة توصلك الى أربعة الصبر يوصلك الى ما تحبه والجد يوصلك الى ما تطلبه والزهد يوصلك التقوى والقناعة توصلك تعالى

تعالى سرورا بما فعل وروى ان ابن أبي شبرمة قضى لبعض اخوانه حاجة كبيرة فجاءه الرجل بهدية جليلة فقال ما هذا فقال لما أسديت الى فقال خذ مالك عافاك الله اذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده في الموتى وعلى ذلك قال بعضهم اذا استقضيت أخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله يكون قد نسي فان لم يقضها فعاوده ثالثة فقد يكون شغل عنها بعذر فان لم يقضها فكبر عليه واقرأ عليه هذه الآية والموتى يبعثهم الله وقال ميمون بن مهران من رضي من الاخوان بترك الافضال فليواخ أهل القبور وجاء رجل الى أبي هريرة فقال اني أريد أن أواخيك في الله عز وجل فقال أتدري ما حق الاخاء قال عرفني قال لا تكون بدرهمك ودينارك أحق مني قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل أحد كم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد من غير اذن قال لا قال فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن فقالوا له أصليت يا أبا سعيد قال نعم قالوا فان أهل السوق لم يصلوا بعد فقال ومن يأخذ دينه عن أهل السوق بلغني ان أحدهم يمنع أخاه الدرهم وقال محمد بن نصر جاء رجل الى ابراهيم بن أدهم وهو يريد بيت المقدس فقال له اني أريد أن أرافقك فقال له ابراهيم على أن أكون أملك بشيئك منك قال لا قال فأعجبني صدقك وقال موسى بن طريف كان ابراهيم ابن أدهم اذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وبلغني ان رجلا شرا كا صحبه في سفر فأهدى الى ابراهيم قصعة من ثريد في بعض المنازل فأراد أن يرد القصعة فأخذ جرابه ورد قطيفته وأخذ من متاع شريكه فجعله في القصعة ثم دفعها الى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال أين الشرك قال تلك القصعة الثريد التي أكلتها أي شيء كانت قال وكنت تعطيه شرا كين ثلاثة قال أسمح يسمح لك وبلغني انه أعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه لرجل رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت فلم يكره ذلك وقد روى من عون بن عبد الله قال قال ابن مسعود لا تسأل امرأ عن وده اياك ولكن انظر ما في قلبك فان في قلبه لك مثل ذلك وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن مروأة الحضر الادمان الى المساجد وكثرة الاخوان في الله عز وجل ومروأة السفر بذل الزاد وقلة الخلاف على اخوانك وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق أهل البيت قال ثلاث من المروأة في الحضر تلاوة كتاب الله عز وجل وعمارة مساجده واتخاذ الاخوان في الله تعالى فمن فضل المؤاخاة في الله تعالى انه قرنها بتلاوة كتابه وعمارة بيوته وقد جعل الاختلاف الى المسجد سبب اجتلاب الاخاء وفي حديث ابن عباس والحسن بن علي من أدمن الاختلاف الى المسجد أصاب احدى خمس خصال أخا مستفادا في الله عز وجل وقال أبو عيينة وقد أنشد هذا البيت

وجدت مصيبات الزمان جميعها * سوى فرقة الاخوان هينة الخطب

فقال لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما تخيل لي ان حسرتهم ذهبت من قلبي وقال بعضهم ما هدني شيء ما هدني موت الاقران ويقال اذا مات صديق الرجل فقد فقد عضوا من أعضائه وأنشدونا عن العتبي

ولقد بلوت الناس ثم خبرتهم * ووصلت ما قطعوا من الاسباب

فاذا القرابة لا تقرب قاطعا * واذا المودة أقرب الانساب

وبلغني ان أخوين ابتلي أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه وقال اني قد اعتللت بالهوى فان شئت أن لا تعقد على محبتي لله تعالى فافعل فقال ما كنت لأحل عقدات وتلك لأجل خطيئتك أبدا قال ثم عقد أخوه بينه وبين الله عز وجل أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله عز وجل أخاه من هواه قال فطوى أربعين يوما في كلها يسأله عن هواه كيف أنت منه فكان يقول القلب مقيم على حاله قال وما زال أخوه الآخر ينحل ويسقم من الغم عليه ومن تركه الطعام والشراب قال فأزال الله الهوى عن قلب أخيه بعد الاربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد ان كاد يتلف هزلا وضرا وبمعناه حدثت عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه ألا تقطعه وتهجره فقال هو أحوج ما كان الى في هذا الوقت لما وقع في عثرته ان

الى الغي واعلم ان الصبر على المصائب أفضل من الصبر على المعاصي اذ الألم في ترك المعاصي بخلاف المصائب ولان الصبر على المعاصي يكون في الغالب عن مشاهدة الوعيد والصبر على المصائب يكون عن مشاهدة القضاء والقدر والقضاء والقدر من الايمان بالله والوعد والوعيد من الايمان لله والايمان بالله أفضل من الايمان لله قلت الفرق بين الايمان بالله وبين الايمان لله هو أن الايمان بالله عبارة عن التصديق بربوبيته ووحدانيته وسلطانه ونعوته الى التصديق بأنبيائه ورسله والايمان لله هو القبول لأمره ونهيه وأحكامه والاقبال على العمل بها وقد تقدم بيان هذا واعلم ان الصبر عن الشهوات والمعاصي يختلف في أسبابه فمنهم من يصبر عنها خوفا من العقوبة ومنهم من يصبر عنها حياء من الله تعالى وأما البلايا فمنهم من يصبر عنها طلبا للثواب ومنهم من يصبر عنها حياء من المبتلي وهو الله تعالى وكذا الصبر على عمل الطاعات قد يكون عن رغبة في المثوبة وقد يكون حياء من الله تعالى وهذه الاقسام شملها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا يعني في البلاء وصابروا يعني عن المعصية ورابطوا يعني على الطاعة

*(فصل)* قال العلماء بالله الصابر له ثلاث درجات بحسب ما أعطاه الله تعالى من القوة والملكة فالدرجة الاولى وهي العليا ان تقمع داعية الهوى وتقهرها بالكلية حتى لا تبقى لها قوة المنازعة ويتوصل اليها بدوام الصبر

أخذ بيده وأتلطف له في المعاتبة وأدعوه بالعود الى ما كان عليه وفيما روينا من الاسرائيليات ان أخوين عابدين في جبل نزل أحدهما ليشتري من المصر لحما بدرهم فرأى بغيا عند اللحام فرمقها وعشقها واجتذبها الى خلوة وواقعها ثم أقام عندها ثلاثا واستحيى أن يرجع الى أخيه من جنايته قال فافتقده أخوه واهتم بشأنه فنزل الى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه فدخل عليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه قط استحياء منه فقال قم يا أخي فقد علمت بشأنك وقصتك وما كنت أعز علي وأحب منك في يومك هذا ولا ساعتك هذه فلما رأى ذلك لا يسقطه من عينه قام فانصرف معه فهذا من أحسن الثبات وهو طريق العارفين من ذوي الآداب والمروآت فان أحب هذا الاخ أن يؤثر أخاه بما آثره به ولا يقتضيه حق انسانه بنفسه فقد فعل ذلك عبد الرحمن بن عوف لما آثره سعد بن الربيع بالمال والنفس فقال بارك الله لك فيهما فآثره بما آثره فكأنه استأنف قبوله لانه قد كان ملكهما بالسخاء وتنفسه حقيقة زهده وصدق مودته فكانت المساواة لسعد والايثار لعبد الرحمن فزاده عليه وهذا من فضل المهاجرين على الانصار اذ كانت المساواة دون الايثار وقد كان فضيل بن عياض وسليمان يقولان من أحب رجلا ثم قصر في حقه فهو كاذب في حبه وكان أبو سليمان الداراني يقول هو صادق في حبه مفرط في حقه ثم قال لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من اخواني لاستقللتها وقال اني لالقم اللقمة الأخ من اخواني فأجد طعمها في حلقي واعلم أن اطعام الطعام والانفاق على الاخوان مضاعف على الصدقة على الغرباء والاجانب بمنزلة تضعيف الثواب في الاهل والقرابات وروي عن علي عليه السلام لعشرون درهما أعطيها أخي في الله عز وجل أحب الي من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين وقال أيضا لان أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه اخواني في الله عز وجل أحب الي من ان أعتق رقبة وأوصى بعض الحكماء ابنه فقال يا بني ادخل بين الاعداء ولا تدخلن بين الاصدقاء قال وكيف ذلك قال الدخول بين الاعداء يكسب الصداقة والدخول بين الاصدقاء يورث العداوة ولا ينبغي للاخ أن يغتاب أخاه في غيبته بما يكرهه ان كان ذلك في شيء مباح اذا كرهه ولا ينكر عليه ما لا يقوم في علمه اذا فعله ان كان أخوه أعلم منه أو كان له وجه يخرج عليه ولا ينبغي أن يكذب في أمره ولا يفشين له سرا ولا يعرضنه لغيبة ولا نميمة ولا يحوجه الى مداراة ولا يلجأ الى اعتذار ولا يتكلفن له ما يشق عليه أو ما لا يحبه هو منه وقال العباس لابنه عبد الله اني أرى هذا الرجل يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدمك على الاشياخ ويقربك دونهم فاحفظ عني ثلاثا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا يجربن عليك كذبة وفي بعض الروايات ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة قال فقلت للشعبي وقد رواه كل كلمة خير من ألف قال كل كلمة خير من عشرة آلاف وأفشى بعضهم الى أخيه سرا ثم قال له حفظت قال بل نسيت وقيل لبعض الادباء كيف حفظك السر قال أنا قبره وقيل لآخر كيف تحفظ السر فقال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر ومن أحسن ما سمعت في حفظ السر ما حدثني بعض أشياخنا عن اخوانه دخلوا على عبد الله بن المعتز فاستنشدوه شيأ من شعره في حفظ السر فأنشدهم على البديهة

ومستودعي سرا تبوأت كتمه * فأودعته صدري فصار له قبرا

قال نفر جنا من عنده فاستقبلنا محمد بن داود الاصبهاني فسألنا من أين جئنا فأخبرناه بما أنشدنا ابن المعتز في السر فاستوقفنا ثم أطرق مليا ثم قال اسمعوا قولي

وما السر في صدري كثاو بقبره * لاني أرى المقبور ينتظر النشرا

ولكنني أنساه حتى كأنني * بما كان منه لم أحط ساعة خبرا

ولو جاز كتم السر بيني وبينه * عن السر والاحشاء لم تعلم السرا

وقال علي عليه السلام شر الاصدقاء من أحوجك الى مداراة وألجأك الى اعتذار وقال أيضا شر الاصدقاء من تكلف له وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له ما لا يفعله كل واحد

فيكون المجاهد كنفوس الذين قال الله تعالى فيهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهم الذين ناداهم بقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الدرجة الثانية وهي الوسطى ان لا يفتر عن المجاهدة والمحاربة ولكن يكون الحرب بينهما سجالا تارة يكون الظهور لداعية الهوى وتارة يكون لداعي الطاعة وهذا من المجاهدين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وهذا هو الجهاد الاكبر قال عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه والمهاجر من هجر السوء واعلم انه كان للصحابة جهادان وهجرتان فالجهاد الاول جهاد الكفار على الايمان بالله تعالى وتوحيده واعلاء كلمة الدين والجهاد الثاني جهاد النفس وأما الهجرة الاولى فالهجرة من أرض الكفر الى أرض النبوة والهجرة الثانية هجرة السوء وأما نحن فالجاهد منا من جاهد نفسه والمهاجر من هجر السوء الدرجة الثالثة وهي السفلى أن تقوى داعية الهوى ويسلم القلب لجند الشيطان وهذا المسكين من الذين قال الله فيهم ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين قد صار عقله أسير الهوى وشهوته

*(فصل)* وأما الشكر فقال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وسئل الجنيد رحمة الله عليه عن الشكر قال ان لا يعصى الله بنعمه وقال رويم استفراغ الطاقة وقال أبو عثمان الشكر العجز عن الشكر وقال بعضهم

منهمله منزله فيحشمه ذلك من الرجوع اليه ورويناه عن عائشة رضي الله عنها المؤمن أخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه وروينا في الانبساط الى الاخوان شيأ استطرفته ولولا انه جاء عن امام ما ذكرته حدثنا الحرث بن محمد عن ابراهيم بن سعيد الجوهري قال أهدى لهشيم فرو كثير الثمن فقال اذهب بها الى سعيد الجوهري فقل له هذه فرو جاء به هشيم اشترها له قال فذهب بها اليه فاشتراها ثم بعث بها الى هشيم فصارت له ودراهمها وقال علي بن المديني قال أحمد بن حنبل اني أحب أن أصحبك الى مكة وما منعني من ذلك الا أني أخاف أن أملك أو تملني لانه يقال ان ملل الاخوان ليس من أخلاق الكرام وقال مكحول قلت للحسن اني أريد الخروج الى مكة فقال لا تصحبن رجلا يكرم عليك فينقطع الذي بينك وبينه وكان أبو عمرو بن العلاء يقول يستحسن الصبر من كل شيء الا عن الصديق وقال يستحب للمتواخيين في الله عز وجل ان يلتقيا كل يوم مرتين وقال أنس ابن مالك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتماشون فاذا استقبلهم صخرة أو أكمة فرقت بينهم فالتقوا من ورائها سلم بعضهم على بعض وقال الحسن وأبو قلابة ليس من المروءة أن يربح الرجل على صديقه وقال ابن سيرين لا تكرم أخاك بما يشق عليه وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يتجالس المتجالسان بالامانة فلا يحل لاحدهما أن يفشي على أخيه ما يكره وخرج ابن المبارك في سفر فصحبه قوم فقال لهم ان أنكر أحد منكم شيأ فليضربني فلما أرادوا ان يتفرقوا قال لهم هل أنكرتم مني شيأ فقال شاب منهم انا قال وما أنكرت قال لم أرك تستاك فقال وعلمت هل يستاك الرجل بين يدي صديقه وكان بشر بن الحرث يقول لا تخالط من الناس الا حسن الخلق فانه لا يأتي الا بخير ولا تخالط سيء الخلق فانه لا يأتي الا بشر وقال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقال عمرو بن دينار زهدك في راغب فيك نقص حظ ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس وكان ابن سيرين يقول يحتمل الرجل لاخيه الى سبعين زلة ويطلب له المعاذير فان أعياه ذلك والا قال لعل لاخي عذرا غاب عني وقال الثوري اذا أردت ان تؤاخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك فان قال خيرا فاصحبه وقال غيره لا تواخين أحدا حتى تبلوه وتفشي اليه سرا ثم اجفه واستغضبه وانظر فان أفشاه عليك فاجتنبه وقيل لابي يزيد من أصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله عز وجل ويستر عليك ما يستر الله تعالى وكان ذو النون يقول لا تصحب الا من لا يتغير عليك في صحبة من لا يحب ان يراك الا معصوما وقيل لبعض العلماء من نصحب من الناس قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقد كان جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي وأتحفظ منه وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي يريدون بهذا كله ان من لم يكن على هذه الاوصاف دخل عليه التصنع والتزين فأخرجاه الى الرياء والتكلف فذهبت بركة الصحبة وبطلت منفعة الاخوة وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص باثم ومن يتوب عنك اذا أذنبت ويعتذر اليك اذا أسأت ويحمل عنك مؤنة نفسه ويكفيك مؤنة نفسك وهذه من أعز الاوصاف في هذا الوقت كما قال رجل للجنيد قد عز في هذا الزمان أخ في الله تعالى قال فسكت عنه ثم عاد ذلك فقال له الجنيد اذا أردت أخا في الله عز وجل يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمري قليل وان أردت أخا في الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه فعندي جماعة أدلك عليهم ان أحببت فهذا لعمري يكون محبا لنفسه اذا اقتضى هذا من أخيه لا محبا للاخ في الله تعالى وليس الاخاء كف الاذى لان هذا واجب ولكن الاخاء الصبر على الاذى وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصطحبون الا على

الشكر الثناء على المحسن بذكر نعمه واحسانه وقال بعض المحققين الشكر هو العجز عن الشكر وهذا الشكر الذي أشار اليه هذا القائل هو شكر العارفين قال عليه الصلاة والسلام سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك والشكر من المقامات العالية وهو أعلى من الصبر والخوف والزهد لانها ليست مقصودة في نفسها وانما تراد لغيرها فالصبر يراد منه قهر النفس والهوى والخوف سوط يسوق الخائف الى المقامات المقصودة المحمودة والزهد هرب من العلائق الشاغلة عن الله تعالى وأما الشكر فمقصود في نفسه وكذلك لا ينقطع في الجنة وليس في الجنة توبة ولا خوف ولا صبر ولا زهد والشكر دائم في الجنة وكذلك قال الله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والشكر يكون بالفعل والقول والاعتقاد والنية والشكر بالقول وبالفعل يكون بالقلب وبالجارحة الظاهرة وهو ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم يورث الحال والحال يورث العمل فاما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه وأما العمل فهو القيام بما هو مقصود المنعم وذلك العمل يكون بالقلب وبالجوارح واللسان كما تقدم ذكره قال ابراهيم الخواص شكر العوام على المطعم والملبس وشكر الخواص على واردات القلوب والشكر واجب لقوله تعالى واشكروا لي ولا تكفرون والشكر من المقامات العالية كما قد ذكرنا من قبل ولعلو مرتبته طعن ابليس في الخلق بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين والشكوى تشين الشكر بل تذهبه فمن سئل عن حاله فشكا فهو عاص لانه شكا ملك الملوك الى عبد ذليل لا يقدر على شيء *(وصل)* والشكر ينقسم الى أقسام فينقسم بحسب الجوارح الى شكر بالقلب وشكر القلب هو التوحيد والمعرفة والمحبة والفكر والذكر وحسن النية وترك الطوارق الرديئة قيل دخل رجل

استواء أربع معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض بان أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحب صم وان صلى الليل اجمع لم يقل له أحد نم بعضه وتستوى حالاته عنده فلا مزيد لاجل صيامه وقيامه ولا نقصان لاجل افطاره ونومه فاذا كان عنده يزيد بالعمل و ينتقص بترك العمل فالفرقة أسلم للدين وأبعد من المراياة من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومبتلاه بان تربح حالها التى عرفت به وان تظهر أحسن ما يحسن عند الناس منها فان صحب من يعمل معه هذا فليس ذلك بطريق الصادقين ولا بغية المخلصين فمجانبة هؤلاء الناس أصلح للقلب وأخلص للعمل وفى معاشرتهم وصحبة أمثالهم فساد القلوب ونقصان الحال لان هذه أسباب الرياء وفى الرياء حبط الاعمال وحسن رأس المال والسقوط من عين ذى الجلال نعوذ به سبحانه وتعالى من ذلك وكان الثورى رحمه الله تعالى يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيهلك كما هلكوا وكان بعض الناس يقول لا تؤاخ من الناس الا من لا يتغير عليك فى أربع عند غضبه و رضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعانى تتغير لها الطباع لدخول الضرر منها على النفس وفقد الانتفاع وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من كان على هذا الوصف يكتم سرك و يستر برك و يطوى عيبك ويكون فى النوائب معك وفى الرغائب يؤثرك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقد أنشدنا بعض العلماء لبعض الادباء فى معنى هذه الاوصاف

وندمان أخى ثقة * كان حديثه خبره * يسرك حسن ظاهره
وتحمد منه مخبره * فساعد خله كرما * وفى أخلاقه أثره
ويطوى سره أبدا * وحسنات طوى نشره * و يستر عيب صاحبه * و يستر انه ستره

وقال بعض العلماء لا تصحب الا أحد رجلين رجلا تتعلم منه شيأ من أمر دينك فينفعك أو رجلا تعلمه شيأ من دينه فيقبل منك والثالث اهرب منه وقال ابن أبى الحوارى قال لى استاذى أبو سليمان يا أحمد لا تصحب الا أحد رجلين رجل ترتفق به فى دنياك أو رجل تزيد معه وتنتفع به فى آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وكان المأمون يقول الاخوان ثلاثة أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه فالعبد يبتلى بهذا الثالث وهو الذى لا أنس فيه ولا نفع عنده والاول نعمة من الله سبحانه وتعالى على العبد فيه الفة وأنس ومعه غنيمة ونفع وكان أبو ذر يقول الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة وقال بشر بن الحرث يكون للرجل ثلاثة اخوان أخ لآخرته وأخ لدنياه وأخ يأنس به فاخبر ان أخ المؤانسة قد لا يكون متقربا عابدا وان الانس مخصوص يقال لا يوجد الا فى كريم وكان يوسف بن اسباط يعز زمن فيه أنس من الاخوان فكان يقول ما فى المصيصة ثلاثة يؤنس بهم واعلم أن الانس لا يوجد فى كل عالم ولا فى كل عاقل ولا فى كل عابد زاهد و يحتاج الانس الى وجود معان تكون فى الولى فاذا اجتمعت فيه كمل فيه الانس وارتفعت عنه الوحشة والحشمة ومن لم تكن فيه لم يوجد فيه انس ومن لم تكمل فيه وجد فيه بعض الانس واذا حصل الانس ففيه الروح من الكروب والاستراحة من الغم والسكون وطمانينة القلب فكذلك عز من يوجد فيه الانس لعزة خصاله وهى سبع علم وعقل وأدب وحسن خلق وسخاء نفس وسلامة قلب وتواضع فان فقد بعضها لم يعد خلا يانس بكماله من قبل ان اضدادها وحشة كلها لان الجاهل لا أنس فيه والاحمق لا أنس به والبخيل سيئ الخلق لا أنس عنده والخبيث والمتكبر لا أنس معه فاعرف هذا وروينا عن الاصمعى انه ذكر عن

على سهل بن عبد الله فقال ان اللص دخل بيتى وأخذ من متاعى فقال له اشكر الله تعالى الذى لم يدخل اللص الكبير الذى هو الشيطان المريد قلبك فأفسد ايمانك ودينك ماذا كنت تصنع وشكر اللسان بالاقرار بالتوحيد والحمد والتسبيح والتهليل والذكر وشكر البدن بالعبادات البدنية وشكر النفس بترك الشهوات وشكر المال بالقرب المالية قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا او ينقسم الشكر بحسب متعلقه الى الشكر على الهداية والايمان والنجاة من الكفر والسلامة من كبائر المعاصى والى الشكر على الامور الدنيوية كالشكر على عافية البدن وسلامة الاعضاء وجلب الرزق ودفع الامراض والاسقام وغير ذلك و ينقسم بحسب حاله وذلك الى واجب وهو الاعتراف بانه المنفرد بالافعال وكذلك ما أوجبه من الثناء فى الصلاة فى قراءة الفاتحة والى مندوب وهو دوام الثناء على الله تعالى بنعمه ومننه ولما أمر الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقال له اسجد واقترب فقال صلى الله عليه وسلم فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك فقوله أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير الا الله تعالى وأفعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففنى عن مشاهدة الافعال وترقى الى الصفات التى هى مصادر الافعال فقال أعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصانا فى التوحيد فاقترب ورقى عن مقام المشاهدة بعض الصفات الى مشاهدة الذات فقال أعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل ولا صفة ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا فاقنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصى ثناء عليك أخبر عن فناء نفسه وخروجه عن

مشاهدة نفسه فقال انت كما اثنيت على نفسك فاول مقاماته هى نهاية مقام غيره وهو ان لا يرى الا الله تعالى وأفعاله و يستعيذ بفعل من فعل وانظر الى ماذا انتهت اليه منايته اذ انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع فى نظره ومشاهدته عما سوى ذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرتقى من رتبة الى رتبة أخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله تعالى (٢٢٧) ويرى ذلك نقصانا فى سلوكه وتقصيرا فى مقامه واليه أشار بقوله انى ليغان على قلبى حتى استغفر الله تعالى سبعين مرة وذلك لترقيه الى سبعين مقاما وقال بعض المحققين فيه اشارة الى معنى آخر وهو دوام طلب القرب والاتصال لان الباء للوصل والالصاق ومن لا ينتهى غايته الحركة والانفصال فكأنه استغاث بالوصال من الفراق

*(باب التواضع وحسن الخلق والاحسان)* قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا أى بالتواضع وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله والتواضع رضا الانسان بمنزلة دون ما يستحقها فضله ومنزلته والتواضع مع الخلق من باب التفضل عليهم لانه ترك لهم بعض حقه والكبر رفع نفسه فوق قدره والفرق بين التواضع والخشوع هو أن التواضع بالافعال الظاهرة والخشوع بالافعال الباطنة ثم يتبع خشوع الباطن خشوع الظاهر لان الظاهر يتبع الباطن وقال عليه الصلاة والسلام فى ذلك الذى عبث فى صلاته لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه قال بعض المريدين لبعض المشايخ دلونى كيف أصحبكم قال خل نفسك وتعال بشير بذلك الى ان صحبة المريد للمشايخ تكون بكسر النفس وابدال العزة بالذل وامانة حظوظ النفس روى ان النبى صلى الله عليه وسلم دعى الى وليمة فخرج الى أصحاب الصفة فأخذهم معه ومضى الى بيت الوليمة قال الراوى فرأيته يمشى الى بيت الدعوة وهم حوله نحو من ستين عليهم الخلقان حفاة مكشوفى الرؤس قال المشايخ التواضع ان يخضع

بعض الحكماء قال عاملوا احرار الناس بمحض المودة وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة وسوسوا السفلة بالمخافة ومثل جملة الناس كمثل جملة الشجر منهم من له ظل ليس فيه ثمر وهذا الذى فيه نفع من الدنيا ولا ثمرة له فى العقبى و يحتاج اليه فى وقت ومنهم من فيه ثمر وليس له ظل وهذا يصلح للآخرة ولا يصلح للدنيا ومنهم من فيه ظل وثمر فهذا الذى يصلح للدين وللدنيا وهو أعزها ومنهم من لا ظل له ولا ثمر وهذا هو الذى لا يحتاج اليه مثله فى الشجر مثل شجر الغضا وهو شوك البرية التى تسميه العامة أم غيلان تمزق الثياب لا طعام فيه ولا شراب فهؤلاء من الناس من يضر ولا ينفع و يكثر ولا يدفع مثله كما قال الله تبارك وتعالى يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ومثله فى الدواب مثل الفأرة والعقرب وقد قيل فى وصفهم

الناس شتى اذا ما أنت ذقتهم * لا يستوون كما لا يستوى الشجر

ذا له ظل وهذا عنده ثمر * وذاك ليس له ظل ولا ثمر

وقد أنشدنا فى مثل وصف هذا البعض الادباء

اذا كنت لا ترجى لدفع ملمة * ولم تك يوم الحشر ممن يشفع

ولا أنت ذا مال يعود بماله * فموت كثير من امثالك أنفع

قال بعض السلف اذا ولى أخوك ولاية فثبت على نصف مودتك فكثير وحدثنا محمد بن القاسم القرشى عن الربيع بن سليمان عن الامام الشافعى رحمه الله انه آخى رجلا ببغداد ثم ان أخاه ولى السيبين فتغير للشافعى كما كان يعهده منه فكتب اليه الشافعى رضى الله عنه هذه الابيات

أذهب فودك من ودادى طالق * منى وليس طلاق ذات البين

فان ارعويت فانها تطليقة * و يدوم ودك لى على ثنتين

واذا امتنعت شفعتها بمثالها * فتكون تطليقتين فى حيضين

فاذا الثلاث أتتك منى بتة * لم تغن عنك ولاية السيبين

فذكر هذا الكلام لبعض الفقهاء فاستحسنه وقال هذا الطلاق فقهى الا انه طلق قبل النكاح وقد كان الشافعى عليه السلام آخى محمد بن عبد الحكم المصرى وكان يحبه و يقربه و يقول ما يقيمنى بمصر غيره واعتل محمد فعاده الشافعى فحدثنى القرشى عن الربيع قال سمعت الشافعى ينشد وقد عاد محمدا

مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذرى عليه

وأتى الحبيب يعودنى * فبرئت من نظرى اليه

وما شك أهل مصر ان الشافعى يفوض أمر حلقته اليه وانه يستخلفه بعد موته و يأمر الناس بالحضور عنده حتى سئل عن ذلك فى علته فقيل له يا أبا عبد الله الى من نجلس بعدك ومن يكون صاحب الحلقة وهم يظنون انه يشير الى محمد فاستشرف لذلك محمد وتطاول لها وكان جالسا عند رأسه فقال سبحان الله أيشك فى هذا أبو يعقوب البويطى فانكسر لها محمد ووجد فى نفسه ومال أصحابه الى أبى يعقوب البويطى وقد كان محمد حمل علم الشافعى ومذهبه وفارق مذهب مالك الا ان البويطى كان ازهد واورع فحمل الشافعى نصيحة الدين والنصيحة للمسلمين ولم يداهن فى ذلك بان وجه الامر الى أبى يعقوب وآثره لانه كان أولى فلما قبض الشافعى رضى الله عنه انتقل محمد بن عبد الحكم من مذهبه وفارق أصحابه ورجع الى مذهب مالك وروى كتب ابيه من مالك وتفقه فيها فهو اليوم من كبار أصحاب مالك رضى الله عنه وأخمل البويطى رحمه الله نفسه واعتزل عن الناس

باليويطة من سواده مصر وصنف كتاب الام الذى ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما هو جمع البويطى لم يذكر نفسه فيه وأخرجه الى الربيع فزاد فيه وأظهره وسمعناه وقد كان البويطى حمل فى المحنة ورفع من مصر الى السلطان وحبس فى شأن القرآن فحدثنا عن الربيع قال كتب الى البويطى من السجن يحثنى على المجالس ويأمرنى بالصبر على الطلبة على العلم والرفق بالمتعلمين والاقبال عليهم وان أتواضع لهم وقال كثيرا ما كنت أسمع الشافعى رضى الله عنه يقول

أهين لهم نفسى لكى يكرمونها ۞ ولن تكرم النفس التى لاتهينها

واوصى بعض السلف ابنه فقال يابنى لاتصحب من الناس الا من ان افتقرت قرب منك واذا استغنيت لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك ان بذلت له صانك وان احتجت له مانك وان اجتمعت معه زانك فان لم تجد هذا فلا تصحبن أحدا ومن حق الاخوة فى الله عز وجل ما نقل الينا من سيرة السلف قال كان الرجل يجيء الى منزل أخيه من حيث لا يعلم فيقول لاهله هل عند كم دقيق أو كمزيت تحتاجون الى كذا فان قالوا ليس عندنا اشترى لهم مصالحهم قال ولم يكن الاخ يفرق بين عياله وعيال أخيه يقاسمهم المؤنة قال ويلقى أخاه فلا يعلمه بشيء من ذلك وأما سعيد بن أبى عروبة فكان يعلق كل ثوب عنده على الحبل ويظهر كل صنف من طعام فيصفه وربما اشترى المسلوخ فيعلقه ويفتح بابه ويدخل عليه اخوانه فى الله عز وجل فكان من أراد طعاما أكل ومن اشتهى لحما قطع وشوى أو طبخ ومن احتاج الى ثوب لبس من غير اذن ولا مؤامرة قد عرف واد الله من أخلاقه وكان مثله جماعة متخلقين بهذه الاخلاق وقد جعل الله تبارك وتعالى الالفة بين المؤمنين من آياته وتمدح بوصفها ولم يكلها الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم أى عزيز لا يؤلف غيره ما فرق ولا يفرق سواه ما ألف حكيم تفرد بالحكم فى التأليف كما توحد بالتوحيد بالتعريف ومعنى آخر عزيز عز بالالفة وعظمها عند المؤمنين حكيم جعلها فى الحكمة مع الحكماء من الصالحين ونظر أبو الدرداء الى ثورين يحرثان فى فدان فوقف أحدهما يحك جسده فوقف الآخر فبكى أبو الدرداء فقال له هكذا الاخوان فى الله عز وجل يعملان لله تبارك وتعالى ويتعاونان على أمر الله فاذا وقف أحدهما وقف الآخر لوقوفه وكان أكثر عبادة أبى الدرداء التفكر وكان يقول انى لادعو لاربعين من اخوانى فى سجودى أسميهم بأسمائهم وقد جاء فى الحديث دعاء الاخ لاخيه بالغيب لا يرد ويقول الملك ولك مثل هذا وفى لفظ آخر يقول الله تبارك وتعالى بك أبدأ وفى الحديث المشهور يستجاب المرء فى أخيه ما لا يستجاب له فى نفسه فمن واجب الاخوة تخصيصه وافراده بالدعاء والاستغفار له فى الغيب فلو لم يكن من بركة الاخوة الا هذا كان كثيرا وكان محمد بن يوسف الاصبهانى يقول وأين مثل الاخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك وهو منفرد بحسرتك مهتم بما قدمت يدعو لك فى ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى فقد أشبه الاخ الصالح الملائكة لانه جاء فى الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون بما قدم من خير ويشفقون عليه وقال بعض العلماء لو لم يكن فى اتخاذ الاخوان الا أن أحدهم يبلغه موت أخيه فيترحم عليه ويدعو له فلعله يغفر له بحسن نيته ويقال من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كأنه شهد جنازته وصلى عليه وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار أمثال الجبال ويقال الدعاء للاموات

العبد لمولاه بالعجز وهو على درجات الدرجة الاولى التواضع للدين وهو أن لا يعارض معقول منقولا ولا يتهم على الدين دليلا ولا يرى الى الخلاف سبيلا والدرجة الثانية ان ترضى نفسك باخوة المؤمن الذى رضيه الله تعالى لنفسه عبدا وأن لا ترد على عدو حقا وتقبل من المعتذر معاذيره والدرجة الثالثة ان تتضع للحق فتنزل عن رأيك وعوائدك فى الخدمة وتترك حظك فى الصحبة وقال القشيرى التواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم وقد جاء فى تواضع النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يعود المرضى ويشيع الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد كان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل ليف عليه اكاف من ليف وكان صلى الله عليه وسلم يعلف البعير ويقم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويطحن معه اذا عيا وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق الى أهله وكان يصافح الغنى والفقير ويسلم مبتدئا ولا يحقر ما دعى اليه ولو الى حشف التمر وكان هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوسة متواضعا من غير مذلة جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده الى الطمع قال بعض أهل المعارف للعارف نظرتان نظرة الى نفسه ونظرة الى ربه اذا نظر الى نفسه مذل وافتقر واذا نظر الى ربه عز وافتخر وحكى بعض الاكابر قال رأيت فى الطواف انسانا وبين يديه جنبة يمنعون الناس لاجله من الطواف ثم رأيته بعد ذلك بمنزلة على جسر بغداد يسأل الناس شيأ قال فتعجبت من أمره فسألته عن ذلك فقال انى تكبرت فى موضع يتواضع الناس فيه فأذهب الله تعالى جاهى وملكى وابتلانى بالذل فى موضع يتعاظم الناس فيه وقيل تشاجر أبو ذر وبلال فعير أبو ذر بلالا بسواده فشكاه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا

ذرماه أبت انه قد بقى فى قلبك من كبر الجاهلية شئ فألقى أبو ذر خده وحلف ان لا يرفع رأسه حتى يطأ بلال خده بقدمه فلم يرفع حتى رفع لعل بلال

*(فصل)* وأما حسن الخلق فقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم قال الواسطى وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم لانه جاد بالكونين واكتفى بالله تعالى وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى وان تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال صلى الله عليه وسلم لابى هريرة عليك بحسن الخلق فقال يا رسول الله وما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتعفو عن ظلمك وتعطى من حرمك وقال صلى الله عليه وسلم يعطى الرجل بحسن الخلق أجر الصائم القائم ومن دعائه صلى الله عليه وسلم واهدنى لاحسن الاخلاق فانه لا يهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف عنى سيئها الا أنت وقال أنس رضى الله عنه خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى فى شئ صنعته لم صنعته ولا فى شئ تركته لم تركته وكان يمازحنى وربما قال ياذا الاذنين وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال بعض أهل البصائر فى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال معناه لم يؤثر فيك جفاء الخلق ومامنه وسعك لما نصحتهم فى دعوتك الى الله تعالى وأرشدتهم الى ما ينقذهم من هلاك الابد وشقاوة السرمد وتحقق ذلك ما روى انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة ودخلها جاء اليه المشركون من أهلها بعد ان فعلوا معه ومع أصحابه من المكايد وكثرة الاذى ما هو مذكور فى كتب السير مشهور فى مصنفات الاثر يطلبون منه الامان خائفين على أنفسهم فلما رآهم قال أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وقال ارجوان يخرج الله تعالى من اصلابهم من يوحد الله ولا يشرك به شيأ قال

---

بمنزلة الهدايا الا حياء فى الدنيا قال فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحى بالهدية فقد كان الاخوان يوصون اخوانهم بعدهم بدوام الدعاء لهم ويرغبون فى ذلك لحسن يقينهم وصدق نياتهم وان أعظم الحسرة من خرج من الدنيا ولم يؤاخ أخا فى الله عز وجل فيدرك بذلك فضائل المؤاخاة وينال به منازل المحبين عند الله تعالى ومن أشد الناس وحشة فى الدنيا من لم يكن له خليل يأنس به وصديق صدق يسكن اليه كما قال على عليه السلام وغريب من لم يكن له حبيب ولا يوحشنك من صديق سوء ظن وأنشد بعض الشيوخ لبعضهم

وليس غريبا من تناءت دياره ✱ ولكن من يجفى فذاك غريب

ومن كان ذا عهد قديم وذا وفا ✱ فلو جاوز السدين فهو قريب

وقيل لسفيان الثورى بمن تأنس فقال بقيس بن الربيع وما رأيته منذ ستتين وكان بعضهم يقول أنا بمودة من غاب عنى من بعض اخوانى أوثق منى بمودة من يغدو على ويروح فى كل يوم مرتين وقال محمد بن داود قرب القلوب على بعد المزار خير من قرب الديار من الديار ولينبغى أن يعاشر أخاه بخمس خصال فليست من الادب ولا المروءة أولها أن لا يلزمه بما يكره مما يشق عليه والثانية أن لا يسمع فيه بلاغة ولا يصدق عليه مقالة والثالثة أن لا يكثر مسألته من أين تجئ والى أين تذهب وأن لا يتجسس عليه ولا يتحسس عنه والفرق بينهما ان التجسس يكون فى تطلب الآثار والتحسس يكون فى تطلع الاخبار فقد روينا كراهة هذه الخمس فى سيرة السلف وقال محمد بن سيرين لا تلزم أخاك بما يشق عليه وقال مجاهد اذا رأيت أخاك فى طريق فلا تسأله من أين جئت ولا أين تذهب فلعله أن يصدقك فى ذلك أو يكذبك فتكون قد حملته على الكذب وروينا ان حكيما جاء الى حكيم فقال جئتك خاطبا اليك مودتك فقال ان جعلت مهرها ثلاثا فعلت قال وما هن قال لا تقبل على بلاغة ولا تخالفنى فى أمر ولا تطلعنى فى رشوة فقال قد فعلت قال فقد آخيتك وأما التجسس والتحسس فقد نهى الله ورسوله عنهما وجعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرط الاخوة مع ترك التدابر والتقاطع فقد روينا فى الخبر السائر لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا المقاطعة فى الشهادة أن تقطع مواصلته وتصرف عن جريان عادته والتدابر فى الغيبة أخوذ منه اذا ولاك الدبر أى لا تدابره الا بما يعجب كما تكون له فى المقابلة كما أخذت الغيبة من الغيب أى لا تخلفه فى غيبه بما يكره وقد كان الاخوان يتباينون على العلوم والاعمال وعلى التلاوة والاذكار وبهذه المعانى تحسن الصحبة وتحق المحبة وكانوا يجدون من المزيد من ذلك والنفع به فى العاجل والآجل ما لا يجدونه فى التخلى والانفراد من تحسين الاخلاق وتلقيح العقول ومذاكرة العلوم وهذا لا يصح الا لاهله وهم أهل سلامة الصدور والرضا بالميسور مع وجود الرحمة وفقد الحسد ووجود التناصر وعدم التظاهر وسقوط التكلف ودوام التآلف فاذا عدمت هذه الخصال ففى وجود أضدادها تقل المباينة وقد قيل من سقطت كلفته دامت صحبته والفته ومن قلت مؤنته دامت مودته وقال على عليه السلام شر الاصدقاء من تكلفت له وقال يونس النبى عليه السلام لما زاره اخوانه فقدم اليهم خبز شعير وجز لهم من بقل كان زرعه وقال لولا ان الله تبارك وتعالى لعن المتكلفين لتكلفت لكم وروينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنا والاتقياء من أمتى برآء من التكلف فعلة التكلف هو عمل ما لا نية للعبد فيه وتناول العبد فيما لا يعنيه وتعاطيه ما فقد كليه ومع وجود الحسد وكون الغل وهو ثبوت الحقد تكون المباينة وفى التطاول والتظاهر تقع المجانبة ومع المقت والمكر

تكون للسافر وهذا كما يذهب الالفة وينقص المحبة ويمحو فضيلة الاخوة وقال بعض أهل البيت أثقل اخوانى على من احتشم ويحتشمنى وقال بعض السلف كانوا لا يتغنمون ولا يحتشمون وسئل الحسن عن الصديق الذى آكل ماله بغير اذن منه فقال من استراحت اليه النفس وسكن اليه القلب فاذا كان كذلك فلا اذن له فى ماله وسئل ذو النون عن الانس فقال ان تأنس بكل وجه صبيح وكل صوت فصيح والله تبارك وتعالى فيما بينك وبين ذلك واذا علمت ان أخاك يسر بأخذك من رحله وملكه أو علمت انه لا يكره ذلك ان فعلته حل لك أن تأخذ وان كان لم يأذن لك لان علمك يقوم مقام اذنه وعلامة هذا أنسك انشراح صدرك بذلك وتطمنه على قلبك فذلك دليل على سروره به وعلى قياسه من علمت من الناس انه يكره تناولك من ماله شيأ أو عرفته يبخل ضنانة بما فى يديه فانى أكره لك أن تأكل من ماله شيأ وان أذن لك بعد أن تعلم ان الاحب اليه أن لا تأخذ فى الورع وان أطالك أن لا تقبل فان بذله مع علمك باسره لغو لا حقيقة له ودليل ذلك ضيق صدرك به ووجود الحشمة والوحشة فى القلب فقد جاء فى الاثر الاثم حواز القلب وجاء الاثم ما حاك فى صدرك والبر حسن الخلق والبر ما سكنت اليه النفس واطمأن به القلب فقد جاءت هذه الالفاظ فى أحاديث متفرقة وعلى ما ذكرناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل من لحم بريرة تصدق به عليها وكانت تابعة فلما علم انه يسرها فلم ينتظر اذنها فعلى ضد ذلك فى القياس ما ذكرناه ونظيرها انهم الاوقص الى الحسن وهو يأكل من جونة لبقال من هذه بسرة ومن هذه تينة فقال له يا أبا سعيد تأكل من مال الرجل بغير اذنه فقال يا لكع اتل على آية الاكل ثم قرأ الحسن ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله تعالى أو صديقكم وقد كان أصحاب محمد بن واسع وفرقد السبخى يدخلون منزله فيأكلون من غير أن يؤذن لهم ويقول ذكرتمونى أخلاق قوم مضوا هكذا كانوا وكنا ندخل على أبى سليمان الدارانى فيقدم الينا الطيبات ولا يأكل معنا ويقول لنا ما خبأته لكم فقلنا تطعمنا الشهوات ولا تأكلها فقال لا آكلها لانى قد تركت أكلها وأقدمها اليكم لانى أعلم انكم تشتهونها وقال كنا نبايت ابراهيم بن أدهم فى المصيصة وفى قرى السواحل فكان يكسر لنا الصنوبر والبندق والموز ليلة أجمع ويقول كلوا فقلنا لو أقبلت على صلاتك وتركت هذا فيقول هذا أفضل وكان بعض الناس يعوزه الضيف فلا يكون عنده ما يقدمه اليه فيذهب الى منزل أخيه فيأخذ خبزا وقدرا وقد كان طبخها فيحمله الى ضيفه فيلقاه أخوه بعد ذلك فيستحسنه منه ويأمره بفعل مثل ذلك فى كل نائبة وقال بعض العلماء اذا عمل الرجل فى منزل أخيه أربع خصال فقد تم انسه به اذا أكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى فذكرت هذه الحكاية لبعض أشياخنا فقال صدق بقيت خصلة قلت ماهى قال معها وجامع فاذا فعل هذا فقد تم انسه به لان هذه الخمس لاجلها تتخذ البيوت ويقع الاستخفاء لما فيها من التبذل والعورة ولولاها كانت بيوت الله سبحانه أروح وأطيب ففى الانس بالاخ وارتفاع الحشمة من هذه الخمس مثل حال الانس فى الوحدة بالنفس من غير عيب من عائب ولا ضد لكن من اتفاق جنس وهذا لعمرى نهاية الانس ذا تمامها الخامسة وهو قول شيخنا وجامع فعلى ذلك يصلح أن يستدل له بقول العرب فى تسليمهم وترحيبهم مرحبا وأهلا وسهلا أى لك عندنا مرحب وهو السعة فى القلب والمكان ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة منا وسهلا أى لك عندنا سهولة ذلك يسهل علينا ولا يشتد فهو سهولة اللقاء وسهولة من الاخلاق فى الالتقاء واعلم ان الناس فى التعارف سبع مقامات بعضها فوق بعض فأول ذلك المعرفة عن الرؤية أو السمع فقط فلهذا حرمة الاسلام وحق العامة ثم المجاورة وله حق الجوار وهو ثانى

بعضهم الخلق الحسن هو بذل المعروف وكف الاذى وسئل أبو حفص عن الخلق الحسن فقال هو ما اختاره الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائى فقال يا هذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة ومن كان خلقه احتمال المكروه فخلقه حسن قيل كان ابراهيم بن ادهم فى بعض البرارى فاستقبله جندى فقال له اين العمران فاشار الى المقبرة فضرب الجندى رأسه فشجه فلما جاوزه قيل له هذا ابراهيم بن أدهم فجاء الجندى يعتذر اليه فقال له ابراهيم لما ضربتنى دعوت لك بالجنة لانك فعلت بى فعلا أوجرت عليه فلم أرد ان يكون نصيبى منك الخير ونصيبك منى الشر واعلم ان الايثار من حسن الخلق قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم ان يكون كأبى ضمضم كان اذا أصبح وأمسى يقول اللهم انى تصدقت بعرضى على عبادك والايثار على قسمين الاول ان تؤثر الخلق على نفسك بما لا يمتنع عليك شرعا الايثار به وفيه الاحتراز عن الايثار بالقرب ويتولد ذلك عن ثلاثة أشياء تعظيم الحقوق ومقت الشح والرغبة فى مكارم الاخلاق والثانى هو ايثار رضا الله تعالى على غيره وان عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن ويعين على ذلك قوة الصبر

**(فصل)** وأما الاحسان فقد قال الله تعالى والله يحب المحسنين وقال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان والاحسان اسم يجمع جميع أبواب الحقائق أى يحوى جميع المقامات كما جاء فى الحديث وقد سأله السائل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا هو الاحسان فى معاملة الحق وأما الاحسان فى معاملة الخلق فان تترك لهم جميع حقوقك وتوفيهم جميع حقوقهم التى عليك قال بعض العلماء بالله لا يطلب غالب الخلق عن كمال ونقص وحسن وقبح

فمن تغافل عن قبائح الخلق وذكر محاسنهم فهو من المحسنين روى ان عيسى عليه السلام مر ومعه الحواريون بكلب ميت قد كشر جلد لحيه وبدت أسنانه وفاح نتنه فقال الحواريون ما أنتن هذه الجيفة فقال عيسى عليه السلام ما أحسن بياض أسنانه تنبيها على انه لا يذكر من الشئ الا ما هو أحسن صفاته *(باب الرضا والتسليم)* قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى (٢٣١) يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال صلى الله عليه وسلم لوفد قدموا عليه ما أنتم قالوا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي رواية قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا أنبياء وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه واعلم ان الاشياء كلها بقضاء الله تعالى وقدره وتيسيره فصاحب الطاعة علم منه انه يريدها فيسرها له ووفقه لها وأعانه عليها بان خلق له أسبابها وصاحب المعصية علم منه انه يريدها ويختارها فيسرها له وسهلها عليه روى ابن وهب في جامعه ان الله تعالى لما واعد موسى عليه السلام أربعين ليلة ومضى لميعاد الله تعالى افتتن قومه في غيبته بفتنة السامري فقال الله تعالى لموسى عليه السلام ان قومك قد افتتنوا اتخذوا عجلا له خوار قال موسى يا رب فمن جعل فيه الروح قال أنا قال يا رب فانت الذي اضللتهم قال يا موسى يا رأس النبيين يا أبا الاحكام اني رأيت ذلك في نفوسهم فيسرته لهم وفي جامع ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام ثم أخذ الخلق من ظهره فقال هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي فقال قائل يا رسول الله فعلى ماذا نعمل قال على مواقع القدر وقال القرظي في قوله تعالى فالتقى الماء على أمر قد قدر قال

حقوق الاسلام وهذا هو الجار الجنب ثم المرافقة في طريق أو سفر وهذا هو الصاحب بالجنب في أحد الوجهين من الآية فلهذا ثلاثة حقوق لانه قد جمع حرمة الاسلام وحرمة الجوار وزاد عليهما بانه ابن سبيل ثم الصحبة وهي الملازمة والاتباع فهذا فوق ذلك ثم الصداقة وهي حقيقة الاخوة ومعها تكون المعاشرة وهو اسم تكون معه المخالطة وتوجد فيه المؤانسة وهو يحكم بالمزاورة والمباينة والمؤاكلة وهناك جملة العشرة فالمعاشرة مأخوذة من العشير وهو الخليط المقارب ولذلك سمى الزوج عشيرا في قول النبي صلى الله عليه وسلم ويكفرن العشير وقد قال الله عز وجل في تسمية المعاشر وفي قربه لبئس المولى ولبئس العشير يعني ابن العم المختلط به فقيل منه معاشرة على زنة مفاعلة لانه شئ يقع بين اثنين لا محالة كان كل واحد قد فعل مثله أي يفعل هذا مثل ما يفعل هذا مثل المضاربة والمقاتلة والمشاتمة اذا فعل كل واحد بصاحبه كفعله به ثم الاخوة فوق الصداقة وهذا لا يكاد يكون الا بين النظراء في الحال والمتقاربين في الحسن والمعاني بان يوجد في أحدهما من القلب والهمة والعلم والخلق ما يوجد في الآخر وان تفاوتا كما قال تبارك وتعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وليسوا من جنسهم ولا على وصفهم في الخلقة ولكن لما تشابهت قلوبهم وأحوالهم آخى بينهم فهذه اخوة الحال وهي حقيقة الصداقة ثم المحبة وهي خاصية الاخوة وهذا يجعله الله تبارك وتعالى من الالفة ويوجد من الانس في القلوب يتولاه بصنعه ولا يوليه غيره وهذا ارتياح القلوب وانشراح الصدور ووجد السرور وفقد الوحشة وزوال الحشمة ثم الخليل وهذا فوق الحبيب ولا يكون هذا الا في عاقلين عالمين عارفين على معيار واحد وطريق واحد وهذا أعز موجود وأغرب معهود والخلة مأخوذة من تخلل الاسرار ومعها تكون حقيقة الحب والايثار فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا لان الخلة تحتاج الى فضل عقل ومزيد علم وقوة تمكين وقد لا يوجد ذلك في كل محبوب فلذلك عز طلبه وجل وصفه وقد رفع الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في مقام المحبة فاعطاه الخلة ليلحقه بمقام ابراهيم فكانت الخلة مزيد المحبة ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من الخلق خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل فلما اتخذه خليلا لم يصلح أن يشرك في خلة الخالق خلة الخلق ثم قال ولكن أخوة الاسلام فاوقفه مع الاخوة لان فيها مشاركة في الحال كما فصل بعلي عليه السلام وعطله عن النبوة كما عدل بابي بكر عن الخلة وفي الحديث الآخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فرحا مستبشرا فقال ألا ان الله تبارك وتعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فانا حبيب الله عز وجل وأنا خليل الله وليس قبل المعرفة اسم يوجب حكما الا ظاهر الاسلام ولا بعد الخليل وصف يعرف الا انه محب ثم تتزايد الحرمات في الاخوات ما بين المعرفة والخلة وتعظم الحقوق بطول الصحبة وجميل العشرة وقال صحبة سنة أخوة ومعرفة عشر سنين قرابة وقد ضم الله عز وجل الصديق الى الاهل ووصله بهم ثم رفع الاخ وقدمه على الصديق وهو قوله عز وجل أو ما ملكتم مفاتحه كان الاخ يدفع مفاتيح خزانته الى أخيه ويتصرف في الحضر وينقلب في السفر ويقول الاخ يحكم فيما املك كحكمي وملكي له كملكه فكان اخوه يتضايق ويتحرج فيفتقر على نفسه لاجل غيبة أخيه ويقول لو كان حاضرا لاتسعت وأكلت رغدا للورع الذي فيه والنصح والايثار لاخيه فرحم الله عز وجل تضايقهم وشكر تورعهم فاطلق لهم الاذن ووسع عليهم في الاكل فقال عز وجل ولا على أنفسكم أي لا اثم ولا ضيق ان تاكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ثم نسق الاقارب على ترتيب الاحكام وضم اليهم الاخ لما وصله بتمليك مفاتحه أخاه فاقام ذلك مقام ملك أخيه لانه أقام أخاه مقامه فقال تعالى أو ما ملكتم

كأنه القضاء يتعجل الابتلاء وقالت الصحابة يا رسول الله أنعمل على أمر قد فرغ منه أو على أمر أنف فقال بل على أمر قد فرغ منه فقالوا ففيم العمل حينئذ يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي هو عامل وكل ميسر لما خلق له فلما سمع الصحابة ذلك قالوا الآن العمل والآن الاجتهاد وبادروا الى الاعمال والمجاهدة *(فصل)* وقد أنكرت طائفة الرضا وقالوا لا يتصور الرضا بما يخالف الهوى وانما يتصور الصبر وهؤلاء انما أتوا من انكار المحبة وقد حقق العلماء أمر المحبة وان صاحبها يرضى من محبوبه بما يخالف هواه وطبعه وبينوا ذلك من وجهين أحدهما أن تدهشه مشاهدة الحب واثر المحبوب عن الاحساس بالالم وذلك مشاهد في حب المخلوقين وفي حال غلبة الشهوة والغضب حتى ان الغضبان تصيبه الجراحة ولا يحس بها في الحال وكذا من يعدو في طلب أمر محبوب له تصيبه شوكة في رجله فلا يحس بها الا اذا سكن خوفه وظفر بمراده ظهر المه واذا كان يتصور ان لا يحس بالم يسير لاجل حب يسير تصور ان لا يحس بالم كثير لاجل حب قوي بالغ ومن أجل هذا قال الجنيد رحمة الله عليه قلت لسري السقطي رحمة الله عليه هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال لا وان ضرب بالسيف سبعين مرة الوجه الثاني من الوجهين الدالين على تحقيق رضا المحب من محبوبه بخلاف ما تشتهي نفسه ويميل اليه طبعه فيرضى به ويفعله اعانة لمعرفته بجزالة الثواب على البلاء كما يرضى بالم الفصد وشرب الدواء لعلمه بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح بمن يهدي اليه الدواء وهذا أمر معلوم مشاهد لا يستنكره عاقل *(فصل)* وتكلموا في حقيقة الرضا فقال ذو النون سرور القلب بمر القضاء وقال الحرث المحاسبي هو سكون القلب تحت جريان الحكم وما قاله ذو النون أعلى مما ذكره المحاسبي فان السرور فوق السكون وقال أبو تراب الرضا ان يكون في مكروهات القضاء كما يكون في محبوباتها وقال رويم الرضا استقبال الاحكام بالفرح

مخالفته ثم أخا الصديق بعده واذ لم يكن بحقيقة وصلة ثم قال عز وجل ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا بحضرة الاخوان أو أشتاتا في حال تفرقهم فسوى بين غيبتهم وشهودهم لتسويه اخوانهم بينهم وبين أملاكهم واستواء قلوبهم مع ألسنتهم في البذل والصحبة للتناول المبذول وهذا تحقيق ومدحهم عز وجل لهم في قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم وقال بعض الادباء اذا ائتلف الاخوان جماعة ثم اجتمع بعضهم على الفترة فقد البعض نقص من اللذة بمقدار من نقص منهم وهذا يكون بوجود الانس بهم ومواصلة الذكر وروينا ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فاخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت السرير فجعل يأكل فدخل الحسن فقال هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض واعلم انه ليس بين الاخوين والصاحبين ويأخذ أعمالهما وان تراءى برأي العين أعمالهم لهم ثواب السر والخلوة لانهما كالاهل في الحضر وكالصحابة في السفر وليس بين الرجل وأهل بيته ولا بين المسافر ورفقائه رياء ولا تجمل ولا عليهم منهم اختفاء ولا خلوة فان صحبه أخوه هذا في سفر كانت حرمته عليه ألزم وحقه أوجب فينبغي ان لا يخالفه ولا يعترض عليه ان أحب النزول في منزل لم يكره أخوه ذلك وان اختار أحدهما الرحيل لم يعب الآخر المقام وان سار أحدهما لم يقف صاحبه وان استراح الآخر وقف له رفيقه وان اشترى شيأ لم ينهه عنه ولا يستأثر بمطعوم ولا مشروب عليه بل يؤثره بذلك وفي الخبر ما اصطحب اثنان قط الا كان أحبهما الى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه وروينا أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين من أراك أحدهما معوج والآخر مستقيم فحبس المعوج لنفسه ودفع المستقيم الى صاحبه فقال يا رسول الله أنت كنت أحق بالمستقيم فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سأله الله عن صحبته هل أقام فيه حق الله تعالى أو أضاعه ومن كان ناظرا الى اخوة أخيه أول صحبته الى كثرة أعماله أو واثقا مع أكل أحواله دل على جهله بهذا الطريق الذي ينفذ الى التحقيق لانه التحول وانما المعول على حقائق القلوب وسلامة العقول لان اليها الامر مردود فان اقترن الى جهله نقص معرفة الآخر دل عليهما التزين له والتصنع عنده لتعلو منزلته ويحسن عنده أثره فيدخله ذلك في الشرك ويخرجه الشرك من حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها ويسقط من عين مولاه فلا يتولاه لان النفس مبتلاة بحب الثناء والمدح واثبات المنزلة باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ من أشأم الناس عليه وأضرهم له ويصير أحدهما بلاء على صاحبه ما فارقه حينئذ لانه جاهل ولا يصحبه فانه يجد النقصان وتدخل عليه الآفات بمقارنته فلينفرد بنفسه فيصدق في حاله غائبة كانت أو دنيئة وضيعة كانت أم رفيعة من غير مقارنة أحد ولا مباينة فهو خير له وأحمد عاقبة وهذا باب لطيف قد هلك فيه خلق كثير على ضربين منهم من صاحب وآخى وبايت على هذه العلل فساكنها ومن هذه الآفات فقارنه الضعف بقية يقينه وقوة هواه وكبر الناس في عينه وعظم قدر الدنيا مما يناله منهم في قلبه فهلك بالتزين والتصنع وأهلك أخاه بنحو ذلك والضرب الثاني من المتعبدين الغمر وقنعوا بالستر والصلاح خافوا ولم يحبوا ان يظهروا على حالهم كراهة الذم وخيفة النقص لهم فلم يحبوا ان يختبروا بالمباينة ولا ينكشفوا في المصاحبة ولا تعرف أحوالهم بطول الممارسة وأحبوا مع ذلك ان يشار اليهم من بعيد ويتوهم فيهم العبادة من غير طول ملاقاة فاظهروا التفرد والعزلة وتركوا المباينة والصحبة وأنكروا هذا وعابوه يريدون أن يبينوا بذلك عن نظرائهم وينفردوا به عن جملة الخلق بدعوى الحال لجهلهم وابتغاء بهاء عندهم

من

وهذا قريب قاله ذو النون واختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا هل هو من الاحوال أو من المقامات وهو نهاية التوكل فقال العراقيون انه من جملة الاحوال وليس بمقام مكسوب بل هو نازلة تحل القلب كسائر الاحوال وقال الخراسانيون انه من المقامات والرضا مخرجه من حسن الظن بالله تعالى والمعرفة بانه غير جائر في حكمه والرضا من الله والرحمة للخلق  درجة المرسلين *(فصل)* ويجب على العبد الرضا بالقضاء لا بالمقضي لان المقضي قد يكون كفرا ومعصية وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام فقال له ياموسى ان رضاى عنك في رضاك بقضائي واعلم انه يجب الامساك عن الكلام في القدر والخصومة فيه فقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى أصحابه عن الكلام في القدر فلم يتكلموا فيه الا وقت الحجاج فتكلم فيه فبدأ الجهني والجعد بن درهم وغيلان وغيرهم فقتلهم أمير بني أمية وكان العلماء ينهون عن الكلام والبحث فيه كما ورد النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وقال الله تعالى لابراهيم عليه السلام هو سري فلا تفشه وكذلك قال العزير وفي التوراة ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام اذهب الى فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل يعبدون الله تعالى وأنا أقسي قلبه حتى لا يفعل وهذه اشارة الى سر القدر وسكتة التي تاهت فيها عقول العقلاء فيجب على العبد ان يرضى باحكام الله تعالى وترك السخط فان السخط اعتراض ويجب عليه ان يقف حيثما وقفه الله تعالى بانشراح وقبول ولو أمر به الى النار قال الله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية قال السادة الائمة والرضا من أوائل مسالك الخصوص وأشقها على العامة وهو على درجتين الاولى رضا العامة وهو الرضا بالله ربا وسخط عبادة كل ما دونه وهذا قطب رحى الاسلام وهو يطهر من الشرك الاكبر وهو يصح بثلاثة شرائط أحدها ان يكون الله تعالى أحب الاشياء



من غير حال ولا انقطاع الى الله سبحانه وتعالى ولا اشتغال وله معونة للعامة باحوال الصادقين فوالك أيضا بالمباينة وغربة الحال وترك السنة من اجابة الدعوى ومخالطة الامة كبرا وتطاولا على العامة وتمويها منهم على من لا يعرف سيرة الامة وأوهم بذلك انه مشغول عنهم بسلوك الطريق لعلمائهم لا يعرفون صحة التحقيق ولعله مشغول بهم وانهم وساوس قلبه وهو في ذلك :: كشف الصادقين ظاهر جلي للعارفين وقد جاء في مخالطة المسلمين وفي الاكل مع الاخوان والاختلاط بالعامة والمشي في الاسواق واشتراء الحوائج وحملها للتواضع ما يكثر جمعه ويطول وصفه وكذلك كان سيرة الصحابة وشيمة التابعين باحسان منهم عمر رضي الله عنه كان يحمل القربة على ظهره لاهله وعلي رضي الله عنه كان يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول

لا ينقص الكامل من كماله * ما جر من نفع الى عياله

ومنهم أبي وابن مسعود وحذيفة وأبو هريرة كانوا يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم وظهورهم وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم كان يشتري الشئ فيحمله بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله عنك فيقول صاحب الشئ أحق بحمله وكان الحسن بن علي عليهما السلام يمر على السؤال في الطريق وبين أيديهم كسر ملقاة في الارض فيسلم عليهم فيقولون هلم الغداء يا ابن بنت رسول الله فيثني رجله عن بغلته وينزل فيقعد معهم على الارض ويأكل ثم يركب ويقول ان الله تبارك وتعالى لا يحب المتكبرين ثم يدعوهم بعد ذلك الى منزله فيقول للخادم هلمي ما كنت تدخرين فيأكلون معه ورويناه في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى ظن انه نال المنزلة عند الله تعالى فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك قد ملأت الارض نفاقا واني لا أقبل من نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال قد بلغت محبة ربي فاوحى الله عز وجل الى النبي قل له انك لم تبلغ رضاي قال فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وأكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله تبارك وتعالى الآن حين بلغت رضاي فلو أيقن البائس المتصنع للخلق الاسير في أيديهم الرهين لنظرهم ان الخلق لا ينقصون من رزق ولا يزيدون في عمر ولا يرفعون عند الله ولا يضعون لديه وان هذا كله بيد الله عز وجل لا يملكونه ولو سمع خطاب المولى لاستراح من جهد البلاء اذ يقول الله عز وجل ان الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه مع قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ولو عقل ذلك لاطرح الخلق عن قلبه اشتغالا بقلبه ولا عرض عن الناس بهمه نظرا منه الى مهمه وأظهر حاله وكشف أمره تقويا به وغنية بعلمه فلم يبال ان يراه الناس على كل حال يراه فيه مولاه اذ كان لا يعبد الا اياه ولا يضره ولا ينفعه سواه فعمل ما يصلحه وان كان عند الناس يضعه وسعى فيما يحتاج اليه وان كان عند المولى يزري عليه ولكن ضعف يقينه فقوي الى الخلق نظره وأحب أن يستر عنهم خبره لاثبات المنزلة عندهم ولاستخراج الجاه لنفسه فيفتخر بالخيلاء والعجب فهو عال على من لا حال له وهم بمقام عنده من ليس له مقام واعتقدوا فضله بذلك لنقصهم وتوهموا به علمه لجهلهم ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم حدثونا عن يونس بن عبد الاعلى قال قال لي الشافعي رضي الله عنه والله ما أقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر ما يصلحك فافعله وحدثونا عن الثوري قال رضا الناس غاية لا تدرك فاحمق الناس من طلب من لا يدرك وقد قال بعض الحكماء في معناه قولا منظوما

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

ونظر أبو محمد سهل الى رجل من الفقراء فقال له اعمل كذا وكذا فقال يا أستاذ لا أقدر على هذا لاجل الناس فالتفت الى أصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد يسقط الناس من عينه فلا يرى فى الدار الاهو وخالقه وأن أحدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه او عبد أسقط الناس من قلبه فلا يبالى باى حال يرونه وحدثونا عن امام الائمة الحسن بن يسار البصرى رحمه الله ان رجلا قال له يا أبا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الفائدة منك ولا الاخذ منك انما همهم تتبع سقط كلامك وتعنتك فى السؤال ليعيبوك بذلك فتبسم الحسن ثم قال هون عليك يا ابن أخى فانى حدثت نفسى بسكنى الجنان فطمعت وحدثت نفسى بمعانقة الحور الحسان فطمعت وحدثت نفسى بمجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسى قط بالسلامة من الناس لانى قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم فكيف أحدث نفسى بالسلامة منهم وبمعنا ما روى عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يا رب احبس عنى ألسنة الناس فقال الله تبارك وتعالى يا موسى هذا شىء لم أفعله بنفسى فكيف أفعله بك وفى لفظ آخر لو خصصت بهذا أحدا لخصصت به نفسى وقد كان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول ما من يوم اصبح فيه معافى وأمسى ولا يرمينى فيه الناس بداهية الا عددته نعمة من الله تعالى على وأنشد

وان امرأ يمسى ويصبح سالما * من الناس الا ماجنا لسعيد

وأوحى الله عز وجل الى عزير ان لم تطب نفسا بان أجعلك علكا فى أفواه الماضغين لم أكتبك عندى من المتواضعين ومشهور روينا عن عيسى عليه السلام انه كان يقول يا معشر الحواريين ان أردتم ان تكونوا اخوانا لى وأمنوا نفوسكم عند العدا وتوا البغضاء من الناس وقد جعل الله تبارك وتعالى فى المخالطة للمؤمنين من البركة مالو لم يجئ فيه الاثر الا هذا كان فيه كفاية وروينا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع فى الحياض الادم قد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه فقال اسقونى فقال العباس يا رسول الله ان هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالايدى أولا آتيك أنظف من هذا فى جر مخمر فى البيت فقال لا اسقونى من هذا الذى يشرب منه الناس التمس بركة أيدى المسلمين فشرب وروينا فى خبر آخر قيل يا رسول الله الوضوء من جر مخمر أحب اليك أو من هذه المطاهر التى يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المطاهر التماس بركة أيدى المسلمين وروينا فى الخبر اذا التقى المسلمان فتصافحا فتبسم أحدهما الى صاحبه تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر وفى لفظ الحديث الآخر قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لابشهما بصاحبه وأحسنهما بشرا وروينا فى الخبر خير الاصحاب عند الله عز وجل أرفقهم بصاحبه وخير الجيران أرفقهم بجاره واياك ان تصحب جاهلا فتجهل بصحبته أو غافلا عن مولاه متبعا لهواه فيصدك عن سبيله فتردى كما قال سبحانه وتعالى فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون فاول الاستقامة صحبة العلماء بالله عز وجل وقال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى أى فتكون رديا وقيل فتهلك وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ففى دليله الاقبال بالصحبة على من أقبل الى ذكره تعالى والاعراض عمن أعرض عن وجهه فلا تصحبن الا مقبلا عليه كما قال الله عز وجل واتبع سبيل من أناب الى واياك ان تصحب من الناس خمسة المبتدع والفاسق والجاهل والحريص على الدنيا والكثير الغيبة للناس فان هؤلاء مفسدة للقلوب مذهبة للاحوال مضرة فى الحال والمآل وقد كان سفيان الثورى رحمه الله يقول النظر الى

عندموا أولياء الاشياء بالتعظيم وأحق الاشياء بالطاعة الثانية الرضا عن الله تعالى وهو الرضا عنه فى كل ما قضى به وقد حكى ان الاستاذ أبا اسحق رحمة الله عليه رأى مجوسيا مستقبل الشمس وقصد ان يسجد لها فقال الاستاذ ذلك عنه وهذا الفعل ثم قال لو نظر الله اليه فى جميع عمره نظرة رحمة لحل زناره فاخاف لو نظر الى نظرة سخط فانه يشده على وسطى * (فصل) * وأما قضاء الله تعالى على عباده فهو كائن لا محالة سخطا العبد أورضى لا يخلص العبد منه بالحيل ولا ينجو منه بالحذر وورد فى جامع عبد الله ابن وهب قال بينما ابن عباس يحدث أصحابه عن الهدهد كيف يحفر الثرى حتى استنبط الماء اعترضه ابن الازرق قال يا ابن عباس الهدهد رأى الماء فى اطباق الثرى يحفر الثرى حتى استنبط الماء ولم يبصر الحبة فى الفخ حتى وقعت فى عنقه قال فنكس ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رأسه هنيهة ثم رفع رأسه وقال ان الحذر ينفع مالم يبلغ الاجل فاذا بلغ الاجل لم يغن الحذر وحال القدر بين الحيلة والصبر فقال ابن الازرق صدقت وروى ان نبيا من انبياء بنى اسرائيل مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال الطائر يا نبى الله هل رأيت أقل عقلا من هذا الصياد نصب هذا الفخ ليصيدنى فيه وأنا انظر اليه فذهب عنه ثم رجع اليه فاذا الطائر فى الفخ فقال عجبا لك أولست القائل كذا وكذا فقال يا نبى الله اذا جاء الحين غطى على العين * (فصل) والرضا بالمصائب كالفقر والمرض والذل مستحب عند بعض الفقهاء بالفقه الظاهر وعند ارباب الفقه الباطن هو واجب فارباب علم الباطن وجه شهدوا بان الله تعالى رب الكائنات وانه موجدها ومبدعها ومخترعها وخالقها ومنشئها الفاعل لها لا هو وانه قدر كل شئ وقضى به ومن لم يرض بكل ما قدره الله تعالى وقضاه من البلايا والمحن والرزايا الدينية كالضلال والكفر والمعصية والذنوب كالمرض والذل والفقر وفقد الاعضاء

والحواس والاقليس براض من الله قالوا فاذا الابدفي كمال الايمان من الرضا بما يريده المحبوب تعالى والكون كله مراد المحبوب فيجب الرضا بكل ما في الكون من خير وشر بلاء وعافية ويروى ان الشبلي رحمة الله عليه قال يوما بين يدى الجنيد لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال له الجنيد قولك هذا ضيق صدر وضيق الصدر لعدم الرضا بالقضاء * (فصل) * والرضا في ثلاثة أشياء قبول ما يجرى من الاحكام الالهية والتسليم لامره وترك الاختيار عليه في قضائه ولا تتم العبادة والعبودية الا بالرضا فان العبادة فعل ما يرضى الرب والعبودية الرضا بما يفعل الرب والرضا نظام المحبة ونفس التوكل وروح اليقين وينبغى ان يكون دائما مبتهلا الى الله تعالى في ان يديم قلبه على الرضا بالقضاء والقدر وما جرت به الاحكام في الازل من البلايا والمحن والمصائب فان ذلك من كمال الايمان لان القلب تعترضه العوارض المختلفة والمحن الكثيرة وهو سريع التقلب قليل الثبات على الشئ والقلب انما سمى قلبا لتقلبه من حال الى حال بحسب توارد الدعاوى المختلفة عليه ولهذا كان السيد المعصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك قال السادة العلماء أرباب البصائر ينبغى للعبد ان يقطع تعلق قلبه عن المستقبل بل يجعل مشغول القلب بانه ما الذى جرى في الازل ولهذا قال عليه الصلاة والسلام من عرف سر القدر هانت عليه المصائب وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المقدر كائن والهم فضل وقال بعضهم الخوف والحزن والهم من نتائج القضاء والقدر لان المؤمن لا يدرى ما الذى جرى به حكم الله تعالى في القدم فهو يخاف ويحزن ويهتم لذلك ولهذا كان بعضهم يقول الناس يخافون الخاتمة وأنا أخاف السابقة مكم من شجر بدت أزهاره وبرزت ثماره وظن أهله انهم قد ظفروا بمقصودهم منه وانهم امنوا فيه قال الله تعالى أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس

وبها الاحق ثمة ما بثه مكتوبة وقال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة ولكن قد كان صعصعة بن صوحان يقول اذ القيت المؤمن فخالطه مخالطة واذا لقيت المنافق فخالفه مخالفة وقد قال أحسن الواصفين في وصف أوليائه المتقين واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أي سلامة الالف بدل من الهاء لازدواج الكلام والمعنى أي سلمنا من اثمكم وسلمتم من شرنا وقد كان أبو الدرداء يقول في زمانه كان الناس ورقا لا شوك فيه وهم اليوم شوك لا ورق فيه ان ناقدتهم ناقدوك وان تركتهم لم يتركوك فاقرضهم من عرضك ليوم فقرك وكان يقول كل يوم أصبح لا يرميني الناس فيه بداهية أعده نعمة من الله تعالى على وقال حكيم الحكماء صلى الله عليه وسلم من خالط الناس وصبر على أذاهم أفضل ممن لم يخالطهم ولم يصبر على أذاهم وقال العلام ذو الجلال والاكرام أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة أي يدفعون بالكلام الحسن الكلام السيئ وقال عز وجل في الكلام المفسر ادفع بالتي هي أحسن يعني بالكلمة الحسنى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ثم قال عز وجل وما يلقاها يعني الكلمة الا الذين صبروا أي على أمر الله تعالى وعلى الغيظ وعن الغضب وما يلقاها الا ذو حظ عظيم أي من الحلم والعلم وقيل ذو حظ عظيم عند الله عز وجل من النصيب والجزاء وقد قال لقمان الحكيم قولا متوسطا يا بني لا تكن حلوا فتبلع ولا مرا فتلفظ المعنى لا تمكن الناس من نفسك ولا تتابعهم في كل شئ فلا يبقوا عليك وينبسطوا اليك ولا تنافرهم وتخالفهم في كل شئ فيجانبوك ويرفضوك ويقعوا فيك وقال بعض السلف لا تصحب الا مريدا وكل خليل لا يريد ما تريد فانبذ عنك صحبته وقال بعض علماء العرب الصاحب كالرقعة في الثوب ان لم تكن من جنسه شانته وقال بعض الحكماء كل انسان مع شكله كما ان كل طير مع جنسه وقد كان مالك ابن دينار يقول مثل هذا وقد لا يتفق اثنان في عشرة ودوام صحبة الا وفي أحدهما وصف من الآخر وان أشكال الناس كاجناس الطير قال ورأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال كيف اتفقا وليسا من شكل قال ثم طارا فاذا هما أعرجان فقال من ههنا اتفقا ويقال اذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد ان يفترقا وقد أنشدنا بعض العرب لبعض الحكماء في معناه

وقائل لما تفرقتما * فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلي ففارقته * والناس اشكال والاف

وقد روينا في حديث ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف تلتقي فتشام في الهواء قيل معناه في المذهب والخلق وفي هذا الخبر زيادة لو ان مؤمنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق وفيه مؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مؤمن وفيه منافق واحد لجاء حتى يجلس اليه وقد ذكر لهذا الحديث سبب على ما ذكرناه وهو ان امرأة عطارة كانت بالمدينة من أحد فقدمت امرأة من مكة عطارة وكانت مزاحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على من نزلت قيل على فلانة فقال الارواح جنود مجندة وبعض العلماء يقول ان الله خلق الارواح ففلق بعضها فلقا وقدر بعضها قدرا ثم أطافها حول عرشه فاي روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلاهما في الدنيا وتراءفا وأي روحين من قدرتين أو فلقة وقدرة اختلفا ثم وتناكرا هنالك ما اختلفا في الجولان فان هذين اذا ظهرا اليوم تباغضا وتنافرا فهذا تأويل الخبر عنده فما تعارف منها أي في الطواف فتقابلا لا تعارفا هما وترافقا ائتلفا وما تناكر منها في الجولان فتدابرا تناكرا هما اليوم في الخلق والحال لما نظر اختلفا وليس الائتلاف بقع بنفس الاجتماع

ووقت الاتفاق فانما الائتلاف يكون بمجانسة الحال ومشاكلة الاخلاق لانهم شبهوا أجناس الناس باجناس الطير وقد يتفق الطيران من جنسين و يتجامعان فى مكان فلا يكون ذلك ائتلافا فى الحقيقة ولا اتفاقا فى الخلقيــة لتباينهما فى التشاكل ولا يتبين ذلك فى الاجتماع وانما يتبين فى الطيران اذا طارا معا فاما اذا ارتفع أحــدهما ووقع الآخر وعلا أحدهما وقصر الآخر فلابد من افتراق حينئــذ لفقــد التشاكل ولابد من مباينة لعدم التجانس عند الطيران فهذا مثال ماذكرناه من الافتراق لعــدم حقيقة تشاكل الحال والوصف بعد الاتفاق واعلم ان الائتلاف والاختلاف يقع بين اثنين اذا اشتركا وافترقا فى أربعة معان اذا استويا فى العقود واشتركا فى الحال وتقاربا فى العلم واتفقا فى الاخــلاق فان اجتمعا فى هذه الاربع فهى التشاكل والتجانس ومعه يكون الائتلاف والاتفاق وان اختلفا فى جميعها فهو التباعد والتضاد وعنده يكون التباين والافتراق وان اتفقا فى بعضها واختلفا فى البعض كان بعض الاتفاق وبعض الاختلاف فيوجد من الائتلاف بمقدار ماوجد من التعارف ويوجد من الاختلاف نحو مافقــد من الاتفاق وهذا هو تناكر الارواح لتباعد نشأتها وتشامها فى الهواء وذلك الاول هو تعارف الارواح بقرب التشام باجتماع الاوصاف حدثت عن يعقوب بن أخى معروف رحمهما الله قال جاء الاسود بن سالم الى عمى معروف وكان مؤاخياله فقال ان بشر بن الحرث رحمــه الله يحب مؤاخاتك وهو يستحى ان يشافهك بذلك وقد أرسلنى اليــك يسألك ان تعقد له فيما بينك و بينه أخوة يحتسبها و يعتد بها الا انه يشــترط فيها شروطا لا يحب ان يشتهر بذلك ولا يكون بينــك و بينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف رحمه الله أما أنا فلو أحببت واحــدا لم أحب ان أفارقه ليلا ولا نهارا ولزرته فى كل وقت ولآثرته على نفسى فى كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب فى الله عز وجل أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه و بين على عليــه الســلام فشاركه فى العلم وقاسمه فى البدن وأنكحه أفضل بناته وأحبهن اليه وخصه بذلك لمؤاخاته وانى أشهدك انى قد عقدت له أخوة بينى و بينه واعتقده أخا فى الله عز وجل لرسالته ولمسألتك على ان لا يزورنى ان كره ذلك ولكنى أزوره متى أحببت وامره بلقائى فى مواضع نلتقى فيها وآمره ان لا يخفى على شيأ من شأنه وان يطلعنى على جميع أحواله قال فانصرف بذلك اسود بن سالم فاخبر به بشرا فرضى بذلك وسر به فهذا اسود بن سالم أحــد عقلاء الناس وفضلائهم فكان فيه اتساع للاصحاب وصبر عليهم وهو الذى أشار معروف به على الرجــل الذى سأله مستشيرا فقال يا أبا محفوظ هذان الرجلان اماما هذا البلد فاشر على أيهما أصحب فانى أريد ان أتادب به أحمد بن حنبل أو بشر بن الحرث رضى الله عنهما فقال له معروف لا تصحب أحــدهما فان أحمد صاحب حديث وفى الحديث اشتغال بالناس فان صحبته ذهب ماتجد فى قلبك من حلاوة الذكر وحب الخلوة وأما بشر فلا يتفرغ لك ولا يقبل عليك شغلا بحاله ولكن اصحب اسود بن سالم فانه يصلح لك و يقبل عليك ففعل الرجــل ذلك فانتفع به وانما ضمه معروف رضى الله عنه الى الاسود دونهما لانه كان أليق بحاله وأشبه بوصفه وكذلك رو ينا فى حديث المؤاخاة الذى آخى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فآخى بين اثنــين شكلين فى العلم والحال آخى بين أبى بكر وعمر وبين عثمان وعبــد الرحمن وهما نظيران وآخى بين سلمان وأبى الدرداء وهما شكلان فى العلم والزهد وآخى بين عمار وسعد وكانا نظيرين وآخى بين على و بينه رضى الله عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعــين وهذا من أعلى فضائله لان علمه من علمه وحاله من وصفه ثم آخى بين الغنى والفقير ليعتدلا فى الحال وليعود الغنى على أخيه الفقير بالمال قال أبو سليمان الدارانى

فهكذا كم من عبد ظهرت عليه آثار السعادة وأنوار القربة والهيبة ثم أصبح من المطرودين كبلعام بن باعوراء و برصيصا وغيرهم ممن ارتد عن الايمان قال الله تعالى أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال عليه السلام السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه وقد حضرنى فى هذا المعنى كلمات فلت فاح نشر هدى طيب محمد صلى الله عليه وسلم فاستنشق منه بلال بالحبشة وسلمان بفارس وصهيب بالروم فذبهم طيب ذلك الشذا الى حضرة امام الهدى وانتعس أبو لهب بالحضرة وما أدرك منه شمة سئل صلى الله عليه وسلم عن سلمان فقال سلمان منا أهل البيت وسئل عن أبى لهب فقال لست منه ولا هو منى وقد خاطب الله تعالى ذرية آدم وهى فى صلبه بما سبق به قضاؤه فقال البعض هؤلاء للجنة ولا أبالى وقال للبعض هؤلاء للنار ولا أبالى فخاطب أهل النار بالعدل وخاطب أهل الجنة بالفضل

* (فصل) واعلم ان ملاحظة القضاء والقدر أوقعت كثيرا من الخلق فى التهاون فى العمل والمعتزلة والحرورية وغيرهم من أصناف القدرية لما أعرضوا عن القضاء والقدر أوقعهم ذلك فى الاجتهاد فى العمل والجد وكثرة الخوف حتى أفضى بهم ذلك الى الياس والقنوط وأكثر ما يبتلى به السالكون أهل الارادة والعامة فى هذا الزمان من ملاحظة القضاء والقدر والاعراض عن الجد والاجتهاد كما قال فيهم بعض العلماء هم عند الطاعة قدر يه وعند المعصية جبرية والقدر به جعلوا انفسهم أربابا لافعالهم وما يتولد منها قال بعض أهل المعارف ادعى فرعون الربوبية على كشف وادعتها القدرية على السر * (فصــل) * الرضا والتسليم من ثمرات العــلم باثبات القدر والارادة وعموم تعلقهما واختلفوا فى الرضا هل هو مقدور للعبد مباشر بقدرته أو المقدور هو سببه فقط فقال بعض المتكلمين ان المعانى المطارئة على

المارانى لاحمد بن أبي الحوارى اذا آخيت أحدا فى هذا الزمان فلا تعاتبه على أمر تكرهه منه فانك لا تأمن أن يجيبك بشر من الامر الاول قال أحمد فجربته فوجدته كما قال وقال بعض العلماء الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته ومعاتبته خير من القطيعة والقطيعة أحسن من الوقيعة وقال بعضهم كدر الجماعة خير من صفو الفرقة ومثل الاخ ومثل الزجاجة الرقيقة ما لم تحفظها وتوقها كانت معرضة للآفات واستتمام الاخاء الى حين الوفاة أشد من ابتدائها فى حال الحياة وقال بعض الادباء الناس أربعة فواحد حلو كله فهو لا يشبع منه وآخر كله مر وهذا الاثر كل منهم واحد فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه اذا احتجت اليه وقال بعض الائمة الناس أربعة فاصحب ثلاثة ولا تصحب واحدا رجل يدرى ويدرى انه يدرى فهذا عالم فاتبعه ورجل يدرى ولا يدرى انه يدرى فهذا نائم فنبهه ورجل لا يدرى ويدرى انه لا يدرى فهذا جاهل فعلمه ورجل لا يدرى ولا يدرى انه لا يدرى فهذا منافق فاجتنبه ومثل هذا الرابع قول سهل ما عصى الله عز وجل بمعصية شر من الجهل وأعظم من الجهل الجهل بالجهل وقال بعض الادباء الناس ثلاثة فاصحب رجلين واهرب من الثالث رجل أعلم منك فاصحبه تتعلم منه ورجل أنت أعلم منه يقبل منك فاصحبه تعلمه ورجل معجب بنفسه لا علم عنده ولا تعلم فاهرب من هذا وقال محمد بن الحنفية رضى الله عنه ليس بلبيب من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله منه فرجا فمعاملته عن يتق ومخالطته اخوان الاضطرار ومعاشرة التقى ومصافاته من أحسن الاحسان وكان أبو مهران يقول أخرج من منزلى فما ألقى الا واحدا من ثلاثة ان لقيت من هو أعلم منى فهو يوم فائدتى أتعلم منه وان لقيت من هو مثلى فهو يوم مذاكرتى وان لقيت من هو دونى فهو يوم مثوبتى أعلمه فاحتسب فيه الاجر وقال أبو جعفر محمد بن على لابنه جعفر بن محمد عليهم السلام لا تصحبن من الناس خمسة واحذر صحبتهم الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب والاحمق فانك لست منه على شئ يريد أن ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك أحوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك وماله ونفسه عند الشدة والفاسق فانه يبيعك بأكلة أو بأقل منها قلت وما أقل منها قال الطمع وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا صحبه فى طريق فدخل النبى صلى الله عليه وسلم غيضة فاجتنى سواكين من أراك أحدهما معوج والآخر مستقيم فأخذ المعوج وأعطى صاحبه المستقيم فقال الرجل أنت أحق بالمستقيم منى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما من صاحب يصحب رجلا ولو ساعة من نهار الا سأله الله عن صحبته هل أدى فيها حق الله عز وجل أم لا فكرهت أن يكون لك على حق لم أرده واعلم ان الاخوة فى الله عز وجل والمحبة فى الله تعالى وحسن الصحبة كانت طرائق السلف الصالح قد درست اليوم مناهجها وعفت آثارها فمن عمل بها فقد أحياها ومن أحياها كان له مثل أجر من عمل بها فمن رزقه الله أنساب الخلطة فى به نفسه ويصلح معتقده فهى نعمة من الله عز وجل مضافة الى محاسن نعمه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

*(الفصل الخامس والاربعون فيه ذكر التزويج وتركه أيهما أفضل ومختصر أحكام النساء فى ذلك)*

قال سبحانه وتعالى وأنكحوا الايامى منكم الآية فأمر المحتاجين وندب المعصومين فالنكاح فرض مع الحاجة وسنة على الكفاية ثم وعدهم تعالى الغنى على الفقر فالغنى على الغنى يعطيه على نحو الفقر من الفقير فقد يكون فقيرا من الاجر فيغنيه بالاجر ويكون فقيرا من عدم الحكم فيغنيه بايجاب الحكم عليه ويكون فقيرا بالضيعة والشتات وفقد المنزل والاثاث فيغنيه بوجود ذلك وأحكمه عز وجل بما عقبه من قوله

القلوب كالرضا والخوف والرجاء والزهد والتوكل وغيره البعث مقدورة العبد وانما المقدورة أسبابها والبعض الحاسبي وقال القاضي أبو بكر انها مقدورة لانها مطلوبة للشارع فاعلم ان الاحوال عند أرباب علم الباطن عبارة عما يعتور على القلب من المعانى ولا يثبت فيه أو لا يدوم بخلاف المقام فانه يدوم والحال مثل الهيبة والابتهاج والانزعاج والقبض والبسط والمقامات من ثمرات العلم بالصفات وهى تبلغ نيفا وسبعين مقاما وهى المنازل التى يقطعها أهل الارادة وتكلم العلماء بالله فى الرضا بالشئ هل يمنع من طلب الزيادة عليه أم لا والظاهر عند قوم انه لا يمنع لان الرضا بالحاصل كيف يمنع من طلب ما لم يحصل والمتعلق مختلف لان متعلق الرضا هو الحاصل ومتعلق الطلب لم يحصل فاذا تعدد المتعلق أمكن قيامهما بالنفس وانما يمتنع ذلك بالفعل الواحد

*(باب المجاهدة والمعاملة)*

قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم طوبى للغرباء الشعثاء الاخفياء الذين اذا حضروا لم يعرفوا واذا غابوا لم يفتقدوا ويفتقدوا عنهم كل فتنة غبراء مظلمة لا يعرفون أولئك هم سرج الدنيا هم أحب الى الله وأعجب من الذين يجيء ونكم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال جئتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد المرء هواه وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب رواه مالك فى الموطأ والمجاهدة بذل الوسع فى فعل ما يرضى الله تعالى وترك ما يسخطه وقال بعضهم المجاهدة استدامة الجد وترك الراحة وقال بعض الاكابر ما أخذنا التصوف من القيل والقال ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات وترك جميع

تعالى وهو الحكيم والله واسع عليم فهو واسع لغناهم من معاني فقرهم عليم بصالهم وما يصلحهم فهم لا يعلمون على مقادير رتبهم ور وي الحسن عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فانكحوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وفي الخبر من نكح لله عز وجل وأنكح لله تبارك وتعالى استحق ولاية الله تعالى وهذا أدنى حال تنال به الولاية لانها مقامات لكل مقام عمل من الصالحات الا آثار وينا ان بشر بن الحرث قيل له ان الناس يتكلمون فيك فقال وما عسى يقولون قيل يقولون انك تارك السنة يعنون النكاح فقال قل لهم اني مشغول بالفرض عن السنة وقال مرة ما يمنعني من ذلك الا آية في كتاب الله تعالى قوله ولهن مثل الذي عليهن ولعسى ان لا أقوم بذلك وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لخفت ان أكون جلادا على الجسر هذا يقوله في سنة عشرين ومائتين والحلال والنساء أحمد عاقبة فكيف بوقتنا هذا فالافضل للمريد في مثل زماننا هذا ترك التزويج اذا أمن الفتنة وجد العصمة ولم تنازعه نفسه الى معصية ولم يترادف خواطر النساء على قلبه حتى يتشتت همه أو يقطعه عن حسن الاقبال على الخدمة من مساهرة الفكر ومحادثة النفس بأمر النساء ولم يجمع بصره الى محظور ولم يخالطه ذكر شهوة تستولي عليه لان أول خطايا الفرج شهوة القلب بمسامرة الفكر وهو معقول الخطيئة الثانية انعاظ الفرج من شهوة القلب وهذا عمل وقبض الرجل على فرجه فتلك معصية ثالثة فان ظهرت الشهوة من الفرج فهو معصية رابعة ومس الفرج باليمين مكروه فمتى وقعت هذه المعاني فانها تغير القلب عن الخشوع وتدخل عليه النقصان ومتى لم يتل العبد بها فان الحلاوة أفضل المعاني وفيها تعدل لذة الوجد وحلاوة المعاملة ويقبل على نفسه ويشتغل بحاله ولا يهتم بحال غيره فيحمل حاله على حال غيره فيقصر أو يقوم بحكم آخر فيعجز ويعالج شيطانا آخر مع شيطانه وتنضم نفس أخرى الى نفسه فهو في مجاهدة نفسه ومصابرة هواه وعدوه وأكبر الاشغال ومنها أن المكاسب قد فسدت فليس ينال أكثرها الا بمعصية وهو مسؤل من أين اكتسبه وفيم أنفقه فان كان كسبه من غير حله حسب ذلك عليه وان أنفق على هواه لم يحسب ذلك له ومنها ان أكثر النساء مقابلات الدين والصلاح والاغلب عليهن الجهل والهوى فلا يأمن ان ينقاد لهن لاجل هواه فيخسر آخرته أو يعاتبهن فيغالبهن فلا ينقدن له فيتنغص عليه عيش دنياه وقال الحسن رحمه الله والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا أكبه الله في النار ومنها ان الاغنياء في مقام الظالمين الفقراء لبخس حقوقهم منهم وتقصيرهم عما أوجب الله عز وجل عليهم لهم فان كان المتأهل فقيرا لقي شدة وجهدا ومشاركة ولم يأمن دخول الا آفات عليه لاجل عيلته وقد سئل ابن عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال وقال بعض السلف قلة العيال أحد اليسارين وكثرة العيال أحد الفقرين ويقال ان العيال عقوبة شهوة الحلال وان الحرص عقوبة طلب فوق الكفاية فهو عقوبة الموحدين وقد جاء في الاثر الوحدة خير من قرين السوء وهو من القرين الصالح على غير يقين فلا يزال اليقين بالشك فان أكثر النساء من لا صلاح فيه لغلبة الهوى وحب الدنيا عليهن وفي الخبر مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الاعصم من مائة غراب يعني الابيض البطن وفي وصية لقمان لابنه يا بني اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل المشيب واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في شرار النساء انكن صواحبات يوسف عليه السلام ان صرفكن أبا بكر رضي الله عنه عن الامامة ميل منكن الى الهوى وتزيين

المستحسنات ومبنى طريق القوم في معاملاتهم لله تعالى على حسن المتابعة ومن ثمة بلغ غرضا أو بلغ مرادا لا من طريق متابعة الشريعة فهو مخذول مغرور وقال بعضهم من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة وبالمجاهدة تحصل رياضة النفس وقال أبو على الدقاق من زين ظاهره بالمجاهدة زين الله باطنه بالمشاهدة ومن لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة وممن أقيم في مقام المجاهدة من الصحابة عبدة بن هلال وكان قد أقسم على نفسه ان لا يشهد عليه ليل بنوم ولا شمس بظل أبدا فاقسم عليه عمران لا ينهك نفسه ويرفق بها وقال الشبلي رحمة الله عليه ليس للصبر بدفترة ولا للعارف علاقة ولا للمحب سكون ولا للصادق دعوى ولا للخائف قرار وقال ابراهيم ابن أدهم لا ينال الرجل رتبة الصالحين حتى يجوز ست عقبات الاولى يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة الثانية يغلق باب الراحة ويفتح باب التعب الثالثة يغلق باب العز ويفتح باب الذل الرابعة يغلق باب النوم ويفتح باب السهر الخامسة يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر السادسة يغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد للموت وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشئ مثل مخالفة النفس والهوى وقال بعضهم من جعل زمامه في يد الشرع قاده الى النور ومن جعل زمامه الى الهوى قاده الى الظلمة وكذلك قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا الآية وقال يوسف بن اسباط لا يمحو الشهوات الا خوف مزعج أو شوق مقلق وقال أبو حفص ما أسرع هلاك من لا يعرف عيبه فان المعاصي بريد الكفر وورد في الحديث ان المعاصي اذا كثرت يختم اصحابها بالكفر وعن الاشعري الذنوب اذا كثرت واجتمعت صارت كفرا ❊ (فصل) ❊ والمجاهد لنفسه في رضا الله تعالى تعترضه المحن والشدائد ويتعاهد بالبلايا حكمة من الله تعالى لصلاح واغواء

العبد ولطلابه فى آخرته ليعرضه بذلك الى الملك العظيم وسعادة الابدان بسرور رضى فقال العلماء بالله المحن ستة أشياء الاول الامر والنهى مع غيبوبة الثواب والعقاب والثانى تركب الهوى والثالث تطبيع الشهوات والرابع تسليط الشيطان والخامس تخلق المشتهيات والسادس تحبيبه الكسل والراحة والحكمة فى الابتلاء والامتحان شيآن أحدهما التمييز بين المطيع (٢٣٩) والعاصى بالفعل ليظهر فى الدنيا من المطيع طاعته ومن العاصى عصيانه قال الله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين أى حتى نعلم ذلك منكم واقعا لان الموجود قبل الابتلاء انما هو العلم بانه سيوجد من العبد طاعة أو عصيان وعند الابتلاء يحصل العلم بوجود الطاعة أو المعصية من فاعلهما والثانى ليستوجب من صبر الثواب ومن جزع العقاب وقال بعض اهل المعرفة البلوى أدب للظالم وسياسة ورياضة للتائب وتفقد وتطهير للاولياء وعبادة للانبياء قال وشدد الله البلاء على الانبياء والخواص من اتباعهم ليكونوا دائما فى التضرع اليه والمناجاة معه ولان الله تعالى يبغض الدنيا فاعرض أولياءه فيها لئلا يميلوا الى مبغوضه قال ومن المحن ان يجعل الله الطاعة ثقيلة والمعصية خفيفة قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات والحكمة فى ذلك كما قال على رضى الله عنه لئلا يأتى بابه كل سفلة وقال آخر ليرجع الطفيلى من الباب مثل بعضهم ما الذى يقطع العبد من الله تعالى بعد وصوله اليه فقال الواصل على ثلاثة أقسام واصل الى الآخرة قطعه الميل الى الدنيا وواصل الى الدرجات والاحوال يقطعه حب الشهوات فى الآخرة وواصل الى الله تعالى ولا مطمع للقطع فيه لقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وفى الخبر من بعض الاكابر ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا الما رجعوا

*(فصل)* واعلم ان هذا الزمان لا يصل أحد فيه الى شئ من الحقيقة

والهوى كان زليخا حين راودت يوسف عليه السلام كان ذلك منها غواية وتسويلا فقيه اعتذار ليوسف عليه السلام وايقاع اللوم عليها وتشبه امن يم او قال الله فيمن حين أفشين سر النبى صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما يعنى مالت الى الهوى فامرهما بالتوبة للميل الى الهوى ثم قال وان تظاهرا عليه يعنى تعاونا عليه مما من غير الازواج فالملك بين شاكلته الجهالة ووصف الهوى والضلالة وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أفلح قوم تملكهم امرأة وقال الله تعالى مخبرا بعداوة بعض الازواج والاولاد ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم يعنى فى الآخرة لانعطاطكم فى أهوائهم وميلكم الى دهن آرائهم فصار واعدوا فهذا كيف وقد تكون المرأة والولد أعدى عدو للرجل اليوم قبل يوم القيامة اذا اتبعهم فى أهوائهم وعمل بالعلم فى أحوالهم وقد كان ابراهيم بن أدهم يقول من تعود أفخاذ النساء لم يفلح وكان بشر رحمه الله يقول لو كان لى عيال لخشيت ان أكون جلادا على الجسر فالوحدة أروح للقلب وأقل للهم لخفة المؤنة وقلة المطالبة وأمن المنازعة وسقوط حكم من أحكام الشرع عنه وقد كان السلف يعملون فى اسقاط الحكم منهم للعجز عن القيام به او يغتنمون ذلك وفى التخلى قلة الاهتمام بالادخار والجمع وترك المراعاة والصفا للميت فى البيت وسقوط المساءلة والاستخبار وترك التجسس للآثار التى نهى الله ورسوله عنها اذ لا يأمن ذلك مع الزوجة السوء وانما زهد الزاهدون فى الدنيا لراحة القلب واطراح الهم وسقوط المطالبة وقد أبيحت العزوبة وفضل التعزب لهذه الامة آخر الزمان وفى خبر اذا كان بعد المائتين أبيحت العزوبة لامتى ولان يربى أحدكم جرو كلب خير من ان يربى ولدا وفى الخبر المشهور خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لا أهل له ولا ولد وفى خبر آخر يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يدى زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويحملونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك وربما كانت المرأة عقوبة للعبد وقد حدثونا فى أخبار الانبياء عليهم السلام ان قوما دخلوا على يونس عليه السلام فاضافهم وكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فعجبوا من ذلك وهابوا ان يسألوه فقال لا تعجبوا من هذا فانى سألت الله عز وجل فقلت يا رب ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال ان عقوبتك ابنة فلان فتزوج بها فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها وهذا لمن لم يخش العنت فامامن خاف العنت وهو الزنا وأصل العنت فى اللغة هو الكسر بعد جبر يقال الدابة اذا كسرت بعد ما جبرت قد عنتت فكأنه كان مجبورا بالعصمة وبالتوبة ثم كسر بالزلل أو العادة السوداء فنكاح الامة حينئذ خير له من العنت والصبر عن نكاح الامة خير من نكاحها وهذا معنى قوله عز وجل فى نكاح الامة ذلك لمن خشى العنت منكم وكذلك ان كثرت الخواطر الردية والوساوس الدنية فى قلبه بذكر النكاح فشغله ذلك عن فرضه أوشتت ذلك همه فان نكاح الامة أيضا خير له على ان نكاح الامة محرم على من وجد طولا لحرة انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يبرح فاطال القعود فقال له ابن عباس هل لك من حاجة فقال نعم لى حاجة استحييت ان أسالك عنها بحضرة الملا فقال سلنى عما شئت قال انى أهابك وأجلك فقال ابن عباس انما العالم بمنزلة الوالد لا حشمة على السائل منه فهما أفضيت به الى أبيك فافض به الى فانه لا عيب عليك عندى فقال يرحمك الله انى شاب لا زوجة لى وربما خشيت العنت على نفسى وربما استمنيت بذكرى فهل لى فى ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس رضى الله عنهما ثم قال أف وتف نكاح الامة خير من هذا وهذا خير من الزنا نكاح الامة عند علماء العراق حرام على من وجد عشرة دراهم وعند

بعض علماء الحجاز اذا كان واجد الثلاثة دراهم لم يحل له نكاح الامة ومن بعض أصحاب ابن المسيب ان وجد الرجل درهمين حرم عليه الامة وقال بعض الناس أحمق الناس حر تزوج بامة وأحمق الناس عبد تزوج بحرة لان هذا يعتق بعضه وذلك يرق بعضه لانه يرق ولده وقد جاء في كراهة الاستمناء وتحريمه والتغليظ فيه أخبار شديدة روينا ان الله عز وجل أهلك أمة من الامم كانوا يعبثون بمذاكيرهم وقد اسنده اسماعيل بن أبان عن أنس بن مالك وسئل أبو محمد عن النساء فقال الصبر عنهن ولا الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وكذلك قال بعض العلماء قبله معالجة العزبة خير من معالجة النساء وقال بعض علمائنا البصريين من أهل الورع واليقين وقد سئل عن التزويج في مثل زماننا اذ ذكر ضيق المكاسب وقلة الحلال وكثرة فساد النساء فكرهه للورع وأمره بالمدافعة ما قدر عليه في ذلك فقال انه يدخل في المعاصي لدخول الانسان في الآفات وفي المكاسب المحرمات ومن أكله بدينه وتصنعه للخلق فلا يصلح التزويج في هذا الوقت الا لرجل يدركه من الشبق ما يدركه الحمار اذا نظر الى الاتان لم يملك نفسه ان يثب عليها حتى يضرب رأسه وهو لا ينثني فان كان الانسان على مثل هذا الوصف كان التزويج له أفضل وقد روينا عن قتادة في قوله عز وجل ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال الغلمة وعن عكرمة ومجاهد رضي الله عنهما وخلق الانسان ضعيفا قال لا يصبر عن النساء وروينا عن فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وروينا في نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة الا انه قال غيبة الذكر اذا دخل ولم يذكر قام وقالت العلماء اذا تزوج الرجل فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر وفي دعاء البراء بن عازب أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي فكان المني اذا امتلأ به خرز الصلب وطلب الخروج نخيف منه فساد القلب ومرضه بمنزلة الدم اذا كان في العروق فاذا تصاعد من الصلب طبخه وغيره فابيض وصار منيا باذن الله عز وجل وذكر النساء في مجلس معاوية فذمهن قوم فقال لا تفعلوا فما علل المريض ولا ندب الميت ولا عمر البيوت مثلهن ولا احتاجت الرجال الى مثلهن وفي بعض التفسير قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها قال النساء وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج وكان يجمع غلمانه لما أدركوا عكرمة وكريبا وغيرهما فيقول ان أردتم النكاح أنكحتكم فان العبد اذا زنى نزع نور الايمان من قلبه وقد قال عمر رضي الله عنه لابي الزوائد ما يمنعك من النكاح الا عجز أو فجور وحدثنا بعض علماء خراسان عن شيخ له من الصالحين كان يصحب عبدان صاحب ابن المبارك ووصف من صلاحه وعلمه قال فكان يكثر التزويج حتى لم يكن يخلو من اثنتين أو ثلاثة فعوتب في ذلك فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله عز وجل مجلسا أو وقف بين يدي الله موقفا في معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فأفكر في ذلك فقيل قد يصيبنا هذا كثير فقال لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت ثم قال لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي الا نفذته لاستريح منه وأرجع الى شغلي ثم قال منذ أربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية وسمع بعض العلماء بعض الجهال يطعن على الصوفية فقال يا هذا ما الذي نقمتم عندك فقال يأكلون كثيرا فقال وانت أيضا لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون ثم قال ماذا قال ويتزوجون كثيرا قال وانت أيضا لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون وأي شيء أيضا قال ويسمعون القول قال وانت أيضا لو نظرت كما ينظرون لسمعت كما يسمعون وقد سئل بعض العلماء عن القراء لم يكثرون الاكل ويكثرون الجماع وتعجبهم الحلاوة فقال لانه

الابدع نفسه بالصبر وقتلها بالجوع والظمأ والذل وتقريبها بالذكر والعلم وهدم الدنيا باليقين والزهد وقمارها بالمعرفة والطاعة وجاهد الاعداء واستأصالهم وهم الهوى والشهوات والشيطان واعلم انك مطبوع على أمور منها حسنة ومنها سيئة فاهدي أعداءك سيئات طباعك وأولى أولياءك حسنتها فقابل السيء من طباعك بالحسن منها واطلب من الله تعالى المعونة والصبر والنصر فقد بليت في حربها ومكايدها وجهادها بحرب لا حرب أنفع منها فان رزقت الظفر والا فانقص ما عليك العزيمة منها وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالجد والجهاد في العبادة وكان يداويهم بالدواء البالغ النافع فمن رآه قد انهك نفسه في العبادة أمره بالرفق بنفسه فقال لحنظلة بن الراهب لما قد انهك بالعبادة يا حنظلة ساعة وساعة وقال لغيره جدوا واجتهدوا وقال بعض الاكابر المجاهدة سفينة النجاة تنتهي بصاحبها الى السلامة قبل الصعود الى أن تنتهي عبادة أهل المعرفة بالله تعالى قال الى الظفر بنفوسهم وقال يحيى بن معاذ مجاهدة الصديقين مع الخطرات ومجاهدة الابدال مع الفكرات ومجاهدة الزهاد مع الشهوات ومجاهدة التائبين مع الزلات

*(فصل)* واعلم ان السعادة التي تجاهد لنيلها والشقاوة التي تجاهد لنفسك على النجاة منها لا نهاية لهما ولا انقضاء ولا آخر بل ذلك أبد الآباد لا يتصرم بتصرم الاحقاب والآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة من الخردل من مشرقها الى مغربها بطول وقدرنا طائرا يلتقط في كل خمسمائة ألف سنة حبة واحدة من ذلك الخردل لفني الخردل ولم ينقض ذلك الشقاء ولا ذلك النعيم لان الابد لا ينقضي وهذه الشقاوة الدائمة فيها من أنواع البلايا والآلام والعقوبات والحسرات ما قد شرحه الله تعالى في كتابه وأخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم مجملا

ومفصلا وأما السعادة فهي السرور بلا كدورة وغنى بلا فقر وكمال بلا نقصان وعز بلا ذل وراحة بلا تعب وبالجملة فهي كما أخبر الله تعالى
في كتابه وقال تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وكما قال صلى الله عليه وسلم ان
الله تعالى أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر  فمثل هذا الابتهاج الى استحثاث على طلبه

يطول جوعهم ويتعذر عليهم وجود الطعام فاذا وجدوا استكثروا منه وأما الحلاوة فانهم تركوا شرب الخمر وكثرة لذات النفوس فاجتمعت لذتهم في الحلاوة فهم يأكلونها وأما الجماع فانهم غضوا أبصارهم في الظاهر فضيقوا على قلوبهم في الخواطر فاتسعوا في النكاح فأكثروا منه لما ضيقوا على جوارحهم من الانتشار في الابصار وقد كان الجنيد رحمه الله يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت وكان ابن عمر رضي الله عنه من زهاد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعلمائهم وكان يصوم كثيرا وكان يفطر على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل ويصلي وروينا عنه انه جامع أو بعاض جواريه في رمضان قبل صلاة عشاء الآخرة وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يقول خير هذه الامة أكثرها نساء وكان سفيان بن عيينة يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا رضي الله تعالى عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبعة عشر سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الانبياء صلوات الله عليهم وقد روينا في أخبار الانبياء ان عابدا تبتل وبلغ من العبادة ما فاق على أهل زمانه ووصف بذلك فقال فذكر ذلك لنبي ذلك الزمان فاثنى عليه بحسن الثناء فقال نعم الرجل هو لولا انه تارك لشئ من السنة قال فنمى ذلك الى العابد فاهمه فقال ما ينفعني عبادتي ليلا ونهارا وانا تارك السنة فجاء الى ذلك النبي فسأله فقال نعم انت تارك التزوج فقال ما تركته اني حرمته وما منعني منه الا اني فقير لاشئ عندي وأنا عيال على الناس يطعمني هذا مرة وهذا مرة فكرهت ان أتزوج امرأة أعضلها وأرهقها جهدا فقال ما منعك الا هذا قال نعم قال فانا أزوجك ابنتي قال فزوجه النبي عليه السلام ابنته في قصة طويلة وروينا في نوادر أخبارهم أيضا ان يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج امرأة ولم يكن يقربها قيل لغض البصر وقيل للفضل في ذلك كأنه أراد ان يجمع الفضائل كلها وقيل السنة وكان بشر بن الحرث رحمه الله يعتقد أحمد بن حنبل رحمه الله ويقول فضل علي بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلب الحلال لنفسي واتساعه النكاح وضيق عنه وقد جعل اماما للعامة وأنا أطلب الوحدة لنفسي ويقال ان أحمد بن حنبل رضي الله عنه تزوج اليوم الثاني من وفاة أم عبد الله ولده ويقال انه لم يبت عزبا بعد وفاتها الا ليلة ولكن قد كان بشر رحمه الله يحتج لنفسه بحجة قيل له ان الناس يتكلمون فيك فقال وما عسى ان يقولوا قال يقولون هو تارك السنة في ترك النكاح فقال قل لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة أخرى في ترك التزوج فقال ما يمنعني من ذلك الا حرف في كتاب الله عز وجل ولهن مثل الذي عليهن قال فذكر ذلك لاحمد بن حنبل فقال وأين مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان وعلى ذلك فقد بلغنا انه رحمه الله رؤي في المنام بعد وفاته فسئل عن حاله فقال رفعت سبعين درجة في عليين وأشرف بي على مقامات الانبياء ولم أبلغ منازل المتأهلين وبلغنا عنه انه قال وعاتبني ربي عز وجل وقال يا بشر ما كنت أحب ان تلقاني عزبا قال فقلت له ما فعل أبو نصر التمار فقال رفع فوقي بسبعين درجة قلنا بماذا وقد كنا نراك فوقه فقال بصبره على بناته والعيال وقد كان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة أيام أموت في آخرها لاحببت ان أتزوج ولا ألقى الله عز وجل وأنا أعزب وماتت امرأتا معاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال زوجوني فاني أكره ان ألقى الله عز وجل عزبا وقد كان بعض الصحابة انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له ألا تتزوج فقال يا رسول الله أنا فقير لاشئ لي وانقطع عن خدمتك فسكت عنه ثم أعاد عليه ثانية ألا تتزوج فقال له مثل ذلك ثم تفكر الصحابي في نفسه فقال والله لرسول الله أعلم بما يصلح في دنياي وآخرتي وما يقربني الى الله عز وجل مني لئن قال

ويقبح الفتور ومضمره اذ كل عاقل مسارع الى أقل منه لا يصرفه عنه كون الطريق اليه متوعرا ويحوج الى ترك لذات الدنيا واحتمال أنواع من التعب فان مدة الدنيا واحتمال التعب فيها بالمجاهدة والعبادة قصيرة والغاية من اللذات والشهوات فيها قليل تنقضي وتنصرم عن قريب فان مدة عمر الانسان في الدنيا قصير بل ما يبقى من عمر الانسان في الدنيا بالاضافة الى ما مضى منها قليل جدا وقال صلى الله عليه وسلم بعثت والشمس في أطراف النخيل والعاقل يترك القليل العاجل لاجل تحصيل أضعافه في الآجل ولذلك ترى الخلق في التجارات والحرف يحتملون التعب والنصب في الحال طمعا في حصول منفعة وراحة في المستقبل تزيد على ما يفوتهم في العاجل زيادة محدودة فكيف لا يسمحون بترك لذة عاجلة للتوصل الى نعيم الابد وسعادة السرمد ولكن فتور الخلق عن سلوك طريق السعادة انما هو ضعف ايمانهم باليوم الآخر وضعف ايمانهم

 سببه الغفلة عن الفكر في المعاد وعن شهود الوعد والوعيد وتلك الغفلة مستمرة مستغرقة لاوقاتهم
لا ينتبهون منها ما دامت متوالية وهي كذلك وليس لهم واعظ مخلص ولا مذكر زكي القلب لان البلاد قد خلت من مثل هذا ولو فرض عالم زكي
القلب يذكر الناس ويعظهم لم يلتفت اليه وان التفت اليه وأذعنت النفس القبول منه والعزم على التوبة هجم عليها عقيب ذلك عوارض

الشهوات وصحبة الراحة والكسل وتهيل الذات وقضاء الاوطار فعارضت تلك الشهوات تلك البواعث فضعف على التوبة فصممه وأزالت أثره وأعادت حجاب الغفلة ويكون ذلك دأبه باعث المعاصى مع باعث التوبة والطاعة أبدا مادام الانسان حيا فلا يزال هذا دأبه الى الموت وعند ذلك لا يبقى له الا التحسر بعد الفوت  ولا يغنى عنه التحسر شيأ وكان النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ما ينذر قومه ويشيره د ويوقظهم من نوم الغفلة وينذرهم بنذر الله ويقول يامعشر قريش أو كلة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيأ ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيأ ياصفية عمة محمد لا أغنى عنك من الله شيأ يافاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيأ

* (فصل) * فى مراتب النفس فى المجاهدة اعلم ان للانسان فى مجاهدة الهوى ثلاثة أحوال الاول أن يغلبه الهوى ويملكه ولا يستطيع له خلافا وهو حال أكثر الخلق قال الله أفرأيت من اتخذ الهه هواه فكل من كان منقادا لهواه متبعا لشهواته فقد اتخذ الهه هواه الثانى أن يكون الحرب بينهما سجالا أى بين الهوى وبين العقل الذى يهدى الى الخير والطاعة فتارة يغلب العقل وتارة يغلب الهوى فهذا الرجل من المجاهدين فانه مشغول بامتثال قول النبى صلى الله عليه وسلم جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وهذه الرتبة العليا للخلق سوى الانبياء والاولياء الثالث أن يغلب العقل على الهوى فيصير مستوليا عليه بحيث صار الهوى مقهورا مغلوبا وهذا هو الملك والنعيم المقيم والحرية التامة والخلاص عن رق الهوى وعبودية الشهوة وهذا هو حال الانبياء والاولياء انا الصين من أتباع الانبياء وكذلك قال صلى الله عليه وسلم مامن أحد الا وله شيطان وان الله أعاننى على شيطانى حتى ملكته وقال فى حق عمر رضى الله عنه ماسلك فجا الا سلك الشيطان فجا غيره * (فصل) * واعلم انه يلتبس على بعض الناس دعوة العقل

---

الى الثالثة لا افعل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تتزوج قال فقلت يارسول الله زوجنى قال اذهب الى بنى فلان فقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان تنكحونى فتاتكم قال فقلت يارسول الله انه لاشئ لى فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له وذهب الى القوم فانكحوه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم فقال يارسول الله لاشئ عندى فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم ثمن شاة فجمعوا له واصطنع طعاما ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفى الخبر المشهور من كان ذا طول فليتزوج وفى لفظ آخر من استطاع منكم الباءة يعنى الجماع فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء وأصل الوجاء رض الخصيتين للفحل من الغنم لتذهب فحولته وضرابه وكانت العرب تجأ بحجرين فتقطع ضرابه فيسكن لذلك ويهزل ويسمن ومن ذلك الخبر ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين موجوءين يعنى أبيضين مرضوضى الخصية وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة حتى بالسقط والرضيع وفى الخبر الآخر من أحبنى فليستن بسنتى يعنى النكاح وحديث أبى سعيد الخدرى من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا وقد كان عمر يكثر النكاح ويقول ما أتزوج الا لاجل الولد وقد كانت هذه نية جماعة من السلف يتزوجون لاجل ان يولد لهم فيعيش فيوحد الله تعالى ويذكره أو يموت فيكون فرطا لما يثقل به ميزانه كيف وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الطفل يجر أبويه بسرره الى الجنة وان المولود يقال له أدخل الجنة قال فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا أى ممتلئا غيظا وغضبا فيقول لا أدخل الا وأبواى معى فيقال أدخلوا أبويه معه الجنة وروينا خبرا غريبا ان الاطفال يجمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة قال فيقفون على باب الجنة قال فيقول لهم مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فاين آباؤنا وأمهاتنا قال فتقول الخزنة ان آباءكم وأمهاتكم ليسوا امثالكم انهم كانت لهم ذنوب وسيآت فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله عز وجل للملائكة وهو أعلم ماهذه الضجة فيقولون يا ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الامع آبائنا فيقول الله عز وجل تخللوا الجمع فخذوا بايدى آبائهم فادخلوهم معهم الجنة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار وفى خبر آخر من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله عز وجل الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يارسول الله فاثنان قال واثنان وكان بعض الصالحين يعرض عليه التزويج فيابى برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم فقال زوجونى فسئل عن ذلك فقال لعل الله ان يرزقنى ولدا أو يقبضه فيكون مقدمة لى فى الآخرة ثم حدث عن سبب ذلك فقال رأيت فى نومى كأن القيامة قد قامت وكنت فى جملة الخلائق فى الموقف وبى من العطش ما كاد ان يقطع عنقى وكذلك الخلائق فى شدة العطش من الحر والشمس والكرب قال فبينا نحن كذلك اذا الولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد ويتخللون الجمع ويجاوزون أكثر الناس قال فمددت يدى الى أحدهم فقلت اسقنى شربة فقد أجهدنى العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقى آباءنا فقلت وما أنتم فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائكم الودود الولود وروى أيضا حصيرة فى البيت خير من امرأة لا تلد وروى أيضا سوداء ولود خير من حسناء لا تلد هذا كله لاجل هذا وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتى فليس منى

بدعوة الهوى فيظن انه منقاد للعقل متبع دواعي الشرع وهو في الحقيقة شيطان مريد لانه ما تبع الا هواه وما انقاد الا لشهواته وهو يتعالى لاغراضه بيانها من الدين وان طلبه لها لاجل الدين حتى ان جماعة اشتغلوا بالوعظ والتذكير والقضاء والفتيا وتدريس العلوم والخطابة وأنواع الرياسة وهم فيه متبعون للهوى ويزعمون ان باعثهم الدين ومحركهم لهمته الامور طلب الثواب ومناقشتهم فيها من جهة الشرع وهم في ذلك مغرورون ويكشف لهم عن زللهم وغرورهم ان الواحد منهم ان كان يعمل لله تعالى وقصد دعوة الخلق الى الله تعالى وارشادهم ونصحهم فلا يغتم ولا يسوءه اذا جاء مكانه واعظ غيره أو قاض غيره أو متصد غيره ممن هو أحسن سيرة منه وأكثر منه علما وأنفع للناس وتضاعف اقبال الناس عليه بل يفرح به ويسر بوجوده ويشكر الله تعالى على سقوط هذا الفرض عنه بغيره ومن هو أولى منه فان كان كذلك فهو صادق وهيهات ان يكون كذلك فان قلت فماذا كان لا يامن مثل هذا التلبيس والانخداع بغرور الشيطان وغروره كما حكيت عن هؤلاء المغرورين فيم تمييز بين دعوة العقل ودعوة الهوى قلنا الذي ينبغي ان يرجع اليه عند هذا التحير ان يعلم ان العقل في أكثر الامور يشير بالاصلح للعواقب وان كان فيه ثقل أو مشقة في الحال والهوى يشير بطلب الراحة وترك التكلف فمهما عرض لك أمران ولم تدر أيهما أصوب فعليك بما تكره ولا يميل اليه هواك فان اكثر الخير فيما يكرهه الانسان قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقال الله تعالى فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فكل ما سمحت نفسك اليه بما فيه لذة وطرو راحة ورفاهية وحط التكلف في الحال فاتهم نفسك فيه فان حبك الشيء يعمي ويصم وما يترجح في قلبك من الاقبال على العبادة والاحتراز عن خطر الآخرة واجتناب

وان من سنتي النكاح ومن أحبني فليستن بسنتي ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبياء الا المتأهلين وهم خمس وثلاثون وقد ذكرنا آنفا ان يحيى عليه السلام قد تزوج واما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل من السماء ويولد له وقد قيل ان فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وان ركعتين من متأهل أفضل من سبعين ركعة من أعزب وقال الله تعالى في وصف الرسل ومدحهم ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فعد الازواج والذرية من مدحهم وذكرها في وصفهم وكذلك ألحق بهم أولياءه في المدح والفضل في قوله عز وجل والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين فسألوا الله عز وجل من فضله وكل ما ذكرنا من فضل النكاح يشترك في فضل ذلك النساء بل هو لهن أفضل وأوجب لسقوط المكاسب عنهن وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة بالتزوج وندبها اليه وأخبر بفضل الرجل وفضل المتزوجة على العزباء في غير حديث وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج ولعن الله المتبتلات من النساء اللاتي يقلن لا نتزوج بعد ما ذكر من عظيم حق الرجل على المرأة وثقل واجبه حتى قالت المرأة اذا لا أتزوج أبدا قال بلى تزوجي فهو خير والاخبار في فضل النكاح للزوجين معا أكثر وليس مذهبنا الاطالة والاكثار في الجمع وقد ندب الله تعالى الى النكاح في قوله تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم وفي أنى ثلاث معان معنيان منها ههنا يكون أنى بمعنى كيف شئتم من ليل أو نهار وكيف شئتم مقبلة أو مدبرة وبين ذلك بعد ان يكون في موضع الحرث وقد يكون أنى في موضع آخر بمعنى أين ولا يصلح هذا الوجه ههنا ثم قال عز وجل وقدموا لانفسكم قيل النكاح معطوف به الاتيان وهو أحد الوجوه الثلاثة لما فيه من فضل الاغتسال من الجنابة ولما فيه من فضل مباشرة المرأة وان المرأة اذا لاعبها بعلها وقبلها كتب له من الحسنات ما شاء الله فاذا اغتسلا خلق الله من كل قطرة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة وجعل ثواب ذلك لهما ولما في ذلك من التحصين لهما ووضع النطفة في محلها وفي ذلك فضائل جمة وقد أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته والوجه الثاني في قوله تعالى وقدموا لانفسكم قيل الولد قدموا لآخرتكم لانه عمل من أعمالكم كما قال عز وجل ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء أي ما نقصناهم أولادهم أي جازيناهم بهم وجعلناهم مزيدا في حسناتهم لانهم من أعمالهم وأكسابهم وكما قال عز وجل ما أغنى عنه ماله وما كسب يعني ولده ففي تدبره أن الولد يغني المؤمن في الآخرة كما يغني المال عنه اذا أنفقه في سبيل الله تعالى وفي الخبر ولد الرجل من كسبه وأحل ما أكل من كسب ولده والوجه الثالث في قوله عز وجل وقدموا لانفسكم قيل التسمية عند الجماع أي اذكروا اسم الله تعالى عنده فذلك تقدمة لكم وانه يستحب للمجامع ان يسمي الله عز وجل عند جماعه ويقرأ قل هو الله أحد قبله وكان بعض أصحاب الحديث اذا أراد الجماع هلل وكبر حتى يسمع أهل الدار تكبيره واذا كانت المرأة معينة لزوجها على الطاعة طالبة للتقلل والقناعة فهي نعمة من الله عليه يطالبه بشكرها قال الله عز وجل وأصلحنا له زوجه فعد ذلك من نعمة الله عليه واحسانه اليه وقيل في التفسير كان خلقها سيئا فحسن وقيل كان في لسانها طول فقصر وروينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فضلت على آدم عليه السلام بخصلتين كانت له زوجه عونا له على المعصية وأزواجي عونا لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يأمرني الا بخير فعد ذلك صلى الله عليه وسلم في فضائله واذا كانت المرأة حسنة الوجه خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف فهذه على صورة الحور العين قال الله تعالى في ذلك فيهن خيرات حسان قيل

خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقال تعالى وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون والحور البيض والعين كبار الاعين هو جمع عيناء والحوراء هي البيضاء شديدة بياض العين شديدة سوادها وسواد الشعر وقال عز وجل عربا العرب جمع عروب على معنيين تكون العاشقة لزوجها وتكون المشتهية للجماع وذلك يكون من تمام اللذة في الوقاع لان المرأة اذا لم تكن محبة لزوجها ولا مشتهية لافضائه اليها نقص ذلك من لذته فلذلك وصف الله عز وجل نساء أهل الجنة بتمام اللذة ويقال رجل شبق وامرأة عربة يوصفان بشهوة الجماع كيف وقد روي خير نسائكم الغلمة على زوجها وقال بعض الحكماء ثلاث من اللذات لا يؤبه لهن المشي في الصيف بلا سراويل والتبرز على الشط ومجامعة الزوج يعني المشتهية للجماع وقال عز وجل في تمام وصفهن قاصرات الطرف أي قد قصر طرفها على زوجها وحده فليست ترى أحسن منه ولا تريد بدلا غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائكم التي اذا نظر اليها الرجل سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وروينا عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه في معنى قوله عز وجل ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال المرأة الصالحة وفي بعض التفسير فلنحيينه حياة طيبة قال المرأة الصالحة وقد كان عمر رضي الله عنه يقول المرأة الصالحة ليست من الدنيا لانها تفرغك للآخرة الا انه كان يقول المنفرد يجد من حلاوة العبادة ما لا يجد المتزوج وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول ما أعطي عبد بعد ايمان بالله عز وجل خيرا من امرأة صالحة ووصف النساء فقال منهن غنم لا يجزأ منه يعني غنيمة لا يعتاض منها بعطاء الحذيا هي العطاء ومنهن غل لا يفدى منه أي لا قيمة له فيفدى منه ويجوز ان لا راحة منه كالغل فصاحبها أسير بعهد لا يفتدى ابدا الا بموتها وقال أيضا قيل كانت العرب من نهاية تعذيب الاسير تسلخ جلد الشاة ثم تلبسه اياه لحا طريا فليستدق على جسده وينقبض ثم لا تنزعه عنه حتى يقمل ويتقشر منه الهوام فذلك هو الغل مثل المرأة المكربة واعلم ان النساء على أوصاف النفس من عرف صفات النفس عرف بها أوصاف النساء وقاساهن بالتجربة والخبر عرف بذلك صفات النفس فمنهن المسولة وهي أدناهن ومنهن الامارة بالسوء وهي شرهن لا تستتر من الاذى ولا تتقي من خلق السوء والبذاء ومنهن بمنزلة النفس اللوامة وهي من صالحي النساء ومنهن المطمئنة المرضية وهذه هي الصالحة الخيرة الساكنة الراضية وفصل الخطاب ان كان صلاح قلب العبد واستقامة حاله في العزبة فلا أعدل بالوحدة شيئا لان أقل ما فيها السلامة والسلامة في وقتنا هذا افضل الفضيلة وغنيمة وان تاقت نفسه الى التزويج ولم يأمن دواعي الهوى فيتزوج اذا أدى الى سلامة دينه وان لم تتم كفايته بواحدة ضم اليها أخرى فان لم تكن بهما غنيمته وتمام حاله وتحصينه زاد ثالثة الى أربع فان الاربع يجتمع توقان النفس الى النكاح وقوة شهوتها في التنقل في المناكح بمنزلة الواحدة وان الواحدة مع وقوع الكفاية ووجود الاستغناء تنوب عن الاربع كذلك خبر الله عز وجل صورة النفس فيما طبعه جبلها وفاوت بين الطبائع فيما عليه جعلها يقال ان الله عز وجل أباح الجمع بين الاربع لاجل الطبائع الاربع لكل طبيعة واحدة على قدر حركاتها وتوقان النفس عندها ولا نقص على العبد في ذلك اذا قام بما عليه لهن أو سعهن بحقوقهن من النفقة والمبيت له بل ذلك مزيد له ودلالة على قوته وتمكنه في الحال وهذه طرائق الاقوياء والائمة من الرجال وأيضا فان الله عز وجل ما أنعم به من استمتاع الاربع من النساء من الحكمة وتلوين الطبع في الصنعة مثل ما أنعم به من تكوين سيرة المطايا التي جعلهن مراكب عباده فعل تفاوت تكوين وطء الاربعة بمنزلة تفاوت مشي دواب البر الاربعة فقال عز وجل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقال عز وجل من الفلك والانعام ما تركبون يعني الابل

[illegible] الله تعالى في أمره ونهيه وحرمه اشارة الشفقة في غفلته والزهد ﴿فصل﴾ واعلم ان الله تعالى يخص أولياءه ويصب عليهم البلاء صبا فأصحاب البلاء والمصائب في الحياة الدنيا هم الاولياء قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليتعاهد عبده بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير وان الله تعالى يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي المريض أهله من الطعام رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وعن خباب بن الارت رضي الله عنه قال هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سبيل الله نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد ولم يوجد له شيء يكفن فيه الا نمرة فكنا اذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه واذا وضعناها على رجليه خرج رأسه فقال صلى الله عليه وسلم ضعوها على رأسه وضعوا على رجليه من الاذخر قال ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال كنا يصيبنا ضيق العيش بمكة وشدته مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصابنا البلاء واعترفنا كذلك وصبرنا عليه وصبرنا له فكان مصعب ابن عمير أنعم غلام بمكة وأجوده حلة مع أبويه ثم لقد رأيته جهد في الاسلام جهدا شديدا حتى لقد رأيت جلده يتحشف تحشف جلد الحية عنها حتى ان كنا لنعرضه على أنفسنا فنحمله مما به من الجهد وما نقص من شيء بلغناه ثم أكرمه الله تعالى بالشهادة يوم أحد وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال انا لجلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد اذ طلع علينا مصعب قسير ابن عمير وعليه بردة مرقعة بقطعة من فرو فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم بكى للذي كان فيه من النعمة وما هو فيه اليوم وفي رواية أخرى ان النبي بكى لما رآه على تلك الحال وقال انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه وهو يغتال في حلة قد اشتريت له واشتراها بمائتي درهم

فـــير الناقة غير سير الفرس وسير البغل مخالف لمشى الحمار وكذلك يجعل لمن جمع الاربع بالوطء ما لا يجعل بالآحاد والمثنى والثلاث فحسن ذلك وأباحه لمن جمع بينهن أربعا كما طلقا فمن جعل له من المطايا أربعة يتنقل على دابة بعد دابة فكان له فرس وبغل وحمار اذا اتسع بذلك وأقام بمؤنتهن وقد يكتفى الواحد بدابة واحدة فيكون فيها بلاغ الى حين ذلك تقدير العزيز العليم واتقان صنع المنعم الحكيم وقد شرط الله تعالى مع الزوجة الثالثة شروط ان وجدت تمت بهن كفاية العبد وسكنت بها نفسه وكان ذلك من آيات الله الدالة عليه وان لم توجد الشروط الثلاثة مع الاحدى كان له المزيد عليها الى الرباع وكن فى المعنى كالآحاد لعدم الشروط التى أخبر الله عز وجل بسكون النفس عنده او عند الاربع توجد الشروط فى قلوب المؤمنين لامحالة كما أخبر عز وجل وكان ذلك أيضا من آياته وحكمته الدالة عليه فقال سبحانه ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة فان وجد العبد سكون النفس ورحمة القلب ومودة المرأة فى الواحدة فهو من آيات الله عز وجل وهى كفاية مرغنيته وان لم يجد السكون ولا الرحمة ولا المودة الا فى الاربع فهن حينئذ كفايته وقنيته والله تبارك وتعالى يغنى بالواحدة ويغنى بالاربع أى يجعل غنيا ويجعل قنية جاه وقوة دخرا وذلك أيضا من آيات الله تعالى واختياره لمن قوى عليه واستقام به وقد شبه بعض الناس الازواج بالقمص فقال ليس من السرف ان يجمع الرجل أربعة أقمصة وما زاد على ذلك كان سرفا كما ان الله عز وجل أمر بالجمع بين الاربع من النساء ويصلح ان يستدل له بقوله تعالى هن لباس لكم فجعلهن فى معنى الملبوس ودفع فيهن الى الاربع وفى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ثم ابتدأ فنص على مثنى ولم يقل احدى على الندب والاستحباب للجمع بين اثنين وان العدل قد يوجد ويقدر عليه معهما ثم رد الى الواحدة لمن خاف الجور فيهن فقال تعالى فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة فنفى دليل الخطاب اشتراط العدل فى الاربع ثم ذكره بقوله ذلك أدنى ان لا تعولوا يعنى أقرب بان لا تجوروا وقد قال بعض الفقهاء من أهل الحجاز واللغة لا تعولوا اى لا تكثر عيالكم والاول أحب الى لانه أشبه بالقرآن كأنه عطف على النص لما قال ان لا تعدلوا قال ذلك أدنى أن لا تجوروا والاول أحب الى ويصلح هذا الوجه أيضا فى اللغة من قال عال يعول بمعنى أعال يعيل وأكثر العرب فرق بين ذلك يقولون عال يعول اذا جار وأعال يعيل من العيلة اذا كثر عياله وشاذ نادر من جعلها لغتين بمعنى فليتوخ العدل بين أزواجه من جمع بينهن فى النفقة والكسوة والمبيت ولا يحيف على بعض فيقصر عن كفايتها ويجحف فى ذلك فقد جاء فى الحديث من كانت له امرأتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفى لفظ آخر فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل ولا عدل عليه فى المحبة والجماع لان ذلك لا يملك اذا سوى بين البيتوتة ولا عليه أيضا ان يجامع من بات عندها انما عليه المبيت ليلة وليلة وفى تفسير قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قال لا تقدروا على العدل بينهن فى الحب والجماع لان ذلك فعل الله عز وجل فى القلوب وفى شهوة النفس وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فى العطاء والمبيت وكان يقول اللهم هذا جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك يعنى فى المحبة والجماع فقد كان يحب بعضهن أكثر من بعض وكانت عائشة رضى الله عنها أحبهن وكان يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وليلة فيقول أين انا غدا فظنت امرأة منهن فقالت انما يسأل عن يوم عائشة رضى الله عنها فقلن يا رسول الله انه ليشق عليك ان تحمل فقد أذنا لك أن تكون فى بيت عائشة رضى الله عنها فقال قد رضيتن بذلك قلن نعم قال فحولونى الى بيت عائشة فاذا كانت تقول قبض فى بيتى

---

فما زال يحب الله ويحب رسوله حتى صيره الى ما ترون ثم قال صلى الله عليه وسلم كيف بكم اذا غدا أحدكم فى حلة وراح فى أخرى ووضعت بين يديه صحفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة قالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونكفى المؤنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لانتم اليوم خير منكم يومئذ وكانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام على غاية ما يمكن من المجاهدة لانفسهم مع انهم مقطوع لهم بالفوز والدرجات العالية يأمرون أممهم وأتباعهم بالمجاهدة لانفسهم قال عيسى عليه السلام أدخلوا من الباب الضيق فان الباب الواسع مسلوك والطريق التى تؤدى الى الهلاك رحبة والداخلون فيها كثيرون ما أضيق الباب وأكرب الطريق التى تؤدى الى النجاة وقليلهم الذين يجدونها وكان فى التابعين المجاهدون الصابرون وبلغ من أمر جماعة من الصحابة فى المجاهدة مبلغا يعجز عنه من جاء بعدهم من الخلق روى ان أويسا القرنى قال لاعبدنه عبادة الملائكة وعن بعض أصحاب ابن مسعود رضى الله عنهم انهم قالوا قال ما احب البقاء فى الدنيا الا لا أعفر وجهى فى التراب لله تعالى يعنى وقت السجود فى الصلاة

*(فصل)* ولا تتم المجاهدة الا بالتثبت ولا تتحقق الا بالصبر فاذا عرض للمريد عارض الهوى والشهوة احتاج الى التثبت والصبر أما وجه احتياجه الى الثبات فلان الثبات حاجز بين العبد وبين المعصية ويقوى عقد الثبات الخوف بالوعيد والرجاء بالوعد والحياء من الله تعالى لعظمته وجلاله ونعمه واحسانه وحقيقة التثبت هو التوقف والتأنى قبل الفعل لتبين الفاعل فى أول الفعل وقبح عاقبته واعلم أن محال التثبت ومواضعه متعددة فمنها التثبت عند خطور الخاطر والثانى عند حديث النفس والثالث عند العزم وعقد القلب والرابع عند الشروع فى أعمال الجوارح والخامس فى أثناء العمل قبل

و بين سرى ونحرى ثم المتقر بذلك ثم قال الله عز وجل فلا تميلوا كل الميل يعنى على واحدة دون الاخرى فى التقصير والنفقة فتذروها كالمعلقة أى موقوفة غير مستقرة كأنها لاذات زوج ولا مطلقة أى لا أيم فتعمل لنفسها ولا ذات زوج ينفق عليها فتستغنى بزوجها والعرب تقول علقت الامر اذا أوقفته وقول معلق أى موقوف غير مطلق بحكم فعليه أن يقسم بينهن أيامه ولياليه فيكون عند كل واحدة يوما وليلة الا أن تهب لصاحبتها ليلتها أو تسمح له بذلك فكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فأراد ان يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته ان يقرها على الزوجية لتحشر فى نسائه فتركها ولم يكن يقسم لها فكان يقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ليلة الا انه صلى الله عليه وسلم لشدة عدله كانت نفسه اذا تاقت الى واحدة فى غير ليلتها أو نهارا فى غير يومها تاها فجامعها ثم طاف فى ليلته على سائرهن وكذلك كان يفعل فى يومه فمن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها وغيرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه فى ليلة واحدة وعن أنس طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على تسع نسوة فى ضحوة ومن لم يكن له الا واحدة استحب له ان يفضى اليها فى كل ثلاث ليال بمنزلة من له ربع نسوة ويكون يباشرها فى الليلة الرابعة وبهذا قضى عمر وكعب بن الاسود رضى الله عنهما الرجل ان يأتيها فى كل أربع ليال ليلة فان علم ان حاجتها الى أكثر من ذلك كان عليه ان يفعل ما هو أقرب الى تحصينها وأثبت لعفافها وان علم منها كراهة ذلك وقلة همتها له لم يكن عليه الافضاء اليها الا فى كل شهر مرة أو فى كل سنة مرة وعليها ان لا تمنعه ليلا ولا نهارا فى كل وقت وان كانت صائمة فلا يحل لها ان تصوم الا باذنه وتزوج على عليه السلام بعشر نسوة وتوفى عن أربع وسبع عشر سرية وكان بعض أمراء الشام اذا بلغه عنه كثرة نكاحه يقول لست بنكحة ولا طلقة يعرض له بذلك ويقال انه تزوج بعد وفاة فاطمة صلوات الله عليها وعلى أبيها بتسع ليال ونكح امامة ابنة زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فاطمة صلوات الله عليها أوصته بذلك وتزوج الحسن بن على رضى الله عنهما مائتين وخمسين امرأة وقيل ثلثمائة وقد كان على عليه السلام يضجر من ذلك ويكره حياء من أهليهن اذا طلقهن وكان يقول ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه فقال له رجل من همدان والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فمن أحب أمسك ومن كره فارق فسر على رضى الله عنه بذلك وأنشأ يقول

ولو كنت بوابا على باب جنة ﴿﴾ لقلت لهمدان ادخلى بسلام

وهذا أحد ما كان الحسن يشبه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه فى الخلق والخلق فقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبهت خلقى وخلقى وقال حسن منى وحسين من على وكان الحسن ربما عقد على أربعة وربما طلق أربعا فأرسل غلامه بطلاق امرأتين له وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا قالتا فقال له الرسول أما احداهما فنكست رأسها وسكتت وأما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق ورحم لها ثم قال لو كنت مراجعا امرأة لراجعتها ودخل على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فخطب ابنته فقال انك لاحب الناس الى ولكنك مطلاق وأكرمان يتغير قلبى عليك فان ضمنت انك لا تفارقها فعلت فسكت ثم اتكا على بعض أصحابه ثم قال ما أراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا فى عنقى وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب النكاح ويبغض الطلاق فانكحوا ولا تطلقوا وهذا لا يصلح لمن أراد أكثر من أربع وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة وقد كان فى الصحابة من له الثلاث والاربع وكثير منهم لا يحصى كانت له اثنتان لا يخلو منهما

الاستكمال والسادس بعد استكمال العمل والسابع بعد استرساله فى بعض الزلل دون بعض والثامن بعد استرساله فى سائر ما يساد فيه من الاعمال وجريانه مدة على سنن التصرف من غير انتقال فهذه مواضع التثبت فاقوى الناس فى التثبت المتثبت حين خطور الخاطر فيدركه بعلمه وفطنته فيحكم ما دعا اليه الخاطر فيقبل أو يدر وهذا التثبت مندوب اليه لان وقوع الخاطر للمكلف غير مقدور وليس هو فعله حتى ينسب فيه الى تقصير ولا يعقبه فعل فى الغالب وانما يعقبه التردد وهو المعبر عنه بحديث النفس وهو معفو عنه والمؤاخذ به هو العزم على الصحيح وهو اختيار القاضى أبى بكر من المتكلمين وغيره من العلماء ويليه فى القوة المتثبت عند حديث النفس وان غفل عن خطور الخاطر وجولانه فى نفسه فيتيقظ ويتثبت وهذا التثبت استحبابه آكد من الاول ويليه فى الضعف المتثبت عند فعل القلب وهو العزم عليه اذا لم يتعلق بفعل جارحة وهذا التثبت واجب فانه ان لم يتثبت وقع فى الحرام الذى هو فعل اختيارى ويليه فى الضعف المتثبت عند الشروع فى عمل الجوارح وانما كان هذا أضعف من الاول وان كانا عاصيين لان الاول عصى معصية واحدة وهى معصية العزم على الفعل وهذا عصى معصيتين عزم وفعل ويليه فى الضعف المتثبت فى أثناء الفعل وانما كان كذلك لان التمادى على المعصية زيادة فى المعاصى وتعرض لشديد العقاب كمن أقدم على ضرب انسان ثم ضربه وتثبت وكف عن ضربه مثلا وضربه آخر واستمر على ضربه من غير كف حتى توسط الفعل الذى نواه فتثبت وكف ويليه فى الكف المتثبت بعد فراغ عمله الذى شرع فيه ويليه فى الضعف والبعد عن القوة الذى لا يتثبت الا بعد توالى الافعال القبيحة منه فيتعاطى أنواعا منه ويكف عن أنواع ويليه فى الضعف الذى لا يتثبت الا بعد الاسترسال فى الشهوات وتعاطى المحرمات ويقال

والمكر ووهان وضربها من المباحات من غير تثبت في معرفة أحكام الله تعالى فيها وهذا أسوأ من جميع من تقدم مثالا لتقدمه عن التذكر والتذكر نعوذ بالله من الخزى والخذلان وأقوى المتثبتين وأشدهم رعاية لحقوق الله تعالى ومراقبة لعظمته وجلاله من راعى أحكام الله تعالى المتعلقة بأفعاله عند وقوع الخواطر الداعية الى العزم والافعال ولم تعمه الشهوة ولم تستهوه اللذة واعلم أن من تثبت عند هجوم الخواطر على قلبه قد جعل بينه وبين النار حاجزين وذلك لانه تثبت عند عروض الخاطر وتثبت عند ترددها فى النفس وحديث النفس به والتثبت فى هذين الموطنين مندوب لا واجب كما قد ذكرناه فيما تقدم لان عروض الخاطر ضرب مقدور على دفعه وحديث النفس معفو عنه شرعا لقوله صلى الله عليه وسلم عفى عن أمتى ما حدثت به نفوسها والذى يعصى المكلف به هو ترك التثبت فى الفعل المحرم عند وقوع العزم عليه وكذلك يعصى بترك التثبت فى الفعل الذى يجهل حكمه ويعصى بعدم التثبت عند الشروع فى الفعل والاخذ منه والاسترسال فيه بطريق الاولى وأما وجه احتياج المجاهد الى الصبر فظاهر لان الله تعالى خلق الانسان مطبوعا على الشهوات والميل للذات والنفرة عن كل مؤلم ومشق فيحتاج المجاهد لتثبيته الى الصبر كما يحتاج الى التثبت وكذلك وعدنا بالصبر على هذه الاشياء فقال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى

*(فصل)* واعلم انه يجب أن تكون المجاهدة والرياضة بالتنقل والتدريج والرفق بالنفس شيأ فشيأ ولا يهجم عليها بما يشق عليها من الاعمال فتنفر نفورا شديدا يخشى منه الترك والخروج بالكلية فيجب الرفق بها الى أن تتعود ذلك وهذا هو الذى نبه عليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى فاذا أراد المجاهد نقل

ويقال ان كثرة النكاح من شدة غض البصر وقطع المشى فى الآثار اذا خشع الطرف وقصر من الحرام وانقطع المشى على الارض غاض البصر والنفس فاتسع فى الحلال وذلك ان النفس استراحت الى ما جانسها وهو فتورها عن الذكر فاستراحت نفوس المتقين الى المباح من ذلك قوله عز وجل ليسكن اليها وهذا سكون النفس الى الجنس لما تلائم من الصفات المجانسة وهو أحد المعانى فى قول على عليه السلام روحوا القلوب يعنى فى الذكر فسل روحوها باستراحة النفس الى المباح يعنى ذكر الآخرة لان الذكر أثقال وهو بمعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل عالم شرها وفترة فمن كانت فترته الى سنتى فقد اهتدى والشره المكابدة والفترة الوقوف والاستراحة وقد كان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول انى لاستجم نفسى بشئ من اللهو لاتقوى بذلك فيما بعد على الحق وقد كان النساء قديما على غير وصفهن الآن كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امرأته ياهذا وتقول له ابنته يا أبانا لا تكسب اليوم شيأ من غير حله فيدخلك النار فنكون نحن سببها فانا نصبر على الجوع والضر ولا نكون سببا لعقوبتك وأراد رجل من السلف ان يغيب عن أهله فى غزوة فكره اخوانه ذلك لانسهم به فجاؤا الى أهله فقالوا لم تتركينه وجعلك يسافر ولا يدع لك نفقة ويغيب عنك ولا تدرين متى يقدم فقالت زوجى منذ عرفته أكال وما عرفته قط رزاقا فيذهب الاكال ويبقى الرزاق ومع ذلك فلا أحب ان أكون مشؤمة عليه أقطعه من سبيل الخير قال أحمد بن عيسى الخراز لما تزوج بامرأة على أى شئ تزوجت بى ورغبت فى قالت على ان أقوم بحقك على وأسقط حقى عليك وخطبت رابعة بنت اسمعيل ابن أبى الحوارى فكره ذلك لما فيه من العبادة فالحت عليه حتى كثرت فقال لها ياهذه مالى همة فى النساء لشغلى بحالى فقالت ياهذا انى لاشغل بحالى من شغلك بحالك ومالى شهوة فى الرجال ولكنى ورثت عن زوجى ثلثمائة ألف دينار وهى حلال وأردت ان أنفقها عليك وعلى اخوانك وأعرف بك الصالحين فتكون طريقا الى الله عز وجل فقال حتى استأذن استاذى قال فجئت الى أبى سليمان فذكرت قولها وقد كان ينهانى عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير فلما ذكرته ما قالت أدخل رأسه فى جيبه وسكت ساعة ثم رفع رأسه وقال يا أحمد تزوج بها فان هذه ولية لله تعالى وهذا كلام الصديقين قال فتزوجت بها قال أحمد فكان فى منزلها كر من جص فلم يبق منه شئ فى غسل أيدى المستعجلين للخروج بعد الاكل سوى من كان يغسل يده بالاشنان فى البيت قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمنى من الطيبات وتطيبنى وتقول اذهب بقوتك ونشاطك الى أزواجك فكانت هذه من أرباب القلوب وكان الصوفية يسألونها عن الاحوال وكان أحمد يرجع اليها فى بعض المسائل وكانت فاضلة تشبه فى أهل الشام برابعة العدوية فى أهل البصرة وقد كان أبو سليمان يقول فى التزويج قولا عدلا من صبر على الشدة فالتزويج له أفضل والوحدة يجد بها من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج وثبت على مرتبته الاولى ورويناعنه انه قال ثلاث من طلبهن فقد رغب فى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج أو كتب الحديث ولعمرى ان المرأة تحتاج الى فضل مداراة ولطيفة من الحكمة وطرف من المواساة وباب من الملاطفة واتساع صدر للنفقة وحسن خلق ولطف لفظ وهو لا يحسنه الا عالم حليم ولا يقوم به الا عارف حكيم فمن لم يقم بذلك ولم يهتد اليه ولم يقدر على النفقة ولم يألف الجماعة وكان قد ألف وحدته واعتاد الانفراد بما كلته وكان ضيق القلب بخيل الكف سيئ الخلق غليظ القلب فظ اللفظ فالوحدة لهذا أصلح والبعد من النساء لقلبه أروح فمتى تزوج من هذا وصفه عذب وعذب وآذى وتأذى وأثم وأثم به لان النساء

لنفسه فمن عوائدها المذمومة الى المحمودة فليمنعها عن الفعل المذموم وليذكر ما ورد فيه من الوعيد على فعل المذموم والوعد على فعل
المحمود فان ثقل عليه ذلك فقطع عنها لذاتها الناجزة وداوى نفسه بترك الشهوات العاجلة كما فعل أبو طلحة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
في اخراج حديقة عن ملكه لله تعالى لكونها أشغلته عن الحضور بقلبه في صلاته فجعل ذلك تأديبا للنفس وعقوبة لها
ومن عزم على تحصيل مقام السخاء فلا طريق له الزام نفسه القيام باخراج الواجب من الزكاة والنذور والكفارات ونفقة الاب والاولاد الصغار والزوجة وغيرهم من العيال فاذا قام بذلك بسهولة عود نفسه الانفاق في المندوب واذا وصل الى ذلك آثر على نفسه ذوي الحاجات ثم ينتقل الى الزهد فيحط نفسه في الترفه والراحات فهذه طريق المجاهدة والرياضة يدرج العبد نفسه في سلوك الطريق الى مولاه مع الرفق بنفسه وصحح الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رد التبتل على عثمان بن مظعون وقال لو أذن لنا في الاختصاء لاختصينا ولكن منعناه فالانقطاع الى الاعمال دفعة واخراج ما في اليد دفعة واحدة منهي عنه فان قيل ان الصديق رضي الله عنه أتى بجميع ماله الى النبي صلى الله عليه وسلم ليخرجه في سبيل الله قلنا ذلك لان الحاجة كانت اليه متأكدة اذ كان ذلك
وقت فاقة وضرورة بالمسلمين حاجة اليه وأيضا فان الصديق كان عنده من الصبر والوثوق وقوة اليقين بالله تعالى مقاما
ماليس عند غيره ولا بأس أيضا بان يرفع المجاهدة لنفسه بالعبادة بشيء من المباحات ليتقوى بذلك على الطاعات وينتفي عنه الملل ويزول عنه
السآمة فيطرح أحيانا نشيدا من الشعر أحيانا ويشاهد صورة جميلة من زوجة أو أمة له أحيانا الى غير ذلك من المتنزهات المباحة ليعود اليه

---

يحتجن الى فضل حلم يحمل سفههن والى سعة علم يغمر جهلهن والى حسن لطف وحكمة يداري أخلاقهن
ويتغافل عن زللهن فاذا كان الرجل جاهلا سفيها أو كان سيء الخلق فظا غليظا اجتمع الجهل فافترق العقل
وتقادح الجفاء وغلظ القلب والاذى فأفسد أكثر مما يصلح وتنافروا ولم يكن بينهما أبدا صلح وليس هو
وصف العقلاء واستحب الرجل اذا أراد التزويج ان يشرح حاله ويبين أخلاقه للمرأة حتى تكون على
بصيرة من أمره ويقين من حاله ويدخل على اختيار منها فذلك من الورع وقد فعله بعض السلف وقد تزوج
رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد فلما دخل بامرأته نصل خضابه فظهرت شيبته
فاستعدى أهل المرأة وقالوا نحن حسبناه شابا فأوجعه ضربا وقال غررت القوم وفرق بينهما وروينا عن
شعيب بن حرب لما أراد أن يتزوج قال للمرأة اني سيء الخلق فقالت يا هذا أسوأ خلقا منك من يحوجك
الى سوء الخلق وروينا عن هذا ان رجلا أراد أن يتزوج فقال للمرأة ان لي أخلاقا أوقفك عليها
فان رضيتيها تزوجتك فقالت افعل فقال انا رجل ملول سمح وسيء الظن غيور ضيق الصدر واسع الضرب
ان كثرت عندي مللت وان أبعدت قلقت وان تكلمت أوغرت صدري وان سكت أشغلت قلبي فقالت
المرأة أما بعد فقد ذكرت من نفسك أخلاقا ما كان يرضاها البنات ابليس فكيف ترضاها البنات آدم انصرف
راشدا لا حاجة لنا بك ومن خشي على نفسه الآفات ووفق له امرأة فيها بعض الخصال المحمودة فالتزويج له
أفضل فليكن له حينئذ في التزويج نيات لانه من أكبر الاعمال ولا يكون نكاحه لاجل هواه مجردا فقد قال
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اذا وافق الحق الهوى فذلك الزبد بالنرسيان فلتكن نيته اقامة سنة
وصلاح قلب وسلامة دينه وغض بصره وتحصين فرجه فقد أمر بذلك وينتسب في الكسب على العيال
التوبة من الله عز وجل ويحتسب مثل ذلك في نصحه لهاقي أمر الآخرة كما يحبه لنفسه حتى يؤجر بسببها
مثل ما يثاب لنفسه فهو من النصيحة لها والاشفاق عليها وليعمل ذلك لوجه الله سبحانه فقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما انفق الرجل على أهله فهو له صدقة وان الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى في امرأته
ومنها انه كالمجاهد في سبيل الله وقال رجل لبعض العلماء وهو يعدد نعم الله عز وجل عليه من كل عمل قد
أعطاني الله تعالى نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وصنوف العبادات فقال له العالم فأين انت من عمل الابدال
قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك لاخوانه وهم في الجهاد تعلمون عملا
أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك الجهاد في سبيل الله وقتال الاعداء انه أي شيء أفضل منه قال لكني أعلم قالوا
ما هو قال رجل متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله
هذا أفضل من جهاد في سبيل الله عز وجل وقال رجل لبشر قد أضر بي الفقر والعيال فادع الله لي فقال له بشر
اذا قال لك عيالك ليس عندنا خبز ولا دقيق ونحن جياع فادع الله لي أنت ذلك الوقت فان دعاءك أفضل من
دعائي وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين فهو معي
في الجنة كهاتين وفي حديث آخر ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال ومن النية في ذلك ان الاهتمام
بمصلحتهم والغم على فوائتهم زيادة في حسناتهم لانه عمل من أعماله وفي الخبر اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله
تعالى بالهم ليكفرها وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الغم بالعيال وقد روينا ان من الذنوب
ذنوبا لا يكفرها الا الهم بطلب المعاش وله في الصبر عليهن وجميل الاحتمال لاذاهن وفي حسن العشرة لهن
مثوبات وأعمال الصالحات وربما كان موت العيال عقوبة للعبد ونقصان حظ اذا كان الصبر عليهم والانفاق

مقامه كان عدم ذلك مفارقة لحاله نقص به وحدثنا بعض العلماء أن بعض المتعبدين كان له زوجة وكان حسن القيام عليها الى ان توفيت فعرض عليه اخوانه التزويج فامتنع وقال ان الوحدة أروح لقلبي وأجمع لهمي قال فرأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء قد فتحت وكأن رجالا ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضا وكلما نزل واحد نظر الي فقال لمن وراءه هذا هو المشؤم فيقول نعم ويقول الثالث لمن وراءه هذا هو المشؤم فيقول الرابع نعم قال فراعني ذلك وعظم علي وهبتهم ان أسألهم الى ان مر بي آخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من المشؤم الذي تومؤن اليه قال انت قلت ولم ذاك قال كنا نرفع أعمالك في أعمال المجاهدين في سبيل الله تعالى فمنذ جمعة أمرنا ان نضعها في أعمال الخالفين فما أدري ماذا أحدثت فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن يفارقه زوجة أو زوجتان أو ثلاث وربما كانت النفس الامارة أضر على العبد من أربع نسوة وانما كره من كره الاهل والولد لاجل الشغل بهم عن الله تعالى وما قرب اليه فاذا كان من لا أهل له ولا ولد مشغولا ببطالته عن الله عز وجل منهمكا في شهواته عن سبيل هؤلاء كان أسوأ حالا من ذي الاهل والولد وقد جعل من لا يطلب الاهل والمال الكفاف به والافضال في المنزل المكروه وقد روي في الخبر ان من أهل النار الضعيف الذي لا دين له هو فيكم تبع لا يبغون أهلا ولا مالا قيل هم السؤال المنهومون في المسئلة الذي همه بطنه لا يبالي كيف طلب ولا على أي حال من الخشن تقلب فمن لم يشغله أهله وماله عن الله عز وجل كان أفضل ممن لا أهل له ولا ولد فهو عبد بطنه وفرجه أسير هواه وشهوته وقد أخبر الله تعالى ان للمؤمنين أموالا وأولادا ثم أمرهم ان لا يشغلهم ذلك عن الله عز وجل وقد وصف أقواما بان بيعهم وتجارتهم لا تشغلهم عن عبادته وانهم أهل خوف من يوم تتقلب فيه القلوب والابصار وقد مدح قوما سألوا الازواج والذرية وجعل ذلك في وصفهم في قوله عز وجل يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وقرة أعين لا تشغل ولا تحجب عن قرة العين بل يكشف عنه ويقرب منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة وقد كان أبو سليمان يقول الغماتر كوا التزويج لتتفرغ قلوبهم للآخرة وروينا عن ابن أبي الحواري الحديث الذي رواه عن حبيش عن الحسن اذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله بأهل ولا مال قال أحمد رضي الله عنه فتناظرنا في هذا الحديث جماعة من العلماء واذا ليس معناه انه لا يكون له امرأة ولا ولد ولكن يكونون له ولا يشغلونه وانما حسن النكاح بمشغول الهم من الفكر فيه ذي نفس مطمئنة وعين خاشعة ولب ذي مكينة وقلب ذي خشية كما حدثونا عن داود الطائي انه قال منذ خمسين سنة ما نالها ذكر ريح وقيل لبعضهم هل دخل ذكرك ريح بشهوة فقال أما منذ قرأت القرآن فلا وقال بعض العلماء منذ عشرين سنة ما رفع تنازعي على أربع فاما بطال ذو نفس امارة ونظرة ثاقبة وشهوة قوية فالنكاح من أحسن أعماله وأرفع أحواله لان المباح مقام من لا مقام له فان عزم العبد على النكاح فلا يكون همه من النساء الا ذات دين وصلاح والعقل والقناعة فليس تخلص له النيات التي ذكرناها آنفا الا على هذه القواعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لمالها ولجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين وفي لفظ آخر من نكح المرأة لمالها ولجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله عز وجل مالها وجمالها وروينا أيضا لا تنكحوا المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكحوا المرأة لدينها فنكاح المرأة الدين والصلاح طريق من الآخرة والرغبة في المرأة الناقصة الخلق الدنية الصورة الكبيرة السن باب من الزهد وقد كان أبو سليمان يقول الزهد في كل

تنشأ له قال بعض الاكابر اني لاروح بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا أكرهت عميت وهذه الاشياء بمنزلة الحصم للمريض المحرور فان الطبيب قد يصف له ليصبر بقوته حتى يحتمل شرب الدواء النافع والشريعة جاءت بمداواة النفوس المريضة وتطبيب القلوب العليلة واعلم أن الناس اختلفوا في كيفية الرياضة فمنهم من نظر الى تحصيل المسبب كيف كان ولم يلتفت الى الطريق حتى قالوا من كسلت نفسه من الطاعة فعلها كيف اتفق له مخلصا وغير مخلص وكذلك في الصيام وانفاق المال لتتعود النفس العبادة وتتمرن عليها ومثلوا بمن في ثوبه دم عسر الزوال فليغسله بالبول ليخرجه ثم يغسله بالماء وفي هذا نظر فان جواز الصلاة بغير اخلاص أو مرائيا لتعود النشاط للطاعة مما ينازع فيه أيضا بل لا يجوز له الصلاة والصوم ولا غيرهما من العبادات الا بشرطها من الاخلاص وغيره وان كان ممن تنازعه الاهواء وتنازعه خواطر الرياء

*(باب التقوى واليقين والصمت)*

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال تعالى واياي فاتقون وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أوصني فقال عليك بتقوى الله فانه اجماع كل خير وتكلموا في حقيقة التقوى فقال قوم هي التحرز بطاعة الله تعالى عن عقوبته وقال آخرون التقوى امتناع السر عن المحرمات والشبهات وقال أبو عبد الله الروذباري التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى وقال العطوي التقوى ظاهر وباطن فظاهره محافظة الحدود وباطنه النية والاخلاص وروي ان أبا حنيفة رحمة الله عليه امتنع من الجلوس في ظل شجرة لرجل كان له عليه دين وقال ورد في الخبر كل قرض جر منفعة

لهور باوهذا غاية التقوى والورع والتقوى من أعلى المقامات وأجلها لانها توقى من المكروهات والمرهوبات الحائلة بين السالك وبين المحبوبات والمطلوبات فيتقى الكفر بالايمان والشرك بالتوحيد والرياء بالاخلاص والكذب بالصدق والغش بالنصيحة والمعصية بالطاعة والابتداع بالاتباع والشبهة بالورع والدنيا (٢٥٠) بالزهد والغفلة بالذكر والشيطان بالاستعاذة والنار باجتناب الاعمال الرديئة الهاوالشرور كلها بالخيرات المنقذة منها فالتقوى شاملة لجميع المقامات وحتوية على سائر معاملات المقربين والابرار واعلم أن التقوى أول صفة من صفات أولياء الله تعالى وهي قاعدة المقامات وأعلى المقامات كلها قال الله تعالى الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون فالتقوى في أول مقام وآخره وفي أول نفس وآخره واصل التقوى انتفاء الشرك ثم بعدها انتفاء المعاصي والسيآت ثم بعده انتفاء الشبهات ثم بعده انتفاء التوسل بالافعال والانبياء تقواهم منه اليه فتقوى الشرك للعامة وتقوى المعاصي للخاصة وتقوى الشبهات لخاصة الخاصة وتقوى التوسل بالافعال للاولياء والتقوى من الله تعالى اليه تقوى الانبياء وهي أعلى درجات التقوى وقال سهل ابن عبد الله لامعين على ما نحن فيه الا الله تعالى ولا دليل الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازاد الا التقوى ولاعمل الا بالصبر على التقوى قال السادة الائمة أهل البصائر واليقين رضي الله عنهم للمتقي أربع علامات يعرف بها احداها كثرة الخوف من الذنوب الماضية التي ذهبت لذتها وبقيت عقوبتها الثانية أن يكون كثير الحذر والخوف لما يقع فيه من الذنوب في المستقبل فيما بقي من عمره الثالثة أن يفزع ويخاف من سوء الخاتمة لانها الطامة الكبرى والداهية العظمى وما جاءت الرجال وقال

شيء حتى يتزوج الرجل العجوز أو غير ذات الهيئة ايثارا للزهد في الدنيا وكان مالك بن دينار يقول يترك أحدهم أن يتزوج يتيمة فيؤجر فيها ان أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشتهي الشهوات عليه وتقول اكسني ثوب كذا واشتر لي مرط حرير فيتمرط دينه وقد اختار أحمد بن حنبل رضي الله عنه عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل من أعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني اياها وقد يكون في تزويج المرذولة المخدوعة فيه بان يرقع قلبها اذ لا يرغب في مثلها واستحب له ان ينظر الى وجهها قبل التزويج بها والى ما يبدو منها فان ضم الى الوجه والكفين فلا بأس بذلك عند علماء الحجاز في النظر الى الوجه أحاديث مأثورة منها حديث محمد بن مسلمة قال رأيته يتبع النظرة فتاة في النخل حتى توارت بالنخل فقلت له تفعل هذا وانت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا قال اذا أوقع الله عز وجل في قلب أحدكم خطبة امرأة فلينظر اليها ليرى منها ما يدعوه اليها وفي الحديث الآخر ان في أعين الانصار شيأ فاذا أراد أحدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن وفي لفظ آخر اذا أوقع في نفس أحدكم من امرأة شيء فلينظر اليها فانه أحرى ان يؤدم بينهما يعني يؤدم وقوع الادمة على الادمة وهو أبلغ من البشرة لان البشرة ظاهر الجلد والادمة باطنه جاء هذا في المبالغة على ضرب المثل وقد كان الاعمش يقول كل تزويج يقع عن غير نظر يكون آخره غما وهما ولا يغالي في المهر فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث البيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من ادم وحشوها ليف وأولم على أحد نسائه بمدين من شعير وعلى أخرى بمدي تمر فالوليمة سنة وترك الاجابة اليها معصية وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى عن المغالاة بمهور النساء ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه ولا زوج على أكثر من أربعمائة درهم وروينا عن عائشة رضي الله عنها كانت مهور أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر أوقية ونصفا وقد كان يزوج أصحابه على وزن نواة من ذهب والنواة صغيرة وهي نواة التمر الصيحاني يقال قيمتها خمسة دراهم ولكن زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه على نواة من ذهب قومت ثلاثة دراهم وثلث وقد زوج سعيد بن المسيب وهو من خيار التابعين وعلمائهم ابنته من أبي هريرة على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا ولا أكره التزويج على عشرة دراهم وهو أكثر الاستحباب في القلة ليخرج من اختلاف العلماء ولا استحب ان لا ينقص المهر عن ثلاثة دراهم وهذا هو القول الاوسط من مذاهب الفقهاء وفي هذه القيمة تقطع يد السارق وهذا مذهب بعض أهل الحجاز وقد روينا بركتهن أقلهن مهرا وروينا أيضا من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها يعني الولادة وتيسير مهرها قال عروة وأول ما فات من شؤمها كثرة صداقها ولا يصلح للمتزوج ان يسأله أي شيء للمرأة ولا يحل له ان يدفع شيأ ليأخذ أكثر منه ولا يحل لهم ان يهدوا اليه شيأ ليضطروه ان يكافئ بأكثر منه وليس عليه ان يزيد بأكثر من قيمته ان كافأ وله ان لا يقبل هديتهم ان علم ذلك منهم وهذا كله بدعة في النكاح وهو كالتجارة في التزويج وهو داخل في الربا وهو يشبه القمار ومن زوج أو تزوج على هذا دائم فهذه النية هي نية فاسدة وليس نكاحه هذا الدين ولا للآخرة وكان الثوري يقول اذا تزوج الرجل وقال أي شيء للمرأة فاعلم انه لص فلا تزوجوه ولا ينكح الى مبتدع ولا فاسق ولا ظالم ولا شارب خمر ولا آكل الربا فمن فعل ذلك فقد ثلم دينه وقطع رحمه ولم يحسن الولاية لكريمته لانه ترك الاحسان وليس هؤلاء أكفاء الحرة المسلمة العفيفة وقد قال بعض السلف النكاح رق فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته

وقال بعضهم لا تنكح الا الاتقياء فانه ان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وأنكحوا الاكفاء وأنكحوا اليهم ولا نكاح الا بولي وشاهدي عدل وان كانت ثيبا فان لم يكن ولي فالسلطان ولي من لا ولي له أو من ولاه الحكم كذلك السنة وليتعلم المتزوج علم الحيض واختلاف أوقاته وزيادته ونقصانه وأحكام الاستحاضة من ذلك وعلم وقت الاطهار ليعلمها ذلك وليغنيها بذلك عن السؤال والظهور الى الرجال ثم ليعلم أهله علم ما لا يسعهم جهله من الفرائض وأحكام الصلاة وشرائع الاسلام واعتقادات المؤمنين من السنة وما عليه من مذهب الجماعة فاذا فعل ذلك لم يكن عليها ان تخرج الى العلماء وان قصر من علمها علم التوحيد ومباني الاسلام وعقود الايمان ومذهب أهل السنة فلها ان تخرج الى السؤال عما لا يسعها جهله وليس لها ان تخرج بغير اذنه لطالب علم يرجى فضله وليس للمرأة ان تحمل زوجها على المكاسب الحرام ولا تكلفه ما يقترف به الآثام ولا للرجل ان يدخل في مداخل السوء ولا يبيع آخرته بدنياه فان صبرت معه على البر والتقوى أمسكها وان حملته على الاثم والعدوان فارقها وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ويقال أول من يتعلق بالرجل يوم القيامة زوجته وولده فيوقفونه بين يدي الله عز وجل فيقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم قال فيقتص لهم منه وفي خبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه حتى تستفرغ تلك المطالبات جميع أعماله فلا يبقى له حسنة فينادي الملائكة هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله ولهذا قال بعض السلف اذا أراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا أنيابا تنهشه يعني العيال وروي في الخبر لا يلقى الله عبد بذنب أعظم من جهالة أهله وفي الخبر المشهور كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول وروي ان الآبق من عياله كالعبد الآبق من سيده لا يقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم وقد قال عز وجل يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا فاضاف الاهل الى النفس وأمرنا ان نقيهم النار بتعليم الامر والنهي كما نقي أنفسنا النار باجتناب النهي وجاء في تفسير ذلك علموهن وأدبوهن وقال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالمرأة راعية على مال زوجها وهي مسؤلة عنه والرجل راع على أهله وهو مسؤل عنهم ويقال اذا أنفقت المرأة من مال زوجها بغير اذنه لم تزل في سخط الله عز وجل حتى يأذن لها ولا يحل لها ان تطعم من منزله الا الرطب الذي يخاف فساده فان أطعمت وأنفقت عن اذنه ورضاه كان لها مثل أجره وان أطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر وينبغي ان يعرفها أعظم حقه عليها مقام الوالدة بقوله للمرأة عليك بطاعته زوجك فانه جنتك ونارك وقال صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج في سفر وعهد الى امرأته ان لا تنزل من العلو الى سفل الدار وكان أبوها في السفل فمرض أبوها فارسلت المرأة تستأذن أن تنزل الى أبيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيعي زوجك فمات أبوها فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تنزل اليه فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها قال فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرها ان الله قد غفر لابيها بطاعتها زوجها وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها فاضاف طاعة الزوج الى أبنية الاسلام التي لا يدخل الجنة الا بها وشرط طاعته لدخولها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين الى أزواجهن دخلت مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت في النار

أنفسهم الا اجلها والرابع كثرة المحاسبة لنفسه لا يفتر عن حسابها طرفة عين وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ويجب على المتقي أن يلاحظ بقلبه دائما ان الله تعالى ناظر اليه ومطلع عليه وحاضر معه قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وقال أرباب اليقين لا سعي في هذا السفر الا الايمان ولا زاد فيه الا التقوى ولا رفيق فيه الا العمل ولا دليل فيه الا الرسول صلى الله عليه وسلم ولا مقصد فيه الا الله تعالى وقال محمد بن الورد هلاك الناس في شيئين اشتغال بنافلة وتضييع فريضة وعمل الجوارح بلا مواطأة القلب وانما منع الوصول تضييع الاصول

(فصل) وأما اليقين فقال الله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وقال تعالى والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون وقال صلى الله عليه وسلم في حق عيسى عليه السلام لما قيل له انه كان يمشي في الماء لو ازداد يقينه لطار في الهواء وقال سهل بن عبد الله ابتداء اليقين المكاشفة وكذلك قال بعض السلف لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا من المعاينة والمشاهدة وقال أبو بكر بن طاهر العلم يعارضه الشكوك واليقين لا يعارضه شكوك وهذه اشارة الى العلم الكسبي والعلم البديهي فذلك علم القوم في الابتداء كسبي وفي الانتهاء بديهي لانه اذا توالت الادلة وكثرت وتكررت واقترن بذلك صفاء القلب وطهارته مع ورود نور الهداية حصل اليقين قال ابراهيم الخواص رحمة الله عليه دخلت التيه فلقيت غلاما كأنه سبيكة لا يقدر فضة فقلت له الى أين يا غلام فقال الى مكة فقلت له بلا زاد بلا راحلة بلا نفقة فقال لي يا ضعيف اليقين الذي يقدر على حفظ السموات والارض أن يوصلني الى مكة بلا علاقة قال فلما دخلت مكة فاذا أنا به في الطواف وهو يقول يا عيني سحي أبدا * يا نفس موتي كمدا ولا تحبي أحد *

الا الجليل الصمد فلما رأى ذلك الى بالشيخ أنت بعد في ذلك المقعد من اليقين قيل اجتمع ابراهيم بن أدهم وسفيان الثوري بمكة وكانا صائمين
ففتح عليهما بشئ فأخرجه ابراهيم بن أدهم فقال له سفيان يا أبا اسحق انك تحتاج الى قليل من العلم فلما امشي وجاء وقت الافطار فتح لهما بشئ آخر
فأفطرا عليه جميعا فقال ابراهيم لسفيان يا أبا عبد الله انك تحتاج الى قليل من اليقين وقال عبد الرحمن السلمي اذا استكمل العبد
حقائق اليقين صار البلاء
عنده نعمة والرخاء مصيبة
وقال أبو سعيد الخراز العلم
ما استعملك واليقين
ما حملك قال بعضهم وشتان
بين ما يستعملك وبين
ما يحملك وقال بعض أهل
المعارف صحة اليقين في ثلاثة
سكون القلب الى الثقة بالله
تعالى وانفاذ أمر الله تعالى
بالاشفاق والوجل من سابق
العلم واليقين أوله وآخره فأوله
العلم أنه نية وآخره مراد الله
تعالى بالكفاية قال الله
تعالى أليس الله بكاف عبده
وقال تعالى يا أيها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من
المؤمنين والحسب هو الكافي
والمكتفي هو العبد الراضي
واعلم أن اليقين سببه التيقظ
والشك سببه الغفلة والعلم
واليقين هما أساسا الحقيقة
وعليهما تنبني جميع المقامات
والاحوال دخل أبو تراب
البادية قاصدا مكة فمر على
واد فيه بركة قد اجتمع فيها
مياه من الامطار فوجد ما
أبا جعفر الحداد جالسا على
تلك البركة ولابي جعفر ستة
عشر يوما لم يأكل ولم يشرب
الا من تلك البركة فقال له
أبو تراب يكون لك كل شأن
وكان في الصحابة والتابعين
رجال بلغوا مقام اليقين ففي الصحابة جماعة من أهل الصفة وغيرهم ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان أقواما جعل الله تعالى لهم من حسن
فضل هذا اليقين منهم عمر بن ثعلب *(فصل)* وأما الصمت فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت
والصمت كما يكون على اللسان يكون على القلب أيضا والحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والفكرة ويحكى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال كلم
الناس قليلا وكلم ربك كثيرا لعل قلبك يرى ربك وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما شئ بطول السجن أحق من اللسان وقال بعضهم ما جعل الله

فرأيت أكثر أهلها النساء واطلعت في الجنة فرأيت أقل أهلها النساء فقلت أين النساء فقيل شغلهن الأحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ولبس المصبغات كانت العرب مشتهرة بذلك وقال صلى الله عليه وسلم تصدقن من حليكن فاني رأيتكن أكثر أهل النار قلن لم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير يعني الزوج المعاشر تكفرن نعمته عليكن فلذلك قالت الفتاة يا رسول الله فلا أتزوج ورويناعن أم عبد المغنية عن عائشة رضي الله عنها قالت أتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني فتاة أخطب واني أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة فقال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت فلا أتزوج قال بلى فتزوجي فانه خير فهذا مجمل خبر الخثعمية وقد فسر حقه في حديثها وروينا عن عكرمة عن ابن عباس ان امرأة من خثعم أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني امرأة أيم واني أريد أن أتزوج فما حق الزوج فقال ان من حق الزوج على الزوجة اذا أرادها على نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه وفي الخبر الجامع المفصل الزوج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أمرت أحدا أن يسجد لشئ سوى الله تعالى لامرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ومن حقه أن لا تعطي شيأ من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الاثم عليها والاجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه أن لا تخرج من بيتها الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها أو تتوب وينبغي أن تعرض نفسها عليه في كل ليلة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها عز وجل اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك انها عورة فما كان استر لها فهو أسلم والاسلم هو الافضل كيف وقد روي ان المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وفي حديث غريب ان للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر عشر عورات فان أمرها بما يصلحها مما أبيح لها فخالفته وعظها وزجرها فان عادت لخلافه هجرها في المضجع فبعض العلماء يقول يوليها ظهره وبعضهم يقول يعتزل فراشها ليلة الى ثلاث الى سبع ليال فان لم ينجع فيها ذلك ولم تبال به ضربها والعلماء يقولون ضربا غير مبرح وتفسيره ان لا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسما وله أن يغضب عليها في الامر من أمور الدين من عشرة أيام الى شهر فقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا في كلام كلمه بعض أزواجه فارسل بهدية الى بيت زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد أقمأتك اذ ردت عليك هديتك فقال صلى الله عليه وسلم أنتن أهون على الله أن تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا ومعنى أقمأتك استصغرتك وأذلتك فهذه كلمة من الاتباع تقول العرب أذلته وأقمأته ويقولون لتفعلن كذا صاغرا قميا ومازال كذلك حتى ذل وقمي فيدعون بهذه الكلمة لسبب بالتصغير والتذلل المبالغة في الوصف ولا ينبغي أن يقتر على أهله من الانفاق وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم لاهله وكان لعلي عليه السلام أربع نسوة وكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام بدرهم لحما وقال الحسن كانوا في الرحال مخاصيب وفي الاثاث والثياب تقارب وقال ابن سيرين استحب للرجل ان يعمل لاهله في كل شهر فالوذجة وكانت من أهل زلة أو هفوة احتمل ذلك ورفق بها ولم يعسفها وفي الحديث خلقت المرأة من ضلع أعوج ان قومته كسرته وان تركته استمتعت بها على عوج وفي الخبر

تعالى للانسان أذنين ولسانا واحدا الا ليسمع أكثر مما يتكلم وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك وقال أبو حاتم صمت العوام بألسنتهم وصمت العارفين بقلوبهم وصمت المحبين من خواطر أسرارهم وقال لو سكت لسانك لم تنج من كلام قلبك ووصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا بترك فضول الكلام وحذره من حصائد الألسنة كما ورد في الحديث قال بشر الحافي رحمة الله عليه اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم ولا تصح لأحد العزلة والخلوة حتى يلزم نفسه الصمت أولا



كما فعل داود الطائي وغيره واعلم ان الصمت انما يكون عما لا ينبغي من الباطل وأما الحق فمن سكت عنه فانه منافق مراء قال أبو علي الدقاق من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس وقال بعضهم الساكت عن الحق كالناطق بالباطل وربما يقع السكوت على المتكلم لأن في القوم من هو أولى منه بالكلام وقد يقع السكوت على المتكلم لكونه يكون بحضرة من ليس من أهل استماع ذلك الكلام لكونه لا يتأثر بالحقائق ولا بسماع الحكم والمواعظ فيصون ذلك الكلام عن غير أهله قال الشاعر

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي

والصمت من أدب الحضرة فالمتوجه الى الله تعالى بالعبادة في حضرة الله تعالى فيجب عليه سلوك الأدب فلا ينطق بما لا يحسن من القول والصمت باللسان يكون بحبسه عن الكلام بما لا فائدة فيه والصمت بالقلب أن لا يجري على قلبه شيء بما لا يعني الناطق به ولا يجول فيه فكره ولا يحدث به نفسه وانما آثر أرباب المجاهدات الصمت والسكوت عن الكلام بما لا فائدة فيه لأنهم علموا ما في الكلام من الآفات منها الوقوع في الغيبة والنميمة ومنها الوقوع في المدح والاطراء لمن لا يستحق المدح من الظلمة وأبناء الدنيا ومنها اقامة حظوظ النفس بالتشدق بالكلام في العلم والتزين باظهار الفصاحة وتحسين النطق الى غير ذلك من الآفات فالصمت والسكوت حال العارفين الواصلين قال ابن أبي هالة كان النبي صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الصمت وفي رواية دائم الفكر اذا تكلم تكلم بجوامع الكلم صلى الله

حسن وكسرها طلاقها وقد كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه القول وتهجره احداهن يوما الى الليل ودفعت احداهن في صدره فزجرتها أمها فقال دعيها فانهن يصنعن أكثر من هذا وجرى بينه وبين عائشة رضي الله عنها كلام حتى أدخل أبا بكر رضي الله عنه بينهما حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولكن لا تقل الا حقا فلطمها أبو بكر رضي الله عنه حتى دمي فوها وقال أي عدوة نفسها أو يقول غير الحق بل أنت وأبوك تقولان الباطل ولا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حقا نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضربها حتى استجارت بالنبي صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم انك نبي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حلما وكرما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة رضي الله عنها اني لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرف ذلك قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما أهجر اسمك وقد كان صلى الله عليه وسلم يمزح مع أزواجه ويقاربهن في عقولهن في الأعمال والأخلاق وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه وقد كان لقمان الحكيم يقول العاقل في بيته مع أهله كالصبي فاذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه وفي أحد المعاني في قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم قيل العتل الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله وما ملكت يمينه وروينا في الخبر غيرة يبغضها الله عز وجل غيرة الرجل على أهله في غير ريبة كانه يكون من سوء الظن الذي نهى الله عز وجل ورسوله عنه وروينا عن علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك ولعمري ان الغيرة لها حد فاذا جاوزها الرجل قصر عن الواجب وزاد على الحق وقد كان الحسن يقول أتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الأسواق قبح الله من لا يغار وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوهن وتقول بلى لنمنعهن وقد قال الله عز وجل قد جعل الله لكل شيء قدرا وقال بعض الحكماء من جاوز الشيء فقدره كمن قصر عنه فلا بأس بامارة العقيلة ان تخرج لشيء لا بد لها منه من قضاء حوائجها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لكن ان تخرجن في حوائجكن وكذا ان تخرجن في الأعياد خاصة أطلق ذلك لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا يخرجن الا باذن أزواجهن وعن رضاهم ولا يخرجن أيضا الا فيما يعني مما لا بد منه ومهما استغنين عن الخروج وان لا يراهن رجل فهو أفضل لهن وأصلح لقلوبهن وروينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة عليها السلام يا بنية أي شيء خير للمرأة فقالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا يطالع النسوان وروينا أن معاذا رأى امرأة تطلع من كوة في الجدار فضربها وان امرأته دفعت الى غلام لها تفاحة قد أكلت بعضها فضربها وقد كان عمر يقول أعروا النساء يلزمن الحجال وقال أيضا عودوا النساء كلمة لا وتكلم مرة في شيء من الأمر فأخذت امرأته تراجعه في القول فزبرها وقال ما أنت لهذا انما أنت لعبة في جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما أنت وهو مأجور على احتماله هفوات أهله

وصبره على اذاهن ومثاب على حسن عشرتهن وقد كان محمد بن الحنفية يقول ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله منه فرجا ومخرجا فان كانت بذيئة اللسان قليلة القبول مطيعة الجهول كثيرة الاذى فطلاقها أسلم لدينهما وأروح لقلوبهما في عاجل دنياه وآجل آخرته وقد شكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذاء امرأته فقال له طلقها فقال انى أحبها قال أمسكها اذ انه يخشى عليه تشتت همه بفراقها مع المحبة وتشتت الهم أعظم من أذى الجسم وفيه معنى قوله عز وجل لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال ابن مسعود اذا بذت على أهلها وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا المعنى به في العدة لان الله يقول اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم فهو متصل بقوله وأحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن أى في العدة ومن الناس من يظن ان الطلاق محظور ويتأول هذه الآية على غير تأويلها فالطلاق مباح الا انه مكروه بغير سبب لتفرقة الالفة وقد روى في خبر ما أحل الله شيأ أبغض اليه من الطلاق ولا بأس ان تفتدى المرأة من زوجها اذا خافت ان لا تقيم حدود الله فيه ولا تقوم بواجب حقوقه عليها وأكره ان يأخذ في الفدية أكثر مما أعطاها وقد قال الله تعالى فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وهذا هو الخلع الجائز عند أكثر العلماء ولا يحل لامرأة أن تسأل زوجها طلاقها ولا أن تختلع منه بغير رضاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة وقال المختلعات هن المنافقات والنشوز قد يكون من الزوجين معا الا انه أبيح للزوج ضربها في النشوز وأبيح لهما الصلح في نشوز الزوج قال الله عز وجل والصلح خير وأصل النشوز أن يعلو احدهما على صاحبه ويرتفع عما كان يعطو عليه ويجتنبه فيكون في نحو فيه غيره فيكون من هذا الكلام الفاحش ويكون منه الاذى ويكون منه الهجر والانفراد ويحكم الحكمان في هذا أحدهما من أهله والآخر من أهلها يعدلون وينظرون فيما بينهما وقد وعد الله عز وجل الغنى مع الفرقة كما وعده مع النكاح فقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته كما قال وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله فقد يكون الغنى بالمال ويكون بان يستغنى كل واحد منهما عن صاحبه بما نصه الله عز وجل من خفى لطفه وجاء في خبر ثلاث لا يستجاب دعوتهم رجل له امرأة سوء يقول أراحنى الله منك وقد جعل الله الطلاق بيده ان شاء طلق والآخر في المملوك السوء وجار السوء وليحسن الرجل عشرة أهله والقيام بهن فقد قال الله تعالى فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أى لا تطلبوا طريقا الى الفرقة ولا الى خصومة ومكروه وهذه حينئذ على صورة الانفس المطمئنة اذا استجابت للايمان وطوعت الى اخلاق المؤمنين فتولها من الارفاق وارفق بها في منالها من المباح وقد شبه الله عز وجل حسن القيام على الزوجة بحسن القيام على الوالدين فقال فيهما وصاحبهما في الدنيا معروفا وقال في أمر النساء وعاشروهن بالمعروف ثم أجل في النساء ما فرقه من حق الزوج في كلمة واحدة فقال ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وقال في عظيم حقهن وأخذن منكم ميثاقا غليظا وقال عز وجل والصاحب بالجنب قيل هى المرأة وآخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون والله الله في النساء فانهن عوار في أيديكم يعنى اسرى أخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق المرأة على الرجل قال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يهجر الا في البيت وينبغى أيضا اذا أراد النكاح ان يتعلم ما يحتاج

عليه وسلم (باب العلم والمعرفة وصفات العارف) وقال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره جاء في التفسير وما عرفوه حق معرفته وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دعامة البيت أساسه ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى واليقين والعقل القامع فقلت بأبى وأمى ما العقل القامع قال الكف عن معاصى الله تعالى والحرص على طاعة الله تعالى وتكلموا في حقيقة المعرفة فقال قوم المعرفة تحقق في حقيقة الحق ومعرفة شهود الخلق وقال آخرون هى افراد الخواطر بالاسرار الربانية وشغلها بالتفكر والاعتبار في الحكم الالهية وقال بعض الاكابر المعرفة ان تشهد الخواطر عواقب مصير الاشياء وتعلم مبداها ومنتهاها من الله تعالى والى الله تعالى والى ربك المنتهى والى الله المصير وان الى ربك الرجعى وقال العماسوى المعرفة معرفتان معرفة حق ومعرفة حقيقة فمعرفة الحق معرفة وحدانيته ونعوته بما أبدى للخلق من أسمائه وصفاته ومعرفة الحقيقة لا سبيل اليها لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية بقوله تعالى ولا يحيطون به علما لان الصمد هو الذى لا تدرك حقائق نعوته وصفاته ومعرفة الحق هى ما دلت عليه أفعاله من نعوته وصفاته فان الصنع يدل على وجود الصانع وعلى قدرته وارادته وبقائه ويدل على علمه وحكمته واتساق التدبير في الكائنات وانتظام أحوال الموجودات يدل على وحدانيته لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال القشيرى المعرفة هى العلم فكل علم معرفة وكل معرفة علم وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الحق بأسمائه وصفاته اليه ثم صدق الله تعالى في معاملاته وطال بالباب وقوفه ودام بالقلب عكوفه وصدق مع الله تعالى في جميع أحواله وصار من الخلق أجنبيا ومن هيوب نفسه وآفاتها بريا يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة وقال عبد المعطى الاسكندرانى في ارشاد السالكين قد تكلم السادة العلماء

اليه المرأة من حسن العشرة والقيام بمصالحه وجميل المداراة ولطف المفاوضة وبعلمها حسن قيامها بما يجب له عليها وبعرفها ما أوجب الله عليها من ذلك ولا تملك المرأة شيأ من أمرك فان الله عز وجل قد ملكك اياها لا تقلبيها والحكمة الله فينقلب الامر عليك فكأنك قد أطعت العدو ووافقته في قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقد قال الله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما يعني النساء والصبيان ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة لانه اذا أطاعها فيما تهوى دخل تحت النفس فكأنه قد بدل نعمة الله كفرا لان الله عز وجل جعله سيدها في قوله عز وجل وألفيا سيدها لدى الباب يعني زوجها قال الحسن ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا أكبه الله في النار ولا يعودها عادة فتجتري عليه وتطالب المعتاد منك فهي على مثال أخلاق النفس سواء ان أرسلت عنانها جمحت بك وان أرخيت عنانها قدر باع جذبتك ذراعا وان شددت يدك عليها وكبحتها ملكتها فلعلها ان تطوع لك * وكان الشافعي رضي الله عنه يقول ثلاثة ان أكرمتهم أهانوك وان أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطي وكان نساء العرب يعلمن أولادهن اختبار أزواجهن كانت المرأة اذا أنكحت ابنتها قالت يا بنية اختبري حليلك قبل ان تقدمي عليه انزعي زج رمحه فان سكت فذلك فقطعي اللحم على ترسه فان أقر فكسري العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمار * وأوصى أسماء بن خارجة الفزاري وكان من حكماء العرب ابنته ليلة زفافها فقال يا بنية قد كانت والدتك أحق بتأديبك مني لو كانت باقية وأما الآن فاني أحق بتأديبك من غيري افهمي عني ما أقول انك قد خرجت من العش الذي فيه درجت وصرت الى فراش لا تعرفيه وقرين لم تألفيه كوني له أرضا يكون لك سماء وكوني له مهادا يكون لك عمادا وكوني له أمة يكون لك عبدا لا تلحي به فيقلاك ولا تتباعدي عنه فينساك اذا دنا فاقربي منه وان نأى فابعدي منه واحفظي أنفه وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وأنا الذي أقول لامك ليلة بنائي بها

خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة * فانك لا تدرين ماذا المغيب
فاني رأيت الحب في القلب والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

* وأوصى بعض العرب بنيه فقال لا تنكحوا من النساء ستة لا أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة تفسير ذلك الانانة وهي التي تعصب رأسها كثيرا وتكثر الانين والتوجع والتشكي والمنانة التي تمن على زوجها تقول فعلت بك وفعلت فانا أفضل وأفضل والحنانة تكون على وجهين تكون ذات ولد من غيره هي تحن اليه وقد تكون ذات زوج قبله فحن قلبها اليه وقوله حداقة هي التي ترمي بحدقتها فتشتري كل شيء وتطالب زوجها بما تشتهيه من كل شيء وقد غلط الرجال كثيرا كما يلاحظ بعض الرجال النساء والبراقة تحتمل تأويلين أحدهما أن تكون تغضب على الطعام فتبرق لقلته ولسوء خلقها ولا تكاد البراقة تأكل الا وحدها لشرهها وتكون أيضا تستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية تعرفها الاشبه عندهم يقال قد برقت المرأة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عليه والوجه الثاني من البراقة أن تكون من البريق أن تكثر صقال وجهها وخضابه فتتصنع في بريقه أبدا وأما الشداقة فهي التي تتشدق بكثرة الكلام وتكون ذربة اللسان مفوهة في النطق * ومن ذلك الخبر الذي جاء ان

أو بأنها البصائر في المعرفة واليقين وهي عندهم عبارة عن توالي العلوم بالمعلوم الواحد فمن توالت علومه وقلت غفلاته وتواصل ذكره لمعلومه حتى ظهرت عليه أحوال سمو معارفه ومن علم واشتغل عن علومه بغيره أو نسيه أو غفل عنه لا يسمونه عارفا وقد يخصون العلم المتعلق بذات الله تعالى وصفاته بالمعرفة والعلم المتعلق بأحكامه بالعلم وقالوا اليقين هو استقرار العلم في القلب بحيث لا يتقلب ولا يتحول ولا يتغير ومعنى استقراره توالي أمثاله على القلب ومن علامات المعرفة المحبة اذ من عرف الله أحبه والمعرفة من الصفات المتحركة لانها تتحرك بالنمو والزيادة فكلما ارتقى الانسان في المقامات والاحوال ازدادت معرفته بالله تعالى ومن أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته وقال الشبلي ليس للعارف علاقة بغير الله تعالى ووجه ذلك بعضهم بان العارف محب والمحب لا علاقة له بغير المحبوب وقال يحيى ابن معاذ يخرج العارف من الدنيا وما قضى وطره من شيئين بكاؤه على نفسه وثناؤه على ربه

* (فصل) * والعلوم والمعارف مواهب من الله تعالى ومنح من كرمه وفضله ويحصل ذلك عند تزكية القلب وصلاح حاله فاذا طهر القلب وزكا كانت تلك التزكية والطهارة بمنزلة الصقال للمرآة وفاضت عليه الانوار من قبل الواحد الحق واهب الخيرات وهو انه مبدع الكل واله الكل جل جلاله وتقدست ذاته وصفاته مشاهد من عظمة الله تعالى وجلاله وصفاته ونعوته وحقائق الكون وعجائب الصنع وغرائب الملك والملكوت بحسب ما أعطاه الله تعالى من البصيرة ووهبه من النور ومن لم تحصل له هذه الطهارة وهذه التزكية فقلبه أعمى بما عليه من صدأ المعاصي وظلمة الذنوب لان معاصي القلوب والجوارح ظلمات تركب القلوب فتحجبهم عن العلوم العلية والوهبية والمعارف الدينية

الله عز وجل يبغض الترثار بين من المتشدقين وفي قصة الرجل السائح الاودى انه لقى الياس عليه السلام في سياحته فامره بالتزويج وقال هو خير لك ونهاه عن التبتل وقال لا تنكح من النساء أربعا وانكح من سواهن المختلعة والمبارية والعاهر والناشز فالمختلعة هي التي تطلب الخلع من زوجها من غير ما باس وهو مع ذلك يحبها والمبارية المباهية لغيرها المفاخرة باسباب الدنيا التي تطلب من زوجها ما تباهي به غيرها او تفتخر به على نظائرها والعاهر الفاجرة التي تعرف بخليل أو خدن وهو الذي قال الله عز وجل ولا متخذات أخدان والناشز التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال وقد كان صلى الله عليه السلام يقول شرار خصال الرجل خيار خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت مزهوة أي معجبة استنكفت ان تكلم الرجال واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها وأكره العزل كراهة شديدة فانه دقيق من الشرك الخفي وفيه نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهه جماعة من السلف الصالح ولم يكن خيار المتقين يعزلون وأقل ما فيه الخروج من التوكل على الله عز وجل وقلة الرضا بحكم الله تعالى وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول العزل هي الموؤدة الصغرى فلقوله هذا استنباط حسن من السنة وذلك انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الجماع ان الرجل ليجامع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله عز وجل فقتل له وكيف ذلك يا رسول الله فقال أنت خلقته أنت رزقته أنت هديته الى هذا أنت أحييته أنت أمته قالوا بل الله خلقه ورزقه وهداه وأحياه وأماته قال فانت تراه في هذا المعنى في يقول اذا جامعت فأمنيت في الفرج وقد قال الله تعالى أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون فاذا لم يخلق الله من منيك خلقا احسب لك كأنه قد خلق منه ذكرا على أتم أحواله وأكمل أوصافه بان يقاتل في سبيل الله فيقتل لانك قد جئت بالسبب الذي عليك وليس عليك خلقه ولا هدايته وانما يقدر على ذلك الله عز وجل وهو فعله مجردا فكان لك أجر الولد فضل الله تعالى اذ قد أتيت بما أمكنك عمله فلذلك قال ابن عباس هو الموؤدة الصغرى لانه يوجد العزل بعدم هذا الفضل اذ كان العبد سببا عدمه لانه لم يفعل ما يتأتى منه الولد فذهب فضله وحسب عليه قتله وانما قال ان العزل دقيقة من الشرك لان أهل الجاهلية كان سبب قتلهم بناتهم معاني أحدها خشية العار بهن ومنها كراهة الانفاق عليهن ومنها الشح وخوف الفقر والاملاق وكان العرب من ولد له بنون وبنات فمات البنون وعاش البنات سموه أبتر وذموه بذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف الذي يكرهون مات ولده الذكر وعاش البنات فلذلك كان يسمونه بذلك أي يذمه وما عندهم ومنهم العاص بن وائل حتى قال انك أبتر فرد الله عز وجل عليه فقال تعالى ان شانئك هو الابتر أي لا ذكر لك بعد موتك قد انقطع ذكرك بموت الذكور من ولدك فقال الله عز وجل بل شانئك هو الابتر الذي ينقطع ذكره وثناؤه فلا يذكر بخير بعد موته فاما أنت فقد رفعت لك ذكرك تذكر معي اذا ذكرت وكانت العرب تقول من كن له أحد الحوبات الثلاث لم يشرف عشيرته ولم يسد قومه يعنون بالحوب الام والاخت والبنت والحوبات جمع حوب وهي كبيرة قال الله تعالى في أكلكم أموال اليتامى ظلما كان حوبا كبيرا عندي ليس هذا الذي قلتم عندكم وكان من خيار التابعين المؤمنين من يستحب له الجمع بين هؤلاء الثلاث الام والاخت والبنت لما فيهن من عظيم المثوبة والفضل لخلاف بذلك سنة الجاهلية فقد توجد هذه المعاني أو بعضها في العزل فلذلك سميناه شركا وكرهناه وهو مذهب الورع من النساء كأن فيهن تعزز وتعمق من استعمال كثرة الماء للطهارة ودخول الحمامات ومجاوزة

التي هي خلاصة علوم الدين وزبدته ومعارف الشريعة وهي الحكمة والحقيقة قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون وهذه علوم لا تؤخذ من كتاب البيع والسلم ولا من كتاب الرهن والاجارة بل لا تؤخذ الا من تطهير السرائر وتزكية القلوب بالوقوف مع الكتاب والسنة في كل لحظة وخطرة فلا بد للمريد من تحصيل هذه المعارف والعلوم من تقدير التطهير عن معاصي القلب والتنقية من عيوب النفس وتطهير الجوارح الظاهرة عن معاصيها قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان لان الايمان لما انقسم الى فعل المأمورات واجتناب المنهيات كان تطهير القلب عن ارتكاب المنهيات شطر الايمان وقد اتضح بجميع ما ذكرناه ان سعادة الآخرة وهي الفوز بنعيم الابد وسرور السرمد مربوطة بحكم الله تعالى بتطهير واثبات تجريد النفس من الصفات المذمومة شرعا والاثبات اتصافها بالصفات المحمودة شرعا وذلك موقوف على العلم بأحكام الظاهر وأحكام الباطن وهو القلب ومن لم يصحب معرفته بالله تعالى علم شرع دينه ذهبت به المغاليط في سبيل الحيرة ولم تثبت له عبودية ومن لا تعبد له فليس له دين فاذا العلم سبب في حصول السعادة الدائمة وحياة الابد جاء رجل الى بعض الاكابر فقال له دلني على الله فقال له ان كنت قد قرأت القرآن وكتبت الحديث وتدبرت ذلك فحسبك وان لم تكن كذلك فاطلب من قرأهما وعقلهما حتى يدلك على الله بدلالة كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

الدفى الطهر وروكما أيضا يقضين الصلاة أيام الحيض ويصمن فى حيضهن ولا يصلين فى ثياب الحيض حتى يغسلنها ولا تدخلن الخلاء الا مرة وكانوا يكرهون الولادة طلبا للنظافة والتعزز خلاف السنة نساء العرب ابتدعوا هذه البدع ففارقوا بها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنن نسائه من أنباط العراق وأهل النهر وكان بعضهن دخل على عائشة رضى الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لهن فى الدخول عليها وأيضا فان الله ورسوله ندبا الى اتخاذ الولادة بقوله تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم قيل الولد وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم خير نسائكم الودود الولود وقوله صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وحصير فى البيت خير من امرأة لا تلد ومن بركة المرأة ان تيسر رحمها أحوج ما يكون الى الجماع اذا طهرت من الحيض وفى هذا الوقت أكثر ما يعبر النساء بالحمل وأحمد ما يكون المولود عاقبة اذا علق به قبل الطهر فلهذه المعانى عقب الله عز وجل الامر بالجماع والولد بعد الطهر فى قوله تعالى فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ولا ضد له فى معانى الكراهة والقدم أمر الله تعالى باعتزال النساء فى الحيض ويقال ان كل مبتول كان أو مجنونا أو مجذوبا أو مختلا أو فى حاله وعقله مخبلا لانه كان غرسه فى سبخة من الارض فلم يزرع ولم يزك ومن زرع من حرث طيب زكا زرعه وهو الغشيان فى الطهر ولذلك قال من حيث أمركم الله وقد رخص طائفة فى العزل وروينا فى ذلك رخصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان سعد يعزل وقد أنكره على عليه السلام على ابن عباس رضى الله عنهم فى قوله ان العزل هى الموؤدة الصغرى وقال انها لا تكون موؤدة الا بعد سبع ثم تلا قوله عز وجل واذا الموؤدة سئلت انما ذكرت بعد سبع ثم تلا قوله عز وجل آية تنقيل الخلقة ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة الى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر أى فى نفخ الروح فيه قال فلا يكون موؤدة مقتولة الا بعد هذه السبع الحال ولان الله عز وجل ذكرها كررت بعد سبع معان ثم جمع بينهما فى الفهم فاستنبط ذلك وهذا من دقيق العلم وغامض الفهم ولطيف الاستدلال الذى تفرد به عليه السلام لثقوب علمه ونفاذ فطنته ورضى استدلاله فلا يجامعهن حتى يطهرن فاذا تطهرن يعنى بالماء ويكره الجماع مستقبل القبلة لحرمة القبلة وفى الخبر اذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردا تجرد العيرين يعنى الحمارين وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا جامع غطى رأسه وخفض صوته وقال للمرأة عليك السكينة ومن جامع مرة وأراد العود فليغسل فرجه قبل ذلك فان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول فان جامع بعد الاحتلام من غير غسل خيف على ولده ان كان من جماعه أن يصيبه لمم من الشيطان ويكره له الجماع فى ثلاث ليال من الشهر فى أول ليلة وفى آخر ليلة وفى ليلة النصف يقال ان الشيطان يحضر الجماع فى هذه الليالى وقيل ان الشياطين يجامعون فيها وروى عن على عليه السلام كراهة ذلك وأبى هريرة ومعاوية رضى الله عنهما ومن العلماء من كان يستحب الجماع فى يوم الجمعة لاحد التأويلين من قوله صلى الله عليه وسلم من غسل واغتسل أى غسل أهله ويكره الجماع فى أول الليل لئلا ينام على غير طهارة فان الارواح تعرج الى العرش فما كان منها طاهرا أذن له فى السجود وما كان جنبا لم يؤذن له والرؤيا أيضا على طهارة من غير جنابة وعلى وضوء أصح وافضل الا أن يغتسل ثم ينام فان لم يغتسل وجامع فلا ينام ولا يطعم حتى يتوضأ وضوءه للصلاة وقد جاء رخصة فى النوم بعد الجماع من غير أن يمس ماء فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أكره أن يحلق الرجل رأسه أو يقلم ظفره أو يستحد أو يتنور أو يخرج دما وهو جنب فان العبد يرد اليه جميع شعره وظفره ودمه يوم القيامة فما سقط منه من ذلك وهو جنب رجع اليه جنبا وقيل طالبته كل شعرة بجنابتها

* وقد روينا معنى هذا فى حديث مقطوع موقوف عن الاوزاعى ويحيى بن كثير قال الاوزاعى قد كنا نقول

*(فصل)* يحتاج المكلف فى ايقاع الطاعة الى علمين أحدهما العلم بالاوامر والنواهى وهو علم بكيفية ايقاع العمل على الوجه الجائز والوجه المطلوب العلم الثانى علم الترغيب والترهيب ليحصل له الخوف والرجاء الحاملان على الاقدام على المأمورات والاحجام عن المنهيات وبعض الفقهاء اشتغل بعلم الحلال والحرام وأهمل علم الترغيب والترهيب فقل خوفه ورجاؤه وكسل عن الطاعات ومن الناس من اشتغل بالمجاهدة وكثرة العمل وأهمل علم الاحكام أعنى علم الحلال والحرام فضل وزل وفاتته الطاعات ومنهم من علم بعلم الاوامر والنواهى وأتقن ذلك وعمل بعلم الترغيب والترهيب وأتقنه وجاهد فى الله حق جهاده فعمل بما علم فأورثه الله علم ما لم يعلم واشتغل بما أعلمه الله من آياته وتوحيده ومعرفة صفاته وسائر ما يدل عليه من نعوته وصفاته وهؤلاء خلفاء الله تعالى على الخلق مثل الحسن البصرى وسفيان الثورى وداود الطائى والحارث المحاسبى وأبى القاسم الجنيد وعمرو بن عثمان المكى وأضرابهم ويحتاج المكلف الى العلم بالله تعالى وصفاته وقدرته وارادته وعلمه وكلامه وحكمته وسائر نعوته ومعرفة بنية الحيوان وبنية السموات وما اشتملت عليه من الحكم والمنافع الى غير ذلك من الامور التى لا تعلم الا من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم



وبجمع العقول القاطعة فاذا امتلأت القلوب بهذه العلوم والمعارف بادرت الى طاعة الله تعالى وسارعت الى عبادته وبهذا يعلم شرف علم التوحيد على غيره من العلوم لكون العلم به يثمر هذه الفضائل والطاعات واعلم انك اذا تصفحت القرآن وجدته

لا بأس ان يطأ الجنب حتى سمعنا بهذا الحديث والنص فيه على النهي ان يطأ الرجل جنبا ولا يعجل الرجل من امرأته الا الفرج لا قصير على أي حال شاء وان جامع فليتمهل على أهله وليتوقف حتى تقضي هي نهمتها كما قضى هو نهمته فربما أخر انزال المرأة بعد الرجل فيكون ذلك كريها اليها فان علم انها قد سبقت بالشهوة لم يحتج الى توقف وليس يخفى سبقها بالشهوة على فطن واوفق ما يكون الجماع بينهما اذا اتفقت الشهوتان منهما معا وأكثر ما يكون التباغض بين الزوجين لاختلافهما من طبع الانزال أن يكون طبعه سابقا لطبعها أيضا وقد كان بعض العلماء من الادباء لا يتأخر عن المرأة حتى يستأمرها في ذلك وينبغي ان يعلمها لان المرأة اذا بلغت واحتلمت يجب عليها الغسل كما يجب على الرجل فان في ذلك سنة لان أم سليم سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها بذلك قال نعم النساء نساء الانصار لا يمنعهن الحياء ان يتفقهن في الدين واذا كانت المرأة حائضا اتزرت بمئزر صغير من حقويها الى انصاف الفخذين وكان له المتعة بجميع جسدها كيف شاء الا تحت المئزر وهذا مذهب فقهاء الحجاز وهو أحب الوجهين الي وبعض علماء أهل العراق يجوز من الحائض المباشرة الا تحت خلا الفرجين ولا يجتنب هذا ولا حرج عليه من الاستمتاع ببدنها واستحب للرجل اذا دخل في لحافها ان يتزر بمئزر صغير يكون في وسطه وهو المئزر لئلا يتجرد عريانا فان هذا من الادب ويضاجع الرجل الحائض كيف شاء ويتناوله ما شاء أو يؤاكلها ولا يجانبها في شيء من الاشياء الا الجماع في الفرج اتفقوا عليه واختلفوا فيما دونه فذكر أهل الحجاز كما ذكرناه آنفا وهو استحباب واتفقوا على تحريم ما فوق المئزر من السرة الى انصاف الفخذين فينبغي للمتزوج ان يعرف حكم الطلاق فان عرض عليه طلاق طلق واحدة واحدة في طهر لا جماع فيه لان التطليقة الواحدة اذا انقضت عدة المرأة منها بحيض أو أشهر تعمل عمل التحريم بالثلاث سواء الا انه يربح في التطليقة الواحدة أربع خصال أحدها موافقة الكتاب والسنة من قوله عز وجل فطلقوهن لعدتهن وفي قراءة ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم بيان ذلك فطلقوهن لقبل عدتهن فهذا دل ان الاقراء هي الاطهار وكذلك هو عندي وان تكافأ ذلك في اللغة وتساوى في المعاني بان يكون الحيض أيضا والثانية تيسير العدة عليها وسرعة خروجها منها لخروجها من الطلاق يحتسب من الطهر الذي طلقها فيه من غير جماع قرأ فتستعجل الخروج من العدة لانها من حدود الله عز وجل ويربح أيضا انه ان ندم على طلاقها كان له رجعتها في العدة من غير احداث عقد ثان ولا مهر آخر وان أحب رجعتها بعد انقضاء العدة كان له تزويجها ثانية من غير زوج ثان تعدده وهذا كله معدوم مع الثلاث دفعة واحدة وموجود فيه التحريم وان ندم لم يجعل الله له مخرجا لانه لا تحل له الا بعد زوج ويخسر العبد خروج المرأة من يده فان ابتلي بها واحتاج ان ينتظر فراغ الزوج الثاني أو احتال بعمل في تزويجها الغيره فيكون محلا ان قصد النكاح الثاني بالتحليل فيقع في ثلاث معان من المعاصي * وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له وقال بعض العلماء ان نكاح الاول بعده على التحليل لا يجوز أيضا وهذا كله ثمرة الجهل ومخالفة السنة وقد قال الله تعالى فطلقوهن لعدتهن ثم قال لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا يعني ندما من المطلق فتجب الزوجة فاذا كان قد طلق تطليقة واحدة أو اثنتين حلت له من العدة من غير عقد وبعد انقضائها بغير زوج ثم قال ومن يتق الله يجعل له مخرجا أي يتق الله في طلاق في العدة يجعل له مخرجا في جواز الرجعة كما ذكرناه ومن طلق ثلاثا مرة واحدة أو طلق في الحيض وقع الطلاق وحرمت المرأة ولم تحل له الا بعد زوج وان كان قد خالف السنة ووافق كراهة الائمة بآثار قد كثرت في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر وابنه وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين * والاصل فيما ذكرناه من العزيمة والرخصة في فعل النكاح وتركه قول الله

ألا ذكر آية من الحلال والحرام فانه لا يكررها في الغالب مرة ثانية ولا يؤكدها بخلاف الآيات الدالة على شهادات الله تعالى وحكمته وتوحيده والآيات الدالة على الترغيب والترهيب وأعمال القلب فانه تعالى كثيرا ما يكررها ويؤكدها وهذا دليل على فضل علم التوحيد وعلم الباطن على غيرهما من العلوم وقد حث الله تعالى على النظر في الحكم والمصنوعات قال الله تعالى أولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء فهذا تحريض منه سبحانه وتعالى على التفكر في عجائب المصنوعات وتوبيخ المعرضين عن تدبر حكمته في ابداع المخلوقات فاياك ان تكون من الذين وبخهم الله تعالى بقوله وكأي من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون والنظر في المصنوعات يزرع في القلوب تعظيم الصانع اذ ما من ذرة من ذرات الكون الا وفيها دلالة على توحيده وتمجيده وعظمته وحكمته

*(فصل)* اعلم ان المكلف به اما علم أو عمل وكل واحد منهما متعلقه اما القلب واما الجوارح الظاهرة والذي متعلقه الجوارح الظاهرة له مثالات أحدهما متعلقه بجوارح العالم به والثاني متعلقه غير جوارح العالم به مثال العلم الذي متعلقه الجوارح الظاهرة من غير العالم به علم الرجال باحكام الحيض والنفاس والعدد ومثال العلم الذي متعلقه على الجوارح الظاهرة من العالم به الصوم والصلاة والحج وغيرها ومثال العلم الذي متعلقه على القلب أحكام العقيدة ومثال العلم الذي متعلقه العلم باحكام المقامات مثل التوبة والانابة والورع والزهد والتوكل والخوف والرجاء وغير ذلك وقد تقدم

عز وجل وأنكحوا الايامى منكم فأمر بالنكاح وهو أعلم بالخير والصلاح والايامى جمع أيم وهى التى لا بعل لها وقد يسمى به الرجل الذى لا زوجة له أيضا كما يقال ثيبا وبكرا ثم قال والصالحين من عبادكم فلولا ان النكاح أفضل ما خص به الصالحين وضمه الى فضلهم وهم أهل ولايته لقوله عز وجل وهو يتولى الصالحين ثم قال ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله أعلم بالاغنياء كيف هم وقد يغنيهم بالاشياء كقوله أغنى وأقنى وقد يغنيهم عن الاشياء وهى القناعة والزهد وقد يغنى نفوسهم عن الاعراض لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد يغنيهم باليقين كما قال أيضا كفى باليقين غنى وقد يغنيهم بغض البصر وتحصين الفرج كما قال من استطاع الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ثم ان الله عز وجل قال فى الخبر الثانى من وعد الغنى فى التفرق وذلك أيضا فى قوله عز وجل وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته فقد أجمل وجوه الاغناء كلها فى هذا المعنى الآخر أيضا وزيد طلبه الغنية بالعصمة والاستغناء عن المكاسب ومن السؤال والمحاسبة على الاكتساب والغنية عن حال النساء وأحكامهن ثم قال فى الامر الثانى من البيان الشافى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فهذا أدون من الاول لانه علقه باختيار ما ان طاب لناكح ورفع فيه الاربع توسعة منه وتفضلا لعلمه بعلاج القلوب وطبائع النفوس وتفاوت سكونها وحركاتها ووجود كفايتها ومصالحها ثم رحمنا فقال فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ان لا تعولوا فرد الى الواحدة وهو الحال الاوسط بين الاربع وبين التعزب وخير الامور أوسطها وفى قوله الا تعدلوا ثلاثة أوجه تعدلوا تجوروا وهو أحسنها وأحبها الى لانه يواطئ قوله تعالى فان خفتم أن لا تعدلوا لان العدل ضد الجور فعطف عليه فقال ذلك أدنى الا تعولوا أى تجوروا من العدل والعرب تقول عال يعول عولا اذا جار والوجه الثانى الا تعولوا تفتقروا من العيلة وهى الفقر يقال عال يعيل عيلة وأعال اذا افتقر ومنه قوله ان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله ومع العيال الفقر لا محالة والوجه الثالث تعولوا تكثر عيالكم فيكون المعنى ذلك أقرب ان لا يكثر من تعولونه وحذفت الهاء التى هى اسم العيال وهذا مذهب لبعض أهل الحجاز يرجع الى قوله عال الرجل عياله يعولهم مثل مانهم يمونهم ومارهم يميرهم وصانهم يصونهم فيكون مشتقا من لفظ العيال والاولان أجود وأشهر والله سبحانه ما افترض النكاح ولا العزبة كما لم يوجب الاربع من النسوة وافترض صلاح القلب وسلامة الدين وسكون النفس والدخول فى الاوامر عند الحاجة اليها فمن كان صلاحه فى التزويج فهو أفضل له ومن كان استقامته وسكون نفسه عند الاربع فجائز له طلب السكون وصحة الحال مع القيام بالاحكام ومن وقعت كفايته بواحدة فالواحدة أصلح وأفضل لانها الى السلامة أقرب ومن كان صلاح حاله واستقامة قلبه وسكون نفسه فى العزبة فذلك له أسلم والاسلم له فى زماننا هذا أفضل اذ لهذا يراد النكاح فان وجد لم يضر فقده ولعمرى انا اذا قلنا ان فى الدين طريقين طريق عزيمة وطريق رخصة فانه فى النكاح أيضا لانه من الدين وفى تركه يكون لاجل الدين طريقان طريق الاقوياء وهم أهل النكاح والصبر على أحكامه وعلى معاشرة النساء وطريق آخر للاقوياء بالصبر عنهن ووجود العصمة منهن والتفرغ للآخرة وكفى بها شغلا وطريق آخر من وجود الوسوسة وخوف العنت لقوة الطبع وضعف الحال بوجود الاختلاط فيبدأ بالنكاح طلبا للاستقامة والصلاح وقد كان الثورى رحمه الله تعالى يقول

يا حبذا العزبة والمفتاح * ومسكن تخرقه الرياح * لا صخب فيه ولا صياح

ولله الامر من قبل ومن بعد والحمد لله وحده

*(الفصل السادس والاربعون فيه كتاب ذكر دخول الحمام)* الافضل فى وقتنا هذا ترك دخول الحمام الكثرة

ان علم التوحيد يفضل جميع العلوم ويدل على شرفه وفضله عليها ان من ثمراته علم الباطن وهو العلم بما يجب ويحرم ويندب ويكره من أفعال القلوب فلان من تحقق وتيقن وجوده ولا موجود الا هو علم انه هو الذى خلقه وأوجده وأنشاه وخلق فيه العلوم والادراكات وأعطاه العقل والفهم وأسبغ عليه النعمة والرزق ونشر عليه الرحمة أثمر له ذلك المحبة والاخلاص فى العبادات والانقطاع اليه دون من سواه والرجوع اليه فى المهمات اذ لا معطى عنده سواه ولا فاعل غيره ومن تحقق عنده اليقين بقدمه وعلم انه لا قديم سواه ولا ثانى غيره وان وجوده واجب وطالع هذه الصفات بنور بصيرته ولاحظ موجودا منزها عن البداية والنهاية وانه عالم بكل معلوم قادر على كل مقدور ولا يخرج شئ عن مشيئته وارادته أثمر له ذلك التعظيم والاجلال والهيبة ومن تيقن انه عالم بالحركات وانه قادر على كل شئ وانه خلق الثواب والعقاب لمن أطاع وعصى أثمر له ذلك المحاسبة لنفسه والمراقبة والخوف والرجاء ومن تيقن ان مولاه قضى الاشياء وقدرها وان المقضى كائن لا محالة وان خلاف المعلوم مستحيل أثمر له ذلك راحة القلب من هموم الدنيا وعدم تعلق القلب بالتفكر فى أسباب الرزق والكسب ومن علم انفراده سبحانه بالافعال وانه لا موجد غيره وان العبد لا تأثير له فى شئ من أفعاله أثمر له التوكل والتفويض الى الله تعالى فى سائر أموره واذا كان من ثمرات التوحيد هذا العلم الجليل كان علم التوحيد فى غاية الشرف ونهاية الجلالة *(فصل)* المعرفة على ثلاثة أقسام أحدها ان تعرف الله بالوحدانية

العراة فيه والعجز عن القيام بأحكامه الا ان دخوله مباح وقد اختلف سواد الصحابة في دخوله وكل فيه قدوة وهدى فقال بعضهم بئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء وروي هذا عن ابن عمر رضي الله عنهما وعن علي رضي الله عنه معناه وقال بعضهم نعم البيت ينقي الدرن ويذكر النار وروي هذا عن أبي الدرداء وأبي أيوب ودخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشام الحمامات فمن كان داخلا الى الحمام فلا يدخله لشهوة لعاجل حظ دنياه ولا عاجلة الاجل الهوى لانه عمل من أعمال العبد والعبد مسؤل عنه ان كان محاسبا على جميع أعماله فيقال لم دخلت وكيف دخلت ولمن دخلت كما يقال له في كل عمل فعله وفي دخول الحمام ثمانية أحكام أربعة فرائض وأربعة نوافل فأما الفرائض فستر العورة وغض البصر وان لا يباشر جسده غير يده وان يأمر بالمعروف وهو ان يرى عريانا فيقول له استتر وهذا حرام عليك وهذا لا يحل لك أو قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو حرم دخول الحمام بغير ازار في هذه الالفاظ قاله سقط عنه ما وراء ذلك من كل شئ يراه من المنكر وليس عليه القبول ولا الاجبار على المعروف لان هذا على الامام القائم بمصالح الدين والداعي لرعية المسلمين بالبطش والقوة والتمكين في الارض والتسليط وهو ساقط عن الرعية بحمد الله ومنه وأما النوافل الاربع فان يرى الطهارة لاجل الدين والنظافة للعبادة لان الطهارة من افضل أمور الآخرة والحمام غاية الطهر وان يعطي صاحب الحمام الاجرة قبل الدخول وكذلك يستحب في كل ما يشتريه أو يستعمله خاصة الشئ المجهول مقداره من شرب الماء وأجرة الحمام والذي لا يتقاضى عليه ولا يشترط فيه فكأنه يكون غير معلوم واذا نظر الحامي اليه صار معلوما والثالثة ان لا يكثر صب الماء عليه من غير حاجة ولا يستعمل ما يكفي رجلين وثلاثة سيما من الماء الحار فان له مؤنة ولا يستعمل من ذلك الا ما لو رآه الحامي لم يكره ذلك منه ولم يسوءه ما علم ان الحامي لو رآه يستعمله من الماء الكثير لشق عليه ذلك فانه مكروه له فيه والرابعة ان يتذكر النار بحرارة الحمام ولذع مسه وغشيان ظلمته لان الحمام في الظلمة أشبه شئ بجهنم الحرارة من تحتك والظلمة من فوقك فهذا وصف جهنم نعوذ بالله منها فيتذكر بقلة صبره على الحمام وعظم كربه فيه حبسه في جهنم وانه لو أقام في الحمام فضل ساعة لضعف روحه حتى يخرج خطوفا ويكون له في الحمام موعظة وعبرة اذ عبر أولي الابصار ومواعظ أهل التقوى لا تنقضي ولهم في كل شئ عبرة وموعظة وبكل شئ تذكرة لان الله عز وجل قد أحياهم حياة طيبة وهذه علامة من كان له قلب ومن مقامه المزيد ولا بأس ان يظهر ذكر الله عز وجل بالتسمية والاستغفار ومكروه قراءة القرآن الا في نفسه سرا ولا يسلم على أحد فيه بلفظ السلام ويروى ان رجلا سلم على الحسن بن علي رضي الله عنهما في الحمام فقال ليس في الحمام سلام فان احتاج ان يتكلم رجل فيه فلا بأس ان يأخذ بيده ابتداء الكلام أو يقول له عافاك الله وادام سلامتك ومكروه كثرة الكلام فيه وان يتكلم رجل بما لا يعنيه ولكن يقول بسم الله اذا دخله ويستعيذ بالله من الرجس النجس الخبيث الشيطان الرجيم وان أعطى الحامي أجرة ليخليه آجر على ذلك قال بشر ما أعنف رجلا لا يملك الا درهما ان يعطيه لخلوة الحامي وكان بشر يعطي ليخلي له الحمام فكان يغلقه عليه من داخل ومن خارج قال وليته جاريته الا طلاء في الحمام اذا كان خاليا مستترا فلا بأس قال بعضهم رأيت ابن عمر رضي الله عنهما في الحمام مستقبلا بوجهه الحائط وقد عصب عينيه بعصابة ومديده على الحائط وقيل لابراهيم الحربي تصلي خلف شارب النبيذ قال نعم قيل فتصلي خلف من يدخل الحمام بلا مئزر قال لا ويكره دخول الحمام عند الغروب وبين العشاءين فان تلك الساعتين وقت انتشار الشياطين وليعرف بدخوله نعمة الله عز وجل وتخصيره له من شاء من خلقه بالتعب منهم والكد فيه فهذا من لطيف افضال الله عز وجل على المتنعمين به ومن دخل الحمام وتمم بهذه الاحكام كان دخوله أفضل لان له فيه أعمالا كثيرة

---

فاعرف انه لا اله الا هو وانه واحد أحد فرد صمد وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وانه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وانه لا شبيه ولا نظير ولا مثيل ولا عديل وانه المبدع الموجد الخالق وما سواه فهو مصنوعه وخلقه وانه لا يكون في ملكه وسلطانه الا ما شاءه وأراده وقضى وقدر وانه عالم بكل ما في الكون لا تخرج ذرة عن احاطة علمه والثاني ان تعرف نفسك بالعبودية وانك عبد مخلوق لله مملوك له وانك وجميع ما في الكون محتاج اليه مفتقر في جميع الاحوال فاذا علمت ذلك وحققته انبعث فيك داعية الطاعة له وترك المخالفة والثالث ان تعرف الشيطان بالعداوة والبغضاء وتتخذه عدوا قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وهو مجاهد حريص على هلاكك وهلاك الخلق أجمعين فيأتي اليك من كل باب من أبواب الحيل والكيد والخديعة والمكر والتسويل والتخييل والتزيين فاجتهد في دفع كيده وشره عنك واستعذ بالله على خزيه وجهاده وقانا الله واياك كيده وشره *(فصل)* والايمان على ثلاث مراتب الاولى ايمان العوام وهو ايمان المقلد والثاني ايمان المتكلمين وهو المستند الى البرهان والدليل والثالث ايمان العارفين وهو المستند الى المشاهدة بالبصيرة ونور اليقين وهو أكمل وأفضل وأهل الايمان الاول ناجون في الآخرة وهم من أوائل أصحاب اليمين وأهل الايمان الثاني أرفع درجة منهم لقوة ايمانهم بالدليل وأهل الايمان الثالث وهم المقربون ولهم النهاية في السعادة واعلم ان أول ودخل الايمان الايمان بالله وبرسوله ثم الايمان لله ورسوله فالايمان بالله هو التصديق بوجوده والايمان برسوله كونه رسولا من عند الله وأن الايمان

ودخل الاعمش فرأى عريانا فغمض عينيه وجعل يتلمس الحيطان فقال له العريان متى كف بصرك يا هذا فقال الاعمش منذ هتك سترك وحكى الشافعي عن مالك رضي الله عنهما ثلاثة أشياء بهاذة من ورالجلس بغير محبرة ولا صحيفة وركوب السفينة بلا زاد ودخول الحمام بغير كرنيب قال فقلت للشافعي رضي الله عنه لم تذكر المئزر فقال قد أحسن ترك المئزر فسوق وقال النبي صلى الله عليه وسلم دخول الحمام على النساء حرام وعلى الرجال الا بمئزر وقد كان عمر رضي الله عنه يقول الحمام من النعيم الذي أحدثوه وفي أحد الوجوه من قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الماء الحار في الشتاء ولا بأس أن يباشر رجل بالتدليك الا موضع العورة وحدثني بعض اخواني عن بعض أهل العلم انه دخل معه الحمام قال فاردت أدلكه فامتنع قال ثم دخلت معه بعد ذلك فجعلت أدلكه فلم يمتنع فقلت له قد كنت امتنعت أول مرة قال لم كنت أعلم فيه أثرا ثم وجدت بعد ذلك أصبغ الراشي ان رجلا دلكه في الحمام فرأى على فخذه مكتوب لله بعرق في جسده فقال أما تنظر أما انه ما كتبه انسان وفي ذلك أيضا أثر عن يوسف بن أسباط انه لما حضرته الوفاة أوصى ان يغسله فلان انسان لم يكن من أصحابه ولا كان معروفا بالفضل فقيل له في ذلك فقال انه قد كان مرة دلكني في الحمام ولم أر كافئه على ذلك وأنا أعلم انه يحب أن يغسلني فأوصيت اليه فيكون ذلك مكافأة مني له ويصلح ان يستدل على ذلك أيضا بغمز الغمز الجسد والظهر فقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل منزلا في بعض أسفاره قال بعض أصحابه فذهبت أمشي أتخلل النخل أو قال الشجر فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت له ما هذا يا رسول الله فقال أما ان الناقة تقحمت بي وقال بعضهم لا يحل دخول الحمام الا بمئزرين مئزر لوجهه ومئزر لعورته ورأى ابن عمر رضي الله عنه رجلا عريانا يخرج وهو يقول أعوذ بالله من الشيطان رأيت شيطانا وقال مالك رضي الله عنه من دخل الحمام وخرج عريانا فلا شهادة له وان كان قاعدا عند الحوض ليغسل فلا بأس وغسل الرجلين بالماء البارد عند الخروج من الحمام أمان من النقرس والتنورد بعده وقبل غسل الوجه بشيب الصبر والحناء بعد يقال انه أمان من الجذام ويستحب أهل الطب البول قائما في الحمام بعد الايثار وقيل غسل النورة وأمر بعض أطباء العرب بالنورة في كل شهر وأخبر انه يطفي المرارة وينقي اللون وانها تزيد في الجماع وفي السنة الاستحداد في كل أربعين يوما ولا يستحب مجاوزة ذلك وبعض أهل الطب يقول بولة في الحمام في الشتاء أنفع من شربة دواء والبول في المستحم مكروه من جهة السنة وقيل ان البول في المستحم يورث الوسواس وبعض أهل الطب يقول نومة في الصيف بعد دخول الحمام تعدل شربة دواء ويستحبون أيضا الغسل بماء بارد بعد نومة في الصيف وانه نافع للجسد ويقال ان الانسان اذا جاوز الاربعين سنة نقص في كل يوم الا اليوم الذي يدخل فيه الحمام وان الحمام عندهم في الصيف أنفع منه في الشتاء ويكره شرب الماء البارد عند الخروج من الحمام وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول الحمام على النساء وحرمه على الرجال الا بمئزر فان دخلت المرأة الحمام ضرورة من علة أو حيض أو نفاس أو في شتاء فلا بأس وقد دخلت عائشة رضي الله عنها من سقم كان بها وليمنع الرجل امرأته وأهله عن دخول الحمام فان لم يقبلن لم يحل له ان يعطيهن أجرة الحمام وكان الامر عليهن ولا يحل لمسلمة في الحمام ان يليها الا مثلها فقد نهى عمر وأبو عبيدة رضي الله عنهما عن ذلك وأكره للرجل أن يعطي امرأته أجرة الحمام فيكون معينا لها على الاثم فان نهاها فخالفته كان الاثم عليها

*(الفصل السابع والاربعون فيه ذكر حكم المتسبب للمعاش)* وما يجب على التاجر من شروط العلم قال الله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره فيما عدده من آياته ونعمته وقال عز وجل وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعل المعاش نعمة طالب بالشكر عليها وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه

---

لله ولرسوله فهو القبول من الله ورسوله والطاعة لله ولرسوله وبعض المشايخ جعل الايمان لله هو الايمان لا للرغبة ولا للرهبة بل لكونه يستحق ذلك لذاته وصفاته وعظمته وجلاله وحكمته وكونه صانع الموجودات ومبدع الكائنات قال وهذا الايمان هو ايمان الانبياء فانهم آمنوا بالله لله وهو أفضل من الايمان لخوف النار ورجاء الجنة ولان الايمان بذلك ايمان معلول بالطبع

*(فصل)* في الفرق بين علوم التعلم وبين الالهام وهي علوم الصوفية اعلم ان العلوم ضرورية وانما يختلف الحال في حصولها في القلب فتارة تهجم على القلب كانه ألقى فيه من حيث لا يدري وتارة يكتسب بطريق التعلم وهو النظر والاستدلال فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما واعلم ان القلب مستعد لان تتجلى فيه حقائق الاشياء وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الحسية فانها حجاب مسدل حائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ وتجلي حقائق العلوم لمرآة القلب يضاهي انطباع الصور في المرآة التي تقابل الصور فاذا انكشفت الحجب عن القلب تجلى فيها شيء مما هو مسطور في اللوح المحفوظ ولمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وتارة على التوالي على حد ما رأوا منه على الندور قلة ونفي العلوم الكسبية علوم الاشراق في نفس المعلم بل في الطريق فان طريق حصول العلوم الكسبية هو التعلم وطريق علوم الالهام والاشراق هو تصفية الباطن وتطهير القلب الذي هو محل العلم عن الامور الشاغلة والاشياء المانعة فاذا تطهر القلب عن ذلك كما هو تولى الله تعالى أمر القلب وفاضت الرحمة وأشرق النور في

قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعاش قال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل المرء من كسب يده وكل عمل مبرور وفي لفظ آخر أحل ما أكل العبد من كسب يد الصانع اذا نصح وفي الخبر التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقد جاء في الحديث من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله عز وجل ووجهه كالقمر ليلة البدر وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ذات غداة جالسا مع أصحابه فنظروا الى شاب ذي جلدة وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وقال ابن مسعود اني لامقت الرجل أراه فارغا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقال ابراهيم النخعي رحمه الله كان الصانع بيده أحب اليهم من التاجر وكان التاجر أحب اليهم من البطال وسئل ابراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب اليك أم المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب الي لانه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده وقد خالفه الحسن البصري رضي الله عنه في هذا وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما من موطن يأتيني فيه الموت أحب الي من موطن أتسوق فيه لاهلي أبيع واشتري في رحلي وقال أيوب قال لي أبو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني الغنى عن الناس والله أعلم والغنى الذي يطاع الله تعالى به وكان يقول بعض السلف اتجر وبع واشتر ولو برأس المال يجعل الثمن البركة ما لا يجعل لصاحب الزرع وقال ابن محيريز وكان من عباد أهل الشام ما من طعام أملابه ما بين جنبي بعد قيمة في سبيل الله من فيه المشركين أقيم بها حق الله عز وجل أحب الي من طعام تاجر صدوق قال وكانوا يعدون الكاسب على عياله كالمجاهد في سبيل الله عز وجل ويرون فضله على غيره وروي فيه أن الله عز وجل يحب المؤمن المحترف وفي خبر آخر ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغني بها عن الناس وحدثني بعض اخواني عن أبي جعفر الفرغاني قال كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد يتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه ان يدخل في المسجد فيأخذ باذن بعض من هو فيه فيخرجه ويجلس مكانه اني لاعرف رجلا يدخل السوق وورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة قال فسبق وهمي انه يعني نفسه فان كان العبد سوقيا فليبدأ فليتعلم علم البيع والشراء والاخذ والعطاء ومعاملة الناس في البيوع ومعرفة أبواب الربا ليعلم ذلك قبل الوقوع فيه فيجتنب ذلك ويتقيه وليغد الى المفتي فيسأله عن علم حاله كل يوم من وجوه معاملته ان لم يكن قد تقدم علمه بذلك ولم يكن عالما به في وقت المعاملة فاجعل بكورك الى المفتي قبل غدوك الى السوق فان لكل عمل علما ولله في كل شئ حكم فلا يغنيك كبير علم من علم غيره فان لم تفعل ذلك دخل عليك الربا والبيوع الفاسدة وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف في الاسواق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من تفقه والا أكل الربا شاء أو أبى ثم لينصرف بعد العلم فيما يدخل فيه مما أبيح له من تجارة أو صناعة بصدق معاملة وصدق في مبايعة ناويا في ذلك اقامة سنة وامرا بمعروف ونهيا عن منكر وجهادا في سبيل الله لان من أخذ الحق وأعطاه وعامل بصدق ونصح فهو معاون على البر والتقوى وفي جهاد العدو والهوى سيما في زمان يكثر فيه الباطل لان صلاح الدين بصلاح الدنيا وفساده بفسادها لتعلق أحدهما بالاخرى وحاجة كل واحد منهما بصاحبه وفي الخبر لا يستقيم عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه

ما القلب وانكشف له سر الملكوت وتلألأ فيه حقائق الامور الالهية ومن كان لله كان الله معه واعلم ان للقلب بابين باب مفتوح الى عالم الحواس الخمس المستمسكة بعالم الشهادة والملك وباب مفتوح الى الملكوت والغيب فالفرق بين علوم الانبياء والاولياء وبين علوم النظار من المتكلمين هو ان علوم الانبياء والاولياء تأتي الى داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم النظار يأتي من الابواب المنفتحة الى عالم الملك والشهادة

*(فصل)* وورد في فضل العلم آيات وأخبار قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال سهل بن عبد الله التستري رحمة الله عليه من أراد ان ينظر الى مجالس الانبياء فلينظر الى مجالس العلماء فاعرفوا اليوم ذلك قال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصد طلب الدنيا بعلمه وقال عمرو بن عبد الله الزاهد لو كان العلم صورة ينظر اليها ما نظر الناس الى شئ أجمل منها فالعلوم والمعارف من أجل نعم الله على عباده وأجل العلوم العلم بالله وصفاته قال الله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما وكفى بهذا دليلا على شرف العلم بالله وصفاته فانها قد دلت على ان الله تعالى لم يخلق السموات والارض الا ليتوصل بالعلم بهما الى العلم به تعالى لان الادلة يتوصل بها الى العلم بالفاعل وماله من الصفات واما علم الباطن وهو العلم بما يحل ويحرم من أفعال لسانه

لسانه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون من هؤلاء فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف فرجه وبطنه ثم لينو المتصرف في معاشه كف نفسه عن المسئلة والاستغناء عن الناس وقطع الطمع فيهم والتشرف اليهم فذلك عبادة اذا نوى نزهه ثم ليجتنب البغي على نفسه وأطعمة عياله فهوله صدقة وعليه الصدق في القول والنصح في معاملة اخوانه المسلمين لاجل الدين ويعتقد سلامة الناس منه فصالهم وربحهم ويعمل في ذلك ويكون أبدا مقدما الدين والتقوى في كل شئ فان انتظمت دنياه بعد ذلك حمد الله وكان ذلك نعمة وربحا وان تكدرت بذلك دنياه وتعذرت لاجل الدين والتقوى أحواله في أمور الدنيا كان قد أحرز دينه وربح وحفظ رأس ماله من تقواه وسلمه فهو المعول عليه والحاصل له الآن من ربح من الدنيا مثل المال وخسر عشر الدين فما ربحت تجارته ولا هدى سبيله وهو عند الله من الخاسرين وقال بعض السلف أولى الاشياء بالعاقل أحوجه اليه في العاجل وأحوج شئ اليه في العاجل أحمده عاقبة في الآجل وكذلك قال معاذ ابن جبل رضي الله عنه في وصيته انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وأنت الى نصيبك من الآخرة أحوج فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه فانه سيمر على نصيبك من الدنيا فينظمه لك انتظاما ويزول معك حيثما زالت وقد قال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا لا تترك نصيبك في الدنيا من الدنيا للآخرة لانك من ههنا تكتسب الحسنات فتكون هنالك في مقام المحسنين ففي الخطاب مضمر لدليل الكلام عليه في قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض وقد قال بعض العلماء من دخل السوق ليشترى ويبيع فكان درهمه أحب اليه من درهم أخيه لم ينصح المسلمين في المعاملة وقال عالم آخر من باع أخاه شيأ بدرهم وهو يصلح له بخمسة دوانيق فانه لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه حتى لا يبيع أخاه شيأ بدرهم الا وهو يصلح له اشتراؤه به فينبغي لهذا المتصرف ان يستوى في قلبه درهمه ودرهم أخيه ورحله ورحل أخيه ليعدل فيما يبيعه أو يشتري منه سواء بسواء ويكون مراعيا لموافقة حكم الله تعالى الذي ورد به الشرع في الشراء والبيع مراعيا السبب الذي يصل به الدرهم أن يكون السبب معروفا في العلم مباحا في الحكم فيكون متورعا في عين الدرهم المعتاض لا يكون من خيانة أو سرقة أو فساد أو غصب أو غيلة أو حيلة فهذه وجوه الحرام التي تحرم بها المكاسب المباحة فاذا كان متجنبا لهذه المعاني لم يشهد أحدها بعينه أو لم يعلم من عدل فكسبه حينئذ من شبهة ولا يكون مع ذلك حلالا لامكان دخول أمر هذه الاسباب فيه ولانه على غير يقين معاينة منه لصحة أصله وأصل أصله لقلة المتقين وذهاب الورعين الا انه شبهة الحلال وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بلبن فقال من أين لكم هذا فقيل له من شاة كذا فقال ومن أين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء أمرنا ان لا نأكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصل الشئ وأصل أصله ولم يسأل عما وراء ذلك لانه قد يتعذر ولا يوقف على حقيقته لان أموال التجار والصناع قد اختلطت بأموال الاجناد وهم يأخذون ذلك بغير استحقاق فكانه من أكل المال بالباطل اذ قد أوقفوا نفوسهم وارتبطوا دوابهم في سبيل الهوى فصاروا يأخذون العطاء بغير حق ولا يملكون ذلك ثم ينتشر ذلك في أموال التجار والصناع وهم لا يميزون بين ذلك ولا يرغبون عنه لقلة التقوى وعدم الورع ولذلك غلب الحرام لان الحلال انما هو فرع التقوى والورع اذا كثر المتقون وظهر الورعون كثر الحلال وظهر واذا قلوا فشا الحرام وانتشر فصار الحلال مستهلكا كانما في الحرام لغربة الورعين وخفية المتقين وانما كان الحلال في القرن الاول موجودا لوجود السلف الصالح وكان الناس ورعين وكانوا لا يأخذون

---

القلوب فانه في الشرف والرتبة على علم التوحيد ويليه علم الاحكام المتعلقة بالجوارح الظاهرة كالبيع والسلم والاجارة والقراض والمساقاة والطلاق والخلع والايلاء والجنايات والقسمة والاقارير وغير ذلك والناس قد أعرضوا من علم القلوب وهو العلم بكيفية اجتناب الصفات المذمومة من الحسد والرياء والحرص والبخل والغل والحقد والكبر والعجب ومحبة الدنيا والاسف على فواتها ومحبة الرياسة والجاه ومحبة الصور وغير ذلك والعلم بكيفية اتصاف النفس بالصفات المحمودة وهي اليقظة والتوبة والانابة والمحاسبة والرعاية والزهد والورع والتوكل والصبر والمراقبة واليقين وجهاد النفس الى غير ذلك مع ان الامر بهما واحد في كتاب واحد بل غفلت عنهما ولا تعرف شيأ منهما وتقبل الى علم البيع والرهن والسلم والنكاح والطلاق فكيف تعلم هذه العلوم التي هي الزبدة المحضوضة من الشريعة التي لم يبعث الله تعالى الانبياء للخلق الا لاجلها وقد عظم الله قدرها وأثنى على أهلها وسماها في كتابه ضياء ونورا وهدى ورحمة وحكمة وتقبل على ما تكسب به الحرام وتجمع به الحطام فانت كمن ترك الفرائض واشتغل بالنوافل

*(فصل)* وقال سهل بن عبد الله العلم كله دنيا الا ما أريد به الآخرة والعمل هباء الا ما أخلص فيه لله وقال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء كلهم سكارى الا العاملين والعاملون كلهم مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له واعلم ان الخطر عظيم في طلب العلم فمن طلب العلم ليصرف به وجوه الناس اليه ويجالس به الكبراء او يباهي به الفقراء أو يستجلب به تعظيم الناس وثناءهم

ماليس لهم بحق فكانوا متقين وكانوا يتركون بعض حقهم خشية دخول الشبهة عليهم فمن أجل ذلك كان الحلال كثيرا وقد حكى عن بعض فقهاء العراق أحرف انه قال لا أقبل شهادة شحيح قيل ولم قال الشح يحمله على استيفاء حقه وفي استيفاء حقه أخذ ماليس له ثم قال حدثني عطاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ما استقصى كريم قط وتلا قوله عز وجل عرف بعضه وأعرض عن بعض وفي الخبر كنا نترك سبعين بابا من الحلال مخافة باب واحد من الحرام وقال الحسن أدركت من مضى يعرض على أحدهم المال الحلال فيقول لا حاجة لي به أخاف أن يفسد على قلبي وقد كانت الائمة عدولا فكانت الجنود معاونين لهم على التقوى يأخذون عطاءهم بحق وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذكر الخيل اختصرناه قال والخيل لرجل وزر وهو الذي يربطها فخرا ورياء وسمعة ونواء على الاسلام فما أكلت وشربت في أجوافها حتى أبوالها وأرواثها وآثارها أوزار في ميزانه يوم القيامة وقد قال الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم يعني وأشباههم وأعوانهم فقال الثوري رحمه الله يقال يوم القيامة ليقم ولاة السوء وأعوانهم قال فمن لاق لهم دواة أو برى لهم قلما أو حل لهم لبدا أو أعانهم على أمر فهو معهم وجاء رجل الى ابن المبارك فقال اني خياط وربما خطت شيأ لبعض وكلاء السلطان فماذا ترى أكون من أعوان الظلمة قال لست من أعوان الظلمة بل أنت من الظلمة انما أعوان الظلمة من يبيع منك الابر والخيوط وكان بعض العلماء قد جلس في ديوان بعض الامراء فكتب الامير كتابا فقال ناولني الطين اختم به الكتاب فامتنع فقال ناولني الكتاب الذي كتبته حتى أنظر فيه فلم يناوله وفعل مثل ذلك سفيان الثوري مع المهدي فكان بيد المهدي درج أبيض وقد أدخل عليه الثوري فقال له يا أبا عبد الله اعطني الدواة حتى أكتب فقال أخبرني باي شئ تكتب فان كان حقا أعطيتك والا كنت عونا على الظلم وكان بمكة أمير قد أمر رجلا أن يقوم له على الصناع في عمارة ثغر من الثغور قال فوقع في نفسي من ذلك شئ فسألت سفيان عن ذلك فقال لا تفعل ولا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت يا أبا عبد الله سور في سبيل الله تعالى للمسلمين فقال نعم ولكن اقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرتك فتكون قد أحببت من يبغض الله عز وجل وقد جاء في الخبر من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله عز وجل وفي الحديث ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من أكرم فاسقا فكأنما أعان على هدم الاسلام وليجتنب هذا السوقي البيوع الفاسدة مثل بيع الغرر والخطر والمجهول ومثل بيعتين في بيعة أحدهما مصارفة أو مشارطة ولا يبيع ماليس عنده ولا ما اشتراه حتى يقبضه ولا يبيع الدين بالدين ولا يتبايعان الثمار حتى يبدو صلاحها ويؤمن عليها العاهة ومن النخيل حتى تحمر أو تصفر ومن العنب حتى يلين أو يسود ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش وهو أن يعطي بسلعة شيأ وهو لا يريد أن يشتريها بشئ ليغر غيره بها ولا يبتاع شيأ من ذهب وخرز مثل القلادة ونحوها حتى يفصل كل واحد على حدته كذلك السنة ولا يتبايعان مالم يظهر من الحيوان والثمار ويجتنب القبالات مسانهة الاشهر بالشهر أو سنة بعد كره ذلك وليتوق كل بيع وشراء أخبر العلم ببطلانه من دخول ربا فيه أو خروج من حكم العلم به فان ذلك كله منقصة الدين مخبثة للكسب فان أشكل عليه شئ من هذه الامور لخفائها سأل أهل العلم والفتيا فيأخذ عنهم على مذهب الورعين ورأى المتقين وليحتط لدينه ولينظر لنفسه ولا يمض في أمر آخرته فذلك خير له وأحسن توفيقا وليجتنب الصنائع المحدثة من غير المعروف وفنون المعايش المبتدعة في زماننا هذا فان ذلك بدعة ومنكر واذا لم يكن فيما مضى من السلف وكلما كان سببا للمعصية من آلة وأداة فهو معصية فلا يصنعه ولا يبيعه فانه من المعاونة على الاثم والعدوان وكلما أخذ من المال على عمل بدعة أو منكر فهو بدعة ومنكر وكل معين لمبتدع او عاص فهو شريكه في بدعته ومعصيته وأخذ المال على جميع ذلك من أكل المال بالباطل ومن أكل

---

فهل هو يشبه الجبال فظاهره بأنه وسط الحق مثل الدين (فصل) قال بعض العلماء لكل باطن من العلم والحكمة ظاهر له في أصول الشريعة فهو باطل وكل ظاهر من الايمان والعمل لا باطن له فهو شر لان الظاهر لا يقوم الا بالباطن وهي موطئات القلب وقالوا ما أكثر طلاب علم الظاهر وما أقل من يطلب تصحيح علم الباطن وما أزكى صلاح أهل الباطن باتباع الظاهر وما أكثر فساد أهل الظاهر بترك معرفة علم الباطن وما أذهب دين أهل الباطن عند مخالفة الظاهر وقال المسيح عليه السلام ما أكثر الاشجار وليس كلها مثمرة وأما أكثر الثمار وليس كلها بطيب وما أكثر العلماء وليس كلهم بمرشد

*(فصل)* قيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم أصحاب الاساطين أو عالم خاصة وهم العلماء بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أرباب العزلة المنفردون عن الخلق وكان يقال مثل أحمد مثل دجلة كل أحد يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد قال الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبي رحمة الله عليه العلم على ثلاثة أنواع فنوع هو علم الحلال والحرام وهذا علم احكام الدنيا وهو العلم الظاهر ونوع آخر وهو علم احكام الآخرة وهو العلم الباطن ونوع آخر وهو المعرفة بالله وسلطانه ونعوته وآياته واحكامه في مخلوقاته وتدبيره المخلوقات فهذا بحر لا يدرك غوره وانما يعلمه العلماء من أهل اليقين بالله تعالى فالنوع الاول هو علم الحلال والحرام وقد تكلم فيه رجال الحرام ووسعوا الكلام فيه ودققوا المسائل وفرعوا التفاريع وردوها الى الاصول المحكمة في الكتاب والسنة وهو علم جليل شريف محمود

الحرام فقد قتل نفسه وقتل أخاه لانه أطعمه اياه قال الله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ولا تقتلوا أنفسكم وليس هذا من سبيل المؤمنين وقد قال الله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ولا ينبغي للسوقي أن يشغله معاش الدنيا من الآخرة ولا تقطعه تجارة الدنيا من تجارة الآخرة ولا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة لانه من الموقنين وبيوت الله عز وجل في الارض هي أسواق الآخرة قال الله عز وجل رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال الله عز وجل في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال فليجعل العبد طرفي النهار لخدمة سيده بذكره ويسبحه فيه بحسن معاملته وقد كان عمر رضي الله عنه يأمر التجار فيقول اجعلوا أول نهاركم لله عز وجل وما سوى ذلك لنفوسكم وفي أخبار السلف كانوا يجعلون أول النهار للآخرة وآخره للدنيا اسم وية لان الهريسة والرؤس لم يكن يبيعها في الشتاء الا الصبيان وأهل الذمة لان الهراسين والرآسين يكونون في المساجد الى طلوع الشمس ويقال انهم كانوا يجتمعون في المساجد بعد العصر للذكر والتسبيح حتى يدخل الرجل فيقول أصليتم العصر يظن انهم قعود للصلاة وانما كانوا قعودا دون التسبيح الى غروب الشمس وهذا طريق قد درس فمن عمل به فقد كشفه وقال بعض العارفين الناس ثلاثة رجل شغله معاده عن معاشه فتلك درجة الفائزين ورجل شغله معاشه لمعاده فتلك درجة الناجين ورجل شغله معاشه عن معاده فهو حال الهالكين وقال عالم فوق من أحب الله عاش ومن أحب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا دخل السوق يقول اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم اني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة واذكر الله عز وجل في السوق ما لا يجد في سواه فليعتمد ذكر الله تعالى في ساعات الغفلة وحين تزاحم الناس في البيع والشراء وكان الحسن يقول ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة وله ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر له بعدد أهله وفي الخبر العام ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل من الفارين وكالحي بين الاموات وفي الخبر الخاص من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألفي ألف حسنة وكان ابن عمر ومحمد بن واسع رضي الله عنهم يدخلان السوق قاصدين بذكر الله عز وجل طلبا للفضيلة فان دخلت سوقا أو كنت فيه فلا يفوتنك التهليل والذكر فهو عمل وقته ولا تقعدن في السوق لغير ذكر الله أو غير معاش فقد كره ذلك واذا سمعت التأذين للصلاة فلتأخذ في أمر الصلاة ولا تؤخرها عن الجماعة والا كان فاسقا عند بعض العلماء الا أن يكون في الوقت سعة أو يكون تلو بالصلاة في جماعة أخرى في مسجد آخر فادراكه لتكبيرة الاحرام في الجماعة أحب اليه من جميع ما يربح من الدنيا الى أن يموت وفوتها أشد عليه من جميع ما يخسر من الدنيا هذا ان عقل وأبصر تبين له ذلك وقد كان السلف من أهل الاسواق اذا سمعوا الاذان ابتدروا المساجد يركعون الى وقت الاقامة وكانت الاسواق تخلو من التجار وكان في أوقات الصلاة معايش للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرون التجار بالقرار يطا والدوانيق يحفظون الحوانيت الى أوان انصرافهم من المساجد وهذه سنة قد عفت من عمل بها فقد نعشها وجاء في تفسير قوله عز وجل رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة قيل كانوا حدادين وخرازين وكان أحدهم اذا رفع المطرقة أو غرز الاشفا فسمع الاذان لم يخرج الاشفا من الغرزة ولم يرفع المطرقة ورمى بها وقاموا الى الصلاة وروينا عن وهب قال قال مالك رضي الله عنه فمن رجل باع بعد النداء يوم الجمعة يفسخ ذلك البيع قيل عامل ترك القيام اليها وهو حرج قال يستغفر ربه وقال ربيعة ظلم وأساء



لا يستغني عنها أحد وبعضه فرض كفاية والمتكلم في هذا غالب كلامه في خصومات الناس ومحاذاتهم لان الله تعالى أسس الدنيا على العدل والتناصف لان يكون التزود منها الى دار البقاء لان الخلق منقولون من الاصلاب الى الارحام ومن الارحام الى هذه الدار ثم هم فيها مجتازون مسافرون الى مقام العرض على الله فما كان بينهم من التجاذب والمخاصمات فان ذلك لتناول شهواتهم وركونهم الى أهوائهم فتكلم العلماء في أحكام الله تعالى في أفعال الخلق وتصرفاتهم في الاشياء فبينوا وحققوا ونصحوا وأخلصوا وبذلوا في ذلك وسعهم وطاقتهم فطوبى لهم وحسن مآب وأما أحكام الآخرة فهي العبادة الباطنة ومتعلقها أعمال الباطن وهو القلب وأعمال الباطن تنقسم الى ما هو مطلوب الفعل والى ما هو مطلوب الترك أما هو مطلوب الفعل فمنه الورع والزهد والتقوى والصبر والرضا والقناعة والتوكل والتفويض واليقين والحلم وسلامة الصدر وحسن الخلق والصدق والاخلاص الى غير ذلك وأما ما هو مطلوب الترك فمنه خوف الفقر وسخط المقدور والغل والحسد والحقد والغش وطلب العلو والمنزلة والكبر والعجب والغضب وحب المحمدة وحب الرياسة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والشح والرغبة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالمساكين والاتخاذ اخوان العلانية على عداوتهم في السر والفخر والخيلاء والتباعد والاعراض عن الحق استكبارا وكثرة الكلام وكثرة الملق والتزين للخلق والمداهنة وحب المدح بما لا يفعل والاشتغال عن عيوب نفسه بعيوب

وقال مالك يحرم البيع حتى يخرج الامام يوم الجمعة ويجتنب الصانع عمل الزخرف من الاشياء وما يكون فيه لهو وزينة من التصاوير والنقوش وخرط العاج ودقائق النقوش من العاج وتشييد الجص والتزويق بالاصباغ المشتهاة فان عمل ذلك مكروه وأخذ الاجرة عليه شبهة وقد كان بعض السلف يقول تخيروا لاولادكم الصنائع وروى عن حذيفة ان الله عز وجل خلق كل صانع وصنعته وقد كانوا يكرهون بيع الطعام وبيع الدقيق وقد روى في كراهة بيعها حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الخبر ان الله عز وجل يحب العبد الحاذق في صنعته وفي خبر آخر ان الله عز وجل اذا عمل عبده عملا أحب أن يحكمه وفي لفظ آخر ان يتقنه وأوصى بعض العارفين رجلا فقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء ويتمنى موت الناس والصنعتان أن يكون جزارا فانها صنعة تقسي القلب أو صواغا فانه يزخرف الدنيا بالفضة والذهب وروى عثمان الشحام عن ابن سيرين انه كره الدلالة وسعيد عن قتادة انه كره أجر الدلال وكانت العرب تقول بيع الحيوان واشترِ الموتان كأنهم كرهوا ارد الثمن في الحيوان لما يخافون من تلفه واستحبوا شراء الموات وهو ما لا روح فيه وقد كانوا يستحبون التجارة في البز قال ابن المسيب ما من تجارة أحب الي من البز ان لم يكن فيه ايمان وقد روى خبرا آخر لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا في الصرف وقد كره الحسن وابن سيرين رضي الله عنهما التجارة في الصرف وسئل الحسن عن الصيرفي فقال الفاسق لا تستظلن بظله ولا تصلين خلفه والبستاني والجمال والملاح وصاحب الحمام والنشاش والمزين وقد كانت هذه الصنائع العشر أعمال الاخيار والابرار الخرز والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل وصيد البر والبحر والوراقة وحدثونا عن عبد الوهاب الوراق قال قال لي أحمد بن حنبل ما صنعتك فقلت وراق فقال كسبك طيب وصنعتك طيبة ولو كنت صانعا شيئا بيدي لصنعت صنعتك وقال لي لا تكتب الا مواسطه واستبق الحواشي وظهور الاجزاء وكان مالك بن دينار وراقا وكان السلف يستطيبون كسبه ويفضلونه وكل عمل يتقرب به الى الله عز وجل ويكون من أعمال الآخرة ومن البر المعروف فاخذ الاجر مكروه عليه مثل تعليم القرآن وتعليم العلم أو مجالس الذكر والصلاة بالناس في رمضان وغسل الموتى وما كان في هذا المعنى لان هذه تجارات الآخرة فلا تأخذ أجرها الا من الآخرة ومن أخذها من الدنيا فقد خسر خسرانا مبينا اذ ربح المحتسبون فيها وأخذوا أجورهم التي صبروا عليها الى دار الدنيا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبي العاص واتخذ مؤذنا لا يأخذ على الاذان أجرا وقال في حديث أبي عبادة وقد أهدى اليه قوس وكان قد علم رجلا سورة من القرآن أتحب أن يقوسك الله قوسا من نار فردها ويجتنب التاجر الاحتكار لما يؤكل ويقتات من القطنية وغيرها وأشد ذلك الحنطة التي هي قوت الكافة فقد روى في كراهة الاحتكار والتشديد فيه أخبار كثيرة وروى حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر طعام المسلمين فليس منا وفي خبر آخر من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره وقيل من احتكر أربعين يوما فكأنما قتل نفسا وفي خبر آخر ألقاه الله عز وجل في معظم جهنم وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوما قسا قلبه وعنه أنه أحرق طعاما محتكرا بالنار وروى عنه في فضل الاحتكار من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة ومن العلماء من كان يجعل الاحتكار في كل ما يؤكل من الحبوب والادام مثل العدس والباقلا والسمن والعسل والشيرج والجبن والتمر والزبيب ويكره احتكار جميع ذلك وروى عن مجاهد عن ابن عباس في قوله عز وجل ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قيل الاحتكار من الظلم وحدثونا عن بعض السلف انه كان

الناس واقذار القلب من الحزن ونزوح الخشية منه والانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق والاتباع للهوى والمكر والخيانة والمخادعة والحرص وطول الامل والتجبر وعزة النفس والقسوة والغفلة عن الله تعالى وسوء الخلق والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والطيش وقلة الحياء وقلة الرحمة الى غير ذلك من رذائل النفس وعيوبها فالعلم المتعلق بما يحل ويحرم من أفعال القلوب هو علم الباطن وقد تصدى لذلك رجال وقاموا به علما وعملا فاخلصوا فيه لله فظهرت عليهم مواريث الصدق وتفجرت ينابيع الحكم من قلوبهم فنطقوا بالحكم وتكلموا بالغرائب وجدوا في ارشاد الناس ونصحهم واجتهدوا في هداية الخلق واقتفوا في ذلك آثار الانبياء والمرسلين أولئك يؤتون أجرهم مرتين وهذا العلم لا يستغني عنه أحد وعلمه والعمل به فرض على كل أحد حر وعبد ذكر وأنثى عالم وجاهل وكما ان تعلم احكام العبادات من علم احكام الظاهر فرض فكذلك تعلم علم احكام القلوب أيضا فرض عين على سائر المكلفين وأما النوع الثالث فتكلم فيه رجال على الطريقة المحمودة وهم أهل السنة وتكلم فيه آخرون على الطريقة المذمومة وهم كل المبتدعة فاهل السنة أيدهم الله بنور البصيرة ونقاء السريرة فادركوا الغاية ووصلوا الى النهاية ودعوا به الى توحيد الله تعالى وحملوا الناس بحججهم على العقيدة الصحيحة ودلوا به على الله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ❊(فصل)❊ اعلم ان العارفين في المعرفة على قسمين قسم حصات بواسط

واسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام في يوم تدخل البصرة فلا تؤخره الى غد قال
فوافق السعر فيه سعة فقال له التجار ان أخرته جمعة ربحت فيه أضعافا فأخره جمعة فربح فيه أمثاله وكتب
الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح الثلث مع سلامة ديننا وانك قد
خالفت أمرنا وقد جنيت علينا جناية فاذا أتاك كتابي فخذ المال كله فتصدق به على فقراء أهل البصرة
وليتني أنجو من الاحتكار كفافا لا علي ولا لي وحدث شيخنا عابد الشط مظفر بن سهل قال سمعت غيلان
الخياط يقول اشترى سري السقطي كر لوز بستين دينارا وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه فصار اللوز
بتسعين دينارا فأتاه الدلال فقال له ان ذلك اللوز أريده فقال خذه فقال بكم قال بثلاثة وستين دينارا قال له
الدلال ان اللوز قد صار الكر بتسعين دينارا قال له السري قد عقدت بيني وبين الله عقدا لا أحله لست أبيعه
الا بثلاث وستين دينارا قال له الدلال وأنا قد عقدت بيني وبين الله عقدا لا أحله ان لا أغش مسلما لست
آخذ منك الا بتسعين دينارا قال فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه وحدثونا عن رجل من التابعين كان
بالبصرة له غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه الغلام ان قصب السكر قد أصابته آفة في هذه
السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا قال فانصرف الى منزله
فأفكر ليلته في الربح فقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما أصبح غدا الى الرجل الذي
كان اشترى منه السكر فدفع اليه الثلاثين ألفا فقال هذه لك بارك الله لك فيها قال ومن أين صارت لي قال انما
اشتريت منك السكر لم آت الامر من وجهه ان غلامي قد كان كتب الي ان قصب السكر أصابته آفة فلم
أعلمك ذلك ولعلك لو علمت لم تكن تبيعني فقال رحمك الله قد أعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع الى
منزله فبات تلك الليلة ساهرا وجعل يتفكر في ذلك ويقول لم آت الامر من وجهه ولم أنصح مسلما في بيعه
لعله استحيا مني فتركها لي فبكر اليه من الغد فقال عافاك الله خذ مالك فهو أطيب لقلبي قال فدفع اليه ثلاثين
ألفا وقال سليمان التيمي لقد ترك محمد بن سيرين أربعين ألف درهم من شيء حاك في صدره لم تختلف العلماء ان
ليس به بأس وهو يقال ان هذا كان سبب غلبة الدين عليه ثم لينق البائع مدح السلعة وتنفيقها من زخرف
الكلام وليحذر المشتري ذمها وعيبها انما اللبس فيه الخداع وأما الاعانة على ذلك فهو معصية وكثفة الكسب
وقد كان السلف يشددون في ذلك قال أبو ذر كنا نتحدث ان من نفر لا ينظر الله اليهم التاجر الفاجر وكنا نعد
من الفجور ان يمدح السلعة بما ليس فيها قال يونس بن عبيد وكان خزازا جاء رجل يطلب ثوب خز فأمر
غلامه ان يخرج رزمة الخز فلما فتحها قال الغلام اسأل الله الجنة فقال شد الرزمة ولم يبع منها شيئا خشية
أن يكون قد مدح ويقال انه كانت عنده حلل على ضربين أثمان ضرب منها أربعمائة كل حلة وأثمان
الآخر مائتان فذهب الى الصلاة وخلف ابن أخيه ليبيع فجاءه أعرابي يطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه
من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها منه ومشى بها وهي على يده ينظر اليها خارجا من السوق
فاستقبله يونس بن عبيد خارجا من المسجد فعرف حلته فقال بكم أخذت هذه الحلة فقال بأربعمائة فقال
لا تسوى انما قيمتها مائتان فقال يا هذا الرجل ان هذه تساوي ببلدنا خمسمائة درهم فقال له يونس ان النصح في
الدين خير من الدنيا كلها ثم أخذ بيده فرده الى ابن أخيه فجعل يخاصمه ويقول أما اتقيت الله أما استحييت ان
تربح مثل الثمن وتترك النصح لعامة المسلمين فقال والله ما أخذه الا عن تراض فقال وان رضي الا رضيت له ما
رضيت لنفسك ثم رد على الاعرابي مائتي درهم وقد فعل مثل ذلك محمد بن المنكدر وكانت عنده شقاق جنابية
وبصرية أثمان بعضها خمسة خمسة وأثمان بعضها عشرة عشرة فغلط غلامه في الحانوت فغلط فباع أعرابيا
شقة من الخمسات بعشرة فجاء ابن المنكدر فتفقد الشقاق فعرف غلطه فقال ويلك أهلكتنا اذهب فاطلب

---

لهم المعرفة بطريق المعرفة وقسم حصلت لهم المعرفة بطريق التعريف ومعرفة التعريف عند أرباب الكشف أعلى وأكمل وأوثق من
معرفة التعرف وكذا عند النظار أيضا لان أولى البراهين باعطاء اليقين هو الاستدلال بالصانع على الصنعة وأما معرفة
التعريف وهو الاستدلال بالصنعة على الصانع فقد لا يفيد اليقين وذلك اذا كان هي المعول عليه ولم يعرف بها بخلاف معرفة التعرف وهو الاستدلال بالصانع على الصنعة فان ذلك يفيد اليقين لانه يكون بالنظر في الوجود وانقسامه الى واجب وممكن والاستدلال به على اثبات الصانع بالنظر فيما يلزم الوجوب والامكان على صفاته ثم بصفاته على كيفية صدور الافعال عنه وقد وقعت الاشارة الى هذين الطريقين بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فان هذه اشارة الى الاستدلال بالمصنوع على الصانع وهي طريقة التعريف ثم أشار الى طريقة التعرف بقوله تعالى أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد يعني أولم يكف في المعرفة بربك انه اله الكائنات كونه شهيدا أي كونه دليلا على ان كل الاشياء صنعه وخلقه فصاحب طريقة التعرف يقول ما عرفت الاشياء الا وعرفت الله قبله أو معه وصاحب طريقة التعريف يقول ما عرفت شيئا الا وعرفت الله بعده وهذه هي طريقة العامة والاولى
طريقة الخاصة وخاصة الخاصة قال العلاوي رحمة الله عليه تعرف الله الى العامة بمصنوعاته فقال تعالى أفلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت الآيات والى الخاصة بكلامه وصفاته فقال أفلا يتدبرون القرآن وقال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة

الاعرابى فى الاسواق فلم يزل يطلبه يومه اجمع حتى وجده فقال له ابن المنكدر ياهذا ان الغلام غلط فباعك ما يسوى خمسة بعشرة فقال ياهذا قد رضيت فقال وان رضيت لنفسك فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى ثلاث خصال اما أن تأخذ شقة من العشرات بدراهمك واما أن نرد عليك خمسة واما أن ترد علينا شقتنا وتأخذ دراهمك فقال اعطنى خمسة قال فاعطاه من دراهمه خمسة فانصرف الاعرابى فجعل يسأل منه فيقول من هذا الشيخ فقيل هذا محمد بن المنكدر فقال لا اله الا الله هذا الذى نستسقى به فى البوادى اذا قحطنا وقد سئل بعض العلماء من الورع فى المبايعة فقال لا يصح الورع فى البيع الا بحقيقة النصح قال وكيف ذلك قال اذا بعت شيأ بدرهم نظرت فان صلح لك ان تشتريه بدرهم فقد نصحت فى البيع وان كان يصلح لك بخمسة دوانيق وقد بعته بدرهم فانك ان لم ترض له ما ترضى لنفسك فقد ذهب النصح قال فاذا عدم النصح ذهب الورع ٭ ويقال ان البائع يوقف يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيأ وقفة ويحاسب من كل واحد محاسبة حتى عدد من عامله ومن اشترى منه فى الدنيا وذكر بعضهم قال رأيت بعض التجار فى النوم فقلت ما فعل الله بك فقال نشر على خمسين ألف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس عدد ما كنت عاملته فى الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بينك وبينه من أول معاملته الى آخرها فان كان البائع ذا ميزان فليرجح فى الوزن اذا باع وأعطاه وليقبض نفسه اذا أخذ سيما اذا كان ذا ميزانين كان الامر عليه أشد ٭ وكان بعضهم يقول الا اشترى الويل من الله بحبة فكان اذا أخذ نقص نفسه حبة واذا أعطى زاد غيره حبة لقوله عز وجل ويل للمطففين يعنى الذين رضوا بالتطفيف بالحبة والحبتين فباعوا بذلك جنة عرضها السموات والارض لجهلهم بامر الله تعالى وقلة يقينهم بالآخرة اذا اشتروا الويل بطوبى ويقال ان هذه المظالم لا ترد أبدا ولا تصح التوبة منها لتعذر معرفة أصحابها ٭ وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اشترى شيأ فلما وزن ثمنه قال للوزان زن وأرجح ونظر الفضيل بن عياض رحمه الله الى ابنه على وهو يغسل دينارا من دينار أراد أن يصرفه فجعل ينقيه ويغسله من كحله فقال له يا بنى فعلك هذا أفضل من عشرين حجة وقال بعض أهل السلف عجبا للتاجر والبائع كيف يخبو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان عليه السلام كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين ٭ وحدثت ان بعض السلف صلى على مخنث قد كان يجمع بين النساء والرجال وغير ذلك فقيل له انه قد كان فاسقا وكان كذا وكذا فسكت فاعاد عليه القائل فسكت قال فقال كأنك قلت لى كان صاحب ميزانين يأخذ باحدهما ويعطى بالاخرى هذا على التغليظ والوعيد أراد ان التطفيف مظالم بين الخلق وان الفسق ظلم العبد لنفسه وبين مظالم العباد وظلم العبد لنفسه بون كبير من قبل ان الخلق فقراء عجلة نيام فيستوفون حقوقهم لحاجتهم اليها والله عز وجل عالم كريم غنى فيسمح بحقه ولا ينبغى للمشترى ان يسأل البائع الرجحان لان الله عز وجل قال وأقيموا الوزن بالقسط أى بالعدل وهو السواء وهو استواء اللسان فى البكرة لا مائلا الى احدى الكفتين وفى قراءة عبد الله ولا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط باللسان ولا تخسروا الميزان فهذا تفسير هذا الحرف ومكروه المعاملة بالمزيفة ولا يصلح بدرهم تكون الفضة فيه مجهولة أو من السكة ولا بما لا تعرف قيمته وما يختلط بالفضة من غيرها فلا تتجاز منه وقد كان بعض السلف يشدد فى ذلك ويحرمه منهم الثورى والفضيل بن عياض ووهيب بن الورد وابن المبارك وبشر بن الحرث والمعافى بن عمران رضى الله عنهم ويقال ان كل قطعة من المزيفة ينفقها صاحبها بعده املصقة فى صحيفته بعينها وصورتها مكتوب تحتها ألف سيئة خمسة آلاف سيئة على قدر وزنها او وزن ذرة منها سيئة والذرة قطعة من هباء شعاع الشمس فى الضوء ٭ حدثنى بعض العلماء عن بعض الغزاة فى سبيل الله عز وجل قال حملت على فرسى لا تناول بعض العلوج فقصر فرسى

المؤمنين وقال تعالى وقد الاسماء الحسنى فادعوه بها فتعرف الى الانبياء بنفسه فقال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا وقال تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل وهذا الذى ذكره ابن عطاء



هو اشارة الى التجليات الثلاثة تجلى الافعال وتجلى الصفات وتجلى الذات وهى راجعة الى الطريقين طريقة التعريف وطريقة التعرف فان تجلى الافعال رؤية الصنع ثم رؤية الصانع وتجلى الصفات والذات رؤية الصانع باعتبار صفاته وذاته قبل رؤية الصنع وأما الاشارة الى الذات بقوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل فواضحة ٭(فصل)٭ التوحيد الذى يثبت بالحقائق لا بالشواهد والاسباب هو توحيد الخاصة وهو اسقاط الاسباب الظاهرة والتعلق بالشواهد العقلية وهو ان لا يشهد فى التوحيد دليلا ولا فى التوكل سببا ولا فى النجاة وسيلة ٭(فصل)٭ اعلم ان الحقيقة هى علوم الوراثة التى هى نتائج الاعمال الصالحة فان أهل هذا العلم أخذوا حظا من علم الدراسة عملوا به فافادهم ذلك العمل علم الوراثة المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وعلم الوراثة هو علم التفقه فى الدين وهو الحكمة التى من أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا وأهله هم الحكماء قبل للحسن البصرى هكذا قال الفقهاء قال وهل رأيت فقيها قط انما الفقيه الزاهد فى الدنيا فاهل علم الحقيقة هم أهل علم الوراثة وهم فرحمت القائمون بفرض الدعاء الى الله تعالى والدلالة عليه قال سهل بن عبد الله أدركت بالبصرة أربعة آلاف يتكلمون فى المعرفة وكان بعبادان

فرجعت ثم دنا مني العلج فمات عليه ثانية لاتناوله فقصر فرسي وحملت عليه ثالثة وقد قرب مني فقفز بي فرسي ولم أكن أعتاد ذلك منه فرجعت حزينا فجلست الى جنب فسطاطي منكسرا الذي فاتني من أخذ العلج ولما اغتاب مسلي من خلق فرسي قال فوضعت رأسي على عمود الفسطاط فنمت وفرسي قائم بين يدي فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك أردت ان تأخذ علي العلج ثلاث مرات وأنت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زائفا لايكون هذا أبدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف فقلت له أخرج الى الدراهم التي اشتريت بها منك بالامس العلف قال فاخرجها الي فأخذت منها الدرهم الزائف فقلت اني كنت قد جوزته لك هذا الدرهم بالامس قال فابدلته له وانصرفت وقال عبد الوهاب سألت بشرا عن المعاملة بالمزيفة فقال سألت المعافى عنها فقال سألت الثوري عنها فقال حرام وحدثنا عن أبي داود قال سمعت أحمد أنكر التجارة والمعاملة بالمزيفة والمكحلة وقد كان بعض علمائنا يقول انفاق درهم مزيف أشد من سرقة مائة درهم قال لان سرقة مائة درهم معصية واحدة منقضية وانفاق دانق مزيف بدعة أحدثها في الدين واظهار سنة سيئة يعمل بها بعده وافساد لمال المسلمين فيكون عليه وزره الى مائة سنة فما كثر ما بقي ذلك الدرهم يدور في أيدي المسلمين ويكون عليه اثم ما أفسد ونقص من أموال المسلمين الى آخر فنائه وانقراضه فطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه بعده مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويسئل عنها الى آخر انقراضها قال الله عز وجل ونكتب ما قدموا وآثارهم ما قدموا ما عملوا وآثارهم ما سنوه بعدهم فعمل به وقال في وصفه ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قيل بما قدم من عمل وما أخر من سنة عمل بها بعده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لاينقص من أوزارهم شيأ وانفاق الدرهم الردىء على من يعرف النقد أشد واغلظ وهو على من لايعرف أسهل فيكون به أعذر لان هذا لايتعمد الغش والآخر يتعمده ويقصده فانما كان المسلمون يتعلمون جودة النقد لاجل اخوانهم المسلمين لئلا يغشوهم بالردىء والآن تعلم النقد بلاء واثم على صاحبه لانه علم ولم يعمل به فهو يسئل عن علمه ومن ردت عليه قطعة فليقطعها ولايجوزها على بيع آخر ويحتسب بذلك الثواب من الله عز وجل فله بذلك من الاجر بوزن كل ذرة منها حسنة وله في طرحها أعمال كثيرة من الصوم والصلاة فان كان في القطعة تجوز تقديم معرفة مثلها فاراد ان يشتري بها شيأ فليعلم البائع الثاني انها قد ردت عليه فان أخذها على بصيرة وعن سماحة فلا باس فان لم يعلمه فانه لم ينصحه وربما كان على غير بصيرة بالنقد فقد روي عن عمر رضي الله عنه من زافت عليه دراهمه فليضعها في كفه ولينادي عليها في السوق من يبيعها بحق ثوب بدرهم زائف وهذا اذا كانت رائفة على وجهها كالصفر والرصاص كان لها قيمة مثلها وفي قول ابن عمر رضي الله عنه لنافع لو خطأت عني كما حفظ عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم لكان أحب الي من أن يكون لي درهم زائف قيل له أفلا جعلته جيدا قال كذلك كان في نفسي وروينا عن النخعي اذا كان في الدرهم شيء من الفضة وان قل فلا باس به وحدثت عن أبي داود قال سألت اسحق بن راهويه رحمهما الله عن انفاق المزيفة قال فلا بأس به ففيه ترخيص بالانفاق بالزائف اذا عرف ومن سمح في النقد ويجوز في أخذ الردىء طلبا للاجر فيما يحتسب ثم اذا أخرج ذلك على المسلمين وجوزه عليهم بعد ذلك فقد أثم في سماحته وتشديده حينئذ ونقصه في أخذ الجيد أفضل وهذا من دقائق الاعمال وباطن الشرف ظاهر الخير الاهم الآن بأخذ الردىء ثم يلقيه ولايخرجه الى أحد فان فعل هذا كان فاضلا محتسبا محسنا في سماحته ولو باحتسابه ذلك مثوبة وأجر فينبغي للتاجر أن يكثر من الصدقة ليكون فيها كفارة خطاياه وايمانه وكذبه فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم التاجر بالصدقة لذلك وينبغي للتاجر

الكبار المبرزون في علوم المعارف والحقيقة منهم أبو حبيب العباداني وكان سهل قد صحبه في أول أمره وأخذ عنه قال سهل العلماء تفكروا فاعتبروا والعارفون نظروا فطهروا والعباد عادوا أنفسهم في الله فجعلهم أولياء والعلماء أسكنتهم خشية الله والعارفون انصرفوا عن كل شيء سوى الله والعباد عبدوا الله على الرغبة والرهبة والعارفون عبدوه على الشوق والمحبة والعلماء عبدوه على الذلة والمسكنة والعباد عرفوا أنفسهم العالم فخافوه والعارفون عرفوا الله بالنعم فاحبوه والعلماء علموا انه لابد لهم منه فواصلوه وقال سهل خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الاقلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين

* (فصل) * وبالمعرفة تحيا القلوب الميتة وتلين القلوب القاسية وقد أحيا الله تعالى بالمعارف كثيرا من القلوب الميتة وأصلح فسادها كما أحيا فضيل بن عياض بعد ان كان يقطع الطريق وعتبة الغلام بعد ان كان مع الشطار وأبو بكر الشبلي بعد ان كان حاجب الخليفة الموفق بالله وابراهيم بن أدهم بعد ان كان من الملوك الجبابرة قال الله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وأمات كثيرا من القلوب الحية بالاعجاب بشؤم المعصية وسلبها العلم والمعرفة كما أمات قلب بلعام وبرصيصا وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وثعلبة وغيرهم وخلف موعده وصرفهم الى الكفر والنفاق فقال تعالى فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه

والصانع ان يكونوا مستعملين لهذه الخصال فانها جامعة تشتمل على جل أعمال البر فليأخذوا أنفسهم بها فانه من أخلاق المؤمنين وطرائق المتقدمين وقد ندبوا الى جميعها منها ان يسمح اذا باع ويسمح اذا اشترى ويحسن اذا قضى ويحسن اذا اقتضى وليمش الرجل بدين غريمه اليه ولا يحوجه الى اقتضائه فيشق عليه وليصبر صاحب الدين على أخيه ويحسن تقاضيه ويحسن له النظرة ويؤخر حقه الى ميسرته وليغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم على ذلك فيتنافسوا في مدحهم لمن فعل ذلك فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسمح يسمح لك وقال خير الناس أحسنهم قضاء وقال خذ حقك في عفاف وافيا كان أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا وقال رحم الله عبدا سمح البيع سمح الشراء حسن القضاء حسن الاقتضاء وقال من مشى الى غريمه بحقه أظلته الملائكة وقال من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي خبر آخر أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر عليه السلام رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا أداين الناس وأقول لغلماني سامحوا الموسر وأنظروا المعسر وفي لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر قال الله عز وجل نحن أحق بذلك منك فغفر له وفي خبر آخر من أقرض دينا الى أجل فله بكل يوم صدقة الى أجله فاذا حل الاجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وفي حديث من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يداينون وهم واجدون لاجل هذا الخبر وكان جماعة لا يحبون ان يقضيهم غرماؤهم دينهم لاجل ذلك الخبر الاول انه له بكل يوم تأخر قضاء صدقة وفي الحديث رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر قيل معناه لان الصدقة تقع في يد محتاج وغير والقرض لا يقع الا في يد محتاج مضطر اليه ونظر النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل يلازم رجلا بدين عليه فأومأ الى صاحب الدين بيده ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ادان دينا الى أجل فجاءه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يتفق عند النبي صلى الله عليه وسلم شيء فجعل الرجل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ويشدد عليه في الكلام فهم به أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا واستحب ان تكون أكثر معاونة الانسان بين البائعين مع المشتري منهم واستحب أيضا ان يكون عونه بين المتداينين مع الذي له الدين الا ان يتعدى من له الدين أو يعتدي المشتري فيكون حينئذ على المشتري وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم المستبان بالسيئة ما قالا فعلى المعتدي منهما ما لم يعتد المظلوم ويسير المغابنة في التجارات جائز فان موضوع التجارة على الغبن اذا كان عن تراض فاذا تفاوتت القيمة وعلم الغبن فمكروه وقد يروى في حديث ان غبن المسترسل حرام وفي حديث فيه مقال المغبون لا محمود ولا مأجور وهذا والله أعلم اذا تغابن وهو يعلم فيخسر نفسه حقه ويحمل غيره على ظلمه وكان اياس بن معاوية قاضي البصرة من علماء الزمان ومن عقلاء التابعين وكانت لابيه صحبة كان يقول لست بخب والخب لا يغبنني يعني محمد بن سيرين ولكن يغبن الحسن ومعاوية بن قرة وكان الزبير بن عدي يقول أدركت ثمانية عشر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم رجل يحسن يشتري لحما بدرهم وقد روي ان الحسن باع بغلة بأربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا أبا سعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له المشتري فأحسن يا أبا سعيد قال قد وهبت له مائة أخرى فنقص من حقه مائتي درهم وفي رواية أخرى قال أحسن قال وهبت لك مائتي درهم فقيل له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا وقد كان الحسن والحسين رضي الله عنهما وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الاشتراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال قائلهم ان

بما الملعو الثماوه ... وربما كانوا يكذبون بمعرفة بالله من الجهلات والخزى

(فصل) والمعرفة سرها وروحها التوحيد ولا يتحقق الايمان الا بالمعرفة ولا تتحقق المعرفة الا بالتوحيد فالمعرفة ان تعرف الرب بصفاته والتوحيد هو التنزيه ونفي التشبيه فاذا عرفت ان الله تعالى عالم قادر حكيم مدبر سميع بصير متكلم الى غير ذلك من صفاته فقد حصلت لك المعرفة لكن سرها وحقيقتها ان تنزه حياته وقدرته وعلمه وارادته وسمعه وبصره وكلامه عن التشبيه بصفات الخلق فهذا هو التوحيد الكامل وذلك لانك وحدته في صفاته كما وحدته في ذاته والايمان هو عقد القلب بالتوحيد والمعرفة

(فصل) فيما تثمر المعارف والاحوال عارف الجمال محب وعارف الجلال هائب وعارف التوحيد بالافعال مفوض وعارف العظمة فان عن الاكوان فالمعرفة أصل لهذه الخيرات ومصدر لهذه الرتب وأفضل الاحوال ما نشأ عن المعارف واعلم انه قد كانت للخواص من الصحابة والتابعين علوم قدسية ومعارف بابية وحكم شرعية جلية اشرقت على قلوبهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم فمن لم يكن له نور من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فهو في ظلمة وانقطعت هذه المعارف في آخر القرن الثاني وغابت معارف الموقنين في هذا القرن الثالث وهلم وظهرت العلوم الاستدلالية وكثرت المجادلات والخصومات في الدين واندرست علوم السلوك القدسي وانسد السبيل الى الملكوت بالكلية في القرن الرابع وهلم وأما في هذا الزمان فلا يعرف اليوم أحد في

الواهب يعطي فضله وان المغبون يغبن عقله وقال آخر اناما أغبن عقلي وبصيرتي أو قال معرفتي ولا أمكن العامان من ذلك واذا وهبت فانما أعطي لله عز وجل فلا استكثر له شيأ والاخبار في هذه المعاني تكثر والفضائل فيها تطول ولم نقصد بجميع ذلك فقد ذكرنا جملة وهذا كله داخل في البر والتقوى ومن العدل والاحسان ومن تطوع الخير وفعل المعروف فقد أمر الله بذلك في مواضع من كتابه وينبغي ان يستعمل النصح في البيع والشراء وفي الصنعة و يستوي علمهما في المبيع والمشترى والمصنوع ويظهر كل واحد منهما لصاحبه عيبا ان كان في السلعة و نقصا ان كان في الصنعة ان لم يفطن المشترى لذلك والمستعمل ليتكافأ العاملان ويرى كل واحد منهما على صاحبه باحسان وفي الخبر البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما واذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما وفي حديث آخر يد الله على الشريكين مالم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما ولما بايع النبي صلى الله عليه وسلم جريرا على الاسلام ذهب لينصرف جذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم قال فكان جرير اذا أقام السلعة ليبيعها بصر عيوبها ثم اخبر فقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقلنا له رحمك الله انك اذا قلت هذا لم ينفذ لك بيع فقال انما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصيحة لاهل الاسلام وكان واثلة بن الاسقع واقفا بالناس في الكوفة فباع رجل ناقة بثلثمائة درهم وغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصوت به حتى رجع وقال ياهذا اللحم اشتريت هذه الناقة أم للظهر فقال بل للظهر فقال فان بخفها نقبا قد رأيته وانها لا تتابع السير عليه قال فردها فنقصه البائع مائة درهم فقال لواثلة رحمك الله أفسدت على بيعي فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لاحد يبيع شيأ الا يبين مافيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا يبينه فانظر رحمك الله الى النصح للمسلمين الذي يتعذر فعله على كثير من المسلمين اغتاب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرط صحة الاسلام وكان يبايع عليه الا انه جعله من فضائل الدين ولا تم سابة لقرب المتقين لانه قال الدين النصيحة الدين النصيحة ثلاثا ثم سوى بين طبقات الناس فيه فقال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وقد روي في خبر مشهور لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم وفي خبر آخر مالم يبالوا مانقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله سبحانه كذبتم لستم بها صادقين وفي لفظ آخر ردت اليهم وفي خبر كانه مفسر لحديث مجمل من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان تحجزه عما يحرم الله وخبر مشهور وما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقد روينا عن بعض التابعين لو دخلت هذا الجامع وهو غاص باهله فقيل لي من خير هؤلاء لقلت انصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم والغش في البيوع والصنائع محرم على المسلمين ومن كثر ذلك منه فهو فاسق ومن الغش ان ينشر على المشترى أجود الطرفين من المبيع أو يظهر من المبيع أجود الثوبين أو يكشف من الصنعة أحسن الوجهين روي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فاعجبه ظاهره فادخل يده فرأى بللا فقال ماهذا فقال أصابته السماء فقال هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غش فليس مني وفي حديث عبد الله بن أبي ربيعة انه مر على طعام مصبر فارتاب منه فادخل يده فاذا طعام ممطور فقال ماهذا فقال هذا والله طعام واحد يارسول الله فقال هلا جعلت هذا وحده حتى يأتيك فيشترون شيأ يعرفونه من غشنا فليس منا وحدثني بعض اخواننا ان رجلا حذاء سأل فكيف أسلم في بيع النعال فقال اسعد الاول والكونا سواء ولا تجعل الوجهين شيأ واحدا ولا تفضل اليمين وجود الحشو وقارب بين الخرز ولا تطبق أحد النعلين على الاخرى فينبغي للبائع والصانع ان يظهر امن المبيع والمصنوع أردأ مافيه وأرذله ليقف المشترى والصانع على عيوبه ويكونا على بصيرة من باطنه وباع ابن سيرين شاة له فقال للمشترى أبرأ اليك من عيب فيها قال وما هو قال تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح

الارض له قدم راسخ في السلوك الى الله وقد انقطع السير الى الله تعالى ولم يسمع عن أحد في هذا الزمان ان عنده خبرا عن معاينة الشئ من الحقيقة اللهم اجعلنا ممن جاور واحله بساحة قربك واطال الوقوف بباب فضلك يامن يسدي الجميل ويولي الجزيل واذ قد فرغنا من الكلام في القسم الثاني وهو قسم الصفات المحمودة فلنشرع في الكلام في الخاتمة وفيها أبواب

*(الباب)* الاول في شرح ألفاظ واصطلاحات لها حقائق شرعية ومعان جليلة تدور بين الصوفية فمنها الوقت قال الجنيد الوقت لفظة بين عدمين فيه شركاء متشاكسون ولهذا المعنى قيل الفقير لا يهمه ماضي وقته ومستقبله بل يهمه الوقت الذي هو فيه لان الاشتغال بالماضي والآتي اشتغال بمعدوم وذلك تضييع الوقت ثان وعن هذا قيل الفقير ابن وقته وكل وقت خلا عن خدمة الله تعالى فهو باطل قال صلى الله عليه وسلم لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ومنها السفر والمراد سفر القلب في طريق الحقائق ويطلق السفر أيضا على الترقي في المقامات وقطع المنازل طلبا للوصول الى الله تعالى ومنها المريد وهو الذي صح له الابتداء أو حصل في جملة المنقطعين الى الله تعالى ومنها المقام وهو مقام العبد بين يدي الله تعالى في العبادات أي الآداب والطاعات التي نازلها العبد و يتوصل العبد بتصاعدها الى ذهابه الى الثاني والثالث وهلم قال الله تعالى فاما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فقام كل سالك موضع اقامته من الآداب والطاعات كالتوبة والانابة والورع والزهد والتوكل والتسليم والتفويض

جارية فقال المشتري انها قد تخمت مرة عندنا دهرا و بين دقائق الاعلام والبيان في ذلك مما لا يعلمه المشتري أو المستعمل فهو من النصح والصدق وذلك يكون من التقوى والورع في المبايعات والاجارات و يكون الكسب عن ذلك أحل وأطيب فليجتنب المسلم محرم ذلك كله وكل مكروه فهذه سيرة السلف وطريقة صالحي الخلف واستحب له ان يتوخى في الشراء والبيع و يتحرى أهل التقوى والدين ويسأل عمن يريد ان يبايعه و يشاريه وأ كره معاملة من لا يرغب عن الحرام أو من الغالب على ماله الشبهات وحدثت عن محمد بن شبية ابن أخت ابن المبارك قال كتب غلام ابن المبارك اليه انا نبايع أقواما يبايعون السلطان فكتب اليه ابن المبارك اذا كان الرجل يبايع السلطان وغيره فبايعه واذا قضاك شيأ فاقبض منه الا ان يقضيك شيأ تعرفه بعينه حراما فلا تأخذه واذا كان لا يبايع الا السلطان فلا تبايعه وحدثنا عن بعض الشيوخ عن شيخ له من الخلف الصالح قال قال أتى على الناس زمان كان الرجل يأتي الى مشيخة الاسواق فيقول من ترون لي ان أعامل من الناس من أهل الصدق والوفاء فيقال له عامل من شئت ثم أتى عليهم وقت آخر فكان الرجل يقول ترون لي ان أعامل من الناس فيقال عامل من شئت الا فلانا وفلانا قال ونحن في زمن اذا قيل لنا من نعامل من الناس فيقال عامل فلان بن فلان وأخشى ان يأتي على الناس زمان يذهب فلان بن فلان أيضا * ولا يحلف ولا يكذب ولا يحلف صادقا فان اليمين الكاذبة ممحقة للكسب وقد قيل ويل للتاجر من يقول لا والله وبلى والله وويل للصانع من اليوم وغدو بعد غد أبو عمرو الشيباني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عبد مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه ولا يمدح اذا باع أو صنع صنعة ولا يذم اذا اشترى أو استعمل صانعا فان هذا لا يزيد في رزقه ولا ينقص منه تركه وهذا من اليقين في الرزق في هذا الباب وفعله يزيد في الذنوب فينقص من الدين وعلى الصانع ان يبلغ غاية النصح في صنعته لمستعمله لانه أعرف بصلاح صنعته وفسادها و بسرعة فناء الصنعة وكثرة بقائها فينبغي ان يتقن نهاية علم الصانع بصلاح الصنعة وحسن بقائها مع نهاية بغية مستعمله من تجويدها واحكامها ويتقي من فساد يسرع الى فنائها مما لا يفطن له مستعمله فاذا فعل الصانع والتاجر ذلك كانا قد عملا بعلمهما وسلما من المطالبة والمساءلة عنه والا فهما يسئلان فيقال لهما ماذا عملتما فيما علمتما اذ كانا على علم من التجارة والصناعة و بهذه الاشياء عمارة المملكة فلا بد ان يسئلا عن ذلك كما يسئل من كان على علم من الدين والايمان لان لهم في علوم العقل والتمييز من أبواب الدنيا أحوالا أيضا ومقامات من حيث كان عليهم في ذلك تكليف وعبادات و يقال اذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشهادة فقال ائتني بمن يعرفك فأتاه رجل فأثنى عليه خيرا فقال له عمر رضي الله عنه أنت جاره الادنى الذي تعرف مدخله ومخرجه قال لا قال فكنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم الذي يتبين به ورع الرجل قال لا قال أظنك رأيته قائما في المسجد يصلي يخفض رأسه طورا و يرفعه زمرة بالقرآن قال نعم قال اذهب فلست تعرفه فقال للرجل اذهب فأتني بمن يعرفك وقد كان من سيرة السوقة فيما علمت انه كان للبائع دفتران للحساب أحدهما ترجمته مجهول فيه أسماء من لا يعرفه من الفقراء الضعفاء وذلك ان المسكين والضعيف كان يرى المأكول فيشتهيه أو يحتاج اليه ولا يمكنه ان يشتريه فيقول للبائع احتاج الى خمسة أرطال من هذا أو عشرة وليس عندي ثمنه فيقول خذه الى ميسرة فاذا رزقت فاقض ويكتب اسمه في الدفتر المجهول قال ولم يكن من يفعل هذا من خيار المسلمين بل كان الخير من الباعة من لا يكتب اسمه في دفتره ولا يجعله دينا حتما عليه ولا مظلمة عنده ولكن يقول خذ ما حتك مما تريد فان وجدت

فمن لا يتحقق بالواغ المجاهدات ومامع العلائق في المقامات لا يتصور ترقيه الى الثاني وأهل المقامات ثلاثة رجل يعمل على الرجاء والخوف ممه اتصافه بالحياء وهذا يسمى مريدا وهذا بعد في وادي التفرقة لانه عامل لخصوص نفسه وهو رجاؤه وخوفه ورجل مجذوب من وادي التفرقة الى وادي الجمع ويقال له مراد لانه عامل لا لشيء من خصوص نفسه بل لمجرد المحبة وشهود الكمال فهذا قلبه مع الله دون غيره ورجل مسلوب بالمعارف عند المقامات والاحوال وما سوى هؤلاء فهو مدع مفتون أو مخدوع والمقامات على جهات ثلاثة الاولى أخذ السالك في السفر والسير والثانية الدخول في الغربة والثالثة الحصول على المشاهدة الجاذبة الى عين التوحيد الى منهج الفناء قال المحققون لا شيء من الجلاء الا آداب الشرع وسننه فان لم يكن كذلك آجيل أمر ذلك المقام على صاحبه كما يحكى عن أبي يزيد انه قصد زيارة رجل مشهور في الزهد والولاية فلما دخل عليه مسجده وجده جالسا وقد رمى بنخامة أو ببصقة تجاه القبلة فلما رأى أبو يزيد ذلك انصرف عنه ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على آداب النبي صلى الله عليه وسلم في حفظ شريعته فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه ومنها الحال والحال معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا تكسب من صاحبه وهي مواهب ربانية ومنح الهية من حكمها الطرب أو الحزن أو القبض أو البسط أو الشوق أو القلق أو الهيبة او الابتهاج والأحوال كالبرق في الظهور والاحوال والفرق بين المقام والحال ان المقام مكسوب والحال موهوب والاحوال لا تنفك بخلاف

فاقض

ما قضى وان لم تجد فانت في حل لا تضيق قلبك له الله وهذا طريق قدمات فمن فاته فقد أحياه فكان مثل هؤلاء في المتقدمين أكثر من ان يسعهم كتاب وكان من ينصح دقائق النصح وشدد على نفسه غاية التشديد وسمح لاخوانه نهاية الجود أكثر من ذلك وانما ذكرنا هؤلاء لتنبيه الغافلين على أحوالهم وتكشف بعض ما طما من طريقهم ولم يكن هؤلاء الذين كورون من السوقة من خيار الناس كلهم انما كان الاخيار المسجد بين العباد والنساك المنقطعون الى الله الزهاد فاذا حصلت كفاية السوقي في بعض يومه فليجعل بقيته لآخرته فقد كان بعض السلف منهم من ينصرف من حانوته بعد صلاة الظهر ويجعل نصف يومه لربه ومنهم من ينصرف بعد العصر فيكون آخر يومه لآخرته ❁ وكان بعضهم اذا حصلت كفايته في يومه اي وقت من نهاره غلق حانوته وانصرف الى منزله أو مسجده يتعبد بقية يومه وكان منهم من اذا ربح دانقا أو قيراطا انصرف قناعة وزهدا وقلة حرص على الدنيا وأعجب من ذلك ما سمعته عن حماد بن سلمة انه كان يبيع الخمر في سفط بين يديه فكان اذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف ❁ وقال ابراهيم بن يسار قلت لابراهيم بن أدهم أمر اليوم أعمل في الطين فقال يا ابن يسار انك طالب ومطلوب يطالبك ما لا تفوته وتطلب ما لا يفوتك أما رأيت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت ان لي دانقا عند البقال فقال عز علي بك ثلاث دانقا وتطلب العمل وقد كان كثير من الصناع يعمل نصف يومه وثلثي يومه ثم يأخذ ما استقته من كفايته وينصرف الى مسجده ومنهم من كان يعمل في الاسبوع يوما أو يومين ويتعبد سائر الاسبوع في خدمة سيده وقد كانوا يجعلون أول النهار وآخره للآخرة في تجارة المعاد والمرجع ويجعلون وسط النهار لتجارة الدنيا وفي الخبر ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد من أول النهار ومن آخره فيها خير وذكر كفر الله عز وجل عنه ما بينهما من سيئ العمل وفي الخبر يلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر تعرج ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار وعند صلاة العصر فتنزل ملائكة الليل وتعرج ملائكة النهار فيقول الله عز وجل كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى أشهد كم اني قد غفرت لهم وقد كان علي رضي الله عنه يعس في سوق الكوفة ومعه الدرة وهو يقول يا معشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا ولا تردوا قليل الربح فتحرموا أكثر ما منع من حق الا ذهب اضعافه في باطل وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما كان سبب يسارك فقال ثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب مني حيوان وأخرت بيعه ولا بعت بنسأ ويقال انه باع ألف ناقة فربح عقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفي درهم ألف أخذها وألف نفقة عليها في يومها وقد كان الورعون يكرهون ركوب البحر للتجارة ويقال من ركب البحر للتجارة فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر لا يركب البحر الا حاج أو غاز أو معتمر وعن زيد بن وهب عن عمر رضي الله عنه كان يقول ابتاعوا بأموال اليتامى لا تأكلها الزكاة وغيروها لهم بالارباح واياكم والحيوان فانه ربما هلك واياكم ولجج البحر التجر والهم فيهما مالا ❁ وكان عمرو بن العاص يقول لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر خارج فان بها باض الشيطان وفرخ وروينا عن معاذ وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ان ابليس قال لولده زلنبور يا زلنبور سر بكتائبك وأت صاحب السوق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة والحلف وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وروينا عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى ان يدخل السوق أوائل النهار وان يخرج منها آخر أهلها فاذا كان المتسبب في المعاش والمتصرف في الاسواق على هذه الاوصاف المحمودة بهذه الشروط الموصوفة فانما حكم حاله حافظا لمقامه فانه في سبيل من سبل الله عز وجل افعاله وآثاره حسنات وكل ما تسبب به الى الآخرة وكان عونا له عليها وطريقا له اليها فهو من الآخرة واذا خالف هذه الشروط ولم يستعمل العلم في أحواله وفارق

المقامات فان بقيت بتوالي أمثالها فهي حديث النفس قال الائمة والاحوال تحصل في مقامات الحزن والقبض يحصلان من مقام الخوف والبسط يحصل في مقام الرجاء والطرب يحصل عن المحبة الحاصلة عن مشاهدة الجمال ومنها الكشف وهو عبارة عن بيان ما استتر عن الفهم فيكشف للعبد عنه حتى كأنه يراه رأي العين ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم في خبر ذي السويقتين كأني انظر الى أسود كان به الخ وقوله صلى الله عليه وسلم اني رأيت الجنة والنار في عرض هذا الحائط ومنها الذهاب وهو بمعنى الغيبة ويراد بذلك غيبة القلب عن المحسوسات بمشاهدة ما شهده من الوعد أو الوعيد والجلال أو الجمال أو غير ذلك ورؤية القلوب ترجع الى الكشف يحكى ان الشبلي دخل على الجنيد بيته في حال سكر المحبة وزوجة الجنيد جالسة فلما رأته بادرت الى تغطية رأسها فقال لها الجنيد لا عليك ليس هو حاضرا فصفق الشبلي على رأس الجنيد وانشأ يقول

عودوني الوصال والوصل عذب
ورموني بالهجر والهجر صعب
زعموا حين أعتبوا ان جرمي
فرط حبي لهم وذاك ذنب
لا وحسن الخضوع عند التلاقي
ما جزاء من يحب الا يحب

ثم ولى الشبلي فضرب الجنيد رجليه على الارض وقال هو ذاك يا أبا بكر هو ذاك وخر مغشيا عليه ومنها الشطح وهو كلام يترجمه اللسان عن وجد ظاهره يخالف الشرع يعفو بصدوره منهم في حالة يتم بما يرد عليهم وحال سكرهم بالمحبة وحكمهم في ذلك حكم المغمى عليه أو من زال عقله ويحصل

التقوى فى تصرفه أو كان يسعى تكاثرا وحرصا على الدنيا بجزعا على مافاته من الدنيا مستقلا لما فى يديه منها لا يبالى ماذهب من دينه اذا سلمت دنياه ولا يبالى من أين اكتسب وفيما أنفق فهذا يتقلب فى المعاصى والمكاره ظهر البطن متعرضا لمقت من الله عز وجل بعمل فى البعد والهرب غير مستعد للموت ولا موقن بالحساب افعاله وآثاره سيآت تورث القساوة على هذه الاوصاف المكروهة نسير لهذا * ذكر ما روينا من الآثار فى البيوع والصنائع وطريقة الورعين من السلف * روينا عن علقمة رضى الله تعالى عنه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلب الى مصر من أمصار المسلمين فباعه بسعر يومه كان له عند الله تعالى أجر شهيد ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله * وروينا عن عقبة بن عامر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة صاحب مكس * وروينا عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقال نادما فى بيع أقاله الله عز وجل يوم القيامة * وروينا عن هشام بن عروة فذكر لمعاوية ان رجلا من المعمرين من الجراهمة بالقرب منه فاحضره فقال من الرجل قال من جرهم قال وكم تعد من السنين قال خمسين وثلثمائة سنة قال أخبرنى أى المال أفضل قال عين خرارة فى أرض خوارة تعول ولا تعال قال ثم ماذا قال فرس فى بطنها فرس يتبعها فرس قال فقال الابل والغنم لا أراك تذكرها قال انها لا تصلح الا لك تصلح لمن يباشرها بنفسه * وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مال المسلم سكة مأبورة أو مهرة مأمورة * قوله سكة مأبورة يعنى النخيل التى قد أبرت وهى طريق كالسكك وقوله مهرة مأمورة يعنى الخيل النواتج مأمورة كثيرة * ومن هذا قوله تعالى أمرنا مترفيها أى أكثرناهم يقال أمر القوم اذا كثروا * وحدثونا عن عبد الله بن أحمد قال قدمت من عند معاوية بثلاثمائة ألف دينار وليس بيدى منها الا دقيق وغنم وأثاث ففزعت من ذلك فلقيت كعب الاحبار فذكرت له ذلك فقال أين أنت من النخل فانا نجدها فى كتاب الله تعالى المطعمات فى المحل الراسخات فى الوحل وخير المال النخل بانها كمن ورق ومبتاعها مرزوق مثل من باعها ثم لم يجعل ثمنها فى مثلها كمثل رماد عصفوان اشتدت به الريح فى يوم عاصف ففزعت الى النخل فابتعتها قال وقال مروان بن الحكم لوهب بن الاسود ما المروءة قال بر الوالدين واصلاح المال حدثت عن عبد القدوس بن عبد السلام قال كتب ابراهيم بن أدهم الى عباد بن كثير اجعل طوافك وسعيك وجعل كنومة غازى فى سبيل الله عز وجل فكتب عباد الى ابراهيم اجعل حرسك ورباطك وغزوك كنومة كاد على عياله من حله * وروينا عن العباس قال سمعت أحمد بن ثور يقول شيع رجل ابراهيم بن أدهم الى الصنوبر فقال يا أبا اسحق أوصنى قال أكثر وأوجز فقال ما الحاج المعتمر ولا الغازى المرابط ولا الصائم والقائم بأفضل عندنا ممن أغنى نفسه عن الناس * وروينا عن لقمان قال لابنه يا بنى خذ من الدنيا بلاغا ولا ترفضها كل الرفض فتكون عيالا على الناس * وحدثونا عن شاذان قال سألت الحسن بن حى عن شئ من المكاسب فقال ان تقارفت فى هذا حرم عليك ماء الفرات ثم قال طلب الحلال أشد من لقاء الزحف * وروينا عن الهيثم بن جميل قال قال ابن المبارك اركب البر والبحر واستغن عن الناس قال الهيثم ربما يبلغنى عن الرجل يقع فى فاذكر استغنائى عنه فيهون ذلك على * وروينا عن حماد بن زيد قال قال أيوب كسب فيه بعض الشئ أحب الى من الحاجة الى الناس * أنشدونا عن ابن أبى الدنيا قال أنشدنى عمر بن عبد الله

لنقل الصخر من قلل الجبال * أخف على من منن الرجال

يقول الناس كسب فيه عار * فقلت العار فى ذل السؤال

حدثنا عن موسى بن طريف قال ركب ابراهيم بن أدهم البحر فأخذتهم ريح عاصف أشرفوا على الهلكة

كان أيضا اذا دهش العقل عند مطالعة عجائب الحقيقة والاشراق على الملكوت الاعظم سئل بعضهم عن حكم ما يقع منهم من الشطح فى حقه الحالة فقال هؤلاء سكارى مجالس السكر تطوى ولا تحكى وسئل بعضهم عن الحلاج فقال كان الحلاج رجلا صالحا الحال لكن غلب عليه الوجد والحال حتى هجر فى المقال ولم يدر ماقال وكلام السكرات يطوى ولا يروى فالمقتول شهيد والقاتل مجاهد فى سبيل الله ومنها الصولة وهى أن يبادر الى الحق لا يرى أحدا الا الله تعالى فاذا شاهد منكرا بادر الى انكاره مستهزئا بفاعله كائنا من كان ملكا أو سوقيا لا يكترث به ولا يهابه ولا يخشاه الا الله تعالى ولا يخشى غيره وهى تكون لاصحاب المقامات العالية قال صلى الله عليه وسلم فى ثنائه على ربه بك أصول وبك أجول ومنها الالتجاء وهو توجه القلب الى الله تعالى بصدق الفاقة اليه ومنها التجلى وهو اشراق النور على قلوب العارفين عند اقبال الحق عليهم ومنها الاصطلام وهو نعت وله يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه ومنها الجلال وهو نعت القهر من الحضرة الالهية ومنها الطوالع وهى أنوار التوحيد تطلع على قلوب العارفين بشعاعها فيطمس سلطان نورها سائر الانوار كما أن نور الشمس يمحو أنوار الكواكب ومنها المشاهدة وهى ثلاثة مشاهدة بالحق وهى رؤية الاشياء بدلائل التوحيد ومشاهدة للحق وهى رؤية الحق فى الاشياء ومشاهدة الحق وهى حقيقة اليقين بلا ارتياب ومنها الحرية وهى اقامة حقوق العبودية فيكون عبدا لله ومن غيره حرا قال بعضهم صحح مقام العبودية القدرية والمعتزلة لانهم أثبتوا فقالوا

فقالوا يا أبا اسحق أما ترى ما نحن فيه من الشدة قال وهذه شدة قالوا فأي شيء الشدة قال الحاجة الى الناس وأنشدنا بعض العلماء لبعض الادباء

لموت الفتى خير من البخل للفتى * والبخل خير من سؤال بخيل
فلا تعطين شيأ أو جهك قيمة * ولا تلق مخلوقا بوجه ذليل
ولا تسألن من كان يسأل مرة * فللفقر خير من سؤال سؤول

وأنشدنا بعض الاشياخ اذا مدت الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد اذا كان كاذبا * ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

وأنشدنا لبعضهم اذا كنت لابد مستطعما * فمن غير من كان يستطعم
فان الذي كان مستطعما * اذا ذكر الجوع لا يطعم

وأنشدنا لبعضهم ما تلفت سؤاله أحق حية * من سائل يرجو الغنى من سائل

وحدثونا عن زيد بن أسلم قال كان محمد بن مسلمة في أرض يغرس النخل فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ما تصنع يا محمد فقال ما ترى قال أصبت استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم كيف قال صاحبكم احيحة بن الجلاح

فلن أزال على الزوراء أعمرها * ان الحبيب الى الاخوان ذو المال

وروينا عن ابن مسعود قال ما كسب دون درهمك فان المغبون لا محمود ولا مأجور وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى اذا قلت لصاحبك أحسن فاحسن فهو صدقة وحدثت عن عبد الله بن عبد الرحمن قال كان ابراهيم بن أدهم ورفقاؤه في المسجد في شهر رمضان فلما سلم الامام قام رجل فسأل فلم يعطه شيأ ووضعوا عشاءهم فقالوا لابراهيم يا أبا اسحق ندعوه قال لا ندعوه فبات بغير عشاء فلما كان من الغد بات رفيق لابراهيم فقال له يا أبا اسحق رأيت الذي سأل البارحة وصلى وأسرع منصرفا فقال تدرون لم قلت لكم لا ندعوه سبق الى قلبي انه لم يسأل لقبلها فكرهت ان أدعوه فيتشكل على عشائكم قال عبد الله وقال الرجل لابراهيم كيف أصبحت قال بخير ما لم يتحمل مؤنتي غيري وعن موسى بن طريف قال كان ابراهيم بن أدهم لا يعاكس اذا عمل مع أحد حدثونا عن يوسف بن سعيد قال سمعت انسانا يسأل علي بن بكار أيهما أفضل اللقاط أو الشكاية فقال اللقاط فيه معروف كثير كان سليمان الخواص يلتقط ههنا عندنا وكان ابراهيم بن أدهم يؤاجر نفسه وكان حذيفة يضرب اللبن أبو عمرو بن العلاء قال قال الحسن الاسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها الحسن بن دينار عن قتادة قال مكتوب في التوراة ابن آدم اتق توق وسل تعط واطلب تجد ومكتوب في الانجيل ابن آدم اصبر تصبر وعن أبي خلدة عن أبي العالية قال اذا اشتريت شيأ فاشتر اجوده أبو الطفيل قال كنت عند أنس بن مالك فقيل له خرج الدجال فقال كذبه صباغ حدثنا يحيى بن عبان عن بسام الصيرفي عن عكرمة قال اشهد أن الصيارفة من أهل النار وروينا عن عبد الحميد بن محمود قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل قال أقبلنا حجاجا حتى اذا كنا بالصفاح توفي صاحب لنا فحفرنا له واذا أسود قد ملأ اللحد كله ثم حفرنا له قبرا آخر فاذا الاسود قد ملأ اللحد فحفرنا له قبرا آخر فاذا الاسود قد ملأ اللحد كله فتركناه وأتيناك نسألك ما تأمرنا قال ذلك عمله الذي كان يعمل وفي رواية أخرى ذلك غله الذي كان يغل به اذهبوا فادفنوه في بعضها فوالله لو حفرتم له الارض كلها لوجدتم ذلك قال فألقيناه في قبر منها فلما قضينا سفرنا أتينا امرأته فسألناها عن عمله فقالت كان رجلا يبيع الطعام فيأخذ قوت أهله كل يوم ثم يغار مثله من قصب الشعير فيقطعه فيخلطه في الطعام مكان ما أخذ فيبيعه عن حجاج عن أبي جعفر محمد بن علي ان عليا رضي الله تعالى عنه

لانفسهم فعلا ورأوا أن طاعتهم وجميع أعمالهم مخترعة لهم والجبرية عكسهم لاعتقادهم انهم مجبورون على أفعالهم مضطرون اليها ما أثبتوا لانفسهم فعلا ولا عبادة ولا طاعة أصلا يتقربون بها تلك التي يغاير خلاف ذلك وليست المنزلة من أهل مقام العبودية لانهم نزلوا أنفسهم منزلة الاحرار لا منزلة العبيد لايجابهم الثواب على الله تعالى بطاعتهم فتجاسروا ومنها الطريق والمراد بها طريق السير الى الله تعالى وهذه الطريق فيها عوارض وعوائق وعقبات وأوعار وأعداء وسباع وقطاع تقطع على السالك الطريق فاذا تخلص السالكون لهذه الطريق منها وقطعوا مفاوزها وعقباتها وتخلصوا من قطاعها وسباعها أشرفوا على مفاوز أوسع منها وبدت لهم منها مهامه أعرض وأطول من ذلك معرفتها كان المعارف نبوية ومعرفة النفس والعدو وهو الشيطان والدنيا فاذا تخلصوا من ذلك أشرفوا على أعظم منها وهو سر القدرة وكيف يحكم في الخلائق وعجائب الصنع والابداع وسر القضاء والقدر وكيف يقودهم باختيار في خبر الى ما هو في مجاري الاقدار لا تخرج المخلوقات عنه طرفة عين ولا يتقدمون عليه ولا يتأخرون عنه والاشراف على الملكوت الاعظم ورؤية عجائبه ومشاهدة غرائبه مثل اللوح والقلم واليمين الكاتبة وملائكة الله تعالى يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم وبالبيت المعمور يسبحونه ويقدسونه وفهم كلام المخلوقين من الحيوانات والجمادات ثم التخطي منها الى معرفة الخالق الكل والمالك الكل فتغشاهم الانوار وتجلى لقلوبهم الحقائق

كان يضمن القصار والصباغ والخياط ليحفظوا على الناس أمتعتهم ور و ينا عن هشام بن عمار قال سئل مالك ابن أنس في الرجل يسلم الثوب الى الحائك بالنصف ودرهم والنصف ودرهمين قال هذا شرط فاسد وله أجرة مثله الا أن يخالف الشرط فعليه الغرم وحدثنا عن أحمد بن الحسن الحيرى قال سئل أبو بكر المروزى وأنا أسمع المسائل يا نسج الثوب على الخمسين ودرهمين وعلى الخمسين وثلاثة دراهم وأكثر قال لا بأس اذا رضينا قلت فالنصف ودرهم والنصف ودرهمين قال لا بأس * سئل أحمد بن حنبل عن هذه المسئلة فقال لا بأس وحدثنا عن أبي داود قال سمعت ابن حنبل سئل عن الثوب يعطى على الثلث أو الربع للحائك قال لا بأس به ثم قال هل هذا الا مثل المضاربة ومثل تستجير له ان يربح للمضارب شيأ ولا يخرج الارض شيأ كلها عندى قريبة وعن ابن وهب قال قال مالك في رجل باع بعد النداء يوم الجمعة قال يفسخ ذلك البيع قيل عامل وترك القيام اليها وهو ٣ حد قال بئسما صنع فليستغفر ربه عز وجل وقال ربيعة ظلم وأساء قال وقال مالك يحرم البيع حتى يخرج الامام يوم الجمعة * حدثنا عن أبي داود قال سمعت أحمد بن حنبل غير مرة يكره التجارة والمعاملة بالمزيفة والمكحلة قال أبو داود سألت اسحاق بن راهويه عن انفاق المزيفة فقال لا بأس به وقال عبد الوهاب الوراق سألت بشرا عن المعاملة بالمزيفة فقال سألت المعافى عنها فقال سألت سفيان الثورى عنها فقال حرام حدثنا عن الحسن الخياط قال سمعت بشر بن الحرث وقال له رجل من جيرانه أسلمت عمامة الى الحائك المغبق على من قال على الحائك والخيوط لك وحدثونا عن بشر عن الفضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد ان مريم عليها السلام مرت بحاكة قعود على ظهر طريق في طلب عيسى عليه السلام فقالت كيف طريق موضع كذا وكذا فارشدوها الى غير الطريق التى أرادت فلما خدعت الله تبارك وتعالى عليهم فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس قال بشر أحسب ان الله عز وجل استجاب دعاءها عليهم ور و ينا عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن أبي أيوب الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فرق بين الوالد وولده في البيع فرق الله عز وجل بينه و بين أحبته يوم القيامة سفيان عن منصور عن موسى بن عبد الله ان أباه بعث بغلام له بمال الى أصبهان بأربعة آلاف فبلغ المال ستة عشر ألفا أو نحو ذلك فبلغه انه مات فذهب يأخذ ميراثه فبلغه انه كان يقارف الربا فاخذ أربعة آلاف وترك البقية وحدثونا عن أبي بكر المروزى قال سألت أبا عبد الله عن الذى يعامل بالربا يؤكل عنده قال لا قال وسمعت أبا عبد الله يقول الذى يتعامل بالربا يأخذ رأس ماله وان عرف أصحابه رده عليهم والا تصدق بالفضل ور و ينا حديث ربيعة بن يزيد عن عطية السعدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا لما به بأس ور و ينا حديث عباس بن خليد قال أبو الدرداء ان تمام التقوى ان يتقى العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية أن يكون حراما بينه وبين الحرام حدثنا عن أبي بكر المروزى قال سألت أبا عبد الله عن الرجل يكون معه ثلاثة دراهم منها درهم حرام لا يعرفه قال لا يأكل منه شيأ حتى يعرفه واحتج أبو عبد الله بحديث عدى بن حاتم انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى أرسل كلبي فاجد معه كلبا آخر فقال لا تأكل حتى تعلم ان كلبك قد قتله وسألت أبا عبد الله عن الرجل يدفع اليه الدراهم الصحاح يصرفها قال قد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وأنا أكره كسر الدراهم والقطعة قلت فان أعطيت دينارا أصوغه كيف أصنع قال تشترى به دراهم ثم تشترى به ذهبا قلت فان كانت الدراهم من التى هو يستوى صاحبها ان تكون باعيانها قال اذا أخذت عدا انما هو مثلها * وروى أبو عبد الله حديث علقمة بن عبد الله عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس قال أبو عبد الله البأس ان يختلف في الدراهم فيقول الواحد جيد و يقول الآخر ردىء فيكسره لهذا المعنى قال

الخصوص يشاهدون بالابشاهدة غيرهم و يعرفون ما غيبت عنه بصائر من سواهم ومنها الحقيقة فالحقيقة عبارة عن مشاهدة تصريف الرب والمعرفة بصفاته ونعوته وعظمته وجلاله وكيفية مسدور الاعياد عنه ومنها علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان عن دليل و برهان وهى العلوم الحاصلة من النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوازل وحق اليقين ما كان بطريق المشاهدة والمعاينة بناء على انه اسم من المكاشفة وقال الغزالى المكاشفة اسم من المشاهدة ومنها الوارد والخاطر فالوارد ما يرد على القلب من الامور المحمودة كالوارد من السرور أو من الحزن أو من القبض أو من البسط والخواطر معناها الخطاب الوارد على الضمائر وتارة بالقاء الملك وتارة بالقاء الشيطان وتارة من أحاديث النفس وتارة من قبل الله تعالى فاذا كان الوارد من قبل الملك فبالالهام وعلامة صدقه أن يوافق العلم كما قيل كل خاطر لا يشهد له ظاهر من العلم فهو باطل واذا كان من قبل النفس فهو الهاجس وعلامته أن يدعو صاحبه الى معصية الله تعالى واذا كان من قبل الله تعالى فبالقائه الى القلوب وهو خاطر حق وعلامة صدقه موافقته للامر والنهى وجملة الخواطر من قبل الكلام وأجمع المشايخ على ان آكل الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وأجمعوا على أن النفس لا تصدق والقلب لا يكذب والخاطر الذى يكون من قبل الملك ربما وافقه صاحبه وربما خالفه وأما الخاطر الذى هو قبل الله تعالى وهو الذى يلقيه الله تعالى ابتداء في قلب العبد      وسألت

فانه لا يمكن أن يحصل من العبد خلافه وتكلم المشايخ فى أن الخاطر الذى من قبل الله تعالى هل هو أقوى من الاول أم لا فقال الجنيد الخاطر الاول أقوى وقال العطوى الثانى أقوى وقال ابن خفيف كلاهما سواء لان  كلا منهما من الله ومنها الفناء والبقاء

أما الفناء فهو عند بعضهم أن يفنى العبد عن حظوظ نفسه وأما البقاء فهو أن يبقى بعبادة الله تعالى وهذا لا يعم جميع أقسام الفناء وانما يشمل الفناء المقيد بالافعال المذمومة والاوصاف المذمومة وأما الفناء المطلق فهو عبارة عن استيلاء سلطان الحقيقة على العبد وهو يستلزم الفناء عن الحظوظ وغيرها ومثال الفناء عن الاشياء فى الشاهد حال صويحبات يوسف عليه السلام عند رؤيته وعين ذلك مما يدهش المرء ويغنيه عن نفسه وعن احساسه واختياره ومن ذلك قول عبد الملك بن عامر ما أبالى امرأة رأيت أم حائطا ومن صح فناؤه لاستيلاء سلطان الحقيقة عليه يتولى الحق سبحانه وتعالى أموره كلها ويصرفه فى جميع وظائفه الشرعية ويكون محفوظا فيما لله تعالى عليه من الحقوق وأما البقاء الذى يعقب الفناء ويترتب عليه ترتب اللازم على الملزوم فهو أن يبقى لله تعالى بعد أن يفنى عما له فيكون كل حركاته فى موافقات الحق دون مخالفتها فيكون فانيا عن المخالفات باقيا فى الموافقات ومن فناء الحظوظ حديث عبد الله بن مسعود ما علمت ان فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من يريد الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فكان فانيا عن ارادة الدنيا ومن الفناء عما سوى الله تعالى قول ابى حازم ما الدنيا أما ما مضى فأحلام

وسألت أبا عبد الله عن الرجل يكتسب بالاجر يجلس فى المسجد فقال أما الخياط وأشباهه فما يعجبنى انما بنى المسجد ليذكر الله تعالى فيه وكره البيع والشراء فيه قلت لابى عبد الله الرجل يعمل المغازل ويأتى المقابر فربما أصابه المطر فيدخل فى بعض تلك القباب فيعمل فيها قال المقابر انما هى من أمر الآخرة وكره ذلك قلت لابى عبد الله اشترى الدقيق فيزيد فى مثل القفيز المكوك قال هذا فاحش هذا لا يتغابن الناس فيه قلت فكيلجة أو دونها قال هذا يتغابن الناس بمثله قلت لابى عبد الله رفاء الوسائد والانماط يرفو التجار وهم يبيعون ولا يخبرون بالرفو قال يعمله العمل الذى يتبين لا يعمل الخفى الذى لا يتبين الا لمن يثق به قلت لابى عبد الله الثوب ألبسه ترى ان أبيعه مرابحة قال لا وان بعته مساومة فبين انك قد لبسته والا بعته فى سوق الخلق سألت أبا عبد الله عن ابريق فضة يباع قال لا حتى يكسر ويقول لا يباع الحرير ٭ أمية بن خلد قال كان يونس بن عبيد اذا طلب المتاع أهل الى وكيله بالسوس ان أعلم من يشترى منه المتاع ان المتاع يطلب ٭ حدثنا عن المروزى قال سألت أبا عبد الله عن الجوز ينثر فكرهه وقال يعطون يقسم عليهم يعنى الصبيان قال ودخلت على أبى عبد الله وقد حذق ابنه وقد اشترى جوزا يريد أن يعده على الصبيان يقسمه عليهم وكره النثر وقال هذه نهبة وقال أبو عبد الله وذكر مسائل ابن المبارك فقال كان فيها مسألة دقيقة سئل ابن المبارك عن رجل رمى طيرا فوقع فى أرض قوم لمن الصيد قال لا أدرى قلت لابى عبد الله فما تقول انت فيها قال هذه دقيقة ما أدرى فيها قلت لابى عبد الله ان عيسى بن عبد الفتاح قال سألت بشر بن الحرث هل للوالدين طاعة فى الشبهة قال فقال أبو عبد الله هذا شديد قلت لابى عبد الله فللوالدين طاعة فى الشبهة قال فقال أبو عبد الله هذا محمد بن مقاتل قد رأيت ما قال وهذا بشر بن الحرث قد قال ما قال ثم قال ابو عبد الله ما أحسن ان يداريهم ثم قال أبو عبد الله الاثم حواز القلوب قال المروزى أدخلت على أبى عبد الله رجلا فقال ان لى اخوة وكسبهم من الشبهة فربما طبخت أمنا وتسألنا ان نجتمع ونأكل فقال له هذا موضع بشر لو كان ههنا كان موضعا أسأل الله تعالى ان لا يمقتنا ولكن ثانى أبا الحسن عبد الوهاب فتسأله فقال له الرجل فتخبرنى بما فى العلم قال فقد روى عن الحسن اذا استأذن والدته فى الجهاد فاذنت له وعلم ان هواها فى المقام فليقم قال سمعت أبا عبد الله وسئل عن رجل له والدة يستأذنها رجل يطلب العلم فقال ان كان جاهلا لا يدرى كيف يطهر ولا يصلى فطلب العلم أوجب وان كان قد عرف فالمقام عليها أحب الى قلت فان كان يرى المنكر فلا يقدر ان يغيره قال يستأذنهما فان أذنا له خرج ٭ حدثنا عن أبى الربيع الصوفى قال دخلت على سفيان بالبصرة فقلت له يا أبا عبد الله انى أكون مع هؤلاء المحتسبة فندخل على المخنثين ونتسلق عليهم الحيطان فقال أليس لهم أبواب قلت بلى ولكن ندخل عليهم كيلا يفروا فانكر ذلك انكارا شديدا وعاب فعالنا فقال رجل من أدخل هذا فقلت انما دخلت الى الطبيب أخبره بدائى فانتفض سفيان وقال انما هلكنا اذ نحن سقمى فسمينا أطباء ثم قال لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا من فيه ثلاث خصال رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عدل بما يأمر عدل بما ينهى عالم بما يأمر عالم بما ينهى حدثنا عن أحمد بن محمد بن الحجاج قال سألت أبا عبد الله قلت أمر فى السوق فأرى الطبول تباع أفأكسرها قال ان قويت يا أبا بكر قلت أدعى أغسل الميت فأسمع صوت الطبل قال ان قدرت على كسره والا فاخرج سألته عن كسر الطنبور قال يكسر قلت فاذا كان مغطى قال اذا استتر عنك فلا قلت فالطنبور الصغير يكون مع الغلام قال تكسره أيضا اذا كان مكشوفا قلت لابى عبد الله رجل له فراح نرجس ترى ان يباع فقال انهم يقولون الزئبق يعمل منه قلت فان كان لا يشتريه الا أصحاب المسكر قال يسأل عن ذا فان كان هكذا لا يباع سمعت أبا عبد الله وسأله رجل فقال ان أبى كان يبيع من جميع الناس وذكر من تكره معاملته فقال يدع من ذلك بقدر ما ربح فقال له فان له دينا وعليه دين قال يقتضى ويقضى عنه قلت وترى له بذلك قال عنده محتسبا

بديه سألت أبا عبد الله عن قريب لى أكره ناحيته يسألنى ان اشترى له ثوبا أو أسلم له غزلا فقال لا تعنه ولا تشتر له الا ان تأمرك والدتك فاذا أمرتك فهو أسهل لعلها ان تغضب وسمعت أبا عبد الله وسئل عن رجل له أب مراب يرسله ان يتقاضى له ترى له ان يفعل قال لا ولكن يقول لا أذهب حتى تتوب وذكرت لابى عبد الله رجلا من المحدثين فقال رحمه الله أى رجل كان لولا خلة واحدة ثم قال ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سنة قال أى لعمرى وقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة فقلت مثل ايش قال كان لا يبالى عمن أخذ سمعت أبا عبد الله وذكر بشر بن الحرث فقال رحمه الله لقد كان فيه أنس وذكر له شئ من الورع فقال يسأل عن مثل هذا بشر هذا موضع بشر وأنا لا ينبغى لى ان أتكلم فى هذا وذكرت لابى عبد الله رجلا فقيرا فى أطمار خلقان وقلت ما أحوجه الى علم فقال لى اسكت لصبره على فقره وصبره من العلم انى لاذكره وأنا فى الفراش وقال هؤلاء عندى من قلت لابى عبد الله قيل لابن المبارك كيف يعرف العالم الصادق قال يزهد فى الدنيا ويقبل على أمر آخرته فقال أبو عبد الله نعم هكذا يريد أن يكون وسألت أبا عبد الله عن امرأة كانت تجرى على أخرى وتصلها وذكر المرأة ما أمر فيه أبو عبد الله من شئ صرت اليه قال ان تصدق به وتسأله سمعت أبا عبد الله وذكر ابن عون فقال كان لا يكرى دوره من المسلمين قلت لاى علة قال لئلا يروعهم ابن المبارك عن حكيم بن زريق عن أبيه عن سعيد بن المسيب فى البر بالدقيق قال هو ربا قلت لابى عبد الله أخبرت ان بشر بن الحرث أرسل أخوه بتمر من الابلة فبعثت أمه تمرة من التمر الذى كانت تفرقه يعنى على أهل بيته فلما دخل بشر قالت له أمه بحقى عليك لما أكلت هذه التمرة فأكلها وصعد الى فوق وصعدت خلفه فاذا هو يتقيأ وكان أخوه على شئ فقال أبو عبد الله وقد روى عن أبى بكر رضى الله عنه نحو هذا وسمعت أبا عبد الله وذكر وهيب بن الورد فقال لقد كلمه ابن المبارك فيما يجىء من مصر وانما أراد ابن المبارك أن يسهل عليه ولم يدر انه يشدد عليه وكان لا يأكل مما يجىء من مصر الا الزبيب وقال أبو عبد الله بشر بن الحارث كان يأكل من غلة بغداد قلت لا هو كان ينكر على من يأكل فقال انما قدر بشر لانه كان وحده لم يكن له عيال ليس من كان معيلا كمن كان وحده لو كان الى ما باليت ما كنت وذهب أبو عبد الله الى ان يأخذ من السواد القوت ويتصدق بالفضل ثم قال لا يعجبنى ان أبيع شيأ قلت لابى عبد الله ترى أن يشرب الرجل من السواد قال هذا الذى نحن فيه ميراث انما آخذ الغلة على الاضطرار قيل لابى عبد الله فيشترى الرجل فيه فقال السائل ان كنت فى كفاف فلا ثم قال انا أكره أن يبيع الرجل داره ولا أرضى فى شئ من السواد ولا يشترى الا مقدار القوت فاذا كان أكثر من قوته تصدق به وقال أنا أذهب الى أن السواد وقف على المسلمين أما عمر رضى الله تعالى عنه فترك السواد ولم يقسمه وهكذا عثمان تركه الا انه أقطع قوما من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وسعدا وذكر غير واحد وأما على رضى الله عنه فأقره ولم يقسمه قال أبو عبد الله من ذهب الى قول ابن المبارك فذاك البلاء يزعم أن السواد يقسم على من شهد الوقعة وقال ابن ادريس فى دار ببغداد يبيع أمرها حتى يردها الى من فتحها بالسيف قلت ومن أين تقدر على هذا فتبسم وقال يصير الى المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فيسأل عنهم قال ابو عبد الله أهل المدينة على مذهب ابن ادريس يقولون المدينة اذا فتحت عنوة قسمت على من شهدها قلت لابى عبد الله فن خالفهم قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما أوقفاها على المسلمين قلت لابى عبد الله فن ورث دارا فى القطيعة قال قال ابن ادريس يردها على من شهد القادسية قلت وهذا هو عندك القول قال نعم ما أحسن ما قال ولكن مثل هذا الذى فى أيدينا انما هى قطائع لو أن رجلا أراد أن يخرج مما فى يديه كنا نأمره أن يوقفها الا انها فىء سألت أبا عبد الله عن الكوفة والبصرة أليس افتتحت

وأما ما بقى فامان وغرور وما الشيطان حتى يهاب ومن ذلك حديث حارثة عزفت نفسى عن الدنيا فانه فنى عن العاجلة بالآجلة ومن الاقسام بالجبار ومن أقسام الفناء فناء هو الغيبة عن جميع الاشياء حتى عن شعوره بنفسه و بغيره كما جرى لموسى عليه السلام حين تجلى ربه للجبل ومعنى قول بعضهم ان الفناء عبارة عن فناء صفات البشرية هو أن يفنى العبد عن جميع صفات البشرية التى هى الجهل والظلم لقوله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ومنها الجمع والتفرقة ومرادهم بالجمع جمع الهم بالله تعالى و بالتفرقة تفرقته بالكائنات والجامع والمفرق فى الحقيقة هو الله تعالى وقال بعضهم رؤية الاعمال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع ومنها التوحيد وهو على ثلاثة أقسام الاول توحيد العامة وهو شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وهو هذا التوحيد الظاهر الجلى الذى ينفى الشرك الاعظم وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة وبه حقنت الدماء والاموال وانفصلت دار الاسلام من دار الكفر وأما التوحيد الثانى فتوحيد الخاصة وهو اسقاط الاسباب الظاهرة فلا يشهد فى التوحيد دليلا ولا فى التوكل سببا ولا للنجاة وسيلة بل لا يشهد الاشياء سببا ولا موجدا ولا فاعلا الا الله تعالى قلت و يجب أن تعلم من هذا ان القدرية و المعتزلة ليسوا من طبقة أهل التوحيد الاول لانهم جعلوا لانفسهم استقلالا بالافعال وأثبتوا القدرتهم تأثيرا فيها وحدوه بالافعال والا ثردوه بالربوبية بخلاف الجبرية فانهم من أهل التوحيد لانهم ما رأوا

قال

قال لا إنما جاز له إنما بقي وانبهاوا دخلت على أبي عبد الله رجلا فقال إني ورثت عن أبي أرضين من السواد فقال له أوقفها على قرابتك فإن لم يكن فعلى جيرانك وقيل له أيضا ورث رجل دارا في القطيعة فقال يوقفها ثم قال السواد فيه للمسلمين ورخص في الشراء قلت لأبي عبد الله كيف أشتري في السواد ولا أبيع قال الشراء عندي خلاف البيع واحتج أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رخصوا في شراء المصاحف وكرهوا بيعها ابن عباس وجابر بن عبد الله سئل أبو عبد الله أيما أحب إليك سكنى القطيعة أو الربض فقال الربض قلت لأبي عبد الله إن القطيعة أرفق من سائر الأسواق فقال أمرها معلوم تعرفها لمن كانت قلت فتكره العمل فيها قال قد وقع في قلبي منه شيء فقال قال ابن مسعود الإثم حواز القلوب قلت لأبي عبد الله فرجل يريد الخروج إلى الثغر وله دار يريد أن يبيعها قال لا قلت فإن قال إنما أبيع النقض فتبسم وقال إن رضي المشتري كأنه عنده حيلة ثم قال قد ورث ابن سيرين أرضا من أرض السواد قلت فهي رخصة قال هذا معروف عن ابن سيرين قال أبو بكر سمعت أبا عبد الله يقول أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء وقال ما أعدل بالفقر شيئا وقال هذه الغلة ما تكون قوتنا فأخبرته أن رجلا قال لو أن أبا عبد الله ترك هذه الغلة وكان يتصنع صديق له كان أعجب إلي فقال أبو عبد الله هذه طعمة سوء أو قال رديئة من تعوده ذا لم يصبر عنه ثم قال هذا أعجب إلي من غيره * حدثنا من عبد الله بن نوح السراج قال قال لي بشر يا سراج أنت بعد في القطيعة قلت نعم قال أغنانا الله عز وجل من الدخول إليها حدثت من بعض أصحاب بشر قال وصف لي شيء أتداوى به وقال ليس تجده إلا في بستان بني كذا يعني القطيعة فقال لو كان شفائي فيه ما أردته محمد بن حاتم قال سمعت ابن أبي بشر يقول كنت مع بشر وقد خرجنا من باب حرب فقال لي يا أبا يعقوب تفكرت في هذه القرية ومن كره الدخول إليها واعلم أن الدباغ إذا كان في المدبغة لا يشم رائحتها إنما يشم رائحتها من ورد إليها قال بعضهم وسمعت بشرا يقول من ذنوبي مقامي ببغداد وقال شعيب بن حرب أي رجال ببغداد كان لهم خير وعن عبد الوهاب قال خرج من ههنا إلى المدائن إلى شعيب بن حرب قوم فبكاه وقال في النزول ببغداد فأشار عليهم أن لا يرجعوا فتركوا دورهم وأقام بعضهم ليستقي ماء بالمدائن ولقد رأى شعيب بعضهم يستقي الماء فقال لو رآك سفيان لفرح بك قلت لأبي عبد الله بلغنا كتاب من طرسوس فيه أن قوما خرجوا من نيف الأصل فطحنوا لهم طعاما على رحى فتبينوا بعد أن الرحى فيما يكرهونه غصب فتصدق بعضهم بنصيبه وأبى بعضهم وقال لست آمر فيه بشيء لا أرضى أكله ولا أرضى أتصدق به فأي شيء تقول فكان مذهب أبي عبد الله أن يتصدق به إذا كان شيئا يكرهه ورجل اشترى حطابا أو كرى دواب وحمله ثم تبين بعد أنه يكره ناحيتها كيف يصنع بالحطب ترى أن يرده إلى موضعه وكيف ترى أن يصنع به فتبسم وقال ما أدري قلت إن رجلا قال لأبي عبد الله ما تقول في نفاطة لمن تكره ناحيته ينتفع بشيء أستضيء به قال لا وذكر أبو عبد الله عثمان بن زائدة أن غلامه أخذ له نارا من قوم يكرههم فأطفأها فقال أبو عبد الله النفاطة أشد قلت لأبي عبد الله تنور خبز بحطب أكرهه نخبز فيه فقلت أنا بعد فسجرته بحطب آخر فيه قال لا أليس أحمي بحطبهم وكرهه قلت لأبي عبد الله الخادم الخصي ينظر إلى شعر مولاته قال لا قلت المرأة تكون بها الكسرة فيضع المجبر يده عليها قال هذا ضرر ورخص فيه وأمر به وأما قلت قال المجبر لا بد له أن أكشف صدر المرأة وأضع يدي عليها قال طلحة يوجد قلت لأبي عبد الله فالكحال يخلو بالمرأة وقد انصرف من عنده النساء هل هذه الخلوة منهي عنها قال أليس هو على ظهر الطريق قيل نعم قال إنما الخلوة تكون في البيوت قال أبو بكر قلت لأبي عبد الله إذا اضطر الرجل إلى الميتة ووجد مع قوم طعاما يأخذ الطعام بغير إذن صاحبه أو يأكل الميتة قال يأكل الميتة قد أحلت له سألت أبا عبد الله عن الرجل يمر بالحائط أو النخل يأكل منه فقال قد سهل فيه قوم من أصحاب رسول الله

لا تقسيم فعلا ولا تقديرهم تأثيرا أصلا ولم يشهد في الوجود فاعلا ولا موجدا ولا مؤثرا غير الله تعالى وأما التوحيد الثالث فهو إسقاط الحوادث عن الاعتبار والاستغراق في الشهود في القلب لجلال الله وعظمته وعدم الالتفات لما  عداه وإثبات القدم فلا يزال مستغرقا لقلبه في شهود الحق لا يرى غير الله أصلا ويفنى عن الحوادث كلها وعن نفسه وهذا حال من هو في مقام الفناء وهذا التوحيد للأنبياء ومن كرمه الله تعالى من أتباعهم من الأولياء

*(الباب الثاني في معرفة العقل والنفس والروح والقلب والخاطر وما يتبع ذلك)*

أما العقل فقال المشايخ العقل نور القلب وبنور القلب ينظر العبد إلى الآخرة في ظلم الهوى فيبقى العبد حيران فعند ذلك تنشرح الجوارح وتلتذ وتبادر إلى سلوك سبيل المهلكات فإن كشف نور العقل أضاء نوره وقوي ضوءه وطفئت عند ذلك نيران الهوى وزالت ظلمته ودل العلم حينئذ على الهوى والتمييز وانفتحت له سداد السلوك وعمل عند ذلك لطريق الآخرة

*(فصل)* واعلم أن العقل على قسمين غريزي ومستفاد فالغريزي هو اللطيفة المركوزة في الإنسان المتهيأة لتذكر العلوم والمعارف ووجوده في الطفل كوجود النخلة في النواة والسنبلة في الحبة وهو النفس بمنزلة العين وأما العقل المستفاد فهو أن تكون المعارف والعلوم النظرية حاضرة في النفس بحيث تلتفت لها إنما ولا تغيب عنها

*(فصل)* في الفرق بين ما يؤثره العقل وما يؤثره الهوى من شأن العقل أن يؤثر الأفضل ويختار ما هو الأولى والأصلح في العواقب هذا دأب العقل أبدا وإن كان على النفس في الابتداء مؤنة ومشقة

صلى الله عليه وسلم قلت فاذا التقول اذا اضطر الرجل الى الميتة وجد مع قوم طعاما يأخذ الطعام بغير اذن صاحبه أو يأكل الميتة قال يأكل ولا يحمل قلت الرجل يمر بالبستان قال اذا كان عليه حائط لا يدخل واذا كان غير محوط أكل ولا يحمل سألت أبا عبد الله عن أجور بيوت مكة فقال لا يعجبني قلت لابي عبد الله فيكترى الرجل الدار ويخرج ولا يقضي الكراء قال لا يعجبني أن لا يخرج الكراء ثم قال هذا بمنزلة الطعام لا بد من أن يعطى قلت لابي عبد الله فترى شراء دور مكة والبيع قال لا أما الدور الكبار مثل دار فلان وفلان مما قد فتح أبوابها حتى يضرب الحاج فيها فيها طبيخهم وينزلونها لا يمنع أحد من نزولها قيل لابي عبد الله هذا عمر بن الخطاب قد اشترى السجن قال لا هذا لا يشبه ما اشترى عمر انما اشترى السجن للمسلمين يحبس فيه السراق وغيرهم سئل أبو عبد الله من السقايات التي يعملها من تكره ناحيته ترى أن يتوضأ منها قال لا الا أن يخاف فوت الصلاة يعني يوم الجمعة سئل أبو عبد الله عن السقايات التي تقام الى الطريق ترى أن يشرب منها فقال قد سئل الحسن فقال قد شرب أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما من سقاية أم سعد فقلت لابي عبد الله فحكي عن نصيل أن فلانا مجاء بدرهمين فقال حملت الى دار فلان فذكر من يكره ناحيته قال فرمى بهما ابن الحبارة وقال لا يتقرب الى الله عز وجل الا بالطيب فعجب أبو عبد الله وقال رحمه الله وذهب أبو عبد الله الى أن يتصدق كأنه كان أحوط وقال يعجبني أن يتصدق به اذا تصدق به فأي شيء يبقى * ذكر ما رأى أحمد بن حنبل الخروج منه حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال حدثنا أبو بكر المروزي قال سألت أبا عبد الله عن الرجل يدعى الى الوليمة من أي شيء يخرج فقال خرج أبو أيوب حين دعاه ابن عمر فرأى البيت قد ستر ودعى حذيفة فخرج وانما رأى شيأ من زي الاعاجم قلت فان لم يكن البيت مستورا ورأى شيأ من فضة فقال ما كان يستعمل يعجبني أن يخرج وسمعت أبا عبد الله يقول دعا رجل من أصحابنا قبل المحنة وكان يختلف الى عطاء فاذا فضة فخرجت فاتبعني جماعة فنزل بصاحب البيت أمر عظيم قلت لابي عبد الله فالرجل يدعى فيرى المكحلة رأسها مفضض قال هذا يستعمل فاخرج منه انما رخص في الضبة أو نحوها انه أسهل سألت أبا عبد الله عن الكلة فكرهها قلت فالقبة أو الحجلة فلم ير به بأسا قلت لابي عبد الله ان رجلا دعا قوما فجيء بطست فضة أو ابريق فكسره فأعجب أبا عبد الله كسره وسألت أبا عبد الله عن الرجل يدعى فيرى فرش ديباج ترى أن يقعد عليه أو يقعد في بيت آخر قال يخرج قد خرج أبو أيوب وحذيفة وقد روى عن ابن مسعود قلت فترى ان يأمرهم قال نعم فيقول هذا لا يجوز قلت لابي عبد الله الرجل يكون في بيت فيه ديباج فيدعو ابنه الشيء قال لا يدخل عليه ولا يجلس معه قلت لابي عبد الله الرجل يدعى فيرى الكلة فكرهه وقال هو ربما لا يرد من حر ولا من برد قلت الرجل يدعى فيرى تصاوير قال لا ينظر اليه قلت فقد نظرت اليه قال ان أمكنك خلعه خلعته أبو صالح الفراء عن يوسف ابن أسباط قال قلت من أجيب قال لا تدخل على رجل اذا دخلت عليه أفسد عليك قلبك قد كان يكره الدخول على أهل البسط يعني الاغنياء المروزي قال سألت أبا عبد الله عن الستر يكتب عليه القرآن فكره ذلك وقال لا يكتب القرآن على شيء منصوب لا ستر ولا غيره قلت فالرجل يكترى البيت يرى فيه التصاوير ترى أن يحكه قال نعم قلت لابي عبد الله فاذا دخلت حماما فرأيت فيه صورة ترى أن أحك الرأس قال نعم * ذكر الورع في أشياء ابن عبد الخالق قال حدثنا أحمد بن الحجاج قال قلت لابي عبد الله ترى الرجل الوصي تسأله الصبية أن يشتري لها لعبة قال ان كانت صورة فلا وذكر فيه شيأ قلت أليس الصورة اذا كان يد أو رجل فقال عكرمة يقول كل شيء له رأس فهو صورة قال أبو عبد الله وقد يصيرون لها صدرا وعينا وأنفا قلت وأحب اليك أن تجتنب شراءها قال نعم سألت أبا عبد الله عن قبلة اليد فلم ير بها بأسا ان كان على التدين قال قد قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وان كان على طريق الدنيا فلا الرجل يخاف سيفه أو سوطه قال لى

الهوى على النفس ذلك فانه يؤثر ما يدفع ضرر الشهوة في الحال ويقدم العاجل على الآجل وان كان ذلك يجلب ضررا في الآجل فدأب الهوى أن لا ينظر في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر أكل الحلاوة والعبث في الشمس على أكل الهليلج والحجامة قال الله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وأيضا فان العقل يرى صاحبه ماله وما عليه والهوى لا يريه الا ماله دون ما عليه ويعميه عن رؤية العواقب وقال صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم

*(فصل)* في منازعة الهوى للعقل قال الله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال تعالى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال تعالى في مدح من عصى هواه وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى واعلم أن العقل والهوى كالمكين أحدهما يريد الفساد وهو الهوى والآخر يريد الخير والاصلاح وهو العقل وجنود العقل هي قواه من الفكر والحيل والحواس والاعضاء والجوارح رعيته وجنود الهوى هي الشهوات والغضب

*(فصل)* وأما النفس فهي تنقسم الى ثلاثة أقسام نفس أمارة ونفس لوامة ونفس مطمئنة والعداوة بينك وبين الامارة وهي التي تطيع الشيطان ويستولى عليها القوى الحيوانية وتتبع شهواتها ومراداتها قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء وقال صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله أي الجهاد أفضل ابو

أبو عبد الله قال لي سعيد الحاجب الا يقبل يدولي عهد المسلمين فقلت ٣ بيدي هكذا ولم أفعل ورو ينا عن
على بن ثابت قال سمعت سفيان يقول لا بأس بها للامام العادل وأ كرهه على الدنيا يعنى تقبيل اليد قلت لابي
عبد الله رجل يريد الخروج الى الثغر وقد سألني أسأل أبي عن هذا الطريق طريق الانبار يخيف فان عرض له
اللصوص ترى أن يقاتلهم قال ان طلبوا أشياء فاقاتلهم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل دون ماله
فهو شهيد قلت فان عرضوا الرفقة ترى أن يقاتلهم قال حتى ان يطلبوه ولم ير أن يقاتل عن الرفقة
بالسيف سئل أبو عبد الله عن الاسير يفر قال نعم اذا قدر على ذلك قلت لابي عبد الله ترى الرجل اذا جاءه
الرجل يسأله ترى أن يسأل له قوما قال لا ولكن يعرض كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه القوم
مجتابي النمار فقال تصدق رجل بكذا سمعت أبا عبد الله يقول عبد الوهاب أطيب طعمة من غيره يريد الوراقة
سمعت أبا عبد الله يقول كان يحيى بن يحيى أوصى الى بجبته فجاءني ابنه فقال لي فقلت رجل صالح قد أطاع
الله تبارك وتعالى فيها أتبرك بها * حدثت عن بعض العلماء ان يحيى بن يحيى قال لله امرأته تشرب به دواء
لوقت فترددت في الدار فقال ما أدرى ما هذه المسألة أما الحاسب طبى منذ أربعين سنة حدثت عن موسى بن
عبد الرحمن بن مهدى قال لما قبض عمى أغمى على أبي فلما أفاق قال البساط نحوه أدرجوه لهذا الورثة ابن أبي
خالد قال كنت مع أبي العباس الخطاب وقد جاء يعزى رجلا ماتت امرأته وفي البيت بساط فقام أبو العباس
على باب البيت فقال أيها الرجل معك وارث غيرك قال نعم قال فعودتك على ملا ءتك فنحى الرجل عن البساط
وحدثت عن ابن الضحاك صاحب بشر بن الحرث قال كان يحيى مال أخته حين مات زوجها فبيت عندها
فجيء معه بشئ يقعد عليه ولم يران يقعد على ما خلف من غلة الورثة ابن عبد الخالق عن المروزي قال سألت
أبا عبد الله عن بوارى المسجد اذا فضل منه الشئ أو الخشبة قال يتصدق به سألته عن الجص والآجر يفضل
من المسجد قال يصير في مثله قلت لابي عبد الله انى أ كون في المسجد في شهر رمضان فيجاء بالعود من الموضع
الذى يكره فقال وهل يراد من العود الا ريحه فان خشيت ريحه فاخرج روينا من أبي عوانة عن عبد الله
ابن راشد قال أتيت عمر بن عبد العزيز بالطيب الذى كان في بيت المال فامسك على انفه وقال انما ينتفع
بريحه عبد العزيز بن أبي سلمة قال حدثنا اسماعيل بن محمد قال قدم على عمر رضى الله عنه مسك من البحرين
فقال والله لوددت انى أجد امرأة حسنة الوزن تزن لى هذا الطيب حتى أفرقه بين المسلمين فقالت امرأته
عاتكة بنت عمرو بن نفيل انى جيدة الوزن فهلم أزن لك قال لا قلت ولم قال انى أخشى ان تأخذيه هكذا وأدخل
أصابعه في صدغيه وتمسحين عنقك فاصيب فضلا عن المسلمين وسليمان التيمى قال حدثتني نعيم عن العطارة
قال كان عمر يدفع الى امرأته طيبا من طيب المسلمين قال فتبيعه امرأته فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد
وتنقص وتكسره باسنانها فيعلق باصبعها شئ منه فقالت به هكذا باصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر
فقال ما هذه الريح فاخبرته بالذى كان فقال طيب المسلمين تأخذينه أنت فتطيبين به فانتزع الخمار من
رأسها وأخذ جرا من ماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب عليه الماء ثم يدلكه في
التراب ثم يشمه ففعل ما شاء الله قالت العطارة ثم أتيتها مرة أخرى فلما علق باصبعها منه شئ عمدت
فادخلت أصبعها في فيها ثم مسحت باصبعها التراب * أبو بكر المروزى قال قلت لابي عبد الله يحضر يوم الجمعة
يوم بارد ترى ان يسخن الماء من الموضع الذى أ كره قال لا ترك الغسل أحب الى من هذا سمعت أبا عبد الله
ينكر على أبي ثور قوله ولذا أجمع الاطباء ان شفاء الرجل في الخمر انه ليس به بأس فانكر انكارا شديدا عليه
وقال لقد كرهت ان يداوى الدبر بالخمر فكيف يشربه وتكلم بكلام غليظ * حدثت عن شعيب بن حرب قال
لان أرى ابنى يسرق أو يزنى أحب الى من ان يأتى عليه وقت لا يعرف الله تبارك وتعالى فيه محمد بن أبي

قال جهاد المرء نفسه ومجاهدة النفس أمر بمعروف ونهى عن منكر وأما اللوامة والمطمئنة فسيأتي ذكرهما واعلم أن النفس في اصطلاح
الصوفية تطلق ويراد بها القوى الحيوانية الجامعة لصفات المذمومة المضادة القوى العقلية والبه أشار بقوله صلى الله عليه وسلم
أعدى عدوك نفسك التي
بين جنبيك وهي التي أمر
الشرع بمجاهدتها وتطلق
أيضا ويراد بها عندهم
حقيقة الانسان وهو
الجوهر الذي هو محل
المعقولات وهو من عالم
الملكوت ومن عالم
الغيب ومن عالم الامر ثم
تختلف أسماؤها باختلاف
أحوالها العارضة عليها
فان اتجهت الى جهة الصواب
ونزلت عليها السكينة
الالهية وتوارت عليها نفحات
الجود والخير من قبل الله
واطمأنت الى معرفة الله
تعالى وطاعته وهي النفس
المطمئنة قال الله تعالى
يا أيتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية
مرضية فادخلي في عبادي
وادخلي جنتي وان كانت
مع قواها وجنودها في
تشاجر ومحاربة وقتال وكان
الحرب بينهما سجالا فتارة
لها اليد على القوى وتارة
للقوى اليد عليها فلا يكون
حالها مستقيما فتارة تنزع
الى جناب الحق فتقبل
أوامر الله تعالى ونواهيه
وتخاف سطوته وتستحيي
من جوده واحسانه وجلاله
وعظمته وتثبت على
الطاعات وتارة يستولى
عليها القوى فتهبط الى حضيض منازل البهائم وهذه هي النفس اللوامة وهي حالة كثير من الخلق
وقد تقدم ان التي تطيع الشيطان وتستولى عليها القوى الحيوانية وتتبع هواها وشهواتها هي النفس الامارة بالسوء وصاحب هذه النفس

داود الانباري قال قلت لابي أسامة أجيب وليمة فيها نبيذ قال لا قلت أخاف الحديث الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يجب فقد عصى فقال من لم يجب اليوم فقد أطاع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هرون بن معروف قال جاءني فتى فقال ان أبي حلف علي بالطلاق أن أشرب دواء مع مسكر فذهبت به الى أبي عبد الله فلم يرخص له وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وكل مسكر خمر المروزي قال سألت أبا عبد الله عن نعال الملحم فقال ما كان للرجال فلا وما كان للنساء فليس به باس وسألته عن خياط للنساء عن الزيقات العراض فقال ان كان شيء عرض فاكرهه هو محدث وان كان شيء وسط لم ير به بأسا وكره ان يصير المرأة مثل جيب الرجال وقطع أبو عبد الله لابنته قميصا وأنا حاضر فقال للخياط صير جيبها من قدام وقطع أبو عبد الله لابنته قميصا وأنا حاضر فقال للخياط صير زيقها دقاقا وكره ان يصير بعرضا وقطعت لابي عبد الله جبة وصيرت زيقها دقيقا فقلت لابي عبد الله هل أدركت أحدا من المشايخ كان له زيق عريض قال لا وكنت يوما عند أبي عبد الله فمرت جارية عليها قباء فتكلم بشيء فقلت تكرهه قال كيف لا أكرهه جدا لعن الرسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهات من النساء بالرجال ورويناه عن عبد الصمد قال دعا زيد بن هرون خياطا من النساك فقال اقطع لهذه الجارية قباء فوضع الخياط المقراض من يده وقال يا أبا خالد قباء فضحك يزيد المروزي قال ذكر لابي عبد الله رجل من المحدثين فقال انما أنكرت عليه ان لبس زيه زي النساك سألت أبا عبد الله عن الرجل يلبس النعل السبتي فقال أما أنا فلا استعملها ولكن اذا كان للمخرج أو الطين فارجو وأما من أراد الزينة فلا ورأى نعلا سنديا على باب المخرج فسأل لمن هي فاخبرته قال يتشبه باولاد لوط يعني صاحبها سألت أبا عبد الله قلت أمروني في المنزل ان اشتري نعلا سنديا للصبية قال لا تشتر قلت تكرهه للصبيان والنساء قال نعم أكرهه زياد بن أيوب قال كنت عند سعيد بن عياض فاتاه صبي ابن ابنته وفي رجله نعل سندي فقال من ألبسك هذا قال أمي قال اذهب الى أمك تنزعها المروزي قال سألت أبا عبد الله عن المرأة تلبس المقطوع الاحمر فكرهه كراهة شديدة وقال أما ان تريد الزينة فلا قال يقال أول من لبس الثياب الحمر آل قارون ثم خرج على قومه في زينته قال في ثياب حمر مجاهد عن عبد الله بن عمر قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل وعليه ثوبان أحمران فسلم فلم يرد عليه المروزي قال رأى أبو عبد الله بطانة جبتي حمراء فقال لم صبغتها حمراء قلت الرقاع التي فيها قال وايش تبالي ان يكون فيها رقاع قلت تكرهه قال نعم وأمرني ان اشتري له تكة فقال لا يكون فيها حمرة قلت تكرهه قال نعم قلت لابي عبد الله الثوب الاحمر تغطى به الجنازة فكرهه قلت ترى ان أجذبه قال نعم وأمروني في منزل أبي عبد الله ان اشتري لهم ثوبا عليه كتاب فقال قل لهم ان أردتم ان اشتريه وأقلع الكتاب قلت هم اغمار يدون الكتاب قال لا تشتره وأخبرتني المرأة قالت نهاني أبو عبد الله عن النقش في الخضاب وقال أغمسي اليد كلها وسمعت أبا عبد الله وذكر المختضبة فقال قالت عائشة اسلبيه وأدغميه سليمان التيمي عن أبي عثمان قال أرسلت أم الفضل ابنة غيلان الى انس تسأله عن القلادة في عنق المرأة وعن الخضاب قال يستحب للمرأة ان تعلق في عنقها شيئا في الصلاة ولو سيرا وقال في الخضاب امرها ان تغمس يدها كلها المروزي قال سألت أبا عبد الله عن الرجل يجصص فقال أما أرض البيوت فتوقيهم من التراب وكره تجصيص الحيطان وذكرت لابي عبد الله مسجدا قد بني وانفق عليه مالا كثيرا فاسترجع وأنكر ما قلت وقال قد سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى قال أبو عبد الله انما هو شيء من الكحل يطلى فلم يرخص النبي صلى الله عليه وسلم * حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال حدثنا أبو بكر المروزي قال قلت لابي عبد الله لا يبيع حاضر لباد كيف هو فقال حدثنا سفيان قال حدثنا أبو الزبير قال

هو شيطان الانس وهذه حالة أكثر الخلق فكلهم الا القليل فيهم حيز وكلابية نلبيه وقد أشار القرآن العظيم والذكر الحكيم الى هذه المراتب الثلاثة بقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فنفس الظالم هي النفس الامارة بالسوء ونفس المقتصد هي النفس اللوامة ونفس السابق بالخيرات هي النفس المطمئنة

*(فصل)* واعلم انه يجب على الانسان أن يهتم بأمر النفس فيتوقى آفاتها ويسعى في اصلاحها وتطهيرها وتهذيبها ورياضتها ويسعى في دفع مكايد العدو وبصرف النفس من التعلق بالشهوات والتجنب عن فتنة الدنيا والعلم باحكام هذه الاشياء وهو المسمى بعلم الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا وهو من العلم الذي هو فريضة على كل مسلم فاذا قهر العبد نفسه وحفظ جوارحه عما منع الله تعالى وضبط النفس عن الاسترسال في الشهوات وداوم على ذلك وكابد نفسه عليه صار له ذلك ملكة وسهل عليه حينئذ ردها وردعها اذا أجمحت الى الانحراف من طريق الصواب كما في الدابة ورياضتها واذا انتهى العبد الى هذه الغاية أمكنه مراقبة الخواطر وتطهير السرائر وذلك لما بين الظاهر والباطن من الارتباط والاتصال وسريان حكم أحدهما الى الآخر وأكثر الاحوال فصفت له الخواطر وظهرت له السرائر *(فصل)* وأما الروح فمتعلق ببراديم البخار اللطيف الذي يبعثه من منبع القلب ويتصاعد الى الدماغ الى جميع أجزاء البدن بواسطة العروق فيعمل في كل عضو بحسب ما يقتضيه مزاج ذلك العضو

سمعت جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبيع حاضر لباد دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض قال والبادي الاعرابي وانت حاضر ويجيء الاعرابي وهو لا يعرف السعر فتقوم انت وقد عرفت السعر فتبيع له بما تعرف فهو الذي نهي عنه قلت لابي عبد الله فتشتري له اذا جاء لانه لو ترك لاشترى منهم الغالي بمنزلته اذا جاء فباع منهم الرخيص فقال ليس هذا لو كان هذا لمكنا ما اشترى الناس ولا باعوا انما عليه لا يبيع له ولم ير بأسا ان يشتري له قلت لابي عبد الله ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا شرطين في بيع قال قول الرجل أبيعك أمتي هذه على انك اذا بعتها فانا أحق بها سئل أبو عبد الله عن ربح ما لم يضمن قال الرجل يبيع الطعام قبل ان يقبضه قيل لابي عبد الله الرجل يشتري الطعام صبرة ترى له ان يبيعه قبل ان يكيله فقال لا سئل عن بيع المباطخ فقال بجنية يوم بيوم قلت لابي عبد الله يكون في سقف البيت الذهب يجانب صاحبه قال نعم هذا يكره وذهب الى ان يحك قلت لابي عبد الله الرجل يكون له القرابة سكران يجفى قال أي شيء يبقى اذا سكر نعم يجفى أو يجانب سألته عن المسكر يراد على شرب الخمر فقال يروى عن عمر رضي الله عنه في شرب الخمر الا انه لا يفعل حتى ينال بعذاب قلت فان أمر ان يقتل قال أما القتل فلا يكون عند الله المقتول قلت لابي عبد الله الرجل يبيع داره من نصراني قال لا ليس يكفر فيها وذكر المحاريب التي فيها قال لي أبو عبد الله أي شيء قال لك عبد الوهاب في خروجي الى مكة قلت قال لما أرى لك ان تخرج انت ههنا بالقرب ليس تسلم فكيف ان تباعدت قال أشار علي رجل صالح ان لا أخرج أخبره اني قد قبلت ما أشرت به علي وقد كان اشترينا بعض حوائجه سألت أبا عبد الله عن رجل لبى بالحج وليس عنده شيء وعليه دين قال لا يجوز حتى يستأذن أصحاب الدين ثم قال قد أوجب على نفسه الحج سألت أبا عبد الله عن رجل له أم ضريرة وله مال يحج عنها فقال يحج عنها اذا لم تقدر على الركوب وقال يعجبني ان لا يحج الا من قرابة قلت لابي عبد الله اني دخلت أغسل رجلا من أصحابنا فاذا قد دخل علينا رجل من أهل الخلاف قد جئت له فقال لي قد وقفت حيث ثبت وغسلته لو خرجت كنت لا تأمن ان يجيء رجل من أصحابنا فيتولاه سألت أبا عبد الله عن رجل مات وترك كتبا وله ورثة قال تدفن فان كانوا صبيانا صغارا قال يدفنها الوصي عليهم سمعت أبا عبد الله يقول حكم الختنين ان يغضوا سئل أبو عبد الله عن المرأة اذا كانت موسرة وزوجها غائب هل تحج قال تكتب اليه فان أذن والا خرجت مع ذي محرم قيل فان كان شاهدا يمنعها تخرج من غير علمه مع محرمها قال نعم ليس له ان يمنعها قال ولا تخرج مع غيره فان كان أخوها من الرضاعة فخرجت قيل لابي عبد الله الرجل يستأجر الدار والحانوت فيؤاجره بأكثر مما استأجره قال فيه اختلاف ولم يعجبه قيل له رجل له شجر في أرضه وأغصانها في أرض غيره قال يقطع أغصانها قيل له فان صالحه على ان تكون الغلة بينهم قال لا أدري سمعت أبا عبد الله يقول في المحرم اذا اضطر الى الصيد قال يأكل الميتة وقال اذهب الى الميتة الى حديث ابن حكيم أتانا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر لا تنتفعوا من الميتة بشيء سألت أبا عبد الله عن محرم ذبح صيدا يؤكل قال لا هذا ليس بذكاة هذا لا يؤكل قلت فالرجل يقلع ضرسه ثم يرده الى موضعه فمكث ثلاثا ثم يقلعه ايش تقول فيه فان الشافعي قال يعيد الصلاة لانه صلى في ميتة قال لا تعجل علي ثم سكت ساعة ثم قال ما أبعدما قال بلى لو أخذ من شاة مما يؤكل لحمه فوضعه لم يكن به بأس وذكر في هذا أحب الي ان يعيد ما صلى سألت أبا عبد الله يباع الغزل في الظلمة ولعلها ميتة قال ان علم فلا قلت لعله يخصف به الخف أو النعل فقال اذا كان من حمار فأكرهه قلت فاي شيء ترى قال ما لا تعلم فلا تريد ان تبحث قلت له تنور شوي فيه خنزير ترى ان يخبز فيه قال لا حتى يغسل ويقلع ما فيه قلت فيكسر قال لا سألته عن البرداس بالجير فيبال فيه ثم يطين قبل ان يغسل قال لا يؤكل قلت لابي عبد الله ان رجلا قال من كان له امرأة يسكن اليها وخبز يأكله فهو من المتنعمين

واستعداده وهو منبع الحياة وهذا البخار كالسراج في البيت ويطلق ويراد به الملك المنزل بالوحي على الانبياء والصوفية اذا أطلقوا لفظ الروح والنفس والعقل يريدون به النفس الانسانية التي هي محل التعقل

*(فصل)* وأما القلب فهو يطلق ويراد به الشكل الصنوبري وهو محل الدم الاسود ومنبع البخار الساري الى الدماغ منه في العروق والاعصاب والشرايين ثم منها الى جميع أجزاء البدن وهو الروح الحيواني وهذا يكون لجميع الحيوانات وهذا الذي يفنى بالموت وتفنى جميع الحواس لفنائه وهو الروح عند الاطباء والثاني وهو الذي نحن بصدده فانه يطلق ويراد به الروح الانساني المتحمل لامانة الله تعالى المتحلي بالمعرفة والايمان المركوز فيه العلم بالفطرة وهو الذي عناه الله تعالى بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وحيث ورد ذكر القلب فهذا هو المراد به لا الشكل الصنوبري وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين داعيين في العبد مخلوقين لله تعالى وحيث ذكر الشكل الصنوبري كما في قوله صلى الله عليه وسلم ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب فالمراد ما يلازمه وهو اللطيفة المذكورة ويكون الاطلاق مجازا من باب اطلاق اسم الملزوم وارادة اللازم

*(فصل)* واعلم ان القلب يأتي فيه ما تجلبه الحواس وقد شبه بعضهم القلب مع الحواس بحوض ينصب اليه الماء من خمسة أنهار فاذا كانت الانهار بحيث تجري منها المياه الكدرة والنجاسات القذرة فأي صفاء يكون في الحوض

قال أبو عبد الله صدق سمعت أبا عبد الله وذكر المطاعم ففضل عمل اليد ثم قلت له ان عبد الوهاب قال فقال
لابي عبد الله يخاف علي من أمر الحديث ان امتنعت شيء قال وأي شيء يمنعه من الحديث قال الكسب
والمعاش قال هذا أوجب عليه يعني الكسب قال المروذي سمعت بعض أصحابنا يقول رأيت أبا عبد الله في
الجمعة وسائل يسأل فاعطى رجل ليس قطعة ليدفعها الى السائل فأخذها فدفعها اليه قلت لابي عبد الله اذا
كان لي جار أعلم انه يجوع قال تواسيه قلت فاذا كان قوتي رغيفين قال تطعمه شيئا الذي جاء في الحديث
انما هو في الجار وقلت لابي عبد الله اذا كان للرجل قميصان أو جبتان تجب عليه المواساة قال اذا كان يحتاج
اليه في هذا البرد الا ان يكون يفضل فان الاغنياء تجب عليهم المواساة فقال اذا كان قوم يضعون شيئا على شيء
كيف لا يجب عليهم قال المروذي سمعت يحيى الجلاء وأبا طالب صاحبنا قالا سمعنا يزيد بن هرون وسئل عن
انفاق المكحلة قال حرام لا يصلح قيل له فان تراضيا أبا خالد قال الزانيان يتراضيان الحلال هو قال قال وسمعت
عبد الوهاب يقول قال أبو اسامة تقطع الايدي في المكحلة يعني الذي يعملها قلت لابي عبد الله أقرضت رجلا
عشرة دراهم فردها علي مكحلة فقبضت درهما قال لم تستوف حقك قلت له الرجل يدفع الى الدنانير فتكون
مكحلة أمسكها قال حكها سلاح لصاحبها قال المروذي سمعت يحيى الجلاء يذكر عن شعيب بن حرب قال لان
أرى ابني يحك درهما أحب الي من ان أحمل على فرس في سبيل الله عز وجل قال ودفع الي أبو عبد الله دينارا
وقال صرفه بدراهم صحاح فجئت بالدراهم فاعطيته فلما كان بعد ذلك اليوم خرج في تلك الدراهم درهم ردي
قلت فهات حتى أبدله فقال قد اختلفوا فيه وفيه أربعة أقاويل ثم قال قال مالك الصرف منتقض وأما
الثوري فيقول ما نقص من الدراهم فتكون له حصته من الدنانير وهذا أقول ما أدري ما هو قلت الى ما تذهب
قال أرجو أن لا يكون به بأس وأما ابن عمر فيقول ليس له ان يرد قال أبو عبد الله وليس هو بذلك وأمر جل
مجهول وأما قتادة فيقول له ان يرده ثم قال قول قتادة أوسع على الناس استغفر الله عز وجل ورده فدفعه الي
فابدلته عن المغيرة عن ابراهيم انه كره ان يشتري الدراهم بدينار على ان كان فيها زيف رده وعن وكيع عن
سفيان عن رجل عن الحسن في الرجل يصرف الدينار فيعطى الدرهم الزيف قال لا بأس ان يستبدله قال
سفيان اذا كان ستوقا رده ويكون شريكه في الدينار بحصته وسئل محمد بن جعفر عن رجل ابتاع دراهم بدنانير
وشرط على صاحبها انه ما رد فعليه ان يبدله قال أخبرنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال ان كان فيها زيف رده
ولكن لا يشترطان سئل أبو عبد الله عن الرجل يستأجر يكتب الورق المائة بعشرة دراهم فيدفع اليه دينارا
فقال ابن عمر قد اكترى شيئا فاعطاه دنانير وصارف ولم ير به بأسا قال ولا يعطى الدنانير من الدراهم الا بسعر
يومها ولا زيادة اني سألت أبا عبد الله عن حلق القفا فقال هو من فعال المجوس قال ودعي حذيفة الى شيء
فرأى شيئا من زي الاعاجم فخرج وقال من تشبه بقوم فهو منهم وكان أبو عبد الله لا يحلق قفاه الا في وقت
الحجامة قلت لابي عبد الله فما ترى في تحذيف الوجه قال أما الوجه فالمقاريض تأتي عليه وكره ان يؤخذ الشعر
بالمناقش من الوجه وقال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتنمصات سألت أبا عبد الله عن المرأة تصل شعرها
بقرامل فكرهه وسمعت امرأة تقول جاءت امرأة من هؤلاء الذين يمشطون الى أبي عبد الله فقالت اني أصل
رأس المرأة بقرامل وأمشطها فترى أن أحج مما كسبت قال لا وكره كسبه لنهي النبي صلى الله عليه وسلم
وقال يكون من مال أطيب منه قلت لابي عبد الله فالمرأة الكبيرة تصل رأسها بقرامل فلم يرخص لها وقال ان
كان صوفا أبيض وتبسم ودخلت على أبي عبد الله فرأيت امرأة تمشط صبية له فقلت للماشطة بعد ان وصلت
رأسها بقرمل فقال لم تتركي الصبية قالت ان أبي نهاني وقالت تغضب روينا عن ابن جريج قال أخبرني
أبو الزبير عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم زجر أن تصل المرأة برأسها شيئا قال أبو بكر سألت أبا عبد الله عن

ويعلم من هذا الفرق بين الظاهر والباطن من الارتباط وان الاعمال ما يخفى سريان حكم كل منهما الى الآخر * (فصل) * في ذكر أعمال
القلب من مبدأ ظهورها الى أن تظهر على الجوارح قال أهل البصائر أول ما يرد على القلب الخاطر فيخطر بباله الشيء ثم تهيج
رغبته اليه وهذا يتولد عن الخاطر ويسمى ميل الطبع ويسمى الاول وهو الخاطر حديث النفس ثم يحكم القلب بأن هذا ينبغي ان يفعل وهذا يتبع الذي قبله ثم يعزم على الفعل فهذه أربعة أحوال قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم العزم فنقول الخاطر لا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن أمتي ما حدثت به أنفسها والثالث هو الاعتقاد وهو حكم القلب بأنه ينبغي ان يفعل فهذا يؤاخذ به اذا كان اختياريا والا فلا يؤاخذ به وأما العزم على الفعل فانه يؤاخذ به قال النبي صلى الله عليه وسلم في المتقاتلين ان المقتول لمن أهل النار لانه كان حريصا على قتل صاحبه وهذا نص في أنه من أهل النار بمجرد العزم قال الله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد أي القلب كل أولئك كان عنه مسؤلا أي اذا كان اختياريا

* (فصل) * وأما الخواطر فقال السادة الاعلام الخواطر عبارة عما يعرض في القلب
من الاذكار والافكار وعنوا به ادراكا له اما على سبيل التجدد أو على سبيل التذكر وسميت هذه الادراكات والعلوم حلق
خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور

حلق الرأس فكرهه قلت تكرهه قال أشد الكراهية ثم قال كان معمر يكره الحلق واحتج أبو عبد الله بحديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال لرجل لو وجدتك محلوقا لضربت الذي فيه عيناك قال أبو بكر ورأيت رجلا من أصحابنا صلى الى جانب أبي عبد الله وقد كان استأصل شعره وظن أبو عبد الله انه محلوق وكان رآه بالليل فقال لي تعرفه قلت نعم قال أردت أن أغلظ له في حلق رأسه سألت أبا عبد الله عن الحقنة فقال اذا اضطر اليها فلا بأس ورأيت أبا عبد الله التي تلثمائة درهم في الطست وسمعته يقول الجوز اذا لعب به الصبيان ما يعجبني أن يؤكل لأنه من سوء القمار تفترش فقال لا تفترش نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تفترش وذكرت لأبي عبد الله أن رجلا خلف متاعا عند غلامه فباع ثوبا ممن يكره ناحيته فأخذ الدراهم فألقاها في كيسه فجاء الرجل فأخبره فأخذ الكيس وانطلق به الى يوسف بن اسباط فأخبره فذكر له يوسف عن الثوري وابن المبارك ما أجد قلبي يسكن الا أن أتصدق بالكيس فقال أبو عبد الله بارك الله فيه سئل أبو عبد الله عن الرجل يكون محتاجا فيعينه الرجل من اخوانه بشيء يخاف عليه أن لم يقبله فقال ان أتاه من غير مسئلة ولا استشراف نفس أخاف أن يضيق عليه ان لم يقبل قال وجئته بحمال دقيق فقال أعطيته الكراء قلت نعم فأخرج رغيفا الى أعطاه فدفعته اليه فقال وعلك ما أعلم اني قبلت من أحد شيئا ولكن لا أرد على أبي عبد الله أتبرك به وجئته به مرة أخرى فأخرج اليه رغيفا فقال ان نفسي استشرفت اليه فتبسم أبو عبد الله وقال لك أن ترده نحب أن تقبل فقبله سألت أبا عبد الله من بيع المراوح الرقاق وربما باعوا المروحة بالدرهم أو أكثر فقال هي بمنزلة الثياب الرقاق قلت فأي شيء تقول فقال اذا باعها من تاجر فلا بأس قال سألت أبا عبد الله عن مصحف قد بلي ما ترى في دفنه قال يدفن قلت الرجل تدعوه أمه وهو في الصلاة قال قد روي عن ابن المنكدر انه قال اذا كان في التطوع فأجبها قلت لأبي عبد الله رجل سقطت منه ورقة فيها أحاديث وفوائد فأخذتها ان أنسخها وأسمعها قال لا الا أن يأذن صاحبها سألت أبا عبد الله عن شيء من أمر الورع فأطرق رأسه الى الارض وسكت وكان ربما تغير وجهه ولف بعض ما أسأله أستغفر الله قلت فأي شيء تقول يا أبا عبد الله قال أحب أن تعفيني قلت فاذا أعطيتك فمن أسأل لقد أصبح الادلاء متحيرين قال هذا أمر شديد وسمعته يقول أنا منذ أكثر من سبعين سنة في فقد وقال ما قل من الدنيا كان أقل للحساب قلت له ان رجلا قال ان أحمد بن حنبل وبشر بن الحرث ليس هما عندي زهادا أحدهما خبز يأكله وبشر له دراهم تجيئه من خراسان فتبسم أبو عبد الله ثم قال من الزهاد أنا وسمعته يقول وقع التيمي فضرب فيه فسطاطا أو خباء عشرين سنة وسمعته يقول وذكر قوما من المترفين فقال الدنو منهم فتنة والجلوس معهم فتنة قلت لأبي عبد الله ان مولى ابن المبارك حدثني ان سعيد بن عبد الغفار قال لابن المبارك ما تقول اذا نزل دارا من تكره ناحيته بأجر قال لا بأس بها قلت لأبي عبد الله فاذا أجاز الذي تكره ناحيته رجلا فاشترى دارا غلة ترى ان أنزلها بأجر قال لا قال أبو وهب قال أبو عبد الله يعني ابن المبارك في رجل يشتري جارية من رجل فاذا هي صانعة قال يردها على الذي كانت له ولا يردها على الذي اشتراها منه وهي صانعة وذكر عن سفيان عباس العنبري عن رجل قال كنت مع عبد الرحمن بن مهدي بعبادان وكان نغسل أيدينا من ماء السيل وكان هو لا يفعل يأمر غلامه فيجيء من ماء البحر عبد الصمد بن مقاتل قال كانوا يكتبون الكتاب ولا يتربونه من دور السيل يرسلون فيأخذون من طين البصر قال وكتب الينا ابن خشرم وكتب في كتابه ان بشرا كان لا يشرب بعبادان من الحياض التي اتخذها الملوك وكان يشرب من ماء البحر وروينا عن سعيد بن خثيم عن محمد بن خالد قال مر ابراهيم النخعي على امرأة يقال لها أم بكر من مراد وهي تغزل فقال يا أم بكر اما آن لك ان تتركيه فقالت يا أبا عمران كيف اتركه وقد سمعت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يقول انه من أطيب الكسب قلت لأبي عبد الله ان حسنا مولى

المنوي بالبال لا محالة قبل الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية تحرك الاعضاء والخواطر التي تحرك الرغبة ان كانت تدعو الى الخير وهو ما ينفع في الآخرة فانما تسمى الهاما وان كانت تدعو الى الشر وهو ما يضر في الآخرة فانها تسمى وسواسا وخاطر الخير سببه الملك وخاطر الشر سببه الشيطان واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي يتهيأ به لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا وقال الغزالي في بعض كتبه ان الله تعالى قد وكل بقلب العبد ملكا يدعوه الى الخير يقال له الملهم ودعوته الهام وسلط في مقابلته شيطانا يدعوه الى الشر يقال له الوسواس ودعوته وسوسة فالملك الملهم لا يدعو الا الى الخير والشيطان الموسوس لا يدعو الا الى الشر قال صلى الله عليه وسلم للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة يعني قوله لمة من قولهم لم بالمكان وألم به اذا نزل به ثم ركب الله تعالى في الانسان طبيعة مائلة الى الشهوة ونيل اللذة كيف كانت من حسن أو قبيح وذلك هو النفس الصارفة الى الآفات فهذه ثلاث دعاة للانسان الملك والنفس والشيطان ثم اعلم بعد ذلك ان الخواطر تحدث في قلب الانسان تبعثه على الافعال والتروك وتدعوه اليها وهي آثار تحصل في القلب بدعوة الملك ودعوة النفس الامارة ودعوة الشيطان وثم خاطر رابع ليس معلولا بشيء بل خلقه الله تعالى ابتداء في قلب العبد اما خيرا أو شرا اكراما وابتلاء ما بشرامنه اما قال الشيخ أبو القاسم الراغب أول ما يعرض في القلب السانح ثم الخاطر والى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان للشيطان لمة بابن ادم كالملك لمة فاما لمة الملك فوعد

ابن المبارك حكى عن سعيد بن عبد الغفار انه قال لابن المبارك ما تقول في رجلين دخلا على من تكره ناحيته فاجازهما فقبل واحد ولم يقبل الآخر فخرج الذي قبل فاشترى منه التي لم يقبل ما تقول فسكت ابن المبارك فقال له ابن سعيد ما سكتك لم لا تجيبني فقال لو علمت أن الجواب خير لي لاجبتك قال سعيد اليس أصلنا على الكراهة قال ابن المبارك نعم فقال أبو عبد الله ومن يقوى على هذا قال له فما تقول في رجل أجازه فاشترى دارا ترى أن أنزلها فسكت ابن المبارك فقال لم لا تجيبني فقال هذا أضيق أكره أن أجيبك فقلت له ان الثوري قال ما في أيدي الحشم سحت فأنكر ابو عبد الله ان عبد الوهاب قال في الرجل يجاز ثم يدفعها الى الآخر ان المال عنده شئ واحد فقال هذا أشد يدقلت اذا أعطى تكرهه للأول والثاني لا ترى به بأسا قال انما أكرهه الأول من طريق المحاباة والثاني ليس هو مثل محاباة الأول قال من أعطى هذا المال أو حوبي على اثره فليقبل وليفرق كما فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمر رضي الله عنه بمال الى أبي عبيدة ففرق وبعث مروان الى أبي هريرة ففرق وبعث الى ابن عمر ففرق وبعث الى عائشة رضي الله تعالى عنها ففرقت قلت فعلى اي وجه قبلها منهم ابن عمر فان قوما يحتجون يقولون لو لم يكن مباحا ما أخذ فانكر ذلك وقال انه لما رأى ان حوبي كره أن يرد اليهم وفرقه بالسوية قلت فان معاذا يروى عنه انه فضل عنده دينار فطلبت منه امرأته فأعطاها فقال كانت محتاجة اليه وقلت له أنت تقول من بلي من هذا المال بشئ فليعدل في تفريقه وعائشة رضي الله تعالى عنها لما شكا ابن المنكدر اليها قالت لو ان عندي عشرة آلاف لاعنتك فلما خرج أرسل اليها بعشرة آلاف فبعثت خلفه فاعطته فقالت انها كانت بليت بقولها ومع هذا فقد أخرجته وذكر من زهدها وورعها وقال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يسألونها مثل أبي موسى الاشعري وغيره ولم يكن في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثلها وانما كانت ابنة ثماني عشرة سنة ✱ أبو يحيى الناقد قال حدثنا أبو طالب قال قلت حدثوني عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن أبيه عن رجل من الانصار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اذن القلب فقال نعم هكذا قلت ما هذا الحديث قال نهى عن أكل أذن القلب قال لا يؤكل وعن عبد الله بن أحمد قال قلت لابي العدة فقال لا تؤكل النبي صلى الله عليه وسلم كرهها في حديث الاوزاعي عن واصل عن مجاهد وروينا عن عبد الله بن زيد عن أم سلمة سألها النبي صلى الله عليه وسلم عن أذن القلب فقالت القيته فقال طاب قدرك وهذا آخر كتاب المعاش وما اتصل به من الآثار في الورع والله تعالى أعلم

✱(الفصل الثامن والاربعون)✱ فيه كتاب تفصيل الحلال والحرام وما بينهما من الشبهات وفضل الحلال وذم الشبهة وذكر تمثيل الحلال والحرام وتمثيل ذلك بصور الالوان وتعريف ذلك العقول روينا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه أحد الا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره يعني والله أعلم انه يدخل عليه وان لم يعمل به من غير قصد له ولا اكتساب كما يدخل الغبار في المشام للعجز لفشو الربا وانتشاره لتحصله مما لا يمكن التحرز منه وفي الخبر درهم من ربا أعظم عند الله عز وجل من ثلاثين زنية في الاسلام وما تواعد الله عز وجل ولا تهدد في معصية مثل ما تواعد في أكل الربا فانه عز وجل عظم شأنه ووصفه عظيما عظماله وترهيبا منه فذكر في أوله المحاربة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وفي آخره الخلود في النار ينتظم ذلك في قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ثم اشترط للايمان ترك الربا بقوله ان وهي للشرط والجزاء ثم قال فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ثم أوجب التوبة منه بعد اعلامه الظلم منه فقال وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ثم نص على تحريمه في قوله وأحل الله البيع وحرم الربا ثم تواعد بالخلود بعد ذلك كله فقال ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وهذا من شديد الخطاب وعظيم العذاب وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه

بالحق وأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ثم بعد الخاطر الارادة والارادة هي الهمة وهي علة العزم والسالف والخاطر يعبر عنهما بالهاجس فحق على الانسان اذا خطر له خاطران يستبين فما كان من الله خيرا بادر فيه حتى يعمله فلا فوات وما وجده شرا بادر الى خلعه وقمعه قبل ان يصير ارادة بالاستعاذة بالله تعالى قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال بعض الاكابر ان تداركت الخطرة واضمحلت والا صارت شهوة وان تداركت الشهوة بلاء بت والا صارت طلبا فان تداركت الطلب والا صار عملا ✱(فصل)✱ في أمور تتعلق بفصول الباب وهي التوفيق والخذلان والهدى والضلال والرشد والغي فالتوفيق ان يريد العبد ويفعل ما طلبه الله تعالى منه ورضي به من الافعال الجميلة والطاعات التي هي سبب السعادة والشقاوة والخير والخذلان ان يريد ويفعل ما نهي به عليه من المعاصي التي هي سبب الشقاوة وأما الهدى فهو تعريف طريق الخير والهامه ذلك والضلال هو عماية عن طريق الله وسلوك طريق الشيطان والفرق بين التوفيق والهداية هو ان التوفيق قصد وارادة والهداية معرفة وعلم وأما الرشد فعناية الهية تعين الانسان عند توجهه الى الاعمال فتقربه بما فيه صلاحه عن والغي ان لا تعمه هذه العناية ✱(الباب الثالث في معنى الولاية والولي وكرامات الاولياء وما يتبع ذلك)✱ ✱(فصل)✱ فالولي هو من توالت طاعته لله

عن النبي صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فسوى بينه وبين العلم في الفرض فأوجب الطلب لهما فقال فرض طلب الحلال فلا كل مثل طلب العلم لجاهل والفرائض اذا شرعت ثبتت الى يوم القيامة فاذا أمر بطلبها دل على وجودها لانه لا يؤمر بطلب مفترض علينا يكون معدوما فالحلال موجود من حيث افترض علينا وأمرنا بطلبه ولكن طريقه ضيق ووجوهه غامضة والسبب اليه فيه مشقة والحاصل منه فيه خشونة وقلة ومع ذلك فان المعاون عليه قليل والطالب غريب وهذه أسباب تكرهها النفوس وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم ثم ان الفرائض لها علوم وأحكام فمن لم يعرف علومها ولم يقم بأحكامها فكأنه لم يعلها وكان عمر رضي الله عنه يضرب أهل السوق بالدرة يقول لا يتجر في سوقنا الا من تفقه والا أكل الربا وكان بعض العلماء يقول تفقه ثم ادخل السوق فبع واشتر وتأول معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال هو طلب علم الحلال والحرام والبيع والشراء اذا أراد الانسان ان يدخل فيه افترض عليه علمه وفي الخبر من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله عز وجل ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء ويقال ان أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنوبه ومن أقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر في الشتاء اذا يبس وكان بعض العلماء يقول لبعض المجاهدين أين أنت من عمل الابطال كسب الحلال والنفقة على العيال وقد كان شعيب بن حرب وغيره يقول لا تحقرن أن تقيم حلالا تكسبه تنفقه على نفسك وعيالك أو أخ من اخوانك فلعله لا يصل الى جوفك أو لا يصل الى ضميرك حتى يغفر لك وفي الخبر من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفي بعض الروايات زهده الله في الدنيا ويقال من أكل حلالا وعمل في سنة فهو من ابدال هذه الامة وقد كان سهل يقول لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يأكل الحلال بالورع وروينا عن ابراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض رضي الله عنهما لم ينبل من نبل بالحج ولا بالجهاد ولا بالصوم ولا بالصلاة وانما ينبل عندنا من كان يعقل ما يدخل جوفه يعني الرغيف من حله وقال يوسف بن اسباط لشعيب بن حرب أشعرت ان الصلاة جماعة سنة وان كسب الحلال فريضة قال نعم وسأل رجل ابراهيم بن أدهم قال انا رجل أتكسب في السوق فاذا عملت فاتتني الصلاة في جماعة فأيما أحب اليك أصلي في جماعة أو أكتسب فقال اكتسب من حلال وأنت في جماعة وقد كان ابراهيم بن أدهم يعمل هو واخوانه في الحصاد في شهر رمضان فكان يقول لهم انصرفوا في عملكم بالنهار حتى تأكلوا حلالا ولا تصلوا بالليل فان لكم ثواب الصلاة في جماعة وأجر المصلين بالليل وقال بعض السلف أفضل الاشياء ثلاث عمل في سنة ودرهم حلال وصلاة في جماعة وكان سهل رحمه الله يقول لا يبلغ العبد حقيقة هذا الامر حتى يؤدي هذه الاربع اداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي في الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الممات وقال من لم يكن مطعمه من حلال لم يكشف الحجاب عن قلبه ولم ترفع العقوبة عن قلبه ولم يبال بصلاته وصيامه الا أن يعفو الله عز وجل عنه وقال من اختار ان يرى خوف الله في قلبه ويكاشف بآيات الصديقين لا يأكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة أو ضرورة وكان يقول انما حرموا مشاهدة الملكوت وحجبوا عن الوصول بشيئين سوء الطعمة وأذى الخلق وكان يقول بعد سنة ثلاثمائة لا تصح لاحد توبة قيل ولم قال يفسد الخبز وهم لا يصبرون عنه وقد روى مرة الطيب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم جسم غذي بحرام لا يدخل الجنة النار أولى به وفي الخبر انه أكل من كسب غلامه ثم سأله عنه فقال الرقيت لقوم فأعطوني وفي لفظ آخر تكهنت لهم فادخل يده في فيه وجعل يتقيأ حتى استقاءه عن آخر لقمة ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وقد روى ان رسول الله صلى الله

تعالى من غير تخلل معصية وقيل الولي هو الذي تولى الحق سبحانه وتعالى حفظه وحراسته عن المعاصي والمخالفات قال الله تعالى وهو يتولى الصالحين وعلى هذين التفسيرين فالولي محفوظ من المعاصي لا على سبيل الوجوب بلان الحفظ منها على سبيل الوجوب بعصمة وذلك مخصوص بالانبياء عليهم السلام وتكلموا في أنه هل تجوز رؤية الاولياء لله تعالى بالابصار في الدنيا على جهة الكرامة أم لا فالاظهر ان ذلك غير جائز في الدنيا لحصول الاجماع عليه وفي دعوى الاجماع على منع ذلك منازعة فان الخلاف في ذلك ثابت والجواز منقول عن كثير من المتكلمين وحكى الشيخ أبو الحسن في ذلك قولين ذكرهما في كتاب الرؤية الكبير وتكلموا فيه انه هل يجوز أن يكون الانسان وليا لله تعالى ثم تتغير عاقبته فقال قوم ان ذلك لا يجوز وهؤلاء هم الذين قالوا شرط الولاية حسن الموافاة وجوز قوم ان يكون وليا لله تعالى ثم يتغير حاله بعد ذلك

(فصل) ظهور الكرامات على الاولياء جائز والكرامات فعل ناقض للعادة في أيام التكليف ظاهر على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله من كونه وليا لله تعالى والكرامة يجب على الولي سترها واخفاؤها خوفا من الفتنة والمعجزة يجب على النبي اظهارها لاجل تصديق الخلق والمعجزة يعلم النبي كونها معجزة ويقطع بها بخلاف الولي فانه لا يقطع بكونها كرامة لجواز أن يكون مكرا وهل يجوز أن يعلم الولي أنه من أهل الجنة وأن الله لا يعذبه فقال قوم ان ذلك جائز بدليل ان العشرة علموا باخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنهم من أهل الجنة وكذلك عكاشة وغيرهم وقال آخرون ان ذلك لا يجوز لانه يخرجهم عن

عليه وسلم أخبر بذلك فقال أو ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وفي الطبراني سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعله الله مستجاب الدعوة فقال يا سعد أطب طعمتك تستجب دعوتك وقال العلماء الدعاء محجوب عن السماء بفساد الطعمة ويقال ان الله لا يستجيب دعاء عبد حتى يصلح طعمته ويرضى عمله وقال جماعة من السلف الجهاد عشرة أجزاء تسعة في طلب الحلال وقال الفضيل بن فضيل لابيه يا أبت ان الحلال عزيز فقال يا بني انه وان عز فقليله عند الله كثير يقال ان من صلى وفي جوفه طعام حرام أو على ظهره سلك من حرام لم تقبل صلاته وقال بعض السلف يا مسكين اذا اصبحت فانظر عند من تفطر وطعام من تأكل فان العبد ليأكل الا كلة فيتقلب قلبه وينغل كما ينغل الاديم فلا يعود الى حاله أبدا وهذا أحد التأويلين في قوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش قال هو الذي يصوم ويفطر على الحرام وفي الخبر من طلب الدنيا حلالا مفاخرا مكاثرا لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان وحدثونا من آثار السلف ان الواعظ والمذكر كان اذا جلس للناس ونصب نفسه سأل أهل العلم عن مجالسته فكانوا يقولون تفقدوا منه ثلاثا انظروا الى صحة معتقده والى غريزة عقله والى طعمته فان كان معتقدا البدعة فلا تجالسوه فانه من لسان الشيطان ينطق وان كان سيئ الطعمة فاعلموا انه ينطق عن الهوى وان كان غير مكين العقل فانه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وهذا التفقد والبحث طريق قدمات فمن عمل به فقد أحياه ❊ وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا فقال ثم قال رب أشعث أغبر مشرد في الآفاق مطعمه حرام وملبسه حرام غذي بالحرام يرفع يده في صلاته فيقول يا رب يا رب فانى يستجاب له ذلك وفي الحديث عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملكا على بيت المقدس ينادي في كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل قيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وفي حديث أبي هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق اليها بالصحة واذا سقمت المعدة صدرت العروق اليها بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله أحسن الخالقين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ❊ وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من اكتسب مالا من حرام وان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقيل في معنى قول الله عز وجل ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا أنفسكم قيل من أكل حراما فقد قتل نفسه لانه كان سبب هلاكها وتعذيبها وفي الاخبار المشهورة عن علي وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وقال يوسف بن أسباط وسفيان الثوري رحمهما الله لا طاعة للوالدين في الشبهة وقال الفضيل بن عياض من قام في موقف ذل في طلب الحلال حشره الله مع الصديقين ورفعه الى الشهداء في موقف القيامة وقال أبو سليمان أو غيره من العلماء لا يفلح من استغنى من طلب الحلال وفي بعض التفسير فان له معيشة ضنكا قيل أكل الحرام كما قيل في قوله فلنحيينه حياة طيبة قال نرزقه حلالا وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقنا كم قيل من الحلال كما قال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا أي من الحلال فامر باكل الحلال قبل العمل الصالح وهكذا قال بعض العلماء زكاة الاعمال باكل الحلال فكلما كانت الطعمة أحل كان العمل أزكى وأنفع وكان بشر بن الحرث اذا ذكر أحمد بن حنبل يقول قد فضل علي بثلاث صبره على العيال وأما أضيق من ذلك وهو يطلب الحلال لنفسه ولغيره وكان يقول ما أترك الطيبات زهدا فيها ولا عما أتركها لانه لا يصفو لي درهمها ولو صح لي الدرهم الذي اشتري به ما به لا كلتها وقد قال علماء الظاهر ان الحلال من عشرة أوجه

الطوق قلت هذا فيه نظر لان ذلك على تقدير تسليمه موآنما يطرحهم من خوف العقوبة لا لشرف الهيبة والاجلال والعظمة الناشئة عن مطالعة الصفات فلا يخرجهم منه واعلم ان سائر الكرامات التي تظهر على الاولياء فهي كلها معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لان كل من ليس بصادق في الاسلام لا تظهر عليه الكرامة والكرامة انما حصلت للولي بواسطة متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ونهاية مراتب الولي عليها اول مراتب النبي فاول مرتبة من مراتب النبوة فوق كل مرتبة من مراتب الاولياء ❊ (الباب الرابع في الوصايا والنصائح التي ينتفع بها المريد والسالك لسبيل الله تعالى) أوصيك أيها المريد السالك لسبيل الله تعالى لتكن حركات جوارحك وقلبك وجميع أفكارك وأنظارك بالله وفيه وفي الله لانه ان لم يكن ذلك بالله وكلك الى نفسك والى من جعلت ذلك به وكذلك ان لم يكن عملك في الله فقد اتيت معه غيره ولا صلت بالحقيقة سواه وروية غيره تعمي القلب وتحبط العمل وكن رحيما بخلق الله تعالى محسنا اليهم فاذا رأيت لاحد حسنة وسيئة فانشر الحسنة واطلب المعاذير للسيئة واحملها على أجمل المحامل ولا تكن كالذباب ينزل على أقذر ما يجده واعلم يا أخي ان ههنا أمرين هما صلاح أمرك في الدنيا والآخرة أحدهما ان يجعل الله سترا بينك وبين كل شئ فمن لم يجعل الله سترا بينه وبين كل شئ اقتحم على رؤس الجن والانس والملائكة والثاني اترك صحبة الناس تسترح لان من طلب النصفة من الناس طال عناؤه معهم م ٢٠٩ واعلم ان العاقل الفطن اللبيب من اتبع أولياء الله تعالى الذين ضوا على محجة الهدى ومنهج الاستقامة وطريق الحق وسبيل المعرفة والعلم

ومنهم من قال يوجد من سبعة أشياء وأصل ذلك كله يرجع الى ثلاثة أشياء تجارة بصدق وصناعة بنصح وعطية بتحكم ثم تنقسم العطية أربعة أقسام فيكون ميراثا أو ميراثا أو وهبة عن طيب نفس أو صدقة مع وجود فقر ومدار ذلك كله وقطبه ان الحلال مشتق من اسمه بمعنيين ما انحل الظلم عنه أو حل العلم فيه فما انحل الظلم عنه انحلت المطالبة عنه وما حل فيه العلم حلت الاباحة والامر به والحلال عند العلماء مالم يعص الله عز وجل في أخذه وقال بعض علماء الباطن الحلال مالم يعص الله عز وجل في أوله ولم ينس في آخره وذكر عند تناوله وشكر بعد فراغه وكان سهل اذا سئل عن الحلال يقول هو العلم وقال لو رفع العبد فيه الى السماء وشرب القطر ثم تقوى بذلك على معصية أو لم يطع الله عز وجل بتلك القوة لم يكن ذلك حلالا وقال لما تفقه من أهل العلم ان المتصنع للناس والمتزين لهم يأكل حراما لانه لم ينصح مولاه في عمله وقال بعض الموحدين لا يكون حلالا حتى لا يشهد فيه سوى الله تعالى وان من أشرك في رزق الله العباد فذلك شبهة وان حل من طريق الاحكام واحتجوا بقول عيسى عليه السلام يأكلون رزقه ويشركون في خلقه ومن الابدال من يقول الحلال مالم يؤخذ من أيدي الخلق ولم ينتقل الى أملاكهم وكان بعضهم لا يأكل الا مما أنبتت الارض التي هي غير مملوكة وقوله يدل ان الحلال مالم يؤخذ من أيدي الظالمين وما أخذ من أيدي المتقين وحدثت عن بعض الابدال في قصة طويلة ذكرها ان بعض العامة من السياحين دفع اليه شيأ من الطعام فلم يأكله فسأله عن امتناعه فقال نحن لا نأكل الا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا على الزهد في الدنيا وتدوم على حالة واحدة ونكاشف بالملكوت ونشاهد الآخرة ثم قال لو أكلت مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا الى شيء مما نحن عليه من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا في كلام طويل قال له الرجل في آخره فاني أصوم الدهر وأختم القرآن في كل شهر ثلاثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة من اللبن التي رأيتني قد شربتها أحب الي من ثلاثين ختمة في ثلثمائة ركعة من أعمالك وكانت شربة من لبن من آروية وحشية وهي الانثى من الوعل وقال بعض السائحين قلت لبعض الابدال وقد حدثته عن أكل الحلال بمثل هذا الحديث أنتم تقدرون على الحلال ولا تطعمون اخوانكم من المسلمين فقال لا يصلح لجملة الخلق ولم نؤمر بذلك لانهم لو أكلوا كلهم حلالا لبطلت المملكة وتعطلت الاسواق وخربت الامصار ولكنه قليل في قليل من الخلق وخصوص في خصوص أو معنى هذا الكلام وقال بعض العلماء لا أعلم حلالا لا شك فيه الا ماء الغدران وما أنبتت أرض غير مملوكة أو هدية من أخ صالح أو معاملة تقي بصدق ونصح وكان يحيى ابن معين قد صحب أحمد بن حنبل رضي الله عنه في السفر سنين ولم يكن أحد يأكل معه لاجل كلمة بلغته عنه وهو انه قال أنا لا أسأل أحدا شيأ ولو أعطاني الشيطان شيأ لأكلته فهجره أحمد رضي الله عنه حتى اعتذر اليه يحيى وقال انما كنت أمزح قال تمزح بالدين أما علمت ان الاكل بالدين قدمه الله على العمل فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد كان كثير من الورعين يقول منذ أربعين سنة ما دخل جوفي الا ما أعلم من أين هو وبعضهم يقول منذ ستين سنة ما أكلت الا من حيث أعلم وكان وهب بن الورد لا يأكل الا من حيث يعلم أو يشهد عنده مشاهدان بصحته وقد كان بشر يقول من فقر جاع ومن تغافل شبع وعند العلماء ان من طلب الدنيا حلالا فهو أزهد ممن أكل الشبهات من غير طلب وفي الخبر من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله تعالى من أي أبواب النار أدخله وقيل ذلك في التوراة مكتوب * ذكر تفصيل الحلال من الشبهة والاصل في ذلك حديث النعمان بن بشير الحلال بين والحرام بين والشبهات بين ذلك لا يعلمها كثير من الناس من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه وان لكل ملك حمى وان حمى الله في أرضه محارمه يقال ان هذا الحديث ثلث العلم فالحلال ما ظهر وتبين وكنت على يقين منه واطمأن به قلب المؤمن العالم والحرام أيضا ما تبين وانكشف على يقين منه ولم يختلف أحد من المسلمين فيه ونفر قلب المؤمن واشمأز منه وقد تطمئن بعض القلوب الى شيء لغلة ورعها وقد تنفر بعض القلوب من شيء لقصور علمها وليس

طوبى لهم وحسن مآب طوبى لعالم خفي خامل الذكر ليس له أتباع ولا خاصة وقد علم وعمل وعلم ونصح قال ذو النون ليس بذي لب من كاس في أمر دنياه وحمق في أمر آخرته ولا من سفه في مواطن حكمه وتكبر في مواطن تواضعه ولا من طلب الانصاف من غيره لنفسه ولم ينصف من نفسه لغيره ولا من نسي الله تعالى في مواطن طاعته وذكر الله تعالى في مواضع الحاجة اليه ولا من جمع العلم فعرف به ثم آثر عليه هواه ولا من أغفل الشكر عن اظهار نعمه ولا من عجز عن مجاهدة عدوه لعداوته اذ يصبر عدوه على مجاهدته لهلكته ولا من جهل علمه ومعرفته فظن نفاوز بما في مجالسه فهذه وصاياي لك فاحفظها وتذكيري اياك فلا تذهل عما سمعت وصاياي

*(فصل)* اعلم أن هذا العلم لا يريد معرفته من أهل زماننا الا الواحد بعد الواحد وليس كل من يريده يعلمه ولا كل من يعلمه يعمل به بل لا يعرف أحد يعمل به فهو علم معروض لا يقبل ومتروك لا يستعمل ومن قبله لا يعقله ومن قبله وعقله فغايته المباهاة به فليس هذا العلم من علم زماننا ولا رغبة للناس اليوم فيه لانه يؤدي بأهله الى مخالفة هوى أنفسهم ومجاهدتها وينادي بالويل والثبور على أهل السوء وقد انقطع السير الى الله تعالى في هذا الزمان ولا نعرف في هذا الوقت أحدا فاغلاه

الحالة التي كان عليها السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم فقد كان الصحابة

يقع فصل هذين القلبين اعتبار وانما الاعتبار بقلب المعيار الذي قد جعل كالمحك يعتبر به معادن الملكوت وهو قلب المؤمن الموقن العالم وهذا القلب في القلوب أعز من الذهب الابريز في سائر المعادن وقد روينا عن بعض السلف في تفسير قوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون قال اذا فسدت أعمال الناس جعل عليهم ولاة يشبهون أعمالهم وقال بعض العلماء في معناه اذا فسدت أديان الناس فسدت أرزاقهم والشبهات على وجوه أحدها ما أشبه الحلال من وجه وما اختلطا أيضا بها فاختلطا ولم يتميز منهما والشبهة أيضا ما دل باطن العلم على تحليله فهو حلال الحكم وأظهر باطن الورع الوقوف عنه والشبهة ما أباحه علم الظاهر وكرهه علماء الباطن لحيك القلوب وحوازها ولعدم الطمأنينة ومواجيد القلوب كنحو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على ما أسمع منه وهو يعلم خلافه فمن قضيت له على أخيه فانما اقطع له قطعة من النار فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه يحكم بظاهر الامر ورده الى حقيقة علم العبد بما شهده وعرفه من غيب نفسه المستتر عن الابصار والشبهة أيضا ما اختلف فيه لخفاء أدلته ولتكافؤها بالسوية وما لم تر معنك فتقطع على غيبه والحلال والحرام ما أجمعوا عليه وظهرت الادلة عليه والشبهة أيضا ما جهل سببه ومورد فيه حكمه الاثر بمجهوله غير متيقن تحليلها والشبهة أيضا ما قدمه بعض القيام بالاحكام أو ما اشتمل سببه الذي يوصل العبد ويتطرق اليه من فضول جهل أو حدوث آفة من آفات النفوس فهذه الانواع كلها من الشبهات ثم تختلف نفس الشبهات فيكون ذلك شبهة الحلال وتكون شبهة الحرام شبهة كدرة وتكون شبهة متقاربة لان الحلال عند علماء الباطن على ثلاث مقامات حلال كاف وهذا عموم وكأنه ما حل من طريق الحكم وحلال صاف وهذا الخصوص وكأنه ما ظهرت الادلة فيه وحل سببه ووجدت السنة فيه وحلال شاف وهذا خصوص الخصوص وكان ذلك ما علم أصله وأصل أصله وجرى على أيدي المتقين ولم يخالطه جهل فلذلك تفاوتت الشبهات لتفاوت حلال ضدها أما الحرام فطعمة الفاسقين أكله فسوق وطلبه فسوق واطعامه فسوق والمعاونة عليه فسوق والمدمن عليه فاسق وهو من الكبائر وليس من حاجة المسلمين ولا يغنيهم والحلال هو ما أحله الكتاب والسنة وحلته الاحكام وعلوم من سائر الاسباب والمعاني المطلقة والمباحة التصرف في العلم وهو بغية المؤمنين وطعمة المتقين وقوام الصالحين فطلبه جهاد واطعامه بر والمعاونة عليه تقوى وأكله عبادة والمدمن عليه مؤمن تقي والشبهة ما اختلف العلماء فيه ولم يجمعوا عليه أو ما التبس باطنه فاشتبه لغموض الادلة أو خفاء الاستدلال فلم يكن بينا فلم يجمع أهل الظاهر والورع عليه كما قال صلى الله عليه وسلم لا يعلمه كثير من الناس فهذه طعمة عموم المسلمين فان ابتليت بها فخذ منها حاجتك وضرورتك من كل شئ لتكن بذلك فاضلا ودع التنعم في الورع والاستكثار منه والاقتناء مكروه وتركه اذا أمكن أفضل لان في الخبر من تركه فقد استبرأ لدينه أي تنزه وتنظف وتفقد دينه واحتاط له وقيل ان الايمان نزه نظيف فتنظفوا وتنزهوا ومعنى التنزه التباعد من الدناءة والاوساخ ومن ذلك قيل خرج فلان يتنزه وخرج فلان في نزهة اذا تباعد عن المصر وفارق جملة الناس ثم قال وعرضه أي استبرأ لعرضه ان يتكلم الناس فيه بسوء وينسبوه الى غش وقد جعلنا الشبهة طريقة الى الحرام وموقعة فيه لان في الخبر من يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه أي من يطلب الشبهة ويدمن عليها ويستكثر منها يسرع الوقوع في الحرام أي تسرع ليسهو يدخله فيه وقال بعض العلماء ما أخذ من يد تقي عدل بحكم جائز فهو حلال وما أخذ من يد من لا يعرف بعدالة ولا جرح فهو شبهة وما أخذ من يد ظالم أو فاجر فهو حرام وان أخذ بحكم جائز وهذا القول يقرب من الحق ومثله من المقال مثل ما قال بعض أهل العلم ان من لم يعرف ان ماله خالطه خيانة ولا معاملة ظالم فذلك حلال ومن خالط الظلمة أو كسب المال من خيانات فما في يده حرام وان اختلط ماله فلم يتميز وكان يعامل بعض الظلمة ويعامل أهل التقوى والايمان فما في يده شبهة وقد جاء في الخبر دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الخير طمأنينة وان

تعالى بمقتضى العبودية على عمالا وأي عمال وعبادا وأي عباد كانوا على غاية من المجاهدة حتى كان فيهم من منع نفسه النوم ومنهم من منع نفسه الجلوس على فراشه وأن لا يتزوج وأن يشم طيبا ومنهم من ألزم نفسه الوقوف في الشمس وطلبوا ان يختصوا فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ونهاهم عنه ورد عليهم التبتل فمن لم يعمل بعملهم ويجتهد اجتهادهم حتى يعلو من مقام الى مقام كلما أحكم مقاما له في قلبه تعلق بما يلوح له مما وراءه من المقامات فمن لم يكن كذلك والا فالاشياء لا تجري الا على لسانه فاذا رجع الى سره رجع الى قلب خزانة مملوءة فاقة وحاجة وظلمة فالعلم يعلمه البر والفاجر والنصيحة لله تعالى لا تثبت الا في قلوب النصحاء والخلصاء اسمع هذه المواعظ واقبل هذه التذكيرات واعمل على ان يتأثر قلبك بها وقلما تؤثر في القلوب القاسية ولا يحتاج قلب الخاشع الى موعظة كما لا تحتاج الثكلى الى نائحة

*(فصل)* ويجب أن يكون المريد شديد التوقي والاجتناب عن محدثات الامور وان اتفق الجمهور ولا يغتر بما أطبق الخلق والصحابة والتابعون رضي الله عنهم عليه وليكن حريصا على التفتيش عن أخبار الصحابة وسيرهم وأحوالهم وما كانت أكثر هممهم فانه لم يكن هممهم التدريس والمناظرة والمجادلة

التمر

الشرور بيتمعاد دع ما تشك فيه انه حلال الى شئ آخر لاشك فيه فان الشرور يتولبس بيقين وفي لفظ آخر الاثم حبك الصدور وقد جاء في الحديث الاثم حوازّ القلوب أي ماحز في القلب واثر فيه نكت فهو اثم لان الله تعالى علق الاثم بالقلب وجعله من أوصافه في قوله عز وجل ومن يكتمها فانه آثم قلبه وفي الخبر البر ما اطمأن اليه القلب وسكنت اليه النفس والاثم ماحاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس فقد علانه قال المؤمنون شهداء الله وقال مارآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن ومارأوه قبيحا فهو عند الله قبيح كما قال سبحانه فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون لان كراهتك نظر الله اليك دليل على وجود الريبة فيك وفصل الخطاب من ذلك انه ليس على العبد أكثر من جهده وطاقته وان يعمل في دينه بمبلغ علمه ومايؤدي اليه اجتهاده ووسعه وان لا يتبع النفس شبهة ولا يرخص لنفسه بها رخصة فان قصر علمه استعان بعلم غيره فما أخطأ حقيقته وراء ذلك فهو معفو والخطأ وبعض الورعين يقول الحلال مالم يتناوله أيدي الظالمين وقال بعضهم مالم يجر عليه يد ظالم وقال بعض العلماء لا يكون حلالا حتى لا يتخالج في القلب منه شئ وحتى يسكن القلب اليه ويطمئن به وقال آخر الحلال ماعرض على أهل الظاهر والباطن فاذا لم ينكروا منه شيئا فذلك الحلال وقد كان اجتمع جماعة من العلماء يتذاكرون أي الاعمال أشد فقال بعضهم الجهاد وقال بعضهم الصيام والصلاة وقال آخر مخالفة الهوى وقال بعضهم الورع فاجمعوا على الورع ورجعوا الى هذا القول وقال حسان بن أبي سنان ماشئ عندي أسهل من الورع قيل وكيف قال اذا حاك في صدري شئ تركته وهذا سهل على من ساعده القدر بالزهد وقوامه على ذي النفس الشهوانية كان الزهد سهل على من أمده الله بروح التأييد باليقين وعز على من ابتلي بحب الدنيا وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل الاعمال والذي نقيم به وجوهنا عند الله عز وجل هو الورع وقال له أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم صدقت ولعمري ان اليقين اذا وجد والزهد اذا حصل سهل الورع والاخلاص وهما عمدة الاعمال * وحكى عن يوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وغيرهم من عباد أهل الشام ان قائلهم يقول منذ ثلاثين سنة ماحاك في صدري شئ الا تركته وبعضهم يقول منذ أربعين سنة ماوقف قلبي من شئ ويخالج فيه الا تركته وقال بعضهم منذ ثلاثين سنة ما أبالي على أي حال رآني الناس الا أن يكون حاجة الانسان وحكى ان بعض الورعين وقع منه دينار فانكب ليأخذه فوجد دينارين فلم يعرف ديناره منهما فتركهما معا وحكى ان امرأة من المتعبدات من أهل القلوب سألت ابراهيم الخواص عن تغير وجدته في قلبها فقال عليك بالتفقد فقالت قد تفقدت فما وجدت شيأ أعرفه فاطرق ساعة ثم قال الا تذكرين ليلة المشعل فقالت بلى فقال هذا التغير من ذلك فذكرت انها كانت تغزل فوق سطح لها فانقطع خيطها فمر مشعل السلطان فغزلت في ضوئه خيطا وأدخلت في غزلها ونسجت منه قميصا فلبسته قال فنزعت القميص وباعته وتصدقت بثمنه فرجع قلبها الى الصفا قد حكى عن ذي النون المصري رحمه الله فوق ذلك انه لما حبس لم يأكل طعاما ولم يشرب أياما فوجهت اليه امرأة يعرفها من العابدات بطعام الى السجن وقالت هذا من حلال فلم يأكله فقالت له بعد ذلك فقال ذلك الطعام من حلال الا انه جاءني في طريق حرام فلم آكله فقالت وكيف ذلك قال جاءني في يد السجان وهو ظالم فلذلك لم آكله وهذه خصال الورعين والورع هو باب الزهد ومفتاح الخوف وحقيقة الصدق ومقدوم الورع أول

* وم الزهد وخصوصه أول خصوص الزهد * وينبغي للعبد ان يبتدئ بطلب الحلال فيكون هو همه وقصده فيجعل ما استطاب من المكاسب واعلى ماقدر عليه ممايسلم به فيجعل ذلك لحاجة نفسه فيما يطعم ويلبس ويجعل مادخل عليه من الشبهات مما في نفسه منه حزازات في مؤنة عياله وفيما يتقي به من مؤنة البيت مما لا يطعم ولا يلبس مثل الحطب والبز وأجرة البيت وما أشبه ذلك وسند كر تفصيل ذلك بصور الالوان حتى تعرفه وفي هذا رخصة وله فيه مجاهدة وحسن نية ومعاملة اذا أخذ نفسه به وصبره عليه وكان ذلك من باله وهمه فاحتسب في ذلك ماعند الله عز وجل وتحرى بذلك ابتغاء الله عز وجل فان الله عز وجل يشكره سعيه ويجزل



والمناصب والاوقاف ومخالطة السلاطين بل كانت همتهم في الخلق والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق أمله وجله والحرص على خطايا شهوة النفس والدنيا والهوى الى غير ذلك من علوم الباطن روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال انما العلم اثنان الكلام والهدى فاحسن العلم كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى النبي صلى الله عليه وسلم ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها وان كل محدث بدعة وان كل بدعة ضلالة ألا لا يطول عليكم الامد فتقسو قلوبكم ألا كل ماهو آت قريب ألا ان البعيد ماليس بآت وفي خطب النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه من غير معصية وخالط أهل التفقه والحكمة طوبى لمن ذلت نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفاضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة *(فصل)* وأوصيك أيها المريد السالك اياك ان تخل بسنة من سنن الشرع فهو ادب من آدابها فان جماع الخير كله والنور كله في متابعة الشريعة قال الجنيد رحمة الله عليه من زعم ان سبيل الوصول الى الله تعالى غير متابعة الشريعة فقد زل وضل وقال الجنيد رحمة الله عليه من لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث

عليه أجره وهذا طريق يوصل الى الله عز وجل وهو محجة كثير من السلف ولو ان عبدا شك في شئ فقدر زمنه شكر الله نيته وان كان قد أخطأ حقيقة الشئ عنده فكان الشئ حلالا في علم الله عز وجل ولو انه أقدم على شئ بعقله مباحا لاعلم يدعمه فتناول شيأ هو في علم الله حلال عنده كان مأزورا بسوء نيته وقلة ورعه وان كان أصاب الحقيقة عند الله فهو أفضل وله أجران أجر العلم ومقام التوفيق ومن قصد ترك العلم وأخطأ الحقيقة عند الله عز وجل فعليه وزران وزر الجهل ونقص العصمة ومن عمل بعلم فاخطأ الحقيقة فله أجر واحد ومن عمل بجهل فاصاب الحقيقة فعليه اثم الجهل وهو معصوم في الفعل وحكى وهب اليماني مما نقل من الزبور ان الله عز وجل أوحى الى داود عليه السلام قل لبني اسرائيل اني لا أنظر الى صيامكم ولا الى صلاتكم ولكن أنظر الى من شك في شئ فتركه لاجلي ذلك الذي أؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي وقد كان بعض العلماء يقول لاهله ارفعوا يدا من المصباح فانما توقدون بلحمي ودمي قيل وكيف قال لانكم توقدون من كسبي وكسبي من ديني وديني من لحمي ودمي وقد كان يقال من تفقد من أين يكسب الدرهم تبصر أين يضعه ومن لم يبال من أين اكتسب لم يبال فيما أنفقه وقد قال بعض العلماء لرجل رآه بطالا وكان ذا عيال قال له احترف فانه اذا كان لك كسب أكل عيالك دنياك وان لم يكن لك كسب أكلوا دينك وروى ان بعض الزهاد وقعت منه قطعة فجعل يطلبها عامة يومه فقيل له أنت قد زهدت في الدنيا كلها وأنت تطلب هذه القطعة هذا الطلب فقال ان طلبي هذه القطعة من زهدي في الدنيا لاني لا أعتاض منها غيرها لانها من حيث أعلم وأنا لا آكل الا من حيث أعلم وقد كان بشر يقول الحلال اذا اجتمع من الشبهات لا ينفق الا في الشهوات وقال سرى السقطى لا يصبر على ترك الشبهات الا من ترك الشهوات وفي الخبر ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام فنهاه عنه فأعاد مسئلته عنه فقال ان لي غلاما حجاما فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان كان لا بد فاعلفه ناضحك واطعمه رقيقك وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن فأرة وقعت في سمن فماتت فقال لا تأكلوه وفي خبر آخر ان كان جامدا فالقوها وان كان ذائبا فاستصبحوا به وعن جماعة من علماء الكوفة لا بأس بشحوم الميتة تطلى بها السفن ويدبغ بها الجلود وقد روينا فيه حديثا مسندا فهذا حجة فيما ذكرناه من ان حكم الشبهات أن ينفق منها فيما لا يطعم ولا يلبس الا أن يضطر اليها فيتناول منها مقدار الحاجة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتى بلبن فسأل عن أصله فأخبر به فسأل عن أصل أصله فاخبر به فلما رضيه شرب منه فهذا حكم الحلال ان تعرف عين الشئ ثم تعرف أصله فاذا صح لك أصله وأصل أصله سقط عنك ما وراء ذلك فان لم تعلم رأى عين وأخبرك مسلم تقي قام اخباره لك مقام ذلك * وفي الخبر لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي لان التقي قد استبرأ لدينه واجتهد بعلمه واحتاط لنفسه فقد سقط عنك البحث والاجتهاد لانه قد ناب عنك فيه وقام لك به فكفاك كلفته فغنيت عن تكلفه ولذلك جاءت الاحاديث على هذا المعنى اذا دخل أحدكم الى منزل أخيه فقدم اليه طعاما فليأكل من طعامه ولا يسأل أو يشرب من شرابه ولا يسأل لانه قد كفي والسؤال عما قد كفي تكلف والتكلف ليس مما يعني المسلم وفي الخبر الآخر من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فلهذا سقط عنا السؤال من البحث ولذلك كان المتقدمون يستحبون أكل طعام العلماء والصالحين * وأما من لا يحتاط لنفسه ولا يستبرئ لدينه ولا يتقي في مكسبه حتى لا يبالي من أين أكل ولا من أين اكتسب ولا من أين جامع الدرهم أبدا فهذا غير تقي فحينئذ يلزمك أنت البحث لنفسك والاجتهاد والاحتياط لدينك اذا لم يقم به غيرك ولم يكفه أخوك ففي مثل هذا جاء الخبر لا يأكل طعامك الا تقي ولا تأكل الا طعام تقي والتقي هو الورع الذي المتقي للحرام المجتنب للآثام ففي دليل خطابه لا تأكل طعام غير تقي فلا يصح التقوى من عبد يتصرف حتى يكون مستعملا في تجارته وصناعته حكم الكتاب والسنة ويشهد له العلم بسلامته وبراءة دينه من الخيانة والمكر في المعاملة من الكذب والغبن في التجارة والصناعة بالصدق والنصح في جميع ذلك وحتى يعمل السبب المعتاض منهما وكل تجارة وصناعة تخالف العبد فيها حكم الكتاب والسنة فليست بتجارة ولا صناعة حلال وا

كان

---

لا يقتدى به في هذا الامر لان علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال الجنيد رحمة الله عليه الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتفى أثر النبي صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته لان الخيرات كلها مفتوحة عليه قال سرى السقطى رحمة الله عليه من تكلم على الباطن بشئ ينقضه الظاهر من الكتاب والسنة فليس بصوفي وقال سهل بن عبد الله لا معين على ما نحن فيه الا الله تعالى ولا دليل الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زاد الا التقوى ولا علم الا علم مردود الى أصول ثابتة من الكتاب والسنة وقال بعضهم القلوب كلها ظلمة الا قلبا له نور من قلب محمد صلى الله عليه وسلم والا هو ظلمة

* (فصل) * يجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوبا على الكفاية على كافة المسلمين ويتأكد وجوبه على المريد والسالك والدليل عليه قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ومن السنة ما روى البخاري عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل القائم في حدود الله تعالى والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذي في أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا ألا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا

كان الاسم موجودا العدم المعنى الذى تصح به الاسماء فى الحكم لان وجود الاسماء عارية لا تغنى مع عدم صحة المعانى لموافقته شيأ فاذا كان ما يسميه الجاهلون تجارة وصناعة وما يسميه المستعملون بيعا وشراء ومعاملة وهو غير موافق العلم فليس ذلك بتجارة ولا صناعة ولا معاملة ولا يستحل به أكل الحلال لانه باطل واسمه عند العلماء خيانة وخلابة أو غيلة أو حيلة أو محالة وهذه أسماء معروفة المكاسب لفساد معانيها وعدم حقائقها يتعلق عليها أحكام مذمومة لا يحل بها أخذ لان التسمية الى العلماء من قبل ان اصحاب الاحكام منهم يسمون على معنى المعانى بوقوع الاحكام اذا كانوا هم الحكام فقد اعتزل هذا التصرف وان وجد فيه الاسم المبيح للعقد المعنى الصحيح وهو حكم الكتاب والسنة فان وجد الاسم بحقيقة المعنى حتى تسميه العلماء تجارة وصناعة الا انهما لم يكادنا حكم الله تعالى فيه بالسلامة من الربا واجتناب البيوع الفاسدة فهذا حرام أيضا لعدم حكم الله عز وجل فيه بالاطلاق وان كان الشراء مباحا وعدم الاحكام فيه الا ان عين المأخوذ المعتاض حرام رأى عين أو خبر من صدق فهذا الكسب حرام أيضا الا انا على يقين من وجود الحرام فيه حتى يصفو العوض المشتبه من عين الحرام باحد معنيين اما بيقين انه حلال الاصل وحلال أصل الاصل بان لا نعلم فى عينه حراما رأيناه ولا أخبرنا به فيحل به حينئذ أكل المال ونسميه مع ذلك شبهة وهو شبهة الحلال اذا كنا على يقين من حلاله لامكان دخول الحرام فيه لغلبة الاموال المأكولة بالباطل وبالاسباب المكروهة من قبل الاجناد ومن قلة المتقين وانما لا نطلق ذلك بالاملاك الصحيحة بأموال التجار لمتاع فيها كنا من حلاله على علم ظن سميناه شبهة لفقد علم اليقين وفى الخبر جاء عقبة بن الحرث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء فزعمت انها قد أرضعتنا وهى كاذبة فقال دعها فقلت انها كاذبة فقال وكيف وقد زعمت انها قد أرضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك وفى لفظ آخر كيف وقد قيل وفى حديث عبد الله بن زمعة ان النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالولد له لانه ولد على فراشه وأبطل دعوى الرجل فيه وان كان منه فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم شبها بينا قال لسودة احتجبى منه يا سودة وهى أخته ثم قال الولد للفراش وكذلك يجب التقوى فى الفراش الورع وان الاحكام على الظواهر تجيزها فيكون تركها مقاما للورعين والحلال عند الورعين اسم ما انحلت عنه المطالب وحل فيه العلم على حلال المقتبس فى قوله عز وجل وحلائل أبنائكم وحلائل جمع حليلة وقيل انما سميت المرأة حليلة الرجل لانه يحل معها أين حلت أى يوجد عندها ويقيم كأنها فعيلة من فعول أى حلول والمعنى الآخر سميت حليلة والرجل حليلها لان الآثام قد انحلت بينهما أى لانها تحل له ويحل لها والحلال فى العلم اسم لما أباحه الكتاب والسنة بسبب جائز مباح وكان الحلال هو ما وجد فيه ثلاث معان سبب مباح فى العلم وعلم باصل الدرهم والمعتاض به وباصل أصله انه خالص من شبهة ومصادفة حكم الله عز وجل فى المعاملة فاذا فقد أحد هذه المعانى فهو شبهة الى الحلال أقرب واذا فقد معنيان فهى شبهة الحرام فاذا فقدت المعانى الثلاث حتى يكون السبب الذى وصل به الدرهم والمعتاض منه مكروها أو يكون عين الدرهم مكروها بجهولا ولم يصادف فيه حكم الشرع فى البيع والشراء أو الهبة بطيب نفس فهذا هو الحرام بعينه والحرام والحلال ضدان ظاهران والشبهات أعنى شبهة الحلال وشبهة الحرام مشتبهان فهى تشبه الحلال من وجه وتشبه الحرام من وجه فمثل الحلال والحرام من أصول الالوان مثل البياض والسواد هما أصلان ليسا فرعين لشئ ولا متولدين من شئ ومثل شبهة الحلال كمثل الصفرة لانه لون متولد من البياض ومثل شبهة الحرام كالخضرة لون متولد من السواد فان رأيت الصفرة فهى علامة شبهة الحلال رددتها اليه وحكمت عليها به كان الخضرة أقرب الى السواد فان اجتمع فى لون صفرة وخضرة وهى الشبهات المختلطة فى الشئ فانظر الى الاغلب منها الاكثر فاحكم عليه فان كانت الصفرة هى الاكثر والاغلب فهذا شبهة الحلال تتناول منه غير متسع فيه اذ ليس حلالا صافيا وهذا مثل أموال التجار والصناع المختلطة بأرزاق الجند والمعاملات وان رأيت الخضرة أكثر وأغلب فهذا شبهة الحرام خذ منه ضرورتك اذ ليس بشبهة صافية وهذا مثل

هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعا ونجا  كذ وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على المريد والسالك

فيجب على الخلق القيام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعاء الى طريق الله تعالى قال الله تعالى قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر دليل الصدق وترك المداهنة واعلم انه قد آل الامر فى زماننا هذا الى التواطؤ على مجاوزة حدود الله تعالى والخوف منها والتعصب على من ينكر شيأ من محظورات الشريعة فمن عجز بنفسه فى هذا الزمان واعتزل عن الخلق فقد فاز وربح لانه قد عم البلاء فيهم وليس فيهم طبيب يداوى أمراضهم لان الاطباء هم العلماء بامراض القلوب وعلاجها وقد فقدناهم ومن وجدناه من المترسمين من علوم الفتوى والاحكام والافعال الظاهرة هم أيضا مرضى القلوب قد استولى المرض على قلوبهم فما أحوج الاطباء الى أطباء ولو وجدوا عالما خبيرا بامراض القلوب عارفا بعلاجها يحسن تزكية القلب وطهارة النفس وصفاء السريرة باحسن ما يقبل منه ويأخذ عنه والفاعل اذا لم تكن له قوة التاثير وكان الحال ليس له قوة التاثير

كيف يحصل الاثر وسئل رجل عالم فقال ما بالنا لا ننتفع بالموعظة فقال لان القائل خصى والمستمع عقيم وقال بعضهم اذا كان المتكلم خصيا

الملاك اولياء السلطان لالتباس مال أيديهم في ضده تهم لاحرامهم حتى ترى البياض المحض الذي هو علامة الحلال تنفذ كيف شئت واتسع لاجناح عليك على المثال تكون زاهدا بذلك وهذا مثل الفيء ما المشركين والغنائم في سبيل الله ومثل المواريث الطيبة وما أنبتت الارض التي هي غير مغصوبة ومثل ماء السماء والسيح في الانهار وصيد البر والبحر وان رأيت السواد الغريب فهو علامة الحرام فاجتنبه ولا تأخذ منه شيأ فان فعلت كنت بذلك فاسقا وأكل الحرام من الكبائر وهذا مثل المغصوب والجنايات وما أكل بأسباب المعاصي وما ملك من غير طيب نفس من الواهب واعلم أن الحلال والحرام فرعان التقوى والفجور والعلم والجهل والعلم والتقوى هما حلالان المتقين العلماء فاذا كثر المتقون ووجد المؤمنون كان الحلال أظهر وأكثر ووجود الحرام بظهور كثرته بكثرة وجود الجهل والفجور وهما حلال الجاهلين الفجار فاذا كثر الجاهلون وظهر الفاسقون كان الحرام أغلب وأكثر وأصل وجود الحلال في الكافة عدل الائمة واستقامة الولاة وطاعة أوليائهم فيما لهم معهم في سبيل الله عز وجل لصلاح الدين وحيطة المسلمين كان أصل ظهور الحلال وانتشاره هو الرعية فاذا قل ذلك وكان الامر على ضده غمض الحلال واختفى فظهر الحرام وفشا فكان الحلال قليلا عزيزا وكان في مخصوص من المسلمين خص الله به من يشاء ويصرفه الى من أحب كيف أحب من طريق التوفيق والهداية وبمعنى العصمة والوقاية وقد جاء في الخبر اذا فسدت أديان الناس فسدت أرزاقهم وقال بعض أهل التفسير في قوله عز وجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون قال اذا فسدت أعمال الناس جعل عليهم أئمة يشبهون أعمالهم وقد روينا عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت رزق المؤمن مثل قطر الحب فهذا يحتمل معنيان أحدهما الضيق والقلة والثاني في الصفاء وهذا على معنى ما قال سهل رحمه الله لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا فهذا على معنيين أحدهما أن المؤمن موفق معصوم قد عمل لله عز وجل بما علم والله قد حفظ من حيث لا يعلم بان يستخرج له الحلال من الحرام باختياره من عمله كما يستخرج له العلم من الجهل والتوحيد من الشرك بلطف قدرته لمن تذكر به وتبصر به أقامه مقام التوحيد من الحكمة والمعنى الثاني المؤمن عنده لا يتناول شيأ الا فاقة او ضرورة فقد حلت له وان حرمت على غيره وهذا هو المؤمن الصديق وقد قيل لابن المبارك يظهر بعد المائتين عدل فقال تذاكرنا ذلك عند حماد بن سلمة فغضب وقال ان استطعت ان تموت بعد المائتين فمت فانه يحدث في ذلك الزمان أمراء فجرة ووزراء ظلمة وأمناء خونة وقراء فسقة حديثهم فيما بينهم التلاوم يسمون عند الله الانتان وقال بعض السلف الصالح اني لاستحي من الله عز وجل ان أسأله بعد المائتين أن يرزقني حلالا ولكني أسأله رزقا لا يعذبني عليه وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ما ترك لنا بنو فلان من الحلال شيأ يعني الملوك والامراء ويقال ان عليا رضي الله عنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار الا طعاما مختوما عليه وروى في الخبر ان العامل الذي أراد علي رضي الله عنه أن يستعمله على صدقات قال فدعا بطينة مختومة فظننت أن فيها جوهرا أو تبرا ففض ختامها فاذا فيها سويق شعير فنثره بين يدي وقال كل من طعامنا فقلت أتختم عليه يا أمير المؤمنين قال نعم هذا شيء اصطفيته لنفسي وأخاف أن يخلط فيه ما ليس منه والحديث فيه طول فاختصرت هذا منه وروى أن جماعة من الصحابة ما شبعوا من الطعام منذ قتل عثمان رضي الله عنه لاختلاط أموال أهل المدينة بنهب الدار منهم ابن عمر وسعد وأسامة بن زيد رضي الله عنهم وكان يوسف ووكيع بن الجراح يقولان الدنيا عندنا على ثلاث منازل حلال وحرام وشبهات فحلالها حساب وحرامها عقاب وشبهاتها عتاب فخذ من الدنيا ما لا بد لك منه فان كان ذلك حلالا كنت زاهدا وان كان شبهة كنت ورعا وكان في عتاب يسير وقد روينا عنهما انهما قالا لو زهد أحد في زماننا هذا حتى يكون كأبي ذر وأبي الدرداء في الزهد ما سميناه زاهدا قيل ولم قال لان الزهد عندنا انما يكون في الحلال المحض والحلال المحض لا يعرف اليوم ومات يوسف ووكيع قبل المائتين وقد كان وكيع بن الجراح أشبه العلماء بالسلف وكان يشبه بعبد الله بن مسعود وقد كان يشدد في الطعمة فسئل عن

أكثر الخلق بمعاصي الله تعالى والجراءة على عظمته وجلاله وغلب عليهم الفجور والجراءة حتى انهم كفرة لا يرجون لله وقارا وعدم فيهم المعين على الخير والناصح لله تعالى ولدينه ولا يوجد اليوم أحد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذه علامة انقضاء الدنيا وقرب الآخرة ولا شك في اقتراب الآخرة لظهور العلامات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لقرب الساعة ولقوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وفرق بين السبابة والوسطى وما تزيد الوسطى على السبابة الا بقدر يسير ولقوله صلى الله عليه وسلم بعثت والشمس في أطراف النخيل وهذا كناية عن قرب القيامة لان الشمس عند غروبها تكون في أطراف نخيل المدينة قال حذيفة بن اليمان أعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم اليوم معروف زمان يأتي وانكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فان أكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من عداد المعروفات في زماننا تزيين المساجد وزخرفتها وتجديدها وانفاق الاموال فيه فانه قد فاق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها وكان يعد فرش المسجد

الحلال فجعل يعززه و يقول أين الحلال وكيف لي بالحلال ثم قال لوسألتنا مسترشد عن علمنا في الحلال فقلناه كل أصول البردى وألق ثوبك وادخل في الفرات قيل وانت يا أبا سفيان من أين تأكل قال آكل من رزق الله وأرجو عطوالله وقد كان بشر بن الحرث من المتقدمين سئل عن الحلال فقيل له من أين تأكل يا أبا نصر فقال من حيث تأكلون وليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك وقال مرة أخرى في رواية عنه ولكن بد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وسأله رجل عما لا يسكر من النبيذ فقال انظر في الدرهم الذى تشترى به التمر من أين هو فان كان حلالا والا فلكت دع عنك ما لا يسكر وقد كان سرى السقطي يتحرى في أكل الحلال ولم يكن يأكل الامن حيث يعرف وكان اذا ذكر لاحمد بن حنبل رضى الله عنه أثنى عليه وقال تعنون ذلك الشيخ المعروف بطيب الغذاء وكان يقول لا يقوى على ترك الشبهات الامن ترك الشهوات ويقال ان بشر بن الحرث كان يأكل من قبله وذكر لنا ان سريا السقطي وقف على بشر وهو يتكلم فاطلع في حلقته وقال يا بشر لعل بدا انقين تلبسوا وتستريح من هذا الاسم يعنى قولهم بشر الحافي فسكت بشر فقال من كان من أصحاب سرى عند بشر انه قد وجد عليه فقالوا يا أبا نصر انه لم يرد الاخير افقال سبحان الله هو سرى كاسمى سرى وكان سرى رحمه الله قد وجه الى أحمد بن حنبل رضى الله عنه بمال فرده فأسرى فكلمه بكلام من هذا العلم فعرفه فيه مايدخل من آفة الرد فقبل منه ولم يكن بعد ذلك يرد عليه شيأ وحدثنا عنه انه قال انتهيت ذات يوم في سفر الى نبات من الارض وعند غدير ماء قال وكنت جائعا فأكلت من الحشيش وشربت من ذلك الماء بكفي ثم استندت على ظهرى ثم خطر ببالى أنى ان كنت أكلت حلالا فاليوم فهتف بى هاتف يقول يا سرى زعمت انك أكلت حلالا فالقوة التى بلغتك الى ههنا من أين هى قال فاستغفرت الله تعالى مما كان وقع في قلبي وكان شقيق البلخى رحمه الله يقول ان المكاسب اليوم قد فسدت وان التجارات والصناعات شبهات كلها الاعمل الاستكثار والادخار منهم الوجود الغش وعدم النصح قالوا انما ينبغى للمسلمين ان يدخلوا فيها ضرورة وقال الناس كقتلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانهم أعانوا على اماتة السنن ودرس طرق الانبياء ومن أبطل سنن نبي فكانما قتله هذا يقوله في سنة سبعين ومائة فاذا كان الامر أيها المسلم الموقن بتوحيد الله ووعيده على هذا عند العلماء من السلف والاخيار من الخلف في ذلك الوقت فكيف بوقتك هذا وقد افترض عليك الزهد في الدنيا وقد وجب عليك الاخذ بالبلغة مما لا بد منه من كل شئ فان استكثرت أو جمعت من مثل هذه الاشياء كان ذلك معصية وكل ما يظهره الله عز وجل لك من غير الامور وبديع ان المصائب فانما هو تزهد لك في الدنيا ان فاتت لذاتك وكل ما صرف عنك مثل هذا فهو خير وان كرهت وفي الخبر ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ولو كان من حلال فان كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس فقد صار الاكل في ثلث البطن خيرا من الاكل ملأ لانه شر وما نقص من الشر فهو خير وفي الخبر ما شئ أبغض الى الله من بطن ملئ ولو من حلال وقد جاء في الخبر لا يعذب الله عبدا اجمل رزقه في الدنيا قوتا وفي قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى قيل يوم بيوم وقيل القناعة وقد كان المسلمون يتورعون عن الشبهات في وقت العدل ومع وجود الفضل حدثونا ان الفضل ابن عياض وابن عيينة وابن المبارك رضى الله عنهم اجتمعوا عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو أحب الطعام الى الا انى لا آكله قيل ولم قال لانه قد اختلط رطب مكة بهذه البساتين التى اشترى وهبا هؤلاء بنى زبيدة وأشباهها فقال له ابن المبارك رحمك الله ان نظرت الى مثل هذا ضاق عليك الخبز فقال وما سببه قال تفارقت في أصول الضياع بمصر فاذا هى قد اختلطت بالصوافي قال فغشى على وهيب فقال له سفيان ما أردت بهذا قتلت الرجل قال ابن المبارك والله ما أردت الا ان أهون عليه قال فلما أفاق وهيب قال لله على أن لا آكل خبزا أبدا حتى ألقاه قال فكان يشرب اللبن قال فأتته أمه بلبن فقال من أين لك هذا قالت من شاة بنى فلان قال ومن أين ثمنها قالت من كذا وكذا فرضيه فلما أدناه من فيه قال قد بقى شئ فأين ترعى هذه الشاة فسكتت فقال أخبرينى فاذا هى ترعى مع غنم لابن عبد الصمد الهاشمى أمير مكة في الحى فقال هذا الان

بدعة وهي حصر غليظة تتخذ من القصب الفارسي الاعفاج أجل منها وأكثر قيمة وقيل ان البوارى في المسجد من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قل ما يعملون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والخلافيات من أجل علوم هذا الزمان و يزعمون انه من أجل القربات وقد كان ذلك منكرا في عصر الصحابة ومن ذلك التلحين في الاذان والقراءة ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الملابس التساهل في المأكول والملبوس ولقد صدق ابن مسعود حيث قال أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع العلم وسيأتى عليكم زمان العلم فيه تابع للهوى واعلم ان صاحب البدعة لا يكاد يترك بدعته ولو ضرب بالسيف لان البدعة لها حلاوة في قلوب أهلها وقد كان أحمد يقول تركوا السنة وأقبلوا على الغرائب ما أقل الفقه فيكم والله المستعان وكان الحسن أشبه الناس بكلام الانبياء عليهم السلام وأقربهم من هدى الصحابة وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب ومفسدات الاعمال ووساوس النفس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس فقيل له يا أبا سعيد تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك مثله فمن أين أخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة من أين أخذته قال خصنى به النبي صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه

المسلمين فيستحق لا يحل لي ان أشرب به دونهم وهم شركائي فيه فقالت له أمماشرب به فات الله يغفر لك فقال ما أحب اني شربته وانه غفر لي قالت ولم قال أكره ان أسال مغفرته بمعصية وقد كان لطاوس اليماني بضاعة يتجر له فيها من التمر فاشترى مضارب ببضاعته أدعامن بعض أولياء السلطان وكتب اليه بذلك وكتب اليه طاوس أفسدت علينا مالنا ما أحب ان أتلبس بشيء منه فبع الادم باليمن وتصدق بثمنه ولا تدخل منه الى الحرم درهما واحدا وأنا أستغفر الله من طعمة الفقراء وأرجو أن أنجو كفافا لا علي ولا لي فيقال ان ذلك كان سبب فقره ولم يكن له مال غيره فبقي بغير معلوم من دنيا وكان شاه القشيري سلك الى مكة بعد ان الزبير أحوى ثم رأى في طريق أهل اليمن الى مكة وكان طاوس ووهب بن منبه اليمانيان رضي الله عنهم الذام اعليه لم يتركا دوابهما ان تشرب منه وقد كان سهل رحمه الله يقول رجل بات في قرية جائعا قام الى الغداة لم يقدر ان يصلي من الجوع أعطاه الله في منزله جميع صلاة المصلين القائمين في قريته قيل وكيف ذلك قال طلب الحلال فلم يجده فكره ان يدخل جوفه حراما فبات طاويا فله أجر المصلين القائمين في تلك الليلة وهو سليمان التيمي رحمه الله ترك أكل الحنطة فقيل له في ذلك فقال انما أطحن في هذا الارحى فقال المسلمون شركاء في الماء وهؤلاء يأخذون شرابها دون سائر الناس وحدثت ان امرأة أهدت الى بشر بن الحرث سلة عنب فقالت هذه من ضيعة أبي فردها بشر عليها فقالت سبحان الله تشك في كرم أبي ولي حقه لكم وميراثي منه وشهادتك مكتوبة في كتاب الشراء فقال لها صدقت مثلك أبيك ولكنك أفسدت الكرم قالت بماذا قال سقيته من نهر طاهر يعني طاهر بن الحسين بن مصعب بن عبد الله بن طاهر صاحب المأمون وهذا النهر هو الخندق المعترض في الجانب الغربي لم يكن بشر يمر بالخندق ولا يمشي على الجسر وقد كان بشر يقول لمدة ثلاثين سنة اشتهي شواء وما أتركه زهدا فيه ولو صح لي درهم لا كلته فهذه سيرة المتقدمين وطريق السالفين من سلكها لحق بهم وكان كأحدهم ومن خالفها فليس على سنة السلف ولا من صالحي الخلف وسعته رحمة الله الواسعة بمشيئته السابقة فاعتبروا يا أولي الابصار وقد كان من سيرة القدماء من أهل الورع ان لا يستوعب أحدهم كل حقه بل يترك شيأ خشية ان يستوفي الحلال كله فيقع في الشبهة فانه يقال من استوعب الحلال حام حول الحرام فكانوا يستحبون ان يتركوا بينهم وبين الحرام من حقهم حاجزا من الحلال لقول الرسول صلى الله عليه وسلم من رتع حول الحمى يوشك ان يواقعه ومنهم من كان يترك من حقه شيأ لغير هذه النية ولكن لقول الله عز وجل ان الله يأمر بالعدل والاحسان قالوا فالعدل ان تأخذ حقك كله وتعطي الحق والاحسان ان تترك بعض حقك وتبذل فوق ما عليك من الحق لتكون محسنا ولان الله تعالى كما أمر بالعدل قد أمر بالاحسان لقوله حقا على المتقين حقا على المحسنين وهذه الطريقة قد جهلت من عمل بها فقد أظهرها حدثونا عن بعضهم قال أتيت بعض الورعين بدين له علي وكان خمسين درهما قال ففتح يده فعددت فيها الى تسع وأربعين درهما فقبض يده فقلت هذا درهم قد بقي لك من حقك قال قد تركته لك اني أكره ان استوعب مالي كله فاقع فيما ليس لي وقد كان عبد الله بن المبارك وغيره يقول من اتقى من تسعة وتسعين شيأ ولم يتق من شيء واحد لم يكن من المتقين ومن تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب من ذنب واحد لم يكن من التوابين ومن زهد في تسعة وتسعين شيأ ولم يزهد في شيء واحد فليس هو من الزاهدين وقد روى عطية السعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس وروينا عن أبي الدرداء انما التقوى ان يتقي الله العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام وبمعنى هذا ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال كنا نترك سبعين بابا من الحلال مخافة باب واحد من الحرام وهذا طريق قد مات أهله فمن سلكه فقد أحياهم فاما أموال التجار والصناع والمتصرفين في المعايش المباحة بالاسباب الجائزة في العلم مع موافقة الكتاب والسنة فهي شبهات ثم تتنوع بنوعين فتكون شبهة حلال اذا عاملت المتقين

من الخير وأنا أسأله عن الشر مخافة ان أقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأل عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة قد خص بالعلم الذي يعرف به دقائق النفاق ومداخله وأسبابه ودقائق اليقين وخصه النبي صلى الله عليه وسلم بمعرفة اليقين وكان يسمى صاحب السر والعناية بمقامات القلب وأحواله وذلك هو داب علماء الآخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن مندرسا في زماننا مرفوضا منكرا واذا تعرض الانسان لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا رونق المذكورين وفق الوعاظ ويعرضون عنه فهو عندهم من حيز المنكرات ولقد أخذت مع جماعة من أهل زماننا في ذكر شيء من ذلك فبعضهم لاح على وجهه الكراهة وبعضهم صرح بان هذا شيء لا يحتاج اليه وفي الفقه كفاية عن هذا وغيره وبعضهم صرح بذمه واستهجانه وان ذلك هذيان يزخرفه ألفاظ تقرب من الكفر حتى انه قام أثناء كلامه قاصدا بقيامه ترك الاستماع له وكان قيامه في أثناء ايرادي لحديث صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في التحذير من آفات النفس ومداخل الشيطان وانما أورثهم هذا الحرامة أمران أحدهما ان هذا يخالف بهم عن هوى

وأخذت من الورعين وتكون شبهة حرام اذا عاملت قليل التقوى والورع وأما غير ذلك من أموال الجند فانه حرام لفساد سببه ولمخالفة الاحكام فما كان عن معاملة لهم وكسب ولم تعلم شيأ بعينه غصبا ولا جناية فهو أسهل وما علمته فهو نص الحرام فالله الله في نفسك انظر أيها المسكين لما ذكر واحفظ دينك فان كسبك من دينك وطعمتك من اعمالك فان تهاونت بذلك فقد تهاونت بالدين ونبذت الاحكام وضيعت اليوم نفسك ولم تنظر فيما قدمت لغد ونعوذ بالله من سوء القضاء وقال ان العدو اذا ظفر من العبد بسوء الطعمة لم يعترض عليه في الاعمال وقال قد ظفرت منك بحاجتي اعمل الآن ما شئت ولم يعد عليه من أعماله الا ظلمة في قلبه وقسوة وضعفا في عزيمة وفتورا ومعصية وحرم التوفيق والعصمة ولم يورث علم المكتوب والحكمة فان كان المتصرف في السوق على الوصف المنكر ومخالفا للعلم في تصرفه مفارقا للاحكام لا يبالي من أي وجه ظهر وبأي سبب عليه قدر غير متق في كسبه ولا مرع لدين الله عز وجل فيه وحكمه فهو آكل للمال بالباطل قاتل لنفسه مفسد لدينه غاش للمسلمين والله لا يصلح عمل المفسدين كما لا يضيع أجر المصلحين ومع ذلك فهو غير ناصح لله عز وجل ولخلقه في الدين مقامه في الظلم وحاله الهوى والله لا يحب الظالمين فهو مأمور بالتوبة في جميع تصرفه مفترض عليه الانابة في جميع تقلبه قبل أن يبغته الموت ويفجأه الفوت فيلقى الله تعالى ظالما اذا هو يفقد قال تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقال بعض الحكماء الدنيا بحر عجاج والتجار فيه غاصة فواحد يغوص فيخرج درا وهؤلاء أبناء الآخرة الذين لها يعملون وآخر يغوص فيخرج آجرا وهؤلاء عمال الدنيا الذين عليها يحرصون وآخر يخرج سمكا وهؤلاء المقتصدون وآخر في قعره قد غرق وهؤلاء المطرودون عن الطاعة الى الاسواق كلما أرادوا أعمال البر طردوا عنها الى السوق وشغلوا فقد غرقوا في بحر الخطايا وآخر طاف مع الامواج يضطرب يطلب النجاة كلما رفعته موجة طمع في النجاة ثم تغطيه موجة أخرى فيخاف الهلكة وهؤلاء المريدون الاستقامة في زماننا هذا ترفعهم التوبة الى النجاة وتحطهم العادة الى الهلكة ورويناً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا وأوحى الله عز وجل الى بعض أنبيائه لا تتخذوا الاهل والمال فيزمن العقو بات ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

النفس وينادي بالويل والثبور على علماء السوء والتاني الجهل والكبر وقسوة القلب نسأل الله العافية والسلامة ونعوذ به من المكر والخزي فانظر كيف صار الحق في زمان الصحابة والتابعين باطلا في زماننا هذا والمعروف منكرا اللهم وفقنا لطاعتك وجنبنا معصيتك ولا تحد بنا عن طريقك يا مجيب دعوة الداعين اللهم نبهنا من نوم الغفلة وأيقظنا من طول هذه الرقدة واهدنا وارشدنا وأسمعنا يا هادي العمي يا مسمع الصم يا ذا الفضل الجليل يا لطيف يا جميل يا ذا العطاء الجزيل يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

*(يقول راجي غفران المساوي محمد الزهري الغمراوي)*

نحمدك يا من هيأت القلوب لتتيقظ لمرضاتك وفتحت أقفالها بأسرار معرفتك وأنوار هباتك ونصلي ونسلم على من أرسلته بطب القلوب وأيدته بما أنزلت عليه من قوت القلوب وتبيين العيوب وعلى آله الذين تحققوا برياضة النفوس فحلوا بأنوار اليقين وأصحابه السائرين على منهجه المبين أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب للامام الفاضل والاستاذ الكامل سيدنا ومولانا الشيخ أبي طالب المكي رحمه الله وأثابه رضاه وهو كتاب له من اسمه أكبر نصيب ومن التكلم على آفات النفوس والاستشهاد بالآي كل مطرب غريب وفي تبيين طريق السلف الصالح ما يجعل الغائب كأنه حاضر مبتصر وفي

أحوال أهل اليقين ما يزيح الخفاء ويجلو من عين القلب النظر وبالجملة فهو كتاب شهرته طبقت

الآفاق وهي أقل مما فيه وليس الخبر يكفي ما العيان يكفيه وقد حليت طرر الجزء الاول منه

بكتاب سراج القلوب وعلاج الذنوب للشيخ أبي علي زين الدين علي المعبري الفناني

ووشيت غرر الجزء الثاني منه بكتاب حياة القلوب في كيفية الوصول الى

المحبوب لعماد الدين الاموي رحم الله الجميع وأسكنهم من الجنة

المكان الرفيع وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة المحمية

بجوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر

المديرادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابي

الحلبي ذي العجز والتقصير في شهر ذي

القعدة سنة ١٣١٠ هجريه على

صاحبها أفضل الصلاة

وأتم التحيه

## *(فهرسة الجزء الثاني من كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي)*


| صحيفة | |
|---|---|
| ٢ | شرح مقام التوكل ووصف أحوال المتوكلين |
| ١٠ | ذكر اثبات الاسباب والاواسط الخ |
| ١٥ | ذكر التكسب والتصرف في المعايش |
| ١٩ | ذكر الادخار مع التوكل |
| ٢١ | ذكر التداوي وتركه للمتوكل |
| ٢٧ | بيان آخر من التمثيل في التداوي وتركه |
| ٢٨ | ذكر تشبيه التوكل بالزهد |
| | ذكر كتم الامراض وجواز اظهارها |
| ٢٩ | ذكر فضل التارك للتكسب |
| ٣١ | ذكر حكم المتوكل اذا كان ذا بيت |
| ٣٨ | ذكر أحكام مقام الرضا |
| ٥٠ | ذكر أحكام المحبة ووصف أهلها |
| ٥٨ | ذكر مخاوف المحبين ومقاماتهم في الخوف |
| ٨٣ | الفصل الثالث والثلاثون في ذكر دعائم الاسلام الخمس التي بني عليها |
| ٨٤ | ذكر شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم |
| ٨٤ | ذكر فضائل شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم |
| ٨٥ | ذكر فضائل شهادة التوحيد ووصف توحيد الموحدين |
| ٩٠ | شرح ثاني ما بني الاسلام عليه من الخمس وهو الصلاة |
| ٩١ | ذكر فرائض الاستنجاء |
| | ذكر فرائض الوضوء |
| ٩٢ | ذكر فرائض الطهارة |
| | ذكر سنن الوضوء |
| | ذكر فضائل الطهارة |
| ٩٣ | صفة الغسل من الجنابة |
| ٩٣ | (كتاب الصلاة) |
| | ذكر فرائض الصلاة قبل الدخول فيها |
| ٩٤ | ذكر سنن الصلاة |
| ٩٥ | ذكر أحكام الصلاة في الادراك |
| | ذكر هيئات الصلاة وآدابها |
| ٩٧ | ذكر فضائل الصلاة وآدابها |
| ١٠١ | ذكر الحث على المحافظة على الصلاة وطريقة المصلين من الموقنين |
| ١٠٤ | ذكر أحكام الخواطر في الصلاة |
| ١٠٦ | (كتاب الزكاة) |
| | ذكر فرائض الزكاة |
| | ذكر فضائل الصدقة وآداب العطاء |
| ١١٣ | (كتاب الصوم) |
| | ذكر فرائض الصيام |
| | ذكر فضائل الصوم ووصف الصائمين |
| ١١٤ | (كتاب الحج) |
| | ذكر فرائض الحج |
| ١١٥ | ذكر فضائل الحج وآدابه وهيئاته وفضائل الحجاج وطريق السلف في ذلك |
| ١٢١ | ذكر فضائل البيت الحرام وما جاء فيه |
| ١٢٢ | ذكر من كره المقام بمكة |
| ١٢٣ | الفصل الخامس والثلاثون فيه كتاب تفصيل الاسلام والايمان وعقود السنة واعتقاد القلوب وشرح معاملة الناس من العلم الظاهر وذكر دعائم الاسلام وأركان الايمان واتصال الايمان والاسلام |
| ١٢٨ | شرح معاملة القلب من العلم الظاهر |
| ١٢٨ | ذكر مباني الاسلام وأركان الايمان |
| ١٢٩ | ذكر اتصال الايمان بالاسلام في المعنى والحكم |
| ١٣٣ | باب ذكر تفضيل بيان ما نقل عن المحدثين الخ |
| ١٣٤ | ذكر الاستثناء في الايمان والاشفاق من النفاق وطريقة السلف في ذلك |
| ١٣٨ | الفصل السادس والثلاثون في فضائل أهل السنة والطريقة وطرق السلف من الائمة |
| ١٤٠ | ذكر عرى الايمان وجمل الشريعة |
| | ذكر شرط المسلم الذي يكون به مسلما |
| ١٤١ | ذكر حق المسلم على المسلم |
| ١٤٢ | ذكر سنن الجسد |
| ١٤٦ | باب ما ذكر من نوافل الركوع وما يكره من النقصان منه |
| ١٤٧ | الفصل السابع والثلاثون في شرح الكبائر التي تحبط الاعمال وتوبق العمال |

١٥٥ فصل
فصل ١٥٦ فصل
١٥٨ الفصل الثامن والثلاثون في الاخلاص وشرح النيات والامر بتحسينها في تصريف الاحوال
١٦٤ الفصل التاسع والثلاثون في ترتيب الاقوات بالنقصان منها أو بزيادة الاوقات
١٧٨ الفصل الاربعون فيه كتاب الاطعمة وذكر ما يجمع الاكل من السنن والآداب الخ
١٩٢ الفصل الحادي والاربعون فيه كتاب فرائض الفقر وفضائله ونعت عموم الفقراء وخصوصهم
٢٠٤ الفصل الثاني والاربعون فيه كتاب حكم المسافر والمقاصد في الاسفار
٢٠٨ الفصل الثالث والاربعون فيه كتاب حكم الامام ووصف الامامة والمأموم
٢٤٣ الفصل الرابع والاربعون فيه كتاب الاخوة في الله عز وجل والصحبة ومحبة الاخوان فيه تبارك وتعالى وأحكام المؤاخاة وأوصاف المحبين
٢٤٧ الفصل الخامس والاربعون فيه كتاب ذكر التزويج في فعله وتركه أيهما أفضل ومختصر أحكام النساء في ذلك
٢٥٩ الفصل السادس والاربعون فيه كتاب ذكر دخول الحمام
٢٦١ الفصل السابع والاربعون فيه ذكر حكم المتسبب المعاش
٢٨٦ الفصل الثامن والاربعون فيه كتاب تفصيل الحلال والحرام وما بينهما من الشبهات وفضل الحلال وذم الشبهة وتمثيل ذلك بصور الالوان


*(تمت)*

*(بقية فهرسة حياة القلوب الموضوع بهامش الجزء الثاني)*


٢ الفصل الرابع في شرح عقيدتهم التي أجمعوا عليها وما أخذوا به من المذاهب في فروع الاحكام
٨ باب فيما يقبح ويذم من أفعال الجوارح الظاهرة وفيه فصول
١٩ باب الجهل والغفلة وغرور الدنيا والنفس والشيطان وعداوتهم وفيه فصول
٢٤ باب في الهوى واللهو والشهوة وفيه فصول
باب الحسد وفيه فصول
٣٢ باب الغضب والغيظ والعداوة الخ وفيه فصول
٤٠ باب الامن من مكر الله وعذابه الخ وفيه فصول
٤٥ باب الحرص والبخل والامل الخ وفيه فصول
٥٣ باب تعظيم الاغنياء والاستهانة بالمساكين الخ وفيه فصول
٥٥ باب الرياء والمداهنة وفيه فصول
٦٥ باب الكبر والعجب الخ وفيه فصول
٧٥ باب التوبة ومقدماتها الخ وفيه فصول
٩٢ باب العزلة والخلوة وفيه فصول
١٠٠ باب الرعاية لحقوق الله تعالى وفيه فصول
١٠٥ باب التفكر والتذكر وفيه فصول
١١٢ باب الورع وفيه فصول
١١٨ باب الزهد وفيه فصول
١٢٦ باب التوكل والتفويض الى الله تعالى وفيه فصول
١٦٠ باب الفقر والقناعة الخ وفيه فصول
١٦٥ باب المحبة والشوق وفيه فصول
١٨٣ باب الخوف والاشفاق والحزن وفيه فصول
١٩٩ باب الخشوع والاخبات وفيه فصول
٢٠١ باب الرجاء والرغبة وفيه فصول
٢٠٥ باب المراقبة والحياء وفيه فصول
٢٠٧ باب الصدق والاخلاص والاستقامة وفيه فصول
٢١٦ باب الصبر والشكر وفيه فصول
٢٢٧ باب التواضع وحسن الخلق والاحسان وفيه فصول
٢٣١ باب الرضا والتسليم وفيه فصول
٢٣٧ باب المجاهدة والمعاملة وفيه فصول
٢٤٩ باب التقوى واليقين والسمت وفيه فصول
٢٥٤ باب العلم والمعرفة وصفات العارف وفيه فصول
٢٧١ باب في شرح ألفاظ واصطلاحات لها حقائق شرعية ومعان جليلة
٢٧٩ باب في معرفة العقل والنفس والروح والقلب والخاطر وفيه فصول
٢٨٦ باب في معنى الولاية والولي وكرامات الاولياء وفيه فصول
٢٨٨ باب في الوصايا والنصائح وفيه فصول


*(تمت)*

2470
3/A